



طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر



يوليو ١٩٧٠
السنة السادسة

وحدة العمل العربى : الواقع والضرورة

جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية

الواقع - المشكلات - آفاق المستقبل

- حرب الشعب فى لاوس «تحقيق صحفى»
- الوحدة والتنوع فى إعادة تنظيم القطاع العام
- حوار حول آراء روجيه جارودى



طـريق المناضـلين الى

الفـكر الثورى المعاصر

مجلة شـــهرية
تصدر أول كل شهر

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
أبو سـيف يوسـف
د. اسماعيل صبرى عبدالله
د. جمـال العطيفى
د. رشـدى سـعيد
د. عبد الرازق حسـن
د. لطيفـة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد أحمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتير التحرير :

عبد المنعم القصاص

عنوان المراسلات :

« الطليعة »
مبنى مؤسسة الاهـرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ــ ٥٩٠١٠ ــ ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

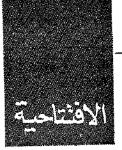
لسـنة بالبريد العادى ج.ع.م. دول اتحـاد البريد العـربى ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .

الفهـــرس

العدد السابع ــ السنة السادسة ــ يوليو ١٩٧٠

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة علي اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » ؟ (•)



وحـدة العمل العربى : الواقع والضرورة

عند الحديث عن وحدة العمل العربى ،واقعه والضرورات التى تفرضه ، يحسن ان نبدا بمادة الواقع الحى،ومن خلال الوقائع الحسية التى تصلح نقاط ابتداء — وفى الوقتنفسه — نقاط اتفاق (ولو فى حدها الادنى) بين مختلف القوىالوطنية والثورية فى المنطقة العربية . وذلك فى محاولة لكىنتقدم الى موقع افضل .

ونبدا سؤالعناتجاهات نشاطالعدو الصهيونى الامبريالى ، خصوصا ، خلال النصف الاول منعام ١٩٧٠ ، هنا ، سنجد انه قد اختص الجبهة الغربية ، ولا يزاليختصها ، بأشد الهجمات ، معتمدا على الطيران : لقد بدا بالضرب فى العمق وعلىأهداف مدنية ، وعندما اندفعت مصر تستكمل شبكات الدفاع الجوى ، اتجه العدوالى تكثيف الضرب على منطقة القنال ، فطالت غاراته وامتدت ، وتضاعف عددالاطنان من قنابله ، ان هدف العدو من هذا انيجهض الجهد المصرى المتعاظم فى بناءالقوات المسلحة ، وأن يضعف الروح المعنوية ، اى الجبهة الداخلية .

وعلى الجبهة الشرقية ، اتجهت حركةالعدو اساسا الى تصفية ، او — على الاقل — الى قصم ظهر الكفاح الفلسطينىالمسلح . وفى هذا السبيل دخلت القوات الاسرائيلية فى اشتباكات مسلحة — وجهالوجه — مع ثوار فلسطين (آخرها فى العرقوب) ، لكن اسرائيل اتجهت الى ضربالكفاح الفلسطينى المسلح من الداخل ، **بالاعتماد اساسا على خدمات القوىالرجعية والعميلة** : مرة فى لبنان ، وأخرى فى عمان ، لكن الكفاح المسلح لم يصف،وان كان قد نزف دما غاليا وغزيرا ، وان كان — ايضا — لايزال يواجه اخطاراشديدة .

وفى الوقت نفسه، اقترن النشاطالصهيونى العدوانى بنشاط مقابل على الجبهة الايديولوجية او « جبهة الحربالنفسية » . وهنا نشهد وحدة تامة وتحالفا وثيقا بين اجهزة الدعاية الامريكية ، وبينمؤسسات الدعاية التى تديرها الصهيونية

العالمية ، وهذه وتلك تحاول - فى جهد مستميت - ان تخرب العلاقات الوثيقة والنضالية بين البلدان العربية وخاصة ج ٠ ع ٠ م وبين الاتحاد السوفيتى ، فمن ناحية هناك الابتزاز الامريكى الصهيونى القائل بأن مساعدات الاتحاد السوفيتى قد بلغت « من الضخامة » حدا لا يحسن السكوت عليه ، وأنه لابد بالتالى من «انذار» الاتحاد السوفييتى ، بأن دعمه لمصر « قد بات يهدد السلم فى المنطقة » . وهناك ، من ناحية أخرى ، نشاط قوى الثورة المضادة فى العالم العربى ، التى تضاعف افتراءاتها ضد العلاقات العربية السوفيتية تحت أقنعة « قومية » زائفة ، وهدفها الاصيل أن تبحث عن ثغرة تهاجم بها النظام الوطنى التقدمى الذى أقامته ثورة يوليو ٠

فاذا واصلنا استقراء حركة الاحداث فى الشهرين الاخيرين أمكن القول بأن العدو الصهيونى مدعوما من الامبريالية الامريكية سيضاعف نشاطه العدوانى على الجبهة الغربية وضد الكفاح الفلسطينى المسلح كما سيضاعف نشاطه الايديولوجى المخرب ليحرف نضال الشعوب العربية نحو معارك جانبية ، وليضعف ، من ثم ، الوحدة النضالية بين كافة فصائل الثورة العربية ٠

ومثل هذه التوقعات لا تدخل فى باب التنبؤات ، لان مقدماتها واضحة ، بل تزداد وضوحا يوما بعد يوم ٠ فاذا كثر الحديث عن مغامرة جديدة تعد لها اسرائيل ، واذا كثر الحديث عن تدهور متزايد يهدد بانفجار الوضع فى المنطقة ، فلنعلم ان تأزم الموقف له دلالات لا تخطىء : ان ازمة الكيان الصهيونى المصيرية قد بدأت ، ولنعلم أن اسرائيل عندما ارادت ان تؤكد وجودها بعدوان يونيو كانت قد وضعت - فى الواقع - وجودها موضع الشك ، وهذا ما أثبتته الوقائع ، ويكفى هنا أن نشير الى أمرين يجمع كثير من المراقبين الغربيين عليهما ، **الاول** : نمو وتعاظم كفاءة القوات المسلحة المصرية ، عددا وعدة وتدريبا ، وان هذا النمو يتم فى مدرسة المعارك ذاتها ، ويتم فى اطار شعبى يرفض الاستسلام ٠ **الثانى** : نمو قوى الثورة الفلسطينية المسلحة كتعبير عن البعث المجدد لشعب فلسطين ٠ وفى غمار ظروف شاقة للغاية ، بل تكاد - أحيانا - أن تكون مستحيلة ، ورغم تعقد الظروف التى تحيط بفصائل العمل المسلح الفلسطينى ، يزداد وعى هذه الفصائل بأهمية التقارب ، والتعاون ، والتنسيق ، والعمل الموحد ، والبحث عن صياغات تؤمن وحدة العمل فى الساحة الفلسطينية ٠

فى مواجهة هذا الوضع يتحرك الامبرياليون والصهيونيون ، ويحكم حركتهم احساس متزايد باليأس من فرض مخططاتهم على الشعوب العربية ، لكن هذا الاحساس باليأس يحمل فى طياته - بدوره - تصاعدا فى العدوانية والهمجية لا حد له يهدد ، فيما يهدد ، السلم فى المنطقة ، بل وفى العالم كله .

وفى مواجهة هذا الوضع - ايضا - تتحرك قوى الثورة العربية لتدخل مرحلة جديدة ودقيقة من مراحل صراعها الدموى والمرير مع الاعداء ، وهذا وحده يفسر أن ما يحدث على الجبهة الغربية لم يعد مجرد « مناوشات » ، او اختبار متبادل للقوى ، بل معارك مروعة شخصها الرئيس عبد الناصر بقوله فى بعض خطبه : باننا على القناة ، نخوض حربا فعلية ٠

وبازاء هذا كله ، وتحت دافع الاحساس بخطورة الموقف ، وتحت اصرار الشعوب العربية على المضى فى حرب التحرير ، يمكننا أن نفسر كمية وأهمية العمل السياسى الذى بذل - فى الفترة الاخيرة - خصوصا من جانب القيادات السياسية فى مصر والسودان وليبيا ، بل يمكننا أن نفهم لماذا احتل موضوع وحدة العمل العربى على الجبهة الشرقية كل هذا الاهتمام المشروع فى اللقاءات التى تمت فى طرابلس وفى مناسبة تاريخية هامة ، هى جلاء الامريكيين عن قاعدة « هويلس » ٠

وليس هناك من شك فى أن كل العرب المعادين للامبريالية والصهيونية يرحبون بكل جهد يبذل فى سبيل دعم وتنسيق العمل العسكرى على الجبهة الشرقية بما يكفل ردع

اسرائيل والتعجيل بهزيمتها ، وسوف تدعمقوى الثورة العربية كل خطوة فى هذا الاتجاه · وفى اعتقادنا أن الظرف الموضوعى فى العالم العربى يطرح على القيادات السياسية قضية توحيد الجهد العسكرى على جميع الجبهات ، ويطرحه بقوة لا تستطيع ان تتجاهلها قيادة من القيادات ، الا اذا خاطرت بمكانتها ازاء شعبها ، وازاء مجموع الشعوب العربية .

غير أننا سندع الجهود المبذولة على مستوى الدول العربية تمضى فى طريقها المرسوم ، وسنلتفت - بتركيز أكبر - الى قضية وحدة العمل بين فصائل الثورة العربية على المستوى الشعبى ، ايمانا منا بأن القضايا الكبرى انما تحسم ، فى نهاية الامر ، بقدر ما تتحرك القوى الشعبية والوطنية من اجل حسمها ، ولايماننا ، من ناحية أخرى ، بأن هذه القوى الشعبية والوطنية هى التى تستطيع أن تهيىء المناخ الصالح لكل حركة على مستوى الدول والحكومات العربية ·

ونقطة البدء فى الحديث عن وحدة العمل العربى على مستوى فصائل الثورة العربية (القوى والتنظيمات والاحزاب والجماعات والشخصيات الوطنية والتقدمية المعادية للامبريالية والصهيونية) ، هى ان قضية الوحدة فيما بينها كانت على الدوام - ولا تزال - ضرورية ضرورة مطلقة · ولكن ، بين هذا التسليم ، او الاتفاق المبدئى بضرورة العمل الموحد وبين الممارسة الفعلية تقوم صعوبات جمة ، وهذه الصعوبات هى ، فى الاساس ، صعوبات موضوعية ، لم تخلقها الاهواء والنزوات ، بل نشأت فى اطار تاريخى واجتماعى وسياسى محدد · ولنضرب مثلا على ذلك العلاقات بين المنظمات الرئيسية للعمل الفلسطينى المسلح ، ان الجميع يعلنون فى برامجهم أن هدفهم استرجاع الوطن السليب ، ويعلنون أن الوسيلة هى الكفاح المسلح ، ويعلنون أن الوحدة بين فصائل هذا العمل مسألة حيوية ، لكن مجرد تعدد التنظيمات يعنى أن هناك خلافات فيما بينها ، والا لاصبحت كتلة أو جسما واحدا ، وهناك فى العادة منهجان لمواجهة هذه الخلافات بين تنظيمات المقاومة ، هناك **المنهج الذاتى** الذى يكتفى برد الخلافات الى مجرد أهواء وتطلعات وأغراض فردية من هذا الشخص أو ذاك ومن هذه المجموعة أو تلك · وهناك **منهج موضوعى** علمى ، يسلم بوجود هذه « النزعات » و « الاهواء » ولكنه يبحث فى العمق عن **الاسباب الحقيقية** للخلافات والتعدد ، فاذا ما بحثها وضع خطته ، لا على اساس تجاهل الواقع ، بل على اساس تحقيق الوحدة من خلال التنوع والتعدد ، منطلقا من التسليم بأن واقع المقاومة الفلسطينية ليس أمرا عرضيا ، بقدر ما هو نتاج تطور الشعب الفلسطينى عبر تاريخ فريد تعرض فيه المجتمع الفلسطينى لسيطرة الاستعمار والصهيونية ، وتمزق فيه المجتمع الفلسطينى : فمن قسم تحت الاحتلال ، الى قسم ضخم من اللاجئين ، الى قسم من المهاجرين ، فضلا عن أن هذا المجتمع فيه أيضا هذه الظاهرة التى عرفتها مجتمعات عربية أخرى ، ظاهرة تعدد الطبقات : العمال والفلاحون والحرفيون والرأسماليون على اختلاف مواقعهم وارتباطاتهم · مثل هذا المجتمع لابد وأن يعكسه - بالضرورة - الوضع الراهن للمقاومة ، وليس هذا تكريسا للانقسام ولن يكون ، ولكنه مجرد تفسير ومحاولة للفهم ، فاذا ما بدأ هذا المجتمع ينهض لينجز - فى عالم اليوم - ثورته التحررية الوطنية ، وباحتدام هذه الثورة تظهر على السطح ظاهرة التعدد والاختلاف ، لكن تظهر - فى الوقت نفسه - الحركة المقابلة الداعية الى التضامن والى الوحدة الوطنية ، والبحث عن الصيغة التى تحقق هذه الوحدة ، واذا اخذنا فى الاعتبار ما حدث فعلا فهو أن الصياغات الخاصة بوحدة العمل بين فصائل الثورة الفلسطينية المسلحة ، ربما بدت للبعض اقل مما يتطلبه الموقف ، وهذا صحيح ، لكن يجب الا ننسى أن دواعى الوحدة بين ابناء شعب فلسطين ، هى أقوى - من الناحية الموضوعية ، من عوامل الانقسام ، وهى التى تفرض نفسها - بالتدريج - على عوامل الانقسام ، والامر ، فى النهاية ، مرجعه الى الحركة الواعية التى تتحركها كتلة شعب فلسطين ، فهى التى ستفرض فى التطبيق شعارات الوحدة وهى التى ستنير الطريق أمام ثوار فلسطين ليصلوا الى الصيغة التى تحقق وحدة العمل بينهم .

وان ما ينطبق على الصعوبات التىتعترض فصائل الثورة الفلسطينية فى الوصول الى الصيغة المثلى التى تحقق وحدةالعمل فيما بينها ، ينطبق سواء بسواء ، **وفى الاساس** على الصعوبات التى تعترض وحدةالعمل بين قوى الثورة داخل كل قطر عربى ، وبين هذه القوى بعضها والبعض علىالصعيد العربى كله (بالطبع مع الاخذ بعين الاعتبار الاختلافات النوعية الخاصة بهذاالمجتمع العربى او ذاك ، ومع التسليم بأن المجتمعات العربية لا تشهد نفس التعقد فىالحركة الثورية) . وهنا نجد انفسنا امام حقيقتين :

الاولى : هى أن جميع القوى الثوريةتناضل تحت شعارات التحرر الوطنى ضد الامبريالية وضد الصهيونية ، ومن أجلالتقدم الاجتماعى والاشتراكية ، وهذه الحقيقة تعنى أن دواعى الوحدة بين هذهالقوى هى — موضوعيا — اقوى من دواعى الفرقة ، وذلك بغض النظر عن « المواقفالذاتية » و « الحلفية » و « الانعزالية » الخ

والثانية : هى انه بالرغم من الاتفاق علىالشعاراتالعامة فانهذه القوىتجد — عند التطبيق العملى — صعوبات حقيقية فىالاتفاق ، أو فى الوصول الى صيغة ، أو شكل ، أو وعاء يضمن استمرار وتطويروحدة العمل فيما بينها ، والسبب هو أنه الى جوار نقاط الاتفاق هناك نقاط اختلاف هى— أيضا — نقاط موضوعية صادرة عن تعدد الطبقات الاجتماعية التى تنخرط فى حركةالثورة ، ولا يغير من هذه الحقيقة ان هناك — فى حالات معينة — خلافات مفتعلة ، اومزايدات ، أو تطرفات .. الخ .

فما الحل اذن ؟ وما هو الطريق الى بدايةلوحدة عمل جادة وفعالة بين فصائل الثورة العربية ؟ فى داخل كل بلد ، وعلى امتدادالوطن العربى كله ؟ وفى مرحلة يندفع فيها الاعداء الى المغامرة ، وتواجه فيها الثورةالعربية مهمة حماية ثورة شعب فلسطين ، ويتطلب الوضع فيها من دول المواجهة أشملتعبئة لقواها البشرية والمادية لهزيمة المخطط الامبريالى الصهيونى ؟

ان البحث عن صيغة لوحدة العمل بينقوى الثورة العربية أمر هام جدا — ولا شك ، وهو امر لابد وأن يفرض نفسه بكيفية منطقيةكلما اجتمعت القوى الوطنية والتقدمية لتدخل معركة من المعارك ، ان هذا صحيح ،ولكن من الصحيح أيضا أن يكون تحديد الصيغة أو الشكل الذى يحكم وحدة العملمن العوامل المعوقة لوحدة العمل . ويحدث هذا عادة — فى حالتين : **الاولى** : ان تقدمهذه الصيغة بكيفية مسبقة وجاهزة . **والثانية** : أن يتركز الاهتمام على الاطار أوالشكل الذى تتخذه وحدة العمل قبل أن يتركز على المبادىء والمنطلقات الأساسيةالتى تكفل قدرا مشتركا من وضوح الرؤية بين كافة القوى المدعوة الى توحيد جهودهاوأساليب نضالها .

وبعبارة أخرى ، قبل أن تتوصل القوىالوطنية والثورية الى الصيغة المناسبة التى تجمع جهودها وتنظمها **يتعين على هذهالقوى ان تتفقعلى قضايا اساسية فىالفكر والسياسة ، وفى اسلوب العمل ، وهذهالقضايا لا يمكن ان تكون من قبيل الاختراعات أو الاوهام ، ولن تكون — فىالواقع — سوى الخبرات الثمينة والمستخلصة من حرب يونيو .**

واذا صح فى الامثال أن « رب ضارةنافعة » ، فربما قدمت سنوات الحرب الى قوى الثورة العربية اوليات اساسية لايؤدىنسيانها أو تجاهلها الا الى الحاق الضرر بقضية التحرير ، وفى هذا الصدد ، ومنواقع التجربة اليومية التى عاشتها القيادة السياسية فى ج . ع . م نستطيع أن نضعأيدينا على مفاتيح أساسية تضمنتها الاحاديث التى القاها الرئيس عبد الناصر ،على الاخص ، ابتداء من احتفالات ثورة مايو ثم فى القاهرة ثم فى ليبيا :

● فلم يكن صدفة أن يؤكد الرئيس ،باستمرار ، على موقف العداء الثابت والمستمر الذى تقفه الامبريالية الامريكية منالامة العربية .. مثل هذا التأكيد يتضمن

تحديدا لطبيعة المعركة ولابعادها ولنوع الاعداء الذين نواجههم وحجم التضحيات المفروضة على العرب .

● ولم يكن صدفة ان يؤكد الرئيس باستمرار على موقف المساندة والصداقة الذى يقفه الاتحاد السوفيتى فى معركتنا مع الامبريالية والصهيونية . مثل هذا التاكيد من الضرورات المتعلقة بتحقيق النصر ، لان وضوح الرؤية فى معارك المصير يتطلب أن نعرف من هم الاعداء ومن هم الاصدقاء الذين يمكن الوثوق بهم . وأن نستخدم جميع الوسائل المتاحة لتوسيع دائرة الاصدقاء بالشرح لشعوب اسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية . وحتى بالنسبة لاوربا لابد من المحاولة معها « لكى تدرك اننا لانضمر العداء لها » (خطاب الرئيس فى ٢٨/٥/٧٠) .

● وفى الوقت نفسه وضع الرئيس صياغة لاسلوب العمل لامة تتعرض للعدوان يتميز باقصى المرونة والقدرة على المبادرة على الجبهات السياسية والدبلوماسية والعسكرية : « **يجب أن تكون لنا القدرة على الحركة من ساحات الامم المتحدة الى ساحات الحرب ، من الحوار الى القنبلة ، من الحوار البناء الى الحوار بالسلاح مع العدو الغاصب** » (خطاب الرئيس فى ٢٨/٥/٧٠) .

● ولم يكن صدفة ان يهتم الرئيس فى احاديثه بالاسلوب الذى يجب أن يتبع دعما لوحدة القوى الوطنية والثورية فى التعامل المتبادل بين فصائل الثورة ، فاذا أخطأت احدى هذه القوى فان نقدها يجب ان يتم من موقف الحب ، كما عبر الرئيس ، أى من موقف التضامن وارضية النضال المشترك ، لا من موقف العداء وتوزيع الادانات والاتهامات التى لا ضابط لها ، الامر الذى ربما شغل القوى الثورية بصراعات لا يفيد منها الا العدو .

● ولم يكن صدفة أن يهتم الرئيس أثناء اجتماعات الخرطوم ، وعند بحث برنامج التعاون بين مصر والسودان وليبيا ، أن يلخص خبرة الوحدة السورية المصرية فيشير الى أنه قد « تم الاتفاق على الا تتخذ أية خطوة من الخطوات قبل أن تناقش شعبيا وجماهيريا وفى كل البلدان الثلاثة ، فاذا وافقت عليها الجماهير وضعت موضع التنفيذ ، واذا وجدت أنها تريد مزيدا من الايضاح والدراسة نحقق لها ما ارادت » (الاهرام ٣٠/٥/٧٠) .

● وأخيرا لم يكن صدفة أن يشير الرئيس فى بعض أحاديثه الى أن البلاد تخوض معركتها على الجبهتين الوطنية والاجتماعية من أجل التقدم والاشتراكية ، وهذا التأكيد لا يهدف — فحسب — الى حفز قوى العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين على الانخراط بكل قواهم فى معركة التحرير ، بل انه يعنى أيضا أن انهاض البلاد اقتصاديا واجتماعيا هو أساس قوتها الذاتية ، هذه القوة الحاسمة فى كسب معارك الحرية والاستقلال .

ان هذه النقاط المستخلصة من خبرات المعركة الراهنة والمعارك السابقة ضد الامبريالية والصهيونية يمكن فى اعتقادنا ان تكون نقاط الانطلاق لعمل عربى موحد بين مختلف فصائل الثورة العربية :

● تحديد من هو العدو .

● معرفة من هو الصديق ، وتوسيع دائرة الاصدقاء باستمرار ، وتحييد بعض القوى الاخرى .

● أسلوب للربط بين العمل السياسى وبين العمل العسكرى بحيث يدعم أحدهما الاخر .

● أسلوب ديمقراطى للرجوع الى الجماهير الشعبية عند حسم القضايا الكبرى .

● أسلوب لحل التناقضات بين قوى الثورة العربية،يغلب جانب الحوار ويستبعد الصراع العدائى .

● **الربط العضوى** بين النضال المعادى للامبريالية والصهيونية ، وبين ضرورات تحقيق التقدم الاجتماعى .

كل هذه النقاط تصلح فى رأينا — كحد أدنى — وكمنطلقات فكرية وعملية بين فصائل الثورة العربية ، وتتضح أهميتها اذا ما أخذنا مثالا أهمية أن نحدد من هم الاعداء ، فالواقع أن الفهم العلمى لطبيعة العدو الرئيسى (الامبريالية الامريكية ، انما يعنى فى التطبيق المواجهة الناجحة فى المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية لمخططات الاعداء الامبرياليين والصهيونيين ، أنه يعنى غلق الباب أمام ردود الفعل العاطفية ، والمرتجلة ، وأمام الاوهام والبلبلة التى تخرب التعبئة النفسية والمادية للجماهير الشعبية .

بقيت فى موضوع وحدة العمل العربى كلمتان :

الاولى : ان وحدة العمل لتحقيق النصر على الامبريالية والصهيونية لا تفترض صيغة مسبقة ، أو جامدة بعينها ، ان وجود هذه الصيغة أمر هام — كما أشرنا من قبل لكنه سيظل مع ذلك رهنا بالاوضاع والملابسات الخاصة بكل بلد عربى ، وفرض صيغة متعسفة ومتسرعة أمر غير عملى ، كما أن تعدد الصيغ لا يعنى — بالضرورة تعارضها وتصادمها ، وكل ما هو مطلوب من القوى الوطنية والتقدمية أن يكون عملها الموحد متفقا مع شعاراتها ، بل مستجيبا — فى المحل الاول — لمتطلبات المواجهة المتصاعدة مع العدو على جميع الجبهات السياسية والاقتصادية والعسكرية .

والثانية : هى ان القوى الوطنية والتقدمية لن تصل الى اكتشاف الصيغة المثلى لوحدة العمل فيما بينها الا اذا بنت سياساتها على أساس كسب وتعبئة أوسع الجماهير الشعبية : جماهير العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ، **ذلك أن الظاهرة الرئيسية التى طبعت حركة الثورة العربية بعد يونيو ٦٧ قد تمثلت فى النهوض المتجدد والحضور الايجابى لحركة الجماهير الشعبية** ، ولنذكر أمثلة قليلة لها دلالتها الخاصة :

— حركة الجماهير فى ٩ و ١٠ يونيو وآثارها الحاسمة فى رفض الهزيمة وتحقيق الصمود .

— حركة الجماهير فى الاردن ودورها الحاسم فى حماية العمل المسلح .

— حركة الجماهير فى لبنان ودورها فى هزيمة الفتن الطائفية وربط لبنان بمصائر المعركة ضد أمريكا وضد اسرائيل .

— حركة الجماهير فى جنوب اليمن الشعبية ودورها الحاسم فى تثبيت الاستقلال فى ظل صعوبات لا حد لها .

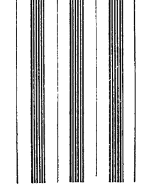
— حركة الجماهير فى السودان ودورها الحاسم الذى مكن قيادة الثورة من سحق التمرد المسلح بالسلاح الامريكى .

ذلك أن جماهير الامة العربية قد دخلت مدرسة الحرب وتعلمت فيها السياسة ، وتعلمتها بكيفية مكثفة ، وهذه الجماهير هى التى يجب أن تتوجه اليها فصائل الثورة العربية ، اذا أرادت أن يكون لعملها الموحد الفاعلية المرجوة ، لان هذه الجماهير الشعبية هى التى تستطيع بحركتها أن توفر المناخ الصحى لكل فصائل الثورة العربية لتدعم وحدتها ، ولتتغلب على خلافاتها ، وتكتشف الصيغة المثلى للعمل الموحد فيما بينها .

الطليعة

جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية

الواقع - المشكلات - افاق المستقبل



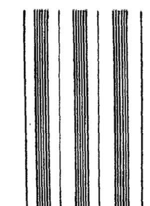
الدراسة التى تقدمها الطليعة لقرائها عن جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية تدخل ضمن اطار الاهتمام الخاص الذى توليه ((الطليعة)) لمشكلات الوطن العربى وقضايا الثورة العربية فى محاولة للتعريف بها ومحـاولة لتفهمها ، ضمن افق عربى ووطنى ونهج تقدمى .

وتتميز هذه الدراسة بأن اقسامها الثلاثة ليست من قبيل الكتابات المدرسية :

● فمقدمة الدراسة يكتبها ((عبد الفتاح اسماعيل)) وهو قائد ومناضل بارز كافح بالسلاح ضد الاستعمار ثم واصل عمله الشاق من اجل حماية اهداف الثورة بعد الاستقلال .

• والدراسة الثانية يكتبها « مصطفى طيبة » بعد رحلة الى القطر الشقيق للتعرف على الاوضاع فيه . وجاءت الرحلة بناء على دعوة وجهتها الجبهة القومية الى مجلة الطليعة .

• والدراسة الثالثة يكتبها اقتصادى مصرى هو د . عبد الرازق حسن ، الذى قضى فترات متفاوتة فى الجنوب اليمنى كخبير اقتصادى اتيحت له الفرصة ليدرس وليتعرف على المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التى تواجهها البلاد وآفاق تطورها .



■■■

الأرضية الطبقية والفكرية للصراعات داخل الجبهة القومية

عبد الفتاح اسماعيل

الامين العام للجبهة القومية

أن مجمل الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية الموروثة من قبل الاستعمار فى المدينة والريف ، تؤكد بشاعة الاساليب الاستغلالية للرأسمال العالمى ، الذى سخر بلدنا وشعبنا لخدمة مصالحه ، وتركها دون أن تمتلك المقومات الاساسية للحياة الانسانية العصرية .

وفى ظل هذا الواقع المتخلف ، وفى ظل السيطرة الاستعمارية على ٩٢ فى المائة من الاقتصاد ، كان لابد من البدء فى مقاومة الوجود الاستعمارى لبلادنا بنفس الاساليب والوسائل التى احتل بوساطتها بلادنا ، وكان قيام ثورة ١٤ اكتوبر بقيادة الجبهة القومية - التنظيم السياسى - يعبر فى الاساس عن رفض بقاء الاستعمار فى البلاد ، كما كانت الثورة تعبر فى نفس الوقت عن رفض كافة الاساليب السياسية السلمية التى كانت تطرحها بريطانيا والتى كان يستجيب لها العديد من القوى السياسية المتقلبة والانتهازية .

ولقد استطاعت الثورة بالفعل فى كل الظروف الاستثنائية الصعبة التى تحيط بواقع بلادنا أن تخطو خطوات كبيرة الى الامام وان تحرز عديدا من الانتصارات على النظام الاستعمارى شبه الاقطاعى الموجود فى بلادنا ، وعلى الرغم من كل الصعوبات التى تعرضت لها الثورة ، استطاعت أن تصل الى تحقيق الاستقلال غير المشروط فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٧ .

ولم تكن الثورة فى الواقع ومنذ البداية تتصدى فقط لمسألة الاستقلال السياسى والجلاء العسكرى للاستعمار البريطانى ، وانما كانت تحاول أن تحدد مسار الثورة فى مداها البعيد ، حيث كنا نعتبر أن تحقيق الاستقلال السياسى انما هو خطوة فى طريق التحرر الاقتصادى وفى طريق بناء انسان وطنى ديمقراطى ، يحدث تحولات اقتصادية واجتماعية تمكن الشعب من وضع البلد على عتبة تحول اشتراكى ، لا على صعيد الجنوب وحده وانما على صعيد الاقليم اليمنى شمالا وجنوبا .

وعلى الرغم من هذا الوضوح التام فى مسار الثورة ، وهو المسار الذى حدد منذ البداية ، الا اننا لم نستطع - بعد الاستقلال - من أن نضع البرامج

العملية التى تترجم بوضوح الاهداف العامة لطريقنا الاشتراكى . وكان مما زاد الامر صعوبة وجود تناقض وخلاف فى الرأى بين اتجاهات متباينة داخل صفوف الجبهة القومية التى أستلمت السلطة ، فلقد كان هناك اتجاه تقليدى يريد أن يرسى دولة كلاسيكية تهتم بالدرجة الاولى بالاناشيد الوطنية وبروتوكولات الدولة وهيبتها أكثر مما تهتم بتثبيت سلطة شعبية ، وكان الاتجاه الاخر الذىيمثل فكريةمتقدمة فى الثورة يطمح الى تحقيق الكثير من الانتصارات لصالح جماهير الشعب صاحبة المصلحة الحقيقية فىالثورة،ولكن هذا الاتجاه المتقدم لم يكن يمتلك الوضوح الكافى لبرامج محددة ، تترجم هذا الطموح الى عمل يومى ، خاصة ازاء الموضوعات الاقتصادية والاجتماعية المتخلفة فى البلاد .

من هنا فقد بدأ الصراع يتجدد منذ الايام الاولى للاستقلال ، وكان الاتجاه المتقدم فى الثورة يعتقد فى أنه بامكانه أن يغير كل الواقع الاجتماعى المتخلف الى واقع متقدم فى أسرع وقت ، وان يهدم — فى أسرع وقت ايضا — كل القديم ، وكانت كل ممارساته ومواقفه تنطلق من هذا الاعتقاد ، الا أن القوى التقليدية فى الثورة كانت هى الاخرى تدفع فى اتجاه مضاد مستخدمة كافة المبررات للظروف الموضوعية لواقع التلخف من أجل دعم وجهة نظرها التى مؤداها أن القضية الاولى هى قضية السلطة والنظام، وانه لم يحن الوقت بعد لاحداث تغييرات جذرية فى المجتمع .

وكانت نتيجة هذه الصراعات التى لعبت الظروف الذاتية لقوى الثورة دورا فى تغذيتها وتعميقها أنوصلالصراع الى ذروته فى حركة ٢٠ مارس الانقلابية الفاشلة التىحاولتفيها القيادات البيروقراطية العسكرية ان تصفى كافة القوى التقدمية داخل صفوف الجبهة القومية ، خاصة بعد اعلان قرارات المؤتمرالرابع التى كانت تمس فى جوهرها الكثير من المصالح والامتيازات لهذه القوى .

حركة ١٤ مايو

وتجدد الصراع مرة أخرى حيث ظلت عناصر تقليدية متخلفة عسكرية ومدنية تدفع بالصراع محاولة أن تستعيد فشلها فى انقلاب ٢٠ مارس بحركة أخرى تجهض تماما تطور الثورة ، وما يمكن أن تمثله من منجزات ومكاسب ، واستطاعت القوى التقليديةباستفزازاتها الدائمةلكل المناضلين الذين يمثلون مواقف تقدمية فى الثورة ، ان تدفعهم الى الاقدام علىحركة ١٤ مايو ، الا ان هذه القوى لم تتمكن من حسم الصراع لصالحها ، وذلك لعدم تسلحها — على وجه الدقة — ببرنامج محدد لهذه الحركة ، وبسبب التغيرات والنواقص التى كانت موجودة فى صفوف القوى الثورية المتقدمة والذى حدث هنا هو ان القيادات البيروقراطية العسكرية والمدنية ، أستفادت من حركة ١٤ مايو لتشرد كل المواطنين ، وتثبيت اوضاع دكتاتورية عسكرية فى البلد .

حركة ٢٢ يونيو

على أن قوىالثورة المتقدمةتمكنت رغم كل شيء من أن تقف بعد حركة ١٤ مايو وقفة مراجعة لكل خط السير العام للثورة ، للاستفادة من أخطاء ودروس الماضى ، ولكى تبدأ مرحلة جديدة من اعداد وتنظيم قواها وتصحيح مسيرتها ، واستطاعت بعد جهود كبيرة أن تصل الى وضع خطة عمل لتصحيح مسار الثورة على جميع المستويات . حيث تمكنت العناصر المتقدمة فى ٢٢ يونيو من أن تضع حدا لسيطرة القيادات البيروقراطية العسكرية والمدنية عبرعمليةتصحيح ديمقراطية ، ولتبدأ مرحلة جديدة من النضال الوطنى الديمقراطى .. ولتكريس الجهود أمام مهام الثورة الوطنية الديمقراطية سياسيا واقتصاديا وعسكريا .

لقد كانت كافة الصراعات التى حدثت فى صفوف الثورة قبل ٢٢ يونيو، تعكس فى الواقع الصراع فى البنية السياسية الفوقية ، نتيجةتباين الخلافات التى كانت موجودة ، وكان لابد من تصحيح الوضعية السياسية الفوقية، أولا لنبدأ مرحلة جديدة من النضال نحو تحولات اقتصادية واجتماعية تغير البنية العامة للمجتمع . وهكذا فانه بفضل قدرة الثورة على تصحيح أوضاعها فى ٢٢ يونيو وبانتهاء سلطة القيادات التقليدية السابقة ، مدنية وعسكرية ، كان لابد لنا أن نتوجه مباشرة ونعمل — فى نفس الوقت — لتحديد مهام الثورة الوطنيةالديمقراطية ، والشروع فى النضال من اجل تنفيذها ... وكان التنظيم السياسى فى مقدمتها .

التنظيم السياسى والجبهة القومية

لقد ظلت الجبهة القومية ، الى ما قبل ٢٢ يونيو ، دون تحديد للهوية الطبقية التى ترتكز عليها ، ونحن ندرك بأن أى تنظيم سياسى انما يعبر — فى التحليل الاخير — عن مصالح طبقية ، اضحة

ومحددة ، ومن هنا فان توجهنا السريع لغربلة تنظيم الجبهة القومية كان أمرا ضروريا ، لانهفى المرحلة السابقة تسرب الكثير من العناصر الانتهازية والوصولية ، واتخذت من التنظيم مظلة لها تحمي بها مصالحها ، واستخدمت كل القيادات التقليدية السابقة شعار « كل الشعب جبهة قومية» ، من أجل طمس الهويه الطبقية للجبهة القوميه ، وكان لابد لنا أن نقف بحزم امام هذا الشعار الذى لايفرق بين المستغلين والمستغلين، وبين الوطنيين الشرفاء والانتهازيين ، وعلى هذا الاساس حددنا ان الارضية الطبقيه التى يقف عليها التنظيم السياسى للجبهة القومية تتحدد بقوى العمال والفلاحين الفقراء والجنود والبورجوازية الصغيرة المستجيبة لاهداف الثورة الوطنية الديمقراطية ، وفى نفس الوقت كان لابد من تصفية القوى الطبقية الخارجة عن هذا التحالف .

ومع تحديد الارضية الطبقية كان لابد لنا أن نحدد بوضوح الارضية الفكرية للتنظيم السياسى للجبهة القومية ، ولقد ظل فكرنا يأخذ اشكالا عاطفية وضبابية طوال الفترة الماضية ، وكان هناك فى صفوف الجبهة القومية من يفسر الاشتراكية بالطريقة التى تحلو له وعلى طريقة « الاشتراكية العربية » و « الرشيدة » و « الفابية » ، بينما هذه المسألة تحتاج الى أن تحسم نهائيا وبشكل واضح ، بأنه ليس هناك من اشتراكية سوى الاشتراكية العلمية التى تعتمد فى الاساس على المنهج العلمى فى تحليل الواقع وتغييره فى نفس الوقت .

الطليعة العمالية والالتزام

ولم نكتف بتحديد الارضية الطبقية والفكرية للثورة ، وانما ايضا كان لابد لنا أن نحدد قيادة هذا التحالف الطبقى ، فكل حزب طبقى أو تحالف طبقى له برنامجه وقيادته ، ولذلك فقد أوضحنا بانه فى ظل التخلف السائد للقوى الطبقية الجديدة ، وفى ظل تخلف وسائل الانتاج وقوى الانتاج لابد أن يكون هناك طليعة عمالية الالتزام تقود قوى التحالف الطبقى ليكمل برنامج التحرر الوطنى الديمقراطى ، وتحدد المهام السياسية والتاريخية المرتبطة بأيديولوجية الطبقة العاملة ومصالح القوى الجديدة المتحالفة ، وأكدنا بوضوح أنه اذا كانت البورجوازية الصغيرة تدخل فى هذا التحالف ، الا اننا لا يمكن أن نقبل بقيادة البورجوازية الصغيرة وبرنامجها أيضا .

بهذا نستطيع القول بأننا نناضل بالفعل من أجل ارساء تجربة عمل وطنى ديمقراطى فى ظل الظروف الذاتية والموضوعية المتخلفة ، ونستطيع أن نؤكد بأن تجربة العمل الوطنى هذه قادرة بالفعل على تطوير التنظيم السياسى للجبهة القومية ، الى حزب طليعى يستطيع أن يقود الثورة الوطنية الديمقراطية المرتبطة جدليا بالثورة الاشتراكية حتى النهاية .

■■■

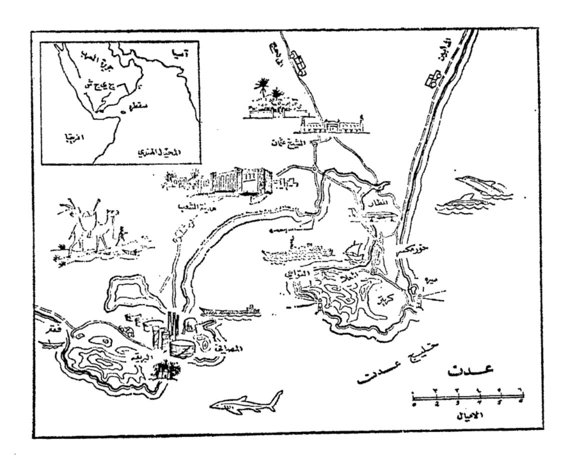
تاريخ حضارى بين الازدهار والتحلل

مصطفى طيبة

افتتح فى مارس الماضى متحف «**التواهي**» بعدن ، وتعبر التماثيل والاثار والنقوش التى ترى النور لاول مرة عن حضارة اليمن القديمة ، وقد جاءت أعمال التنقيب عن الاثار القليلة العدد، تأكيدا للاوصاف والروايات التى تحدث عنها بعض المؤرخين اليونانيين من أمثال **جونر الصقلى وسطرابون وبطليموس** ، وتوجد فى جميع اقاليم اليمن آثار ترجع الى العهود السبئية والحميرية.

ويقول المؤرخون ان اليمن كانت خمس ممالك فى الالف سنة الاخيرة قبل الميلاد ، وهذه الممالك هى :

- **مملكة سبا ، وعاصمتها مارب .**
- **مملكة معين وعاصمتها الجوف « شمال اليمن »**
- **مملكة قتبان ، وعاصمتها تمنا فى وادى بيحان .**



● مملكة اوسان فى المنطقة التى تسمى الان وادى مرفى .

● مملكة حضر موت وعاصمتها شبوه .

ولقد تعايشت هذه الممالك جميعها خلال الازمنة الاولى ، وفى القرن الخامس قبل الميلاد استطاع حكام سبأ السيطرة على « معين » و « قتبان » ، ويبدو أن رقعة هذه المملكة قد اتسعت لتضم عمان الحالية فى الخليج العربى ، كما يحتمل ان تكون قد « استولت على مستعمرات شاسعة فى أفريقيا حيث أسست مملكة الحبشة ، التى يرجع الاصل فى تسميتها الى حبشات وهو اسم لقبيلة عربية كانت تقطن جنوب غرب الجزيرة » (١) .

وتفاوتت بعد ذلك قوة هذه الممالك بين الانتعاش والانتكاس حتى سيطر الحميريون عليها كلها نهائيا .

ويجمع المؤرخون على وجود حضارة راقية ، وزراعة متطورة ، وتجارة مزدهرة فى هذه الممالك .

الزراعـــة

كانت الارض تفلح وبطرق متقدمة ، وفى القرن الثامن قبل الميلاد ، قام أحد ملوك سبأ بتشييد سد مأرب الشهير ، الذى لعب دورا اساسيا فى النمو الاقتصـــادى للبلاد ، وقد شـــهد بذلك « وندل فيلبس (٢) فقال « .. بعد مرور عدة قرون على أثار سد مأرب .. فان المشهد ما زال يتجاوز كل خيال ، وما زلنا نعثر على الاماكن التى نحتت منها الصخور تبعا لامتداد السد، بقصد تكوين مصبات للمياه موجهة لرى الحقول المجاورة .. » .

التجـــارة

ولقد كانت كثرة استهلاك العالم اليونانى لبخور العربية الجنوبية وافريقيا الشرقيـــة « الصومال الحالى » سببا جعل من تجارة هذه البضاعة تجارة

---

(١) برنارد لويس ـ العرب فى التاريخ ـ ١٩٥٨ .
(٢) برنارد لويس ـ العرب فى التاريخ ـ ١٩٥٨ .

مزدهرة ، وجعلّ منها المصدر الثانى لثروات ممالك اليمن .

طـــرق القــوافــل

وكان المصدر الثالث لثروة اليمن ، هو احتكار تجارة التوابل ، وبضائع الهند والصين . بوساطة طريق القوافل ، وكانت هذه الطريق تبدأ عـــن شاطىء اليمن « عدن » مارة بالمربط ومخا وشبوه ومأرب ، ثم مكة ويثرب ، لتنتهى الى البحر الابيض المتوسط .

وقد ادت هذه العوامل الثلاثة ، الى قيام حضارة مزدهرة ، لها نقدها المسكوك ، وفنها المعمارى المتطور ، ولغتها المكتوبة ، وفنونها التشكيلية . .

هذه الحضارة ، ورد ذكرها فى وثـــائق الاشوريين ، عند مقارنتهم لها بـ « الاعارب » وهم أقوام من البدو يترددون فى ترحالهم عبر مناطق الصحراء العربية السورية (٣) .

الامبراطورية الحمـــيرية

وعندما أصاب التدهور مملكة سبأ ، تكونت الامبراطورية الحميرية ، وخلال فترتها الاولى ، شن الحميريون عدة حروب ضد الممالك المجاورة بغية الاستئثار بمراقبة طرق القوافل ، وتمكنوا من ادماج مملكتى قتبان وحضر موت ، وأصبحوا بذلك سادة لكل الجنوب العربى . وقد استمر حكم الحميريين حتىالقرن الخامسبعد الميلاد، مع نقل العاصمة الى ظفار .

واثنـــاء حكم حمير ، تمكن القـــائد الرومانى الشهير اليوس غالبوس فى سنة ٥٢٤ قبل الميلاد من التوغل فىالجزيرة العربية، غير أن هذهالمحاولات باءت كغيرها من المحاولات بالفشل .

اما اقتصاد البلاد فى هذه الفترة ، فقد عرف مرحـــلتين متمـــايزتين (٤) ، ففى بداية عهـــد الامبراطورية ، خلال قرنين من الزمان ، عرف اقتصاد اليمن نموا مطردا ، وانتشرت الحواجز المائية ، لتشمل لحج وشيبام ، كما شيدت مخازن للماء فى عدن ، ولقد حافظت اليمن على هذا الازدهار ، وهذا ما يفسر مطـــامح الرومانيين ، ومحاولات الغزو المتكررة التى قاموا بها .

وكانت المرحلة الثانية مرحلة الانحطاط الذى جاء نتيجة لعدة عوامل ، اهمها :

- فقد الحميريون احتـــكار تجـــارة التوابل وبضائع الهند والصين . فقد اخذت سفن الرومان تنافس القوافل ، وأدت هذه المنـــافسة الى انهيارها .

- انهيار سد مأرب وما ادى اليـــه ذلك الى هجرة اليمنيين عن بلادهم هجرة واسعة ، بعد أن فقدت البلاد وسائل الرى وأصبحت عاجزة عن اعاشة السكان .

احتـــلال الحبشـــة لليمـــن

قام ذو نواس ، وهو اخر الحميريين بفرض الدين اليهودى على المسيحيين الذين كانـــوا يتعايشون مع اليهود والوثنيين ، ونتيجه لذلك قامت حرب اهلية . استنجد فيها المسيحيون باخوانهم المجاورين بالحبشة ، وسنحت بذلك الفـــرصة للحبشة من فرض سيطرتها على البلاد من سنة ٥٢٥ الى سنة ٥٧٥ .

وفى سنة ٥٧٤ تمكن التبع سيف بن ذى يزن من ان يصل الى بلاد فارس ، وأن يطلب نجدة ملك ساسان ، بغية تحرير اليمن من سيطرة الاحباش ، وفى سنة ٥٧٥ وصلت الجيوش الساسانية الى عدن ، وطردت الاحبـــاش منها ، واقتسم الملك الساسانى السلطة مع التبع لفترة قصيرة ، ثم انقلب عليه وحكم البلاد حكما مباشرا ، وهكذا أصبحت اليمن ومن ضمنها حضر موت اقليما ساسانيا ، وحلت عبادة النار محل المسيحية ، وقد ظل هذا الوضع حتى سنة ٦٢٨ ، وهو العام الذى اعتنق فيه باذان الحاكم الساسانى لليمن ، الدين الاسلامى .

تفكك وحـــدة اليمـــن

ولقد زادت الحروب الاهلية والغزو الحبشى ـ والسيطرة الساسانية ، من تفاقم الاوضـــاع

(٣) د. محمد سعيد العطار ـ اليمن وابعاد الثورة اليمنية .
(٤) دكتور محمد سعيد العطار . اليمن ـ

الاقتصادية فى اليمن ، واصبحت اليمن بلاد هجرة ، وكانت فى عهد الرسول مقسمة الى خمسة اقاليم ، على رأس كل منها حاكم تعينه مكة ، ويخضع فى حكمه لها . وبانهاء عرش اليمن ، وبعد فتح سوريا وما بين النهرين ومصر ، فقدت اليمن اهميتها السياسية والاقتصادية التى كانت لها فى الماضى ، ونتجت عن ذلك هجرة جماعية ثالثة نحو مصر وسوريا واقطار العالم الاسلامى .

وفى عام ٨٩٣ قامت مملكة زيدية [طائفة شيعية يمنية] جعلت من مدينة صعدة بشمال اليمن عاصمة لها ، ولم تتجاوز سلطة هذه المملكة حدود العاصمة .وكان لتفكك الخلافة الاسلامية فى القرن العاشر ، فى اليمن ، نفس الاثار التى انعكست على بقية العالم الاسلامى ، فتفككت وحدة اليمن . وقامت امارات صغيرة ظل أمراؤها فى تطاحن دينى ، وفى معارك اقتصادية ، كانت تدور بصفة خاصة حول ميناءى عدن ومخا . ولم تتوقف هذه المعارك الا بدخول جيوش صلاح الدين الايوبى سنة ١١٧٣ ،وقد تمكن صلاح الدين من أن يعيد للبلاد نوعا من الوحدة ، استمرت ٥٩ سنة ، باستثناء الشمال ، الذى ظل الزيديون يسيطرون عليه .

واستتب الامر لدولة « **بنى الرسول** » من سنة ١٢٣٢ ، الى سنة ١٤٥٤ ، وامتد نفوذها على طول الشاطىء ، وعلى الانهر المتوسطة وحضر موت ، بينما كانت المملكة الزيدية تسيطر على اعالى البلاد ، وفى سنة ١٥١٥ ، قامت مصر المملوكية بغزو اليمن ، وفى سنة ١٥٢٣ استقر فى الحكم اول باشا تركى بعد حرب دامت اربعين سنة ، وأثناء هذا الاحتلال التركى قامت الطائفة الزيدية بانتخاب المنصور بالله القاسم ، مؤسس الحكم الملكى المنهار ، كامام لها ، وقد توصل اليمنيون ، الى نوع من الوحدة ضد المحتلين الاجانب ، غير أنه ما ان غادر الاتراك البلاد سنة ١٦٢٨ ، حتى تفككت هذه الوحدة ، وقامت امارات ، وسلطنات ، ومشيخات ، وممالك صغيرة ، واستؤنفت الصراعات الداخلية ـ ووجدت اليمن نفسها مقسمة الى عدة دول متنافسة ، واستمرت هذه الحالة قرنين ـ الى ان جاءت مرحلة الاحتلال التركى الثانى سنة ١٨٤٠ ، وحتى ظهرت بريطانيا القوة الاستعمارية الجديدة على المسرح .

الاحتلال البريطانى

لم تؤد الصراعات المتواصلة بين الامامة فى الشمال ، والامارات الاخرى فى البلاد ، الا الى فتح الباب لعودة الاتراك ، وشجعت فى نفس الوقت الاستعمار البريطانى على المجىء اليها ـ فقد وجدت فى اليمن مستودعا لفحمها على ضفاف البحر الاحمر .

وفى سنة ١٨٣٦ ، استغلت الحكومة البريطانية حادثة النهب ، التى تعرضت لها باخرة هندية تعطلت بالقرب من عدن ـ فقامت تطالب امارة لحج ، التى كانت عدن تابعة لها ، بدفع التعويضات ، وبانزال العقوبات على مرتكبى حادثة النهب ، وأمام رفض الطلب البريطانى ، قام القبطان س.ب. هينس الضابط فى قيادة القوات البحرية البريطانية ، بانزال جيشه على الشاطىء اليمنى واحتلال عدن فى شهر يناير ١٨٣٩ ، بدعوى حماية البحار وحرية استعمالها ، والحقيقة أن الانجليز كانوا يطمعون فى احتلال عدن منذ سنة ١٨٢٨ ، وكان ممثل بريطانيا باليمن قد وضح للقيادة البحرية البريطانية ، اهمية ميناء عدن ، واوصاها باحتلاله ، ولما لم تثمر الاتصالات مع سلطان لحج ، ظل الانجليز يتحينون الفرصة التى مكنتهم منها حادثة الباخرة الهندية .

وقد وقع اتفاق بين الطرفين سنة ١٨٣٩ ، أعطى صبغة شرعية ، للاحتلال البريطانى لعدن، مقابل مبلغ سنوى من المال يدفع للسلطان [٦٥٠٠ جنيه] والحقت عدن بحكومة الهند .

وعندما تمكن البريطانيون من احتلال عدن بالقوة دخلوا فى علاقات مع الامارات ، وشجعوا على قيام امارات جديدة ، مستخدمين سياسة الرشوة والهدايا ، وتقديم المرتبات والمخصصات السنوية ، وباشتعال الحرب العالمية الاولى ، كانت بريطانيا مرتبطة عن طريق العهود والمواثيق الثنائية للحماية مع ٢٩ سلطانا واميرا وشيخا ، لهم سلطة شكلية على اقاليم تبلغ مساحتها فى المجموع ١٨٠٠٠٠ كم مربع ، ويقطنها عدد من السكان يصل الى مليون نسمة ، واعتمدت بريطانيا فى الواقع فى مد سيطرتها ، على مواطنيها القليلى العدد ، الكثيرى الفعالية ، الذين كانوا يقومون بدور « مستشارين » تاركة لعملائها من الامراء والسلاطين مجرد الشئون الداخلية .

وقد قام الانجليز بتوزيع هذه الاقاليم الى ثلاثة أجزاء :

- **مستعمرة التاج ـ عدن** .
- **محمية عدن الغربية** .
- **محمية عدن الشرقية [حضرموت]** .

ولم تعترف حكومة اليمن بهذه الحمايات ، وظلت متمسكة بموقفها ، ولم يكتف الاتراك قبل

جلائهم النهائى عن اليمن سنة ١٩١٨ بالاعتراف واقعيا بهذه الحمايات ، بل شاركوا بريطانيا فى تخطيط الحدود ٠

الاحتلال البريطانى لعدن

وكان اصرار حكومة صنعاء المركزية على تبعية المناطق الجنوبية لها ، سببا مباشرا يقلق السلاطين على أوضاعهم من جهة ، وتهديدا للسيطرة البريطانية من جهة ثانية ، وجاءت معاهدات الصداقة والحماية بين بريطانيا والسلاطين بدءا بأول معاهدة مع سلطان لحج فى ١٨ يونيو ١٨٣٩ بعد احتلال عدن بخمسة أشهر ، ونهاية بمعاهدة مع السلطان الكثيرى بحضرموت عام ١٩٣٩ ، لتحقق السيطرة الاستعمارية السلاطينية المباشرة ، وظل الشعب بأوضاعه الاجتماعية والاقتصادية فى مناطق الجنوب ، كما هو طوال مائة عام كاملة ٠

وبعد الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ـ ومع بداية الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ، اتجهت بريطانيا الى البحث عن مجالات جديدة لاستغلال ثروات البلاد وخيراتها ، وبدأت فى تحقيق السيطرة على المنطقة كلها اداريا ، ففرضت معاهدات جديدة باسم الاستشارة التى تتيح لبريطانيا التدخل فى الشئون الادارية فى كل أرض الجنوب ، وكانت « **معاهدات الاستشارة** » التى بدأت بالسلطنة القعيطية ، وآخرها المعاهدة مع سلطان لحج عام ١٩٥٢ ، وبموجب هذه المعاهدات كان المستشارون البريطانيون هم الحكام الحقيقيين ، يتدخلون فى كل صغيرة وكبيرة فى السلطنات والمشيخات ، يعينون الموظفين ، ويفرضون النظم الادارية التى تخدم أغراض الاستعمار البريطانى ، وكان كلما اصطدمت السلطة القبلية المطلقة بالمستشارين الانجليز ، تلجأ بريطانيا الى اسكات السلاطين ، اما بنفيهم ، أو استبدالهم بآخرين من الامراء ، هذه المعاهدات نفذتها بريطانيا بعد أن حققت حماية الاوضاع الاقطاعية الرجعية فى الجنوب حماية كاملة ، وبعد أن ضمنت من الحكومة المتوكلية الرجعية فى الشمال بقاء الاوضاع فى المنطقة دون تدخل أى طرف من الطرفين فى تغييرها ، وكانت معاهدة بريطانيا مع **الامام يحيى** هى بداية التحالف الوثيق بين الحكم الرجعى الاقطاعى فى الشمال وبين الاستعمار البريطانى فى الجنوب ٠

وبعد اكتشاف النفط فى الخليج ، بدأت الشركات الاحتكارية البريطانية التنقيب عن البترول فى ثمود بحضرموت عام ١٩٥٠ ، وحتى تضمن بريطانيا حماية مصالحها الواسعة فى الخليج والجنوب طرحت على الفور مشاريع للاتحادات الفيدرالية ، وسلكت كل السبل لتنفيذ مشروع الاتحاد الفيدرالى لما سمته بالجنوب العربى عام ١٩٥٨ وكان هذا المشروع الاستعمارى يستهدف الآتى :

● ايجاد نوع من النظم الادارية الموحدة فى كل المنطقة ، وفرض المشاريع الدستورية بما يتلاءم ومخططات بريطانيا ٠

● اتاحة الفرصة للشركات الاستعمارية للتغلغل فى المنطقة والسيطرة عليها اقتصاديا دون أن تصطدم بادارات ونظم وقوانين مختلفة ٠

● تشكيل مستقبل المنطقة بما يتفق ومصالح بريطانيا الاقتصادية والعسكرية فى مواجهة حركات التحرر الوطنى التى اشتد ساعدها بعد الحرب العالمية الثانية ٠

ان اهتمام بريطانيا بتوحيد المنطقة ، كان كرد فعل للثورات التى انطلقت فى العالم العربى وهددت مركز الاستعمار ، وبالذات ثورتى مصر والعراق ، وكذلك قيام الوحدة بين مصر وسوريا ، وبدء انتهاج بعض البلاد العربية طريق الثورة الاجتماعية ٠

وعلى هذا الاساس ارتبط اهتمام بريطانيا ببعض نواحى الانتاج فى البلاد بالرغبة فى توطيد مركزها ، ولمواجهة التطورات التى حدثت بالمنطقة ، فبدأ الاهتمام بزراعة القطن الطويل التيلة فى ابين ولحج عام ١٩٤٨ ، بعد أن خرجت مصر من منطقة الاسترلينى ، وبدأت علاقتها الاقتصادية ببريطانيا تتوتر ، كما أقيم معمل لتكرير البترول فى سنة ١٩٥٤ ، عقب قيام **مصدق** بتأميم البترول فى ايران ، ولقد حرصت بريطانيا كل الحرص فى اهتمامها ببعض نواحى الانتاج ــ وهى قليلة جدا ــ أن تتمركز فى المدينة « عدن » حيث أقامت مصفاة لتكرير البترول ، وفى لحج وهى قريبة من عدن ، دون أن تقيم أية علاقة مع الريف ٠

وأدى ذلك الى نتائج مهمة ، فالقطاع التقليدى ، الزراعى والقبلى ، ليس فقط متخلفا وقديما ، ومحكوما بعلاقات بدائية فحسب ، ولكنه قطاع معزول تماما ، وهو عدد من الجزر الفير مرتبطة بالحد الادنى من المواصلات مع المدينة ٠

ان بريطانيا التى تعتبر أول دولة استخدمت السكك الحديدية ومن أكبر الدول البحرية لم تعمل على مد أى خط حديدى فى البلاد ، أو انشاء اسطول محلى يربط السواحل التى تمتد حوالى ٧٠٠ ميل ، أو يربط البلاد بالجزر التى يبعد بعضها عن عدن حوالى ٥٠٠ ميل ٠

لقد كان هدف الاستعمار البريطانى فى محاولته خلق نوع من الوحدة أو الاتحاد ، هو فى الدرجة الاولى هدف عسكرى ، فالمعاهدة الاتحادية تنص على أنه « **سوف تتصرف المملكة المتحدة ويكون لها المسئولية الكاملة بشأن علاقات الاتحاد مع الولايات الاخرى وحكوماتها والهيئات الدولية ، ولن يدخل الاتحاد فى أية معاهدة أو اتفاقية أو مراسلات أو علاقات أخرى مع أية ولاية أو حكومة أو هيئة بدون معرفة وقبول المملكة المتحدة** » . وحاكم عدن الانجليزى ، هو الحاكم العام للاتحاد بنص المعاهدة ، ودور الاتحاد كما نص عليه ملحق المعاهدة هو أن يكون جيشه « **للخدمة خارج الاتحاد وتحت اشراف ضابط من قوات صاحبة الجلالة** » .

وحتى يستطيع هذا الاتحاد أن يقوم بدوره كما حددته له بريطانيا ، كان هناك اهتمام خاص بتعزيز أجهزة الامن والجيش على حساب الاجهزة الانتاجية والثقافية الاخرى ، فعمل على رفع المرتبات بنسبة ١٨٠ فى المائة ، ـ فى عام ١٩٦٦ ـ فارتفع مرتب الموظف المدنى فى أدنى السلم بنسبة تزيد عن ٣٠ فى المائة ، والجندى بنسبة ٦٨ فى المائة والضابط بنسبة ٢٥ فى المائة ، هذه الزيادات المفتعلة كانت نوعا من الرشوة للجهاز الادارى والعسكرى لضمان ولائه من ناحية ، ولتحقيق مزيد من الاعتماد على المعونات المالية البريطانية .

الاستعمار الجديد

ولقد استمرت سياسة بريطانيا حتى عام ١٩٦٤ ، تقوم على تخطيط الاستعمار القديم ـ باعداد الجنوب المحتل للاستقلال عام ١٩٦٨ ـ على أن تولى الحكم لقوى السلاطين والاقطاعيين ، وحماية القاعدة البريطانية فى عدن بعقد معاهدة مع الحكومة المحلية بعد اعلان استقلال مزيف ، لكن قيام النظام الجمهورى فى اليمن وانفجار ثورة الجنوب فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٤ ، أدى الى فشل هذا المخطط .

لقد أصبحت القواعد البريطانية على وجه العموم ، وبصفة خاصة فى عدن المنوط بها حماية المصالح البترولية فى الخليج العربى والشرق الاوسط بوجه عام ـ عاجزة عن ذلك ـ ولم يعد أمامها سوى حماية نفسها بالاضافة الى التكاليف المتصاعدة للبقاء فى عدن والتى تشكل عبئا على الميزانية البريطانية مما خلق ظروفا جديدة تفرض سياسة جديدة . لقد كانت بريطانيا تتحكم فى جميع منافذ المحيط الهندى وأبوابه ، من قناة السويس الى عدن وباب المندب ، الى رأس الرجاء الصالح ، الى سنغافورة ، وتغير الامر ، فقد تحررت الهند ، وأممت قناة السويس ، وضعفت قيمة قاعدة سنغافورة بعد أن انفصلت عن ماليزيا ، ونالت كل من بورما وسيلان استقلالهما ، ولم تبق غير عدن التى قررت بريطانيا الانسحاب منها ، وتحدد دور بريطانيا فى استراتيجية شرق السويس كما جاء بالكتاب الابيض .

● تخفيض القوات البرية والبحرية ، وزيادة الاعتماد على الاسلحة النووية وسلاح الطيران .

● تنسيق الخطط الدفاعية مع الولايات المتحدة لضمان مصالحها فى جنوب شرق آسيا وفى الخليج العربى .

● الانسحاب من قاعدة عدن عام ١٩٦٨ ونقلها الى البحرين .

● أن يتحول مركز الثقل العسكرى البريطانى فى منطقتى الخليج العربى وعدن الى جزر المحيط الهندى ، حيث تزداد احتمالات حركات معادية .

وفى ٢٨ ديسمبر ١٩٦٦ كتب المندوب السامى « لعدن ومحميات الجنوب العربى »(٥) رسالة الى « السلطان » **غالب** ، سلطان الشحر والمكلا بحضرموت يقول :

« صديقى العزيز :

انكم تدركون بأن نية حكومة صاحبة الجلالة المعلنة هى أن ترشد عدن ومقاطعات الجنوب العربى التى تقع حاليا تحت حماية صاحبة الجلالة الى الاستقلال مع عام ١٩٦٨ ، ولابد من حصول تغيير فى علاقة حكومة صاحبة الجلالة وولايتكم مع موعد الاستقلال .

وعلى ضوء الظروف المتغيرة فى الجنوب العربى والتى ستنجم عن استقلال عدن ومحميات الجنوب العربى ، فان صاحبة الجلالة لن تستمر بعد يوم الاستقلال فى مد حمايتها لسلطنة المكلا والشحر وملحقاتها حسب معاهدة الحماية المؤرخة يوم أول مايو ١٨٨٨ ، ولن تستمر حكومة صاحبة الجلالة بد ذلك اليوم فى تعيين مستشار مقيم لعظمتكم بموجب معاهدة ١٣ أغسطس ١٩٣٧ . »

---

(٥) نص الخطاب الموجود بمتحف ثورة ١٤ اكتوبر فى المكلا بحضرموت .

ان حكومة صاحبة الجـلالة تعفى فى نفس اليوم سلطان الشحر والمكلا وورثته وحلفاءه من جميع التزاماتهم بموجب تلك المعاهدات ، أو أية معاهدات أو اتفاقيات أو وعود أخرى أبرمت والتى ما زالت موجودة بين حكومة صاحبة الجلالة وصاحب العظمة وورثته وخلفائه ، وستكون جميعا عندئذ لاغية » .

وقبل شهر تقريبا من وصول هذا الخطاب الى سلطان الشحر والمكلا صرح وزير مالية بريطانيا محددا سياسة بريطانيا الجديدة « **لقد كانت النفقات الدفاعية تجرى كقطار أفلت زمامه ، وقد رأت الحكومة أن تبحث هذا الموضوع من وجهتين : الاولى كيف تحصل على أفضل أنواع الاسلحة مع العلم بأن ذلك يدعو الى التخلى عن أسلحة أخرى قد تكون مرغوبة، ولكنها باهظة التكاليف، والثانية كيف تخفض بريطانيا نفقات الدفاع فى شتى مناطق العالم فى الوقت الذى تعنى فيه بالتزاماتها الدفاعية** » وفى نفس الشهر كتب وزير البحرية البريطانى فى كتاب استقالته يقول « **اننى اقـدم استقالتى من حكومة السيد ولسون لاننى افضل أن أكون نائبا فى دولة عسكرية من الدرجة الخامسة على أن أتولى شئون دفاعها البحرى ، ان السياسة الجديدة تعنى أن نعتمد على أمريكا فى كل شىء ، وبصورة غير معقولة** » ! .

الاستقلال ومشكلات ما بعد التحرر

وتحت ضربات ثورة ١٤ أكتوبر ، انسـحبت بريطانيا من اليمن الجنوبى ، وأعلنت الجبهـة القومية فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ ، ميلاد جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، بعد ثورة مسـلحة استمرت أربع سنوات ، راح ضحيتها الالاف .

ومنذ الاستقلال أصبح على الجمهورية الوليدة بقيادة الجبهة القومية أن ترسم سياستها على أسس أساسية لصيانة استقلالها وتدعيمه :

● تنفيذ مهام مرحـلة التحـرر الوطنى الديمقراطى ، بتسليم الطبقات صاحبة المصلحة الحقيقية فى الثورة ـ بعد هدم العلاقات القديمة ـ مهمات قيادة مستقبل البلاد .

● الاهتمام الواعى والمرن بمسار الاحداث فى اليمن الشمالى والنظر اليها نظرة وحـدوية تقدمية .

● تأييد ودعم الثورة المسلحة فى ظفار والنضال الوطنى فى منطقة الخليج باعتبار أن الحركة الوطنية فى هذه المنطقة امتداد لثورة ١٤ أكتوبر .

هذه الاسس طرحت منذ اليوم الاول للاستقلال ، مهمات صعبة ومتشابكة أمام ثورة ١٤ أكتوبر .

ولم تكن الخلافات الحادة داخل الجبهـة القومية ، ولم تكن المؤامرات التى كشف النقاب عنها أخيرا ، الا حلقات فى سلسلة طويلة لم تتوقف منذ الاستقلال ، والتى لايبدو أنها ستتوقف حتى تتمكن ثورة ١٤ أكتوبر من بناء اقتصاد وطنى يستطيع مواجهة تحديات التخلف والحصار فى اليمن الجنوبية الشعبية ، اقتصاد قادر ليس فقط على مواجهة المؤامرات الداخلية والتى تحركها الدوائر الاستعمارية والرجعية العربية فقط ، وانما يستطيع أيضا الصمود أمام ما يجرى فى الخليج العربى هذه الايام ، لاعداد ايران لتصبح « الوريث القادر » للقوات البريطانية بعد انسحابها مـن البحرين .

ان الوضع الاقتصادى هو محل الاختبار الاول للحكم الجديد ، بعد خطوة ٢٢ يونيو التصحيحية ، وبقدر ما يرسى الحكم الجديد دعائم اقتصاد وطنى حقيقى ، بقدرما تنهض اليمن الجنوبية اجتماعيا وحضاريا، وبقدر ما تتضح أمامه معالم وأسس الحزب القائد، والصيغة الملائمة للتحالف الوطنى، وبقدر ما ترسى قواعد الدولة الجديدة .

الوضع الطبقى فى اليمن الجنوبية

كانت عدن فى ١٨٣٩ قرية صغيرة للصيادين كجزء من لحج ، وقد احتل الاستعمار البريطانى عدن لتكون نقطة حراسة لمصالحه الاقتصادية فى الهند ، وتموين سفنه بالوقود ، وقد ظلت كذلك حتى برزت أهميتها التجارية مع أهميتها الاستراتيجية العسكريـة ، وقـد تمكنت بعض الفئـات الاجنبية ـ الايرانية والهندية بالذات ـ أن تتداخل مع الرأسمال الانجليزى وتشكل بعض البيـوت التجارية ، وتستورد سلعه الى السوق اليمنية جنوبا وشمالا ، ووجد التجار اليمنيون فى عدن التى أصبحت تحت الادارة البريطانية بعد ضمها الى الادارة الهندية فى بومباى ، نوعا مـن الاطمئنان لتجارتهم التى كانوا لا يجدونها فى ظل الامامة اليمنية .

ومن هذه الفئات ـ الهندية والايرانية والتجار اليمنيين ـ بدأت تتكون فى عدن برجوازية تجارية مرتبطة برأس المال الانجليزى، وقد قضى نمو هذه البورجوازية التجارية على أية امكانية لقيـام صناعات حرفية .

وهكذا نشأ الاقتصاد المحلى فى ارتباط تام مع الرأسمال الاجنبى وخاضعا لسيطرته الكاملة ، وكان دوره الاساسى هو أن يقوم بدور الوسيط بين الرأسمال الاجنبى وبين السوق المستهلكة .

وفى الريف: ظلت العلاقات السائدة فى بدء الاحتلال البريطانى للجنوب هى العلاقات الاقطاعية الكاملة ، حيث الامير أو السلطان ، بسجونه وفصائله المسلحة الخاصة به(٦) .. وبعد اهتمام بريطانيا بزراعة القطن لمواجهة تأميم قناة السويس وتطور الحركة الوطنية فى الوطن العربى ، وبسبب ادخال بعض الالات الحديثة لرى الاراضى وحرثها ، بدأ السلاطين والامراء يتجهون الى السوق الى جانب الاستهلاك الخاص ، ودخلوا فى علاقات تجارية مع الشركات البريطانية فى عدن ، وقامت بينهم وبين سلطات الاحتلال بعض العلاقات الاقتصادية ، لكن هذه العلاقات التجارية والاقتصادية بين السلاطين والامراء وبين الشركات البريطانية وسلطات الاحتلال لم تغير من طبيعة العلاقات الاساسية فى الريف ، وظلت كما هى فى جوهرها ، اقطاعية ، وقبلية بدائية ، لقد حرص الاستعمار البريطانى على المحافظة على العلاقات القبلية ، برغم دخول السلاطين والامراء فى علاقات تجارية واقتصادية بعدن ، وبرغم فرض الاستعمار للامراء والسلاطين على القبائل ، فقد أبقى على جوهر العلاقات القبلية . وبحكم وضع السلاطين والامراء على رأس الهرم الاجتماعى فى الريف ، فقد تمتعت بكل الامتيازات فى ملكية الارض ، ولم تفكر فى عمل أى مشروعات اصلاحية ، فاستغلالهم للجماهير كان « حقا مقدسا » .

والواقع ان المشكلة الزراعية فى ريف اليمن الجنوبية ، أكثر عمقا من مجرد علاقات انتاج ، أو طراز للحياة ، انها مجموعة معتقدات وتقاليد أقرب الى أن تكون ايمانا عيبيا وبناء ثقافيا ومؤسسة اجتماعية راسخة الجذور ، وتمثل القبائل الاغلبية الساحقة من سكان المنطقة ويتمركزون بصفة خاصة فى المناطق الداخلية ، ويمكن تقسيم القبائل من حيث مستوى الحياة الى قسمين :

● قسم يسكن المناطق الساحلية القريبة من عدن والمدن الاخرى فى المنطقة كالعبادل فى لحج وبعض قبائل منطقة الفضلى الساحلية ، وبعض قبائل يافع الساحل ، وسكان المدن كالضالع ، وبعض قبائل أحور فى العوالق السفلى ، وسكان بالحاف وغيل باوزير والشحر والديس والحامى ودوعن وسيون وتريم وشبام فى حضرموت ، وقد تأثر مستوى حياة هذا القسم من السكان نسبيا ، حيث يوجد بالمنطقة نشاط تجارى وزراعى ، والتركيب الاجتماعى فى هذه المناطق يختلف من منطقة الى أخرى .. مثلا :

فى سيون وتريم تعتبر طبقة السادة بحكم وضعها الاقتصادى القوة الاساسية التى كانت تسند حكم السلاطين ، ومازالت حتى الان تحتكر أعمال التجارة والزراعة ، عن طريق عدد من العائلات لا يتجاوز أربع عائلات يمتد نفوذها الى عدن والى جميع المدن الاخرى ، وتعتمد هذه الطبقة اساسا على مايرد اليها من نقود يستثمرونها فى الخارج (٧) ، وتتمتع هذه الطبقة بامتيازات اجتماعية خاصة ، فالسيد أيا كان وضعه الاجتماعى داخل طبقته ، يعامل معاملة « اولياء الله » .. حتى من « المشايخ » وهى الفئة التى تلى «السادة» فى السلم الاجتماعى ، وكان دور « المشايخ» فى ذلك العهد يتركز فى تأكيد السلطة الروحية للسادة ، وقد بذلوا جهودهم حين قامت الثورة بتوزيع أرض السلاطين فى هذه المنطقة ، ليجعلوا المزارعين من القبائل يمتنعون عن استلام الارض على أساس أنها «حق مقدس» للسلطان ، وأن استلامها يغضب الله !

ويلى « المشايخ » فى السلم الاجتماعى القبائل ، وهى تعيش فى أطراف المنطقة على الرعى وملكيات صغيرة جدا من الارض الزراعية التى تعتمد فى زراعتها على الامطار القليلة ، ويأتى بعض القبائل « المساكين» أو « الضعفاء » وهم يشكلون الاغلبية الساحقة من سكان المنطقة ، ويعملون بالزراعة والرعى وأعمال البناء ، ويلى طبقة « المساكين » العبيد وكانوا يشكلون جزءا من سكان المنطقة الذين يعملون عند السلطان وفى جهازى الامن والجيش ، وجزء منهم يعمل حتى اليوم فى بيوت « السادة » و « المشايخ » .

وبينما يتمتع « السادة » فى سيون وتريم بقوة روحية كبيرة ، وامتيازات اجتماعية ضخمة ، نجدهم لا يتمتعون بهذه القوة والامتيازات فى شيبام حيث التجار هم الفئة العليا فى السلم الاجتماعى ، هناك السادة فى سيون وتريم ، يلبس رجالهم ونساؤهم زيا خاصا محرما على كل الفئات

---

(٦) مثل لحج وحضرموت

(٧) اندونيسيا ، « جاوة حيث بلغ عدد أبناء حضرموت مايزيد عن ٢٠٠ الف ، وحيث تملك اربعة عائلات يحتكرون الزراعة والتجارة فى حضرموت . عددا كبيرا من المصانع

الاخرى ، رجالهم يتزوجون من كل الفئات الاخرى ولا يحق لنسائهم أن يتزوجن من هذه الفئات ، ولابنائهم مدارس خاصة لا يدخلها أبناء الفئات الاخرى التى تليهم فى السلم الاجتماعى ، وكل « سيد » غنيا كان أو فقيرا ، كبيرا أو صغيرا لا يعمل ، وعلى كل الفئات الاخرى أن تقبل يده التى لا تعمل أى عمل ·

ان مدن سيون وتريم وشيبام تقع فى واد واحد وبالرغم من أن سيون تقع فى منتصف الطريق بين تريم وشيبام وتبتعد كل منهما على سيون بما لا يزيد عن ٢٠ كيلو مترا ، الا أننا نجد ان سيون وتريم تمثلان مجتمعا يختلف عن مجتمع شيبام ، وهما الاثنتان تختلفان عن منطقة أخرى فى الشمال حيث القبائل هى القوة الاقتصادية الاساسية ، وتشكل مجتمعا آخر له علاقاته المختلفة ·

ونجد فى « المكلا » وهى الميناء الثانى بعد عدن ، وعلى الرغم من نفوذ عائلات « السادة » الذين يعملون فى التجارة فانهم لا يتمتعون بامتيازاتهم الروحية والاجتماعية ، حيث يشكل عمال الميناء والزراعة والبناء الاغلبية الساحقة ، وحيث للحركة النقابية نشاط قديم ، وفى « الشحر » حيث الثروة السمكية الهائلة ، يقف أصحاب قوارب الصيد على قمة السلم الاجتماعى ، وهم الى جانب احتكارهم للصيد يملكون مساحات كبيرة من الارض يزرعونها « بالتمباك » الذى يحتاج فى زراعته الى نوع من السمك « السردين » والذى يستخدم كسماد بعد تجفيفه ·

ان سيون وتريم وشيبام والمكلا والشحر وغيرها ·· تقع كلها داخل المحافظة الخامسة فى اليمن الجنوبية ، لكن كلا منها تكاد تكون مجتمعا مستقلا بذاته ، والغالبية الساحقة من سكان المحافظة الخامسة التى تضم هذه « المجتمعات » من القبائل ، يعمل بعض أبنائها فى التجارة والزراعة وبعضهم فى أعمال الصيد والميناء ، ولكن الاغلبية تعيش فى المناطق الداخلية على الرعى والزراعة البدائية ·

● والقسم الثانى من القبائل : ويتمثل فى قبائل يافع الجيد ، وقبائل المراقشة فى الفضلى ، وقبائل وثينة وردفان (٨) والعوالق (٩) وبيحان والحواشب والعبديمة والواحدى وقبائل الكرب والصبيحر والحموم ونوح والمناهيل والعوامر · فهؤلاء مازالوا يعيشون على الرعى ، وحياتهم شاقة وقاسية · والعلاقات فى هذه المناطق علاقات قبلية خالصة · وأخص ما يميز هذه المناطق ، هو التخلف الشديد وسيطرة الروح القبلية والحدود المشتركة والقريبة من بيحان والربع الخالى ···

المزارعون

ويتمركز الجزء الاكبر من المزارعين فى المناطق الزراعية كأبين ولحج وأحور ويرامس والضالع ولودر وميفع وميفعة ووادى حجر وغيل بوازير ووادى حضرموت ، كما ينتشرون بأعداد متفاوتة فى جميع أنحاء اليمن الجنوبية ·

والغالبية الساحقة من المزارعين ينتمون الى القبائل ، ولهذا فانه من الصعب وضع خط فاصل بين القبلى والمزارع · فأغلب أفراد القبائل يمتلكون اراضى زراعية صغيرة جدا ، تصل احيانا الى ربع فدان للفرد أو للعائلة ، ويقومون هم بأنفسهم بزراعتها ، فيما عدا منطقة لحج وأبين ، وهى المنطقة التى نالت اهتمام الاستعمار البريطانى حين فكر فى زراعة القطن ، وحيث يملك البعض مساحات كبيرة ، وحضرموت ، حيث نهب أحمد بن عيسى العلوى (١٠) أراضى شاسعة ، وكان قد هاجر من بغداد بعد ثورة الزنج الى سيون منذ حوالى ١٠٠٠ عام ·

ولم يكن للمزارعين قبل الاستقلال جمعيات تعاونية ما عدا بعض المحاولات فى مناطق قليلة من أبين ويرامس وغيل باوزير ، وقد قامت هذه المحاولات قبل الاستقلال ، ولكنها كانت تفتقد الاسس الصحيحة للجمعيات التعاونية الزراعية ·

العمال

الاغلبية الساحقة من العمال توجد فى مدينة عدن ، وهم يعملون فى المحلات التجارية

---

(٨) ردفان فى المحافظة الثانية ــ وهى التى انطلقت منها الشرارة الاولى للثورة . كانت فى النصف الثانى من عام ١٩٦٨ مسرحا لحركة تمرد ضد الثورة .

(٩) العوالق فى المحافظة الرابعة وكانت مسرحا لحركة تمرد اخرى توافقت زمنيا مع حركة التمرد فى ردفان .

(١٠) احمد بن عيسى العلوى ــ هو مؤسس طبقة السادة وعمادها اليوم عدد محدود جدا من العائلات ، جاء الى سيون منذ حوالى ١٠٠٠ عام هربا من ثورة الزنج ببغداد ، واستطاع بشعوذته ان يحصل على ارض القبائل فى بعض مناطق حضرموت .

ويسمونهم « عمال البيع » ، أو الذين يعملون بالميناء ، أو فى أحواض السفن ، أو فى شركة المصافى ، والعمال الذين يعملون بشركة المصافى هم الوحيدون المرتبطون بالآلة ، واذا استثنينا هذه الشركة لوجدنا أن العمال فى الشركات والمحلات التجارية يقومون بدور عامل الخدمات وليس العامل الفنى المنتج ، وعمال شركة المصافى لا يزيدون عن ٢٠٠٠ عامل ، وهم يشكلون نسبة صغيرة من مجموع عمال الخدمات البالغ عددهم ٤٥ ألف عامل .

ولا يوجد فى المحافظات عدد كبير من العمال ، وهم يتمركزون فى ابين ولحج حيث يوجد محلجان للقطن ، وفى ميناء المكلا وفى المدن الكبيرة فى حضرموت كسيون وتريم وشيبام ، والصيادون يشكلون نسبة كبيرة فى الشحر .

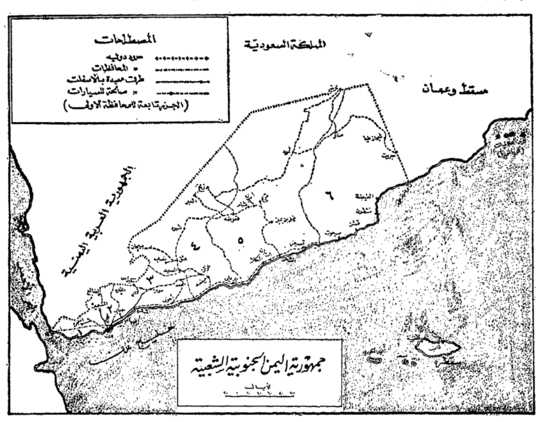
وكانت نسبة البطالة كبيرة خاصة بين عمال البناء فى المكلا حيث أوقفت شركة بان أمريكان أعمال التنقيب عن البترول وتوقفت أعمال البناء ، وقد زادت نسبة البطالة بعد الاستقلال فوصلت فى المكلا الى أكثر من ٦٠ فى المائة ، وفى عدن حيث أقفلت القاعدة البريطانية من ناحية ، واغلاق قنال السويس فى وجه السفن العابرة بين الشرق والغرب من ناحية أخرى ، وقد أدى ذلك الى تقلص النشاط الاقتصادى والى زيادة معدل البطالة فى عدن بل واتجاهه نحو الزيادة .

البورجوازية الصغيرة

وفى المدينة عدن تختفى الحرفية والورش الصناعية تماما أمام أغراق المدينة بالسلع المستوردة التى تنتجها الشركات الاحتكارية الاجنبية ، والتى قضت على اية امكانية لنشوء أو تطوير أية صناعة محلية ، ونتيجة لذلك لا توجد بورجوازية صغيرة منتجة ، ولكنها توجد فى بعض المدن الكبيرة كالمكلا وسيون وشيبام ، حيث تملك دكاكين البيع بالقطاعى ، وتستورد سلعها من تجار الجملة ، أو الوسطاء بين المستهلكين والمنتجين الاجانب ، كذلك يوجد فى الريف الملاك الصغار الذين تتراوح ملكيتهم بين ربع فدان و ٣ افدنة ، وهم شرائح كبيرة ـ لا يقوم انتاجهم على استغلال الاخرين ، بعضهم يزرع الارض بنفسه ، والبعض الاخر يزرعها بالمشاركة العرفية .

المنظمات السياسية فى اليمن الجنوبية حتى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٦٤

نشأت المنظمات السياسية تعبيرا عن هذا الواقع الاجتماعى بعلاقات انتاجه المتخلفة وأثناء السيطرة الاستعمارية .



● نشأت « رابطة أبنـاء الجنوب العربى » تعبيرا عن تحالف ملاك الارض « السلاطين » فى الريف والبورجوازية الكومبرادورية المرتبطة برأس المال الاجنبى فى المدينــة ، وكانت تعتمد على التناقض بين الانجليز وبين بعض السلاطين فى اطار النظام الاستعمارى الاقطاعى فى جنـوب اليمن ، وقد انتهت بعد الاستقلال الى الارتماء نهائيا فى أحضان الاستعمار والرجعية العربية .

● « حزب الشعب الاشتراكى » ، وكان قادته هم أنفسهم قادة المؤتمر العمالى ، والذين كان خطهم النقابى يقوم على دعم التعاون الطبقى بين العمال وأصحاب الاعمال ، وقد حولوا المؤتمر العمالى الى مجرد جهاز للمفاوضات بين العمال والشركات الاجنبية ، وناهضوا بشكل دائم فكرة الاحزاب السياسية وتمسكوا بالنقابية البحتة ، وكان موقفهم من الاضراب السياسى الذى شهدته المنطقة فى ٢٤ سبتمبر ١٩٦٢ ، ضد دمج عدن فى الاتحاد الفيدرالى ، لكن تحت الضغط العمالى والشعبى ، وافق قادة المؤتمر العمالى آنذاك على الدمج ، بينما رفضوا القيام بمثل هذا الاضراب يوم تأسيس الاتحاد الفيدرالى نفسه (فى ١١ فبراير ١٩٥٩) .

وبعد موافقة « رابطة أبناء الجنوب العربى » على المجلس التشريعى عام ١٩٥٥ ، وقبول أسلوب المفاوضات ورفض الكفاح المسلح من قبل « حزب الشعب الاشتراكى » واشتراكه فى مؤتمر لندن وفى المؤتمر الدستورى عام ١٩٦٤ وسعيه وراء الحلول السلمية .. نشأت بعض التنظيمات من بين الفئة البورجوازية الصغيرة التى هجرت قواعد هذين التنظيمين ، ومن العمال والمزارعين .

● نشأت حركة القوميين العرب فى الجنوب اليمنى كفرع سرى فى حركة القوميين العرب فى الوطن العربى ، والى جانبها نشـأت بعض التنظيمات الاخرى للماركسيين ، ولحزب البعث ، وقد أخذت هذه التنظيمات تبحث عن طريق النضال ضد المستعمر ، وكان انطلاق حركة التحرر الوطنى فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وبصفة خاصة حركة الثورة العربية وقد تدعمت بالانتصارات التى حققتها ثورة ٢٣ يوليو ، له تأثير كبير فى تكوين هذه التنظيمات .

مقـدمات ثورة ١٤ أكتوبر فـى اليمـن الجنوبيـة

وقد شهد جنوب اليمن بعد الحرب العالميـة الثانية ، وفى الخمسينيات انتفاضات شـعبية



وهبات ثورية مسلحة ، شكلت مقدمات وارهاصات ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٤ منها :

● انتفاضة عبيد صــالح عبدات ، فى قرية الغرفة الواقعة فى منتصف الطريق بين ســيون وشيبام بحضرموت عام ١٩٤٧ ، فقد قاد عبيد صالح عبدات أهالى القرية ضــد الســلطنة الكثيرية « شيبام » التى اتحدت مع السـلطنة القعيطية « سيون » لمقـاومة هـذه الانتفـاضة الثورية ، ولما لم تستطع السلطنتان وقف انتفاضة عبدات ، استعانتا بسلطات الاحتلال البريطانية ، وجاءت الدبابات والمدرعات البريطانية تحمـل القوات الاستعمارية لضرب الثوار الذين اعتصموا بمنازلهم وأقاموا متاريس من الحجارة لمقاومة قوات سلطان الكثيرية وسلطات القعيطية والتى دامت ثلاثة شهور ، ولم تخمد الا بعد وصول قوات الاحتلال التى أسرت عبيد صالح عبدات بعد مقاومة استمرت أياما من منزله ، الذى تهدم عن آخره ، وقد رحلته القوات البريطانية أسيرا الى عدن ، ومنها الى اندونيسيا حيث توفى منذحوالى عام ونصف .

● انتفاضة « المكلا » فى حضرموت عـام ١٩٥١ ، وهى الانتفاضة التى هاجم فيها أهالى البلدة القصر السلطانى ومزقوا العلم البريطانى .

● **انتفاضات مسلحة في الارياف** خلال أعوام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨ ـ من أشهرها **انتفاضة الزبيرى في العوالق العليا ـ والدمانى في العوازل ، والمجعلى في وثينة، ومحمد بن عيدروس في يافع والمراقشة والتخعين في الفضلى**، وبالرغم من أن هذه الانتفاضات كانت بقيادة مشايخ القبائل ، وفي بعض الحالات أحد السلاطين ، وبالرغم من أن هؤلاء كانوا يتحركون تحت تأثير عوامل شخصية أو دينية ، الا انها كانت أحيانا تعبر عن سخط الشعب على الوجود الاستعمارى ، ومحاولاته لمد نفوذه وتوسيع استغلاله ، وعلى طغيان السلاطين الذين تحولوا على يد الانجليز من ممثلين لقبائلهم وعشائرهم ، يمكنها أن تبقيهم أو تعزلهم متى شاءت ، الى حكام مطلقين واقطاعيين كبار لاسند لهم سوى الوجود البريطانى السياسى والعسكرى .

وتدل الوثيقة التى نشرها حزب المحافظين البريطانى فى مايو ١٩٦٦ (١١)، وهى الخطاب الذى **امضاه صالح بن حسين العوذلى وزير** الامن الداخلى ورئيس ما يسمى باتحاد الجنوب العربى أمام اللورد بيزويك السكرتير البرلمانى لوزارة المستعمرات ، على مدى الاعتماد المصيرى للسلاطين على الوجود الاستعمارى فى جنوب اليمن ، وبالتالى على ما يثيره هذا الارتباط من سخط وغضب عند بعض رؤساء القبائل، أو حتى بعض السلاطين .

● **اضرابات مارس ١٩٥٦** في عدن ، وهى الاضرابات التى عبرت عن ميلاد العمال كقوة منظمة فى نقابات ، ومنذ تلك الاضرابات دخل العمال معترك العمل السياسى وأعطوا الحركة الوطنية حيوية كبيرة .

وتتابعت الاضرابات السياسية ، فكانت مظاهرة مايو ١٩٥٦ احتجاجا على زيارة **اللورد لويد** الوكيل البرلمانى لوزارة المستعمرات .. لعدن ، وكان الاضراب العام فى ابريل ١٩٥٨ ضد فتح ابواب الهجرة الاجنبية الى عدن من بلدان الكومنولث ، وكانت انتفاضة أكتوبر عام ١٩٥٨ ضد انتخابات المجلس التشريعى الزائفة، ثم كان الاضراب العام فى أغسطس ١٩٦٠ ضد قانون منع الاضراب وقد دام هذا الاضراب ثلاثة ايام، ولقى أوسع وأقوى المساندة والتأييد من الجماهير فى الداخل ومن عمال العالم ».

ومع أن هذه الاضرابات كانت تقمع من قبل سلطات الاحتلال بكل العنف والوحشية ، الا أن عدد الاضرابات التى قام بها العمال فى هذه الفترة ضد الشركات الاجنبية الاحتكارية، بلغت اكثر من ٨٠ اضرابا .. وكان بعضهـا اضرابات طويلة دامت شهورا ».

وحتى بعد فرض قانون منع الاضراب ، ورغم عمليات القمع الوحشى ، لم يلق الشعب فى جنوب اليمن سلاحه ، ولم يتخل عن نضاله ، بل لم يزده الارهاب الا قوة أكبر وعزما أشد ».

● ففى نوفمبر عام ١٩٦١ ، أضرب عمال نقابة المصافى ونقابة العمال الفنيين فى عدن مطالبين بزيادة الاجور .

● وفى ديسمبر ١٩٦١ اضرب المزارعون فى لحج والعواذل وأبين من امارات الجنوب ضد سيطرة الانجليز الاستبدادية على السوق المركزى، وانتفضت قبائل حضرموت ضـد السيطـرة الاجنبية .

● وفى أول فبراير ١٩٦٢ حدثت الانتفاضة الطلابية التى بدأت باضراب طالبات كلية البنات ، ثم اتسعت لتشمل جميع المعاهد والمدارس ».

● وفى ٢٤ سبتمبر ١٩٦٢ كان الزحف الشعبى الشهير على المجلس التشريعى بعدن ضد دمج عدن فى الاتحاد الفيدرالى المزيف .

● وفى ٢٦ سبتمبر قامت الثورة فى الشمال لتطيح بحكم الامامة ».

---

(١١) طالب صالح بن حسين العوذلى فى خطابه بالاتى :

● ان تعلن الحكومة البريطانية انها ستواصل الدفاع عن الاتحاد ضد العدوان الخارجى والاعمال الهدامة فى الداخل .

● زيادة قوات الاتحاد . وتعيين لجنة من الخبراء العسكريين الانجليز .

● مبلغ سنوى محدد ومضمون وكاف كمساعدة . وذلك لفترة عشرة سنوات حتى « نستطيع أن نضع خططنا سلفا » .

وينهى السلطان العميل خطابه فيقول « اننا نرى ان الاهمية الحيوية ، لكى تكون هناك قوات كافية وفعالة فى متناول أيدينا عند اعلان الاستقلال ، تؤكدها طبيعة التهديد الذى يواجهنا ، ونحن نعتقد ان هناك خطرا جسيما ينذر بأن حملات الهجوم والاعمال الهدامة ستزداد عنفا الى حد تبدو معه بالنسبة للعالم كما لو كان البريطانيون قد القى بهم فى البحر ، ونحن نخشى ان تبلغ هذه الحملة ذروتها فى اللحظة نفسها التى تتخلى فيها بريطانيا عنا ، ومن ثم سنواجه وحدنا اكبر خطر واجهنا ، حتى الان ».

من ردفــان .. أنطلقت الشرارة الاولى للثــــورة

عندما قامت ثورة ٢٦ سبتمبر فى الشمال ، ذهب العديد من أبناء الجنوب من عمال وفلاحين وطلبة ورجال قبائل ، وشاركوا فى الحرس الوطنى ضد العدوان الامبريالى الرجعى على ثورة الشمال .. وكان من بينهم مئات من أبناء ردفان ، وبعد عام من الكفاح الضارى المرير فى جبال الشمال وشعابه ووديانه ـ قرر أبناء ردفان العودة الى ديارهم ، وكانت فى انتظارهم قوانينوأوامر من الانجليز بتسليم سلاحهم وضم بلدهم ـ وكان حتى ذلك الحين بعيدا عن نفوذ الانجليز والسلاطين ـ الى امارة الضالع المجاورة لهم ، ورفض أبناء ردفان ، أو « الذئاب الحمر » كما كان يسميهم الانجليز ، الخضوع لقوانين وأوامر الاحتلال ، وكان أول صدام فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ بين ابناء ردفان وبين قوات الاستعمار البـريطانى .. أول شرارة للثورة . واذا كانت مطالبة الانجليز لابناء ردفان بتسليم السلاح والخضوع لسلطة أمير الضالع العميل هى السبب المباشر لانتفاضتهم ، فان السبب الحقيقى يكمن وراء الاستغلال والقهر الاستعمارى والطغيان السلاطينى الذى عاشه الشعب فى ظل الحكم البريطانى . كان أبناء ردفان قد اكتسبوا أثناء وجودهم فى الشمال خبرة عسكرية ووعيا سياسيا ، فقد تدربوا وحصلوا على سلاح أحدث من السلاح الذى كان بحوزتهم قبل أن يذهبوا الى الشمال ، وحاربوا هناك ضد العدوان الاستعمارى الرجعى ، وضد تسلل الملكيين ، ولم يحاربوا من أجل ثأرات قبلية كما كانوا يفعلون فى قراهم ، واكتسبوا بذلك وعيا سياسيا وطبقيا .

ولقد استمر صمود أبناء ردفان وحدهم شهورا كاملة ، مما دفع الشعب اليمنى جنوبه وشماله الى الاقتناع بامكان قيام ودعم حركة ثورية مسلحة منظمة ، اذا وجدت العون المادى والادبى من قوى الثورة والتقدم فىالعالم العربى، ومساندة القوى التقدمية العالمية .

وكانت الظروف الموضوعية فى الجنوب ناضجة لمثل هذه المعركة المسلحة ، فلم يكن أمام الشعب فى اليمن الجنوبى من وسيلة للدفاع عن حقوقه ضد الانجليز والسلاطين سوى السلاح الذى لم يستطع الاستعمار حرمانه منه ، رغم سلبه كل وسائل التعبير ـ من صحف وأحزاب ..

وفى عدن كانت الاحزاب التقليدية عاجزة عن الارتفاع الى مستوى الاحداث ، فكانت تعتمد على أساليب زيارات لندن ، واستقدام نواب المعارضة فى البرلمان البريطانى ، وتقديم العرائض الى وزارة المستعمرات البريطانية .

وبينما كان شعب الشمال يرى أن أهم أسباب ومتطلبات انتصاره على العدوان الاستعمارى الرجعى ، هو امتداد الثورة الى معاقل المستعمرين أنفسهم فى الجنوب الذى حولوه الى قواعد للتآمر والتخريب ومركز للقوى المعادية لثورة ٢٦ سبتمبر ... كان شعب اليمن الجنوبية ممثلا فى قواه الثورية يرى أن لا سبيل للخلاص من الحكم الاستعمارى البريطانى الا بالثورة المسلحة، وقد زاده ايمانا بذلك قيام ثورة الشـمال وامكانية تحولها الى قاعدة خلفية لثورة الجنوب ، الى جانب مساندة الجمهورية العربية المتحدة ماديا وأدبيا للثورة .

وفى أوائل ١٩٦٤ بدأت قوافل السلاح تصل الى أبناء ردفان ، وفى مارس ١٩٦٤ قامت الطائرات البريطانية بقصف مدينة « **حريب** » بهدف ارهاب حكومة الشمال وحكومة الجمهورية العـربية المتحدة ، ومنعها من نجدة ثوار الجنوب ، وقوبلت هذه الغارة الوحشية من قوى التحرر العربى والقاهرة فى مقدمتها بالرد العملى المباشر .

وفى يونيو ١٩٦٤، أعلن فىالقاهرة رسميا عن قيـام « الجبهة القـومية لتحرير الجـنوب **المحتل** » كقاعدة للكفاح المسلح فى الجنـوب ، وأعلنت الجبهة فى أول بيان لها اطلاق النار على الانجليز فى كل مكان من الجنوب .

موقف الاحزاب السياسية التقليدية

ورفض قادة حزب الشعب الاشتراكى ورابطة أبناء الجنوب الاشتراك فى الجبهة ، واتخـذوا موقفا معارضا للكفاح المسلح ، رغم أنه عرضت مناصب كبيرة على قادة حزب الشعب فى قيادة الثورة .

وكان من الطبيعى أن يرفض هذان التنظيمان الكفاح المسلح ، فالرابطة كانت تحالفا بين كبار ملاك الارض الاقطاعيين وبين البـورجوازية

الكومبرادورية فى المدينة ، وأن يرفضه قادة حزب الشعب الاشتراكى(١٢) الذين كانوا واقعين تحت تأثير افكار الجناح اليمينى لحزب العمال البريطانى ، وقيادة مؤتمر نقابات بريطانيا ، والاتحاد الحر الاصفر فى بروكسل •

والواقع أن هذين الحزبين لم يرفضا فقط الكفاح المسلح عندما التهبت نيرانه فى أرض الجنوب بمدنه وأريافه ، بل انهما رفضا استخدام امكانيات الكفاح السياسى نفسه ، وقوى العمال لدفع الحركة الوطنية الى الامام •

ولكن معارضة الاحزاب السياسية التقليدية للثورة المسلحة لم تؤثر على سيرها ، فلقد وجدت استجابة واسعة من الجماهير وانخرط فى صفوفها العديد من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين وأبناء القبائل ، وفى عام ١٩٦٥ ، كان الفدائيون قد استطاعوا أن يجعلوا من عدن نفسها جحيما لا يطاق بالنسبة للانجليز •

وهنا شعرت هذه الاحزاب السياسية انها بمعارضتها للكفاح المسلح تخسر مواقعها فى الحركة النقابية وفى صفوف الشعب ، وتزداد انعزالا عن الجماهير ، فتكونت « **منظمة تحرير الجنوب المحتل** » التى ضمت حزب الشعب الاشتراكى ورابطة أبناء الجنوب والسلطان أحمد ابن عبد الله الفضلى ، والامير جعبل بن حسين ، كرد فعل لقيام الجبهة القومية ، وأعلنت عن استعدادها لخوض الثورة المسلحة .

وبعد شهر من تكوين هذه المنظمة انسلخت منها « **رابطة أبناء الجنوب العربى** » ، وبقى فيها حزب الشعب الاشتراكى وبعض الشخصيات القبلية ، ودل ذلك على أن « رابطة أبناء الجنوب » غير قادرة حتى على التضليل باسم الثورة المسلحة ، وفى نفس الوقت دل على أن جماهير حزب الشعب الاشتراكى أقوى من أن تضللها قيادة الاصنج التى أعلنت معارضتها للثورة المسلحة عند قيام الجبهة القومية ، ورفضت الاشتراك فى الجبهة ، ولقد كان اشتراك قواعد الحزب فى المعركة المسلحة ، جنبا الى جنب مع قواعد الجبهة القومية وكل الوطنيين ، رفضا عمليا لموقف القيادة واضطرارها بعد ذلك الى اعلان قبولها الكفاح المسلح •

الموقف من جبهة التحرير

فى ١٣ يناير ١٩٦٦ أعلن عن قيام « **جبهة تحرير الجنوب المحتل** » بين الجبهة القومية ومنظمة تحرير الجنوب المحتل ـ بعد انسحاب الرابطة منها ـ وبعض العناصر المستقلة ، بعد ذلك حدثت خلافات حادة ، وشهدت المنطقة حوادث مؤسفة بين المقاتلين الثوار ، ولقد قيل وكتب الكثير عن أسباب ودوافع قيام هذه الجبهة ، لكن الملاحظ أن الذين تناولوا هذه القضية ـ بالنسبة الى كل الاطراف ـ تناولوها تناولا ذاتيا أكثر منه تناولا موضوعيا •

ان الانطلاق من فكرة أن الجبهة القومية كانت هى المعبرة عن مصالح العمال والفلاحين، وبالتالى تملك الوضوح النظرى والفكرى ، يفندها خلافات قيادة الجبهة القومية قبل الدمج وبعده ، كما يفسرها تطورها الداخلى بعد الاستقلال حتى ٢٢ يونيو ١٩٦٩ • ولا نحسب أن الاصنج بكل ما يمثله من فكر يمينى وانتهازى كان يمكن أن يكون خطرا على النضال المسلح الذى بدأته بالفعل كل الجماهير الشريفة فى قواعد الحزبين ، لقد دلت الاحداث بعد الاستقلال على أن قيادة الجبهة القومية كانت تضم عناصر تآمرت على الثورة وكادت تطيح بها ، رغم القول باعادة الجبهة القومية تصحيح أوضاعها بما يتفق ومسيرة الثورة ، ورغم تشكيل قيادة عامة جديدة فى مؤتمن حمر ، والذى تقرر فيه انسحاب الجبهة القومية من جبهة التحرير ؟ ، ان ذلك كله لم يمنع ما حدث بين قيادة الجبهة القومية من خلافات حادة انتهت بخطوة ٢٢ يونيو التصحيحية •

ان التقاليد الديموقراطية التى أثمرت خطوة ٢٢ يونيو وحسمت الخلافات داخل تنظيم الجبهة القومية ، كان يمكن أن تكون هى نفسها المبادىء التى تحكم عمل جبهة التحرير قبل الدمج وبعده ، ولو أن مناقشات الوحدة الوطنية كانت قد تمت بمثل هذه الروح ، لاثمرت جبهة وطنية حقيقية ، لها أهداف وطنية محددة ، وتنظمها مبادىء

---

(١٢) فى كتيب « هذا هو موقفنا » من مطبوعات مكتب التوجيه والنشر لحزب الشعب الاشتراكى جاء فيه ان الحزب :
- لا يؤمن بسفك الدماء حيث يمكن حقنها .
- انه يعتبر النضال المسلح وسيلة للضغط على الاستعمار من أجل الوصول الى حلول سياسية افضل وليس لاحراز نصر عسكرى حاسم .

ديموقراطية في التنظيم ، وتقودها سياسة تعرف موقع أقدامها في كل ظرف تاريخي محدد .

ولا شك أن جبهة تحكم مسيرتها النضالية مثل هذه النظرة ، تكون قادرة على شق طريقها ، ولو كان في قيادتها عناصر مريبة ، فالنضال المستمر الذى تساهم فيه جماهير التنظيم وجماهير الشعب ، هو وحده الذى يكشف مثل هذه العناصر ، ولعل الوضع اليوم في اليمن الجنوبية ، والذي يعبر عنه ، قيادة الجبهة القومية جاءت وفق تقاليد الديموقراطية ، وحكومة يشترك فيها الجناح اليساري لحزب البعث ، والشبيبة الديموقراطية التي تتبنى الماركسية اللينينية ، فضلا عن تخلص قواعد جبهة تحرير (١٣) الجنوب اليمنى من قيادتها ، يعبر عن حقيقة أن الثقة بالشعب هى وحدها ضمان تطور أي تنظيم سياسى وتدعيمه ، وتطهيره من العناصر الفاسدة وكسبه للعناصر المخلصة التى تثبت ثوريتها خلال النضال ، وهو يثبت فى نفس الوقت حقيقة أن الانفتاح على القوى الوطنية ، وتدعيمها من خلال الوحدة والصراع من أجل الوحدة ، هو وحده الكفيل بالوصول الى صياغة نظرية للتحالفات السياسية والطبقية التى يتطلبها العمل الثورى ، وليس يكفى تصور صياغة نظرية محددة ، صاغتها تجارب ثورية محددة ، وانما وفق منهج الاشتراكية العلمية ، وفي ارتباط وثيق بالواقع الحى المتطور ، والذي يفرز كل يوم مشاكل تطلب حلا ، تلمسه الجماهير تحقيقا لاهدافها ، يمكن فقط الوصول الى الفكر السليم والسياسة الصحيحة التى يقودها هذا الفكر .

لقد عرض على « رابطة أبناء الجنوب » وعلى « حزب الشعب الاشتراكى » الاشتراك فى الجبهة القومية قبل اعلان قيامها فى يونيو ١٩٦٤ ، ورفض الحزبان بل ورفض قادة حزب الشعب مناصب كبيرة فى قيادة الثورة ، ولم تكن حقيقة هذين الحزبين غائبة عن أذهان الذين اشتركوا فى تكوين الجبهة القومية ، وفى ظروف ذاتية وموضوعية مختلفة تماما عن تلك التى تم فيها الدمج بين الجبهة القومية ومنظمة تحرير الجنوب ففى عام ١٩٦٤ ، وعلى الرغم من الظروف الموضوعية المواتية ، حيث كانت ثورة الشمال تتحدى الاستعمار وعملاءه ، فان اشتراك مثل هذه العناصر فى قيادة ثورة مسلحةلم تتضح معالمها بعد ، كان يهدد الثورة كلها ويصعب بالتالى كشف هذه العناصر ، وفى عام ١٩٦٦ ، كانت ثورة الجنوب قد اشتد ساعدها ، وتحددت ملامحها ، وعرفت طريقها ، وكان ذلك يعبر عن ظرف ذاتى موات ، يساعد على كشف العناصر الفاسدة ، ويقيد حريتها فى العمل فى ظروف موضوعية أصبحت مواتية لها .

الجبهة القومية تتسلم السلطة

وفى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٧، وباستلام الجبهة القوميه للسلطة فى اليمن الجنوبية ، بدات مرحلة جديدة من مراحل ثورة ١٤ أكتوبر ، مرحلة الصراع الداخلى ، داخل التنظيم وخارجه لتنفيذ السياسة التى حددها المؤتمر الوطنى الاول للجبهة القومية ، والذى عقد فى الفترة من ٢٢ ــ ٢٥ يونيو ١٩٦٥ والتى تتلخص فى الاتى :

● ايجاد أوضاع اجتماعية تخدم الجماهير المحرومة ، وذلك بتحطيم الادوات السياسية القائمة على الاستغلال ، واسقاط حكم السلاطين ، والقضاء على المؤسسات الاستعمارية .

● تأكيد الوحدة الوطنية ، أو وحدة التراب التى تضم المحميات السابقة وجزر كوريا موريا ، وكران وميون وسقطرة ، وجميع الجزر الواقعة على الساحل غربا وجنوبا .

● التحرر الكامل من الوجود الاستعمارى ، وتخليص الشعب من سيطرته الاقتصادية والعسكرية والسياسية .

● اعادة وحدة الشعب العربى فى اليمن شماله وجنوبه كخطوةنحو وحدة عربية متحررة، علىأن تتم على أسس شعبية سليمة .

● التحرر الاقتصادى من سيطرة رأس المال الاجنبى والشركات الاستعمارية والاحتكارية ، واعادة بناء الاقتصاد الوطنى على أسس جديدة وسليمة تتمشى مع مبادىء العدالة الاجتماعية ، ويتحقق من خلالها سيطرة الشعب على مصادر ثروته ، ووسائل الانتاج .

● تعبئة الموارد القومية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

---

(١٣) فى ١٠ يونيو ١٩٦٨ عقد مناضلو جبهة التحرير المؤتمر الاول للجبهة وقرر المؤتمر فصل القيادة وانتخاب قيادة جديدة واعادة تنظيم جبهة التحرير .

● مشاركة القطاع الخاص فى التنمية على أن يبتعد عن الاستغلال والاساليب الاحتكارية ، ويقتصر عمله على المجالات ، وضمن الحدود التى يسمح له بالعمل فيها سواء منفردا ، او مشاركا مع القطاع العام .

● اعادة توزيع الارض التى اغتصبها السلاطين من الشعب ، واستصلاح الاراضى البور وتوزيعها على المعدمين .

● النهوض بالزراعة والعمل على زيادة انتاجية الارض ، ورفع مستوى الزارع وحمايته من الاستغلال ، وصيانة حقوق العمال الزراعيين .

● وضع خطة شاملة لتوجيه رأس المال الوطنى ، وتشجيع الادخار ، والحصول على القروض والمعونات غير المشروطة من الخارج ، والسماح للاستثمار الاجنبى فى بعض المجالات .

● تطوير الصناعة المحلية ، وتصنيع الحاصلات الزراعية والحيوانية والثروة السمكية ، وكذلك اقامة صناعات جديدة تتوافر مواردها الاساسية والاهتمام بصناعة البترول والبتروكيماويات ، وصناعات الملح والغزل والنسيج والسفن والاسمنت ومواد البناء والاسمدة .

● تحرير رأس المال الوطنى من السيطرة الاجنبية ، وانشاء بنك مركزى يملكه الشعب ، ويقود الحركة المالية .

● تنظيم التجارة الداخلية والخارجية وانشاء مؤسسات عامة للقيام بهذه المهمة .

● اعادة تنظيم التعليم على أسس ثورية ، وعلمية لتحقيق اهداف الشعب ، وتوفير التعليم المجانى الالزامى للجميع .

● الالتزام بالاسس الاشتراكية الثورية ، وتوفير فرص العمل لكل المواطنين ، والقضاء على الفوارق الاجتماعية بين الريف والمدينة ، ومساهمة العمال فى ادارة المشروعات وكذلك تنظيم جماهير الفلاحين ، ومساواة المرأة بالرجل .

● الالتزام بسياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز مع دعم حركات التحرر الوطنى الثورية العالمية ، ومعارضة اقامة القواعد العسكرية وسياسة الاحلاف الاستعمارية .

الجبهة القومية من ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ حتى ٢٢ يونيو ١٩٦٩

فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ تسلمت الجبهة القومية زمام السلطة محققة بذلك تصفية الحكم الاستعمارى المباشر وحكم السلاطين الاقطاعى ، فهل استطاعت الجبهة القومية ، وهى التنظيم السياسى الذى قاد الثورة المسلحة ان تقيم الدولة الجديدة على انقاض دولة الاستعمار والاقطاع ؟

الازدواج فى السلطة

الواقع ان مشكلة الدولة التى تقوم بتنفيذ الخط السياسى للثورة ، هى احدى المشاكل الاساسية التى تواجه الثورات الوطنية الديموقراطية المعاصرة . فالسلطة الجديدة عليها منذ اللحظة الاولى ان تعيد بناء اجهزة الدولة التنفيذية بروح الثورة وبروح قيادتها وتكوين مناهجها وفلسفاتها وطرق تنفيذها بعقلية تعى بعمق كامل معنى مرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية ، ذات الآفاق الاشتراكية .

وكان واضحا منذ اللحظة الاولى بأن السلطة الحقيقية لم تكن بيد الحكومة التى شكلتها القيادة العامة للجبهة القومية فقد كانت تتنازعها مؤسسات الدولة القديمة ، وبشكل خاص القوات المسلحة بكل ما تملكه من رجال وسلاح وامتيازات طبقية

وكان من المنطقى ان يبدأ الصراع على السلطة منذ أول يوم لتولى الجبهة القومية مقاليد الحكم ، واتخذ الصراع اشكالا مختلفة أبرزها الصراع بين كبار ضباط الجيش والامن من جهة ، وبين مؤسسات الثورة ، ممثلة فى جيش التحرير والحرس الشعبى والفدائيين من جهة اخرى ، والصراع بين اللجان الشعبية والمجالس الشعبية من جهة وبين الاجهزة الادارية للدولة القديمة من جهة اخرى . وكان واضحا منذ اللحظات الاولى ان السلطة الحقيقية كانت بيد مؤسسات الدولة القديمة ، خاصة الجيش والامن ، وبدلا من ان تستند الحكومة الى التنظيم السياسى والجماهير فى صراعها ، نراها قد أوقفت صدور النشرات التى كانت تصدر عن الجبهة القومية ، ومنعت المظاهرات وتركت البلاد دون صحف حوالى شهر .

مؤتمر زنجبار

وجسد المؤتمر الاول الذى عقدته الجبهة القومية اول مرة بعد الاستقلال ــ وهو المؤتمر الرابع للتنظيم ــ الصراع الذى يبدأ عادة فى كل حركة وطنية عقب الاستقلال ، وجوهره هو ، فى اى طريق تسير الثورة ؟ طريق التطور الرأسمالى ، أم طريق التطور المستقل ذى الافاق الاجتماعية ؟

فى هذا المؤتمر طرح **عبد الفتاح اسماعيل** وكان مسئولا عن الحزب خلال هذه الفترة ، اقتراحات محددة فى شكل برنامج للعمل الوطنى لانجاز « مهام الثورة الوطنية الشعبية » وكان البرنامج يضم ايضا بجانب الاقتراحات المحددة محاولة لتقييم تجربة « الثورة » منذ توليها السلطة فى نوفمبر ١٩٦٧ ، وقد جرت مناقشات طويلة داخل المؤتمر حول وضع سلطات الجيش والامن العام القديم ، وحول وضع جيش التحرير والمنظمات المنبثقة عن الثورة خلال مراحل كفاحها كالحرس الشعبى ، وكذلك حول موضوع تركيز السلطة ، وحول حدود الملكية فى القانون المقترح للاصلاح الزراعى .

وقد انتهى المؤتمر الى قرارات بأن تكون القيادة العامة المنتخبة للجبهة مكونة من ٤١ عضوا ، تمثل السلطة العليا المؤقتة ، كما انتهى ايضا الى ضرورة الاسراع فى اقامة المجالس الشعبية ، وتنفيذ الاصلاح الزراعى ، ودعم الحرس الشعبى واقامة « مليشيا » شعبية وتطهير مؤسسات الدولة .

واعقب هذا المؤتمر صدور قانون الاصلاح الزراعى الذى يقضى بمصادرة اراضى الامراء والمستوزرين والمشايخ (الذين كانوا وزراء فى عهد الاحتلال) وتحديد الحد الاقصى بخمسة وعشرين فدانا من الاراضى المروية ، وخمسين فدانا من الاراضى البعلية ، مع دفع تعويض عن الحد الزائد فى مدى ٢٥ عاما فى صورة مستندات على الدولة .

انقلاب ٢٠ مارس

بعد المؤتمر بأيام تحركت احدى كتائب الجيش فجر يوم ٢٠ مارس ١٩٦٨ لترابط فى حى كريتر بعدن ، وتلقى القبض على **عبد الله باديب** لانتمائه للمدرسة الاشتراكية العلمية ، **وعلى سالم البيض** الذى كان يشغل يومها منصب وزير الدفاع ، **وعبد الفتاح اسماعيل** الذى كان يعمل وزيرا للارشاد ، **وعبد الله الخامرى** رئيس المحكمة العسكرية فى ذلك الحين .

واتسعت حركة الاعتقالات لتشمل اعدادا كبيرة من المناضلين المعروفين باتجاهاتهم اليسارية ، داخل الجبهة القومية وخارجها ، وكانت لهذه الحركة ردود فعل شديدة لدى تنظيمات الجبهة القومية ، فقامت عدة مظاهرات تطالب باطلاق سراح المعتقلين ، ومحاكمة ضباط الجيش المسئولين عن الحركة ، وكادت البلاد تصبح على حافة الحرب الاهلية .

وانسحب عدد من قادة الجبهة القومية الى جبل جعار ، واعلنوا انهم سوف يعملون على ضرب الوضع القائم لاقامة سلطة الحزب والتنظيم الحقيقية ، وكان على راسهم **سالم ربيع** رئيس مجلس الرئاسة الحالى والمعروف فى الجنوب باسم « **بسالمين** » والذى كان قائدا للفدائيين خلال مرحلة التحرير .

واصدر هذا الفريق فى ١٤ مايو ١٩٦٨ بيانا باسم « **اغلبية القيادة العامة للجبهة القومية** » أدان فيه انقلاب ٢٠ مارس كانقلاب رجعى يهدف الى تصفية الثورة ومؤسساتها الحقيقية ، تحت شعار تصفية الشيوعية والشيوعيين ، واعتبرت اغلبية القيادة المعتصمة بالجبل ان هذا الانقلاب ضد قرارات المؤتمر الرابع للجبهة القومية ، واتخذت عددا من القرارات اهمها :

● طرد الكادرات القيادية فى الجيش والامن العام المشتركين فى انقلاب ٢٠ مارس الرجعى ومحاكمتهم ، وانزال العقوبات الرادعة بهم .

● ادانة من لعب دورا اساسيا فى انقلاب ٢٠ مارس الرجعى من اعضاء الحكومة .

● ادانة الاجراءات والاساليب الارهابية والهمجية التى تتخذ ضد الجماهير من قبل قادة الجيش والامن العام .

● ادانة قيادة الجيش والامن العام لتجميدهم القيادات المحلية للجبهة القومية فى العوالق العليا والسفلى .

● ادانة قيادة الجيش والامن العام ، لاعتقالهم بالجملة الطلبة الشرفاء فى بيحان وعتق وعدن .

● مقاومة قيادة الجيش والامن بشتى الوسائل ، ابتداء من الاضرابات والمظاهرات حتى المقاومة المسلحة ، وحتى تطرد العناصر القيادية فى

الجيش والامن ، وحتى تثبت السلطة فى يد الجبهة القومية سلطة العمال والفلاحين الفقراء والجنود .

جذور الصراع وظروفه

ان الثورة لم تستطع ان تنهى كل صراعاتها خلال مرحلة التحرير ، على العكس حملت الثورة بصراعات اخرى ذات طبيعة واصول تبلية ، وصراعات بدأت فى سبتمبر عام ١٩٦٥ عندما طالبت تيادات الجبهة القومية فى الداخل بعودة قيادات الخارج كى تعيش الثورة وتسهم فى خلق تنظيمات المدن والقرى ، كانت قيادات الخارج فى معظمها هى آخر اجيال حزب « **الرابطة** » القديم الذين انسلخوا عنه ، بعد أن اتضح لهم أن هذا الحزب فى خدمة السلاطين ، وكانت قيادات الداخل أصغر عمرا ، لكنهم أبعد فكرا بحكم الزمان والعصر ، وتفتحت آراؤهم خلال تجربة الثورة المسلحة على الفكر الاشتراكى ، وتجارب الثورة التنظيمية فى العالم .

وفى المؤتمر الرابع انفجر الصراع وتحددت ملامحه بحيث كان يمكن التمييز بين ثلاثة اتجاهات :

● اتجاه يمثله **عبد الفتاح اسماعيل** وهو الاتجاه الاكثر تشددا ازاء الاهداف الاجتماعية للثورة ، وازاء قضية الوحدة اليمنية ، وازاء الضرورات التى يتطلبها التنظيم من تحديد للعلاقة بين التنظيم والسلطة ، وبين الثورة والمؤسسات .

● واتجاه **قحطان الشعبى** وهو الذى تولى زمام السلطة وكان من رأيه مهادنة مؤسسات الدولة القديمة حتى لا يقع النظام فى مشاكل .

● **واتجاه وسط** ، يرى نفس اهداف الاتجاه الاول ، لكنه يختلف معه فى اسلوب الوصول الى هذه الاهداف .

وهيأ انقلاب ٢٠ مارس ظروف الصدام بين هذه الاتجاهات ، وتمزقت الجبهة بين هذه الاتجاهات ، وتوقفت اجتماعات الحزب من قيادته حتى قاعدته . وتركزت السلطة فى يد رئيس الجمهورية الى الحد الذى اصبح فيه هو كل شىء .

وضـع جـديد

غير ان ظروفا اخرى هيأت وضعا جديدا عادت خلاله الى داخل البلاد مجموعة الجبل المعتصمة ، وعاد ايضا عبد الفتاح اسماعيل ، فقد كانت اليمن الجنوبية الشعبية قد تعرضت خلال مايو عام ٦٨ الى عمل تخريبى واسع النطاق خارج حدودها ، مستهدفا اثارة التمرد القبلى فى منطقتى العوالق وردفان ، مستفيدا من الانقسام داخل الجبهة القومية والذى انفجر علانية فى ٢٠ مارس ، ومن الارهاب الدموى الذى فرضه رئيس الجمهورية السابق قحطان الشعبى .

عادوا جميعا ليحملوا السلاح من اجل حماية الثورة ، وعندما خمدت حركة التمرد فى العوالق وردفان كان قد تبلور فهم اسلوب عمل يختلف تماما عن اسلوب عملهم الاول ، كانوا قد تبنوا نظرية العمل من الداخل وكانوا قد ربطوا انفسهم بمؤسسات الجيش من خلال قياداته الوسطى وضباطه الصغار ، وحدث التقارب بين عبد الفتاح اسماعيل ورفاقه وبين **محمد على هيثم** ورفاقه ، وهما المتفقان فى الاهداف منذ المؤتمر الرابع ولكنهما كانا مختلفين فى أسلوب الوصول اليها .

فى هذه الفترة كان واضحا ان كل القوى الوطنية واليسارية تقف الى جانب القوى التقدمية داخل الجبهة القومية — الشعبية الديموقراطية — الجناح اليسارى فى حزب البعث — قاعدة جبهة التحرير ، فقد اصدرت عددا من البيانات التى تعبر عن مساندتها للاتجاه التقدمى داخل الجبهة القومية والحكومة (١٤) .

وعندما ضربت مؤامرة العوالق وردفان ، اشتدت الحاجة الى صيغة لاتفاق كل الاتجاهات المختلفة داخل تنظيم الجبهة القومية ، وبعد دورة للقيادة العامة من ٧ الى ١١ اكتوبر ١٩٦٨ ، صدر برنامج أستكمال مرحلة التحرر الوطنى الديمقراطى وقد خفف هذا البرنامج بعضا من حدة الصراع الذى كان قائما ، وتقرر بعده تشكيل لجنة منبثقة من القيادة العامة ، هى اللجنة التنفيذية وتضم ١١ عضوا ، وقد حدد البرنامج مهام مرحلة

---

(١٤) فى ١٠ يونيو ١٩٦٨ عقدت قواعد جبهة التحرير مؤتمرا تقرر فيه طرد عبد الله الاصنج ومحمد سالم باسندوه من قيادة وعضوية جبهة التحرير وشكلوا قيادة جديدة ليس بها احد من القيادة القديمة .

التحرر الوطني» كما حدد المهام الاساسية بالنسبة للدولة والتنظيم السياسي ، تتلخص في :

على مستوى التنظيم :

● فقدان الوضوح الفكري حتى بعد الاستقلال مما أدى الى بروز الظواهر الفرديةوالعلاقات الشللية ، واستغلال النعرات القبلية وفقدان الثقة في قدرة التنظيم .

● أدى ضعف الروابط التنظيمية الى تسرب الانتهازية والفردية ، الى جانب الحماقات التي ارتكبت من البعض ، واضرت بالوضع الاقتصادي واشاعت الذعر بين المواطنين .

● عدم الوضوح لدى القيادة عن كيفية علاج مشاكل الثورة ، وأدى ذلك الى تباين في المواقف مما ضاعف هذه المشاكل .

على مستوى السلطة :

● ان الجبهة القومية تحملت مسئولية السلطة دون أن توفر الكوادر المؤهلة والكافية لذلك .

● غياب التوجيه الحزبي وضعف قدرة الجهاز الاداري على مواجهة مشاكل الدولة ، جعل بعض الاعضاء يتسرعون في اصدار أحكام ضد المواطنين ، الامر الذي أعطى لقوى الثورة فرصة استعداء بعض هؤلاء المواطنين ضد السلطة والتنظيم .

● ان أزمة السلطة لازالت تتمثل من الان في عدم قدرتها على تثبيت حكم قوي ، ومن العوامل المساعدة على ذلك عدم توفر جهاز اداري كفء .

وحدد البرنامج ثلاث مهام أساسية أمام الجبهة القومية باعتبارها أداة العمل الوطني ، هي :

● تطوير الجبهة القومية الى حزب ، والوصول الى هذا الحزب يتطلب قناعات مشتركة على صعيد الايمان الفكري الواضح بالاشتراكية العلمية ، وأيضا بالايمان بالتنظيم الحزبي ومقاييسه التنظيمية القومية .

● ان تتفتح الجبهة القومية على كافة العناصر الوطنية الديموقراطية خارج اطارها ، ولا يعني هذا أن تتحول الجبهة القومية الى جبهة وطنية تقليدية .

● ان المهمة الملحة هي الاعداد لتطوير الجبهة القومية الى حزب ، والمهمة الاساسية هي اعادة بناء تنظيم الجبهة القومية بوضعه الحالي ، ووضع حلول سريعة لانهاء حالة البعثرة والتمزق الداخلي وتكتيل كافة الطاقات في صفوف الجبهة القومية ، ووضع حلول سريعة لانهاء حالة البعثرة والتمزق الداخلي .

● ضرورة تطوير لوائح وأنظمة داخلية ، كي تساعد على الالتزام والانضباط الداخلي ، لتنظيم الجبهة القومية ، وحتى يمكن انهاء حالة الازدواج بين الاداة في مستواها الرسمي والشعبي .

على المستوى الرسمي :

● أن مهام السلطة باعتبارها جزءا من الاداة الشعبية ، لابد أن يحكمها شكل المسئولية الجماعية والقيادة الجماعية ضمن الخط الاساسي للثورة في مرحلتها الراهنة حيث تقل احتمالات الخطا مقارنة باحتمالاتها لدى الفرد الواحد ، وتخف حدة الاندفاعات العاطفية والتصرفات الفردية .

● العمل على ايجاد « **الهيئة التشريعيه المركزية** » التي تضم القيادة العامة للجبهة القومية ممثلين للمحافظات الست ، ومن اعمال هذه الهيئة دراسة واقرار الدستور المؤقت للفترة الانتقالية ووضع مشروع الدستور الدائم الذي سيطرح على الشعب للموافقة عليه في استفتاء شعبي عام .

القوات المسلحة والامن العام

● وضع مخطط مدروس لتطوير القوات المسلحة والامن العام حتى يصبحا في وضع يتناسب مع المرحلة الدقيقة من حياة الثورة .

● تنشيط العمل التنظيمي للجبهة القومية في صفوف القوات والامن العام بهدف خلق الوعي الوطني والسياسي داخلهما .

● ان العمل التنظيمي لا يعني اي تقليل ، او اخلال بجانب الضبط والربط في هاتين المؤسستين .

التخلص من الجنـــاح الرجـــعى فى التنظيم والســـلطة

ومنذ حدث التقارب بين عبد الفتاح اسماعيل ومحمد على هيثم ، أصبحت المسألة مجرد فرصة للتخلص من الجناح الرجعى فى التنظيم والحكومة فعلى الرغم من أن برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطنى قد حدد بوضوح مبدأ المسئولية الجماعية ، وعلاقة الحكومة بالتنظيم السياسى ، فان رئيس الجمهورية « قحطان الشعبى » كان قد اعتاد على أسلوب العمل المنفرد ، وكان يشك فى كل خطوات القيادة العليا ، وعندما وافقت القيادة العامة على انشاء وظائف المحافظين ، رفض القائمة دون ذكر أية أسباب واضحة ، وعاد الى اصدار القوانين والتشريعات والقرارات دون علم القيادة المسبق أو موافقتها . كانت القيادة العامة قد أعطته صلاحية التشريع لمدة شهر واحد ، هو الشهر الذى وقعت فيه حوادث التمرد فى ردفان والعوالق ، واذا بهذا الشهر يمتد الى ما قبل استقالته ، ومع انه تشكلت لجنة تنفيذية بعد صدور برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطنى الديموقراطية ، فان قحطان الشعبى اســـتمر فى اصـــدار القـــوانين وحـــده ، لقـــد اســـتمر تفـــكك التنظيـــم الســـــياسى ، وتعطلت اجتمـــاعات هيئـــاته من القمـــة حتى القاعدة ، وكان الصراع فى جانب منه ، هو صراع بين فكرتين .. أيهما أكثر الحاحا .. بناء الدولة أم بناء الحزب ، وبناء الدولة عند قحطان الشعبى كان فى النهاية تدعيما لسلطته الفردية على حساب التنظيم السياسى ، وكان فى نظره مجموعة من الطقوس الحكومية المرتبطة بسفره وحضوره .

وفى ١٨ يونيو ١٩٦٩ ، وقع رئيس الجمهورية الســـابق قرارا باعفاء محمـــد على هيثم وزير الداخلية من منصبه ، لكن الكفة كانت قد رجحت فى جانب عبدالفتاح اســـماعيل ومحمـــد على هيثم ورفاقهما ، كانت مجموعة قحطان الشعبى تتعرض لضغوط مستمرة قبل أن يصدر برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطنى من جانب تنظيمات الطلاب والعمال والمثقفين لعودة عبد الفتاح اسماعيل الى الحزب ، ومحمد على هيثم أدى للثورة خدمات جليلة خلال معركة التحرر ، حيث كان قائد المنطقـــة الوسطى ، واستطاع بمرونته أن يمد جسورا قوية بين تنظيم الجبهة القومية وبين جيش الجنوب خلال مرحلة التحرر ، مما ساعد الجبهة القومية على الاستيلاء على السلطة اثر حوادث الصراع الدامى التى جرت فى سبتمبر عام ١٩٦٧ بين الجبهة القومية وجبهة التحرير ، وعندما بدأت المحاولات من أجل استرداد بيحان ، أسرع الى هناك واستطاع أن يجند القبائل الى جانب الثورة ، وكان وراء الجهد الاكبر الذى بذل من أجل قمع حركة التحرر فى مناطق العوالق وردفان فى يوليو ١٩٦٨ ، وجاء قـــرار رئيس الجمهورية فرصـــة مواتية للاتجاه التقدمى فى قيادة الجبهة القومية للتخلص من الاتجاه اليمينى فى التنظيم والدولة ، وبعد اجتماع القيادة العامة للجبهة القومية صدر بيان سياسى فى ٢٢ يونيو يتلخص فى :

● أن الاخطاء والممارسات السابقة تجـــاه قضايا الشعب والثورة لم تكن بسبب من عدم الوضوح فى أهداف الثورة ومصالح الجماهير وانما كانت بسبب الممارسات الفردية التى انحرفت بالثورة عن طريقها الحقيقى ، الامر الذى عرض الثورة لاخطار ومشاكل داخلية لا حصر لها .

● أن عملية التصحيح قائمة من الفهم الطبيعى لمعنى السلطة الديموقراطية الشعبية التى تجند أوسع الجماهير صاحبة المصلحة فى الثورة لانجاز مهام مرحلة التحرر الوطنى الديموقراطى .

واذا كانت القيادة العامة تقدم اليوم على عملية التصحيح الطبيعية من داخلها فانما لتؤكد مرة أخرى على القضايا الآتية :

● أن السلطة السياسية الممثلة لـــلارادة الجماعية فى تنظيم الجبهة القومية والمجسدة فى القيادة العامة لهى الطريق الوحيد الذى يجنب الثورة الكثير من الاخطاء والاخطار .

● أن سلطة الديموقراطية الشعبية التى تمثل ارادة الجماهير صاحبة المصلحة فى الثورة هى الحل الافضل الذى يجنب البلد والشعب مخاطر النزعة الفردية .

● أن الميثاق الوطنى للجبهة القومية هو الدليل النظرى بالنسبة للثورة ، وأن برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطنى الديموقراطى هو الحـــد الادنى لمطالب هذه المرحلة ، وهو الحد الادنى لما مثله الميثاق الوطنى .

● أن انتهاج سياسة يمنية جذرية لما فيه خدمة مصلحة القوى الاجتماعية صاحبة المصـــلحة الحقيقية فى يمن ديموقراطى موحد فى اقليـــم اليمن ، مهمة كل مناضل شريف فى الجنـــوب والشمال ، وان حماية ثورة ٢٦ سبتمبر و ١٤ اكتوبر من المؤامرات الامبريالية والرجعية هى المهمة العاجلة للثورة فى الجنوب وللحركة الوطنية فى الشمال .

● تثبيت علاقات وطيدة مع البلدان العربية الشقيقة وفى مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة

وتعزيز عرى الروابط القومية والوطنية لخدمة قضية الثورة العربية ذات الهدف والمصير المشترك .

● دعم المقاومة الفلسطينية المسلحة ، باعتبار ان المقاومة الفلسطينية هى السبيل الوحيد لاسترداد الحق العربى ، ودعم الثورة الشعبية المسلحة فى الخليج العربى ، باعتبار انه واجب يحتمه المصير المشترك للثورة فى الجزيرة والخليج .

● انتهاج سياسة واضحة بالنسبة لقضايا التحرر والتقدم فى العالم ، وتوثيق العلاقات مع المعسكر الاشتراكى ، وفى مقدمته الاتحاد السوفيتى الصديق »

دلالة خطوة ٢٢ يونيو

ان دلالة خطوة ٢٢ يونيو – ليست فى أنها مجرد اجراء بعض التغييرات فى قيادة التنظيم وفى الحكومة ، وانما تكمن دلالاتها فى انها وضعت ولاول مرة مبدأ الديموقراطية المركزية فى التطبيق داخل التنظيم السياسى والدولة ، هذا المنطلق الديمقراطى والذى عبر عنه اجتماع القيادة العامة فى ٢٢ يونيو ١٩٦٩ لمراجعة قرار رئيس الجمهورية – قد أكد حقيقة ان ضمان حياة التنظيم السياسى ، وضمان قيادته للدولة ، هوفى تطبيق قواعد حياة أى تنظيم سياسى قائد ، وهى المركزية الديموقراطية ، والقيادة الجماعية ، والنقد والنقد الذاتى ، ولا شك ان تنظيما سياسيا تحكمه هذه المبادىء ، قادر على ان يباشر دوره فى ارتباط بالجماهير التى تعطيه بمساندتها القدرة على مواصلة النضال من اجل تحقيق اهدافها العظمى .

ان قواعد الحياة فى الحزب ، تعطيه القدرة على تنقية فكره وسياسته ، فيزداد ارتباطه بالجماهير التى يجد فى مبادراتها الخلاقة ، وطاقاتها وحيويتها ، وقودا لحركته ، وتطوره المستمر نحو ما هو أكثر رقيا ، فى الفكر ، وفى السياسة ، وفى التنظيم ، وبقدر ما تحكم مبادىء التنظيم وقواعده حركة الحزب ، بقدر ماتتأكد قيادته للجماهير يوما بعد يوم ، ومن واقع ما تلمسه من حلول لمشاكلها الاقتصادية والاجتماعية ، حينئذ لا تكون قيادة الحزب للجماهير مسألة ذاتية تؤكدها صياغة نظرية مجردة ، وانما تؤكدها الحلول التى يقدمها الحزب للجماهير ، وتدعمها قدرته المتنامية على ان يكون فى طليعتها حقا .

لقد استطاعت قوى الثورة المتقدمة ان تقف بعد حركة ١٤ مايو وقفة مراجعة لكل العمل الثورى ، بهدف الاستفادة من اخطاء الماضى ، ولكى تبدا مرحلة جديدة من اعداد وتنظيم قواها ، ولتصحيح مسيرة الثورة ، وبالاستفادة من دروس الفترة الماضية تمكنت من تحديد أسلوب جديد للعمل ساعدها على أن تضع حدا للقيادات البيروقراطية القديمة العسكرية والمدنية ، ولتبدأ مرحلة جديدة من النضال الوطنى الديموقراطى ، وتحشد الجهود من أجل تحقيق مهام الثورة الوطنية الديمقراطية سياسيا واقتصاديا وعسكريا .

وفى البيانات السياسية للجبهة القومية ، وفى « الدراسة النقدية » التى أعدتها قيادة الجبهة القومية تحددت مهام الثورة فى عدد من القضايا الاساسية .. منها :

اولا – التنظيم السياسى والجبهة القومية :

● تحديد الارضية الطبقية لتنظيم الجبهة القومية حيث ظلت الى ما قبل ٢٢ يونيو دون تحديد لفكرها النظرى وأيديولوجيتها ، وعلى هذا الاساس بدأت عملية واسعة لتطهير تنظيم الجبهة القومية من العناصر الانتهازية والوصولية ، التى تمكنت من التسرب الى التنظيم خلال المرحلة الماضية تحت شعار كل الشعب « جبهة قومية » ، وعلى هذا الاساس تحددت الارضية الطبقية لتنظيم الجبهة القومية بقوى العمال والفلاحين الفقراء والجنود والبورجوازية الصغيرة المستجيبة لمهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، وأصبحت مهمة التنظيم السياسى بالتالى هى تصفية القوى الطبقية الخارجة عن هذا التحالف .

● وبعد تحديد الارضية الطبقية والفكرية للثورة ، تحددت قيادة التحالف الطبقى على

اساس « طليعة عمالية الالتزام » تقود قوى التحالف نحو استكمال مرحلة التحرر الوطنى الديموقراطى ، هذه القيادة تتبنى ايديولوجية الطبقة العاملة فى ظل تخلف وسائل الانتاج وقوى الانتاج ، حيث لا يشكل العمال المنتجون اكثر من ٢٠٠٠ عامل من مجموع عمال الخدمات البالغ عددهم ٤٥ الف عامل .

ثانيا ــ الدولة :

كانت قضية الدولة بالنسبة لليمن الجنوبية بعد ٢٢ يونيو مسألة اساسية ، حيث لابد ان تكون الدولة تعبيرا صادقا للمصالح المادية والروحية للقوى الطبقية الجديدة ، وصاحبة المصلحة فى الثورة ، ولقد كان هناك تناقض واضح بين طموح الثورة وما تريد ان تحققه ، وبين الاوضاع القديمة فى أجهزة الادارة بتشكيلاتها الفوقية وقوانينها ولوائحها الادارية ، وعلى هذا الاساس فقد حددت خطوة ٢٢ يونيو حل هذا التناقض بين مصالح قوى الجديد التى تعبر عن الثورة ، وبين قوى القديم التى تعادى الثورة ، وابرز القضايا التى حددها قادة الثورة فى اليمن الجنوبية هى :

● ان يكون تشكيل مؤسسات الدولة وأجهزتها من قوى التحالف الطبقى ، وذلك بتصفية نهائية لكل العناصر الخارجة عن هذا التحالف .

● تغيير كافة القوانين السابقة ووضع قوانين جديدة تثبت وتحمى مصالح العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة .

● العمل على أن تكون مشاركة الجماهير العريضة من العمال والفلاحين فى السلطة ، مشاركة حقيقية ، ويكون ذلك باقامة المجالس الشعبية ابتداء بالمجالس الشعبية والفرعية فى مختلف المحافظات ، وانتهاء بالمجلس الشعبى العام ، وتحقيقا لمبدأ الديموقراطية يجرى انتخاب المجالس الشعبية الفرعية ، ويشكل مندوبوها المجلس الشعبى الاعلى .

ثالثا ــ علاقة التنظيم بالدولة :

ولقدحسمت خطوة ٢٢ يونيو قضية العلاقة بين التنظيم والدولة ، بعد ان ظل الازدواج بينهما يعكس نفسه على العديد من المهام التى كان يمكن تحقيقها من أجل الجماهير ، فالفهم الخاطىء الذى وجد فى الماضى كان يعكس نفسه تماما على عملية الازدواج القائم بين التنظيم والدولة ، وهذا الفهم مؤداه ان الدولة تمثل شيئا ، وان التنظيم يمثل شيئا آخر ، والعلاقة الجديدة التى حددتها قيادة الثورة بعد ٢٢ يونيو ، هى العلاقة التى تربط السلطات ببعضها البعض ، باعتبارها مسألة اساسية فى فهم وحدة المصالح الطبقية لطبيعة اى تنظيم سياسى يقود دولة ، فالتنظيم السياسى الذى يقود تحالفا طبقيا لابد ان يعكس نفسه على طبيعة الدولة التى يقودها ، والتنظيم السياسى والدولة هما الساقان اللذان تسير عليهما الثورة ، التنظيم السياسى يرسم السياسة ويحدد الاهداف ، والدولة تقوم بتنفيذ هذه السياسة .

لقاء القوى الثورية

وكانت أهم الخطوات التى خطتها السياسة الجديدة بعد ٢٢ يونيو هى تعاون الجبهة القومية مع القوى التقدمية الاخرى التى تتفق معها فى الخط الايديولوجى العام ، وقد أعلنت هذه السياسة فى البيان الصادر عن القيادة العامة للجبهة القومية فى ٩ ديسمبر ١٩٦٩ ، على اثر الاجتماعات الموسعة التى شملت القيادة العامة وممثلى التنظيم فى المحافظات الست ، فى الفترة من ١١/٢٧ الى ١٩٦٩/١٢/٨ .

وقد حدد البيان بوضوح المبادىء التالية :

● أن تحقيق مهام الثورة الوطنية الديمقراطية يتطلب اقامة تحالفات طبقية للعمال والفلاحين الفقراء والجنود والبورجوازية الصغيرة مستجيبة مع الثورة الوطنية الديمقراطية ، بحيث تحشد هذه التحالفات الطبقية ، وتعبأ كافة امكانياتها فى جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية . فى جبهة وطنية تقدمية ، اطارها الجبهة القومية ، وتحت قيادة سياسية أيديولوجية واحدة ذات التزام عمالى ، تقود نضال هذه التحالفات ضد كافة الاعداء الطبقية والايديولوجية ، ويتحقق ذلك :

● على أساس برنامج واضح محدد الاهداف اليومية والتاريخية ، وذلك فى سبيل حل مشكلات الدولة والثورة لصالح التحالف الطبقى ، ونحو العمل الحازم والفعلى بالغاء كافة القوانين والتشريعات الرجعية والدكتاتورية وسن قوانين جديدة لصالح التحالف الطبقى .

● والعمل الحاسم الجاد لوضع كافة الترتيبات اللازمة لعزل كافة القوى الرجعية المعادية للثورة الوطنية الديمقراطية ومنعها من التخريب والتامر الذى يستهدف الاضرار بمصلحة الجماهير الفقيرة

وحقها فى التحرر من كافة أنواع الاستغلال الطبقى والايديولوجى ، والعمل الحاسم أيضا بنفس القدر وبذات المستوى على اطلاق حرية التنظيم النقابى للعمال والفلاحين الفقراء ، وللطلبة والشباب وجميع فئات الشعب المناضلة ، من أجل التحرر والديمقراطية والاشتراكية .

● والعمل على اقامة نظام ديمقراطى تتمتع فيه كافة القوى الطبقية ذات المصلحة فى الثورة الوطنية الديمقراطية ، بحق المشاركة فى الامور السياسية والاقتصادية من خلال اقامة مجالس شعبية فى عموم الجمهورية .

وحدد البيان أنه :

من اجل هذه المهام الكبرى فان **التنظيم السياسى للجبهة القومية يؤمن بضرورة لقاء كافة المناضلين الثوريين المخلصين بصدق فى سبيل المصالح السياسية والاقتصادية للقوى الطبقية المتحالفة صاحبة المصلحة فى الثورة فى اليمن الجنوبية ، فى المرحلة الراهنة ، فى وحدة سياسية وأيديولوجية واحدة .**

وقد بدت ملامح هذه السياسة الجديدة عند اعادة تشكيل الحكومة الحالية فى ٢٩ ديسمبر ١٩٦٩ ، فقد دخلها لاولمرة وزير ينتمى الى رابطة الشبيبة وهو **عبد الله عبد الرازق باذيب** وزيرا للتربية والتعليم ، ودخلها ايضا لاول مرة وزير ينتمى الى الجناح اليسارى فى حزب البعث وهو **أنيس حسن يحيى** وزيرا للاقتصاد والصناعة ، كذلك بدا اتجاه الى التعاون مع العناصر المخلصة فى جبهة تحرير الجنوب ــ القيادة الثورية ــ وقد كانت هذه السياسة الجديدة ثمرة حوار مع هذه القوى منذ ٢٢ يونيو ، والواقع أن هذه القوى قد التقت جميعا مع الاتجاه التقدمى فى الجبهة القومية منذ وقت طويل ، وبلغ هذا اللقاء قمته عقب انقلاب ٢٠ مارس ، ولذلك كان من الطبيعى أن تقف هذه القوى الى جانب خطوة ٢٢ يونيو ، ومنذ اللحظات الاولى أعلنت الشبيبة الديمقراطية « أن هذا التغيير (١٥) فى السلطة كان تغييرا ايجابيا وخطوة الى الامام ، وقد رحبت جماهير الشعب بهذا التغيير أملا فى أن يفتح آفاقا أوسع ويهيىء امكانيات أكبر ، أمام تلبية مطالب الجماهير وحل المشكلات الاكثر الحاحا وخصوصا المشكلة الاقتصادية »، وكانت الشبيبة الديمقراطية فى ١٤ يونيو ٦٩ من قبل تشكيل الحكم الجديد بأسبوع ــ قد قامت بدور ملحوظ فى تنظيم اضراب عام للطلبة للمطالبة بفرص تعليم أوسع ، واكتسب الاضراب أهمية كبيرة لانه كان من أبرز وأوسع الاضرابات التى شهدتها البلاد منذ الاستقلال ، ولانه جاء تعبيرا عن السخط الشعبى ضد السلطة السابقة التى واجهت الاضراب بالارهاب والقمع .. فقامت باعتقال عشرات الطلبة من مختلف الاعمار وفى مختلف المناطق ، وتعرض الكثيرون منهم للتعذيب .

كذلك كان حزب البعث فى اليمن الجنوبية قد ناقش حركة ٢٢ يونيو ، وقرر « دعم الحركة والعمل على تطويرها دون اشتراك فعلى فى السلطة ، وذلك لاعتبار أساسى وهو أن السلطة لم تحدد بصورة نهائية هويتها التقدمية » (١٦)، ولكن هذا التحفظ سقط بعد قرارات التأميم التى حددت هوية النظام القائم ، والتى وجد الحزب نفسه من أول لحظة ملزما ازاءها بتسخير كل طاقاته وقدراته فى سبيل انجاحها ، باعتبارها مكسبا حقيقيا لجماهيرنا اليمنية القادمة » (١٧) ..

كذلك وقفت العناصر المخلصة فى جبهة التحرير « القيادة الثورية » موقف التأييد ، وطالبت بالوحدة الوطنية بين كل القوى الوطنية ، ولقد دل ذلك على أن لقاء موضوعيا قد تم بالفعل بين هذه القوى التقدمية مع الاتجاه التقدمى فى الجبهة القومية ، والذى عبر عنه فى خطوة ٢٢ يونيو . ويعمل على تطهير التنظيم السياسى للجبهة القومية من العناصر الانتهازية التى تسربت اليه فى الفترة السابقة على ٢٢ يونيو ، ولقد كان اتجاه الجبهة القومية الى اعادة بناء تنظيمها السياسى بعد التفكك والتمزق الذى أصابه ــ فى نفس الوقت ــ الانفتاح على القوى التقدمية الاخرى ، ثم دعوته الى لقاء كافة المناضلين الثوريين ، من أجل تحقيق المهام الكبرى للمرحلة الراهنة التى تمر بها ثورة ١٤ أكتوبر تعبيرا عن المغزى التاريخى لخطوة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ .

والموضوع المطروح اليوم هو الوصول الى الصيغة الملائمة لتحقيق هذا التعاون .

---

(١٥) بيان من الشبيبة الديموقراطية بعد ٢٢ يونيو١٩٦٦ .
(١٦) بيان من حزب البعث فى اليمن الجنوبية بعد٢٢ يونيو ١٩٦٩ .
(١٧) بيان لحزب البعث فى اليمن الجنوبية بعد اعلان الجبهة القومية سياسة التعاون مع القوى التقدمية الاخرى .

القيادة العامة للجبهة القومية تقول : « ان الصيغة الملائمة هي اقامة جبهة وطنية تقدمية اطارها الجبهة القومية، وتحت قيادة سياسية وايديولوجية واحدة ذات التزام عمالي » ومن ثم تطالب بانصهار القوى الاخرى داخل الجبهة القومية ، وأن ذلك أفضل من جبهة وطنية قد تؤثر في فعالية القوى التقدمية .

وترى القوى التقدمية الاخرى وبصياغات مختلفة أن الجبهة الوطنية الديمقراطية والتي يقع على عاتقها انجاز مهام مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي ، ما زالت هي الصيغة المناسبة .

والواقع أن هذه القضية أكبر من أن تحسمها « صياغة نظرية لم يتضح أساسها المادي بعد وهي ليست قضية اليمن الجنوبية فقط ، وانما هي قضية الثورات الوطنية الديمقراطية المعاصرة ، وكل الثورات السابقة على ثورة اليمن الجنوبية لم تحسم فيها هذه القضية رغم وصولها الى صياغات نظرية ، أقل ما يمكن أن يقال فيها انها لم تثبت صحتها بعد ، هذا على الرغم من الاختلاف الكبير في ظروف هذه الثورات عن ثورة اليمن الجنوبية من حيث وضع القوى الاجتماعية ووضوحها، ومن حيث الواقع الاقتصادي والاجتماعي لبلدانها وهو أكثر تطورا . وهذا الخلاف في الوصول الى صياغة ملائمة، يعبر في ذاته عن حقيقة ان اللقاء الايديولوجي أمر لا يزال بعيدا عن الحقيقة ، والاعلان عن تبني الاشتراكية العلمية لا يكفي وحده ليكون أساسا لهذا اللقاء الايديولوجي، حقا . . ان فكرة « قيادة سياسية وايديولوجية عمالية الالتزام »، فكرة سليمة وملائمة لواقع اليمن الجنوبية ، لكن المشكلة تظل قائمة ما لم توضع معايير محددة لمن ينتسب الى هذه القيادة . فالجبهة القومية بوضعها الحالي كتنظيم جماهيري لم تتبلور بعد الى حزب طليعي ، و « الشبيبة الديمقراطية والجناح اليساري في البعث » يتبنى الاشتراكية العلمية ، وكذلك عدد من مناضلي جبهة التحرير ، بل ان الشبيبة الديمقراطية كانت دائما متعاونة مع الجبهة القومية في كفاحها ، ومن ثم فما هي مقاييس العضو الذي ينتسب الى الحزب الطليعي — خاصة في ظروف اليمن الجنوبية اليوم ، التي لم تنشأ فيها بعد طبقة عاملة بالمعنى العلمي — يمكنها أن تقود التحالف ، والطبقة العاملة في اغلبيتها الساحقة عمال خدمات ؟ والرأي الغالب هو أن شكل التعاون الحالي بين الجبهة القومية والقوى التقدمية الاخرى ، لا يزال حتى اليوم هو الشكل المناسب للمرحلة الحالية ، والصيغة الملائمة لهذا التعاون يمكن أن تتضح معالمها من خلال النضال المشترك والحوار الدائم الذي تدعمه النتائج الايجابية لهذا النضال ، ان القضية الجوهرية اليوم هي الا تنعزل الثورة بكل قواها التقدمية عن الجماهير التي طال انتظارها دون حل جوهري لمشكلاتها ، وبعد مضي ما يقرب من ثلاث السنوات على الاستقلال ، وكان ذلك أحد الاسباب الاساسية التي استغلها تمرد ردفان والعوالق في عام ١٩٦٨ .

ان ظروف تحديات التخلف والحصار، التي تمر بها ثورة ١٤ أكتوبر في اليمن الجنوبية ، تجعل من حل مشكلة واحدة صغيرة وتهم أوسع الجماهير ، أفضل عشرات المرات من جهود هائلة تبذل من أجل الوصول الى صياغة نظرية مجردة ، ومثل هذه المعركة الصغيرة وغيرها من المعارك التي توحد كل قوى التنظيم والدولة والمؤسسات الجماهيرية ، هي التي تخلق المناخ المناسب للوصول الى صياغة ملائمة للتعاون بين كل القوى الوطنية .

انه اذا صح ان معالجة مشاكل الديمقراطية هو بالمزيد من الديمقراطية ، فان معالجة مشاكل الوحدة هو بالمزيد من الوحدة التي لا تلغي الصراع ، وانما ليكون في خدمة الوحدة ، سؤالان يجب ان يكونا في الاذهان، **الاول** : هل حقق التعاون بين القوى التقدمية نتائج ايجابية أم لا ؟ **والثاني** : ماذا يمكن أن يحدث اذا فرضت صياغة محددة للتحالف ؟ .

لقد كسب الاتجاه التقدمي داخل الجبهة القومية، قبل ٢٢ يونيو بشهور ، وبعدها بشهور اخرى قوى تقدمية ووطنية ، آخرها اعلان القيادة العامة لجبهة التحرير تأييدها للوضع في اليمن الجنوبية ، ولا شك في الاهمية السياسية لهذا البيان (١٨) ، باعتباره احدى ثمرات الانفتاح على كافة القوى الوطنية والتقدمية . ولا شك أن مزيدا من التعاون بين كل القوى التقدمية سوف ينعكس على وحدة الجماهير الشعبية وعلى وحدة المؤسسات الجماهيرية والاجتماعية ، وقد حددت

---

(١٨) في ١٤ يناير ١٩٧٠ صدر بيان بتوقيع عبدالله علي عبيد وعلي احمد السلامي وعبد القوي مكاوي عن القيادة العامة لجبهة التحرير يعلن موافقته على قبول استقالة عبدالله الاصنج وسالم باسندوه . وهما اللذان كان مؤتمر قواعد جبهة التحرير قد قرر طردهما من القيادة والتنظيم في ١٠ يونيو ١٩٦٨ وقد اعتبر البيان أن هذا الموقف الذي اتخذته قواعد جبهة التحرير يشكل منعطفا تاريخيا هاما وقد طالب البيان بلقاء كل القوى الثورية في اليمن الجنوبية وأعلن عن استعداد اعضاء القيادة العامة وعلى رأسها الامين العام التخلي عن مناصبهم .

القيادة العامة للجبهة القومية في بيانها السياسي الصادر في ٩ ديسمبر ١٩٦٩ « العمل الحاسم على اطلاق حرية العمل النقابي للعمال والفلاحين الفقراء والنساء والطلبة والشباب وجميع فئات الشعب المناضلة من أجل التحرر والديمقراطية والاشتراكية » .

الحركة النقابية

تعتبر الحركة النقابية في عدن ظاهرة سياسيه ـ اجتماعية لها أهمية خاصة ، حيث نشأت بعد الحرب العالمية الاخيرة ، ولقد اعترف بحق العمل النقابي منذ عام ١٩٤٢ ، ولكنه ظل حتى عام ١٩٥٢ محصورا بالعمال الاوروبيين ، وكانت النقابة الوحيدة المعترف بها حتى ذلك الحين هي « **جمعية ملاحي المرفأ** » التي كانت تضم ١١ ملاحا كلهم أوروبيون ، والظاهرة الملفتة للنظر هي التطور الهائل للحركة النقابية في عدن منذ قامت هذه النقابة ، فنشاهد بين ١٩٥٢ وعام ١٩٥٤ ، تكوين أندية عمالية في بعض المنشآت تطالب بتحسين أحوال العمال ، وبسرعة تحولت الاندية العمالية الى نقابات فعلية ، وكان اول النقابيين من الفنيين والمستخدمين في شركة الخطوط الجوية العدنية ، وكذلك من جهاز العاملين المدني في القاعدة الجوية ، وشكلوا ثلاث نقابات مستقلة .

وابتداء من عام ١٩٥٥ تزايد عدد النقابات تزايدا هائلا ، فقد بلغ عددها ١٢ نقابة في نهاية تلك السنة ، و٢٥ نقابة في السنة التالية ، ولم يكن سوى وجود مؤقت ، وبلغ عددها ٣٢ نقابة سنة ١٩٦٢ تضم ٢١٤٠٠ عضو .

ويبين الجدول التالي الازدياد الهائل للمنظمات العمالية ، سواء من حيث عدد النقابات أو من حيث عدد الاعضاء .

سنة	عدد النقابات	عدد الاعضاء
١٩٥٢	١	١١
١٩٥٢ ثم ١٩٥٤	٣	١٣٣٨٨
١٩٥٤ — ١٩٥٦	٣٥	—
١٩٥٦	٢٥	—
١٩٥٧	٢٦	١٣٦٠٠
١٩٥٨	٣٣	١٣٦٩١
١٩٥٩	٣١	١٥٨٢٧
١٩٦٠	٢٥	١٥٩٠٥
١٩٦١	٣٠	١٩٠٧٥
١٩٦٢	٣٢	٢١٤٠٠

وكانت ضآلة عدد العمال النقابيين سنة ١٩٥٢ يعود الى رفض الجمعيات النقابية الاجنبية قبول انتساب العمال الوطنيين ، فضلا عن العقبات التي كان أصحاب العمل يضعونها أمام العمال .

وفي ١٩٥٥ كانت معظم هذه العقبات التي وضعها اصحاب العمل قد أزيلت فتزايد انتساب العمال الى النقابات ، ولكن وبالرغم من ذلك فقد كانت نسبة العمال المنتسبين الى النقابات حتى عام ١٩٦٢ ، ٢٥ في المائة من مجموع العمال .

وقد نشأت الحركة النقابية العدنية وبها ثلاثة اتجاهات ، الاتجاه الاول : ويمثله « **المؤتمر العمالي العدني** » والاتجاه الثاني : وهو اتجاه النقابات الحرة ، والاتجاه الثالث : وكان ينطق بلسان النقابات المستقلة .

وكان « المؤتمر العمالي العدني » تجمع عمالي وطني ، وكان يتمتع بنفوذ كبير . أما « اتحاد النقابات الحرة » الذي قام لمواجهة « المؤتمر العمالي العدني » فكان يعتبر نفسه مهنيا صرفا ، وكان لا يضم سوى بضع نقابات ، ولم تكن له أهمية خاصة ، والمستقلون ، وكانوا في أغلبهم من الموظفين الاجانب في الشركات الاجنبية أو الموظفين الاجانب في الادارات الاستعمارية .

ومنذ اللحظة الاولى لنشأة الحركة النقابية ، نشأ الصراع بين « المؤتمر العمالي العدني » ، وبين النقابات الحرة والمستقلة ، وبدأ الصدام وتطور ، وطنيا واجتماعيا ، حيث النقابات الاولى والثانية تدافع عن هجرة الاجانب الى عدن وتقف الى جانب الاحتلال البريطاني ، ومع تطور الحركة الوطنية أصبحت الحركة النقابية جزءا اساسيا منها .

وفي عام ١٩٥٧ كان اتحاد النقابات أكبر منظمة شعبية في عدن ، وكانت له صحيفة ناطقة باسمه باسم « العامل » كانت تنشر اسبوعيا مقالات مطولة حول النقابات والحركة النقابية ، وحول شروط حياة العامل وحول وضع المرأة وحول الوضع الداخلي في الجنوب والشمال ، وقام الاتحاد بحملة عنيفة ضد الهجرة وضد غلاء المعيشة عام ١٩٥٨ ، وعندما قررت سلطات الاحتلال في سبتمبر ١٩٦٠ أن تسن تشريعا جديدا يمنع الاضراب ، ويفرض التحكيم في خصومات العمل ، عارضت صحيفة العامل بجرأة هذه الاجراءات ، وعلى أثر الاصطدامات الدامية بين العمال المضربين المتظاهرين ، وبين الشرطة ، أغلقت الصحيفة ولوحق جهاز التحرير المؤلف غالبيته من النقابيين بتهمة التحريض على مخالفة النظام ، وبفضل انتساب المنظمة الى اتحاد نقابات العمال العرب والاتحاد

الدولى ، استفادت من تضامن المنظمات العمالية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

وكانت نشأة الحركة النقابية سابقة على نشأة الحركة الوطنية فى عدن ، وقد قامت الحركة النقابية على أكتاف بعض المهاجرين الوطنيين الذين كانوا فى انجلترا يعملون بحارة أو عمالا ، وتبعا لذلك نشأ احتكاك دائم بينهم وبين الاوساط العمالية الانجليزية ، وبصفة خاصة مع حزب العمال البريطانى ، ومع أفكاره السياسية والنقابية ، وقد ساهم مع العائدين من الشاطىء الفرنسى الصومالى « **جيبوتى** » فى تكوين الحركة النقابية فى اليمن الجنوبى ، وقد استمر تطورها على المستويين الاجتماعى والسياسى فى ظل تخلف الحركة الوطنية فى اليمن الجنوبى ، حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو فى مصر ، التى كان لانتشار تاثيرها فى كل أنحاء الوطن العربى ، أثره الواضح على وضع الحركة الوطنية فى اليمن الجنوبى ، فلقد حاول اتحاد النقابات أن تستمر قيادته للحركة الوطنية والنقابية معا، لكنه لم يصادف الا نجاحا جزئيا ، وخاصة لدى الروابط المشبوهة، وكانت الحركة الوطنية تنمو متأثرة بنجاحات ثورة ٢٣ يوليو السياسية والاجتماعية ، بينما ظلت قيادة الحركة النقابية على صلتها بحزب العمال الانجليزى ، ولهذا اعترضت على تكوين جبهة وطنية فى المؤتمر الذى عقد بالقاهرة عام ١٩٦١ و١٩٦٢ ، وضم ممثلين عن : النقابات العدنية ، وحركة القوميين العرب ، والاتحاد اليمينى ، وحزب البعث العربى الاشتراكى (فرع اليمن والجنوب) .

لقد حاول المؤتمرون أن يخلقوا جبهة وطنية، الا أنهم لم ينجحوا فى ذلك ، وقرر الاتحاد المركزى للنقابات عشية مؤتمر لندن فى يوليو ١٩٦٢ ، تأسيس حزب جماهيرى « **حزب الشعب الاشتراكى** » ، واعلن بعد ذلك معارضته للكفاح المسلح الذى اعلنته الجبهة القومية عام ١٩٦٣ ، ومنذ ذلك الحين بدأت قيادة اتحاد نقابات عدن تفقد سيطرتها تدريجيا على الحركة النقابية ، وبدأت الجبهة القومية تفرض قيادتها للحركة النقابية ، نتيجة لقيادتها للثورة المسلحة ضد الاستعمار . ولاول مرة فى تاريخ الحركة النقابية فى اليمن الجنوبية يتكون اتحاد للعمال خارج عدن وفى غير ارتباط بالمؤتمر العمالى العدنى ، فى اوائل عام ١٩٦٦ ، هو اتحاد عمال حضرموت. وفى أواخر عام ١٩٦٦ انسحب من مؤتمر عدن العمالى ست نقابات ، هى « البترول والطيران والميناء والمواصلات والبنوك والقوات المسلحة، واطلقت هذه النقابات على نفسها اسم« **مؤتمر النقابات الست** » . ومع بداية عام ١٩٦٧ تم التنسيق بين اتحاد عمال حضرموت ومؤتمر النقابات الست ، وشكلا معا نواة الاتحاد العام لعمال جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية .

لقد التحم نضال العمال مع بقية تشكيلات الثورة المسلحة بقيادة الجبهة القومية ، بدخول العمال كافة التشكيلات السياسية والعسكرية للثورة ، وكان أبرز المساهمات للحركة النقابية تحت قيادة الجبهةالقومية، التى احتلت عناصرها النقابية مراكز هامة فى الحركة النقابية . كان الاضراب السياسى العام فى اكتوبر ١٩٦٢ والاضراب السياسى العام فى يناير ١٩٦٧ ، واستمرت مشاركة العمال فى النضال السياسى والمسلح حتى انتزاع الاستقلال ، وقيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية .

دور الحركة النقابية فى المرحلة الحالية فى اليمن الجنوبى

والمهام الاساسية التى تناضل الحركة النقابية فى اليمن الجنوبية تتحدد فى مقدمة الدستور الذى يناقشه الاتحاد العام لعمال جمهورية اليمن الجنوبية فى (١٩) :

● استكمال تنظيم القوى المنتجة من عمال مهنيين وزراعيين على أسس نقابية سليمة ضمن الاتحاد العام لعمال الجمهورية ، سيرا نحو تحقيق وحدة الطبقة العاملة شمالا وجنوبا .

● احداث تغيير فى بنية الاقتصاد الوطنى وتحويله من اقتصاد خدماتالى اقتصاد انتاجى ، وذلك عبر استثمار الطاقة العمالية وتوظيفها ، ضمن خطة التصنيع لصالح المضمون الاجتماعى لثورة ١٤ اكتوبر بقيادة الجبهة القومية .

● التزام الحركة النقابية بالاشتراكية والفكر الاشتراكى العلمى ، من أجل بلورة مهمتها التى لا تقوم لخدمة الطبقة العاملة فى كلأطوارها بصورة جامدة ، وانما لتمثيل مصالحها بمجملها .

---

(١٩) تناقش النقابات العمالية دستورا يحدد أهدافالحركة النقابية وينظم العلاقات بين النقابات المختلفة وبين الاتحاد العام .

● المحافظة على المكاسب العمالية الاساسية عبر توفر أجواء ديموقراطية ، ومواصلة الطبقة العاملة لنضالها ، لتصفية كافة أشكال الاضطهادات الطبقية ، واستغلال الانسان لاخيه الانسان .

● ان الحركة النقابية لم تعش بمعزل عن التطورات التى حدثت اثناء مرحلة التحرر الوطنى ، ومرحلة ما بعد الاستقلال ، فلقد عاشت الحركة النقابية معركة التحرير ، واتجهت بعد الاستقلال للاعداد والتوجيه لمعركة البناء ، وقامت باحداث تغييرات أساسية منها :

● حدث تغيير فى بنية الحركة النقابية تنظيميا ، حتى اصبح التنظيم النقابى يشمل كافة مناطق الجمهورية ، تحت لواء الاتحاد العام لعمال جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، بدلا من مؤتمر عدن للنقابات سابقا .

● بروز المؤتمر العام كسلطة تشريعية للاتحاد العام ، حيث كفل تمثيل العمال فى النقابات بأوسع عدد ، تجسيدا للقيادة الجماعية .

● وضع دستور واعتباره مدخلا لتغير النظم الاساسية واللوائح التنظيمية للنقابات ، بما يتفق ومحتوى هذا الدستور لضمان توجيه الحركة النقابية .

ويحتوى الدستور على ٣١ مادة ، تحدد اسم الاتحاد ومقره وأهدافه ، والعضوية ، والانسحاب والفصل ، كما تحدد علاقات النقابات الاعضاء والفروع بالاتحاد العام ، ودور المؤتمر العام والمجلس المركزى ، واللجنة التنفيذية ، ورئيس الاتحاد ، كما يتضمن الدستور تشكيل المكاتب المختلفة ويحدد دورها .

وكان المجلس المركزى للاتحاد العام لعمال جمهورية اليمن الجنوبية قد أقر برنامج عمل مرحلى فى نوفمبر ١٩٦٨ يتضمن النقاط الاساسية الاتية :

● احداث تغيير جذرى فى العلاقات التنظيمية ضمن اطار الاتحاد العام بما يتفق وطبيعة المرحلة الحالية .

● تشكيل مراقبة عمالية على الدوائر والوزارات والمؤسسات ، وخنق كل تخريب أو تبديد لصالح الشعب والحيلولة دون انحراف الاجهزة الادارية .

● اشراك العمال فى تسيير أمور الادارة دفعا بهم للشعور بمسئوليتهم وممارستها .

● سن التشريعات العمالية التى تضمن للعامل حقوقه والتى تتلاءم وطبيعة المرحلة ، ومشاركة الحركة العمالية فى سن كافة القوانين والتشريعات التى تهم الطبقة العاملة والتى تتبناها الدولة .

● الاسهام فى التنمية الاقتصادية وتحرير الاقتصاد الوطنى من الاحتكارات المحلية المرتبطة بها ، توجها نحو ايجاد اقتصاد انتاجى من خلال التخطيط لاية مشاريع اقتصادية ، وتبنى مشاريع زراعية .

● قيام اتحاد للفلاحين كتنظيم يضم جميع الفلاحين فى الجمهورية ويرتبط أساسا بالاتحاد العام للعمال .

ويأتى هذا كله من خلال فهم طبيعى وموضوعى من جانب الدولة لدور الحركة العمالية ، وضرورة افساح المجال أمامها للمشاركة مع الجهاز الادارى ، وضرورة وجود تفاعل دائم وخلاق بين العمال والجهاز الادارى .

الحركة التعاونية فى جمهورية اليمن الجنوبية

والحركة التعاونية فى اليمن الجنوبية مازالت ضعيفة الى حد بعيد ، ويرجع ذلك الى أن البلاد قبل الاستقلال كانت ومازالت ، عبارة عن مقاطعات مبعثرة ، شكلت ما يمكن تسويته بالمجتمعات الصغيرة ، وتشكل صعوبة المواصلات وبدائيتها عاملا هاما فى ضعف الحركة التعاونية ، واذا كان التعاون فى مفهومه العام هو توحيد الموارد والقدرات الخاصة لمجموعة من الافراد ، وتنسيقها فى مجهود واحد مشترك فى مختلف الظروف ، فان التعاون جاء فى بعض المناطق بعدد محدود من الجمعيات ، وكانت هذه الجمعيات فى معظمها جمعيات غير انتاجية ، لتكون نهبا للوسطاء والمرابين ، وقد نصب السلاطين وحكام العهد البائد أنفسهم رؤساء لهذه الجمعيات أو موجهين لها لتسخيرها لمصلحتهم .. ويمكن تلخيص نقاط الضعف فى الحركة التعاونية بشكل عام فى :

● قصور التشريع التعاونى المعمول به حاليا لعام ١٩٦٦ .

● تأثير حكام وسلاطين العهد البائد سابقا ، وسيطرة كبار الملاك حاليا على الجمعيات التعاونية .

● عدم وجود الدعم المالى لهذه الجمعيات من قبل الحكم السابق ، مع انعدام وجود المؤسسة المالية لدعم الجمعيات الزراعية والسمكية لتطويرها الى مراحل ارقى مما هى عليه الان .

● عدم توفر الجهاز القادر والمدرب على تنظيم الحركة التعاونية .

● ضعف الوعى الاجتماعى وتفشى الامية فى الارياف وعدم تأثير او وجود بعض الوزارات فى الريف .

واذا كانت مرحلة ما قبل الاستقلال وما تعيشه الحركة التعاونية حاليا لم يحقق الا تطورا ضئيلا لهذه الجمعيات ، فان مرحلة البناء تتطلب انشاء قطاع تعاونى قادر ونشيط يساهم فى المجهود الوطنى من اجل التنمية الزراعية ويساعد على ازالة العلاقات القبلية والشبه اقطاعيه السائدة فى الريف ، ومن خلال التحول الديموقراطى الذى يجرى فى اليمن الجنوبية ، ومن خلال الشكلين الاساسيين لحل المسألة الزراعية وهما :

● شكل ملكية الدولة ، ومباشرة الدولة لوسائل الانتاج الخاصة بالطبقات الاستغلالية والابقاء على المؤسسات الحيوية العامة فى يد الدولة بطريقة مباشرة .

● شكل الملكية التعاونية .. وتاتى نتيجة للاتحاد التعاونى الاختيارى لاستثمارات الفلاحين والحرفيين فى استثمارات اكبر وتكون وسائل الانتاج ملكية عامة تشترك فيها الدولة .

وفى كلتا الحالتين تقوم الدولة بالاشراف على الشكلين من الملكية ، ويرى المسئولون عن التعاون بضرورة القيام بتحولات تدريجية من اجل الوصول الى شكل الملكية التعاونية ، ويتوقف ذلك على مقدار الدعم الذى تقدمه الدولة ، والوضوح الفكرى ، ومازال القانون المعمول به حاليا لتسيير الجمعيات التعاونية ، هو قانون التعاون لعام ١٩٦٦ ، والذى يطبق فى المحافظة الاولى والثانية والرابعة ولا يسرى من الناحية القانونية على المحافظة الخامسة والسادسة .

● **الجمعيات التعاونية الاستهلاكية :**

التعاون الاستهلاكى محدود جدا وقاصر كما وكيفا ، وتوجد فى كل أنحاء الجمهورية ٣ جمعيات تعاونية استهلاكية ، تقدم احداها خدمات مقصفية ، والآخريين تقدمان خدمات دكانية تباع فيهما السلع الاستهلاكية المحدودة ، ويقتصر وجود هذه الجمعيات على المحافظة الاولى فقط « عدن » والعضوية فى هذه الجمعيات لا تزيد عن ٥٠٢ عضوا ، وحجم تعاملها لا يزيد عن ١٢٠٠ جنيه .

● **جمعيات التوفير المدرسية :**

منذ عام ١٩٥٦ انتشرت جمعيات التوفير المدرسى حتى بلغ عددها ٣٧ جمعية ، وعدد اعضائها ٣٩٢١ عضوا وجملة توفيراتها ١٫٨٨٣٫٧٩٧ جنيها ، وقد وقف نشاط عدد كبير من هذه الجمعيات لاسباب مختلفة ، وبعض هذه الجمعيات متناثرة فى أربع محافظات .

● **جمعيات منتجى الخضر والفواكه :**

ويبلغ عدد هذه الجمعيات ١١ جمعية موزعة على المحافظات الاربع [الاولى ـ الثانية ـ الثالثة ـ الرابعة] وتبلغ عضويتها ٧٨١٩ عضوا ، وجملة اموالها ٨٢٠٢٨ جنيها ، وتقوم هذه الجمعيات حاليا بتوريد انتاج اعضائها من الخضر والفواكه الى الاتحاد التعاونى ، حيث يتم تسويقه ، وهى لا تزال قاصرة على تقديم خدمات تسويقية فى أضيق الحدود .

● **جمعيات الصيادين :**

الاسماك احدى موارد الثروة القومية ، الغير مستغلة ، واكثر جمعيات اليمن الجنوبية أهمية اكثرها جمودا ، وقد تم تأسيس خمس جمعيات لصائدى الاسماك ، جمد منها ثلاث لاسباب كثيرة اهمها :

● انها قامت على أساس ان تكون جمعيات توفير لا جمعيات انتاج .

● ونتيجة لذلك لم تستطع هذه الجمعيات بتوفيراتها المحدودة ، ان توفر امكانيات آلية للصيد ، فبقيت نفس وسائل الصيد المستخدمة ، وبقى دخل الصياد محدودا مما جعله يمتنع عن التوفير فى هذه الجمعيات .

وجمعيات الصيادين من حيث اهميتها فى البناء التعاونى ، تمثل الاهمية الثانية ، ورغم ذلك فمازال عدد اعضائها لا يزيد عن ٢٩٤ عضوا ، وجملة اموالها ٣٦٥٦ جنيها فقط ! .

● **جمعيات منتجى القطن التعاونية :**

ويبلغ عدد هذه الجمعيات ٩ موزعة على المحافظات الاولى والثانية والثالثة (فى الاولى جمعية واحدة) ، وهذه الجمعيات تعانى من نفس

الصعوبات التى تعانى منها جمعيات منتجى الخضر والفواكه .

● **جمعيات تسويق المحروقات :**

وتقوم هذه الجمعيات بأعمال استهلاكية من نوع خاص ، هو القيام بدور تاجر التفارين للمحروقات والسجاير ، وقد استطاعت تلك الجمعيات على الرغم من انشائها حديثا ، كسر احتكار بيع المحروقات والسجائر فى المحافظة الثانية ، وتوجد جمعيتان - احداهما فى المديرية الجنوبيه والثانية فى المديرية الشمالية من المحافظة الثانيه . ويبلغ عدد اعضائها ٢٩٤ عضوا ، واجمالى اموالها ٩٥٩١ جنيها ، وبلغت قيمة الاموال المتداولة فيها ١٠٠ر٠٠٠ دينار .

● **جمعيات متنوعة :**

الى جانب هذه الجمعيات توجد فى اليمن الجنوبية :

● جمعية واحدة للرى .

● جمعية واحدة لبائعى اللحوم .

● جمعية واحدة للدواجن .

ومن الواضح أن الجمعيات التعاونية فى جمهورية اليمن الجنوبية تعانى بشكل أساسى من ضعف رأس المال .

تعاونيات المحافظة الخامسة

ولاسباب التفكك الادارى فى اليمن الجنوبية قبل الاستقلال ، فان ادارة التعاون تم انشاؤها فى الخمسينيات بصورة منفصلة عن الادارة المركزية ، فى المحافظة الاول « اتحاد الجنوب العربى » سابقا ، وفى المحافظة الخامسة ١٤ جمعية على النحو التالى :

٨ جمعيات زراعية متعددة الاغراض .

١ جمعية منتجى القطن .

٢ جمعية صيادين .

١ مقصف مدرسى .

وتواجه هذه الجمعيات نفس الصعوبات التى تواجهها الجمعيات الاخرى ، والتى تحد من نشاطها ، وأهمها ضعف الموارد المالية ، وضعف الكادر الفنى والجهاز الادارى .

وفى المحافظة السادسة تم تأسيس أول جمعية زراعية فى اوائل عام ٦٩ ، وأخرى فى نهاية عام ١٩٦٩ . ويلاحظ أن هاتين الجمعيتين لهما نشاط واسع وكبير .

الحركة النسائية فى اليمن الجنوبية

فى عام ١٩٥٤ ، وبعد اشتراك بعض نساء عدن فى مظاهرة وطنية ضد الاحتلال البريطانى ، قام تشكيل أول ناد نسائى ، وسريعا ما انتهى هذا التشكيل حين تبنى شعار « عدن للعدنيين » ، وتكونت فى نهاية العام نفسه « جمعية المرأة العربية » ومع بداية عام ١٩٥٥ كان فى عدن جمعيتان للمرأة ، « **جمعية المرأة العربية** » وأعضاؤها من أصول شعبية ، و « **جمعية المرأة العدنية** » وكانت تضم نساء العائلات الكبيرة .

وانعكس تطور الحركة الوطنية باتجاهاتها المختلفة على الصراع داخل الحركة النسائية والتى كانت تمثلها هاتان الجمعيتان النسائيتان .

وبقيام الثورة المسلحة بقيادة الجبهة القومية ، واشتراك عدد من النساء فى الكفاح المسلح ، وفى مساعدة الثوار ، ونقل المنشورات والاسلحة الى المناضلين والجماهير ، تغير اسم « جمعية المرأة العربية » الى « **اتحاد نساء اليمن** » وقد جاء هذا الاتحاد كبديل لكل الصيغ التقليدية التى حكمت العمل النسائى قبل الاستقلال . وقد بدأ عمليا يخطو خطوات ايجابية لتأسيس حركة نسائية ذات أهداف تقدمية .

وقد استطاع اتحاد نساء اليمن فى جمهورية اليمن الجنوبية ، رغم حداثة تكوينه ورغم الحياة المعنة فى تخلفها ، والتى تحياها المرأة هناك أن يلعب دورا ملحوظا .

● قام الاتحاد بتدريب مجموعات من أعضائه على حمل السلاح .

● يقيم الاتحاد ندوات ومحاضرات بهدف تعريف عضوات الاتحاد بدور المرأة .

● استطاع أن ينضم الى الاتحاد النسائى العربى ، واشترك فى بعض مؤتمراته كعضو عامل ، كما استطاع أن ينضم الى الاتحاد النسائى الديموقراطى .

ونتيجة لنشاط اتحاد نساء اليمن خرجت المرأة لاول مرة لتعمل فى التمريض وأعمال السكرتارية ، وكان هذا فى ذاته قفزة هائلة فى حياة المرأة هناك فلقد أصبح لها حق العمل ، وهى التى ظلت حتى مالا يزيد عن عام واحد ولم يكن لها الا حق الانجاب فقط .. وتنجب ذكورا وليس اناثا .

عقبات أمام المرأة

ان المرأة فى اليمن الجنوبية مازالت تعيش وضعا اجتماعيا ممعنا فى تخلفه ، ومازال امامها الكثير حتى تنهض من تخلفها هذا ، المرأة مازالت تسخر كلية لخدمة الرجل ، وعملها لايتعدى حدود منزله ، تقوم بخدمته وتنجب له الاطفال. ومازال هناك أغلبية ساحقة من الرجال يؤمنون بان المرأة ليست سوى متاع للذة ، يحرمونها حتى من الخروج الى الشارع أو الاشتراك فى أندية رياضية أو ثقافية أو سياسية ، وحين فكرت وزارة الثقافة فى اشراك النساء فى الحياة العامة ، لم تستطع ازاء القيم الاجتماعية السائدة الا أن تخصص يوما واحدا فى الاسبوع للحضور الى النادى ، ومع ذلك فان هذه التجربة لم تستطع أن تجذب الا عددا قليلا من النساء .

ويناضل الاتحاد من أجل :

● اشراك المرأة فى كافة الانشطة والقطاعات الاقتصادية .

● اشراك المرأة فى المجلس الشعبى الاعلى والمجالس الشعبية الفرعية وفى عضوية المحاكم الشعبية ، وعضوية الهيئات القيادية للمنظمات الجماهيرية ، وعضوية التنظيم السياسى للجبهة القومية .

● فتح مدارس لمحو أمية النسوة اللواتى حرمن من حقهن فى التعليم ، وفرض التعليم الاجبارى على كل الفتيات اللاتى فى سن الدراسة وفى كافة مراحل التعليم .

ويطالب الاتحاد بسن القوانين والتشريعات التى تكفل وضعا انسانيا للمرأة بالنسبة للرجل فى حياتها الزوجية وذلك :

● بتحديد سن الزواج بدلا من السن المبكرة للفتاة .

● أخذ رأى الفتاة عند تزويجها .

● تحديد نسبة معينة للمهر وذلك للحد من استغلال الآباء فى بيع بناتهم .

● منع تعدد الزوجات منعا باتا الا فى حالة اقتناع الزوجة بذلك .

● الا يتم الطلاق الا عن طريق قاض شرعى تتوفر له القناعة التامة للطلاق .

ان المرأة تنتظر عددا من الاجراءات الثورية التى تنهض بها من الاغلال التى ترسف فيها .

المشاكل الاجتماعية فى اليمن الجنوبية

مشكلة البطالة

يبلغ عدد سكان اليمن الجنوبية مليونا ونصف مليون نسمة موزعين على امتداد شاسع لا تصل فيه كثافة السكان فى الميل المربع الواحد لاكثر من ١٣ شخصا . ثلثاهم يعتمدون على الزراعة ، ومعظمهم من القبائل التى تعمل بالرعى الى جانب الزراعة ، ويسكن باقى السكان على الساحل . فى مدن صغيرة أكبرها عدن ، التى يصل عدد سكانها حوالى ١٥٠ الف نسمة، ويلى عدن.. المكلا وهى عاصمة حضرموت التى يبلغ سكانها حوالى ٥٠ الف نسمة .

من مجموع السكان يصل عدد القوى العاملة الى حوالى ٣٥٠ الف نسمة ، ويبلغ المتعطلون فى المدن فقط أكثر من ٣٠ الف نسمة ، زاد عليهم حوالى ٥ الاف شخص نتيجة انخفاض التوظيف فى الخدمات المحلية ويضاف الى هذا العدد ١٥ الف شخص على أقل تقدير ، تعطلوا على العمل بعد انسحاب الادارة البريطانية والمعسكرات ،

والى جانب ذلك كله ، توجد اعداد اخرى تضاف الى هذا العدد الهائل من العاطلين، اعداد أخرى تتزايد يوما بعد يوم نتيجة الخطر الذى يتهدد ميناء عدن ، بعد قفل قناة السويس ، وانتعاش الموانى الاخرى كالحديدة فى اليمن وجيبوتى فى الصومال .

ولا تستطيع الحكومة أن تقدم حلا عاجلا لهذا الجيش الهائل من العاطلين . فالهبوط فى الموقف الاقتصادى يظهر أثره فى شكل عجز ضخم فى ميزانية الدولة ، ورغم الحد من المصروفات الادارية وتخفيض المرتبات ، واقتطاع يوم من المرتبات ، فان العجز فى الميزانية يصل الى خمسة ملايين من الجنيهات .

مشكلة التعليم

ترك الاستعمار اليمن الجنوبية والامية فيها قد بلغت نحو ٩٥ فى المائة من مجموع السكان . فقد كان عدد المدارس الابتدائية ٣٥ مدرسة ، بها ٥٠٧٣ تلميذا و ٣٦١٧ تلميذة ، وعدد المدارس الاعدادية ١٦ مدرسة بها ٣٠٤٨ تلميذا و ٧١٥

تلميذة ، وعدد المدارس الثانوية ٧ بها ١٠٨٣ تلميذا و ٢٣١ تلميذة ، ومدرسة فنية واحدة بها ٣٠٠ تلميذ ، ومركزان لتدريب المعلمين بهما ٢٦ طالبا، و١٥ طالبة، (٢٠) . وتقول آخر احصائيات قبل الاستقلال ، ان نسبة الطلبة الى السكان فى مراحل الابتدائى والاعدادى والثانوى كان ٦ر٦ فى المائة فى عدن فى سنة ٦٥ ـ ٦٦ مقابل ٤ فى المائة فقط فى الولايات الاخرى .

وحتى ندرك المستوى التعليمى نجد الاحصائيات تشير الى نسبة المعلمين بأن المدربين وغير المدربين الذين أنهوا المرحلة الثانوية وكانوا يدرسون فى المدارس الابتدائية والمتوسطة فى ولاية عدن لم يزيدوا عن ٣٩ فى المائة ، وأن نسبة هؤلاء الذين يقومون بالتدريس فى المدارس الثانوية والعالية وتدريب المعلمين كانت أقل من ٢٨ فى المائة ، وذلك فى سنة ١٩٦٦ ، أما نسبتهم فى مدارس الولايات فكانت فى حدود ٥ فى المائة ، أى أن غالبية المدرسين فى مختلف مراحل التعليم الموجودة ، كانت مؤهلاتهم أقل من اتمام الدراسة الثانوية ، ولم يكن الاستعمار يسمح بالتعليم فى الخارج ، فمن كان يحصل على منحة دراسية من الموظفين كان يوقف صرف مرتبه ، واذا كانت مدة الدراسة سنتين فأكثر ألزم بالاستقالة من عمله .

ولقد زاد عدد المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية منذ عام ١٩٥٩ حتى عام ١٩٦٧ قبل الاستقلال ، لكن هذه الزيادة لم تؤثر فى حجم مشكلة الامية أكثر من ١ فى المائة .

ولقد كانت مشكلة التعليم احدى المشاكل الاساسية التى واجهتها الثورة بعد الاستقلال ، وفى العام الدراسى الحالى دخل الصف الاول الابتدائى ٣٢ ألف طفل من بينهم ٥ آلاف طفلة ، وقد سجلت احصائيات وزارة التربية والتعليم زيادة ملحوظة فى عدد مدارس المحافظات المسجلة فى العام الدراسى ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩، سجلت ازديادا من ٢٧٦ مدرسة للبنين و ٣١ مدرسة للبنات فى المرحلة الابتدائية فى عام ٦٦ ـ ٦٧ قبل الاستقلال الى ٥٤٨ مدرسة للبنين و ٥٤ مدرسة للبنات فى العام المنصرم .

والمدارس الموجودة فى الارياف ما تزال على شكل « **كتاتيب** » ويجرى تحويلها تدريجيا الى مدارس ، والملاحظ أن هذا الارتفاع فى التعليم ، أحد أسبابه الرئيسية هو تعاون الاهالى مع الوزارة ، على أساس أن يقوم الاهالى ببناء مدارس حديثة على نمط مبانى وزارة التعليم ، وتقوم الوزارة بتزويد المدارس بالكتب والمدرسين .

وقد وضعت وزارة التربية والتعليم خطة خمسية ، فى محاولة للتغلب على المشاكل التى تعترض التوسع فى قاعدة الهرم التعليمى فى الصف الاول فى المرحلتين الابتدائية والاعدادية .

الخدمات الصحية

تشير آخر احصائية لوزارة الصحة فى اليمن الجنوبية ، الى انه كان فى عام ١٩٦٥ ، ٤ مستشفيات يتردد عليها ٤٠ ألف نسمة ، ويصرف عليها ١١٠ر١ مليون دينار ، وفى ١٩٦٦ كان عدد المستشفيات ٥ يتردد عليها ٩٠ ألف نسمة ، ومخصص لها فى الميزانية ١٨٠ر١ مليون دينار ، وفى سنة ١٩٦٧ زادت المستشفيات الى ٦ يتردد عليها ٧٠ الفا ، وقد قل عدد المترددين بسبب الهجرة ، ويصرف عليها ٢٨٠ر١ مليون جنيه .

وبعد الاستقلال فى عام ١٩٦٨ وصل عدد المستشفيات الى ٨ مستشفيات ، يتردد عليها ١٢٠ ألف نسمة ، وهبطت ميزانيتها الى ٩٨٠ ألف جنيه ، وفى عام ٦٩ ـ ٧٠ خصص فى الميزانية لخدمة ٨ مستشفيات ، ٨٣٠ ألف دينار ، وقبل الاستقلال كان ٩٤ طبيبا يقومون بالاشراف على هذه المستشفيات ، وأكثر من ٤٥ حكيمة ، وبعد الاستقلال هبط عدد الاطباء الى ٢٠ طبيبا و ٥ حكيمات .

وبالنسبة للوحدات الصحية ، فقد كانت ٣٠ وحدة سنة ١٩٦٥ ، زادت الى ٦٥ وحدة صحية سنة ١٩٦٧ والى ١١١ وحدة صحية عام ١٩٦٩ .

ان الملاحظة الاساسية التى تستخلص من هذه الاحصائية ، هى أن انخفاض الميزانية الى النصف عام ١٩٧٠ عما كانت عليه عام ١٩٦٥ مع التوسع فى الانشاءات وزيادة الخدمات التى بلغت حوالى ٣٠ فى المائة ، ويدل ذلك على مدى تدهور الوضع الاقتصادى والمالى لليمن الجنوبية .

واذا كان عدد الاطباء هذا العام قد وصل الى ٧٠ طبيبا ، أى بنقص ٢٤ طبيبا قبل الاستقلال ، فمعنى ذلك أن كل طبيب يخدم حوالى ٤٠ الف نسمة ، بينما النسبة فى الدول المتخلفة وفقا لآخر الاحصائيات هى طبيب واحد لكل ٣ آلاف نسمة ، أى أن الطبيب فى اليمن الجنوبية يخدم ٣٧ الف نسمة زيادة على ما يقوم به الطبيب من خدمة فى البلدان المتخلفة .

---

(٢٠) نشرة صدرت من ادارة العلاقات العامة موقعة باسم ضابط العلاقات العامة لمستعمرة عدن سابقا بتاريخ ٣ اغسطس ١٩٥٩ .

لقد ترك الاستعمار البلاد وليس بها سوى ٢٠ طبيبا بعد أن هجرها ٧٤ طبيبا ، وسوى ٥ حكيمات بعد أن تركها ٤٥ حكيمة كلهن من الاجنبيات ،ولم يترك فنيا واحدا لصيانة معدات المستشفيات .

ان مشكلات خطيرة تقف فى وجه الخدمات الصحية ، أهمها : النقص فى الميزانيه مع الاتساع فى الخدمات ، والنقص فى الايدى العاملة من أطباء وحكيمات وممرضين ومساعدين ، فضلا عن النقص فى الفنيين الذين يقومون بصيانه المعدات الفنية ، وتحاول اليمن الجنوبية مواجهة هذه الصعوبات عن طريق مساعدات الدول الصديقة - العربية والاشتراكية - غير أنها مازالت دون المطلوب ، وقد اقامت معهد تطوير الايدى العاملة الصحية لتخريج أعداد كافية من الممرضين المؤهلين للعمل فى المستشفيات والوحدات الصحية ، كما أوفدت بعثات من الاطباء الى الخارج للتخصص فى الامراض المختلفه ، وهى متفشيه على أوسع نطاق ، كالحميات والسل والجدرى والسرطان والامراض الجلديه والسعال الديكى وغيرها من الامراض التى يسببها نقص التغذية ، والتى تتسبب فى زيادة نسبة الوفيات بين السكان وبشكل لا يتناسب مع عدد السكان الصغير ، والمنتشر على رقعة واسعة من الارض .

مشكلة تعاطى القات

وتساعد ظاهره تعاطى القات بالاضافة الى سوء التغذية وانتشار الاوبئة ونقص الخدمات الطبية الى تدهور مستمر فى الحالة الصحية للمواطنين .

ولاوراق القات خصائص وسطى بين الكوكايين والافيون . ويوضع المواطنون وريقاته ذات المفعول المخدر ، ويحتفظون بالمضغة فى أفواههم عدة ساعات ، واستعمال هذا المخدر خاص باليمن والبلاد المجاورة كالصومال والحبشه ، ولا تقف مضار القات عند الحدود الصحية ، فله مضاره الاجتماعية والاقتصادية ، فاهمية القات بالنسبة لليمنى تاتى مباشرة بعد حاجته الغذائيه ، والقات يعمل على تفكك الحياة الاجتماعية وتفسخها ، ويبتز رب العائلة جزءا كبيرا من دخله لشراء القات ، وذلك على حساب زوجته وأولاده ، ويبدو أن القضاء على هذه المشكلة مازال بعيدا ، فعلى الرغم من فرض ضرائب ، فان ذلك لم يحد من انتشار تعاطيه ، ويبدو أن معالجة هذه المشكلة تحتاج الى وقت طويل وبالتدريج ، وتبدأ من اصدار تشريع يحرم استيراد القات ومنع زراعته وفرض عقوبات على من يستورده أو يتجر فيه ، على أن يتم ذلك من خلال توعية شاملة .

هذه بعض المشاكل الاجتماعية فى اليمن الجنوبية ، وحلها لن يتأتى بغير رفع مستوى حياة الشعب من جميع النواحى الثقافية والصحية والمعيشية ، والقضاء على البطالة ، وتوفير الفرص المتكافئة للمواطنين جميعا ، وضمان حق الشعب فى التعليم المجانى والعمل المناسب ، والسكن اللائق ، لكن ذلك كله ، أمامه طريق طويل يعبده بناء اقتصاد انتاجى ، على أنقاض اقتصاد الخدمات .

■■■

المشاكل الاقتصادية والاجتماعية لليمن الجنوبية الشعبية

أعلنت اليمن الجنوبية الشعبية استقلالها فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٧ ، وطرد الاستعمار البريطانى منها بعد اقل من ستة اشهر من العدوان الصهيونى الامبريالى على البلدان العربية . وكان هذا الانتصار فى هذا الجزء المتطرف من الجزيرة العربية تأكيدا للعالم ان الامة العربية لن تلقى السلاح حتى تقضى على كل اثر للاستعمار ، والاستغلال فيها ، وان خسارة معارك مؤقتة لن يفت فى عضد الشعب العربى المناضل .

وتقدر المساحة الكلية لليمن الجنوبية الشعبية بحوالى ٢٨٨٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، أى حوالى

٢٩٪ من مساحة مصر ؟ وان كان سكانها لا يتجاوزون ١ر٥ مليون نسمة ، أى اقل من ٥ ٪ من مجموع سكان مصر .

والقسم الاكبر من اليمن الجنوبية الشعبية صحارى او جبال ، ولا تزيد المساحة القابلة للزراعة فى احسن التقديرات عن ١ر٨٪ من المساحة الكلية ، او حوالى ١ر٣ مليون فدان، وان كان مايزرع من الارض فعلا لايتجاوز ٢٥٠,٠٠٠ فدان .

ويتراوح متوسط دخل الفرد بعد الاستقلال بين ٤٠ ، ٥٠ دينارا فى العام [الدينار يعادل جنيها استرلينيا] .

ويعتبر اقتصاد اليمن الجنوبية اقتصاد خدمات،يعتمد اساسا على ما يحصل من العمليات التجارية وخدمات الميناء ، والخدمات الملاحية والمصرفية الخ .. وتحصل البلاد من الخدمات على ٦٥٪ من دخلها القومى ، ويتولد باقى الدخل من قطاعات الانتاج الزراعية والصناعية والانشاءات .

ولا يقتصر اختلال هذا التركيب الاقتصادى على الوضع العام ، وانما يتعداه سواء فى داخل كل قطاع ، او فى ارتباط الدخل بشكل عام بعوامل خارجية ليس لاهل البلاد دور فيها . فبالنسبة للزراعة مثلا نجد ان اكثر المحاصيل اهمية هى القطن والدخان وتصدر للخارج ، اما المحاصيل الغذائية فضئيلة بشكل ملحوظ ، وتغطى البلاد احتياجاتها بالاستيراد من الخارج. اما بالنسبة للصناعة فنجد العنصر الاكبر فيها هو تصفية البترول الذى يقوم به معمل بريطانى يشتغل بخام مستورد من الخارج. اما الصناعات الاخرى فهى ضعيفة الاثر فى الاقتصاد القومى، وهى اما اولية تعتمد على المواد المحلية كالملح والصابون والجلود ، او على المواد الخام المستوردة كالمشروبات الخفيفة ومنتجات الالبان والطوب الاسمنتى وادوات الالمنيوم . ومع ذلك فهى لا تغطى الا نسبة ضئيلة من الاحتياجات المحلية .

اما عن الخدمات فلعل اهم مصدر للدخل فيها هى التجارة العابرة، وتقديم خدمات الميناء وهذه الاوضاع تواجه بمشاكل نتيجة الظروف الخاصة بالعلاقات مع الجمهورية العربية اليمنية، اوللمنافسة الكبيرة لموانى الصومال واريتريا . اما الميناء فقد تقلص نشاطها بعد اغلاق قناة السويس ،وقد بلغت نسبة الانخفاض فى مجموع السفن المارة بها فى سنة ١٩٦٨ بحوالى ٤٠٪ عما كانت عليه قبل اغلاقها ؟ كما انخفضت نفقات الحوكمة بحوالى ٦٠٪ . وانخفضت بالتالى الرسوم المتحصلة على مرور البواخر او استخدام مرافقها ، او شراء مواد التموين من البلاد .

وقد ادى الاستقلال ، وحالة الذعر الذى انتاب الجاليات الاجنبية بعد خروج الانجليز ، الى ضغط هذه الجاليات لعملها ، وتحديدها لنشاطها ، وعملها على تهريب مايمكنها تهريبه من اموال للخارج .

ومما يزيد المشكلة الاقتصادية حدة ضعف الكفاية الانتاجية سواء فى الزراعة او الصيد او الصناعة ، وهى العناصر الاساسية لاى تطور فى المستقبل . وكلها ترجع الى تراكمات كثيرة نتيجة لاوضاع البلاد وارتباطها الطويل بعجلة الاستعمار . وقد انعكس اثر هذه الاوضاع على المشاكل المعاصرة لمجتمع اليمن الجنوبية ، كما انعكس امكانيات الدولة فى التحرك لمعالجة هذه المشاكل .

وسنعرض فى هذه الدراسة لبعض المشاكل البارزة وكيف حاولت الحكومة الوطنية التغلب عليها ، ومدى فاعلية الحلول التى اتخذت . وفى مقدمة هذه المشاكل اختلال التوازن الاجتماعى، واشتداد الضغوط الاقتصادية والاجتماعية الداخلية والخارجية ، وارتفاع معدل البطالة ، وضعف التنمية الاقتصادية ، والعجز الكبير الذى يواجه الميزانية العامة للدولة .

ادى التركيب الاقتصادى والاجتماعى لليمن الجنوبية ، الى الكثير من المشاكل التى واجهت المجتمع والحكومة الوطنية منذ الاستقلال ، وكان من الواضح ان اختلال التركيب الاقتصادى والاجتماعى ، انما يرجع اساسا الى التراكمات التى ترتبت على النظام الاستعمارى الذى طال حكمه للبلاد .

فى مقدمة هذه المشاكل اختلال التوازن الاجتماعى ، واشتداد الضغوط الاقتصادية والاجتماعية الداخلية والخارجية ، وارتفاع معدل البطالة وضعف التنمية الاقتصادية ، وافتقار الميزانية العامة للدولة الى التوازن .

اختلال التوازن الاجتماعى

يرجع الاختلال الاجتماعى الى اكثر من عامل ، وان كانت العوامل كلها تكاد تتركز فى الاستعمار ،

وطبيعة حكمه للبلاد وطريقة تشكيله لاوضاعها واتجاهات النمو فيها ، فقد صاغ الاستعمار هيكل النظام الاقتصادى بشكل يضمن له السيطرة الكاملة على التركيب الاجتماعى ، فتركزت المشروعات فى وكالات تجارية ، ترتبط بشركات أجنبية ، يديرها مجموعة من الاجانب ، وتجذب اليها فئة من المواطنين الذين يعملون على تنسيق مصالحهم مع المصالح الاجنبية ، وحينما فرضت الظروف العامة والعالمية اقامة مشروعات تعتمد على الامكانيات المحلية ، ربط الاستعمار هذه المشروعات بالمصالح الاجنبية ، بشكل يجعل اتجاهات نموها محكوما بالطلب الخارجى ، وليس بالاحتياجات المحلية .

وكان اساس التعامل فى السوق هو الحرية شبه المطلقة التى لم تترك مجالا لنمو اى قطاعات عدا التجارى منها . وكان اعتماد جهاز الحكم الاستعمارى يقوم على فئات تدين له بالولاء ، او تخشى بطشه ، تتركز فى العاصمة ، ومجموعة من الامراء والمشايخ القبليين والاقطاعيين يحكمون بأسلوب عشائرى عتيق .

وأدى اهمال التعليم وبالاخص فى الريف ، وصعوبة المواصلات بين الريف والعاصمة ، والاستقلال الادارى للولايات الذى كان يعقد الانتقال بينها ، الى ظهور تباين حضارى واضح بين مختلف فئات الشعب فى مختلف المناطق .

وقد تبلور عن هذا الوضع :

● وجود فئة من الاجانب والمستوطنين فى قمة الهرم الاجتماعى ، يتمتعون بالسلطة الادارية والمالية ، ويستحوذون على الثروات الضخمة والدخول العالية فى البلاد ، ولا يربطهم اى ولاء بالبلد .

● جماعة من الرأسماليين المواطنين ، وكبار العاملين فى جهاز الدولة ، وفئة أمراء ومشايخ الاقاليم ، ترتبط مصالحهم بجهاز الاستعمار ، ويخشون من التغير الاقتصادى والاجتماعى حتى لا يختل مركزهم المادى .

● مجموعة قليلة من العمال تتركز فى العاصمة تنظمهم روابط واتحادات قوية ، ويتمتعون بقدر طيب من الامتيازات نتيجة مراكزهم الحساسة ، والخوف من تحركهم ، ويحصلون نتيجة ذلك على أجور عالية نسبيا بالمقارنة بالمستوى العام للدخل .

● فئة ضخمة من الاجراء غير المنظمين فى المدن والريف ، لا يحصلون من الاجر الا على ما يسد حاجتهم الضرورية ، وترتفع بينهم نسبة البطالة الدائمة والعرضية نتيجة كبر عددهم ، والتغير الكبير فى الطلب عليهم .

وقد كان الجدل يدور منذ الثورة حول اعادة تشكيل المجتمع ، فمن اغلبية تنادى بضرورة الاعتماد على الامكانيات المحلية فى النمو ، واعادة تنظيم الجهاز الاقتصادى الاجتماعى ، وابعاد العناصر المرتبطة بالاستعمار والاستفادة من العناصر المخلصة من الراسمالية الوطنية ، وعزلها عن الاحتكارات العالمية ، واشراكها فى البناء الاقتصادى ، وبشكل عام اعادة تنظيم الاقتصاد القومى عن طريق وضع خطة عامة للتنمية ، وتغيير علاقات الانتاج بالسيطرة على ادوات الانتاج والتحرر من رأس المال الاجنبى .. الخ .

أما الراى المعارض فكان يعتمد على الابقاء على العلاقات المادية مع الخارج ، وعدم تغيير علاقات الانتاج حتى لا يهتز الوضع العام ، وكانت حجة هؤلاء تقوم على ان اقتصاد البلاد يعتمد على التجارة الخارجية ، ويحتاج تغييره الى وقت ليس بالقصير ، كما ان اتخاذ مواقف مضادة لرأس المال الاجنبى يمكن ان يؤدى الى توتر العلاقة مع العالم الرأسمالى ، فيتوقف عن تقديم معوناته المالية لمواجهة العجز الذى سينشأ بعد انسحاب جيوش الاحتلال ، وبالتالى كان هذا التيار يرفض اى تغيير فى تركيب الاقتصاد القومى ، والوضع الاجتماعى بطريقة تحكمية .

وقد كانت الغلبة للتيار الاول الذى قاد الثورة وأعلن سياسته التى تأخذ بالفلسفة الاشتراكية وأيدته المؤتمرات وقرارات الجبهة القومية بعد الاستقلال ، كالميثاق الوطنى الذى اقره مؤتمر الجبهة فى يونيو سنة ١٩٦٥ ، وقرارات مؤتمر زنجبار فى مارس سنة ١٩٦٨ ، ثم برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطنى الديموقراطى الذى أقرته القيادة فى اكتوبر سنة ١٩٦٨ .

وكانت النظرة الى التغيير الاجتماعى تتم عن طريق ما يتخذ من اجراءات فى الكيان الاقتصادى ، باعتباره هو المؤثر فى التشكيل النهائى للوضع الاجتماعى .

ولعل أهم اجراء اتخذ فى هذا السبيل هو اصدار قانون الاصلاح الزراعى فى مارس سنة ١٩٦٨ ، على أساس ان الارض هى عنصر الانتاج الاساسى الذى يمكن التحكم فيه ؛ وتلعب ملكيتها دورا كبيرا فى تشكيل العلاقات فى الريف ، وفى المستقبل الاقتصادى العام ، على أن يراقب الوضع فى العاصمة ، لدراسة ما يمكن اتخاذه ، وفقا للظروف والاوضاع العامة ، ولو ان البعض كان

يستحث الخطو ، متأثرا بما التزمت به الثورة ازاء الجماهير ، وخشية من أى انتكاس قد يحدث لو تركت الاوضاع القديمة لتدعم مراكزها فى ظل الحكم الوطنى ، وقد تم ذلك فعلا فى نوفمبر سنة ١٩٦٩ ، كما سنرى فيما بعد . كما عدل قانون الاصلاح الزراعى فى اوائل سنة ١٩٧٠ بما يضمن عدم الخروج عن الخط الاشتراكى .

ويقوم قانون الاصلاح الزراعى على المصادرة من ناحية ، وتحديد الملكية الزراعية من ناحية أخرى ، وتوزيع الارض المصادرة على الفئات المستفيدة من جهة ثالثة .

● فتتم المصادرة التى تخص الفئات التى كانت متعاملة او ضالعة مع الاستعمار بدون عوض للاملاك بما تتضمنه من ارض ومنشآت ومواش وآلات وأموال منقولة وغير منقولة .. وتتضمن هذه الفئات :

أ — السلاطين والامراء والمشايخ وأسرهم .

ب — عملاء الاستعمار والمستوزرين .

جـ — المرتبطين بالاستعمار الذين يصدر حكم ضدهم

د — الاراضى والممتلكات التى تبحث فى الفترة من قيام الثورة الى ٢٥ مارس سنة ١٩٦٨ كهبات او منح ، وذلك عن طريق السلاطين والامراء والمشايخ وحكام العهد البائد .

● كما تتم المصادرة بدون عوض فى حالات :

أ — الاراضى والممتلكات الموقوفة .

ب — الاراضى الواقعة تحت اليد « البسط » التى لا يوجد عقد يثبت تملكها بالشراء « شيمة » .

جـ — الاراضى المهجورة التى لم تفلح خلال خمس سنوات من تاريخ صدور القانون .

د — جميع الاراضى البور « مشاوى » « شفع » الخ .

— ويحدد القانون المعدل ملكية الارض على أساس :

— ٢٠ فدانا (ضمد) فى الارض المروية والبساتين والمشجرة وهى تلك الارض التى تسقى بالمياه الجارية دون وساطة او عن طريق المحركات أو المياه الجوفية .

— ٤٠ فدانا فى الارض البعلية ، وهى تلك التى تسقى بمياه الامطار واراضى المرعى ، وكذلك المروج الطبيعية وارض الحصاد المخصصة لرعاية المواشى ، والارض الجبلية التى لا تخصص للرعى ، ولا تصلح للزراعة ، ويسمح بالتجاوز عن الحد الاعلى للملكية فى حالة المؤسسات التى تمتلك الارض بهدف التصنيع الزراعى ، وذلك بعد موافقة الدولة ، وكذلك الجمعيات التعاونية .

— ولا يجوز ان تزيد الحدود العليا للملكية الاسرة عن ضعف الحدود السابقة .

ويتضمن القانون دفع تعويض عن الارض الزائدة ، وذلك بعد خمس سنوات من تاريخ الاستيلاء ، وذلك بسندات اسمية على الدولة تسدد فى مدى ٢٥ سنة ، ويسمح بحملها للمواطنين ، وتكون قابلة للتداول والخصم فى البنوك ، اما قيمة التعويض فيحدد عن طريق اللجان المشكلة لذلك .

ويتم توزيع الارض المصادرة على الفئات الاتية :

أ — اسر الشهداء المعدمين او المقعدين او المتضررين المصابين بعاهات فى حرب التحرير وقد الغى هذا النص فى التعديل الجديد للقانون

ب — المعدمين من العمال الزراعيين .

جـ — فقراء الفلاحين الذين لا يملكون الحد الادنى للملكية .

د — المهاجرون من المدينة والصحراء .

وقد حدد القانون نصيب المالك بما يتراوح بين ٣ ، ٥ أفدنة فى الارض المروية ، ومن ٦ الى ١٠ افدنة فى الارض البعلية ، ويتحمل المستفيدون ثمن الارض التى تسدد فى مدة ٢٥ سنة ، بفائدة ٥ر١ فى المائة سنويا ، وذلك بعد خمس سنوات من تاريخ تملك الارض .

وحتى لا يؤدى توزيع الارض الى تشتت الملاك ، فقد فرض القانون انشاء جمعيات تعاون زراعية ممن آلت اليهم الارض تقوم بالحصول على الائتمان اللازم للمزارعين ، وتمد المزارعين بالبذور والسماد والماشية والالات الزراعية ، ومايلزم لحفظ المحاصيل ونقلها ، كما تنظم زراعة الارض واستغلالها على خير وجه بما فى ذلك انتقاء البذور وتصنيف المحاصيل ومقاومة الافات وشق الترع وانشاء المصارف ، وحفر الابار ، وذلك بالاضافة الى تسويق المحاصيل الرئيسية لحساب الاعضاء ، والقيام بالخدمات الزراعية الاخرى التى تتطلبها حاجات الاعضاء .

ونص القانون على عدم جواز التصرف فى الارض الموزعة بالبيع أو التنازل أو الرهن الا بعد

موافقة الجهات المختصة ، كما قضى القانون بالغاء كافة الرهون الاستغلالية على الارض التى مر عليها أكثر من ٥ سنوات وبدون تعويض ، على أن تدرس اللجنة المركزية للاصلاح الزراعى تعويض الحالات التى يثبت أن الرهون فيها لم تكن استغلالية كما يعاد النظر فى مختلف الرهون على الارض حتى لا يضار المزارعون .

وأشار القانون الى حق الدولة فى انشاء مزارع جماعية ونموذجية فى المزارع الكبيرة ، والبساتين لتشجيع الفلاحين على العمل الجماعى ، كما أشار الى أنه سيصدر قانون يحدد العلاقة بين العمال الزراعيين والملاك سواء كانوا هم الدولة ، أو مؤسسات ، أو جمعيات تعاونية او افراد ، كما اعتبر الابار ومجارى المياه الصغيرة (شفوع ومساقى وسيول) ملكا عاما للاراضى المستفيدة منها على ان تتولى مسئولية تأمينها وادارتها .

وتقدر المساحة الخاضعة لقانون الاصلاح الزراعى بحوالى ٣٦٫٠٠٠ فدان يملكها حوالى ٦٠ شخصا ، والارض التى تدخل فى ملك الدولة ٢٤٫٠٠٠ فدان ، تتركز أغلبها فى المحافظتين الثانية والثالثة ، وهما المحافظتان اللتان تتم الزراعة فيهما على أساس متقدم ، وبالتالى تتراوح المساحة القابلة للتوزيع بين ٢٥ فى المائة ، ٣٠ فى المائة من المساحة المنزرعة ، وان كانت هناك مساحات لم يشملها الحصر بعد ، وبالاخص الاراضى البور والجبلية ، والمناطق النائية .

وقد قامت الحكومة باجراء توزيع لبعض الاراضى المصادرة ، أو تلك التى تملكها وذلك على اربع دفعات بدأت فى اكتوبر سنة ١٩٦٨ ، وقد بلغت المساحة الموزعة ١٠٤٦٤ فدانا ، والمنتفعون بها ٣٩٠٥ افراد ، بمتوسط قدره ٢٫٧ فدانا للفرد .

واستكمالا لتعويض المتضررين من حرب التحرير ، فقد منح البعض تراخيص بتسيير سيارات اجرة ، وهذا الترخيص يعطى ميزة مادية لا تقل عن تلك التى يتمتع بها الموزع عليهم الارض .

ويمكننا أن نتصور أن عملية حصر الارض ومصادرة الزائد منها ليس بالامر اليسير فى دولة مازالت تعمل على أستكمال مقوماتها ، ومازالت تسيطر على الريف فيها النزعات القبلية ، كما ان هناك مشاكل ترتبط بطريقة التوزيع ، فتمليك الارض وحده لا يحل مشكلة الريف ، ويتطلب الامر سرعة انشاء الجمعيات التعاونية ، فضلا عن ان زراعة الارض تتطلب تمويلا ، وامكانيات تسويقية ، هذا الى الرغبة فى الزراعة ، وكون بعض المنتفعين من المتضررين لا يكفى لحصولهم على الارض . وقد اثار قانون الاصلاح الزراعى تساؤل مختلف المتضررين من حرب التحرير ، الذين لا تكفى الارض المصادرة للتوزيع عليهم . هذا فضلا عن أن العاملين فى العاصمة والمدن لا يفكرون فى تركها ، وليس لهم الملم بالزراعة وقد ادى ذلك الى الغاء هذا النص فى التعديل الجديد . هذا ولم تغفل الحكومة أمر المتضررين ، غير أن الظروف الاقتصادية لا تمكنها من تعويض كل المتضررين او حتى ايجاد الاعمال المناسبة لهم ، وان كنا نعتقد أنه من الممكن فى مثل هذه الاحوال تقدير الاضرار التى اصابت كل فرد ، ويمنحون مقابلها سندات على الدولة ، التى تغطى قيمتها سواء من الاملاك المصادرة ، أو من ضريبة اضافية تفرض على من لم يتأثر بحرب التحرير ، سواء كانوا ملاكا أو عمالا ، او تطالب بها حكومة الاحتلال السابقة ، اذ ليس من الطبيعى ان تتحمل فئة عبء النضال الذى يؤدى الى أستفادة الكل منه ، وتطبيقا لهذا المبدأ يمكن اعفاء المستفيدين من الاصلاح الزراعى من فئة المتضررين من حرب التحرير من ثمن الارض التى حصلوا عليها ، فى حدود التعويضات التى تقدر لهم .

واذا كان الاصلاح الزراعى يمكن أن يحل مشكلة العلاقات الاجتماعية الناشئة عن الملكية ، الا ان الاختلال الاجتماعى الناشىء عن اختلاف المستويات الحضارية لا يمكن حله الا برفع مستوى المعيشة عن طريق زيادة الانتاج ، والارتفاع بالمستوى الثقافى .

الضغوط الاقتصادية والاجتماعية

تواجه الحكومة الوطنية منذ الاستقلال الكثير من الضغوط الاقتصادية والاجتماعية فى المجالين الداخلى والخارجى ، وهو أمر لا تنفرد به اليمن الجنوبية الشعبية ، ولكنا نجده فى مختلف البلاد النامية التى نالت استقلالها بعد كفاح مرير .

فقد كانت النتيجة المباشرة لتخليص البلاد من الاستعمار العمل على التخلص من النظام الطبقى القائم فى البلاد . مما يعنى توسيع نطاق فرص الطبقات العاملة فى المدن والريف ، ورفع مستوى معيشتها ، وفى نفس الوقت الحد من فاعلية الطبقات المستفيدة ، وتحميلها بالعبء الاكبر فى بناء المجتمع ، غير أن ذلك لم يكن بالامر السهل ، فضلا عن أنه لا يتم بشكل آلى بعد الاستقلال ، لان كل جانب سيحاول العمل على تثبيت كيانه ، لتكون له الفاعلية فى تشكيل الوضع العام .

ولم يكن طرد الاستعمار من ناحية آخرى يعنى

أن البلاد قد تخلصت من الضغوط الخارجية ، لان البلاد تقع فى مركز استراتيجى هام ، سواء بالنسبة للعالم ، او بالنسبة للجزيرة العربية ، وبالتالى فمن الطبيعى أن نتصور أن هناك قوى كثيرة خارجية تصورت أن خروج بريطانيا معناه حدوث فراغ يمكنها أن تشغله سواء للاستفادة من الوضع الجديد ، أو الحد من تطوره ونموه بالشكل الذى يؤثر عليها تاثيرا غير مرغوب فيه .

الضغوط الداخلية

كان العبء الاول على الدولة الفتية أن تهيء فرص العمل للمواطنين ، سواء أولئك الذين تاثروا بحرب التحرير او غيرهم ، ممن كانوا يشكلون البطالة الدائمة والعرضية ، غير أن ايجاد فرص عمل جديدة لا يتحقق بفرض مجموعات العاملين على اجهزة الدولة او المشروعات الخاصة ، دون مبرر اقتصادى ، لان ذلك كان يعنى زيادة حجم البطالة المقنعة ذات الاثر المخرب للاقتصاد القومى ، ولكن يمكن أن يتم ذلك بتوسيع رقعة المشروعات ، والارتفاع بالمستوى الصحى والتعليمى للمواطنين ، وهى امور تحتاج الى موارد لم يكن من السهل تدبيرها محليا دون اثارة مشاكل اقتصادية واجتماعية .

فاقتصاد اليمن الجنوبية كما ذكرنا يقوم على خدمات التجارة ، وأموال التجارة أقرب الى السيولة ، وليس من السهل امتصاصها أو تحويلها الى مجال انتاج جديد فى الامد القصير ، ولم يكن من اليسير فى المبدأ فرض تشريعات تضمن حسن توزيع الثروة باستثناء قانون الاصلاح الزراعى ، لا سيما وأن الصناعة وهى العنصر الهام الذى تلجأ اليه الدول لاحداث تغيير جذرى فى التركيب الاقتصادى والاجتماعى هى صناعة صغيرة ، ضعيفة الاثر فى الاقتصاد القومى ، واذا كان تكرير البترول هو أهم نشاط صناعى ، الا أن مقوماته المادية فى جزئها الغالب أجنبى .

أما عن النشاط التجارى ، فقد لوحظ منذ الاستقلال تزمت القائمين عليه ، وحذرهم الشديد فى التعامل ، ولجأ بعض التجار الى تهريب ما يمكنهم تهريبه الى الخارج ، عن طريق التلاعب فى أسعار الصادرات والواردات اعتمادا على عدم جدية وفاعلية الرقابة على النقد ، أو التجارة الخارجية ، وعمد البعض الاخر الى الحد من نشاطه لمتابعة ما يحدث فى البلاد ، وقد ساعد على ذلك اشتداد الصراعات الفكرية فى ستة الاشهر الاولى التالية للاستقلال ، وفى هذا الجو ، وجدنا بعض المودعين يلجأون الى سحب أموال كثيرة من البنوك والاحتفاظ بها بشكل نقدى ، وقد لوحظت هذه الظاهرة من زيادة النقد المتداول بالرغم من ركود الحالة التجارية وضغط الحكومة لمصروفاتها .

وكان من أخطر الضغوط الداخلية التى واجهتها الحكومة ، الاجراءات التى اتخذتها الشركات الاجنبية وفروعها فى البلاد ، فنجد شركة البترول البريطانية تفتتح الحملة المضادة برفع اسعار البترول قبيل الاستقلال وتدفقه فى اغسطس ثم فى اكتوبر فنوفمبر سنة ١٩٦٧ ، بحجة اقفال قناة السويس ، وانسحاب القوات البريطانية ، وتخفيض قيمة الاسترلينى وارتفاع تكاليف الشحن ، وحينما لمست الشركة عدم موافقة الحكومة على هذا الاجراء واتجاهها الى الحصول على الزيادة فى شكل ضريبة ، عرضت رغبتها فى مناقشة خفض الاسعار مرة أخرى ، ثم لجأت الشركة الى الضغط من زاوية العمال ، بتشجيع من يريد منهم ترك العمل بالحصول على مستحقات ترك الخدمة مضافا اليها أجر مدة ستة أشهر ، وقد بذلت نقابة العمال جهدا كبيرا للحد من اندفاع العمال وراء هذا الاغراء ، وكان أكبر المستفيدين منه هم الاجانب الذين خشوا من احتمالات التغير الاجتماعى فانخفض عددهم بنسبة ٦٠ فى المائة وأدى هذا الاجراء الى انخفاض عدد العاملين بشكل عام بنسبة ١٧ فى المائة ، وتبعت ذلك باجراء آخر فى ديسمبر سنة ١٩٦٧ ، وهو خفض مدة عمل العاملين بتشغيلهم شهرين ، ومنحهم اجازة بدون مرتب لمدة شهر ، وأعيد النظر فى هذا الاجراء فى نهاية مارس سنة ١٩٦٨ ، ولكن المفاوضات مع النقابة استمرت دون نتيجة ، حتى فرضت الشركة نظاما للعمل يقضى بالعمل شهرا والتوقف فى اجازة لمدة شهر آخر .

وطالبت شركة توزيع البترول « كالتكس » بتخفيض عدد العاملين فيها بنسبة ٧٥ فى المائة ، وبعد مفاوضات طويلة اتفق فى مايو سنة ١٩٦٩ بقبول مبدأ خفض المرتبات بنسبة ٤٠ فى المائة حتى لا يخفض عدد العاملين ، على الا يؤثر ذلك فى مكافأة ترك الخدمة .

ولعبت شركة « البس » دورا كبيرا فى الضغط الاقتصادى والاجتماعى معتمدة على كونها اكبر شركة تجارية ، تكاد تحتكر اهم المواد المستوردة ، وتزاول نشاطها فى مجالات متعددة ، وكان اول اجراء لجأت اليه الشركة خفض رأسمالها واللجوء الى البنوك للحصول على قروض متزايدة على المكشوف ، وافتتاح مراكز تجارية فى الخارج لاصحاب المشروع ، وكان ذلك يعنى تسرب جزء كبير من رأس المال الى الخارج ، وتحويل بعض مجالات النشاط للخارج ، وزيادة المصروفات العامة للشركة ، وتحميل المخاطر على البنوك التى تقوم على الودائع المحلية .

وفى يونيو ١٩٦٨ اعلن « البس » عماله بأنه يواجه متاعب اقتصادية منذ حرب يونيو سنة ١٩٦٧ واغلاق قناة السويس وأنه مضطر الى خفض عدد العاملين وأجورهم والا واجه الافلاس ، وتلا ذلك ارسال اشعار بفصل عدد ضخم من العمال ، ولم تكن النقابة او الحكومة فى مركز يمكنها من الوقوف ضد هذا الاجراء ، وكانت الشركة قد سبقت اعلان الفصل بشهرين ، بارسال احتجاج للحكومة لتحديدها أسعار بعض المواد الغذائية الاساسية ، معتبرة ذلك مؤثرا على حجم العمال ومستوى الاجور •

وقد اشارت جريدة ١٤ اكتوبر الى أن اجراء « البس » بفصل العمال لم يكن لاسباب اقتصادية بقدر ما يرجع الى سحب بعض الامتيازات التى كانت تتمتع بها الشركة ، وعمل الدولة على انشاء المؤسسة الوطنية لاستيراد السلع الاستهلاكية ، التى خشى أن تكون منافسة لهذه الشركة شبه الاحتكارية وهى مؤسسة انشأتها الدولة برأسمال مشترك •

ولم ينصرم العام حتى لجأت شركة « البس » الى اعلان تخفيض ساعات العمل بنسبة ٣٠ فى المائة ، وتخفيض اجور العاملين بنسبة ٢٥ فى المائة ، وذلك عدا أولئك الذين يرسلون فى أجازة بدون أجر ، وقد أدت هذه الخطوة الى قيام العمال باضراب استمر بضعة أسابيع ، وقع العبء الاكبر فيه على العمال ، واضطرت الحكومة الى اصدار تشريع يفرض الرضوخ للجنة التى تشكلها لحسم الخلافات المتعلقة بخفض عدد العمال وأجورهم ، وانتهى الامر بقبول خفض الاجور بنسبة ١٥ فى المائة •

أما شركة « **لوك توماس** » فقد فرضت نظام خروج ربع العمال فى أجازة بدون مرتب لمدة شهرين وذلك مع كل عطلة سنوية ، ثم اعلنت الحكومة فى أوائل يوليو سنة ١٩٦٩ ـ مستغلة ظروف التغير السياسى فى البلاد ـ اضطرارها الى اعلان افلاسها لعدم قدرتها على سداد مطلوباتها، فضلا عن الاعباء المستمرة عليها ، وتبين من دراسة وضعها المالى أنها قد تحايلت وحصلت على قروض ضخمة من البنوك لتضمن بذلك اهدار حقوق الدولة فى الضرائب غير المسددة ، والتهرب من الالتزام بحقوق العمال فى مكافآت ترك الخدمة ، وازاء هذه الضغوط لم تجد الحكومة مفرا من أن تقف موقفا حاسما ، ففرضت قانون الحراسة للمصلحة العامة أعطاها الحق فى فرض الحراسة على الشركة ، وقد تحسن موقف الشركة بدرجة لم تكن متصورة بعد ذلك ، ودون أى دعم من الدولة ، وكشفت الحراسة على الشركة وسائل التلاعب التى كانت تلجأ اليها بتحويل الاموال الى الخارج ، وعدم دقة القيود الدفترية ، والعمل على اثارة المشاكل العمالية •

وتعكس اضرابات العمال طبيعة الضغوط الداخلية التى أثار أغلبها شركات أجنبية •

عدد الاضرابات	عدد العمال	الايام المفقودة
٦	٢١٢١	١٨٥٨
٩	٢٥٦٢	٢٧٧٦٩
٢	١٣٩٠	٤٩٦٠

واذا حللنا اضرابات سنة ١٩٦٨ وكان عددها تسعة نجد ان اربعة منها لم تتجاوز اليوم الواحد ، ولم يفقد منها اكثر من ٩ أيام عمل ، أما الحالات الخمس الاخرى فقد شملت حوالى ٢٥٠٠ عامل وفقد فيها ٢٠ر٧٦٠ يوم عمل ، ولم يتعد عمال الحكومة الذين اشتركوا فى اضرابات فى هذه السنة عن ٤٩ ، ولم يفقد من أيام العمل الا خمسة أيام ، وفى جميع الحالات الاخرى كان الاضراب فى القطاع الخاص •

ولعل اتجاه الحكومة الى اتخاذ مواقف حاسمة ، وايضاحها لسياستها العامة منذ يوليو سنة ١٩٦٩ ، كان عاملا اساسيا فى تخفيف حدة الضغوط المفتعلة الداخلية ، ولو أننا يجب ألا نهون من أمر المشاكل التى تواجهها الحكومة بعد الاستقلال ، لانها مشاكل طبيعية تتطلبها مرحلة التطور •

الضغوط الخارجية

كان من المفهوم عند الاستقلال ان **بريطانيا** ستقوم بدفع ٦٠ مليون دينار للحكومة لمواجهة مرحلة ما بعد الاستقلال ، وذلك بمثابة تعويض عن المتاعب والمشاكل التى أحدثتها فى البلاد • وكان هذا المبلغ كاف لتغطية عجز الميزانية العامة للدولة لبضع سنين ، تتمكن الحكومة فى اثنائها من اعادة بناء اقتصادها ، ولكن يبدو أن وعد بريطانيا كان مرتبطا بقبول مبدأ رفضته الحكومة الوطنية ، وهو تأجير قاعدة لها فى عدن لمدة ما ، أو على الاقل قبول اليمن الجنوبية الارتباط بها بنوع ما من الاحلاف ، لكى تضمن بوجودها عدم تأثر مصالحها فى الشرق الاوسط ، وكانت فكرة الحكومة الوطنية أن كسبها الاستقلال بالسلاح انما تم بهدف اقامة مجتمع متحرر يرتبط باخوة له فى العالم العربى ، ويمارس حقه الطبيعى فى اقامة علاقات دولية تناسب أهدافه ، وهو ما لم تكن ترتاح له بريطانيا ، ولا مجموعة الدول التى ترتبط بها بشكل ما من الاحلاف •

وقد أثار بريطانيا ما لجأت اليه الحكومة الوطنية من محاكمة المستوزرين والعملاء ، لان ذلك شل قدرة اولئك الذين كانت تأمل فى استمرار تشغيلهم كعملاء .

وكانت وسيلة بريطانيا فى الضغط على الحكومة الوطنية ، التنصل من فكرة تقديم أية اعانة مالية ، واثارة جو من الشك حول قدرةالحكومة القائمة على الصمود فى مواجهة المتاعب الاقتصادية .

ولم يكن من السهل على **الولايات المتحدة** ان تخطو خطوة نحو اليمن الجنوبية ، وهى تلمس التيارات الوطنية العنيفة فيها ، وان كان يهمها قبل أى شىء عدم قيام اليمن الجنوبية بالبحث عن البترول فى المناطق المحتمل وجوده فيها ، أو تدعيم علاقاتها مع الدول العربية المتحررة والدول الاشتراكية .

اما **المانيا الاتحادية** فقد استغلت اقامة تمثيل دبلوماسى فى عدن بعد الاستقلال ، والمشاكل المالية التى تمر بها البلاد ، وعرضت عليها عونا اقتصاديا مقابل شروط معينة ، لم تكن تعنى أو تؤدى فى النهاية الا الى تحديد تعامل اليمن الجنوبية مع مجموعة الدول الاشتراكية ، وقد رفضت الحكومة الفكرة ، وعلى العكس وجدت أن وضعها الطبيعى يقتضى الاعتراف بجمهورية المانيا الديمقراطية ، لتمشى فلسفتها العامة مع اقامة علاقات ودية مع المجتمع الاشتراكى فى العالم .

وقد خشيت قوى الرجعية المنتشرة فى شبه الجزيرة العربية من النتائج التى يمكن أن تترتب اذا تدعم النظام الوطنى فى الجنوب ، سيما وأنه لم يخف اتجاهاته الاشتراكية ، ولم يشذ على نشاطه فى دعم حركات التحرر فى المنطقة ، فأخذت هذه القوى تمارس ضد اليمن الجنوبية أشكالا مختلفة من الضغوط الاقتصادية بل والعسكرية ، كتحديد التعامل معها وتضييق فرص انتقال مواطنيها وعملهم فى دول ودويلات شبه الجزيرة العربية ، ويلجأ بعض المسئولين فى حكومات تلك البلاد من وقت لآخر الى اثارة حملات مفرضة للنيل من الوضع القائم ، بدلا من تقديم العون له . وتزداد الضغوط أحيانا فتأخذ شكل تحرشات على الحدود ، ومعاونة الحركات التخريبية ، التى كانت تنتهى جميعا بالفشل ، لاصرار المواطنين على اختيار نظام الحكم الذى ضحوا الكثير من أجله .

حقيقة أن أثر الضغوط الخارجية أخف كثيرا من وزنه الحقيقى ، نتيجة لمعاونة الدول الصديقة ، غير ان هذه المعونات ما زالت — فى رأينا — محدودة النطاق ، ويجب أن تنبهنا الضغوط والمحاولات المستمرة الى أنه لا يمكن أن يترك شعب اليمن الجنوبية الصغير ليواجهها وحده ، سيما وأنه ليس المقصود وحده بهذه الضغوط ، وأنه مهما كانت المشاكل العالمية أو اقفال قناة السويس ، فلا مفر من تحمل الدول المتحررة مسئولية أكبر لدعم الاوضاع العامة لهذا البلد المكافح ، وقد يكون من الطبيعى أن تتعاون الدول المتحررة وتخصص قدرا مناسبا من التمويل والخبرات ذات المستوى الرفيع لمعاونة اليمن الجنوبية فى مرحلة اعادة بناء مجتمعها اقتصاديا واجتماعيا .

ضعف التنمية الاقتصادية

الزراعة فى البلاد متخلفة ، وانتاجية الارض منخفضة ، والابحاث الخاصة بالتربة والنباتات والافات مازالت فى طورها الجنينى ، والمحصول الوحيد الذى لقى قدرا محدودا من العناية فى السنوات الاخيرة هو القطن الذى يصدر للخارج ، كما أن زراعة الفاكهة والخضر التى نمت الى حد ما ، مهددة بنقص الطلب لارتفاع اسعارها مقارنة بما يستورد من الخارج ، وبالرغم من ضخامة الثروة السمكية فى سواحل البلاد ، الا أن استغلالها محدود ، ولم يبدأ فى استغلال الوسائل العلمية فيها الا قريبا جدا .

أما الصناعة فهى أسوأ حالا من الزراعة ، وتكاد تخلو البلاد من الصناعات الحديثة باستثناء تكرير البترول الذى تقوم به شركة أجنبية ، ويعتمد على الخام المستورد ويتم تسويقه بمعرفة أجهزة أجنبية . ولا تخرج الصناعات القائمة عن صناعات بدائية ليس لديها مقومات التطور ، وتواجه بمشاكل نقص الخبرة ، وضعف القوة الشرائية بعد الاستقلال .

والنتيجة المباشرة لهذا الوضع أن أصبحت البلاد تعتمد فى استهلاكها من المواد الغذائية أو السلع الصناعية على ما تستورده من الخارج ، وتؤدى الحرية الاقتصادية ، وعدم وجود أية رسوم جمركية على السلع الواردة من الخارج ، فيما عدا المفروض منها على الكحوليات والدخان والقات ، الى عدم تهيئة الفرصة للانتاج الصناعى ، وتحسن الانتاج الزراعى .

واذا كان قطاع التجارة الخارجية هو القطاع المتقدم فى الاقتصاد القومى ، الا أنه لا يدر عائدا مناسبا من ناحية ، فضلا عن أن الجزء الاكبر من هذا العائد يؤول بشكل او آخر للعناصر الاجنبية المتحكمة فيه من ناحية أخرى .

ونتيجة للاوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد ، نجد أن المدخرات الفردية تجد طريقها الى البنوك التى تستثمر الجزء الاكبر منها فى خارج البلاد ، كما عمد بعض كبار الرأسماليين المحليين الى اقامة مراكز تجارية لانفسهم فى الخارج ، وذلك بالاضافة الى الاحتفاظ بأرصدتهم المتراكمة فى حسابات خارجية ، ومعنى ذلك أن الفائض الاقتصادى المتكون فى البلاد لا يبقى فيها ، بل يعتبر بمثابة النزيف لقواها ، الامر الذى يؤدى الى ضعف حركة التنمية ، وانتشار البطالة الدائمة والعرضية .

وقد ساد البلاد جو من النشاط الاقتصادى المفتعل فى أوائل الستينات ، نتيجة اهتمام بريطانيا بعدن وتحويلها الى مركز استراتيجى للدفاع عن امبراطوريتها ، وتبع ذلك اغراق قدر كبير من رأس المال القومى ، فى اقامة المنشآت السكنية للفئات المستفيدة من هذا الوضع ، غير أن هذه الحال تغيرت عندما اشتدت الثورة ، وأجليت قوات الاحتلال ، اذ تبع ذلك توقف نسبى فى حركة الانشاء ، وخلو العديد من المساكن ، وبالتالى تعطل جزء من رأس المال القومى .

ومن العناصر الاساسية المعوقة للتنمية الاقتصادية ضعف الادخار القومى ، وقلة الاموال المتاحة للتنمية ، وتخلف طرق المواصلات ، وانخفاض الكفاية الانتاجية ، وندرة الكفايات العلمية وضيق السوق .

وتقوم السياسة العامة للدولة على الاسس التالية ، أخذا بما جاء فى البرنامج الوزارى الذى أعلن فى يونيو سنة ١٩٦٨ ، وبرنامج استكمال مرحلة التحرر الوطنى الديموقراطى الذى اقر فى أكتوبر سنة ١٩٦٨ : ـ

● **اعداد خطة عامة للتنمية** ، وقد انشىء لذلك « مجلس أعلى للتخطيط » ، ولجنة استشارية للتخطيط ، لاعداد ودراسة ووضع خطة للتنمية ، وذلك فى اطار تحرير الاقتصاد القومى من تبعية رأس المال الاجنبى .

وقد درست بعض المشروعات الاساسية للبدء بها وقدرت قيمتها المبدئية بحوالى ٨٠ مليون دينار ، وتم التفاهم مع بعض البلدان الصديقة لتمويلها .

وتقتضى سرعة التطوير الاقتصادى ، ليس وضع خطة انمائية فحسب ، وانما تعبئة المدخرات وتوجيه المشروعات لتنفيذها ، وما يرتبط بذلك من اجراءات نقدية وتجارية ، فهناك قدر كبير يحتفظ به كاحتياطى نقدى فى شكل ذهب وعملات واستثمارات مالية أجنبية ، كما تحتفظ البنوك التجارية بقدر كبير من ودائع الافراد فى الخارج وكذلك فانجزءا لا بأس به من احتياطيات الشركات المحلية ومخصصات ترك خدمة العاملين فيها مستثمر فى الخارج .

ويمكن تخصيص جزء من هذه الاموال لمشروعات التنمية ، لان الوزن الاقتصادى لاى بلد لا يحسب على أساس حرية تبادل عملته باحدى العملات الحرة ، ولكن بنسبة تشغيله لطاقاته المادية والبشرية ، والملاحظ أن كثيرا من البلدان النامية التى كانت مرتبطة بالاستعمار ، وترتبط عملاتها به ، تعيش فى جمود اقتصادى وبطالة وفقر فى الوقت الذى تكون فيه القيمة التبادلية لعملتها مرتفعة ، أضف الى ذلك أنه ليس من الطبيعى أن يحتفظ بالاحتياطيات النقدية للبلاد فى شكل استثمارات خارجية ، فى الوقت الذى تطلب فيه قروض من الخارج سعر فائدتها يزيد عن الفائدة من الاستثمارات الوطنية، او تؤدى شروط الاقتراض الى الحصول على سلع ترتفع قيمتها النسبية عنها فى السوق الدولية ، أو ذات انتاجية منخفضة .

● **تحويل الاقتصاد القومى من اقتصاد خدمات الى اقتصاد انتاجى زراعى وصناعى** . من خلال استصلاح الاراضى ، ومكننة الزراعة ، وزيادة الكفاية الانتاجية والعناية بالثروة الحيوانية والسمكية وتصنيع منتجاتهما ، واقامة المشروعات الصناعية ، واستغلال الثروة المعدنية ، وذلك من خلال القطاع العام ، أو باتاحة الفرصة للقطاع الخاص فى نطاق محدد ، وكذلك تشجيع استيراد الالات الحديثة ، وايجاد نوع من الحماية للصناعة الوطنية .

وتمشيا مع هذا الاتجاه عقدت عدة اتفاقات للمعونة الاقتصادية ، مع عديد من الدول الاشتراكية والبلاد العربية ، وأصدر قانون بتشجيع الاستثمار فى المشروعات المحلية ، غير ان أثر هذه الاتفاقات لن يظهر الا اذا تمشى مع تعديل النظام الجمركى ، وتنظيم الاستيراد ، ووضع نظام واضح للرقابة على النقد .

● **الاهتمام بمشروعات تعبيد الطرق لتنشيط التجارة الداخلية وربط المناطق الصناعية بالموانى لخفض تكاليف الانتاج** ، وهناك برنامج ضخم لربط البلاد بشبكة كبيرة من الطرق اللازمة للتنمية الاقتصادية أو لاغراض استراتيجية ، وليس من السهل ان تقوم البلاد بتنفيذ البرنامج المعد بامكانياتها الحالية ، والاعتماد فى اقامتها على القروض الاجنبية يستلزم أن تكون آجال تلك القروض طويلة ، ومواعيد سدادها مناسبة ،

وفائدتها قليلة حتى يمكن أن يتحملها الاقتصاد القومي دون ارهاق شديد •

● **زيادة الكفاية الفنية للعاملين**، بالتوسع في انشاء المدارس المتوسطة والعالية وتشجيع البعثات الدراسية والتدريبية للخارج ، غير أن هذا الامر يتطلب تخصيص مبلغ ضخم في الميزانية ، وهو أمر ليس بالسهل في الظروف الراهنة • ولهذا كان الاعتماد فيه أساسا على المنح الخارجية ، ولو أنها مازالت في حدود قاصرة عن احتياجات البلاد ومواجهة مشاكلها الحالية • ويكفي أن نذكر في هذا المجال أن عدد الحاصلين على مؤهل عال بين العاملين في جهاز الدولة ١٧١ وذلك في أول أبريل سنة ١٩٦٨ ، ويبلغ عدد من زادت مدة خدمتهم عن ١٠ سنوات ٤ فقط ، ومن تزيد مدة خدمتهم عن ٣ سنوات ٧٠ فقط ، أي أن الغالبية من الحديثين ، ذوي الخبرة المحدودة • ولا يزيد الحاصلون من هؤلاء على مؤهل دراسي تطبيقي (زراعة وعلوم وهندسة وطب) عن الثلث ، ولا تزيد نسبة الحاصلين على مؤهل أعلى من المؤهل الجامعي الاول عن ١١ في المائة •

● **العمل على توحيد ارض اليمن شمالا وجنوبا**، ليس باعتباره هدفا سياسيا فحسب ، وانما باعتبار انه هدف اقتصادي أيضا ، فعدن هي الميناء الاساسي لتجارة الشمال ، واقامة مشروعات اقتصادية كبيرة نسبيا يحتاج الى سوق أكبر اتساعا من سوق اليمن الجنوبية الشعبية •

وبالرغم مما في هذه الوحدة من اهمية لقسمي اليمن ، الا ان عملية الوحدة ليست باليسيرة قبل الاتفاق على فلسفة الحكم ، وقد كان هذا الامر موضع جدل واختلاف طويل بين حكومتي الشمال والجنوب منذ استقلال اليمن الجنوبية •

اختلال الميزانية

تواجه ميزانية الدولة عجزا كبيرا منذ الاستقلال ، بالرغم من ضغط المصروفات ويرجع السبب في ذلك الى انخفاض الايرادات سواء ما كان يعتمد منها على المعونة البريطانية أو ما كان يحصل من ضرائب ورسوم على المشروعات التي كانت منتعشة نتيجة الوضع الخاص لوجود القوات البريطانية ، وكانت ايرادات الدولة في سنة ٦٧/ ٦٨ — ٨ر٢٥ مليون دينار والمصروفات ٧ر٢٣ مليون دينار ، أما في السنة التالية فقد انخفضت الايرادات الى ٤ر١٤ مليون دينار والمصروفات الى ٥ر١٥ مليون دينار • ويؤرق عجز الميزانية الحكومة ، لاسيما وان هناك مصروفات اساسية لا مفر من انفاقها • مهما اضطرها الى خفض مهايا الموظفين ؟ ورفع أسعار الضرائب والرسوم القائمة ، واستحداث ضريبة دمغة على المحررات الرسمية والعقود والشيكات .. الخ • وضغط المصروفات الى ادنى حد ممكن ، وبالرغم من ذلك كله فان الايرادات العادية في مجموعها لا تكاد تغطي أكثر مما يدفع للموظفين من مهايا واجور ، ومعنى ذلك أن على الدولة أن تبحث عن موارد جديدة لمواجهة المصروفات الجارية لجهاز الدولة ، فضلا عن الانفاق على النواحي الاستثمارية الضرورية ، بل انبعض نواحي الانفاق وهي حفظ الامن والادارة العامة لجهاز الدولة والادارة المالية لها ، تكاد تمتص كل الايرادات العادية ، مخلفة ادارة المشروعات العامة ، والرفاهة الاجتماعية والمصروفات التحويلية تبحث عن مورد لمواجهتها •

ويؤدي اختلال الميزانية بشكل عام الى الحد من قدرة الحكومة على العمل ، فمن ناحية نجدها تواجه صعوبة في مقابلة الرغبة في التوسع في التعليم ، وتقديم الخدمات الاجتماعية ، واقامة مشروعات التنمية ، وكلها من المطالب الملحة للجماهير ، ولازمة أيضا لاحداث تغيير في التركيب الاقتصادي والاجتماعي للبلاد ، وليس من السهل في الظروف العامة للبلاد تغطية العجز عن طريق اصدار سندات على الدولة ، لان ذلك معناه تأجيل المشكلة وليس حلها ، فضلا عما يؤدي اليه مثل هذا الاجراء من ارتفاع في الاسعار ، واستفادة الطبقات التي تعمل الحكومة على الحد من الامتيازات التي تتمتع بها •

ولعل الاجراء الاول الذي يخطر على البال لحل مشكلة الميزانية هو جعل التشريعات القائمة أكثر فاعلية وتعميما • فليس من الطبيعي مثلا ان يقتصر فرض ضريبة الدخل على المحافظة الاولى ، في الوقت الذي يمكن تعميمها على جميع المواطنين ، أخذا بمبدأ وحدة المعاملة بين المواطنين ، وفي ظروف المجتمع الحالية لا يمكن الاكتفاء بالنظرة الاجتماعية بالتقارب بين الدخول ، وخفض الحدود العليا للاجور ، بل قد لا يكون هناك مفر من مقارنة مستويات الاجور بمستويات الدخول في البلد بشكل عام ، ومعرفة مدى تناسب ما يدفع من مهايا مع قيمة العمل المؤدى ، وأثر مستوى الاجور في الاقبال على العمل والتفاني فيه • ومهما يكن من شيء ، فليس من المصلحة القول بخفض الاجور وان كانت عالية ، لما يؤدي اليه ذلك من ردود فعل غير مستحبة ، وان كان يمكن الوصول الى نفس الهدف سواء بزيادة أسعار الضرائب ، أو بزيادة حجم العمل المؤدى ، فمازالت الحدود الدنيا للاعفاء من ضريبة الدخل عالية جدا ، كما أن اسعار الضرائب على الشرائح المختلفة منخفضة دون مبرر ،

ولعله قبل اتخاذ مثل هذا الاجراء ، قد لا يكون هناك مفر من زيادة الاهتمام بأجهزة تحصيل الضرائب ، والتدقيق فى فحص حسابات الممولين ، فاذا عرفنا أن شركة مصافى البترول وحدها تدر حوالى ثلث حصيلة ضريبة الدخل ، فانه ليس من المعقول ــ فى بلد يعتمد على التجارة ــ أن تزيد حصيلة الضريبة على موظفى الحكومة والقطاع الخاص بالرغم من انخفاض معدلاتها ، على ما تدفعه الشركات والتجار بحوالى الثلث ، ولو قدرنا أرباح الشركات بالنسبة للضريبة المحصلة لوجدناها لا تتعدى عشر دخل النشاط التجارى والصناعى ، وهو أمر غير منطقى .

وقد يرى البعض انه يمكن اعادة النظر فى ضريبة العشور الزراعية ، حتى تعطى حصيلة اكبر ، ولو اننا نرى أنه فى ظروف التنمية الحالية وقصور جهاز الضريبة ، ليس من المصلحة اجراء أى تغيير على هذه الضريبة ، وقد يكون من الايسر فرضها على أساس القيمة التقديرية لريع الارض ، وتستمر على ذلك لعشر سنوات مثلا حتى تكون الظروف اكثر مناسبة لاعادة النظر فيها ، وعلى أن يعفى من الضريبة الاراضى التى تستصلح ولمدة خمس سنوات مثلا .

أما بالنسبة للرسوم الجمركية ، فهى مفروضة فقط على الخمور والسجاير والقات والبيض المستورد ، وان كانت مفروضة فى المحافظة الخامسة على مختلف أنواع السلع . وكاجراء لتخفيف التفاوت الضريبى فى البلد الغيت الرسوم فى سبتمبر سنة ١٩٦٨ عن ٣٥ سلعة ضرورية كانت مفروضة فى تلك المحافظة كالارز والقمح والدقيق والزيت والشاى والسكر الخ . . واستعيض عنها بزيادة الرسوم المفروضة على الخمور والسجاير والقات (الملاحظ ان المحافظة الخامسة ما زالت تحتفظ بنظامها القديم الذى يحرم دخول الخمور والقات اليها) . ولحل مشكلة الرسوم الجمركية نجد انه لا مفر من توسيع نطاقها لتشمل مجموعة اكبر من السلع ، ويمكن ان تؤخذ اسعار الرسوم المفروضة فى المحافظة الخامسة كأساس ، ومعدلاتها ليست عالية ، ويمكن تحملها ، والدليل على ذلك تحمل ابناء تلك المحافظة لهذه الرسوم بالرغم من انخفاض مستوى دخلهم بكثير عنه فى المحافظة الاولى ، واذا اخذ بهذا الرأى فانه يمكن الغاء الرسوم المفروضة على السلع الضرورية ، ويسهل وقتذاك توحيد الميزانية لتشمل الجمهورية فى مجموعها .

وقد يثار الجدل حول الخوف من اثر اية ضريبة تفرض على طبيعة الحرية التى تتمتع بها عدن ، مما قد يفقدها الكثير من هذه الميزات ، غير ان هذه الحجة ليست قوية ، لانه يمكن تحديد أماكن يسمح فيها للاجانب بالشراء منها بالعملة الاجنبية المقبولة الدفع ، وتعفى السلع فى هذه الاماكن من الرسوم الجمركية ، او تفرض الرسوم فى حدود ضئيلة ، ويؤدى الوضع الحالى ، الذى لا تفرض فيه رسوم على اغلب السلع ، ليس الى خفض ايرادات الدولة فحسب ، وانما الى سوء استخدام المواطنين للموارد القومية ، فمن غير الطبيعى ان تعفى السيارات والسلع المعمرة ، والاجهزة الكهربائية وادوات التجميل ، والكثير من السلع الترفيهية من الضرائب ، فى الوقت الذى تفتقر فيه البلاد الى المشروعات الصناعية ، ولا يجد بعض المواطنين موردا يعيشون منه ، واذا كان الرد على ذلك هو اشتداد التهريب فان ذلك لا يمكن ان يكون مبررا لعدم وضع سياسة مالية سليمة ، والتهريب مشكلة لا يمكن اهمالها ، بل يجب مواجهتها ليس بالنسبة لدخول وخروج السلع فحسب ، وانما لصالح الامن القومى بالدرجة الاولى .

وبالاضافة الى الموارد القائمة ، هناك مصدر هام لا يمكن اغفاله ، ومازال لم يستغل بعد وهو التركات ، والضريبة على التركات تكون عنصرا هاما فى مختلف النظم الضريبية ، سواء لتزيد موارد الخزانة العامة أو لتلعب دورا تصحيحيا للوضع الاجتماعى ، والمجتمعات الحديثة مهما تباينت فلسفتها تركز على أهمية العمل ، ولا تشجع تكوين الطبقات التى تعتمد فى دخلها على الارث والثروة ، ولكن مهما كانت امكانيات زيادة الايراد ، فان ضعف الموارد الحالية ، ستعكس أثرها على حصيلة الضرائب المختلفة ، الامر الذى يفرض ضرورة الاهتمام بالتنمية الاقتصادية بالدرجة الاولى ، لانها هى المجال الطبيعى لزيادة دخل المجتمع ، ثم دخل الدولة .

أما بالنسبة للجانب الاخر فى الميزانية ، وهو جانب المصروفات ، فان العنصر المؤثر فيه هو ارتفاع نفقات الدفاع ، وهى ليس من السهل خفضها فى مرحلة الانتقال التى يمر بها المجتمع ، ونتيجة للتحرشات المستمرة على الحدود ، وان كان يمكن تغيير اثر الانفاق فى هذا البند ، باعادة النظر فى نظام التجنيد الاجبارى ، الذى يمكن من تحسين نوعية العاملين فى الجيش من ناحية ، وخفض تكاليفه من ناحية أخرى ، بعد اعادة تأهيل العاملين حاليا فى الجيش لاداء اعمال انتاجية .

وبمراجعة بنود الصرف فى المجالات الاخرى نجد أنه ليس من السهل اقتراح خفض فيها ، بل على العكس ، ان بعض مجالات الانفاق قاصرة عن الوفاء بالهدف منها ، كالخدمات التعليمية ، والصحية والقضائية ، وتنمية المشروعات الخ .. فمازال التعليم أدنى من متطلبات البلاد ، وتزيد

نسبة الأمية عن ٧٠ فى المائة ، ومازالت المرافق الصحية قليلة كما سبق ان ذكرنا ، وبالرغم من كبر مساحة البلاد ، فلا تزيد الطرق المعبدة فيها عن ٤٨٠ كيلو مترا ،منها ٣٢٠ كم بالاسفلت نصفها فى عدن وحدها .

ولعل المسألة التى تحتاج الى دراسة فى جانب المصروفات هى ساعات العمل والاجازات ، فلا تزيد ساعات العمل فى ادارات الحكومة عن ست ساعات يوميا ، وللموظف الحق فى الحصول على اجازة سنوية تتعادل مع ٣ أيام او ٥ أيام فى الشهر ، بالاضافة الىالاجازات الرسميةللمواطنين تبعا لدرجة الموظف ، وتصل أيام الاجازات الى ٧ أيام فى الشهر للمغتربين ، ويمكن ترحيل الاجازات من سنة الى أخرى دون حدود ، الامر الذى يؤدى الى فقد نسبة كبيرة من أيام العمل دون مبرر ، واذا كان مثل هذا الوضع مقبولا بالنسبة للاجانب ، أو فى ظل الحكم الاستعمارى الذى لم يكن ليكترث بالرخاء العام للمجتمع ، فان الوضع لا يمكن ان يستمر هكذا دون ان يحدث آثارا عكسية على مستوى الاداء فى أجهزة الحكومة ، فضلا عن رد فعله على قطاعات الانتاج الاخرى فى المجتمع ، واذا كانت الظروف المناخية تجعل العمل صعبا فى بعض ساعات النهار ، فيمكن تقديم ميعاد العمل ، او جعله على فترتين ، ولن يحدث هذا الامر مشكلة فى المواصلات ، لان نطاق العاصمة محدود ولا تشكو من الازدحام اونقص المواصلات .

قد يمكن مواجهة عجز الميزانية العادية فى وضعها الحالى بزيادة الضرائب ، غير أن متطلبات التنميةالاقتصادية ، والاجتماعية ، والظروفالعامة التى تمر بها البلاد ، تجعل التعديل على ذلك امر غير ممكن ، ولعل الوسيلةالحاسمة فى هذا المجال هى حصول البلد على معونات خارجية سواء من الامم المتحدة او جامعة الدول العربية ، لمدة تتراوح بين ٣ ، ٥ سنوات لتغطية عجز الميزانية ، مع تأمين البلاد ضد حركات التسلل والتحرش على الحدود حتى تتفرغ الحكومة لاعادة بناء البلاد .

تأميم قطاعات الخدمات الاجنبية

كان من الطبيعى أن تلجا الحكومة الثورية الوطنية فى اليمن الجنوبية ، وهى تعلن سياستها للتنمية وتخطيط الاقتصاد القومى ، والسير فى الطريق الاشتراكى الى تقييد حرية المشروعات الاجنبية فى مزاولة نشاطها حتى لا تسمح لها بتخريب اقتصاد البلاد تحت اسم الحرية الاقتصادية ، بالتلاعب فى الانتاج والاسعار ، والضغط على العمال الوطنيين بالطرد أو خفض الاجور ، وتحويل النشاط الانتاجى الى خارج البلاد ، والمعاونة فى تهريب رؤوس الاموال .

وقد كشفت الحراسة التى فرضت فى أوائل يوليو سنة ١٩٦٩ على شركة **لوك توماس** ، وكذلك المشاكل التى أثارها **أنتونى بس** ، والعمليات المريبة لفروع البنوك الاجنبية ، عن عمق المشكلة التى تواجه البلاد والاثر التخريبى للنشاط الاقتصادى الاجنبى .

ولهذا كان اتخاذ قرار حاسم تجاه رأس المال الاجنبى المستغل ، مسألة تحتاج الى دقة فى التوقيت ، واعداد كاف للدراسة ، لا سيما والبلاد يعتمد اقتصادها على الخدمات التى تتحكم فيها المشروعات الاجنبية . هذا بالاضافة الى أن البلاد تفتقر الى الكفايات الفنية فى مختلف المجالات .

وفى فجر عيد الاستقلال الثانى — فى ٢٧ نوفمبر سنة ٦٩ — أصدرت الحكومة ما يمكن اعتباره أخطر قرار يمكن أن يتخذ ، وهو تأميم المصالح الاجنبية فى القطاع الاكبر من مشروعات الخدمات العاملة فى البلاد ، وانشاء مؤسسة اقتصادية للاشراف على مجالات نشاطها ، وخطورة القرار ترجع الى الظروف الخاصة لليمن الجنوبية ، والمشاكل التى تواجهها ، الامر الذى يقتضى معاونتها لتدعيم هذه الخطوة .

وقد جاء فى مقدمة قانون « **المؤسسة الاقتصادية للقطاع العام والتخطيط القومى** » ان ثورة ١٤ أكتوبر سنة ٦٣ قد قامت « لا من أجل الاستقلال والسيادة الوطنية والتحرر والوحدة القومية فحسب ، بل أيضا من أجل انجاز الاستقلال الاقتصادى ، أساس الاستقلال الوطنى ، ودعامة الوحدة القومية ، واذا كان الشعب اليمنى قد ناضل وضحى لانتزاع استقلاله ، فجدير به ان يتجاوز كل المصاعب من اجل اعلان الثورة الاجتماعية ، بالاقدام على تحرير اقتصاده من سيطرة رأس المال الاستعمارى ، باحلال رأس المال الوطنى محله ، وانعاش رأس المال الوطنى الخاص ، وذلك لصيانة الاستقلال الوطنى ضد الثورة المضادة ، ولاستكمال شروط الثورة المركبة : الوطنية ، والقومية ، والاجتماعية والديمقراطية الشعبية » .

وبموجب القانون تم تأميم :

● جميع البنوك وفروع البنوك الاجنبية وهى : **البنك الاهلى ، وجريندليز ، والبنك الشرقى ، وشارترد بنك ، والبنك البريطانىللشرق الاوسط ، والبنك العربى ، وبنك الهند ، وحبيب بنك ، وبنك اليمن الجنوبية .**

● جميع الشركات التجارية الاستعمارية الكبرى وهى : ا • بس وشركاه (عدن) ، وشركة **لوك توماس** [**التجارية**] **وشركة لوك توماس** وشركاه ، وشركة **بول رايس (عدن) وقهوجى دينشو** •

● جميع شركات التأمين ، واعادة التأمين ، وفروعها الاجنبية وهى : شركة **لوك توماس** (عدن للتأمين] والوكالات التأمينية لهذه الشركة ، وهى وكالة الشركة التجارية للتأمين ، ووكالة شركة لندن للتأمين برا وبحرا ، ووكالة شركة الشمال البريطانية ، والشركة الامريكية للتأمين على الحياة (عدن) ، والوكالات التابعة لشركة **البس** وهى وكالة شركة البرودنشيال ، ووكالة شركة التاج ، ووكالة شركة لندن ولفربول والعالم ، والوكالات التابعة لشركة **بول رايس** وهى وكالة شركة أطلس ، ووكالة شركة الجنوب البريطانية ، ووكالة الشركة المتحدة ، ووكالة الشركة الملكية •

● جميع شركات خدمات الموانىء الكبرى ، وهى الشركات التابعة لمجموعة البس وهى : شركة أحواض السفن (عدن) وشركة الحلال للشحن ، وشركة الحلال للشحن (عدن) والشركتين التابعتين للوك توماس ، وهما شركة لوك توماس للملاحة ، ولوك توماس للورشات ، وكذلك شركة عدن للشحن والسياحة والنقل والقوارب (ستالكو) •

● جميع الشركات الاستعمارية لتوزيع المنتجات البترولية ،عدا تلك التى تقوم بمد البواخر والطيارات بالوقود والزيوت وهى : شركات شل (لليمن الجنوبية) ، وموبيل اويل ، وكالتكس، واسو ، والنفط البريطانية •

وتقوم بالاشراف على الشركات المؤممة هيئات متخصصة ، فمهمة هيئة المصارف توحيد البنوك فى بنك واحد تحت اسم **البنك الاهلى** فى جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، وتقوم الى جانبه مؤسسة النقد ، التى ستتحول الى **بنك مركزى** • اما هيئة التجارةفتتجه الى توحيد المنشآت المؤممة فى شركتين ، واحدة للتجارة الخارجية ، والثانية للتجارة الداخلية ، وتقوم بانشاء منطقة حرة فى ميناء عدن ، لتنظيم وتطوير عوائد تجارة الموانىء والترانسيت والسياحة •

وتقوم هيئة التأمين بتوحيد شركات التأمين فى شركة وطنية للتأمين ، واعادة التأمين •

وتختص هيئة الموانىء بتوحيد الشركات العاملة فى الميناء فى شركة أو أكثر ، على أساس مبدأ التخصص أو التوزيع الوظيفى لخدمات الميناء •

وتعمل هيئة النفط على توحيد جميع عمليات توزيع النفط فى منشأة واحدة ، وتقوم بالاضافةالى ذلك بتنشيط عمليات الاستكشاف ، واستخراج النفط والهيدروكربونات واستثمارها وطنيا ، بشكل مباشر بقدر الامكان ، وكذلك الاشراف على تنفيذ بروتوكول تأسيس الشركة اليمنية الجنوبية الجزائرية للبحث والتنقيب عن البترول الذى عقد فى اكتوبر سنة ١٩٦٩.(«)

ويقضى القانون بقصر العمليات المصرفية على القطاع العام ، وكذلك الحال بالنسبة لعمليات التأمين ، وسمح فى نفس الوقت بانشاء شركات مختلطة لمزاولة النشاط التجارى ، وان قصر استيراد بعض السلع الاستهلاكية الاساسية على القطاع العام ، وهى الدقيق والقمح والارز والسمن والزيوت النباتية والسكر والشاى والسجاير ، وكذلك استيراد السيارات ، واحتياجات الدولة ومستشفياتها من الادوية والعقاقير الطبية •

وسمح للمواطنين المساهمين فى المشروعات المؤممة ، اما بالاستمرار فى مساهماتهم ، أو قيام الهيئات بشراء انصبتهم ، على ان يستثمر ما يعادل قيمتها فى المشروعات الانتاجية أو الصناعية التى تتم الموافقة عليها • واذا رفض هؤلاء عمليات المساهمة السابقة ، فيتم تعويضهم بالشكل الذى يعوض به الاجانب ، وذلك على اساس قيمة الموجودات فى تاريخ التأميم ، وبسندات اسمية على الدولة تستحق بعد ٢٠ سنة وبفائدة سنوية قدرها ٢ فى المائة •

ونص القانون على انشاء مؤسسة اقتصادية تضم الهيئات السابق الاشارة اليها ، وكذلك هيئة التخطيط القومى التى عهد اليها باعداد مشروعات خطة التنمية العامة والقطاعية ، واعداد الدراسات اللازمة للخطة ، ويبدو أن هذه الهيئة تحل محل اللجنة الاستشارية للتخطيط السابق انشاؤها فى سنة ١٩٦٨ ، وتضم مجلس المؤسسة بالاضافة الى رؤساء الهيئات ، وبعض الوزراء المشرفين على القطاعات الانتاجية ، وكذلك ممثل للعمال وآخر للفلاحين ،وثالث للمثقفين ،ويرأس المؤسسة نائب رئيس الوزراء للشئون المالية والاقتصادية ، وتوزع أرباح المؤسسة بما يضمن أن يكون لها دور فى تنفيذ الخطة (٥٠ فى المائة من الارباح) ، وتخصص نصف الارباح لتمويل سندات التعويض ، والخزانة العامة •

وقد جاء فى كلمة السيد رئيس مجلس الرئاسة فىأول ديسمبرسنة ١٩٦٩فىشأن التأميم: انه«فى الوقت الذى نتوجه لضرب الرأسمال الاجنبى ، فاننا على العكس من ذلك لا نمس الاقتصاد الوطنى بأى حال من الاحوال ، بل اننا قد أكدنا على

ضرورة صيانة الرأسمال الوطني ، وامكانية مشاركته جنبا الى جنب مع القطاع العام .. ، ويشير في كلمته الى أن « القطاع الخاص اذا لعب دورا سلبيا مخربا في الاقتصاد الوطني ، فانه سوف يعامل بنفس الطريقة التي عومل بها الرأسمال الاجنبي » وأكد أن اجراءات التأميم ليست سوى خطوة ستتبعها خطوات على الجانب السياسي ، يقصد بذلك وضع دستور على اساس اشتراكي . واستكمالا لهذا الاتجاه الغى امتياز الملح وكان في يد شركة هندية واقيمت مؤسسة خاصة لرعاية هذا المرفق » .

وليس هناك شك في أن ثورة ١٤ أكتوبر ، كانت ثورة أصيلة ، لم تخلص اليمن الجنوبية من الاستعمار البريطاني فحسب ، وانما تعمل لاعادة بناء المجتمع على أساس اشتراكي سليم ، وتواجه في سبيل ذلك الضغوط الكبيرة ، التي تفرض على القوى التقدمية مساندتها لتأكيد دورها .

خــــــاتمـــة ..

لقد تحمل شـــعب اليمن الجنوبية عبئا ماديا ضخما حتى خلص بلاده من الاستعمار الذي جثم على صدرها لسنين طويلة ، ولا شك ان خروج الاستعمار من هذا المكان في العالم يقلل من فرص العدوان على الشعوب مما يعزز قضية السلام العالمي ، وفضلا عن ذلك فان استقرار هذه البلاد ورخاءها امر يخدم قضية التحرر ويزيد من آمال الشعوب التي تناضل للاستقلال ، ولكن اليمن الجنوبية بامكانياتها المحدودة لا يمكنها ان تقوم وحدها بعبء اعادة بناء مجتمعها ، لان ذلك يتطلب وقتا طويلا وجهدا مضنيا فيوقت تتحرك فيه الأمور في العالم بمعدلات فائقة السرعة .

ولا شك في أن تعاون الدول المتحررة لدعم الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية لليمن الجنوبية سييسر على حكومتها القيام بمسئوليتها ، مستندة في ذلك الى شعب قوى المراس ، يدرك دوره ومسئوليته في معركة البناء والتحرر العالمي .

■ ■

بعض الاحصاءات الاساسية

جدول رقم (١)

الانتـــــاج	٦٦	٦٧	٦٨
ذرة رفيعة (١٠٠٠ طن)	٤٥	٥٤	٥٤
قمح («)	٢٠	٢١	٢١
سمسم («)	٢ر٦	٢ر٩	٢ر٩
قطن («)	٩ر٥	١١ر٧	٤ر٨
مواد بترولية (مليون طن)	٦ر٨	٣ر٥	٤ر٨
السفن العابرة («)	٣١ر٦	١٥ر٥	٦ر٢
واردات (مليون دينار)	١٠٢	٧٢	٨٤
صادرات («)	٦٨	٥٠	٤٦
ودائع البنوك («)	١٧ر٩	١٣ر٦	١٥ر٦
قروض البنوك («)	١٠ر٧	٩ر٧	٩ر٥

جدول رقم (٢)
الانتاج الصناعي سنة ١٩٦٨

الســــــلعة	الكميــة
مشروبات خفيفة (مليون زجاجة)	٣١ر٢
منتجات الالبان (١٠٠٠ لتر)	٤٦٥
صابون (طن)	٥٣٦
بلاط (مليون قطعة)	١ر١
ادوات المنيوم (طن)	١٠
زيت سمسم (طن)	٩٨٥
كهرباء (مليون ك.و.س)	١٢٧
بنزين (١٠٠٠ طن)	٧٤٤
وقود بواخر (مليون طن)	٣ر٤

جدول رقم (٣)
ايرادات الدولة قبل وبعد الاستقلال

مليون دينار

البند	٦٧/٦٦	٦٨/٦٧	٦٩/٦٨
ضرائب مباشرة	١ر٩	١ر٩	٢ر٠
ضرائب غير مباشرة	٣ر١	٢ر٨	٣ر٤
تراخيص وغرامات	٠ر٤	٠ر٢	٠ر٣
ايرادات مصالح الدولة	٣ر٥	٢ر٧	٠ر٩
اخـــــرى	٢ر٥	٢ر٦	٥ر٥
مجمـــــوع	١١ر٤	١٠ر٢	١٢ر٣
اعانة بريطانيا	١٠ر٦	١٥ر٦	٢ر١
مجموعة كلى	٢٢ر٠	٢٥ر٨	١٤ر٤

جدول رقم (٤)
مصروفات الدولة قبل وبعد الاستقلال

١٠٠٠ دينار

البند	٦٧/٦٦	٦٨/٦٧	٦٩/٦٨
الادارة العامة	٧٤٣	٦٤٨	٥٧٢
الادارة المالية	١ر٤٧١	٧٣٣	٥٩٠
حفظ الامن	١٠ر١٢٣	١٢ر٤٩٣	٨ر٢٨٦
ادارة المشروعات العامة	٢ر٨٧٨	٢ر٣٣٥	١ر٧٤٤
الرفاهة الاجتماعية	٤ر١٢٤	٣ر٩٣٢	٣ر١٠٨
مصروفات تحويليه	٤ر٠٣١	٣ر٥٤٣	١ر١٩٢
مجموع كلى	٢٣ر٣٧٠	٢٣ر٦٨٤	١٥ر٤٩٢

— الادارة العامة : تشمل الادارة العليا والقضاء والخارجية

— الادارة المالية : تشمل المالية ، والحسابات .

— ادارة المشروعات : تشمل الاشغال والزراعة والادارة البلدية .

— الرفاهة الاجتماعية : تشمل التعليم والصحة والعمل والشئون الاجتماعية .

— مصروفات تحـــويلية : تشـــمل خـــدمات الشركات ، والمعاشات والدين العام » .

الوحـــدة والتنـــوع في اعـــادة تنظـــيم القطـــاع العـــام



د. فـــؤاد مرسى

آن الأوان لاعـــادة النظـــر فى تنظيم القطاع العام ، فقد بات من المسلم به لدى الجميع — لدى المديرين والعاملين ،لدى المؤتمرات العديدة التى انعقـــدت اخيرا لمـــناقشـــة قضـــايا الاقتصـــاد والمـــال والادارة ، ولدى اعضـــاء لجنـــة الصـــناعة والبترول والكهـــرباء والثروة المعـــدنيـــة فى مجلس الامـــة . ان التنظيـــم الداخلى الراهن للقطاع العام قد استنفد أغراضه ، وأنه من ثم قد غدا عقبة فى وجه كفاءة العمل بالقطاع العام ، وكثيرا ما تعرض هذه الاتجاهات فى صورة الدعوة لالغاء اللائحة الحالية للعاملين فى القطاع العام ، وهى اللائحة الصادرة بالقرار الجمهورى رقم ٣٣٠٩ لسنة ١٩٦٦ ، واحلال لوائح عديدة تكون لوائح نوعية بحسب قطاعات الانتاج والخدمات فى القطاع العام ، ولذلك نخشى أن تتحول المناقشة الى مجرد حوار سطحى بين اعادة تنويع اللوائح ودعاة وحدة اللائحة ، فالظاهرة التى يجرى حولها الخلاف ، ظاهرة موضوعية جديرة بكل انتباه ، انها تتعلق باختصار بطبيعة التطور الذى يعترى القطاع العام .

فقد قلنا منذ سنوات طويلة ان القطاع العام يدخل فى تجربتنا المصرية للتحول الاجتمـــاعى بوصفه قاعدة لا غنى عنها للتنمية الاقتصادية ، ومن ثم يلعب دورا حاسما فى اقامة الاقتصاد الوطنى المتحرر من التبعية للمصالح الاستعمارية والسوق الرأسمالية العالمية ، كما يلعب بالتالى دورا رياديا فى محاولة تغيير العلاقات الانتاجية والاجتماعية ، من علاقات تقوم على الاستغلال الرأسمالى ، الى علاقات تتخلى عن الاستغلال ، وتستند الى الارادة الواعية لمجموع العاملين ، ولهذا كانت التنمية المخططة هى التعبير الاقتصادى عن هذه المحاولة ، بينما كانت ديمقراطية تحالف قوى الشعب هى التعبير السياسى عنها .

هكذا كان القطاع العام فى بلادنا مرآة لمرحلة الانتقال بكل ما تنطوى عليه من تناقضات وما يمكن أن تؤذن به من تحولات ، بل لقد كشف تطور هذا القطاع العام عندنا عن ظاهرة استمرار الثورة المصرية من ثورة وطنية الى ثورة اجتماعية تطمح الى الغاء الاســـتغلال ، ولقد انعكســـت هـــذه الظاهرة الجوهرية على القطـــاع العام نفســـه من داخله ، على تركيبه وادارته وتنظيمه ، على

علاقات الانتاج فيه ٪ على أسلوب انتاجه ٪ بل وعلى منتجاته ..

تطورات تنظيم القطـاع العام

وفى اطار مرحلة الانتقال ، مر القطاع العام ـ منذ مولده الجديد فى اجراءات يوليو ١٩٦١ ـ بمرحلتين متميزتين اقتضت كل منهما تنظيما خاصا ، **ففى مرحلة أولى بدأت فى ١٩٦١ وانتهت فى ١٩٦٥** ، كان القطاع العام الوليد يتكون ويتشكل ، كان يتلمس معالم وحدود ومجالات وجوده ، كانت الدولة قد بدأت عمليات التأميم الواسعة ولم تتوقف ، كانت الخطة الاولى للتنمية قد وضعت فى التطبيق ، فكشفت على الفور عن ضرورة اجراء التأميمات والا قضى على الخطة نفسها ، وبدأ القطاع العام طبقا للميثاق يقود فى طول البلاد وعرضها عملية تحول اقتصادى واجتماعى وسياسى هائلة ، وبدأت تتحدد معالم أساسية للقطاع العام تستند الى الملكية العامة ، وتمنح قوى الانتاج طابعا جديدا هو أن توضع فى خدمة الشعب ، تمهيدا لقيام علاقات عمل وانتاج جديدة ، فى مقدمتها مشاركة العمال فى الادارة ومساهمتهم فى جنى الأرباح .

وليس هنا مجال الافاضة فى شرح معالم هذه المرحلة من تطور نظم القطاع العام ، وانما الذى يعنينا فى هذا المقال هو أنه فى هذه المرحلة طرحت كل الافكار الجديدة بشأن التنظيم الممكن للقطاع العام ، طرحت مثلا قضية المديرين ، اجتماعيا وسياسيا ، فنيا واداريا ، طرحت قضية العمال ، نقابيا وسياسيا واداريا ، طرحت قضية العلاقة بين الادارة والعاملين ، ومدى استعداد الادارة للتعامل الحر مع العاملين ، ومدى استعداد العمال للادارة ، طرحت قضية الاجور والحوافز وعلاقتها بالانتاج ، وكان من وراء ذلك حوار حول حسن توزيع الفائض الاقتصادى ، بين الطبقات والفئات ، وبين القطاعات المختلفة من الاقتصاد .

وعندما انتهت الخطة الخمسية الاولى ، كانت المناسبة كبيرة لتقييم نتائج الخطة ، والبحث عن أساليب لتحسين الاداء ، ومن ثم فتحت مناقشات عديدة انتهت فى عام ١٩٦٦ باصدار قانون مؤسسات وشركات القطاع العام ولائحة العاملين ، **عندئذ بدأت فى الواقع المرحلة الثانية من تطور تنظيم القطاع العام** ، فبعد مرحلة التكون والتشكل وطرح الافكار ، بدأت مرحلة الاستقرار ، وترشيد تنظيم القطاع العام من الداخل ، لم تعد المشكلة هى تحديد معالم القطاع العام الذى مازال يتكون ٪ وانما صارت المشكلة هى ترشيد أسلوب هذا القطاع العام الذى تكون .

وقد جرى الترشيد على أساس أن القطاع العام هو القطاع القائد والحاسم فى الاقتصاد القومى ، وهو بالتالى معقد الامل فى تطوير التنمية ، ولذلك أصبح تطوير القطاع العام من داخله ضرورة لا مفر منها من أجل قيامه بهذه المهام الملحة ، واتفق على أن يبدأ التطوير من قاعدة القطاع العام ، أى من الشركة وهى الوحدة الاقتصادية سواء كانت وحدة انتاج او وحدة خدمات ، وتحددت بوضوح علاقة الشركة بالمؤسسة ، وعلاقة المؤسسة بالوزير ، وأحست الشركات باستقرار مسئوليتها عن العمل ، وأحست الادارات باستقرار اختصاصاتها ، وأحس العاملون باستقرار أوضاعهم ، لكنه استقرار محكوم بالطبيعة غير المستقرة للمرحلة الانتقالية ، ولذلك فانه على الرغم من هذه المحاولة الهامة ، لم يوضع حد للحوار حول تنظيم القطاع العام ، فما أن وضعت الاطر القانونية لتنظيم القطاع العام ، حتى انطلقت موجة جديدة من الصراع الفكرى حول تنظيم وادارة القطاع العام ، وانتهت بمؤتمر الانتاج الذى عقد فى مارس ١٩٦٧ وأدلى فيه **الرئيس عبد الناصر** بحلول لكثير من المشاكل . يومها أكد الرئيس عبد الناصر على أن هذا الصراع الفكرى تعبير عن التناقضات التى تحفل بها المرحلة الانتقالية ، وبالفعل فلقد كان تعبيرا عن التناقض بين علاقات الانتاج الرأسمالية الراسخة والمألوفة ، والعلاقات الانتاجية الجديدة التى ما زالت تتشكل . ولم يتوقف الصراع الفكرى ، بل زاد عمقا وأثرا فيما بعد نتيجة لعدم وجود خطة خمسية ثانية بالمعنى الدقيق ، ولعدوان يونيو الذى أعقبته النكسة ، وقد كان لذلك كله تأثير ملموس فى داخل وحدات القطاع العام على الموقف من الملكية العامة ومن علاقات العمل والانتاج .

لهذا يمكن القول بأن المرحلة الثانية من تطور نظام وتنظيم القطاع العام قد انتهت او هى توشك على الانتهاء ، وتبدأ المرحلة الثالثة بدعوة ملحة لاعادة تنظيم القطاع العام ، وذلك باطلاق حرية القطاعات المختلفة فى تنظيم نفسها . وتصطحب هذه الدعوة أحيانا بدعوة لاعادة تقييم كثير من الوحدات الانتاجية وطرح بعض أسهمها للتداول ، على أن تكون الاولوية فى الشراء للعاملين فيها وأن يطرح الباقى للاكتتاب العام بشروط محددة بحيث يكون هناك حد اقصى للاكتتاب ، والا تتعدى حصة الاسهم التى تطرح للاكتتاب ٢٠ فى المائة او ٢٥ فى المائة من رأس مال الوحدة بعد اعادة تقييم رأس المال .

ولادراكنا لحقيقة أن القطاع العام مرآة للمرحلة الانتقالية الراهنة ، فاننا نحاول أن نكتفى فى هذا المقال السريع بعرض تصورنا لما **يمكن أن يكون** اساسا لاعادة تنظيم القطاع العام ..

اعادة تنظيم القطــاع العــام

نقطة البدء عندنا هى أن القطاع العام يعتبر فى نظرنا عنصرا هاما لتسهيل عملية الانتقال من اقتصاد التخلف والمستعمرات الى طريق التطور الاشتراكى ، وشرط ذلك ان يستند الى سلطةتوى الشعب العامل حتى يتمكن من خلق وتطوير علاقات انتاج ترفضالاستغلال ، ولقد كانتبدايته مشجعة على هذا الفهم ، فلقد بدأ القطاع العام من التاميم فى معركة وطنية مستهدفا تطوير الصناعة ودعم الاستقلال ، فلم يلبث أن خاض معركة اجتماعية هامة ضد الاستغلال الرأسمالى ، من اجل هذا كانت المعركة حول القطاع العام فى كل مرحلةمن المراحل تعكس المضمون الحقيقى للعملية الثورية الحالية .

لذلك يواجه القطاع العام من جديد حوارا بين أولئك الذين يرغبون فى تحويله الى قاعدة للتحول الاجتماعى واولئك الذين يسعون فى تحويله الى منطلق لرأسمالية الدولة .

وفى اعتقادنا أن السنوات الخمس القادمة يمكن أن تسمح لنا بوضع هدف محدود هو « رفع كفاءة القطاع العام » . وعلى ضوء هذا الهدف يمكن ان نضع تصورنا لاعادة التنظيم الذى يجب أن يجرى داخل القطاع العام .

ونظرا لان رفع كفاءة القطاع العام تتمثل اليوم فى الفهم الصحيح للطبيعة الموضوعية للقوانين الاقتصادية ، فان أسلوب تنظيم وادارة وعمل القطاع العام يجب أن يسترشد بالقوانين العلمية للاقتصاد السياسى فى المرحلة الانتقالية ، وفى مقدمة هذه القوانين جميعا هذا القانون الاساسى الذى يقول بأن القطع العام فى المرحلة الانتقالية ، وهو يعكس تناقضاتها ، يمكن أن يكون قاعدة للرأسمالية كما يمكن أن يكون قاعدة للاشتراكية ، ولذلك يتوقف الامر على وعى البشر ، على ارادة البشر وأفعالهم ، وبخاصة على مدى مشاركة العاملين فى توجيه القطاع العام واتخاذ القرارات الحاسمة فى شأنه

ان رفع كفاءة القطاع العام يمكن أن يتحقق اليوم — وهو متصور حتى بدون استثمارات جديدة — اذا ما اتجهت الجهود نحو الاهداف التالية فى كل وحدة اقتصادية وعلى مستوى القطاع العام بأسره :

أ — زيادة كفاءة الاستثمارات القائمة .

ب — تحقيق وفورات الانتاج .

ج — رفع انتاجية العمل البشرى .

د — تكوين احتياطيات عينية ومالية .

هـ — تعبئة الموارد الداخلية .

و — تطوير التنظيم .

وفى سبيل تطوير التنظيم نجد من الضرورى تطوير القواعد التى تحكم أسلوب عمل الوحدة الاقتصادية ، **ابتداء من الخطة السنوية ، الى تقييم الاداء ، الى حرية الادارة ، الى نظام العاملين .**

وسنتناول هذه الموضوعات باختصار :

أولا : الخطة السنوية

المفروض أننا بصدد وحدة اقتصادية لها أساس اقتصادى سليم يبرر وجودها ، ومن ثم يجب ان يعاد تقدييمالوحدات الاقتصادية القائمة على أساس اقتصادى يسمح وحده ببقائها او بتصفيتها ، وينطبق المبدأ نفسه عند الادماج والاندماج أو الانفصال ، بالنسبة للوحدة الاقتصادية ، تكون الميزانية التقديرية او الموازنة التخطيطة هى خطتها السنوية ، ولكى نضمن جدية هذه الخطة يجب أن توضع بالاشتراك مع المؤسسة التى تكون مسئولة عن قطاع نوعى له ما يبرر وجوده الذاتى ، وتكون للوحدة الاقتصادية حرية التصرف فى اطار الميزانية التقديرية ، ولادارة الوحدة ان تتخذ القرارات اللازمة لتحقيق أهداف الخطة ، على أن تحاسب أمام المؤسسة عما يتحقق من نتائج فى نهاية السنة المالية . وهكذا تكون الادارة هى المسئولة عما يسمى بتحقيق توازن الخطة .

ويعرض رئيس مجلس الادارة داخل كل وحدة اقتصادية الخطة السنوية على العاملين ويناقشها معهم ، مجتمعين فى صورة اللجنة الانتاجية ، كما يعرض عليهم مجتمعين الحساب الختامى وحساب الربح والخسارة .

ثانيا : تقييم الاداء

نقطة البدء هنا هى تعديل المحاسبة الاقتصادية طبقا لاقتصاد التخطيط وربط المحاسبة بالوحدة الاقتصادية ابتداء ، وتحقيقا لذلك يكون معيار الربح الاقتصادى ، الربح غير المصطنع ، هو الاساس للمحاسبة عن الاداء ، ويوضح بالتالى نظام لاشهار افلاس الشركة التى تفشل فى تحقيق الربح أكثر من سنة .

وضمانا لان يكون الربح اقتصاديا يجب ان يتحقق ما يلى بصفة خاصة :

ا ــ ادخال مخصصات الاستهلاك فى تكاليف لانتاج بدلا من خصمها من الربح الكلى .

ب ــ الفصل بين مخصصات الاستهلاك لتحسين الاصول ، وبين مخصصات الاستهلاك الخاصة بالدولة على اختلاف صورها .

جـ ــ حساب الربحية بنسبة ربح معينة الى الاصول بدلا من اعتبارها نسبة مئوية من تكاليف الانتاج او سعر البيع .

وعندئذ تكون صيغة تقييم الاداء بقدر مطابقة التنفيذ لاهداف الميزانية التقديرية صيغة سليمة ، وفى هذا الصدد يجب ان يختلف اسلوب تقييم الاداء فى وحدات الانتاج عن اسلوبه فى وحدات الخدمات مثل التجارة الخارجية ، ففى هذه الوحدات الاخيرة يجب ان تتشكل مجموعةمن الاعتبارات آخرها الربح لتكون اساسا لتقييم الاداء ، مثل : مدى استخدامالموارد المتاحةللشركة استخداما اقتصاديا سليما ، مقدرة الشركة على فتح اسواق خارجية جديدة ، مدى امكان توفير العملات الحرة ، الزيادة من الصادرات عن الاهداف ، حجم عمليات التجارة الدولية المنفذة ، واخيرا حجم الارباح وصافى ما يؤول منها الى الدولة مع اعتبار ما تقوم به شركة التجارة الخارجية من عمليات بتكليف من الدولة .

ثالثا : حرية الادارة

تتمثل حرية الادارة فى التصرف فى حريتها أساسا فى اتخاذ قرارات التعيين والترقية والاجور والعلاوة والحوافز والفصل ، ولذلك تطالب لجنة الصناعة فى مجلس الامةبالموازنة بينالمسئوليات الملقاة على عاتق الشركات والسلطات الممنوحة لها ، وتدعو للحرية الكاملة فى (كل ما يتعلق باوضاع العاملين) .

ومع تسليمنا بضرورة التسليم بحرية الادارة فى كل ما يتعلق باوضاع العاملين ، الا ان الظروف الراهنة لا تشجع بعد على ترك حرية التعيين والفصل للادارة ، ومن الضرورى قبل بلوغ هذا المستوىمنتوفير جيلمنالمديرينمستوعبينللمفهوم الاشتراكى ، ولذلك نركزحديثنا على حرية الادارة الحالية فى الترقية والاجور والعلاوة والحوافز .

يجب اذن ان تمنح الادارة هذه الحريات :

ا ــ حرية تعديل الهيكل التنظيمى فى حدود ميزانية الاجور المعتمدة ، وذلك ضمانا لتطوير وظائف كل وحدة اقتصادية وفقا لمقتضيات العمل ، فى اطار خطة الدولة ، كما تعبر عن نفسها فى صورة ميزانية الاجور .

ب ــ حرية التوسعفى استخداماساليبالتقدير والتشجيع مثل منح العلاوات والترقية والحوافز المادية والمعنوية ، وذلك ضمانا لسرعة وفعالية مكافأة العاملين المجدين ومحاولة للقضاء على وباء العمل الاضافى .

جـ ــ حرية الادارة فى توقيع العقوبات ضمانا لسرعة وفعالية الجزاء ، واقرار لمسئولية الادارة عن الادارة .

رابعا : نظام العاملين

هنا بصدد نظام العاملين تبدو اهمية المناقشة حول الوحدة ام التعدد فى تنظيم القطاع العام ، والواقع أنه من الضرورى ان يوجد نظام اساسى للعاملين ،موحد بالنسبةلسائر المواطنين ، لا يمكن التحلل منه ، ولا يمكن السماح بأن يتحول الى فوضى ، واعادة النظر فى لوائح العاملين لا تعنى اطلاقا التخلى عن هذا النظام الاساسى للعاملين فى المجتمع ، والذى يكفل المساواة بين المواطنين جميعا .

ونعتقد أن هذا النظام الاساسى يجب أن يتضمن قواعد التعيين والترقية والنقل والندب والتأديب وانهاء الخدمة . والحد الادنى للاجور والحد الاقصى لها ، وساعات العمل ، والمشاركة فى الادارة والارباح . ولا تتعارض حرية الادارة مع وجود مثل هذه القواعد الموحدة بالنسبة لسائر المواطنين ، لان حرية الادارة توجد فى حدود تطبيق هذه القواعد فى كل وحدة اقتصادية على العاملين فيها .

اما القواعد المتعلقة بعملية الانتاج وطبيعته ، العمل الاضافى وساعاته واجره ، بدل السفر ،نظم الاجازات ، نظم المرتبات ، فيجب ان تترك لكل وحدة اقتصادية ، ويمكن ان تكون هذه القواعد هى موضوع ما يسمى باللوائح النوعية للعاملين .

وفى اطار التمييز السابق ، يمكن القول بأن نظام العاملين يتطلب تصفية بعض الامور المعلقة ، والتى ليس من شأنها استقرار وضع العاملين ولا رفع كفاءة العمل فى القطاع العام .

وفيما يلى أهم هذه الامور :

أ - حسم علاقة العمل فى القطاع العام ، فما زال الخلاف دائرا فى التطبيق وفى القضاء حول تكييف هذه العلاقة : هل هى علاقة تعاقدية طبقا لاحكام قانون العمل ، ام هى علاقة تنظيمية طبقا لقواعد القانون الادارى ، وأحكام القضاء وفتاوى مجلس الدولة واحكام المحاكم العمالية مضطربة ، كما قد يفضى الى حرمان العامل أحيانا من حقه فى التقاضى ، والغريب أنه بينما لا يعتبر العاملون فى الشركات موظفين عامين ، يعتبر زملاؤهم فى المؤسسة فى وضع مماثل لموظف الحكومة ، ويجب الان حسم هذا الموضوع والنص على صفة الموظف العام لجميع العاملين فى القطاع العام .

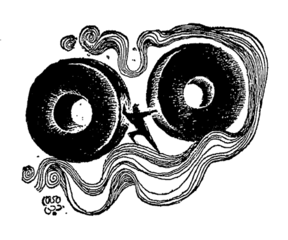
ب - تحديد جهة واحدة فى الدولة للفتوى فى امور العاملين فى القطاع العام ، يكون لفتواها الالزام الواجب لكل من الادارة فى القطاع العام والقضاء عندما ترفع اليه الدعوى ، ولا شك ان اسباغ صفة الموظف العام على العاملين فى القطاع العام سوف يساعد على تصفية كثير من الاوضاع المعلقة للعاملين .

ج - توحيد قواعد واجراءات التأديب وتوقيع الجزاء والتظلم بين الفئات الدنيا والفئات العليا ، فلا معنى للتمييز بين العاملين فيها ، وقد أوجدت فى التطبيق تفاوتا صارخا أساء للادارة والعاملين معا .

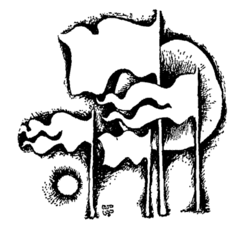
د - توحيد قواعد الترقية بين جميع فئات العاملين ، وجعلها جميعا بالاختيار على أساس الكفاءة ، بعد توافر حد أدنى من الاقدمية ، والسماح للادارة بحرية الترقية فى حدود الميزانية المخصصة للاجور ، مع عدم التقيد بالهيكل التنظيمى ، ومنح العمال المهرة فرصة الترقى المضطرد .

هـ - تطوير العلاوة الدورية لتصبح نوعا من الحافز ، وربط الاجر بالانتاج لا بالشهادات ، ولا بالاقدميات ، مع مراجعة المعايير المتخذة أساسا لدى الدولة لتحديد العلاوات الدورية للعاملين فى الوحدات الاقتصادية ، فقد تؤدى الى نقص العلاوات بينما تكون الوحدة قد حققت نجاحا ملموسا فى أعمالها .

وبالطبع فان الافكار السابقة تفترض العمل فى اطار خطة للتنمية ، محددة الاهداف ، مرسومة الادوات والوسائل والاجهزة .



نقطة الانطلاق .. نحو تعاون اقتصادى حقيقى بين البلاد العربية



د. الفونس عزيز

ان التعاون الاقتصادى الاقليمى بين مجموعة من الدول ، يعد من أهم سمات عالمنا المعاصر ، الذى ينقسم الى ثلاث مجموعات كبرى : **العالم الثالث ، والعالم الاشتراكى ، والعالم الرأسمالى .**

ولقد برز داخل هذه المجموعات الكبرى تكتلات اقتصادية ، **كالسوق الاوروبية المشتركة ، ومنطقة التجارة الحرة الاوربية ، والكوميكون ، والسوق العربية المشتركة** . وتهدف هذه المجموعات والتكتلات الى تنسيق جوانب النشاط الاقتصادى ، بعضها او جميعها ، فيما بين اعضائها ، ولا شك أن أهداف هذه المجموعات ووسائل تحقيقها تختلف اختلافا بينا من مجموعة لاخرى .

ويميز الاقتصاديون عادة بين خمسة أشكال للتعاون الاقتصادى الاقليمى تختلف من حيث درجة ومدى شمول التعاون ، فى مختلف اوجه النشاط الاقتصادى ، ومن حيث الاثار المترتبة على هياكل الانتاج وانماط الاستثمار ، وتدفقات التجارة الخارجية .

فهناك اولا : **منطقة التجارة الحرة** ، ويتمثل هذا الشكل من التعاون ، فى اتفاق البلاد الاعضاء على الغاء مختلف القيود ، من رسوم جمركية وقيود كمية فيما بينها بشكل تدريجى ، ولكن على أن تحتفظ كل دولة بنظامها الجمركى فى تعاملها مع البلاد غير الاعضاء .

وهناك ثانيا : **الاتحاد الجمركى** ، ويختلف هذا الشكل من التعاون عن منطقة التجارة الحرة ، فى أنه بالاضافة الى الغاء الرسوم الجمركية والقيود الكمية فان البلاد الاعضاء توحد المعاملة الجمركية ازاء البلاد غير الاعضاء .

ثم هناك ثالثا : **السوق المشتركة** ، ويمثل هذا الشكل من التعاون درجة أعلى من التنسيق ، اذ تتقرر حرية انتقال عوامل الانتاج فيما بين الدول الاعضاء ، وقد يشمل التنسيق فى السوق المشتركة جميع قطاعات الاقتصاد القومى ، أو قد يقتصر على قطاع معين او صناعة معينة .

ورابعا : **الوحدة الاقتصادية** ، ويتميز هذا الشكل من التعاون عن سابقه بأنه بالاضافة الى

حرية انتقال عوامل الانتاج بين الدول الاعضاء ، فانها تنسق فيما بينها السياسات الاقتصادية المختلفة من نقدية ومالية ٠٠ الخ ٠

واخيرا : **التكامل الاقتصادى** ، ويمثل هذا الشكل اعلى درجات التعاون الاقتصادى ، فهو لا يقتصر على تنسيق السياسات الاقتصادية ، وانما يتميز بقيام تنظيمات تتمتع بسلطة اقتراح السياسات الاقتصادية المختلفة ، والزام البلاد الاعضاء بتنفيذها ، بحيث تصبح اقتصاديات البلاد المشتركة كأنها اقتصاد بلد واحد ٠

واذا كانت البلاد المتقدمة اقتصاديا ، تسعى الى تحقيق نوع من انواع التعاون ، وشكل من اشكال التكامل ، لمواجهة التنافس الذى تتزايد حدته ، وللاخذ بأحدث التطورات التكنولوجية ، تدعيما لامكانيات النمو المطرد ، فان البلاد النامية أحوج ما تكون الى تدعيم التعاون فيما بينها ، وتنسيق النشاط الاقتصادى لتنفض غبار التخلف ، ولتتغلب على صعاب التنمية العديدة ذات الطبيعة المتداخلة والمعقدة ، فمن ضيق فى السوق المحلية ، وعدم القدرة على تعبئة الموارد المادية والمالية ، وضعف معدل التراكم الرأسمالى ، وصعوبة استيعاب التقدم التكنولوجى ، الى ضعف المركز التنافسى فى الاسواق الخارجية ، واستمرار العجز المزمن فى ميزان المدفوعات ، وتعقيد مشكلة التمويل الاجنبى وتزايد اعباء الالتزامات الاجنبية .. الخ .

وسوف نقتصر فى هذا المقال ، على تناول موضوع التعاون الاقتصادى الاقليمى ، بين البلاد العربية فى خطوط عريضة ، وقد يكون من المفيد ، ان نبدأ باستعراض تاريخى سريع لمحاولات التعاون الاقتصادى الاقليمى بين البلاد العربية ٠

محاولات التعاون الاقتصادى بين البلاد العربية (*)

يمكن التمييز فى هذا الصدد بين ثلاثة أشكال من التعاون الاقتصادى بين البلاد العربية : **الاول** ، التعاون عن طريق الاتفاق الثنائى ، **والثانى** ، الاتفاق الجماعى للتعاون الجزئى ، **والثالث** ، الاتفاق الجماعى للتعاون الشامل ٠

بالنسبة للاتفاق الثنائى : فيشتمل على اتفاقات التبادل التجارى ، واتفاقات تيسير انتقال رؤوس الاموال ، واتفاقات ثنائية للوحدة الاقتصادية ، وتسعى اتفاقات التبادل التجارى الى تذليل العقبات التى تعترض نمو التبادل التجارى بين البلاد العربية ، وذلك عن طريق الاعفاء من الرسوم الجمركية ، والمعاملة التفضيلية ، وتطبيق شرط الدولة الاكثر رعاية ، ومعاملة الطرف الاخر نفس معاملة السلع الوطنية من حيث الرسوم الداخلية ،

ومن هذه الاتفاقات اتفاقية مصر وسوريا عام ١٩٥٦ ، ومصر ولبنان عام ١٩٥٦ ، والسعودية والجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨ ، ولقد عقد بجانب اتفاقات تيسير التبادل التجارى ، اتفاقات دفع ، ومن هذه الاتفاقات الاتفاق المصرى السودانى عام ١٩٥٧ ، والاتفاق المصرى الليبى عام ١٩٥٦ ، والاتفاق المصرى التونسى عام ١٩٦٢ ، وتهدف اتفاقات الدفع المعقودة ، الى التغلب على العقبات التى تنجم عن احتلاف العملات ، وتطبيق نظم الرقابة على الصرف ، اما اتفاقات تيسير انتقال رؤوس الاموال فتتمثل فى اتفاقات القروض ، التى يتم بمقتضاها انتقال رأس مال من حكومةعربية الى حكومةعربية اخرى ، أو أحد مشروعاتها العامة ، وغالبا ما يتم عقد هذه القروض لاسباب سياسية ، مثل القرض المصرى السعودى السورى للاردن سنة ١٩٥٧ (اتفاقية التضامن العربى) ٠ وايضا مثل القروض المختلفة ، التى قدمتها الكويت الى الاردن والجزائر والسودان والجمهورية العربية ، وبالنسبة للاتفاقات الثنائية للوحدة الاقتصادية ، فقد كانت هناك عدة محاولات من أبرزها التجربة المصرية السورية ، حيث اتفقت الدولتان فى سنة ١٩٥٨ على قيام وحدة سياسية شاملة بينهما ، استمرت اكثر من ثلاثة اعوام ، وتم خلالها تحرير انتقال الاشخاص والسلع ورؤوس الاموال من كثير من القيود ، وأيضا من امثلة الاتفاقات الثنائية للوحدة الاقتصادية ، اتفاقية سوريا والاردن سنة ٥٦ ، ومحاولتان قامتا بين العراق والجمهورية العربية لاحداث تكامل اقتصادى ، الاولى سنة ٥٨ والثانية سنة ٦٤ ٠

وبالنسبة للاتفاق الجماعى للتعاون الجزئى : فلقد تمثلت فى شكلين رئيسيين ، الاول عقد اتفاقات تجارة بين البلاد العربية ، والثانى تمويل وتنفيذ مشروعات مشتركة بين البلاد العربية ، ومن اهم اتفاقات التجارة « **اتفاقية تسهيل التبادل التجارى وتنظيم تجارة الترانسيت** » بين دول الجامعة

---

* « **التعاون الاقتصادى العربى** » للدكتورين ابراهيم شحاتة وحازم الببلاوى — ملحق الاهرام الاقتصادى عدد اول ديسمبر سنة ١٩٦٥ — الفصل الثالث .

العربية ، ولقد وافق عليها المجلس الاقتصادى العربى (الذى انشأته الجامعة العربية فى سنة ١٩٥٠) فى سنة ١٩٥٣ ، ولقد عدلت أحكام هذه الاتفاقية فى سنوات ١٩٥٤ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ، ١٩٥٩ ، ومن أهم هذه الاحكام ، اعفاء المنتجات الزراعية والحيوانية والثروات الطبيعية التى منشؤها احد بلدان الاطراف المتعاقدة من رسوم الاستيراد الجمركية ، ومعاملة المنتجات الصناعية العربية التى يكون منشؤها أحد بلدان الاطراف المتعاقدة معاملة تفضيلية فيما يتعلق بالرسوم الجمركية ، ومعاملة المنتجات الزراعية والحيوانية والصناعية المنتجة فى بلد أحد الاطراف ، والمستوردة فى بلد طرف آخر معاملة وطنية ، فيما يتعلق بالرسوم الداخلية ، بحيث لا تفرض عليها رسوم تفوق الرسوم المفروضة على المنتجات المحلية المماثلة ، وأيضا تسهيل حركة الترانسيت عبر البلاد المتعاقدة .

وبجانب اتفاقية تسهيل التبادل التجارى ، عقدت « **اتفاقية تسديد مدفوعات المعاملات الجارية وانتقال رؤوس الاموال** » بين دول الجامعة العربية ، وتنص هذه الاتفاقية على أن تعمل حكومات الدول المتعاقدة ، على تسهيل تحويل مدفوعات المعاملات الجارية ، الى بقية البلاد المتعاقدة ، وفقا لانظمة تحويل العملات الخارجية ، وانظمة الاستيراد المطبقة ، كما تنص الاتفاقية على جواز انتقال رؤوس الاموال للحكومات الاطراف للاشتراك فى مشاريع التنمية ، ولا تخضع رؤوس الاموال المنقولة لاية رسوم أو ضرائب استثنائية ، كما يجوز اعادة هذه الاموال الى موطنها الاصلى .

وبالنسبة للشكل الثانى من الاتفاق الجماعى للتعاون الجزئى ، فقد عملت الجامعة العربية على انشاء شركات اقليمية عربية ، لتقوم بتنفيذ مشروعات مشتركة ، كشركة البوتاس العربية ، التى تكونت بغرض استغلال أملاح البحر الميت فى الاردن ، وكمؤسسة الخطوط الجوية العربية والغرض منها قيام مشروعات طيران عربية مشتركة ، كذلك الشركة العربية لناقلات البترول والشركة العربية للملاحة البحرية ، كما انشئت المؤسسة المالية العربية للانماء الاقتصادى التى تعتبر بمثابة بنك دولى للانشاء والتعمير فى المجال العربى ، ولكن هذه المشروعات المشتركة لم تدخل دور التنفيذ .

واخيرا بالنسبة **للاتفاق الجماعى للتعاون الشامل** ، فيتمثل فى اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية والسوق العربية المشتركة .

اتفاقية الوحدة الاقتصادية والسوق العربية المشتركة

لما كانت غالبية الاتفاقات السابق الاشارة اليها ، سواء تلك التى عقدت عن طريق الاتفاق الثنائى ، او عن طريق الاتفاق الجماعى للتعاون الجزئى ، تتصف بعدم الشمول ، اذ أن كثيرا من دول الجامعة العربية لم يوقع أو لم يصدق عليها ، هذا بالاضافة الى أنه حتى المنفذ من هذه الاتفاقات رسميا ، يعتبر معطلا من حيث التنفيذ الفعلى ، نظرا الى بعض التحفظات التى تتحفظ بها الدول على بعض المواد ، فلقد ادى هذا الوضع الى قصور محاولات التعاون السابق الاشارة اليها ، عن تحقيق تقدم ملموس فى مجال التعاون الاقتصادى بين البلاد العربية ، الامر الذى ادى الى ضرورة التفكير فى عقد اتفاقية شاملة ، تستهدف تحقيق التعاون ، على أساس مترابط بين مختلف مجالات النشاط الاقتصادى ، لذلك وافق المجلس الاقتصادى العربى بتاريخ ٣ ـ ٦ ـ ١٩٥٧ على قيام وحدة كاملة بين دول الجامعة العربية وذلك على مراحل ، وبأسرع ما تسمح به مصالح الدول الاعضاء ، وقد وقعت هذه الاتفاقية كل من الاردن وسوريا والجمهورية العربية والكويت والمغرب فى ٦ ـ ٦ ـ ١٩٦٢ ، والعراق واليمن عام ١٩٦٣ ، والسودان عام ١٩٦٨ ، واودعت وثائق التصديق على الاتفاقية لدى الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، كل من الكويت عام ١٩٦٢ ، والجمهورية العربية عام ١٩٦٣ ، والعراق وسوريا والاردن عام ١٩٦٤ ، واليمن عام ١٩٦٧ ، اما السودان فهى بصدد التصديق على هذه الاتفاقية ، بينما لم تصدق عليها المغرب ، واعتبرت الاتفاقية نافذة منذ ٣٠ ـ ٤ ـ ١٩٦٤ .

وتهدف اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية تحقيق الاهداف التالية :

- حرية انتقال الاشخاص ورؤوس الاموال .
- حرية تبادل البضائع والمنتجات الوطنية والاجنبية بينها .
- حرية الاقامة والعمل والاستخدام وممارسة النشاط الاقتصادى فى كل منها .
- حرية النقل والترانسيت واستعمال وسائل النقل والمرافىء فيها .
- حرية التملك والهبة والارث بالنسبة لاشخاص كل منها .

ولقد نصت الاتفاقية على انشاء مجلس الوحدة الاقتصادية العربية ، من ممثل متفرغ أو أكثر لكل دولة من الدول الاعضاء ، ويؤازر مجلس الوحدة الاقتصادية فى مهمته ، لجان اقتصادية وادارية تعمل تحت اشرافه ، ويحدد المجلس اختصاصها ، وتتألف مبدئيا اللجان الدائمة ، من لجنة جمركية ولجنة ماليةونقدية ولجنةاقتصادية ، وللمجلس أن يشكل لجانا اخرى عند الضرورة حسب مقتضيات الحاجة .

وللوصول الى تحقيق أهداف الاتفاقية ، تعمل الاطراف المتعاقدة ــ تحت اشراف مجلس الوحدة الاقتصادية ــ على :

- جعل بلادها منطقة جمركية واحدة تخضع لادارة وتشريعات جمركية موحدة .
- توحيد سياسات الاستيراد والتصدير والانظمة المتعلقة بها .
- توحيد انظمة النقل والترانسيت .
- عقد اتفاقات التجارة والدفع مع البلاد الاخرى بصورة مشتركة .
- تنسيق السياسات المختلفة والمتعلقة بالزراعة والصناعة والتجارة الداخلية ، وتنسيق الانماءالاقتصادى ، ووضعبرامج لتحقيق مشاريع الانماء العربية المشتركة
- تنسيق تشريع العمل والضمان الاجتماعى .
- تنسيق السياسات المالية والنقدية والتشريعات الضريبية .

ولكن نظرا للصعوبات التى تعترض تطبيق أحكام اتفاقية الوحدة الاقتصادية دفعة واحدة ، فقد قرر مجلس الوحدة الاقتصادية فى دور انعقاده الثانى فى اغسطس ١٩٦٤ ، انشاء السوق العربية المشتركة ، كخطوة ضرورية لتحقيق أهداف اتفاقية الوحدة الاقتصادية فى الاجل الطويل .

وفيما يلى استعراض سريع لاهم احكام السوق العربية المشتركة :

١ ــ تثبيت القيود وكذلك مختلف الرسوم والضرائب التى كانت مطبقة يوم ١٣ ــ ٨ ــ ١٩٦٤ على التبادل التجارى بين الدول الاعضاء .

٢ ــ الغاء الرسوم المفروضة على تصدير المنتجات الوطنية الى الدول الاعضاء .

٣ ــ اعفاء المنتجات الزراعية والحيوانية والثروات الطبيعية الواردة فى الجدول (أ) الملحق باتفاقية تسهيل التبادل التجارى ، والتى منشؤها احدى الدول الاطراف المتعاقدة ، من الرسوم الجمركية وغيرها من الرسوم الاخرى .

٤ ــ تخفيض الرسوم الجمركية والضرائب الاضافية الاخرى تدريجيا بمعدل ٢٠ فى المائة سنويا ، على استيراد منتجات الدول الاعضاء الزراعية والحيوانية والثروات الطبيعية ، غير الواردة فى الجدول المذكور اعتبارا من اول عام ١٩٦٥ .

٥ ــ تخفيض الرسوم الجمركية ، وكافة الرسوم الاضافية الاخرى ، على استيراد المنتجات الصناعية التى يكون منشؤها احدى الدول الاطراف المتعاقدة بمعدل ١٠ فى المائة سنويا ، ابتداء من أول عام ١٩٦٥ ، وتسرى هذه النسبة من التخفيض سنويا على المنتجات الصناعية المدرجة فى الجدول (ب) الملحق باتفاقية تسهيل التبادل التجارى ، التى كانت تتمتع بتخفيض قدره ٢٥ فى المائة من الرسوم الجمركية اضافة الى هذه النسبة ، وكذلك المنتجات الصناعيه المدرجه فى الجدول (ج) الملحق بالاتفاقية المذكورة ، والتى كانت تتمتع بتخفيض ٥٠ فى المائة من الرسوم الجمركية اضافة الى هذه النسبة .

٦ ــ تحرير تبادل المنتجات الوطنية بين الدول الاعضاء ، من جميع القيود المفروضة على تبادلها على خمس مراحل سنويه للمنتجات الزراعية والحيوانيةوالثروات الطبيعية ، وعلى عشر مراحل سنوية بالنسبة للمنتجات الصناعية وذلك إعتبارا من ١ ــ ١ ــ ١٩٦٥ .

وفى دورات لاحقة ، قرر المجلس اختصار مراحل السوق العربية المشتركة ، عن طريق رفع نسبة التخفيض من الرسوم الجمركية المفروضة على تبادل المنتجات الصناعية غير الواردة فى الجدولين ب ، ج المذكورين من ١٠ الى ٢٠ فى المائة ، اعتبارا من اول عام ١٩٦٩ ، وبذلك يتم اعفاؤها اعفاء كاملا من الرسوم الجمركية فى ١ ــ ١ ــ ١٩٧١ بدلا من ١ ــ ١ ــ ١٩٧٤ وترفع نسبة التخفيض على المنتجات الواردة فى الجدول (ب) الى ٢٠ فى المائةفى ١ ــ ١ ــ ١٩٦٩ والى ١٥ فى المائة فى ١ ــ ١ ــ ١٩٧٠ أى يتم اعفاؤها اعفاء كاملا من هذه الرسوم فى ذلك التاريخ بدلا من ١ ــ ١ ــ ١٩٧١ ويكتمل تحرير المواد الصناعية المدرجة فى الجدول (ج) فى ١ ــ ١ ــ ١٩٦٩ .

وثانيا لقد تعرض قرار انشاء السوق لمسألة تسوية المدفوعات المتعلقة بقيمة السلع والخدمات المتبادلة (الى ان يتم انشاء اتحاد مدفوعات عربي وصندوق نقد عربي) فنص على ان تتم تسوية هذه المدفوعات وفقا لاتفاقات الدفع الثنائية المعمول بها ، وفى حالة عدم وجود هذه الاتفاقات تتم التسوية بالدولار او الجنيه الاسترليني ، أو بأية عملة قابلة للتحويل مقبولة لدى الطرفين ، وفى هذه الحالة تتعهد كل من الدولتين بالسماح بتحويل جميع المبالغ المستحقة للبلد المصدر دون أدنى تأخير .

التنسيق الصناعى

وفى مجال التنسيق الصناعى ، أصدر مجلس الوحدة الاقتصادية عدة قرارات ، منها البدء بتنسيق الصناعات البتروكيمائية والحديد والفولاذ والاسمدة والورق والحرير الصناعى والماكينات والالات الزراعية والجرارات والغزل والنسيج ، وتشكيل لجان فنية متخصصة لكل صناعة من الصناعات المذكورة لاعداد الدراسات ، كما اصدر المجلس قرارا بعدم التعرض للصناعات القائمة او التى هى قيد التنفيذ لدى الدول الاعضاء كما طالب المجلس ان توافى الدول الاعضاء الامانة العامة بجميع اتفاقات التنسيق الصناعى ، التى تقوم بعقدها بعض الدول الاعضاء ، مع دولة ثانية او اكثر تكون عضوا فى اتفاقية الوحدة الاقتصادية .

ويمكن القول بشكل عام ، انه فى مجال التنسيق الصناعى ، لم تحقق البلاد العربية الاعضاء فى مجلس الوحدة الاقتصادية أية نتائج ، اذ أن كل الذى اسفرت عنه اجتماعات المجلس ، بخصوص هذا المجال ، هو مجرد اصدار توصيات مبدئية ، الا أنه تجدر الاشارة الى أن مركز التنمية الصناعية للدول العربية (الذى أوصى مؤتمر التنمية الصناعية للدول العربية ، الذى عقد فى الكويت فى مارس ١٩٦٦ بانشائه) ، يقوم الان بدراسات جادة ، يستهدف دفع عجلة التصنيع فى البلاد العربية ، وتنسيق الجهود بينها فى هذا المجال .

تنسيق الانتاج والاستثمار

جوهر التعاون الاقتصادى الاقليمى

من الاستعراض السابق لمحاولات التعاون الاقتصادى الاقليمى بين البلاد العربية ، يتبين أنها تركزت بصفة اساسية فى مجال التجارة الخارجية ، ودون الاهتمام جديا بتنسيق باقى أوجه النشاط الاقتصادى الاخرى ، ولقد تبلورت هذه المحاولات فى النهاية ، فى محاولة انشاء السوق العربية المشتركة ، والواقع أن ما اتخذ من قرارات حتى الان ، بخصوص انشاء السوق ، لم يتعد بعد مرحلة انشاء منطقة تجارة حرة .

وحتى هذه الجهود فى مجال تنسيق السياسة الجمركية ، من اعفاءات وتخفيضات متدرجة ، لم يظهر لها بعد أى أثر على تنمية التبادل التجارى بين البلاد العربية ، فاحصاءات التجارة الخارجية ، تبين أن حجم التبادل التجارى بين البلاد العربية ، لم يتطور فى السنوات القليلة الماضية ، عما كان عليه قبل عام ١٩٦٥ (بدء تنفيذ قرارات انشاء السوق العربية المشتركة) . وبعض الدراسات التى قامت بها بعض الهيئات اظهرت انه ليس حجم التبادل التجارى الاجمالى بين البلاد العربية هو الذى انخفض فقط ، بل ان حجم التبادل التجارى الخاص ببعض المجموعات السلعية ، التى تقرر تحريرها من القيود الجمركية ، قد انخفض بعد ١٩٦٥ ، بالمقارنة بما كان عليه الوضع قبل ذلك التاريخ .

ومن الطبيعى أن يثور كثير من الجدل والتساؤل ، حول العوامل التى حالت ولا تزال تحول ، دون تحقيق نتائج ملموسة ، فى مجال التعاون الاقتصادى الاقليمى بين البلاد العربية ، ولا شك فى أن العوامل السياسية والسيطرة الاستعمارية التى عانت منها المنطقة ، كان لها دورها الهدام المخطط ، فى عرقلة اتخاذ أية خطوات جادة فى هذا المجال ، ولكننى فى هذا المقال ، لست بصدد التعرض لتلك العوامل السياسية ، وانما سأقتصر على تناول جانب اقتصادى هام فى هذا الموضوع

سبقت الاشارة الى ان غالبية الجهود والمحاولات التى بذلت فى مجال التعاون الاقتصادى الاقليمى بين البلاد العربية ، تركزت بصفة اساسية فى تنسيق السياسة الجمركية ، بهدف تنمية التبادل التجارى ، والواقع أن البدء بالتنسيق بين تيارات التجارة الخارجية ، لا يمكن أن يحقق النتائج المرجوة ، ذلك لان التجارة الخارجية هى انعكاس وامتداد طبيعى للانتاج ، ان هيكل التجارة الخارجية وتركيبها السلعى ، انعكاس للتركيب القطاعى لهيكل الانتاج ، لذلك فان اى تنسيق جاد بين تيارات التجارة الخارجية وتدفقاتها بين البلاد العربية ، لابد وان يسبقه ويدعمه اساسا تنسيق بين خطط الانتاج وانماط الاستثمار ، ولنا فى تجربة الكوميكون ـ تجربة التعاون الاقتصادى الاقليمى بين البلاد الاشتراكية الاوروبية ، وما حققته من تقدم ونتائج ملموسة .

بالرغم من الصعاب التى صادفتها ، ما يؤكد على ضرورة البدء اولا بتنسيق الانتاج والاستثمار ، كشرط ضرورى لتحقيق نتائج ملموسة فى تنمية التبادل التجارى ، وحتى تجربة السوق الاوروبية المشتركة ، فهى لا تقتصر على تنسيق السياسة الجمركية بين البلاد الستة الاعضاء ، وانما هناك تقف فى الخلف الاحتكارات الراسمالية ، التى تنسق وتقتسم مشروعات الانتاج والاستثمار .

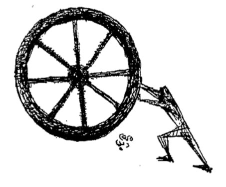
ان تنسيق الانتاج والاستثمار ، هو جوهر التعاون الاقتصادى الاقليمى بين مجموعة من الدول ، ذلك ان هدف التعاون الاقليمى ، ليس فقط تنمية التبادل التجارى بين البلاد الاعضاء ، وانما يكمن اساسا فى تحقيق معدلات نمو للدخل أعلى ، عن طريق تعبئة الموارد وتخصيصها التخصيص الامثل ، ورفع معدل التراكم الرأسمالى فى ضوء التوفيق بين جوانب التنافس والتنسيق بينجوانب التكامل فى اقتصاديات البلاد الاعضاء .

ولا شك فى ان تنسيق برامج الانتاج وأنماط الاستثمار ، بين مجموعة من البلاد عملية ذات طابع معقد ، ويكفى للاستدلال على ذلك ، ان ناخذ فى الاعتبار أن تحديد انماط الاستثمار والاختيار بين البدائل المقترحة ، وتحديد أولويات التنمية فى اقتصاد قومى واحد ، عملية معقدة ، اذ يستلزم ذلك تقييم المشروعات المقترحة ، بالاستناد الى معايير ومؤشرات ، تستهدف تحليل الاثار المباشرة وغير المباشرة ، التى تنجم عن تنفيذ انماط استثمار معينة ، على مختلف اوجه النشاط الاقتصادى من انتاج ودخل وعمالة وميزان مدفوعات فى الاجل القصير والاجل الطويل ، فاذا كان ذلك هو الوضع فى البلد الواحد ، فان الامر لاشك اكثر تعقيدا عندما يمتد تنسيق انماط الاستثمار ليشمل مجموعة من البلاد ، اى عندما يكون الامر متصلا باعادة التخصص ، واعادة صياغة تقسيم العمل الدولى بين أعضاء هذه المجموعة من البلاد ، فهناك صعاب تتعلق بالسيادة القومية ، عند ضرورة الالتزام بتنفيذ القرارات ، وهناك صعاب تتعلق باعادة تشكيل هياكل الانتاج القائمة ، وما قد ينجم عن ذلك من خسائر اجتماعية تتصل بوقف صناعة او نقلها من مكان لاخر ، وهناك صعاب تنجم عن اختلاف مستويات الاسعار واسس تحديدها ، واختلاف هياكل التكلفة والاجور ، وهناك صعاب تتصل باختلاف مراحل النمو واختلاف الانظمة الاقتصادية .. وهكذا .

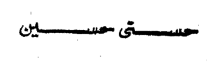
ولكن مثل هذه الصعاب يمكن التغلب عليها بالدراسات الجادة ، التى تستند الى معايير ومؤشرات موضوعية ، بل ويجب التغلب عليها لمواجهة تحديات التخلف ، وضرورة اللحاق بالتطور التكنولوجى المذهل الذى نشهده اليوم ، ولمواجهة تحديات الدول الاستعمارية ومحاولة كسر الجمود الذى يفرضه قسرا الاطار الحالى لتقسيم العمل الدولى على البلاد النامية .

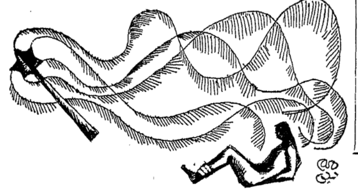
واذا كان التنسيق فى مجال الانتاج والاستثمار ، يمكن أن يتدرج من التنسيق على مستوى المشروع الى مستوى الصناعة ثم القطاع ، ثم التنسيق على مستوى الاقتصاد القومى ممثلا فى تنسيق خطط التنمية الشاملة ، فانه يمكن البدء فى المراحل الاولى بالتنسيق على مستوى المشروع والصناعة ، وذلك الى ان تاخذ البلاد العربية جميعها باسلوب التخطيط الشامل ، وعندئذ يمكن أن يكون التنسيق بين خطط التنمية الشاملة .

واخيرا ، اذا كان لموضوع التعاون الاقتصادى الاقليمى بين البلاد العربية أهميته فى الظروف العادية ، فان اهميته تتعاظم اليوم فى ظروف العدوان الصهيونى الاستعمارى القائم ، الامر الذى يتطلب سرعة حشد كل الطاقات الاقتصادية العربية على أساس من التنسيق والتخطيط العلمى ، ولعل الدراسات التى تعد هذه الايام ، بخصوص موضوع التكامل الاقتصادى بين الجمهورية العربية والسودان وليبيا ، وما تسفر عنه من نتائج ، تسهم فى ارساء اسس واقعية للتعاون الاقتصادى الاقليمى ، ولو على الاقل بين البلاد العربية ذات الخط الوطنى المتحرر .



حول
هجرة الفنيين الخارجية والداخلية





من الملاحظ فى السنوات الاخيرة انتشار فكرة الهجرة الى القارة الامريكية واستراليا والمانيا الغربية وغيرها ، وتفشى هذه الفكرة بين الشباب ، والشباب المتعلم بشكل أساسى • ولم تقف عند حيز التفكير ، وانما أخذت فى التطبيق أشكالا عديدة منها رفض المبعوثين العودة الى الوطن بعد انتهاء بعثاتهم ، ومنها هجرة عدد كبير من الشباب والفنيين الى الخارج •

ولكن ما هى أسباب هذه الظاهرة التى بدت واضحة وأصبحت مشكلة تهدد باستنزاف العقول العلمية المصرية •

● **الطبيعة البرجوازية الصغيرة :** ان انتشار التعليم ومجانيته قد أتاح الفرصة أمام أبناء الشعب بفئاته المختلفة فى التعليم ، كل بالقدر الذى تؤهله له جهوده ودرجاته ، وكان أن انتقلت بالضرورة أعداد كبيرة الى التعليم الجامعى والعالى ، وكان طبيعيا أن تكون الغالبية العظمى من هذه الاعداد من أبناء الفئات الصغيرة والوسطى • ولذا جاءت الغالبية العظمى من الفنيين من أصول برجوازية صغيرة •

ورغم ان الفنيين هم فئة من الشباب المتفتح ، الا أن فكرية البرجوازية وتطلعات البرجوازى الصغير الذى يسعى الى التخلص من وضعه الطبقى ليلحق بفئات برجوازية أعلى ، هذه التطلعات هى التى تحكم تفكيرهم وترسم مناهجهم ومقاييسهم فى الحياة ، واوجدت فى هذه الفئات تطلعات طبقية ، يرغبون أو يسعون للوصول اليها ، وبأسرع ما يمكن

● **امكانيات الدولة فى فترة التنمية :** غير أن الدولة اليوم ، ومنذ قيام الثورة خاصة ، قد أخذت نفسها بتطوير البلاد وتنميتها • وفرض ذلك عليها ، وعلى الشعب ، أعباء كثيرة ، ولكنها ضرورية لتحقيق الاهداف المطلوبة للتنمية ، فالصناعة ،

وخاصة الصناعة الثقيلة ، والمشاريع الاساسية فى استصلاح الاراضى ، وغيرها من المشاريع الاساسية ، مازالت تتطلب أموالا وجهودا ووقتا حتى تعطى كامل ثمارها ، كما أن اتساع الخدمات لجموع الشعب ، وهى الخدمات التى حرم منها عهودا طويلة فى الماضى ،كالتعليم والصحة .الخ. والاخذ بمبدأ تشغيل جميع الخريجين ، كل ذلك جعل الدولة لا تملك من الامكانيات ما يسمح لها بتحقيق تطلعات هذه الفئات ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فان المجتمع ودرجات تطوره اليوم لم تعد به الفرصة لامكانية الاثراء السريع على حساب الجماهير •

● **اغراء المجتمعات الرأسمالية المتقدمة :** وتمثل المجتمعات الرأسمالية المتقدمة كامريكا وانجلترا وألمانيا الغربية مركز جذب بالنسبة لجميع العناصر المثقفة البرجوازية ، والبرجوازية الصغيرة ، باعتبارها ــ من وجهة نظرهم ــ تسمح بتحقيق رغباتهم وتطلعاتهم ، تلك التى يعجزون عن تحقيقها فى بلادهم ، وتبذل الدول الاستعمارية جهودا دعائية ضخمة لجذب فنيى وعلماء الدول النامية ، ضاربة على وتر التطلعات البرجوازية لديهم ، وقد حققت هذه السياسة الاستعمارية نجاحا خلال السنوات الماضية ، حتى ان امريكا قد نجحت فى جذب ٥١٨٩ خبيرا وعالما من الدول النامية سنويا ، ونجحت انجلترا فى امتصاص ٥١٤١ عالما وخبيرا سنويا أيضا من دول العالم الثالث •

● **وهناك سبب ثانوى :** هو أن بعض الجهات الحكومية والمسئولية ، يكون الحصول منها على الموافقة على الاستغناء للهجرة ، أسهل كثيرا من الحصول على موافقتها على أجازة للعمل خارج الجمهورية لفترة محدودة ، وقد دفع هذا بعض الاشخاص الى طرق سبيل الهجرة كوسيلة سهلة للخروج •

ونتيجة لهذه الظروف ينشأ تناقض بين مصلحة المجتمع والدولة اللذين يتطلبان من الجميع تحمل الاعباء والتضحيات خلال مرحلة التنمية والبناء ، وبين تطلعات الفنيين البرجوازية ، الذين يرغبون فى تحقيقها بأقل ما يمكن من الجهد ، وفى اقصر ما يمكن من وقت ، ومن ثم يبدأ الفنيون يفكرون فى حل هذا التناقض ، فيكون التفكير فى الهجرة تارة ، وفى العمل خارج الجمهورية ولو لفترة مؤقتة تارة أخرى ، أو يأتى الحل عن طريق أساليب ملتوية وغير مشروعة تارة ثالثة •

الهجرة الداخلية

غير ان الهجرة الخارجية ، ليست هى الشكل الوحيد من الهجرة الذى يهدد انتاجنا ومستواه ، فمن الملاحظ أن لدى الفنيين رغبة مستمرة فى التنقل من شركة الى أخرى ، أو من الحكومة الى القطاع العام ، أو منهما معا الى القطاع الخاص او العمل الحر ، فما هى أسباب هذا القلق الوظيفى وعدم الاستقرار الذى يعيش فيه الفنيون عندنا ؟

● **فى مقدمة الاسباب :** عدم وجود تقييم موحد للعمل الواحد ، فكثيرا ما نجد اثنين متخرجين من نفس الكلية وفى نفس الدفعة ، ويؤديان نفس العمل ، ومع ذلك فالتفاوت بين مرتبيهما ملحوظ ، ولا تفسير لذلك سوى أن أحدهما وجد فى شركة أو جهة رسمية لديها درجات ، بينما غيره ، ليس لدى الجهة التى يعمل بها أية درجات • وأكثر من ذلك مفارقة ان نجد اثنين من المهندسين ــ مثلا ــ يعملان فى نفس الموقع ويؤديان نفس العمل ثم نجد هذا التفاوت والتمييز • ومن الغريب أن نقرأ فى الصحف اليومية اعلانات تنشرها الشركات وغيرها تطلب موظفين ، وتحدد المواصفات المطلوبة والفئة المعروضة لهذه المؤهلات . فنجد ــ مثلا ــ شركة تطلب مهندسا خبرة خمس سنوات لتضعه على الفئة الخامسة ، بينما يوجد عشرات ومئات لهم نفس المؤهلات وسنوات الخبرة المطلوبة ومازالوا فى الفئة السابعة فى جهات رسمية أخرى ، وغير مسموح لهم أن يغادروها • وحتى اذا استطاع أحدهم أن يحصل على موافقة الجهة التى يعمل بها على نقله ، فعليه ان ينتقل ــ وتطبيقا لنفس الاعلان ــ بنفس فئته ، لان هذا هو القانون • بينما زميله الذى لا يعمل بالحكومة او القطاع العام يمكنه أن يستفيد فورا من هذا الاعلان ، وان يشغل الفئة المعلن عنها • وهنا يتولد الاحساس بالغبن لدى الفنيين ، وبأن العمل فى المكان الذى هم فيه انما هو عقبة فى طريق مستقبلهم .. عليهم أن يزيحوها جانبا ويتخلصوا منها ، وعندئذ تبدأ عملية البحث عن مكان أفضل وشركة احسن وهكذا ، فاذا لم يتوفر ذلك فالتفكير فى العمل خارج الجمهورية او الهجرة ، يضاف الى ما تقدم بعض عوامل اخرى منها على سبيل المثال :

● كثرة القوانين المنظمة للحياة الوظيفية فى الدولة ، فقانون للعاملين بالحكومة ، وآخر للعاملين بالقطاع العام ،وبجانب كل هذا عشرات من التفسيرات المتباينة مع اختلاف كل جهة فى التطبيق والتفسير حسب تقاليدها •

● كثرة الكوادر الخاصة ، والتى توضع لبعض الفئات ، ومع التسليم بأن اعمال بعض هذه الفئات متميزة عن غيرها ، الا أن التمييز المبالغ فيه لهذه الفئات عن غيرها من الفنيين والجامعيين يمكن أن يخلق مثل هذا الاحساس بالقلق الوظيفى ، وبالتالى الرغبة الدائمة فى الهجرة الداخلية والخارجية ٠

● كما أن توزيع القوى العاملة للخريجين يتم بطريقة لا تتفق مع احتياجات كل جهة من جانب ، ومع تخصصات كل فرد من جانب آخر ، وبذلك لا يتحقق مبدأ . **الشخص المناسب فى المكان المناسب** ، وهو ما يدفع ببعض الخريجين وخاصة الفنيين ، الى البحث عن المكان المناسب لهم ومحاولة الانتقال اليه ٠

● كما أن فكرة تكليف بعض الفنيين كالمهندسين والاطباء وتوزيعهم على الجهات المختلفة حسب احتياجاتها ، يتم ذلك حسبما اتفق ، ولما كانت هناك اختلافات هامة فى ظروف الشركات والمؤسسات والقطاع الحكومى من حيث مستوى العمل بها ، ودرجة أهميتها وامكانياتها المادية وتقاليدها وامتيازاتها ، وفرص الترقى فيها ، لما كانت هذه الاختلافات قائمة ، فانها تجعل بعض الافراد ـ الذين جاء تكليفهم على جهات أفضل نسبيا ـ فى وضع متميز ، ثم ينسحب هذا التمييز لسنوات طويلة تكفى لان تترك أثرا واضحا على حياة كل فرد ، والمفارقات من هذا النوع وغيره فى هذا القطاع من الفنيين بارزة .

لهذه الاسباب وغيرها توجد هجرة داخلية يقوم بها الفنيون وغيرهم بحثا عن وضع أفضل ٠ واذا لم يتيسر لهم ذلك ـ وكثيرا مالا يتيسر ـ فان المقارنة المستمرة بين أوضاعهم وبين أوضاع غيرهم ممن هم فى وضع أفضل ، والمقارنة بين ما هم عليه وما يعتقدون أنهم قادرون على تحقيقه خارج الجمهورية ، ان مثل هذه المقارنة تؤرقهم باستمرار وتغذى فيهم الرغبة المستمرة فى الانتقال تارة ، والبحث عن عمل خارج الجمهورية تارة ، ثم التفكير فى الهجرة تارة أخرى ٠

ولا جدال فى أن المهنيين والفنيين هم عصب الانتاج ودعامة أى تطوير اقتصادى وعلمى ، ولذا فانه من الضرورى توفير الظروف التى تساعد على إمتصاص هذه الرغبة فى الهجرة او التنقل وخلق الظروف التى تجعلهم فى وفاق فكرى مع المجتمع، ولكى يتم ذلك لابد وأن تتحقق عدة خطوات :

● توحيد قوانين وتشريعات العمل وتصفيتها من الثغرات والتناقضات ، واذا كان من الضرورى وجود قانون مستقل للوحدات الانتاجية ، فمن الضرورى ـ أيضا ـ توحيد النظرة اليه فى جميع الشركات والمؤسسات بحيث لا يترك للاجتهاد الشخصى الا النذر اليسير ٠

● وضع نظام ثابت للترقيات على نطاق الدولة جميعها بحيث تنتفى المفارقات الخطيرة ، وبحيث يقتنع كل موظف بأنه — فى أى مكان يعمل — سوف يحصل على ترقياته فى حينها مثله فى ذلك مثل جميع زملائه طالما هو يؤدى واجباته الوظيفية على الوجه الاكمل ٠

● وضع نظام للحوافز المادية بما يحقق زيادة الانتاج من جانب ، وزيادة فى دخول الافراد من جانب آخر ، حتى يمكن العمل على تخطى الهوة التى تتسع بين مستوى الاسعار من جانب ومستوى الاجور من جانب آخر ، الا أن وضع نظام للحوافز يتطلب وضع معدلات دقيقة وسليمة للعمل والانتاج ٠

● النظر فى مرتبات الفنيين والعمل على تحسينها بما يتلاءم مع أهمية الدور الذى يلعبونه فى النهوض الاقتصادى ، وفى قضية التنمية بما لا يتعارض مع امكانيات الدولة ، مع وضع حد أقصى للرسوب الوظيفى بالنسبة لهم ، بحيث يصبح من حق كل فنى الترقى عند الوصول الى هذا الحد بغض النظر عن الظروف الخاصة بمؤسسته أو وحدته الانتاجية ٠

● من واجب الدولة أن تقوم بدلا من الافراد بالبحث عن امكانيات وفرص العمل خارج الجمهورية ، وخاصة داخل البلاد العربية والافريقية ، وأن ينظم قيام هيئات مصرية بهذه الاعمال ، وبذلك يمكن استيعاب بعض الفنيين الراغبين فى العمل خارج الجمهورية محققين ـ فى الوقت نفسه ـ ارتباطهم المستمر بالوطن ، وهكذا تصبح امكانية عودتهم والاستفادة بهم بالداخل فى اى وقت قائمة على أساس رسمى ، ان هذا أفضل من ترك هذا الامر للافراد ، كل يبحث لنفسه عن

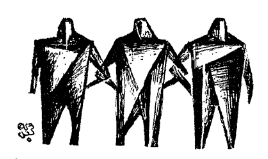
عمل ، مع ما فى ذلك من صعوبة ، نظرا لضعف امكانية الفرد بالنسبة للدولة ، كما تصبح عودته للوطن فى هذه الحالة معلقة بتقديره الشخصى فقط .

● غير ان توفير كل العوامل السابقة — وهى بعض العوامل المؤثرة فقط وليست كلها — وان كان سيخفف من حدة الهجرة الداخلية أو الخارجية ، **الا أنه لن يحل المشكلة بشكل أساسى ، فمن الضرورى لحل هذه المشكلة جذريا أن يتم التوافق الفكرى بين الفنيين وبين المجتمع . ولعل ذلك يطرح مسئولية التعليم الجامعى ومناهج الفكر فيه ،** فبقدر ما يقوم التعليم الجامعى على منهج اشتراكى علمى ، بقدر ما تستطيع الجامعة أن تلعب دورها فى تشكيل عقلية الجيل الجديد على أساس من القيم الاشتراكية ، وتخرج لنا أجيالا على وفاق فكرى مع القطاع العام والاشتراكية .

غير أن الجامعة اذا ساهمت فى حل مشكلة الاجيال القادمة ، فانها لن تحل المشكلة القائمة فعلا . ومن ثم فان المطلوب ، اليوم ، هو عمل حوار فكرى مستمر ، ليس بطريقة مفتعلة وعارضة ، وانما بطريقة طبيعية ومستمرة ومقنعة ، حوار مع الفنيين والمهنيين على مختلف المستويات وفى مواقع العمل .

ولعل هذه الحاجة الملحة الى عمل سياسى مستمر فى مواقع الانتاج هى التى تطرح بالحاح قضية أخرى هامة ، هى نقص الكادر السياسى المدرب بين الفنيين فى مجالاتهم المختلفة ، وفى مواقع العمل والانتاج .

ان كسب الفنيين فكريا وماديا الى جانب القطاع العام ، هو الوسيلة الاكثر فعالية للحد من الهجرة الخارجية والداخلية معا ، وهو السلاح الاكثر فعالية ضد محاولات الدول الاستعمارية ودعاياتها ، لاستنزاف العقول العلمية والمواهب التكنولوجية من بلادنا ، انها معركة قومية ضد الاستعمار يجب أن نكسبها كما كسبنا غيرها من المعارك لتدعم امكانيات تقدمنا ونهوضنا .



حـول القضـايا النظـرية التى يثيرهـا روجيـه جـارودى والحجـج التى قـدمت ردا عليهـا

اعداد : محمد سيد احمد

فى يوم ٢٠ مايو ، اقرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى القرار الذى سبق ان اتخذته حدة روجيه جارودى القاعدية فى اقليم فال دى مارن ، بفصله من عضوية الحزب ، ذلك بعد ان قف المؤتمر الاخير للحزب فى فبراير الماضى ضد اعادة ترشيحه للمكتب السياسى وللجنة لمركزية .

وبصدور قرار الفصل الاخير انقطعت نهائيا كل صلة تنظيمية بين المفكر الفرنسى والحزب شيوعى الفرنسى الذى انضم الى صفوفه منذ ٣٧ عاما ، ولم يكن وقتذاك قد تجاوز سن عشرين .

وجارودى الذى اشتهر بمؤلفاته الفلسفية العديدة ، وحصل على دكتوراه من جامعة باريس لمؤلفه « **النظرية المادية للمعرفة** » [١٩٥٣] ، ودكتوراه من جامعة موسكو لمؤلفه « **الحرية** » [١٩٥٤] ، قد تبوأ داخل الحزب الشيوعى الفرنسى مراكز قيادية كثيرة . فقد اصبح منذ ١٩٤٤ محترفا ثوريا ، يكرس حياته كلها لنشاطه الحزبى ، واستمر على هذا الوجه ، يتقلد اعلى المراكز داخل الحزب ، وظل يحتل مكانا باللجنة المركزية ثم المكتب السياسى حتى بعد عام ١٩٦٢ ، وقد ترك فيه مقعده بمجلس الشيوخ ليكرس وقته لتدريس الفلسفة بالجامعات الفرنسية .

وقد بدأت تبرز اوجه خلاف بين جارودى وقيادة الحزب بعد احداث مايو ١٩٦٨ فى فرنسا التى شهدت تفجرا للحركة الطلابية ، وانتشارا للاضرابات لم يسبق لفرنسا ان شهدت له مثيلا . وقد اتهم الحزب وقتذاك من الاتجاهات اليسارية المتطرفة بانه قد تخلى عن فرصة اطلاق الثورة ، وكشف عن « احتوائه » داخل « المؤسسات القائمة » وايا كان الرأى فى موقف الحزب الشيوعى الفرنسى اثناء هذه الاحداث ، فمن المؤكد أن تقييم هذا الموقف اثار جدلا واسعا فى أوساط اليسار الفرنسى .

وفى مقال نشرته مجلة الحزب « **الديموقراطية الجديدة** » (يونيو ١٩٦٨) عرض جارودى تحليلا لهذه الاحداث ، اختلف فيه بشكل محسوس عن الرأى الرسمى الذى تضمنه تحليل اللجنة المركزية فى اجتماع **نانتير** فى يوليو ١٩٦٨ .

واتسعت هوة الخلاف بعد ذلك عقب احداث تشيكوسلوفاكيا فى اغسطس ١٩٦٨ ، وكان الحزب الشيوعى الفرنسى قد اعلن عدم موافقته على تحرك قوات حلف وارسو ، ولكن كان جارودى من المتمادين فى ادانة التحرك ، بدعوى « انه اساء اساءة بالغة الى الحركة الشيوعية العالمية ، وعبر عن انزلاق من جديد الى مواقع « الستالينية » التى ادانها المؤتمر العشرين للحزب السوفيتى » .

وكان جارودى قد عبر علنا عن موقفه المتطرف فى الادانة لمراسل الوكالة

التشيكية « تشيتيكا »، وعلى نحو أثار استنكار المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي الذي شخص موقف جارودي بأنه « تدخل غير مقبول في الشئون الداخلية لاحزاب شقيقة ». غير ان جارودي لم يسلم بموقف المكتب السياسي منه ، ووجه خطابا برأيه الى **فالديك روشية** ، سكرتير عام الحزب عبر فيه عن معان نشرها في مقدمة لكتاب عن احداث تشيكوسلوفاكيا . وكانت هذه المقدمة موضع نقد مفتوح نشرته « **لومانتيه** » [جريدة الحزب] في عدد ٥ اكتوبر ١٩٦٨ ، ثم أعادت نشره جريدة «**برافدا**» السوفيتية، وتضمن هذا المقال اتهام جارودي بأنه « أخل بالانضباط اللينيني للحزب الشيوعي » .

في اغسطس ١٩٦٩ صرح جارودي في حديث لمجلة « **كوميونيست** » اليوجوسلافية ان مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية في موسكو لم يتعرض للمشاكل الجوهرية التي تواجه الحركة الشيوعية العالمية ـ وتعرض جارودي ـ بسبب هذا الحديث ــ للوم وجه اليه من قيادة حزبه، وفي ١٤ أكتوبر ١٩٦٩ استمعت اللجنة المركزية للحزب الفرنسي لآراء جارودي، ورفضت وجهة النظر التي تقدم بها . واصبح الخلاف يبرز بوضوح أكبر بعد أن امتنع جارودي أن يسهم بدور فعال في اعداد المؤتمر التاسع عشر للحزب في ديسمبر ١٩٦٩ ، وخصوصا بعد نشره مؤلفه « **التحول العظيم للاشتراكية** »، وهو كتاب صدر في فرنسا بعد عودته مباشرة من زيارته للجمهورية العربية المتحدة .

وقد كانت محتويات الكتاب موضع ادانة عنيفة من جانب قيادة الحزب في بيان نشرته يوم ١٩ ديسمبر ١٩٦٩ ، بصورة مختصرة في جريدة الحزب « **لومانتيه** » بمناسبة الحوار المفتوح الذي أدارته الجريدة استعدادا لعقد مؤتمر الحزب .

وابتداء من يناير ١٩٧٠ بدأت مطبوعات الحزب ، وخاصة مجلة « النقد الجديد » تتعرض لآراء جارودي كما عبر عنها في كتابه « التحول العظيم للاشتراكية » بدراسات مسهبة .

وفي المؤتمر التاسع عشر للحزب الذي عقد في نانتير من ٤ الى ٨ فبراير ١٩٧٠ ، افسحت لجارودي فرصة عرض افكاره ــ ولكنها لم تلق آذانا صاغية من المندوبين الى المؤتمر ، وقرر المؤتمر عدم اعادة ترشيح جارودي الى اللجنة المركزية والمكتب السياسي ، وفقد مكانه كمسئول عن « **مركز الدراسات والابحاث الماركسية** » التي تتبع قيادة الحزب ، وظل يديرها سنوات طويلة. وفي يوم ٥ مايو ١٩٦٩ صوتت وحدة الحزب القاعدية التي كان جارودي عضوا فيها على فصله من عضويتها بأغلبية ٧ أصوات ضد ٤ ، وأقرت اللجنة المركزية الاجراء في ٢٠ مايو .

وفي العرض الذي يتلو ، نكتفي بطرح أهم النقاط التي يثيرها جارودي، وأهم الحجج التي استخدمت في الرد عليه ، بمحاولة الابتعاد عن ابداء رأى خاص ، وباللجوء قدر الامكان الى نصوص في عرض رأى كل طرف .

تحـــديد أســلوب طـــرح القضـــية

نرى من الوجهة المنهجيــة ان نطرح جانبا في بداية هذا العـــرض **الاسباب والدوافع المباشرة** التي رأى **جارودي** أنها تبرر أن يجرى امتحانا نقديا لكثير من معتقداته السابقة ، وان يعيد النظر في كثير مما كان يعتبره مسلما ، واوحت اليه بضرورة العودة الى الاصول ، ودعته ــ في مؤلفه الذي فجر أزمته مع حزبه : « **التحول العظيم للاشتراكية** » ــ الى الاجتهاد من أجل اقامة «**بناء**» ــ **يتطلع** الى التكامل والاتساق ــ في تفسير **الظواهر** الجديدة لعصرنا ، تخطيا لمشاكل بدت له مستعصية التفسير المتسق ، بالاعتماد **فقط** على النظرة المألوفة في المؤلفات الماركسية العصرية .

ونبدأ بمحاولة عرض « **عناصر** » هذا « البناء » الذي تقدم به جارودي ، مبتدئين من **القضية التي** يطرحها في الفصل الاول من مؤلفه ، باعتبارها **في** تقديرنا « **المدخل** » او « **المنطلق** » الذي منه تتسلسل كل عناصر « البناء » الاخرى .

ومع عرض كل عنصر اساسي من عناصر هذا « البناء » ، نطرح في الوقت ذاته **الحجج المقابلة** ، حتى يتسع للقارىء الالمام بوجهتي النظر ،

وفقا لما أوردته أبرز المطبوعات التى صدرت بعد ظهور الكتاب مباشرة ، وتعرضت لمحتوياته بالنقد .

اولا : حول تقييم « الثورة العلمية والتكنيكية العصرية »

القضية التى يطرحها جارودى كنقطة بداية « لبنائه » ، هى « الثورة العلمية والتكنيكية الجديدة » : مع محاولة تحديد « خصائص » هذه الظاهرة ، « وموقعها » من مجريات التحول الاجتماعى المعاصر كله .

ومصطلح « **الثورة العلمية والتكنيكية** » ليس بمصطلح ابتدعه جارودى ، بل اصبح خلال السنوات الاخيرة من التعبيرات المألوفة فى ادبيات الماركسية المعاصرة ، وان لم يكن هذا المصطلح بعد موضع **تعريف** متفق عليه . وتحديد خصائصه ما زال مثار اجتهادات متنوعة ، وبالتالى لا يجوز لماركسى ان يقول ان باب الاجتهاد فى تشخيص ملامح هذه الثورة وآثارها وانعكاساتها على مجريات التحول الاجتماعى المعاصر ، قد تم استنفاده .

ومصطلح « الثورة العلمية والتكنيكية » يثير بادئ ذى بدء عددا من الملاحظات ، **اولاها** : أن كلمة « ثورة » تتعرض فى مفهومها الماركسى الدقيق — لظواهر « **اجتماعية** » ، ويبدو تطبيقها على « العلم » و « التكنيك » ، كأنما هو « مط » للتعبير ، واستخدامه « خارج » حقله الطبيعى والمألوف ، أو اكسابه معنى « **مجازيا** » **وهذه مسائل لا تحتمل الابهام والغموض ، بل تحتاج الى تحديد دقيق ، تجنبا لكل التباس محتمل . وهى مسألة تبدو انها ما زالت مفتوحة ، ولم يتعرض لها جارودى بشكل مباشر فى مؤلفه .**

غير أن الملاحظة الثانية والأهم ، هى تحديد : **هل المقصود من هذا المصطلح هو مجال « العلم » و « التكنيك » وحده ، ام المقصود هو معنى اعم ، يتسع لكل مجال « القوى الانتاجية »** ، او ان الظاهرة المطروحة للبحث هى وقوع « **ثورة فى القوى الانتاجية** » تقابل وتكمل « **الثورة فى علاقات الانتاج الاجتماعية** » التى دأبت مؤلفات الماركسية على دراستها وبحثها من كل زواياها .

ويبدو ان الالتباس الناجم عن هذه الملاحظة الثانية ، هو التباس يجد مصدره — فى الحقيقة — فى الملاحظة الاولى ، من النقاط التى لا يمكن اعتبارها منفصلة عن تضارب الاراء الذى نشأ حول تشخيص جارودى لابعاد هذه « الثورة » .

ومن الواضح ان جارودى يقصد المعنى **الموسع** لكلمة « ثورة العلوم والتكنيك » ، المعنى الذى يتسع **لثورة عامة فى القوى الانتاجية .. يقول :**

« فى رأيى ان جوهر المشكلة .. يتمثل فى أن تطور الانسان الكامل ، يصبح عند مرحلة معينة من **مراحل تطور القوى الانتاجية** (**المرحلة الحالية للثورة العلمية والتكنيكية**) الشرط الضرورى للتطور التاريخى ..

« ان القدرات الجديدة التى حصل عليها الانسان فى الثلث الاخير من القرن العشرين ، ليست ببساطة امتدادا للسلطات القديمة . فنحن يمكننا ان نكتشف العلامات الدالة على **أزمة نمو هائلة** ، وعلى حدوث تغير « كيفى » فى مصير الانسان ، **لقد بلغنا عتبة مرحلة جديدة** ، فان القدرات الجديدة التى اكتسبها الانسان فى نضاله مع **نفسه** ومع **بيئته** يمكنها ان تغير من طبيعته بنفس العمق الذى حدث منذ آلاف السنين عند اكتشاف ادوات العمل .. »

وهذا « **التغير الكيفى** » الذى ينطلق منه جارودى فى اقامة « بنائه » كله ، وهو موضع تشكيك من جانب الماركسيين الذين تعرضوا لفكره بالنقد . يقول ايتيين فاجون فى تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى المقدم الى المؤتمر الاخير وهو يرد على جارودى :

« صحيح ان القوى الانتاجية تشهد انطلاقة لم يسبق لها مثيل ، يميزها بالذات الاوتوماشن ، والعلاقة الوثيقة بين البحث العلمى وتطبيقاته التكنيكية . ولكن يتعين علينا ان نقيم بدقة **المدى** الذى توصلت اليه الثورة العلمية والتكنيكية فى اكثر الدول الصناعية تطورا . فان دراسة جادة تبين **اننا ما زلنا عند عتبة تطور ، سوف يمتد عبر مرحلة تاريخية كاملة** ، غير ان روجيه جارودى ، **بتمييزه** مجموعة من الحقائق لا يشكك احد فى اهميتها ، **ويعزلها** عما يحيط بها من ظروف ، بمنهج يتعارض مع المادية الجدلية ، **انما يضع الجزء موضع الكل ، ويصف التطور الذى ما زال فى بدايته كانما قد بلغ حد الاكتمال والنضوج التام** »

اذن : ينطلق جارودى من افتراض ان « الثورة العلمية والتكنيكية » قد ادخلت « تغيرا كيفيا » ، ويفتتح آفاق « مرحلة جديدة » ، ويكسب الانسان **القدرة على أن يغير « طبيعته » ، وبالتالى طبيعة**

علاقاته الاجتماعية ، بينما يتمسك منتقدوه الماركسيون بان الظواهر الجديدة التى يستند اليها ، ما زالت ظواهر جزئية ، لن تكتمل الا من خلال مرحلة تاريخية كاملة ، وافتراض اكتمالها الان ، خلافا للواقع ، بتعميم مالايقبل التعميم ـ من شأنه افساد اى تعرض لهذا الواقع بتحليل صحيح. ويعنى اللجوء الى منهج يتعارض مع المادية الجدلية ، والماركسية .

ما هى « سمات » هذا « التفسير الكيفى » الذى يطرحه جارودى ؟

● « **ان الثورة التى تفجرت (فى) العلم مهدت الطريق لظهور ثورة « بطريق » العلم** · لقد جاء التحول الحالى نتيجة لتراكم الاكتشافات ـ منذ بداية العصر ـ عند مستوى البحوث الجوهرية فى ميادين الطبيعة النووية وكيمياء الذرة ، وعلم « السيبرناطيقا » ، والبيولوجيا ، وعلم الاجتماع ـ اننا نعاصر تغيرا فى العلم نفسه · **فمفاهيم علم « السيبرناطيقا » حلت محل « التصور الميكانيكى » للعالم كعامل قائد** · · »

ويسترسل جارودى مستخلصا مما سبق أن احلال « **السيبرناطيقا** » محل « **الميكانيكية** » فى موقع القيادة ، قد أدخل تغييرا على **طبيعة العمل ، وما هو مطلوب من العامل** · فبعد أن كان هذا الاخير « **موضوعا** » تتسم طبيعة عمله بالخضوع « للالة » ، أصبح الان « **ذاتا** » ، له استقلاله النسبى تجاه عمليات الانتاج ، ويكتسب تدخله فيها طابع **العمل التوجيهى والذهنى فى الاساس** ـ لذلك تحمل الثورة العلمية والتكنيكية **تفجيرا للذاتية**»، **والامتحان الذى يواجه النظم الاجتماعية فى عصرنا هو أن تعطى لهذه « الذاتية المحررة »** قدره أن تطلق كل طاقاتها الكامنة ·

● ويؤخذ على هذا التصور **للعناصر المكونة** للثورة العصرية فى العلم والتكنيك ـ من وجهه نظر معارضيه ـ انه احادى الجانب ، وانه يغفل كثيرا من مكونات هذه الثورة العلمية والتكنيكية ، وبخاصة انجازاتها **المادية** ، بجوار التغيرات التى ادخلتها من الناحية **الفكرية** · · ويذكرون على سبيل المثال :

ـ استثمار اشكال **للطاقة** ذات قوة تفوق بآلاف وملايين المرات كافة اشكال الطاقة المستثمرة من قبل ·

ـ ابتداع اشكال **للمادة** مثل الاليات المركبة بأعداد كبيرة وذات خصائص تفوق كل ما كان معلوما من قبل ·

وبفضل الالكترونيات ، والاتوماشن فى الانتاج والادارة ، تعاظم دور **الانتاج المادى** ذاته ، الذى لا يمكن بدونه ان تكتسب « الذاتية » كل ما أصبح متاحا لها من قدرات ·

هذا بينما يسترسل جارودى فى تحليله قائلا :

● « **تتبلور الثورة « بطريق » العلم عندما تنعكس نتائج هذه الثورة « فى العلم » على الجهاز الفنى للانتاج** · · وهذه الثورة تجد تعبيرا عن نفسها فى الدور المتزايد الذى ينهض به العلم فى الانتاج ، أن **العلم** قد أصبح أكثر وأكثر فى هذا الثلث الاخير من القرن العشرين **قوة انتاجية مباشرة** » · · بدليل · · « ان الفترة الزمنية التى تفصل ما بين الاكتشاف العلمى والتطبيق العملى لهذا الاكتشاف واستخدامه الصناعى تميل الى التناقص باستمرار » · · والنتيجة الاولى لدور العلم المتزايد **كقوة انتاجية مباشرة ، هو احتلال العمل الذهنى** مكانة تزداد اهمية فى اطار العمل الانتاجى ككل، وان ازدياد عددالكوادر والطلبة ذلك الازدياد الضخم ليعد مؤشرا لهذه الحالة. وتتكرر فى هذا المجال ظاهرة مشابهة لتلك التى تبلورت اثناء الثورة الصناعية (الاولى) حيث عكست حركة التصنيع سريعا ـ العلاقة العددية بين العمال الزراعيين والعمال الصناعيين ،وان ما **بدأ** يظهر فى الافق اليوم هو **انعكاس مشابه** للعلاقات العددية بين العمال اليدويين **والعمال الذهنيين (المثقفين)** ·

● كما تعبر هذه الثورة عن نفسها بانعكاس آخر ، ونعنى به **انعكاس العلاقات بين العلم والتكنيك** · · فقد كانت متطلبات التكنيك والانتاج حتى أواسط القرن العشرين ، **هى المحرك الرئيسى** للتقدم العلمى · والمثال التقليدى على ذلك هو اكتشاف القوانين المجردة فى **علم الطبيعة** والخاصة بالعلاقات بين الظواهر الميكانيكية والحرارية فى بداية القرن التاسع عشر [**مبدأ كارنو ـ جولوماير**] والتى نجمت عن ابحاث المهندسين الخاصة بالانتاجية القصوى للالات البخارية ، ويبدو ان **هذه** العلاقة تميل الى الانعكاس بعد اجتياز « عتبة » معينة ، حيث **يصبح التقدم العلمى** عاملا محركا لتطوير الانتاج ، وهو يجذب

هذا الانتاج اليه لانه يسبقه بدلا من أن يتبعه .. أن العلم بدأ يشق طريقا خاصا به ، مستقلا عن القوة المحركة . **ويقدر تقدم الدولة اقتصاديا وتكنيكيا ، بقدر ما يعتمد تقدمها الاقتصادى والاجتماعى مباشرة على تقدم العلم ..**

والعامل **الالكترونى** يلعب دورا تزيد أهميته شيئا فشيئا بالنسبة للعامل **الميكانيكى ..** ان « **الاتصالات** » بالمعنى الواسع لهذه الكلمة [أى بمعنى توسع جسد وحواس الانسان) بدأت تحل محل **العمل** (بالمعنى الضيق والعامى للكلمة ــ أى القوة العضلية للانسان) كأساس للنظام الاجتماعى .

وهذا التحليل الذى يتقدم به جارودى ، هو الذى وجه اليه النقد على أساس أنه يفترض أن **المجالات الاكثر تطويرا** ، والتى تنبىء بالمزيد من التطوير ، هى التى أصبحت **القاعدة العامة** ، كأنما القطاعات **المتخلفة** لم يعد لها وجود محسوس ، ولا تملك قدرة التأثير على هذه القطاعات المتقدمة .

فى هذا الصدد يقول جارودى :

« ان الجهاز الاقتصادى والاجتماعى ، مثله فى ذلك مثل الكائن الحى ، هو بناء تتشابك وتتلاحم فيه جميع عناصره . وبالتالى .. فان نتائج الثورة العلمية والتكنيكية الجديدة ، لابد أن تنتشر فيما وراء قطاع المصانع الخاضعة لنظام التسيير الآلى ، وكذلك فيما وراء النشاطات التى تعمل فيها الحاسبات الالكترونية » .

« وهكذا فان مجموع الجهاز الاقتصادى والاجتماعى يخضع تدريجيا للتغير ، تحت تأثير انتشار العلم فى مجال الانتاج ، وتحول القوى الانتاجية ، وهو تغير يفوق بكثير ما سبقه من تغيرات » .

ويسلم معارضو جارودى بأن الصناعات الطليعية ، تحتل فى عمليات الانتاج موقعا ووزنا يفوق فى أهميته حجمها الكمى ، وينبغى أن نطبق فى هذا الصدد نفس المفهوم القائل بأن موقع الطبقة العاملة فى الانتاج ، يكسبها دورا يتجاوز حجمها العددى ، ولكنهم يتساءلون : فى كتاب اكتسبت فيه « السيبرناطيقا » و « التغذية العكسية » هذه الاهمية البالغة ، ألم يكن ينبغى التنبيه الى أن القطاعات المتخلفة يحتمل أن تكون لها **آثار عكسية** تؤثر بها على القطاعات المتقدمة ، بدلا من افتراض **الانتصار** الساحق للقطاعات المتقدمة وحدها

ومجمل القول ، يتلخص النقد الاساسى الموجه الى جارودى حول تقييمه للثورة العلمية والتكنيكية فى أنه :

اولا : «يركز جارودى ، لا على التناقض الجوهرى بين الرأسمالية والاشتراكية ، ولكن على الانطلاقة الراهنة فى العلوم والتكنيك ، ذلك مع عرض طبيعتها ومعدلاتها ونتائجها بطريقة تعوزها الدقة والصواب » .

[**ايتيين فاجون ــ تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى الى مؤتمره التاسع عشر**] .

ثانيا : هذا العرض « الذى تعوزه الدقة والصواب » ينطوى على فكرة تعميم ما لا يقبل التعميم ، ويفترض أن القطاعات الاكثر تطورا استوعبت خصائصها كل القطاعات الاخرى ، وهى خصائص **لا يتصور تعميمها فى ظل العلاقات الاجتماعية الراهنة** ، وفى ظل سيادة العلاقات **الرأسمالية** بالذات ، حتى مع بلوغها حدا متقدما **من الاحتكارية** .

وبافتراض أن « **الجزء** » ــ أيا كانت أهمية هذا «الجزء» وموقعه فى الهياكل الانتاجية ــ قد اكتسب صفة « **الكل** » ، فقد الغى جارودى **التاثير العكسى** للمواقع الاكثر تخلفا على المواقع المتقدمة ، وبالتالى أعطى صورة مغلوطة من هذه الزاوية كذلك .

ثالثا : ان جارودى بمبالغته فى اهمية دور « الثورة العلمية والتكنيكية »، انما يهون من شأن **العلاقات** الانتاجية العصرية ، ويبالغ فى دور **المثقفين** مع التهوين من شأن الطبقة العاملة ودورها التقليدى ، وينتهى بنظرة الى الامور هى أقرب الى التفسيرات **التكنوقراطية** التى يحاول بها بعض أنصار الرأسمالية الحديثة **تجميل** الرأسمالية ، وهى نظرة تعبر عن التفاؤل بمصائر الرأسمالية فى وقت تتعرض فيه لاعنف الازمات والتمزقات الداخلية .

تقول مجلة « **النقد الجديد** » فى عدد يناير ١٩٧٠ :

« انطلاقا من مفهوم ــ يثير أكثر من تحفظ ــ عن الثورة العلمية والتكنيكية ، باعتبارها ثورة قد تم انجازها ، ويمكن ردها الى « تعميم السيبرناطيقا » ، يستخلص جارودى ، أن الاسبقية انتقلت من العمل الانتاجى المادى الى عمليات البناء الفكرى ،

وبالتالى تعرضت الطبيعة والعلاقات الطبقية لتغيرات ، وانتقل الدور القيادى من الطبقة العاملة القديمة الى الباحثين والعلماء ، وفى مثل هذه الظروف ، لم تعد هناك ضرورة لحزب طبقى من النوع اللينينى ، واصبح الصراع السياسى يتحول الى تداول عام للمعلومات .

ثانيا : التحول فى الطبقات الاجتماعية « والكتلة التاريخية الجديدة »

لتصوير التطورات التى ينتظر للثورة العلمية والتكنيكية ادخالها على الهياكل والانماط الاجتماعية ، والتركيب الطبقى فى المجتمعات المتطورة ، يتخذ جارودى الولايات المتحدة كالنموذج الامثل للمجتمع الرأسمالى .

« تعطينا الولايات المتحدة الامريكية ، بالنسبة للعالم الرأسمالى مثالا ممتازا يسمح بدراسة **التغيرات** التى تحدث الان فى نظام يقوم على أساس السوق والربح ، والتى تبلورت فى أعقاب **التحول الكبير** فى القوى الانتاجية ....

« ما هى بالنسبة للولايات المتحدة ، نتائج هذه الثورة العلمية والتكنيكية الجديدة ، التى تولد مجتمع « **ما بعد التصنيع** » ، أى مجتمعا يصبح فيه التنظيم المنظم للبحوث والمعارف العلمية **القوة الانتاجية الرئيسية** ؟

ان فكرة تحول « التنظيم المنظم للبحوث والمعارف العلمية » الى « **القوة الانتاجية الرئيسية** ، **يعبر عنها جارودى بتعبير آخر فى قوله كذلك** :

« لما كان « الذكاء المنظم » مع التحول العلمى والتكنيكى الكبير بدأ يصبح **القوة الانتاجية الرئيسية** ، فان الايدى العاملة التى يتطلبها النظام الاقتصادى قد غيرت من تركيبها الهيكلى » .

ومثل هذا المفهوم لابد أن يدخل بالفعل تغييرات فى تركيب « الطبقة العاملة » ، والقوة الاجتماعية المحركة للتحول الاجتماعى . يقول جارودى :

« ان القوة الوحيدة التى يمكن أن تتمتع **بالاغلبية** فى ظل ظروف المجتمع الامريكى السائدة الان ، تتمثل فى الطبقة العاملة بمعناها الواسع ، أى تلك الطبقة التى تلعب دورا حاسما فى المرحلة الحالية للقوى الانتاجية ، والتى تتكون من التقاء « أصحاب **الياقات البيضاء** » بأصحاب « **الياقات الزرقاء** » ، ويمكن ان تصبح هذه « **الكتلة التاريخية** » وحدها هى القادرة على أن تجذب اليها قطاعات اجتماعية واسعة ، وتجعلها تنخرط فى حركة كبيرة تعمل على تجديد المجتمع الامريكى » .

ويقدم جارودى تفسيرا لما يعنيه بهذه « الكتلة التاريخية » .. بقوله :

« الواقع ان التحليل الصارم للكتلة التاريخية الجديد ، هو القاعدة التى لاغنى عنها لاى بناء للاستراتيجية والتكتيك ، **وفيما بين العنصرين** اللذين يكونان هذه الكتلة التاريخية الجديدة ، وهما **الطبقة العاملة** بتعريفها التقليدى ، **والمثقفون** فى تنوعهم - بعضهم كاد يندمج فى الطبقة العاملة ، والبعض الاخر مازال قريبا من الطبقات المتوسطة ، وبخاصة من « المهن الحرة » — بين هذين العنصرين توجد ثمة **رابطة** ، وهذه الرابطة تتكون من **فئات العمال المؤهلة تأهيلا عاليا** ، وهى فئات أصبحت نتيجة للتغييرات التى طرأت على نفس تعريف التأهيل قريبة جدا من الفنيين والكوادر والمهندسين .

وحتى اذا كانت هذه المجموعات العمالية لا تزال من الناحية العددية غير قوية ، فانها تشكل فى المرحلة الراهنة المستوى الاستراتيجى الحاسم لتحقيق اندماج الكتلة التاريخية الجديدة ، ان **هذا** مبدأ أولى فى الاستراتيجية الماركسية ، وهو **يقضى** بتأسيس عملها على ما **هو بصدد أن ينشأ** وأن يتطور بعد ذلك .

وهكذا فان التغييرات العلمية والتكنيكية الكبيرة لها آثارها الاقتصادية والاجتماعية الجسيمة ، وتتطلب تغييرات سياسية عميقة » .

● **والنقد الاساسى** الموجه الى هذا المنطق عبر عنه **ايتيين فاجون** فى تقريره الى المؤتمر بقوله :

« كل هذا يرتكز على فكرة أن الاندماج بين العمل **اليدوى** والعمل **الذهنى** ، **وهو** خاصية تميز **المرحلة العليا للمجتمع**

«الشيوعى المجرد من الطبقات ، قد بدأ تحقيقه ، أو هو بصدد أن يتحقق » .

وهذا النقد هو امتداد للنقد الذى سبق وتعرضنا له ، والقائل بأن جارودى افترض فى تشخيصه للثورة العلمية والتكنيكية **اكتمال ظاهرة هى مازالت فى خطواتها الاولى** ، والاكتمال أمر لا يمكن تصوره **فى ظل العلاقات الاجتماعية الراهنة** .

وتضمنت الانتقادات التى وجهت الى تحليل جارودى حول هذه النقطة – فوق ما سبق – **التشكيك** فى الحقائق التى يبرزها لدعم نظريته ، والخاصة بالتعديلات الجارية فى **تركيب** الطبقة العاملة فى المجتمعات الرأسمالية المتطورة .

يقول **فيليب فوخمان** فى تحليله لكتاب جارودى :

« اذا صح أن الحاجة الموضوعية للقوى الانتاجية تتجه نحو توسيع نطاق العمل الذهنى ، ورفع مستوى التأهيل المهنى ، لا يمكن أن ننسى أن هذه الحاجة تصاحبها فى الوقت ذاته ظواهر عكسية تغذيها الرأسمالية ... واذا سلمنا بسرعة معدل نمو العاملين الذهنيين ، وأن عددهم قد **تضاعف** تقريبا بين ١٩٤٥ و١٩٦٨ ، غير أنهم مازالوا لا يمثلون سوى **خمس مجموع العمال** ، ومازالت تتألف كتلة هامة من الطبقة العاملة من العمال اليدويين والمتخصصين ، وتظل زيادة عدد العمال المؤهلين التى سجلها آخر احصاء محدودة » .

● ولجارودى تفسير عن هذه التحولات التى تجرى فى تركيب الطبقة العاملة ، **دون انتظار مرحلة المجتمع اللاطبقى** ، وبفضل **الثورة العلمية والتكنيكية .. يقول** :

« ما هى النتائج الاقتصادية للتحول :

■ **أولا – تكوين « نموذج » جديد للتنمية .. فعوامل التنمية الجديدة تصبح : التجديد التكنولوجى والتعليم**(مع العلم بأن العاملين مازالا يخضعان لسباق التنافس) – لقد كانت التنمية الاقتصادية حتى الان تعتمد قبل كل شىء ، على **تراكم رأس المال وازدياد عدد العمال** – أما من الان فصاعدا ، فسوف تعتمد أكثر فأكثر على المستوى الذى بلغه **البحث العلمى** ، وعلى مستوى **جودة العمال المبتكرين** الذين **يشرفون – ويخططون** – على عملية الانتاج والادارة .

■ **ثانيا** – اما النتائج بالنسبة للعمالة ، **فتبدو** لاول وهلة محيرة .

١ – يمكن أن نتوقع أن يتمخض انتشار التسيير الآلى (الاوتوماشن) انتشارا سريعا فى عمليات الانتاج ، من وجهة النظر الكمية ، عن الحاق الضرر بعدد كبير من العمال ، ومن اندلاع **أزمة بطالة تكنولوجية خطيرة** فى المدى القصير . ولكن الحقائق **لا تؤيد** هذه المخاوف . (فقد ثبت) أن التسيير الآلى فى ميدان الانتاج ينجم عنه فى المدى القصير ، **نقل العمل من قطاع الى آخر لا الغاؤه** – أما فى المدى الطويل ، وبشرط **أن تتناسق العلاقات الاجتماعية مع هذا التطور الجديد للقوى الانتاجية** ، فمن المتوقع أن يؤدى التسيير الآلى الى **تقصير يوم العمل وزيادة أوقات الفراغ** .

وينبغى هنا لفت النظر الى أن العبارة الاخيرة ترتب الاحتمالات المنتظمة فى المدى الطويل من الثورة التكنيكية [انتشار التسيير الآلى على **تغيير العلاقات الاجتماعية** ، **ومواءمتها للتطور الجديد** فى القوى الانتاجية ، أى يكتسب **التغيير الاجتماعى** ، ولا التغيير فى العلم والتكنيك مركز **العنصر الفاصل** فى تحديدملامح تأثيرهذا التغيير الاخير فى شكل وطبيعة العمل مستقبلا .

ويستطرد جارودى قائلا :

٢ – هل سيؤدى انتشار التسيير الآلى فى ميادين الانتاج الى زيادة عدد العمال المهرة المتخصصين ، أو الى القضاء على مهارات وتخصصات الجمهرة الكبيرة من العمال ، يمكننا فى هذا المجال أيضا أن نتوقع ، فى المدى القصير ، تحقيق الافتراض الاخير ، ولكن الحقيقة غير ذلك .

لقد كان الاتجاه العام حتى أواسط القرن العشرين .. هو « القضاء على المهارات » ، ونتيجة لذلك ارتفعت نسبة العمال غير المهرة – ولكن فى خلال السنوات الخمس عشرة الاخيرة ، بدأت هذه الحركة تنعكس . ويجب أن نضيف أن مفهوم **التأهيل المهنى** نفسه قد تطور ، فالتأهيل المهنى ، وخاصة فى القطاعات القيادية [الصناعات الالكترونية ، البتروكيمائية ، الخ .) لم

يعد فقط ذلك التأهيل الذى يكتسبه صاحبه **مرة واحدة** عند دخوله المهنة عن طريق تدريب متخصص ، بل لقد أصبح أكثر فأكثر ، بسبب أنتشار التسيير الالى فى ميادين الانتاج والادارة ، يكمن فى **قابلية العامل للالمام بجميع عمليات التكنولوجيا** حتى يستطيع تفسير مؤشراتها ، كما أصبح هذا التأهيل بسبب التغيرات السريعة فى القوى الانتاجية ، يكمن فى **الاستعداد للتدريب المستمر** .

وهكذا **فالظاهرة الجديدة** تتمثل فى القدر المتزايد لشكل معين من أشكال الثقافة العامة فى ميدان التأهيل المهنى ، وتشير تقديرات أمريكية وتشيكية وسوفيتية الى ان ٧٠ فى المائة من العمال فى المجتمعات الاقتصادية المتقدمة سيحققون خلال العشرين سنة القادمة عند دخولهم المهنة ، ثقافة عامة يعادل مستواها المستوى المطلوب للانخراط فى سلك التعليم العالى .

٣ ــ تتطلب الثورة العلمية والتكنيكية الجديدة أشكالا جديدة فى ميدان **الادارة** لقد كان تأكيد **المركزية الى اقصى حد ممكن** فى مجال **المبادرة واتخاذ القرارات** . **هو** أكثر عوامل الادارة ربحا منذ نصف قرن مضى ، أى فى الوقت الذى كانت تسود فيه نظريات المهندس «تايلور» الخاصة بالتنظيم العلمى للعمل ، غير أن الثورة العلمية والتكنيكية ، **تقلب الاوضاع** كذلك بالنسبة لهذه النقطة ، ذلك أن ما يعد أكثر ربحا من الان فصاعدا ، هو **تعدد المراكز التى تتخذ المبادرات** [الاقتصادية] **والقرارات** [وهو أمر يحتم زيادة عدد الكوادر الفنية والادارية زيادة ضخمة) . **ان التحول فى هذا الميدان يعنى احلال التنظيم العلمى ذى الطابع «السيبرناطيقى» محل التنظيم العلمى ذى الطابع « الميكانيكى » فى وسائل ونظم الادارة** » .

● غير أن النقد الاساسى المقدم لهذا المنطق برمته ، هو أن النتائج **السياسية** ــ وهى ذات أهمية كبرى ، لا جدال فى ذلك ــ الناجمة عن رفع كفاءة قوة العمل ، **ليس مرجعها هو الثورة العلمية والتكنيكية فى حد ذاتها، بل تتوقف على السؤال : هل هذه الثورة يتم انجازها داخل اطار الرأسمالية ، أم داخل اطار الاشتراكية ؟**

وجاء فى تحليل مجلة « **النقد الجديد** » حول هذه المسألة :

« يكشف **التحليل الواقعى** عن أن الثورة العلمية والتكنيكية تسهم فى تعميق التناقضات الكلاسيكية للرأسمالية ، وكذلك فى ظهور تناقضات جديدة . **هذه التناقضات الجديدة تنتظم حول التناقض الذى يظل التناقض الاساسى ، وهو الذى يواجه « العمل » « برأس المال »** . فكلما زادت الاحتياجات . وزادت معها امكانيات اجابتها ، برزت بصورة أوضح حدود وعدم انسانية النظام القائم على استغلال الانسان للانسان ، وعلى تقسيم المجتمع الى **تناقضات عدائية** » .

« ان تأكيد **الطابع الاجتماعى** للقوى الانتاجية يفضى الى تركيز **احتكارى** لوسائل الانتاج والتبادل . ولا تملك الرأسمالية الا أن تستجيب لهذا الاتجاه ، والا نفت نفسها ، وهى بالتالى تؤدى حتما الى **توسيع نطاق** العمل المأجور الى فئات اجتماعية جديدة ، **منها المثقفون الذين يمثلون قسطا من العمل** المأجور ، يزداد أهميته على الدوام .

ونفس الاسباب التى تؤدى الى زيادة عدد المثقفين والتحول فى دورهم ووضعيتهم ، هى الاسباب التى تدعم الظروف **الموضوعية** والذاتية التى تجعل من الطبقة العاملة **القوة الرئيسية** فى المعارك الثورية ، **بمجرد أن** تعى بالموقف التاريخى وبامكانيات تحررها مع تحرير المجتمع بأسره ، **ان هاتين الظاهرتين لاتتناقضان** ، بل هما تعبران عن نفس الحقيقة التى تبرر **تحالف** الطبقة العاملة مع المثقفين ، كمسألة تكتسب أهمية حاسمة اليوم .

غير أنه ينبغى التنبه الى أن اتجاه التكنيكيين والفنيين للاندماج تدريجيا داخل الطبقة العاملة ، **لا يعنى أن جميع المثقفين والطلبة هم فى نفس الموقف ، ولا أنهم جميعا يتأثرون بالتغييرات التى تطرأ على القوى الانتاجية** ..

صحيح أن المعلمين يتعرضون لتدهور فى موقفهم المادى والفكرى ، وصحيح أن الاطباء والقانونيين والمعماريين والفنانين ينتقلون **من موقع العاملين المستقلين الى موقع العمل المأجور** ، هذه حقيقة اجتماعية وسياسية ذات أهمية كبرى ، **ولكن هذه الحقيقة لاتنجم بشكل مباشر عن الثورة العلمية والتكنيكية . بل هى نتيجة انتقال الرأسمالية من**

الرأسمالية الليبرالية الى رأسمالية الدولة الاحتكارية .

ان الواقع ينفى فكرة ان **العمل الذهنى** أصبح العنصر **الحاسم**، انلم يكن **الوحيد** ، فى الانتاج . أن دور الطبقة العاملة ، لا يقلل من شأنه التطور التاريخى ، بل يزيده خطورة ، لا بزيادة وزن الطبقة العاملة داخل المجتمع العامل فحسب ، ولكن بزيادة شأنها داخل الصناعة الكبيرة الى حد لم يسبق له مثيل ، ان استقلال الطبقة العاملة تجاوز كل ما بلغه من قبل ، كما انه يتأكد تمركزها فى الوحدات الانتاجية الضخمة .

« ان عرض جارودى لا يسهل مشاركة المثقفين فى تحويل المجتمع ، بل تفضى نظريته الى عكس هذه النتيجة ، ذلك بتغذيتها الاوهام حول دورهم، تلك الاوهام التى لا تقابل واقع مركزهم الراهن . ولا تنطوى المطالبة بتحديد ما يميز المثقفين على التقليل من شأنهم ، بل هى وسيلة تعبئتهم على أسس حقيقية ، وضمان فعالية هذه التعبئة فى التطبيق » .

ثالثا : مفهوم العمل الثورى وشكل الحزب الشيوعى

انطلاقا من التعديلات التى يراها تتجسد فى التركيب الطبقى للطبقة العاملة ، يتعرض جارودى ، بتفاصيل واسعة ، لما ينبغى أن يصبح « الحزب الثورى » القادر على مواكبة هذه التعديلات ودفعها الى الامام ، بتمثيل أكثر دقة « للكتلة التاريخية الجديدة » .

يبدأ جارودى فى هذا الصدد بنقاط ارتكاز عملية يعتبرها **مسلمات ومنطلقات** لفكره ــ يقول :

■ **لا يمكن عمل شىء ذى قيمة فى فرنسا بدون الحزب الشيوعى .**

■ **لا يمكن عمل شىء ما لم يبادر هذا الحزب بتغيير نفسه تغييرا جذريا .**

ويستطرد جارودى فى مكان آخر من مؤلفه قائلا :

« الخروج من الطريق المسدود بالنسبة لهذا الحزب ليس فى تغيير **البرنامج** ، **ولا هو** أيضا فى تغيير **الهدف** . وانما فى ادخال تغييرات على **منهجه وطريقة عمله** ، حتى لا تظل فقط تلك القوة المتماسكة التى يخشاها الخصم ويدور حولها ، وانما لكى يصبح المركز الحى والمشع للحياة الفرنسية فى حركتها نحو المستقبل » .

ولادخال هذا التعديل ، يطرح جارودى خمسة « مبادىء أولية » :

أولا ــ تأسيس استراتيجية وتكتيك على أساس تحليل علمى لعلاقات الطبقات فى فرنسا اليوم ..

ويختم جارودى تفصيل هذه النقطة بتأكيده أن « التحليل الصارم **للكتلة التاريخية الجديدة هو** القاعدة التى لا غنى عنها لاى بناء للاستراتيجية والتكتيل الملائمين للظروف الحالية فى فرنسا » .

ثانيا ــ ومن هنا تنبع المبادرة الثانية : وهى أن دراسة للعلاقات الطبقية الجديدة التى تؤدى بنا الى تحديد دقيق « للكتلة التاريخية الجديدة »، لابد أن تتفتح على تحديد المطالب التى يمكن أن تكون القاسم المشترك لهذه الكتلة التاريخية ، بغية أن تقوم **الطبقة العامة فى توسيعها الجديد بدورها القيادى** .

ويجدجارودى، تحديدا لهذا« **القاسم المشترك** »، ان احداث مايو ٦٨ فى فرنسا ، عميقة التعبير عن « ارهاصة أولى » لما يمكن أن يكون مستقبلا أساسا لانطلاق العمل الثورى ، وهو يقول فى هذا الصدد :

« ان هذا الاضراب له طابعان مميزان يكشفان عن الكثير : **أولهما مدى اتساعه** ــ اذ أنه لم يكن **اضرابا عاما** يضم فقط الطبقة العاملة فى المعنى التقليدى للكلمة ، وانما كان التخطيط الاول « **للاضراب الوطنى** » . الذى اشتركت فيه العناصر الجديدة فى الطبقة العاملة (بالمعنى العريض الحديث) مع عدد كبير من الكوادر والمهندسين . واشترك فيه كذلك الطلبة والموظفون وفئات اجتماعية أخرى . **والسمة الثانية** هى أن هذا الاضراب لم يكن موجها ضد **استغلال** العمل فحسب ، وانما كان موجها كذلك ضد **اغترابه** » .

« ان ما يعتبر جديدا ، وما كان للمطالبة به من صوت مسموع بقوة خاصة ، خلال شهرى مايو ويونيو ، هو المطالبة **النوعية** التى بعثت الشك فى جوهر النظام

الرأسمالى ، وهو النضال ضد **الاغتراب** الذى بمقتضاه يبعد العمال سواء كانوا يدويين أو مثقفين عن كلمشاركة فى اتخاذ القرارات داخل المؤسسات . **والمطالبة بالمشاركة الفعلية هى أكثر من أى شىء آخر القاسم المشترك للمطالب الجماعية للكتلة التاريخية** ، وعلى وجه التحديد لان لها طابع « الشمول » ٠ اذ أنها تحمل فى ثناياها جميع المطالب الاخرى ، لانها هى التى تحكم تنفيذها جميعا تنفيذا كاملا ٠ وأنها تفتح الى جانب ذلك امكانية للنضال من أجل **الاشتراكية** بالانتقال من **المشاركة الى الاشراف العمالى** ، ومن الاشراف العمالى الى **الادارة الذاتية** » ٠

غير أن انطلاق العمل الثورى على هذا النحو ، بالعمل على اطلاق « الاضراب الوطنى » لابد وأن **يصطدم بالدولة** بوصفها السند السياسى الاساسى لعلاقات الانتاج القائمة وأشكال الملكية الرأسمالية ، ومن هنا يطرح جارودى **مبادرة ثالثة** تحدد الموقف من **البرلمان** ومن **الاحزاب** ٠٠يقول :

« ان الوظيفة **الاساسية للدولةاليوم** ،الى جانب وظيفتها كجهاز **قمع** ، قد أصبحت **تنظيم الاقتصاد الرأسمالى** ٠ فان النظر الى أن الاستثمارات أخذت تزداد ضخامة تدريجيا ، متجاوزة امكانيات الاحتكارات الخاصة نفسها ، اذا بها تتطلب تخطيطا طويل الامد ٠ وفى عصر السيبرناطيقا ، يتعين وضع تنبؤاتوحسابات للمخاطر على مدى ١٥ عاما ، وأحيانا ٢٠ عاما ٠

« **ان متطلبات الاستقرار والاستمرار قد سبقت بصفة نهائية مبادىء التنافس السياسى الحر الذى يشكل ميثاق الديموقراطية البرلمانية** ٠ ومنذ ذلك الوقت ، فان الاسبقيةالسياسية **للبرلمان**تعرض لادانة مزدوجة : (١) لاسباب تكنولوجية (ب) لاسباب طبقية . **وفى عصر نظام رأسمالية الدولة الاحتكارية، يصبح من المهم أن تكون القرارات الكبرى ــ وقد اتخذت من جانب جهاز الدولة ــ لا سيطرة عليها للبرلمانية التقليدية ، وكذلكلا تخضعللنقاش ، ولرقابة هيئة تمثيلية شعبية** » ٠ وذلك يؤدى الى نتائج عميقة فيما يتعلق بالتكتيك والاستراتيجية للنضال من أجل الديموقراطية والاشتراكية ٠

ويرتب جارودى على هذه النتيجة عدة مستخلصات منها :

« ان تغيير وتصغير دور البرلمان ، يجب أن **يمنعنا** من الخلط ، **فى الانتقال الى** الاشتراكية بين الطريق **السلمى** والطريق **البرلمانى** ٠ ونفس الاسباب يجب أن تمنعنا من الخلط بين مشكلة **الوحدة** ، ومشكلة **وحدة اليسار** ٠

« فنيما عدا **الحزب الشيوعى** ، فانه لا وجود لاى **حزب** يعطى ، تحت شكل تنظيمى دائم ، لطبقة أو لفئة اجتماعية **الوعى** بنفسها وبأهدافها الخاصة ، ولا التنظيم الذى يوصلها الى هذه الاهداف ٠

« ان **التوعية** ، بالقدر الذى تحتمله من التشويش ، لاتتم ابتداء من دعاية وتنظيم **هذا الحزب أو ذاك** ، وانما ابتداء من **اعلام مشترك** هو اعلام صحافة تمتلك الصورة الجديدة للراسمالية ٩٠ فى المائة منها ، واعلام الاذاعة والتليفزيون الذى اسهم فى سحق الدرع التقليدى للاحزاب القديمة ٠ ولم يعد فى وسع كل انسان غير أن ينفعل تبعا لنظرية طبقية ازاء هذا الاعلام ، ويتجه بصورة غامضة نحو الديجولية ، أو نحو المعارضة الاصلاحية ، او نحو ثورية مجردة ٠ **وهذا الوقت يتطلب اقترابا جديدا من مشكلات الوحدة** ٠

ويطرح جارودى ــ فى نقطة **رابعة** ــ تصوره لمشكلات **الوحدة** ، بديلا عن الاشكال التى ظلت ــ فى نظره ــ الى الان عاجزة عن أن تحقق **هدفها** المنشود ٠

« ان الوحدة فى مثل هذا الموقف لا يمكن استيعابها فقط داخل نطاق التحالف **بين بعض الاحزاب او التشكيلات السياسية** ، فهى لا تمر بالضرورة من هنا ، مع استثناء واحد ربما كان الحزب **الاشتراكى** الذى يحتفظ حتى الان **ببعض** السمات المميزة **للحزب**، ذلك بالرغم منأنه لم يعد ينشر أيديولوجيته الخاصة الا لجانب صغير من أولئك الذين يتبعونه ٠ **ويمكن اليوم التفكير فى انجاز الوحدة بمخاطبة طبقات اجتماعية ينبغى ضمها او تلاحمها مباشرة** ، **طالما انه لم يعد هناك احزاب مستقرة وهياكل تعبر عنها تعبيرا واعيا** ٠ ان المنظمات **النقابية والمهنية** وكذلك التشكيلات المختلفة **للجمعيات** تلعب بالفعل دورا **أكثر أهمية** من الدور الذى تقوم به الاحزاب بالمعنى التقليدى للكلمة ٠

وكبديل لانجاز « الوحدة » ــ لاعن طريق التشكيلات السياسية **والاجتماعية** ، وأنما عن

طريق « انجازات الثورة العلمية **والتكنيكية** » فى **مجال الاعلام ، يقترح جارودى :**

« حقا أن **وسائل الاعلام الجماهيرية** قد تسهم فى الحشد الاقصى للاعلام والدعاية فى خدمة السلطة السياسية . غير أن هذه الوسائل الفنية نفسها ، **والتليفزيون** على سبيل المثال، يمكنها كذلك أن تتيح أقصى نشر للاعلام ، وبالتالى أقصى طاقة فى اطلاق **عدم التمركز** فى المبادرات والقرارات .

« وهذا الاحتمال المزدوج المتفتح أمام التكنيك قد بلغ مدى بحيث انه لم يعد من المتعذر ادراك امكانيات « **الديموقراطية المباشرة** » من طراز لم يسبق أن عرف من قبل . واليوم بفضل الحاسبات الالكترونية ، وبفضل تقدم علم الاعلام ، يمكن الوصول الى دورة متصلة بين القمة والقاعدة ، والى نوع من الجمعية الوطنية الواسعة والدائمة التى تضم الشعب بأسره ، حيث يمكن لكل رأى فردى أن يجد فى أية لحظة طريقه الى التسجيل والتعميم، وحيث يمكن لاية معلومة أن تجد طريقها الى البرمجة والاذاعة الشاملة » .

« وقد يبدو هذا الافتراض الاخير مجرد حلم بعيد . ولكنى احاول به الوصول الى أقصى حدود ما أصبح الان ممكنا أو قابلا للتصور، ذلك أن الثورة العلمية والتكنيكية الجديدة، بما ترتب عليه من توسع لم يسبق له مثيل فى **العامل الذاتى** ، تخلق الظروف والامكانيات للتدخل الواعى ، الشخصى والدائم ، لكل انسان فى سير التاريخ . وهكذا فقط يمكن القضاء على « **الإغتراب** » الذى تجسده **الدولة** ، وتشكيلها ازاء **الفرد** واقعا غريبا ، متفوقا عليه ومعاديا له » .

ويختتم جارودى هذا التصور لانطلاق العمل الدائم للتحولات التى ادخلتها ثورة العلوم والتكنولوجيا العصرية ، بتصور — فى نقطة خامسة — عن شكل **الحزب** الكفيل بمواكبة هذه التطورات ، واطلاق ما تختزنه من احتمالات جديدة . يقول :

« المبادرة الخامسة التى لا غنى عنها ، **والتى تحكم جميع المبادرات الاخرى** ، هى التحول العميق فى **مفهوم** الحزب وشكل **تنظيمه** .

« ان المبادرة **الاولى** المطلوبة اليوم ، هى التفكير فيما يمكن أن يكون حزبا شيوعيا فى دولة متقدمة تقدما كبيرا من وجهة النظر الاقتصادية والتكنولوجية . وفى طبقة عاملة متعلمة ، وهو حزب يمارس سيطرته على « كتلة تاريخية » بالغة الاتساع ، وبين شعب تم تكوينه منذ ما يقرب من قرنين من الديموقراطية البورجوازية .

« ان **المركزية الديموقراطية** فى الحزب الشيوعى الفرنسى ، كما فى جميع الاحزاب التى لم تعمد الى نقد أساسى للستالينية غداة المؤتمر العشرين ، والتى اكتفت بالتحليل السطحى الذى سرعان ما قطعه الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى ، هذه المركزية الديموقراطية قد استمرت فى الاختلاط بالمركزية البيروقراطية التى لم تترك مكانا الا لديموقراطية شكلية محضية» .

ماهو المطلوب عمله اذن : **احلال نموذج سيبرناطيقى محل النموذج الميكانيكى** . يقول جارودى :

« اساس هذا النموذج **السيبرناطيقى** هو الاستعانة **بالتغذية العكسية** ، وبعض الاجهزة المنظمة التى تتيح فى كل لحظة اعادة تطويع الجهاز للظروف الجديدة لعمله ووظيفته ، وفى حالة المجتمع الانسانى، وسواء كان الامر خاصا باحد المصانع أو بأحد الاحزاب السياسية ، فان ذلك يعنى ادخال « ذاتية » العاملين فى الانتاج ، أو المناضلين فى الحزب » .

« ان **المركزية الديمقراطية تبعا للنظرية** الجدلية لمؤسسيها ماركس ولينين ، ينبغى لها اليوم أكثر من أى وقت آخر أن تفهم فى مجتمعاتنا المتطورة تطورا كبيرا ، ليس وفق النموذج **الميكانيكى** ، وانما وفق النموذج القائم على **السيبرناطيقا** .

« ومعنى ذلك أن تمارس القاعدة بصفة دائمة دور « المنظم » الذى يتيح عمله اعادة ضبط القرارات التى تتخذها القمة، وتكييفها لظروف النضال الجديدة » .

« ومعنى ذلك ايضا الا تقتصر ممارسة العمل الجماعى على الاتجاه **الراسى** فقط ، أى من القمة الى القاعدة ومن القاعدة الى القمة ، وانما كذلك فى اتجاه **افقى** ، حتى تحدث خصوبة متبادلة فى المبادرات ، وحتى تحدث يقظة فى الافكار من خلية الى أخرى، ومن قطاع الى آخر ، ومن اتحاد الى اتحاد ،

وكذلك من العامل فى القاعدة الى العنصر القيادى .

« ومعنى ذلك أخيرا ، فى هذا البنـاء الديموقراطى الملائم لنشاط علمى حقيقى ، ولمبادرات عملية قوية ، **قيام مفهوم جديد للعنصر القيادى**، هو أن دوره ليس مقصورا على اصدار التوجيهات ومراقبة التنفيذ ، وانما يتسع دوره أولا وقبل كل شىء الى بعث المبادرات ، وتنويع نشاط الاجهـزة المركبة التى تنظم بطريقة تبادلية ، وادخال التصرف المستقل لهذه الاجهزة فى أسلوب جماعى كامل .

● وينطلق النقد الموجه الى جارودى فى شأن مفهوم **العمل** الثورى ،واداة العمل الثورى ، وهى **الحزب الثورى** ، من هذه النقطة **الخامسة** التى يعرضها جارودى ، ويعتبرها **تحكم** جميع المبادرات الاخرى .

يقول **ايتيين فاجون** وهو يتحدث عن القواعد التى تحكم تنظيم الحزب ، قـواعد « **المركـزية الديموقراطية** » :

« هذا المفهوم ، ثمرة نضال لينين العنيد ، وهو مفهوم تبنيناه لبناء حزب عمالى ثورى علـى انقـاض التنظيـم الاشـتراكى الديموقراطى ، يعتبر جارودى ان الوقت قد حان للتخلى عنه .

« وبأسم اعتبارات غامضة ، يستخلص منها ان المركزية الديمقراطية التى يجرى تصورها وفق « نمـوذج ميكانيكى »، آن الاوان لاحلال تصـورها وفق « نمـوذج سيبرناطيقى» محلها. ويدعوجارودى الى ان تناقش تنظيمات الحزب كل قضية خلافية يثيرها اى عضو فى أى وقت ــ ومعنى ذلك احالة حزبنا النضالى الكبير الى ناد دائم للثرثرة العقيمة ، على نحو يبرر انصراف العمال عنه ــ وفى الحقيقة ، هل هناك أمر أكثر « ميكانيكية » من تصور يستمد شكلا لتنظيم حزب عمالى من حـــالة التكنيك الصناعى فى لحظة معينة ؟ » .

وتعمم مجلة « **كراريس الشيوعية** » هذا النقد بقولها [عدد يناير ١٩٧٠] :

« يضع روجيه جارودى كشرط لكل تغيير له اهميته فى اتجاه السياسة الفرنسية، تغيير الحزب الشيوعى الفرنسى . ومن هنا يجد العداء للشـيوعية ما يبرره ، كما يقـدم **الذريعة للنظرية التى تطالب بحزب جديد** يتخلى عن المبادىء اللينينية فى التنظيم . ان النقطة المركزية فى هجوم جارودى تنصب على المركزية الديموقراطية ، ورغم انه ينفى ذلك نجد انه يطالب بحق الاقلية فى أن تعبر عن رأيها علنا ــ وهذا منطقى ــ فاذا كان لابد من تغيير الحزب لاحـداث تغيير فى فرنسا، يجب أن يسمح «للتناقضات» التى هى محرك التطور والتغيير ، أن تعبر عن نفسها بحرية داخل الحزب . ولا يهم ان هذه التناقضات قد لا تنهض على أســاس موضوعى ، ولا تعكس تناقضات فى المصالح داخل الحزب، وانما تمثل فقط حدة الصراع الايديولوجى ، والتـأثير المحتـمل لافكار البورجوازية . وفى الحقيقة ، فان الممارسة وحدها هى الكفيلة بتحديد من الذى على صـواب ومن المخطىء ؟ . لذلك لا يمكن للمناقشة الحرة فى الحزب ان تدوم الى غير أجل، ولابد ان تنتهى بتطبيق قرارات تحترمها الاقلية ــ اذا وجدت ــ كمـا تحتـرمها الاغلبية . ان المركزية الديموقراطية هـى الشكل الارقى للديموقراطية فى حزب نضالى لا ينوى ان يتحول الى ناد للنقاش ، بل يستهدف تغيير العالم ..

وتحويل الحزب الى **ناد للنقاش**، هو فى حقيقة الامر كما ابرز لينين ، **تصفية الحـزب ككتيبة** نضالية، والقضاء على كيانه وقدرته على مواصلة المعارك الطبقية ضد الاعداء الطبقيين .

وتسترسل المجلة قائلة :

« . . كلما يتصاعد النضال ، كلما زادت الحاجة الى وعى راق ــ ولكن هذا الوعى لا ينشأ **تلقائيا** فى الطبقة العاملة ولا غنى عن وجود حزب شيوعى مسـلح بنظـرية الاشتراكية العلمية ، ذات تنظيم دقيـق وصلات وطيدة بالجماهير ، **لان الافكـار السـائدة ــ تلقائيا ــ هى افكار الطبقـة السائدة** [**البرجوازية**] ، وكما أن درجات الوعى والخبرة تختلف من شيوعى الى آخر داخل الحـزب ، فاذا تسـاوت حقوقهم وواجباتهم جميعا . فليس هناك شك فى أن بعضهم أقدر من غيرهم علـى الحكم والتصرف بسرعة ، واصـدار القـرارات المناسبة .

وتشير مجلة« **النقد الجديد** » (عدد يناير) الى أن افكار جارودى فى هذا الصدد هى اقرب الى أفكار « **الحزب الاشـتراكى المـوحد** » وبعض

الاتجاهات والمواقع الفكرية المنتمية الى ما يدعى **اليسار الجديد** ، منها الى افكار الحزب الشيوعى، وبشكل خاص :

■ فكرة أن وحدة اليسار لا يقررها أساسا التحالف بين التشكيلات السياسية القائمة .

■ نظرية « المشاركة » و « تعدد مراكز البت واصدار القرارات » ، وبعض التصورات عن « الديموقراطية العمالية » و « الاشراف العمالى » و « التسيير الذاتى » .

■ التصور القائم على أن التغيير الى الاشتراكية انما يتوقف على اجراءات **هيكلية واقتصادية** دون التفات كاف لاهمية « الخطة **السياسية** » فى التحول ، واتجاه — مثل اتجاهات اليسار الجديد — لاعتبار « الديمقراطية **السياسية** » تقبل الاستيعاب داخل اطار « الديموقراطية **البرجوازية** » ، و « **الديموقراطية الاقتصادية** » تحققها « الديموقراطية **الاشتراكية** » .

غير أن **تصفية الحزب تنظيميا** لا تتمثل عند جارودى — فى نظرتنا — فى آرائه حول « **المركزية الديموقراطية** » فحسب ، بل تجد تعبيرها الاكثر وضوحا ، وصياغتها التطبيقية الصريحة فى رأيه الخاص بضرورة وضع حد **للمحترفين الثوريين** . ويشير نقاده فى هذا الصدد الى الفقرة الواردة فى كتاب جارودى حول هذا الموضوع حيث يقول :

« قد يكون من الضرورى عدم جعل الجانب الاكبر من قادة الحزب ، أى السكرتاريين الاتحاديين أو أعضاء اللجنة المركزية « محترفين ثوريين » أى موظفين فى الجهاز . وانما يجب ان يستمروا فى تأدية مهنة محددة — بل اذا تطلب تنظيم العمل فى الحزب ابعادهم او اقصاؤهم لوقت ما ، **فيجب** ان يتم ذلك على أن يكون **لوقت محدود** ، وأن تكون الدورة سريعة واجبارية — وقد يكون فى هذا **علاج للميول البيروقراطية ، مما يتيح انفتاحا أكبر على الخارج ، وفى الوقت نفسه دورة أفضل للافكار** » .

ويبرز **ايتيين فاجون** فى تقريره الاعتراض **العملى** على هذه الفكرة بقوله ان مثل هذا الموقف لا يمكن أن يعنى فى مجتمع رأسمالى ، يفرض على العمال الوجود الدائم والمرهق داخل مصانعهم ومؤسساتهم غير تحريم معظم قادة الحزب من قدرتهم على مباشرة مسئولياتهم ، وهى مسئوليات **تحتاج الى وقت والى تفرغ والى قدرة على التحرك** والانتقال بحرية داخل منطقة عملهم ، أو على نطاق البلد ، ومن المحتمل ايضا الى خارجه .

وتعقب مجلة « النقد الجديد » قائلة :

« فى الظروف الراهنة التى تتسم فيها المشاكل التنظيمية بقدر بعيد من التعقيد والاتساع ، ان ما يطلبه جارودى هو تحويل هؤلاء **المسئولين** بالحزب الى كادر **شكلى** صرف ، وسوف يكون من الضرورى وقتذاك استبدالهم **بموظفين مجندين** ، ربما بين **المثقفين الجامعيين** — ومعنى ذلك **عمليا خلق** حزب بروليتارى يتسم بصفة **ان العناصر البروليتارية مبعدة من كل المراكز القيادية!** »

غير ان نقاد جارودى لا يرون فى نظريته **مجرد تصفية الحزب تنظيميا فحسب ، بل تصفيته كذلك ايديولوجيا — وهم يلفتون النظر فى هذا الصدد الى قوله :**

« **اذا كان الحزب لا يريد أن يصبح طائفة من المذهبيين ، وانما خميرة لجميع القوى التى تريد أن تبنى الاشتراكية فى فرنسا ، فانه لا يمكنه أن تكون له « فلسفة رسمية » ، ولا يمكن ان يكون فى مبدئه لا مثاليا ولا ماديا ، لا متدينا ولا ملحدا** .

وليس الامر على الاطلاق نبذ ما أتت به المادية الماركسية التى اتاحت الانتقال من الاشتراكية الخيالية الى الاشتراكية العلمية عن طريق كشف الاساليب التى جعلت فى الامكان دراسة القوانين الموضوعية للحياة الاجتماعية .

انما الامر هو اقامة هذا الوجود على مستواه الحقيقى ، الذى هو مستوى البحث العلمى والنضال الثورى ، وليس مستوى المذهب السياسى الذى يكون قبوله سابقا للانضمام اليه ، أو يكون رفضه حائلا دون الوصول الى أعلى المستويات فى الحزب .

وبصفتى ماديا ، اقول :

اذا كانت المادية هى القادرة وحدها على تأسيس بحث علمى فعال ، فان الدليل على ذلك يجب ان يقام ، فى منافسة حرة داخل البحث العلمى نفسه ، وليس فى أى دائرة اخرى ، وبصفة خاصة **ليس تحت أى شكل** عقائدى .

ونضرب على ذلك مثالا : اذا كان العديد من المسيحيين يعيشون اليوم ايمانهم بصورة لاتصرفهم عن أية مهمة من مهام العمل الحزبى ، واذا هم جاءوا للانضمام الى الحزب الشيوعى وهم قادرون على الوفاء باخلاص بواجباتهم فى الحزب ، **فانه يصبح من غير المقبول معاملتهم باية تفرقة** ، فاى مسيحى يتعين ان يتاح له الوصول الى أى مركز قيادى داخل الحزب ولا يجوز اعتباره ، **ثوريا من الدرجة الثانية** .

ويعلن بيان للمكتب السياسى للحزب الشيوعى الفرنسى على هذا الموقف بقوله « ان هذه المفهومات تنتهى بنبذ المبادىء اللينينية للحزب الشيوعى، فقد تم التخلى عن المركزية الديموقراطية ، والوحدة الايديولوجية ، ووحدة القرار والعمل ـ ولاول مرة ، عرضت بصراحة فكرة التخلى عن المادية الجدلية والتاريخية كمنهج وتصور للعالم ، وكأساس فلسفى للحزب» .

ويضيف **جورج مارشان** ، سكرتير عام الحزب بالنيابة فى خطابه أمام المؤتمر ، تعليقا على موقف جارودى الفلسفى :

« على الصعيد النظرى ، يطالبنا جارودى بأن نتخلى عن نظريتنا العلمية ، الماركسية اللينينية .. وفى الحقيقة ، فليس هذا الاقتراح بجديد . فكان **كاوتسكى** من قبل قد ادعى ان الماركسية ما هى الا منهج للعمل، وهو ما يسميه جارودى .. منهجا للمبادرة التاريخية .. وقد فضح لينين هذه النظرية النسباوية RELATIVISTIC ، التى **لا تمت بصلة الى فكر ماركس وانجلز** ، وكما اكد لينينبقوة : « **بدون نظرية ثورية، لا يوجد عمل ثورى** » .

رابعا : التطبيقات الاشتراكية ومصائر الرأسمالية العصرية

انطلاقا من التحول الذى ادخلته الثورةالعلمية والتكنيكية ، يتعرض جارودى بنظرة نقديةللتجارب الاشتراكية وقدرتها على مواكبة هذه التحولات . وكذلك الاحتمالات ، كما تبرز امام الراسمالية العصرية وخاصة فى الدول الاكثر تطورا ، وفى مقدمتها الولايات المتحدة .

وفيما يتعلق بالتجارب الاشتراكية ، يركز جارودىبالذات على **التجربة السوفيتية**، ويؤكد :

« **أنه حقيقة أن الثورة الاشتراكية الأولى انتصرت فى بلد متخلف** انما تجل بصمتها على التاريخ اللاحق .

« ان الضرورة المطلقة فى التغلب على التخلف دفعت خلفاء لينين الى المطابقة بين **اهداف الاشتراكية** ، واهداف المرحلة الاولى من الكفاح : مرحلة **تراكم رأس المال** .

« وقد كان تحقيق تصنيع سريع ، فى الظروف التى كانت توجد فيها روسيا فى العشرينات ـ كانيقتضى **قدرا كبيراجدا من المركزية** ـ وهذه المركزية لم تكن تستطيعان تؤدى عملها الا بوساطة القوة السياسية .

« وفى السنوات الاولى للثورة كانت هذه القوة السياسية هى الحماسة الثورية ـ ولكن بعد عشر سنوات ، كانت هذه القوة السياسية هى الارغام والقمع .

« لقد تمثلتمأساة الستالينيةفىنقل، أو استبدال الاهداف ، **فان الغايات الاخيرة للاشتراكية قد توارت امام ضرورة تحقيق شروطها** .

« ان جوهر الاشتراكية ، كما تصورها ماركس ولينين ، هو تحرير قوى العمل ـ وهذا هو السبب فى أن لينين كان يخشى ـ للغاية ـ ان يصطبغ النظام **بالبيروقراطية**. وقد ناضل ـ دون هوادة ـ من اجل **اطلاق المبادرة التاريخية** للجماهير . ولقد كانت نقطة البداية للانحراف هى انه لم يعد ممكنا غير رؤية مظهر واحد : **التنمية العاجلة للقوى الانتاجية**، وعدمالتفكيرالا فى بسط سلطات الدولة لتحقيق ذلك » .

« وقد حدثت الزلة الاولى عندما لم يتم الاحتفاظ الا باحدى لحظات « الذاتية » الثورية ، وهو جلب الحزب الوعى الثورى الى الطبقة العاملة « من الخارج » وكانت النتيجة هى أن « الحزب حل محل الطبقة ، واخذ يبت فى الامور وحده باسمها » . وقد لجأ الحزب ، بدوره الى جهازه ، وهذا الجهاز له قواده ـ وفى نهاية المطاف ، لم يكن هناك سوى شخص واحد يفكر ويقرر للجميع .

« وهنا نجد انفسنا على طرفى نقيض مع ماركس ولينين : فبدلا من تحرير الطاقات الاجتماعية التى تزداد اتساعا ، فان الحزب

ثم جهازه، واخيرا الذين يوجهونه ساو الذي يوجهه — يخصون انفسهم باحتكار اتخاذ القرارات، ويبتون في جميع المسائل **باسم** الطبقة العاملة، ولكن **بدونها**، وفي النهاية **ضدها**».

ولم تقتصر الانتقادات الموجهة الى جارودى حول تحليله هذا على **عنف التعبير** الذي تضمن في بعض الاحوال مصطلحات، وصفها منتقدوه بأنها مقتبسة من ترسانة مفكرى البورجوازية المعادين للاشتراكية وللاتحاد السوفيتى، بل تضمن النقد **التشكيك في صلاحية هذا التقريب**، او هذا التماثل الذي يفترضه جارودى، بين **التراكم الرأسمالي الاولى** — الذي قام تاريخيا على النهب والسلب وقهر المستعمرات واستغلال شعوب بأسرها — وبين **التراكم الاشتراكي**، الذي يستمد قدراته من نزع ملكية المستغلين، واستثمار الملكية الجماعية لوسائل الانتاج.

غير ان هذا النقد الاساسى الموجه الى تحليل جارودى «للنموذج السوفيتى» [ومصطلح «النموذج» ذاته موضع رفض من جانب منتقديه، بسبب انه يفترض **تعدد** «**النماذج**» وهو مصطلح يحتمل معنى «تعدد الصفات **الاصيلة** المميزة للاشتراكية»، ويهدد في التحليل الاخير بالتغاضى عن التسليم بوحدة «**الاصل**» ووحدة «**جوهر** الاشتراكية» على تنوع تطبيقاتها حسب ظروف كل بلد] ان هذا النقد الاساسى يتصل بفكرتين :

● فكرة **الملكية** الجماعية لوسائل الانتاج، كان تنفيذها في الاتحاد السوفيتى في صورة «**ملكية دولة**» وملكية، **دولة ممركزة**، يملك المهيمنون على السلطة فيها حق التصرف في فائض القيمة لكل العمل الاجتماعى.

● فكرة ان الحزب يحل محل الطبقة، ويقرر باسمها، وان الحزب يقبل الرد بدوره الى جهازه، وجهازه الى قادته، أو قائده الذي يفكر ويقود باسم الجميع.

ويجد نقاد جارودى في هذا التحليل **ترديدا** للاتهامات التقليدية التي يوجهها اعداء الاشتراكية والشيوعية، حول «جهاز» الحزب «المسيطر» و «الدكتاتورى»، و «تحلل» الحزب بسبب «دكتاتورية قادته»، ويتساءلون : كيف يمكن — دون التخلى عن التحليل الماركسى للدولة، بوصفها اداة حكم لطبقة — طرح **تعارض** بين «**الملكية الجماعية** لوسائل الانتاج»، وبين «ملكية **الدولة** لوسائل الانتاج».

وفي منطق جارودى، ان «**البيروقراطية** الناجمة عن هذا **التمييز** بين «**الملكية الجماعية**» وبين «ملكية **الدولة**» وهو تمييز كان يمكن تجنبه اذا اتخذت **الملكية الجماعية** شكل **التسيير الذاتى، والادارة الذاتية**، التي تكفل **المشاركة الفعلية** من جانب جماهير العاملين في توجيه العمليات الانتاجية، وبناء مختلف اوجه الحياة في المجتمع («**النموذج**» **اليوجوسلافى** في نظر جارودى هي اقرب التجارب الاشتراكية الى تحقيق هذه الشروط، بديلا عن النظام المركز للملكية الدولة) .. **هذه البيروقراطية هي التي تعد في الاساس مسئولة عن الصعاب والعراقيل التي تواجه التجارب الاشتراكية في مواكبة متطلبات الثورة العلمية والتكنيكية المعاصرة، واستثمار نتائجها على الوجه الامثل، وفقا لما كان ينتظر من مجتمعات قضت على الاسباب الاقتصادية التي تحول دون هذا الاستثمار الامثل في ظل الرأسمالية**.

وتجيب مجلة «**النقد الجديد**» على طرح جارودى لقضية البيروقراطية وخطرها على الانظمة الاشتراكية، قائلة :

« اذا كانت المشكلة هي ان نلفت النظر الى اخطار البيروقراطية التي ينطوى عليها اقتصاد الدولة، والتي يتعين على شيوعيي البلدان الاشتراكية محاربتها بصفة دائمة، فهذا بلا شك امر مشروع وطبيعى تماما. ومن المعلوم ان لينين قد شغله كثيرا خطر البيروقراطية، وكان يعتمد على الحزب والشعب لمناهضتها في ادارة الاشتراكية والانتاج والدولة. وكان يردد كثيرا ان هذه المهمة سوف تحتاج الى عشرات من السنوات، ولكن هذا يختلف تماما من تصوير جارودى المنطوى على معنى ان مناهضة البيروقراطية ينبغى ان تعتمد على الشعب ضد الحزب ».

وفي هذا الصدد يتساءل نقاد جارودى لماذا لم يتناول تحليله بكلمة واحدة تجربة **المانيا الديموقراطية** بالذات، التي حققت ابرز تقدم، وقدرة على ملاحقة متطلبات الثورة العلمية، والتكنيكية، علما بأن هياكلها ونظمها تدحض — وفي أوضح صورة — افتراضات جارودى.

ويلفت نقاد جارودى في الحزب الشيوعى الفرنسى النظر الى انه (اى جارودى) وقد أبدى تشاؤما ومرارة في حديثه عن التجربة السوفيتية، ولجأ الى صياغات نقدية عنيفة، وهو يشخص حالة

الحركة الشيوعية العالمية فى الوقت الراهن ، وتحدث عن « عمق الازمة التى تعتريها »، كما يشهد بذلك — فى نظره — **مؤتمر موسكو للاحزاب الشيوعية الاخير** الذى تجنب — فى رأيه — مناقشة القضايا الجوهرية ، وبحث عن نقاط الالتقاء فقط ، وأصدر بيانا ، ركز فقط وبشكل سطحى على « الانتصارات » دون تعرض لاسباب التعثر ، تداركا لمزيد من الانقسام والتباعد ، ولم يتردد جارودى فى انه يصارح بتشككه فى الصفة التمثيلية لاحزاب شيوعية عديدة حضرت المؤتمر، وقدرتها على قيادة الحركة الثورية الملتهبة فى بلادها .

وقد علق **ايتيين فاجون** على هذا التقدير لمؤتمر موسكو بقوله فى مؤتمر الحزب الفرنسى :

« لقد انتقد جارودى مؤتمر موسكو للاحزاب الشيوعية ، ولم يكتف بالتشكيك فى الصفة التمثيلية لمعظم الاحزاب الشقيقة التى شاركت فيه ، بل هو يذكر ان الوثيقة الرئيسية للمؤتمر تعرض الحركة الشيوعية للعجز ، لمجرد ان هذه الوثيقة تحمل تحليلا يختلف جذريا عن تحليله .

ان هذا الموقف يعكس ، مرة اخرى ، سوء فهم جارودى للنضال الطبقى الراهن على النطاق العالمى ، لطبيعة الاحزاب الماركسية اللينينية ، والعلاقات التى تربط بينها ، أيا كان الوضع القومى فى كل بلد ، والفروق التى يمكن أن تؤثر على تقييمها لهذه القضية او تلك .

ويظهر هذا بوضوح من احلال جارودى فكرة « **النماذج** » **المختلفة للاشتراكية** ، محل المبادىء العالمية للثورة الاشتراكية . انها فكرة تفسح المجال لكافة التفسيرات الممكنة، وتموه حقيقة وجود قوانين عامة للتطور الاجتماعى ، تطبق بوسائل متنوعة فى كل بلد حسب ظروفها التاريخية وتجاربها القومية . وينبغى لنا ان نضيف ان «نماذج» متباينة قد فتنت جارودى فى اوقات مختلفة، ولم ينتقد منها جميعا غير « نموذج » الاتحاد السوفيتى » .

ويستطرد فاجون قائلا :

ان الحزب الشيوعى الفرنسى ، بصفته حزبا للطبقة العاملة الفرنسية ، يشارك فى النضال العالمى للشعوب ضد الامبريالية ، والاتحاد السوفيتى هو القوة الرئيسية فى هذا النضال . لقد ظل الاتحاد السوفيتى لوقت طويل وحده كدولة اشتراكية يمارس هذا النضال ، ضد عدوانية عالم مناهض ، وتواجهه اشد الصعاب ، بسبب ما ورثه من اقتصاد متخلف ، ومع ذلك فقد بنى الاشتراكية فى سدس العالم ، وانقذ البشرية من الهمجية الهتلرية ، وخلق بنجاحاته الظروف المواتية للقضاء على النظام الرأسمالى فى بلدان اخرى ، ولتكوين وتطوير النظام الاشتراكى العالمى ، وللتسبب فى انهيار الامبراطوريات الاستعمارية . واذا أمكن منع نشوب حرب عالمية ثالثة ، واذا اصبح من المتاح للشعوب المستعمرة ان تنال استقلالها وتدعمها ، وان تخطو خطوات الى الامام فى طريق التقدم . فللاتحاد السوفيتى فضل رئيسى فى ذلك ، لقوة وجاذبية الاشتراكية التى اقامها فوق ارضه ، لجهود شعبه المنزهة من اى غرض ، ولسياسة حزبه الشيوعى .

... غير ان جارودى يحور هذه الحقائق . فهو فى كتاباته الاخيرة يرد الانجازات الخارقة التى اتمها الاتحاد السوفيتى الى مجموعة من الاخطاء — وهو لا يرى سوى ثورة اكتوبر كحدث يستحق التقدير ، وبدلا من التضامن مع الحزب الشيوعى السوفيتى ، ينطلق فى ادانة هذا الحزب ، وانتقاده بصفة منتظمة ، وبصورة تحمل معنى التجريح لقادته . انه يردد ضد الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية كثيرا من افتراءات الرجعية ، انه لايريد ان يرى غير الاخطاء ، ويتعمد اغفال النضال المظفر الذى يبذله بصورة متصلة من أجل التغلب على الصعاب .

وبينما يتمادى جارودى فى هذا التشخيص للحركة الشيوعية العالمية ، ولكثير من التجارب الاشتراكية — ومن أهمها — على هذا النحو ، يبدى تقديرات للاحتمالات التى مازالت تختزنها اقوى الدول الرأسمالية فى العالم، تبدو مخالفتها الواضحة للتحليلات المألوفة المنتسبة الى الماركسية .

يقول جارودى :

« الظاهرة **الجوهرية** التى تميز بها تاريخ الولايات المتحدة ، والتى ما زالت ذكراها تراود عقول الصفوة المختارة من الامريكيين ، هى ظاهرة « **الحدود** » .. تلك الحدود التى ، بالنسبة للاوربى ، هى بمثابة الاسلاك الشائكة والجمارك ، أى خطوط جامدة تماما .. اما الحدود بالنسبة للامريكى ، حتى نهاية القرن التاسع عشر ،

فهى عبارة عن « حاجز متحرك بين المدينة والاراضى البور » ٠

« ٠٠ فى عام ١٨٦٢ ، منح قانون « هومستد » ٨٠٠٠ م من الاراضى لكل مهاجر ٠ وتتابعت أمواج البشر من المحيط الاطلسى حتى المحيط الهادى ، وأخذ كل مغامر نشط يأمل فى الحصول على مملكة خاصة به ٠ وهكذا كانت الحدود ، ذلك الافق الذى لا نهاية له ، هى بمثابة الامكانية المعطاة لكل انسان ، مهما كان ماضيه وجذوره الاجتماعية ، لكى يتخلص من عبودية المدنيات القديمة ـ ويتقدم فى حرية تامة عبر مساحات بكر ـ وما زال كل أمريكى يحتفظ فى قرارة نفسه بهذا الشكل من اشكال المساواة ٠

« وفى عام ١٨٩٠ ، بلغت « الجبهة التجارية » لهذه الامواج البشرية شاطىء المحيط الهادى ، وأعلن مدير التعداد « نهاية الحدود » ٠ وفقد الرواد ، منذ ذلك التاريخ ، فرص الماضى الذهبية ، **ويعد ذلك المنعطف الكبير للتاريخ الامريكى ـ وعندئذ بدأ التحول الذى لابد منه ـ فقد اعتقد البيض ان هناك « حدودا أخرى » فى الغزو والامبريالية ٠**

وتعليق نقاد جارودى على هذا التحليل ، هو أنه أغرب تفسير للرأسمالية الامريكية التى وصلت الى مرحلة الرأسمالية الاحتكارية نتيجة لتلاحم رأس المال الصناعى برأس المال المالى ، تفسير ينهض على **«روح الرواد»** و **«النزعة الحيوية»** ، الامريكية Elan Vital المماثلة للحجة التى اثارها هتلر للتوسع خارج حدوده وغزو أوربا ، بدلا من ان يلتزم تعاليم الماركسية ، ويمت اليها بصلة ٠

وهذه الانطلاقة التى تختزنها قدرات الرأسمالية الامريكية، يتصور جارودى انها تستطيع استثمار الفرص التى تتيحها الثورة العلمية والتكنيكية العصرية فى اتجاهات ثلاثة ، تحقق بها التوفيق بين المصالح المتعارضة فى ظل رأسمالية الدولة الاحتكارية الامريكية العصرية ٠ هذه الاتجاهات هى :

■ تصنيع الجنوب ، لا بهدف زيادة فرص العمالة فحسب ، بل بهدف انشاء علاقات طبقية جديدة تختلف عن علاقة السيد بالعبيد التى ظلت مستمرة فى مناطق الجنوب مستترة وراء صور مختلفة ٠

■ توجيه الاستثمارات نحو اجابة الاحتياجات الجماعية ٠

■ تقديم المعونات المجردة من شروط متعسفة للعالم الثالث ٠

ويؤكد جارودى أن هذا البرنامج يمكن التوصل اليه بدون اعادة النظر فى المبادىء الاساسية التى تحكم المجتمع الامريكى ، بل بما يحقق لهذه المبادىء كفاءتها القصوى ٠٠ بعبارة أخرى ، دون المساس بنظام الربح الاحتكارى ولا بتغيير سلطة الدولة ، ودون التعرض للصراع الطبقى محليا او عالميا ـ فى ظل سلطة رأسمالية أقوى دولة استعمارية فى العالم ـ يقول جارودى: «ليس هذا الذى أطرحه « الاشتراكية » بل راسمالية تستهدف غاية ، هو طريق اكساب النظام وجها انسانيا » ٠

■ ■

ان المنطق الذى يقف وراء كل هذه التحليلات عند جارودى هو منطق أن بدراسة التناقضات كما هى قائمة بالفعل ، ينبغى البحث عن « الممكن الانسانى » المطروح فى كل مرحلة محددة٠٠ وهذا « الممكن » بالنسبة للرأسمالية الامريكية **هى هذه «الرأسمالية ذات غاية»** Capitalisme Finalisé تقابلها **«اشتراكية ديمقراطية»** فى الاتحاد السوفيتى [أى اشتراكية تجاوزت عوائق البيروقراطية] ، كما ينبغى نظرا لتباعد الهوة بين الدول المتطورة القادرة على مواكبة الثورة العلمية والتكنيكية والدول المتخلفة « **البحث عن مقاييس جديدة ووسائل جديدة لتطوير العالم الثالث** » ٠

ان هذا المنطق فى نظر نقاد جارودى انما يفضى الى انكار **الصراع الطبقى** الذى يستبدل باسم « الممكن » ـ الاستعمار بملامحه القائمة ، « ببديل » لاتجاه الاستعمار ، يلتزم « الواقعية » ، وهو فى الحقيقة « بديل » لن يفرض غير تغيير فى توازن القوى الطبقية ، ولا يمكن أن يحرك حدوثه أى اعتبار آخر ٠

وليس من باب الصدفة فى نظر نقاد جارودى ، استبداله تعبير « ممارسة التناقضات » بتعبير « تخفيف أوجه التوتر » ابرزها فى نظر جارودى هو زيادة المسافات التى تفصل بين **الشعوب الغنية والشعوب الفقيرة** وقدراتها المتباينة على تقبل مزايا وامكانيات الثورة العلمية والتكنيكية ٠

خامسا ـ الارضية الفلسفية

ان نقاد جارودى يلفتون النظر الى ان جارودى وان لم يكن قد تخلى عن مفهومات الماركسية الخاصة بالمواجهة بين الرأسمالية والاشتراكية ، بين عالم «العمل» وعالم «رأس المال» . غير انه يكتشف ، فى مواجهة متطلبات « الثورة العلمية والتكنولوجية » التى يدخلها كتحول كيفى جديد فى عالم اليوم ، عيوبا تقابل بعضها البعض لدى قطبى التناقض .

ولذلك ، يبدو وكأنما التناقض الاساسى بين الرأسمالية والاشتراكية حل محله تناقض آخر بين القوى العالمية القادرة على مواكبة متطلبات العصر ، وتلك التى تعجز ــ وبدرجات متفاوتة حسب ما فى ذاتها من عيوب ـ عن أن تحقق هذه المواكبة .

■ يقابل « الاستغلال الاستعمارى » اوجه « القمع » التى يميز بها المجتمع السوفيتى .

■ البنيان « العسكرى الصناعى » فى الولايات المتحدة يقابله بنيان « عسكرى بيروقراطى » فى الاتحاد السوفيتى .

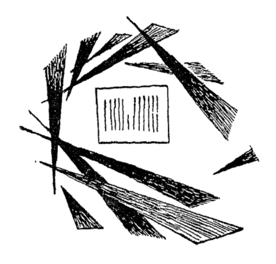
■ التراكم الرأسمالى الاولى فى النظام الرأسمالى ، يقابله تراكم مماثل فى المجتمع الاشتراكى ..

وهكذا ...

غير أن أخطر ما يلفت نقاد جارودى النظر اليه ، **هو تخليه عن المادية الجدلية كنظرية فلسفية ينبغى أن تجد تجسيدها فى حزب سياسى ـ وهو موقف** باسم انجازات التكنولوجيا يبدو وكأنما هناك **جهود لتخطى التناقض بين المادية والمثالية ، تماما كما يفضى منطق جارودى الى تخطى التناقض بين الرأسمالية والاشتراكية ، بفضل ما تعد به الثورة العلمية والتكنيكية .**

وتحقيقا لهذا المنطلق الفكرى ، يطرح جارودى **مجموعة من « المواجهات » : بين الميكانيكية والسيبرناطيقية** ، بين المبادرة التاريخية **والبيروقراطية ، بين انطلاقة التحول وعناصر الجمود والتحجر ، بين القدرة على تصور** « الممكن » ، **والمنطق** بقواعده التقليدية ، بين تفجير طاقات **الذاتية** والتمسك بالمعطيات التاريخية الموضوعية الخ .. وهذه المواجهات هى فى نظر **نقاد جارودى لا تمت الى الماركسية بصلة .**

اما تفسير هؤلاء النقاد لموقف جارودى هو انه قد أزعجته الصعاب وبعض الهزائم التى تكبدتها الحركة الثورية العالمية فى الصراعات المعقدة التى تخوضها القوى الثورية فى ظروف عالم اليوم . ومن هنا تخلى عن مواقع الماركسية ليتبنى صيغة تكنوقراطية لفكر ما هو فى جوهره الا استمرار للاصلاحية التقليدية ـ وفى مواجهة هذه الانتقادات ، يسلم جارودى بأن **أزمة تشيكوسلوفاكيا** ، وأزمة مايو فى فرنسا ، كانتا الحدثين اللذين دعياه الى أن يفيق ، **وأن يتنبه** لعمق الازمة التى تعترى فى نظره الحركة الشيوعية العالمية . وكانت هذه الاحداث **هى التى** دفعته لمراجعة فكرية شاملة ، **وجدت صياغتها** المركزة والمهضومة فى مؤلفه حول « **التحول العظيم للاشتراكية** » وحسمت مشكلته من وجهة نظر الحزب الشيوعى الفرنسى وهيئاته القيادية بفصله من صفوف الحزب ، بعد أن ابعده مؤتمر الحزب الاخير من مركزه **القيادى فى المكتب** السياسى واللجنة المركزية .



حركة السلام الأمريكية بين المسالمة والعنف



جين كلاردج بليتير

وستيفان بليتير

جين كلاردج بليتير وستيفان بليتير زوجان أمريكيان يعملان بالصحافة ويدرسان العربية فى القاهرة ، وهما من أنصار السلام .

ومما تجدر الاشارة اليه ان حركة السلام الامريكية لها طابعها الخاص المتميز ، فهى لا تمثل تنظيما يحصر نشاطه فى اطار العمل من اجل السلام ، بل انها تيار تام يضم قطاعات جماهيرية من مختلف فئات الشعب ، وتشارك فيه حركات اجتماعية وسياسية متباينة ، تنتهج سياسة معاداة الحرب كجزء من نضالها المتعدد الجوانب والاهداف.. الزنوج فى كفاحهم ضد التفرقة العنصرية ، الشباب فى ثورته على المؤسسات القائمة ، اليسار فى نضاله ضد اسلوب الحياة الامريكية، العمال اثناءصراعهمضد رأس المال.

تمثل الانتفاضة التلقائية التى تفجرت ضد القرار الاخير لنيكسون ، بارسال قوات امريكية لغزو كمبوديا واحدة من العلامات الهامة والمشجعة فى الواقع الامريكى، فهى تعبر عن وجود معارضة جادة لسياسة الحرب التى تنهجها الحكومة الامريكية .

وفيما يتعلق بالعالم الثالث فان نشاط حركة السلام الامريكية يطرح مسألتين هامتين هما :

- هل تستطيع حركة السلام الامريكية انهاء الحرب ؟
- ماهو الموقف تجاه حركات التحرر الوطنى؟

ولكى نستطيع تقديم اجابة عن هذين السؤالين ، فانه من الضرورى التعرض للآفاق الممتدة أمام نشاط حركة السلام الامريكية ، ومن ثم فانه يتعين أن نستعرض باختصار تاريخ هذه الحركة .

لقد شعر الامريكيون باستياء بالغ عندما استخدمت قنابلهم الجبارة استخداما غير انسانى ضد المدينتين اليابانيتين هيروشيما وناجازاكى ، وقد نبع استنكار هاتين الغارتين من منطلق اساسى هو: ما كان يعتمل فى نفوس الامريكيين من الخوف من ان مثل هذه القنابل قد تستخدم ضدهم .

وعندما توصل الاتحاد السوفيتى الى صنع قنبلته الذرية الاولى ، انعكس ذلك فى داخل امريكا فى صورة دعوة السناتور **جوزيف مكارثى** الى « اضطهاد السحرة » (١) .

وعندما وجد الامريكيون أنفسهم معرضين لان يصبحوا ضحايا لهجوم نووى ، كان من الضرورى البحث عن ضحية ، وكانت الضحية هى **ايثيل وجوليوس روزنبرج** اللذين حكم عليهما بالاعدام بتهمة افشاء الاسرار الذرية للروس ، ثم تمادى السناتور مكارثى فى هذا الطريق ، فاعلن عن اكتشاف « مؤامرة سرية شيوعية » تعمل من داخل الولايات المتحدة ، ووفقا لتعريف مكارثى فان أى شخص ينتقد الحكومة يتعين الشك فى أنه شيوعى .

وقد ادت هذه السنوات من المكارثية الى اختفاء المعارضة داخل الولايات المتحدة ، لقد كان الناس يخشون من أن يفقدوا وظائفهم ، او أوضاعهم الاجتماعية ، لمجرد مناقشة السياسة التى تنتهجها الطبقة الحاكمة الامريكية ، واستمر هذا الخوف من الاتهام بالشيوعية قائما حقبة من الزمان ، ثم حدث شىء غريب ، ففى البداية كان الخوف من القنبلة الذرية سببا فى هذا الانحدار ، اما الان ومنذ ١٩٦٣-١٩٦٤ فقد ظهرت من جديد حركة معارضة قوية ، تنبع هى ايضا من الخوف من القنبلة الذرية .

لقد سرت موجة هستيرية من الخوف بين النساء من الاشعاع الذرى [سترونتيوم ٩٠] ، فان هذا الاشعاع الناتج عن التفجير النووى ، قد بدا فى الظهور بكميات خطيرة فى اللبن ، سواء اللبن الحليب ، أو لبن الامهات الذى يرضعنه لاطفالهم ، لقد انتشر الخوف من سترونتيوم ٩٠ بصورة واسعة وخطيرة ، ادت الى سفر آلاف من النساء الى واشنطون ليقابلن اعضاء الكونجرس ، مطالبات بايقاف التجارب النووية ، وفى النهاية فقد أحرزت النساء النجاح .

لكن الشىء البالغ الاهمية هو أن هؤلاء النسوة لم يتفرقن ، وأخيرا نجحن فى اقامة عمل موحد لهن ، هى : جماعة « **النساء المناضلات من أجل السلام** » لمقاومة الحرب فى فيتنام ، وهكذا يتضح لنا كيف سارت الامور : فان الامريكيين الذين تشككوا فى تعقل حكومتهم من خلال معركتهم ضد التجارب النووية قد تعلموا أن يعملوا سويا ..

وثمة ظاهرة أخرى للنظر فى « جماعة النساء المناضلات من أجل السلام » وهى أن كثيرا من عضوات هذه الجماعة من اليسار القديم ، وساندن مرشح الحزب التقدمى **هنرى والاس** لانتخابات الرئاسة فى ١٩٤٨ ، وبما أنهن كن نصيرات لوالاس ، فقد أصابتهن حملة الكونجرس « لاضطهاد السحرة » ، وهكذا يمكننا أن نلمح خطا مستمرا ، يبدأ فى عام ١٩٣٠ بمناصرى الثورة الروسية والجمهوريين الاسبان ، ويمتد حتى الحملة الانتخابية لهنرى والاس ، الى الحملة المناهضة للتجارب النووية الى « النساء المناضلات من اجل السلام » : نقطة البدء لحركة السلام الامريكية .

وفى البداية كانت حملة المعارضة المكشوفة فى أعقاب المكارثية بحاجة الى نوع من الحماية .. مثل هذه الحماية توفرت فى جماعة « النساء المناضلات من أجل السلام » . لان معظم السيدات المشتركات فيها كن من الطبقة الوسطى ، ولسن موظفات ، ومن ثم فلا يمكن ارهابهن بسلاح الفصل من العمل .

ولم يكن من الممكن تهديد هؤلاء السيدات باضطهاد أزواجهن ، ذلك أن معظم هؤلاء الازواج يحتلون مناصب رئيسية وحساسة بالنسبة لاقتصاد البلاد . وطالما أن الازواج يحصلون على أجور عالية ، فقد كان صعبا اتهام زوجاتهم بالشيوعية ، وأخيرا فان معظم العضوات كن متقدمات فى السن ، مما حماهن ضد اضطهاد واعتداء قوات البوليس .

وعلى أية حال فان جماعة « السيدات المناضلات من اجل السلام » قد ارتكبت خطا فادحا بافتقادها الى التخطيط الطويل الامد ، لقد اعتمدت خطتها الرئيسية على القيام بمظاهرات جماهيرية ذات تأثير وقتى ، لقد اعتمدت هذه الجماعات على العلاقات الشخصية التى كان يمكنها ان تجمع

---

(١) « اضطهاد السحرة » تعبير قديم يشير الى عمليات المطاردة التى قامت بها محاكم التفتيش الاسبانية ضد ضحاياها ، وقد استخدم نفس التعبير فى امريكا خلال فترة المكارثية لتسميه عمليات مطاردة اليسار (المترجم) .

بوساطة الاتصالات التليفونية عدة آلاف من النساء للمساهمة فى مظاهرات او مسيرات ضد الحرب .

والى جانب هذه الجماعة، فقد قامت منذ ١٩٦٠ جماعات أخرى حاولت ان تنظم جهودا جادة ضد الحرب ، لكنها كانت مجرد جماعات صغيرة ، وقد أسهمت مراكز الاعلام العربية بجهد فى هذا الصدد ، بقيامها بتوزيع نشرات معادية للحرب فى فيتنام، وفى كل يوم سبت كانت تحتشد جموع من الناس فى ميدان التيمس بنيويورك ، وهو ميدان يقال عنه أنه مفترق طرق العالم أجمع لتقضى هناك سهرة صامتة ، احتجاجا على الحرب، وقد استخدمت وسائل واساليب غير عنيفة ، فمثلا كانت تحتشد مجموعات ، معظمها من كبار السن فى مفترق الطرق وتحت وميض اعلانات النيون ، حاملة لافتات تقول « كم من الضحايا يجب ان يموت من اجل **نجوين كاوكى** ؟ »

لكن هذه الجماعات المتناثرة من أنصار السلام لم تتجمع مع بعضها البعض الا فى عام ١٩٦٥ ، عندما تصاعدت الحملة المناهضة للحرب لتتجسد فى أول معارضة جماعية للحرب ، وعلى رأس المسيرة كان هناك « المحاربون القدماء المناهضون للحرب» ، وكان معظمهم ممن خدموا اثناء الحرب العالمية الثانية، ذلك ان محاربى الحرب الفيتنامية لم تكن قد بدأت عودتهم باعداد كبيرة بعد ، وبعد المحاربين القدماء جاءت جماعات النساء ، لقد كانت مهمة المحاربين القدماء والنساء حماية المسيرة من اى هجوم عنيف محتمل ، وخلف الطوابير النسائية ذات الملابس الانيقة والكعوب العالية ، والشعور المصففة ، كان هناك اعضاء المنظمات الدينية والسلامية ، ثم المهنيون يحملون لافتات مثل « اخصائيو الامراض النفسية المناهضون للحرب » و « المحامون من أجل السلام » أو مجرد لافتة تقول « مستشفى ميامونذ »

وفى أعقاب المهنيين كانت طوابير الطلاب ، وكان عددهم قليلا جدا فى هذه الايام، وكان هناك ايضا عدد من نقابات العمال ، لكن معظمها كان يمثل ذوى الاجور المنخفضة والعمال غير المهرة ، مثل نقابات عمال المستشفيات وبائعى المحلات التجارية وعمال مخازن الادوية .

لقد ضمت مسيرة عام ١٩٦٥ عشرة آلاف شخص ، وبرغم قلة هذا العدد الا أنه كان يمثل شيئا هاما بالنسبة للمشتركين فى المسيرة ، فقد اشعرهم انهم ليسوا منعزلين ولا يقفون وحدهم .

لكن المسيرات الضخمة المناهضة للحرب لم تبدا الا منذ ثلاث سنوات فقط ، حيث شاركت لاول مرة — جموع الشباب والطلاب و « الهيبيز » مشاركة فعالة فى هذه المسيرات ، وهكذا أمكن لمسيرتى ١٥ ابريل ١٩٦٧ اللتين نظمتا فى نيويورك وسان فرانسسكو ان تضما على التوالى ١٥٠٫٠٠٠ الفا و ٦٥٫٠٠٠ متظاهر ، واذا قلنا ان مسيرة ١٩٦٥ قد الهمت حركة انصار السلام الامريكية، فان مسيرة عام ١٩٦٧ قد الهمت الامة الامريكية كلها ، بينما الهمت مسيرات عام ١٩٦٩ من أجل فيتنام — التى ضمت ٨٠٠٫٠٠٠ شخص — العالم اجمع .

وقد كان انضمام الشباب الى حركة السلام مصدرا لتغييرات هامة فى الاساليب والتكتيكات ، فالمعارضات الاولى ضد الحرب قامت من جانب الجماعات المسالمة ، مثل **الكويكرز** [**جمعية الاصدقاء** ، **وعصبة مناهضى الحرب** ، **ورابطة التوفيق**]، ومعظم هذه الجماعات فضل اعضاؤها دخول السجن على المشاركة فى الحرب العالمية الاولى أو الثانية ، ثم انضم الى صفوف معارضى الحرب فيما بعد القسس والعناصر العلمانية، ثم مجلس الكنائس العالمى بالاضافة الى جماعات النساء والشباب المناهضين للحرب ، وكانت هذه القوى جميعا تفضل عدم اللجوء الى العنف ، لكن الشباب لم يصبر طويلا على سياسة عدم العنف هذه .

وقد نشبت اولى المظاهرات العنيفة فى ١٩٦٨ ، عندما حاول طلاب جامعتى **كاليفورنيا** ، **وبيركلى وكلية سانفرانسسكو** التشويش على خطاب يلقيه الوزير السابق **دين راسك**، وهكذا انهالت الاحجار — لاول مرة — على رجال البوليس ، ولم يمض وقت طويل حتى وقع صدام عنيف آخر بين الطلاب ورجال البوليس فى **كاليفورنيا واوكلاند** .

وقد تطورت هذه المصادمات مع البوليس الى تلك الاضطرابات الخطيرة التى تحدث عنها العالم أجمع ، والتى وقعت فى شيكاغو ، والتى قمعها البوليس بعنف شديد ، ولقد اصيب الكثيرون فى هذا الصدام الذى أثار الغضب فى نفوس آلاف الامريكيين ، وأدى الى أن يسهم الكثيرون فى الحملة المناهضة للحرب ، بينما اشترك اخرون فى الحملة المناهضة للحرب بعد أن علموا بمذبحة **ماى — لاى** الشهيرة ، وكنتيجة لذلك كله فان نهاية عام ١٩٦٩ قد شهدت نموا هائلا فى صفوف حركة السلام الامريكية .

وبالرغم من ذلك فقد فضل نيكسون فى نوفمبر ١٩٦٩ ، أن يتابع على شاشة التليفزيون مباراة لكرة القدم ، على أن يخرج ليقابل حشدا مكونا من ٨٠٠ر٠٠٠ من الامريكيين المناهضين للحرب الذين تجمعوا خارج البيت الابيض • ويوضح هذا نقطة الضعف الاساسية فى حركة السلم الامريكية : فانها فى ذاتها لا تمتلك قوى كافية لانهاء الحرب ، وهى بحاجة الى تأييد الطبقة العاملة الامريكية ، لكنها لا زالت حتى الآن عاجزة عن الحصول على هذا التأييد •

ولقد تمكنت الصحافة الى حد كبير من أن تحبط محاولات دعاة السلام لكسب تأييد العمال ، وقد لجأت الصحافة فى هذا الصدد الى تركيز هجومها على حركة «الشواذ ذوى الشعور الطويلة» • صحيح ان هناك كثيرا من الهيبيين فى هذه الحركة ، لكنهم يعملون باخلاص ضد الحرب وقد قام بعضهم بأعمال شجاعة ، لكن الصحف لا تشير الى ما يقوم به الهيبيين من أعمال حسنة ، بل تكتفى بالسخرية من ملابسهم الشاذة ، وتستخلص من ذلك أن كل الذين يدعون الى السلام مجانين ، والعمال الامريكيون الذين لا يستطيعون فهم حركة الهيبيز ، يقرأون عن نشاطهم ويتشككون فى حركة السلام كلها •

وثمة سبب آخر لابتعاد العمال عن الحركة ، ذلك ان أعضاء هذه الحركة لم يقوموا الا بجهود قليلة لاكتساب تأييد العمال لهم ، فهؤلاء الشبان كثيرا ما يكتفون بالدعوة لافكارهم ، فى نفس الوسط الذى يعيشون فيه ، ومن ثم فقد ركزوا جهودهم وسط الجامعات ، ويمكن القول ايضا بأن الطلاب لم يبذلوا اى جهد لفهم مشاكل العمال أو مخاوفهم ، مخاوف العامل من أن يفقد عمله ، الا يستطيع ان ينفق على منزله ، الا يستطيع ان يرسل ابناءه الى المدرسة •

وفى الآونة الاخيرة حاول بعض الاعضاء الاساسيين فى الحركة ان يقيموا علاقات مع العمال المضربين ، لكن مثل هذه الخطوات جاءت السياسية - مثلا - توظفوا فى المصانع ليعرفوا العمال عن كثب ، وبعض الشبان عملوا فى حماية العمال المضربين ، لكن مثل هذه الخطوات جاءت متأخرة ، وكان يتعين على حركة السلام ان تقوم بها منذ وقت طويل ، أما الان فان الامر سيتطلب عدة سنوات حتى يستطيعوا التغلب على تشكك العمال فيهم •

وثمة عنصر آخر يزيد مشكلة التحالف بين الطلاب والعمال تعقيدا : وهو أن العمال البيض لا يثقون فى الزنوج ، فالصناعة الامريكية لكى تمنع العمال البيض من المطالبة بأجور أعلى ، تهددهم باستمرار بطردهم من أعمالهم ، وهنا ايضا تلعب الصحافة دورها كأداة مفيدة للقهر ، فالصحافة الامريكية وبرامج التليفزيون مشحونة دوما بقصص كثيرة عن « الاوتوميشن » وهى تؤرق العمال البيض دوما ، بفكرة أن الالة يمكنها ان تحل محلهم ، كذلك تكرر الصحافة فكرة ان السود يبحثون عن عمل ، والعمال البيض يعلمون انه لا يوجد كثيرا من الفرص أمام العمال المهرة وانصاف المهرة ، ومن هنا فان العمال البيض يقولون انه لكى يحصل السود على عمل فانه يتعين انتزاع هذا العمل من البيض •

وقد أكد **ستوكلى كارمايكل** الرئيس الزنجى السابق « **للجنة العمل الطلابى غير العنيف** » ، وهى احدى المنظمات الاساسية فى ميدان الحقوق المدنية ، اكد ان العامل الابيض لن يتنازل باى حال من الاحوال عن عمله لصالح الرجل الاسود ، ومضى كارمايكل قائلا فى خطاب شهير القاه فى فبراير ١٩٦٨ فى اوكلاند بكاليفورنيا - ان البيض سوف يعملون - فوق ذلك - على افناء السود ، وقال كارمايكل لمستمعيه من السود ، انه يتعين عليهم ان ينظروا الى أنفسهم كمستعمرة داخل امريكا - الوطن الام - مستعمرة يستغلها الامبرياليون تماما كما يستغلون العرب والاسيويين وسكان أمريكا الجنوبية . وقال كارمايكل أن على الزنوج أن يوحدوا جهودهم مع العالم الثالث ليناضلوا معا ضد عدوهم الطبيعى المشترك ... الامبريالية الامريكية البيضاء •

ولقد تقبل الزنوج الشبان تلك الدعوة المريرة التى وجهها كارمايكل ، بينما رفضها العمال السود من كبار السن رفضا قاطعا •

فالعامل الزنجى لا يزال يثق فى النظام الامريكى ، وهو يدرك تماما مدى ما يمكن ان يكفله هذا النظام من مزايا : مسكن جيد ، سيارات فارهة ، وحياة مناسبة • وهو يرى ان ثمة أقليات اخرى مثل الايرلنديين والايطاليين واليهود قد قبلت داخل النظام الامريكى ، وهو يتصور أن دوره قد أتى ومن ثم فهو يصمم على ان يحصل لنفسه على مكان داخل المجتمع •

والعمال الزنوج لا يعتبرون ان النظام الامريكى عدو لهم ، وانما عدوهم هو حركة العمال الامريكيين ، ففى أمريكا لا يمكن لاى انسان ان يحصل على عمل مالم يكن منضما الى نقابة ، والسود محرومون من عضوية الغالبية العظمى من

النقابات الأمريكية ؟ وقد استطاعت الحكومات الامريكية المتعاقبة ، ان تقنع العمال الزنوج بأنها سوف تجبر النقابات على قبولهم كأعضاء ، وحتى نيكسون الذى بز جونسون فى عدم تقديمه أية مكاسب للزنوج ، قد استطاع ان يقنع الزنوج الى حد ما بأنه يستطيع مساعدتهم فى الحصول على عمل .

وعلى أية حال فانه يتضح من ذلك ان حركة السلام تواجه تخبطا حقيقيا فى عملها ، فاذا ماهى تحالفت مع العمال البيض فقدت بالضرورة تأييد منظمات الزنوج للحقوق المدنية ، واذا ما أيدت الحقوق المدنية فانها لن تكسب سوى عداء العمال البيض .

وقد ادت هذه القضية الى احداث انقسام خطير فى صفوف حركة السلام فى العام الماضى ، فقد انقسم عنها حزب العمل التقدمى ، الذى يدين بمبادىء ماوتسى تونج ويسعى لتركيز نشاطه وسط العمال ، وانعزلت عن جماعة الطلاب من اجل مجتمع ديمقراطى التى تسعى للتحالف مع الزنوج ، وقد وقفت جماعة الطلاب من أجل مجتمع ديمقراطى ، الى جانب السكان الزنوج فى حى هارلم ، عندما حاولت جامعة كولومبيا بنيويورك اجلاء العائلات الزنجية لتهدم مساكنهم ، وتقيم مكانها ملاعب لها .

ومن الناحية الاخرى فان حزب العمل التقدمى قد وجه اعضاءه ليعملوا فى حراسة الاضرابات التى نظمتها نقابات البترول والكيماويات والطاقة الذرية ضد شركات البترول القوية فى كاليفورنيا .

وعلى أية حال فان مجرى الاحداث ربما يكون قد حسم هذه المشكلة .. مشكلة الى أى الجانبين تسعى حركة السلام . العمال البيض ، أم منظمات الدفاع عن الحقوق المدنية للزنوج ؟ فان ثمة دلائل تشير الى ان العمال البيض قد بدأوا فى شن الهجوم ضد حركة السلام ، وفى الآونة الاخيرة تظاهر ١٥٠٫٠٠٠ من العمال معظمهم من اعضاء نقابات البناء والموانى والموظفين الكتابيين فى مدينة نيويورك تأييدا لمغامرة نيكسون فى كمبوديا ، وفى المقابل قاد القس **رالف ابرانثى** رئيس مؤتمر قيادة المسيحيين الجنوبيين ــ مجموعة الدكتور **مارتن لوثر كنج** ــ عدة الوف من أتباعه من الزنوج فى مظاهرات مضادة معارضين غزو كمبوديا .

لكن لماذا يسعى الزنوج الى التحالف مع حركة السلام ؟ ، لان الزنوج هم اكثر من يتعرضون للضغوط ، فكثيرون منهم قد طردوا بالفعل من عملهم ، وماهو الصيف يقترب ، والصيف هو الموعد التقليدى لانتفاض الزنوج دفاعا عن مطالبهم ، واذا ما استطاع قادة الزنوج الاخرون ان يقنعوا العمال الزنوج ــ كما أقنع ابرانثى اتباعه ــ بأن الحرب فى كمبوديا قد تحرمهم من وظائفهم ، فان ٢٢ مليونا يمكن اضافتهم الى صفوف المنادين بالسلام .

وهكذا يمكننا أن نلخص الوضع بان حركة السلام الامريكية تتعرض لانقسام خطير ، والقضية التى تثير الخلاف بين المجموعات المختلفة ، هى : الاصلاح أم الثورة ؟ ، فالعناصر المسالمة ورجال الدين والمواطنون من متوسطى العمر يسعون الى اصلاح النظام الامريكى وفقا لقواعد الدستور الامريكى وميثاق الحقوق المدنية ، بينما المجموعات المسماة بالجماعات المعادية للامبريالية ــ والتى تتكون فى الاساس من الشبان ــ فقد فقدت اى أمل فى اصلاح المجتمع فى ظل الرأسمالية ، ومن هنا فان اعداء الامبريالية الامريكيين ، يسعون الى الاطاحة بالنظام الرأسمالى الامريكى مستخدمين العنف اذا استلزم الامر ذلك ، وهم يسعون الى الاطاحة بالرأسمالية ليحلوا محلها الشيوعية او الاشتراكية او الفوضوية .

وعلى أية حال فان حركة السلام قد استطاعت ان تتغلب على هذه الانقسامات بشكل مؤقت ، وفى مواجهة أزمات محددة فقط ، مثل مواجهة قرار نيكسون بغزو كمبوديا .

وثمة نقطة أخرى تثير الخلاف بين اعضاء الحركة ، وهى الموقف من العالم الثالث ، فالمسالمون ورجال الدين وغيرهم من المجموعات المماثلة ، يعترفون بما يعانيه العالم الثالث من متاعب ، لكنهم يرون ان هذا الاستغلال الذى يتعرض له العالم الثالث ، يمكن مواجهته بوسائل غير عنيفة ، ومن الناحية الاخرى فان اعداء الامبريالية يعتبرون أنفسهم جزءا من العالم الثالث ، وجزءا من النضال الذى يتعين ان يشن ضد الامبريالية ، ولا يكتفون بمجرد العطف على هذا النضال .

واليوم فان طلائع المثقفين الذين يقودون حركة السلام الامريكية يعتبرون من العناصر المعادية للامبريالية ، ومن هنا تتضح أهمية قيام حركات التحرر فى العالم الثالث ــ وربما فى البلاد العربية قبل غيرها ــ باقامة علاقات وثيقة مع حركة السلام الامريكية ، ذلك ان هذه الحركة تنظر الى العالم الثالث محاولة ان تستلهم منه التوجيه والارشاد ، وتتزايد الحاجة الى العالم الثالث فى هذه الايام اكثر من أى وقت مضى فى مواجهة غزو نيكسون لكمبوديا .

حــــرب الشــــعب فى لاوس

« تحقيـــق صـــحفى »

اعداد : مزيدانديل بيلسو

تلقت السـكرتارية الـدائمة لمنظمـة التضامن الاسـيوى الافريقى فى شهر يناير دعوة من لجنة التضامن الاسـيوى الافـريقى فى لاوس لزيارة المناطق المحررة من لاوس . وكان الهدف الاساسى من هذه الزيارة اجراء مناقشات حـول « المؤتمر العالمى لتأييد نضال شعب لاوس ضـد العدوان الامريكى » الذى سينعقد قريبا . .

وعندما وصلنا الى هانوى قامت لجنة التضامن الفيتنامية بتوسيع الدعوة لكى تشتمل فيتنام . وقبلنا . وغادرنا هانوى فى اليوم الثانى والعشرين بطريق البر ، وقضينا نصف المسافة الى حدود لاوس نائمين . وفى الصباح الباكر من اليوم الثانى واصلنا الرحلة فوصلنا الحدود قبل مغيب الشمس آملين أن نستريح هنـاك حتى مغيب الشمس . ولكن دواعى الامان جعلتنا نستأنف رحلتنا بعد نصف ساعة من الراحة . ومن المعتاد أن يسود الهدوء فى لاوس أثناء النهار ، ولكننى اعتقد أن الحركة كانت ضئيلة فى ذلك اليوم لانشغال الامريكيين فى سهل الجرار حيث تم القضاء نهائيا عليهم وعلى عملائهم . وعنـد وصولنا كانت القوات الوطنية مشغولة فى انهاء العمليات العسكرية هناك .

كان الوفد برئاسة السيد كامل بهاء الديـن السكرتير المساعد لمنظمة التضامن الاسيـوى الافريقى ، وكان الوفد يضم الرفيق م . نـوكو وأنا . ولقد كانت الزيارة ممتعة ومفيدة وباعثة على الامل . لقد سويت بالارض جميع قرى فيتنام الشمالية على طول الطريق الرئيسى ـ المسـمى طريق هوشى منه ـ وهى تعد بالمئات ، كذلك دمرت الكبارى ـ وهى قليلة العدد ـ بالقنـابل عـدة مرات . ولم ينج من الدمار فى هذا الطريق سوى كوبرى واحد رغم ضربه بأكثر من ستة عشر ألف طن من القنابل ، ولكن الامريكيين فقدوا فى تلك العملية تسعا وتسعين طائرة . ولقد كان الشعب فى فيتنام الشمالية قد قام ببناء بيوت مؤقتة من الخيزران منذ توقف الامريكيون عن الضرب . وأما فى لاوس ، فالشخص يقطع مئات الاميال خلال الطرق الرئيسية دون أن تكتحل عيناه برؤية منزل واحد . ودون أن يرى شخصا واحدا فى أثناء النهار ، اذ أن الامريكيين يقومون بضرب كل شىء

حتى الكلاب يضربونها اذا ابتعدت عن منازلها ، وبعد مجيء الليل فحسب تفتح المدارس أبوابها ويذهب الفلاحون الى الارض (وهنا لابد أن نذكر ان الارز يجب ان يبقى مغمورا بالماء طوال الوقت) وتبدأ جماعات اصلاح الطرق من النساء عملها (فالرجال فى الجبهة) وتتحرك وسائل النقل لجلب المؤن الضرورية ، كما يبدأ بالطبع رجال الليل فى النشاط واعمال التدمير • ويجب ألا يغيب عن بالى أن أذكر أن حرب العصابات كانت لا تعدو أن ترتسم فى مخيلتى ، ولكننى أخيرا رأيتها رأى العين فى لاوس ، حيث السهول والوديان المحاطة بالجبال من كل جانب ، ولكنها ليست جبالا عادية ، بل هى جبال تضم عشرات من الكهوف من كل الاحجام • وفى هذه الكهوف يعيش عدد كبير من الشعب ، ويتم توسيع تلك الكهوف ، كلما دعت الحاجة ، باستخدام الديناميت • وكل ما يملك الامريكيون أن يفعلوه هو أن يجهدوا أنفسهم بالقاء آلاف الاطنان من القنابل على أمل ان تصيب شظية واحدة بقرة • فالغابات كثيفة ومليئة بأشجار الخيزران الدائمة الخضرة .

ولقد حططنا الرحال فى بقعة من هذه البقاع ، فاقمنا فى « فندق الصداقة » الذى يرتفع آمنا على الجبل تحت مائة متر من الصخور على كل جانب من جوانب الكهف • وعند وصولنا استقبلنا عضو من اللجنة المركزية للجبهة الوطنية ، هو فى نفس الوقت ، نائب رئيس لجنة التضامن فى لاوس • وخلال اقامتنا التقينا بأكثر من عضو من أعضاء اللجنة المركزية لجبهة التحرير فى لاوس وتحدثنا اليهم • وفى آخر ليلة لنا استقبلنا الامير سوفانا فونج رئيس جبهة التحرير فى لاوس • انهم فى لاوس يقابلون ضيوفهم بترحاب وود يصلان فى بعض الاحيان الى درجة تفوق التصور ، مع أن من السهل فهم سبب هذا الود والترحاب • لقد كانت وحدة كاملة من وحدات الحراسة تلازمنا ليل نهار ، واذا رغب الواحد منا فى المشى أثناء النهار أو الليل فانه فجأة يجد حوله حوالى عشرة أشخاص يلازمونه أثناء سيره • ولقد كان مخصصا لنا طبيب مساعد عليه أن يلازمنا حيثما توجهنا ليقوم بمراقبة كل شيء حتى الماء الذى نشربه وحتى درجة حرارة الماء الذى نستخدمه فى الغسيل •

ومع تقديرنا العميق للموقف ، فقد صدمنا الى حد ما الا يستحوذ علينا الشعور بالقلق للحظة واحدة . كل ما وصلنا من أخبار أن مكانا ما يبعد كيلومترين عن المكان الذى كنا فيه الليلة الماضية قد ضرب بالصواريخ فى الساعة الواحدة صباحا ، وفى مناسبة أخرى استيقظنا على أصوات القنابل التى كانت تصدر من ناحية كنا قد زرناها فى اليوم السابق ، وطبعا كان صوت القنابل يصم آذاننا طوال الوقت ، وعرفنا من التقارير أن القصف فى بعض الاوقات كان يبعد عن موقعنا كيلومترين فقط • ولقد كان التحصين الذى أضفته الطبيعة على تلك المنطقة بطريق الصدفة العامل الذى جعل اللجنة المركزية تنشىء قيادتها العليا هناك • ولكى نبين مدى شدة القصف نقول انه كانت أمام كهف اللجنة المركزية فجوة كبيرة ، فقد كان هذا الكهف هدفا لمائة قنبلة على الاقل •

وخلال اقامتنا تبادلنا الحديث مع مختلف الرسميين والخبراء • كما زرنا مؤسسات كثيرة : بعض المدارس ، وأكاديمية عسكرية (وهناك نفق طوله عشرون كيلومترا تحت الجبل لا ندرى ان كان قد تكون بطريق الصدفة أو عن قصد او نتيجة حادث ما) ، وبعض التعاونيات الزراعية ومسابك الحديد ، ومستشفى عسكريا يوجد داخل كهف ويضم مائة وعشرين سريرا ويعمل به حوالى خمسة وثلاثين ممرضة واثنى عشر طبيبا ومساعد طبيب • كذلك قمنا بزيارة مكان يعمل فيه الفلاحون فى اقامة قناة للرى طولها اثنا عشر كيلومترا ، وكانوا قد انتهوا من انجاز أحد عشر كيلومترا منها ، وعندما ترى المعدات شبه البدائية التى كانوا يستخدمونها دون وجود أية آلة ما عدا البنادق الاوتوماتيكية المصوبة الى الجو على أهبة الاستعداد للاشتباك مع العدو ، عندما ترى ذلك تتيقن من القوة الدافقة التى تقف وراء نضال هذا الشعب • ولقد زرنا أيضا احدى وحدات انتاج الملابس المنتشرة فى طول الغابات وعرضها • ويستخدم العاملون فى قطع الاخشاب أدوات مصنوعة محليا ينجزون بها أعمالا رائعة • ولقد وصلتنا من جميع الاماكن التى قمنا بزيارتها تقارير عن تطور المنطقة وعن عدد الوحدات وخبراتها فى المجال العسكرى ومجال الانتاج • ولقد استوقفنا فى كل مكان تواضع الشعب ، كما أثار حماسنا ارتفاع روحه المعنوية وتصميمه على النصر النهائى وتأكده من تحقيقه • ولقد أعجبنا بالتعبئة السياسية والعسكرية العالية ، ولاحظنا أن على كل فرد فى المجتمع ثلاثة واجبات : ١ — أن ينجز المهام الملقاة عليه ، وقد يكون من ضمنها القيام بدراسات تشمل بالطبع الثقافة السياسية • ٢ — انجاز هذه المهام من خلال الكفاح • ٣ — انجازها من خلال الانتاج •

وتهيمن اللجنة المركزية على كل شيء ، وجميع توجيهاتها ملزمة • وفى كل المنشآت توجد وحدة على الاقل تخضع لتوجيه اللجنة المركزية ، وعليها مهمة تقديم المثل وتحديد معدلات الانجاز ، ومنها مجموعة ثقافية رئيسية ، أو مستشفى أو مؤسسة أو مصنع ••• الخ • وأكثر من ذلك على أعضاء اللجنة المركزية أن يضربوا المثل فى تصرفاتهم ، فلقد تأثرنا ببساطتهم وبالسهولة التى يندمجون بها

فى كلّ مستويات المجتمع وفى أجراء المناقشات المسلسلة،وببساطة وتواضعرئيس الجبهةالوطنية الامير سوفانا فونج الذى لم يحط ظهوره أمام الجماهير بأى أبهة أو مراسيم رسمية ، ان كل شىء هنا يحل سياسيا ، بالاقناع الهادىء ، وكل الوحدات تتلقى دروسا فى النظام وفى الاكتفاء الذاتى والشعور بالمسئولية ، ولكن النظام لا يفرض من أعلى وانما ينمو بالوعى من القاعدة الثورية السياسية ، وبعد اجـــراء المناقشات حـــول المسئوليات تنتخب كل وحدة مقاتلة قائدها .

ولا يجب أن يفهم من ذلك أن كل شىء على أحسن حال ، فما زالت أمام شعب لاوس مشاكل حقيقية تحتاج الى الحل ، وكثير منها تجرى المحاولات لحلها ولقد تحقق بعضالنجاح فىذلك، فمثلا ليس لدى الوطنيين عدد كاف من السلاح والذخيرة كفيل بمواجهة قاذفات القنابل الامريكية من طراز ب ٥٢ التى تستطيع القاء مئات القنابل من ارتفاع عشرين كيلومترا ، كما أنهم لا يملكون كوادر مثقفه كافية أو معدات زراعية ، كما أنهم يواجهون الصعوبات فى الحصول علىالرعاية الطبية، وما زالوا فىحاجة الى مساعدات أكبر فى هذا المجال ، فىالاجهزة الطبية والادوية . ورغم صغر حجم البلاد الا أن شعبها يضم عددا من الاقليات . ففى الوقت الذى يحرز فيه يوميا نجاحات فى هذا المجال ، الا أن الامريكيين وعملاءهم نجحوا حتى الان فى احتضان بعض مجموعات من الاقليات التى يقوم بتدريبها أصحاب « البيريهات الخضراء » ويكونون منها القوات الخاصة ، لقد نجح الثوار فى صياغة أبجدية مكتوبة للغات الاقليات ، وفى تطوير ثقافة الاقليات وجعلها وحدة متكاملة فى جميع المجالات ، كذلك يواجه شعب لاوس صعوبات فى النقل ، خاصة وأنهم لا يستطيعون التجول أثناء النهار ، وكأى حركة من حركات التحرير عليهم أن يقولوا دائما ان الجميع يؤيدونهم ، أى الجميع فى العالم التقدمى ، وخاصة تلك البلاد التى تقع الى جوار لاوس ، ولـكنهم يواجهون مشكلة وجود بلدين يستخدمهما المعتدون الامريكيون كقواعد للهجوم عليهم ، وهما تايلاند وفيتنام الجنوبية ، ومع هذا فهم يحظون بتأييد حركات التحرير فى هـذين البلدين . وتكثر الامطار خلال موسم الشتاء مما يجعل الامدادات شاقة للغاية . ففى موسم الامطار الماضى علىسبيل المثال انعزلالجيش لمدة شهرين فى سهل الجرار واضطر الى أن يقسم نفسه الى قسمين : قسم يواصل القتال بينما يقوم القسم الثانى بالصيد وجلب الخضروات واللحوم . ولقد نجحوا فى بعض الحالات فى التغلب على هذه المشكلة بتشجيع زراعة المنيهوت فى كل مكان .

ولا تقتصر دعاية جبهة التحرير على المناطق المحررة التى تكون الان حوالى ثلثى مساحة البلاد وتضم حوالى نصف الشعب ، ولكنها تمتد الى المناطق المحتلة حيث لا يكتفون بالدفاع عـن سياستهم وانما يقع عليهم واجب دحض أكاذيب الامريكيين وافتراءاتهم والرد على اعتـداءات رجعيى فينتيان على الجماهير فى المناطق المحتلة ، ومازال الامـريكيون وعمـلاؤهم يسـتخدمون الجواسيس والمخربين من أفراد الشعب الذين يهبطون بطائرات الهليكوبتر أو المظلات .

لقد اسقط هذا الشعب الصغير حتى الان اكثر من ألف ومائتين وثلاثين طائرة امريكية بما فيها طائرات ب٥٢ ، ومع هذا فليس هناك ما يستعصى على هذا الشعب . وليست هناك عقائد جامدة فى ثورة لاوس ، فهم يرحبون بكل اشكال الكفاح لحل مشكلة لاوس ، خاصة اذا كان هدفها طرد المعتدين الامريكيين من البلاد . ولهذا فهم على استعداد لقبول الحل السلمى بعد أن يدخلوا فى الحساب التغيرات التى طرأت على الموقف منذ عـام ١٩٦٢ ــ وهو تاريخ ابرام اتفاقيات جنيف بالنسبة للاوس .

وهناك نقطة أخرى علىجانب كبير من الاهمية ، عند قبول التضامن الدولى والاعتراف بالتنظيمات الدولية الديمقراطية التقدمية التى تعترف بهـا غالبية البشرية التقدمية ، ولقـد أخبرنا الامير سوفانا فونجانه من الضرورىواللازملشعب لاوس أن يعد نفسه لكى يحقق الاكتفاء الذاتى بكل الطرق ، ولكن التضامن الدولى مطالب دائمـا بالقيام بدور كبير وهام فى كفاح الشعب الثورى، فالشعب فى لاوس يخوض الحرب منـذ خمس وعشرين سنة ، وما زال قادته يعدونه لكفاح طويل متوقع ، ويتضح بعد نظرهم من ان الامريكيين لجأوا الى ضرب البلاد بالقنابل منذ الانقـلاب اليمينى فى كمبوديا ، وهو ما جعـل الامريكيين يفضحون بأنفسهم المدى الذى وصلت اليه الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة ، وهناك عامل هام أخر ، هو أن جميع اهالى لاوس فى المناطق المحررة من كل الاعمار ومن جميع الطبقات يعـرفون اعداءهم ويميزون بينهم وبين اصدقائهم .

ولقد تميزت الرحلة الاخيرة بالنسبة لى بوضوح التزاوج بين القومية والاممية فى لاوس وفيتنام ، وهناكصلة وثيقة بين كفاح شعب لاوس وخبراته فيه وبين كفاحنا ، كما أن بينهما اشياء كثيرة مشتركة ، ويمكن القول بأن الشعب عموما هنا كان أكثر تأخرا من شعبنا ، ومع هذا فمن خلال الكفاح الثورى تمكنوا من الوصول الى المسـتويات الحالية ، ورغم صغر حجم البلد وفقره الواضح فان الامبرياليين ـــ أمريكا وبريطانيا وفرنســا وألمانيا الغربية واليابان ـ ما زالوا حتى اليوم يتعاونون بشكل مبتكر للسيطرة على البلاد ، وهم

يتقاسمون فيما بينهم المسئوليات فى المجـالات المختلفة : فى السياسة والاقتصاد .. الخ . كذلك يتعاون العملاء فى فيتنام الجنوبية وتايلاند مع رجعيى فينتيان فى تنفيذ اهداف الولايات المتحدة فى الهند الصينية ، ورغم كل هذا يكافح شعب لاوس كفاحا مجيدا وهو قد وصل فعلا الى تحقيـق الانتصارات التى يحققها شعب فيتنام أو يقترب منها ،ويزداد الاعجاب بشعب لاوس عندما يوضع فى الاعتبار أن تعداد البلاد يختلف تقديره من المستويات العليا المختلفة من أقل من مليونين الى ثلاثة ملايين ، ولقد اخبرنا الامير سوفانافونج ان تعداد الشعب لا يمكن أن يصل الى ثلاثة ملايين ولكنه أقل بقليل من مليونين .

ولقد عدنا من رحلتنا أكثر ايمانا بانه تقع على عاتقنا مهمة توضيح ضرورة تقديم عون أكبر لشعب لاوس ، وعلى الذين يقدمون المساعدات فعلا أن يضاعفوها بكل الطرق وفى كل المجالات بما فيها المجال الدبلوماسى ، وبالنسبة لحركات التحرير لا بد من أن نقدر أن الامبرياليين يعززون التعاون فيما بينهم بالنسبة للاوس ، كما يحدث فى المنطقة التى نعيش فيها ، لهذا من المهم ان نظهر تضامننا مع شعب لاوس عن طريق الاتصال المباشر مع ممثليه ، هذا أولا ومن ناحية ثانية فان الامبرياليين نجحوا فى التقليل من اهمية مشكلة لاوس ، وفى احاطتها بالغموض . لهذا فنحن فى حاجة الى الدعاية لقضية لاوس بين شعبنا والى اصدار البيانات ضد العدوان وتأييدا للكفاح ، ولكن التضامن الاكبر الذى يمكن أن نقدمه لشعب لاوس وشعب الهند الصينية ككل يأتى عن طريق اضفاء الثورية على أسلوب عملنا وتعزيز خططنا ودفع ثوراتنا الى مستويات أعلى .

ولقد أجرينا فى آخر يوم من أيام زيارتنا حديثا مع لجنة التضامن بخصوص المؤتمر الدولى لتأييد كفاح شعب لاوس ، وفيما يلى ما عرضوه :

- انهم يعلقون اهمية كبرى على المؤتمر ، ويأملون فى أن تبذل الجهود لانجاحه .

- ان يكون للمؤتمر هدف وحيد هـو تأييد شعب لاوس .

- ١ـ لابد أن يدين المؤتمر مـؤامرات الأمريكيين وجرائمهم .

٢ ـ تأييد الكفاح المشروع لشعب لاوس من أجل حماية حقوق الشعب القومية .

٣ ـ مساندة جبهة تحرير لاوس فى موقفها من حل قضية لاوس .

- يمكن أن يطلق على المؤتمر اسم « **المؤتمر الدولى لمساندة كفاح شعب لاوس ضد العدوان الامريكى** » .

- لابد من توسيع الدعاوى لتشمل كل المنظمات التقدمية والديمقراطية والسلامية فى جميع القارات . مع استبعاد كل من يـوغوسلافيا ومنظمات الامم المتحدة .

- لضمان مشاركة البلاد الاسيوية الافريقية الى اقصى حد ، هناك اقتراح أن تساعدهم منظمة تضامن الشعوب الاسيوية الافريقية فى ارسال الوفود لزيارة كل من الجمهورية العربية المتحدة والعراق وسوريا وليبيا والجزائر وغينيا ومالى والكونغـو برازافيل واليمن الجنوبيـة وتنزانيا وزامبيا .

- يبدأ الاجتماع التمهيدى وتتكون اللجنة من منظمة تضامن الشعوب الآسيوية الافريقية ولاوس ومجلس السلام العالمى .

تقارير مقدمة من الرسميين والخبراء

فيما يلى خلاصة للتقـارير التى تمـكنت من تسجيلها :

(ا) الاجتمـاع مع لجنة التضـامن مع لاوس

ترحب اللجنة المركزية بزيارة وفدكم ، وأقدم لكم وفدنا المعين من قبل اللجنة المركزية لـكى يجرى المناقشات معكم . وعلى رأس الوفد عضو المكتب الدائم للجنة المركزية ونائب رئيس لجنة التضامن الاسيوى الافريقى مع لاوس ، كما يضم الوفد سكرتيرى لجنة التضامن الرفيقين نوبام وستربام .

لقد جئتم من أماكن بعيدة ،ويضم وفدكم اعضاء ممتازين ، وزيارتكم تشجيع كبير وحافز لشعبنا . ولهذا نرجوكم البقاء بيننا اطول مدة ممكنة ، مع أننا نعلم أن اعمالكم لا تمكنكم من تحقيق أملنا هذا ، ونود ان نتمكن من أن نريكم جـرائم الامريكيين ضد شعبنا ، كما نرغب فى أن نطلعكم على مدى صلابة شعبنا والانتصارات التى حققتها ضد الاستعمار الأمريكى . ان كفاحنا صـــلب وعسير ، ولكن هذا لا يعنى أنه يجب أن يتوقف ، وانما لابد أن يحرز مزيدا من التقدم . ولابد من مساندة كفاحنا وتعزيز قواتنا لاحراز انتصارات اكثر ، وبرغم هذا النضال ينجز شعبنا اعمالا سياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية ، اننا نعلم أن مهمتكم هى الاحاطة بأوضاعنا وايجاد وسائل مساعدة شعبنا فى كفاحه ، كما نعلم أن رحلتكم هذه هى الاولى ولكنها لن تكون الاخيرة ، ونأمل أن تجدوا فى زيارتكم القادمة تقدما أكثر . والان دعونا نشرح لكم الوضع فى لاوس ، ونحن نود أن نعرف كل شىء عن كفاح الشعب العربى ، وعن

الوضع فى أفريقيا الجنوبية وفى المستعمرات البرتغالية ، لقد كانت بلادنا ترزح تحت حكم الاستعمار الفرنسى لاكثر من ستين عاما ، ونحن من الناحية الاقتصادية ليس لدينا شىء اذ ليست لدينا أية صناعة ، ولقد كان ٩٩ فى المائة من شعبنا فى ظل الاستعمار الفرنسى أميين ، والقليلون الذين تعلموا الكتابة تلقوا تعليمهم هذا فى المعابد ، ولم يتعد من وصلوا الى المرحلة العليا اثنى عشر من بينهم الامير سوفانا فونج والامير سوفانا فوما والامير بون أم والملك . ولم يكن يوجد فى لبلاد سوى طبيب واحد ، ويواجه النظام الحالى كثيرا من المصاعب ، ومنذ بدء الكفاح ضد الاستعمار الفرنسى ونحن نوجه عناية كبرى الى اعادة البناء .

ان هدفنا من تقديم هذا التقرير ان تحيطوا علما بالاساليب البشعة التى يستخدمها الامريكيون ضد شعبنا . كما أن عليكم أن تتعرفوا على تطور قواتنا وانتصاراتها ، انكم على علم بالوضع فى سهل الجرار (القوارير) ، ونود أن تلموا بالوضع القائم فى عام ١٩٦٩ على وجه الخصوص بعد التصف المستمر لفيتنام الشمالية والذى بدأ فى شهر نوفمبر من عام ١٩٦٨ ، لقد صعدت الولايات المتحدة الحرب ضد لاوس وارسلت عددا كبيرا من الامريكيين الى لاوس ، فمن الفى امريكى كانوا فى عام ١٩٦٨ ارتفع العدد الى اثنى عشر الفا الان غالبيتهم من الخبراء والمستشارين العسكريين . وبعضهم يعملون فى قيادة القوات الخاصة ، وهناك ألف ومائتان من أصحاب « البيريهات الخضراء » الذين يشاركون بطريق مباشر فى القتال ويقودون فى نفس الوقت المعارك فى لاوس ، لقد اتضح لنا أن أحد الامريكيين يقود خمس فرق من المرتزقة ، وفى المعركة الدائرة حاليا فى سهل الجرار جلب الامريكيون خمسمائة جندى من تايلاند .

ونحن نعتقد أن الصدام فى منطقتنا قد تصاعد منذ تولى نيكسون السلطة . لقد كان الامريكيون يستخدمون القوات الجوية فى الماضى كقوة ثانوية لمساعدة المشاة ، اما الان فهم يعتمدون عليها فى الهجوم . وفى البداية كان الهدف من تدخل القوات الجوية الامريكية تدمير طرق المواصلات فى لاوس ، وكان المشاة يمهدون للهجوم ، بينما تقوم القوات الجوية بالتغطية وتقوم القوات الجوية بضرب مؤخرة جيشنا بالقنابل لمنعنا من الهجوم المضاد ، وتهاجم القوات الامريكية مستودعات ذخيرتنا ، وهى تهاجم فى نفس الوقت المناطق المزدحمة بالسكان مثل القرى ، وكل شىء يمكن أن يتحرك ، وهم لا يميزون بين المدارس والمعابد والقرى والمدن الصغيرة « وعندما يتوقعون هجوما يضربون بالقنابل المنطقة كلها ويدمرون جميع الطرق ، والعدو يستخدم الان الطائرات العمودية [الهليوكوبتر] لنقل الجنود ، ولقد وصل عدد الغارات الامريكية الى مائة غارة يوميا فى عام ١٩٦٦ وارتفع الى خمسمائة بما فيها طائرات ب ٥٢ . ولقد كان سهل الجرار — فى جنوب ووسط لاوس — القطاع الذى اصابه اكبر نصيب من الضرب فى عام ١٩٦٩ ، وبمقارنة عام ١٩٦٨ بعام ١٩٦٩ نجد أن عدد الغارات الامريكية قد زاد أربع او خمس مرات ، اما اذا اخذنا عام ١٩٦٦ اساسا للمقارنة فسنجد ان الزيادة هى عشرة اضعاف .

وبعد تولى **نيكسون** السلطه قام بزيارة لفنتيان ، وبعد عودته الى الولايات المتحدة زاد النشاط العسكرى للولايات المتحدة ومن يدورون فى فلكها ومنذ الهزائم المنكرة التى تكبدها العدو فى عام ١٩٦٧ ، لم يقم طوال عام ١٩٦٨ بأى هجوم ذى وزن ، وعندما بدأوا عدوانهم شنوا هجمات كبيرة على المناطق المحررة مستخدمين العديد من التاكتيكات الجديدة ، ومنها عدم تجميع الجنود وعدم احضارهم من أماكن بعيدة واستخدام الفرق المعسكرة فى لاوس معتمدين أكثر وأكثر على القوات الجوية . وفى الثلاثين من مارس عام ١٩٦٩ شنوا هجمات تشترك فيها ثلاث قوى : القوات الخاصة (اى مجموعات الاقلية التى يقودها الامريكيون) والقوات المحايدة سابقا والقوات اليمينية التى كانت موجودة فى منطقة سهل الجرار ، واستمرت تلك العملية حتى شهر مايو ، واشترك فيها أكثر من عشرة كتائب . ولقد قضينا على أكثر من ألف جندى وتمكنا من صد الهجوم . وفى شهر يوليو شن العدو « عملية الثأر » التى استخدم فيها أكثر من عشر كتائب وعددا أكبر من الطائرات ، ولكنهم أخفقوا أيضا فى هذه العملية وبعد هزيمتهم أعدت الولايات المتحدة عملية أخرى فى يوليو ، بدأتها فى شهر اغسطس ، وأطلقت عليها اسم « **استرداد الشرف** » واستخدمت فيها ثمان وأربعين كتيبة ، وفى نفس الوقت شن العدو هجمات على كل البلاد لدعم المعركة الرئيسية التى كانت موجهة الى سهل الجرار ، وفى هذا الوقت شن العدو عددا من الهجمات ليقف فى وجه التقدم الذى كان الثوار يحرزونه ، ولقد استخدم العدو فى تلك العمليات القوات الجوية والمواد الكيماوية السامة التى كان يلقيها على الاماكن التى كان يظن ان القوات التقدمية تلجأ اليها ، وكان العدو يسقط فى بعض عملياته الحربية جواسيس من الجو ليقوموا بالتجسس والتخريب ، وبارهاب الشعب وتسهيل مهمة العدو فى اختطاف أفراد الشعب الى المناطق المحتلة بطائرات الهليكوبتر ، **وتكون هذه المجموعات من الجواسيس الخطوة الاولى فى التكتيك الحربى الامريكى ، اذ تقوم باستكشاف القوات الوطنية ليوجه اليها الضرب ، فاذا كان عدد**

القوات الوطنية ضئيلا اخبروا العدو بذلك فتقوم طائرات الهليكوبتر بمهاجمتهم اواختطافهم ، وهذا تاكتيك جديد يستخدمه نيكسون الذى استخدم ايضا مناورات استراتيجية جديدة لارعام الشعب فى المناطق المحررة على النزوح الى المناطق المحتلة ، **بهدف اخلاء المناطق المحررة من الجماهير على اعتبار ان الجماهير هى الماء ، بينما جبهة التحرير هى السمك الذى يسهل اصطياده اذا نزح الماء ، وهم يستخدمون فى تنفيذ هذه العملية طريقتين :**

● **ان تقوم مجموعات من الجواسيس باخلاء المناطق المحررة اذا وجدوها خالية من جنود جبهة التحرير .**

● **ان يقوموا بهجمات ضد المناطق المحررة ، ثم يخلونها تماما من الجماهير ، وعندما نقوم بهجوم مضاد يتراجعون ومعهم الجماهير .**

ويقوم العدو بنشر دعايته فى المناطق المحررة بأن يدعى أن الشعب الذى يرغمونه على الجلاء انما يفعل ذلك لوقوفه ضد النظام القائم فى المناطق المحررة .

وتكون مجموعات الجواسيس (المكونة من سبعة الى عشرين) فى الغالب من نفس المنطقة التى يرسلون اليها ، أو ممن لهم أقارب فى تلك المنطقة ، مما يجعلهم على علم تام بالمنطقة وسكانها .

الموقف السياسى

من الاهمية بمكان أن نلقى الضوء على التعاون بين الأمريكيين ، وعصابة الرجعيين فى لاوس ، والنظم العميلة الاخرى ، وتصعيد عدوانهم ضد لاوس ، فالامريكيون يستخدمون عملاءهم فى البلاد المجاورة لدعم موقفهم ، فهناك تعاون بين رجعيى فينتيان وتايلاند الذين وقعوا فى مارس ١٩٦٩ اتفاقا للدفاع المشترك ، كما وقعوا اتفاقا لنقل البضائع خلال طريق ١٣ الذى يصل بين جنوب شرق آسيا من الشمال حتى شمال لاوس وسايجون . [ولقد قام رجال العصابات بتدمير هذا الطريق اذ كان يستخدم فى نقل المواد الحربية الى البلاد فى سايجون] كذلك وقعوا اتفاقا ثالثا لنقل الموظفين بين البلدين دون اجراءات جمركية ، وهناك اتفاقيات اخرى لتسهيل حركة الموظفين والمعدات العسكرية بين لاوس وتايلاند ، اذ أن تايلاند هى القاعدة الامريكية الرئيسية للهجوم على لاوس ، وبالاضافة الى كل ذلك خلقت الولايات المتحدة فى شرق جنوب آسيا وضعا يجعل لاوس احدى البلاد الداخلة فى برنامجهم للسيطرة على كل جنوب شرق آسيا ، لقد استعانت الولايات المتحدة بالاستراليين فى المجال الثقافى ، وباليابان فى المجال الاقتصادى ، بالاضافة الى كوريا الجنوبية والفلبين اللتين تقتربان أكثر من الولايات المتحدة ، كذلك ينمو التعاون بين امريكا وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية ، فهناك علاقة بين هذه الحكومات وفرنسا فى مجال التعليم وبينها وبين انجلترا فى المجال الاجتماعى ، وبينها وبين المانيا الغربية فى مجال التكنيك ، صحيح ان المعتدى الرئيسى هو الولايات المتحدة ، الا ان بلادا امبريالية اخرى تتعاون معها فى السيطرة على لاوس ، وعلى رأس هذه البلاد فرنسا واليابان اللتان تاملان فى الحلول محل الولايات المتحدة فى يوم من الايام ، وقد يبدو ان تايلاند هى أكثر البلاد فى المنطقة تعاونا مع أمريكا ، الا ان اليابان هى البلد الذى يتدخل بقدر كبير فى شئون لاوس الداخلية ، والحقيقة ان الامبرياليين يتدخلون فى لاوس لسببين :

الاول ان سياسة نيكسون الجديدة تعتمد على جعل الآسيويين يحاربون الآسيويين ، ويعتقد الامريكيون انهم اذا اضطروا فى يوم من الايام الى ترك لاوس فسيحل محلهم اليابانيون ، وبهذا يستطيعون فرض سيطرتهم عن طريق اليابان .

والثانى ان اليابانيين يطبقون سياستهم الخاصة بآسيا الكبرى معتقدين أنهم يستطيعون الاحتفاظ بلاوس لمصلحتهم الخاصة .

وطوال عام ١٩٦٩ كان الامريكيون ينشرون دعاياتهم التى تقول ان فيتنام الشمالية تعتدى على لاوس بهدف تغطية عدوانهم على لاوس ، وبهدف اثارة شعب لاوس ضد شعب فيتنام الشمالية ، وهم يستخدمون تلك الدعاية فى داخل البلاد وخارجها .

وفى عام ١٩٦٢ بعد اتفاقيات جنيف ، كانت هناك اتفاقية بين الاطراف الثلاثة لتكوين حكومة ائتلافية وكانت الجبهة الوطنية فى فيتنام الشمالية ممثلة فى مؤتمر جنيف .

وتقوم الولايات المتحدة بتجميع كل القوات الرجعية فى المنطقة ضد القوات الثورية فى لاوس ، ولقد انشأت جمعية اسمها « الحلقة الوطنية » وهى مجموعة سياسية من المثقفين الشبان تقف ضد الجبهة الوطنية ، وتمهد لتكوين حزب جديد هو الحزب الوطنى الشعبى ، ولقد فشل الامريكيون حتى الان فى تحقيق ذلك لافتقارهم الى التأييد الشعبى .

ولقد كون سوفانافوما اخيرا حزبا جديدا هو

الحزب الوطنى المحايد ؟ ونحن نعتقد ان تكوين هذا الحزب سوف لا يساعد الامريكيين او سوفانا فوما على الاطلاق ، وانما هو بالعكس سيؤدى الى خلق التناقضات بين القوى الرجعية التى سيستمر انقسامها ، ولن يستطيع هذا الحزب الجديد ان يتجاوب مع اليمينيين الذين يتعاون معهم سوفانا فوما حاليا ٠

لقد صعد الامريكيون حربهم العدوانية ضد لاوس الى اقصى مدى ، وهم يمارسون اقصى درجات الوحشية التي يتصورها العقل، وفى رأينا ان هذا دليل على افتضاح امريكا وتشوه سمعتها كقوة دولية ٠

ولقد قادنا كل ذلك الى نتيجة واحدة هى ان الامريكيين يعانون من عديد من نقاط الضعف وان بامكاننا انزال الهزيمة بهم ٠

والضعف الرئيسى الذى يعانون منه هو سياستهم العدوانية ، فكلما زادوا من عدوانهم ازدادت كراهية الشعب لهم واتجه ناحيتنا ٠

ونقطة الضعف الثانية هى اعتمادهم على النظام العميل فى فيتنام الجنوبية وهو نظام متهاو ، وتوجد بين حكومة العملاء تناقضات متعددة ، كما أن بينهم مجموعات لا يعتمد عليها ، وليس فى استطاعة هذه الحكومة تأييد الولايات المتحدة ، فقد تلقى جيش المرتزقة هزيمة اثر هزيمة وروحه المعنوية فى الحضيض ، ومن الواضح انه لا يستطيع بحالته هذه تقديم اى دعم فعال للامريكيين ٠

ونقطة الضعف الثالثة لدى الامريكيين هى قوتهم الجوية ، فهم يعتمدون اكثر من اللازم على تفوقهم الجوى ، ولكن هذا التفوق لا يحقق لهم اى انتصارات وهذا يجعلهم عاجزين عن حسم الحرب فى لاوس عن طريق قوتهم الجوية ، ولقد اعلن الامريكيون انفسهم ذلك ، وآخر مثال هو الهجوم الذى قاموا به ضد سهل الجرار حيث استخدموا عددا كبيرا من الطائرات فاق ـ باعتراف الجرائد الغربية ـ العدد الذى استخدموه فى فيتنام ، ومع ذلك لا يستطيعون تجنب الهزيمة ٠

القوى الوطنية

منذ بداية عام ١٩٦٩ قمنا بشن عدة هجمات ضد العدو واحرزنا انتصارات هامة ٠ فمنذ شهر مارس عام ١٩٦٩ حتى بداية السبعينات نجحنا فى احباط جميع محاولات الولايات المتحدة وقتلنا وجرحنا ثمانية آلاف من جنود العملاء واسقطنا ثلاثا واربعين طائرة ، وقمنا بعدد من الهجمات المضادة منذ العاشر من شهر فبراير عام ١٩٧٠ ، وطردنا من سهل الجرار الثمانى والاربعين كتيبة التى ارسلها العدو ، وفى المعركة التى جرت فى العاشر والحادى عشر والثانى عشر من فبراير قمنا بالتخلص من ستة آلاف جندى ، وقد جرت معارك تالية على ذلك ، ولكن الاحصاءات الخاصة بها لم يجر اعدادها بعد .

ولقد كانت اكبر معركة فى العام الماضى هى معركة سهل الجرار ، ولكننا نجحنا بجانب ذلك فى هزيمة العدو فى جميع المناطق ، ولقد نجحنا اخيرا فى طرد سبعة الاف جندى من جنود العدو فى وسط لاوس حيث استخدم العدو ثمانى كتائب ضدنا ٠

ومنذ السابع من شهر مايو عام ١٩٦٤ عندما بدا الامريكيون قصف لاوس ، اسقطنا اكثر من الف ومائتى طائرة ، واحدة وستون منها دمرناها فى معارك جوية ، بينما اسقطت القوات الارضية اربعمائة واربعين طائرة .

لقد حققنا انتصارات كثيرة فى مجالات أخرى ، ورغم وحشية الامريكيين لم يتوقف شعبنا عن الانتاج ، ولا يرضى الشعب بحياته المادية والروحية الحالية ، وانما يعمل على ترقيتها يوما بعد يوم ، لقد طور شعبنا الزراعة ولدينا الان محصولان سنويا وهو شىء جديد بالنسبة لنا ، ولقد زادت المساحة المزروعة واقمنا مشروعات رى جديدة وبنينا خزانات صغيرة ، كما نقوم بتطوير الصناعات اليدوية ، ولقد بدأنا كذلك فى تطوير الصناعة الخفيفة فى مجالى انتاج الحديد والنسيج ٠

وحققنا فى مجال التعليم نجاحا باهرا ، فخلال الاحتلال الفرنسى كان ٩٥ فى المائة من الشعب اميين، وأما الان فمن ٥٠ فى المائة الى ٦٠ فى المائة فقط أميون فى المناطق المحررة، لقد انشأنا المدارس الثانوية وأصبح التدريس لاول مرة باللغة القومية ، ونحن نخطط لاعداد المدرسين للمدارس المتوسطة ، لم يكن لدينا طبيب واحد للصحة العامة والآن لدينا فى المناطق المحررة اكثر من الف ممرضة وأكثر من مائتى مساعد طبيب وأكثر من اثنى عشر طبيبا ، وبفضل انجازاتنا هذه يزداد تأييد الشعب لحركتنا ٠

ومنذ عام ١٩٦٩ نجحنا فى طرد أكثر من عشرين الف جندى معاد واسقطنا أكثر من مائتى طائرة وحققنا النجاح فى جميع المجالات ٠

ويمكننا أن نعقد مقارنة بين أنفسنا وبين العدو ، لقد تلقى العدو الهزيمة تلو الهزيمة ، وهو الان يتخذ موقف الدفاع ـ أما نحن فقد أحرزنا انتصارات كثيرة ونتخذ موقف الهجوم ، والعدو

مازال بالطبع لايسلم بالهزيمة، ولم يوقف سياسته الهجومية ولايزال يخلق لنا عددا من المشاق ، ففي اليوم السابع عشر من فبراير عام ١٩٧٠ استخدم العدو قاذفات القنابل من طراز ب ٥٢ ضد القيادة العامة لقوات التحرير بعد هزيمته في سهل الجرار ، وهذا مظهر من مظاهر هزيمة الامريكيين ، فبعد فشلهم في تحقيق اهدافهم لم يجدوا بدا من استخدام تلك القاذفات لاشاعة الرعب في قلوبنا ولكنه لن ينجح في ذلك ، لقد أوضحنا لمقاتلينا وكوادرنا أن هذه القاذفات لا تختلف عن أي طائرة أخرى قاذفة ، اللهم الا أن قاذفات ب ٥٢ تستطيع التحليق على مسافة مرتفعة وحمل عدد أكبر من القنابل (عشرة أطنان) فاذا تمكنا من القيام بتغطية كافية نستطيع أن نلغي أثر هذه القاذفات ، لقد استخدمت طائرات ب ٥٢ منذ ثلاث سنوات في وسط لاوس ولكنها لم تتمكن من وقف نشاط الشعب ، ومنذ عام ١٩٦٢ أصبحت المناطق المحررة تكون ثلثي لاوس وتضم نصف مجموع سكان لاوس تقريبا ، وتتكون المنطقة المحررة في غالبيتها من الجبال والغابات ، ويحتل العدو الاماكن المزدحمة .

ولقد تم تحرير سهل الجرار في عام ١٩٦٢ ، وطبيعته الجغرافية تجعل من السهل أسقاط أي طائرة ، وترجع أهمية هذا السهل الى أنه نقطة التقاء جميع الطرق الهامة في لاوس ، ومنذ استيلائنا على سهل الجرار لم يتوقف الامريكيون عن محاولة استرداده ، ولقد كنا في عام ١٩٦١ متحالفين مع سوفانا فوما ، ولكن منذ انضمامه الى اليمينيين قمنا بطرد قواته من المنطقة .

ويكون اقليم لونج شانج القاعدة الاساسية للامريكيين ومركز القوات الخاصة التي تستخدم الاقليات ، ويقع بين المنطقة المحررة والمناطق المحتلة ، ولقد قام العدو بجميع هجماته الكبيرة من ذلك الاقليم ، ومنذ عام ١٩٦٤ لم يتوقف هجوم العدو من الشمال والغرب ، ولم يعد نيكسون يشن هجماته من الجنوب والشرق ولكنه يقوم بذلك من لونج شانج .

والتاكتيك الاساسي في المعارك الحديثة هو استخدام طائرات الهليكوبتر في جلب الجنود الى المواضع الاستراتيجية ، ولقد كان اول ما قاموا به في سهل الجرار في أغسطس ١٩٦٩ أن قطعوا الطريق السابع باستخدام خمس كتائب على أمل عزل مؤخرتنا ، ثم قاموا بعزل شرق وشمال اقليم زنج هونج واتبعوا ذلك بعزل غرب هذا الاقليم وجنوبه ، ثم احتلوا وسط الاقليم مبتدئين بالمرتفعات وقطعوا جميع المواصلات ، وفي المرحلة الرابعة هبطوا الى السهل ، ثم حاصروا — في المرحلة الخامسة — الاقليم كله .

وفي الحادي والعشرين من شهر اكتوبر احتل العدو الاماكن الواقعة في الغرب والتي كنا قد استولينا عليها منذ أربعة شهور . وهذا السهل كانت تلتقي فيه طرق المواصلات الى فينتيان والشمال ، وفي هذا الوقت كادت قواتنا ان تشتبك وجها لوجه مع العدو ، ولم يكن بوسعنا في تلك الظروف أن نبقى بعيدين عن العدو ، اذ كان في هذا خطر التعرض للقصف ، وكنا نستخدم تاكتيك الحرب الشعبية وحرب الانصار ، فقسمنا قواتنا الى وحدات صغيرة اندمجت في جماهير الشعب ، واستمرت قواتنا في القتال انتظارا لوصول التعزيزات ، وعندما وصلت في يناير عام ١٩٧٠ ، بدأت أول مرحلة من هجومنا المضاد من الشرق الى الشمال الغربي من الاقليم ، وكانت أول خطوة هي تجميع قوات العدو التي انتشرت في كل مكان ، وبعد هذا أعددنا للمرحلة الثانية من هجومنا المضاد ، فتحركت قواتنا تجاه العدو وأحاطت به وأصبح باستطاعة قواتنا عندئذ أن تقوم بحركة التفاف . وبدأت المرحلة التالية في العاشر من فبراير ، وبعدها نشبت المعركة الاخيرة في الواحد والعشرين من شهر فبراير ، وفي السابع عشر من نفس الشهر هاجمنا لونج شانج للمرة الاولى فدمرنا اثنتي عشرة طائرة ومقر القيادة العليا ومنزلي القائد العام والمستشار الامريكي .

وابتداء من السابع عشر من شهر فبراير استخدم الامريكيون قاذفات ب ٥٢ لمهاجمة منطقة تقع الى شرق سهل الجرار ، ولم يتضح السبب في تصرفهم هذا ، وفي تلك الليلة قاموا بأربع غارات من ثلاث طائرات لكل منها ألقت مائتي قنبلة في كل غارة ، وفي ليلة الثامن عشر كررت العملية خمس عشرة طائرة على نفس المنطقة ، ولم نصب بخسائر ، وفي نفس الليلة قاموا بضرب شمال سهل الجرار ولم نتكبد أية خسائر ، ولقد كان الملك معترضا على استخدام طائرات ب ٥٢ ، ولم يكسب العدو من الناحية العسكرية شيئا من احتلال سهل الجرار ، كل ما نجحوا فيه هو ارغام ١٥٠٠٠ من السكان على مغادرة المكان ، بناء على ما جاء في بيانات العدو ، أما بياناتنا فتقول ان العدو نجح في اجلاء أربعة آلاف شخص من السكان أرسلوا الى نالوانج حيث مات ألف منهم في شهر أغسطس من الاوبئة والمجاعة ، كذلك نجح العدو في تدمير المحاصيل الزراعية وابادة الحيوانات وتخريب المدارس ، أي تخريب الاقتصاد عموما ، ولقدقمنا بطرد عدد كبير من جنود العدو مما أدى الى انهيار روحه المعنوية ، وهناك تناقضات عميقة بين صفوف العدو حتى في أمريكا ذاتها ، كما تقوم التناقضات بين أمريكا وحلفائها مثل بريطانيا ، ومن الناحية السياسية يستطيع أهل لاوس أن يميزوا المعتدين ومحبي

الحرب ، ان تجار الحرب الامريكيين ينكشفون أمام العالم أجمع ، وينعزل الامبرياليون الامريكيون عن شعب لاوس والشعب الامريكى نفسه ، لذلك فقد كان نصرنا نصرا عسكريا ونصرا سياسيا •

زيارة لكلية عسكرية

تضم الكلية كوادر كانوا فى الجبهة، ويستغرق برنامج اعدادهم حوالى تسعة شهور فى الاحوال العادية ، ولكنه يختلف حسب الظروف ، وهناك الكثير من هذه المدارس، وتقوم المدرسة الخاصة الى جانب ذلك باعداد الكوادر التى يمكن أن تقوم بمهمة التدريس فى مدارس أخرى ، وتؤدى المدرسة مهمتين :

- التعليم العام .
- التدريس والتأهيل •

ويقوم الطلبة أنفسهم بتشييد الابنية ، وعلى الجندى أن يقوم بثلاث مهام :

- ان يحارب بكفاءة .
- ان يقوم بتعبئة الجماهير .
- ان يقوم بالمشاركة فى الانتاج .

وهذه أكاديمية عسكرية تختلف عن الاكاديميات الاخرى ، بقدر ما ينقصها من الاجهزة ، وبقدر انخفاض الامكانيات الاقتصادية والثقافية ، ونحن نعمل على أساس الاعتماد على النفس ، ونقوم بدراسة طرق استخدام الاسلحة التقليدية ، ثم ننتقل الى حرب العصابات حتى نصل الى الحرب النظامية واستخدام الاسلحة الحديثة .

- وحدات العصابات •
- القوات المحلية .
- القوات النظامية •

والكوادر التى يتم تأهيلها هنا يصبح بامكانها أن تقوم بتعليم أفراد العصابات وقيادتهم ، كذلك على تلك الكوادر أن تتعلم طرق تكوين القوات المحلية وقيادتها الى جانب الجمع بين المهام الثلاث سابقة الذكر ، وبين استخدام الاسلحة البدائية والاسلحة الحديثة ، والهدف من ذلك أن نقاوم قوة كبيرة ، باستخدام قوة صغيرة مع ضمان النصر ، وان نهاجم بسرعة ثم ننسحب ، وفى حالة الضرب بالقنابل نقوم بالهجوم فى الليل فقط ، ولان الامريكيين يسيطرون على وسائل الانتقال علينا أن نتحرك بسرعة ، وأن نهاجم بسرعة ، ثم نعود أدراجنا ، ولابد أن تكون كوادرنا على دراية تامة بالاسلحة البدائية كذلك ، فبالجمع بين الاسلحة البدائية والاسلحة الحديثة وبين خبرات نشاط وحدات العصابات والنظامية والمحلية سيتحقق النصر ، وأمامنا درس واحد هو أننا اذا كنا أكفاء فى التكنيك العسكرى ،ولكننا لا نمتلك العلم السياسى فنحن ضعفاء ، فنحن نرى أن الاسلحة تكون عنصرا واحدا ولكن الانسان هو العامل الحاسم • ويمكن ان تكون الاسلحة البدائية فى نفس المستوى من الكفاءة التى للاسلحة الحديثة ، اذا كان من يستخدمها مصمما على القتال ، ويستخدم العدو فى معاركه ضدنا الطائرات ، ولذا فنحن فى حاجة الى التمسك بالشجاعة لكسب المعارك ، واذا افتقدنا الشجاعة فلن نستطيع أن نجارى العدو •

ووحدات دفاعنا الجوى حديثة العهد ، بينما طائرات الامريكيين سريعة ، فاذا أعوزت رجالنا الشجاعة فلن يستطيعوا اسقاطها ، ولاستخدام وحداتنا الاسلحة البدائية فهى لا تستطيع مهاجمة قواعد العدو الا اذا تحلوا بالشجاعة ، وتقضى أوامر اللجنة المركزية بتدمير قواعد العدو ومراكز قيادته •

التثقيف السياسى

أول واجب هو معرفة الخط السياسى للجنة المركزية والمهام الملقاة على عاتق ثورتنا والحقائق الخاصة ببلادنا ، وتتميز بلادنا بما يلى :

أ ــ أننا شعب صغير • ب ــ وفى بلادنا تكثر الجبال والغابات • جـ ــ الوضع الاجتماعى والجغرافى •

- وعلينا أن نحيط بخصائص الامبريالية الامريكية ، وبمناطق العمليات العسكرية التى يقوم بها العدو ، وبفهم هذه الاوضاع فقط يصبح فى مقدور كوادرنا أن يتعرفوا مسئولياتهم ، ولابد أن يكون جميع المقاتلين موحدى الفكر وأن تكون أفكارهم فى اتفاق تام مع أفكار اللجنة المركزية •

- تتكون الثقافة السياسية من الجمعيين الوطنية وبين فهم معناها ، فلابد من أن نشرح للمحاربين ونفهمهم أن بلادنا غنية وأن فقرها يرجع الى الاغلال التى تقيده بها الامبريالية العالمية والرجعيون المحليون ، ويقع الواجب الاول فى تحرير البلاد على عاتق الجيش ، وللقيام بهذا الواجب نزرع الحقد والكراهية فى قلوب المقاتلين ضد العدو ونثقفهم بروح الثقة فى القوات المحاربة وفى الجماهير ، ونحن نؤمن أننا لكى نشن القتال ضد الامبرياليين لا مفر من الاعتماد على تأييد الجماهير لنا، ونحن نتول لجنودنا ان الجيش يأتى مع الشعب ، فالشعب هو الذى يقدم الطعام للجيش وهو الذى يقدم له جميع أشكال المساعدة .

ولتحصيل العلم السياسى فى الجيش نهتم بما يلى :

أ ــ **الايديولوجيا** : نحن نرى أن الايديولوجيا من أهم الاشياء فهى الروح المعنوية ، اذ ان الانسان الذى يملك الفكر يستطيع أن يقاتل فـى أقسى الظروف .

ب ــ **التنظيم السياسى فى الجيش** : أى الانتاج والتعبئة الثقافية والجماهيرية ، وتقوم كل منظمة جماهيرية بواجبات منتظمة .

ونحن نعلق اهمية كبرى على التـلاحم بين الموظفين الرسميين والكوادر والمقاتلين من الاقليات المختلفة .

● التثقيف فى روح الاممية : فنبين أن العدو يضطهد شعوبا أخرى كما يضطهد شعبنا ، ونشرح للجماهير أن العدوان الامبريالى الوحشى يمتد على اتساع العالم كله، ونحن نولى إهتماما كبيرا لرفع الروح الوطنية والثورية ، فعلى مقاتلينا أن يميزوا بين أعدائهم وأصدقائهم ،فبدون ذلك يتعرضون للوقوع فى براثن العدو .

وهناك فى القيادة موظفون رسميون فى نفس المستوى يتشاورون فيما بينهم لايجاد وحدة التفكير بين من نقوم بقيادتهم .

الاجابات على الاسئلة

أولا وقبل كل شىء العمل من أجل الشعب : دعهم يفهموا أن عمل الثورة هو عمل الشعب نفسه ، امنحهم روح الكراهية والحقد ، وأثناء التعبئة سينضم الشعب الى الجيش ، دعهم يعرفوا اننا نخوض كفاحا مسلحا وأننا سننتصر فيه بالسلاح فقط ، يجب أن يعرفوا انك عندما تصبح جنديا فأنت تنال شرفا عظيما ، ومن لم ينضموا الى الجيش عليهم ان يساهموا فى الحرب بأية وسيلة اخرى، وفى نفس المستوى نقوم بتعبئة الجماهير : الشباب والنساء والفلاحين ، أولئك الذين سوف يواصلون بدورهم التعبئة ، وليس هناك قانون يفرض على الشعب الانضمام الى الجيش ، ولكن كل ذكر قادر من سن الثمانى عشرة عليه أن يلتحق بالقوات المحاربة ، وعن طريق التعبئة والتثقيف السياسى نضمن النجاح فى تجنيد الجماهير ، ويجب أن نولى الاقليات عناية خاصة ، فهى تحتاج الى عمل ضخم ، **وتســود فى جيشـنا الديموقراطيــة** ، الاقتصادية والسياسية والعسكرية .

وقبل البدء بالهجوم تضع الكوادر خطة يأخذون رأى المقاتلين فيها ، وبعد ادلاء الجميع بآرائهم يصدر القائد أوامره بعد أن يضع فى اعتباره جميع الاقتراحات .

وفى بعض الاحيان يزيد العدو عدد جنوده قبل قيامنا بالهجوم مباشرة ، وقد يقترح أحد المقاتلين أن نسارع بالهجوم لان قوات العدو الاضافية تكون متعبة وغير متأهبة للقتال ، وعلى القائد ان يضع هذه الملاحظة فى اعتباره ، ولكن الكلمة الاخيرة دائما له هو .

وعلى من يكون مسئولا عن المجال الاقتصادى أن يقوم دائما بشرح التطورات التى حدثت ، ما تم استخدامه وما لم يجىء دوره بعد ، ولابد ان يفحص القائد الطعام والملبس ، وأن يوجه الانتاج وأن يشارك الجيش فى الانتاج ، وليس من حق القائد أن يستغل مركزه لصالحه الشخصى ، ولكن على كل القادة فى جميع المستويات أن يشاركوا فى الانتاج وأن يوزعوا المحصول على الجميـع بالتسـاوى .

ومن حق المقاتل أن يثقف نفسه سياسيا وأن يوجه النقد الى من هم أعلى منه ، وتطبق هذه القاعدة داخل الاجهزة العسكرية ، فمثلا يجب أن يتم بعد كل معركة نقد ذاتى لاظهار نقط الضعف ، ويمكن أن يوجه القائد النقد للمقاتلين ، كما يمكن أن يوجه المقاتلون النقد للقائد ، أما خارج هذا النطاق فالنقد غير مسموح به ، فليس من حق المقاتل أن يوجه النقد الى قائده عندما يجد أنه قد ارتكب خطأ ما فى أى مكان ، وبالمثل على القائد أن يحترم المقاتل .

اختيار الضباط ــ الكفاءة القتالية ، ونقـوم باختيارهم من جميع الوحدات وكذلك من بين المقاتلين الذين كانوا بعيدين عن اللجنة المركزية .

ولابد من وضع قواعد تحكم العلاقة بين المقاتلين وأفراد الشعب .

ولا يسمح بأى مساس بممتلكات الشعب فنحن نقوم على خدمة الشعب ولابد أن نحب ونحترم ممتلكاته ، فاذا فهم المقاتلون ذلك فسوف يحترمون هذه القاعدة ، فجيش الشعب يختلف عن الجيش النظامى ، فهو جيش ثورى ويقبل الانضباط بارادته الحرة ، ولكن اذا أعوز المقاتلين الوعى السياسى العالى فلن يستطيعوا تقبل الانضباط .

٢ ــ زيارة الى مدرسة

منذ عام ١٨٩٣ وبلادنا بلاد اقطاعية زراعية ترزح تحت سيطرة الاستعمار الفرنسى ، ولكى يثبت الفرنسيون سيطرتهم الاستعمارية مارسوا سياستهم الاستعمارية وطبقوها فى مجال الثقافة ، تلك السياسة التى كانت سمتها الرئيسية طمس الثقافة القومية ، لقد كانوا يغرسون فى شعبنا تمجيد فرنسا والتخلى عن طريقته فى الحياة ، هكذا كانت سياسة فرنسا تقوم على تخريب ثقافة لاوس ، لقد كانت تمارس الضغط على الطلبة لتحولهم الى موظفين صغار فى خدمة فرنسا ،

وغرست فى الشباب عادات فرنسا وثقافتها ، ولم يتعلم من الشعب فى ظل الحكم الفرنسى سوى عدد قليل ، وأقل منهذا العدد من استطاع الوصول الى التعليم العالى ، وكانت اللغة الفرنسية اللغة الوحيدة التى يتعلمها الشعب ، كما كان شبابنا يدرس تاريخ فرنسا وجغرافيتها ، بينما لا يدرس شيئا تقريبا عن بلده ، وكان ٩٥ فى المائة من الشعب أميين ، ولما أخلى الفرنسيون مكانهم للامريكيين قام هؤلاء بادخال أسلوب حياتهم فى الثقافة ، وهم الان يعمقون الثقافة الامريكية فى المناطق المحتلة وينشرونها ، والشباب هو الضحية الاولى .

اما نحن فننشر فى المناطق المحررة التعليم القومى التقدمى بهدف تعليم الشعب كله ، واعطاء العمال والاقليات المعلومات التى تمكنهم من تطوير الانتاج ، ونقوم بتعليم شباب جميع الاقليات ، وتشجيعه على المشاركة فى المعركة من أجل التحرير الوطنى ، كما نغرس فى الاطفال روح التقدم تحت شعارات العمل من اجل المحافظةعلى صحتهم ، وليكونوا دائما يقظين وعلى أهبة الاستعداد للقتال ، ويتجه التعليم لدينا الى اتخاذ برنامجنا السياسى أساسا للمناهج ، فالتعليم يجب أن يكون فى خدمة سياستنا ومساندة الكفاح ضد الولايات المتحدة من أجل تحرير الوطن ، ولابد أن يتجه التعليم الى الحياة الاجتماعية بكل حسم ، فنحن نجمع بين التعليم ونواحى الانتاج والكفاح ، فالدراسة والعمل هما ما نأخذهما سويا ، ولابد أن يخدم التعليم قطاعات كبيرة من العمال والاقليات وكذلك الجيش وشباب جميع الاقليات ، ويعتمد الشباب على الشعب فى تطوير التعليم أى أن الشعب هو الذى يقوم ببناء المدارس كما يساهم فى تقديم الطعام للمدرسين ، والدروس تلقى باللغة القومية لشعب لاوس .

وهذا هو العام الثالث من اعوام الخطة الثلاثية للجنة المركزية ، وهى فى الحقيقة أول خطة لنا فى مجال التعليم ، فلقد كان ٩٥ فى المائة من الشعب اميين والباقون كانوا جميعا يسكنون المدن ، وينحدرون من طبقات خاصة ، أى انه كان يصعب تحصيل العلم فى القرى ، وبالتالى كان يصعب العثور على مدرسين هناك ، وكان على الشعب أن يوجد وسائل محو الامية ، وطرحنا شعار « **على كل متعلم أن يعلم غير المتعلمين** » بهدف القضاء على الامية ، والان قضى على الامية فى أربعمائة وستين قرية وثلاث وعشرين كوميونة ، ولقد كان يلزمنا عدة قرون للوصول الى هذه النتيجة فى ظل الاستعمار ، والعمل الذى انجزناه فى عامين يفوق ما قام به الفرنسيون فى اكثر من ستين عاما ، وفى مناطق وقرى الاقليات قمنا بتطوير التعليم الى مستوى يجعل البالغين منالجنسين يلمون بالقراءة والكتابة ، وتواظب الكوادر والمقاتلون على حضور الفصول التى تنظمها ، وعلى وجه العموم لدينا كوادر مقاتلة ، وبالنسبة لاولئك الذين لم يتلقوا الا قدرا ضئيلا من العلم ، علينا ان ننهض بمستواهم بتنظيم فصول خاصة لهم ، ولقد تلقى كل كادر تعليما يزيد على ما كان عليه قبل ذلك .

ولقد نظمنا دراسات للشباب بين ١٦ و ٢٥ عاما فى جميع أنحاء المنطقة المحررة ، والنتائج التى تحققت فى عام ١٩٦٩ تشير الى تحسن يتراوح بين ١٠ و٢٣ ٪ ، ولقد قمنا بتطوير التعليم العام بنفس النسبة ، وتبعا للخطة التى وضعناها سيكون لكل كوميونة مدرسة ابتدائية ومدرسة ثانوية ، ولقد زاد عدد طلبة المدارس الابتدائية أربعة آلاف وواحدا وتسعين طالبا بالمقارنة بعام ١٩٦٠ ، كذلك قمنا بتطوير التعليم الثانوى الى نفس المستوى ، لقد زاد عدد المدارس الثانوية فى عام ١٩٦٩ بالمقارنة بعام ١٩٦٠ بمقدار ١٠٥ فى المائة ، ونحن نعتقد أن أفضل طريقة لتحسين مستوى التعليم هى ايجاد المدرسين ، وترتكز خطتنا على تنظيم المدارس القياسية فى جميع المقاطعات ، وحتى الان لدينا مدرسة قياسية للمدرسين ، وهذه المدارس القياسية فى المقاطعات تعد المدرسين للمدارس الابتدائية ، بينما تعد المدرسة القياسية للجنة المركزية المدرسين للمدارس الثانوية ، ولدينا تسع عشرة كلية وكليتان أعلى ، ولقد بذلنا الجهد لطبع الكتب بلغة لاوس ، ولم يكن يوجد خلال الحكم الفرنسى برنامج للتعليم القومى ، وجميع الكتب كانت تأتى من باريس وهانوى وسايجون باللغة الفرنسية .

ويحاط المعلمون علما بجميع وجهات النظر ، وعلىالمعلم أن يقوم بمهمة مزدوجة ، اذ أن عليه أن يكون مقاتلا وأن يساهم فى الانتاج ، وعلى مدرسينا أن يكونوا كوادر سياسية وأن يعرفوا كيف يقومون بالتدريس وكيف يعبئون ويقودون الجماهير ضد العدو وفى مجال الانتاج ، ونحن نطبق فى هذا المجال مبدأ الاعتماد على النفس ، فمثلا كان علينا أن نعتمد على انفسنا فى تشييد المنازل وفى انتاج الطعام والقيام بالاعلام وتكوين المدرسين ،ولقد قام البوذيونالمخلصون بالمساهمة بقسط كبير فى مجال التعليم ، وهناك عنصر جديد فى نظام التعليم لدينا هو تعليم الاقليات ، ولقد اوجدنا طرقا لكتابة لغتين من لغات الاقليات ، ولقد أحرزنا بعض النجاح فى هذا ولكن ما زال أمامنا شوط طويل ، وفى المناطق المجاورة للمناطق المحررة لا نتمكن من تطوير التعليم .

ونقوم بمهمة التعليم أساسا أثناء الليل ، وقبل البدء فى هذه العملية يتحتم علينا أن نخلى الاماكن المكشوفةفاذا قامت الطائرات بالضرب فاننا نتراجع ،

وعندما تبتعد الطائرات نخرج من المخابىء ونستأنف العمل ، وعندما تقترب الطائرات المغيرة يتجه التلاميذ الصغار الى المخابىء ، بينما يشتبك المدرس والتلاميذ الكبار مع العدو ، وحيث تقام المدارس فى منازل عادية ، وفى الليل لابد من الاحتياط لعدمتسرب الضوء الى الخارج ، ولقد بدأ تدريب المدرسين فى عام ١٩٦٥ مع أربعة وثلاثين طالبا (معادلة للدراسة الابتدائية) . والمرحلة الخامسة كان بها اربعة وستون طالبا ، وكان اتجاهنا الى تطبيق برنامج اللجنة المركزية ونحن نجمع بين النظرية والتطبيق ، ولقد طورنا كذلك الاعمال الفنية والرياضية ، كما انشأنا مسبكا للحديد ، وقد وصلنا الان الى مرحلة الاكتفاء الذاتى بالنسبة للمواد المستخدمة فى المدارس وفى الانتاج ، وبالنسبة للطعام نطلب من كل طالب يقيم بمدارسنا أن يحضر سنويا خمسين كيلو جراما من اللحم وخمسة وثمانين من الخضروات ، كما يمكن أن يقوموا بذلك فرادى أو بطريقة جماعية ، وهذا أفضل ، ولدينا فى المدرسة دفاع ذاتى ومجموعات فنية ، وفى بعض الاحيان تنشط كلا المجموعتين فى المناسبات .

زيارة لكميونة

توجد فى هذه الكميونة اربع عشرة قرية و٢٢٤ منزلا يسكنها الفان وخمسمائة وتسعة وعشرون ، بينهم مجموعتان من الاقليات ، ولقد كان للعدو فى كوميونتنا منذ عشرةاعوامموقع حربى ، وكان يشن حملات انتقامية وحشية ضد شعبنا ، ولقد اقترف العدو اثناء احتلالم لبلادنا جرائم كثيرة ، مثل إجبار المواطنين على اقامة ذلك الموقع ، وتقديم الطعام لجنوده ، وفرضوا ضرائب غير مشروعة من النقود أو من الارز أو أى ممتلكات ، وكانت هذه الضرائب تصب فى جيوب الجنود وتؤدى الى زيادة افقار الشعب ، وبالاضافة الى ذلك كان العدو يستخدم الطائرات فى قصف القرى ، والحاق خسائر كبيرة بها ، ولقد احرقوا اربع قرى كاملة وقتلوا ٢٧٠ رأسا من الغنمودمروا خمسا وسبعين صومعة لتخزين الارز ، كما ارغموا الشعب على القيام باطعامهم وفرضوا على الشباب الانضمام الى جيش العملاء .

وفى مواجهة هذه الجرائم قام الشعب ــ بقيادة الحزب ــ بطرد المستعمرين وتحرير الكميونة لاول مرة منذ طرد الاستعمار الفرنسى فى عام ١٩٥٣ ، وبعد مغادرة الفرنسيين البلاد تحررت الكميونة لوقت قصير جاء بعده الامبرياليون الامريكيون ليحتلوها ويرتكبوا جرائم بشعة ضد الشعب ، فأرسلوا قواتهم الحربية والبوليسية المأجورة لاضطهاد الشعب ،كما استخدموا الطائراتلضرب وتدمير حقول الارز والبهائم وجميع المنشآت ، ولقد استثارت تلك الجرائم غضب الشعب ، فقامبقيادة الجبهة الوطنية وحرر الكميونة للمرة الثانية فى عام ١٩٥٩ .

وبعد التحرير ارتفع مستوى المعيشة فى الكميونة ، ومنذ التحرير الثانى حتى الان يمسك الشعب بزمام السلطة ويتمتع بالديموقراطية التى لم يحظ بها من قبل ، ويشارك الشعب فى نواحى الحياة السياسية ، وهو ما لم يكن قائما فى ظل النظام البائد ، ونحن نسيطر على جميع المنظمات فى كل المستويات مثل الحكومة ومجموعة رجال العصابات والميليشيا الشعبية واتحاد النساء واتحاد الفلاحين واتحاد الشباب .. الخ . وجميعها يقوم بنشاط يومى ويعبىء الشعب لحماية الكميونة وتحسين الانتاج .

ويقوم شعبنا ــ بتوجيه من الجبهة الوطنية ــ ببذل الجهود لرفع مستوىالمعيشة وترقية اساليب الزراعة ، ونحن نقوم الان بزراعة الارز مرتين سنويا فى مقابل المحصول الواحد الذى كان قائما فى النظام السابق ، وبالاضافة الى الارز نقوم بزراعة الكاسوف والبطاطس واللفت ..الخ وقد حقق الشعب الاكتفاء الذاتى فيما يتعلق بالطعام ويساهم ايضا مع الدولة فى تقديم الطعام للمقاتلين ، ولقد حفرنا قنوات الرى ونقوم الان باصلاح الطرق ، وبالنسبة للتعليم فجميع سكان الكميونة يعرفون القراءة والكتابة ، وبينما كانت هناك مدرسة اولية واحدة فى النظام القديم لدينا الآن ست مدارس مركزية على رأسها مدرسة لكل قرية يقوم الشعب على ادارتها ، ولدينا جهاز للتعليم الشعبى للبالغين (من بلغوا الخامسة عشرة) الذين لم يذهبوا الى المدرسة ، ولدينا كذلك عيادات فى كل قرية ، كما ان هناك عيادة متنقلة للكميونة ، ومجموعة فنية للكميونة ومجموعة لكل قرية .

زيارة لمستشفى

انشىء المستشفى فى عام ١٩٦٢ ، وقد تم نقله مرتين من مواقع سابقة ، ففى المرة الاولى قام الامريكيون بتدميره تدميرا كاملا وقتلوا وجرحوا عشرات من المرضى من بينهم بعض الاطباء ، كما حطموا الاجهزة والآلات الطبية ، والمكان الذى يشغله المستشفى حاليا ، وهو تحت اشراف اللجنة المركزية ــ نقل الى الكهف فى عام ١٩٦٨ وهو يحوى ١٢٠ سريرا مخصصة لعلاج الجيش وسكان المنطقة ، ولكل مقاطعة ولكل منطقة مستشفاها الخاص بها ، كذلك توجد فى كل قرية عيادة ، ويقوم طبيب ومساعد طبيب وممرضة بالتناوب بالاشراف على مستشفيات وعيادات المقاطعات الريفية ، كما ان هناك وحدات متنقلة في

كل المنطقة المحررة ، وخلال الحكم الفرنسى لم يكن يوجد طبيب واحد ، اما الان فهناك فى المنطقة المحررة اكثر من اثنى عشر طبيبا ومائة مساعد طبيب واكثر من الف ممرضة نوجدهم نحن بأنفسنا ،وتستطيع المرضات — بمواصلةالدراسة — ان يصبحن مساعدات اطباء بعد اكتساببعض الخبرة وكذلك بمقدور مساعدى الاطباء بالخبرة واجتياز امتحان دخول الجامعة — أن يواصلوا دراستهم خلال العمل ليحصلوا فى النهاية على مؤهل الطبيب ، ولقد ضرب هذا المستشفى عدة مرات ولكن دون ان يصاب اصابة فادحة ، وهو يحوى اثنى عشر طبيبا ومساعد طبيب وحوالى ٣٥ ممرضة يعيشون جميعا فى الكهف والاقسام التى يحتوى عليها هى الاقسام الموجودة فى أى مستشفى عادى ، ولو ان هناك نقصا فى الاجهزة والادوية والالات الضرورية .

جرائم الولايات المتحدة

مرت على العدوان الامريكى على بلادنا عدة سنوات ولكننا نرد هذا العدوان يوميا على اعقابه ، وهذا ما جعل الولايات المتحدة تضطر منذ السابع عشر من شهر مايو عام ١٩٦٤ الى استخدام قاذفات القنابل لتعزيز عدوانها ولاقتراف المزيد من الجرائم والطائرات التى تغير علينا تأتى من قواعد فى تايلاند وفيتنام الجنوبية والاسطول السابع ، وبسبب ما يواجه الامريكيين من صعاب اضطروا الى استخدام طائرات ب ٥٢ منذ شهر ابريل عام ١٩٦٦ لتشديد الضرب على المناطق المحررة خاصة فى وسط وجنوب لاوس ، وقد راود الامريكيين وعملاءهمالامل فى انهميستطيعون بتشديد الضرب وقف الكفاح ، ومع استخدام الطائرات المخدلفة يعمل الامبرياليون على اقامة قاعدة حربية فى تايلاند لتشديد الضرب ، ولقد تم اقامة تلك القاعدة فى يونيو عام ١٩٦٨ ، وجاءتاليها طائرات ب ٥٢ لتمارس ضرب لاوس من جزيرة جوام الامريكية التى ازداد منها قصف لاوس .

ولقد بدأت الولايات المتحدة قصف سهل الجرار ثم امتد القصف الى كل المناطق المحررة الى جانب المنطقة المحتلة ، وكانت تستخدم جميع انواع القنابل : **قنابل التدمير ، وقنابل النابالم والفوسفور وقنابل الكور والصواريخ ونيران المدافع عيار ٢ مليمتر وتمادوا فى ذلك الى أن اصبحوا يستخدمون المواد السامة ، كذلك يستخدمون القنابل الزمنية التى تنفجر عندما تقترب منها سيجارة مشتعلة ، والقنابل المغنطيسية التى تنفجر بمجرد اقتراب أى معدن منها** ، ولقد صعد الامريكيون عدوانهم وغاراتهم خاصة بعد أن اصدر نيكسون امره بوقف ضرب فيتنام الشمالية ، ففى اكتوبر ١٩٦٨ مثلا قبل وقف ضرب فيتنام كان عدد الغارات على فيتنام الشمالية ١٢٠٠٠ غارة شهريا وفى لاوس ٤٧٠٠ وفى ديسمبر من العام نفسه بعد وقف غارات فيتنام الشمالية زادوا عدد الغارات على لاوس الى ١٥٠٠٠ غارة شهريا .

وبناء على تقديرات مركز الاعلام الامريكى فى تايلاند تضاعف عدد هجمات امريكا على لاوس فى عام ١٩٦٩ خمس مرات بالنسبة لعام ١٩٦٨،وكان الرقم يرتفع بين حين وآخر الى ٧٥٠٠ غارة يوميا ، وتقوم بهذه الغارات قاذفات القنابل التى تجىء من تايلاند ومن قاعدة نوتابو الخاصة بطائرات ب ٥٢ ، كما يجىء بعضها من قواعد الكورات وادبول واودون وباكون مابوان وتاكيل ودميونج ، فكورات — على سبيل المثال — ليست مجرد قاعدة جوية وانما هى قاعدة للجنود المشاة وقاعدة تموين،وأودون قاعدة امريكية ضخمة تضم المركز الرئيسى للقيادة ٣٣٣ حيث تقوم المخابرات المركزية الامريكية بالاشراف على قيادة القوات الخاصة ، وتاكيل قاعدة تقوم على خدمة القوات الخاصة فى لاوس ، ولا يوجد بها سوى الامريكيين . وبالاضافة الى ذلك هناك طائرات الهليكوبتر من طراز **جولى جرين** التى تستخدم فى انقاذ الطيارين الامريكيين الذين تسقط طائراتهم ، وفى ليلة ١٧ — ١٨ فبراير عام ١٩٧٠ قامت طائرات ب ٥٢ بسبع وعشرين غارة على ثلاث مراحل فى منطقة كانج كاى وبانسون القت فيها ثلاثة آلاف طن من القنابل ، وفى اليوم التالى كرروا الضرب فى جنوب بانبيين بمائة قنبلة زنة ٥٠٠ كيلو جرام وفى أيام ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ فبراير قصفوا منطقة سهل الجرار وما حولها ، ولهذا اعترفت وكالات الانباء الامريكية فى نفس الوقت بأن الامريكيين قاموا بخمسمائة غارة على سهل الجرار بينما قاموا بثمانى عشرة غارة فقط على فيتنام الجنوبية ، ولقد قالت وكالة الانباء الفرنسية يوم ٢١ — ٢ — ١٩٧٠ انه حتى مع مساندة طائرات ب ٥٢ لقوات العملاء فسوف تعانى من خسائر فادحة ، ولقد نشرت رويتر فى ٢٠/٢/٧٠ تصريحا للسناتور سمنجتون قال فيه انه يعتقد انه اذا كان صحيحا ما يقال من ان طائرات ب ٥٢ تقترب من حدود الصين لمسافة ميل واحد فهذا دليل على أن الامريكيين يعترفون باستخدام طائرات ب ٥٢ فى شمال لاوس ، وهذا يبين مدى تصعيد الحرب التدميرية فى لاوس .

ولقد نشرت اب فى ٢٥ — ٢ — ٧٠ من سايجون ان الامريكيين أرسلوا عددا من الطائرات لضرب لاوس لمواجهة نشاط القوات الوطنية ، وقد اوضحت بعض الاوساط ان اكثر من خمسمائة غارة حدثت

على لاوس ، ولن تستطيع الولايات المتحدة وقف تقدم القوات الوطنية باستخدام القوة الجوية ، والعكس هو الصحيح اذ كبدهم شعب لاوس خسائر فادحة .

ومنذ ٦٤/٤/١٧ حتى ٧٠/٢/٣١ اسقطت القوات الوطنية ،واعطبت ١٢٢٧طائرة ، ٥٠٠ منها تم اسقاطها اثناء المعركة التى اطلقوا عليها اسم «رد الشرف» وقد اتسمت غارات هذه المعركة بتاكتيك جديد يعتمد على التركيز على مكان واحد وتدميره تماما ، وهذه هى حرب التدمير التى اعطت عنها اللجنة المركزية وصفا تفصيليا .

ولم يكتف رجعيو تايلاند بالسماح للامريكيين ببناء القواعد فيها وانما سمحوا باشراك قواتهمفى الحرب العدوانية الامريكية ضد بلادنا ، فهناك أولا مشاة تايلاند فى منجسبورى التى قمنا بتدميرها منذ وقت وجيز وتتكون من أربعمائة رجل ، ولكى يساعدوا قوات العملاء فىنشاطها فىسهل الجرار جلبوا عددا كبيرا من مدافع عيار ٥٠٠ و٥٥٠ ملليمترا ،كما انلديهمضباطا وجنودا تتناوبالخدمة بعد كل ثمانية شهور منذ بداية عام ١٩٦٥ ، وتشير تصريحات من أسرناهم الى ان الكولونيل كورش قد قاد المجموعة الخامسة ، كما كان الكولونيل انوت على رأس المجموعة السادسة والكولونيل كارشى قاد المجموعة السابعة والكولونيل جوتى المجموعة الثامنة ، وبعد تحرير منجسورى تشتتت تلك القوات وبعد ذلك قاموا بهجوم المدعو « رد الشرف » فأرسلوا خمسة آلاف جندى وستين فرقة من المتسللين بالاضافة الى الفرق الاتية من تايلاند فى لونج شانج ومونج سن ، ونتيجة للهزائم اليومية التى يواجهها الامريكيون لجأوا الى استخدام قوات تايلاند باعداد متزايدة لكى ينفذوا سياسة محاربة الآسيويين بالآسيويين ، وقد أكدت المصادر المطلعة انه بالرغم من الامدادات الامريكية فقد فشلت سياسة محاربة الآسيويين بالآسيويين فى احراز أى نجاح ..

وبعد تلقى الهزائم الفادحة فى كينالتا وهيزوك، قام الامريكيون بهجومهم الذى اطلقوا عليه اسم «استرداد الشرف» فجلبوا عددا كبيرا من قاذفات القنابل ليدعموا المشاة من خلال الضرب لتمهيد الطريق ، وقد استمروا فى الاغارة ليلا ونهارا ، فكانوا يقومون بألف غارة يوميا ، ثم استخدموا طائرات الهليكوبتر لنقل الجنود الى الاماكن التى تم ضربها وهم لا يكتفون بتدمير المبانى الحكومية وانما يدمرون ايضا المراكز الصحية وبيوت المواطنين وشون القمح ، وبالاضافة الى ذلك قامت القوات العميلة بتدمير كل ما تبقى مستخدمة القوة فى ارغام الفلاحين على التوجه الى المنطقة المحتلة ، والذين لم يستطيعوا الانتقال — وغالبيتهم من الشيوخ والنساء والاطفال قاموا بقتلهموهذا ما حدثيوم ٦٩/٩/٧ فى كميونة بن بجند ، كما استخدموا الغازات السامه فى قرية بن كاو فقتلوا اكثر من عشر عائلات . كذلك قتلوا فى قرية بينحنوى شيخين لم يستطيعا الهرب عندما احرقوا البيوت ، وفى قرية مجاورة لتلك القرية احترقت امراة عمرها ثمانون عاما لم تستطع الهرب ، وفى يوم ١٦ —١٠ —٦٩ عندما دخل العدو الى كميونة هشوات وجدوا امراة وطفلتها المريضة فارغموها على ترك الطفله وركوب طائرة هليكوبتر الى المنطقة المحتلة بعد ان أجبروها على تغطية الطفلة بملاءة .

وما هو اكثر وحشية اغتصاب الفتيات والعرائس الصغيرات والنساء من جميع الاعمار ، ففى حالة تانج هن قتل العدو زوجها وطفليها واغتصبوها ، وفى ولايةمنجيك قامالعدو باغتصاب امرأتين بعد نزع ملابسهما .

ويقوم العدو بتدمير الاسوار التى تحيط بحقول الارز حتى تخربها الحيوانات — كما يقوم بقتل الحيوانات ، وهذه هى وسيلتهم فى تطبيق سياسة التدمير التى تتلخص فيما يلى :

١ — دمروا كل شىء ٢ — اذبحوا كل شىء ٣ — احرقوا كل شىء

وهم يأملون ان يجبروا الشعب بهذه السياسة على السير وراءهم ، وان يتمكنوا من تدمير المنطقة المحررة ، وبالنسبة لافراد الشعب الذين أجلوهم فقد وضعوهمفى قريةتسمى بان فالوحج ، وتركوهم فى العراء دون اى رعاية طبية او طعام مما ادى الى موت الف منهم ، وقد حدثت مجزرة اخرى فى نامان لونج حيث مات أكثر من مائة شخص بوباء الكوليرا ، وقد اطلق العدو على هذه المعسكرات تسمية تضفى عليها بعض المجد وهى « قرى التطوير والتجديد » .

واثناء اقامتنا زرنا بعض المنشآت الاخرى مثل الوحدات المضادة للطائرات التى أمدتنا بتقارير رائعة تبين ملامح ثورة شعب لاوس واقنعتنا بأن الشعب فى لاوس لابد ان ينجح فى هزيمة المعتدين الامريكيين وعملائهم ، ولقد أثر فينا موقف الامير سوفانا فونج والجبهة الوطنيةلجهوداتهم فى ادارة الحوار مع رجعيى فينتيان ، ولقد غادرنا البلاد وكلنا ثقة فى ان قيادة الجبهة الوطنية تحظى بتأييد الشعب كله وأنها ستحقق النصر الاكيد .



■ أصابع أمريكا وراء أسبوع المجازر فى الاردن
■ هزيمة ساحقة لليمين فى سيلان
■ اتجاهات جديدة وصراعات محتدمة فى حلف الاطلنطى
■ « اليسار البروليتارى » وطريق العنف فى فرنسا

■ **الجمهورية العربية المتحدة :**

دورة جديدة للمؤتمر القومى والخطة الثامنة للعمل السياسى بالقاهرة

قررت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى تأجيل انتخابات الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى ، والتى كان مقررا اجراؤها فى ٢٨ يونيو المنقضى ـ لمدة سنتين نظرا للظروف التى يمر بها الوطن · كما قررت اللجنة المركزية دعوة المؤتمر القومى العام للانعقاد فى دورته العادية الرابعة يوم ٢٣ يوليو ·

ووافقت اللجنة المركزية على تشكيل لجنة تحضيرية للاعداد لهذه الدورة ـ برئاسة د ·**لبيب شقير** وعضوية مقررى اللجان الفرعية للجنة المركزية · كما قامت اللجنة الرئيسية للجنة المركزية بتحديد جدول زمنى بمواعيد اجتماعات مؤتمرات المستويات المختلفة للاتحاد الاشتراكى للمشاركة فى الاعداد والتحضير لهذه الدورة ، بحيث يمكنه ان توضع امام المؤتمر القومى فى دورته الرابعة صورة لتصور المستويات المختلفة للموقف .

وسوف تقوم اللجنة المركزية باعداد جدول اعمال المؤتمر القومى ومناقشة التقارير التى ستعدها اللجان الفرعية للجنة المركزية لعرضها على المؤتمر حول ما تم وما لم يتم انجازه من قرارات المؤتمر القومى فى دورته الثالثة التى عقدت فى يوليو ٦٩ ·

ويجىء انعقاد الدورة الرابعة للمؤتمر القومى بعد مرحلة من عمل التنظيم السياسى فى بناء منظمة الدفاع الشعبى واستكمال شبكة الدفاع المدنى فى الوحدات الجماهيرية ذات الثقل الخاص ، وفى الاحياء السكنية من ناحية المتطوعين والتدريب والمعدات ·

وكانت حصيلة التجربة كلها بايجابياتها وسلبياتها ، وكذلك المقترحات التى قدمتها الوحدات الاساسية ولجان الاقسام أمام لجنة محافظة القاهرة ــ وهى تقر الخطة الثامنة للعمل السياسى بالقاهرة والتى تغطى الفترة حتى نهاية اكتوبر القادم · وبذلك تجىء الخطة الثامنة للعمل السياسى بالقاهرة استكمالا وتطويرا لما حققته الخطتان السادسة والسابعة ، اللتان تم وضعهما على ضوء التوجيهات والقرارات التى أصدرها المؤتمر القومى فى دوراته السابقة .

وتحت شعار دعم فاعلية العمل السياسى نحو خدمة المعركة ، ومتطلبات النصر ، وصمود الجبهة الداخلية وحمايتها ، حددت الخطة الثامنة للعمل السياسى بالقاهرة ثلاثة أهداف رئيسية وهى :

أولا ــ الوصول الى أكبر قدر من الجماهير
ثانيا ــ الوفاء باحتياجات المعركة وتحقيق متطلبات النصر

ثــورة يوليــــو
١٨ عــــــــاما

تحتفل البلاد هذا الشهر بالعيـد الثامن عشر لثورة يوليو ١٩٥٢ . ويجرى الاحتفال بالثورة والبلاد لا تزال تخوض معـــركة ضارية فرضهـــا عليها الحلف الامبريالى الامريكى ــ الصهيونى .

ولعل ابرز ما يذكر فى تحية ثورة يوليو، بهذه المناسبة ، هو انها الثورة التى تعرضت لعدوان القوى الامبرياليـــة فى حـــربين متتاليتين : فى ٥٦ ، وفى ٦٧ .

واذا ما فتشنا عن الاسباب التى دفعت الامبرياليين الى ان يهاجمـوا هذه الثـورة بجنون فان الاجابة تكمن فى تمسك والتزام قيادة يوليو ،وعلى رأسها جمال عبدالناصر، بخط النضال العنيد دفاعا عن الاســتقلال والســيادة القوميــة ، ومن أجــل التقدم الاجتماعى .

التزاما بهذا الخط شقت ثورة يوليو طريقها لتكون جزءا لا يتجزأ من الثورة العربية ، من حركة القومية العربية ، ثورة التحـــرر الوطنى المعادية للامبريالية والصهيونيـــة والرجعية .

والتزاما بهذا الخط شقت ثورة يوليـــو الطريق لتصبـــح بلادنا قوة لها وزنهــــا وتأثيرها على الصعيد العــالمى : ويزداد تعاونها مع البلدان الاشتراكية ومع حركات التحــرر وكل القــوى المناضلة من اجــل السلام العالمى .

ثالثا ــ التحرك الايجابى المنظم فى مواجهة وردع عناصر القوى المضادة ، ووضعت الخطة لتنفيذ هذه الأهداف واجبات محددة فى المجالات التنظيمية والتثقيفية والسياسية .

فمن اجل الوصول الى اكبر قدر من الجماهير ، **دعت الخطة الى تنمية وتنشيط الانتساب بأسلوب سياسى للعناصر التى تؤدى دورا ايجابيا فــى مجالات خدمة المعركة** ، ودعت الى ضم القيادات السياسية النشطة فى المنظمــات الجمـــاهيرية المساعدة والجمعيــات والروابط الى اجتماعات المستويات التنظيمية ــ كما دعت الى مد نشاط العمل السياسى الى شوارع الوحدات السكنية وكافة مواقع الاتصال ، وتحقيق المزيد من التعاون والتفاهم مع الاجهزة التنفيذية من أجل حل مشاكل الجماهير والتزام اعضاء التنظيم السياسى بالقدوة الحسنة فى دعم الانتاج ومتطلباته .

ودعت الخطة الى النزول بــالعمل الفكرى والتثقيفى بأكبر قدر من الكثافة الى التجمعات الجماهيرية الثابتة والتلقائية وتنشيط الانـدية السياسية بأقسام الاتحــاد ، وابتكار الاشكال والوسائل الجديدة لتأكيد المعرفة والوضوح الفكرى لدى القطاعات الجماهيرية العريضة .

ودعت الخطة لتحقيق الوصول الى أكبر قدر من الجماهير الى التنسيق مع الاجهزة التنفيـذية لايجاد الحلول لشكاوى الجماهير الخاصة بالمرافق العامة المتصلة بالمجارى والمياه والانارة والنظافة والتموين ، ومن أجل رفع كفــاءة الخــدمة بالمستشفيات والوحدات الصحية ، وايجاد حلول لمشاكل المواصلات متضمنة دراسة الامكانيــات الذاتية لتحسين الصيانة ، واستمرار فصول محو

ولقد واجهت ثورة يوليو فى مسيرتهاالوانا من الصعوبات والتحديات . وهيككل ثورة وطنية تعادى الامبريالية والصهيونيةوترفع شعارات التقدم الاجتماعى لا تزال تواجه مختلف الصعوبات والتحديات .لكنفي مواجهة هذه المشاكل كان قائد الثورة جمال عبد الناصر يرفع شعارات « تجديدالثورة » و « الثورة من داخل الثـــورة » « وضرورة استمرار الثورة » .

من هنا ، وفى هذه المناسبة ، فان خيرشهادة لثورة يوليو هى ان تثبت انهـــا ــ بقواها الذاتية وبالاعتماد على اوســـع الجماهير ــ تستطيع ان تجدد شـبابها وبالدقــة من خـــلال معـــركة العـــدوانالمسلح التى بدأت منذ ثلاث سنوات .

وهنا تتطلع الانظار ــ بصورة طبيعية ــ الى المؤتمر القومى العام الذى سيعقد فى ظل احتفالات يوليو ، ليأخذ على عاتقه انيحدد من خلالدراسته للمعركةآفاق تطورها ومتطلباتها . انالمؤتمر بهذا انما يقومبواجبهنحو ثورة يوليو .

وان شعار « لا صوت يعلو على صوتالمعركة » لا يزال شعار الساعة . ويبقى ان يتركز كل جهد المؤتمر القومى علىتحديد الصياغات العملية لهذا الشـــعار وذلك بالكيفية التى تضمن :

ــ ان يجد كل مواطن دوره فىالمعركة،وبحيث ينمو فى صفوف الجماهير الاقتناع الحقيقى بانها ــ بجهدها وتضحياتهـــا ــ مسئولة عن تحقيق النصر .

ــ ان ينظر الى معركة استمرار الانتاجوزيادته تحت ظروف المعركة كمحـــــور اساسى من محـــاور العمـــل السـياسىوالجماهيرى .

ــ ان تتخذ وان توضع باستمرار موضعالتنفيذ كل الاجراءات الاقتصادية التى تكفل تحقيق شعار « المساواة فى التضحية » بينجميع الطبقات .

بهذا كله ، ومن خلال هذا ، نستطيع انتقول ان الاحتفال بثورة يوليـــو يتم تحت اعلام حماسية ونضالية معا .

« الطليعة »

الامية وفصـول التقوية ودور الحضـانة المركزية ، وتشجيع انشـاء صـناديق الزمـالة والخـدمة الاجتماعية .

كما دعت الخطة الى قيام الاقسام باستكمال حصر وتحديد الجمعيات التعاونية القائمة بمختلف أنواعها ، مع دعمها وتجميع مشـاكلها فى كل قطاع على حدة ، والتحرك لايجاد الحلول المناسبة لها ، وتشجيع بناء الجمعيات التعاونية الجـديدة ، وتدريب عناصر مختارة تدريبا تعاونيا .

الوفاء باحتياجات المعركة

ومن أجـل تحقيق الهـدف الثانى « الوفاء باحتياجات المعركة وتحقيق متطلبات النصر » دعت الخطة الى استمرار تدعيم تشكيلات اللجـان الموسعة والفرعية، بضم أنشط العناصر وأصلحها لخدمة المعركة ، واتمام مسح مهنى لقيادات العمل السياسى ، وتصنيف مهنى وحرفى للعضوية العاملة بالوحدات الاساسية لتنسيق مدى الاستفادة من التخصصات المختلفة لخدمة المعركة .

واكدت الخطة على ضرورة العمل على انطلاق لجان المواطنين من أجل المعركة فى أعمالها المحددة بالتعاون مع لجان التنظيم السياسى ، وتشـجيع التطوع بها للعناصر القيادية الملتزمة .

ودعت الخطة الى ضرورة تعميق المعرفة والوعى المستمر بطبيعة المعركة وظـروفها المتغيـرة والمتصـاعدة ، وواجبـات العمـل السياسى والجماهيرى من خلال نشر وتعميق الثقـافة العسكرية لدى الجماهير ، وممارسة النشـاط الفكرى والتثقيفى داخل لجان المواطنين من أجل المعركة ، وتجمعات الدفاع الشعبى والمدنى ، ومن أجل دعم الانتاج واستمراره فى ظروف المعركة ،

وتنظيم حماس الجماهير ، وترشيدها الى ما يجب بذله تجاه المعركة · ودعت الخطة فى مجال الدفاع المدنى الى ضرورة الانتهاء من تشكيل وتسكين وتسجيل وتدريب الاطقم النهارية فى جميع المواقع ، ومدها بالمعدات اللازمة ، وتجميع كافة الامكانيات الفنية المتاحة داخل كل قسم والتى تحقق أغراض الدفاع المدنى ورفع كفاءة التدريب على الاسعاف ، **خاصية التدريب العملى** ·

ودعت الخطه الى استكمال تعيين مسئول الدفاع الشعبى بأقسام المحافظة ، ووضع خطة تفصيلية تشمل اسلوب انتقاء متطوعى منظمات الدفاع الشعبى ، وأسلوب تسجيل وتقييم المتطوعين ، وبرامج المرور على منظمات الدفاع الشعبى بالاهداف الحيوية ، والتوعية والتثقيف للمتطوعين ، وتدعيم قوات الفصائل الاحتياطية ، ووضع برامج الاستدعاء ، وتنظيم التبرع بالدم فى جميع الاقسام ، والتنسيق مع الاجهزة التنفيذية لوضع الخطط التفصيلية لايواء المواطنين من مكان لاخر داخل المحافظة أو خارجها ، واستمرار العمل على توفير المخابىء والخنادق اللازمة لحماية الجماهير فى حدود الامكانيات المتاحة ، والمشاركة الايجابية فى عمليات الاغاثة والاخلاء والايواء ، وربط المهجرين بالعمل السياسى ، والاشراف على تنفيذ خطط الدفاع المدنى بالمدارس مع ربطها بالمربعات السكنية ·

وقد حملت الخطة التنظيم النسائى قدرا كبيرا من مسئولية اعمال الدفاع المدنى ، فدعت الى تدريب أكبر قدر ممكن من العضوات على الاسعاف والتمريض من خلال خطط الدفاع المدنى بالاقسام ، والتحرك فى مجال رعاية أسر المقاتلين والشهداء ، ورعاية المهجرين ، والتوسع فى تقديم خدمات متنوعة لاسرهم ، وتشجيع تكوين لجان لاصدقاء المرضى . كما دعت الخطة التنظيم النسائى للقيام بالتوعية حول واجبات الدفاع المدنى لربات البيوت ، وتعيين مسئولة عن الدفاع المدنى بكل عمارة أو مجموعة منازل صغيرة ، وكذلك تعبئة المواطنات المناضلات للاسهام فى لجان المواطنين من أجل المعركة ·

وبالنسبة للانتاج دعت الخطة الى ربط لجان الانتاج بالوحدات مع لجان الاقسام ، والتعاون مع الاجهزة التنفيذية فى وحدات الانتاج لتصور الاجراءات الطارئة التى تؤثر على الانتاج والعمل على ايجاد الحلول المناسبة لها ، ودعت الخطة الى نشر اللوحات والبيانات المتعلقة بالخطة الانتاجية فى كل وحدة ، وتحرك التنظيم السياسى للوحدة حول التوعية الجماهيرية بها لتنفيذ متطلبات الخطة الانتاجية ·

مواجهة العناصر المضادة

ومن اجل تحقيق التحرك الايجابى المنظم فى مواجهة وردع عناصر القوى المضادة ـ ركزت الخطة على أهمية كشف وردع محاولات القوى المضادة المستمرة والمتصاعدة من أجل تفتيت الجبهة الداخلية ، والتشكيك فى حتمية النصر ، وعزلنا بالوقيعة عن اقوى واخلص اصدقائنا : **الاتحاد السوفيتى** ، ودعت الخطة الى بذل الجهود من أجل كسب ثقة الجماهير وضمان التفافها حول القيادة ، ورصد القيادات الانهزامية والمضادة والمعوقة على مسرح الجبهة الداخلية ، وحصرها والتصدى لها ·

●

مستوى جديد من حرب الاستنزاف

مع بداية شهر يونيو شهد خط وقف اطلاق النار المصرى الاسرائيلى نشاطا عسكريا تميز من ناحية العدو باستخدام كثيف للقوات الجوية ومن ناحيتنا باستخدام المدفعية بشكل فعال .

وكانت مقدمة هذا النشاط ·· الكمين الذى اعدته وحدة صغيرة من القوات المصرية يوم السبت ٣٠ مايو بعد ان عبرت القناة جنوبى رأس العش ظهرا واشتبكت مع قوة مدرعة للعدو واعقب هذا الكمين كمين ثان فى نفس اليوم ونفس المنطقة ، واشتبكت قوات الكمين مع طابور مدرع كان يتحرك لنجدة القوة الاولى ·

وخسر العدو فى الكمين الاول دبابتين وعربتين مصفحتين وعادت القوة المصرية بأسير كما خسر العدو فى الكمين الثانى عربتين نصف جنزير ، وعادت القوة الثانية بأسير ثان ، وشهد نفس اليوم عدة محاولات قام بها العدو لانقاذ مدرعاته وعرقلة مهمة رجالنا ·· شملت المحاولات اشراك مدفعيته البعيدة المدى من العمق ، ودفع طيرانه الى سماء المعركة ، وواجهت قواتنا غرب القناة محاولات العدو بنيران المدفعية والمدفعية المضادة للطائرات ، واستمرت المعركة ٧ ساعات كاملة ..

ووصل عدد القتلى الاسرائيليين ١٣ جنديا والجرحى ٤ بخلاف الاسيرين طبقا للارقام التى اعلنها المتحدث العسكرى الاسرائيلى ، رغم أن الحقيقة تؤكد ان الخسائر اكبر من هذا الرقم بكثير ومع هذا فان حجم الخسارة بالنسبة لاسرائيل يهدد معنويات الرأى العام الداخلى ومعنويات القوات المنتشرة فى الارض المحتلة ٠

وفى الساعة الثامنة صباح يوم ٣١ مايو كانت طائراتنا القاذفة المقاتلة تعبر قناة السويس لتقصف مواقع العدو فى القطاع الشمالى بين القنطرة والكاب ٠

وانفجر غيظ العدو من الخسائر التى تعرض لها فى عمليات العبور وهجمات الطيران التى اعقبتها ، وتحول انفجاره الى هجمات جوية كثيفة ومركزة على منطقة مساحتها ميل مربع فى مواجهة منطقة رأس العش (الموقع الذى اعتقد العدو ان العبور بدأ منه) ٠

وقد تمت عمليات القوات المصرية السابقة فى اطار استراتيجية حرب الاستنزاف التى تلتزم بها قواتنا المسلحة فى المرحلة الحالية والتى تهدف الى تعريض العدو الى نزيف مستمر نتيجة مواصلة الاحتلال ، حتى يتحول الاحتلال من ورقة ضغط فى يد السلطات الاسرائيلية الى ورقة ضغط ضد السلطات الاسرائيلية ٠ وفى اطار هذه الاستراتيجية فان الجانب المصرى يقبل النتائج التى يمكن ان تترتب على انتهاجه لهذه السياسة ٠

والعدو الذى يدرك ابعاد استراتيجية حرب الاستنزاف يلتزم باتباع سياسة مضادة لها ، ويحاول بسياسته وقف هذه الحرب او على الاقل الحد من نتائجها مع استمرار سياسته التى تهدف الى الضغط على العالم العربى ، وخاصة مصر لقبول اهداف الاستراتيجية الاسرائيلية والقبول بالنتائج السياسية لهزيمة يونية ١٩٦٧ ٠

ونتيجة لعمليات يومى ٣٠ ، ٣١ مايو كان العدو مواجها بموقف يدفعه الى زيادة حجم عملياته العسكرية لاعادة رفع الروح المعنوية فى الداخل ورفع الروح المعنوية لقواته المسلحة المرابطة على امتداد خط وقف اطلاق النار ، وكان مواجها ايضا بموقف يدفعه الى محاولة وقف النشاط العسكرى المصرى لوقف النزيف البشرى والمادى الذى يتعرض له ٠٠

واختارت القيادة الاسرائيلية استخدام القوات الجوية فى عملياتها العسكرية ٠٠

والقوات الجوية الاسرائيلية تمثل الان سلاحا تملك اسرائيل شبه تفوق لا ينكره احد نتيجة الدعم الامريكى المستمر المتمثل فى صفقات طائرات الفانتوم والسكاى هوك بالاضافة الى المتطوعين الامريكيين من الطيارين والفنيين ٠

واختارت القيادة الاسرائيلية ايضا الانتقام من عمليتى العبور الناجحتين بعمليات مشابهة ٠٠ وفى اطار العمليات العسكرية الجوية امتدت غارات العدو لتشمل كل قطاعات الجبهة ومناطق ساحل خليج السويس ٠

وفى الايام الاولى كان طابع الغارات الجوية الاسرائيلية الانتقام لعمليتى العبور ، واستمرت الطائرات الاسرائيلية تقصف المواقع المصرية فى القطاع الشمالى ٠٠ وفى الايام التالية كانت الغارات فوق كل الجبهة تقريبا ٠٠ واستخدم العدو اكبر عدد من الطائرات فى هذه الغارات ٠٠ ووصل عدد الطلعات فى بعض الاحيان الى ١٨٠ طلعة فى اليوم الواحد ٠٠

وكانت هذه الغارات فى بعض الاحيان تستمر لساعات تصل الى الخمس ساعات ٠٠ واحيانا طوال اليوم ٠

هذا النشاط الجوى الاسرائيلى واجهته القيادة المصرية بأسلوب حقق الكثير من النجاح ، وكان هدف القيادة المصرية أن تنتهى هذه الغارات دون أن تحقق أهدافها كاملة ، واعتمدت القيادة على التدريب الجيد للافراد لتمويه المواقع والاسلحة والمعدات واخفائها اخفاء جيدا والالتزام بالاختفاء التام فى الدشم والتحصينات داخل المواقع لكل من ليس له واجب أثناء الغارة ٠

وكان هذا أهم العوامل فى قلة الخسائر الذى حققتها الغارات الاسرائيلية ، والتى لاتتناسب مع الخسارة التى تتعرض لها اسرائيل من ناحية تكاليف هذه الغارات ٠

ومزجت القيادة المصرية بين استخدام وسائل الدفاع الجوى والمقاتلات الاعتراضية فى صد طائرات العدو المغيرة ، بما يخدم تحقيق عنصر المفاجأة ٠

ومساء يوم ١١ يونية كان الموعد الذى حددته القيادة الاسرائيلية لعبور قواتها قناة السويس فى القطاع الشمالى ، نفس المنطقة التى عبرت منها قواتنا انتقاما وثأرا ٠٠ واستعدت المجموعة الاولى وكانت تضم ما يقرب من ١٠٠ فرد للعبور شمال الكاب ، وقبل أن تتم كانت المدفعية المصرية تحصد أفراد العدو ٠

وعندما بدأت محاولة العبور الثانية كان العدو يرى فى فشل المحاولة الاولى دافعا للنجاح فى المحاوله الثانية على افتراض أن رجالنا فى المنطقة التى واجهت المحاولة الاولى لن يتوقعوا آية

محاولات أخرى فى نفس الليلة • وفى حماية نيران المدفعية المتبادلة بدأت المجموعة الثانية تنزل الى مياه القناة •• فى هذه المرة كان أسلوب المواجهة مختلفا تماما عن أسلوب مواجهة المجموعة الاولى •

وكما اكتشف الرجال المحاولة الاولى اكتشفوا المحاولة الثانية ، وابلغوا القيادة بالمحاولة ، واستمرت الاتصالات بين الرجال وقيادتهم طوال عمليات الاستعداد •• والانزال •• والاقتراب ، ٢٠٠ متر — ١٥٠ مترا — ١٠٠ متر — ٥٠ مترا وطوال هذه اللحظات التى يصعب وصف مشاعر الرجال فيها ، كانت القيادة مسيطرة تماما على الافراد والنيران •• كانت هناك أوامر مشددة بعدم فتح النيران الا بعد تلقى الامر بذلك •• وعندما دخلت الموجة الاولى فى مرمى نيران الرجال المؤثر والفعال صدر الامر الذى انتظروه •• وانفتحت أبواب الجحيم •• أكبر معدل للنيران وكل الاسلحة •

كانت المفاجأة كاملة ، وكانت هناك مفاجأة أخرى ، عندما بدأت النيران تحصد محاولة العبور الثانية بدأت المدفعية تصب نيرانها على باقى الموجات المنتظرة على الشاطىءالاخرللقناة، والتى كانت فى طريقها الى الضفة الغربية •

وحاول العدو انقاذ رجاله فدفع ٧٠ طائرة فى سماء المنطقة تصب قذائفها على مواقع الرجال الذين صدوا محاولتى العبور ، فتدخلت مقاتلاتنا الاعتراضية •

وفى الوقت الذى حاول العدو فيه أن يعيد ثقة رجاله بأنفسهم وبقدرتهم على العبور ومهاجمة القوات المصرية بنفس الاسلوب الذى تمت به عمليات العبور المصرية فشلت محاولاته وخسر ١٩ فردا بين قتيل وجريح •

ولم يكن النشاط العسكرى طوال شهر يونية نشاطا من جانب واحد .. كانت المدفعية المصرية تقوم بواجبها فى قصف مواقع العدو فى الارض المحتلة وقصف قولاته المتحركة على الطرق مستغلة كفاءتها وقدراتها وامكانياتها •

وكما شهدت قناة السويس الطائرات الاسرائيلية وهى تتجه غربا لقصف مواقعنا ، شهدت طائراتنا وهى تتجه شرقا لقصف مواقع العدو •

واذا كانت اسرائيل نتيجة للدعم الامريكى المستمر تملك امكانية استخدام مثل هذا العدد من الطائرات فى غاراتها فوق المواقع المصرية ، وتملك امكانية القاء مثل هذا العدد من القنابل يوميا ، وتملك امكانية تحمل مثل هذه الاعباء المادية التى تصل فى بعض الاحيان الى مليون جنيه استرلينى يوميا ، فالسؤال •• الى متى تستطيع اسرائيل الاستمرار فى تحمل هذا النزيف المادى والنزيف البشرى المستمر ؟

●

■ **فلسطين**

روح العرقوب تحكم المجلس الوطنى السابع

بعد اقل من عشرين يوما على معركة العرقوب ، عقد المجلس الوطنى الفلسطينى دورته السابعة فى القاهرة (فى المدة من ٣٠/٥ — ٤/٦) ، لذا لم يكن غريبا ان تنطبع مناقشات المجلس بالانفعال والتوتر ، ذلك أن معركة العرقوب الضارية كشفت عن بعض السلبيات التى تعانى منها حركة المقاومة الفلسطينية والاخطار المحدقة بها ، بشكل لم تكشفه أية معركة سابقة ، وجرى الحديث علنا عن هذه السلبيات فى ردهات المجلس وكواليسه •

وكانت الصحف قد نشرت أن جميع منظمات المقاومة قد حضرت جلسات المجلس ، ولم تشر الى غياب قوات الانصار •

وشاركت **الجبهة الشعبية** بمندوب واحد ، على الرغم من انه كان قد خصص لها ثمانية مقاعد ، وحمل مندوب الجبهة الى المجلس سبع مذكرات ، طالبت فيها بضرورة « ايجاد صيغة أرقى للوحدة الوطنية » ، وبتضييق عدد موظفى **منظمة التحرير** « والغاء الفوارق والامتيازات بينهم » و « تحويل **جيش التحرير** الى مجموعات فدائيين » ووضع حد « لتضارب البيانات حول عمليات الداخل » ، ورفع مستوى تنظيم الجماهير والنقابات ، وتشكيل قيادة عسكرية مشتركة • وقد وافق مندوب الجبهة على تأخير مؤتمره الصحفى لما بعد انتهاء جلسات المجلس ، وذلك بناء على طلب **ياسر عرفات** •

أما **الجبهة الديمقراطية** ، فقد اكتفت هذه المرة بمذكرة واحدة أشارت فيها الى **حملات التطويق والابادة** لاضعاف المقاومة وتمزيقها ، والى النداءات المتكررة (**لفتح باب الحوار مع امريكا**) ، فى حين تعمد أمريكا الى انتهاج خطة لانتزاع الاعتراف باسرائيل والحاق أراض بها ، وترى « الديمقراطية » « أن الحرب التى تخوضها الرجعية الاردنية واللبنانية ضد المقاومة هى **المسألة الراهنة الاكثر خطورة** ، وأن هذا العام هو عام التصفية ». وطالبت الجبهة الديمقراطية فى

مذكرتها بضرورة « الوصول الى برنامج وطنى مشترك » .

وقدمت لجنة المتابعة الجماهيرية ، وهى تجمع للمستقلين خارج المجلس ، مذكرة الى المجلس طالبت فيها « بتغليب نسبة الكفاءات الفلسطينية المستقلة فى المجلس الوطنى ــ ووضع خطة عمل سياسية وعسكرية وأعلامية ومالية ــ واستكمال اسس اتفاق السادس من مايو ــ وتمويل واحد للعمل الفلسطينى ــ وتطوير جيش التحرير ــ وتصعيد الثورة ، ونقلها الى داخل وطننا المحتل ، وتأمين احتياجات جماهير شعبنا فى الوطن المحتل ــ واستقلالية العمل الفلسطينى » .

ومن الجديد الذى تميز به المجلس : **مذكرات الإفراد المستقلين** ... حيث تقدم كل من **يوسف الخطيب وعبد الرحمن أبو جبارة** بمذكرات ، طالب الاول فى مذكرته بتشكيل المجلس الوطنى بالانتخاب ... وفيها أشار الى أن المستقل الفلسطينى ينتمى مباشرة الى مبدأ الوحدة الوطنية

تعليق

التوربين الثانى عشر يدور

مع ذكرى العيد الثامن عشر لثورة ٢٣ يوليو يحتفل بتركيب التوربين الثانى عشر والاخير فى مشروع السد العالى احد الانجازات التاريخية الضخمة لثورة ٢٣ يوليو ، وهذا يعنى ان الحلم الكبير الذى كان يتطلع اليه الشعب المصرى منذ عشر سنوات ، قد اصبح الان حقيقة واقعة .

ان قيمة هذا العمل التاريخى تتمثل فى الاثار والنتائج البالغة الاهمية على حياة الشعب المصرى ، ســواء من الناحية الاقتصادية او السياسية او الاجتماعية او الثقافية ، وانه يكفى فى هذا المجال الاشارة الى النــواحى التالية :

● برهن هذا العمل على الطاقة الهائلة لدى جماهير الشعب المصرى من العمال والفــلاحين والمثقفين ، وتصميمها على انتهاج طريق العمل الخلاق وبناء حياة جديدة ، وتدعيم سيادتها السياسية والاقتصــادية ، وسعيها فى سبيل التقدم رغم العقبات التى يضعها الاستعمار والامبريالية فى طريقها .

● انه يعنى المــزيد من الطاقة والمصانع والارض الزراعية الجــديدة وزيادة الانتاج والتجــارة ، كما يعنى ايضا المزيد من فرص العمل للملايين من العمال والفلاحين والمثقفين ، وبناء الاسر الجديدة ، وتحقيق المــزيد من الخدمات للشعب . ولابد من التنــويه هنا بانه فى مدرسة السد العالى تخرج الالاف من الفنيين العرب والعمال المهرة الذين تستفيد بهم بلادنا والامة العربية فى مجالات شتى من مجالات الانشــاء والتعمير .

● انه يكشف عن جوهر وطبيعــة العلاقة بين النظام الاشتراكى العالمى وعلى رأسه الاتحاد الســوفيتى وبين حركة التحرر الوطنى ، واهمية وضرورة هــذه العلاقــة القائمــة على الاحترام المتبادل وعدم التدخل فى الشـــئون الداخلية بالنسبة للدفاع عن الســلام والحرية والاستقلال ، وبالنسبة لمساعدة البلدان النامية على النهوض ومساندتها فى النضال ضد الاستعمار والامبريالية وتطوير اقتصادها لمصلحة شعوبها .

ونحن نذكر اليوم معارضة جــون فوستر دلاس وزير خارجيــة الولايات المتحدة لفكرة مشروع السد العالى ، بحجة انه مشروع « غير اقتصادى » بالنسبة لمصر ، ولكنه فى الواقع كان غير اقتصادى بالنسبة للمصـــالح الاســتعمارية ذاتها ، ولقد كان من الطبيعى ان تتصدى القوى الاستعمارية وقوى الثورة المضادة فى الداخــل لمعارضة هذا المشروع ، وان يثيــروا الشكوك حول « فائدته مرة » ، وحول « كثرة عدد الخبراء » السوفييت الذين اشتركوا فى بنائه مرة اخرى ، ولكن وقائع الحياة قضت على كل تضليل ،

وكما اوضح الرئيس جمال عبد الناصر فى تفنيد حجج الاعداء : لقد قام السد ويتولاه الان خبراء وعمال من ابنــاء البلاد . واذا كان الخبراء السوفييت قد تركوا شيئا فهو ثمرة الجهد المشترك والصداقة لشعب لا ينكر الجميل .

ولقد كان السد العالى فاتحة عهــد للتعاون المثمر والمتــد بين الشــعبين المصرى والسوفيتى . هذا التعاون الذى يتمثل فى عشرات المشروعات الصناعية والزراعية وفى مقدمتها مجمع الحديد والصلب لارساء قاعدة الصناعة الثقيلة ، والمعونات الفنية والتكنيكية ، وفى تقديم الاسلحة والمعدات العسكرية الحديثــة التى يستخدمها الشعب دفاعا عن حريته واستقلاله .

والان وبعد ان اصبح السد العالى حقيقة واقعة ، بعد فشل كل المؤامرات الاستعمارية والرجعيــــة ، والضغط الاقتصادى والحرب النفسية والعدوان المسلح فى عام ١٩٥٦ ــ ١٩٦٧ ، نجد ان المؤامرات الاستعمارية الرجعيــة مازالت تبذل لتشويه وتخريب الصداقة والتعــاون بين الشــعبين المصرى والسوفيتى ، لكن مثل هذه المحاولات ستفشل كما فشلت من قبل بفضــل يقظة القادة فى البلدين ، وبفضــل اصرار الشــعبين على المضى فى طريق التعاون المثمر والبناء ، ومن المؤكــد ان الشعب المصرى يستطيع بوعيــه وتجربته ان يفرق دائما بين الاصدقاء الذين يمنحونه مساعداتهم وتأييــدهم الايجابى ، وبين الاعداء الذين يدمرون مصانعه ويقتلون اطفاله ، ويعملون على عرقلة مسيرته التحررية وتصفية مكاسبه الثورية .

وفى هذه المناسبة ، فان الســد العالى الذى بذل كل هذا العناء والجهد فى سبيله ، لابد وان يثير قضية استثمار الطاقة الكهربائية ، وكمية الميــاه ، والارض الجديدة . وهذا يستلزم ولا شك بذل المزيد من الدراسة والبحث عن افضل اسلوب للانتفاع بكل واط من الكهرباء ، ولكل متر مكعب من المياه ولكل فدان من الارض ، وذلك بما يخدم اغراض التنمية ويحقق المـــزيد من التحولات الاجتماعية المدعوة الى تغيير وجه الريف ووضعه على اعتاب النصف الثانى من القرن العشرين .

وديع أمين

الشاملة ، « لهذا يجب أن يشكل المستقلون أكثرية أى مجلس وطنى مقبل » أما عبد الرحمن أبو جبارة فقد طالب فى مذكرته بقيام جبهة وطنية ثورية على أساس برنامج سياسى وتنظيمى .

وأثناء مناقشات المجلس تقدمت (**فتح**) بمشروع للوحدة العسكرية اقره المجلس بعد ادخال بعض التعديلات عليه ، ويقضى المشروع بتشكيل قيادة عسكرية واحدة ، من **مجلس عسكرى** يضم أعلى القيادات العسكرية فى المنظمات ، **وهيئة** أركان منبثقة عن هذا المجلس ، ونظام واحد للتدريب والتسليح والتموين والخدمات وانشاء قوات مشتركة يتولى **الصندوق القومى الصرف عليها** .

أما التغييرات التى طرأت على اللجنة التنفيذية ، فكانت استقالة **يوسف البرجى** من عضويتها ليتفرغ للصاعقة ، وقد حل **ابراهيم البرغوثى** محله ، وشغل **الدكتور زهير العلمى** (فتح) المكان الذى كان يشغله المرحوم **خالد يشرطى** .

وقد نجح المجلس فى افشال محاولات نسف اتفاق السادس من مايو ... فقد طلب بعض الاعضاء مناقشة البيان بندا بندا ، الا ان المجلس لم يوافق . فعادوا وطالبوا بتحويله الى لجنة لمناقشته بالتفصيل ، هادفين الى تجميده واماتته ، الا أن المجلس أقر البيان كاملا ، ثم أجرى تعديلا فى بعض بنوده .

وجرت فى المجلس بعض الوقائع ، منها ما حدث عندما طالب مندوب اتحاد الطلبة بضرورة تمثيل الطلبة فى اللجنة المركزية ، وأيده فى ذلك **فاروق القدومى** (فتح) ، فى حين عارض ابو ماهر (الشعبية) **وابو اياد** (فتح) بشدة هذا الاقتراح وتبعتهما أغلبية المجلس ، وفى اليوم التالى نشر **اتحاد المرأة ، واتحاد العمال ، واتحاد الطلبة** ، بيانا طالبوا فيه بضرورة اعادة النظر فى تمثيل الاتحادات فى اللجنة المركزية ، وهددت الاتحادات **باعادة تحديد** موقفها من المجلس الوطنى .

ويكفى هذا المجلس أنه كرس بيان السادس من مايو (أيار) ، وحقق خطوة على طريق **وحدة المصلحة الفلسطينية الاردنية** ، وان كان لم يضف جديدا فى اتجاه تطوير واغناء شعار الدولة الديمقراطية !

ويرى المراقبون أنه على الرغم من أن الشعوب العربية تنظر بأمل وارتياح الى كل خطوة يخطوها ثوار فلسطين على طريق الوحدة ، الا أن أحداث الاردن الدامية تؤكد هذه الحقيقة ، وهى ان نسف نتائج المجلس الوطنى السابع ، واجهاض محاولات بناء الجبهة الشرقية ، واغتيال حركة المقاومة ، هى **الاهداف الرئيسية** للمذابح التى نظمت فى الاردن فى أعقاب ارفضاض المجلس مباشرة ، هذه المذابح التى يمكن ان تفهم ، عندما تربط بالغارات الجوية المتتابعة على الجبهة المصرية ، والهجمات الاسرائيلية المتوالية على جنوب لبنان ، وبالحلول والمشاريع الاستسلامية المطروحة .

■ ■

■ **الصراع العربى الاسرائيلى**

أمريــكا وراء التسلح والعدوان والتآمر الداخلى

فى طرابلس ، وخلال الاحتفالات بالجلاء عن القاعدة الامريكية فى ليبيا ، التقى الرؤساء والملوك والمسئولون من كل البلدان العربية ليشهدوا الانتصار الذى حققه الشعب الليبى على الاستعمار ، وكانت فرصة تبادل فيها الجميع وجهات النظر ، وتداولوا فيما يجب أن يتخذ على وجه السرعة لمواجهة المخطط الامريكى الصهيونى الذى يرمى الى تحطيم وحدة الصف العربى ، واستخدام كافة وسائل الضغط والابتزاز بهدف فرض المخطط الاستعمارى على شعوبنا .

ولقد شهد الشهر الماضى نشاطا متزايدا فى جبهة القناة ، وشكلت الغارات الواسعة النطاق التى شنتها القوات العربية على المواقع الاسرائيلية فى سيناء ، وزيادة فعالية الدفاع الجوى ، تطورات على جانب كبير من الاهمية ، وكتب ك . **تالر** مراسل **اليونايتدبرس** فى تقرير عن الشرق الاوسط يقول : « ان أحدث تقييم للدوائر العسكرية الغربية المسئولة يفيد بأن ميزان القوة العسكرية يتحول حاليا ضد اسرائيل ، وقد أيدت ذلك التقارير التى وصلت الى حلف شمال الاطلنطى فى اجتماعه الاخير » . وقد بدأت حالة من القلق تسود الدوائر العسكرية فى اسرائيل ، ومما زاد هذا القلق اعتقاد تلك الدوائر بأنها اذا ما فشلت فى منع المصريين من تدعيم نظامهم الدفاعى الجوى على طول القناة ، فان الدوريات الجوية الاسرائيلية ستصبح فى متناول وسائل الدفاع المصرية ، ونتيجة لذلك قررت القيادة العسكرية الاسرائيلية تكثيف غاراتها على القوات المصرية على طول الجبهة ، واعلن **بارليف** « أن تكتيك الجيش الاسرائيلى نحو مصر يعتمد الان على القيام بعمليات عسكرية مستمرة ، وأن الهدف من وراء هذا التكتيك هو اجبار المصريين

على وقف اطلاق النار ، ومنع مصر من شن حرب شاملة تعبر فيها القناة » .

وازاء القلق الذى بدأت تشعر به اسرائيل من تزايد القدرات القتالية للعرب ، أعلن أبا ايبان أنه على يقين من أن الولايات المتحدة ستعلن فى أقرب وقت عن قرارها بتزويد اسرائيل بالطائرات التى طلبتها ، وأن الرئيس نيكسون أوضح له خلال لقائهما الاخير ، انه اذا ماتغير ميزان القوى العسكرية بين العرب واسرائيل فان أمريكا ستتدخل لحفظ هذا التوازن ، وسرعان ما صرح **روجرز** وزير الخارجية الامريكية « بأن الولايات المتحدة تؤكد الان أنها ستعمل بكل ما أوتيت من قوة لضمان بقاء اسرائيل وسلامة أمنها ، وأنها لهذا السبب ستزودها بما طلبته من طائرات للمحافظة على تفوقها العسكرى فى المنطقة » . وأشارت رويتر الى ان الرئيس نيكسون على وشك اعلان موافقته على تزويد اسرائيل بما طلبته من طائرات ، وفى نفس الوقت تحاول الحكومة الامريكية التغطية على اعلان تسليم الطائرات لاسرائيل بالترويج لما تسميه بمبادرة جديدة من أجل السلام ، وأطلقت الشائعات حول زيارة روجرز للقاهرة لمهمة تتعلق بأزمة الشرق الاوسط ، وتشير الدوائر السياسية المطلعة الى أن هذه المناورات تهدف الى التخفيف من رد الفعل العربى لقرار الولايات المتحدة بمساندة اسرائيل عسكريا وتزويدها بالسلاح .

وحذر الاتحاد السوفيتى الولايات المتحدة من الانزلاق الى هذا الموقع الخطر ، وأشارت تاس فى بيانها الى « أن أمريكا ليست الدولة الوحيدة التى يعتمد عليها ميزان القوى العسكرية فى الشرق الاوسط ، وأن الاتحاد السوفيتى سيواصل دعمه للعرب بأحدث الاسلحة والعتاد من أجل القضاء على العدوان » .

وفى نفس الوقت تجرى اتصالات واسعة بين العواصم العربية لاتخاذ موقف موحد ازاء اصرار أمريكا على التمادى فى سياسة تسليح اسرائيل ، وقد ابلغت الحكومات العربية تحذيرا الى الولايات المتحدة بأن عليها ان تفكر فى العواقب الوخيمة التى قد تترتب على اتخاذ هذه الخطوة الى جانب اسرائيل .

وعلى أثر اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى فى القاهرة ، تفجرت الازمة فى الاردن وترتب على الصدامات الدامية خسائر فادحة قدرت بنحو ١٠٠٠ قتيل وجريح ، وقد أثبتت الاحداث أن مأساة الاردن هى جزء من مخطط التآمر الضالعة فيه الامبريالية الامريكية ، وحاولت الاخيرة استغلال الازمة لتبرير تدخلها العسكرى بحجة حماية ارواح رعاياها ، وصدرت الاوامر بالفعل الى الفرقة ٨٢ لجنود المظلات بأن تكون على أهبة الاستعداد ، وصرح **ياسر عرفات** ازاء هذا التهديد بأنه اذا تدخلت أمريكا عسكريا فان الشرق الاوسط سيتحول الى فيتنام أخرى .

وهكذا تتضافر جهود التحالف الامبريالى الرجعى لتصفية حركات المقاومة بالعدوان الخارجي والتآمر الداخلى .

■ ■

■ **ليبيا**

٣ مبادىء سادت الاجتماعات

تابع الرأى العام العربى باهتمام ملحوظ ، الاجتماعات التى عقدها الرؤساء العرب فى طرابلس ، خلال حضورهم احتفالات شعب ليبيا بجلاء القوات الامريكية عن قاعدة هويلس .

وحضر هذه الاحتفالات كل من الرؤساء جمال عبد الناصر ونور الدين الاتاسى واحمد حسن البكر والملك حسين وشارل حلو وعبدالرحمن الايريانى ، ورؤساء وفود كل من تونس والسودان والمغرب والجزائر والكويت واليمن الشعبية الجنوبية وأبى ظبى ومنظمة تحرير فلسطين .

وقد ركز الرئيس العقيد معمر **القذافى** فى خطابه ، على اهمية جلاء القوات الاجنبية عن أراضى ليبيا وحدد بها مرحلة التحرر السياسى كمقدمة لمرحلة « التحرر الاجتماعى والاقتصادى » التى ركز فيها بشكل خاص على أهمية « العمل والانتاج » فى اطار حديثه عن « الاشتراكية الاسلامية » .

وحرص الرئيس **جمال عبد الناصر** فى خطابه على التركيز على أهمية أن تتخطى المعركة حدودها الاقليمية الى حدودها القومية الطبيعية ، وأوضح ان الشعوب العربية تعرف أصدقاءها من أعدائها ، وتعرف كيف ان التعامل مع أى منهما يختلف باختلاف موقفه من القضية العربية ، وأوضح الرئيس موقف الاتحاد السوفيتى المدعم للقوة العربية العسكرية والمادية دون أى شرط ، وبلا

حدود ، ثم أكد الرئيس أن شعب الجمهورية العربية المتحدة لن يوقف اطلاق النار طالما أن آثار العدوان لم تصف بعد ، وفضح الرئيس دور أمريكا المعادى للأمة العربية

وبعد ان عقد الرؤساء العرب عدة اجتماعات جماعية وثنائية استغرقت ١٥ ساعة ، وافقوا علـى « **خطة العمل المشترك للدول السبع** » (**مصر ــ العراق ــ سوريا ــ الاردن ــ ليبيا ــ السودان ــ الجزائر**) • وتولى تقديم مشروع الخطة التى تعد بمثابة « الاستراتيجية السياسية للعمل العربى ، العقيد معمر القذافى ، وكان من بين ما تمت مناقشته من اقتراحات : ١ ــ مشروع الثورة الليبية • ٢ ــ مشروع عراقى من حوالى عشر نقط ٣ ــ اقتراحات وآراء من الوفد الجزائرى ، وتم الاتفاق بعد المناقشات على ان تضع اللجنة الفرعية المنبثقة عن اجتماعات الرؤساء مشروعا يتضمن محصلة البحث ، وقد تم اقراره •

وتقول المصادر المطلعة ان المبادىء التى سادت اجتماعات الرؤساء هى ، **أولا** : ان القتال هو الحل لتحرير الارض العربية المحتلة ، **ثانيا** : اجماع على أن أمريكا ملتزمة بموقف دعم اسرائيل واستمرار تفوقها وان مشروعاتها « من أجل السلام » لا تخرج عن صيغ سياسية تحقق مطامع اسرائيل ، **ثالثا** : اجماع على ان هناك قصورا عربيا فى التحرك الى مستوى المعركة التى تحتاج الى حشد الطاقات العربية واعلان الالتزام بواجبات المعركة التزاما ايجابيا •

ويتوقع المراقبون ان يشهد الوطن العربى فى

تعليق

« عسكرة » الانتاج لم تعد الحل السحرى

للتدليل على ضخامة موارد الولايات المتحدة وعظم ثرائها . كانوا يقولون لنا ان اعمدة التلغراف ، سواء صنعت من الخشب او حتى من الحديد ، تورق وتثمر بمجرد غرسها فى التربة الامريكية وتطرح ثمرا وفاكهة واعنابا يزهد فيها الناس هناك لكثرتها ووفرتها ، ولبيان مدى ازدهار الاعمال هناك وتساقط الارباح على رؤوس المارة فى الشوارع كانوا يقولون لنا ان جميـع اوراق اليانصيب فى الولايات المتحدة تربح جوائز ، وليست ورقة واحدة اوبضع ورقات كما يحدث عندنا ، والحق ان ذلك كان يبهرنا فعلا .

فما الذى أصاب « جنـة عدن الشمالية » ، وكيف تهاوى أسعار البورصة فى « الارض التى تفيض لبنا وعسلا » وأرباحا للاسهم ، لتسجل اكبر انخفاض عرفته البلاد منذ ١٩٢٩ ولترتفع نسبة البطالة الى ٤ر٨ فى المائة وكيف تفشل كل الوسـائل « العصرية » فى التخلص نهائيا مـن الازمة الاقتصادية للرأسمالية ، والتى نجحت بالفعل فى تأجيلها وتحقيق ازدهار طويل نسبيا ، أعطى الفرصة للمدافعين عن الرأسمالية لمهاجمة فكرة الازمات الدورية لفيض الانتاج ، الناجمة عـن قصـور الطلب الفعال عن ملاحقته ، وجعل بعضا من الاشتراكيين فى اوربا يطنب كثيرا فى الحديث عن « الظواهر الجديدة » فى المجتمع الرأسمالى ، حتى كدنا ان نصدقهم .

لقد اثبتت التجربة التاريخية فعلا ، ان الرأسمالية فى كل تصرفاتها تحفـر قبرها بيدها ، وآخر الدلائل على ذلك هو ان عسكرة الاقتصاد ، والتى قصد بها توفير طلب مستمر على منتجـات الصناعة الامريكية بعـد تحويلها الى الانتاج الحربى بما يضمن مستوى مرتفعا من التشغيل المستمر والارباح العالية قد بدأت تؤتى نتائجها السلبية ، واتضح انها بدورها حل مؤقت ومسكن لا يغنى عن الحلول الاصيلة لمشاكل الرأسمالية

واولى نتـائج عسكرة الاقتصـاد والانتاج هى نقل صراع النظام ضـد اعدائه من خارج البلاد الى داخلها ، فالرأسمالية كانت تخوض معاركهـا ضد الشعوب للحفاظ على وجودها وتنميته على « ارض اجنبية » بل واستغلت هذه الحروب الخارجيـة فى تخفيف وامتصاص التناقضات الداخلية ، ولكن مع استمرار هذه المغامرات والقـاء عبئها على العاملين فى الداخل ، زاد عدد الناقمين على ذلك النظام الـذى لا يجر سوى الحروب والدمار ، وتبلورت معارضتهم ، وارتقت من اشكالهـا السلبية والمرضية ، لتطرح قضيـة اعادة النظر فى عدالة هذا النظام اصلا

وعلى المستوى الاقتصادى ، فـان العسكرة وان اجلت الازمة الاقتصادية زمنا طويلا ، الا أن نتائجها قد فاقمت فالتبديد المنظم لموارد المجتمع عـلى الاغراض العسكرية غير المنتجة قـد يوفر « الدافع الخارجى » الضرورى للاقتصاد الرأسمالى ، وقد يكون علاجا سريعا للركود ولكن صلاحية هذا المسكن شأن المخدرات جميعا ، محدودة زمنيا بل انها تفاقم حالة المريض فى الاجل الطويل ، فليس كل انفاق يشجع على الرخاء ، ان عسكرة الاقتصاد قد تبدو انها لا يمكن ان تكون الحل الاصـيل لازمات الانتاج وذلك لاسباب منها :

● أن الانفاق العام ، واستخدام الميزانية لاعادة توزيع الدخول ، وتحول الدولة الى اكبر ممول ومشتر ، لايمكن ان يكون حلا دائما لسببين : اولهما ان الانتاج لا يمكن ان يتحول كله ليصبح انتاجا حربيا تشتريه الحكومة ، وحتى الانتاج الحربى ، لا تنجح الحكومة فى تبديد كل مشترياتها منه مهما غالت فى عدوانها ، وذلك لاسباب ترجـع الى توازن القوى الدولى ، والسبب الثانى ان الانفاق العام ، ومصدره الاساسى من الضرائب [وتبلغ مساهمة العاملين فى توفير موارده ٦٨ فى المائة ، بينما لا يساهم اصحاب الاعمال الا بنسـبة ٣٢ فى المائة] هذا الانفاق ليس سوى

الاسابيع القادمة نشاطا سياسيا على أعلى المستويات لوضع مقررات اجتماع طرابلس موضع التنفيذ .

وكان شعب ليبيا ـ قد احتفل فى ٢٢ يونيو الماضى ومعه بقية الشعوب العربية ـ بجلاء القوات الامريكية عن قاعدة **هويلس** الجوية والبحرية الاستراتيجية التى اصبح اسمها قاعدة **عقبة ابن نافع** ، وكانت قاعدة هويلس ، تعد من اكبر القواعد الامريكية فى أفريقيا والشرق الاوسط ، وكانت تقع على مسافة ٧ أميال شرق مدينة طرابلس الغرب ، وتمتد مسافة ٦٨ كيلو مترا على شاطىء البحر الابيض وتضم اكثر من ٦٠٠ منشأة عسكرية كان يعمل بها عدة آلاف من الجنود والخبراء والفنيين الامريكيين ، وبها عديد من المطارات وقواعد لاطلاق الصواريخ ومستودعات للقنابل النووية والاسلحة والذخيرة وقطع الغيار المختلفة ومعسكرات تدريب الطيارين التابعين لحلف الاطلنطى واجراء المناورات العسكرية ومحطة للرادار ومحطة لاسلكية ، وقد لعبت قاعدة هويلس دورا خطيرا فى أحداث الشرق الاوسط منذ ورثتها **امريكا** عن **بريطانيا** عام ١٩٥٤ ، وقامت بتوسيعها وتجهيزها بالوسائل العلمية الحديثة ، وتذكر الشعوب العربية جيدا الدور الذى لعبته قاعدة هويلس أثناء العدوان الثلاثى على **مصر** عام ١٩٥٦ وفى عملية انزال القوات الامريكية فى **لبنان** عام ١٩٥٨ فى أعقاب ثورة العراق ، كما تذكر الشعوب الافريقية الدور الذى لعبته القاعدة فى عمليات نقل القوات البلجيكية الى **الكونجو (ليوبولدفيل)** ضد حكومة **لومومبا** الشرعية فى أواخر عام ١٩٦٠ ، ولازالت فى الاذهان عمليات الامداد والتدريب التى

استنزاف لجزء آخر من نصيب الاجراء ، وشكل آخر لاقتطاع فائض القيمة ، يترتب عليه انقاص قدرتهم الشرائية ، ومن ثم تخفيض الطلب الفعال ، عن العرض المتزايد ، ثم لا يجد الانتاج من يستهلكه فيتراكم وتنشأ الازمة أو حالة من الكساد الشديد .

● ويترتب على تناقص حصيلة الضرائب [يتوقع أن يصل العجز فيها هذا العام الى ١ر١ مليار دولار] وفى نفس الوقت ضخامة وتزايد المبالغ اللازمة لاستمرار الانفاق العام فى دوره « كحافز خارجى » للانتاج الحربى ، اعتماد الحكومة على الدين العام واصدار النقود ، فتنشأ دوامة التضخم لزيادة النقود واشباه النقود التى فى ايدى الجمهور بالمقارنة مع الانتاج الجارى المتاح .

● ومع أن الدولة الرأسمالية « مجلس ادارة لشئون الطبقة باسرها » الا أن ظاهرة رأسمالية الدولة الاحتكارية ، وتنامى دور العسكريين ، والانتاج الحربى » بسبب « انحرافا وانحيازا » من الدولة صوب الصناعات العسكرية دون غيرها ، وتثور مشكلة توزيع الانفاق العام بين مختلف الصناعات وبالطبع لا يرضى استئثار الصناعات الحربية بنصيب الاسد من الاعتمادات والمشتريات الحكومية ، اصحاب الصناعات الاخرى ، وهؤلاء يجيدون استغلال السخط الجماهيرى على الحرب ، ويتزايد بينهم من يسمون « باليمام » او الذين لا تحقق لهم الحرب مصلحة ، ومن جانب آخر فان ارتفاع ارباح الصناعات الحربية يجذب عناصر الانتاج ، من رؤوس أموال وخبرات بشرية بل ومواد خام بحيث لا يتبقى للصناعات الاخرى حاجاتها منها .

● أن الانتاج الحديث على المستوى المحلى والعالمى ، اصبح يتوقف فى وجوده ونموه على المحاولة المستمرة والمنتظمة لتوسيع الاستهلاك ، وخلق طلب جديد باستغلال آخر منجزات وتطبيقات العلم والتكنولوجيا ، فالمؤسسات الصناعية العصرية كفت عن أن تكون شركات لانتاج سلع معينة لا تحيد عنها ، واصبحت تنظيمات تتوافر لها الامكانيات الفنية والمادية والبشرية التى تبحث عن فرص انتاجية ، تحاول خلق حاجات جديدة للمستهلكين تقوم باتباعها بما تقدمه من سلع .

● ويثير هذا أن تجربة حملة الاسهم حتى فى الشركات الحربية ، مع الجهاز العسكرى الامريكى ليست مشجعة ، فرغم الرواج الذى يخلقه هذا الجهاز باشعال الحروب وزيادة الطلب ، الا أن هزائمه فى كوريا وفيتنام وبوادرها فى كمبوديا ، لم تؤد فقط الى استئصال النفوذ الامريكى والمصالح الامريكية فى هذه البلاد ، بل وفى المناطق المحيطة .

● ان الانفاق الحكومى يخلق جوا من الثقة المبالغ فيها ، تدفع ارباب الاعمال الى « التهور » فى توسيع الطاقة الانتاجية لمصانعهم ، اعتمادا على ذلك الرواج المؤقت ، والذى تذهب جل ثماره للمالكين ، فى حين ظل نصيب العاملين ثابتا او يتزايد بنسبة اقل : ومن ثم تقصر قدرتهم الشرائية عن ملاحقة ذلك التوسع فى الانتاج .

● انه بمجرد أن يكيف النظام نفسه على المستوى الجديد من الدخل والعمالة المترتب على الانفاق الحربى ، حتى يتوفر لديه فائض اقتصادى يبحث عن فرص للاستثمار ، فى حين أن الطلب ثابت ، ومن ثم يحتاج الامر الى توفير مزيد من « الدوافع الخارجية » للاستثمار او زيادة الانفاق الحربى .

لكل تلك الاسباب وكثير غيرها ، يتبدى عجز عسكرة الاقتصاد عن أن تكون حلا اصيلا ودائما للمشكلة الاساسية للاقتصاد الرأسمالى ، وهى عجز الطلب الفعال ، عن ملاحقة ذلك التوسع الرائع فى الطاقة الانتاجية ان سر الازمة يكمن فى رفض ذلك الطريق الواضح والبسيط ـ كما يقول باران الاقتصادى الامريكى لتوفير حافز خارجى للمشروعات ولتوسيع السوق أمام منتجاتها : الا وهو « الزيادة المستمرة للاستهلاك كنسبة من الناتج الكلى ، والذى سوف يؤدى من ناحية الى تقليل نسبة الناتج الذى يشكل فائضا اقتصاديا [لابد من استثماره] ، ويخلق من ناحية اخرى فرصا للاستثمار نتيجة لاتساع الطلب الاجمالى ، ولكن ذلك الحل لن يولده نظام اقتصادى يتحدد فيه توزيع الدخول بين رأس المال والعمل وفقا لزيادة الارباح الى اقصى حد من جانب كل شركة على حدة ، اذ يميل نصيب العمال الى الثبات » .

كمال السيد

قامت بها امريكا لخدمة اسرائيل قبيل عدوان يونيو ١٩٦٧ .

ومن هذه الزاوية ، ينظر المراقبون السياسيون التقدميون ، الى عملية اجلاء أمريكا عن هذه القاعدة - وبقية قواعدها فى ليبيا - باعتبارها واحدة من أهم الاجراءات الوطنية التى أقدمت عليها حكومة الثورة الليبية - من جهة - ومن أهم التطورات السياسية فى المنطقة العربية والافريقية منذ العدوان الاسرائيلى فى ١٩٦٧ .

ومن المعروف ان **بريطانيا** كانت قد سحبت قواتها - منذ شهور مضت - التى كانت تقيم فى قاعدة **العضم** الجوية بالاضافة الى حاسيتين عسكريتين كانتا تقيمان فى **طبرق وبنى غازى** .

■ ■

■ الاردن

اصابع امريكا وراء أسبوع المجازر فى الاردن

تابع الجماهير العربية - على اعصابها - فى الشهر الماضى ، بسبب الاحداث الدامية التى وقعت فى الاردن ، وذهب ضحيتها ما يقرب من الف شخص بين قتيل وجريح ، كجزء من المخطط الامريكى الصهيونى الرجعى لضرب العمل الفدائى فى الاردن والبلدان العربية .

تكشفت هذه الاحداث عن دور السفير الامريكى المطرود من عمان وبعض العناصر الاردنية فى الاعداد لهذه المؤامرة ، وكان السفير الامريكى قد قام فى يومى ٤ ، ٧ أبريل الماضى ترافقه بعض العناصر الاردنية المعروفة بعدائها للثورة الفلسطينية بزيارة منطقة غور الصافى والاجتماع هناك بالسفير الامريكى فى القدس المحتلة وعدد من المسئولين الاسرائيليين ، وأن السفارة الامريكية قامت بعد ذلك بتوزيع المساعدات على المزارعين فى غور الصافى وابلاغهم بأن اسرائيل لن تتعرض لهم ، وانه فى خلال الاسابيع الثلاثة السابقة على وقوع الاحداث اخذت القوات الخاصة التابعة **للشريف ناصر بن جميل** قائد الجيش **الاردنى** وخال الملك حسين ، تنزل الى شوارع

وتتعرض لشرطة الكفاح المسلح الفلسطينى بشكل استفزازى ، كما تفاقمت عمليات نصب الكمائن لرجال المقاومة واغتيالهم ، وشهد الاسبوع السابق على تنفيذ المؤامرة تحركات مشبوهه للملحقين العسكريين ورجال المخابرات المركزية الامريكية والبريطانية بين عمان والقدس المحتلة وبيروت وتكررت زياراتهم لمناطق الاغوار لجمع المعلومات عن الفدائيين وتنقلاتهم ومراكزهم على الحدود .

ويلاحظ المراقبون التوقيت الدقيق للمؤامرة ، وذلك عقب انتهاء أعمال المجلس الوطنى الفلسطينى فى ٤ - ٦ وازدياد التقارب بين فصائل الثورة الفلسطينية ، ومعركة العرقوب فى جنوب لبنان ، والغارات الكثيفة على جبهة القنال .

وبدأت الاشتباكات على اثر كمين نصبته القوات الخاصة لبعض الفدائيين فى مدينة **الزرقا** واطلاق الرصاص عليهم ، وبالرغم من تدخل قطاع من الحكومة الاردنية وممثلى المنظمات الفدائية فى محاولة لحصر الحادث وتسوية المشكلة ، غير ان القوى المعادية رفضت الاستجابة للاتفاق بينهما وقامت القوات الخاصة والحرس الملكى وقوات البادية والمنظمة الهاشمية بعد ذلك بشن الهجوم بالمدفعية والدبابات على مناطق السكن الفلسطينية ومكاتب المنظمات ومراكز المؤن ومعسكرات تدريب أشبال المقاومة ، وتم استدعاء بعض الوحدات العسكرية المدرعة من الجبهة ضد اسرائيل للاشتراك فى الهجوم على الفلسطينيين .

وتمكن الفدائيون خلال المعارك من السيطرة على القطاعات الوسطى فى مدينة **عمان والزرقا واربد والسلط** واقامة المتاريس والتحصينات فى المراكز الرئيسية ، وقد طالبت المنظمات الفلسطينية بابعاد الشريف ناصر قائد الجيش ، والشريف زيد بن شاكر قائد المدرعات والشريف على بن نايف من كبار الضباط فى الجيش الاردنى ، ومحمد رسول الكيلانى رئيس المخابرات ووزير الداخلية الاردنى السابق ، باعتبارهم من العناصر الاساسية المسئولة عن هذه الحوادث .

ومن ناحية أخرى امتنعت بعض وحدات الجيش الاردنى عن اطلاق النيران على الفدائيين ، كما بعث الجنود وضباط الجيش الاردنى فى قطاع أربد والخطوط الامامية برسالة الى الملك حسين يطالبون فيها بمحاكمة كل من الشريف ناصر ومحمد رسول الكيلانى .

وقد تم التوصل الى اتفاق بين الملك حسين واللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية لوقف

اطلاق النار بعد أسبوع من المعارك المستمرة ، ووافق الملك حسين على عزل الشريف ناصر وزيد ابن شاكر من منصبيهما ، وتولى بنفسه قيادة الجيش وأفرج الفدائيون عن الرهائن الامريكيين والانجليز والالمان الذين كانوا يحتجزونهم ، وقد **قتل** فى أثناء المعارك **روبرت بيرى** الملحق العسكرى الامريكي ، كمـا عثر فى منزله على كميـة من الاسلحة والذخائر ، وتمكن محمد رسول الكيلانى وأسرته من الهرب الى ايطاليا بمساعدة المخابرات المركزية الامريكية .

وفى الوقت الحاضر وبالرغم من انقضاء فترة على توقف اطلاق النار ، فان الوضع مازال يكتنفه الغموض والجو مليء **بالتوتر ، نتيجة** أسـ الاستفزاز المستمرة واطلاق الرصاص على رجال المقاومة ـ وان كانت بصورة فردية ـ ومحاولة اغتيال اللواء مشهور حديثة رئيس أركان الجيش الاردنى ،وبقاء القوات الخاصة والتنظيمات المعادية للثورة الفلسطينية التى تكونت اخيرا والشائعات المسمومة التى تملأ الجو ضد الثورة الفلسطينية والاتصالات التى يقوم بها الشريف ناصر وزيد بن شاكر داخل قطاعات الجيش لاثارتها ضد منظمات المقاومة ، كلها تؤكد ان القوى المعادية للثورة الفلسطينية مازالت تملك القوة وانها تتحين الفرصة للتنصل من الاتفاق بين الملك والمقاومة .

ورغم الاتفاق الذى تم فان لكل من الجانبين رأيه وشروطه ووجهة نظره التيتمسك بها ، مما يحول دون التوصل الى تسوية نهائية للازمة وتصفية كل أسباب الخلاف ، وفى نفس الوقت ينبه البعض الى خطورة استمرار هذا الوضع مالم يتم اجتثاث جذور المؤامرة .

كما أن اهتمام الولايات المتحدة بترحيل الرعايا الامريكيين ، والتهديد بتدخل الفرقة ٨٢ لجنود المظلات الامريكية ، وتهديدات اسرائيل المستمرة بانه لا يمكنها البقاء غير مكترثة ازاء أحداث الاردن ، يزيد من اعتقاد المراقبين بأن الولايات المتحدة تعد لجولة جديدة فى الاردن .

وقد تم تشكيل لجنة عليا للتنسيق بين الحركة الوطنية الاردنية ومنظمات المقاومة برياسة **سليمان النابلسى** رئيس الوزارة الاردنيـة الاسـبق ، وعضوية **عاكف الفايز** رئيس مجلس النـواب الاردنى ، **وفؤاد نصار** من زعماء الحزب الشيوعى الاردنى ، كما ضمت من اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية **ياسر عرفات** قائد منظمة فتح ، **وجورج حبش** زعيم الجبهة الشعبية لتحـرير



الملك حسين

فلسطين **ونايف الحواتمة** زعيم الجبهة الشعبية الديمقراطية ، **وضافي جميان** عن منظمة الصاعقة لمعالجة الازمة وتصفية أسباب الخلاف .

■ ■

■ تونس

قضية ابن صالح ..

يوم ان بدأت جلسـات المحكمـة العليا فى تونس فى ١٩ مـايو الماضى ، والتى عقـدت لاول مرة فى تاريخ تونس ، لمحاكمة **احمد ابن صالح** وزير التخطيط والاقتصاد السابق .

وركز قرار الاتهام على ان تعميم فكرة التعاون واستخدام اموال الدولة فى تدعيمها يشـكل « تجاوزا لحدود السلطة فى نشر التعاون وتقليل حجم القطاع الخاص ، والقيام باعمال خارقـة للدستور وضارة بالمصالح العليا للوطن » وخيانة عظمى له ، وجاء فى هذا القرار ان احمد بن صالح **عمل** على ان تكون له هيمنة مطلقة على الجهاز الاقتصادى ، وسعى تدريجيا لتنفيذ المخطط الذى كان قد نجح فى جعل المؤتمر السادس للاتحـاد العام التونسى للشغل ـ عندما كان امينا عاما

للاتحاد — يتبناه فى ١٩٥٦ ، والذى ادخل لأول مرة حينذاك **كلمتى تخطيط واشتراكية** ، ويستدل قرار الاتهام على محاولات بن صالح للسيطرة، من انه ذكر فى تقريره امام ذلك المؤتمر « ان المخطط يعهد به الى نائب رئيس وزراء يجمع الى نفوذه الوزارات الاقتصادية ،مثل اعادةالبناء والاشغال والفلاحة والبريد والمالية ، علاوة على المصالح ذات الصبغة الاقتصادية فى الوزارات الاخرى ، مثل الخارجية والصحة والتعليم » .

وقد جيء باربعين شاهدا ليرووا امام المحكمة قصصا مؤثرة عن مسالتين : استخدام العنففى اجبارهم على الانضمام الى التعاونيات ، والفقر والخراب الذىلحقبالانتاجنتيجة للحركةالتعاونية، وأطنب ممثل الاتهام فى بيان كيف ان «التعاون لا يجر سوى الخراب والدمار ، واطال فى اظهار ان من بين الثلاثمائة تعاونية ، افلس ما يزيد عن المائتين ، وكيف ان ميزانية الدولة [الثلث تقريبا] بددت فى مشاريع مفلسة مما « خلق صعوبات قد تضر بسمعة البلاد » كما جاء فى قرار الاتهام .

والواقع ان فكرة التعاون فى تونس كانت قد تبلورت فى ١٩٦٢ كأسلوب لادارةالاراضى [التى تركها المعمرون الفرنسيون ، واصبحت ملكا للدولة] وذلك بتوطين المعدمين فيها وتسييرها على أسس تعاونية ، واعتمدت خطة احمد بن صالح على تجميع الملكيات الصغيرة ،وفىهذا استخدمت انواعمنالقسر وصلت الىحد مصادرة أراضى بعض المعارضين ، ولكن الملكيات الكبيرة، المتحكمة فعلا فى الانتاج والتسويق ، كانتبمنأى عن هذه الاجراءات والمشاريع ، ويفسر الرئيس بورقيبة هذا بقوله انهم رأوا « البدء بالاراضى الصغيرة المساحةلان المساحات الكبيرة والاقطاع لا يوجد عندنا على نحو ما هو موجود فىآسيا او أمريكا اللاتينية او فى بعض بلدان الشرق الاوسط » [من المعلوم أن نسبة كبار الملاك فى بنزرت مثلاهى٤٪ منمجموع المالكين يستحوذون على ٤٨٪ من الاراضى ، والنسب فى باجة هى على التوالى ٨٪ ، ٧٢٪] . ولهذا السبب ظل نطاق التعاون محدودا من الناحية المكانية، ومن ناحية تأثيره على حركة انتاج وتسويق المحاصيل ، وذلك لان مزارع كبار الملاك ظلت لها اليد الطولى فى هذا الصدد .

وفى اثناء المحاكمة كانت النغمة الرئيسية فى الصحافة والاذاعة ، وفى جولات المسئولين ،هى اظهار ان أحمد بن صالح كان يسعى الى « اثارة التوتر واستعمال القوة فى غياب رئيس الدولة ، واحداث ازمة حكومية قد تؤول الى هيمنته على دواليب الدولة » .

وللاستدلال على « سوء نية » ابن صالح قامت جريدة العمل لسان الحزب « الاشتراكى » الدستورى « لقد عارض ابن صالح الانضمامالى الاتحاد الحر للنقابات » التابع للدول الغربية ، وانه بعد الاستقلال رفض الانضمام الى الوزارة لتوقعه انها ستواجه متاعب كبيرة ، وفات عليه ان عبقرية المجاهد الاكبر ، الرئيس بورقيبة كفيلة بحل اية مشاكل ، وانه عندما فرضت الضرورة عقب الاستقلال تحميل الموظفين بعض التضحيات « هدد باللجوء الى الجبال والقتال» .

وتعددت الاقتباسات ونشط التنقيب فىالماضى لبيان « سوء نية وطوية » ابن صالح ولاظهار ان سياسة التعاون كانت من وحى تفكيره الفردى. الا ان ذلك دفع مراسل **لوند الفرنسية** الى التساؤل عن سبب سكوت كل المسئولين وكل اجهزة الحزب وتنظيمات الدولة عن هذهالسياسة طوال الاعوام الماضية ،واينكانت آذانهموعيونهم حينذاك ؟

ويضيف بعض المراقبين ،الى ذلك ، انسياسة ابن صالحكانت — فى فترة منالفترات — موضع قبول وترحيب من جانب المسئولين فى تونس :

● فى ديسمبر ١٩٦٩ ادلى ابن صالح بحديث الى التليفزيون الفرنسى اعلن فيه « انالسياسة التى تمت بتنفيذها كانت بموافقة الجميع وبموافقة دوائر الحزب ، لقد كانت سياسة الحزب والحكومة ، ولم تكن سياسة شخص .

● وفى نفس العام جاء فى خطاب **للباهى الادغم** ، رئيس الوزراء الحالى ، ما يلى :

« اود قبل كل شيء ابلاغكم ارتياح المجاهد الاكبر لنجاح العمليات الاخيرة التى انجزت فى ميادين التعاون الفلاحى ، هناك اناس اعماهم التمسك بالتقاليد الباليةفقصرت انظارهم عن ادراك فائدة هذا الاصلاح الذى يضمن لهم مداخيل اوفر مقدارا عن ذى قبل ، ويوفر لهمحياة الكرامة،لقد اقامت التجربة البرهانعلى نجاعتها، وأبرزت امكانياتها الخلاقة وتيسيرها للرقى والازدهار ، ان النظام التعاضدى [التعاونى] يساعد على رفع مستوى المواطنين ، ويهيىء لهم مزيدا من حظوظ التشغيل .

● وعندما عينالرئيس بورقيبة احمدبن صالح وزيرا للتخطيط صرح: « لقدعينت احمدبن صالح فى المركز الذى يحتله اليوم لانى اختبرته واعطيته ثقتى ، وتأكدت من انه يجمع زيادة على المقدرة والصلاحية ،الاخلاص والتفانىلأموريته».

ولكن حدث فى الاحتفالات بيوم التعاون فى

١٩٦٩ — وهو عيد ميلاده — أن أظهر الرئيس بورقيبة تقديره للنتائج واشار الى انها ليست سياسة أحمد بن صالح وحده .

فكيف يفسر المراقبون هذا التحول — الذي يعده البعض انقلابا — فى الموقف من ابن صالح ، والذى انتهى بالحكم عليه بالاشغال الشاقة عشر سنوات وتجريده من حقوقه السياسية ، ثم تحديد اقامته عشر سنوات اخرى ؟ [مع ملاحظة ان البنك الدولى هو الذى كان قد امد ابن صالح بالخبراء والفنيين لتنفيذ مشروعاته، وان تقريره كان مستند الرئيس بورقيبة فى الهجوم عليه] .

فى ٨ سبتمبر ١٩٦٩ **فسرت النيويورك تايمز** القبض على ابن صالح على انه اتجاه نحو اليمين . وقالت ان الحكومة الغت مصادرة الاراضى واعادتها الى اصحابها ، اما المتتبعون لشئون تونس فيرون ان المسألة ترجع الى الوراء عن ذلك كثيرا :

فعقب الاستقلال ، نشأ صراع بين الاتحاد العام للشغل ، وتنظيمات المعارضة اليسارية ايا كانت قوتها من جانب ، وبين « **الحرس القديم** » المسيطر على اجهزة الحزب والدولة ، حول الطريق الاقتصادى الذى يتعين على تونس ان تنهجه ، الا ان رجال « الحرس القديم » نجحوا فى فرض الاساليب الرأسمالية واحلال كبار الملاك التونسيين محل المعمرين الفرنسيين ، ووأد اتجاهات التخطيط الى حين . ولكن ازاء الصعوبات الاقتصادية الناجمة عن ان الطريق الرأسمالى مسدود امام البلاد المتخلفة ، ومع المعركة الوطنية فى بنزرت ، ومع اشعاعات ثورتى مصر والجزائر ، برزت افكار الاتحاد العام ورجالاته الى السطح وفى مقدمتهم احمد **ابن صالح** وساعد على ذلك :

● ان احمد بن صالح نقد نفسه — واعترف باخطائه خاصة قبل انتخابات ١٩٥٨ — واعلن ولاءه ، للرئيس بورقيبة ، واكد كما تقول جريدة العمل « ايمانه بالحزب وبصاحبه » وتصديه لكل مناوئيه حتى لو كانوا من الطلبة اليساريين [الذين هددهم ابن صالح ، عندما ثاروا على الغرب فى اعقاب ٥ يونيو] .

● ان « الاشتراكية الدستورية » ، بالمواصفات التى وضعها لها أحمد بن صالح ، لاتتناقض جذريا مع الاوضاع القائمة . فهى تدريجية تطورية ، تعتمد على الملكية الخاصة والتعاون مع الغرب . كل هذه العوامل قد دفعت باحمد ابن صالح الى المقدمة، ولكن هذه السياسة — نفسها — كان لابد وان تلاقى معارضة مراكز قوة قادرة وقوية ، فى الاقتصاد والحزب والدولة وفى المؤسسات الفكرية لانها :

● تهدد زعامات قديمة لها نفوذها ووزنها ؟ ذلك ان الكوادر الفنية زحفت فى عهد ابن صالح على كل الوزارات والمصالح ومكن لاتباعه ومعاونيه كما يقول قرار اتهامه .

● انها تهدد بعض المصالح الاقتصادية : ففكرة التعاون والاشتراكية والتخطيط مهما افرغت من المضمون ، تلقى بذورا لابد وان تورق فيما بعد .

وقد استغل المناوئون لابن صالح ، فرصة مرض الرئيس بورقيبة ، ومن جانب آخر التركيب المتخلف للحزب الذى يعتمد على القبلية وعلى العلاقات الشخصية ، فى الاطاحة بابن صالح ، وبدأ هذا بفرض الباهى الادغم رئيسا للوزراء وامينا عاما للحزب ، ثم عزل ابن صالح من الوزارة ومن الحزب ، واخيرا القى القبض عليه ، وصفيت كل مشاريعه وخطوطه الاقتصادية وطرد كل اعوانه . لقد انتصر عليه « اصحاب العمائم » و « المسامير الصدئة » كما كان يسميهم ، ولكن هل هذه نهاية الجولة ؟ ان كثيرا من المراقبين يبدون تشككهم فى ذلك .

■ ■

■ **سيلان**

هزيمة ساحقة لليمين

أعلنت حكومة سيلان الجديدة برئاسة السيدة **سيريمافو باندرانيكة** ، أن الخطوات ستتخذ لاعلان سيلان جمهورية حرة مستقلة ذات سيادة ، ولانهاء ولائها للتاج البريطانى ، وقررت الحكومة الاعتراف بكل من جمهورية فيتنام الديموقراطية ، وكوريا الديموقراطية الشعبية ، والمانيا الديموقراطية ، والحكومة الثورية المؤقتة لفيتنام الجنوبية ، ووقف العلاقات مع اسرائيل ، وأعلنت عزمها على اتخاذ سياسة أكثر تحررا وايجابية فى مجال عدم الانحياز ، ومعاداة الامبريالية والاستعمار ، ومساندة كل حركات التحرر الوطنى ، وأعلنت أنها ستقوم بتأميم جميع البنوك الاجنبية ، والسيطرة على الوكالات البريطانية الكبيرة التى تدير مزارع المطاط ، وجوز الهند ، والشاى ، واقامة بنوك متخصصة لتمويل مشروعات التنمية ، والصناعة ، والزراعة والتجارة الداخلية ، والخارجية ، وأوضحت باندرانيكة أن كل الهيئات الامبريالية الهدامة التى تعمل فى سيلان سوف تحل ، وأعلن وزير زراعتها

فى أول اجتماع للبرلمان الجديد عن **اجراءات** حاسمة ضد الاحتكارات العالمية التى تملك ثلاثة أرباع مزارع الشاى فى سيلان ، التى تعتبر أكبر الدول المصدرة للشاى فى العالم .

وتعكس هذه الخطوات التقدمية العديدة ، وهذه الاعترافات « بالجملة » بالدول الديمقراطية الشعبية ، والتى لم تقدم أى حكومة آسيوية على اجراءات مماثلة لها دفعة واحدة على هذا النحو فى السنوات الاخيرة ، مدى توطد النصر الذى حققته السيدة سيريمافو باندرانيكة وحزبها ، حزب « **سرى لانكا الحرية** » فى الانتخابات الاخيرة ، على أن هذا النصر لم يكن لحزب باندرانيكة وحده ، وانما كان كذلك للائتلاف الذى يقوده هذا الحزب ، والذى يشاركه فيه كل من حزبى « **لانكا ساما ساماج** » **التروتسكى ، والحزب الشيوعى** (المناصر لاتجاه الاتحاد السوفيتى) .

وقد حقق الائتلاف نصرا انتخابيا كاسحا ، اذ فاز بـ ١١٥ مقعدا من ١٥٧ مقعدا فى كل مقاعد البرلمان ، والمقارنة بين ما حصل عليه حزب باندرانيكة والاحزاب المناصرة له فى انتخابات ١٩٦٥ ، وبين ما حصلت عليه هذه الاحزاب نفسها فى انتخابات ١٩٧٠ ، يلقى الضوء بوضوح على مدى النصر الانتخابى الذى حققته باندرانيكة والحزبان المؤتلفان معها .

فبينما لم يحصل حزبها « سرى لانكا الحرية » فى انتخابات ١٩٦٥ الاعلى ٥١ مقعدا ، حصل هذه المرة على ٩٠ مقعدا ، وبينما لم يحصل الحزب التروتسكى من قبل الا على ١٠ مقاعد ، حصل هذه المرة على ١٩ مقعدا ، وفى حين لم يكن للحزب الشيوعى (المناصر لاتجاه الاتحاد السوفيتى) سوى ٤ مقاعد فقط ، وأصبح له الان ستة مقاعد .

ومن ناحية أخرى ، تدهور وضع حزب « **دادلى سينانيكة** » رئيس الوزراء اليمينى السابق ، الذى هزمته باندرانيكة ، تدهورا كبيرا ، فبينما حصل هذا الحزب ، وهو « الحزب الوطنى المتحد » فى برلمان ١٩٦٥ على ٦٦ مقعدا ، لم يعد له الان سوى ١٧ مقعدا فحسب ، الامر الذى يعنى أن قوة التروتسكيين البرلمانية فى سيلان (١٩ مقعدا) أصبحت أكبر من القوة البرلمانية لحزب اليمين المتطرف فيها ، هذا وقد احتفظ حزب « **مؤتمر التاميل** » المناصر لحزب سينانيكة بمقاعده الثلاثة السابقة ، فى حين انخفضت مقاعد حزب التاميل « الاتحادى » من ١٤ مقعدا فى برلمان سنة ١٩٦٥ الى ١٣ مقعدا فى الانتخابات الاخيرة ، كذلك بينما كان للمستقلين ستة مقاعد فى ١٩٦٥ ، لم يصبح لهم الان سوى مقعدين فقط .

وقد اتسمت الحملة الانتخابية الاخيرة التى قدم فيها الائتلاف برنامجا سياسيا واجتماعيا واضحا



باندرانيكة

بهزيمة الاتجاهات العنصرية والطائفية ، فقد هزم حزب « **مهاجانا باكشا** » [حزب الشعب السينهالى] الذى دخل الحلبة لاول مرة بخمسين مرشحا ، والذى يتبع سياسة عنصرية عنيفة ضد التاميل ، هزيمة ساحقة ، وفقد معظم مرشحيه تاميناتهم ، بما فى ذلك زعيم الحزب نفسه ، وهزم كذلك المرشح الوحيد للحزب الشيوعى (المناصر لاتجاه الصين الشعبية) والذى سمح له حزبه بدخول الانتخابات « ليثبت زيف النظام البرلمانى من داخله »

وهكذا عادت السيدة باندرانيكة مرة ثانية الى السلطة بعد وزارتها الاولى التى استمرت من سنة ١٩٦١ الى ١٩٦٤ ، ولكنها عادت هذه المرة بعد أن حصلت على أكبر أغلبية حصل عليها حزب فى تاريخ سيلان ، ومن ناحية أخرى ، فان هذه هى المرة الاولى التى يمثل فيها الحزب الشيوعى فى الوزارة ، مع أثناء وزارتها الاولى أيدها الشيوعيون من الخارج فحسب . ويرى بعض المراقبين ان التدخل الامريكى فى كمبوديا كانت له آثاره فى منهج مخططات الاستعماريين وعملائهم ، الامر الذى أثر على معركة سيلان الانتخابية .

وقد قبضت باندرانيكة وحلفاؤها على الوزارات الهامة فى الحكومة فتولت هى وزارات **الدفاع ، والخارجية ، والتخطيط ، والعمل** ، وهذا الاجراء يمكن تفسيره على ضوء مشكلة زيادة تكاليف المعيشة ، وانتشار البطالة ، اللتين كانتا من الاسباب الرئيسية فى سقوط حكم « الحزب الوطنى المتحد » اليمينى ، وتولى التروتسكيون ثلاث

وزارات هى ، وزارة المالية (وهى هامة جدا نظرا للظروف المالية الصعبة التى تمر بها سيلان) ، ووزارتى الصناعات الزراعية والمواصلات ، وتولى الشيوعيون وزارة الاسكان والبناء [وقد نالت مشكلة الاسكان والبناء) عناية ملحوظة بشكل خاص فى بيان الائتلاف الانتخابى) •

أما العوامل الاساسية التى تسببت فى سقوط الحكم اليمينى للحزب الوطنى المتحد فترجع الى تفشى البطالة بشكل كبير (فرد عاطل من كل ١٠ من السكان) وازدياد تكاليف المعيشة زيادة كبيرة ، وارتباط حكم الحزب الوطنى المتحد بالادارة البيروقراطية والفساد ، واتجاه حكومة سينانيكة لتخفيض الحصة المجانية من الارز الى النصف ، وارتباط حكم الحزب الوطنى المتحد برأسماليى سيلان ، وهم رأسماليون غير صناعيين ، وانما سماسرة ووسطاء طفيليون أغنياء ، وقد تسببت الهوة الكبيرة التى تفصل بين طريقة حياتهم وبين مستوى معيشة الجماهير فى نشوب عداء اجتماعى حاد بين الجماهير وبين الحزب الوطنى المتحد طوال السنوات الخمس التى استغرقها حكمه .

ويرى عدد من المراقبين السياسيين التقدميين أن أهم ما كشف عنه انتصار باندرانيكة [الذى يعد انتصارا لقوى التحرر والسلام فى جنوب آسيا) انما هو بروز ظاهرة التعاون المتزايد بين القوى الوطنية التقدمية وقوى اليسار الثورى فى العالم الثالث ، وفشل حكم الاقليات المالية الانانية ، سواء القومية أو العميلة للامبرياليين فى حل مشكلات البلاد النامية التى تعانى من صراعات اجتماعية حادة ، وكذلك ايضاح تلك الحقيقة ، وهى أن طريق الانتصار الوحيد على القوى المعادية للشعب فى بلاد العالم الثالث ، هو طريق وحدة القوى الوطنية التقدمية مع قوى اليسار الثورى فى هذه البلاد •

■ ■

■ اندونيسيا:

هل مات الاخ المحبوب سوكارنو حقا ؟

أعلن الحداد رسميا فى اندونيسيا لمدة اسبوع فى نهاية الشهر الماضى ، ونكست الاعلام فى العاصمة حدادا على وفاة الرئيس الاندونيسى السابق أحمد سوكارنو ، وبذا انطوت صفحة من صفحات نضال الشعب الاندونيسى وتاريخ اندونيسيا ، وانطوت معها – وهو الامر الاكثر دلالة وعبرة – تلك المحاولة التاريخية لبناء اندونيسيا متحررة على أساس مبدأ « سوكارنو » عن « جبهة ناساكوم القومية » •

ولد سوكارنو ، او الاخ المحبوب « كارنو » كما يحلو للاندونيسيين أن يسموه فى ٦ يونيو سنة ١٩٠١ فى سورابايا لوالد كان يعمل مدرسا ، وتخرج فى عام ١٩٢٦ من معهد باندونج الفنى ، وحصل على دبلوم الهندسة ، واصبح بسرعة واحدا من أبرز الزعماء القوميين الشبان فى بلاده ، واشترك فى عام ١٩٢٧ فى تأسيس الحزب الوطنى الاندونيسى ، وقد القى الهولنديون القبض عليه سنة ١٩٢٩ وظل عامين فى السجن ، وافرج عنه فى ديسمبر سنة ١٩٣١ ، واعتقل بعد ٨ اشهر ونفى الى احدى الجزر ، وفى عام ١٩٣٣ القى القبض عليه مرة اخرى بعد نشر كتابه «نحو استقلال اندونيسيا» وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية وأمام الانتصارات التى حققها اليابانيون فى بداية الحرب ، أخذ يعاونهم فى جمع المتطوعين الاندونيسيين مقابل حصوله على وعد من السلطات اليابانية باعلان استقلال اندونيسيا عند نهاية الحرب ، وكنوع من التضامن الاسيوى مع الاستعمار الهولندى الاوربى ، وبعد استسلام اليابان ، أعلن اندونيسيا دولة مستقلة جمهورية فى ١٧ أغسطس ١٩٤٥ وكان هو أول رئيس لها ؛ وقد اضطرت هولندة للاعتراف بهذا الاستقلال سنة ١٩٤٩ بعد ٤ سنوات من حرب العصابات التى خاضها الشعب الاندونيسى بقيادة سوكارنو ، وكان صاحب فكرة عقد المؤتمر الافريقى الاسيوى الاول الذى عقد فى « باندونج » فى ١٨ ابريل سنة ١٩٥٥ ، وفى عام ١٩٦٢ قام بضم ايريان الى اندونيسيا ، ثم حاول – دون جدوى – معارضة قيام [اتحاد ماليزيا] سنة ١٩٦٣ الذى اعتبره حصنا للامبريالية ، وابتداء من يوليو سنة ١٩٥٩ تولى الى جانب رئاسة الجمهورية رئاسة الحكومة والقيادة العليا للقوات المسلحة •

واتسمت الفترة الاولى من رئاسة سوكارنو، وبالتحديد ما بين عامى ١٩٤٥ و١٩٥٨، بعدم الاستقرار السياسى ، اذ جاءت الى الحكم هناك ١٧ وزارة (أى أن متوسط عمر الوزارة لم يكن يزيد على ٨ شهور) ، وبلغ عدد الاحزاب السياسية ٣٠ حزبا ، هنا قرر سوكارنو التخلى عن الديموقراطية بمفهومها الغربى ، وأدخل فى اندونيسيا ما سمى بنظام « الديموقراطية الموجهة » • وتعتمد على اختياره لمجلس وزراء يمثل التيارات السياسية الرئيسية حتى يتكون منها المجتمع الاندونيسى ، ودون أن تأخذ الحزبية والصراع الحزبى بمفهومه الضيق طريقا اليه ، الى جانب اختياره لمجلس قومى استشارى يمثل فيه الشعب الاندونيسى « تمثيلا اجتماعيا صادقا » يشمل كل الفئات والطوائف والمهن •

وكان سوكارنو قد تعلم فى منفاه الانجليزية والفرنسية والالمانية بالاضافة الى الهولندية والاندونيسية، كما قرأ آراء الكثيرين ابتداء من « النبى محمد » الى « كارل ماركس » الى « صن يات صن » • وقد قال فيما بعد ان هؤلاء الثلاثة هم أكثر من أثروا فى حياته، وفى يناير سنة ١٩٦٠ منح جائزة « لينين » للسلام • وحصل حتى أبريل ١٩٦٠ أيضا على ١٦ دكتوراه فخرية، ونال من الازهر شهادة العالمية الفخرية •

وفى أغسطس سنة ١٩٦٠ قدم سوكارنو باسهاب « البانتشاشيلا » وهى المبادىء الخمسة التى اعتبرها فلسفة للدولة فى اندونيسيا وهى : « الايمان بالله • والانسانية • والقومية • وسيادة الشعب • والعدالة الاجتماعية » • وكان يرى أن أقوى التيارات الفكرية الثلاثة فى اندونيسيا وهى : « القومية الاندونيسية والاسلام والشيوعية » يمكن بل وينبغى أن تتضافر فى تيار واحد، وتصب فى حركة تقدمية واحدة • ولذا قدم مفهومه عن جبهة « ناساكوم » القومية التى تضم الوطنيين والشيوعيين والاحزاب الدينية • ويمكن القول ان هذا المفهوم صفى من اندونيسيا قبل وفاة صاحبه بعدة سنوات، ومنذ نجاح اليمين الموالىء للغرب فى تصفية الوطنيين والشيوعيين بعد انقلاب سبتمبر ١٩٦٥ الذى أنهى سلطة سوكارنو الفعلية •

وفى ٢٠ مايو سنة ١٩٦٣ وافق سوكارنو على أن يكون رئيسا لاندونيسيا مدى الحياة، وفى ٢ يناير سنة ١٩٦٥ قرر انسحاب اندونيسيا من الامم المتحدة ردا على اعترافها بماليزيا، وفى ابريل سنة ١٩٦٥ ألقى خطابا فى جاكارتا، دعا فيه الى تكوين منظمة دولية للدول الوطنية الفتية، اعتبرت بمثابة دعوة الى « أمم متحدة جديدة » تضم دول

تعليق

خطاب مفتوح الى وزير الثقافة

ليس هذا التعليق الا استكمالا لحديث سابق حول مجلاتنا الثقافية .. ولقد اردت اليوم أن اتوجه بالخطاب الى المسئول الاول عن الثقافة فى بلادنا لان الظاهرة الجديدة التى سأتناولها بالتعليق أكثر شمولا من قضية المجلات الثقافية وان تكن جزءا منها لا يتجزأ، تلك هى ظاهرة الهجرة الجماعية لمؤلفات الكتاب المصريين الى دور النشر اللبنانية ومرة اخرى اكرر القول بأن الوحدة المرجوة للثقافة العربية، لا علاقة لها البتة بما يجرى الان فى سوق النشر بين المؤلفين المصريين والناشرين اللبنانيين، فالوحدة الثقافية فى جوهرها علاقةفكرية وليستبالقطع علاقة تجارية، بمعنى آخر هى علاقة الرؤوس ببعضها البعض، وليست علاقة المخطوط بالمطبعة •

ومنذ البداية أود أن أوضح انهلاسبيل مطلقا الى ربط الهجرة الجماعية للكتاب المصريين الى لبنان بمشكلة حرية التعبير، لان هذه المشكلة فى واقع الامر مشكلة نسبية يعانيها الكاتب فى كل زمان ومكان .. بالاضافة الى ان الغالبية الساحقة من المؤلفات المصرية المنشورة فى بيروت سبق نشرها فصولا ومقالات فىالقاهرة، وحتى تصبح القضية اكثر وضوحا، اقول : ان هذه المؤلفات واصحابها من المنتمين الى اهداف الثورة، ومهما اتسعت شقة الخلاف وتعددت وجهات النظر •

واعتقد انه من الاهمية بمكان أنتذكر بعض الاسماء التى تزدحم بتراثها المطابع اللبنانية خلال السنوات الثلاث الاخيرة •

وفى مقدمتها من جيل الرواد : طه حسين والعقاد وسلامهموسى، ومن الجيل التالى : مندور ولويس عوض ونجيب محفوظ، ومن الجيل الثالث : يوسف ادريس ويوسف الشارونى وصلاح عبد الصبور واحمد عبد المعطىحجازىورجاء النقاش وابو المعاطى ابو النجا وسليمان فياض وكاتب هذه السطور، ومن ابناء الجيل الجديد : محمد عفيفى مطر وامل دنقل ومحمد ابراهيم ابو سنة، وليست هذه الاسماء الا أمثلة سريعة ترد فور الخاطر

ولعله من قبيل التكرار الممل انهرغم الاطار العربى الشامل لكتابات هؤلاء المثقفين، فان محاورها الرئيسية تبلور هموما محلية واهتمامات بيئية محددة، ومعنى ذلك انها توجه الخطاب فى المحل الاول الى القارىء المصرى، والحقيقة الناجعة هى أن القارىء المصرى هو آخر من يصله — اذا وصله ! — هذا الخطاب، وذلك لسببين لا ثالث لهما :

الاول هو ارتفاع سعر الكتاب اللبنانى (أقصد المنشور فى لبنان) والسبب الاخر هو قلة عدد النسخ التى يصدرها الناشر الى القاهرة •

والسؤال البديهى بطبيعة الحال هو : لماذا يهاجر الكاتب المصرى الى لبنان اذا لم تكن حرية التعبير هى جوهر المشكلة، وما دام لبنان نفسه يعانى من هذه المشكلة، واقرب مثال لذلك قضيةصادق جلال العظم ؟ والاجابة تعود بنا الى طبيعة حركة النشر فى مصر بعد أنأصبح لدينا « قطاع عام » يجاورالقطاعالخاص، لقد اضحت السلعة الرائجة لدى دور النشر الخاصة، الكتب الجامعية والمنشورات الرسمية، أى انها تحولت فى معظمها من دور الناشر للثقافة الى دور المطابع التجارية، ولم يعد هناك منفذ للكتاب الادبى او التراث الثقافى ذى الوزن الثقيل سوى القطاع العام فىالنشر

ولا شك أن ثمة صعوبات هائلة يمكن تصورها قد صادفت المسئولين عن هذا القطاع العام منذ كانت المؤسسة المصرية للتأليف، الى أن تحولت الى الدار القومية، الى أن امست دار الكاتب العربى، ثم الهيئةالمصرية العامة اخيرا• ويذكر المثقفون الخطاب المرير للسيد وزير الثقافة فى مؤتمر الكتاب منذ أعوام وقد تضمن من الاحصائيات والارقام ما يتوقف عنده المرء ذاهلا عما كان يجرى فى الدار القومية، ويذكر المثقفون انه

آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية الثائرة ، ودول المعسكر الاشتراكي والقوى التقدمية في البلاد الرأسمالية بما فيها فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة ، وبدأ العمل من أجل بناء مقر رائع لها في جاكارتا ، ورفض المعونة الامريكية المرتبطة بالضغط وكانت تبلغ ٧٠٠ مليون دولار •

وفي عام ١٩٦٤ ازداد نشاط عملاء الاستعمار ، وقوى اليمين في اندونيسيا بشكل ملحوظ ، وفي سنة ١٩٦٥ اتهم سوكارنو ادارة المخابرات المركزية الامريكية بمحاولة تهريب العملاء المعادين للثورة الى داخل اندونيسيا عن طريق الفلبين ، وفي ذلك الوقت اقترح « أيديت » زعيم الحزب الشيوعي الاندونيسي « تسليح العمال والفلاحين عماد الثورة » للرد على المؤامرات الامريكية البريطانية « ولكنى قلت لايديت — حسبما أوضح سوكارنو نفسه — ان الامور لا تستدعى ذلك وأن الجيش قادر على مواجهة أية مؤامرات » • وطالب أيديت كذلك « بالضرب بشدة على أيدى كبار ملاك الاراضي المستبدين الذين يرفضون الطاعة لقانون الاصلاح الزراعي ، وكذلك المرابين والرأسماليين البيروقراطيين والمديرين الفاسدين ، وغيرهم من أبالسة القرى » • الا أن أيا من الاقتراحين لم ينفذ ، في الوقت الذى كان جنرالات اليمين في الجيش يسيرون فيه قدما لتحقيق مخططاتهم ، فلما قام الكولونيل « اونتون » قائد حرس سوكارنو بحركة ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٦٥ التى كانت فيما يبدو محاولة من جانب بعض القوى الوطنية للحيلولة دون سيطرة اليمين على اندونيسيا ، اتخذها الجنرالات اليمينيون ذريعة للادعاء بمحاولة الشيوعيين قلب نظام الحكم ، وبدأ العمل لتصفية حكم الرئيس سوكارنو بالمظاهرات الطلابية اليمينية التى دبرتها المنظمات العميلة ، وقاد الجنرالات

أولى نخبة منهم ، الواحد بعد الاخر ، مسئولية الاشراف على القطاع العام في النشر ، ولكن المثقفين يذكرون في نفس الوقت — والمرارة تملأ حلوقهم بطعم العلقم — ان هذه التغييرات العلوية في رئاسة مجلس الادارة او ادارة النشر قد صاحبتها تغييرات كمية فحسب ، ولم يرافقها تغير كيفى على الاطلاق ، لم يعد لشعار « كتاب كل ست ساعات » وجود ومن الممكن أن نطالع بين حين وحين كتابا جديدا ولكن أجود الكتب وأهمها هى تلك التى تهاجر ، هى تلك التى لا يحصل عليها القارىء المصرى الا بشق النفس ، بينما ترتكز فلسفة القطاع العام على هذه الدعامة الرئيسية ، وهى انه — في مجال النشر مثلا — يوفر خدمة ثقافية لاعرض رقعة جماهيرية قارئة ، والترجمة السياسية والاقتصادية لذلك ، ان يصبح الكتاب الجيد في متناول الجميع •

ولكن الجهاز البيروقراطي الضخم الذى لم تمسسه يد التغيير في الهيئة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر ، هو الذى يعرض (كرامة) الكاتب المصرى للامتهان سواء ووفق على نشر كتابه أم لا .. اذ تمضى سنوات حتى تصله الموافقة او الرفض ، وتمضى سنوات أخرى حتى يتم الطبع في حالة الموافقة ، وقد يضيع المخطوط في حالة الرفض ، ثم يمر بأهوال الجحيم حتى يكتب العقد وينال حقه ، وقائمة الذين اجتازوا ولا يزالون هذه التجربة المرة أطول من أن يفى بها هذا الحيز ، ويكفى ان اقول انها تضم عشرات الاسماء اللامعة التى تفخر بها ثقافتنا : هذه الاسماء التى توازن بين اهدار كرامتها على عتبات البيروقراطية وبين الهجرة الى خارج الحدود ، فلا ترى سوى الهجرة ملجأ من الضياع والصمت •

وربما كان من المفيد ان اضرب مثالا واقعيا اقارن به بين ما يحدث في الهيئة المصرية العامة للتاليف ، وما يحدث في دار مؤممة — ناجحة تجاريا — كدار المعارف ، بهذه الدار لجنة للنشر مكونة من المدير العام للدار ورئيس التحرير ووكيل النشر ومدير المطابع ومدير التوزيع ، وهى تجتمع مرة واحدة على الاقل في الشهر لتدرس مجموعة التقارير المرفوعة اليها بشأن المخطوطات التى يتقدم بها المؤلفون ، وهى التقارير التى تسند مهمة كتابتها الى مختصين في المواد المخطوطة ، ولا تزيد الفترة ما بين تقديم الكاتب لمؤلفه وقرار اللجنة بالنشر او الاعتذار عنه أكثر من شهر ، يصل في ختامه خطاب مهذب الى المؤلف بأن يحضر لكتابة العقد او بالاعتذار مرفقا به المخطوط ، ولا تزيد الفترة ما بين توقيع العقد وصدور الكتاب عن عدة اشهر يتم خلالها التعامل المادى بين المؤلف والدار بصورة كريمة وقانونية محكمة ، واثناء زيارتى الاخيرة لدمشق لاحظت شيئا قريبا من هذا النظام تعمل على هديه وزارة الثقافة السورية ، ولذلك قلما يلجأ كاتب سورى الى ناشر لبنانى ، رغم قرب المسافة من دمشق الى بيروت !

ان المفارقة التى أود ان اشير اليها مجرد اشارة هى أن اعداءنا يفسرون انتشار الكتاب المصريين في لبنان تفسيرات ملتوية لا علاقة لها البتة بالسبب الحقيقى ، فاذا أضفنا هذا العنصر الى بقية النتائج المترتبة على هذه الهجرة الجماعية ، وفي مقدمتها حرمان جماهيرنا من زادها الثقافى والكرامة الجريحة لكتابنا .. فاننا نستطيع أن نرى الصورة البشعة على حقيقتها خلف الاغلفة الانيقة لمؤلفات كتابنا المطبوعة في بيروت •

ان تحويل « المؤسسة » المصرية العامة للتاليف الى « هيئة » لا ينبغى أن يشابه تغيير رئيس مجلس ادارة بآخر ، فاذا كانت التعديلات العلوية لم تثمر تغييرا كيفيا في نظام المؤسسة ، فان الهيئة على النقيض من ذلك تفسح المجال رحبا لاعادة النظر في هذا النظام البيروقراطى العقيم ، ذلك ان الهيئة — شكلا وموضوعا — ليست شركة تجارية تجعلنا نتذرع بالربح والخسارة في تقييم المادة الثقافية ومعاملة الكاتب والقارىء وانما هى صياغة اقتصادية تتيح الفرصة أمام أوسع الجماهير وأقدر الكتاب للمشاركة في بناء انساننا الجديد ، وكما أن اى قطاع عام يصيبه الفشل اذا ادير بعقليات رأسمالية ، فان الهيئة العامة يهددها نفس الخطر اذا احتفظت بنظام المؤسسة ، وهو الآفة الخفية وراء هجرة مثقفينا الى مطابع خارج الحدود •

غالى شكرى

اليمينيون بعض فرق الجيش فى حملة تصفية دموية لا ضد الشيوعيين والوطنيين التقدميين فحسب ، وانما كذلك ضد الالاف من العمال الزراعيين المعدمين ، الذين كانوا قد نجحوا فى بعض مناطق اندونيسيا ، بمساعدة الحزب الشيوعى الاندونيسى ، وبعطف من سوكارنو ، فى الاستيلاء على بعض اراضى الاقطاعيين الذينكانوا يرفضون تسليمها لهم ، والامتثال للاصلاح الزراعى ، وفى ١١ مارس سنة ١٩٦٦ ، اضطر سوكارنو تحت ضغط الجيش ومظاهرات اليمين ونتيجة تصفية نفوذه الفعلى ، الى التخلى عن رئاسة الحكومة للجنرال **سوهارتو** رئيس أركان حرب الجيش ، وظل سوكارنو يناضل باستماتة للاحتفاظ بمنصب رئيس الجمهورية الذى أصبح منصبا رمزيا لا أكثر ، وحتى آخر وقت وقبل تنحيته بفترة قليلة كان سوكارنو يرفض أن يتحمل مسئولية محاولة الانقلاب الفاشلة ويقول « ان وكالة المخابرات المركزية الامريكية هى التى يجب أن تتحمل المسئولية وليس الحزب الشيوعى الاندونيسى » • وفى ١٢ مارس سنة ١٩٦٧ عقد اليمين « مؤتمره الشعبى » الذى قرر عزل سوكارنو من جميع مناصبه ، ووضع تحت التحفظ فى مقره فى بوجور ونقل منه فيما بعد الى مسكن متواضع فى جاكارتا •

ان مأساة سوكارنو ، وهى مأساة الحركة الوطنية واليسار الاندونيسى عامة ، ترجع فى نظر عديد من المراقبين السياسيين الى ما انطوت عليه سياسة التوازن بين اليمين واليسار عن محاولات لتفادى الصراع الطبقى فى بلد فقير يطحنه التناقض الاجتماعى ، ولا يمكن أن تسمح فيه ظروفه الاقتصادية الصعبة باتباع سياسة وسط بين الجماهير العمالية الفلاحية الكادحة من ناحية وبين مستغليها من الرأسماليين والاقطاعيين واشباه الاقطاعيين وعملاء الشركات الاستعمارية الاجنبية من ناحية أخرى • وترجع أيضا الى افتقار هذا الحكم الى محور عمالى فلاحى يستند عليه ، والى التناقض بين السياسة الخارجية « الصينية » التى اتبعها سوكارنو ، وبين السياسة الداخلية التى تركت الاقتصاد الاندونيسى فى أيدى الاقطاعيين وكبار الرأسماليين وعملاء الشركات الاجنبية •

فبعد مضى ما يقرب من ربع قرن على تحقيق الاستقلال بقيادة سوكارنو ، كانت الطبيعة الاقطاعية لعلاقات الارض لاتزال دون تغير جذرى تقريبا ، وكان الاقطاعيون يواصلون مقاومة تنفيذ الاصلاح الزراعى الذى لم يطبق فى عدد من المناطق مثل جاوة وهى من أكبر الجزر ، وفى **لويجا وجاو** كان ١٢ فى المائة من السكان يمتلكون ٨٤ فى المائة من الارض ، وكان الفلاحون لا يزالون يرسفون فى قيود كبار الملاك والمرابين الفاسدين •••• الخ • والممتلكات الهولندية التى أممت أشاع فيها الرأسماليون الاندونيسيون الرشوة والفساد ، أما الرأسماليون البيروقراطيون فانتفخوا بالارباح حتى أصبحت لديهم القدرة المادية على ضرب القطاع العام ، ونجحوا الى حد كبير فى التمكين للاستعمار الجديد من الاقتصاد القومى ، وأشاعوا فيه أعمال التخريب ، وعرقلوا حوالى ٢٠٠ مشروع من ٣٣٥ مشروعا من خطة الـ ٨ سنوات ، وكان الرأسمال الاجنبى كذلك لايزال يملك معظم حقول البترول ، والعناصر الكومبرادورية (عملاء الشركات الاجنبية) تمارس نشاطا هداما للاقتصاد الوطنى ، وبالجملة كان لتلك الطبقات القدرة باستمرار على تمويل رجال « اليمين » الذين يعملون لحسابها على مسرح السياسة الاندونيسية •

■ ■

■ اوربا

اتجاهات جديدة • •
وصراعات محتدمة

أضفت التطورات الدولية الراهنة فى اوربا من ناحية ، وتصاعد الموقف فى الشرق الاوسط منناحية اخرى اهمية خاصة على الاجتماعات الاخيرة لحلف شمال الاطلنطى ، فمن الواضح أن ثمة ارتباطا قويا بين مشاكل الامن فى أوربا وبين الموقف فى منطقة حوض البحر الابيض المتوسط ، ومن ثم ، تركزت المشاورات التى دارت حول مسألتين هامتين :

الاولى : تحديد موقف غرب اوربا من نداء بودابست حول مؤتمر الامن الاوربى ، وهو الاقتراح الذى قدمته دول حلف وارسو فى العام الماضى •

الثانية : الوضع الاستراتيجى فى حوض البحر الابيض المتوسط ونشاط الاسطول السوفيتى فيه ، خاصة **وان المصادر الدبلوماسية صرحت أكثر من مرة بأن زعماء الحلف يعتبرون منطقة البحر الابيض أخطر منطقة فى الوقت الراهنيمكن أن ينطلق فيها صراع عالمى** •

وكما حدث فى الدورات السابقة لمجلس الحلف ، تميزت دورة روما أيضا بضغوط مارستها الدبلوماسية الامريكية على بلدان الحلف ، واذا كان البيان النهائى لمجلس الحلف يوضح نجاح الولايات المتحدة الامريكية فى فرض ارادتها على الدول الاعضاء ، **فان صيغة البيان ، بالاضافة الى طبيعة المناقشات التى جرت ، تعكس تناقضا**

واضحا بين المصالح الامريكية وبين مصالح أوربا الغربية ، سواء فيما يتعلق بقضية الامن الاوربى، أو فيما يختص بالوضع فى حوض البحر الابيض المتوسط .

فبالنسبة **لنداء بودابست** حول عقد مؤتمر للامن الاوربى ، انتهى حلف الاطلنطى الى التقدم بعرض مزدوج ، ينص بنده الاول على استعداد الحلف لاجراء محادثات استطلاعية ـ ثنائية أو ذات اطراف متعددة ـ مع الاتحادالسوفيتي ودول حلف وارسو ، بينما ينص بنده الثانى على التخفيض المتبادل والمتوازن لقوات حلفى وارسو والاطلنطى ، كشرط أو كمقدمة لعقد مؤتمر للامن الاوربى .

وهكذا فرضت الدبلوماسية الامريكية اقتراحها الخاص « التخفيض المتبادل والمتوازن » والذى وصفته جريدة التايمز بأنه « دعاية مضادة للفكرة الروسية الخاصة بمؤتمر أمن أوربى » ، واستطاعت السياسة الامريكية مع مناورات الدبلوماسية البريطانية أن تعطل عقد مؤتمر أمن أوربى ، وأن تعمل على تحطيم عمليات التقارب السياسى بين شرقوغرب اوربا وهيعملياتتجرى من وراء حلف الاطلنطى وضد رغبته ، وقد كتبت جريدة الديلى تلجراف عشية دورة روما لمجلس الحلف : « ان محاولات توجيه نشاط حلف الاطلنطى الى المفاوضات السياسية بين الشرق والغرب فشلت ، ولسوف تفشل ، لان هذه المسائل ليست هدف حلف الاطلنطى » .

والواقع أن الدول الاسكندنافية وبعض الدول الصغيرة فى الحلف قد أبدت ميولا ورغبات ايجابية فى عقد مؤتمر أمن أوربى ، خاصة وأن هذا الاقتراح قد وجد استجابة واسعة لدى الرأى العام فى أوربا ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى **وقفت فرنسا موقفا مستقلا يرفض سياسة التفاوض بين التكتلات** ، بينما ارادت آمريكا تحقيق سياستها ، وأن تحول دون عقد مؤتمر الامن الاوربى ، وهنا ، تتقدم الدبلوماسية البريطانية بالحل الوسط وهو اقتراحها الخاص بمحادثات استطلاعية يمكن أن تتطور ـ بعد اعداد كاف ، الى عقد سلسلة من المؤتمرات بين دول حلفى وارسو والاطلنطى ،غير أن المناورة البريطانية استهدفت فى نفس الوقت تخفيف مخاوف بعض دول غرب اوربا من الضغط المتزايد على حكومة نيكسون لتخفيض حجم القوات الامريكية فى أوربا بهدف مواجهة النفقات العسكرية المتزايدة فى جنوب شرق أسيا ، وقد أشار **شومان** ، وزير خارجية فرنسا ، ـ وهو يوجه اللوم للسياسة الامريكية ـ الى أن أقصى ما يستطيع الامريكيون أن يقتصدوه من تخفيض قواتهم فى أوربا هو بليون دولار سنويا ، بينما تكلف الحرب الفيتنامية ٢٥ ـ ٣٠ بليون .

أما فيما يختص بالوضع فى حوض البحر الابيض المتوسط ، فقد جرت المحادثات بشأنه خلال مناقشة التخطيط النووى للحلف فى مؤتمر وزراء الدفاع ، وقد أحيط هذا الاجتماع بجو من السرية ، وحضره لاول مرة وزراء دفاع تركيا وهولندا وكندا ، ورغم سرية الاجتماع فقد ذكرت وكالات الانباء ان **ميلفين بيرد** وزير الدفاع الامريكى ، ذهب الى المؤتمر وفى حقيبته اقتراحات محددة هى :

● **تحديد دور الحلف فى حالة وقوع حرب شاملة بين العرب واسرائيل ، بدعوى أن اليونان وتركيا ، وهما عضوان فى الحلف ، يقعان فى مجال المواجهة .**

● **وضع قوات بحرية وجوية اضافية للحلف لمراقبة النشاط المتزايد للاسطول السوفيتى فى حوض البحر الابيض .**

ـ اختيار مكان جديد كقاعدة بديلا عن قاعدة هويلس فى ليبيا ، وينتظر اختيار ايطاليا او تركيا لقاعدة الجديدة .

وبعد مشاورات استغرقت يومين أصدرت لجنة التخطيط الدفاعى للحلف بيانا قالت فيه « ان الاتفاق قد تم على مواصلة العمل لوضع استراتيجية نووية مرنة وشاملة لاوربا الغربية » . وقد تناولت المشاورات تحديد متى وكيف يستخدم الغرب أسلحة نووية تكتيكية قصيرة المدى فىحالة وقوع هجوم على أوربا الغربية .

ويرى المراقبون أن الولايات المتحدة تعتزم توسيع نطاق تدخلها العسكرى فى الشرق الاوسط ، وفى ذلك تسعى الى جر حلفائها الغربيين فى مغامرة عدوانية ـ وهى تحاول ، بسياسة الابتزاز النووى ، أن تطمئن حلفاءها من خطر الصدام العالمى بخطة الرد النووى فى أوربا .

وهنا يتضح ارتباط قضية الامن الاوربى بالوضع فى البحر الابيض ، فان تخفيف حدة التوتر الدولى فى أوربا ، وما يترتب عليه من تخفيض القوات على خط المواجهة بين دول حلفى وارسو والاطلنطى يؤثر على الاوضاع الاستراتيجية للدول الاوربية المطلة على البحر الابيض ، وتصاعد الموقف فى الشرق الاوسط مع ازدياد نشاط الاسطول السوفيتى ، يثير مشاعر قلق عميقة لدى هذه الدول الاوربية ، اذ أن تفجر الموقف يؤدى الى انقطاع مواردها من البترول ، كما ان النشاط البحرى السوفيتى قد يؤدى الى عزل القوات الامريكية الموجودة فى أوربا الغربية عن قواعدها الاصلية فى القارة الامريكية ، **ويرى المراقبون أن هذه الاعتبارات أدت الى ظهور اتجاهات جديدة عند بعض الدول الاعضاء فى الحلف مثل فرنسا وايطاليا وهى الدول التى تريد أن تتفادى تحويل منطقة الشرق الاوسط الى مسرح**

للصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، وذلك بايجاد حل للنزاع العربي الاسرائيلي ٠
والواقع أنه ليس من قبيل الصدفة أن يتضمن البيان النهائي لدورة مجلس الحلف بضع كلمات حول تخفيف التوتر الدولي ، فالشعوب الاوربية قد انتابها الملل من سياسة حلف الاطلنطي العدوانية ، وظهور الاتجاهات الجديدة التي تعبر عن حدة التعارض بين المصالح الامريكية وبين مصالح اوربا الغربية ، كل هذا لا ينفي أن حلف الاطلنطي لايزال ــ كما كان من قبل حلفا عدوانيا ٠

■ ■

■ **بريطانيا**

رفض ماهو قائم وادانة للسياسة الاقتصادية

حقق حزب المحافظين البريطاني نصرا ساحقا على حزب العمال الحاكم في الانتخابات العامة التي جرت في بريطانيا يوم ١٨ يونيو الماضي، وحصل على ٣٣١ مقعدا باغلبية ٣١ مقعدا على كل الاحزاب ، وعلى العمال وحدهم باغلبية ٤٤ مقعدا

وقد جاءت نتائج الانتخابات العامة بمثابة مفاجأة لم تشهد بريطانيا ٠٠ ولا أوربا الغربية ٠٠ مثيلا لها منذ الحرب العالمية الثانية حين خسر ونستون تشرشل الانتخابات عام ١٩٤٥ ، بعد أن قاد بريطانيا الى النصر ، فقد كانت معظم التوقعات ، واستفتاءات معاهد استطلاع الرأي العام تشير الى فوز حزب العمال بنسبة ٢ ــ ١٢ في المائة أي بأغلبية تتراوح بين ٥٥ ــ ١٥٠ مقعدا ، وكان حزب العمال ــ على ضوء هذه الاستفتاءات يعتبر نفسه وكأنه قد فاز على الورق ٠
والواقع ان مثل هذه الاستفتاءات التي جرت من قبل هي التي حفزت هارولد ولسن وقادة العمال على اجراء انتخابات جديدة في وقت مبكر وقبل موعدها الطبيعي (يناير سنة ١٩٧١) ، مستغلا تحسن موقف حزبه والتصور العام بتزايد شعبيته، غير ان نتائج الانتخابات قد خذلته كما خذلت معاهد استطلاع الرأي العام ٠

ورغم وقع المفاجأة ووسط ضبابها ، راح المعلقون السياسيون يفسرون أسباب هزيمة العمال ، وتضاربت الاراء حول هذه الاسباب ، غير أن مجملها ينحصر في ان اعضاء حزب العمال قد ضللتهم استفتاءات الراي العام ، وبمعنى آخر خاض العمال معركة الانتخابات بغير حماس ، ومن مركز الثقة بالنفس بينما خاضها المحافظون كمعركة حياة أو موت ، فحرصوا على تعبئة كل صوت يمكن الاعتماد عليه ، ومن ثم كانت الانتخابات حامية الوطيس ، التي فيها المحافظون بكل ثقلهم ، وشهدت لندن طوال أيام الانتخابات مظاهرات صاخبة ، واستخدم المرشحون طائرات الهليوكوبتر في الانتقال بين الدوائر الانتخابية ، الا ان هذا التفسير لا يكفي سببا للهزيمة ، أن عوامل الهزيمة تكمن اساسا في ان المحافظين استغلوا المتاعب الاقتصادية الى اقصى حد ، مما بث القلق في نفوس الناخبين ازاء الوضع الاقتصادي في بريطانيا ، فمثلا كان ميزان المدفوعات حتى يوم ١٤ يونيو في صالح بريطانيا ، ثم ظهر عجز مقداره ٣١ مليون جنيه ٠ هذا بينما ارتفعت البطالة في الشهر الماضي وحده الى أعلى نسبة لها منذ ٢٠ عاما ، فانتهز المحافظون الفرصة على الفور واتهموا حكومة العمال بانها تدفع بريطانيا نحو أزمة اقتصادية جديدة ، وقال **ايان ماكلويد** وزير الخزانة في حكومة الظل « ان كل فرد يعرف لماذا ستجرى الانتخابات في يونيو ، ذلك أن الارقام توضح أن شهر العسل الذي أعقب خفض سعر الاسترليني قد انتهى ، وان البلاد ستواجه مصاعب اقتصادية »
كما انتهز المحافظون فرصة اضراب الاطباء في بريطانيا ، واضراب عمال الطباعة وحاولوا أن يثبتوا تدهور الموقف الاقتصادي ، وعدم وفاء حكومة العمال بالتزاماتها في رفع الاجور ٠
ومن جانب آخر كان ارتفاع الاسعار والتجاء حكومة العمال الى فرض ضرائب متزايدة ، موضع هجوم عنيف من جانب المحافظين ، فقد قالوا في حملتهم الانتخابية ، أن الشعب البريطاني بقيادة تشرشل كان قادرا على كسب الحرب بضرائب أقل مما فرضته حكومة العمال وقت السلم ، وقد تعهد المحافظون أثناء حملتهم بتخفيض الضرائب وأسعار السلع الاستهلاكية ، وفي نفس الوقت حذروا من التضخم المالي والبطالة التي سوف يعاني منها الاقتصاد البريطاني اذا ما أستمر العمال في الحكم ، وكان التحذير بتخفيض جديد للاسترليني بمثابة القنبلة السياسية التي أثار بها المحافظون الذعر بين الناخبين ٠

وقد حاول حزب العمال أن يثير عاصفة سياسية حول مشكلة العنصرية وهجرة الملونين ، وأن يستفيد من تصريحات **اينوك باول** زعيم المحافظين المتطرفين والمرشح الوحيد الذي يقوم بدعايته الانتخابية في حراسة البوليس ، ولكن الغريب ان ينجح « اينوك باول » بتصريحاته العنصرية على منافسه العمالي ٠

ومن الواضح أن المعركة الانتخابية دارت ــ بكل ثقلها ــ حول السياسة الداخلية ، فالسياسة الخارجية تكاد تكون موضع اتفاق كامل بين الحزبين ، ولكن الغريب في الامر ان تخلوا الدعاية الانتخابية لكلا الحزبين من أي أشارة للشرق الاوسط رغم أن مشكلة الشرق الاوسط لا تبعد عن

بؤرة اهتمام ساسة بريطانيا ، ولكن يبدو ان اثارة المشكلة لم تكن تساعد فى عملية كسب الاصوات خاصة وان الانتخابات قد اتت بدلالة واضحة على انعدام ثقة الناخب البريطانى بشكل عام فى النظام البريطانى ، فقد تغلب عنصر اللامبالاة ، واختفت من المعركة الاخيرة القضايا السياسية والاجتماعية التى كان يدور حولها الصراع فيما مضى . وكما أوضحت معاهد أستطلاع الرأى العام ، ان عدد المشتركين فى التصويت قد انخفض بنسبة ٥ فى المائة رغم ان هذه الانتخابات تتميز عما سبقتها بدخول حوالى مليونى ناخب جديد بعد خفض الحد الادنى لسن الناخبين من ٢١ الى ١٨ سنة .

والآن ، وقد تحقق فوز المحافظين بأغلبية تتيح لهم تكوين حكومة قوية ، فان المراقبين يتوقعون الا تختلف سياسة المحافظين عن الحكومة السابقة فيما يختص بعلاقة بريطانيا مع الولايات المتحدة وحلف شمال الاطلنطى والامم المتحدة ، فمن المؤكد ان التزام بريطانيا لحلف الاطلنطى سوف يستمر ان لم يزدد قوة ، كما أن من المتوقع أن يزداد التقارب بين بريطانيا والولايات المتحدة بالنسبة لسياستهما فى الهند الصينية والشرق الاوسط ، فمن المعتقد أن تحظى اسرائيل بمزيد من التأييد من جانب حكومة المحافظين ، وان تحصل على مزيد من الاسلحة البريطانية ، وهكذا فى مجال السياسة الخارجية لن يكون هناك اختلاف بارز بين سياستى الحكومتين الا بالنسبة للموقف فى الشرق الاقصى. فبينما قررت حكومة ولسن انهاء الوجود البريطانى فى شرق السويس فى نهاية هذا العام فان حزب المحافظين أعلن اعتزامه الابقاء على الوجود البريطانى بالمنطقة واحتفاظهم بقوة صغيرة فى الشرق الاقصى تشترك فيها أستراليا ونيوزلندا وماليزيا وسنغافورة كما أنه من المحتمل أن تتردد حكومة المحافظين فى الانسحاب بسرعة من الخليج العربى .

أما فى مضمار السياسة الداخلية ، فان كل الدلائل تشير إلى ان بريطانيا سوف تواجه متاعب أقتصادية خطيرة ، فالمراقبون السياسيون يشكون فى أن تضع حكومة المحافظين برنامجها الانتخابى موضع التنفيذ ، كما أنه من الصعب على حكومة المحافظين تفادى ازمة اقتصادية جديدة ، كانت محاولة العمال فى تفاديها تهدف الى خفض النفقات العسكرية بالانسحاب من شرقى السويس .

واذا كانت السمة المميزة للحياة الحزبية فى بريطانيا تتسم فى السنوات الاخيرة بكثرة الخلافات داخل صفوف الحزبين عما هى بين برنامجى الحزبين ، فانه من المتوقع ان يزداد عمق هذه الخلافات وخاصة بين صفوف حزب العمال ، ان أجيالا جديدة بدأت اليوم ترى أن نظام الاحزاب البريطانية بصورتها الحالية اصبح عقيما وعديم الجدوى وأنه لابد من تغيير جذرى .

ان دلالة الانتخابات الاخيرة تتمثل فى رفض ما هو قائم ، اكثر من تعبيرها عن التفاف ، او تأييد حقيقى للمحافظين .

■ ■

■ فرنسا

« اليسار البروليتارى » وطريق العنف ؟

أدى قرار الحكومة الفرنسية فى ٢٧ مايو الماضى بحل منظمة « **اليسار البروليتارى** » الى وقوع اضطرابات عنيفة فى « الحى اللاتينى » بباريس بين أنصار هذه المنظمة والبوليس الفرنسى ، ليومين متتاليين . وأسفر هذا الصدام عن القبض على ٥٠٠ من أنصار هذه الحركة افرج عن معظمهم ، وقدم الباقون الى المحاكمة . وقد أوضح « **ريمون مارسلان** » وزير الداخلية الفرنسية عند طلب حل هذه المنظمة : « أن هدفها هو الاستيلاء على السلطة فى فرنسا عن طريق الكفاح المسلح » ، وأصدر أمرا لقوات البوليس بالبحث عن « **ألان جيسمار** » زعيم المنظمة وأعتقاله .

ومنظمة « اليسار البروليتارى » جزء من حركات اليسار الجديد فى فرنسا التى تتمثل أساسا فى « الحزب الشيوعى الماركسى اللينينى الفرنسى » ، و « الرابطة الشيوعية » (وهى منظمة تروتسكية » وتحالف الشباب من أجل الاشتراكية » وهى (تروتسكية كذلك) .

وكان قد قبض ، قبل اجراءات الحل والاعتقال الاخيرة ، على ٦٩ شخصا من أعضاء هذه المنظمة ، وصدرت ضدهم أحكام بالسجن ، كما اتهمتها الحكومة الفرنسية بالقيام منذ يناير سنة ١٩٧٠ بـ ٨٢ عملا من أعمال العنف والتخريب فى فرنسا .

وهذه المنظمة التى تسمى كذلك باسم « الحزب الشيوعى الثورى البروليتارى » ، و « المقاومة الشعبية الجديدة » ، « ماوية » الاتجاه . ويقدر عدد اعضائها الحركيين بألفى شخص ، ويتزعمها « **ألان جيسمار** » أحد قادة أحداث مايو ١٩٦٨ فى فرنسا ، وكان حينذاك سكرتيرا عاما للنقابة الوطنية للتعليم . وتعتمد هذه المنظمة على الفئات الدنيا من البروليتاريا وعلى العمال المهاجرين ، ولسان حالها هى صحيفة « **قضية الشعب** » ، وقد حظر نشرها منذ منتصف ابريل الماضى وقبض على

مديرين متتاليين لتحريرها هما « جان بيير لودانتيك »[٢٧ عاما] الذى يعمل مدرسا بكلية الفنون الجميلة بباريس ، وميشيل لوبرى الكاتب البالغ من العمر ٢٦ عاما • على أساس ارتكاب جرائم ضد أمن الدولة وتزيين جرائم القتل والنهب والسرقة والحريق ، وعقب اعتقالهما قرر جان بول سارتر فى ٢٧ أبريل الماضى أن يتولى مؤقتا ادارة الصحيفة للاحتجاج على « تقييد حرية الصحافة » وللتضامن مع المعتقلين •

ومنظمة اليسار البروليتارى تكونت فى سبتمبر ١٩٦٨ ، بالانقسام والخروج على « اتحاد الشباب الشيوعى الماركسى اللينينى فى فرنسا » و « حركة ٢٢ مارس » التى يتزعمها الطالب الالمانى دانييل كوهن بنديت أحد زعماء أحداث مايو ١٩٦٨، وقد أوضحت هذه المنظمة أهدافها فى العدد ١٥ من قضية الشعب وغيره وهو « تنظيم الشعب كله فى حرب عصابات »، لإسقاط حكم الاقلية الراسمالية الانانية ، نظرا لان النظام البرلمانى ثبت زيفه وخداعه » • وعلى هذا النحو تكون حركة « اليسار البروليتارى » جزءا من « المعارضة من خارج البرلمان » التى تضم المنظمات الماوية والجيفارية والتروتسكية والفوضوية وغيرها من الحركات اليسارية المتطرفة فى فرنسا •

والحقيقة ان العداء متبادل بين حركة « اليسار البروليتارى » والحزب الشيوعى الفرنسى ، لان هذه الحركة مثلها مثل سائر حركات اليسار الجديد فى فرنسا تنطلق من زاوية رؤية معينة ، وهى أن الحزب الشيوعى قد ركن الى المهادنة ، وترى الحركة أنه لاسبيل الى تصفية النظام الراسمالى فى فرنسا الا باللجوء الى الكفاح المسلح ، ويصور بيير لودانتيك مدير تحرير « قضية الشعب » فى دفاعه عن نفسه أمام المحكمة الموقف فى فرنسا سنة ١٩٧٠ ، بأنه مماثل للموقف الذى كان قائما فيها من ١٩٤٠ ـ ١٩٤٥ أيام الاحتلال النازى ، ويقول بهذا الصدد : [ان « المحتل » هو فى الوقت الحاضر « أصحاب الاعمال » ، أما الحزب الشيوعى الفرنسى والنقابات فهم « المتعاونون » معه ، والأحياء الفقيرة المكتظة بأكواخ الصفيح هى « معسكرات الاعتقال » ، والمناضلون اليساريون هم رجال « المقاومة » و « الانصار » الجدد، الذين يشنون « حرب عصابات » ضد العدو »] •

وقد احتج « الاتحاد الوطنى للطلبة الفرنسيين » على حل منظمة اليسار البروليتارى وقال « ان الاتحاد يدين بأقصى قوة قرارا أحمق فاضحا كهذا ، أحمق لان حل اليسار البروليتارى لن يمنع تطور الكفاح الجماهيرى الذى يشق طريقه بين العمال والفلاحين وصغار التجار والكوادر والمعلمين والطلبة ، وفاضح لانه يضرب مرة أخرى ، حركة لاقصى اليسار ، فى حين أن الفاشست يواصلون بدونها عقاب الانصاح عن حنينهم « لموسولينى » و « هتلر » علنا وبأعلى صوت • واحتجت كذلك المنظمات اليسارية المتطرفة الاخرى مثل « الرابطة الشيوعية التى كتبت تقول « ان السلطة تحاول شيئا فشيئا اخماد الحريات السياسية الباقية » ، ومنظمة « تحالف الشباب من أجل الاشتراكية » التى قالت « ان وزير الداخلية لا يخفى أهدافه وهى مد نطاق الاجراء الذى اتخذه ضد اليسار البروليتارى بحيث يشمل كافة تنظيمات الحركة العمالية »، كذلك احتج على القرار المكتب القومى « للحزب الاشتراكى الموحد » ، ومركز التعليم والدراسات والابحاث الاشتراكية » • أما «الايمانتيه» الناطقة بلسان الحزب الشيوعى فقد عقبت على الاضطرابات التى قام بها أنصار اليسار البروليتارى بقولها « لقد اوضح هذا «اليوم» اذا كان الامر يحتاج الى دليل اضافى ، الى أى درجة يعتبر هؤلاء المغامرون غرباء عن الحركة العمالية والديمقراطية ومرفوضين منها • انهم ذباب أيا كان رأى سارتر فيهم » •

ومما له دلالة بهذا الصدد بوجه عام ما أشارت اليه مجلة « نيوزويك » الامريكية فى ٨ يونيو الماضى عندما اوضحت « ان كثيرا من الطلبة الفرنسيين يوافقون الان على ازدياد قوة اليساريين المتطرفين الجدد باضطراد داخل الجامعات الفرنسية » • وأشارت الى علاقة ذلك بالعدد المتزايد من المثقفين المتعطلين فى فرنسا من دارسى السوسيولوجيا والفلسفة واللغات الذين لا مخرج أمامهم، وضربت المجلة مثلا « بجوديث ميللر » ابنة المحلل الفرنسى الاشهر التى حولت هى وعدد من أصدقائها ، جامعة فينسين الجديدة التجريبية الحكومية الى منبر « ماوى » بمقرراتها الدراسية عن : « الماوية •• المرحلة الثالثة من الماركسية اللينينية » • كما ذكر «رئيس رابطة طلبة جرينوبل » أن « كثيرا من أساتذة الجامعات الفرنسية يخشون أن تتحول جامعات بلادهم الى أرضية يولد عليها جيل بأكمله من الثوريين المحترفين » •

■ ■

■ الاتحاد السوفيتى

انتخابات الاعتبارات الثلاثة

فى ١٤ يونيو الماضى ، جرت فى الاتحاد السوفيتى ، انتخابات مجلس السوفيت الاعلى [البرلمان] الذى يضم ١٥١٧ عضوا يمثلون ١٠٠ قومية مختلفة ، بعد ٤ سنوات هى مدة تجديده الدورى •

ويرى المراقبون أن انتخابات هذه الدورة (شارك فيها ١٥٣ مليون ناخب يمثلون ٩٢ في المائة من مجموع الناخبين) قد جرت في ظل مناخ عام برزت فيه — بشكل خاص — اعتبارات ثلاثة :

● قضايا الاصلاح الاقتصادى الذى حاولت الصحافة المعادية للاشتراكية فى العالم القاء ظلال من التشويه والبلبلة من حوله مستغلة فى ذلك بعض السلبيات التى يعترف بها السوفييت قبل غيرهم ويعملون على تداركها .

● الموقف الخطير الناجم عن تدخل الولايات المتحدة العدوانى فى الهند الصينية بشكل يتصاعد باستمرار ، والموقف المتفجر فى الشرق الاوسط نتيجة لاستمرار اسرائيل احتلال الاراضى العربية منذ يونيو ١٩٦٧ ، ورفضها تنفيذ قرارات مجلس الامن وفى مقدمتها الانسحاب .

● تهيؤ البلاد للاستعداد لانعقاد المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى المنوط به حسم العديد من الامور التى جدت — داخليا وخارجيا — منذ المؤتمر الثالث والعشرين .

ومن المعروف أن مجلس السوفييت الاعلى هو أعلى سلطة فى الاتحاد السوفيتى ، فعنه تصدر القوانين ، وهو الذى يقرر السياسة الداخليه والخارجية للبلاد ، ومن حقه أن يغير مواد الدستور ، كما أنه يمارس الرقابة على كافة أجهزة الدولة ، وهو الذى يناقش الخطة الاقتصادية ويتابع تنفيذها ويعدلها ، كما أنه هو الذى يشكل الوزارة وينتخب الاشخاص ويتابع تنفيذها ويعدلها ، كما أنه هو الذى يشكل الوزارة وينتخب الاشخاص المناسبين لشغل المناصب العليا ويراقب تصرفاتهم ، ومن حقه وحده البت فى مسائل الحرب والسلام والتصديق على الاتفاقيات والمعاهدات ، ويتكون مجلس السوفيت الاعلى من مجلسين : **مجلس القوميات** الذى يضم ممثلين منتخبين من الجمهوريات الاتحادية والجمهوريات ذات الحكم الذاتى والمناطق القومية المختلفة ، **ومجلس الاتحاد** الذى يمثل المصالح المشتركة لكل المواطنين بالاتحاد السوفيتى بغض النظر عن قومياتهم ، ولكل من المجلسين حقوق متساوية ، ويتميز مجلس السوفييت الاعلى عن غيره من برلمانات العالم ، بأن أعضاءه غير متفرغين ، فهم يمارسون حياتهم العملية الى جانب مسئولياتهم فى المجلس ، وفيما بين فترات انعقاد المجلس يتولى العمل اليومى **مجلس رئاسة من ٣٧ عضوا (البريزديوم)** منتخب انتخابا مباشرا من جانب أعضاء المجلسين ، ومسئول أمام مجلس السوفييت الاعلى .

ومن الواضح أن قضية رفع مستوى معدلات التنمية الاقتصادية والمسائل المتفرعة عنها ، كانت هى القضية الرئيسية فى الاجتماعات الانتخابية ، وقد تركزت المناقشات حول نقاط رئيسية ثلاث هى : ضرورة التركيز فى الاستثمارات الصناعية على الصناعات الانتاجية ، وضرورة اعطاء أولوية للتنمية الزراعية ، ثم الاهتمام بشكل أساسى بتحقيق أعلى مستوى من الكفاءة والترشيد العلمى فى ادارة المؤسسات الاقتصادية .

وقد احتلت مشكلة الشرق الاوسط حيزا ملحوظا فى خطب واحاديث كافة المرشحين ، نظرا لحجم وطبيعة العلاقات الوطيدة بين الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة — شعبا وحكومة — هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نظرا لمقتضيات خطورة الموقف المترتب على استمرار اسرائيل لاحتلال الاراضى العربية ، وقد عبر كل من **برجنيف وكوسيجين** عن موقف الاتحاد السوفيتى بقول كل منهما فى أكثر من اجتماع « **ان الاتحاد السوفيتى يتبع بحزم فى الشرق الاوسط خط التأييد الشامل للجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية والدول العربية الاخرى ، التى مضى عليها ثلاث سنوات وهى تخوض نضالا عادلا من أجل تصفية آثار العدوان الاسرائيلى** » .

كما ركز المرشحون فى دعاياتهم الانتخابية على تأييد شعوب الهند الصينية فى نضالها ضد العدوان الامريكى المتصاعد ، وأكدوا ضرورة استمرار مساندة هذه الشعوب بكل الامكانيات المادية والعسكرية والسياسية ، ومن الملاحظ أن معظم الخطب ، كانت تدعو الى مزيد من تدعيم وحدة القوى العالمية المعادية للامبريالية ، واشارة الى قضية « **العلاقة مع الصين** » أوضح كوسيجين ، أن اللجنة المركزية للحزب وكذلك الحكومة ، « ظللنا تسعيان طوال هذه السنوات لاعادة هذه العلاقات الى طبيعتها ، وأساس مثل هذا الموقف هو ثقتنا فى أن مصالح الشعبين السوفيتى والصينى لا تختلف بل هى تتفق ، لكن الجانب الصينى لا يتيح حتى الان تحقيق اى تقدم يذكر لا فى ميدان اعادة العلاقات الى طبيعتها بصفة عامة ، ولا فى محادثات بكين الجارية بين الوفدين الحكوميين بين البلدين لتسوية خلافات الحدود » .

ويرجع المراقبون السياسيون صفة « الهدوء » التى سادت جو الانتخابات ، والتى حاولت بها الصحف المعادية للاشتراكية الزعم « بعدم حماس الناخبين» ، يرجعها المراقبون الىحقيقة ان الدولة توفر لكل المرشحين (وترشحهم الهيئات والنقابات والروابط .. الخ) كافة اساليب ووسائل الدعاية لاقناع الناخبين بانتخابهم .. من صحافة الى اذاعة وتليفزيون ومطابع ، بشكل متساو بين المرشحين ، وقد كان أكثر من نصف الذين فازوا فى

الانتخابات ، من العمال والمزارعين ، ومن بين النواب الجدد ٥ر٣٠ فى المائة من النساء وعدد كبير من الشباب ، ويبلغ عدد غير الحزبيين من النواب الذين انتخبوا ٧ر٢٧ فى المائة .

ومن الطريف أن رائدى الفضاء اندريان نيقولاييف وفيتالى سيفاستيانوف — قائدى السفينة « سويوز ٩ » لم يفتهما الادلاء بصوتيهما فى انتخابات مجلس السوفييت الاعلى .

■ ■

■ **علوم**

حول المؤتمر الدولى العاشر لابحاث السرطان

انعقد المؤتمر الدولى العاشر لابحاث السرطان ، فى الثانى والعشرين من شهر مايو الماضى ، بمدينة **هيوستون** بالولايات المتحدة الامريكية ، وحضر هذا المؤتمر ، وفود العلماء من جميع أنحاء العالم فى الشرق والغرب ، ومثل **د. لطفى أبو النصر** الجمهورية العربية المتحدة فى هذا المؤتمر الذى بحث الوضع العالمى الراهن لمشكلة السرطان ، ويمكن تلخيص أهم نتائج هذه البحوث الدولية فيما يلى :

■ بحث المؤتمر ، العوامل المختلفة التى تؤدى الى الاصابة بالسرطان ، كما تعرض لدراسة دور « الفيروس » فى الاصابة بهذا المرض وخاصة بعد الانباء المثيرة التى نشرتها الصحافة العالمية عن عزل « فيروسات » الاورام الخبيثة فى الانسان ، ولقد ثبت بالتجربة العلمية ، أن ٨٥ فى المائة من أنواع السرطانات المختلفة ، يرجع الى تعرض العضو المعين الى المواد المشعة مثلا ، أو الى مواد كيماوية معينة ، أو الى مواد بيولوجية مثل الفيروسات ، **وثبت بما لايدع مجالا للشك ان تدخين السجاير يسبب سرطان الرئة** ، وأن الالتهابات الناتجة عن احتكاكات بويضات البلهارسيا ، تؤدى الى الاصابة بسرطان المثانة ،

أما عن الفيروس ، فقد ثبت بصورة اكيدة أن **الفيروسات بالذات هى المسئولة عن مرض سرطان** الدم ، والاورام اللحمية الخبيثة «**الساركوما**» فى الحيوانات مثل الفيران والقطط والكلاب والدواجن ، كما ثبت وجود عامل « فيروسى » فى الاورام اللحمية الخبيثة فى الانسان ، قادر على تكوين « مواد مضادة » ، خاصة وان عزل هذه المواد وحقنها فى جنين انسانى بنمو صناعيا ،

تعليق

النشاط الفنى لموسم ٦٩/١٩٧٠

موسم الفن التشكيلى يبدأ عادة بانتهاء الاجازات الصيفية ، وينتصف بسوق الفن التشكيلى ، وينتهى بالمعرض العام للفنون التشكيلية ، ويمكن البحث عن مراجع تقييم الموسم الفنى فى قاعات العرض الرسمية المختلفة ، والقاعات الخاصة كالاتيليه ، وقاعات المراكز الثقافية الاجنبية وفى طليعتها المركز التشيكوسلوفاكى والسوفيتى

هذا من الجانب الداخلى .

أما من الناحية الخارجية فتوجد المعارض الفردية والمعارض الدولية التى يشترك فيها الفنانون بالتعيين من لجنة الفنون التشكيلية .

هذا بالاضافة الى ما تخصصه أجهزة الاعلام من تعليقات واحاديث . ومن هذه المنابع فى نظرى يتوفر الواقع الذى تنبثق منه آراؤنا فى الموسم الفنى الماضى .. ومقارنته بالموسم السابق .. وتوقعاتنا للموسم القادم .. كما وكيفا ...

المعارض الداخلية المصرية تتميز فيها بمعالم رئيسية ، فلاول مرة تقدم خزافنا الكبير **سعيد الصدر** معرضا لاعماله خلال ٤٠ عاما ، جاء نموذجا فريدا لاحياء فنون الخزف الاسلامى المتضمن لجماليات الشكل « الفورم » المصرى والتكنيكات التقليدية والمبتكرة ، واعقبه تلميذه **نبيل درويش** ليؤكد هذا الاتجاه بحصيلة ٧ سنوات من العمل المتواصل ، وكان المعرضان ظاهرة جديدة فى هذا الموسم

ومن المعارض النوعية أيضا لوحات الحفر التى عرضها **حسين الجبالى** فى أخناتون فكانت معرض الحفر الوحيد فى الموسم كله ، ورغم ان الحفر — كما هو معروف — فن الجماهير ، لكن الجبالى — رغم انفاسه المحلية — اتجه بكامله الى التجريد ولم يخاطب الجماهير .

ومن معارض الموضوع تتميز لوحات **عبد الحميد الدواخلى** بأنها ذات مساحات كبيرة ومضمون كبير أيضا ، ولا تصلح للصالونات ، وكأنه خصصها للاماكن العامة والمعارض الخارجية ، فهو المصرى الوحيد الذى قدم القضية الفلسطينية ومعركة المصير التى نخوضها ، باسلوب يميل كثيرا الى التجريد التعبيرى ، بالاضافة الى المعرض الاخير للفلسطينى **فاروق هويدى** الذى اتجه الى التجريد الكامل والسيريالية رغم مسئوليته المباشرة عن القضية

المعارض الداخلية الوافدة يلفت النظر من بينها معرض الطباعة الانجليزى (وقد سمى خطأ بالحفر الانجليزى) لانه يقدم آخر صيحات التكنولوجيا فى الطباعة الفنية التى تكاد تأخذ مكان التصوير والحفر وتقدم الفن للجميع ، ومعرض الفن الشعبى السوفيتى (سمى خطأ بالفن التطبيقى) فقد اعطانا نموذجا فريدا فى الكشف عن الفنون الشعبية الاصلية فى انحاء العالم واهمية نشرها ، وليس اخفائها واستلهامها ، فالفن الشعبى هو الفن المتوارث عبر الاجيال ويدخل فى اطار التقاليد والمشق وتغلب عليه

يمكن أن يؤدى الى تحول خبيث فى خلايا الجنين الطبيعية ، ولكن لم يتأكد بعد ما اذا كانت هذه المواد تنتج عن وجود السرطان فى الجسم ، أم هى السبب فى تكوين السرطان ؟ وعلى الاقل ، فقد ثبت أن هناك ما يدل على أن « الفيروس » يسبب أنواعا معينة من السرطان مثل « بركيت ليمفوما »، وسرطان عنق الرحم ، ولكن لا تزال هناك أشياء كثيرة غير واضحة، وتجابه العلماء جملة من الصعوبات ، الا أن هناك تطورا سريعا جدا فى استقصاء الطبيعة الفيروسية لانواع معينة من السرطان ، يسمح بأن ينظر العلماء بـأمل الى المستقبل .

■ وقد أبدى أعضاء المؤتمر ، اهتماما شديدا ، باكتشاف حالات السرطان فى مراحله الاولى ، والطرق المختلفة للتشخيص المبكر للمرض ، فمن المعروف أن اكتشاف المرض فى مراحله الاولى ، يؤدى الى انقاذ حياة الالوف من مرضى السرطان ومن الوسائل الهامة التى أكد أهميتها المؤتمر ، فى اكتشاف المرض مبكرا :

– الكشف الاكلينيكى وبالاشعة ، بصفة دورية وجماعية على الاصحاء فى المجتمع .

– متابعة الفئات المعينة المعرضة للاصابة بالسرطان ، مثل عمال الصناعات الكيمـاوية ، والمدخنين ، ومرضى البلهارسيا ، باستخدام أجهزة خاصة ، وأحدث هذه الاجهزة ، جهاز قياس درجة حرارة أنسجة الجسم المختلفة . فقد ثبت أن الخلايا السرطانية ، تسبب سخونة أكثر من الاجـزاء الطبيعية فى الجسم ويمكن تحديد موقعها برسم خاص على الجهاز .

– أهمية التحليل الباثولوجى لجميع الاجزاء المزالة جراحيا ، وخاصة فى عمليات امـراض النساء والغدة الدرقية للتأكد من عدم تحولها الى خلايا سرطانية .

– أهمية تطوير وسائل الكشف بالمواد المشعة .

ونظرا لتطور وسائل اكتشاف السرطان فى الدول المتقدمة ، والاستغناء عن كثير من الاجهزة التى كانت تستخدم فى هذه الدول فى السنوات العشر الاخيرة ، فقد طالب د. لطفى أبو النصر بتوزيع هذه الاجهزة على الدول النـامية ، للاستفادة بها كمعونة طبية مفيدة للدول النامية، وهو مطلب انسانى عادل وعملى .

الحرفية والتطور البطىء ، اما المعرض الهام الثالث فهو معرض صغير قدمه الفنان التشيكى : كاريل خابا ، ويدخل فى باب الفنون الفطرية لان صاحبه لم تسبق له اية دراسات اكاديمية ، ونأمل ان يفسح الموسم القادم صدره للفنان الفطرى **محمود اللبان** بالقاهرة ، **وفيليب سليمان** بكوم امبو الذى يخلع الاشجار من حول حانوته لينحت فيها التماثيل ، فهنـاك فى براتسلافا – عاصمة تشلوفاكيا – يقام ترينالى دولى للفن الفطرى لا تشترك فيـه ج.ع.م .

والمعارض الدولية الخـارجية التى اشتركنا فيها تأخذ شكل المسـابقات ، وهى بينالى لوبليانا **يوغوسلافيا** لفن الحفر وبينالى الشباب **باريس** لجميع الفنون ، وأخيرا بينالى **فينيتسيا** الشهير ، ومن الملاحظ ان فنانينا لا يفوزون بجوائز فى هذه المهرجـانات الثقافية الـدولية مما يستلزم اعادة النظر فى طبيعة الاعمـال التى نشترك بها ومدى اصالتها وارتباطها بحياة مجتمعنا الذى يتجه مصيريا نحو معركة لابد فيها من النصر ، ومما يستلزم أيضا احياء مشروع اتحاد عام الفنانين التشكيليين .

المعارض الدوليه وشبه الدوليه داخل الجمهورية ، واولها بينالى الاسكندريه لفنون حوض البحر الابيض الذى ضـم مئات الاعمـال التى أجمع المـراقبون التشكيليون على انخفاض مستواها نتيجة لتوقيت البينالى مع بينالى فينيتسيا مما يحتم العودة به الى السنوات الفردية كما كان قبل النكسة ، والثانى هو المعـرض الدولى الاول لرسوم الاطفال الذى أظهر وحدة الانسانية واتجاه الاطفال فى الدول المتقدمة الى استخدام الخامات الحديثة وخاصة الدول الاشتراكية حيث اتجهوا الى موضوعات التصنيع .

هذه نظرة عامة على الموسم التشكيلى ٦٦/٧٠ ..

ونرى ان يراعى الموسم الجديد ابعاد جديدة أهمها :

١ – مزيد من معارض الخزف الفردية والجمـاعية ، وان تكون متطورة الى اشكال عالمية مـع احتفاظها بالهجـة الشرقية والمحلية ، مع التخلى قليلا من دولاب الخزاف والميل الى التشكيل بما يسمى بالنحت الخزفى .

٢ – فن الحفر .. فن الجماهير .. الفن الذى يتيح للجميع الاستمتاع الجمالى والثقافى .. لا يكفى معرض واحد ، وانما يجب أن تتزايد عروضه وتتجدد فكرة (بينالى القاهرة .. لفن الحفر) .. الفكرة التى نشأت فى الموسم الماضى .

٣ – بالنسبة للنحت ، ونحن أول من نحت التماثيل ، يجب أن تتاح الفرصـة لاقامة معارض جماعية للنحاتين اذا تعذرت المعارض الفردية .

٤ – نؤكد ضرورة اقامة معرض للفن الفطرى الذى يسمى خطأ (الفن الساذج) خاصة وان الترينالى الثالث سيعقد فى براتسلافا سنة ١٩٧٢ ، ويجب ان نعد له معارض محلية يتم فيها الكشف عن العناصر التى ستمثلنا .

٥ – اما عن الفن الشعبى .. فمن المتحف الاثنوجرافى بشارع القصر العينى .. ومن مقتنيات وكالة الغورى .. ومركز الفنون الشعبية ، يمكن ان نقدم للعالم معرضا يهز الحركة الفنية ويثريها .

٦ – وأخيرا .. اتحاد عام الفنانين التشكيليين الذى انتهت الاعدادات لانشائه فعلا باشراف وزارة الثقافة . نأمل أن يخرج الى النور .

مختار العطار

■ أما فيما يختص بالوسائل الحالية لعلاج السرطان والوقاية منه ، فقد أعرب الكثيرون عن عدم جدوى استخدام المصل الواقى من المرض الا فى بعض الحالات النادرة التى ثبت أن الفيروس هو المسئول عنها ، أما الوسائل الحقيقية للوقاية من المرض فتتلخص فى :

ـ منع عادة التدخين الخطرة ، فقد اتضح مثلا أن ٤٠ فى المائة من الوفيات بالسرطان فى بريطانيا ترجع الى سرطان الرئة •

ـ البحث عن المواد المسرطنة وازالتها ، فهى التى تلوث الهواء أو الطعام ، وهذه المشكلة تحتاج الى دعم مالى وبشرى ، لان هناك أكثر من ربع مليون مادة كيماوية جديدة تصنع كل عام من بينها ما يتراوح بين ٥٠٠٠ و١٠٫٠٠٠ مادة تحتاج الى اختبار سنويا •

ـ العلاج الكامل السريع لكافة الامراض التى تؤدى الى السرطان مثل النزلة الشعبية المزمنة لدى المدخنين ، قرحة المعدة ، التهابات عنق الرحم ، التهابات المثانة المزمنة •

أما عن العلاج ، فالى جانب تطور العلاج الجراحى فى مراحل المرض الاولى ، والعلاج الاشعاعى فى مراحله الاخيرة ، فقد أمكن التوصل الى أنواع عديدة من الادوية ، التى تحقق نتائج كبيرة فى العلاج ، ففى الولايات المتحدة وحدها يتم اختبار ٥٠٫٠٠٠ دواء جديد ضد السرطان •

وفى النهاية يمكن ان نؤكد أن هناك تقدما واضحا فى طرق العلاج والوقاية من السرطان ، ستنعكس فى السنوات القليلة القادمه على الانسانية فى كافة أنحاء العالم •

■■■

رسالة من الخرطوم

قضيتا الساعة

من المتوقع أن يشهد السودان خلال الاسابيع القليلة القادمة ــ كتبت هذه الرسالة فى النصف الاول من يونيو ــ نشاطا سياسيا جماهيريا واسعا ، ربما يفوق فى حيويته وحدته ــ أحيانا ــ تلك الحيوية والحدة التى عاشتها الحركة السياسية ــ بكل اطرافها ــ فى اكتوبر من عام ١٩٦٤ •

صحيح أن هذا النشاط وتلك الحيوية ــ المتوقعين ــ انعكاس وتتمة للاجراءات الاقتصادية التقدمية والعميقة ، التى اتخذتها **قيادة** ثورة ٢٥ مايو ، **ولكنه ــ أيضا ــ سوف يمثل بحجمه واتجاهاته ونتائجه ، منعطفا حاسما فى حياة السودان ومصير ثورته لسنوات طويلة قادمة •**

وعلى الرغم من أن هذه الاجراءات الاقتصادية كانت متوقعة ، بل وكانت خبرا شائعا بدون تفاصيل حتى خارج السودان ، فضلا عن أن سلطة مايو الثورية كانت قد أقدمت قبيل احتفالات العيد الاول للثورة على مصادرة عدد محدود من ممتلكات وشركات بعض السودانيين لاسباب تتعلق بالرشوة

أو بالتهريب أو بتمويل التحركات الرجعية — أقول .. انه على الرغم من ذلك ، الا ان حجم عملية التأميم ثم المصادرة، فاق تصورات كثير من المتابعين لتطورات الاحداث فى السودان بل وحتى بعض الشخصيات التى لا يرقى اليها أدنى شك فى طموحها وآمالها الوطنية .

والواقع أن تأميم البنوك [٥ بنوك أجنبية وبنك سودانى وآخر سودانى — فرنسى) وانهاء سيطرة الشركات الاجنبية على التجارة الخارجيه ، كان مطلبا جماهيريا ملحا منذ قبل ثورة مايو، بل وركزت على المطالبة به المنظمات الجماهيرية وبخاصة **اتحاد نقابات العمال والحزب الشيوعى السودانى والحزب الاشتراكى** . ويقدر الخبراء الاقتصاديون رءوس أموال هذه البنوك بما يتراوح بين ١٠ و١٥ مليون جنيه . وتقدر جملة أرباح هذه البنوك فى العام الواحد بـ ٨ ملايين جنيه [رقم تقريبى] نتيجة لعمليات تجميع ودائع ومدخرات المواطنين السودانيين ثم توجيهها فى مجال التسهيلات التجارية خاصة للشركات الاجنبية المسيطرة على مجال التجارة الخارجية . وكان من نتيجة سماح بعض القوانين السابقة فى مجال استثمار رءوس الاموال الاجنبية أن تسربت الارباح ، وكذلك قدر كبير من رأس المال الوطنى ، الى خارج البلاد . وبذلك أصبحت تسيطر هذه البنوك والشركات الاجنبية المرتبطة بها على حركة النقد الداخلى والخارجى ، **مما أدى الى اضعاف عملية التراكم اللازم للتنمية الاقتصادية** .

ومن الملاحظ أنه بالرغم من أن بنك السودان والبنك المركزى كانا فى يد الدولة وكذلك البنك الصناعى والزراعى والعقارى ، الا انها كانت تخضع جميعها لتأثيرات الاوضاع المتحكمة فى المجتمع وفى البنوك الاجنبية . فقد كان هناك بنك النيلين يملك فيه السودانيون ٦٠ فى المائة ويملك بنك الكريدى ليونيه (فرنسى) ٤٠ فى المائة . وكان هناك البنك التجارى السودانى ويملكه أصحاب الاموال السودانيين بالكامل ، ولكن لم يكن لهما — مثلا — دور واضح فى فرض سياسة سودانية فى الاقتصاد القومى . وأمام هذه الحقيقة ضعفت الفكرة التى كانت تنادى « **بسودنة** » البنوك .

ومن أهم الابعاد السياسية لعملية تأميم البنوك ، انها كانت بمثابة عملية **تصفية اقتصادية** لارضية هامة تقف عليها القوى الرجعية والطائفية المرتبطة بالغرب الاستعمارى . وهى تتمة حتمية لعملية التصفية الهامة التى وجهت الى الرجعية متمثلة فى « **مواجهة آبا** » هذه المواجهة التى هيأت الظروف العامة لتلك الخطوة الجذرية بل وحتمت الاقدام عليها . ومن المعروف فى السودان — فى دوائر محدودة — أن عملية فرض الحراسة على أملاك المهدى قد أثبتت أنه لم يكن يملك نقدا سائلا مما يدعو الى التساؤل عن مصير ودور حوالى ٢ مليون جنيه اقترضها من بنك باركليز وحده قبل مدة محدودة من محاولة التمرد فى آبا .

أما شركات التأمين الاجنبية ، فقد كانت تمتص مدخرات المواطنين السودانيين لتحقق على حسابهم أرباحا ضخمة يصدر جزء كبير منها الى الخارج من خلال عملية اعادة التأمين التى تتم خارج البلاد . وقد قضت قرارات مايو الثورية ، بايقاف هذه الشركات عن العمل ، وأعطت وزير الاقتصاد سلطة ادماج وتحويل بعض شركات التأمين الى شركة واحدة . ولكن القرار يوقف نشاط شركات التأمين الاجنبية كلها عن مزاولة عمليات التأمين العادية [كالتأمين ضد الحريق مثلا] ويقضى بتسويتها . أما التأمين على الحياة فيقضى بتصفيته وتحويله الى احدى الشركات الوطنية .

وينظر المراقبون التقدميون الى قرار مجلس الثورة **بتأميم تسويق القطن وانشاء مؤسسة وطنية لتسويقه** ، باعتباره واحدا من أخطر القرارات الاقتصادية التقدمية لثورة مايو ، ويكتسب هذا القرار أهميته الخاصة ، من حقيقة أن القطن هو المحصول الاساسى فى اقتصاد السودان وتجارته الخارجية . ومن ثم فان سيطرة الدولة على حركة تسويقه واتجاهاتها ، يعنى مواجهة أهم معقل من المعاقل التى كانت تعمل القوى المعادية للشعب — من خلاله — على تخريب الاقتصاد السودانى وتكبيد البلاد خسارة زادت — فى كثير من الاحيان — على ٦٠ مليون جنيه سنويا .

وسوف تظل قرارات المصادرة التى سبقت اجراءات مايو — بشكل محدود — والتى أعقبتها — بشكل واسع — وتناولت ٣٠ شركة أجنبية وسودانية، وممتلكات ١٠ أشخاص، دليلا حاسما على المضمون الثورى لهذه الاجراءات من جهة وعلى ان الثورة تمسك — من جهة أخرى — تماما بزمام المبادرة لبتر الاجزاء المريضة أو الدخيلة على جسم الوطن السودانى .

لقد كان الموقف من قضية تعويض أو عدم تعويض اولئك الذين نهبوا الشعب وخربوا اقتصادياته، كان دائما مقياسا لمدى عمق المضمون الاجتماعى لاى قرار يمس ملكية هؤلاء . وقد أثبتت عمليات الاطلاع على وثائق ودفاتر البنوك - التى كانت سرا من قبل حتى على الدولة - أثبتت عددا من عمليات التهريب والتلاعب والتخريب وكشفت مدى ترابط مصالح وحركة تآمر القوى الرجعية والطائفية المحلية مع القوى المعادية للشعب السودانى فى الخارج .

ان قضية رقابة الشعب - ممثلا فى هيئاته وتنظيماته الطليعية - على اعمال المؤسسات التى جرى تأميمها أو الاستيلاء عليها، قضية لا تحتمها فحسب ضرورات سياسية ووطنية ضمانا لمسيرتها وفق الاهداف التى أصر شعب السودان وثورته على التقدم لانجازها، وانما تطرحها ايضا حقيقة أساسية وهى أن الجماهير العاملة بإشراف نقاباتها وتنظيماتها هى التى قامت بفضح عمليات التهريب والتلاعب وقدمت وثائقها الى قيادة الثورة تمهيدا لقراراتها .

وفى لقاء للرائد زين العابدين بالنقابيين فى اتحاد العمال، دعا الى انهاء « الخلافات القائمة بين بعض التنظيمات النقابية والخلافات التى تدور داخل المنظمة الواحدة .. ليقف الجميع كتلة متراصة امام اعداء الثورة والمتربصين بها » وأوضح ان الحكومة قد قررت تخصيص دار لاتحاد العمال لممارسة نشاطه الكبير، من الدور التى صودرت او أممت، كما ستخصص مطعمى « كوباكوبانا » و « الاستقلال » لاتحاد العمال لاستغلال العائد منهما لتمويل نشاطه، وان الحكومة قررت منح العاملين فى المؤسسات المؤممة والمصادرة حق العلاج فى المستشفيات الحكومية كسائر العاملين فى الدولة واجراء تعديلات فى أجور العاملين فى هذه المؤسسات .

مشاركة الجماهير وتبادل الحوار المثمر معها - قبل وبعد اتخاذ الاجراءات الهامة التى تتعلق بمسار الثورة والمجتمع - تلك هى الظاهرة المميزة التى ينبغى التركيز عليها وتأكيدها، كما أنها - هذه الظاهرة - واحدة من الضمانات الهامة لحماية المكاسب الوطنية والاجتماعية من جهة والثورة نفسها من جهة أخرى. ومن هنا نستطيع فهم تصريح **أحمد عبد الكريم** رئيس اتحاد العمال الفرعى ببور سودان، « بأن المؤسسات والشركات المصادرة والمؤممة، تمارس عملها بنجاح تحت اشراف العاملين ونقاباتهم » .

ومن ابرز الامثلة التى تؤكد حقيقة هذه الظاهرة المميزة، طرح قيادة ثورة مايو للخطة الخمسية، التى قدم لها الرئيس نميرى بقوله : « ان التخطيط الاقتصادى فى تصورنا ليس عملية اكاديمية بحتة يقوم بها عدد قليل من الفنيين داخل مكاتبهم، بل هو عمل فنى واجتماعى وسياسى فى المكان الاول . فالتجربة قد أثبتت أن الجهاز الحكومى مهما كانت المؤهلات الاكاديمية للعاملين فيه، لا يمكن أن ينجح فى تحقيق تنمية سريعة اذا لم تتفاعل الجماهير مع سياسات التنمية ... ولهذا فلابد أن تتصدى القيادات الجماهيرية لمنظمات العاملين وتعمل على تفتح وتعدد المبادرات الشعبية الهادفة للاسراع بعملية التنمية، وان تساند تلك المبادرات بكل طاقاتها » . وقد تحددت أهداف الخطة الخمسية فى : ١ - تحقيق الاستقلال الاقتصادى للبلاد . ٢ - توسيع قاعدة القطاع العام وتدعيم دوره كقائد فى كل قطاعات الانتاج ٣ - تشجيع القطاع التعاونى وتوسيع دائرة نشاطه . ٤ - تشجيع القطاع المختلط . ٥ - تشجيع القطاع الخاص فى اطار الخطة الاقتصادية العامة . ٦ - احداث ثورة زراعية وصناعية وحضارية فى البلاد وتغيير علاقات الانتاج الى علاقات اشتراكية وخاصة فى مجال الزراعة . ٧ - اعادة صياغة المواطن السودانى بفتح المنافذ الثقافية والفكرية أمامه عن طريق التعليم وتطويره .

كما تقرر ان يقوم بعض اعضاء مجلس قيادة الثورة مع عدد من الوزراء والشخصيات السياسية العامة بزيارة المناطق المختلفة فى البلاد بشرح اهداف الخطة ومناقشة الجماهير فيها .

وينبغى فهم قرار مجلس الثورة بقيام مؤسسة للدولة لاحتكار استيراد وتوزيع الافلام العربية الهادفة وافلام الدول الاشتراكية والتقدمية وافلام الدول الغربية المعادية للحرب، ينبغى فهمه، فى اطار حرص الثورة على اعادة صياغة افكار المجتمع وعلاقاته بما يتفق واهداف « مايو » التقدمية، وعلى أن تواكب اعادة الصياغة هذه عملية التغيير المادى التى يشهدها السودان اليوم .

وقد اهتمت الخطة الخمسية بالتوزيع الاقليمي للاستثمارات القومية على أساس من الاعتبارات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية معا ، وأكدت الاهتمام اللازم بالتنمية في جنوب السودان ٠

ومن المتوقع ان تتخذ بعض الاجراءات في مجال النشر والطبع ، تضمن أن يسير هذا القطاع في اطار الاهداف العامة للثورة وبناء المجتمع الجديد ٠

ويصعب على أى شخص أن يتحدث عن اجراءات التأميم والمصادرة ثم عن الخطة الخمسية للتنمية في السودان ، دون الاشادة بالدور الذى قام به مجموعة الخبراء الاقتصاديين السوفيت في مجال الخطة الخمسية ، ودور الخبراء الاقتصاديين المصريين وفي مقدمتهم الدكتور عبد الرازق حسن ٠

ويمكن لكل من تابع عن قرب احتفالات الجماهير بالعيد الاول للثورة ، والشعارات السياسية التى كانت ترفعها وتهتف بها ، ان يدرك أن هذه الشعارات انعكاس صادق للحركة السياسية في السودان والتيارات المختلفة التى تعمل فيها بحجمها الحقيقي ٠ فقد كان واضحا ـ حتى قبيل اعياد الثورة ـ أن معركة هامة تدور حول شعارين أساسيين :

● المطالبة باقامة **جبهة وطنية** ، وهو شعار التفت حوله ـ عن حسن نية ـ عناصر تفترض امكانية « المصالحة » والتفاف الجميع حول الثورة ، كما التفت حوله في الاساس ـ وعن سوء نية مخططة ـ القوى السياسية التقليدية والرجعية داعية الى مفهوم « عفا الله عما سلف » و « نحن جميعا نؤيد الثورة » و « لنبدأ من جديد دون النظر الى الماضي السياسي لاى طرف » ٠ وكانت هذه القوى ترمى الى تطويق الثورة ومحاصرتها ثم عزلها عن الجماهير لتجميدها على الاقل أو تصفيتها في نهاية الامر ٠

● المطالبة **بوحدة القوى الثورية** فقط ، على أساس أنها ـ بكل فصائلها وبحكم التجربة التاريخية ـ صاحبة المصلحة في قيام الثورية وبقائها واستمرارها بل وتطورها ٠

وقد حسم الرئيس نميرى هذه المعركة بوضوح ، حينما أكد أن المطلوب هو « وحدة القوى الثورية » كضمان وحيد لحماية الثورة واستمرارها ٠ بل وفضح في أكثر من مجال للحديث مناورات القوى التقليدية والرجعية ومحاولاتها الايقاع بالثورة في شباك مواجهة فصائلها لبعضها البعض ٠ وقد حرصت الثورة ، وهى تقدم على « مواجهة آبا » أن تضرب كل فرق الطائفية والحيلولة دون أن تستفيد طائفة ـ كالختمية مثلا ـ من ضرب قوى الانصار المضادة للثورة ٠ والجدير بالذكر هنا أن الرئيس نميرى والرائد أبو القاسم محمد ابراهيم عضو مجلس الثورة ، قد قابلا محمد عثمان الميرغنى وأوضحا له اصرار الثورة على أن يوقف نشاطه الطائفي لانها ستضرب كل الطائفية بكل حزم ٠

ويستشهد المراقبون تدليلا على مدى ومستوى الحيوية المتوقعة قريبا لنشاط الحركة السياسية ، بما شبهوه « بالحوار » الذى لوحظ بين الجماهير التى حضرت الاحتفالات في استاد الخرطوم الرياضي ، وبين رئيس القذافي حول بعض القضايا التى تمس رءوس موضوعات هامة هى بالفعل مثار جدل كثير وعميق بين التيارات والفصائل الثورية المتعددة .. ربما تكون قد حسمت بالمناقشات والتجربة العملية منذ زمن ٠

ومن الملاحظ أن خطاب الرئيس جمال عبد الناصر ، قد لقى ترحيبا وارتياحا عاما واضحا وملموسا بين الجماهير ، خاصة وأنه قد حدد فيه كثيرا من المواقف الواضحة حول قضايا حيوية كانت الجماهير السودانية والعربية تواقة لان تعرفها ٠ وكانت الهتافات والشعارات التى استقبلت خطاب الرئيس جمال عبد الناصر دليلا لا تخطئه اذن او عين على مدى هذا الارتياح ٠

ومن الدلائل الواضحة على مدى ديمقراطية المناخ السياسي العام في السودان ، الخطاب الذى القاه الرئيس نميرى أمام المواطنين وقدم فيه ـ على امتداد أكثر من ٣ ساعات ـ كشف حساب لاعمال الثورة في العام السابق ولاخطائها التى تسعى الى تجاوزها ٠ وكم كان ملفتا للانتباه أن الرئيس نميرى كان يفسح من خطابه الوقت للجماهير الشعبية لتعلن عن مطالبها التى تركز فيها على ضرورة استكمال عمليات التطهير في أجهزة الدولة ٠

ومن الواضح أن كل فصائل الثورة ، مقتنعة اليوم تماما ، بأن الخطـــر الخارجى المتمثل فى أعمال التمرد فى الجنوب على الحدود ، هو خطر حال ومباشر . وفى هذا الاطار ينبغى فهم الزيارة التى قام بها الرئيس نميرى فى أعقاب احتفالات الثورة، الى جمهورية وسط افريقيا، ويستطيعكل من زار الجنوب أن يدرك أنه الى جانب أهمية خطوة « الحكم الذاتى » للجنوب التى أقدمت عليها الثورة منذ أيامها الاولى، فان قضية زيادة حجم الخدمات فى الجنوب واقامة المدارس والمستشفيات فضلا عن تربيط الجنوب بالشمال بطرق مواصلات أخرى غير طريق الجو الموجود ، تلك جميعها **قضية أساسية** لضمان الحفاظ على وحدة تراب الوطن السودانى .

وليس صدفة أن يقوم الرئيس نميرى بعد ذلك بجولة فى دول أوربا الاشتراكية . هذه الجولة التى تكتسب دلالات هامة اكدها الرئيس نميرى فى خطابه بقوله أن الثورة السودانية جزء لا يتجزأ من حركة الثورة العربية والعالمية . ويتوقع المراقبون أن تكون قضية التنمية والخطة الخمسيـة ، والامكانيات والخبرات التى يمكن أن تقدمها هذه الدول فى هذا المجال ، هى المحور الاسـاسى للمحادثات .

وتتفق جميع اطراف الفصائل الثورية فـى السودان اليوم، على أن هناك قضيتين اساسيتين هما « **قضيتا الساعة** » فى السودان :

أولا : قضية حماية « مكاسب مايو » ودعمها .

ثانيا : تعبئة الجماهير والاحتفاظ بيقظتها بشكل دائم ونام لتعميق الابعاد التقدمية لهذه المكاسب من جهة ، وتطويرها والتقدم بها نحو آفاقها المرتقبة من جهة أخرى .

وهنا تطرح ــ وبشكل طبيعى ومنطقى ــ قضية **الميثاق الوطنى** [أى برنامج العمل للمستقبل] الذى يوشك ان يطرح لمناقشته فى صـــفوف الجماهير ــ هذا أن لم يكن قد طرح بالفعل عند مثول هذه الرسالة للطبع .

وتقول المصادر المطلعة أن عملية وضع الخطوط العريضة للميثاق وصورته الاولى التى تطرح بها للجماهير ، قد ضمت وشاركت فيه معظم قيادات القوى الثورية بمدارسها المتعددة . وقد أعلن أن اللجنة الشعبية للميثاق التى ستتولى عملية طرحه وتنظيم وسائل التعبير الجماهيرى فيه ، تضم ٢٥٧ عضوا يمثلون مختلف قوى الشعب من العمال والمزارعين والشباب والحركة النسائية والقوات المسلحة .. الخ . وقد شكلت لجنة تنفيذية لمباشرة العمل اليومى .

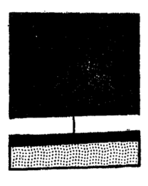
ولقد أصبح معروفا أن الميثاق قد حدد بحسم أن « الاشتراكية العلمية » هى الحل الوحيد للقضاء على مشاكل الشعب السودانى ولتحقيق آماله فى التقدم وفى حياة جديدة يتخلص فيها من كل آثار التخلف والاستغلال . وسوف يحدد الميثـاق الاهداف القريبة المدى والبعيدة المدى لقوى الشعب السودانى ووسائل تحقيقها .

بقى أن أقول أن الجدل كان ــ وسوف يظل يدور حول قضية التنظيم السياسى الذى ينقسم فصائل الثورة وجماهيرها وهل هو : حــزب طليعى ، أم حزب جماهيرى . تنظيم واحد ، أم جبهة أم وحدة عمل ... الخ .

وربما كان من الصعب التنبؤ مقدما بما يمكن أن تنتهى اليه قوى الثورة وفصائلها من صياغة حول هذه القضية الهامة ، ولكنه يجب على المرء ــ المحب لشعب السودان والمخلص لاماله وطموح ثورته ــ الا يستجيب لاية مخاوف تراوده ، فقد أثبت شعب السودان وفصائله الثورية القدرة على تجاوزها مستفيدا من خبرات نضال « العالم الثالث » خلال مراحل المد والجزر ضد الاستعمار القـديم والجديد .

ان سودان ٢٥ مايو ، أحوج ما يكون اليوم وأكثر من أى وقت مضى طوال تاريخه ، الى طاقة وجهد وعمل وتضحيات كل ابنائه الثوريين أيا كان حجمهم الادبى أو السياسى، بل فى حاجة ــ أشد ما تكون ــ الى وحدة ابنائه الثوريين بمدارسهم المختلفة ، كل مدارسهم المختلفة . وهو فى نفس الوقت فى حاجة ــ أشد ما تكون ــ الى أن يضرب وبأقصى سرعة وبأقصى عنف كل محاولة للانقضاض على مكاسب مايو العظيمة أو اشاعة الفرقة بين فصائله الثورية التى تعنى وحدتها ضمان وجودها واستمرارها طالما استوعبت دروس أكتـوبر وخبرات « المواجهة فى أبا » وسائر خبرات العالم الثالث أمام ضراوة هجمات الاستعمار الجديد .

حسين شملان









■ تأليف :

فلاديسلاف جومولكا

■ عرض وتقديم :

خيرى عزيز

■ الناشر :

دار كسيازكا ايفيدزا
البولندية (الطبعة الانجليزية)
وارسو سنة ١٩٦٩ —
٤٣١ صفحة

■ بالرغم مما تنطوى عليه المشكلة الالمانية من أهمية بالغة بالنسبة لحياة ومصير الشعب البولندى ، الا أن « فلاديسلاف جومولكا » السكرتير الاول لحزب العمال البولندى الموحد ، عندما تصدى لتحديد خط الحزب والدولة البولندية بالنسبة لهذه المشكلة ، لم ينطلق فحسب من الاعتبارات القومية العادلة الخاصة ببولندة ، وانما انطلق بدءا من حقيقة أممية دولية عامة ، ذلك أن هناك نقطة أساسية حكمت تفكير جومولكا وبخاصة فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، واتضحت بجلاء فى كتابه « عن المشكلة الالمانية » وهى أن المشكلة الرئيسية التى ينبغى أن تحكم نظرتنا لكافة المشاكل الاخرى هى ، **ضرورة حماية البشرية من خطر حرب عالمية جديدة** ·

وفى اطار هذه النظرة الاستراتيجية العامة ، اتسق الموقف الخاص بمصالح بولندة القومية مع الموقف الاممى العام ازاء مصالح الشعوب الاوربية وشعوب العالم أجمع · هذا على الرغم من أنه لا توجد هناك أمة أخرى فى العالم عانت من المانيا مثلما عانت الامة البولندية ، فعبر القرون ولمدة الف عام اعتدى الالمان على اراضى بولندة وضربوها واحرقوها ونهبوها وقتلوا الشعب البولندى ، وقد قتل الالمان ٦ ملايين مواطن بولندى ، وهى أعلى نسبة للضحايا بالنسبة لعدد السكان ، وكان كل يوم من أيام الاحتلال النازى يعنى بالنسبة للشعب

البولندى مقتل ٣٠٠٠ من أبنائه بأيدى النازيين ، وعلى وجه الاجمال فقد قتل النازيون فى فترة احتلالهم ٢٢ فى المائة من الشعب البولندى .

ولكن اذا كانت السياسة العدوانية للطبقات المالكة الالمانية الاقطاعية والرأسمالية قد قامت اساســا على الغزو والتوســع الامبريالى نحو الشرق ، الا أن العلاقات بين الشعبين الالمانى والبولندى قد اشتركت فى تحديد طبيعتها أيضا القوى التقدمية فى كلا البلدين ، « فأشهر وألمع ممثلى الديموقراطيين الالمان والبولنديين ، وكذلك رواد ومؤسسى حركة الطبقة العاملة الثورية فى كل من ألمانيا وبولندة ، عارضوا سياسة العسكريين الالمان ، سياسة « الزحف نحو الشرق » وقدموا بديلا عنها فكرة التضامن بين الشعبين الالمانى والبولندى فى الكفاح من أجل حرية الامم ومن أجل الديموقراطية والتقدم الاجتماعى » . كذلك وجدت قضية حرية بولندة فى **ماركس وانجلز** أعظم أبناء ألمانيا ومؤســسى الاشتراكية العلمية متحمسين باسمها ، ومدافعين دؤوبين عنهـا ، وارتبطت حركة الطبقة العاملة ـ أيضا ـ فى بولندة والمانيا بأوثق روابط الصــداقة والاخوة والتعاون ، وقد اشترك أبرز الثوريين البولنديين مثل « **روزا لوكســمبورج** » و « **جــوليان ماركليفسكى** » فى قيادة الحزب الاشــتراكى الديمقراطى الالمانى ، وفى تأسيس الحــزب الشيوعى فى ألمانيا ، كما تضافرت جهود العمال البولنديين والالمان كثيرا فى الكفاح ضد الاستغلال الرأسمالى ، وفى فترة ما بين الحربين العالميتين تلقى الشيوعيون البولنديون المساعدات الاخوية العديدة من الحزب الشيوعى فى ألمانيا .

ويرى جومولكا أن قيام ألمانيا علــى أسس ديموقراطية هو الشرط الرئيسى للسلام فى أوربا ، وأن ظهور أية دولة ألمانية رجعية سيشكل ـ على الدوام ـ تهديدا لامن الدولة البولندية وللتعايش السلمى ، ولتطور الامم الاوربية الاخرى .

ومن هذه الناحية يرى جومولكا ، أن مصالح الامبرياليين الامريكيين والبريطانيين كانت تتطلب قيام دولة ألمانية رجعية . فقد توصلت هــاتان الدولتــان الى حقيقــة أن نــزع ســلاح ألمانيا « ومقرطتها » أمر فى غير مصلحتيهما ، وان اهداف سياستهما يتطلب بناء القوة العسكرية والاقتصادية لالمانيا مرة أخرى ، وأن تقام ألمانيا على أسس رجعية ، وعلى عناصر متشربة بالروح النازية ، ويحتــاج الامبــرياليون الامــريكيون والبريطانيون الى هذه الدولة الالمانية الغــربية الرجعية من أجل الحفاظ على « **المصنع الحربى** » فى الرور ، وبضـــم هـــذا « المصـــنع » الى مشروع « مارشال » ، أرادت الولايات المتحدة ، أن تزيد من قوة ألمانيا فى مجال الصناعات الحربية ـ وعلى هذا النحو تكون منطقــة الرور فى أيدى الاحتكارات الامريكية والرأسماليين الالمان ، بمثابة قبضة حديدية تهدد بها أوربا ، وكل الامم التى لا تريد أن تبيع سيادتها وحقوقها الديموقراطية .

وأشار جومولكا الى أن سياسة جمهورية ألمانيا الاتحادية اتجهت وتتجه لتحقيق ٣ أهداف رئيسية هى : **أولا :** اعادة بناء قوة ألمانيا العسكرية ، بانشاء الجيش الالمانى الغربى وتزويده باحدث الاسلحة بما فيها الاسلحة النووية .

ثانيا : العمل على اعادة النظر فى الحدود الحالية فى أوربا ، وبخاصة حدود بولندة على الاودرنيس .

ثالثا : السعى من أجل استعادة الدور القيادى لالمانيا فى أوربا ، ودعم اقتصاد جمهورية ألمانيا الاتحادية ، وقوتها العسكرية الى الدرجة التى تستطيع بها فرض ســياســتها على دول حلف الاطلنطى الاخرى .

واذا كان قادة ألمانيا الاتحادية يعلنون أنهم لا ينوون تحقيق مطالبهم الخاصـــة باعادة رســم الحدود عن طريق استخدام القوة ، فان أحدا لا يأخذ تصريحاتهم بهذا الصدد مأخــذ الجــد لان التاريخ الالمانى كله يكذب ذلك ، ومن الناحيه الواقعية فان أية محاولة لاعادة النظر فى حدود الاودرنيس ستؤدى اوتوماتيكيا الى وقوع الحرب ، فقد أصبحت الاراضى التى أعيدت لبولندة جزءا لا يتجزأ من حدود الوطن يسكنه ٧٫٥ مليون بولندى ، ولد اكثر من ثلثهم هنــاك منذ اســتعادة هــذه الاراضى .

ويرتبط تحقيق هذه الاهداف الرئيسية الثلاثة ، بخط تصفية آثار هزيمة الرايخ الهتلرى الثالث الذى سعتبون لجعله سياسة رسمية لها ، والذى يستهدف اعادة بناء ألمانيا كقوة امبريالية كبرى .

وقد ادى هذا الخط الى توفير الظروف لظهور قوى نازية جديدة ، ولدعم قوى الانتقاميين المتطرفين فى ألمانيا الغربية ، فأصبح لها مرة أخرى حزبها القانونى ، وهو حزب غير قوى ، ولكن المسألة هى ان القومية والشوفينية والاتجاهات الانتقامية اصبحت برنامجا للحزب الديموقراطى المسيحى وبخاصة لفرعه فى بفاريا ، وهو الحزب المسيحى الاجتماعى الذى يتمتع بنفوذ كبير ظل غالبا على الحياة السياسية فى جمهورية ألمانيا الاتحادية لمدة عشرين عاما تقريبا ، وقد دعا **فرانز جوزيف شتراوس** زعيم الحزب المسيحى الاجتماعى الى تنفيذ برنامج يستهدف تحقيق سيطرة امبريالية ألمانيا الغربية

تحت شعارات مثل « **توحيد اوربا** » و (« أوربة » السياسة الالمانية) ، التى يقصد بها هنا ، ضم اوربا الغربية لخريطة بون ، الامر الذى يعنى سيرها بشكل أسرع فى طريق الانتقاميين الالمان .

ومع ذلك نجد جومولكا يتخذ موقف الادراك الدقيق فيما يتعلق بطبيعة آراء ومواقف الشعب الالماني نفسه في جمهورية ألمانيا الاتحادية ، اذ انه يعتقد أن جمهورية ألمانيا الاتحادية لا تضم الانتقاميين والقوى المعادية للبولنديين فحسب ، وانما تضم اناسا ذوي نوايا حسنة أيضا .

فمن ناحية أشار جومولكا الى أنه على الرغم من أن كل دول كتلة حلف الاطلنطي ، تساند من ـ الناحية الرسمية ـ ما يسمى باعادة توحيد ألمانيا ، وأن أيا منها لم يعترف بجمهورية ألمانيا الديموقراطية ، أو بحدود بولندة الغربية ، الا أن ذلك لا يعني ان موقفها من هذه المسائل متطابق تماما مع موقف جمهورية ألمانيا الاتحادية .

ومن ناحيةاخرى ، وعلى الرغم من صدور هذا الكتاب قبل اجتماعى « **ايرفورت** » ، « **وكاسيل** » اللذين التقى فيهما رئيس وزراء ألمانيا الديموقراطية ، بالمستشار الالماني الغربى ، الا أن جومولكا كان قد عبر فى خطاباته الاخيرة عن تلمسه الواضح لحقيقة « انه قد ظهرت منذ بعض الوقت فى دوائر محددة بجمهورية ألمانيا الاتحادية ، اتجاهات تدل على موقف مختلف اختلافا يسيرا عن سياسة بون الشرقية ، مثل موقف ممثلى الحزب الاشتراكى الديموقراطي من نداء بودابيست الذى وجهته الدول الاشتراكية فى شرق أوربا ، والتوقيع على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية ، والموقف من جمهورية ألمانيا الديموقراطية وسياسة بون الشرقية ، وقد اتضح هذا الموقف فى بيانات قيادة الحزب الاشتراكى الديموقراطى فى ألمانيا الغربية فى مؤتمريه **بنورمبرج وباد جودسبرج** وفي التصريحات التى أدلي بها **فيلي برانت** وكان لايزال حينذاك نائب مستشار ألمانيا الاتحادية » .

الا أن جومولكا قد أوضح « أنه من الصعب فى الوقت الحالي أن نحكم على مدى ما تعكسه هذه الاتجاهات من تكتيكات ومناورات سياسية ، ومدى ما تعبر عنه من محاولات لتقييم الحقائق الحالية فى ألمانيا وأوربا تقييما واقعيا » .

وهو يرى أن الصيغة التى قدمها الحزب الاشتراكي الديموقراطى على لسان **فيلي برانت** فى مؤتمر الحزب بنورمبرج فى ١٦ مارس سنة ١٩٦٨ ، حول اعتراف جمهورية ألمانيا الاتحادية بحدود **الاودرنيس** ، ولو انها تمثل خطوة الى الامام بالمقارنة مع الموقف الذى عبرت عنه بهذا الصدد كل حكومات ألمانيا الاتحادية من قبل ، الا أنها لا تزيد فى حقيقتها عن كونها اقرار **بالامر الواقع** الخاص بحدود **الاودرنيس** وبصفة مؤقتة ، لان صيغة نورمبرج تحدد بداءة ، أن رسم خط الحدود بشكل نهائى يظل قائما كقضية ويؤجل حتى انعقاد مؤتمر للسلام مع ألمانيا ، وقد أشار جومولكا الى حقيقة ان جمهورية ألمانيا الاتحادية تحاول باستغلال صيغة نورمبرج ، تفادى أى اتهام لها من جانب الرأى العام العالمى ، بوضع حدود **الاودرنيس** موضع تساؤل .

وهو يرى أن المعيار الاساسى لاتجاه سياسة ألمانيا الاتحادية كان ـ وسيظل ـ هو اعتراف حكومة ألمانيا الاتحادية بالحدود القائمة حاليا فى اوربا ، بما فيها حدود **الاودرنيس** ، كحدود نهائية ، والاعتراف بوجود جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، كدولة ذات سيادة ، ودولة ألمانية شرعية تماما ، وباختصار فان جومولكا يربط بشكل لا ينفصم بين مصالح الامن والسلام بالنسبة لكافة الدول الاوربية ، وبين الخريطة السياسية القائمة حاليا في أوربا .

وهو يعتبر قيام جمهورية ألمانيا الديموقراطية بمثابة نقطة تحول هامة جدا فى تاريخ ألمانيا وأوربا تظهر بأقصى درجة من الوضوح فى العلاقات بين الشعبين البولندى والالمانى .. كذلك يعتبر جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، اول دولة ألمانية محبة للسلام فى التاريخ هى اعظم انجاز حققه الشعب الالمانى ، وعبرت معاهدة **زجورزيليك** بين ألمانيا الديموقراطية وبين بولندا عن التحول التاريخى فى العلاقة بين الشعبين .

ويرى جومولكا انه لا توجد هناك اية عقبات ذات طابع قانونى ، تحول دون اعتراف جمهورية ألمانيا الاتحادية بحدود بولندة الغربية القائمة كحدود نهائية ، وقد أوضح فى خطاب له فى مايو سنة ١٩٦٩ استعداد بولندة لعقد معاهدة دولية مع جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، بيد انه اشار الى المعاهدة التى عقدت من قبل ، منذ ١٩ عاما مع جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، بيد انه أشار الى

أنه اذا أصرت حكومة جمهورية ألمانيا الاتحادية على ان عقد معاهدة كهذه مع بولندة ، قبل عقد معاهدة سلام مع ألمانيا ، يخالف اتفاقات بوتسدام . فان بولندة تقترح عليها فى هذه الحالة ، التقدم الى الاتحاد السوفيتى وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة بالسؤال التالى وهو : « هل لجمهورية ألمانيا الاتحادية ، الحق فى عقد معاهدة مع بولندة تعترف فيها بالحدود البولندية الحالية على الاودونيس كحدود نهائية أم لا ؟ وسوف يوضح رد كل دولة من هذه الدول ، الموقف بجلاء أمام أوربا كلها .

ان المشكله الالمانية فى حقيقتها ، لا تنحصر من وجهه نظر جومولكا فى مجرد مشكلة النزاع على الاراضى والمسائل المتعلقة بالدولتين الالمانيتين وعلاقاتهما بالدول المجاورة لهما ، ذلك ان المشكلة الالمانية كانت ولاتزال مرتبطة بالمشكلة المحورية لعصرنا ، مشكلة السلام والامن الجماعى والتعايش السلمى .

ولقد حدد جومولكا بوضوح فى النهاية موقف بولندة ، وهو أن بولندة لن تعقد معاهدة مع جمهورية ألمانيا الاتحادية ، لا تتفق مع معاهدة زجورزيليك التى عقدت مع جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، **ولن تقبل بولندة قط اعتبار حدودها الغربية حدودا مؤقتة حسبما ترى بون ، ولن تضفى الشرعية قط على مطلب اعادة رسم خط حدود الاودرنيس ، سواء اليوم او غدا ، سواء علنا أم سرا .**

ان كتاب جومولكا « عن المشكلة الالمانية » ليس بحثا سياسيا أكاديميا تقليديا ، وانما هو وثيقة تحدد مواقف الدفاع عن الاستقلال والسلام فى أوربا والعالم بالنسبة لبلد يبنى الاشتراكية .

■■■

أربعون فلاحا فى فصل

■ **تاليف :**

رشدى ابو الحسن
رفعت طنطاوى

■ **عرض وتعليق :**

د . رفعت السعيد

■ **الناشر :**

دار الثقافة الجديدة ـ ١٩٧٠

ليس مجرد كتاب عادى ، فهو تسجيل حى لتجربة حية قام بها صحفيان شابان فى محاولة فريدة للتعرف على العمق الحقيقى لمشكلة محو الامية فى المجتمع المصرى .

ولانها تجربة فريدة ، فانها تتخذ لنفسها كما يقول المؤلفان « طابعا رومانسيا فرديا حالما » . وحتى يتحول الموقف الرومانسى الحالم الى تيار ثورى ينتظم المجتمع كله، فان الامر يتطلب جهدا جماعيا ومنظما من جانب كل القوى الثورية فى المجتمع، تلك القوى التى يتعين عليها أن تدرك أن معركة محو الامية هى فى الاساس معركة سياسية واجتماعية واقتصادية ، تمس كل جذور الحياة الراهنة والمستقبلة ، وأن الخطر الحقيقى للامية هو أنها تخلق أمتين احداهما متعلمة والاخرى محرومة من أبسط شعاع يضىء ، وللاسف فان هذه الاخيرة تمثل الغالبية الساحقة .

وتبدو أهمية الكتاب فى انه تتويج لموقف نضالى ، خاصه شابان صحفيان قررا ذات يوم ان يتلمسا بأنفسهما أبعاد معركة « محو الامية » فشدا الرحال الى قرية فى أعماق أعماق الريف، « **المطاهرة البحرية** » مركز المنيا ، وأقاما هناك فى انقطاع تام عن حياة المدينة سبعة أشهر كاملة ، عاشا خلالها حياة الريف ، ومارسا فى محك التجربة ، بل وضعا موضع الاختبار الفعلى كافة الاجهزة التى تعمل فيه ٠٠ لجنة الاتحاد الاشتراكى ، الجمعية التعاونية ، المدرسة الابتدائية ، مديرية التربية والتعليم ، الروتين الحكومى ، التقاليد الاجتماعية والجنيهات الخمسين التى أمكن تدبيرها لاستئجار كلسوبات وشراء « رتساين » وكراريس وأقلام و « الانياب » التى اعتادت أن تفترس أى مال عام، والتى تنبهت بسرعة ، محاولة أن تنهش هذا المبلغ الضئيل ، المنطلقات الفكرية للفلاح والعوائق التى تقف أمام عملية التعلم ٠٠ الخ

والتعليم بالنسبة لفلاح كبير السن وفى ظل مجتمع القرية ليس مسألة سهلة «عزيق الفاس أسهل عندى من فهم المد والتنوين » هكذا صاح أحد الفلاحين الدارسين فى الفصل . والفلاح بالرغم من كل الاقوال التى تتردد عن بطالته المقنعة ، وعن أوقات فراغه الطويل لا يجد وقت فراغ حقيقى ، فانتظار نوبة الرى ، والمشاغل اليومية الكثيرة ، والواجبات الاجتماعية والامراض المتكررة ٠٠ كل هذا يلتهم وقته كله ، ويتركه دوما معلقا بين الانشغال والفراغ •

ولهذا فان المعركة ليست هينة ولابد لها من دوافع جادة تحرك الفلاح وتحفزه ، كى يواظب يوميا على حضور الدرس ، وأن يجهد عقله ووجدانه اجهادا حقيقيا ومتواصلا حتى يستطيع أن يتعلم • لكن الدوافع التى تحث الفلاح المصرى على التعلم هينة بل ومبتذلة كما يصفها المؤلفان :

- علشان اذا سافرت المنيا أعرف أقرا أسامى الشوارع •
- يمكن الاقى ورقة فى الشارع أعرف فيها ايه.
- عاوز أكتب جواب لشيخ الطريقة الشاذلية فى مصر •
- عايز أعرف أكتب أسمى وكفاية كده.

هكذا عبر الطلاب عن مطامحهم عندما وجه اليهم السؤال .. لماذا تريد أن تتعلم ؟ .

ويشعر المدرسان بالدهشة لان أحدا لم يقل انه يريد ان يتعلم كى يناقش حسابه فى الجمعية التعاونية ، أو لكى يعمل فى مصنع الغزل بالمدينة الذى يشترط معرفة القراءة والكتابة ، ان القرية مجتمع شفهى ، لم يشعر بعد بالحاجة الملحة للقراءة والكتابة ، ولا تبقى أمام الفلاح سوى دوافع تافهة ، لا يمكنها أن تخلق سوى جهد سطحى وغير مثابر •

وهنا يكمن دور التنظيم السياسى ليس فقط فى حشد المدرسين وايجاد الامكانيات ، وانما أساسا فى احداث تحول جماعى فى وجدان الفلاح المصرى يحفزه الى استلهام دوافع أكثر ايجابية وأكثر قدرة على شحذ حماسه للتعلم .•

« ان القراءة ليست أن تعرف شيئا ، وانما أن تصبح شيئا » هكذا يقول الكتاب وهكذا يتعين أن يقول العاملون بالنشاط السياسى •

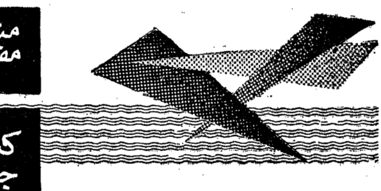
وهذا يخط المؤلفان كلمات صيغت من واقع الممارسة العملية ، كلمات تحولت مع الاحتكاك الواقعى بالفلاح ومع الممارسة المثابرة الى جمل موجزة كل منها أشبه ما تكون بالحكمة، أو الكلمة المأثورة •

لكن التجربة الرومانسية يمكن أن تظل حلما باردا اذا لم تعمم وتصبح مفتاحا لعمل جماعى شامل ، ذلك أن العمل الاشتراكى سيظل حتما قاصرا ومعزولا ، اذا عاش فى مناخ المدينة وحدها ، وفى ظل الامية السائدة فان امتداده الى الريف سيظل امتدادا شكليا بحتا طالما أن الفلاح الحقيقى لايزال أميا •

هكذا يتعين أن نضع القضية فى بعدها الحقيقى ، خاصة وأن عوامل عديدة لازالت تؤدى حتى الان الى انفلات صغار كثيرين من تيار التعليم ، الامر الذى يعنى أن سنوات طويلة قد تمر لنجد أن وصمة الامية لازالت عالقة بأرض مصر •

ومن هنا فان كلمات هذا الكتاب تكتسب معنى هاما ، انها تجسيد لتجربة لم تتطلب قرارا من هيئة ولا امكانيات كثيرة ، وانما مجرد الحماس الواعى ، وهو ما أعتقد أننا نمتلك الكثير منه ، انها ليست مجرد تجربة رومانسية ، لكنها وخزة فى ضمير كل مثقف ثورى ، ان العمل الثورى يمكن ممارسته من خلال منطلقات عديدة ، ربما كان أبسطها وأهمها فى نفس الوقت ، أن نعمل باخلاص فى ميدان كهذا، وهى أيضا نقد لكثير من الاجهزة التى لازالت تدور فى حلقة مفرغة دون أن تدرك أن محو الامية هو فى الاساس معركة سياسية تتطلب جهدا سياسيا ، وكوادر سياسية تؤمن بأن كل رسالتها فى الحياة ٠٠ أن تعلم انسانا كيف يقرأ ويكتب ، أى كيف يصبح انسانا حقا .





نظـرة على الموسـم المسرحى للقطـاع العـام

راوية المانسترلى

عند تقييم أية ظاهرة اجتماعية لابد وأن نضع فى اعتبارنا المناخ العام الذي اثمرها بالفعل ورد الفعل ، بالتفاعلات المعقدة بين الظاهرة والتطور الاجتماعي ، والقطاع الخاص فى المسرح المصرى ظاهرة اجتماعية بغير شك ، هى من احدى الزوايا امتداد للظاهرة التى تفشت أثناء الحرب العالمية الثانية ، والتى كان التهريج الجنسى المبتذل من سماتها الرئيسية ، ومن زاوية أخرى هى استجابة لاحلام الطبقة المتوسطة المصرية فى ظروف الحرب الدائرة الان بيننـا ، وبين العـدو الامبريالي الصهيونى .

والدليل على ذلك هو أن الغالبية الساحقة من مسرحيات القطاع الخاص لا تمت بصلة قرابة الى هموم الشعب الحقيقية ؛ بل هي في أفضل صورها ليست أكثر من ترفيه مفتعل لمشاعر تبددت وأعوزها الضحك العصبى ؛ باستجدائه عن طريق حركة الممثل أكثر من كلمة المؤلف ، والمؤلفون بدورهم يقيمون اعتبارا كبيرا لهذا الجمهور « الخاص » فيخضعون كلماتهم ويفصلونها المقاسات الممثلة والمخرج والمنتج ، ولا يبقون على أية قيمة فنية تذكر .

الثعلب فات .. ومشكلات المجتمع

وتكاد تتميز مسرحيات فرقة « تحية كاريوكا » ومخرجها فايز حلاوة بطابع التصدى لمشكلات حقيقية قائمة ، ولكن المعالجة تتم من السطح بحيث تضيع المشكلة والحل جميعا ، ولا يتبقى فى قاع الوجدان سوى هذه القفشات المرحة التى يرتفع مستواها احيانا كثيرة على بقية العروض فى الفرق الاخرى ، ومسرحية « الثعلب فات » من أحـدث أعمال هذه الفرقة ، وقد أحاطها فايز حلاوة بسياج من النكت اللاذعة والحوار الذكي ، وان ضل منه الخيط الدرامى وشحب اتساق العمل الفنى ، بطل المسرحية « عبد الودود » رجل مصرى بسيط ورفيقته هى الفلاحة المصرية التابعة لزوجها بلا ارادة ، وبينهما يتحرك المحامي المجنون الناقم على كل شيء ، ورجل السلطة الذى يمثل العنـف والقسوة ، والمرأة اللعوب «فيفي» التي دفعتها ظروفها الى سلوكها الشائن ، تلك هى الشخصيات الرئيسية فى المسرحية ، حيث تدور أحداثها بين التأمينات الاجتماعية والضرائب والبوليس الى غير ذلك من المشكلات المتوقعة ، وباستثناء مشهدين أو ثلاثة جديرة بالاهتمام ، لا نكاد نجد ترابطا منطقيا أو محاور فنية تضمد جراح المسرحية ، فى مقدمة هذه المشاهد شخصية المجنون الذى تكشـف الضغوط الداخلية والخارجية عن واقعه النفسى الممزق ، والمشهد الاخر بين فيفى اللعوب ورفيقة الزوجة ، بين الانحلال والشرف ، والمشهد الثالث بين الحرامى وعبد الودود ، ان الصراع الدرامى الوحيد الذى اتضح طيلة المسرحية هو ذلك الذى كان طرفاه الفلاح البسيط وهو يتصدق بثعلبه ليأخذ محلا لبيع الدجاج بغير أن يدفع مليما واحدا ، واللص الذى دعاه بالثعلب لقبوله المحل .

وقد أجادت **تحية كاريوكا** كعادتها **وفايز حلاوة** فى تجسيد دور الفلاح وزوجته ، أما **أحمد أباظة**

وحسن حسين فقد كان أداؤهما ضعيفا سطحيا غير مقنع ولكن **يسرية الحكيم** تعد بحق طاقة ممتازة فى تمثيلها لدور « فيفى » اللعوب فهى ذات صوت مدرب وايقاع أدائى سليم ، وقد أدى **وحيد سيف** دور المجنون آداء جيدا ٠

مسرح الريحانى ٠٠ الى اين ؟

ظلت فرقة الريحانى تعيد تمثيل العروض القديمة التى نالت نجاحا فى الماضى الى أن بدأ الجمهور ينصرف عنها تدريجيا لتغير الظروف الاجتماعية ٠٠ وهكذا بدأت الفرقة وفى مقدمة اعضائها **نبيل خيرى** تعيد النظر فى مسرحياتها وتجدد فى أبنيتها وموضوعاتها حتى بدأت مؤخرا تجذب جمهورها من جديد ٠

ومسرحية « **سنة مع الشغل اللذيذ** » هى احدث ما تعرضه هذه الفرقة ، وهى على النقيض من مسرحية فايز حلاوة لا تعالج مشكلة محلية ، وانما هى تتناول مشكلة الفوارق الطبقية فى ظل أى مجتمع ، فى أى زمان ومكان ، والمسرحية مقتبسة من الادب الفرنسى وقد قام بتمصيرها **السيد بدير** ، وتدور أحداث المسرحية حول أسرة ثرية مكونة من الاب «**عدلى كاسب**» والابنة الكبرى «**ليلى طاهر**» والابنة الصغرى « **يسرية الجواهرجى** » وابن العم المدلل « **ابراهيم سعفان** » والخادم الذكى « **ابو بكر عزت** » والخادمة الوفية « **آمال شريف** » وتبدأ المسرحية بسفر هذه العائلة الى أوروبا حيث تسقط الطائرة فى المحيط وتنجو هذه العائلة بفضل الخادم الذكى الذى أصبح حاكما للجزيرة التى يعيشون الان فوقها، وقد نجا معهم نجار « **سيد زيات** » وزوجته « **مها سليم** » ثم عاد الجميع على ظهر مركب الى بلادهم وعادت معهم مراكزهم الاجتماعية التى كانوا عليها من قبل ، ولكن الخادم لا يستطيع أن يظل فى خدمة من رآهم فى لحظات الضعف ، ويقرر أن « يعمل » مادام قد اكتشف قدرته على العمل ، وتخرج معه الخادمة ٠

وقد لجأ المخرج الى العرض السينمائى لتوضيح مشهد السفر بالطائرة ، ومن الطبيعى أن يعتمد فى سلسلة المواقف المحرجة والمفارقات على أسلوب الملهاة التقليدى ، وبينما أجاد أبو بكر عزت وعدلى كاسب دوريهما الى حد ما لم تستطع ليلى طاهر ويسرية الجواهرجى القيام بالعبء الصوتى المطلوب ، وكذلك بالغ ابراهيم سعفان فى غير موضع للمبالغة ٠

الحصاد القليل

هاتان المسرحيتان بكل عيوبهما تمثلان أعلى مستوى بلغه القطاع الخاص فى هذا الموسم ، أما بقية الفرق التى كانت تظهر بين يوم وليلة فلا تستحق التعليق المفصل ، وان كانت تمثل أكثر الاتجاهات هبوطا فكريا وفنيا فى الحركة المسرحية ٠٠ وهى الاتجاهات التى تتبلور – على صعيد الكوميديا – فى الاعمال النظيفة التى يقدمها المسرح الكوميدى التابع للمؤسسة، ثم الاعمال السيئة التى تقدمها مسارح القطاع الخاص ٠



ســؤال للطليعـة

نطالع فى الصحف بين الحين والاخر عن وجود ثورة مسلحة فى ظفار ضد الاستعمار البريطانى ٠

هل يمكن أن اعرف شيئا عن ظفار والثورة المشتعلة هناك ضد بريطانيا ؟

اضواء على ثورة شعب ظفار

تقع ظفار على الساحل الجنوبى لشبه الجزيرة العربية ، وتشكل الجزء الغربى لسلطنة مسقط وعمان ، كما تربطها بجمهورية اليمن الجنوبية حدود مشتركة ، وتبلغ مساحتها حوالى ٥٤ ميلا مربعا ، ويقدر تعداد السكان بحوالى ٣٠٠ الف نسمة .

وفى عام ١٨٨٠ سقطت ظفار تحت سيطرة بريطانيا التى ضمتها الى سلطنة **مسقط وعمان** الخاضعة للاحتلال البريطانى ، وقامت بريطانيا

بعزل ظفار عزلا تاما عن بقية الامة العربية ؟ والصراع السياسي والاجتماعي والفكري للتخلص من السيطرة الاستعمارية ، وحجبت عن الرأى العام العربى حقيقة الاوضاع السيئة فى المنطقة .

ولا يوجد فى ظفار سوى مدرسة واحدة لتخريج الكتبة ، وعيادة طبية صغيرة خالية من كل وسائل العلاج ، ويعيش ابناء الشعب محرومين من التعليم ، كما يعانون من انتشار الامراض وارتفاع نسبة الوفيات ، والمجتمع هناك زراعى يتميز بالتخلف الاقتصادى والاجتماعى والفكرى الشديد ، ويرتكز اقتصاده على الزراعة والرعى والصيد والتجارة، بالاعتماد على وسائل انتاج بسيطة ، مع استمرار ظاهرة الرق والعبودية التى ترجع الى التخلف الشديد فى الانتاج ووسائله ، ويشكل الكادحون من عمال المبانى والطرق والحراسة والعمال الزراعيين ، والفلاحين ، والصيادين ، والرعاة الغالبية الساحقة من الشعب .

وقد ادت هذه الاوضاع الى هجرة الكثيرين من شباب ظفار الى مناطق الخليج العربى والمملكة السعودية بحثا عن لقمة العيش ، حيث اتيح لهم الاتصال بالعالم الخارجى ، والتفاعل مع الاحداث السياسية والتحررية والقضايا القومية .

وفى عام ١٩٦٤ تكونت جبهة تحرير ظفار ، بالتقاء التنظيمات السرية الثلاثة من بين الشباب التقدمى الظفارى فى الخارج وهى : **حركة القوميين العرب** ، **وجمعية ظفار الخيرية**، **ومنظمة الجنود الظفاريين** ، بهدف التحضير للثورة المسلحة ضد الاستعمار .

وفى ٩ يونيو عام ١٩٦٥ ، اعلن بدء الكفاح المسلح من فوق جبال ظفار ، بقيادة جيش التحرير الشعبى الظفارى ، ضد السيطرة الاقتصادية والسياسية والعسكرية البريطانية ، وحكم السلطان **سعيد بن تيمور** ، ويعتمد جيش التحرير فى كفاحه على استراتيجية حرب التحرير وتكتيكات حرب العصابات ، والانطلاق من الريف والجبال لمحاصرة المدن وتطويقها ، ويعتمد التسليح اساسا على غنائم الاسلحة البريطانية اثناء القتال ، هذا الى جانب المساعدات التى يحصلون عليها من جمهورية اليمن الجنوبية والصين الشعبية وكوريا الشمالية .

وقد استطاع ثوار ظفار خلال السنوات الخمس الماضية الصمود فى مواجهة القوات العسكرية والطيران البريطانى ، وكتائب المرتزقة الاجانب من قوات مسقط وعمان بقيادة الضباط البريطانيين ؟ ونجحوا فى تحطيم جدار الصمت الذى فرضته بريطانيا على المنطقة .

وتبلغ نسبة المناطق المحررة حتى الآن — وفقا لبيانات الثورة — حوالى ٩٠٪ من الريف الظفارى ، ويتولى حمايتها فصائل ميليشيا الفلاحين ، وقد استولت قوات الثوار على ثلاث مدن هى : **ضلكوت ، ورخيوت ، وسدح** .

وفى سبتمبر عام ١٩٦٨ ، اعلن المؤتمر الثانى للجبهة، الذى عقد بالمنطقة الوسطى فى **حمرين**، عن تبنيه للنظرية الاشتراكية العلمية باعتبارها الاطار التاريخى الذى تخوض من خلاله الجماهير الكادحة النضال للقضاء على الاستعمار والامبريالية والرجعية والاستغلال ، وتغيير اسم جبهة تحرير ظفار الى « **الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربى المحتل** » .

ويتم فى الوقت الحاضر تنفيذ برنامج شامل لتنظيم الاوضاع بالمناطق المحررة ، وتأسيس التعاونيات الزراعية والنهوض بالزراعة، واقامة المدارس والمراكز الصحية وفصول محو الامية والتوعية الفكرية وتربية الكوادر السياسية ، وتصفية العلاقات الاجتماعية العبودية والاقطاعية ، والعناية بصفة خاصة بالنهوض بالمرأة واشراكها فى مختلف المجالات .

وتقوم بريطانيا حاليا بقطع الطرق واقامة الاسلاك الشائكة حول المدن الباقية ، لمنع تسلل الثوار اليها ، واعتقال مئات الظفاريين فى السجون ، كما يقوم سلاح الطيران البريطانى من القواعد العسكرية بجزيرة **مصيرة والعاصمة صلالة** بشن الغارات المستمرة ، على المدن والمناطق المحررة ، وقتل المدنيين الابرياء ، وتدمير القرى وحرق المزروعات ، **فى محاولة لاضعاف** الثورة وعرقلة مسيرتها التحررية .

●

اقتراح حول مناقشات « الملتقى الفكرى »

وكتب **محمد فائز البرازى** — بالقاهرة — يعقب على نشر الطليعة « لموجز » الحوار الذى دار فى الملتقى الفكرى بالخرطوم ، يقول :

اثار اهتمامى واهتمام اخوة آخرين ما قدمتموه فى العدد الخامس للسنة السادسة فى الطليعة من طرح « **موجز** » **لقضايا الثورة العربية من خلال الملتقى الفكرى فى الخرطوم** . وفى اعتقادى أن اهم ما يواجه الشباب الثورى العربى ، بل الثوريين

العرب فى هذه المرحلة بالذات على طريق الفكر الثورى العربى ، هو اعادة النظر بعمق أكثر فى مواقف وافكار كانت قد طرحت ثم انتهجت وتبنت فكريا وكعقيدة لا تقبل الجدل ، لا لايمان مطلق واقتناع كامل ، بل لفراغ فكرى نعانى منه ، ولاندفاع عاطفى لتبنيها ، وكنتيجة موضوعية لظروف سياسية واجتماعية معينة ، واعادة طرح قضايا الثورة العربية وبشكل واضح وصريح ، واثارة الجدل حولها بين مختلف المدارس الفكرية والتنظيمات السياسية العربية ، تنير الطريق للقارىء العربى ، وتدفعه للمساهمة ذاتيا فى تحديد وتعميق افكاره ، وتنتقل به من مرحلة الترديد اللفظى العاطفى الى مرحلة الممارسة العقائدية لهذه الافكار التى توصل لادراكها .»

واسمحوا لى أن أتقدم باقتراح « بنشر تلك البحوث والمناقشات كاملة فى كتاب يكون بمتناول الايدى العربية • مع توضيح للاتجاهات الفكرية والاحزاب السياسية التى يعبر عنهـا المفكرون العرب من خلال ذلك الملتقى » •

الطليعة : تعتزم وزارة الشباب بالسودان التى كان لها فضل المبادرة بالدعوة للملتقى نشر النص الكامل للبحوث والمناقشات فى كتاب يصدر قريبا •

■ ■

حوار من سوريا ...
حول التناقض الرئيسى

ومن **سوريا** كتب **حسن تامر ــ بدمشق ــ** يعلق على مقال « **لينين والامبريالية** » الذى نشر بمجلة **المعرفة** السورية بقلم **اديب اللجمى** ، يقول :

تتبعت باهتمام صدور عدد المعرفة الخاص بمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية لميلاد لينين ، وما أن أصبح بين يدى حتى بدأت بدراسته مبتدئا فى البحث الاول لرئيس تحرير مجلة المعرفة السورية الاستاذ اديب اللجمى وهو بعنوان « **لينين والامبريالية** » ، وبعد ان قرأته اكثر من مرة وجدت من الضرورى مناقشة القضيتين التاليتين :

القضية الاولى : لقد جاء فى هذا البحث « لينين والامبريالية » وفى الصفحة (١٦) بالذات ما يلى : « •• لذا فان التناقض الاساسى فى هذه الفترة ، فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، هو التناقض بين العالم الثالث والامبريالية •• »

الواقع انه يمكننا تصوير الخارطة السياسية للعالم ، بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية بقيادة لينين على الشكل التالى : وجود أول دولة للعمال والفلاحين وقد تمخض عن هذا الوجود نظام من نوع جديد هو النظام الاشتراكى الذى فرض نفسه على العالم الامبريالى من خلال التضحيات التى قدمتها البروليتاريا الروسية والمتحالفة مع الفلاحين الفقراء ، أى أن الاشتراكية التى كانت فى الماضى مجرد نظرية قد أصبحت واقعا عمليا فوق سدس الكرة الارضية ،وان عنى ذلك شيئا فأول ما يعنى ان الصراع المتنوع الوجوه بين الاشتراكية والامبريالية قد تعمق أكثر وأصبح ذا أبعاد أوسع بمعنى ــ أن التناقض الاساسى والرئيسى هو بين الاشتراكية والامبريالية ، ليس غير •

لكن الدولة السوفيتية بعد ان بدأت تبنى اقتصادها الاشتراكى محققة بذلك الحياة الافضل للشغيلة ، كل هذا أثر وانعكس على البروليتاريا العالمية ، مما أدى الى تعميق وتصعيد نضال البروليتاريا على النطاق العالمى ايضا •

وبعد الحرب العالمية الثانية ودحر الغزاة النازيين طرأ تغير آخر على تلك الخارطة حيث تشكل ما يعرف الان بالمعسكر الاشتراكى سند الشعوب ومعينها الذى لا ينضب .

بعد كل هذا ما عسانا نجيب على السؤال التالى : **ماذا تهدف شعوب العالم الثالث من خلع النير الامبريالى فى نهاية المطاف ؟**

أيمكن ان يكون الجواب غير بناء المجتمع الاشتراكى ، خاصة اذا عرفنا اننا نعيش فى عصر من أهم سماته ، انتقال البشرية من النظام الرأسمالى الى النظام الاشتراكى •

ان أى تحديد لطبيعة الصراع الدائر اليوم لا يعتبر أن التناقض الاساسى هو بين الاشتراكية والامبريالية يؤدى فى النهاية الى مخاطر وصعوبات جمة ، وليس فى ذلك اقلال من دور الشعوب المناضلة وخاصة شعوب العالم الثالث بل يعنى وضعها فى مكانها الطبيعى ضمن العملية الثورية العالمية •

غير أن تلك المخاطر والصعوبات يمكن حصرها فى التالى :

١ ــ ان تجاهل حقيقة الصراع بين الاشتراكية والامبريالية يؤدى الى عدم وضع حركات التحرر الوطنى فى مكانها الصحيح ، وينتج عن هذا الوضع مزيد من الاخطاء ومزيد من النكسات التى تترك تأثيرها السلبى على شعوب العالم الثالث ، وبالتالى على قضية الاشتراكية العالمية •

٢ ــ انكار دور الطبقة العاملة التى هى قلب كل حركة تحريرية مهما كان الدور الذى تلعبه فى البداية بسيطا حيث أثبت تاريخيا أن الطليعة تتمثل فى الطبقة العاملة المتحالفة مع الفلاحين الذين سيسيرون بالثورة حتى نهايتها •

٣ ـ عدم وضع المعسكر الاشتراكى فى موضعه الطبيعى من حيث هو الطليعة الثابتة التى تقف فى الصفوف الامامية لمواجهة الامبريالية .

واخيرا ان القوى الثورية التى لاتحدد بكل دقة موضعها ضمن الثورة العالمية » ولاتحدد من هو الحليف الاساسى ومن هو العدو الاساسى ، فان النصر سيكلفها كثيرا وسيكون عبر بحر من الاخطار والنكسات .

القضية الثانية : يقول الاستاذ أديب اللجمى فى الصفحة ١٦ من نفس البحث ما يلى :

«لقد ثبت حتى الان ان التعايش السلمى بين الاثنتين « يقصد هنا الانظمة الاشتراكية والانظمة الرأسمالية » قد عاد بالفائدة على الامبريالية وحدها .

أحب فى البداية أن اذكر الاستاذ أديب بأنه فى فترة معينة كان محور الصراع بين الماركسيين حول الثورة العالمية وعالمية هذه الثورة . بمعنى آخر امكانية قيام هذه الثورة فى وقت واحد فى جميع البلدان ، لكن لينين بين أن هناك امكانية لقيام الثورة فى بلد واحد ، وقد ساعده على هذا الاستنتاج ، اكتشافه لقانون التطور المتفاوت للبنيات الاجتماعية فى العالم الرأسمالى ، وأكد أنه يمكن معرفة الحلقة الضعيفة فى السلسلة الاستعمارية ومن ثم نزعها وتحطيمها .

وهكذا بين الواقع بطلان الثورة الدائمة ودعاتها التروتسكيين مؤكدا صحة نبوءة لينين بامكانية انتصار الثورة الاشتراكية فى بلد واحد ، وبعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية كان من الضرورى ايجاد حل لكيفية العلاقة مع الدول الرأسمالية ، وكان التعايش السلمى هو الحل المجدى والملائم تماما لطبيعة الواقع .

ومن هنا كان استبعاد لينين العنيد لفكرة تصدير الثورة مبينا أنه ليس من واجب البروليتاريا الظافرة ان تصدر الثورة الى بلدان اخرى ، فللثورة ظروفها الموضوعية والذاتية وبغياب هذه الظروف يصبح الحديث عن الثورة هراء .

وقبل لينين أكد انجلز فى رسالته الى كاوتسكى عام ١٨٨٠ : « أن البروليتاريا المنتصرة لا تستطيع أن تفرض منح بركاتها على أية أمة أخرى ، والا فانها سوف تدمر انتصارها ذاته » .

وبعد أن اعتبرت الدولة السوفيتية الفتية ، التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة كسياسة رسمية لها ، أصبح من حقنا أن نسأل : هل موقفها هذا يتعارض مع التزاماتها تجاه حركات التحرر الوطنى كدولة تؤمن بمبادىء الاممية البروليتارية ؟ .

أجاب لينين على هذا السؤال مؤكدا أن سياسة التعايش السلمى لا يمكن أن تقف عائقا يحول دون مساعدة حركات التحرر الوطنى ، وانه ليس هناك أى تناقض بين التعايش السلمى كسياسه خارجية وبين مساندة ودعم حركات التحرر الوطنى .

وبعد الحرب العالمية الثانية خلق انتصار الاتحاد السوفيتى على الهتلريين ظروفا جديدة ، فلم تعد هناك دولة اشتراكية واحدة بل أصبح معسكرا اشتراكيا معروفا الان بثقله الاقتصادى والسياسى والعسكرى ، كذلك ظهر العديد من الدول المستقلة التى أيدت فكرة التعايش السلمى بين المعسكرين .

ان حفظ السلام العالمى منذ الحرب العالمية الثانية حتى يومنا هذا ، هو من أهم منجزات التعايش السلمى ، ولا يستطيع من يتأمل هذه المرحلة بدقة أن ينكر حقيقة أن شعوبا كثيرة حصلت على استقلالها وبدأت تبنى اقتصادها المستقل فى ظروف دولية مناسبة أكثر ، وذلك بمساعدة الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الاخرى .

ان السلام والتعايش السلمى انطلقا فى هذه المرحلة من أرضية صلبة ومواقع قوية أكثر ، فما حققه المعسكر الاشتراكى وفى مقدمته الاتحاد السوفيتى من انجازات هائلة فى كافة ميادين الحياة ، كان لكل ذلك أثر هام بل وأهمية كبرى فى لجم أعداء السلام .

ان السلام العالمى كان وما زال ضرورة حيوية وملحة للبناء والتطور سواء بالنسبة للدول المستقلة حديثا أو بالنسبة للاسرة الاشتراكية وخاصة بلاد السوفييت التى خرجت من الحرب بظروف صعبة وغنية عن التعريف .

وتجدر الاشارة الى انه اذا كان هناك ثمة تعايش سلمى بين الانظمة ، فلا يعنى هذا بشكل من الاشكال وجود تعايش سلمى فى الميدان الايديولوجى بين الاشتراكية العلمية والامبريالية ، بل على العكس توجد حرب مستمرة ، ومن المؤكد ان النصر للاشتراكية سواء فى الميدان النظرى ، او فى مجال التطبيق العملى .

واذا كنا نلاحظ فى هذه الايام من خلال التدخل الامبريالى الوقح فى شئون الدول الاخرى ، كغزو كمبوديا مثلا ، ان التكالب الامبريالى يشتد ضراوة ، وأن الامبريالية العالمية قد تصاعدت رجعيتها ، فلا يمكن اعتبار سياسة التعايش

السلمى هى المسئولة عن ذلك كما يتصور البعض ، لان الديالكتيك يعلمنا أن تكالب الضواري الامبرياليين ظاهرة طبيعية وليست غريبة ، خاصة عندما تشعر الامبريالية بعزلتها وبزيادة الضربات التى تكيلها الشعوب المناضلة ، وبالتالى بعمق وفعالية انتصارات الاشتراكية على النطاق العالمى ٠

●

الاحداث التى لا تقتل المقاومة ٠٠ تقويها وتوحدها

كتب صلاح الدين اسماعيل ـ من القاهرة ـ يقول :

ماذا يراد بالمقاومة الفلسطينية بالضبط ؟

ما أن تنتهى أزمة تخلقها بعض القوى فى لبنان للمقاومة الفلسطينية ، ويروح ضحيتها عشرات الابطال ، حتى تنشأ أزمة فى الاردن ويروح ضحيتها مئات الابطال أيضا ، وهكذا بالتبادل ، مما يدعو الى الدهشة ٠

واستطرادا مع هذه المعانى ، فاننى اعتقد ان الذين يقتلون من أبطال المقاومة الفلسطينيةبالاردن ولبنان فى المعارك الجانبية أكثر من الذين يسقطون فى عمليات ضد اسرائيل ، وهذا محزن ومؤسف ٠

وكما قال الرئيس جمال عبد الناصر لقد وجدت المقاومة الفلسطينية لتبقى ، فان الاحداث التي لا تقتلها تقويها بل وتوحدها ٠

هذه حقيقة أمس ــ واليوم ــ وغدا ٠

●

رؤية من الجبهة ٠٠ للثورة الفلسطينية

ومن جبهة القتال على قناة السويس ، كتب المقاتل **أحمد مصطفى عبد اللطيف** ، عن الثورة الفلسطينية وأحداث جنوب لبنان ، يقول :

عندما وقع العدوان الاسرائيلى على الجنوب الشرقى للبنان ، والذى استهدف بالدرجة الاولى ضرب قواعد المقاومة الفلسطينية فى جنوب لبنان، وجدت نفسى أعود مرة أخرى لافتتاحية « الطليعة » لشهر مايو (**الخصوصية والعمومية فى الثورة الفلسطينية**) ٠ واعود لقراءتها وأمامي صورة للمعارك البطولية التى خاضتها الثورة الفلسطينية ضد الفين من جنود العدو مدعمين بمائة دبابة وبأسراب كبيرة من قاذفات القنابل الامريكية الصنع ٠

ولقد تابعنا من هنا على ضفة القناة بكل احساسنا معارك البطولة التى خاضها ثوار فلسطين ورجال الجيش اللبنانى ٠

وفى معارك الـ ٣٦ ساعة التى خاضتها الثورة الفلسطينية فى ذلك اليوم ، تجلت بصورة ساطعة كالشمس خصوصية الثورة الفلسطينية وعموميتها ٠ فالثورة الفلسطينية تنفرد عن غيرها من الثورات العربية بأنها تجميع لشعب استيقظ على ظلام نكسة يونيو الحالك من منفاه ليبدأ نضاله المسلح ٠

ولم تكتف قوى الاحتلال الصهيونى الاستيطاني بتشريد هذا الشعب وطرده من أرضه ، بل راحت تلاحقه محاولة ضرب قواعد ثورته المسلحة ، كما حدث فى الكرامة فى شهر مارس من عام ١٩٦٨ ، وكما حدث فى ١٢ مايو الماضى فى لبنان ٠

وهنا يختص الشعب الفلسطيني دون أية حركة تحررية عربية فى أى اقليم من الوطن العربى الكبير ، ففى الثورة الجزائرية مثلا كان الشعب الجزائرى موجودا على أرضه لم تشرده قوي الاستعمار الاستيطانى الفرنسى ، وقامت ثورته على ارضه ومن قواعد داخل وطنه ، وفى عمومية الثورة الفلسطينية فان ما حدث فى جنوب لبنان ، عندما وقف المقاتل فى الجيش اللبنانى يقاتل وبجانبه المقاتل فى الثورة الفلسطينية ، وعندما دخلت قوات الجبهة الشرقية كلها المعركة ، اكبر دليل على عمومية الثورة الفلسطينية ، وثوار فلسطين يقاتلون جنبا الى جنب مع قوات الجيش اللبنانى ، مع قوات الجبهة الشرقية ، لان ثورة الشعب الفلسطينى جزء من الثورة العربية ، وأما وحدة فصائل المقاومة ، فان ساحة القتال ودم الشهداء الذى امتزج على ارض فلسطين سوف يكونان من أكبر العوامل التى تعجل بهذه الوحدة المصيرية ٠

وسوف تستمر الثورة الفلسطينية فى طريقها لانها جزء من ثورة الامة العربية كلها ، ولن توقف تقدمها نحو هدفها النهائى ، طوابير الدبابات ولا القاذفات الامريكية الصنع ، ولسوف يذكر التاريخ فى أنصع صفحاته أن هناك شعبا اسمه الشعب

الفلسطيني ، شردته عصابات الاحتلال الصهيوني الاستيطاني ، لكنه جمع شمله من منفاه وبدأ ثورته المسلحة ليسترد بقوة السلاح ما ضاع منه بقوة السلاح ايضا .

●

مشكلات قطع الغيار

وكتب المهندس احمد صادق سعد — من القاهرة — يقول :

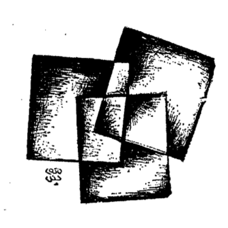
من الواضح أنه ليس من المستبعد أن تزداد الحرب بيننا وبين اسرائيل شدة، وقد يحدث أن يعتدى الاسرائيليون مرة أخرى على بعض مصانعنا فتتحطم بعض الآلات ، ويتعطل الانتاج ، وحيث ان أغلب الالات — ان لم يكن كلها — مستورد ، فالعادة أن يتجه التفكير الى طلب استيراد القطع من نفس المورد السابق .

وفى تقديرنا أن كثيرا من المصانع القائمة لها بعض الطاقة الفائضة ،وخاصة فى ورش الصيانة الموجودة بها ، ففى امكانها بالتالى أن تساعد على الاسراع فى اعادة الانتاج الى سيره العادى بالمصنع المضروب ، اذا شاركت مصانع أخرى فى تصنيع بعض الاجزاء التالفة ، غير أن وجود تلك الطاقة الفائضة أمر غير معروف للكافة ، كما أنه لا يهتم به عادة بسبب طبيعة الاعمال الجارية فى الصيانة .

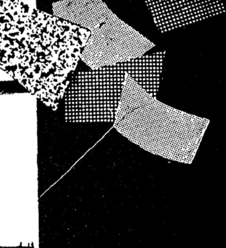
ولذلك أقترح على **اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة** أن تضع لجان المعركة القاعدية من بين مهامها الملحة ما يلى :

● اقامة معرض دائم لقطع الغيار وأجزاء الالات التى تصنع محليا . وتعرض فيه المصانع والورش المختلفة — سواء من القطاع العام او الخاص — عينات وبيانات عن الاعمال التى يمكن أن تقوم بها وخاصة فى ورش صيانتها ، وبهذا يتبين الزائر مقاسات وأنواع التشغيل المستطاعة ، فيستفاد بهذه المعلومات عند اللزوم . فى الاحوال الطارئة بل والعادية أيضا .

● ايجاد مركز لتبادل المعلومات بين الادارات الفنية للمصانع ، وفى امكان هذا المركز أن ينظم تبادل الخبرات فى هذا المجال ، فيصدر نشرة دورية ، وينظم الزيارات للمصانع ، والندوات والمؤتمرات المتخصصة الخ ، كما يقدم المعلومات عن الخامات البديلة المكنة ، وتلك المخزونة فى المصانع المختلفة والتى تظل راكدة بها دون الاستعمال المباشر ، فيمكن استغلالها لاغراض أخرى مثل المساعدة على ترميم المصنع المضروب واصلاح ما أتلف من آلاته ، أو تصنيع بعض الاجزاء من منتجاته لحين عودة الانتاج به الى دورته العادية .







مرحلة الانتقال فى التجربة السوفيتية

سياسة الاتحاد السوفيتى الزراعية

فى هذا العدد تختتم الطليعة نشر سلسلة الوثائق الخاصة بمرحلة الانتقال فى التجربة السوفيتية • وفى هذا القسم ننشر الجزء الاخير من الخطاب الذى القاه ستالين فى مؤتمر علماء الماركسية المتخصصين فى المسألة الزراعية • ويعالج ستالين فى هذا الجزء من خطابه مسألة العلاقة بين المدينة والريف • ويرد فيه على تساؤل هام ماذا قدمت ثورة اكتوبر للفلاحين؟•
كما يجيب ايضا على عدد من الاسئلة الهامة التى وجهها له المستمعون •

٤ ـ المدينة والريف

هناك معتقدات برجوازية موروثة ، يقوم الاقتصاديون البرجوازيون بالترويج لها فيما يطلق عليه عبارة « المقصات » ، ينبغى مهاجمتها بلا رحمة ككل النظريات البورجوازية الاخرى التى تجد ـ للاسف ـ رواجا فى الصحافة السوفيتية • أعنى بذلك تلك النظرية التى تزعم أن ثورة أكتوبر قدمت للفلاحين قدرا أقل مما قدمته ثورة فبراير ، بل انها فى الواقع لم تعطهم شيئا • لقد اهتم ـ لفترة من الزمن ـ أحد اقتصاديينا «السوفيت» بالدفاع عن هذه المفهومات البرجوازية فى صحافتنا ، غير أنه عدل بعد ذلك فى الحقيقة عن نظريته (صوت : من هو ؟) •

انه جرومان • الا ان المعارضة التروتسكية ـ الزينوفيفية استعادت هذه النظرية واستغلتها فى الهجوم على الحزب • وبالاضافة الى ذلك ، ليس هناك ما يدعو الى التأكيد بأن هذه

النظرية أصبحت غير متداولة في«الاوساط السوفيتية»· انهـا مسألة هامة جدا ايها الرفاق ، فهى تخص قضية علاقات المدينة بالريف، وقضية القضاء علـى التعارض بينهما، ولهـذا أرى وجوب الاهتمام بهذه النظـرية العجيبة».

أحقا لم يحصل الفلاحون على شيء من ثورة اكتوبر؟··· فلنعد الى الوقائع·

تحت يدى جـدول أعـــده نمنشيكوف الاخصائى المعروف ، وقد سبق أن نشر هذا الجدول في مقـــالى بعنـــوان « على جبهـــة الحبوب » · ويشير هذا الجدول الى ان كبار الملاك العقـــاريين كانوا ينتجون قبل الثورة ما لا يقل عن ٦٠٠ مليون بودز من الحبوب (١) ، أى ان هؤلاء الملاك يملكون ٦٠٠ مليون بودز من القمح· وكان الكولاك « ينتجون » آنذاك ١٩٠٠ مليون بودز من الحبوب ، فكانوا يتمتعون بذلك بقوة كبيرة جـــدا · أمـــا فقراء الفــــلاحين ومتوسطوهم فكانوا ينتجون ٢٥٠٠ مليون بودز من الحبوب · هكذا كان الوضع في الريف قبل ثورة أكتوبر ، فما هى التغييرات التى طرأت بعد ذلك ؟

أعود مرة أخـرى الى نفس الجدول لاستقى منه الارقـام · فماذا كان على سبيل المثال انتاج كبار الملاك العقـاريين سـنة ١٩٢٧ ؟ من الواضـح أنهم لـم ينتجوا ، وانه لـم يكن فـى استطاعتهم انتاج أى شيء بعد أن قضت عليهم ثورة أكتـوبر · ولاشك أن هذا كان من شأنه ان تنفس الفلاحون الصـعداء اذ تخلصوا من قيد أسياد الارض ، الامر الذى يعد مكسبا عظيما حصل عليه الفلاحون بفضل ثورة أكتوبر · والآن ، ماذا كان انتاج الكولاك سنة ١٩٢٧ ؟ لقد انخفض انتاجهم من ١٩٠٠ مليون بودز الى ٦٠٠ مليون بودز مـن الحبوب ، مما يستتبع انخفاض قوتهم الى ثلثها منذ ثـورة اكتوبر ، الامر الذى يترتب عليه حتما التخفيـف عـن فقـراء الفلاحين ومتوسطيهم · ومـاذا كان انتـاج فقـراء الفـلاحين ومتوسطيهم سنة ١٩٢٧ ؟ لقـد ارتفع من ٢٥٠٠ مليون بودز الى ٤ مليار بودز ، بمعنى أن فقراء الفلاحين ومتوسطيهم أصـبحوا ينتجون ١٥٠٠ مليون بودز من القمح علاوة عما كانوا ينتجونه من قبل ·

تلك وقائع تدل على أن فقراء الفلاحين ومتوسطيهم اكتسـبوا كثيرا جـدا من ثورة اكتوبر · وهذا ما قدمته تلك الثورة لفقراء الفلاحين ومتوسطيهم ، فكيـف يمكن اذن الزعم بأن ثورة اكتوبر لم تعط شيئا للفلاحين ؟

ولا تقف الامور عند هذا الحد يا رفاق · فقد الغت الثورة ملكية الارض الخاصـــة وأبطلت كافة التصرفات بالنسبة لها وأممتها · ما معنى ذلك ؟ معنى هذا ان الفلاح ليس فى حاجة الى شراء الارض لينتج القمح ، اذ كان قبلا يوفر المال طيلة سنوات عديدة من أجـل ان يشـــترى الارض مســتدينا ، وراضـــخا للشروط المجحفة لمجرد الحصول علـى الارض · ولا شك ان ثمن الارض كان له أثره على تكاليف انتاج القمح · والفلاح اليوم ليس فى حاجة الى اقتناء الارض حتى ينتج القمح · أليس هذا من شأنه أن يخفف عنه ؟ نعم ، لا شك فى ذلك ·

فلنواصل هذا العرض · كان الفـــلاح يضـــطر حتى الآونة الاخيرة الى الاستعانة بـآلاته العتيقة ليفلح الارض وأن يعمل بمفرده · ونحن نعلم أن العمل الفردى وبالات عتيقة لا يتيـح للفلاح الحصول على الكفاية فى حياته ، ولا بالتقدم حثيثا فـى حالته المادية ، ولا يسمح لـه بتنمية ثقافته ، ولا الدخول فى طـريق البنـاء الاشـتراكى الواسـع · ولكن الفـلاحين الآن ـ بعد التقدم المضطرد الذى سجلته حركة المزارع الجماعية أصبح فى استطاعتهم ضم عملهم الى عمل جيرانهم والتجمع فى مشروعات جماعية واستصلاح الاراضى البور واستثمار أراضى الغابات القديمة والحصول على آلات وجرارات ، مما ترتب عليه رفع انتاجية عملهم الى الضعف بل الى ثلاثة امثالها · ماذا يعنى كل هذا ؟ هذا يعنى انه بمقدور الفـــلاحين اليـــوم ، ان ينتجوا ـ بفضل تجمعهـم فـى المزارع الجماعية ـ قدرا أكبـر بكثير مما كانوا ينتجونه قبـل ذلك ، مع بذل نفس المجهود من العمل ، ويستتبع ذلك انه اصبح فى الامكان ان يصير انتاج القمح بثمن أقل مما كان عليه فى الفترة الاخيرة · وهذا يعنى أخيرا أن الفلاح يستطيع الحصول علـى عائد لقمحه يفوق بكثير ما يعود عليه منه الآن طالما كانت الاثمان ثابتة ·

كيف يمكن اذن الادعاء بأن ثورة أكتوبر لم تقدم اية مزايا للفلاحين ؟ أليس من الواضح أن هؤلاء الذين يروجون لمثل تلك الاسطورة انما يفترون علـى الحزب والسـلطة السـوفيتية افتراء صارخا ؟ ولكن ما هى نتيجة كل هذا ؟

من المهم ان تطرح بشكل جديد مسألة تصفية « المقصات » . ان

(١) البودز يساوى ١٦,٣٨٠ كيلوجرام ·

من شأن تقدم المزارع الجماعية بالمعدل الحالى زوال « المقصات » عاجلا • وبالتالى تبسط مسألة العلاقات بين المدينة والريف على أرضية جديدة وسوف يختفى بسرعة التعارض بينهما •

الا أن هذا الوضع ، أيها الرفاق ، يحفل بأهمية كبيرة فى عملية البناء عندنا • فهو يحول عقلية الفلاح ، ويجعله يتجه نحو المدينة • وهو يوجد الاساس لازالة التناقض بين المدينة والريف ، ويخلق الارضية التى تجعل شعار الحزب « فى مواجهة الريف » يستكمل بشعار الفلاحين (اعضاء الكولخوزات) فى مواجهة المدينة » • وليس هنا ما يدعو للعجب ، لان الفلاح يحصل الآن من المدينة على الماكينات والجرارات والمهندسين الزراعيين والمعلمين ، أى يحصل على مساعدة مباشرة فى معركته المظفرة ضد الكولاك • ويتلاشى الان الفلاح السابق الذى كان يرتاب بشراسة فى المدينة اذ يرى فيها سارقته ، وحل محله فلاح جديد ، فلاح تعاونى ينظر بثقة الى المدينة • لقد حل محل الفلاح القديم الذى كان يخشى الوقوع فى البؤس والذى كان لا يصل الى الكولاكية الا اختلاسا (كان يمكن حرمانه من حق الانتخاب) • وحل محله فلاح جديد يتطلع للانضمام الى مزرعة جماعية والتخلص من البؤس »•

وهذا هو الوضع أيها الرفاق، ومما يؤسف له أشد الاسف أن علماء النظرية عندنا المتخصصين فى المسائل الزراعية لا يتخذون كافة الاجراءات الكفيلة باجتثاث كل النظريات البورجوازية التى تهدف الى الحد من مكتسبات ثورة أكتوبر •

٥ ــ عن طبيعة المزارع الجماعية الكولخوزات

ان المزارع الجماعية باعتبارها نوعا من انواع الاقتصاد هى شكل من اشكال الاقتصاد الاشتراكى ، فليس ثمة شك فى ذلك •

لقد ازدرى المزارع الجماعية أحد الخطباء الذين تكلموا هنا ، مؤكدا أنه ليس لها علاقة ما ــ باعتبارها منظمات اقتصادية ــ بالشكل الاشتراكى للاقتصاد • أن هذا التحديد لطابع المزارع الجماعية خاطىء كل الخطأ فليس من شك أن هذا التحديد لا يمت للينينية بصلة ما.

ما الذى يحدد نوعا من أنواع الاقتصاد ؟ لا شك أن هذا التحديد يبنى على أساس علاقات الناس فى عملية الانتاج ، والا ما هى الوسيلة الاخرى التى يمكن بها تحديد نوع ما من الاقتصاد ؟• ولكن هل تضم المزارع الجماعية طبقة من الناس تمتلك وسائل الانتاج بجانب طبقة أخرى من الناس محرومة من هذه الوسائل ؟ هل يوجد بها طبقة من المستغلين وطبقةمن المستغلين؟• ألا تمثل المزارع الجماعية اشتراكية أدوات الانتاج الاساسية على أرض تملكها الدولة ؟ كيف يمكن اذن الزعم بأن المزارع الجماعية ــ باعتبارها نوع من الاقتصاد ــ لا تمثل احد اشكال الاقتصاد الاشتراكى ؟

حقا اننا نجد متناقضات فى المزارع الجماعية وحقا نلمس فيها مخلفات من الروح الفردية بل والكولاكية ، الا أنه بالقدر الذى تثبت فيه هذه التعاونيات الزراعية ، ويعمم فيها استخدام الماكينات ، سوف تزول هذه المخلفات حتما على مر الايام • ومع هذا هل ينكر احد أن المزارع الجماعية ــ فى جملتها ــ باعتبارها واقعا اقتصاديا تمثل بتناقضاتها وعيوبها طريقا جديدا للنمو فى الريف ، أى ، طريق النمو الاشتراكى ، فى مواجهة الطريق الكولاكى ، أى الرأسمالى ؟ هل ينكر احد ان المزارع الجماعية (الكولخوزات)، وأعنى هنا المزارع الجماعية الحقيقية وليست المزعومة منها ، تمثل فى ظروفنا قاعدة ومحور البناء الاشتراكى فى الريف ، تلك القاعدة التى استقرت بفضل المعارك الضارية ضد العناصر الرأسمالية ؟ أليس من الواضح أن محاولات الحط من المزارع الجماعية ، واعتبارها شكلا بورجوازيا من الاقتصاد ، انما هى محاولات على غير أساس صحيح ؟ •

لم يكن عندنا سنة ١٩٢٣ حركة جماهيرية للمزارع الجماعية ، وقد أخذ لينين فى اعتباره فى كتابه « عن التعاون» كافة أشكال التعاون ، سواء الاشكال الاولية منها (التموين البيع) أو المتقدمة منها (المزارع الجماعية) • فما الذى قاله لينين وقتئذ عن التعاون وعن المؤسسات التعاونية ؟ اليكم بعض ما جاء فى كتابه فى هذا الصدد :

« تتميز المؤسسات التعاونية فى نظامنا الحالى ــ باعتبارها منظمات جماعية ــ عن المؤسسات الرأسمالية الخاصة ولكنها لا تتميز عن المؤسسات الاشتراكية اذا كانت قائمة على أرض وعلى وسائل انتاج ملك الدولة ، أى ملك الطبقة العاملة ».

ومن هذا ، نرى أن لينين لا ينظر للمؤسسات التعاونية فى حد ذاتها ، ولكنه ينظر اليها مرتبطة بنظامنا القائم ، مرتبطة بحقيقة أنها تمارس نشاطها على أرض ملك الدولة ، وفى بلد تمتلك الدولة فيه أدوات الانتاج ، ويؤكد لينين ، بالاستناد الى هذا الاعتبار ، أنها لا تتميز عن المؤسسات الاشتراكية •

هذا ما قاله لينين عن المؤسسات التعاونية عموما • أليس من الجلى أنه يمكننا

القول – من باب أولى – بنفس الشيء عن المزارع الجماعية الحالية ؟

هذا هو أحد الاسباب التي تجعل لينين يرى أن « مجرد نمو التعاون » في ظروفنا انما « يعادل نمو الاشتراكية » .

وهكذا تلحظون أن الخطيب الذي تكلمت عنه من قبل لانه حط من شأن المزارع الجماعية ، قد أخطأ خطأ جسيما وابتعد عن اللينينية .

وينتج عن هذا الخطأ ، الوقوع في خطأ آخر بشأن الصراع الطبقي في المزارع الجماعية . لقد أضفى الخطيب في وصفه للصراع الطبقي داخل المزارع الجماعية الوانا صارخة عليه الى حد أنه يمكن أن يظن أن هذا الصراع الطبقي لا يختلف عن الصراع الذي يجري خارج المزارع الجماعية ، بل قد يظن أنه أشد ضراوة . ومما يلاحظ أن هذا الخطيب ليس وحده هو الذي أخطأ في هذه النقطة ، فالثرثرة عن كفاح الطبقات داخل المزارع الجماعية ، والنباح عليه ، هو الطابع المميز للجعجاعيين من اليسار ، اذ يرى هؤلاء الندابون كفاحا للطبقات حيث لا وجود له أو لا يكاد يوجد ، ولا يرون هذا الكفاح في موقعه الحقيقي ، وبالتالي يفشلون فشلا ذريعا .

والسؤال هو : هل توجد جوانب للكفاح الطبقي داخل المزارع الجماعية « نعم ، توجد ... ولا يمكن أن يكون الوضع غير هذا طالما بقيت فيها مخلفات من العقلية الفردية أو حتى الكولاكية ، وطالما كان بها قدر من عدم المساواة . ولكن ، هل نستطيع القول بانطباق كفاح الطبقات داخل المزارع الجماعية على الكفاح الطبقي خارجها كلا ، ويكمن – بالدقة – خطأ « اليساريين » أصحاب الكلمات المنمقة في عدم رؤيتهم هذا الفارق . فماذا كان الكفاح الطبقي خارج المزارع الجماعية قبل تكوينها ؟ كان كفاحا ضد الكولاك الذين يمتلكون أدوات الانتاج ووسائله والذين كانوا يستخدمونها في استعباد فقراء الفلاحين . لقد كان صراع الحياة أو الموت . وماذا يعني الكفاح الطبقي على أساس المزارع الجماعية ؟ ان هذا الكفاح يعني – قبل كل شيء – أن الكولاك قد دحروا وجرموا من أدوات الانتاج ووسائله . وهو يعني ثانيا أن فقراء الفلاحين ومتوسطيهم توحدوا في مزارع جماعية على أساس اشتراكية أدوات الانتاج ووسائله الاساسية . وهو يعني أخيرا اننا بصدد كفاح بين تعاونيين لم يتخلص بعضهم بعد من المخلفات الفردية والكولاكية ، محاولين الاستفادة لصالحهم من وجود قدر من عدم المساواة في المزارع الجماعية ، وبين التعاونيين الاخرين الذين يرغبون في تنقية المزارع الجماعية من تلك المخلفات وعدم المساواة . أليس واضحا أن فاقدي البصر وحدهم هم الذين لا يستطيعون ملاحظة الفرق بين الكفاح الطبقي على اساس المزارع الجماعية والكفاح الطبقي خارجها .

على أنه من الخطأ الاعتقاد بأن المزارع الجماعية هي كل ما يلزم لبناء الاشتراكية . ومن الخطأ الاشد ، الاعتقاد بأن التعاونيين أصبحوا اشتراكيين ، اذ يجب أن نبذل مجهودا كبيرا حتى يتغير الفلاح التعاوني وحتى تستقيم عقليته الفردية وحتى يصبح كادحا حقيقيا في المجتمع الاشتراكي . اننا نسير نحو هذا الوضع قدما بقدر سرعة تعميم استخدام الماكينات والجرارات في المزارع الجماعية . الا أن هذا لا يقلل في شيء من اهمية المزارع الجماعية باعتبارها ركيزة التحول الاشتراكي في الريف . وتتمثل تلك الاهمية بالدقة في أن المزارع الجماعية تشكل القاعدة الاساسية في استعمال الماكينات والجرارات في الزراعة ، وانها القاعدة الاساسية لتطوير العقلية الفلاحية نحو الروح الاشتراكية البروليتارية . ولقد كان لينين محقا عندما قال :

« ان تطوير المزارع الصغير وتغيير عقليته وعاداته انما هي عمليه تقتضي اجيالا كاملة ، ولا يمكن حل هذه المسالة بالنسبة للمزارع الصغير ، وبعبارة اخرى ، تنقية عقليته كلها الا على أساس مادي ، بوساطة التكنيك ، وبوساطة تعميم استعمال الجرارات والماكينات في الزراعة ، وبوساطة الكهربة على نطاق واسع » .

هل نستطيع انننكر انالمزارع الجماعية (الكولخوزات) هي بالدقة شكل الاقتصاد الذي يتيح وحده للملايين من صغار الفلاحين استخدام الماكينات والجرارات التي هي ركيزة النمو الاقتصادي والتقدم الاشتراكي في الريف ؟

لقد فات كل هذا على « اليساريين » من أصحاب الكلمات المنمقة عندنا ، كما فات أيضا على خطيب اليوم .

٦ – اعادة تجمع الطبقات والانعطافة في سياسة الحزب

فلنبحث الان موضوع اعادة تجميع الطبقات وهجوم الاشتراكية على العناصر الرأسمالية في الريف .

ان طابع عملنا خلال السنة الاخيرة هو : (أ) اننا وسعنا الهجوم على طول الجبهة – باعتبارنا حزبا ، وباعتبارنا سلطة سوفيتية – على العناصر الرأسمالية في الريف . (ب) أن هذا الهجوم يقدم – ويستمر في تقديم – نتائج حسنة جدا .

ما معنى هذا ؟ يعنى هذا أننا انتقلنا من سياسة الحد من اتجاهات الكولاك الاستغلالية الى سياسة **تصفية** الكولاك كطبقة ، ويعنى هذا أننا قمنا ونقوم بتنفيذ انعطافة حازمة فى سياستنا بأسرها • فقد كان الحزب حتى الاونة الاخيرة يعمل من أجل **الحد** من اتجاهات الكولاك الاستغلالية ، وسبق أن أعلنت هذه السياسة فى المؤتمر الثامن واستقرت كمبدأ عندما تم اقرار « السياسة الاقتصادية الجديدة » (Nep) وأقرت فى المؤتمر الحادى عشر للحزب • أننا نذكر جميعا الخطاب الذى وجهه لينين سنة ١٩٢٢ الى بروبراجنسكى (Prèobrajenski) وفيه

يعيد الكرة ـ مرة أخرى ـ على وجوب اتباع هذه السياسة والتى تم فى النهاية الموافقة عليها من المؤتمر الخامس عشر للحزب ، وقمنا نحن بتنفيذها حتى الايام الاخيرة •

هل كانت هذه السياسة سليمة ؟ نعم ، ولا شك فى ذلك • هل كنا نستطيع قبل خمس سنوات ، أو حتى قبل ثلاث سنوات ، شن مثل هذا الهجوم على الكولاك « وهل كان مقدرا أن ننجح فيه حينذاك ؟ كلا • فالقيام بمثل هذا الهجوم كان يعنى الدخول فى مغامرة خطيرة للغاية، أى مغامرة خطيرة بالهجوم ، ذلك أننا كنا سنهزم غالبا ، ونكون بذلك قد دعمنا مواقع الكولاك • لماذا ؟ لاننا لم يكن لدينا بعد فى الريف نقط الارتكاز المكونة حاليا من شبكة مزارع الدولة والمزارع الجماعية التى تشكل قاعدة هجوم حاسم على الكولاك ، ولانه لم يكن فى مقدورنا أيضا **استبدال** انتاج الكولاك الرأسمالى بالانتاج الاشتراكى الذى يتم بوساطة المزارع الجماعية ومزارع الدولة •

وقد حاولت المعارضة التروتسكية ـ الزينوفيفية جاهدة اجبار الحزب على اتباع سياسة الهجوم المباشر على الكولاك ، غير أن الحزب لم يقدم على هذه المغامرة الخطيرة يقينا منه بأنه ليس من شأن الاشخاص الجادين اللعب بالهجوم ، فالهجوم على الكولاك أمر جاد لا ينبغى الخلط بينه وبين التصريحات ضد الكولاك ، كما لا ينبغى الخلط بين هذا الهجوم وسياسة المناوشات ضد الكولاك التى أوصت بها المعارضة التروتسكية الزينوفيفية للحزب : ان شن الهجوم على الكولاك يعنى تحطيمه وتصفيته كطبقة ، ولا يعنى هجوما على الكولاك ـ اذا كان بعيدا عن هذه الاهداف ـ سوى مجرد خطابة ، وسوى (نغزات) وكلمات جوفاء •• يعنى أى شىء ـ اذا أردت ـ عدا أن يكون هجوما بلشفيا حقيقيا • ان شن الهجوم على الكولاك يكون بالتحضير له أولا ثم تسديد ضربة آلية بحيث لا يستطيع النهوض بعدها • هذا ما نعنيه نحن البلشفيين فى الاتحاد السوفيتى من هجوم حقيقى • فهل كان بوسعنا قبل خمس سنوات ، أو حتى قبل ثلاث سنوات ، شن مثل هذا الهجوم مع احتمال أن ننتصر فيه ؟ كلا كنا لا نستطيع ذلك •

كان الكولاك ينتجون فى سنة ١٩٢٧ ٦٠٠ مليون بودز من القمح ، يعرضون منه فى السوق ١٣٠ مليون بودز ، وتلك قوة كبيرة جدا لا يمكن الاستهانة بها • كم كان آنذاك انتاج مزارع الدولة ؟ كانت تنتج ٨٠ مليون بودز ، تعرض منها فى السوق ٣٥ مليون بودز • فلتحكموا بأنفسكم اذا كان بوسعنا **استبدال** انتاج قمح الكولاك وبيعه بانتاج وبيع قمح المزارع الجماعية ومزارع الدولة • من الواضح أننا كنا لا نستطيع ذلك • اذن ، ماذا يعنى والحالة هذه ، شن هجوم حاسم على الكولاك ؟ انه لا يعنى سوى الهزيمة لنا وتدعيم مواقع الكولاك والحرمان من القمح • **لذلك** كنا لا نستطيع ـ ولا ينبغى أن نقوم آنذاك ـ بالهجوم على الكولاك ، على الرغم من الخطب الطائشة للمعارضة التروتسكية ـ الزينوفيفية •

والان ما هو الوضع ؟ اننا نمتلك الان قاعدة مادية تكفى لضرب الكولاك ولتحطيم مقاومتهم وتصفيتهم كطبقة ولاستبدال انتاجهم بانتاج المزارع الجماعية ومزارع الدولة •

نحن نعلم أن انتاج المزارع الجماعية ومزارع الدولة من الحبوب لم يكن سنة ١٩٢٩ أقل من ٤٠٠ مليون بودز (أى بمقدار ٢٠٠ مليون بودز أقل من الانتاج الكلى للاقتصاد الكولاكى سنة ١٩٢٧) ، كما نعلم أيضا ان المزارع الجماعية ومزارع الدولة عرضت فى السوق سنة ١٩٢٩ أكثر من ١٣٠ مليون بودز قمحا (أى أكثر من الكولاك سنة ١٩٢٧) • وسوف لا يقل الانتاج الاجمالى للمزارع الجماعية ومزارع الدولة عن ٧٠٠ مليون بودز سنة ١٩٣٠ (أى أن هذا الانتاج سوف يتعدى الانتاج الكلى الكولاكى سنة ١٩٢٧) •

تلك هى الحالة عندنا الان أيها الرفاق • .

فلدينا الان كما ترون قاعدة مادية **لاستبدال** انتاج الكولاك بانتاج المزارع الجماعية ومزارع الدولة ، ولذلك فان هجومنا على الكولاك سوف يكون النصر حليفه على وجه التأكيد • هذا هو الاسلوب الذى يجب أن نسير عليه ضد الكولاك اذا ما أردنا أن ننفذ هجوما حقيقيا ، لا الاقتصار على الخطب الجوفاء •

وهذا ما جعلنا نعدل أخيرا عن سياسة **الحد** من اتجاهات الكولاك الاستغلالية لنسلك سبيل سياسة **تصفية** الكولاك كطبقة •

والآن ، تأتي الاسئلة من كل جانب ··· اذا ما كانت سياسة مصادرة أملاك الكولاك في مناطق الزراعة الجماعية الكثيفة مقبولة أم لا ؟

لا شك أنه سؤال سخيف حقيقة ، اذ كانت مصادرة أملاك الكولاك غير مسموح بها طالما كنا مع سياسة الحد من اتجاهات الكولاك الاستغلالية ، طالما لم يكن بوسعنا استبدال انتاج الكولاك بانتاج المزارع الجماعية ومزارع الدولة ، فكان لا مفر عند ذاك من اتباع سياسة منع مصادرة أملاك الكولاك ، وكان هذا سليما وضروريا · ولكن الوضع يختلف الان ، اذ بوسعنا شن هجوم حاسم على الكولاك وتحطيم مقاومتهم وتصفيتهم كطبقة واستبدال انتاجهم بانتاج المزارع الجماعية ومزارع الدولة · ويتم اليوم مصادرة املاك الكولاك بوساطة كتلة فقراء الفلاحين ومتوسطيهم بأنفسهم ، وهم الذين يحققون الجماعية الكاملة · فهذه المصادرة التي تتم في المناطق الجماعية الكثيفة لم تعد مجرد اجراء اداري ، بل هي عنصر اساسي في انشاء المزارع الجماعية وتقدمها ولهذا ، فمن العبث أن يطول بنا الكلام الان عن المصادرة ، والمثل يقول ·· ان القاء السلاح لا يشفي من أصيب به ·

وليس هذا السؤال الاخر باقل سخفا عن سابقه ، وهو ، هل لنا أن ندع الكولاك ينضمون الى المزارع الجماعية ؟ كلا ، ليس هذا ممكنا لان الكولاك هم العدو اللدود لحركة الزراعة الجماعية ·· والامر واضح كما ترون ·

٧ ـ الخلاصة

تلك هي ، أيها الرفاق ، ستة أسئلة رئيسية ليس من حق علماء الماركسية عندنا ـ المتخصصين في الزراعة ـ اهمالها في عملهم النظري ·

وتتمثل أهمية هذه الاسئلة أولا في أن دراستها ماركسيا تسمح باجتثاث مختلف النظريات البورجوازية ، تلك النظريات التي يروج لها ـ ياللعار ـ زملاؤنا الشيوعيون والتي تخلق الاضطراب في اذهان الاخصائيين ، فكان يجب اذن العمل على اجتثاث تلك النظريات من زمن طويل ولفظها ، ذلك أن في مهاجمتها بلا رحمة تدعيما للفكر النظري عند علماء الماركسية المتخصصين في المسألة الزراعية ·

وتتمثل ـ أخيرا ـ أهمية هذه الاسئلة في انها تضفي طابعا جديدا على القضايا السابقة بشأن اقتصاد مرحلة الانتقال ·

واليوم ، تطرح بشكل يختلف عما سبق ، كل المسائل الخاصة بـ « السياسة الاقتصادية الجديدة » ، والطبقات ، والمزارع الجماعية ، واقتصاد مرحلة الانتقال ·

ينبغي أن نفضح خطأ الذين يرون في السياسة الاقتصادية الجديدة تراجعا ، مجرد تراجع · فالحقيقة أن لينين قال عند وضع السياسة الاقتصادية الجديدة انها ليست مجرد تراجع ، ولكنها في الوقت نفسه ، اعداد لهجوم حاسم جديد على العناصر الرأسمالية في المدينة والريف · فينبغي فضح خطأ الذين يعتقدون أن لا ضرورة للسياسة الاقتصادية الجديدة سوى لربط المدينة بالريف ، فنحن لسنا في حاجة الى رباط كيفما اتفق ، ولكننا في حاجة الى رباط يحقق انتصار الاشتراكية على وجه التحديد · ولسوف نلقى بها الى الجحيم اذا ما توقفت عن تلبية احتياجاتنا · واذا كان لينين قد قال ان السياسة الاقتصادية الجديدة وضعت نهائيا ولمدة طويلة ، فانه لم يقل في يوم من الايام أن وضعها كان ابديا ·

والامر يقتضي أن نطرح أيضا مسألة تبسيط النظرية الماركسية عن الانتاج المعاد بحيث تصبح في متناول الجميع · وعلينا أيضا أن نبحث مسألة اعداد بيان تحضيري عن ميزان اقتصادنا القومي ، فالذي قامت الادارة المركزية للاحصاء بنشره سنة ١٩٢٦ على اعتبار انه ميزان للاقتصاد القومي ، ليس ميزانا بل هو لعب على الارقام · وكذلك الامر بالنسبة للطريقة التي يعالج بها بازاروف (Bazarov) وجرومان (Groman) قضايا ميزان الاقتصاد القومي ، فهي طريقة لا تناسبنا أيضا · واذا ما أراد الماركسيون اللينينيون الاهتمام بالمسائل المتعلقة باقتصاد مرحلة الانتقال ، فعليهم اعداد بيان تحضيري لميزان الاقتصاد القومي للاتحاد السوفيتي ·

ومن المفيد أن يقوم علماؤنا من الاقتصاديين الماركسيين بتكوين مجموعة خاصة لدراسة قضايا اقتصاد مرحلة الانتقال ، كما تطرح تلك القضايا الان ·

عن مسألة تصفية الكولاك كطبقة (٢)

يتضمن العدد رقم ١٦ من الـ (كراسنايا زفيزدا) مقالة بعنوان تصفية الكولاك كطبقة » ، واذا كان هذا المقال قد استعرض الموقف بشكل سليم عموما فقد تضمن مع ذلك صياغتين في التعبير غير دقيقتين أرى واجبا على تصحيحهما ·

(٢) مقال نشر في البرافدا بتاريخ ٢١ يناير سنة ١٩٣٠م ·

جاء فى هذا المقال ما يأتى :

« لقد اتبعنا فى مرحلة (الترميم) سياسة الحد من العناصر الرأسمالية فى المدن والريف ، وانتقلنا - مع بدء مرحلة الانشاء من سياسة الحد الى سياسة العزل » .

هذا التصوير خاطىء . ليست سياسة الحد ، اى القيد على العناصر الرأسماليه ولا سياسة عزلهم ، من السياسة القديمة ، ولكنها **انعطاف** من السياسة القديمة لقيد (وعزل) العناصر الرأسمالية فى القرية نحو السياسة الجديدة **لتصفية** الكولاك كطبقة .

الاسئلة التى وجهها طلبة جامعة سفردلوف الى ستالين ورده عليها (٣)

● **السؤال الاول : تكلم لينين فى مبادىء التكتيك للحزب الشيوعى السوفيتى التى أقرها مؤتمر الاممية الثالث عن وجود طبقتين اساسيتين فى روسيا السوفيتية .**

ويجرى الكلام الان عن تصفية الكولاك والبورجوازية الجديدة باعتبارها طبقة . فهل معنى ذلك انه تكونت عندنا منذ تطبيق السياسة الاقتصادية الجديدة طبقة ثالثة ؟

■ **الجواب :** كان لينين يتكلم عن طبقتين أساسيتين ، غير أنه لم يكن بداهة جاهلا بوجود طبقة ثالثة رأسمالية (الكولاك والبرجوازية الرأسمالية فى المدن) . وغنى عن البيان ان نمو « الكولاك والبرجوازية الرأسمالية فى المدن كطبقة لم يتم منذ تطبيق السياسة الاقتصادية الجديدة فقط . لقد كانوا موجودين قبل تنفيذ السياسة الاقتصادية الجديدة ولكن كطبقة **ثانوية** . واذا كانت السياسة الاقتصاديه الجديدة فى مراحلها الاولى قد ساعدت بقدر ما على نمو هذه الطبقة الا أنها ساعدت بقدر أكبر على نمو القطاع الاشتراكى . ويؤدى انتقال الحزب الى الهجوم على طول الجبهة ، الى تغيير الموقف فى اتجاه القضاء وتخريب طبقة الرأسماليين فى القرية وجزئيا الرأسماليين فى المدن .

ومن المهم ان نقرر - امعانا فى الدقة - أن الحزب لم يصدر اية تعليمات بشأن مد شعار تصفية الكولاك كطبقة ليشمل البرجوازية الجديدة فى المدن . وينبغى أن نلاحظ هنا الفارق بين الاشخاص الذين استفادوا من السياسه الاقتصادية الجديدة ، وهم الذين سبق ان سحبنا منهم من مده طويلة قاعدة انتاجهم فليس لهم - بالتالى - اهمية تذكر الان فى حياتنا الاقتصادية ، وبين الكولاك الذين كان لهم فى البلاد حتى الاونة الاخيرة وزن اقتصادى هائل ، وقد سحبنا منهم الان فقط قاعدة انتاجهم .

ويبدو لى أن هذا الفارق قد فات على بعض المنظمات ، وهى تخطىء عندما تريد « استكمال شعار تصفية الكولاك كطبقة بشعار تصفية البرجوازية فى المدن .

● **السؤال الثانى : قلتم فى الخطاب الذى ألقيتموه فى مؤتمر المهندسين الزراعيين الماركسيين أنه « اذا كنا نستبقى السياسة الاقتصادية الجديدة فذلك لانها تخدم قضية الاشتراكية . وأننا سوف نلقى بها الى الجحيم عندما تتوقف خدمتها » . كيف يجب أن نفهم عبارة .. « نلقى بها الى الجحيم » وبأى الوسائل يتم ذلك ؟**

■ **الجواب :** يجب أن نفهم هذه العبارة التى جاءت فى الخطاب الذى القيته بمؤتمر المهندسين الزراعيين الماركسيين بمعنى أننا « سنلقى بالسياسة الاقتصادية الى الجحيم » . عندما نجد أننا لسنا فى حاجة الى تقبل قدر من حرية التجارة ، عندما لا يصبح لتلك الحريه سوى نتائج سلبيه ، عندما يتيسر لنا تنظيم العلاقات الاقتصادية بين المدينة والريف بتبادل الانتاج ، عندما لا نكون مضطرين الى الالتجاء الى التجارة والتبادل الفردى ، وبغير أن يترتب على ذلك ما يساعد الرأسمالية على النهوض .

● **السؤال الثالث : كيف يقوم الحزب بتنفيذ الشعار الذى يحدد الان العلاقات المتبادلة بين البروليتاريا ومختلف فئات الفلاحين ، بالقدر الذى يسجل فيه انتصارات حاسمة فى الزراعة الجماعيه وتصفية الكولاك ؟ وهذا الشعار هو : « يقتضى ان نعرف كيف نصل الى التفاهم مع متوسطى الفلاحين دون ان نعدل - ولو دقيقة واحدة - عن الكفاح ضد الكولاك ، وان نستند بقوة الى فقراء الفلاحين دون غيرهم » . لينين**

---

(٣) نشر النص فى البرافدا بتاريخ ١٠ فبراير سنة ١٩٣٠ .

■ **الجواب : من الواضح ان** هذا الجزء من عبارة لينين سوف يتلاشى بالقدر الذى تندمج به أغلبية مناطق الاتحاد السوفيتى فى الزراعة الجماعية ، وبالقدر الذى يتم به تصفية الكولاك • اما فيما يختص بفقراء الفلاحين ومتوسطيهم فى المزارع الجماعية ، فسوف يندمجون فى مجموعة عمالية موحدة فى القرية بالقدر الذى يتم به تعميم استخدام الماكينات والجرارات فى التعاونيات • وعليه ، فسوف يزول من شعاراتنا مستقبلا مفهوم « متوسطى الفلاحين » و « فقراء الفلاحين » •

● **السؤال الرابع : ما هو المنهج الذى يجب اتباعه لانجاز تصفية الكولاك كطبقة ؟**

■ **الجواب : يتحدد المنهج** الاساسى لتصفية الكولاك كطبقة فى أسلوب الزراعة الجماعية • ويجب أن تتمشى كافة الاجراءات الاخرى مع هذا المنهج الاساسى، ويستتبع ذلك وجوب رفض كل ما هو مخالف لهذا المنهج او يكون من شأنه الاقلال من أهميته •

● **السؤال الخامس : اليس من شأن تحقيق شعارين فى نفس الوقت ، أحدهما عن مناطق الزراعة الجماعية الكاملة « وهو تصفية الكولاك كطبقه » والشعار الاخر المناطق التى ليس بها زراعة جماعية كاملة وهو « الحد من الكولاك وعزلهم » ـ اليس من شأن ذلك أن يتمخض عنه تصفيه الكولاك ذاتيا فى هذه المناطق الاخيرة (وذلك باضمحلال ملكياتهم ووسائل انتاجهم) ؟**

■ **الجواب : يجب الا نصور** هذين الشعارين : « تصفية « الكولاك كطبقة » و « الحد من الكولاك » كأنهما شعاران **مستقلان ومتساويان** ، فعندما انتقلنا الى سياسة تصفية الكولاك كطبقة ، أصبح هذا الشعار هو الشعار **الرئيسى** ، بينما تحول شعار الحد من الكولاك فى المناطق التى ليس بها زراعة جماعية كثيفة ، من شعار مستقل الى شعار **ثانوى** ، الى شعار **تابع** للشعار الرئيسى ، أى الى شعار يسهل فى هذه المناطق تحضير الظروف المناسبة له من أجل الانتقال الى الشعار الرئيسى • وكما ترون ، فقد تغير بشكل أساسى شعار « الحد من الكولاك » فى الظروف الراهنة ، بالمقارنة بالدور الذى كان يلعبه هذا الشعار من سنة قبل ذلك •

انتهت

الثمن ١٠ قروش

مطابع الأهرام التجارية

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

٨

أغسطس ١٩٧٠

السنة السادسة

موقع جولدمان على خريطة الصهيونية





طـريق المناضـلين الي

الفـكر الثورى المعاصر

مجلة شـهريه
تصدر أول كل شهر

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
أبو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبدالله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد أحمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتير التحرير :

عبد المنعم القصاص

عنوان المراسلات :

« الطليعة »
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء
القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠
— ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

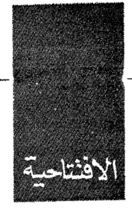
لسنة بالبريد العادى ج.ع.م. دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .

الفهرس

العدد الثامن — السنة السادسه — اغسطس ١٩٧٠

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفي اعتقادنا أن تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » ! .



المواجهــة مع العــدو فى أدق مراحلهــا

بعد ثلاث سنوات من عدوان يونيو ، دخلت المواجهة بين الشعوب العربية ، وبين الحلف الصهيونى الامبريالى فى مرحلة بالغة الدقة ، بل ربما القول معها بأن هــذه المواجهة انما تدخل ادق مراحلها .

ولم يكن من باب الدعاية ان يشير البيان العربى السوفيتى (٧/١٧) الى ان السلم مهدد تهديدا جديا من جراء اعتداءات اسرائيل ، ومن جراء الدعم الامريكى الشامل لهذه الاعتداءات ولم يكن ايضا من قبيل الدعاية ما ذكره — قبل ذلك بيومين — بيان مجلس السوفييت الاعلى عن الوضع فى الشرق الاوسط عندما وضع الامر على النحو التالى :

● اما أن يتفاقم الخطر العسكرى فى الشرق الاوسط أكثر فأكثر ، وهذا يحدث اذا لم يتم كبح جماح المعتدى .

● واما أن تتم اتخاذ التدابير لضمان التسوية السياسية على أساس الالتزام بقرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر .

هكذا فان المواجهة ، فى تقدير **قيادتنا وفى تقدير الاصــــدقاء** تقف عنـــد منعطف وعــر شــديد الوعورة .

وفى الوقت نفسه ، فان الضجيج الذى بلغ عنفــوانه بتصريحــات **نيـكسون** الاستفزازية فــى التليفزيون الامريكى ، وفى تصريحات مستشاره **كيسنجر** ، وزعمهم بأن الوضع فى الشرق الاوسط أشد خطرا من الوضع فى فيتنام ، وأن الشرق الاوسط قد أصبح — كما كان البلقان من ٥٦ عاما — برميل البارود المتفجر ، كل هذه التصريحات ، مضافا اليها ، تقديرات الصحافة والاوســـاط الدبلوماسية الغربية ، انما تشير الى ان ازمة الشرق الاوسط تدخل فى مرحلة جديدة ودقيقة ، وذلك على الرغم من أننا نعلم ان كثيرا مــن تصريحات الاوساط الامبريالية والاسرائيلية انما تستهدف الابتزاز باسم الخطر الذى يتهدد السلم ، كما تستهدف اضعاف معنويات الشعوب العربية والشعوب الصديقة .

واذا تحدثنا عن الاسباب التى تدعونا الى الكلام عن مرحلة دقيقة وبالغة الدقة من مراحل المواجهة مع العدو الصهيونى الامريكى، فان دراسة محصلة تطور الاحداث فى المنطقة العربية سيساعدنا على تقييم الوضع فى خطوطه الاساسية ، وسيكون مفتاح هذا التحليل ما قاله نيكسون فى بعض تصريحاته عندما اشار الى انه : اذا ضعفت اسرائيل فان الحرب ستتفجر فى الشرق الاوسط • وفى تصريح آخر له ، مشترك مع رئيس وزراء بريطانيا ، اتفق الرئيسان على أنه اذا مال ميزان القوة فى المنطقة بشدة الى ناحية ، او الى أخرى ، فسوف يكون هذا أضمن سبيل للحرب •

ولكن لما كان العالم كله يدرك أن اسرائيل لا تزال تحتل الاراضى العربية وتحاول ان تستغل تفوقها الجوى ـ المؤقت ـ ومعداتها الالكترونية لفرض شروط الاستسلام على العرب ، فان مخاوف أمريكا عن ميل ميزان القوى لغير صالح اسرائيل ، هذه المخاوف ينبغى أن تفهم على وجهها الصحيح : الخوف على اسرائيل والانحياز الكامل لها •

والواقع ان كشف حساب السنوات الثلاث التى تلت حرب يونيو قد بدأت ـ وبالتدريج ـ تتغير ضد مصالح الامبرياليين الامريكان ، واتباعهم الصهاينة • وهذا يتضح بالنظر الى :

- نمو حركة التحرر الوطنى العربية وتدعم مواقعها •
- نمو وتدعم الحلف النضالى بين هذه الحركة وبين الحركة الاشتراكية العالمية •
- نمو وتدعم كفاءة القوات المسلحة المصرية •

اما عن حركة الثورة العربية المعادية للامبريالية ، فان هزيمة يونيو ـ كما قد أصبح واضحا ـ لم تكن سوى صدمة مؤقتة ، وسرعان ما بدأت الجماهير العربية تتخطاها فاكتسحت مواقع النفوذ الامبريالى فى أكثر من بلد عربى ، واذا اكتفينا ببعض عناوين سريعة : فهناك الدول الوطنية والتقدمية التى أصبح لها الثقل الحقيقى فى المنطقة العربية • وهناك شعب فلسطين الذى يخوض ببسالة معركته الوطنية التحريرية ، وهناك التضامن بين مصر والسودان وليبيا ، وهناك استمرار تقدم تحول الثورات الوطنية نحو آفاق التقدم الاجتماعى • وهناك قضية القومية العربية التى تكسب كل يوم أرضا جديدة بفضل الشعور المتزايد العمق بالمصير العربى المشترك •

فما الذى يمثله هذا كله فى ميزان الثورة العالمية ؟ اذا رجعنا الى الفترة المظلمة التى بدأت فى منتصف الستينات بهجوم الامبريالية والاستعمار الجديد على بلدان العالم الثالث ، فلسوف نرى أن هذا الهجوم قد حقق ـ للاسف ـ أهدافه فى أكثر من بلد افريقى وآسيوى انتكست فيه نظم الحكم الوطنية التى كانت قائمة ، وقد بلغ هذا الهجوم الامبريالى ذروته فى حرب يونيو ضد مصر وسوريا • وكان الامبرياليون ـ الامريكان خصوصا ـ يقدرون انه اذا تم ضرب نظام الحكم فى ج • ع • م فان ابواب العالم العربى وأبواب أفريقيا ستفتح لهم على مصاريعها ، لكن حساباتهم قد خابت ، وعلى العكس فقد استعادت قوى التحرر الوطنى فى البلاد العربية ، وفى بلدان أفريقية أخرى مبادراتها ، وأصبحت الثورة العربية المعادية للامبريالية والمستشرفة آفاق التطور الاجتماعى تمثل نموذجا وحافزا وأحيانا ركيزة مادية لعهد متجدد (كما حدث بعد انتصار السويس) من الانتفاضات والثورات التحريرية ضد قوى الامبريالية وضد الاستعمار الجديد •

من هنا ندرك لماذا تستشعر أمريكا وتابعتها اسرائيل الخطر من التطورات التى تتجمع ـ منذ ثلاث سنوات ـ وتتحرك على أرضية الشرق الاوسط •

أما فيما يتعلق بالحلف المتنامى بين الثورة العربية بجانبيها الوطنى والاجتماعى من ناحية ، وبين قوى المعسكر الاشتراكى ، وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى من ناحية أخرى ، فان هذا الحلف غير المكتوب قد تعزز وصمد للامتحان فى اكثر من جانب من خلال التجارب ، ومن خلال النضال المشترك ضد الامبريالية العالمية وضد أداتها الصهيونية العالمية ، وهكذا ، ففى مجال التعاون الاقتصادى كان هذا التعاون ثمرة اصرار بلادنا ، وبعض الدول العربية الشقيقة على ان

ترفض التبعية لنظام الرأسمالية العالمي ، أى على أن تقاوم ظاهرة الاستعمار الجديد : الامر الذى عزز قدراتها الذاتية ، وعزز مواقع القوى التى تريد ان تنهض بالبلاد اجتماعيا وثقافيا ، وفى الوقت ذاته فان التقدير الموضوعى من جانب المعسكر الاشتراكى للدور الايجابى الذى تمارسه الثورة العربية داخل حركة التحرر الوطنى فى العالم ، تدنقل تضامن المعسكر الاشتراكى مع حركات التحرر الى مستوى اعلى لا يقوم على تقديم المساعدة العسكرية المباشرة فحسب ، بل وعلى التزام هذا المعسكر بأن يفشل ويردع ، ويقيد هجمات القوى الامبريالية المسلحة على الدول الوطنية ، وان الالتزامات التى اخذها الاتحاد السوفيتى على عاتقه فى الشرق الاوسط وفى منطقة شرق البحر الابيض المتوسط والتنسيق المتبادل بين السياسات العربية والسوفيتية بإزاء العدوان . هذا يكشف عن الاهمية التى يعلقها الاتحاد السوفيتى على صمود وانتصار البلدان العربية ، وهذا ما عبر عنه بيان مجلس السوفييت الاعلى (٧/١٥) عندما اشار الى أن « **ما يحدث الان فى هذه المنطقة يؤثر بصورة مباشرة على مصائر شعوب آسيا وأفريقيا ، وعلى مصير السلام العالمى وأمن الدول** » . وفى مكان آخر أشار البيان الى ان القوى المحبة للسلم والمناهضة للاستعمار تدرك أن التزام الموقف السلبى ازاء المعتدى سيطلق أيدى الامبرياليين فى القيام بأعمال عدوانية جديدة ضد الشعوب وضد الدول المستقلة الاخرى .

وهكذا فان تضامن الاتحاد السوفيتى واسرة البلدان الاشتراكية مع البلدان العربية فى ردع العدوان وعدم السماح باستمراره وتصعيده هو عامل حاسم فى تغيير الوضع لمصلحة حركة التحرر العربية ، وضد مصلحة الامريكيين والصهيونيين .

فاذا جئنا الى قضية نمو وتعاظم الكفاءة القتالية لقواتنا المسلحة ، فان هذه الحقيقة التى كانت ثمرة جهود رائعة ومضنية بذلها الضباط والجنود قد أصبحت موضع اعتراف الأصدقاء والاعداء ، وأهم ما فى هذا النمو أنه يتم فى لهيب المعارك اليومية ، وانه يتم ــ ايضا ــ بكيفية مضطردة بحيث أن عامل الزمن لم يعد يعمل فى صالح اسرائيل من هذه الزاوية بالذات ــ كما جاء فى بعض تصريحات **موشى ديان** .

ان ثمرة هذا البناء قد تجسدت فى ناحيتين :

ــ الصمود البطولى للقوات المرابطة على خط القناة رغم الغارات الجوية الكثيفة والمروعة .

ــ بداية انتهاء أسطورة سلاح الجو الاسرائيلى الذى لا يغلب .

وهكذا فان كشف حساب اعادة بناء القوات المسلحة هو أحد التطورات الهامة فى تغيير علاقات القوى لمصلحة الثورة العربية وضد مصالح الحلف الامريكى الصهيونى .

وعلى ضوء هذه العوامل الثلاثة السابقة يمكن أن نقدم خطوطا سريعة للصورة فى معسكر العدو .

● بعد ثلاث سنوات من يونيو ٦٧ خسرت أمريكا فى البلاد العربية خسائر جسيمة : سياسية واستراتيجية واقتصادية ، واصبحت تواجه عزلة متزايدة ، وزادت التناقضات بينها وبين حلفائها فى المعسكر الامبريالى ، وفى آخر اجتماع لحلف الاطلنطى وقفت بمفردها تدافع عن وجهة نظرها الخاصة فى حل النزاع العربى الاسرائيلى .

وبوجود الاسطول السوفيتى فى البحر الابيض لم يعد لحلف الاطلنطى ، وبالتالى لم يعد الاسطول السادس يستخدم كفزاعة لشعوب المنطقة .

● وبعد ثلاث سنوات من يونيو ٦٧ فشلت اسرائيل فى فرض شروط الاستسلام على العرب ، وطرحت أمام العالم ، وبقوة ، قضيتان : قضية شعب فلسطين من حيث أرادت اسرائيل أن تطمسها الى الابد ، وقضية مصير اسرائيل ذاتها من حيث أرادت اسرائيل أن تؤكد وجودها .

والواقع أن اسرائيل قد جنت أكثر من حصاد مر . هناك الخسائر الكبيرة فى الارواح فى مجتمع يحاول أن يجذب اليه يهود العالم ، وهناك التبعية الاقتصادية والسياسية المتزايدة للامبريالية الامريكية سيئة السمعة ، وهناك العزلة المتزايدة على الصعيد الدولى خصوصا فى البلدان الاشتراكية ، وبين أوساط اليسار الاوربى ، وان أزمة اسرائيل التى فجرتها حرب يونيو تفسر ظهور ونمو تناقضات كثيرة :

ـ التناقضات فى داخل الحركة الصهيونية العالمية حول سياسة اسرائيل ومستقبلها ٠

ـ التناقضات بين قادة الحركة الصهيونية العالمية وبين قادة اسرائيل ٠

ـ التناقضات بين الاحزاب الحاكمة فى اسرائيل خصوصا حول ما يسمونه هناك « بالحدود الامنة » ٠

ـ التناقضات بين الاحزاب وبين المؤسسة العسكرية التى تمسك بالسلطة الفعلية ٠

ـ التناقضات التى بدأت تظهر منذ مدة بين قوى وجماعات مختلفة الاهداف والاتجاهات داخل اسرائيل حول سياسة الحكومة الاسرائيلية ، ودور المؤسسة العسكرية ، وباختصار حول الموقف من الحرب والسلام ، وهى التناقضات التى أشار اليها الرئيس **عبد الناصر** فى خطابه أمام المؤتمر القومى ٠

من هنا لا يخطىء الانسان عندما يقرر أن اسرائيل لم تعد تتحرك من مراكز القوة السابقة ، وأن تدهور الروح المعنوية فى داخلها من الامور التى بدأ يتحدث عنها المعلقون الغربيون ٠

ـ ٢ ـ

فاذا صح أن الامور تتغير فى الشرق الاوسط ، وأن العلاقات بين القوى المتصارعة تتغير فان أهم ما يواجه القوى الثورية هى ألا تقع فى خطأ التفاؤل الساذج أو الحسابات المتسرعة ، ذلك أن الموقف مشحون باحتمالات متعارضة ، وصراعات متناهية الحدة ، وهذا ما يتضح اذا ما نظرنا الى ما يجرى فى معسكر الاعداء ٠

ذلك أن اسرائيل وحماتها قد باتوا يدركون بوضوح ان قوى الثورة العربية تتنقل ـ فى مجموعها ـ من موقع الى آخر أكثر تقدما ، وهذا يثير فى داخل الحلف الامبريالى الصهيونى ردود فعل متفاوته ومختلفة ، بل قد تكون احيانا مباغتة ، يكفى هنا ان نستعيد بعض تصريحات ومواقف عدد من المسئولين الامريكيين والاسرائيليين فمنذ ان بدأت الصواريخ المصرية تسقط الفانتوم اتجهت تصريحات قادة أمريكا الى الابتزاز والتهديد السافرين ، فعرض نيكسون صورة اسرائيل « الشهيدة المعرضة للفناء » ، واسقط عمدا من حسابه أنه هناك معركة تحرير وطنية على الارض العربية ، وأخذ يعرض صورة لخطر تصاعد النزاع بين الاتحاد السوفيتى وبين امريكا فى المنطقة وفى الوقت نفسه أعلن كل الضمانات لحماية اسرائيل ، بل لم تخل التحركات الامريكية من الايحاء بأن امريكا تمهد لتدخل مسلح من جانبها فى المنطقة ٠

وفى اطار هذه الحملة من الابتزاز تحدثت الصحافة الامريكية ، بوحى من المخابرات الامريكية ، عن امتلاك اسرائيل للسلاح الذرى ٠

أما فى اسرائيل فبينما اتجهت الى دعوة أمريكا لتضطلع بدور مباشر وسافر فى القتال الدائر ، لم تكف بعض أوساطها عن الدعوة الى القيام بعمل عسكرى واسع ضد ج٠ع٠م٠ ، ينهى الحرب قبل أن تتمكن قواتنا من العبور الى سيناء ٠

هنا ربما يكون السؤال المنطقى ما حدود الحقيقة والتهويش فى مواقف الولايات المتحدة واسرائيل ، والجواب هو انه اذا استبعدنا مسألة التهديد بالقنبلة الذرية ـ لملابسات معروفة ـ **فان ردود الفعل فى اسرائيل يحركها ازدياد اليأس من فرض مخططاتها مع ما قد يحمله هذا من انهيار داخلى فى المستقبل ، وهذا اليأس ـ كما علمتنا تجارب التاريخ ـ هو الذى يدفع الى المغامرة ٠ ومن ثم فان اقدام اسرائيل وحماتها على أعمال المغامرة ليس مستبعدا على الإطلاق ، بل يظل من الاحتمالات القائمة ، وهذا أحد الاسباب التى تجعلنا نقول ان المواجهة مع العدو تجتاز ادق مراحلها ٠**

ـ ٣ ـ

والامر المؤكد هو أن الاحتمالات الخطرة الكامنة فى الموقف الراهن لم تزل بمجرد أن قدمت الولايات

المتحدة ما سمى « بمبادرة السلام الامريكية » • فهذه المبادرة ليست ــ **كما أوضح الرئيس عبد الناصر** ــ الحل السلمى للازمة • فالحل السلمى لا يزال ، فى الواقع ، بعيدا لسبب بسيط هو أنه لا توجد فى اللحظة الراهنة •• قوة من القوى المتصارعة ــ فى المنطقة ــ تستطيع ان تحسم الموقف بعمل أو تحرك فورى ، فمن ناحية القوة العربية ، نجد أن هذه القوة تتعاظم بمضى الزمن ، ــ وهذا واضح ــ لكن التعبئة اللازمة لتحقيق النصر ، على مستوى الامة العربية ، لم تتهيأ بعد ، ومن ناحية العدو ، فان اسرائيل لم تعد تستطيع أن تفرض شروطها ، كما أن الزمن الذى تستطيع فيه أمريكا ان تفرض شروطها وحلولها بالارهاب واستعراض العضلات ، هذا الزمن قد مضى •

ومن هنا تبدو « المبادرة الامريكية » كمحصلة ضغوط دولية متعددة ، ومحصلة نمو للقوة العربية ، ومحصلة للصراعات داخل الاوساط الحاكمة الامريكية ذاتها بين البنتاجون وبين وزارة الخارجية الامريكية •

غير ان هذه المبادرة ــ ايا كانت تأثيراتها وردود الفعل المحلية والعالمية التى ترتبت عليها ، لا تزال بعيدة عن ان تحل الوضع الخطر فى المنطقة ، بل انها يمكن فى ظروف معينة أن تجعل الوضع حساسا ودقيقا أكثر من ذى قبل ، وعلى أكثر من جبهة ، وعلى سبيل المثال :

اولا ــ اذا كانت بلادنا قد ردت ردا ايجابيا على هذه المبادرة ، فقد كان ردها خطة تكتيكية سليمة ، تدخل فى اعتبارها مصلحة السلام العالمى ، والحاجة الى مزيد من دعم الرأى العام العالمى وعزل اسرائيل والقوى المعادية ، وهذه الخطة التكتيكية يحكمها ــ وهذا دليل صحتها ــ الاستراتيجية التى تصر عليها الشعوب العربية : تحرير الارض المحتلة كلها ، وعدم التفريط فى حقوق شعب فلسطين ، وفوق هذا فقد قبلنا هذه المبادرة ونحن فى وضع أفضل ــ بما لا يقاس ــ من النواحى العسكرية ، والدولية ، والعربية ، ومن المعروف ــ وفقا لتجارب كل يوم ــ أن قوى الامبريالية والعدوان لا تتحدث عن حل سلمى الا بمقدار ما تشعر بأن الشعوب تملك من وحدة الصف ، ومن القوة المادية ما يمكنها من انتزاع حقوقها بالقوة •

ثانيا ــ ولكن لما كانت الامبريالية العالمية لا تغير طبيعتها ، ولما كنا نعلم أن هذه الامبريالية ــ بقيادة أمريكا ــ لا ترضى بأن تتخلى عن أطماعها فى السيطرة على مقدرات البلاد العربية لتنهب ثرواتها وتحولها الى قواعد للعدوان ، فان الامبرياليين الامريكيين سيحاولون من ناحيتهم أن يستخدموا ما سمى « بالمبادرة » ليقوموا بحركة التفاف تهدف الى اضعاف وحدة الصف العربى ، وبالتحديد سيضاعف الاعداء من نشاطهم السياسى والايديولوجى لكى يمزقوا الوحدة الداخلية فى كل بلد عربى وبين البلدان العربية بعضها والبعض •• وعلى سبيل المثال :

١ ــ ستحاول قوى الامبريالية الصهيونية ان تظهر ج•ع•م• بمظهر المتخلى عن العرب ، وعن قضية فلسطين بهدف عزل ج•ع•م• عن الامة العربية •

٢ ــ ستحاول قوى الامبريالية والصهيونية أن توحى للرأى العام العربى بأن بلادنا قبلت مشروع روجرز تحت « ضغوط مزعومة » من جانب الاتحاد السوفيتى •

٣ ــ ستحاول قوى الاعداء ان تحول مشروع روجرز الى احتياطى ، أو رصيد لليمين الرجعى فى البلاد العربية ، لايهام الرأى العام بأن المصلحة كل المصلحة فى التفاهم مع امريكا والارتباط بسياساتها •

والواقع أن هذه الاخطار ليست وهمية أو مبالغا فيها على الاطلاق • ذلك إنه ليس من المصلحة أن نخفى أن الوحدة الوطنية فى داخل بعض البلدان العربية لا تزال ضعيفة للغاية ، ولا يمكن أن نخفى أن بين القوى الثورية أيضا بعض صراعات لامبدئية ، بل وضارة جدا ، ولا يمكن ان نخفى ان بعض الدول العربية لا تقدم للمعركة ما تتطلبه من دعم مادى وجهد عسكرى • ولا يمكن ان نخفى أخيرا أن بعض الجماعات السياسية غير المسئولة يمكن أن تشرع فى اقامة مزايدات لا أول لها ولا آخر ، **وباختصار لا نستطيع ان نخفى أن العمل العربى الموحد لا يزال أبعد من أن يحدث تاثيره الحاسم فى المعركة** •

وفى ظل هذه السلبيات كلها ، سينشط المستعمرون وكل اعـوانهم لاشـاعة البلبلة ، والتفكك وبذر بذور التراخى وتعميق الانقسام بين القوى الوطنية والتقدمية من ناحية ، أو بين هذه الدولة العربية أو تلك ، من ناحية أخرى • وأمام هذه الاخطار مجتمعة لابد وأن تسعى القوى الثورية والوطنية فى الوطن العربى لدعم وحدتها المقدسة على أسس واضحة ، ومن أجل دعم هذه الوحدة التى هى الشرط الاساسى لهزيمة المعتدين وحلفائهم الامبرياليين لابد من أن تتحرك قوى الثورة العربية فى اطار له حدود واضحة •

● **أول هذه الحدود** أن « المبادرة الامريكية »اذا كانت تشعرنا بالثقة فى قوتنا ، الا انه ينبغى ان نحذر من المبالغة فى قوتنا ، ومن التقليل من قوة العدو ، ومن ثم ينبغى أن نتسلح باليقظة الكاملة •

● **حد آخر** ، هو أن درجة التوازن الحالى بينقوى الثورة العربية وبين قوى الاعداء قد تطيل الفترة الحرجة التى تتميز بعدم حسم الامور ، ومن هنا فان التعبئة السياسية والتثقيف بحقـائق المعركة ، مرها وحلوها ، يجب أن يتم بحيث يطلق مبادرات الجماهير ، ويمكنها من أن تنظم نفسها ، ويحفظ عليها ــ فى النهاية ــ معنوياتها •

● **حد ثالث** ، هو أن التوازن فى العلاقات بين قوى الثورة العربية وبين قوى الاعداء ، اذا كان يتحرك ــ على المدى الطويل ــ لمصلحة الثورة العربية ، فان هذا قد يسهل فى المستقبل الوصول الى حل سلمى ، وفى هذه الحالة يجب أن يكون هذا الحـل متفقـا مـع الشعـارات الاسـاسية للمعركة : جلاء العدو عن الارض ، وحقوق شعبفلسطين ، وفى الوقت ذاته يجب ان نحذر المزايدة كما نحذر خطر الحلول الانهزامية •

وفى نطاق هذه الحدود الثلاثة تواجهقوىالثورة العربية فى كل الوطن العربى مهام عاجلة :

مهمة اولى : هى دعم الثقة بين القيادات الوطنيةالتقدمية فى كل بلد عربى ، وبين الجماهير • فهذه الثقة هى التى تسهل على القيادة فى كل بلد عربى حرية الحركة ، وتسندها فى كل المواقف ، وتمكنها من أن تتجاوز الازمات الحادة • وغنى عن الذكر أن هذه الثقة انما تتطلب تعبئة سياسية حقيقية ، كما تتطلب اتخاذ اجراءات اقتصادية واجتماعية تضمن توزيع أعباء الحرب على الطبقات المختلفة ، وتضمن تطبيق شعار « المساواة فى التضحية » •

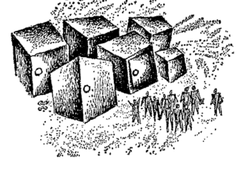
مهمة ثانية : هى التلاحم والتقارب بين قوى الثورة العربية ، خصوصا بين كل القوى التى ترفع شعارات الاشتراكية والتقدم الاجتماعى ، ان هذه القوى مدعوة الى عمل فورى منسق ، ومتكامل ، يتجـاوز الحسـاسيات ، ويدفـع الى الـوراء التناقضات والخلافات الثانوية لمصلحة معـركة التحرير ، ويغلب عوامل الوحدة بين قوى العمالوالفلاحين والمثقفين الثوريين والجنود •

وفى هذا المجال بالذات نرى أن القيـادات والتنظيم السياسى فى ج•ع•م مطالب بأن يقوم بمبـادرات شـعبية وحقيقية على صـعيد الوطن العربى ، واذا كنا نحمل بلادنا المسئولية الاولى فهذا ما يفرضه عليها حجمها ، ووزنها فى المعركة ، وتقاليدها فى التضحية من أجل القومية العربية والكفاح ضد الامبريالية والاستعمار الجـديد والصهيونية والرجعية • فهذا واجب ملح ومهمة لا تحتمل التأخير ، فى فترة دقيقة من حياة الامة العربية •

الطليعة

التطـور الاقتصـادى فى السـبعينات

قضـــايا .. واتجـاهات



د . ابراهيم سعد الدين

ليس هذا تقريرا عن المؤتمر الذى عقدته جماعة خـريجى المعهـد القومى للادارة العليا فى الاسكندرية فى خمسة الايام الاخـيرة من يونيو لدراسة ما يحتمل أن يواجه الوحدات الاقتصادية فى السبعينات .. كما أنه ليس تعليقا على مادار فى المؤتمر من ابحاث ومناقشات ، ولا تقييما لها او للمؤتمر بصفة عامة . وانما هى بعض ملاحظات حول سلسلة من القضايا ثارت فى المؤتمر أو حوله ولم تسمح طبيعة المؤتمر ذاتها من مناقشتها مناقشة مستفيضة . فمؤتمر بمثل هذا التكوين ، وهذه المدة لا يستطيع أكثر من اثارة الموضوعات الرئيسية وطرح بعض وجهات النظر بشأنها دون محاولة تقديم حلول لمشاكل معقدة تتطلب فورا قدرا من البحث والدراسة التفصيلية .

— ١ —

المؤتمر وموضوعه

لم يكن المؤتمر الحالى هو المؤتمر الاول أو الوحيد للجماعة المذكورة . بل هو المؤتمر السنوى السادس الذى تعقده جماعة خريجى المعهد القومى للادارة العليا ، والمكونة من رجال الادارة العليا والوسطى فى الوحدات الاقتصادية والمؤسسات والهيئات الذين تم تدريبهم بوساطة المعهد القومى للادارة . وقد عقد المؤتمر الاول للجماعة تحت أسم مؤتمر المتابعة الاول فى صيف ١٩٦٤، ومنذ ذلك التاريخ تعقد الجماعة مؤتمرا سنويا للمتابعة مع أستثناء صيف النكسة فى عام ١٩٦٧ . ومن ثم فان هذا هو المؤتمر السادس للجماعة . ورغم ذلك فقد مرت اغلب المؤتمرات السابقة دون ان تثير ذلك الاهتمام العام الذى اثاره المؤتمر الاخير الذى حظى باهتمـام خـاص من الصـحف اليوميـة والاسبوعية ،وذلك يعود الى الموضوع الذى اختاره المؤتمر لبحثه . **ان المؤتمر يركز فى هذه المرة لا على مشكلة معينة من المشاكل التى تواجه المديرين والتى تهم مجتمعهم بالذات أو التى تتعلق بعلاقات الوحدات الاقتصادية بالاجهزة الاشرافية ، أو غير ذلك من الامور التى سبق وان عولجت فى مؤتمرات مختلفة للادارة . وانما يثير قضية المستقبل بعد النصر وكيف يمكن الاعداد من الان لمواجهته .** ان قضية بهذا الاتساع لاتهم مجموعة خاصة أو هيئة معينة من هيئات مجتمعنا وانما تهم كافـة مواطنينا . ومن هنا فقد كان الاهتمام العـام بموضوع المؤتمر ومناقشاته .

لقد أثير حول موضوع المؤتمر منذ البداية عدد معين من التساؤلات • فمن ناحية أعترض البعض على انشغال رجال الادارة فى مصر بدراسة احتمالات ما بعد النصر فى وقت لم تزل مصر تنشغل فيه اساسا بالمعركة مع العدو الاسرائيلي، ولم تزل فيه اسرائيل تشدد القصف الجوى على جنودنا الرابضين فى جبهة القتال • ان ما يجب ان يشغل المديرين فى مثل هذه الفترة (طبقا لهذا الراى) هو حشد كل طاقاتهم من أجل المعركة ، وتعبئة كل قوى الإنتاج من أجل المساعدة على النصر • ومن ناحية أخرى ، فان أمر المستقبل ، والاتجاهات التى يجب أن تتخذها التنمية فى مصر بعد النصر ، من الاهمية بمكان بحيث لا يترك بحثها لجماعة محدودة مهما كانت أهميتها أو أهمية ودور أفرادها فى بناء وتسيير الاقتصاد القومى •

على ان هذا النوع من التساؤلات يفصل بين الامس واليوم والغد ، ويعتبر أن أى انشغال بالمستقبل هو انشغال عن الحاضر ، ولكن الامر فى الواقع **على العكس من ذلك ، فان المؤتمر اذ يشعر بالاولوية المطلقة للمعركة ، ويعد بأن يعمل كل الحاضرين فيه تحت شعار « كل الجهد فى سبيل النصر وكل شىء من اجل المعركة »، انما يرى أن التخطيط لمواجهة الغد المرتقب بعد النصر لابد وان يبدأ منذ الان •**

ذلك ان وضوح الرؤية امام شعبنا يعد حافزا من حوافز النضال ، وليس سببا من أسباب التقاعس • ان المعركة الحالية تسبب قدرا هاما من الخسائر المادية بالاضافة الى هذه الخسارة التى نتحملها فى معركة التنمية • وهذا كله يتم فى فترة تتصف بالتطور السريع فى وسائل الانتاج فى العالم وتغيرها المستمر • كما يواجه اقتصادنا نموا مستمرا فى السكان وفى تطلعاتهم من أجل حياة كريمة تتناسب مع آمالهم وعظيم تضحياتهم فى خلال هذه المعركة • ان ذلك كله يلقى على اقتصادنا اعباء ضخمة لابد من مواجهتها • ان هذا يتطلب فى نفس الوقت الدراسة الجادة لاحتمالات المستقبل واهدافه وكيفية وامكان تحقيقها • وهذان الهدفان ليسا هدفين متعارضين بل على العكس، ان بذل الجهود من أجل النصر هو الذى يهيىء لامكانيات التنمية السريعة فى المستقبل • ورؤية أعباء المستقبل هى احد الحوافز الهامة من أجل بذل أقصى الجهد الان من أجل تحقيق النصر ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى لضمان حد ادنى من التنمية لا يقل عن معدل نمو السكان فى خلال فترة الصراع الحربى مع اسرائيل ، وذلك مهما طالت هذه الفترة • ان ذلك ليس شرطا للمحافظة على المستوى الحالى للدخل القومى وحسب ، بل ولتهيئة الظروف المناسبة لاستمرار الجهد الحربى من ناحية أخرى • ويتطلب تحقيق هذا الامر استخدام كل الامكانيات المتاحة لزيادة الكفاية الانتاجية عن طريق حسن تنظيم العمل وتطويره كما يتطلب تعبئة المزيد من الموارد البشرية والمادية لمواجهة كل من احتياجات التنمية واحتياجات الحرب فى نفس الوقت •

واذا كان المستقبل هو موضوع كل الشعب فان ذلك لا يمنع أيا من جماعاته ان تبادر الى اثارة النقاش حول هذا المستقبل ، واحتمالاته ، واثر هذا المستقبل على مجال العمل الذى تمارس نشاطها فيه • **بل ان هذه المبادرة هى مما يستحق التقدير والوقوف عندها لإبراز تطور هام من التطورات التى احدثها فى بلادنا نشوء قطاع عام نام يقود التطور فيها •**

ان ما يميز هذا المؤتمر بوجه خاص ، وما جعله بالتالى موضع اهتمام الصحافة والرأى العام هو انه على العكس من كثير من المؤتمرات السابقة للادارة لا يثير قضية خاصة بقطاع معين أو جماعة معينة • بل يثير قضية ذات أثر بالنسبة للمجتمع فى مجموعه •

ان تفرغ نحو ١٥٠ مديرا من القطاعات الاقتصادية المختلفة لبحث هذه القضية العامة هو دليل لا شك فيه على نمو احساس الادارة بالمسئولية الاجتماعية • وهذا التطور هو احد نتائج نشوء القطاع العام ونموه • ان القضية المثارة لم تكن هى الربح او مدى تأثر قطاع معين بالتغير الاقتصادى والاجتماعى وكيفية مجابهة آثار هذا التغير بما يضمنه النمو المستمر للقطاع او وحداته ، كما لم تعد القضية هى قضية تغيير بعض اللوائح والقوانين التى تتيح درجة أكبر من الحريات للمديرين • ان بحث ذلك كله يجرى فى اطار أعم هو أهداف المجتمع المصرى والتحديات التى تواجهه من أجل تحقيق هذه الاهداف • وهذا الشعور بالمسئولية الاجتماعية هو ظاهرة جديدة تستحق التقدير والتنمية •

— ٢ —

التنبؤ وامكانياته

ان المؤتمر ، الذى عقد لدراسة احتمالات التطور فى السبعينات ، وما يجب اتخاذه من سياسات لمواجهة التحديات التى قد تواجهها مصر والوحدات الاقتصادية بوجه خاص ، يواجه بالضرورة مشكلة هامة تلك هى التى تتعلق بمدى دقة تصوراته لذلك المستقبل خاصة فى ظروف حرب لا يعرف أحد حتى الان متى ولا كيف تنتهى • لقد كان هذا الموضوع هو بالضرورة احد المسائل الهامة التى أثيرت داخل قاعة المؤتمر ، سواء من

خلال الاسئلة أو من خلال الكلمات • أن عملية التنبؤ تحوى دائما قدرا من احتمالات الخطأ ولكن هذا القدر يتزايد بدرجة كبيرة كلما قلت المعلومات المتاحة حاليا عن هذه الظواهر التى يرغب بالتنبؤ بتطوراتها المقبلة • والحرب ، بلا جدال ، هى أحد هذه العوامل التى لا يتوفر قدر كاف من المعلومات عن احتمال تطورها المقبل وليس هناك من الوسائل العلمية ما يمكن من التعرف على مثل هـذه الاحتمالات • فالى أى مدى يمكن أن تمتد الحرب زمنيا ؟ **ان تصميمنا على النصر يعنى تصميمنا على الحرب طالما استمر احتلال العدو للاراضى العربية ، والقدرة على طرد العدو** ليست وقفا على جهودنا وحدنا ، بل هى تتوقف أيضا على تطورات كثيرة تملك التأثير فى بعضها ولا تملك التأثير فى البعض الاخر . واذا كانت الفترة التى يمكن ان تمتد اليها الحرب هى أحد العوامل المجهولة ، فان الآثار التى يمكن أن تترتب على اقتصادنا تظل ايضا مجهولة. فما هى احتمالات التدمير التىيمكن ان تنشأ عن المواجهة العسكرية المحتملة ، والى أى حد يمكن أن يؤثر طول الحرب على حيثياته ونمو رأسمالنا القومى ؟ هذه العناصر أيضا مما يصعب التنبؤ بها فى ظل الظروف القائمة •

ولكن هل تمنع مثل هذه الصعوبات محاولة النظر الى المستقبل واستكشاف آفاقه ؟ وهل تصبح مثل هذه المحاولة مجرد رجم بالغيب لا جدوى منها ؟.

ان الواقع يبرز انه وان كانت هناك عوامل هامة قد يصعب حتى الحدس بما يمكن ان نتجه اليه ، فان العديد من العوامل والمتغيرات قابلة للدراسة وتؤدى هذه الدراسة الى تحديد اتجاهاتها المقبلة كما يمكن التعرف على الكيفية التى يمكن أن تؤثر بها هذه الاتجاهات على الظروف التى سوف تواجه مصر مستقبلا .

ويمكن هنا الاشارة بوجه خاص الى اتجاهات رئيسية ثلاثة :

● فهناك أولا الزيادة فى السكان وفى القوى العاملة المتاحة • وتقدر الزيادة فى السكان فى خلال السنوات العشر القادمة بنحو ١١ مليون نسمة ، كما تقدر الزيادة فى القوة العاملة القابلة للتشغيل فى نفس الفترة بنحو ٣ ملايين عامل .

● وهناك ثانيا استمرار شروط التجارة الدولية فى التدهور لغير صالح الدول النامية وزيادة عبء الديون الخارجية على تلك الدول ـ بما فيها مصر ـ ونقص الموارد الدولية المخصصة للتنمية بالمقارنة بالطلب عليها ، وارتفاع تكاليف التنمية .

● وهناك ثالثا ذلك التطور السريع الذى يحدث فى أدوات وأساليب الانتاج فى البلاد المتقدمة صناعيا ، والذى هو نتيجة لوضع العلم فى خدمة الانتاج ولتلك الاستثمارات الضخمة فى مجالات البحث العلمى •

وحتى لو كان القياس الدقيق للتطور المقبل فى هذه العوامل وغيرها من المتغيرات التى يمكن تحديد الاتجاه العام لتطورها المقبل غير متوفر ، وحتى لو كان هناك عدد من ردود الفعل المحتملة التى تؤدى الى ابقاء معدلات التغيير فى بعض هذه العوامل أو غيرها ، **فان التعرف على احتمالات التطور المقبل لهذه العوامل فى خلال عشر السنوات القادمة هو ضرورة لكل من يتصدى لدراسة الوسائل والطرق المتاحة لتحقيق النمو والاختيارات التى تواجه هذا المجتمع وأيها أفضل لامكان تحقيق أهدافه •**

ان احتمالات الخطأ فى التنبؤ وان كبرت لا تنفى الحاجة اليه . انه الوسيلة لمجابهة المستقبل قبل وقوعه وللاستعداد لمواجهة الاحتمالات المختلفة فى أحسن الظروف الممكنة • وعلى العكس مما قد يبدو لاول وهلة فان زيادة احتمالات الخطأ فى تقديراتنا المقبلة هى التى تزيد من احتياجنا للتنبؤ وتجعل منه مهمة دائمة . ان الحياة الرتيبة التى تتصف ببطء شديد فى التغيير تجعل التنبؤ سهلا وتنفى الحاجة اليه فى نفس الوقت • فالغد هو مجرد تكرار لليوم واليوم هو تكرار للامس • وليس هناك جديد كثير تحت الشمس • وليس هناك حاجة بالانسان ، اذن ، الى التعرف على ذلك الغد • وعلى العكس من ذلك فان التطور السريع والتغير المستمر فى الظروف التى يواجهها الافراد والمجتمعات هى التى تحتم البحث عن وسائل للتعرف عما يمكن أن يواجهه الانسان أو المجتمع فى ذلك الغد المجهول • ومن حسن الحظ ان ذلك ممكن التحقيق لان أحداث الغد هى نتيجة لافعال اليوم • اذن فوسيلتنا للتعرف على المستقبل هى دراسة العلاقات اليومية بين الظواهر والعلاقات المتبادلة بينها • ان عدم اكتشاف بعض هذه العلاقات بعد يزيد من احتمالات الخطأ فى تنبؤاتنا بالمستقبل ، ويستوجب فى نفس الوقت متابعة مستمرة للتغيرات المقبلة ومحاولة للتعرف منها على الكيفية التى يمكن أن تؤثر بها على النتائج التى أمكن الوصول اليها من الدراسات السابقة • ان سرعة التغير من جهة وضخامة الاستثمارات اللازمة لتحقيق الاهداف ، وعدم القدرة على تحويل هذه الاستثمارات من مجال الى مجال ، يتطلب ـ كما سبق الاشارة ـ أن يصبح التنبؤ عملية مستمرة ، اذا أردنا تجنب الخسائر الجسيمة التى قد تترتب على قرارات لم تأخذ فى الحسبان بعض العوامل التى كان يمكن التعرف عليها مقدما كنتيجة للدراسة العلمية بالوسائل المتاحة عند صدور القرار •

— ٣ —

الخطة والتخطيط

اذا كانت الحرب تؤثر على مدى امكان التنبؤ بالمستقبل فانها تؤثر أيضا على مدى امكان الالتزام بخطة معينة لتحقيق أهداف تحدد سلفا • كانت هذه أيضا هى احدى القضايا التى أثيرت فى المؤتمر • **فالحرب بما تحدثه من تدمير، وبما تتطلبه من اعادة تعمير لبعض المنشآت الحيوية التى قد تتعرض للقصف، وبما تستلزمه من انشاءات للدفاع لها الاولوية المطلقة على كل ما عداها من استثمارات تجعل الفترة القصوى لاية خطةذات فعاليةهى سنةواحدة على الاكثر، وتجعل أى تخطيط طويل المدى او متوسط ضربـ من البحوث الاكاديمية التى تحدد أهدافا قد لا ترى النور قط •**

وقد واجه هذا المفهوم معارضة شديدة من عديد من المشتركين فى المؤتمر • واقر المؤتمر ضمن توصياته ضرورة العمل فى اطار خطة متوسطة الاجل وخطط سنوية للتنمية • ان هذا النقاش والتعارض يتضمن فيما نعتقد خلطا بين مفهومين : ضرورة وامكان أو عدم امكان وجود خطة معينة يلتزم بها العمل ولا يحيد عنها خلال مـرحلة محددة • وأهمية وجود تخطيط طويل ومتوسط الاجل وسنوى •

ان الخطة السـليمة تستلزم وجود التخطيط العلمى، ولكن التخطيط لايعنى مجرد وجود خطة ما للعمل • وعديد من البلاد النامية قد توجد لديها خطط للعمل دون أن تستند هذه الخطة الى تخطيط حقيقى يرتكن الى دراسات علمية مسبقة للعلاقات الاقتصادية والقوانين التى تحكمها، وللمـوارد المتاحة وللامكانيات المختلفة لاستقلالها • والاسس التى ينبنى عليها الاختيار بين البدائل المختلفة، وتحديد الاهداف الاسـتراتيجية التى تسـتهدف الخطة الوصول اليها، ودراسة الوسائل المختلفة لتحقيق هذه الاهداف، واختيار أكثرها رشـدا وأقلها تكلفة • ودون ان تستند الخطة أيضا على دراسات تفصيلية للمشروعات التى تتضـمنها، واقتصاديات هذه المشروعات وآثارها المبـاشرة وغير المباشرة على الاقتصاد القومى، ودراسة للتوقيت المناسب لتنفيذها، ومدى التنسيق بين المشروعات المختلفة للخطة وهكذا • ان مثل هذه الخطط كثيرا ما تتعرض للفشل وتؤدى الى اسراف شديد فى استخدام الموارد المحدودة للمجتمعات النامية •

واذا كانت الخطط السليمة تقتضى دائما وجود تخطيط علمى، فان التخطيط العلمى لا يعنـى بالضرورة تحديد خطط معينة ومحددة للعمل يجرى الالتزام بها لفترة معينة • ان التخطيط العلمى فى الدول المتقدمة يبدأ بالتخطيط الطويل الاجل والذى يستند الى دراسات لاتجاهات التقدم المستقبلة فى مجـالات البحث العلمى وتطـور العلـوم والانتـاج، ودراسـة لاحتـمالات تطـور الموارد المتاحة وغير ذلك من العناصر الاساسية • ان الاعداد للمستقبل يقتضى مثل هذه الدراسات عن فترات قد تطول • ولكن طول فترة الدراسة يؤدى الى الحد من درجة الثقة فى صحة الاستنتاجات التى تصل اليها مثل هذه الدراسات • كما تتعرض النتائج التى يتم الوصول اليها على ضوء البيانات المتاحة الى تغيير كنتيجة لعديد من العوامل التى تطرأ والتى لم يكن من الممكن التنبؤ بها مقدما • ومن هنا فان الخطط الطويلة الاجل قد لا تعبر الا عن الاتجاهات الرئيسية التى يجب ان يتنبأ بها الاقتصاد القومى لمواجهة احتمالات المستقبل على ضوء البيانات المتاحة، والدراسات التى أمكن اجراؤها، ولكن هذه الخطط تكون عرضة للتغيير المستمر على ضوء الدراسات التالية والمستمرة •

ان مثل هذه الخطط تكون، رغم ذلك، مؤشرا صالحا يستند اليه عند التخطيط لفترة متوسطة أو قصيرة • واذا كانت الخطط المتوسطة والقصيرة الاجل هى فى العادة أقل مرونة وتعبر عن درجة أعلى من الالتزام، فان ذلك يتم، فقط، كنتيجة لامكان التنبؤ بدرجة أعلى من الثقة بالتطورات المقبلة فى خلال فترة الخطة، وامكان اتخاذ هذه التطورات المقبلة فى الحسبان عند اتخاذ القرارات الحالية للاستثمار أو للانتاج أو غيرها • أما اذا سادت خلال الفترة المتوسطة، أو حتى القصيرة، ظروف مما قد يصعب التنبؤ باتجاهاتها مقدما فان التخطيط السليم يتطلب فى هذه الحالة أيضا أن تكون هذه الخطط على درجة عالية من المرونة لمواجهة احتمالات التغير فى المستقبل سواء نتجت هذه التغيرات التى يصعب التنبؤ المسبق بها — عن ظروف اقتصادية أو سياسية أو عسكرية يمر بها المجتمع خلال فترة معينة •

ان المرونة الشديدة للخطة لا تستبعد ضرورة التخطيط، بل تفترض جديته •

ان تطبيق وجهة النظر السابق شرحها فيما يختص بالتخطيط والخطة، والعلاقة بينهما فى ظروف مصر الحالية يؤدى الى التأكيد على ضرورة التخطيط وحيويته فى هذه المرحلة بنفس الدرجة التى كان التخطيط ضروريا لتحقيق اهداف التنمية مالم يكن اكثر اهمية • وان قيام الحرب والاثار التى تترتب عليها لايمنع، بل يقتضى الدراسة الجادة والعلمية للعلاقات الاقتصادية والقوانين التى تحكم تغيرها فى مجتمعنا • كما أن التأكيد على المجهود الحربى لا يتناقض مع ضرورة تحقيق حد ادنى من التنمية فى نفس الوقت لمواجهة احتياجات الحرب من ناحية وما يفرضه زيادة السكان من زيادة فى

الاحتياجات من ناحية اخرى . ان تحقيق هذا الحد الادنى للتنمية والاعداد لمواجهة احتمالات المستقبل يتطلب تخطيطا طويل ومتوسط المدى ، يحدد بمقتضاه الاتجاهات الاساسية التى يجب ان تتخذها التنمية فى مصر ، على ضوء التغيرات فى الظروف العالمية والمحلية كما تحدد طبيعه الهيكل الاقتصادى الذى يجب ان نسعى لبنائه • والكيفية التى يجب ان نحاول بها تحقيق هذا الهدف ، كما يحدد الاسس التى يجب ان يستند اليها الاختيار بين المشروعات المختلفة وبين الوسائل البديلة لتحقيق اهداف معينة • الى غير ذلك من الدراسات التى يجب ان يستند اليها العمل الاقتصادى خلال المرحلة المقبلة •

ويمكن ، على اساس من هذه الدراسات ، تحديد المشروعات التى يمكن البدء بها منذ الان على اساس ضرورتها لمواجهة احتياجاتنا الحالية من ناحية ولبقاء الاساس الذى تنبنى عليه خطط المستقبل من ناحية اخرى • على ان أى اختيار لعدد معين من المشروعات يجب ان يتصف بدرجة من المرونة تسمح بالتحرك فى حدود واسعة طبقا لما تمليه ظروف الحرب ، ولحجم الاستثمارات الذى يمكن توجيهه للتنمية فى اطار من هذه الظروف المتغيرة • ان وجود خطة مرنة للمدى المتوسط لا تعنى ضرورة اعلانها واعتبارها هدفا يجب بذل كل الجهود من اجل تحقيقه • ولكن التخطيط السنوى السليم والعلمى لابد ان ينبنى على رؤية واضحة للمستقبل وهو ما يتطلب تخطيطا طويل ومتوسط الاجل ووجود خطط مرنة يمكن التحرك حركة واسعة فى اطارها •

— ٤ —

الاوتومية وضرورة استيعابها

تشهد السبعينات من هذا القرن تطورا سريعا فى البلاد الصناعية المتقدمة ، واستخداما لاساليب جديدة فى الانتاج ، وتطورا مستمرا فى المنتجات كما وكيفا كنتيجة لتطويع العلم لخدمة الانتاج ، واحداث ثورة فى الاساليب التكنولوجية مكنت الانسان من احلال الآلة محل العمل الذهنى بعد ان حلت محل العمل العضلى .

وقد ادت هذه التطورات وتؤدى الى آثار هامة على البنيان الاقتصادى للدول المتقدمة وعلى علاقاتها الاقتصادية الدولية ، وعلى حجم الوحدات الانتاجية الحديثة ، وطبيعة السوق التى تعمل فى اطاره الى غير ذلك من الاثار • وتنعكس نتائج هذه التطورات على البلاد النامية خلال تأثيرها على شروط التجارة الدولية من ناحية ، وعلى مدى الفجوة بين الدول المتقدمة والنامية من ناحية أخرى ، وعلى الشروط اللازم توفرها لاجتياز هذه الفجوة من ناحية ثالثة •

ان هذه الحقائق هى التى دعت المؤتمر الى تركيز الجزء الاكبر من نشاطه على دراسة طبيعة الثورة التكنولوجية المعاصرة ، ومدى تأثيرها على التنمية فى بلاد العالم الثالث ، ومصر بصفة خاصة ، وكيفية الاعداد لمواجهتها . ولما كانت الاوتومية تلعب دورا اساسيا فى هذه الثورة فقد كان من الطبيعى ان تحظى بأكبر قدر من الاهتمام فى اثناء هذه المناقشات •

وقد برز فى المؤتمر اتجاهان رئيسيان عند مناقشة الموضوع . فهناك أولا من ركزوا على الآثار الهامة التى تترتب على استخدام الاوتومية فى الصناعة فيما يتعلق بتخفيض تكاليف الانتاج وتحسين المنتجات مبرزين ان مصر التى تعتمد على التصدير لابد لها وان تسارع الى الاخذ بهذا الاسلوب التكنيكى المستحدث اذا ارادت المحافظة على اسواقها وتوسيع اطار هذه الاسواق • ورغم ان الاوتومية قد تؤدى فى احوال معينة الى زيادة حدة مشكلة البطالة • فان ذلك يجب الا يعيق المجتمع عن محاولة الاستفادة القصوى من هذا الاسلوب الانتاجى الجديد ، مع الاعداد لاستيعاب الايدى العاملة التى قد تشكو من البطالة فى اعمال انتاجية اخرى لا تحتاج الى استخدام اساليب الانتاج الحديثة •

وفى مواجهة هذا الرأى : برز اتجاه آخر يحذر من المسارعة باستخدام الاوتومية فى ظروف لا تتوافر فيها امكانيات المحافظة على هذه الالات الحديثة وصيانتها صيانة مستمرة ، مع ما قد يؤدى اليه ذلك من العودة الى استخدام وسائل واساليب التحكم بوساطة الانسان رغم الاستثمارات الضخمة التى يمكن ان تكون قد انفقت لتحقيق التحكم الالى والضبط الذاتى • ان النقاش الذى تم بين هذين الاتجاهين قد ادى الى ابراز عدد من الحقائق الهامة التى استند اليها المؤتمر فى توصياته بخصوص هذا الموضوع .. ويمكن تلخيص أهم هذه الحقائق فيما يلى :

● انه مهما كانت الرغبة فى الاستفادة من الاوتومية ، فان قدرة اى مجتمع من المجتمعات النامية على الافادة منها يحددها عدد من العوامل الهامة تتضمن فيما تتضمنه الحجم الكلى للاستثمارات الذى يمكن توجيهه للتنمية الاقتصادية والنتائج الاقتصادية التى يمكن ان تترتب على استخدام الوسائل التكنيكية المختلفة فى مجالات العمل المتعددة ، ومدى توفر العناصر الفنية اللازمة لاستخدام الاساليب التكنولوجية الحديثة ، وطبيعة الهيكل الاقتصادى القائم ومدى قدرته على الاستفادة من هذه الاساليب الحديثة •

والأوتوميــة تســتخدم بدرجات متفاوتة فى مجالات الانتاج والادارة وفروع العمل المختلفة • وهى قد تكون حيوية فى بعض فروع الانتاج بحيث لا يتصور امكان قيام الانتاج فى هذه الفروع دون استخدامها • وهى قد تكون ضرورية فى فروع اخرى لتحقيق مستوى معين من الدقة والجودة فى المنتجات النهائية • بينما قد تنبعث الحاجة اليها فى بعض فروع الانتاج فى مجتمعات معينة من الحاجة الى احلال العمــل الآلى محل العمــل الانسانى الذى يتصف بالندرة •

ومن ثم فان الاستفادة بالأوتومية يتطلب التعرف بصفة مستمرة على التطور فى اســتخدامها بدرجاتها المتفاوتة فى مجالات العمل المختلفة وفروع النشاط المتعددة ،ودراسة امكانيةواولويات الاستفادة بها فى ضوء الظروف المحلية •

● والاستفادة بالاوتوميةالى جانب ذلك تتطلب اعــدادا دقيقا للافراد اللازمين على اختــلاف مستوياتهم كما تتطلب تعديل نظم العمل لكى تسمح بتحقيق اكبر استفادة ممكنة لادخالها •

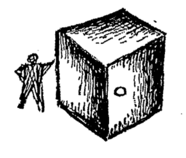
● والاوتومية من جهة اخرى لايمكن الاستفادة منها اذا كانت الوحدات التى تستخدمها هى جزر منعزلة فى اطار يتصف بالتخلف بصفة عامة • ولذلك فمن الضرورى النظــر الى الاوتوميــة واستخدامها كجزء من الجهد الذى يجب ان يركز من اجل الاستفادة بالاساليب التكنولوجية الحديثة ، بصفة عامة ، والذى لابد وان يستند الى البحث العلمى الذى يوجه لاقلمة هذه الاساليب لتضرب بجذورها فى البيئة المصرية ، وحتى تستمر فى النمو فيها • ويتطلب ذلك ضرورة تــوجيه البحوث الى حل كافة المشاكل التكنولوجية والادارية والسلوكية والاجتماعية التى قد تترتب على استخدام هذه الاساليب •

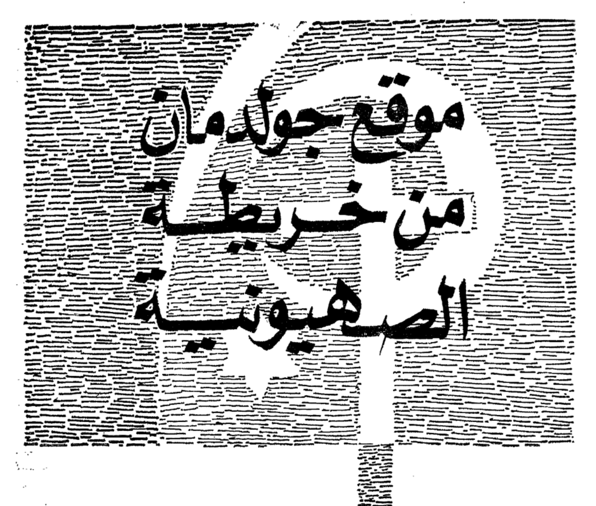
كما تتطلب تطوير ما لدينا من امكانيات عن طريق العمل العلمى برفع الكفاية الانتاجية وتطوير المنتجات والخدمات ، وأساليب العمــل وادخال منتجات جديدة •

● والاستفادة من الاوتومية ، ومن الانفاق الضخم اللازم لادخال الاساليب التكنولوجية الحديثة ، ومواجهة النفقات اللازمة للعمل العلمى واعداد الافراد العلميين يتطلب تكوين وحــدات اقتصادية كبيرة الامر الذى يستلزم توفير سوق قادرة على استيعاب الانتاج الكبير لهذه الوحدات ، وهو الامر الذى يفرض السعى لتحقيق سوق عربية مشتركة والتعاون مع الدول النامية والصديقة ، والتخطيط المشترك للاستفادة من مزايا التخصص وتقسيم العمل •

لقد اثار المؤتمر بالاضافة الى ذلك عددا كبيرا من القضايا التى تتعلق بتنظيم التجارة الخارجية وتخطيطها ، وتمويل الوحــدات الاقتصــادية ، واعادة تنظيم هيكلها المالى وتنظيم العمل فى الوحدات الاقتصادية وتحديد العلاقة بينها وبين الاجهزة الاشرافية • وكما سبق القول فان هذه القضايا جميعا عولجت فى اطار من الهدف العام للمؤتمر وهى دراسة التحديات التى تواجهها فى السبعينات ، وكيفية التغلب عليها .

ان القضــايا التى اثيرت لها مــن الاهمية ما يتطلب بحوثا تفصيلية ودراسات متعددة بشأنها • واذا كان للمؤتمر الذى نحن بصدده من فضل فهو فضل اثارة المسألة والتنبيه الى ضرورة الدراسة المسبقة والاعداد لمواجهة المستقبل •





انظاهرة « جولدمان » التى طفت على سطح الحركة الصهيونية العالمية فى هذه الايام تستحق من المفكرين العرب الاهتمام ، وتلزمهم باليقظة كل اليقظة .

ان « جولدمان » يعزف فى هذه الايام على وتر جديد : ضرورة التفاهم بين العرب وبين اسرائيل » ، وعن «حل سلمى» . لكن جولدمان يظل - بالمبادىء - التى ينطلق منها صهيونيا حتى النخاع يدين بنظرية « الشعب المختار » ذى « التاريخ الفريد » ، وصاحب الحق فى فلسطين .

لكن هذا ليس كل شىء ، ان اعترافه بان اسرائيل لا تستطيع ان تفرض نفسها بالقوة على العرب يكشف النقاب عن الازمة الحقيقية التى بدأ الكيان الصهيونى يواجهها .

ونحن اذ ننشر مقال جولدمان ، نفعل ذلك من باب معرفة رأى العدو ، ومن زاوية تفنيد آرائه وتحصين الرأى العام العربى ضدها .

وليس هذا كل شيء ، فثمة زاوية هامة ايضا هى ان معرفة التناقضات فى جبهة العدو ، وحساب حركتها على اساس علمى ، يتيح للقيادات الوطنية والثورية مجالا اوسع لحرية الحركة ، ولانتزاع المبادرة من ايدى الاعداء . بل ويمكن هذه القيادات ، فى ظروف معينة ، من ان تستفيد من الاتجاهات المتحفظة والمعارضة للسياسات الصهيونية ، هذه الاتجاهات التى بدأت تتحرك ، ولو بشكل ضعيف ، وفى نطاق محدود للغاية ، داخل اسرائيل ذاتها .

من هنا اهتمت الطليعة بان تقدم افكار جولدمان عن « مستقبل اسرائيل » الذى كان قد نشر فى مجلة الشئون الخارجية الامريكية . وطلبت الى عدد من المفكرين والكتاب ان يعلقوا عليه :

— فكتب محمد سيد احمد عن « ظاهرة جولدمان » .

— وكتب د. اسماعيل صبرى عبد الله عن « جولدمان والصهيونية الجديدة » .

— وكتب د. جمال العطيفى عن الدعوة الى « تحييد اسرائيل » .

— وكتب د. وليم سليمان عن ارتباط دعوة جولدمان الى تحويل اسرائيل الى مركز روحى وثقافى بدعوات مماثلة بشر بها بعض مفكرى الصهيونية فى القرن الماضى .

■ ■ ■

مستقبل اسرائيل

بعد اكثر من خمسين عاما من النشاط الصهيونى ، منها عشرات السنين فى مجال الدبلوماسية الدولية .

وعندما القيت نظرة الى الوراء على الخبرات التى اكتسبناها خلال العشرين سنة التالية على انشاء دولة اسرائيل .. بدأت تساورنى الشكوك فيما اذا كان اقامة دولة اسرائيل فى صورتها الحالية — دولة مثل جميع الدول شكلا وبناء — سيعد اكمل تحقيق للفكرة الصهيونية ولهدفها المزدوج : **الاول** هو انقاذ اليهود المعذبين من براثن العنصرية والاضطهاد باتاحة الفرصة لحياة كريمة بناءة فى وطنهم الاصلى . **والثانى** هو ضمان بقاء الشعب اليهودى أمام التهديد بالفناء فى تلك المناطق التى يتمتعون فيها بالمساواة التامة فى الحقوق . وأود أن أؤكد ، عن طريق تفسير هذه الافكار والتعبير عنها ، ثقتى المطلقة فى المبررات التاريخية للصهيونية ولشرعيتها الاخلاقية ، ذلك أن حشد الجانب الاكبر من الشعب اليهودى فى وطن قومى يمسك فيه بزمام مصيره ، يبدو لى الطريق الوحيد لحل ما أطلق عليه عبر القرون « **المشكلة اليهودية** » .

ان خصائص الشعب اليهودى والتاريخ اليهودى يمكن وحدها أن تفسر وتبرر الفكرة الصهيونية

التى تتعرض اليوم لنقد دول وجماعات كثيرة معادية لاسرائيل باعتبارها شكلا من أشكال الاستعمار العدوانى الذى سلب الشعب العربى جزءا من ميراثه ٠ وأى تعريف لليهود كجنس وشعب وديانة هو تعريف ناقص ، اذ يجب أن يشمل التعريف كافة العناصر التى تضع فى الاعتبار ما لليهودية من شخصية متفردة ومصير واحد ٠

ولست أجد مثالا لشعب آخر تعرض للاضطهاد خلال مئات السنين ـ ابتداء من التفرقة العنصرية البسيطة والحرمان من الحقوق المشروعة ، الى ابادة الملايين منهم على يد النازية ـ والذى ليس فقط ظل على قيد الحياة أثناء تلك العصور الدامية ، بل أنه أسهم بقسط وافر فى صنع الحضارة ٠ ففى جيلنا هذا ظهرت ثلاث شخصيات عظمى من اليهود ، أثرت اكثر من غيرها فى الحياة المعاصرة وهى : **ماركس وفرويد واينيشتين ٠** والشعب اليهودى يستحق قطعا بتاريخه هذا أن تتوفر له أسباب بقائه : **أما والبشرية مسئولة عن عذابه لمئات السنين ، وفشلت فى اتخاذ أى اجراء لانقاذ اليهود أثناء الحكم النازى ، فانها تصبح مدينة لهذا الشعب بدين معنوى يمكن فقط ايفاؤه بمساعدته على ضمان بقائه ٠**

وقد أثبتت التجربة أن مجرد تخصيص دولة له ، يمكن أن يخدم هذا الغرض مهما كانت الدولة صغيرة ٠ **وفلسطين وحدها هى هذه الدولة ،** نظرا لارتباط اليهود دينيا وعاطفيا بل وصوفيا بأرض اسرائيل ، حيث أسهموا بنصيب ضخم فى الحضارة الانسانية ، هذه الارض لم يكونوا على استعداد لنسيانها فى اى وقت مضى من تاريخهم ، ومن أجل العودة اليها تضرعوا الى الله وواصلوا الحياة خلال آلاف من السنين ٠ ومن أجل تعلق هذا الشعب الفريد المشتت بالوطن الاصلى ، يمكن تبرير مطالبة اليهود بفلسطين فى مواجهة الحجة العربية القائلة بأن فلسطين ملك لهم لانهم اقاموا هناك كأغلبية لعدة قرون ٠ **وفى ظل القواعد الطبيعية للحياة الدولية ، لا جدال فى أن دعوى العرب لها معناها وجوهرها ، ومن الحماقة وعدم الانصاف انكار مبرراتها ٠ فقد صرح دكتور حاييم وايزمان مرارا بأن الصراع العربى ـ اليهودى بشأن فلسطين هو صدام بين حقين ، وليس بين حق وباطل ٠** وهذا ما يجعل الصراع مركبا وحادا ٠ لكن اذا أدركنا وجه امتياز الشعب اليهودى (الذى لا يمت بصلة الى فكرة التفوق) وتاريخه المأسوى ، نستطيع أن نسلم **بأن الدعوى اليهودية تتفوق على الدعوى العربية من الناحيتين التاريخية والمعنوية ٠** فالشعوب العربية تملك مساحات واسعة من الاراضى حيث يمسكون فيها بزمام مصيرهم ، وتنازلهم عن المطالبة برقعة ضيقة من الارض لا يعنى أى تهديد لبقائهم ومستقبلهم ، غير أن فلسطين وان تكن رقعة ضيقة جدا ، فهى **بالنسبة للشعب اليهودى الطريق الوحيد لبقائه وضمان لا بديل عنه لمستقبل مثمر ٠ ان اعتراف معظم الشعوب بهذا المطلب فى فترة قصيرة نسبيا ،**

ناحوم جولدمان

ولد فى بولندا فى ١٠ يوليو [تموز] ١٨٩٥ ، وتلقى علومه فى [هايدلبرج] ، و [برلين] و [ماربورج] ٠

شارك فى تأسيس [المؤتمر اليهودى] ، عام ١٩٣٦ ، وتولى رئاسة [المنظمة الصهيونية العالمية] منذ عام ١٩٥٦ وحتى ابريل ١٩٦٨ ٠

ويعتبر جولدمان المنظمة الصهيونية ، اعلى سلطة ليهود العالم ، وان اسرائيل ليست أكثر من جهاز من أجهزتها ٠

وقد اصطدم هذا الاتجاه بحكام اسرائيل ، وتمرد هؤلاء لامتلاك سلطة توجيه السياسة الصهيونية ، باعتبار أن اسرائيل ـ فى رأيهم ـ هى الكيان السياسى الوحيد لليهود ، وبدأ الصدام بين الحكام والمنظمة الصهيونية ، وكان بن جوريون هو اول من تزعم اتجاه الحكام ، وكانت أبرز محاولاته حين طالب ، فى المؤتمر الصهيونى الخامس والعشرين [يناير ١٩٦١] بتوحيد المنظمات الصهيونية فى منظمة واحدة يكون مركزها اسرائيل بدلا من نيويورك ٠

وأمام فشل هذه المحاولة ، عمد حكام اسرائيل الى اثارة [مسألة الهجرة] ٠ وقال بن جوريون بأن الصهيونى هو فقط ذلك اليهودى الذى يقيم فى اسرائيل أو يستعد للهجرة اليها ، ومن المعروف أن جولدمان يحمل جنسية سويسرية ، وله ثلاثة منازل أولها فى اسرائيل والثانى فى جنيف والثالث فى نيويورك ، وهو لا يقيم فى اسرائيل الا ربع السنة ٠

وفى المؤتمر السابع والعشرين للمنظمة الصهيونية [يونيو ١٩٦٨] وجهت الحملات الى جولدمان تتهمه بالفشل فى تنظيم الحركة الصهيونية ، بحيث عجزت عن القيام بواجباتها حيال اسرائيل أما جولدمان فقد اتهم ـ بدوره ـ رجال السلطة فى اسرائيل بأنهم لم يبذلوا الجهد الكافى للوصول الى صلح مع العرب ، واقترح أن تتبع اسرائيل سياسة الحياد ، وأمام ضغط المتشددين استقال جولدمان من رئاسة المؤتمر ، ورفض اعادة ترشيح نفسه لرئاسة المنظمة الصهيونية ، وان كان لا يزال رئيسا للمؤتمر اليهودى ٠

ويحاول جولدمان اليوم تكوين كتلة متحركة [هعولام هزية] و [الماتسين] ، وغيرها من الحركات التى تطالب بالانسحاب الذى يضمن مستقبل اسرائيل ٠

وفى لقاء له مع وجهاء الضفة الغربية ، بين لهم جولدمان انه يطالب بتعايش الشعبين العربى واليهودى ، وانه التلميذ المخلص لوايزمان ، الذى كان يرى نفس هذا الرأى ٠

واليوم يتهم جولدمان حكام اسرائيل ، من جديد ، بالتشدد مما يهدد ـ حسب رأيه ـ دولة اسرائيل بالفناء ٠

وموافقة اكثر من ثلثى الدول الاعضاء فى الامم المتحدة على اقامة دولة يهودية فى جزء من فلسطين انما يبرهن فى الواقع على شرعية الحق اليهودى على الحق العربى (١) .

— ٢ —

ان أكثر ماتنفرد به كل من المشكلة اليهودية والفكرة الصهيونية كحل لها ، هو ما يجعلنى فى نهاية الامر ، أشك فيما اذا كان اقامة ووجود دولة يهودية لا يختلف من ناحية البناء والخصائص عن أى دولة أخرى ، يمكن أن يعد الانجاز الحقيقى للصهيونية . وحتى فى الاعوام الماضية عندما ناضلت بصحبة زعماء صهاينة كثيرين على الصعيد الدبلوماسى من أجل قبول المطلب اليهودى الخاص بانشاء دولة فى فلسطين ، فكرت فيما اذا كان لزاما أن نطالب بدولة ذات شخصية منفردة تكون أكثر تلاؤما مع طبيعة الشعب اليهودى والتاريخ اليهودى . وكنت مع دكتور **وايزمان وبن جوريون وموسى شاريت** من أصحاب فكرةتقسيم فلسطين كشرط حتمى لخلق دولة يهودية بعد الحرب ، حتى فى ذلك الوقت كنت أفكر فى امكانية المطالبة بشكل نوعى للدولة ، لكننى أحسست وقتئذ أنه بالاضافة الى كافة المصاعب المتعلقة بالحصول على موافقة أغلبية الدول على اقامة دولة يهودية خالصة ، فسوف تكون المطالبة فى نفس الوقت بشخصية منفردة لهذه الدولة أمر مبالغ فيه .

ان أكثر من عشرين عاما مضت الان على انشاء دولة اسرائيل . والتجارب التى أفدناها فى هذين العقدين قد حملتنى على الاعتقاد بأنه لكى نضمن بقاء الدولة اليهودية ، ونؤكد أنها تحقق أسباب وجودها باعتبارها العدة الرئيسية للمستقبل اليهودى ، لابد أن نشرع فى التفكير فى شخصية وشكل متفردين لهذه الدولة .

ان شكوكى المتزايدة بشأن الشكل الحالى لوجود اسرائيل انما تستند الى عاملين حاسمين من أجل بقائها ومستقبلها . هذان العاملان هما : من ناحية العلاقة بين اسرائيل والعالم العربى التى تقع فى قلبه ، ومن ناحية أخرى علاقة اسرائيل بالشعب اليهودى وبأغلبيته المشتتة فى أنحاء العالم . ان هاتين المشكلتين سوف تحددان مصير اسرائيل .



جولدمان

وقد يبدو من وجهة نظر محدودة أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى هما أكثر العوامل أهمية بالنسبة لوضع اسرائيل الدولى . لكن اذا نظر اليها فى المدى البعيد ، من سياق التاريخ اليهودى والتاريخ العام ، فان المظهر العربى واليهودى لوضع اسرائيل هو العامل الاساسى الحاسم لوجودها .

أما عن علاقات اسرائيل بالعالم العربى ، فقد كانت احدى جوانب القصور فى الحركة الصهيونية التى لم تقدر حق التقدير فى سنواتها الاولى خطورة وأهمية هذه المشكلة . لقد صرح ذاتمرة **تيودور هرتزل** مؤلف « الدولة اليهودية » ومؤسس الحركة الصهيونية بأن الفكرة الصهيونية بسيطة للغاية وان ما يجب أن تفعله هو « **أن تنقل شعبا بلا وطن الى وطن بلا شعب** » وهذهالصيغةكأى تبسيط مبالغ فيه ، وذات مقدمات خاطئة ، فقد اصبحجزء كبير من الشعب اليهودى فور « التحرير » يملك وطنا ، وفلسطين التى يسكنها العرب منذ عدة قرون لم تكن قطعا وطنا بلا شعب . وحقيقة الامر أن الصهيونية لم تكن تفكر فى نفس الوقت لا فى الجانب الايديولوجى أو فى النشاط السياسى العملى ، فى اللجوء الى النزاع المسلح مع العالم العربى من أجل خلق الدولة اليهودية ، لقد كان أمل الحركة الصهيونية واعتقادها — وربما يكون ساذجا — أنها ستتمكن من الحصول على موافقة العرب على انشاء وطن يهودى أو دولة يهودية عن

---

(١) فى عام ١٩٤٨ ، كانت معظم الدول الاعضاءفى الامم المتحدة اما دول استعمارية او دول تدور فى فلك الاستعمار الذى خلق دولة اسرائيل لصون مصالحهفى الشرق العربى . ولم تكن ابعاد القضية الفلسطينية وقتئذ واضحة تماما فى المجال الدولى نظرا للدعايات والمبررات المضللة التى كانت تنشرها الصهيونية واصدقاؤها فى الغرب (المترجم) .

طريق جلب نعم المدنية الغربية الى فلسطين ، التى لم تكن مأهولة بالسكان وقتئذ ، وذلك باعداد مكان لمهاجرين جدد بواسطة تنمية البلاد اقتصاديا واجتماعيا ، باعتبار أنهم جزء من الجنس السامى نفسه . وقد حاول الكثير من زعماء الصهيونية جاهدين الحصول على هذه الموافقة ، فى مباحثات دكتور وايزمان مع الامير فيصل عقب الحرب العالمية الاولى ، وخاصة فى الحصول على موافقته بشأن اقامة دولة يهودية ، خلال سنوات طويلة من العمل الذى شارك فيه بن جوريون وشاريت وأنا (عندما مثلت الوكالة اليهودية فى عصبة الامم بجنيف » وزعماء صهاينة آخرين . الا ان جميع هذه المحاولات باءت للاسف بالفشل ، وعندما رفضت الدول العربية قرار الامم المتحدة لتقسيم واقامة دولة يهودية فى جزء من أراضيها ، بل وقاومت انشاء هذه الدولة عندما قامت جيوشها بالاعتداء عليها ، ولم يكن ثمة مفر من أن تلجأ الدولة الاسرائيلية منذ أيامها الاولى الى العمل العسكرى لحماية نفسها (٢) .

ان حتمية هذه النشأة لن تقلل من طابعها المأساوى . فقد تلت حرب التحرير الاولى حربان كبريان ، وخرجت اسرائيل ظافرة من الحروب الثلاثة ، ولا سيما حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ . الا ان هذه الانتصارات فى حد ذاتها مهما كانت اهميتها من الوجهة السيكولوجية لكل من الغالب والمغلوب ، لن تكون مجدية ، الا اذا أدت الى استقرار الاوضاع وتحقيق السلم . ويشير انقضاء قرابة ثلاثة أعوام على الانتصار الساحق فى حرب الايام الستة دون ان تبدى أية دولة عربية استعدادها للتفاوض المباشر مع اسرائيل ، وبالتالى عدم توقيع معاهدة سلم رسمية ، الى استياء العرب العميق ، ورفضهم القاطع للدولة اليهودية .

فلا زال العالم العربى ينظر الى اسرائيل كجسم غريب فى قلبه ويرفض الاعتراف بوجودها . وهذا الشعور يتزايد مع كل انتصار اسرائيلى جديد كتعويض عن شعور العرب بالمهانة والقصور . ولا يعدو أن يكون سخفا ، الامل فى فرض السلم على العالم العربى سواء بضغط القوى الكبرى أو بانتصار اسرائيلى جديد .

والتاريخ يثبت أن السلم الذى يفرض فرضا لا يدوم طويلا ، حتى لو اضطر الشعب المهزوم الى قبول هدنة لفترة معينة بقوة السلاح . وفى حالة اسرائيل والعرب ، يكون هذا الاحتمال أكثر تضاؤلا ، نظرا للتفوق العددى الكبير للشعوب العربية ، التى لا يمكن لاى هجرة يهودية مهما اتسع نطاقها ان تطمع فى مجاراتها ، والتى لابد وان تؤدى ، ولاسيما بالنظر الى الزيادة المرتفعة فى معدل المواليد ، الى تفاوت عددى مستمر . ان التفوق الاسرائيلى الكيفى قائم اليوم ، ومن المحتمل أن يستمر لبعض الوقت مستقبلا ، الا أن الاعتماد عليه الى الابد ، أمر لا يتفق مع الواقع ، فالشعوب العربية قد شيدت فى الماضى حضارة زاهرة ، ولا شك أنها ستمتلك فى يوم ما وسائل المعرفة التكنيكية الغربية فى كلا المجالين السلمى والعسكرى .

— ٣ —

ان للحالة الراهنة عواقب وخيمة بالنسبة لطرفى النزاع ، بسبب اضطرار الاسرائيليين والعرب الى تعبئة وتقوية كافة امكانياتهم العسكرية ، وذلك بتحويل الجانب الاكبر من نشاطهم من التنمية

تيودور هرتزل

ولد فى [بودابست] عام ١٨٦٠، وهاجر مع أسرته الى فينا ، حيث حصل على الدكتوراه فى القانون من جامعتها ، وأثناء عمله مراسلا فى باريس لصحيفة نمساوية ، حضر محاكمة الضابط الفرنسى اليهودى [دريفوس]، والذى كان يحاكم بتهمة التجسس .

وقلبت محاكمة دريفوس أفكار هرتزل رأسا على عقب ، اذ نبذ بعدها ما كان يطالب به من ضرورة اندماج اليهود فى المجتمعات التى يقيمون فيها ، وآمن بضرورة انشاء دولة يهودية يلوذ بها اليهود وان كان لم يتمسك بفلسطين مكانا لتلك الدولة ، وقد ضمن فكرته هذه فى كراسة أصدرها عام ١٨٩٥ باسم [الدولة اليهودية .

ونشط فى الدعوة لفكرته هذه ، وتم فعلا عقد أول مؤتمر صهيونى فى مدينة [بال] بسويسرا عام ١٨٩٧

ومات هرتزل عام ١٩٠٤ بعد انحقق انتقال الصهيونية من مرحلة الامانى الى مرحلة التجسيد والتطبيق ، وبذا حق اعتباره رائد الصهيونية الحديثة .

---

(٢) الثابت تاريخيا ان عصابات الهجناه والارجون وغيرهما كانت تمارس كافة الوان الضغط والارهاب والبطش ضد المواطنين العرب فى فلسطين وخاصة بعد قيام دولة اسرائيل ، بقصد ارغامهم على ترك اراضيهم وبيوتهم ، وبهذه الطريقة اخليت اراض شاسعة وقرى ومدن بأكملها من سكانها العرب (المترجم)

الاقتصادية والاجتماعية وتوجيهها الى النشاط الحربى ، وهذه النتائج اعمق دلالة بالنسبة لاسرائيل منها للعرب ، فهى — من الناحية الكيفية على الاقل — يجب أن تحافظ على توازنها بل وتفوقها على الدول المحيطة بها نظرا لتأزم الموقف حول وضعها الدولى • ان الامل الذى يراود بعض قادة اسرائيل بأن الوقت سيكون فى صالحهم ، وأن العرب وهم يدركون مقدرة اسرائيل العسكرية ، سيكونون أكثر استعدادا لتقبل وجود اسرائيل كأمر واقع ، أقول هذا الامل يبدو لى متعلقا بفروض واهية جدا • ان اتجاه القادة العرب ، سواء منهم النمط المحافظ أو النمط الثورى • والمكانة الفكرية للجيل العربى الجديد — كما ذكرت تقارير الخبراء — تكشف عن رفضهم المتزايد لاسرائيل واصرارهم على عدم الاعتراف بها • ان الشعوب العربية تتميز بمقدرة غير عادية على تجاهل الحقائق أو نبذها • وعندما لحقت الهزيمة بها ، علقت آمالها على حرب جديدة تستطيع أن تحرز النصر فيها ، وهى تريد أن تفعل ذلك بعد ثلاث

دافيد بن جوريون

ولد فى [بلونسك] فى بولندا عام ١٨٨٦ وتلقى تعليما دينيا فى بداية حياته ، ثم درس القانون فى جامعة اسطنبول ، وبعدها هاجر الى فلسطين حيث عمل فى الزراعة •

فى بداية الحرب العالمية الاولى طالب باعطاء يهود فلسطين الجنسية العثمانية ، ثم نفى من فلسطين عام ١٩١٥ ، فعمل محررا بصحيفة [اليديش] بالولايات المتحدة ، وساهم فى تجنيد [فيلق البغالة] من اليهود الذين رافقوا الجنرال اللنبى فى حملته ضد الاتراك ، وفى عام ١٩٢٠ أصبح بن جوريون عضوا فى اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية ، ثم اصبح سكرتيرا عاما لاتحادالعمال اليهود بفلسطين [الهستدروت] من ١٩٢١ — ١٩٣٥ ، وبعدها تولى رئاسة الوكالة اليهودية من ١٩٣٥ — ١٩٤٨ ، وكان أحد مهندسى حزب [الماباى] والمسئول الرئيسى عن [الهاجناه]

وهو أول رئيس لحكومة اسرائيل ، وشكل الوزارة الاسرائيلية بعد ذلك عدة مرات ، ثم اعتكف بمنزله الريفى فى [سدى بوكر] بالنقب ابتداء من يناير ١٩٥٣ ، ثم عاد وزيرا للدفاع عام ١٩٥٥ فى وزارة شاريت ، ثم رئيسا للوزراء فى نوفمبر [تشرين ثانى] ١٩٥٥ ، واستقال من منصبه عام ١٩٦١ ، وبعد احتدام الصراع بينه وبين اشكول انشق عن حزب الماباى عام ١٩٦٥ مكونا حزب [رافى] الا أن حزبه عاد وانضم للماباى عام ١٩٦٨ ، وان كان بن جوريون قد ظل مستنكفا ومعتكفا فى [سدى بوكر] •





بن جوريون — شاريت

هزائم وتعقد مقارنة مماثلة مع دولة الصليبيين التى قضى عليها صلاح الدين بعد سيطرة طويلة • ان هذه السمة السيكولوجية الاساسية عند العرب ، التى تفسر اتجاههم غير الواقعى ، يشاركهم فيها اليهود أيضا ، فلو أن الشعب اليهودى قد رضخ لحقائق مصيره خلال عصور الاضطهاد والتفرقة والشقاء ، ما كان له وجود اليوم ، لكن اليهود ازاء وضعهم المأساوى ، كانوا يقاومون بايمان متزايد، وآمال جياشة ، انتظارا لمجىء مسيا المخلص •

بالاضافة الى عداء العالم العربى المتصاعد من وجهة النظر الدولية ، فقد أصبح الوضع السياسى لاسرائيل كذلك أشد حرجا وانعزالا ، فهى قد فقدت الكثير من العطف الذى نالته نتيجة لتهديدات العرب الوحشية عام ١٩٦٧ بابادة يهود اسرائيل فى حالة انتصارهم ، ونتيجة للاعجاب الذى أثاره انتصارها الساحق • واليوم نجد العالم الشيوعى قاطبة — باستثناء بعض الحالات — يتخذ موقفا معاديا تماما من اسرائيل • وغيرت فرنسا موقفها وتخلت عن صداقتها لاسرائيل • ولا يمكن الحكم بأن انجلترا تميل أكثر الى أى الطرفين • وثمة ما يزيد على عشرين دولة عربية واسلامية ، واقطار تضم نسبة كبيرة من المسلمين كالهند ، تعادى اسرائيل • والدعم السياسى الحقيقى الذى تعتمد عليه اسرائيل انما ينطلق من الولايات المتحدة وبعض دول أوربا الغربية •

لكن تجربة العشرين سنة الماضية قد برهنت أن التأييد الامريكى ليس مضمونا ، كما حدث بشكل مؤسف اثناء حملة السويس — سيناء • ان التقارير التى قدمها حديثا روجرز وزير الخارجية الامريكى والذى رفضت الحكومة الاسرائيلية مقترحاته ، تشير مرة أخرى الى امكان حدوث انحراف فى

سياسة الولايات المتحدة التى تتسم بصداقة قوية مع اسرائيل مما سبب مضايقات خطيرة وأحدث قلقا فى اسرائيل • ومن الواجب ان أثبت انه فى تقدير دبلوماسى عادى تتحدد آراؤه السياسية من خلال المهام اليومية أكثر مما تحددها رؤيا كبيرة أو مفاهيم فكرية ، يكون لثمانين أو تسعين مليونا عربيا وملايين أخرى من المسلمين الذين يمتلكون اراضى الشرق الاوسط التى تضم اغنى مصادر البترول فى العالم ، وزنا أكبر مما لدولة صغيرة كاسرائيل ، حتى لو روعى مظهرها اليهودى • **لقد لاحظت خلال عشرات السنين من العمل السياسى أن جميع وزراء الخارجية تقريبا معادون للصهيونية ولاسرائيل ، الا أن بعض الساسة الممتازين وهم ذوى نظرة تاريخية عميقة أمثال لويد جورج وبلفور وجنرال سمطس والرئيس ولسن ، قد استطاعوا أن يتجاوزوا أعباء الواقع العادية لصالح مفهوم معنوى يؤيد دعوى اليهود فى الحصول على وطن خاص بهم •**

هناك نتيجة أخرى سلبية لحالة الحرب الدائمة هذه ، هى تغير صورة دولة اسرائيل الفتية ، التى تنال اعجاب العالم اليوم بسبب عبقريتها العسكرية أكثر من انجازاتها الفكرية • والعالم وان كان يمجد بحق القوة والشجاعة ، ومواهب جيش اسرائيل الفذة وحيله البارعة ، فهذه ليست قطعا ميزة ينفرد بها الشعب اليهودى ، بل ان الشعوب والمدنيات الاخرى لم تستحق الاعجاب ، واعتراف التاريخ من أجل انجازاتها العسكرية • بيد أن الامر الذى لا يمكن ان نقلل من قدره **ان جماعات رجعية وقومية فى مناطق كثيرة من العالم أصبحت معجبة باسرائيل وعاطفة عليها ، بينما صارت بلدان عديدة من العالم التقدمى معادية لاسرائيل ومخيبة لامالها** • ولقد كانت الصهيونية فى أيامها الاولى تلقى ترحيبا من الجماعات الليبرالية والتقدمية والراديكالية فى العالم كله ، لكن الموقف قد تغير كثيرا وقد يتغير أكثر اذا ظل الوضع الراهن سائدا •

ومن وجهة النظر اليهودية ، قد يؤدى الموقف الى نتائج سلبية بالغة الاهمية ، ان غالبية اليهود تعيش خارج اسرائيل ، والحقيقة التى تستوجب النظر هى انه بالرغم من جميع النداءات ، فليس من المتوقع حدوث هجرات واسعة النطاق فى السنوات القادمة • لقد ارتفع سكان اسرائيل من ٦٥٠ ألفا فى بداية نشأتها الى مليونين ونصف ، وذلك بامتصاص الرصيد الطبيعى من اليهود الذين اضطروا للمجىء الى الدولة اليهودية بوصفها أرض الخلاص (وهؤلاء هم : نصف مليون من ضحايا النازية وفدوا من المعسكرات بعد الحرب ، ومئات الالوف من يهود الدول الاسلامية الذين كانوا أول ضحية لعداء العرب لاسرائيل ، واعداد ضخمة من يهود أوربا الشرقية) • أما المجتمع اليهودى الكبير الذى كان من المقدر أن يكون ، منذ عشرات السنين ، مصدرا مباشرا لهجرة واسعة النطاق الى اسرائيل فهو **اليهود السوفييت** الذين لا يتمكنون من الهجرة نظرا لموقف العداء الذى يسلكه الاتحاد السوفيتى ، وحتى اذا أمكن التغلب ذات يوم على هذه العقبة ، فاننى أشك فى أن تقبل نسبة كبيرة من اليهود السوفييت الرحيل الى اسرائيل ، ان الاعتماد على بضع مئات الالوف قد لا يكون بعيدا عن الواقع ، لكن تعدادهم لن يصل الى عدة ملايين بأى حال • وهنا امتنع عن الحديث عن خطورة مشكلة استيعابهم) • وما لم تحدث مأساة وأحداث غير متوقعة ، كالاضطهاد الشامل لليهود فى الدول الغربية ، فليس من المحتمل أن تستقر فى اسرائيل — فى المستقبل الذى يمكن التنبؤ به — غالبية عظمى من اليهود الذين يعيشون فى الخارج •

هذه هى الخصائص المميزة لموقف الشعب اليهودى وبنيانه ، وهى تفسر السبب فى اعتبار وجود ونمو اسرائيل حاسمين لبقاء الشعب اليهودى بأسره • ان التحديين العظيمين — باستخدام مصطلحات **توينبى** — اللذين يفسران معجزة البقاء اليهودى رغم تشتتهم ، هما من ناحية الاضطهاد المتواصل ، واستحالة نسيان اليهود ليهوديتهم ، وبالتالى احساسهم بالتضامن • ومن ناحية أخرى عظمة العقيدة اليهودية وهى طائفة من الشرائع التى كانت تنظم حياة اليهود كافراد وجماعات زمن الجيتو ، والتى كانت تشكل بعبارة **هينريش هينى** المأثورة « **وطنا متنقلا** ، يحمله معه كل يهودى اينما ذهب » (وسوف اذكر مثالا واحدا من عصرنا هذا : اضطهاد وابادة ملايين اليهود على يد النازيين جعل اليهود الاحياء أشد وعيا بيهوديتهم ، وعمق احساسهم بالذنب لانهم كانوا غير قادرين على انقاذ الضحايا ، كما الهمهم العزم على عدم السماح بتكرار مثل هذه المأساة) •

لقد خفت صدمة هذين الدافعين الى حد كبير الآن ، فلم تعد معاداة السامية كما كان مألوفا فى القرون الماضية . فاليهود فى كل مكان يتمتعون بالمساواة فى الحقوق وأصبحوا فى البلدان التى يعيشون فيها أكثر اندماجا فى جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية • وفى نفس الوقت لم تعد العقيدة اليهودية ، على الاقل عند غالبية اليهود ، قوة مسيطرة توجه حياتهم اليومية وتصون ذاتيتهم وطابعهم المميز • ويجدر بنا أن نسترجع مذابح النازى التى أبادت المجتمعات اليهودية الكبرى فى وسط وشرق أوربا التى حفظت التراث اليهودى كاملا ، وخلقت أفكارا جديدة اقام عليها الشعب اليهودى اليوم وجوده العقلى ، حتى

أن المجتمعات اليهودية الموجودة الان فى العالم الحر لا يمكن اعتبارها بديلة لها ، كما أنها لا توجه حياتهم الثقافية المستقلة . من أجل هذا فان وجود اسرائيل كموطن جديد حيث يمكن أن تستمر الحضارة اليهودية ، وان تتولد افكار جديدة ، وكمصدر تحد والهام للشعب اليهودى المشتت ، هو أكثر ضرورة للبقاء اليهودى ، اليوم ، مما كان يتصوره الايديولوجيون الصهاينة قبل حكم النازى .

— ٤ —

من أجل بقاء الشعب اليهودى بأسره ، بل ومن أجل مستقبل اسرائيل، لست أبالغ فى القول بأن مشكلة العلاقات الاسرائيلية اليهودية ، أى الصلات التى تربط اليهود المشتتين جماعات وأفرادا بدولة اسرائيل ، هى المشكلة رقم واحد التى يتوقف عليها فى النهاية نجاح او فشل الحل الصهيونى للمشكلة اليهودية . هناك شعوب تشتت بعض ابنائها ، ومع انهم يحصون احيانا بالملايين ، الا ان هذه النسبة لا تؤثر فى أكثرية السكان الذين يعيشون فى وطنهم فوق أرضهم ، مثال ذلك : الالمان المشتتين فى الولايات المتحدة وامريكا الجنوبية فانهم سوف يندمجون ويتلاشون مستقبلا كأقلية متميزة . واذا حدث نفس الشيء للاقلية الايطالية فى القارة الامريكية فلن يشكل ذلك اى خطر على وجود الشعب الالمانى او الايطالى وعلى كيان دولتيهما . لكن اذا فرضنا جدلا ، ان الدياسبورا اليهودية اتجهت الى الاندماج — الى الدرجة تفقد فيها كل اهتمام باسرائيل — فان بقاء الدولة يكاد ان يصبح مستحيلا . وبدون تضامن وتعاون يهود العالم ما ظهرت اسرائيل الى الوجود . فمن المضحك الزعم بأن ٦٥٠ الف يهودى كانوا يستطيعون بدون مساندة سائر اليهود ان يؤسسوا الدولة اليهودية فى قلب العالم العربى . وبدون مساعدات اقتصادية ومادية وسياسية من المجتمعات اليهودية فى المنفى مااستطاعت الدولة اليهودية ان تكفل وجودها ، وان تنمى اقتصادها ، او تشيد جيشها الفذ ، وان توفر امكانيات الهجرة لاكثر من مليون ونصف يهودى معوز . ودعما لهذا كله يصبح التضامن شرطا ضروريا لمستقبل اسرائيل .

ومهما يكن بنيان الدولة الاسرائيلية وطابعها الحالى ، فانه يعرض للخطر هذا الشرط الاساسى لبقاء اسرائيل . ان مشاركة هذه الدولة فى السياسة الدولية ،وصراعها مع الدول العربية لابد أن يجر حتما السياسة الاسرائيلية الى مواقف تؤدى الى التصادم مع الاتجاهات السياسية لدول اخرى عديدة . وهذا لابد وان يفضى بالتالى ، فى الظرف الراهن لقومية الدولة ، الى مشكلات ، بقدر ما يكون ارتباط وتضامن يهود المنفى بدولة اسرائيل ضروريا . وثمة امثلة قليلة من احداث الاعوام القريبة تصور هذه الحقيقة : اضطرار مئات الالوف من اليهود الى مغادرة الدول الاسلامية بسبب الحروب العربية الاسرائيلية . وكان على الطوائف اليهودية فى جنوب افريقيا وغيرها وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ان تواجه مشاكل خطيرة بسبب خطط اسرائيل ، التى يمكن انتبرر تماما من وجهة نظر الدولة كما هى الان ، لكنها تخلق صعوبات بالنسبة لليهود الذين يعيشون فى البلدان التى تختلف مع اسرائيل (وما حدث فى فرنسا يعد صورة واضحة تضاف الى هذه المشكلة) . ان كل هذا يعنى أن الدولة اليهودية التى تحتاج الى تضامن وتعاون غالبية ساحقة من اليهود من اجل بقائها ، يجب أن تتمين بطابع تستطيع معه التماس عطف الطوائف اليهودية اينما تعيش (٣) .

واخيرا يترتب على الموقف الراهن نتيجة اخرى سلبية بالنسبة للطابع الاخلاقى والفكرى والثقافى لاسرائيل . هذا الجانب له اهميته اذا كانت اسرائيل تريد انجاز دورها التاريخى فى تأمين الوجود اليهودى فى العالم كله . وهذا يتطلب من اسرائيل ان تصبح مركزا للتحدى الاعظم ولجذب افضل العناصر الشابة واكثرها مثالية ، ان عناصر الجيل الشاب الذى — سيتعرض لخطر الضياع خلال بضع عشرات من السنين .

ولا يتسنى لاسرائيل ان تصبح هذا المركز اثناء الحرب وهى فى حالة تعبئة دائمة ، فهناك حدود لامكانيات وقدرات الشعوب حتى أجلها شأنا وانبلها مقصدا .

ان الجهود الهائلة التى تبذلها اسرائيل فى سبيل المحافظة على قوتها وتفوقها العسكرى، هذه الجهود التى يجب أن تواصلها بدرجة متزايدة دائما ، من الطبيعى ان تحول جانبا كبيرا من مصادر الخلق والبناء عن الجهود الثقافية الروحية . وتستطيع اسرائيل زمن الحرب ان تجذب اليها آلاف المتطوعين ، لكنها لن تجذب عشرات الالوف من الشباب اليهودى الذين صاروا متبرمين من صورة

---

(٣) الصهيونية تقاوم اندماج الطوائف اليهودية فى اى بلد مع سائر فئاته ، بل انها تطالب اليهودى بان يكون اكثر ولاء لاسرائيل وللصهيونية من ولائه للوطن الذى يحتويه (المترجم)

الحياة الراهنة ـ وخاصة يهود بلدان ثرية كالولايات المتحدة ـ وهم الذين يتطلعون الى وسائل افضل للحياة ، فهم المرشحون الطبيعيون للهجرة الى اسرائيل ، ولا يستطيع المرء الا أن يتصور ما كان في الامكان تشييده في فترة وجيزة لاتزيد عن عشرين عاما بفضل العبقرية الاسرائيلية الدينـاميكية ، في النواحي الثقافية والعلمية والفكرية ، لو ان جيل الشباب وهو جيل مبدع موهوب قد انصرف بطاقاته الهائلة ، دون الحديث عن بـلايين الدولارات ، الى العـلم والادب والتجـارب الاجتماعية وما شاكل ذلك ، بدلا من ان ينصرف مرغما الى بناء وتدعيم جيش الدولة الفتية الفذ .

ـ ٥ ـ

ماهو الجواب على هذه الاسئلة ؟ انني كما تثبت مدوناتي انتسب الى اوائل الداعين الى فكرة تقسيم فلسطين ، وكنت دائما صهيونيا سياسيا بمعنى انني كنت اعتقد ان اليهود يجب ان تكون لهم دولة خاصة بهم لتأمين ذاتيتهم وحضارتهم . ومع ذلك توصلت شيئا فشيئا الى نتيجة مؤداها ان اسرائيل لا يمكن ان تظل مجرد دولة بين اكثر من مائة دولة ذات سيادة قومية كما توجد اليوم . فبدلا من الاعتماد اساسا على قوتها العسكرية والسياسية يتحتم الا تنال فقط اعتراف شعوب العالم ومن بينها العرب ، بل وأن يقوم كذلك وجودها شرعا وحقا وان يبسط عليها الجنس البشري بأسره حماية دائمة .

ان هذا التحييد سيكون قطعا استثناء للاشكال العادية للدول الحديثة ، لكن كما اوضحت من قبل ، يتميز الشعب اليهودي والتاريخ اليهودي بالتفرد . ذلك ان طابعه الفريد وعذابه المستمر ، وعلى الاخص اثناء كارثة النازي ، يسمح للدولة اليهودية بأن تطالب العالم بحق انشاء مركزه القومي في موطنه القديم ، بل وان يضمن وجوده . أما كيف تصاغ وتتحقق هذه الضمانة عمليا فهذا ما سوف يكون موضع تفكير ودراسة . وهناك سـابقة محدودة لهذه الفكرة في حياد سويسرا ، الذي ضمنته معظم الدول الكبرى منذ اكثر من ١٥٠ سنة ، بما يترتب عليه من نتائج مستديمة . واذا كانت سويسرا بسبب تاريخها وتقاليدها كانت ولا تزال جديرة بأن تطلب احترام العالم وان تكتسبه من اجل طابعها الحيادي الخاص ، فان الشعب اليهودي واسرائيل يتمتعان قطعا بقـدر اكبر من المقومات المعنوية التي يحق لهما معا المطالبة بالتحييد .

ان تحييد اسرائيل سيكون له بالطبع نتائج هامة بالنسبة لطابع الدولة ونشاطها . فاسرائيل يجب ان تبقى خارج دائرة سياسة القوة ، وسويسرا مثلا ليست عضوا في هيئة الامم المتحدة ، لانه من العسير جدا ان تظل وهي عضو في المنظمة الدولية ملتزمة بحياد تام ، وتمتنع عن اتخاذ قرارات تكشف عن وضع سياسي لصالح احدى جماعات او كتل العالم . ان التحييد يعني كذلك ان قوة عالمية رمزية دائمة يمكن ان تستقر في دولة اسرائيل ، بحيث أن اي اعتداء عليها انما يمثل اعتداء على جميع الدول التي ضمنت وجود اسرائيل وحيادها ، (وتجنبا لاي لبس ، اود ان اضيف بأن التحييد لا يعني نزع سلاح اسرائيل وتجريد جيشها طالما لا يوجد دليل او تجربة تثبت فاعلية هذا الضمان الدولي) . ولكن بحكم طبيعة الامور ، خاصة اذا كان هذا الضمان مشروطا بمراقبة تصدير الاسلحة الى دول الشرق الاوسط ـ وهي فكرة كثيرا ما تناقش هذه الايام ـ فسوف تتضاءل

موشي شاريت

ولد في روسيا عام ١٨٩٤ ، وتلقى علومه فيها وفي اسطنبول ، ثم درس الاقتصاد في لندن وهاجر الى فلسطين عام ١٩٠٦ .

وفي اثناء الحرب العالمية الاولى عمل ضابطا بالجيش التركي ، ومن ١٩٢٠ ــ ١٩٢٥ ، اصبح عضوا في اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية ، ومن عام ١٩٢٥ ــ ١٩٣٠ عمل محررا في صحيفة [دافار] الصـهيونية بفلسطين ، ثم اصبح عضوا باللجنة السياسية للوكالة اليهودية بفلسطين من عام ١٩٤١ حتى ١٩٤٨ .

واثناء الحرب العالمية الثانية تولى مهمة تشكيل لواء من العصابات الصهيونية تحت امرة القيادة البريطانية .

واصبح نائبا لرئيس الوكالة اليهودية ، ولعب دورا بارزا في انشاء حكومة اسرائيل في مايو ١٩٤٨ ، واصبح اول وزير خارجية لها ، وفي فبراير [شباط] ١٩٤٩ انتخب عضوا في البرلمان الاسرائيلي [الكنيست] عن حزب الماباي ، وفي عام ١٩٥٣ اصبح شـاريت رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية ، ثم عاد وتخلى عن منصبه لبن جوريون في نوفمبر ١٩٥٥ وفي يونيو [حزيران] ١٩٥٦ استقال من منصب وزير الخارجية ، وتولت [جولدا مائير] ، والتي كانت وزيرة للعمـل آنذاك هذا المنصب .

وكان العرب يطلقون عليه اسم [موشي شرتوك] . وكان يمثل الاتجاه المعاكس لبن جوريون ، ويعتبر [ابا ايبان] امتدادا له .

اهمية الجيش والتسليح كلما صار التحييد وضمانه حقيقة واقعة ، وهذا سيتيح لاسرائيل بأن تركز نشاطها على النواحى الاقتصادية والثقافية .

بوسعى أن اتصور جيدا ان هذا التحييد يمكن أن يصبح اساسا لاستقرار سلام عربى اسرائيلى — ان الدوافع النفسية والعاطفية تكمن اصلا فى أرضية الصراع العربى الاسرائيلى الدائم . ان جميع المشكلات الراهنة : اللاجئون والحدود .. الخ يمكن حلها دون صعوبة بالغة اذا توفرت الارادة الطيبة والرغبة فى التفاهم ، بل ان أكبر عقبة فى العلاقات العربية الاسرائيلية ، وهى المهانة التى لحقت بالعالم العربى مرة تلو المرة بسبب هزائمه العسكرية يمكن تناولها من هذه الزاوية . ان من يعرف العرب تاريخا وحضارة يدرك ان العزة من ابرز فضائلهم ، لكن التماس كرم العرب ليشتركوا مع بقية دول العالم فى ضمان دوام دولة يهودية فى رقعة ضيقة من الارض تقع وسط بلادهم المترامية الاطراف ، مهما يبدو غير واقعى فى الوقت الحاضر ، قد يكون على المدى البعيد اكثر جدوى للتعايش العربى الاسرائيلى من انتصارات تحرزها اسرائيل الواحد بعد الاخر .

ان التحييد سيبدد ايضا احد المخاوف الرئيسية غير المفهومة فى العالم العربى ، اعنى قلق العرب بشأن احتمال قيام اسرائيل بتوسيع رقعتها (٤)، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان العقبة التى تشكلها اسرائيل بسبب موقعها السياسى الجغرافى ، ازاء سياسة وحدوية للعالم العربى . ان حيادا مكفولا لاسرائيل ، ينص على ضمان حدودها بعد فض الصراع القائم ، سوف يبدد مخاوف العرب من قيام اسرائيل بعدوان توسعى . وتحييد اسرائيل بخروجها من دائرة سياسة القوة ، لن يقف عقبة امام سياسة عربية وحدوية ، هذه السياسة التى ستظهر فى هذا العصر ان عاجلا او آجلا ، مستهدفة اقامة وحدات كبرى تضم دولا عديدة ذات سيادة .

والحل الذى اقترحه ينهض على شرطين اساسيين : الاول والمباشر وهو أن الازمة والحرب الراهنة بين اسرائيل وبين العرب يمكن ايجاد مخرج لها بنوع من التراضى بين الطرفين ، والذى لا يحاول هذا المقال أن يخطط ماهيته . وبالرغم من تعذر القيام بجهد ايجابى بشأن تنفيذ فكرتى الى أن يتحقق هذا الشرط — لو أن هذه الفكرة لاقت استحسانا — فمن الطبيعى ان تؤثر فى ايجاد تسوية للصراع .

الشرط الثانى : هو ايجاد تسوية كاملة لاكبر عقبة انسانية وعاطفية فى سبيل التفاهم العربى الاسرائيلى اعنى مشكلة اللاجئين العرب . ان حلها الرئيسى ينحصر فى تمويل توطين الجانب الاكبر منهم فى ضفتى نهر الاردن ، والذى يعتبره الخبراء ممكن التنفيذ ، فضلا عن قبول اسرائيل لعدد محدود من اللاجئين العرب ، وهذا يتيسر فى حالة التنازل عن قطاع غزة لاسرائيل ، مما يترتب عليه احتواء المائتى الف عربى الذين يعيشون هناك كمواطنين انداء (٥) .

لقد كنت فى وقت ما ادافع فى احاديثى الخاصة والعامة كحل للصراع العربى الاسرائيلى عن اقامة نوع من الاتحاد بين دول الشرق الاوسط والذى تكون اسرائيل عضوا فيه . ومن الطبيعى ان يشكل العرب فى مثل هذا الاتحاد اغلبية قومية وان تعمل اسرائيل على تطويع سياستها الخارجية وفقا لرغباتهم . وعندما ناقشت فكرة التقسيم عام ١٩٤٥ مع **دين اشيسون** وكيل الوزارة الامريكى الذى أبدى موافقته عليها ، كما وافق عليها الرئيس **ترومان** فيما بعد ، قدمت له نيابة عن المجلس التنفيذى الصهيونى مذكرة تحوى صياغة لاقتراحنا من جزءين : اقامة دولة يهودية فى بقعة من فلسطين ، وتكون هذه الدولة جزءا من اتحاد دول الشرق الاوسط ، وحينما اعيد النظر فى تجربة عشرين عاما او يزيد ، لم اعد مقتنعا بامكانية تطبيق هذا الحل :

أولا : بسبب النزعة الفردية العربية والشقاق الحاد بين القوى المحافظة ، والقوى الثورية الجديدة ، بحيث يلزم وقت طويل جدا لتوحيد العالم العربى ، ولاقامة هذا الاتحاد .

ثانيا : واذا جاء هذا اليوم ، ستكون للعرب الغلبة على اسرائيل ، الدولة اليهودية الوحيدة فى الاتحاد ، بحكم تفوقهم العددى ، حتى لو انضمت اليه دول غير عربية . وفى العامين الاخيرين تقدم بعض العرب كذا بعض الاسرائيليين باقتراح لحل آخر حاز عطف الجماعات اليسارية المؤيدة للعرب

---

(٤) قلق العرب بهذا الشأن تؤكده تصريحات قادة اسرائيل وزعماء الصهاينة الذين يطالبون الاجيال المتعاقبة فى اسرائيل بتحقيق حلم اسرائيل الكبرى التى تمتد حدودها من النيل الى الفرات .

(٥) مشكلة اللاجئين الفلسطينيين لاتنفصل بأى حال عن قضية فلسطين ومشكلة الوجود الاسرائيلى ذاته .

فى العالم الحر وهو الاعتراف بالشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية للاردن ، التى ستؤلف ـ بناء على عرض من فتح ـ مع اسرائيل دولة فلسطينية ديموقراطية (وهو حل أيده بعض ذوى الرأى الاسرائيليين) ، أو يعترف بهذا الجزء كدولة ترتبط باسرائيل فى شكل اتحاد • الا أننى لا أجد هذا الحل عمليا سواء من وجهة النظر اليهودية أو العربية •

ومن ناحية المظهر اليهودى ، سوف تقضى الدولة الفلسطينية الموحد على الطابع اليهودى لاسرائيل ، واذا كانت الصهيونية تهدف فقط الى انقاذ يهود مضطهدين بلا وطن ، فهذه فكرة لها قيمتها • الا أن الفكرة الصهيونية كانت ترمى الى خلق دولة ، تتميز بأغلبيتها اليهودية ـ فوق أنها تهيء مأوى لعدد من اليهود المعذبين ـ وتمكن الشعب اليهودى من المحافظة على تراثه وتنمية عبقريته والمساهمة فى حضارة العالم • وليس من الممكن تحقيق هذه الغاية عن طريق دولة فلسطينية مزدوجة القومية ، عربية ـ يهودية ، ولاسيما اذا روعى ارتفاع نسبة المواليد بين العرب الذين سيملكون تفوقا عدديا فى وقت قصير ، وبذلك يتلاشى الطابع اليهودى لهذه الدولة • وحتى لو كفل الدستور المساواة بين الجميع كما هو الحال فى لبنان دون ما اعتبار للناحية العددية ، فسوف ينحاز العرب فى الدولة الفلسطينية الموحدة ، وهذا أمر طبيعى جدا ، الى الدول العربية المجاورة ، ومن ثم فانهم سيشكلون طابورا خامسا سواء عن وعى أو دون وعى •

ومن وجهة النظر العربية ، لن يرضى المواطنون العرب عن دولة فلسطينية تقضى ضمنيا بفصلهم عن جسم الوطن العربى وتجعلهم يعتمدون على ماللمواطنين اليهود من قدرات ومهارات عالية ومعرفة علمية وتكنيكية متقدمة ، واساليب اقتصادية ومالية راقية •

ومن وجهة النظر العربية أيضا ، سيكون الجانب الاسرائيلى ، فى حالة قيام اتحاد بين العرب والدولة اليهودية أكثر تقدما بدرجة كبيرة فى النواحى الاقتصادية والتكنيكية بحيث يظل الجانب العربى تابعا لليهود وهذا ما لا يقبله العالم العربى بالطبع •

لهذه الاسباب مجتمعة ، تبدو لى هذه الفكرة بالرغم من جاذبيتها غير واقعية أو ممكنة التحقيق ، لهذا فانا أقترح بديلا عنها وهو تحييد اسرائيل اليهودية •

ـ ٦ ـ

دعونى اتناول هنا فرص تحقيق هذا الاقتراح الذى يبدو للوهلة الاولى خياليا غير قابل التنفيذ • ان قيام دولة اسرائيل يثبت لنا أن المرء يجب ألا يتعجل وصف المقترحات الجذرية بأنها خيالية بعيدة عن الواقع ، اننا نعيش فى عصر ثورى عظيم وربما كان أكثر عصور التاريخ البشرى ثورية بالنظر الى أحداثه الجسيمة المتلاحقة التى كان من المستحيل حصولها فى فترة وجيزة كهذه من قبل • هناك عدد من الادلة والحقائق التى تؤيد الحل الذى طرحته وتجعل تحقيقه ممكنا •

ان الصراع العربى الاسرائيلى يعد مصدر قلق مستمر وخطير للعالم بأسره ، بل انه أحد الاسباب الرئيسية المكنة للتوتر العالمى ، نظرا للاهمية الجغرافية السياسية للمنطقة التى تضم مصادر بترولية هائلة ، وتتمتع بموقع بارز بين ثلاث قارات ، وتحظى باهتمام القوى العظمى فضلا عن انها موطن الديانات الثلاث الكبرى • وقد ترتب على هذا الصراع نتائج دولية خطيرة ، فقد ساعد على التسلل السوفيتى فى الشرق الاوسط والبحر المتوسط ، وأشاع الاضطراب والتوتر فى هذه المنطقة . وبينما تمضى الاعوام دون الوصول الى حل ، فان الطابع المتفجر للموقف آخذ فى التصاعد ، وهذه الاخطار تضفى على الصراع العربى الاسرائيلى صبغة دولية أكثر من المعتاد ، وتجعل أى برنامج لحله موضع اهتمام العالم كله • ولست اعتقد ان الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى ، وهما القوتان الدوليتان المؤثرتان فى شئون الشرق الاوسط ، ترغبان فى قيام حرب ، وكلاهما يريد تجنب أى صدام بسبب الصراع العربى الاسرائيلى ، وآية ذلك موقفهما من حرب الايام الستة • وهما من أجل هذا معنيان بالوصول الى حل فى أسرع وقت وخاصة اذا لاحت الفرصة لاتفاق عام شامل بينهما ـ وهذا لن يكون ممكنا بدون تسوية لمشاكل الشرق الاوسط • ولست على يقين من أن الولايات المتحدة سعيدة بمسئوليتها عن بقاء اسرائيل ، ولا الاتحاد

السوفييتى مسرور بما يتحمل من أعباء لحماية وتسليح العرب دون ان يتيقن من جدوى وتأثير هذا التسليح . لقد ربح الاتحاد السوفييتى من وراء الصراع العربى الاسرائيلى ما حاول أن يتحصل عليه منذ عدة قرون ، أعنى مكانة راسخة فى الشرق الاوسط ، ولا شىء فى رأيى يحمل على الظن بأنه راغب فى استمرار حالة الحرب فى هذه المنطقة من أجل الاحتفاظ بمكانته . فلقد صرح لى بعض الساسة الشيوعيين من أصدقاء الاتحاد السوفييتى ، أن للسوفييت فى الشرق الاوسط مكانة قوية وراسخة ـ اقتصاديا وماليا وعسكريا ـ لدرجة أنهم يرغبون الان فى الاستقرار وخاصة اذا روعى ما يواجهونه من مشاكل أكثر تعقدا وأهمية فى الدول الشيوعية القريبة منهم . ولدى ما يبرر أملى فى أن الاتحاد السوفييتى سيكون فى حالة التوصل الى اتفاق مرض ، مستعدا لضمان الاستقرار والتكامل الاقليمى لدول الشرق الاوسط ، بالاشتراك مع الولايات المتحدة أو غيرها من القوى الكبرى أو فى اطار الامم المتحدة . أما عن العرب ، فاذا علموا ذات يوم أن القوى الكبرى سوف تضمن استقرار الشرق الاوسط ، وتوافق على تقييد تصدير الاسلحة الى هذه المنطقة ، فسوف يتبدد أمل المتطرفين فى ازالة اسرائيل بمساعدة السوفييت ، يضاف الى هذا ، فان نداء يوجه الى العرب ليتحلوا بالكرم والنخوة وان يقبلوا سياسة الامر الواقع بشأن وجود دولة اسرائيل الصغيرة ، بل وان ينضموا الى الدول التى تضمن بقاء اسرائيل ، انما يمكن أن يكون له وقع سيكولوجى هائل على العرب الذين أحسبهم شعبا عاطفيا متطرفا ، ففى مقدورهم أن يكونوا قساة غلاظا أو نبلاء كراما .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ، أن التاريخ اليهودى بما يحفل به من مواجهات مع شعوب ودول وحضارات لا حصر لها ، فان العلاقات العربية اليهودية كانت أكثر صفاء وانسانية من بعض فترات العلاقات اليهودية المسيحية . فالحضارة العربية اليهودية الكبرى فى أسبانيا ، وحرية الحياة ، وابتكارات الطوائف اليهودية فى عديد من الدول الاسلامية فى الماضى ، يمكن أن تبعث الأمل فى الحصول على استجابة عربية فعالة لحل هذه المشكلة .

اننى على يقين من أن اسرائيل كدولة محايدة سرعان ما ستصبح مركزا عالميا رئيسيا للثقافة ، وخاصة اذا روعى الطابع المميز لاورشليم التى سيكفل لجميع الديانات والشعوب بالطبع حرية المجىء اليها . وأستطيع أن أشهد الكثير من الهيئات العالمية من دينية وثقافية واجتماعية وقد شيدت فى مدينة اورشليم التى تصبح ، باعتبارها عاصمة دولة محايدة ، مكانا مقدسا ومركزا للمؤسسات الدينية مسيحية واسلامية . بالاضافة الى هذا كله ، ستصير اسرائيل الموطن الطبيعى لابداع الشعب اليهودى بأسره . لهذا سوف تجذب العناصر الموهوبة المثالية من يهود العالم . كما ستصبح منبعا مشهودا للالهام والتحديات ، وبالمعنى العميق للكلمة ، المعقل الفكرى للشعب اليهودى .

ثمة ملحوظة أخيرة وهى أن الصهيونية حركة متفردة ـ أى عودة الشعب اليهودى الى وطنه القديم بعد ألفى عام ـ ومحصلة تاريخ فريد لشعب فريدة . والحركة الصهيونية حين انظر اليها من زاوية تاريخية عريضة تبرر وحدها وتفسر وتشرع الفكرة الصهيونية ، أجد نفسى مقتنعا بأن الدولة اليهودية لابد أن تمثل ، من أجل بقائها ، تفرد هذا الشعب ومصيره . ولست أستطيع أن أتصور أن تنتهى آلاف من سنى العذاب والاضطهاد والمقاومة والبطولة بدولة صغيرة مثل عشرات الدول الاخرى ، تعيش فى خطر وتتعرض للابادة ، مما يفرض عليها البقاء فى حالة تعبئة وتسليح كل شبر من أرضها وتركيز جهودها الرئيسية على الوجود المادى ، اننى لست متأكدا من أن حماس وولاء الشعب اليهودى خارج اسرائيل سيظل وفيا لهذه الدولة الى الابد . ان ما أقترحه هنا نوع من الاستثناء ، وهو لذلك النتيجة المناسبة للتاريخ اليهودى النادر .

لعل هذا الاقتراح يبدو كرؤيا خيالية فى تقدير بعض الساسة العنيدين ، الا أنها قطعا ليست أكثر خيالية مما كان يبدو كتاب هرتزل « الدولة اليهودية » لشعوب العالم ولمعظم اليهود عندما نشر منذ حوالى ٧٥ عاما . ويشير تاريخ الحركة الصهيونية ، مثل حركات أخرى عديدة ، الى أن العوامل الحقيقية المحركة للتاريخ ليست الجيوش ولا القوة المادية والاقتصادية أو السياسية بل الرؤى والافكار والاحلام ، فهى وحدها التى تخلع على تاريخ البشرية جلاله ومغزاه ، وهو تاريخ حافل بالوحشية والحماقة والجريمة . وتاريخ اليهود يثبت ذلك قطعا ، لقد عشنا لا بسبب قوتنا المادية والاقتصادية والسياسية بل بسبب مقدرتنا

الفكرية، لهذا فان هذه الفكرة المغايرة عن الدولة اليهودية التى تطرحكحل للمشكلة اليهوديةمنظورا اليها من زاوية تاريخية، يمكن أن تصبح أكثر واقعية مما أثبتت الفكرة الصهيونية الاصلية، بل انها تستطيع ان تحقق وهذا ما أميل الى اعتناقه؟ فى وقت أقصر بكثير من الوقت الذى استغرقه كتاب «الدولة اليهودية» حتى جنيت ثماره بمقدم الدولة اليهودية ٠

■■■

«ظاهرة جولدمان» ماذا تعنى؟

محمد سيد احمد

ما من شك فى ان الاراء التى ابداها ناحوم جولدمان - علنا - فى هذا البحث وفى غيره من الدراسات والمقالات(١) خلال الفترة الاخيرة، أمر لافت للنظر، يحمل دلالات مؤكدة، ويستحق الدراسة الفاحصة والمتأنية، محاولة منا لتحديد ظاهرة جولدمان»: «موقعه» و «مغزى» سلوكه السياسى الراهن، فى وقت بلغت فيه المواجهة مع اسرائيل حدا بعيدا من الدقة والتعقيد ٠

والامر يكتسب أهمية أخص اذا ادركنا من هو ناحوم جولدمان، وتبينا موقعه فى تاريخ الحركة الصهيونية، ودوره فى انشاء اسرائيل، ومراعاة مصالحها على الدوام ٠ وربما ينبغى هنا الاشارة الى ان جولدمان، وان كان يملك الجنسية الاسرائيلية، لا يقيم فى اسرائيل الا بصفة متقطعة، ويحمل فى الوقت ذاته الجنسية الامريكية والسويسرية، ومقره الرئيسى وشبه الدائم فى جنيف ٠

ومنصب جولدمان فى الوقت الراهن هو رئيس المؤتمر اليهودى العالمى، اى الهيئة التى تضم وتمثل كل المنظمات اليهودية فى العالم ٠ واحتفظ جولدمان حتى مؤخرا (١٩٦٨) بمنصب رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، ولكنه أقصى من هذا المنصب على أثر خلاف بينه وبين قادة اسرائيل فى اعقاب حرب يونيو، لاسباب نتعرض لها فيما بعد ٠ وجولدمان الذى ولد فى بولندا ويبلغ من السن الان ٧٥ سنة، يعتبر من رعيل وايزمان، وبن زفى، وبن جوريون، من كبار مؤسسى دولة اسرائيل، ومنذ عام ١٩٣٣، كان عضوا «بلجنة العمل الصهيونية» و «بالوكالة اليهودية» بعد هروبه من الاضطهاد النازى فى المانيا، وظل طويلا ندا «لوايزمان» بالذات فى اتصالاته الدولية طوال نصف قرن - من ويلسون ولويد جورج فى ١٩٢٠، الى جونسون ونيكسون فى السنوات الاخيرة - وذلك كممثل للحركة الصهيونية فى مساعيها لاقامة اسرائيل، ثم لدعم وجودها بعد ذلك، كما ظل يمثل الحركة الصهيونية لسنوات أمام عصبة الامم فى جنيف قبل الحرب، وتولى رياسة المخابرات اليهودية فى نيويورك خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ٠ وهذه اللمحات من تاريخ جولدمان ومن المناصب التى تقلدها، تكشف عن خطورة شخصيته، وعن مركزه، وبالتالى تدل على ان «الظاهرة» التى يمثلها لا يمكن اعتبارها «هامشية»، أو «عارضة» ترجع الى مجرد الصدفة أو الى صفات ذاتية فى شخصه

(١) أنظر كذلك مقالاته المنشورة فىصحيفة «لوموند» الفرنسية بتاريخ٢٩ - ٣٠ - ٣١ مايو ١٩٧٠ . وهى تستحق المقارنة ببحثه المنشور «بالازمنةالحديثة» (مجلة جان بول سارتر) .عدد ٢٥٣ مكرر عن «النزاع الاسرائيلى العربى» . وكان قد صدر فى أول يونيو١٩٦٧ . أى قبيل الحرب مباشرة .

فقط ، بل لابد وأن تتم عمنا هو أعمق ،يستحق الدراسة والتفتيش •

تناقضات متميزة للمجتمع الاسرائيلى وللحركة الصهيونية

قبل أن نمضى فى محاولة تفهم أبعاد ودلالات « ظاهرة جولدمان » ، يتعين علينا ان نبدد سوء تفاهم دارج فى العالم العربى ، يتصور - ربما بسبب امساكه طويلا عن دراسة حقائق المجتمع الاسرائيلى - انه عبارة عن كتلة متجانسة خالية من المتناقضات ، كما يتصور علاقة « دولة اسرائيل » « بالحركة الصهيونية العالمية » ، علاقة تداخل وتلاحم فقط ، لا تعترضها اختلافات فى الرؤية ، أو أوجه تباين فى التقدير ، قد تصل فى بعض الظروف الى أحجام جديرة بشد انتباهنا •

والحقيقة أن المجتمع الاسرائيلى ينطلق من أرضية الصهيونية ، وينتمى سكان اسرائيل فى غالبيتهم الساحقة الى العقيدة الصهيونية ، هذا أمر لا جدال فيه • ولكن اسرائيل التى تتشدق بممارسة « ديموقراطية » مماثلة لتلك التى تمارسها كبريات دول الغرب ، وبحياة برلمانية قائمة على تعدد الاحزاب ، وشهدت فى اكثر من مناسبة عواصف سياسية عنيفة ، لا تكشف بهذه الحقائق عن تناقضات فى داخلها شبيهة بتلك التى يعرفها العالم الغربى فحسب ، **بل تتسم بمجموعة اضافية ومتميزة من التناقضات الخاصة بها ، الناجمة عن طبيعة تركيبها البشرى والإجتماعى ، وعن حقائق غرسها كدولة مغلقة على اليهود فى قلب العالم العربى المحيط ، أى عن حقائق تمت الى طبيعتها « الصهيونية » ، والى كون نسيج كيانها ينطلق من هذه العقيدة •**

■ هناك فى المقام الاول « الانعكاس » داخل المجتمع الاسرائيلى ، **للنزاع العربى الاسرائيلى ، متمثلا فى مشكلة ضرورة « تحييد » و « احتواء » و « افساد مقاومة » ٣٠٠ الف عربى فلسطينى ،** ظلوا متمسكين بأرضهم داخل نطاق اسرائيل ، ولم يهجروها بعد اقامة الدولة الصهيونية فى أرض فلسطين • وهؤلاء الذين لا يخلو التشريع الاسرائيلى عن نصوص تقنن معاملتهم « كمواطنين من الدرجة الثانية » ، يجسدون داخل المجتمع الاسرائيلى المشكلة التى أشار اليها **جولدمان** فى مقاله بتخطئة الصورة المبسطة التى عرضها هرتزل لفكرة الصهيونية ، وهى أنها لا تعدو أن تكون « **نقل شعب بلا وطن ، الى وطن بلا شعب** » ،

وجولدمان - أيا كانت المصطلحات التى يستخدمها - على حق فى تنبيهه الى أن **الصيغة خاطئة فى شقيها** : فان جزءا كبيرا من اليهود فى العالم - بعد ان اكتسبوا حقوقا متكافئة لبقية المواطنين فى المجتمعات الغربية - أصبحوا « أصحاب وطن » ، و « فلسطين التى يسكنها العرب منذ عدة قرون ، لم تكن قطعا ، وطنا بلا شعب » • وهذه المشكلة التى بلغت أبعادا مأسوية - أصلا - عقب انشاء أسرائيل مباشرة ، بتشريد الغالبية العظمى من عرب فلسطين ، وصلت بعد حرب يونيو الى حد الغليان ، بتحول « **ظاهرة اللاجئين** » ، الى « **حركة مقاومة مقاتلة** » لا ترتكن فحسب الى شعب فلسطين الشريد ، المبعثر خارج أرض فلسطين ، بل تجعل من المستحيل على اسرائيل التوصل الى صيغة للتفاهم ، ولترسيخ وجودها فى الاراضى الجديدة المحتلة بعد حرب يونيو ، وتحمل فى انطلاقتها تحديا جادا لبقاء أى جزء من ارض فلسطين ، منتسبا الى مفهوم الصهيونية •

■ **غير أن التناقضات المتميزة للمجتمع الإسرائيلى لا تقتصر على الشق المتعلق « بطرد**

حاييم وايزمن

ولد فى [موتول] ببولندا فى ٢٧ نوفمبر [تشرين ثانى] ١٨٧٤ ، وتلقى علومه فى المانيا وسويسرا ، ثم اصبح محاضرا فى الكيمياء الحيوية فى [جامعة جنيف] ، وفى عام ١٩٠٤ انتقل الى انجلترا ، ليعمل محاضرا فى [جامعة مانشستر] •

وبرز وايزمن فى الحركة الصهيونية ، حين تزعم تيار [الصهيونيين العمليين] ، الذين نادوا بضرورة التوطن فى فلسطين دون انتظار فرمانات السلطان العثمانى ، فى حين نادى التيار الذى قاده [هرتزل] بضرورة التقرب من السلطان العثمانى ، بكل السبل ، لاستصدار فرمانات منه تتيح لليهود التوطن فى فلسطين •

اكتشف اثناء الحرب العالمية الاولى مادة [الاسيتون] التى تدخل فى تركيب الالغام ، واعطى الاكتشاف لانجلترا ، ولعب دورا بارزا وفعالا فى استصدار [وعد بلفور] •

منذ عام ١٩٢٠ اصبح رئيسا للمنظمة الصهيونية ، وفى عام ١٩٢٩ اصبح رئيسا للوكالة اليهودية ، وكان المتحدث باسمها امام لجان التحقيق التى كانت ترسلها بريطانيا الى فلسطين ، بغرض تقصى الحقائق حول أسباب الثورات والاضطرابات •

واصبح وايزمان اول رئيس دولة لاسرائيل . وتوفى فى ٩ نوفمبر ١٩٥٢ •

العرب » ، بل تمتد الى الشق الخاص « باحلال اليهود » محلهم • فرغم أن المواجهة مع العرب ظلت عنصر « **توحيد** » ، غذته دعايات الصهيونية بدعوى تهديد العرب المستمر لمصير يهود اسرائيل المشترك فى أرض فلسطين ، وبلغت عناصر « التوحيد » مداها الابعد مع كل بلوغ للمواجهة حدا ساخنا ، غير أنه يصعب ارساء أسس « وحدة قومية حقيقية » فى مجتمع يتميز بتركيب فريد • هو أن **أكثر من ثلثى أعضائه البالغين** لم ينشأوا داخل أرضه ، بل وفدوا اليه من مناطق متفرقة من العالم ، يحملون معهم منها خصائص نفسية وثقافية وحضارية وتاريخية وعنصرية ETHNICAL متباينة (٢) ، ولا تجمعهم سوى العقيدة الصهيونية ، المستندة الى مبررات **دينية** ، خلاصتها هى حق « شعب الله المختار » فى العودة الى « أرض الميلاد » • وكان **العامل السياسى الحاسم** فى تغذية هذه الدعوة ، ما تعرض له اليهود فى أوربا من اضطهاد بلغ القمة فى عهد النازية ، وأصبح اليوم موضع تأنيب الضمير الاوربى الى حد أصبحت الحركة الصهيونية تستثمره باعتباره الرصيد السياسى الاساسى فى استمرار اثارة العطف حول اسرائيل ، رغم تغير الظروف ، والدفاع عنها الى حد طمس الحق الفلسطينى العربى ، واغفال حقيقة أن اسرائيل قد نقلت الغبن الذى ارتكب ضد اليهود الى غبن مماثل ترتكبه الان ضد العرب ، **ولم تلغ الغبن العنصرى أصلا ، بل جددت الاسباب التى تشعل الحساسيات والاحتكاكات حوله ، سواء داخل اسرائيل وفي مواجهة العرب ، أو على نطاق أوسع فيما يتعلق بيهود « الدياسبورا »** (٣) • فاذا كان مبرر انشاء اسرائيل فى منطق الدعوة الصهيونية ، هو أن اليهودى ــ فى أى مكان ــ سيظل مضطهدا ، **ومواطنا من الدرجة الثانيه** ، ما لم ينشأ له « وطن قومى » ، فقد استطاعت اسرائيل ، بالاستناد الى الحركة الصهيونية العالمية ، أن تحول اليهود فى المجتمعات الغربية الى « مواطن **من الدرجة الممتازة** » ، يتمتع بمزايا (٤) وحصانة لا يتمتع بها المواطن العادى ، بعد انشاء اسرائيل ، وبدعوى استمرار تعرضها « للاضطهاد » و « الزوال » • **ومن المؤكد أن هذه الحصانة وتلك المزايا مصدر احتكاكات متجددة داخل المجتمعات الغربية ، وتحمل احتمالات تطورها مستقبلا نحو دواع جديدة للفظ اليهود وتجديد اضطهادهم** • وهذه مسائل قد تختلف فيها رؤية قادة الحركة الصهيونية لها عن رؤية وموقف قادة دولة اسرائيل •

المصالح العاجلة والمصالح الآجلة

غير أن المشكلة التى تحتل ــ بلا شك ــ مكان الصدارة فى اثارة تباين أوجه النظر داخل المجتمع الاسرائيلى ، هى مشكلة التوصل الى « صيغة » ــ أو « معادلة » ــ كفيلة ــ فى كل لحظة ــ بضمان بقاء الكيان الصهيونى فى قلب العالم العربى ، وفى مواجهته ، أى صيغة تؤمن هذا الكيان فى وقت واحد ضد خطرين : خطر « **الازالة بالقوة** » ، أو خطر « **الامتصاص** » داخل نطاق المنطقة ، الذى ينتهى هو الاخر بازالة طابع اسرائيل المميز •

وأوجه التباين فى الرأى حول **هذه القضية الجوهرية قد تتخذ فى اسرائيل صورا كثيرة ، وللمواقف المختلفة تنويعاتها ودرجاتها وظلالها المتعددة ، ولكن كل هذه الاراء تقبل استقطابها فى التحليل الاخير حول موقفين أساسيين :**

■ موقف ينطلق من تغليب المصالح العاجلة ــ الحال ــ على المصالح الاجلة •

■ وموقف ينطلق من التركيز على المصالح الاجلة ، والبعيدة ، دون الانصراف لما تقتضيه المصالح العاجلة •

والموقف الاول ــ موقف تغليب **المصالح العاجلة** ــ الحال ــ ينطلق من المسلمة أن التجربة قد أثبتت استحالة ايجاد صيغة للتعايش مع العرب ، وبالتالى استحالة البقاء داخل المنطقة الا بالاستناد الى القوة ، واستمرار ضمان التفوق العسكرى ، ردعا لكل ما يشتم منه أنه « تهديد للكيان » ، **وهذا** الموقف المرتكن الى « **سياسة العصا الغليظة** » ،

---

(٢) اذا كانت الفروق قابلة للاذابةبين اليهود « الاشكينازيم » الوافدين منالمانيا وبولندا وأمريكا . وقيل أنهم فى أيام « التيه » اتجهوا من الاناضول الىوسط أوربا منذ قرون . فما زالتالحزازات حادة بينهم وبين اليهود ((الصيفارديم)) . المنحدرين من اصلاسبانى . وهم اليهود ذوى البشرةالسمراء . المنتشرين فى شمالى افريقيا والبلقان وجنوبى أوربا . وتبلغ اوجهالتباين ابعادا صارخة بين اليهودالغربيين من شمالى اوربا وأمريكا . واليهود الشرقيين من اليمن . و((الفلاشه))من الحبشة . و ((بنى اسرائيل)) منالهند .

(٣) اليهود المستوطنون خارج اسرائيلأو ((يهود المهجر)) .

(٤) صورة بارزة من صور هذه المزاياما يعرف ((بالولاء المزدوج)) وتمتعالمواطن اليهودى فى مجتمعات غربية عديدة بفرصة الحصول على الجنسيةالاسرائيلية الى جانب جنسيته الاصليةمما يكسبه ((حقوقا)) و « امكانيات » ليست متاحة للمواطن العادى .

جرت العادة على تسمية أنصاره وأقطابه بمسميات مختلفة ، يقال عنهم « **المتطرفون** » ، أو « **الصقور** » أو « **اليمين فى اسرائيل** » الخ ٠٠

أما **الموقف الثاني** ـ موقف ترجيح الاعتبارات التى تحكم المصالح الاجلة ، والبعيدة ، للكيان الصهيونى ـ فهو ينطلق من افتراض أن بقاء هذا الكيان يستدعى حتما التوصل الى صيغة للتعايش مع العرب ، مهما تعثرت هذه الصيغة فى الحاضر أو فى الماضى ، وأنصار هذا الموقف ينطلقون من المسلمة أنه **قد يكون من المتصور** « القاء مائة مليون عربى مليونين من اليهود الى البحر » (لاستخدام الصورة الدارجة التى تلجأ اليها الدعاية الصهيونية) ، **ولكن المحقق** هو أنه **من غير المتصور** « **أن يلقى مليونان من اليهود ، مائة مليون عربى الى البحر** » ، مهما طال الزمن ، ومهما بلغ التفوق العسكرى !!!

وأقطاب وأنصار هذا الموقف الثانى ، أصحاب « **سياسة اليد الممدودة** » الذين يجددون على الدوام الدعوة الى التفاهم مع العرب ، هم الذين جرت العادة على تسميتهم « **المعتدلين** » ، أو « اليمام » أو « **اليسار فى اسرائيل** » ، الخ ٠٠

وينبغى هنا قبل الاستطراد فى عرض النتائج المترتبة على وجود هذين الموقفين ، أو « التيارين » ، داخل الكيان الصهيونى ، أن نستدرك ، ونشير الى الملاحظتين التاليتين :

■ الخلاف بين الموقفين ليس خلافا حول المبدأ ، **والنظرية ، وفكرة الصهيونية** ، ليس خلافا يمس **الاستراتيجية** ، والمصالح الاساسية الممثلة فى **بقاء وجود اسرائيل** ٠ بل يقتصر الخلاف فقط على التكتيك ، وينصب على السياسات **العملية** المطلوب تنفيذها لتقرير افضل وسيلة تضمن هذا البقاء فى الحاضر وفى المستقبل ٠

الموقفان اذن لا يعبران عن « تعارض » بالقدر الذى يعبران فيه عن « تكامل » فى الحفاظ على صميم مصالح الصهيونية واسرائيل ٠ وما « التطرف » و « الاعتدال » غير وجهين من عملة واحدة ٠ ويبرز للمقدمة الاتجاه « المتطرف » ، ويستوعب الغالبية العظمى من سكان اسرائيل ، وينزوى للخلف الاتجاه « المعتدل » ، فى لحظات احتدام المواجهة مع العرب ، وتحدث الظاهرة العكسية فى لحظات « الهدوء النسبى » ، وابتعاد « الخطر المباشر » ، ويطفو فوق السطح فى هذه اللحظات ، أو ـ على عكس ذلك ـ فى اللحظات التى تبلغ فيه المواجهة حدا فائقا من الخطورة ، مما يعيد طرح التفكير فى قضايا المصير ، ومستقبل البقاء الصهيونى فى المنطقة ٠ **ولكن لم يحدث فى اى وقت ان ايا من الموقفين قد اختفى كلية** ٠

■ نسبة الموقفين الى « يمين » و « يسار » تعبير تعوزه الدقة ـ والقصد من التمييز خدمة أغراض **عملية** ، **ودعائية** ، وتنمية لغة للتخاطب مع اطراف دولية مختلفة ، أكثر منه تعبير عن تمييز حقيقى ٠٠ فلغة « الاعتدال » و « التعايش » تستطيع أن تجد آذانا صاغية لدى الدوائر التقدمية واليسارية والسلامية فى الرأى العام العالمى ، بينما لغة « استخدام العنف » و « اللجوء الى القوة » وسيلة تخاطب صالحة مع مراكز السلطة الرجعية والاستعمارية ، ذات المصلحة فى استخدام اسرائيل كاداة ردع وتهديد ضد حركة التحرير العربية ٠

ثمرة الصمود العربي

وآثار احتدام الموقف

وربما كانت أهم مفارقة تواجه اسرائيل فى الوقت الراهن ، هو أن « سياسة العصا الغليظه » رغم أنها ذهبت الى أبعد مداها ابتداء من حرب يونيو ، وطوال الاعوام الثلاثة الماضية ، لم تصل الى النتيجة المطلوبة فى حسم مطلب اسرائيل ـ والصهيونية ـ الاساسى ، وهو تامين وجود وبقاء اسرائيل ، واكتسابها صفة « الشرعية » و « الاعتراف » من جانب العرب ، على نحو يؤمن وجودها وبقاءها بصفة نهائية فى المستقبل ، بل ينبىء استمرار « سياسة العصا الغليظة » بتصعيد النزاع الى حد احتوائه داخل اطار المواجهة الخطرة بين الدول العظمى ، ويهدد بانفجار لا يحمل أوخم العواقب لدول المنطقة فحسب (بما فيها اسرائيل) ، بل قد يصل الى توريط العالم فى مواجهة ساخنة باخطارها التى تتحدى كل حساب مسبق ٠

وهذا الموقف الخطير أصبح ينعكس على اسرائيل والحركة الصهيونية العالمية ، **بدفع المتناقضات الداخلية الى حد لم يسبق له مثيل من الحدة** ، وبتوسيع دائرة المواقف المتباينة ، **ذلك بزيادة المواقف المتطرفة تطرفا ، وزيادة المواقف « المعتدلة » ، « اعتدالا » (٥)** ، دون أن يعنى هذا

---

(٥) الظاهرة « تراكمية »كلما زادت المواقف المتطرفة تطرفا وهددت بتفجير الموقف على نحو يذكر بقصة شمشون فى هدم المعبد فوق رأسه . زادت فى مقابلها المواقف « المعتدلة » « اعتدالا »وتمادت .. والدائرة مفرغة .. تثير ردود افعال فى الاتجاهين . بما تنطوى عليه من أخطار المغامرة الى أقصى حد .

الغليان أن أيا من هذه المواقف قد تخلى عن منطلق الاصل ، منطلق الصهيونية ، بل جميعها يستهدف تأمين مستقبل الصهيونية ، فى وقت تفاجأ فيه اسرائيل بأن ما أرادت تصوره وتصويره « كمعجزة القرن العشرين » (حرب الايام الستة) ، لم يصمد لامتحان الزمن أكثر من سنوات معدودة . **وفي داخل هذا الإطار ، ينبغي تفسير موقف جولدمان الاخير .**

الابعاد الشخصية والموضوعية

لخلاف جولدمان مع حكومة اسرائيل

كانت الازمة قد انفجرت علنا بين جولدمان ، بصفته رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية ، وبين الحكومة الاسرائيلية ، المسئولة عملا عن سياسة اسرائيل ، منذ يونيو ١٩٦٨ . وقد نشب الخلاف وقتذاك وتبلور حول قضية بدت وقتذاك اجرائية ، وتتصل بصلاحيات واختصاصات كل من « دولة اسرائيل » ، و « المنظمة الصهيونية العالمية » ، غير أن الموقف الذى انتهى بتنحية جولدمان عن منصبه فى مؤتمر المنظمة السابع والعشرين الذى انعقد وقتذاك فى القدس ، كشف عن عمق الازمة ، وسلط اضواء على دلالاتها .

فقد كانت المنظمة الصهيونية العالمية التى اسسها **هرتزل** فى ١٨٩٧ ، وكان يرأسها **جولدمان ، تعتبر نفسها اعلى سلطة فى حركة الصهيونية ،** وتعتبر نفسها المركز التنظيمى والمالى الرئيسى للصهيونية ، تنظم الهجرة الى فلسطين ، وتباشر الدعاية للدعوة الصهيونية ، وتجمع التبرعات . وكانت المنظمة تعتبر أن « **دولة اسرائيل** » اسوة بمنظمات وهيئات وكيانات يهودية أخرى تتبعها ، ما هى الا « جهاز » من « أجهزتها » . وظلت هذه المسألة موضع خلاف بعد انشاء اسرائيل بين قادة « الدولة » ، وقادة « المنظمة » ، غير أن دور المنظمة فى تغذية اسرائيل بشريا وماليا حقق نوعا من التوازن والتعادل بين الجهتين طوال السنوات التى سبقت حرب ١٩٦٧ .

بيد ان الانتصار الضخم الذى حققته اسرائيل فى حرب يونيو دفعت قادتها واقطاب حكومتها ، الى التشكيك فى شرعية الصفة التى تدعيها المنظمة الصهيونية العالمية ، وعلى رأسها جولدمان لنفسها ، وطالب اقطاب الحكومة الاسرائيلية بأنه ينبغى على المنظمة ان تتخلى عن الصلاحيات التى احتفظت بها لنفسها ، وان تنضوى تحت سلطة الحكومة الاسرائيلية ، والا تتدخل فى شئونها الداخلية ، والا تستبيح لنفسها التحدث باسمها ، وان تلتزم فقط دور الدعاية لسياستها ، والمشاركة فى تنفيذها على نطاق يهود المهجر خارج اسرائيل . وانفجر الخلاف وتتذاك بحملة عنيفة فى الصحافة الاسرائيلية بعد أن اشيع أن جولدمان كان قد فاتح السيناتور الامريكى **وليام فولبريت** وقتذاك فى الضغط على حكومة اسرائيل ، لكى تخفف من موقفها المتشدد ازاء العرب ، تجنبا لتجدد محقق للقتال ، بدلا من التوصل الى تسوية سلمية .

وفي الحقيقة فان الملابسات التى فجرت هذه الازمة بين جولدمان والحكومة الإئتلافية الاسرائيلية التى افتت قبيل حرب يونيو ، كان ينبغى لها – منطقيا – ان تزداد عمقا واستشراء مع التطورات اللاحقة للمواجهة ، وزيادة قدرة العرب على الصمود ، وانزواء الفرص فى فرض شروط الإستسلام . فمع تصاعد ابعاد المواجهة ، ومع زيادتها احتداما ، انتقلت السلطة الفعلية داخل اسرائيل أكثر وأكثر الى **المؤسسة العسكرية ،** واصبحت قضايا **الملاحقة اليومية للمواجهة ، والمصالح العاجلة ،** هى التى تقرر السياسة الاسرائيلية ، وتحدد ملامحها الاساسية ، وتطبعها بسمات لها أثرها المؤكد فى تقرير مصير الكيان الاسرائيلى كله مستقبلا . هذا بينما رجل من أئمة الفكر الصهيونى مثل جولدمان ، بثقافته الواسعة **ومثاليته** المعروفة التى تجذبه الى قضايا المصير قبل الانشغال بتفاصيل المواجهة اليومية ، ولمن « **الممكنات** » تتسع له فرصة **المراجعة النقدية** للسياسات العملية التى تطبقها حكومة اسرائيل ، وطرح « **بدائل** » لها تتوخى مصالح الصهيونية واسرائيل **البعيدة ،** بدلا من الشعور بضرورة الالتزام – انضباطا – بالخطوط الاساسية للسياسة المطبقة عملا ، خاصة بعد ان اكتسب خلاف جولدمان مع قادة اسرائيل طابعا شخصيا .

غير ان « المأزق » الذى اصبحت تواجهه الآن سياسة المؤسسة العسكرية فى اسرائيل لالزام العرب على الرضوخ والإستسلام ، بعد أن تعددت الشواهد التى تشكك فى صلاحية وجدوى التفوق التكنولوجى الاسرائيلى المتمادى فى توسيع دائرة قدرتها الضاربة ، امر اكسب الارضية التى ينطلق منها جولدمان فى نقد السياسة الاسرائيلية الرسمية ، باسم – ومن اجل – مستقبل اسرائيل » كما هو وارد فى البحث المنشور اعلاه – معنى ودلالة لاتملك الحكومة الاسرائيلية اغفالهما .

تجديد وجه الصهيونية

وفي الحقيقة ، فان احد التناقضات البارزة التى تميز المجتمع الاسرائيلى ، وتكشف عن شواذه ، هو هذا التعارض الصارخ بين « المنطلق الدينى » المستند الى روايات من التوراة تعود الى ماض سحيق ، وبمقتضاه جلبت الدعاية الصهيونية يهودا من مختلف ارجاء الارض الى فلسطين

كمصدر « لوجود » اسرائيل ، وبين « الطابع العصرى الحاد » للمجتمع الاسرائيلى بعد تأسيسه ، كشرط لا غنى عنه ضمانا وتامينا « لاستمرار هذا الوجود » . واذا صح ان المؤسسة العسكرية المهيمنة حاليا على سياسة « دولة اسرائيل » هى من ابرز التجسيدات لوجه اسرائيل التكنولوجي المتطور ، فان موقع « المؤتمر اليهودى العالمى » و « المنظمة الصهيونية العالمية » اكثر حساسية لا لاصول اسرائيل الدينية فحسب ، بل لما يطلق عليه جولدمان تجديدا لهذا المفهوم ، وبهدف تكييفه لمتطلبات الدعاية الصهيونية العصرية « التراث الحضارى اليهودى » و « الشخصية التاريخية اليهودية » و « صفات الشعب اليهودى الفريدة فى مقاومة التيه والتشتت ، والاحتفاظ بخصائص اصيلة تميزه » .

ومن المقومات الاساسية لفكر جولدمان ، دفاعا عن فكرة الصهيونية ، وحماية لكيان اسرائيل ، بعد ان ثبت أن التفوق التكنولوجي الذى تستند اليه السلطة فى اسرائيل ، لا يكفى وحده لصون هذا الكيان ، واكسابه اسباب البقاء والاستقرار ، هو محاولة تجديد وتبييض وجه الصهيونية ، وتصويرها على غير الصورة التى اصبحت تمثله على الاذهان السياسة العملية التى تباشرها اسرائيل ، وهى سياسة لم يعد من الممكن استمرار تضليل الرأى العام بأنها سياسة يمليها **رفع الغبن الذى يلاحق اليهود** ، بل على العكس فلم يعد ظاهرها من هذه السياسة غير وجهها المقابل ، وجه ايقاع **الغبن بالعرب** ، ابتداء من سياسة القمع التى تباشرها اسرائيل فى الاراضى المحتلة ، الى التمادى فى العدوان بغارات العمق وتكرار الاعتداءات على مختلف الجبهات ، الامر الذى اثار ادانات متكررة من الهيئات الممثلة للشرعية الدولية ، وكذلك تلك التى تمثل دوائر اعرض باستمرار من الرأى العام الشعبى العالمى .

هذه الحقائق هى التى تدفع جولدمان الى طرح وجه بديل لمستقبل اسرائيل ، بديل يلتزم الحياد الدولى ويبتعد عن « مناطق النفوذ » ، بديل يقبل الانتساب الى حركات التحرير المعاصرة ولا يقف اداة للدول الغربية الكبرى فى مواجهتها ، بديل يفسح الفرصة لازدهار الحضارة اليهودية ولا يجعل من الحشد العسكرى الاسبقية المطلقة فى سياساته . **ولكن كان لماركس منذ قرن ، كلمة تستحق التأمل : « ان شعبا يستعبد آخر لا يستطيع ان يكون حرا » . هل تملك اسرائيل ان تشذ عن القاعدة ، وان تنمى حضارة أصيلة مخلوطة بدم شعب بأسره شردته ؟**

ان « البديل المثالى » الذى يطرحه جولدمان ما هو فى الحقيقة الا تعبير عن المأزق الذى اصبح يواجهه قادة اسرائيل اليوم . وفى المقابلة بين « مثاليات جولدمان » و « الممكنات » المتاحة امام قادة اسرائيل ، والتى يباشرونها فى التطبيق ، فان هؤلاء اكثر تعبيرا عن معطيات الموقف واقعيا ، ومع ذلك ينبغى التسليم بان موقف جولدمان ، المرفوض تماما « ايديولوجيا » ، موقف ينطوى على دلالات مؤكدة « سياسيا » ، وهى دلالات تستحق المتابعة والاستفادة منها ، واستثمارها لتعميق التناقضات التى بلغت حد النزاع السافر ، هذا دون اهمال حقيقة ان « ظاهرة جولدمان » ان دلت على شيء فهى تكشف عن مدى وهن « **المشروع الصهيونى الاسرائيلى** » رغم كل ما بدا له من عناصر التفوق .. **وهن « معجزة القرن العشرين » التى لم تصمد لامتحان الزمن اكثر من بضع سنوات .**

■■■

جولدمان والصهيونية الجديدة

د. اسماعيل صبري عبدالله

أثارت تحركات الدكتور ناحوم جولدمان وتصريحاته خلال الشهور الاخيرة اهتماما واضحا لدى اقسام هامة من الرأى العام العالمى ، وضجة كبيرة داخل اسرائيل ، كما أريد لها أن تحدث لدى العرب اكبر أثر ممكن ، ومهما يكن من شأن الاساليب المسرحية التى احيطت بها بعض تلك التحركات والتصريحات ، فنحن لا نملك اهمال مواقف رئيس المؤتمر اليهودى العالمى ، بل علينا أن نتناولها بالفهم والتحليل ، والواقع أن مواقف الدكتور جولدمان لها وزنها الخاص لعدة أسباب ، فالرجل من آخر ممثلى ذلك الجيل من القادة

الصهيونيين الذين جعلوا من الدعوة حركة وجسدوا الفكرة فى دولة ، ومن ثم فان له من المكانة ، ما لذلك الجيل داخل اسرائيل وبين اليهود عامة ، ولقد كان مجال عمل جولدمان الاساسى هو المجال الدولى ، وخلال قرابة الخمسين عاما من هذا النشاط اكتسب معرفة شخصية بعدد كبير من رجال السياسة ، وأتقن اللغة التى تفهمها وزارات الخارجية ، ولهذا فانه يستطيع ان يتنقل بين العواصم ذات الاثر الفعال فى السياسة الدولية ، ويجد دائما فى كل منها رجال الدولة الذين يسمعون منه فى انتباه، وأخيرا فان الخط الذى اخطته جولدمان فى الآونة الاخيرة يجعله يبدو أمام الرأى العام العالمى كصوت التعقل ان لم يكن صوت الفعل فى وسط هستيريا التعصب والتعالى والغرور التى يتصاعد من حكام اسرائيل .

وقد كفى الدكتور جولدمان الباحثين عناء الجمع بين تصريحاته واستخلاص موقف من خلالها حين عرض فى المقال المرافق لرأيه عرضا متكاملا ، ويمكن ان نضيف هنا أيضا المقالات الثلاث التى نشرتها له جريدة « لوموند » الفرنسية فى أوائل يونية الماضى .

تأكيد العقيدة الصهيونية

ليس ثمة اى مجال للظن بان جولدمان قد حاد عن الخط الصهيونى ، فهو يبدأ مقاله باعلان عقيدته فيقول :

« أريد ان أؤكد .. ثقتى المطلقة فى المبررات التاريخية للصهيونية ولشرعيتها الاخلاقية » .

ولكن ما يستحق الوقوف عنده ، هو كيف يقدم جولدمان الصهيونية للرأى العام العالمى فى لغة تتفادى الكثير من المزالق ، وتراعى ضرورة كسب الفكر الليبرالى والتقدمى فى مختلف البلاد ، ويمكن ان نلخص تقديمه للصهيونية على النحو التالى :

١ - تفرد اليهود بين البشر ، بحيث يكونون شعبا واحدا - رغم التشتت - ومتميزا ، ولكنه لا يبنى هذا التفرد على عنصرية عرقية ، تدعى أن اليهود جميعا من نسل اسحق بن يعقوب ، لانه يعلم انه لا سند من الواقع لمثل تلك الدعوى ، وهو لا يبنيها على وحدة الدين ، والا لصارت يهودية كغيرها من الاديان تعتنقها شعوب شتى ، كما انه لا يؤسسها على فكرة القومية لان عدم توافر عناصر القومية واضح تماما ، ويحاول الخروج من هذا المأزق بقوله أن كل تعريف لليهودى يجب أن يشمل فى وقت واحد العنصر والدين

المنظمة الصهيونية

انبثقت تلك المنظمة عن المؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد فى [بال] عام ١٨٩٧ ، وظلت تقود الحركة الصهيونية منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ، ولها لجنة تنفيذية تقود الحركة الصهيونية فى الفترة الواقعة ما بين كل مؤتمرين للمنظمة الصهيونية العالمية .

والقومية ، وكل العناصر التى تضع فى الاعتبار ما لليهودية من شخصية متميزة ومصير واحد ... حقا ان هذا التعريف غير مستقيم منطقيا لانه يقوم على « مصادرة على المطلوب » كما يقول رجال المنطق اذ يفترض مقدما تميز الشخصية اليهودية ، ولكنه على كل حال تعريف مزوق وغير محدد يتفادى النقد السهل .

٢ - تفوق اليهود كشعب على بقية شعوب العالم ،
ولكن جولدمان يقدم فكرة شعب الله المختار فى ثوب علمانى . فتفوق اليهود لا يفسره فضل الهى وانما يثبته أمران : بقاء اليهود كيهود رغم كل أعمال الاضطهاد ومحاولة الابادة ، وما قدمه هؤلاء اليهود للبشرية من اسهام حضارى ، ولا يتردد جولدمان فى هذا المجال فى أن يقول ان الشخصيات الثلاث التى أثرت فى الحياة المعاصرة أكثر من غيرها كانت شخصيات يهودية هى : ماركس وفرويد واينشتين ، ولايتردد فى أن يغفل تماما موقف هذه الشخصيات من المسألة اليهودية أو تخليها عن اليهودية اوحقيقة انها كانت فى المحل الاول نتاجا لعبقرية الشعب الالمانى فى اطار الحضارة الغربية الحديثة ، لم يحكم اسهامها الفكرى أية تقاليد عبرانية .

٣ - التمسك بفلسطين وطنا للصهيونية ..
واليهود كشعب متميز ومتفرق مهدد - فى رأى جولدمان - بالفناء عن طريقين : الاول ، الابادة كما حدث بين النازية ، والثانى ، الاندماج فى الشعوب التى يعيش اليهود بين ظهرانيها ، ولذلك لا بد لهذا الشعب من وطن يصون تميزه ، ويظهر تفوقه ، وهذا الوطن فى رأيه لا يمكن أن يكون الا فلسطين ، ولكن جولدمان لا يفسر ذلك بدعوى « وعد الهى » فى أرض الميعاد ، ولا بحق تاريخى يرجع الى ما قبل الفى عام ، فتلك حجج لا تقنع غير مقتنع ، وانما يفسره بان فلسطين وحدها هى التى يرتبط بها اليهود « دينا وعاطفيا بل وصوفيا » ، ويضيف الى هذا السبب الداخلى ، مبررا خارجيا هو اقرار غالبية الدول لهذا الوضع .

وابتداء من هذا المنطلق الصهيونى الخالص، كان مما لابد منه ان يقدم جولدمان حلولا صهيونية، او حلولا تستوحى تلك العقيدة، وتصون مصالح أصحابها

حل لمشكلة اسرائيل
وليس لازمة الشرق الاوسط

والواقع أن ما يقلق بال جولدمان ليس خطر تجدد القتال على نطاق شامل. فهو فى الاجل القصير على الاقل واثق تماما من قدرات اسرائيل العسكرية، واحتمال تدهور الوضع الى مواجهة عالمية لا يقض مضجعه، فهو كغيره من الصهيونيين يضع مصلحة اسرائيل فوق اعتبارات السلام العالمى، وغنى عن الذكر أن حقوق العرب السلبية لاتعنيه فى شىء، **ان ما يقلقه هو مستقبل اسرائيل وضمان « بناء الدولة اليهودية »**.

اما أسباب القلق الذى يستبد به فقد لخصها فى عاملين :

١ ــ رفض العرب للوجود الصهيونى، «فلازال العالم العربى ينظر الى اسرائيل كجسم غريب فى قلبه ويرفض الاعتراف بوجودها»، ولا يتردد جولدمان فى الاعتراف بأنه واقرانه من قادة الصهيونية قد أساءوا تقدير المقاومة العربية للاستيطان الصهيونى، ويقول ان صيغة هرتزل المشهورة « الصهيونية تريد أن تنقل شعبا بلا وطن الى وطن بلا شعب » كانت مفهومة فى الاطار الفكرى للقرن الماضى حيث لم يكن هناك وجود يعتد به لغير الشعوب الاوربية، أما فى عالم اليوم الذى يهزه من اعماقه هدير ثورات التحرر الوطنى فى العالم الثالث، فلا يمكن تجاهل مقاومة شعبية، ومن ثم « **لا يعدو ان يكون سخفا الامل فى فرض الصلح على العالم العربى سواء بضغط الدول الكبرى أو بانتصار اسرائيلى جديد، والتاريخ يثبت ان السلم الذى يفرض فرضا لا يدوم طويلا، حتى لو اضطر الشعب المهزوم الى قبول هدنة لفترة معينة بقوة السلاح، وفى حالة اسرائيل والعرب يكون هذا الاحتمال أكثر تضاؤلا نظرا للتفوق العددى الكبير للشعوب العربية** ».

٢ ــ انصراف اليهود عن الهجرة الى اسرائيل، ففى رأى جولدمان ان « معجزة بقاء الشعب اليهودى» يفسرها أمران : الاضطهاد المتواصل من ناحية، وقوة العقيدة اليهودية من ناحية أخرى، وهو يقول صراحة انه لولا الاضطهاد النازى لما وجد الصهيونيون العدد الكافى من المهاجرين الذى يمكنهم من انشاء دولة يهودية فى فلسطين، فضلا عن المساعدات الاقتصادية الضخمة، ثم يضيف ان هذا العامل قد انتهى دوره، ولا ينتظر تجدده لان « اليهود فى كل مكان يتمتعون بالمساواة فى الحقوق »، أما العقيدة اليهودية فقد بدأت تفقد سيطرتها على حياة اليهود اليومية نتيجة لاندماجهم المتزايد فى المجتمعات التى يعيشون فيها .

وبعبارة اخرى فى مواجهة قوى الشعوب العربية المتزايدة مع الزمن، لا تملك اسرائيل أن تعتمد على أعداد متزايدة من المهاجرين ولا على معونات لا تنفد من الجاليات اليهودية فى الدول الاخرى .

ويتعرض جولدمان فى مقاله لاسباب أخرى تقلقه وان كان لا يضعها فى نفس مستوى العاملين المشار اليهما آنفا، ونذكر هنا بالذات تغير صورة اسرائيل لدى الرأى العام العالمى، وبالتالى بداية انصرافه عن تأييدها، فهو يكتب « لقد اصبح الوضع السياسى لاسرائيل اكثر حرجا وانعزالا . واليوم نجد العالم الشيوعى بأسره ــ باستثناء بعض الحالات ــ يتخذ موقفا معاديا لاسرائيل، وغيرت فرنسا موقفها وتخلت عن صداقتها لاسرائيل . ولا يمكن الحكم بأن انجلترا تميل كثيرا الى أى الطرفين، ثمة ما يزيد عن عشرين دولة عربية واسلامية، وأقطار تضم نسبة كبيرة من المسلمين كالهند تعادى اسرائيل » . كما يضيف ان « جماعات رجعية ويمينية فى مناطق كثيرة من العالم أصبحت تعطف على اسرائيل وتعجب بها، فى حين صارت بلدان عديدة من العالم التقدمى معادية لها »، وهذه فى الواقع نقطة هامة جدا . فقد نجحت الحركة الصهيونية خلال عشرات السنين فى اجتذاب عطف القوى الليبرالية، ثم التقدمية مستغلة رفض تلك القوى للتمييز العنصرى وسياسة العداء للسامية، وأغلبية الذين أيدوا نشأة اسرائيل وساندوها كانت تحركهم مشاعر الالم لما حل باليهود على يد هتلر وعصابته، وتوهم أن ضحايا الفاشية والعدوان لا يمكن أن يصبحوا بدورهم جلادين يزهون بالعدوان، وخلال السنوات الثلاث الاخيرة تغيرت تلك الصورة الى حد كبير .

واخيرا فان جولدمان يقلقه بلا شك موقف معاداة الصهيونية الذى بدأ ينتشر بين اليهود فى بلاد كثيرة وتأكد داخل اسرائيل نفسها، وهو اذ يتجاهل موقف الحزب الشيوعى فى اسرائيل (راكاح) عن عمد يحاول تسفيه مواقف المثقفين الاسرائيليين الذين اعلنوا قبولهم لشعار « دولة فلسطين الديموقراطية » . حقا انهم اليوم اقلية قليلة اولئك الذين يعادون الصهيونية، ولكن التطور يحمل فى طياته خطر تعاظم شأنهم .

أسلوب الاستعمار الجديد

وهكذا نرى ان ما يقلق جولدمان هو احساسه بأن سياسة فرض الوجود الصهيوني والاطماع الصهيونية بالقوة محكوم عليها بالافلاس وان طال الامد ، لقد تبنت الحركة الصهيونية ـ كحركة استعمارية ـ اسلوب اخضاع العرب وسلبهم أراضيهم بالقوة المسلحة منذ الثلاثينات من هذا القرن ، فحين عجز الاستعمار البريطاني عن سحق الحركة الوطنية فى فلسطين ، لجأ الى الصهيونية لتكوين أول وحدات مسلحة باسم « وحدات الدفاع الذاتى » فى الكيبوتز ، ثم كانت الحرب العالمية الثانية مدرسة تدرب فيها شباب الصهيونية على أحدث الاسلحة وأدق أساليب القتال ، فتكونت « الهاجاناه » فى حضن الجيش الثانى البريطانى وانضم الى صفوفها عدد من ضباط الجيش البولندى الاكفاء ، وبعد الحرب استقل اليهود فعلا بالمناطق التى كانت لهم فيها اغلبية واضحة قبل انهاء الانتداب البريطانى ، ثم استخدمت الصهيونية القوة لا فى فرض التقسيم فقط ، وانما فى التهام جزء كبير من الاراضى التى تركها قرار التقسيم لعرب فلسطين. وشيئا فشيئا تدعمت فى اسرائيل سياسة فرض الارادة بالتفوق العسكرى المطلق ، وتأكدت دعاوى التوسع الاقليمى واصبح للجيش السيطرة والكلمة النافذة ، وهذا هو الجنرال موردخاى هود قائد سلاح الطيران يصرح لمندوب جريدة « لوموند » بعبارة موجزة ولكنها بالغة الدلالة حين يقول « ان الجيش هو الذى صنع الامة الاسرائيلية » . ومنطق العسكريين الاسرائيليين واضح فى استخدام القوة بقصد الحصول على توسعات اقليمية متتالية ، ولكن سياسة القوة الاسرائيلية لها هدف أبعد ، فالتوسع الاقليمى له فى النهاية حدود . ولا يوجد شعب يستطيع أن يعيش فى حالة حرب دائمة ، ولذلك فان الهدف البعيد هو أن تبث الهزائم المتتالية اليأس فى نفوس العرب فيستسلمون للامر الواقع ، ويسلمون بالوجود الصهيونى ، وبوضع اسرائيل المتفوق فى المنطقة ، وفيلسوف سياسة القوة ، دافيد بن جوريون ، لا يتردد فى التصريح بأنه يمكن اخلاء كل المناطق المحتلة ـ باستثناء القدس ـ اذا قبل العرب توقيع معاهدة صلح مع اسرائيل .

وليست تلك رغبة فى السلام ، وانما المقصود من معاهدة الصلح اعلان من جانب العرب بالتخلى نهائيا عن رفضهم للوجود الصهيونى ، وبالتالى انشاء علاقات « عادية » مع اسرائيل ، وبالذات **علاقات اقتصادية** ، فمشكلة اسرائيل فى التحليل الاخير مشكلة اقتصادية ، فالاوروبيون الذين هاجروا اليها لا يقبلون البقاء الا اذا حصلوا على مستوى معيشة لا يقل عن المستوى السائد فى أوروبا ، واسرائيل بلد محدود الموارد عاش حتى الان على المعونات الضخمة ، ولذلك فلا سبيل لبقاء اسرائيل واستمرارها فى المدى الطويل الا اذا سيطرت اقتصاديا على المنطقة العربية بحيث تصبح المركز الصناعى والمالى والتجارى الدولى الذى يعيش على استغلال الموارد الطبيعية الكبيرة للبلاد العربية ، وسياسة القوة تريد أن تفرض على العرب قبول التبعية الاقتصادية ، والاستقلال بالقوة المسلحة .

أما جولدمان فانه يريد أن يصل الى هذا الهدف الاخير بطريقة رآها اكثر فعالية ، فاذا كانت سياسة القوة قد أفلست ، فلابد من التخلى عنها ، ومن ثم فهو يرى أن أفضل وسيلة هى ضمان بقاء اسرائيل عن طريق « تحييدها » مثل سويسرا وتعهد الدول قاطبة ـ بما فيها الدول العربية ـ بوضعها الممتاز . وعندئذ تنتهى فى تقديره خشية العرب من التوسع الاسرائيلى ، لانه يعتقد أن ما يؤجج المقاومة ليس سلب فلسطين ، وانما خطر التوسع فى دول أخرى عربية ، فاذا اطمأنت بقية الدول العربية على أمن حدودها ، أمكن ان نتخلى عن الشعب الفلسطينى ونتعايش مع اسرائيل ، ويحرص جولدمان فى براعة على تأكيد انه لا يقدم اقتراحات محددة لحل ازمة الشرق الاوسط الحالية ، ومع ذلك فمن طيات حديثه نجد :

ـ أنه يرفض عودة اللاجئين لانه يؤكد أن أراضى العرب واسعة ويمكن أن تستوعبهم ، وأن المشكلة الوحيدة هى تمويل توطينهم ، وهى مشكلة يمكن حلها بمجهود دولى تسهم فيه اسرائيل .

ـ كما انه تبين ضمنا ضم اجزاء كبيرة من الاراضى المحتلة ، فهو لا يشير الى اى انسحاب ، وبالعكس يقول ان اسرائيل يمكن ان تقبل نسبة معينة من اللاجئين بشرط الاحتفاظ بقطاع غزة .

ـ وأخيرا لا يقبل جولدمان التدخل المباشر لقوات دولية لتحقيق « التحييد » الذى ينادى به ، بل يؤكد أن اسرائيل يجب أن تحتفظ بقوتها العسكرية حتى الوقت الذى يصبح فيه المجتمع الدولى قادرا على ضمان حيادها .

ان الصهيونية جزء لا يتجزأ من الامبريالية العالمية ، نشأت فى أحضانها وتشربت بأساليبها ومارست اطماعها ، ولقد ولدت الصهيونية فى أوج ازدهار الامبريالية وسيطرة الاستعمار القديم على الكرة الارضية ، ولذلك كان طبيعيا أن تتبنى اساليبه فتستخدم القوة فى طرد شعب من وطنه

للتمكن لاستعمارها الاستيطاني ، ونقطة الضعف في سياسة اسرائيل الحالية هي انها تستمر في ممارسة أساليب الاستعمار الجديد من غزو وضم وقهر بالقوة المسلحة في عصر أفلت فيه شمس ذلك الاسلوب الفج ولجأت الدول الاستعمارية العنيدة الى اساليب اكثر دهاء في استغلال الشعوب ، أطلق عليها اسم الاستعمار الجديد ، وجولدمان الصهيوني الشيخ ، احد مؤسسي اسرائيل ، يعلن اليوم الدعوة الى « صهيونية جديدة » تتناسب مع الاستعمار الجديد .

■■■

« التحييــــد » و « العــــدوان »

القــانون الدولي لايعــرف حيادا لدولــة عــدوانيــة

د . جمال العطيفي

تثير دعوة ناحوم جولدمان الى « **تحييد اسرائيل** » أسئلة يتعين الاجابة عليها ، قبل مناقشة هذه الفكرة .

فهذه الدعوة تعرض في وقت لا زالت فيه اسرائيل تحتل أراضي ثلاث دول عربية وتمارس عدوانها على شعب فلسطين الذي لم يكن في وسع جولدمان في مقاله أن يتجاهل أنه صاحب حق ، وهي دعوة الى تحييد دولة نشأت عن طريق الغزو الاستيطاني غير المشروع ، وتستمد وجودها واستمرارها من ممارسة العدوان ، مثلما دلت على ذلك قرارات الامم المتحدة . (١٧ قرارا)

فهو اقتراح اذن بتحييد « دولة عدوانية » .

وهذه الدولة دولة يهودية تريد ان تستوعب يهود العالم تحقيقا للفكرة الصهيونية التي لايتفق معها وفق رأى جولدمان انشاء دولة فلسطينية مزدوجة القومية عربية ويهودية ، فهي ترى أن لها دورا تاريخيا في تأمين الوجود اليهودي في العالم كله ، وترفض عودة أصحابها العرب الفلسطينيين اليها ، بل وحتى معوضيهم باللاجئين الفلسطينيين [وهو وصف لم يعد مستساغ القبول في ظل تزايد حركة المقاومة الفلسطينية] ، فان اسرائيل لم تنفذ قرارات الامم المتحدة بشأنهم (٢٣ قرارا)

فالاقتراح اذن خاص بتحييد « دولة عنصرية » .

وهذه الدولة « **العدوانية** » « **العنصرية** » تهدف الى « **التوسع** » ولم يستطع ناحوم جولدمان أن يخفي ذلك برغم محاولته تغليف فكرته في اطار براق من التعايش السلمي مع العرب ، فهو يدعى أن التحييد سيبدد المخاوف الرئيسية في العالم العربي بشأن احتمال قيام أسرائيل بتوسيع رقعتها ، وهو يطلب في هذا الحياد ان ينص على ضمان حدودها بعد فض الصراع القائم ، ولكنه لا يخفي الاطماع التوسعية ، حينما يرى ان التنازل عن قطاع غزة لاسرائيل من شأنه أن يسهل احتواء مائتي الف عربي يعيشون هناك ، وحينما يرى أن تصبح « أورشليم » عاصمة لهذه الدولة المحايدة !

وهو لايفصح عن الحدود التي يريد من الحياد أن يضمنها لاسرائيل ، وهل هي الحدود المقررة طبقا لمشروع التقسيم ، أم طبقا لاتفاقيات رودس ، أم السابقة على عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ أم ماذا ؟ بل هو في مقالاته التي نشرها بعد ذلك في جريدة الموند الفرنسية وعلى الاخص مقاله الثالث في ٣١ مايو يشير الى « الحدود التي يقبلها الطرفان » ويشير الى ما سماه تعديلات طفيفة في الحدود ، وبخاصة في منطقتي « اللاطرون وقليقيلية » وكأنه بذلك يريد أن يضمن لاسرائيل قبل تحييدها الاستفادة من عدوانها ، وهو يتحفظ في تفسير عبارة « الحدود الامنة المعترف بها » الواردة في قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، فيقول أنه اذا لم تتوافق اسرائيل على تفسير العرب ومجلس الامن ، فانها لن تجازف بقبوله !

فالاقتراح اذن خاص بتحييد « **دولة توسعية** ».

وهذه الدولة **العدوانية العنصرية التوسعية** ترتبط ارتباطا كاملا بالحركة الصهيونية العالمية ، وتريد أن تفرض سلطتها على يهود العالم المنتمين الى جنسيات دول أخرى ، تحت ستار « **الولاء المزدوج** » وتستند فى وجودها الى مساندة سائر يهود العالم والمساعدات الاقتصادية والمادية والسياسية التى يقدمونها ، وتعتمد أساسا على تأييد الولايات المتحدة التى تتسم سياستها بصداقة قوية مع أسرائيل ، (هكذا يقول جولدمان فى مقاله) والتى تضمن لاسرائيل كل ما تخسره من طائرات الفانتوم التى تزودها بها ، وتريد أن تضمن لها تفوقا دائما على الدول العربية ، لان هذا فى نظرها هو المحافظة على ميزان القوى ! وهى علاقة أساسها الانحياز التام ، وتضعها فى دائرة النفوذ الامريكى وتجعل منها رأس جسر لتحقيق أهداف أمريكا الامبريالية !

فالاقتراح اذن خاص بتحييد « **دولة منحازة** »

وهو فى جملته دعوة الى تحييد دولة « **عدوانية** » « **عنصرية** » « **توسعية** » « **منحازة** » .

واذا كان جولدمان يقدم هذا الاقتراح ، لانه يرى فيه من وجهة النظر الصهيونية حلا لمشكلة الواقع الاسرائيلى ، فانه اقتراح يحتوى فى داخله على عناصر متناقضة مع فكرة « الحياد الدائم » التى يتصورها جولدمان فى النموذج السويسرى .

ان الحياد التقليدى هو موقف تتخذه دولة ذات سيادة من نزاع مسلح أو حرب قائمة ، بأن تمتنع عن الاشتراك فيها وعن امداد المحاربين بأية مساعدة .. وهذا الحياد قد يتخذ صورة دائمة حينما يصدر عن اتفاق أو معاهدة دولية تفرض على دولة معينة الالتزام بعدم اعلان الحرب أو الاشتراك فيها مع التزام الدول الاخرى باحترام هذا الحياد وضمان وضعها المحايد .. فهى دولة تلتزم بالحياد فى وقت السلم وفى وقت الحرب .

فأساس هذا الحياد الدائم هو رغبة الدولة فى ألا تتدخل فى منازعات الغير رعاية منها لمصالحها الخاصة وأن تنأى بنفسها عن المنازعات الدولية .

وهذا الحياد الذى توضع فيه الدولة ، ليس مجرد سياسة تنتهجها ، بل أنه مركز قانونى دولى يجب عليها أن تتصرف فى اطاره .

فالحياد السويسرى الذى تقرر منذ اتفاقية فيينا عام ١٨١٥ كان ملحوظا فيه الانقسامات الداخلية التى كانت تعانى منها ، وكثرة الاجناس واختلاف اللغة والدين داخلها ووجودها بين أربعة أجناس مختلفة ووضعها الجغرافى ـ كل ذلك جعل من مصلحتها أن تكون على الحياد لتتفرغ لمشاكلها الداخلية .

وقد دفعتها هذه الرغبة فى المحافظة على حيادها ، الى عدم الانضمام الى الامم المتحدة مكتفية بالمشاركة فى منظماتها ووكالاتها المتخصصة ، بل وحتى الدخول فى عضوية الجماعة الاوربية والسوق الاوربية المشتركة حتى لا يرتبط أقتصادها بعجلة الاقتصاد الاوربى ، فيستحيل عليها الاحتفاظ بسياستها الاستقلالية اذا مانشبت الحرب (ومع ذلك فان ظلالا من الشك قد لحقت مدى التزام سويسرا بحيادها فى العلاقات الدولية من ذلك موقفها من الفدائيين الفلسطينيين وموقفها من سرقة المخابرات الاسرائيلية لتصميم محرك طائرة الميراج] .

أما النمسا فقد تقرر حيادها فى معاهدة مايو ١٩٥٥ ، وقد ضمنت الدول الاربع الكبرى حيادها ، ولكن النمسا لم تجد تعارضا بين أخذها بنظام الحياد الدائم وبين انضمامها الى الامم المتحدة فى ١٤ ديسمبر ١٩٥٥ ولكنها أعلنت مع ذلك عزمها على عدم الانضمام الى الاحلاف العسكرية ، أو السماح بأية قواعد عسكرية أجنبية على أرضها (ومشكلة مدى توافق نظام الحياد الدائم مع اجراءات الامن الجماعى التى ينظمها ميثاق الامم المتحدة لازالت تثير خلافا فى الرأى ليس هنا مجال التعرض له) .

فالحياد النمساوى أساسه الوقوف بعيدا عن الصراع بين القوتين العظيمتين فى العالم .

ومن الامثلة المعاصرة للحياد الدائم ، حياد **كامبوديا** الذى ضمنته اتفاقيات جنيف عام ١٩٥٤. وحياد **لاوس** الذى ضمنته اتفاقيات عام ١٩٦٢ .

ومثل هذا الحياد كان يهدف الى تجنب الدولتين الصراع الحاد بين القوتين العظيمتين فى منطقة شرق آسيا بعد أن تحررتا من الاستعمار الفرنسى ، (وهو الحياد الذى انتهكته الولايات المتحدة الامريكية رغم اشتراكها فى ضمانه ، بحجة ان فيتنام الشمالية لم تحترم هذا الحياد] .

وظاهر من هذه الامثلة ، أنه ليس فيها ما يتفق مع الفكرة التى يدعو اليها جولدمان ، فهو ليس حيادا قوامه اختلاف الاجناس والدين وخشية الانقسامات الداخلية كما هو الامر فى سويسرا ،

بل انه حياد لدولة عنصرية يهودية ، وهو ليس حيادا بين القوتين العظيمتين ، لان أسرائيل تعتمد اعتمادا كليا على قوة الولايات المتحدة الامريكية ودعمها ، ولان الصراع بين القوتين العظيمتين ليس هو المطروح بمناسبة هذه الدعوة الى تحييد أسرائيل ، بل ان المطروح هو الحق العربى فى مواجهة العدوان الاسرائيلى ، فأى حياد يطلب فى مواجهة هذا الصراع ؟ .

على أن « الحياد الدائم » قد اتخذ مدلولا حديثا لا على أنه مجرد حياد بالنسبة لمشكلات الحرب والسلام ، بل على انه عامل من عوامل السلام وأنه يفترض بالتالى عدم الاشتراك فى تكتلات او مواثيق عسكرية ، وعدم الارتباط بسياسة دولة أخرى ، وعدم السماح باقامة قواعد أجنبية على أقليمها او أستخدامه للتجسس ، وخظر استخدام او انتاج أسلحة نووية والامتناع عن تقديم أية معونة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لاى دولة معتدية وأن تكون علاقاتها بجميع الدول على أساس السلام القائم على العدل ، وأن تمتنع عن اى اجراء من شانه أن يجرها الى مخاطر المواجهة ، (الجوانب القانونية للحياد ، من أعمال المؤتمر السابع لرابطة الحقوقيين الديموقراطية فى صوفيا عام ١٩٦٠)

فهل يمكن الادعاء بأن هذه الشروط متحققة فى أسرائيل ؟

ان أسرائيل ترتبط ارتباطا جذريا وعضويا بالولايات المتحدة الامريكية ، واسرائيل تنتهج سياسة عدوانية ، وتلوح فى أكثر من مناسبة بأنها تعمل على انتاج قنبلة ذرية ، فأى « تحييد » لها يمكن أن يقبله القانون الدولى ؟

ان جولدمان يقول ان هذا التحييد سيكون قطعا استثناء من الاشكال العادية للدول المحايدة ، وأن ذلك مرجعه أن طابع الشعب اليهودى والتاريخ اليهودى هو التفرد !

ولكن القضية ليست قضية خلق نوع فريد من « التحييد » ولكن القضية هى قضية التناقض بين طبيعة دولة صهيونية عنصرية عدوانية توسعية منحازة ، وبين طبيعة المركز الحيادى للدولة .

ان أسرائيل تدعى لنفسها السيادة على جميع يهود العالم ، وتدعى لنفسها حق التحدث باسمهم ، مع ما ينطوى عليه ذلك من تدخل فى الشئون الداخلية للدول الاخرى ، فهل يتفق جوهر هذه الدعوة الصهيونية مع موقف « الحياد » ؟ .

لقد كان جولدمان من أشد المتحمسين للولاء المزدوج .. وقد سبق له أن صرح أمام المؤتمر الصهيونى العالمى الخامس والعشرين بأن اليهودى فى الشتات يجب أن تكون لديه الشجاعة لكى يرفض فكرة ولاء اليهود للبلاد التى يعيشون فيها ، ووصف فى مناسبة أخرى الولاء الواحد بأنه نازية ، أما تعدد الولاء فهو جوهر الديموقراطية !

وهذا « الولاء المزدوج » المتنافر بطبيعته مع فكرة الحياد .. تتبناه اسرائيل .

فالجنسية الاسرائيلية تمنح لاى يهودى فى العالم بمقتضى قانون العودة الصادر عام ١٩٥٠ وبعدها صدر قانون الجنسية الاسرائيلية فى عام ١٩٥٢ فنص على أن اكتساب الجنسية الاسرائيلية ليس مشروطا بالتخلى عن أية جنسية سابقة عليها ، وأن الشخص فى حكم هذا القانون يعتبر مواطنا اسرائيليا حتى لو كان يتمتع بجنسية أجنبية ، اى أن اسرائيل تشجع الجنسية المزدوجة ، وهذه حالة بعض اليهود الامريكيين الذين يحاربون فى جيش اسرائيل .

فماذا يكون موقف « الدولة المحايدة » اذا انخرط رعاياها بحكم جنسيتهم المزدوجة فى جيش دولتهم الاخرى واشتركوا فى حرب تخوضها ؟ وأى حياد ذلك لمواطن موزع بين الدولة التى تدعى « التحييد » والدولة المحاربة وكلاهما يتقاسمان ولاءه ، وماذا يكون موقف الدولة المحايدة « التى تتلقى مواردها من دولة أخرى تربط أقتصادها بها .. اذا ما أشتركت هذه الدولة فى حرب ؟

يضاف الى ذلك أننا لو تأملنا موقف اسرائيل من المنظمة الصهيونية العالمية أو الوكالة اليهودية .. لتبين لنا أنها قد أصدرت قانونا فى عام ١٩٥٢ بشأن هذه المنظمة نص فى صدره على أن أسرائيل تعتبر نفسها ثمرة خلق يهود العالم ، وان أبوابها مفتوحة لكل يهودى يرغب فى الهجرة اليها وأن المنظمة الصهيونية العالمية هى التى تقود هذه الحركة ، كما نص هذا القانون على أن أسرائيل تعترف بهذه المنظمة كوكالة مرخص لها بالاستمرار فى تحقيق هذا الهدف ، ويقضى نظام المنظمة الصهيونية العالمية بالتزام الفروع المحلية بمقررات المنظمة العالمية التى أصبحت بمثابة منظمة ذات طابع يعلو الحكومات الوطنية .

Super National Government type.

فاستمرار نشاط المنظمة الصهيونية العالمية فى البلاد الاخرى بعد انشاء اسرائيل وباعتبارها من

أجهزة السلطة فى أسرائيل مع ما ينطوى عليه ذلك من تدخل فى شئون الدول الاخرى التى تباشر هذه المنظمة نشاطها فيها واخلال بسيادتها .. هو تناقض أيضا مع جوهر فكرة الحياد .

ان الدعوة الى تحييد اسرئيل يجب ان يسبقها تفريغ محتواها العدوانى العنصرى التوسعى المنحاز ، بل أنه يقتضى تفريغها من محتوى الفكرة الصهيونية القائمة علىسيادة اسرائيل على يهود العالم وادعائها بتمثيلهم وحمايتهم . والا فهى مجرد مناورة جديدة لاسباغ وضع شرعى على العدوان وتقنينه ضمن نطاق الامر الواقع ، بل وتقديم ضمان دولى له .

وهو بهذا لا ينطلى على أحد ..

فانمثله مثلمنيسرقك، ثميعرضأنيردلكبعض المسروقات على أن يحتفظ بالباقى وعلى أن تضمن له ألا تسترد ما سرقه منك حتى يعيش آمنا مطمئنا ؟!

■ ■ ■

رؤيــة قديمــة فى ثــوب عصــرى

د . وليــم ســليمان

منذ ان بدأ **تيودور هرتزل** ابو الصهيونية السياسية يدعو الى انشاء الدولة اليهودية ، كان لابد من مواجهة قضية العلاقة بين هذه الدولة وبين القوى التى تساندها فى الخارج ، وفى مقدمة هذه القوى الجماعات والافراد اليهود .

أما هرتزل فقد كان خطه واضحا تماما ، انه لا يعتبر المشكلة اليهودية مشكلة اجتماعية أو دينية ــ مهما تكن الصورة التى تظهر بها هذه المشكلة بحسب الزمان او المكان ، انها لديه مشكلةقومية، ومن أجل حلها يتعين قبل كل شىء معالجتها سياسيا ، وعلى الصعيد العالمى ، ومشروعه يقوم أساسا على خلق سيادة سياسية جديدة على قطعة أرض لصالح شخصية معنوية هى « جمعية اليهود » Society of Jeus. تمثل الشعب اليهودى كله، وقدسجل فى يومياته بعد مؤتمربال مباشرة :

« لو طلب منى تلخيص مؤتمربال فى كلمة ــ وعلى أن أحرص على عدم تلفظها بصوت عال ــ لكانت هى : فى بال اسست الدولة اليهودية » (١) .

وفى نفس الوقت ، فان نقطة البداية لديه من أجل الحصول على تصريح بانشاء الدولة اليهودية هى أن « جمعية اليهود » ، فى اتصالاتها مع السلطات صاحبة السيادة على الارض ، ستقوم بالمفاوضة معها « تحت حماية القوى الاوروبية » **بحيث أن الدولة اليهودية ستكون بالنسبة لأوروبا « جزءا من متراس ضد آسيا » وستكون « نقطة الحراسة المتقدمة للمدينة ضد البربرية »** (٢) .

ولكن مفكرا يهوديا آخر معاصرا لهرتزل وحضر معه المؤتمر الصهيونى الاول فى بال عام ١٨٩٧ عارض هذا النظر ، يقول **آشرجنزبرج** المعروف

---

(١) يوميات هرتزل ، كتب فلسطينية ، ص ٨٩
(٢) Th. Herzl, L'etat Juif, Paris, 1926, P. 89, 95.

باسم **احاد هاعام** « ان مركز فلسطين الجغرافى وأهميتها الدينية لكل العالم » لابد أن ينكر عليها الى الابد وضع الدولة الصغيرة العادية — لانها ستكون دائما « كرة قدم » فى لعبة « المصالح » التى تتبارى حولها القوى العظمى ، **ان الشعوب لن يكون لديها احترام للقومية اليهودية التى تحاكى — مثل القرود — نفس النوع من القوميات الاخرى ، ان القومية اليهودية المقلدة لن تجد اعترافا من باقى الشعوب ، بل ستعمد هذه الشعوب الى « استئجارها كى تعمل فى خدمة الآخرين »** .

ومن هنا دعا أحاد هاعام الى أن يكون هدف الصهيونية هو انشاء مركز روحى فى فلسطين ، لا تكون له طبيعة سياسية ، بل يظل بعيدا عن اهتمامات القوى العالمية (٣) .

ويأتى **ناحوم جولدمان ليربط الفكرتين معا ، فيدعو الى أن تكون الدولة اليهودية « مركزا روحيا فى صورة دولة ذات سيادة » (٤)** .

ولكن اسرائيل حاليا كما يسلم بذلك الصهيونيون « دولة ذات سيادة » . فما هو الجديد الذى يقدمه بالنسبة لها جولدمان ،ويستمده منفكرة **المركز الروحى** ؟ وما هى الوظيفة التىتؤديها هذه الفكرة حاليا فى سبعينات القرن العشرين ، وبعد أكثر من عشرين عاما على انشاء الدولة — للقوى والمصالح التى يتكلم باسمها جولدمان ؟

لكى نجيب على هذه الاسئلة يجب أن نوضح الفرق بين « المركز الروحى » الذى يدعو الى انشائه ناحوم جولدمان فى شكل دولة ذات سيادة ، وبين « المركز الروحى » الذى كان يدعو أحاد هاعام الى خلقه ، ان المصالح الطبقية التى تقف وراء كل من الدعوتين توضح لنا افكار جولدمان التى عرضها فى مقاله الذى نناقشه .

وقبل ذلك يتعين أن نعرض لماذا يحرص جولدمان على تأكيده ، فى هذا المقال ، بشأن الجهد الذى بذلته وتبذله الصهيونية العالمية لانشاء وبقاء اسرائيل ، والنتائج التى يستخلصها الكاتب من ذلك ، ثم النزاع الذى قام بين زعماء المنظمة الصهيونية العالمية ، وبين حكام اسرائيل بعد انشائها .

— ١ —

يقرر جولدمان فى مقاله انه « بدون تضامن يهود العالم وتعاونهم ما ظهرت اسرائيل الى الوجود ، فمن المضحك الزعم بأن ٦٥ ألف يهودى كانوا يستطيعون بدون مساندة سائر اليهود ان يؤسسوا الدولة اليهودية فى قلب العالم العربى ، وبدون مساعدات اقتصادية ومادية وسياسية من المجتمعات اليهودية فى المنفى ، ما استطاعت الدولة اليهودية ان تكفل وجودها ، وان تنمى اقتصادها أو تشيد جيشها الفذ ، وان توفر امكانيات الهجرة لاكثر من مليون ونصف يهودى معوز ، ودعما لهذا كله يصبح التضامن شرطا ضروريا لمستقبل اسرائيل » .

ويحسم جولدمان القضية قائلا : « لو أننا افترضنا جدلا أن اليهود فى الخارج اتجهوا الى الاندماج (فى الشعوب التى هم بينها) الى حد أن يفقدوا كل اهتمام بدولة اسرائيل ، فان بناء هذه الدولة يصبح شبه مستحيل » .

وكان من الطبيعى اذن بعد قيام الدولة ، أن يبدأ زعماء الصهيونية العالمية فى التدخل فى شئون الحكم ، والمشاركة فى تخطيط سياسة الدولة وتمثيلها فى المحافل الدولية ، وقد أثار هذا التدخل تذمر الحكام الاسرائيليين ، واسفر عن نشوب خلاف عنيف بين **بن جوريون** وبين قادة الصهيونية العالمية ، وفى مقدمتهم ناحوم جولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية .

وفى أول مؤتمر صهيونى يعقد بعد قيام الدولة — المؤتمر الثالث والعشرين الذى عقد فى اغسطس ١٩٥١ — نوقش وضع المنظمةازاءالدولة، وارتأى المؤتمر ضرورة ان تمنح الدولة للمنظمة وضعا قانونيا بصفتها الممثلة ليهود العالم ، واثناء عرض مشروع القانون المذكور امام الكنيست فى العام التالى ثار الجدل حول تعريف المنظمة ، هل هى الممثلة لكل الشعب اليهودى ، ام الوكالة المخولة السلطات نيابة عن الشعب اليهودى ، التعريف الاول يعطى نوعا من الاصالة والاستقلال للمنظمة ، بينما يخضعها التعريف الثانى للدولة ، وتمسك بن جوريون بهذا التعريف وصدر به القانون التشريعى فى ١٩٥٢/١١/٢٤ ينص على ان : « تعترف دولة اسرائيل بالمنظمة الصهيونية ، على انها الوكالة المخولة السلطات ، والتى سوف تتابع

---

(٣) مرجعنا بشأن احادها عام ونصوصه هنا وفيمايلى هو :
Arthur Hertzberg, The Zionist Idea, 1966, P. 51 - 72, 247 - 277.
(٤) من حديث له مع صحيفة عل همشمار يوم ١٠ابريل ١٩٧٠ .

عملها فى دولة اسرائيل لتنمية البلاد وتوطيدها ولاستيعاب المهاجرين من الدياسبورا » .

وتتابعت الوثائق القانونية التى تؤكد هذا المفهوم ، وتوثقت العلاقة على هذا النحو بين الدولة والمنظمة ، واصبحت هذه الاخيرة امتدادا للاولى فى الخارج ، ففى بيان القاه بن جوريون امام الكنيست عام ١٩٥٢ يقول : « انه نظرا لان السلطة المنبثقة عن سيادة الدولة لا يمكن ممارستها الا فى نطاق اقليمها ، ولاتسرى الا على مواطنيها فقط ، فان هذه الميزة التى تتمتع بها الدولة تعتبر فى ذات الوقت قيدا عليها — فثمانون بالمائة من الشعب اليهودى مازال موجودا خارج حدود الدولة ، ولايمكن لدولة اسرائيل ان تتدخل فى الاوضاع الداخلية للجاليات اليهودية فى الخارج ، ولا تستطيع توجيههم او ان تفرض مطالبها عليهم .. ان المنظمة الصهيونية التى تقوم على اساس الارتباط والنشاط التطوعى فى مقدرتها تحقيق المهام التى تتعدى نطاق سلطة الدولة ، وهذه ميزة المنظمة الصهيونية العالمية عن الدولة » .

وهذه العبارة الاخيرة تؤكد تبعية المنظمة للدولة باعتبارها اداة لها خارج حدودها (٥) .

ووصل الامر بهذه التبعية الى حد اعلان بن جوريون فى المؤتمر الخامس والعشرين للمنظمة (عام ١٩٦٠) « **ان مهمة المنظمة الصهيونية العالمية السياسية قد انتهت بقيام دولة اسرائيل**، ولذلك فلا يجوز لغير ممثلى حكومة اسرائيل الرسميين حق تمثيلها فى الخارج ، ولم يبق للحركة الصهيونية من واجبات تجاهدولة اسرائيل سوى تقديم الجبايات ، وحمل المهاجرين اليهود اليها ، ومساندة سياستها فى المحافل الدولية » (٦) .

وفى هذه الاثناء كان بن جوريون يواصل التشهير باليهود وبزعماء الصهيونية العالمية المقيمين خارج اسرائيل ، فهو يرى ان الصهيونى الذى يبقى خارج اسرائيل يشوه معنى الصهيونية ، « كيف يجوز لليهودى ان يدعو نفسه صهيونيا مع انه يتجاهل اهم دعائم الدعوة .. الا وهى الهجرة الى صهيون ! » وفى اكتوبر ١٩٥٢ القى بن جوريون خطابا وجه فيه نقدا مريرا لناحوم جولدمان لانه لم يأت للسكن فى فلسطين ، وهو يستند الى التلمود للقول **بأن كل يهودى باستطاعته الرجوع الى فلسطين ومن لا يعود يعتبر خارجا عن الدين تاركا الله** . وهكذا اعتبر بن جوريون يهود امريكا انهم بدون اله . (٧) .

ووراء هذا الصراع القانونى والايديولوجى كان ثمة صراع بين القوى والمصالح العالمية ، لقد اتخذ بن جوريون خطا سياسيا تحدى به المصالح الصهيونية فى امريكا ، وقت ان كان محور بون — باريس يتحدى زعامة امريكا فى أوربا ، واخذ بن جوريون يرتبط علنا بهذا المحور .

« واثار تصرفه هذا سخط الحكومة الامريكية كما غضب عليه فريق كبير من اقطاب حزب **الماباى** من ذوى الميول الامريكية ، وفى ذلك الحين توافد على اسرائيل مبعوثو الرئيس كيندى يحملون الى بن جوريون مذكرات خاصة من الرئيس الامريكى يحدد لاسرائيل مكانها فى اطار المصالح الامريكية ويطلب منها عدم تحدى هذه المصالح ، كما وفد على اسرائيل رسل القيادة الصهيونية العالمية فى أمريكا يطالبون الحكومة الاسرائيلية فى شخص بن جوريون ، بوجوب مراعاة المصالح والمقدرات الامريكية ، ولكن بن جوريون كان يرجو من وراء التصاقه بأوربا امتلاك القنبلة الذرية (٨) . ورد على مذكرات الرئيس كيندى طالبا عقد معاهدة عسكرية مكشوفة بين أمريكا واسرائيل تلزم امريكا نفسها بموجبها بالدخول فى الحرب الى جانب اسرائيل عند اصطدامها بالدول العربية ، ولم يستجب لوساطة القيادة الصهيونية » .

وكان من الطبيعى ان مراكز الثقل الامريكية مع هذه القيادة ومع زعماء حزب الماباى الذين ضاقوا ذرعا بتصرفات بن جوريون داخل الحزب ، للاطاحة ببن جوريون وتعيين **ليفى اشكول** رئيسا للحكومة بدلا منه ، واستدعت الحكومة الامريكية الرئيس الجديد لزيارتها وهناك حددت له مكانة اسرائيل فى اطار المصالح الامريكية (٩) .

---

(٥) انظر فى هذا كله : مصطفى عبد العزيز ،اسرائيل ويهود العالم ، دراسات فلسطينية ص ١٠٣ وما بعدها :

John Davi s, The Evasive Peace, Lond on, 1968, P. 73 - 86.
E. S. Eisenstadt, IaraeliSociety, London, 1969, P. 372 - 375.

(٦) ابراهيم العابد ، الماباى الحزب الحاكم فىاسرائيل ، دراسات فلسطينية ، ص ١٢٠
(٧) انظر فى هذا كله تهانى هلسة ، دافيد بنجوريون ، دراسات فلسطينية ، ص ١٦٥ — ١٧٩
(٨) يمكن مقارنة هذا الموقف بماحدث قبل العدوانالثلاثى واثناءه وبعده .
(٩) ابراهيم العابد ، الماباى ، المرجع السابق ،ص ١٢١ و ١٢٢.

ولكن اسرائيل الدولة مازالت تسبب الازعاج الشديد للجماعات اليهودية فى الخارج ، **ويأتى مقال جولدمان تعبيرا عن هذا التوتر الشديد فى العلاقة بين الطرفين** .

فهناك **أولا** — المشكلة المعروفة باسم الولاء المزدوج ، فالتضامن اليهودى الصهيونى مع الدولة كثيرا ما يتعارض مع مواقف كثير من الدول التى ينتمى اليها هؤلاء اليهود كمواطنين .

يقول جولدمان :

« ان مشاركة دولة اسرائيل فى السياسة الدولية وصراعها مع الدول العربية لابد أن يجر حتما السياسة الاسرائيلية الى مواقف تؤدى الى التصادم مع الاتجاهات السياسية لدول أخرى عديدة ، وهذا لابد وأن يفضى بدوره . وفى الظرف الراهن لقومية الدولة ، الى مشاكل — بقدر ما يمس ذلك ارتباط يهود الدياسبورا وتضامنهم مع الدولة » .

ذلك أن السياسة التى تتخذها اسرائيل « قد تكون لها تبريراتها المقبولة تماما من وجهة نظر الدولة كما هى الان ، لكنها تخلق صعوبات بالنسبة لليهود الذين يعيشون فى البلدان التى تختلف مع اسرائيل (١٠) . (وما حدث فى فرنسا يعد صورة واضحة لذلك) » .

ولقد نشرت احدى الصحف السويسرية حديثا مع ناحوم جولدمان ، جاء فيه (١١) :

س : هل يمكن اعتبار المنظمات اليهودية فى الدياسبورا مع المؤتمر اليهودى مثلا حالة ضغط على اسرائيل

ج : لا أبدا ، لان يهود العالم هم فى حالة خوف دائمة ، بل فى حالة خوف متناهية ، لذلك يتجنبون التدخل فى السياسة الاسرائيلية .

أولا : لان اسرائيل لا تقبل تدخلهم لانها دولة فتية فخورة بسيادتها .

ثانيا ، لان يهود الدياسبورا يحملون جنسيات مختلفة ، وهم مقيدون باتباع سياسة الدول التى يقيمون بها .

وفى حديث صحفى آخر بتاريخ ١٧ أبريل سنة ١٩٧٠ [١٢] ، قال جولدمان انه يجب ان تكون اسرائيل دولة توحى بارتباط اليهود العاطفى والدينى والمعنوى الصريح لها دون أن يكونوا مضطرين ومقيدين بابداء نوعين من الاخلاص : **الاول** للبلد الذى يسكنونه ، **والثانى** لاسرائيل . ويجب على اسرائيل أن تعرف أن تدخلها الدائم فى مسرح السياسة العالمية يخرج موقف اليهود فى بعض بلدان العالم ، ويصعب عليهم مواصلة تأييدها ومعونتهم لها .

ويخلص جولدمان من ذلك كله بنتيجة تناقض تماما نظرية بن جوريون ، فلديه :

« **أن كل هذا يعنى أن دولة يهودية تحتاج الى تضامن وتعاون أغلبية كبيرة من الشعب اليهودى لبقائها ، يجب ان تتميز بطابع يمكن أن يجذب تعاطف الطوائف اليهودية أينما تعيش** » .

ثانيا : الاثار التى تترتب على استمرار موقف اسرائيل من الدول العربية ، والخطورة الشديدة

آحاد هاعام

ولد آحاد هاعام باسم آشر جنزبرج فى اوكرانيا الروسية فى ١٨ اغسطس ١٨٥٦ ؛ كانت عائلته تنتمى الى الارستقراطية العليا فى الجيتو اليهودى ، كانت دراسته دينية بحتة حتى أن معلمه كان ممنوعا من أن يعلمه حتى الحروف الروسية لئلا يقوده ذلك الى المروق ، ولقد وصل آشر جنزبرج فى منتصف مراهقته الى ان يكون عالما مرموقا فى التلمود ودراساته ؛ لكنه واصل دراساته خارج المجال الدينى ونشر مقالته الاولى « ليس هذا هو الطريق » فى ١٨٨٩ وكان سنه ثلاثة وثلاثين ، ووقعها باسم « آحادهاعام » أى « واحد من الشعب » واصبح هذا هو اللقب الذى عرف به بعد ذلك

ولقد كان آحاد هاعام معارضا تماما للجهود التى كانت تبذل وقتئذ لاستيطان فلسطين بوساطة اليهود ..

وكان يرى أن هذا العمل يجب أن يتم ببطء وبعناية تامة ، وكان آحاد هاعام معارضا للفكر الهرتزلى — ولم يحضر سوى المؤتمر الصهيونى الاول ، ولكنه كان صديقا لوايزمان ويحفظ له هذا الاخير تقديرا كبيرا سجله فى صفحات كتابه « التجربة والخطأ » . وتوفى يوم ٢ يناير ١٩٢٧ .

---

(١٠) انظر دعوة بن جوريون البالغة التطرف لليهود الامريكيين وغيرهم لان يرتبطوا اولا باسرائيل قبل بلادهم — تهانى هلسة ، المرجع السابق .

(١١) صحيفة التاجس انسايجر (زيورخ)

(١٢) صحيفة الوت ووخه

الناتجة من هذا الموقف مع كيان اسرائيل ومستقبلها ، وبالتالي على المصالح العالمية الاقتصادية والسياسية المرتبطةبوجودهذه الدولة ٠

يقول جولدمان فى مقاله:

« ان الامل الذى يراود بعض قادة اسرائيل بأن الوقت سيكون فى صالحهم ، وأن العرب وهم يدركون مقدرة اسرائيل العسكرية سيكونون اكثر استعدادا لتقبل وجود اسرائيل كأمر واقع ـ أقول ان هذا الامل يبدو لى متعلقا بفروض واهية جدا ٠٠ » يؤكد ذلك من ناحية « التفوق العددى الكبير للشعوب العربية التى لا يمكن لاى هجرة يهودية مهما اتسع نطاقها أن تطمع فى مجاراتها » كما انه من ناحية اخرى فان التفوق الاسرائيلى الكيفى لا يمكن الاعتماد عليه الى الابد ٠

« فالشعوب العربية قد شيدت فى الماضى حضارة زاهرة ، ولاشك انها ستمتلك فى يوم ما وسائل المعرفة التكنيكية الغربية فى كلا المجالين السلمى والعسكرى » ٠

ثالثا : هناك تبرم اليهود خارج اسرائيل ـ خصوصا الشباب ـ من حالة الحرب الدائمة التى تعيش فيها اسرائيل ٠ « اننى لست متأكدا من أن حماس وولاء الشعب اليهودى خارج اسرائيل سيظل وفيا لهذه الدولة الى الابد »

وبالتالى فان اسرائيل لن تستطيع أن تجذب اليها الشبان اليهود وهم المرشحون الطبيعيون للهجرة الى اسرائيل ٠

وفى حديث مع جريدة الوت دوخه بتاريخ ١٧ أبريل سنة ١٩٧٠ قال ، اجابة على سؤال وجه اليه بشأن آمال اسرائيل فى البقاء :

« هذه الامالكبيرة ،لكن اذا واظبت اسرائيل على اتباع سياستها الحربية الحالية فان يهود العالم سوف يبتعدون عنها تدريجيا وخاصة الشبيبة الحالية التى تكره وتقاوم القومية المتعصبة ٠ ان جميع شباب امريكا اليهود ، او شباب اسرائيل الموجودين فى أمريكا يهاجرون الى كندا للتهرب من الخدمة العسكرية ، وكثير من المفكرين اليهود الامريكان يعارضون فكرة الحرب الدائمة ضد العرب ، واذا بقيت اسرائيل فى طابعها العسكرى فان الكثيرين من الجيل اليهودى الجديد سوف ينكرون انتسابهم أو تعلقهم باسرائيل ، وخاصةان معظم هؤلاء لهم نزعات يسارية متطرفة » ٠

رابعا : وبالاضافة الى عداء العالم العربى المتصاعد من وجهة النظر الدولية ، فقد أصبح الوضع السياسى لاسرائيل كذلك أشد حرجا وانعزالا (وسط المجتمع الدولى) فهى قد فقدت الكثير من العطف الذى نالته نتيجة لتهديدات العرب عام ١٩٦٧ بابادة يهود اسرائيل فى حالة انتصارهم ونتيجة للاعجاب الذى أثاره انتصارها الساحق »

هذا فى حين أن « جماعات رجعية وقومية فى مناطق كثيرة من العالم ،اصبحت معجبةباسرائيل وعاطفة عليها ، بينما صارت بلدانعديدة من العالم التقدمى معادية لاسرائيل ومخيبة لامالها » ٠

وفى مقال نشره جولدمان بجريدة ها آرتس الاسرائيلية يقول : « ان قرارى بقطع صمتى يرجع الى مخاوفى الخطيرة من انه اذا استمرت اسرائيل على خط سياستها الحالى فان موقفها السياسى الخارجى ، من نقطة رؤية دولية سيكون أكثر عسرا وامتلاء لشحنات متفجرة »

ومن أجل الوصول الى حل لهذه المشكلات المعقدة ، بدأ ناحوم جولدمان يعيد النظر فى شكل دولة اسرائيل ، يقول فى مقاله :

« بعد اكثر من خمسين عاما من النشاط الصهيونى ، منها عشرات السنين فى مجال الدبلوماسية الدولية، وعندما ألقيت نظرة الى الوراء على الخبرات التى اكتسبناها خلال العشرين سنة التالية على انشاء دولة اسرائيل بدأت تساورنى الشكوك فيما اذا كانت اقامة دولة اسرائيل فى صورتها الحالية ـ دولة مثل جميع الدول شكلا وبناء ـ يعد أكمل تحقيق للفكرة الصهيونية »

ولهذا فانه يطرح امكان تحول اسرائيل الى مركز روحى فى صورة دولة ذات سيادة ، تحولها الى « مركز عالمى رئيسى للثقافة »

وقبل أنننافش كيف يحلهذا المركز ـ منوجهة نظر جولدمان ـ المشكلات المعقدة التى تواجهها الصهيونية العالمية واسرائيل ، ويؤدى وظيفة حيوية للقوىوالمصالحالتى يتكلم جولدمان باسمها، علينا أن نتعرف على الاصل التاريخى لهذه الفكرة فى

التراث الصهيونى • وبالذات فى نظرية **أشرجنزبرج** المعروف باسم أحاد هاعام •

- ٣ -

يؤمن احادها عام بتفرد « الشعب اليهودى » وتفوقه ، ويمكن أن يقارن موقفه هذا بموقف **نيتشه** من السوبرمان ، وفى مقال كتبه أحاد هاعام عن هذا الفيلسوف الالمانى، يرى الكاتب أن الخطأ فى نظرية نيتشه أساسه هو كيفية تحديد السوبرمان ، فبدلا من الآرى الاشقر يقدم أحادهاعام البطل الاخلاقى ، وهويرى أن النظرة النيتشوية التى تقول بأن الاخلاق هى قيود اخترعها الضعفاء ، هذه النظرة هى النقيض لليهودية ، فاذا عكست فكرة نيتشة ، وأصبحت الروح هى العليا - إختفى أعتراض أحادهاعام على السوبرمان •

وفى رأى أحاد هاعام أنه اذا كان من اللازم أن يظل السوبرمان « نموذجا دائما للحياة الانسانية وليس مجرد نزوة ، فلابد من وجود مجال ملائم يولده » •

وثمة شعب ، الشعب اليهودى « له من الخصائص الفطرية ما يجعله أكثر ملاءمة من باقى الشعوب للتقدم الاخلاقى ، اذ يحكم نظام حياته قانون أخلاقى أسمى من النموذج العادى للاخلاق » •

ولدى أحاوهاعام، أن القومية الاممية أى [غير اليهودية) مغروسة فى القوة ، ولكن « سر بقاء شعبنا هو •• أنه منذ وقت مبكر جدا علمه الانبياء أن يحترم قوة الروح وحسب ، وان لا يعبد القوة المادية »

ومن هنا استخلص احادهاعام نتائج هذا التعارض الجوهرى بين اليهود ، وبين العالم السياسى، فهولم يفكر فقط فى إمكان الوصول الى دولة سياسية يهودية عادية ، بل لقد وصل الى مدى أبعد ليكون المفكر الصهيونى الاول الذى ينكر أن مثل هذه الدولة يمكن يوما أن تكون عادية حقا • ففى أعقاب المؤتمر الصهيونى الاول عام ١٨٩٧ **أعلن أحادهاعام ، أنه حتى اذا تجمع كل اليهود فى فلسطين فان هذا لا يمكن أن يحل المشكلة اليهودية** • « ان مثلا أعلى سياسيا ليس مغروسا فى ثقافتنا القومية يؤدى الى غوايتنا بعيدا عن الاخلاص لروحنا الداخلى ،وعلى أن يولد فينا ميلا للبحث عن طريق المجد بالوصول الى القوة المادية والسيطرة السياسية ، وبهذا ينقطع الخيط الذى يربطنا بالماضى وينهار أساسنا التاريخى » • ويضيف « ان مركز فلسطين الجغرافى وأهميتها الدينية لكل العالم » لابد أن ينكر عليها الى الابد وضع الدولة الصغيرة العادية ، لانها ستكون دائما « كرة قدم » فى لعبة « **المصالح** » **التى تتبارى فيها القوى العظمى ، ان الشعوب لن يكون لديها احترام للقومية اليهودية التى تحاكى - مثل القرود - نفس النوع من القومية • لن تجد هذه القومية المقلدة اعترافا من باقى الشعوب ، بل ان هذه ستعمد الى « استئجارها كى تعمل فى خدمة الاخرين »** •

ماذا عن مكان أحاد هاعام داخل العالم اليهودى ؟

لقد كان يرى أن التاريخ لا يروى وحسب صراع اليهودى من أجل البقاء وسط عالم معاد ، بل ان اليهودية عاشت فى توتر بين قيم صفوتها الحقيقيين « رجال الروح » وبين آلاف القوى الداخلية التى كانت تهدد بتفتيت الشعب ، وتجميد ثقافته ، والقائه فى متاهة يبحث خلالها عن قيم زائفة •

هنا يعبر أحادهاعام عن موقف طبقته داخل **الجيتو** الذى كان فى طريقه الى الانقراض • فلم يكن غريبا منه كمثقف يشعربان مصيره هوالفشل فى الحياة العملية ، أن يصور حلمه فى شكل جماعة يهودية ساكنة يقوم تنظيمها على تقديس « رجال الروح » • كان لديه احتقار للعامة ، مثله مثل **افلاطون** الذى لم يكن لديه ممكنا قط للملك الفيلسوف ان يفوز فى الانتخابات العامة • بل ان التاريخ الداخلى الحديث للجيتو كان يدور حول الصراع بين الاقلية السائدة التى تتكون من علماء التقاليد الدينية الذين كان الاغنياء يوقرونهم ويطيعونهم وبين الجماهير •

ويضيف هنا مؤرخ الفكرة الصهيونية ارثر **هرتزبرج أن هذه الحرب الطبقية التى لم تدرس بعد دراسة كافية هى أحد الاسباب الجذرية لكثير من مظاهر التاريخ اليهودى الحديث ، وأن التوترات الناشئة عنها لم تندثر** •

ان أحادهاعام هو أحد أشراف الجيتو ، ولقد ظل يعتقد أن التاريخ اليهودى كان على الدوام -

وسيظل كذلك ــ هو تاريخ هذه الطبقة • ان ما يفسر موقفه هو محاولته وسط كل الاضطرابات الجديدة التى ملأت القرن التاسع عشر ، الدفاع عن سيادة طبقته •

ففى المجتمع الاوربى أعلن العصر الثورى فى القرن التاسع عشر نهاية سيادة طبقة الاشراف ورجال الدين فى المجتمع الاوربى ككل ، واخذت هذه الثورة داخل الجماعات اليهودية صورة التمرد على الصفوة القديمة التى كان يراسها علماء المجمع ، ان الزعيم القديم الذى كان مركزه يقوم على شهرته فى التقوى والعلم الدينى ، والذى كان السند الوحيد لتميزه هو رأى الجماعة من الداخل ، حل محله الزعيم الجديد الذى كان أساس تفوقه هو انجازاته فى المجال الزمنى العلمانى ، الذى كان يحظى بالتقدير من المجتمع الواسع الكبير • وكان أحد الاثار التى ترتبت على هذا التطور ، هو تحرير الاغنياء اليهود ــ لاول مرة فى التاريخ اليهودى ــ من القيود الباقية المفروضة على ارادتهم من جانب الحاخامات ، هؤلاء الاغنياء بعد انطلاقهم دون قيود لم يكن من الممكن تقييدهم ــ الا بتنظيم الجماهير لمواجهتهم ، وهذا ما أدركه هرتزل تماما وقام بتنفيذه ، وثمة نتيجة أخرى هى لاول مرة أيضا ظهور المثقفين اليهود ذوى الصلات الوثيقة بمجرى الثقافة العام فى المجتمع ، والذين كانوا يستطيعون أن يقدموا الثقافة اليهودية كما تقدم الثقافة اللاتينية أو الاغريقية ، وهنا ايضا يمثل هرتزل نموذجا لهذا التطور فى الجماعة اليهودية •

هاتان الطبقتان اليهوديتان الجديدتان ــ البرجوازية والمثقفون ــ كانتا فى موقف العداء للطبقة التى يعبر عنها أحادهاعام ، ولهذا كان لابد لديه من تحطيم أسانيد تفوقهما ، كان يقول ان الشخص الاصيل ليس من يقف خارج جماعته أو يمضى الى جماعة لم يولد فيها ، ولا يمكن للرجل فى رأيه أن تكون له كرامة انسانية الا اذا وقف داخل قومه وعكس قيمهم ، أما الخارجون فلن يصبحوا الا « عبيدا وسط الحرية » •

ولكن التغيرات الواسعة التى شهدها النصف الثانى من القرن التاسع عشر ولدت عدوا جديدا ــ واكثر خطورة ــ للطبقة التى كان يعبر عنها أحادهاعام ، فلقد كانت الجماهير، خصوصا بعد ثورة ١٨٤٨ ، تواصل صعودها فى مسرح التاريخ ، وواصلت الجماهير ضغطها فى الغرب الليبرالى مطالبة بالتحكم المباشر فى أمور الدولة ، عن طريق الحكومات البرلمانية ، كما أن هذه الجماهير هى القوة التى قامت بالثورات لصالح القوميات المقهورة ، والطبقات المحرومة ، ومن الطبيعى أن تصاحب هذه التطورات العنيفة الفكرة التى تقول بأن القادة الحقيقيين ليسوا الابناء المحظوظين ، او حتى المثقفين ، ولكن « ابناء الشعب » • وواضح أن هذا الدور السياسى كان مفتوحا للجميع ــ لكل من يستطيع ان يقوم به، ولم يكن مقفولا فى وجه اليهود ، بل ان العلاقات داخل الجماعات اليهودية نفسها تاثرت بما يجرى فى المجتمع الكبير ونشأت فيها الجماعات السياسية التى تعارض سيادة الحاخامات والاغنياء ، وتسيست الحياة اليهودية الداخلية، وتعتبر حزب **البوند** المثل الواضح لهذا الطابع الجديد •.

وهكذا ، كانت أحدث صورة للصفوة الجديدة فى القرن التاسع عشر هم رجال الاحزاب والحركات الذين كانوا يستمدون قوتهم فى الصراع ــ للتحكم فى الجماعة اليهودية من دعواهم أنهم «يتكلمون باسم الجماهير » •

ما هو موقف أحادهاعام من هذه الصفوة الشعبية الجديدة ؟

الانكار التام ، لانها تدعو الى الاندماج فى المجتمع الكبير ــ الامر الذى يتناقض تماما مع الفكرة القومية •

الوكالة اليهودية

اصدرت [عصبة الامم] عام ١٩٢٢ [] صك الانتداب [ ] ، وفيه انتدبت بريطانيا لادارة فلسطين ، ونص الصك على ضرورة انشاء [وكالة يهودية] للاشراف على شئون السكان اليهود فى فلسطين ، ولكى تستشيرها حكومة الانتداب فيما يخص ادارة البلاد وشئون السكان اليهود .

وفى أغسطس [آب] ١٩٢٩ أصدر المؤتمر الصهيونى المنعقد فى زيوريخ قرارا بتشكيل [الوكالة اليهودية] ، واصدر دستورا خاصا بها .

وكانت الوكالة فى واقع الامر الحكومة الحقيقية الخفية للسكان اليهود طوال فترة الانتداب ، ثم سرعان ما تحولت الى حكومة ظاهرة بمجرد انسحاب القوات البريطانية عام ١٩٤٨ من فلسطين .

بل انه في اطار هذه الفكرة القومية ذاتها ، كان ينقد جماعة « أحباء صهيون » التي كانت تؤسس المستعمرات في فلسطين . فلديه أن مستقبل هذه الجماعة كان – لا في ارسال الجماهير بلا تمييز الى فلسطين ، بل في تغذية المستعمرات التي تنشئها هناك برجال ونساء من أعلى مستوى روحي .

وعلى أساس هذه الفكرة المزدوجة : التعالي على شعوب العالم ، وعدم الثقة في قوة الجماهير اليهودية وقيمها ، بنى أحادهاعام فكرته التي ارتبطت باسمه : انشاء المركز الروحي في فلسطين .

فهذه الجماعة الصغيرة – المركز الروحي – المجردة من الدور السياسي هي وحدها التي يمكن أن تترك بعيدا عن اهتمامات القوى العالمية ، كما أن وضعا آخر أكثر من ذلك يتجاوز امكانيات القلة المستنيرة ، الصفوة القومية ، كما أن تحليله للواقع اليهودي المعاصر ، ادى به الى القول بأنه لم تعد ثمة جماعة يهودية حقيقية ، لان ماتقوم عليه – الجيتو والتقليد المتوارث – لم يعد موجودا ، في هذه الظروف ، ولا يوجد ثمة أمل سوى القلة لكشف الطريق الى المستقبل ، وهذه القلة لا تجد أرضا أكثر أمنا للابداع من هذا المركز الروحي .

ويقدم أحادهاعام حجة تاريخية لوجهة نظره ، حدث اثناء الحرب التي ادت الى هدم المعبد، أن قدم القائد الروماني تيتس الى الفرنسيين في شخص زعيمهم الحاخام يوحنا بن زكاي ، عرضا بمنح نوع من السيادة السياسية لن يبقى في فلسطين ، بل وفرصة لاعادة بناء الهيكل ، ولكن الفرنسيين – اختاروا عوضا عن ذلك أن يكون لهم الحق في انشاء مركز ثقافي في مدينة بلا أهمية سياسية أو عسكرية – هي مدينة جامنيا . ولدى احادهاعام ان اعادة انشاء جامنيا هو الذي امكن معه مواجهة التهديد الخطير للوحدة اليهودية في مهده ، وفي رأيه ، ان الفريسيين نقلوا الحياة اليهودية من المجال السياسي ، لانهم شاهدوا الهزيمة الكاملة لشعبهم بوساطة روما – رمزة القوة ، ورأوا أن اعداءهم داخل الجماعة اليهودية وهم المتمردون الشبان الذين قاموا بالثورة ، قد ساروا بالجماهير الى النكبة ، وهكذا كانوا واثقين من أن قيمهم التي تقوم على سيادة الروح لابد أن تسود في المستقبل عن طريق جامنيا ، نعم ان ذلك المركز الثقافي (الفريسي) لم يستمر الا بضعة قرون قليلة ، ولكن القيم التي تكونت داخله سادت وغذت الجماعات اليهودية المشتتة الى العصر الحديث تقريبا ، فأي دليل أقوى من هذا على ضرورة المركز الروحي ؟

وهكذا جاء الهجوم المضاد ضد هرتزل من آحادهاعام ، لدى هذا الاخير كانت المشكلة القومية الحقيقية لليهودية هي ضمان بقاء الروح والثقافة اليهوديتين في العالم الحديث . **فهو يرى أن هدف كل جهود الحركة القومية اليهودية يجب الا يكون « احتياجات اليهود » كما كان آحادهاعام يصف اهتمامات هرتزل ، ولكن « احتياجات اليهودية » .**

يرى أحادهاعام في مقاله عن « الدولة اليهودية والمشكلة اليهودية » الذي كتبه بعد شهور قليلة من مؤتمر بال عام ١٨٩٧ أن ثمة خطرا على اليهودية من ان تستوعب في التيارات الثقافية المحيطة بها . فطالما أن اليهودية « في المنفى » فلا يمكن أن تنمي ذاتيتها ، ولهذا فانها تجتهد للعودة الى « مركزها التاريخي » حيث يمكن أن تكون قادرة على الحياة وأن تنمو بطريقة طبيعية وأن تشارك في الخصيلة الانسانية العامة ، ومن هنا فهي ليست في حاجة الى دولة مستقلة ، ولكن الى أن توجد في أرضها الاصلية الظروف الملائمة لنموها ، أي مجموعة من اليهود المقيمين هناك ، يعملون دون معوقات في فروع الحضارة من الزراعة والاعمال اليدوية الى العلم والادب ، هذا التوطن الذي سيكون نموه تدريجيا ، سيصبح مع الوقت مركز الامة ، ومنه ستشع روح اليهودية الى المحيط الكبير ، الى كل جماعات اليهود **في الدياسبورا** ، كي تفهمهم بالحياة الجديدة ، ولتحفظ في الجميع وحدة الشعب ، وحين تصل الثقافة القومية في فلسطين الى هذا المستوى فلابد أنها ستخرج أناسا في أرض اسرائيل نفسها سيكونون قادرين في الوقت المناسب على أن يقيموا الدولة هناك، وهي دولة لن تكون مجرد دولة لليهود، بل دولة يهودية في الحقيقة .

أما الدولة بدون ذلك فانها ستصبح ككرة يتقاذفها جيرانها الاقوياء ، ولن تحافظ على وجودها الا بالمناورات الدبلوماسية ، والاذعان لاصحاب الاموال ، ولن تمنح قط لليهود الاحساس بالمجد القومي ، والثقافة القومية .

أما المقارنة بين فلسطين والدول الصغرى مثل سويسرا التي لديها الحماية من تدخل الدول الاخرى – هذه المقارنة تتجاهل في نظر أحاد هاعام الوضع الجغرافي لفلسطين وأهميتها الدينية للعالم كله . وهذان الاعتباران لن يدعا جيرانها الأقوياء يتركونها دون تدخل ، وحتى بعد أن تصبح دولة يهودية فكل قوة ستحاول أن تؤثر في سياستها لتتخذ المواقف المؤيدة لمصالح هذه القوة، مثل مايحدث

بالنسبة للدول الضعيفة – تركيا مثلا ، التى للدول الاوربية الكبرى مصالح فيها » •

ان المقال الذى ننشره لناحوم جولدمان ، يكاد ان يكون مجرد صياغة أخرى للافكار التى جاءت فى تراث احادهاعام ، والواقع أن ثمة أوجها عديدة للشبه بين الرجلين ، فكلاهما يؤمن بتفرد الشعب اليهودى وتفوقه ، وكلاهما يدعو الى انشاء مركز روحى فى فلسطين • وهما يحتقران السكان اليهود الموجودين فى الاراضى المقدسة ، ان مقال جولدمان مليء بالنقد لاعمال الدولة اليهودية وزعمائها والروح العسكرية التى تسودها كما سبق القول ، ان ما جاء فى مقال جولدمان وأوردناه من قبل لا يكاد يماثله الا الاحتقار الشديد الذى وجهه احادهاعام للمستوطنين اليهود حين جاء الى فلسطين وشاهد ما يعملونه ، يقول فى مقال كتبه عام ١٨٩١ عن « الحقيقة فى فلسطين » :

« كانوا عبيدا فى بلدان الدياسبورا ، وفجأة وجدوا أنفسهم وسط حرية بلا حدود ، بل وسط حرية لا رادع لها ، ولا يمكن العثور عليها الا فى تركية وحدها ، ولقد ولد هذا التحول المفاجىء فى نفوسهم ميلا الى الاستبداد ، كما هى الحال « حين يصبح العبد المسود سيدا » ،وهم يعاملون العرب بروح العداء والشراسة ، فيمتهنون حقوقهم بصورة معوجة ولا معقولة ، ثم يوجهون لهم الاهانات دون أى مبرر كاف • ويفاخرون بتلك الافعال رغم كل ذلك ••• » (١٤)

وهو فى هذا يعكس احتقاره الطبقى كواحد من اشراف الجيتو، المثقفين لاعمال العامة، الهمجيين المحتاجين للتعليم والتوجيه •

والرجلان أيضا لا يطيقان البقاء فى هذه الارض التى يسكنها هؤلاء الدهماء غير المثقفين ، ان احادهاعام يكتب من فلسطين فى أواخر أيام حياته من هناك الى أحد أصدقائه :

« ماذا أستطيع أن أقول لك عن نفسى المسكينة ، اننى مكسور مبدد كئيب كآبة مطلقة لا شفاء منها ، وكل هذا فى فلسطين التى كانت حلمى لسنين وسنين ، وفى وسط كل هذه البركات أحن الى لندن ••• » (١٥) •

نفس المشاعر تجدها عند ناحوم جولدمان الذى فى حديث له مع صحيفة عل همشمار الاسرائيلية « أخذ يتحدث عن سالزبورج وعالمه الروحى الجميل ، وكان فى كلامه يشعر بالحنين لعالمه الهادىء المتحضر الاوربى والذى يرى جولدمان أنه ينتمى اليه » ويقول :

« اننى أفضل الحياة فى مهرجان سالزبورج وأن أقرأ كتابا جيدا » •

ورغم هذا التقارب بين الشخصيتين فانه يكون تبسيطا غير علمي لو أننا قلنا ان منطلقهما واحد ، وأهدافهما متطابقة •

– ٤ –

يختلف ناحوم جولدمان عن احادهاعام فى أن الاول كما يقول ذلك صراحة فى مقاله «**صهيونى سياسى** » – بالمعنى الفنى لهذا التعبير فى الفكر الصهيونى – أى أن نقطة البداية فى تنفيذ المخطط الصهيونى لديه – على عكس الامر عند احادهاعام – هى اقامة دولة لليهود فى فلسطين ، وفى هذا ينحاز جولدمان الى الفكر الهرتزلى السياسى •

وفى الصراع الداخلى بين مواقف الدولة الاسرائيلية وبين المصالح والقوى العالمية اليهودية الصهيونية والمصالح الاخرى المرتبطة بها ، يعبر جولدمان عن الطرف الثانى ، ولقد وجدنافيما سبق بعض جولات هذا الصراع ، ويريد جولدمان فى مقاله أن يحل هذا التناقض لصالح « الدياسبورا » وذلك باخضاع الدولة خضوعا تاما للصهيونية العالمية ، فهو تحت شعار اقامة دولة متفردة تختلف من ناحية البناء والخصائص عن أية دولة أخرى ، يدعو لان تبقى اسرائيل خارج دائرة سياسة القوى ، وان تستقر فى اسرائيل قوة عالمية رمزية دائمة ، الامر الذى يؤدى – اذا ثبتت فعالية وضمان هذا الضمان الدولى – الى نزع سلاح اسرائيل والغاء جيشها •

وعوضا عن الشكل الحالى للدولة ، يقوم « مركز عالمى رئيسى للثقافة » يكون هو :

---

(١٤) أوردها د. اسعد رزوق ، الصهيونية وحقوق الانسان العربى ، الجزء الاول ، دراسات فلسطينية ، ص ١٠١

(١٥) أوردها بدر الديب ، الله والتاريخ عند الصهاينة ، الجمهورية ، ١١ ديسمبر ١٩٦٩ ،

« الوطن الطبيعى لابداع الشعب اليهودى بأسره ، لهذا سوف تجذب العناصر الموهوبة المثالية من يهود العالم ، كما ستصبح منبعا مشهودا للالهام والتحديات ، وبالمعنى العميق للكلمة المعقل الفكرى للشعب اليهودى » ٠

وبذلك « تمكن الشعب اليهودى من المحافظة على تراثه وتنمية عبقريته والمساهمة فى حضارة العالم » ٠

اما التحييدفانه« يتيحلاسرائيل ان تركزنشاطها على النواحى الاقتصادية والثقافية » لانه « اذا كانت اسرائيل تريد انجاز دورها التاريخى فى تأمين الوجود اليهودى فى العالم كله ، فان هذا يتطلب منها أن تصبح مركزا للتحدى الاعظم ولجذب أفضل عناصر الجيل الجديد وأكثرها مثالية ، هذا الجيل الذى يهدده خطر شديد من ان يفقده على مدى واسع الشعب اليهودى خلال بضع عشرات من السنين » ٠ ذلك أن « وجود ونمو اسرائيل هما اعتباران حاسمان لبقاء الشعب اليهودى بأسره ، إن وجودها كمركز جديد يمكن أن تتواصل فيه الحضارة اليهودية ، وحيث تتولد أفكار جديدة ـ وجودها كمصدر للتحدى والالهام بالنسبة لليهود فى الدياسبورا ، هذا الوجود هو اليوم ضرورة للبقاء اليهودى أكثر مما كان يتصوره الايديولوجيون الصهيونيون قبل حكم النازى » ٠

ماهى النتيجة العملية لهذا التحول فى مصير الصراع بين الصهيونية العالمية وبين اسرائيل ؟٠

واضح أن تجريد اسرائيل من ذاتيتها وقوتها العسكرية ـ بفرض حدوث ذلك ، سيؤدى الى انتصار المنظمة على الدولة ، والقضاء على الجيل الحالى من السياسيين والعسكريين الذين يتحدون سيطرة الصهيونية العالمية لتحل محلهم « العناصر الموهوبة المثالية » التى تعبر عن ايديولوجية ومصالح القوى الكائنة خارج اسرائيل ٠

ولكن اسرائيل كما يتصورها جولدمان لن تكون ضعيفة الا بالنسبة للدياسبورا ، أما بالنسبة للعالم المحيط بها فانها ستكون مركز قوة يتناسب والحياة فى السبعينات من القرن العشرين ٠

أن الثورة التكنولوجية قد قلبت تماما الصورة التقليدية لعناصر القوة ، فاصبحت هذه العناصر هى العلم ونشاط العلماء ، هذه الثورة تزدهر فى أنسب مواقع ازدهار البحث العلمى ، وأنسب مواقع تحويل نتائج الابحاث الى انجازات فى التطبيق ، ولهذا كانت أنسب بيئة لازدهارها هى حيثما توافرت أكبر قدرة مع الاستثمار فى البحث العلمى وفى تزويده باكثر العقول مواهب وخبرة وبكل لوازمه العملية والتكنولوجية بكلمايترتب على ذلك من تحول البحث العلمى الى قوة انتاجية مباشرة ، حيث تختفى الفواصل بين النشاط العلمى المجرد والانتاج الصناعى ٠ ومع الاخذ فى الاعتبار ان البحث العلمى نفسه أصبح يكفل عائدا مما يرصد له من استثمارات ، أعلى من استثمار راس المال فى اى مجال آخر ٠ (١٦)

وتمشيا مع هذا التطور العالمى ، فان ناحوم جولدمان يريد أن تكون اسرائيل مركزا عالميا رئيسيا للثقافة ومعقلا فكريا تركز نشاطها على العلم والنواحى الاقتصادية والثقافية وما شاكل ذلك من مهام ، ويقوم هذا المركز على العناصر الموهوبة من يهود العالم المشهود لها بالعبقرية فى النواحى الثقافية والعلمية والفكرية ، ان جولدمان يعتبر ان الثلاثةالعظام ـ اينشتين وماركس وفرويد، امثلة لهذه العناصر اليهودية الموهوبة ـ على الرغم من تباين مواقفها من الايديولوجية الصهيونية ، ان ذكر هذه الاسماء نفسها يعطى فكرة واضحة للصورة التى يرسمها جولدمان للمركز الذى يريد ان تتحول اليه اسرائيل ٠

هذا فضلا عن الامكانيات المادية الضخمة التى ستوفر له ٠ ولنقرأ هذه الفقرة من مقال جولدمان :

« ان اسرائيل المحاربة لا يمكن ان تجذب عشرات الالوف من الشباب اليهودى الذين صاروا متبرمين من صورة الحياة الراهنة ٠٠٠ يستطيع المرء ان يتصور مدى ما كان فى الامكان تشييده فى فترة وجيزة هى عشرون عاما بفضل العبقرية الاسرائيلية الديناميكية فى النواحى الثقافية والعلمية والفكرية لو أن جيلها من الشباب وهو جيل مبدع موهوبقد انصرفبطاقاته الهائلة دون الحديث عن بلايين الدولارات الى العلم والادب والتجارب الاجتماعية وما شاكل ذلك من مهام ، بدلا من ان يدفع الىبناء اعظم انجازاته واكثرها نجاحا ـ الجيش الباهر للدولة الفتية » ٠

لقد كان احادهاعام يعبر عن طبقة آفلةكان التطور يكتسحها ، وتريد أن تجد لها مبررا لاستمرار البقاء ، ومواصلة التحكم ، فهو يريد أن ينتقل بالجيتو ـ وقد بدأت أسواره فعلا تتحطم وتبتلعه الحياة الجديدة ـ ينتقل به من أوربا الى

---

(١٦) محمد سيد أحمد ، التكنولوجيا والايديولوجيافى السبعينات ، الطليعة ، فبراير ١٩٧٠ م

فلسطين ، حيث يمارس فى المركز الروحى سلطانه كمعلم يرشد ويوجه ويمارس وصايته ، أثناء فترة الاعداد وحتى بعد أن تتكون الدولة نتيجة لهذه الحياة التى يتصورها فى الجيتو الجديد .

أما جولدمان فهو يعبر عن المصالح الاقتصادية العالمية ، اليهودية الصهيونية أو المرتبطة بها ، وهو من أجل تحقيق هذه المصالح يضع فى خدمتها الثورة العلمية والتكنولوجية ، ويهدف الى أن تصبح اسرائيل احدى قلاع هذه الثورة بما يحقق أكمل تحقيق فى الربع الاخير من القرن العشرين لمصالح الرأسمالية العالمية .

وفى نفس الوقت فان ناحوم جولدمان يعبرعن مسار التطور فى الاستعمار العالمى ـ من المرحلة التى كان التسلط فيها يعتمد أساسا على القوة العسكرية ، الى المرحلة التى تقوم السيطرة فيها على التحكم فى الحياة الثقافية والاقتصادية ، ولا نستطيع ان نغفل هنا ما يضمنه جولدمان مشروعه من أن تصبح القدس مركزا للمؤسسات الدينية مسيحية واسلامية ، وليس ثمة حاجة للحديث عن مدى قدرة هذه المؤسسات فى التأثير على حياة شعوب العالم الثالث .

ومع هذا كله يحل جولدمان جميع المشاكل التى نشأت فى طريق اسرائيل بسبب مواقفها ونشاطاتها منذ انشائها حتى اليوم .

● يضمن لها رضا العالم اليهودى الخارجى .

● يعيد الى اسرائيل والى الصهيونية صورتهما التقليدية التى استطاعتا بها خداع العالم سنوات طويلة .

● يحقق لها هدفا لم تستطع حتى اليوم تحقيقه رغم انتصاراتها العسكرية ـ وهو اعتراف العالم العربى بوجودها .

● يهدىء من ثورة الشباب اليهودى ضد الدوله اليهودية ، وبذلك يضمن استمرار موجات الهجرة اليها .

● يجعلها مقبولة فى أوساط العالم التقدمى وضمن اطار الجماعة الدولية التى بدأت تدين أعمالها .

والسؤال الان ـ ما موقفنا ازاء الدعوة التى ينادى بها ناحوم جولدمان ؟

اول كل شىء ، هذا صراع فى داخل الحركة الصهيونية وانجازها الرئيسى : دولة اسرائيل ، وليس من شك فى أن وجهة نظر جولدمان « تفجر اشياء خطيرة فى بناء المنطق الاسرائيلى السائد » (١٧) ، وتدل على ان قادة اسرائيل والحركة الصهيونية قد فقدوا القدرة على الاتفاق على سياسة واحدة تحوز الاجماع فيهم . « ومن المؤكد ان مصدر هذا التعثر هو أساسا الصمود العربى » (١٨) .

فاذا أضفنا الى ذلك مايدعو اليه جولدمان من مقترحات لتصفية آثار معارك يونيو ١٩٦٧ ولحل مشكلة اللاجئين ـ وضح لنا مدى التحدى الذى تمثله الصورة الجديدة للدولة اليهودية بالنسبة للعالم العربى .

الرد الوحيد على هذا التحدى هو مزيد من التقدم الحقيقى ، والعصرية المستنيرة على الصعيدين الايديولوجى والعلمى التكنولوجى .

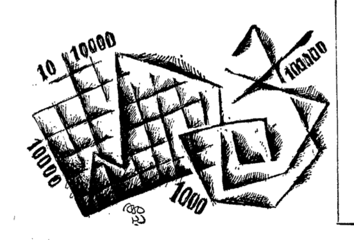


---

(١٧) احمد بهاء الدين ، المصور
(١٨) محمد سيد احمد ، الاهرام ، ١٩٧٠/٦/٧ م

معبد التفاهم

المخطط الامبريالي و«مجلس الأديان العالمي»



د · مراد وهبة

الدعوة الى « العالمية » سمة القرن العشرين وهذه الدعوة قد تكون تقدمية وقد تكون رجعية ·

هى تقدمية فى ذلك التلاحم العضوى بين حركة التحرر الوطنى والثورة الاشتراكية العالمية ·

وهى رجعية فى رد الفعل الذى تمارسه الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ·

وقد فطن «**جون فوستر دالاس**» ـ المنظر المعتمد من الامبريالية الامريكية ـ الى هذه السمة ، سمة العالمية ، فألف كتابا بعنوان « حرب أم سلام » صدر عام ١٩٥٠ · ودالاس ، فى هذا الكتاب ، يقرر صراحة أن ثمة طريقين للدفاع عن الرأسمالية الامريكية :

طريق سلبى يتمثل فى المعونة الاقتصادية والعسكرية ·

وطريق ايجابى يدور على ضرورة توحيد القوى الدينية والروحية فى القارات الثلاث · يقول دالاس « **لقد عملت الجماعات الدينية المختلفة فى** الولايات المتحدة الامريكية معا من أجل هدف مشترك وهو النظام العالمى · ووجد البروتستانت والكاثوليك واليهود أن من الممكن التعاون فيما بينهم ، رغم تباين العقائد الدينية · ومن واجبنا **تنمية علاقة مشابهة مع شعوب آسيا والباسيفيك فى سعينا لتنظيم حماية القيم الروحية التى نعتز بها جميعا** » ·

والنظام العالمى ، الذى يشير اليه دالاس فى هذه الفقرة ، هو النظام الذى يقوم على الرأسمالية الاحتكارية ، سمة النظام الامريكى فى النصف الثانى من القرن العشرين · والطريق الايجابى المؤدى الى تحقيق هذا النظام العالمى هو توحيد القوى الدينية ·

وثمة سؤال لابد أن يثار :

كيف تحقيق هذه الوحدة بين القوى الدينية ؟ وسيلة واحدة ليس لها من بديل :

تجسيد الوحدة فى تنظيم دينى ·

ولكل تنظيم شكل ومضمون ·

والتنظيم الدينى ـ حين تتبناه الامبريالية

الامريكية – هو بالضرورة « عالمى » من حيث الشكل ، « رجعى » من حيث المضمون .

من أجل ذلك أنشىء فى وشنطن عام ١٩٦٠ « **معبد التفاهم**» بين الاديان الحية الكبرى .

وانعقد « مؤتمر القمة الروحى الاول » لهذا المعبد فى كلكتا بالهند فى ٢٢ اكتوبر عام ١٩٦٨ . وكان يضم ممثلين لاحد عشر دينا :

البوذية – المسيحية – الكنفوشية – الهندوكية – الاسلام – الجينية – اليهودية – السيخية – الشنتوية – البهائية – الزرادشتية .

وكان موضوع المؤتمر : « **أهمية الدين فى العالم الحديث** » .

وثمة نقط مشتركة بين جميع الابحاث التى تقدم بها ممثلو الاديان الحية الكبرى .

فالابحاث كلها – بلا استثناء – تقر أن قضية أى دين ليست فى السكون عند المطلق . وسبب ذلك مردود – فى رأى هذه الابحاث – الى أن أى دين لا يملك الحقيقة المطلقة ، انما يملك شكلا من أشكالها . ومن ثم ليس من مبرر لتعالى دين على آخر . ونفى هذا المبرر ينطوى على اثبات مبرر آخر هو ضرورة تلاقى الاشكال المتباينة باعتبارها وجهات نظر لحقيقة واحدة مطلقة .

ولكن هذا التلاقى من أجل ماذا ؟ من أجل قضية الانسان وهى تحرير الانسان . هذا هو جواب ممثلى الاديان الحية الكبرى .

ومن هذه الزاوية ، ومنها وحدها ، تقر الابحاث كلها – بلا استثناء – امكان ايجاد منظار دينى موحد لرؤية قضايا الانسان ، بل ضرورة رؤية هذه القضايا بهذا المنظار .

وهذا المنظار الدينى الموحد ينبغى أن يقدم جوابا لاولئك الذين يشعرون بعجز الاديان عن ازالة الظلم والحرب والمجاعة والتفرقة العنصرية والدينية ، كما يقدم جوابا لاولئك الذين يميلون الى الانسحاب من المنظمات الدينية بسبب هذا العجز على حد قول « **فنلى دن** » المدير التنفيذى « لمعبد التفاهم » فى كلمته الافتتاحية لمؤتمر القمة الروحى الاول .

ثم يتضح أمر هذا المنظار الدينى الموحد فى النداء الختامى الذى وجهه « **هوستون سميث** » (أستاذ الفلسفة بمعهد ماسوشيتس للتكنولوجيا بجامعة كمبردج) الى ممثلى الاديان الحية الكبرى . وخلاصة هذا النداء ان الحركة الدينية العالمية قد مرت بثلاث مراحل :

المرحلة الاولى : تتمثل فى الكشف عن الوحدة الكامنة فى العالم المسيحى ، وذلك بفضل تأسيس « **مجلس الكنائس العالمى** » عام ١٩٤٨ .

والمرحلة الثانية : تدور على الكشف عن الوحدة الكامنة فى الاديان الحية الكبرى . وهذا هو مغزى تأسيس « معبد التفاهم » أو مجلس الاديان العالمى » عام ١٩٦٠.

أما المرحلة الثالثة ، فينبغى أن تكشف عن الوحدة الكامنة فى الانسان . وليس هذا فى الامكان الا بمجاوزة هذه الـ « اية » التى تفرق بين البشر أجمعين ، ويقابلها فى اللغة الانجليزية «ism»

تفتيت هذه الـ « اية » اذن هو الغاية التى تحرك هذه المنظمة الدينية العالمية «مجلس الاديان العالمى » .

ونحن نقرر هنا هذه الغاية استنادا الى اعتبار هذا النداء الختامى الذى وجهه هوستون سميث « مقدمة » لمؤتمر القمة الروحى الثانى الذى انعقد فى جنيف فى ٣١ مارس عام ١٩٧٠ .

وقد جاءت كلمة « **يوجين كارسون بليك** » ، السكرتير العام لمجلس الكنائس العالمى – التى ألقاها فى المؤتمر الثانى وموضوعه « المتطلبات العملية للسلام العالمى » – متسقة مع نداء هوستون سميث . ذلك أن بليك يدعو الى تفتيت الـ « اية » من أجل تحقيق السلام فى العالم .

وهذه الدعوة لا تقتصر على تفتيت الـ « اية » ذات الطابع الدينى ، وانما تنسحب كذلك على الـ « اية » ذات الطابع العلمانى .

فبليك يرى أن الاديان ، فى الماضى ، كانت من بين أسباب الحروب ، كما أنها فى الوقت الحاضر لا تعمل من أجل السلام (!) فالجماعات الدينية ، فى معظمها ، اما أنها تدافع عن وضع قائم مهما ينطوى على الظلم ، واما أنها تمنح المبررات الالهية للانتقام . وهذه الجماعات ، بسبب ذلك كله ، مشدودة الى تعصب دينى من شأنه أن يفرز نتائج رهيبة .

ولكن بليك يذكر الحاضرين أن الستالينية والهتلرية مسئولة كذلك عن اشعال الحرب ، ومسئوليتها لا تعدلها مسئولية أى دين .

ومعنى هذا التذكير أن الـ « اية » ـ الدينية منها أو العلمانية ـ تقف ضد تحقيق السلام وتدفع الى اشعال الحروب •

ولكن هذا التذكير ينطوى فى ذات الوقت على عقد مقارنة بين الـ « اية » الدينية والـ « اية » العلمانية من أجل بيان أن الـ « اية » الدينية أقل سوءا •

ولهذا فان بليك يتصور أن سبب تجمع الحاضرين فى هذا المؤتمر مردود الى أنهم بشر وليس لمجرد أنهم متدينون • ومع ذلك فهو يدعو الى ضرورة رؤية قضايا الانسان فى القرن العشرين بمنظار دينى موحد • ثم هو يختم كلمته باستعراض هذه القضايا ، وهى على النحو التالى :

١ ـ تحرير الانسان من الفقر والمرض والجهل •

٢ ـ حماية الارض الطيبة من الانفجار السكانى •

٣ ـ محاربة التفرقة فى مختلف صورها

٤ ـ تنمية الاحترام العالمى لحقوق الانسان •

٥ ـ استبعاد الحرب كوسيلة لحل الصراع بين البشر •

٦ ـ ايثار « عدم العنف » على « العنف » كوسيلة لتحقيق العدالة •

٧ ـ مساعدة الاجيال الجديدة من الشباب على تقبل أفضل ما فى الماضى •

٨ ـ التعلم من الشباب •

وفى رأينا أن الانحياز الى هذه القضايا ليس موضوع جدل • فمن حيث الشكل لا واحد يقف ضد السلام والعدالة والحرية . بيد أن الامر الواقع يشهد على الضد من ذلك .

لماذا ؟

لان جوهر المسألة ليس فى النداء من اجل السلام ، ولكن فى « مضمون » النداء •

وماذا يعنى المضمون ؟

يعنى تجديد « الطريق » المؤدى الى تحقيق السلام •

وكيف يتحدد الطريق ؟

بالتأصيل النظرى • والتأصيل النظرى تلازمه بالضرورة الـ « اية » •

ولماذا هذا التلازم ؟

لكى يتحقق الالتزام • ذلك أن الالتزام هو ركيزة « النضال من أجل » • الـ « اية » اذن لازمة من المضمون ومؤدية الى الالتزام فالنضال •

والمسألة بعد ذلك هى فى اية « اية » يلتزم بها الانسان ليناضل من أجل تحقيق السلام ، وليست فى استبعاد الـ « اية » بالاطلاق •

وثمة تيار شائع فى الولايات المتحدة الامريكية يسمى « تفتيت الايديولوجيا » disideologisation» **والذى يلفت الانتباه أن هذا التيار يلازمه تيار آخر يدعو الى الاخذ بالتكنولوجيا** ، بدلا من الايديولوجيا كمقياس لتقدم الانسان •

ومن شأن هذه الدعوة أن يقاس الفارق بين نظام اجتماعى وآخر بما يقدمه من تكنولوجيا وليس بما يقدمه من ايديولوجيا •

ومعنى ذلك أن الفارق لن يكون بين نظم تقدمية وأخرى رجعية ، وانما بين دول غنية وأخرى فقيرة • ومن ثم تنطمس بصمات استغلال الانسان للانسان ، وتبقى الصدارة للاستجداء دون النضال • والاستجداء ما انطوى يوما الا على الاستغلال •

والاشتراكـ « ية » العلمية ، فى مسارها الارتقائى ، هى التأصيل النظرى للطريق المؤدى الى القضاء على الاستغلال فى صورة « الرأسمالـ « ية » « الاحتكارية » سمة النظام الاجتماعى فى الولايات المتحدة الامريكية •

أما القول بأن الـ « اية » أيا كانت تقف ضد التقدم الانسانى كما يذهب الى ذلك صراحة « **فنلى دن** » ويؤيده ـ فى صياغة تنكرية ـ **بليك** فقول مقبول فى حالة محددة هى حين تنغلق الـ « اية » على ذاتها فلا تنصت الى الواقع المتجدد فى تطوره وارتقائه ، ويصبح التعصب احدى افرازاتها •

انفتاح الـ « **اية** » اذن امرلازم ومطلوب، والا حكمت على ذاتها بالانقراض •

بيد أن الانفتاح لن يتحقق الا بفضل الانغلاق، وعلى الرغم منه •

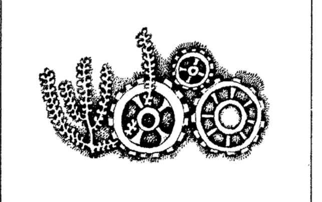
وهذه هى معضلة « الانسان » ، وهو يلتزم بـ « اية » من الـ « ايات» •

أما معضلة« مجلس الاديان العالمى » فهى فى مدى مجاوزته مكان اقامته :

1346 Connecticut Ave, N.W. Washington, D.C. 20036. U.S.A.

زراعة الأرض الجديدة:

الأساليب الحديثــة ونموذج «المزرعة الآلية»



عبــد المنعــم شــتله

افتتحت « المزرعة الالية » أو « مزرعة الصــداقة العربية السوفيتية » والتى تضم ١٠ آلاف فدان قدم الاتحاد السوفيتى الالات والخبرات اللازمة لاستصلاحها واستزراعها ثم تقدبمها هدية لشعب ج.ع.م. وقد انتهت عمليات الاستصلاح فى أوائل ١٩٦٨ بعد عامين من البدء فيه ، وبــدأت زراعة المحاصيل فيها منذ شهر مايو الذى تدفقت فيه مياه السد العالى عبر « ترعة الطلمبات » الخاصة بالمزرعة والتى تمتد من النوبارية لمسافة ١٨ كيلومترا ، ترفع المياه خلالها بثلاث محطات رفع [كل منها يرفع ٩ أمتار] ، تستخدم فى ادارتها كهرباء السد العالى .

والهدف من انشاء المزرعة استخدام أرقى منجزات العلم والصناعة فى استصلاح واستزراع الاراضى ، بما يوفر ٨٠ ٪ من القوى العاملة اللازمة فى المناطق الصحراوية التى يصعب فيها توفير يد عاملة دائمة ، كما أن توطينها فيها يقتضى استثمارات هائلة ، هذا من جانب ، ومن جــانب آخر فان الزراعة الالية توفر : التقاوى المستخدمة ، نفقات العمالة علاوة على زيادة التحكم فى القوى العاملة بتقليــل عددها ، والتحكم فى المواعيد التى تتم فيها العمليات الزراعية قدرة أكبر على التخطيــط .

وقد اقيمت المزرعة فى المسافة بين الكيلو ٦٠ والكيلو ٦٥ من الاسكندرية ، وقسم الارض فيها الى ٤ تفاتيش زراعية علاوة على مزرعة تجريبية ، واقيمت بها ورش للصــيانة ومختلف الخدمات كمدرسة وســوق ووحدة صحية ، وانشئت مساكن للعاملين الزراعيين فيها لكل منها مساحة صــغيرة [٢ قراريط] يزرع فيها الخضراوات .

والمزرعة الالية تجربة لتنفيذ مشروع استصلاح ٢٠٠ ألف فدان بقرض سوفيتى ، بدأ العمل فيها فعلا وسيتم تسليــم ٥٧ الف فدان منها هذا العام ، وكل العمليات الزراعية من وضع البذور والعزق والتسميد ، وجمع المحصول يتــم آليا [وهذه أول مرة فى بلادنا يتم فيها جمع القطن آليا] .

وفى البدء تم تحليل التربة فى مساحات واسعة لاختبار جودتها واختير الموقع بتعاون العرب والسوفيت مع قاموا بتنفيذ مشروعات مماثلة فى بلادهم ، وبعضهم حاصــــل على لقب « بطل العمل الاشتراكى » ، وتضم هــذه المجموعة السوفيتية تخصصات جديدة بالنسبة لنا مثل « مصــمم مزارع » .

وعند بداية تدفق المياه فى المزرعة وبدء الاستصلاح فى مايو ٦٨ قرر العاملون فيها الاحتفال بعيد أول مايو وجعله عيد للمزرعة التى يعمل بها حاليا ٥٠٠ عامل ، ٢٠ مهندسا زراعيا ، ٥ مهندسين ميكانيكيين ، ٨٠ سائق جرار وسيرة ، أما الالات الحالية فيها فهى ٢٣ محراث قلاب ، ٧ حفار ، ١٥ هراسة ، ٤ تبانة ، ٤ دوبتشر [لشق القنوات] ٦ آلات لزراعة الذرة ، ٤ لزراعة القطن ، ٢١ مشط ، ١٠ ستارة حبوب ، ١٠ آلات حشى برسم ، ١٩ كومبين [للحصاد]

٣ آلة لنثر السماد الكيماوى ، ١٠ للعضوى ، ٦ آلات تسوية ٦ آلات فرز الحبوب ، ٣ لحصاد الذرة ، آلة للتفريط ، ٧ لعزق وتسميد الذرة ، ٣ لعزق وتسميد القطن ، ٢ بولدوزر ، ٥ ماكينات انارة ، حوالى ١٠٠ جرار بعضها مجهز بآلات مقاومة ، وآلات عزيق وتسميد وتحميل ، وحوالى ٥٠ سيارة من أنواع مختلفة .

وفى الدراسة التى يقدمها المهندس عبد المنعم شتلة احد الخبراء فى القطاع الشمالى لمديرية التحرير ، يتحدث عن اهمية الاخذ بالاساليب الحديثة فى الزراعة ، ويقدم ما تم فى « المزرعة الالية » كنموذج من النماذج التى تفتح النوافذ على خبرات جديدة .

هذا وقد تم افتتاح المزرعة يوم الخميس ٣٠ يوليو ، وناب عن رئيس الجمهورية فى افتتاحها وزير استصلاح الاراضى د. محمد بكر أحمد .

فى مجتمع كمجتمعنا ، يعتبر استخدام التقدم التكنولوجى فى الزراعة احد المهام الثورية الملحة ، ذلك ان هذا الاستخدام انما يهدف الى تطوير قوى الانتاج ودفعها الى مستوى ارقى ، واذا كان هذا صحيحا ، فمن الصحيح أيضا أن المجتمعات التى تسير فى طريق التطور الاجتماعى تفيد من منجزات العلم الزراعى الحديث ، ومن استخدام الآلات الزراعية الحديثة لتجعل حياة الفلاح أكثر انسانية ، أى لترفع مستوى معيشته وتحرره — فى الوقت نفسه — من العمل المرهق .

وهذه القضية ، قضية الافادة من منجزات العلم والتكنولوجيا فى الزراعة ، تصبح أكثر الحاحا اذا نظرنا الى ضيق الرقعة الزراعية فى بلادنا ، هذا الضيق الذى حفز قادة ثورة يوليو الى أن يلتفتوا الى الصحراء ، ومن ثم بدأوا فى السنوات الاولى من الثورة تجربة مديرية التحرير بقطاعيها الجنوبى ثم الشمالى ، هذه التجربة التى أضافت جديدا الى الخبرة الزراعية فى بلد عريق فى الزراعة .

على ان هذه التجربة التى انتزعت آلاف الافدنة من الصحراء وزرعتها بمختلف المحاصيل ، والتى حشدت فيها خبرات وكفاءات متنوعة ، لم تمنع بلادنا من أن تطل على خبرات البلدان الاخرى لتفيد منها ، ومن ثم تعاونت مع الاتحاد السوفيتى فى اقامة **المزرعة الآلية «مزرعة الصداقة»** على مساحة عشرة آلاف فدان لتكون تجربة رائدة فى ميدان ميكنة العمل الزراعى .

ولا شك أن استخدام العلم والتكنيك المتقدم يكتسب أهمية خاصة فى ظروف واقعنا القومى ، فبلادنا — من ناحية — تواجه ظاهرة الضغط السكانى ، وتسعى من ناحية اخرى الى رفع مستوى معيشة الجماهير الشعبية ، ومن ثم فان بلادنا لا تستطيع ان تحل قضايا التنمية الزراعية ، ولا تستطيع — بالتالى — ان تحل المشكلة الزراعية بمعزل عن التطورات الهائلة فى مجالات العلم والتكنولوجيا .

ويمكن أن نتحدث عن التقدم التكنولوجى فى الزراعة على ضوء المكونات الرئيسية الاربعة التالية :

- **الرى .**
- **الميكنة ، او استخدام الآلات الزراعية .**
- **الكهرباء .**
- **الكيماويات .**

الـــرى

ومن الطبيعى أن يكون الرى فى مقدمة الاهتمامات بالنسبة لبلد كبلدنا الذى يعتمد على وسائل الرى وبشكل أساسى يكاد أن يكون كاملا .

ان تحسين وسائل الرى ، وتوفير المياه اللازمة للزراعة وخاصة بالنسبة للاراضى المستصلحة تعتبر فى مقدمة المهام التى تواجه الزراعة المصرية .

ومن ثم ، فان انجاز مشروعات كمشروع السد العالى ، والابحاث الخاصة بتحويل المياه المالحة فى البحر الى مياه عذبة تصلح للرى ، تعتبر كلها من المشروعات الحيوية ، ليس فقط بالنسبة للصناعة ، ولكن بالنسبة للزراعة كذلك ، حيث أنها تفتح آفاقا بعيدة المدى أمام التوسع الافقى فى الزراعة .

ولقد أثبتت التجارب العملية فى استزراع الاراضى الجديدة الاهمية القصوى لمشروعات الرى ، حتى ان أى تقصير فى هذا الشأن قد يتسبب عنه ضياع الجهد الكثير دون طائل ، كما أن بذل الجهد فى تطوير عمليات الرى ، واستخدام التكنولوجيا الحديثة لتحسينها وتطويرها يساعد كثيرا فى الحصول على أقصى ما يمكن من الفائدة .

ان ادراك هذه الحقيقة دفع العاملين فى الارض الجديدة الى بذل طاقة كبيرة مستمرة لتحسين وسائل الرى بها ، وذلك بكهربة محطات الرى التى تقوم برفع المياه الى المنسوب المطلوب ، لزيادة

كفاءة تشغيلها ولتقليل فترات التعطل بها الى أقصى حد ممكن •

وقد بدىء فعلا بكهربة محطات الرى بالمزرعة الالية النموذجية فى العام الماضى ، وسوف تتم كهربة باقى محطات القطاع الشمالى لمديرية التحرير هذا العام ،الامر الذى سيضاعف من كفاءة تشغيل هذه المحطات ، ويوفر كميات المياه اللازمة لرى مساحات جديدة •

والاهتمام بتطوير وسائل الرى يجعلنا نهتم كذلك ، بوسائل الصرف ،وبابتكار الوسائل المختلفة لتحسينها وتطويرها ،وقد اثبتت التجارب فى الارض الجديدة أنه لا يكفى أن تتطور وسائل الرى وحدها دون الاهتمام بالجانب الاخر وهو الصرف •

واستخدام التكنولوجيا الحديثة لزراعة الاراضى الجديدة انما يحتم استخدام وسائل صرف تتفق معها : فالمعروف - مثلا - أن المصارف المكشوفة التقليدية تؤثر على استخدام وتشغيل الالات الزراعية المختلفة التى يتطلب استخدامها على احسن وجه اتساع الرقعة الزراعية التى تعمل بها الالة ، ولهذا السبب لجانا الى انشاء المصارف المغطاة التى لا تعوق سير الالات الزراعية او تقلل من نسبة المساحة المنزرعة ، الامر الذى يتبع ايضا بالنسبة **للمزرعة الآلية النموذجية** •

الميكنــــة

واجهت العاملين فى الارض الجديدة مشاكل عديدة ، كان من ابرزها عدم توفر الايدى العاملة اللازمة لاستزراع المساحات المتزايدة سنويا من الاراضى الجديدة - مما دفعهم الى البحث عن الحلول المناسبة لهذه المشكلة •

ومن الطبيعى أن يتجه التفكير الى التوسع فى استخدام الالات الزراعية ، بعد أن ثبت أن توفير العمالة المطلوبة فى أوقاتها المناسبة بالاراضى الجديدة من المشاكل الاساسية التى تواجه العاملين فى استزراع هذه الاراضى • ومن الواضح أن عدم حل هذه المشاكل يتسبب فى ضياع جزء كبير من الجهد والطاقة ، كما انه يؤثر تأثيرا ضارا على الكفاءة الانتاجية لهذه المشروعات الجديدة •

ومن المنتظر أن تتفاقم هذه المشكلة وذلك مع اتساع رقعة الارض الجديدة المستصلحة ، ومن ثم فلا مفر من التوسع فى استخدام الميكنة الزراعية لمواجهة استزراع أكثر من مليون فدان من الاراضى التى سوف يتم استصلاحها واستزراعها بمياه السد العالى فى السنوات القليلة القادمة •

وهنا لابد من ملحوظتين :

الاولى : هى أن تجربة الميكنة الزراعية **بالمزرعة الآلية** قد برهنت على قدرة العامل الزراعى المصرى والمهندس المصرى على تشغيل الالات الزراعية المختلفة بكفاءة ، وذلك طالما توافر لهما التدريب المناسب •

والملحوظة الثانية : هى أن المتتبع لعمليات تشغيل هذه الآلات الزراعية **بالمزرعة الآلية** يلاحظ الكفاءة الانتاجية العالية مع قلة تسببها فى التعطيل او فى عدد الآلات العاطلة نتيجة سوء التشغيل •

ومع هذا كله يجب أن ننوه هنا بأن التوسع فى استخدام الالات الزراعية المختلفة يتطلب :

- الاهتمام بانشاء مراكز لتدريب العمال والفنيين على مختلف مستوياتهم وذلك لخلق كوادر فنية قادرة على تشغيل الاعداد المتزايدة من الالات الزراعية باقصى كفاءة ممكنة •
- توحيد النماذج المستعملة بقدر الامكان للمساعدة على رفع كفاءة التشغيل وتسهيل عمليات الصيانة •
- توفير قطع الغيار لهذه الآلات حتى لا نسمح بوجود نسبة كبيرة من الآلات المعطلة •
- وضع سياسة سليمة للاجور لهؤلاء العمال والفنيين تتناسب مع الدور المتعاظم المطلوب منهم ، ولخلق الحافز لديهم لصيانة الالات ورفع كفاءة تشغيلها •

على ان التوسع فى استخدام الآلات الزراعية يتوقف - فى الوقت نفسه - على العمليات التى تسبق الاستزراع ، ويقصد بها تسوية التربة وتمهيدها لكى تصبح صالحة للزراعة • وكلما كانت عمليات تسوية التربة سليمة وكاملة ساعد ذلك على استخدام الميكنة بطريقة ناجحة وفعالة ، وتتضح أهمية هذا ، اذا ما عرفنا أن الرى فى هذه الارض يتم بطريقة الرى السيفونى ، وذلك لتفادى اقامة المراوى والقنوات التى تعترض سير الالة ، ولهذا فان الرى بهذه الطريقة يحتاج لتسوية دقيقة للغاية حتى يمكن اتمام الرى بنجاح •

الميكنة وأثرها على التكاليف

تدور مناقشات كثيرة حول جدوى التوسع فى استخدام الماكينات والآلات المختلفة فى العمليات الزراعية ، وخاصة فى **بلد كالجمهورية العربية المتحدة** تزداد فيها البطالة المقنعة بنسبة ليست صغيرة •

ولا شك ان هذا التساؤل تختلف اساليب مواجهته باختلاف ظروف البلد المعين ، ومدى التطور المتاح له ، وكذا باختلاف النظام الاجتماعى المتبع فى هذا البلد أو ذاك • وعلى سبيل المثال فان مواجهة هذه المسألة قبل يوليو ١٩٥٢ تختلف تماما عن مواجهتها بعد ذلك ،ذلك ان اسلوب الاستغلال الزراعى قبل يوليو ١٩٥٢ ، والمبنى على أساس الملكية الاقطاعية والمزارع الصغيرة ، الممزقة بل والمتناهية الصغر والعديدة لا يسمح بمجرد التفكير فى استخدام الميكنة الزراعية على نطاق واسع • ولكننا اليوم نشاهد ظهور قطاع عام فى الزراعة ، ووجود مؤسسة لاستغلال الاراضى الجديدة والمستصلحة من مياه السد العالى • كما نشاهد تطورا فى أساليب الاستغلال الزراعى بانتقال ملكية الاراضى من أيدى الاقطاعيين الى أيدى صغار الملاك ومتوسطيهم •

وهنا نرى أن رفع الكفاءة الانتاجية للعمل الزراعى انما يعتبر المسألة الاساسية التى تواجه العاملين فى الاراضى الجديدة • كما يعتبر استخدام الالات الحديثة أو ما يسمى بالميكنة الزراعية ، حجر الزاوية فى رفع هذه الكفاءة الانتاجية •

ولهذا سوف نركز الاهتمام حول التطبيق العملى للميكنة الزراعية متخذين أكثر من نموذج يتباين فيها استخدام أسلوب الميكنة •

فمنذ عام مضى بدأ العمل الزراعى بالمزرعة الالية النموذجية « مزرعة الصداقة » ، وهى الهدية المقدمة من الاتحاد السوفييتى للجمهورية العربية المتحدة •

لقد كان الهدف من انشائها ـ كما يتضح من التسمية التى أطلقت عليها ـ هو استخدام الالات الزراعية فى كافة العمليات ولمختلف المحاصيل : من بداية خدمة وتجهيز التربة حتى الانتهاء من جمع هذا المحصول والتصرف فيه •

وعلى هذا الاساس يمكن أخذ المزرعة الالية كمقياس عملى وتطبيقى لتكاليف المحاصيل الزراعية المختلفة ومقارنتها بالمزارع الاخرى المجاورة لها فى نفس القطاع •

ومع هذا يجب أن نشير الى بعض الحقائق التى يجب وضعها فى الاعتبار :

ـ تعتبر المزرعة الالية من أحدث المزارع التى جرت المقارنات عليها •

ـ تستخدم المزارع الاخرى بعض الالات الزراعية ولكن فى حدود معينة وليست لكافة العمليات كما هو متبع بالمزرعة الالية •

ـ قصرنا المقارنات هنا على الاراضى الجديدة حيث تتوفر البيانات •

ـ لم نربط بين التكاليف وبين الانتاج حيث أن المزرعة الالية لم يمض على استزراعها سوى عام واحد ، بينما المزارع الاخرى تعدت عشرة الاعوام بالنسبة لبعضها ، وحيث يعلم الجميع أن خصوبة التربة تزداد عاما بعد عام فى الارض الجديدة ، وحتى تصل للمرحلة الحدية •

فاذا تناولنا تكاليف زراعة محصول شتوى كمحصول القمح مثلا بالمزرعة الالية وجدنا أن أجور العمليات الزراعية قد وصلت لما قيمته ١٫٣٤٠ جنيها ، بينما تصل بمزرعة الناصر مثلا الى ٤٫٠٠٠ جنيه أى أن أجور العمليات الزراعية الالية تصل الى حوالى الثلث بالنسبة للمزارع الاخرى •

كما يلاحظ أن انخفاض التكاليف لا يقتصر فقط على العمليات الزراعية بل يمتد أيضا الى كمية التقاوى المستخدمة فى الزراعة حيث يتبين أن فدان القمح المنزرع بوساطة السطارة بالمزرعة الآلية يتكلف ما قيمته ١٢٠٠ مليم من التقاوى بينما يتكلف بمزرعة الناصر ما قيمته ١٨٠٠ مليم من التقاوى أى بما يزيد بمقدار ٥٠ فى المائة من قيمة التقاوى المستعملة بالمزرعة الالية النموذجية • هذا بالاضافة الى أن استعمال الالة فى زراعة القمح يساعد كثيرا فى عملية الانبات حيث لوحظ ـ فى الزراعة الالية ـ أن الانبات يكاد يكون كاملا تماما وذلك على عكس الحال بالنسبة للزراعة اليدوية حيث توجد نباتات كثيفة فى جانب من الحقل

وأخرى ضعيفة او قليلة فى جانب آخر مما يوجب اعادة زراعة المساحات الضعيفة الانبات ٠

أما اذا نظرنا الى اجمالى تكاليف زراعة فدان القمح فى كلا المزرعتين ، سنجد أن فدان القمح بالمزرعة الالية لا تتجاوز تكاليفه ستة الجنيهات ٠ بينما تصل بالمزارع الاخرى ومنها مزرعة الناصر سالفة الذكر الى أكثر من اثنىعشرجنيها ٠أىأن جملة التكاليف بالمزرعة الآلية تصل الى نصف تكاليف المزارع الاخرى ٠

وبالطبع لا تقتصر فوائد استخدام الميكنة على مجرد خفض التكاليف بنسبة كبيرة ، انما يتعداها أيضا الى امكانية تنفيذ زراعة وحصاد المساحات الشاسعة فى وقت قصير نسبيا ، وخاصة فى الاوقات التى يتعذر فيها الحصول على الايدى العاملة الكافية . ولا شك أن سرعة تنفيذ العمليات الزراعية فى الوقت المناسب وبالدقة المطلوبة تساعد كثيرا على حسن استغلال الارض الزراعية والاستفادة منالمواعيد المناسبة للزراعة الامر الذى يساهم مساهمة فعالة وايجابية فى رفع الكفاءة الانتاجية للمحاصيل الزراعية .

ومع هذا ، يجب أن نشير هنا الى بعض الاعتبارات الواجب اتباعها للحصول على أكبر عائد ممكن مع أقل تكلفة وهى :

● الاهتمام بتدريب الفنيين اللازمين لتشغيل وصيانة الالات الزراعية المختلفة حتى يمكن الحصول على أكبر كفاءة انتاجية من تشغيل هذه الالات ٠

● توحيد النماذج المستعملة بقدر الامكان للمساعدة على رفع كفاءة التشغيل وتسهيل عملية الصيانة ٠

● توفير قطع الغيار لهذه الالات بالشكل الذى لا يسمح بوجود نسبة كبيرة من الالات المعطلة ٠

وأخيرا يجب أننتبه الىاهمية العنصر البشرى سواء بالنسبة للفنيين المدربين أو بالنسبة لعملية الادارة والتنظيم ـ حيث يتوقف الكثير على وجود الانسان الذى يؤمن بالتقدم العلمى ، وبتطوير الزراعة المصرية .

الكهرباء

وكهربة الريف شرط لا غنى عنه من أجل تحسين وسائل الرى والصرف واستخدام الالات ورفع الكفاءة الانتاجية والتخفيف من مشقة العمل الزراعى ـ كما ان استخدامها يساهم فى بناء ريف متقدم وخلق حياة ثقافية متنورة ، ويساعد كذلك ، فى عملية التقارب بين المدينة وبين القرية ، ويعمل على التصفية التدريجية للتمايز بينهما ٠

ويكفى أن نلقى نظرة على القرية فى الاراضى الجديدة ، والتى ادخلت بها الكهرباء (وتعمل مضخات الرفع بها بكهرباء السد العالى) وبين القرية التقليدية القديمة التى لم يطرأ عليها تطور ملحوظ منذ مئات السنين .. اننا سوفنجد تمايزا ملحوظا فى كافة المستويات الاجتماعية والثقافية بين سكان القريتين حيث يمتازسكان القريةالاولى بالتقدم الفنى والثقافى والاجتماعى ٠

ولا شك أن الطاقة الكهربية الضخمة والمستمدة من السد العالى سوف تساعد على تطوير ريفنا المصرى ، وعلى نقله من المجتمعات البدائية الى مجتمع عصرى متقدم ، ولن يقف استخدام الكهرباء على انارة القرية وتشغيل محطات الرى ـ بل يمكن الاستفادة منها فى تشغيل بعض الالات الزراعية وانشاء بعض الصناعات الزراعية مستخدمة الطاقة الكهربائية بأقل تكاليف ممكنة .

ان دراسة برامج الاستزراع فى الاراضى الجديدة ، هذه البرامج المعدة للتنفيذ خلال السنوات القليلة القادمة توضح مدى الاهمية القصوى للطاقة الكهربية المستمدة من السد العالى فسوف تقام عدة مصانع لتعبئة الفواكه ، وتصنيعها ، ولصناعة سكر البنجر ، وتقطير الكروم ، وغير ذلك من الصناعات التى يتطلبها استزراع الارض الجديدة ٠

ولا شك أن توفير الطاقة الكهربية سوف يفتح المجال فى هذه المناطق الجديدة لاستغلالها وفتح المجال امام صناعات جديدة مما يساعد على تطوير الوضع الاقتصادى بها ٠

الكيماويات

من المعروف أن الارض الجديدة تحتاج الى كميات كافية من الاسمدة العضوية والكيماوية لرفع كفاءتها الانتاجية والوصول بها الى المرحلة الحديثة فى أقصر وقت ممكن ٠ وقد اثبتت التجارب العملية فى هذه الارض الجديدة أنه كلما أضيفت الكميات الكافية والمناسبة من الاسمدة العضوية

والكيماوية ؛ كلما أمكن الحصول على أكبر انتاج ممكن من المحاصيل الزراعية المختلفة • كما أن التوسع فى زراعة البساتين فى الارض الجديدة يتطلب كميات وفيرة من الاسمدة العضوية والكيماوية، مما دعا الى التوسع فى انشاء المراعى الخضراء لتربية الحيوانات ، حتى يمكن توفير الحاجة المتزايدة من الاسمدة العضوية •

ولا شك أن التوسع فى التصنيع وتوفر الطاقة الكهربية سوف يساعدان على تطوير الصناعة الكيماوية وخاصة المتعلقة بانتاج الانواع المختلفة من الاسمدة الكيماوية •

من هذا كله ، يتضح ان استخدام التكنولوجيا الحديثة فى الارض الجديدة بمكوناتها الاربعة :

- الرى •
- الميكنة •
- الكهرباء •
- الكيماويات •

... نقول ان هذا الاستخدام ضرورة حيوية تحتمها طبيعة التطور الاجتماعى لبلادنا وظروف التنمية الاقتصادية ، وان تطوير التنمية الراسية فى الزراعة على أسس العلم الحديث والتكنيك المتقدم ، وربط ذلك - بنجاح - بالتوسع فى المساحات المستزرعة بالارض الجديدة ، كل هذا يعتبر الدعامة الرئيسية للسياسة الزراعية الناجحة •

العنصر البشرى أولا وأخيرا

واذا كنا قد ركزنا من الناحية الفنية على أهمية الاخذ بالاساليب العصرية الحديثة فى الزراعة ، فان الشىء المؤكد أن بلادنا التى تختط طريق التقدم الاجتماعى، لابد وان تضع العنصر البشرى فى مكانه من العناية الواجبة ، وهنا نطرح بالضرورة قضية الاهتمام بعامل الترحيلة ، وهو العنصر البشرى الرئيسى الذى يناط به العمل فى الاراضى الجديدة •

ولا شك أن عددا من الاجراءات قد اتخذ لتحسين أوضاع عمال التراحيل العاملين فى الاراضى الجديدة ، لقد بنيت بعض المعسكرات الخاصة لايوائهم ، وجهزت ببعض المعدات ، وقدمت لهم بعض الخدمات الاجتماعية والثقافية ، لكن هذه الخدمات لا يستفيد منها حاليا سوى جزء صغير من عمال التراحيل ، ولا يزال هناك مجال واسع لبذل المزيد من الجهود لرفع مستواهم ، ومن المعروف - بالطبع - ان التوسع الكبير فى ميكنة الزراعة هو أحد الحلول الجذرية التى تحول عامل التراحيل الى عامل فنى قادر على تشغيل الآلات الزراعية ،وقادر - بالتالى - على ان يرتفع الى مستوى أعلى من مستويات المعيشة ، ولكن الى أن يتم هذا فلابد من البحث عن بعض الحلول المؤقتة ، وعلى سبيل المثال ،يمكن انشاء مؤسسة خاصة لتشغيل ورعاية عمال التراحيل ، يشترك فى ادارتها عمال التراحيل انفسهم ، وذلك عن طريق النقابة العامة لعمال الزراعة والاتحاد العام للعمل ووزارة العمل،فاذا أضفنا الى هذا ضرورة اختيار المشرفين المباشرين فى الموقع اختيارا حسنا يراعى توفر الكفاءة والوعى السياسى فيهم ، فاننا سنكون قد جنبنا عمال التراحيل روح الاستغلال وسيطرة المقاولين التى تبدو تحت مسميات مختلفة .





في عام ١٩٦٧ ، وتحت تأثير فترة الرواج القصيرة التى صاحبت تصعيد الحرب فى فيتنام ، حقق كتاب« **التحدى الامريكى** »للصحفى الفرنسى **ج٠شرايبر** رقما قياسيا فى التوزيع ، وهو الكتاب الذى كان شرايبر يتنبأ فيه بتفوق امريكى ساحق على مجموع الدول الاشتراكية والدول الاوروبية عامة ، فى جميع المجالات ، استنادا الى انجازات الولايات المتحدة فى مجال التكنولوجيا المعاصرة ٠ لقد آثار الكتاب بالفعل ضجة عالية ، ان عملاء المخابرات الامريكية حاولوا استغلال الضجة لتحرير دعواهم بأن تكف الدول الاشتراكية الاوربية عن غلوائها فى التمسك بالنظام الاشتراكى ، وان تلتقى بدول اوروبا الرأسمالية فى منتصف الطريق لمواجهة هذا التحدى الامريكى (١) ٠

ولكن ٠٠ لم تمض ثلاث سنوات حتى حلت محل « التحدى الامريكى » ــ من حيث اتساع التوزيع ــ كتب مثل « **الامبراطورية الامريكية** » للصحفى الفرنسى **كلود جوليان** ، و « **القوة العالمية المريضة** » للصحفى النمساوى **جانكو موسولين** ، و « **امريكا والبيروقراطية الجديدة** » للعالم الامريكى **تشوسكى** ، والتى صدرت فى اوائل عام ١٩٧٠ تدين فى مجموعها المجتمع الامريكى وتدعو للثورة عليه بدلا من الانبهار بتحدياته ٠ وفى الفترة الاخيرة نشر **وليم دوجلاس** قاضى المحكمة العليا الامريكية كتابه « **قضايا تستحق الثورة** » معلنا فيه « أن حكومة الولايات المتحدة تنتهج طريق الدول الاستعمارية ، والسبيل الوحيد لمقاومة ذلك هو الثورة » (٢) ٠

لقد ساهمت وقائع الحرب الفيتنامية من جانب ، وحركة الطلاب والشباب الاخيرة فى أمريكا ، ومن قبلها حركة الزنوج فى كشف حقائق المجتمع الامريكى وتفجير تناقضاته ، فى أزمة تلف كل جوانب الحياة الامريكية ، مما اضطر مجلة **النيوزويك** الامريكية ــ المعروفة الصلة بدوائر وزارة الخارجية الامريكية ــ لان تخصص أكثر من ثمانية عشر صفحة من عددها الصادر فى ٦ يوليو ١٩٧٠ لستة من كبار المؤرخين الامريكيين ليناقشوا

---

(١) أنظر مقدمة الترجمة العربية لكتاب التحدى الامريكى
(٢) نشرت جريدة الاهرام مقتطفات من الكتاب فى ١٩٧٠/٦/٥

أزمة أمريكا طبقا لوجهات نظرهم المختلفة ، ولكن ليتفقوا جميعا ـ على حد تعبير المجلة ـ « حول النقطة الرئيسية وهى أن أمريكا تواجه فى العيد ١٩٤ لاستقلالها تحديا لم يسبق لها أن واجهت مثله » •

يصـــور البروفيســـور ريتشارد هوفستادتر استاذ التاريخ الامريكى فى جامعة كولومبيا ابعاد الازمة الحالية فى أمريكا ووضعها بالنسبة لتاريخ امريكا بقوله :

« ان لدينا أزمة كبرى فى المناطق الريفية ، ولدينا مشكلة تضخم ، ومشكلة اغتراب الشباب ، واهم من ذلك ، هناك المشكلة العنصرية ، ثم تلك الحرب الوحشية غير الضرورية (يقصد حرب فيتنام) • ويبدو لى أنه من الصعب على أى مجتمع من المجتمعات أن ينوء بحمل كل هذه المشكلات فى فترة واحدة ، واعتقد ان هذا هو ما يجعل هذه الفترة منعدمة النظير فى تاريخنا • ان فتـرة ١٨٥٠ ـ ١٨٦٠ (فترة الحرب الاهلية الامريكية) قد تكون هى الازمة الخطيرة الاخرى التـى واجهناها فى تاريخنا ، ولكن يبدولى انها لم تكن تتضمن هذا الحشد من الصعوبات ، ولقد كان المجتمع حينئذ مجتمعا ينمو ويتفتح امامه اكثر من طريق • كما أن أزمة ١٩٣٠ كانت أبسط من أزمتنا الحالية لان ماكان لدينا حينئذ هى أزمة ذات بعد واحد ـ أزمة كساد ، بينما نحن نواجه اليوم ازمة عديدة الابعاد MULTILATERAL CRISIS اراها تترابط فى كل واحد » (٣) •

ولكن لماذا تئن قلعة الرأسمالية المعاصرة من الازمة فى وقت وضع فيه اثنان من ابنائها ارجلهم على سطح القمر ؟ ولماذا يندفع جزء من شبابها الى احضـــان الضـــياع ما بين الهرويين ومنتديات الهيبييز ، بينما يقيم جزء آخر متاريسه فى مواجهة السلطات المحلية والفيدرالية ؟ والى اين تقـــود الازمة الحالية النظام الاجتماعى فى أمريكا • وعلى حد تعبير الجريدة الامريكية « هل هى لحظة ما قبل الفجر ، أم فترة نهاية العصر الامريكى » ؟

تكنولوجيـــا + احتكـــار =

تفاقم المشاكل الاجتماعية

مهما حاول البعض من أمثال مستر دانيال بورستين ، مدير المتحـف القـومى للعلـوم والتكنولوجيا ، أن يعزو ازمة امريكا الى أسباب نفسية أو أخلاقية ؟ ! • فان الحقائق الصـلدة لتكشف بوضوح كاف أن جذور الازمة الامريكية انما تمتد بعمق الى أسس النظام الاجتمـاعى والاقتصادى الامريكى ، والى التطورات الاخيرة فى البنيان الاقتصادى الامريكى •

لقد تحمل الشعب العامل فى امريكا عـبء الانجازات التكنولوجية الحديثة فى الصـناعة الامريكية • ومن خلال رأسمالية الدولة الاحتكارية زادت نفقات الحكومة على الانتاج من ٨ فى المائة من مجموع الدخل القومى عام ١٩٢٩ الى ٢٠٫٧ فى المائة عام ١٩٦٧ • وزادت النفقات علـى الابحاث من ٣٧٠ مليون دولار عام ١٩٤١ الى ١٢٫٤٣٥ مليون دولار عام ١٩٦٤ (تمثل ٧٠ فى المائة من مجموع تكاليف الابحاث) (٤) •

ولقد القيت هذه النفقات على عاتق جماهير الشعب الامريكى فزادت نسبة مساهمة العمال فى الضرائب الفيدرالية ما بين ١٩٤١ ـ ١٩٦٩ من ٤٥ فى المائة الى ٦٨ فى المائة ، بينما كان نصيب كبار الرأسماليين ينخفض من ٥٥ فى المائة الى ٣٢ فى المائة •

ومع ذلك فلقد كان المستفيد الاول من هـذه الانجازات هى الاحتكارات الامريكية الكبرى التى قفزت ارباحها ما بين سنوات ١٩٢٩ ـ ١٩٦٧ من ٩٫٩ بليون دولار الى ٧٥٫٧ بليون دولار بمعدل مستوى متوسط ظل يتزايد من ٢٫١٩٠ مليون فى سنوات ٣٩ ـ ٤٩ ، الى ٢٫٣٢٠ مليون فى سنوات ٤١ ـ ٥٩ ، ليقفز الى ٣٫٣٨٩ مليونا فيما تلى ذلك من سنوات • فى حين لم يفز الشعب الكادح فى ظل هذه الانجازات التى تحمل عبئها الا بالمزيد من الاستغلال • ان معدل تكلفة وحدة العمال لم تزد فى كل الصناعات الامريكية عن ٣٫٩ فى المائة فى الفترة مابين ١٩٥٨ ـ ١٩٦٦ ، بينما ارتفعت القيمة الضامنة لكل دولار مدفوع أجورا بنسبة ١٢٫٣ فى المائة ، وزاد معدل انتاجية العامل فى الساعة بنسبة ٣٣ فى المائة •

وبينما أرباح الاحتكارات الكبرى ترتفع فى التسع سنوات الاخيرة بنسبة ٩٤ فى المائة لم تزد الاجور فى نفس المدة الا بنسبة ٣٣ فى المائة ، وهى زيادة ابتلعها التضخم المالى الخطير الذى هبط بالقوة الشرائية للدولار الى ثلث قيمتها فى عام ١٩٣٩ ، ولم تتحسن ظروف العمل الاخرى بل زادت

---

(٣) نيوزويك عدد ٦ يوليو ١٩٧٠ •
(٤) للمزيد من الارقام انظر كتيـــاب « التحدى الامريكى » ر• ج• ثبرايير •

سوءا ، لقد ارتفع معدل اصابات العمل فى الصناعة الامريكية بنسبة ٢ر١٢ فى المائة ، وارتفعت نسبة الوفيات بأمراض القلب من ١ر٥ فى الالف عام ١٩٥٠ الى ٤ر٥ فى الالف عام ١٩٦٦ ، وتزايد عدد المرضى بأمراض عقلية من ٠٠٠ر٧١٥ عام ١٩٥٠ الى ٠٠٠ر٢٤٨ر١ عام ١٩٦٦ ، فى الوقت الذى ارتفعت فيه تكاليف العلاج اليومى بالمستشفيات بنسبة ٨٠٠ فى المائة فى نفس الفترة .

ناهيك عن عمليات توفير العمال مع كل تحديث لوسائل الانتاج وكل اتجاه لتخفيض معدلات الانتاج ، مما جعل البطالة الكاملة فى تزايد مستمر بشكل خطير وصل بها فى أبريل من هذا العام (١٩٧٠) الى اكثر من اربعة ملايين عاطل ، وتتحمل جماهير الزنوج والبورتوريكيون النصيب الاكبر من حالات فقد العمل حيث هم « آخر من يحصل على عمل وأول من يطرد منه ، وحيث يصل معدل البطالة بينهم ثلاثة امثال معدل البطالة فى أحياء البيض .

وبينما حركة الاندماجات والتمركز فى رأس المال والارباح تجرى على قدم وساق ، يضيق أكثر فأكثر مجال « المشروع الحر » الذى طالما تغنت به الرأسمالية ، حتى أن معدل الانهيارات فى المشاريع الصغيرة وصل فى أعوام ١٩٦١ ــ ١٩٦٥ الى نفس معدل سنوات الازمة الاقتصادية الكبرى فى الثلاثينات .

ولم يكن الريف بمنآى عن هذه التطورات المعاكسة لكل الامال التى يمكن للتكنولوجيا الحديثة ان تحققها لو استخدمت لصالح الشعب . فلقد أدت المكننة العالمية للزراعة على أسس رأسمالية واحتكارية الى أن يحيق الخراب بملايين المزارعين الصغار ، وأن يفقد عدد متزايد من صغار الملاك ملكياتهم الخاصة ويتحولوا الى أجراء فى الارض أو يهاجروا الى المدن ، ولقد شهدت السنوات ما بين ١٩٤٠ و١٩٦٤ نقص المساحات التى تقل عن عشرة هكتارات فى الريف الامريكى بنسبة ٨ر٦٣ فى المائة بينما ارتفعت تلك التى تزيد عن ١٠٠٠ هكتار بنسبة ٥ر٤٣ فى المائة فى نفس الفترة (٥) .

لقد تبخرت احلام « المجتمع العظيم » وأدت التطورات التكنولوجية الحديثة فى ظل الاحتكار الى مزيد من التضييق فى السوق الشرائية الداخلية ، فكان الحد المتعمد من معدلات النمو ، وتعطيل نسبة أكبر من القوى الانتاجية ، مع ما يصاحب ذلك بالضرورة من القاء عدد أكبر من أفراد المجتمع الى أحضان البطالة ، وكان التمادى فى عسكرة الاقتصاد الامريكى وازدياد نفوذ المؤسسة العسكرية ــ الصناعية ، وكان الاندفاع أكثر فأكثر نحو الاستثمارات والمغامرات الخارجية وتضخم النفقات الحربية على حساب الامال المشروعة لجماهير الشعب فى تحسين الاحوال الاجتماعية ، وكانت النكسات فى هذه المغامرات عاملا جديدا يرتد الى المجتمع الامريكى ليزيد من تفاقم أزمته .

كم تبدو هذه الحقائق التى لا جدال فيها اليوم مثيرة على ضوء ما بشر به مفكرو الرأسمالية الامريكية من عصا سحرية تحملها التكنولوجيا المعاصرة لشفاء الرأسمالية من كل أمراضها ، وتحويلها الى رأسمالية من نوع جديد لا تعرف الازمات ولا تراكم الغنى فى جانب والفقر فى جانب آخر ؟

فشل الليبرالية الامريكية ، وفتح الطريق أمام قيام دولة بوليسية

يلاحظ المطلع على الصحافة الامريكية عامة تزايد التصايح ضد العنف ، والى جانب العديد من اللجان التى سبق تشكيلها لدراسة ظاهرة العنف فى المجتمع الامريكى ، اعلن نيكسون اخيرا عن تشكيل لجنة من تسعة أعضاء لدراسة ما أسماه « ظاهرة العنف بين طلبة الجامعات الامريكية والتى تهدد سلامة النظام التعليمى فى الولايات المتحدة » .

وبهدف التعمية والتحريض تخلط الصحافة الامريكية « كل شىء فى سلة واحدة » فلا فرق هناك بين اضرابات العمال من أجل رفع أجورهم ، وهبة الطلاب ضد الحرب ، وتسخير الجامعات للاغراض العسكرية الاجرامية ، ودفاع الزنوج عن أرواحهم ضد العصابات المسلحة ، وبين ازدهار الجريمة فى المجتمع الامريكى حيث ارتفعت الجرائم الخطرة من ٠٠٠ر٤٠٠ر١ جريمة عام ١٩٥٧ الى ٠٠٠ر٧٠٠ر٣ جريمة عام ١٩٦٧ .

واذا كان ازدهار الجريمة فى المجتمع الامريكى هو شاهد آخر على فشل « مجتمع الرفاهية » فى حل مشاكله الاجتماعية ، خاصة وأن عددا ضخما من هذه الجرائم تم ارتكابها بوساطة الجنود العائدين من فيتنام ، أو بوساطة عصابات الشباب

---

(٥) لمزيد من الارقام انظر مجلة « السلم والاشتراكية » عدد يناير ١٩٧٠

ممن ذهب الهرويين وأفلام الجنس والجـريمة بصوابهم ، الا أن ذلك الخلط المقصود من جانب أجهزة الاعلام الامريكية بين الاشكال المختلفـة جذريا من العنف انما يهدف الى تغطية الاساس الاجتماعى والسياسى لاندفاع النضال الاجتماعى فى الولايات المتحدة ، فى المرحلة الاخيرة الى العنف ، كتعبير عن تزايد الايمان الجماهيرى بعدم جدوى النضال البرلمانى والقانونى فى حـل المشكلات المتفاقمة التى يئن منها المجتمع •

لقد شهد الامريكيون رئيسا للجمهورية بعـد الاخر يتم انتخابه على أساس برنامج يدعو لانهاء الحرب التى تخوضها أمريكا ثم ما يلبث بعد انتخابه يواصل تصعيدها ، وشـهدوا نظـامهم الدستورى وهو يسمح لترومان وايزنهاور وكيندى وجونسون ثم نيكسون بأن يعلنوا هذه الحرب او تلك دون حاجة لموافقة الكونجرس التى ينص عليها الدستور • وشهدوا قرارات فيدرالية خـاصة بالتفرقة العنصرية تصدر وتدعمها قرارات للمحكمة الدستورية العليا فيتحـداها حكام الاقـاليم وعصابات البيض المسلحين سرا وجهرا دونمـا رادع ، وشهدوا نظاما برلمانيا يعيش تحت سيطرة البنتاجون ورقابته بدلا من أن يفرض هو سيطرته ورقابته على البنتاجون ، وكان لابد للنضـال الاجتماعى من الاتجاه الى العنف • بل ان التزايد المضطرد فى لجوء السلطات الفيدرالية والاقليمية الى استخدام العنف والمؤامرة فى مـواجهة الحركات الجماهيرية للعمال والطلاب والزنوج هو اعتراف صريح بفشل الديموقراطية الرأسمالية الامريكية فى تسيير دفة المجتمع الامريكى فى طريق تحقيق مصالح الطبقات الحاكمة بشكل سـلمى ودستورى » •

ان استمرار خرق السلطات الامريكية للدستور فى مواجهة حركات المعارضة هو الذى دفع **وليم دوجلاس** ممثل أعلى سلطة قضائية وعضو المحكمة العليا لان يقول فى كتابه المشار اليه سابقا « ان اتجاهنا الى البحث عن الانحرافات المذهبية عن طريق الاستجوابات الخاصة بالامن والتأكد من ولاء المواطنين قد عجل بدرجة ضخمة بزيادة اتجاهنا الى الجمود • ان أى شخص يعمل فى الحكومة الفيدرالية أو فى أية حكومة محلية لابد له وان يتحمل توجيه التهم المذهبية اليه ، وكل شخص يعمل لحساب المقاولين أو شركات المقـاولات الخاصة بأعمال الدفاع لابد له أيضا من أن يبرىء ذمته ••• لقد أجرينا استجوابات لعشرين مليونا من المواطنين على الاقل • ولقد سقط العديد من الضحايا فى الماضى ، ولا تزال أعدادهم آخذة فى الزيادة » •

ناهيك عن الاموال الضخمة المخصصة لاجهزة التجسس ، وتفنن الرأسمالية الامريكية فى ابتكار الاجهزة الالكترونية الخاصة بالتجسس على كل فرد من أفراد المجتمع الامريكى الذى أطلق عليه الصحفى الامريكى **مايرون برنتون** بهذا الخصوص اسم « المجتمع العارى » •

لقد تميزت الليبرالية الامريكية بتقديس الفردية وبسيادة البراجماتية « والاتجاه العملى » • وعندما تلف الازمة اليوم المجتمع الامريكى ، فان الاتجاهات المغرقة فى اليمينية تضيق حتى بهذه السمات • ان **اندرو هاكر** أستاذ جامعة كورنل الذى قدمته النيوزويك كممثل للفكر اليمينى يعلن بجلاء فى تحليله للازمة « لقد أصبحنا باختصار ، تجمعا مفككا من الافراد الذاتيين الذين يعطون الاولوية العليا لمتعتهم الشخصية فوق السـعى الجماعى ••• ان معظم الامم قد حققت عظمتها من خلال الغزوات الحربية ، ولكن مثل هذه النجاحات تتطلب مواطنين يقدمون على الموت دون أن يسألوا عن المهمة الموكولة لهم ، ولا تـوجد بيـن الامريكيين ـ وخاصة بين الشباب ـ سوى قلـة يتضاءل عددها هى التى مازالت تمتلك هـذه الوطنية المعماة التى تدفع الجنود الى المغامرة مما يحقق الانتصارات فى ميادين القتال » • وهـو يرجع التدهور فى الاصـلاحات الاجتمـاعية الداخلية الى أنانية الفرد الامريكى قائلا : « لا أنا ولا أحد أعرفه قد كتب الى ممثله فى الكونجرس يطلب منه أن يزيد الضرائب المطلوبة منه » !!

ان النفوذ المتعـاظم للبنتـاجون ، والشـبكة العسكرية ـ الصناعية ، وفى ظل ظروف الازمة التى تلف المجتمع الامريكى ، انما يفتح الطريق واسعا أمام قيام دولة بوليسية متكاملة • وبهذا الصدد فان البروفيسور **هوفستاوتر** يعلن عـن اقتناعه « اننى لست قلقا من خطر ثورة يقوم بها الشباب الراديكالى والزنوج ، ولكن ما يقلقنى هو ما يمكن أن نساق اليه من فترة جديدة مفزعة نتيجة لرد فعل عنيف من جانب الجناح اليمينى » ، بينما يعلن الاستاذ **ستاوتون ليند** « ان الكبت والاستبداد يتزايدان فى أمريكا لان المستويات العليا فـى المجتمع تصر على أن تبقى الاشياء على الصورة التى كانت عليها •• ومن الواضح ان هذه القوى مستعدة لان تحطم العالم ولا تراه يصبح شيئا غير ماتتصوره هى » •

اشتداد الاتجاهات العدوانية

ونمـو النضـال ضـدها

ان أمريكا ١٩٧٠ هى بالدقة ما حذر منـه ايـزنهاور فـى ١٩٦٠ ، دولـة الشـبكة العسكرية ـ الصناعية • ان نصف جميع موظفى

الدولة فى الولايات المتحدة ضباط فى الادارات العسكرية التى تزود ٢٢ ألف شركة أمريكيه بعقود صناعة الاسلحة والمؤن العسكرية . وفى معظم الحالات فان العملاء المباشرين لشركات الكبرى يشغلون مناصب رؤساء الادارات العسكرية فى الولايات المتحدة ، وينطبق ذلك بصفة خاصة على وزارة الدفاع . وفى نفس الوقت أصبح حوالى ٢٠٠٠ من الجنرالات والادميرالات الامريكيين يشغلون مناصب قيادية فى الشركات الكبرى التى ترتبط ارتباطا وثيقا بالاعمال العسكرية . وكما لاحظت صحيفة **كريستيان ساينس مونيتور** بأن الشبكة العسكرية ــ الصناعية الامريكية ليست نتاج العلاقات الودية بين الجنرالات ورجال الصناعة فحسب بل هى تشمل أيضا أعضاء مجلس الشيوخ والنواب . وهذا التحالف هو الذى يفرر اليوم بشكل سافر سياسة الولايات المتحدة الخارجية المتطرفة . « ان الطريق الاساسى ــ كما يلاحظ الاستاذ **ستاوتون ليند** ــ الذى تسلكه الولايات المتحدة لتوافق قدرتها الانتاجية هو الحرب ، وبشكل أكثر دقة ، ايجاد حالة من الاستعداد الدائم للحرب مما يزيد من احتمال نشوبها عاما بعد عام » .

وعلى الرغم من كل الهزائم التى تواجهها القوات الامريكية فى فيتنام ، فلقد ربط **نيكسون** سياسته بالاتجاه نحو استمرار وتصعيد الحرب هناك فى حديثه البونابرتى الذى أعلن فيه أنه يفضل ألا يصبح رئيسا للولايات المتحدة مرة أخرى فى عام ١٩٧٢ ــ وهو اعتراف برفض الشعب الامريكى لسياسته المغامرة ــ على أن يرى أمريكا تهزم فى عهده لاول مرة فى تاريخها .

وفى عام واحد ، صعدت حكومة نيكسون من حرب فيتنام ، وشنت حربها ضد شعب لاوس ، وأقدمت فى سفور على غزو كمبوديا ، وزودت استعداداتها ــ فى الاونة الاخيرة ــ لتوسيع تدخلها العسكرى بشكل سافر فى الشرق الاوسط .

لقد كان على الشباب الامريكى ان يقبل الموت فى هدوء دفاعا عن مصالح الاحتكارات الامريكية فى شتى أرجاء العالم . وان يرضخ للتوسع فى حملات التجنيد من اجل مزيد من الوقود لمغامرات الشبكة العسكرية الصناعية .

لقد شارك الشباب الامريكى فى حروب استقلال امريكا ، وفى الحرب الاهلية الامريكية بشجاعة ، وشهدت فرق الكوماندوز فى الحرب العالمية الثانية ضد النازية آلاف من الشباب والطلاب الامريكيين المقبلين تطوعا للاشتراك فى القتال ايمانا منهم بأنهم يقاتلون من اجل قضية عادلة . اما الموت لمجرد الدفاع عن مصالح حفنة من الاحتكاريين الامريكيين فى حروب لم يعد يشك احد فى طبيعتها العدوانية الظالمة ، ولافى عدم توافقها مع الدستور الامريكى ، ولا فى مصيرها المدموغ بالهزيمة المؤكدة ، فلقد كان أمرا جديرا بكل رفض ، ولقد انفجرت الحركة الطلابية الاخيرة على أثر تلك القرارات الخاصة بتصعيد الحرب الفيتنامية وغزو كمبوديا بكل ما تعنيه هذه القرارات وما تحمله من مصير مفجع لشباب وطلاب امريكا . وكانت حركة الشباب من اجل السلام هذه هى التى فجرت فى سفور ازمة النظام الامريكى وكشف كل قروحه .
واذا كان نيكسون قد اضطر ان يعلن انه سيسحب القوات الامريكية من كمبوديا ، فان الشبكة العسكرية الصناعية لن تكف عن مغامراتها ، بل هى قد ترى فى الازمة دافعا اكبر الى المغامرات العسكرية سواء بتصعيد اكبر للحرب فى فيتنام ، وتوسيع مغامراتها الى اجزاء اخرى من المناطق المتوترة ، مما يستوجب المزيد من اليقظة ومزيدا من النضال ، من جانب قوى السلم فى العالم وفى الولايات المتحدة .

ظروف موضوعية جديدة

لنمو الحركة الديمقراطية

لم تأت الانجازات التكنولوجية فى ظل الاحتكار بالمزيد من الارباح للشركات الاحتكارية والمزيد من الاستغلال للقوى العاملة ، وتفاقم نفوذ الشبكة العسكرية الصناعية فحسب . بل لقد ادت ايضا الى التعجيل بتحركات هامة فى بنيان القوى العاملة وفى المراكز النسبية للمناطق الاقتصادية فى الولايات المتحدة . لكل منها اهميته الاجتماعية والسياسية بالنسبة لنمو الحركة الديمقراطية العامة فى ايطاليا .

لقد ادت التطورات الاخيرة الى ذلك التحول التاريخى للزنوج الامريكيين من شعب زراعى الى شعب صناعى ، وتحول الاغلبية العظمى من الزنوج الامريكيين الى عمال صناعيين يقطنون اساسا فى المراكز الصناعية الكبرى فى الجنوب والشمال . ان الزنوج يشكلون اليوم ٣٠٪ من سكان شيكاغو ، كمايشكلون اكثر من ٥٠٪ من سكان مدينة جارى مدينة الصلب ، وقد أصبح هذا طابعا عاما للمراكز الصناعية . واذيعانى الزنوج من استغلال مركب اشد قسوة ، فانهم يندفعون بعنف مشكلين قوة هامة وهائلة فى الصفوف الامامية للصراع الاجتماعى .

ولقد أودت القفزات التكنولوجية بالكثير من المهارات المهنية الخاصة ، وفقدت القيادات

البيروقراطية فى الحركة النقابية الامريكية سندها الاجتماعى، ودبت حياة جديدة ،فى الحركة النقابية الامريكية »

واشعلت نفس التطورات ثـورة ناميـــة بين المزارعين ، عبرت عنها حركات حجب المزارعـــين لمنتجاتهم عن السوق ، واضراباتهم من اجل اسعار أعلى ، وزحفهم بالجرارات على العاصمة واشنطن احتجاجا على سوء احوالهم ٠

ومع تزايد نفقات المعيشة فى المدن يضطر عدد متزايد من الشباب الى النزول الى سوق العمل حتى يزيدوا من دخل الاسرة ، ويتحصلوا على مصروفهم الشخصى ، وبالفعل فان حوالى ١٨ ٪ من مجموع قوة العمل الامريكية تتكون اليوم من هؤلاء الشباب الذين تتراوح اعمارهم مابين الرابعة عشرة والرابعة والعشرين ٠ وتحت لسعات الاستقلال فى العمل ، والكبت الذى يواجهوه فى الجامعات التى تحولت الى مؤسسات تخدم السلطات الحاكمة والمصير المفجع الذى تعـدهم به غزوات الشبـكة العسكرية الصناعية ، تتبخر غفوات الهرويين وتنخرط اجزاء واسعة منهم فى النضال الاجتماعى ضد سلطة الاحتكارات الامريكية ٠

وبازدياد الفنيين والمهندسين اللازمين للاشتراك مباشرة فى العملية الانتاجية يزداد التصاق هؤلاء بقوى العمال ، ويزداد احساسهم بأن مصالحهم ترتبط بمصالح العمال اكثر مما ترتبط بمصالح اصحاب الاعمال ٠ وهذا ينطبق ايضا على « ذوى الياقات البيضاء » من موظفى المكاتب الذين تؤدى مكننة أعمالهم الى تغييرات كبيرة فى عقليتهم ٠

ان العقلية الامريكية المحافظة فى المجـال الاجتماعى تخلى مكانها اليوم لعقلية متشككة فقدت ايمانها بأسلوب الحياة الامريكية بكل ما مثله من قيم ومؤسسات لتندفع شيئا فشيئا باحثة عن اسلوب آخر للحياة ٠

يقول الاستاذ **يوجين جينوفيز** رئيس قسـم التاريخ بجامعة روشستر : « اننا اذا ما فشلنا فى خلق حركة سياسية من أجل اعادة البعث الوطنى فان الاوضاع الحالية سوف تستمر فى الوجود فترة طويلة من الزمن، ولكن من الواضح الان أنها لن تستطيع ابدا أن تطفىء اللهب الثورى الذى يهز الارض » ٠ ويقول الاستاذ **ستاوتون ليند** « أن المشكلة التى تنبثق اليوم فى مجرى التاريخ والتى ارى انها ستسيطر على الجيل القادم فى هذا البلد هى النضال للحفاظ على أمريكا كبلد ديمقراطى فى مواجهة الضغوط اليمينية ٠٠ واذا ما كان لامريكا أن تظل بلدا ديمقراطيا فانى اعتقد أنها ستصبح بلدا اشتركيا ٠ وفى النضال من اجل الحفاظ على الديمقراطية يمكن ان يتشكل حلفا ستكون له القوة لجعل امريكا اشتراكية » ٠

بداية منعطف جـــــديد
فى الحركـة الجمـاهيرية

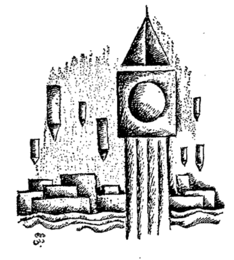
ان مجموع التغيرات الثورية التى تتفاعل فى ارضية المجتمع الامريكى انما تخلق اوضـاعا جديدة تدفع نحو تحركات جماهيرية ـ من نوع جديد مازلنا لم نشهد سوى بداياتها ٠ واذا كان نضال الزنوج الامريكيين قد وصل الى مستوى عال من التنظيم والصلابة فمن الامور ذات الدلالة الخاصة ايضا ذلك الارتفاع المضطرد فى النشاط الاضرابى للعمال الامريكيين عامة وفى جميـع المجالات ٠لقد شهد عام ١٩٦٨ مثـلا ٥٠٤٥ر٥ اضرابا شارك فيها ٠٠٠ر٦٥٠ر٢ عامل صناعى ، وذلك مقابل ٧٠٨ر٣ اضرابا شـارك فيهـا ٠٠٠ر٨٨٠ر١ عامل فى عام ١٩٥٩ ٠ كما شهد نفس العام ١٤٢ اضرابا لموظفى الحكومة شارك فيها ٠٠٠ر١٠٥ موظف مقابل ١٥ اضرابا شـــارك فيها ٧٢٠ر١ موظف فى عام ١٩٥٨ ٠ كما ازدادت النشاطات الاضرابية لعمال المستشفيات من سبع اضرابات فى عام ١٩٥٨ الى ٣٦ اضرابا فى عـام ١٩٦٨ ، وازدادت النشاطات الاضرابية للمعلمين من لا شىء عام ١٩٥٨ الى ٥٤ اضرابا فى عام ١٩٦٨ ٠

وبعد فترة طويلة من سيطرة وكالة المخابرات الامريكية على اتحادات الطلاب الامريكيين شارك طلاب امريكا فى الآونة الاخيرة فى فضـح حقيقة المجتمع الامريكى ، وقدموا شهداءهم فى الصراع ضد السلطات الاحتكارية الامريكية ، واصبحت حركتهم رمزا للشرارات الثورية الجديدة التى تتطاير فوق الارض الامريكية ٠

واخيرا ٠٠ قد نكون مازلنا بعيدين عن اى تقييم حقيقى للحركة الديمقراطية بفصائلها المختلفة فى الولايات المتحدة ، ولكن يمكن القول باطمئنان انها تشهد بداية منعطف جديد ٠ سوف تتخلص فيه من كثير من النقائص وتكتسب قدرا من وضوح الفكر وتحقق نوعا من الترابط بين فصائلها المختلفة بما يهىء لها التصدى للقوى الفاشية بفاعلية متزايدة ٠

« دنكرك » الأسطورة والتاريخ

محمود عزمى



منذ أن وقعت حكومة بيتان الانهزامية وثيقة استسلام فرنسا مساء يوم ٢٢ يونيو ١٩٤٠ ، والى ان غزت الجيوش الهتلرية اراضى الاتحاد السوفيتى فجر يوم ٢٢ يونيو ١٩٤١ ، كان الشعب البريطانى يقف بمفرده صامدا فى مواجهة الاعصار النازى الذى اجتاح أوروبا وقتئذ ، رافضا كل دعوة من جانب « هتلر » الى عقد تسوية سياسية مفروضة من مواقع انتصار العدوان والقهر ، وذلك فى وقت كانت المانيا النازية قد بلغت فيه قمة مجدها العسكرى والسياسى والمعنوى ،

ولقد تحقق هذا الصمود البريطانى نتيجة تفاعل عدة عوامل مختلفة ، بعضها يرجع الى الشعب البريطانى نفسه من حيث اصراره على القتال وثبات معنوياته ، وبعضها يرجع الى قيادته من حيث كفاءتها وحزمها ووضوح رؤيتها ، وبعضها يرجع الى اخطاء العدو النازى نفسه من حيث سوء تقديره السياسى على مستوى الاستراتيجية العليا وعدم تلاؤم وسائله واساليب عمله مع اهدافه على مستوى الاستراتيجية العسكرية المباشرة .

وتهدف هذه الدراسة الى القاء بعض أضواء البحث العلمى على مختلف جوانب هذه الظاهرة الهامة فى التاريخ السياسى والعسكرى الحديث ، وتقييم مختلف العوامل والظروف التى ساهمت فى وجودها ، واستخلاص الدروس والخبرات المستفادة منها .

فى البدء كانت معجزة « دنكرك »

عندما حل يوم ٢٤ مايو ١٩٤٠ كانت الخطة الالمانية الموضوعة لهزيمة الجيوش الفرنسية والبريطانية والبلجيكية الموجودة فى بلجيكا وشمال فرنسا ، قد أوشكت أن تتحقق بالكامل بعد انقضاء اسبوعين فقط من بدء تنفيذها فجر يوم ١٠ مايو ، اذ كانت الفيالق المدرعة « البانزر » التابعة لمجموعة الجيوش « أ » التى يقودها « فون رونشتد » قد أتمت اختراقها الاستراتيجى العميق عبر خط الدفاع الفرنسى عند « سيدان » ، والتفت حول الجناح الايمن لجيوش الحلفاء المتقدمة فى بلجيكا ، ووصلت الى شاطىء المانش وحاصرت

موانى « بولونى » و « كاليه » ، ولم تبق بالتالى غير « دنكرك » كمنفذ رئيسى وحيد للفرار عن طريق البحر أمام القوات الفرنسية والبريطانية « الجارى عصرها داخل جيب آخذ فى الانكماش ، وكان من المنتظر زيادة قوة العصر بمجرد أن يؤدى استسلام القوات البلجيكية الوشيك الوقوع الى ترك الجنب الشمالى للجيب مفتوحا ، وهكذا اصبح من الواضح ان مصير قوات الحملة البريطانية قد صار فى قبضة « هتلر » (١) وفى صباح هذا اليوم عبرت دبابات فيلق « جوديريان » قناة « الا » الواقعة على مبعدة ١٥ ميلا الى الجنوب الغربى من « دنكرك » وأخذت تقترب بسرعة من الميناء المذكور فى وجه مقاومة واهنة من فرقة مشاة فرنسية تعتبر من فرق الدرجة الثانية ، وفى نفس الوقت كانت دبابات فيلق « راينهاردت » قد عبرت « الا » هى الاخرى عند « سانت أومير » وأخذت تزحف بسرعة صوب « كاسل » لتقطع طريق «ليل ـ دنكرك» حيث كانت تتركز معظم القوات البريطانية والفرنسية على مبعدة ٦٠ ميلا من «دنكرك» . ويقول تشرشل فى مذكراته انه فى هذا اليوم « لم يكن هناك خط دفاعى متصل » ، ولكن كان هناك مجموعة من النقط الدفاعية عند المعابر الرئيسية ، التى كان بعضها قد سقط فى أيدى العدو ، مثل «سانت اومير» و « واتن » (٢) لذلك لم يكن غريبا ان يكتب الجنرال « آلان بروك » قائد أحد فيالق الحملة البريطانية ، فى يومياته مساء يوم ٢٣ مايو انه « لا شىء يمكن ان ينقذ قوات الحملة البريطانية حاليا غير وقوع معجزة ، وأن نهاية هذه القوات أصبحت وشيكة » (٣) . وأصبح « تشرشل » ، الذى كان قد تولى رئاسة الوزارة البريطانية منذ يوم ١٠ مايو ١٩٤٠ فحسب ، يخشى أن يضطر خلال اسبوع واحد أن يعلن نبأ أكبر كارثة عسكرية حلت ببريطانيا طوال تاريخها كله ، وذلك لانه بات يعتقد هو وأقرب مستشاريه أنه « لن يمكن انقاذ أكثر من ٢٠ او ٣٠ الف جندى عن طريق البحر ، نظرا لان السفن والشواطىء كانت معرضة بشكل شديد للقصف الجوى ، وسوف تصبح بعد زمن قليل واقعة أيضا تحت تأثير نيران المدفعية ، وفضلا عن ذلك كانت القوات نفسها متورطة فى قتال متلاحم بحيث بدا من المستحيل لاكثر من آلاف قليلة منهم أن تتخلص من القتال طالما استمر الالمان فى هجومهم ، هذا بالاضافة الى أنه كان فى استطاعة اى اندفاع قوى بالمدرعات ان يشطر الجيب الى شطرين ، نظرا لقلة الدبابات والمدافع المضادة للدبابات التى كانت لدى البريطانيين » (٤) .

وفجأة التقطت أجهزة الاستقبال اللاسلكى البريطانية رسالة المانية مرسلة بدون شفرة من مقر قيادة «فون رونشتد» فى تمام الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثانية والاربعين من صباح ذلك اليوم ٢٤ مايو ، تتضمن امرا بوقف تقدم وحدات البانزر على طول قناة « آلا » (٥) ابتداء من « جريفلين » الواقعة عند المانش حتى « بيسون » الواقعة الى الجنوب الغربى من « ليل » بنحو ٢٥ ميلا وعلى مبعدة ٥٠ ميلا من البحر ، وأن تسحب الوحدات التى عبرت القناة الى الضفة الاخرى مرة ثانية وتبقى هناك بلا حراك لحين صدور أوامر أخرى ، وكان مصدر هذا الامر هو « هتلر » نفسه الذى كان مجتمعا فى ذلك الوقت مع « فون رونشتد » فى مقر قيادة مجموعة الجيوش «أ» الموجود فى مدينة « شارلفيل » الفرنسية !

وقد استمر امر التوقف هذا ساريا بشكل كامل بالنسبة لقوات « فون رونشتد » نحو ثلاثة أيام ، تمكن خلالها اللورد « جورت » قائد الحملة البريطانية ، من تعزيز دفاعه فى هذا القطاع ، كما بدا فى اقامة نطاق دفاعى قوى حول « دنكرك » نفسها يستقبل داخل اطاره القوات البريطانية والفرنسية التى شرعت فى الانسحاب فعلا ابتداء من يوم ٢٥ ، وفى نفس الوقت كانت البحرية البريطانية تجرى عملية حشد لعدد كبير من السفن لبدء تنفيذ عملية الجلاء عن « دنكرك » التى اطلق عليها الاسم الرمزى « دينامو » ، وقد بلغ مجموع ما احتشد فعلا ٨٦١ سفينة من مختلف الانواع ، من بينها ٦٩٣ سفينة بريطانية والباقى سفن فرنسية وبلجيكية وهولندية . هذا فضلا عن مئات أخرى من القوارب واللنشات واليخوت التى سارع أصحابها من أبناء الشعب البريطانى بالمساهمة بها لانقاذ ما يمكن انقاذه من جنود الجيش البريطانى ، وفى يوم ٢٧ مايو استأنفت فرق « البانزر » زحفها مرة أخرى عبر « الا » مع التشديد عليها بعدم

---

(١) Wilmost, Chester. «The Struggle For Europe». London, Collins, Fontana Books, 1966, P. 17.

(٢) Churchill, Winston. «The Second World War» - 3 - «The Fall of France», London, Cassell, 1968, P. 72.

(٣) Horne, Alistair.» - To Lose A Battle - «France 1940». London, Macmillan, 1969, P. 463.

(٤) شستروبلموت ــ الصراع من اجل اوروبا ــ المرجع السابق ــ صفحة ١٧ .

(٥) تشرشل ــ الحرب العالمية الثانية جزء ٣ « سقوط فرنسا » المرجع السابق ــ صفحة ٦٦ ، ١٠٣ .



● جورنج







● موسوليني

● هتلر

مهاجمة « دنكرك » نفسها بشكل مباشر كما يقول « تشرشل » فى مذكراته ! وفى نفس اليوم بدا تنفيذ « دينامو » ولكن لم يمكن اجلاء غير ٧٦٦٩ جنديا بريطانيا طوال هذا اليوم (٥) ، وقد واجه « جوديريان » مقاومة عنيفة من الفرقة الفرنسية المدافعة عن مشارف « دنكرك » الجنوبية الغربية الا انه تمكن خلال أيام ٢٧ ، ٢٨ من احتلال « جريفلين » والوصول الى ترعة «مرديك» على مبعدة نحو ٨ كيلو مترات فحسب من « دنكرك » ، حيث توقفت دباباته عن الزحف وأخذت مدفعيته المتوسطة تقصفها بالنيران ، وكذلك تمكن فيلق « راينهاردت » من فتح ثغرة فى خط الدفاع الذى يحمى طريق الانسحاب من « ليل » فى قطاع « كاسل — هازبروك » ، الا انه لم يقم باستغلالها ! وفى يوم ٢٩ مايو سحب « هتلر » فرق « البانزر » كلها تقريبا من المعركة الدائرة حول « دنكرك » وارسلها للراحة قليلا قبل استئنافها الزحف صوب « باريس » وانهاء المرحلة الثانية من معركة « فرنسا » ! وفى هذا اليوم لم تكن «دينامو» قد أسفرت الا عن ٧٢٫٧٨٣ جنديا من مجموع ال ٢٢٦٫٣٣٨ جنديا الذين تم اجلاؤهم (٥) . وقد عهدت القيادة الالمانية لست فرق مشاة تعززها بعض الدبابات بمهمة تصفية جيب « دنكرك » تدريجيا ! .

ولهذا كان من المنطقى أن يقول الجنرال « الكسندر » ، وهو قائد الفيلق الذى خلفه وراءه « جورت » ليشرف على المرحلة الاخيرة من الجلاء فى مذكراته « لو ان « هتلر » القى بثقل قواته بالكامل بقصد تحطيم قوات الحملة البريطانية ، لما أمكن لهذه القوات أن تهرب مطلقا ، لذا فاننى لو سئلت من أنقذ قوات الحملة البريطانية ؟ لقلت انه « هتلر » (٦) .

هذا ولقد قيل بصدد تفسير قرار « هتلر » المتعلق بعدم الاستيلاء السريع على « دنكرك » ان « هتلر » بحكم معرفته السابقة بطبيعة أرض « الفلاندرز » المحيطة « بدنكرك » منذ أن كان يحارب فيها كجندى بسيط أثناء الحرب العالمية الاولى ، خشى على دباباته من كثرة الحفر والترع والمياه الموحلة المنتشرة بها وذلك حتى يستطيع أن يستخدمها بسرعة فى انهاء معركة فرنسا ، ولكن « جوديريان » نفسه قائد الفيلق المدرع الذى أوقف عند مشارف «دنكرك» وخبير ومنظم فرق البانزر الشهير يقول « ان الحجة القائلة بأن الارض فى « الفلاندرز » بحفرها الكثيرة وقنواتها العديدة لم تكن ملائمة للدبابات انما هى حجة واهية هزيلة » (٧) !

وقيل أيضا ان « جورنج » كان وراء قرار « هتلر » هذا « لانه اراد ان يضمن لقوته الجوية القيام بالدور الحاسم النهائى فى تلك المعركة الكبرى ، بعد أن أنجز الجيش حتى ذلك الوقت ، عملياته الحربية بسهولة باعثة على الدهشة ، وذلك حتى يكسب لنفسه مجد النجاح امام العالم كله » (٨) ويستند هذا التفسير الى ان أمر هتلر بالتوقف يوم ٢٤ قد تضمن عبارة تقول ان « دنكرك » سيعهد بها الى السلاح الجوى ، ولكن واقع العمليات الجوية التى تمت فعلا فوق « دنكرك » يوضح أن هتلر لم يقصد بصورة

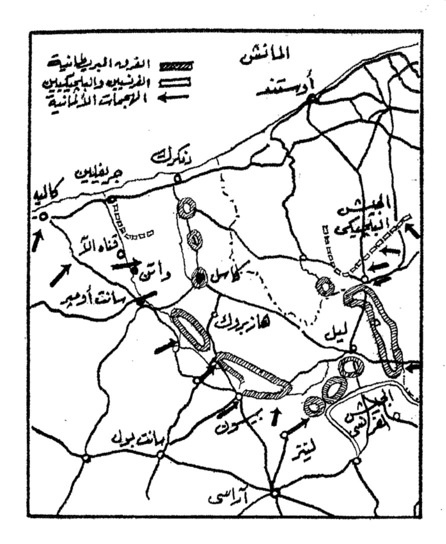
---

(٥) المرجع السابق :

(٦) «The Alexander Memoirs - 1940 - 1945», London, Cassell, 1926, P. 75.

(٧) Young, Peter. «Decisive Battles of The Second World War», London, Barker, 1969, P. 43.

(٨) Shirer, William. «The Rise And Fall of The Third Reich». New York, Crest Books, 1964, P. 965.





الموقف حول دنكرك مساء يوم ٢٤ مايو ١٩٤٠

جدية أن يركز قوة سلاحه الجوى الضخم من أجل منع عملية الاجلاء ، رغم ما حدث فعلا من خسائر بسبب القصف الجوى فى السفن التى اشتركت فى « دينامو » بلغت جملتها ٢٤٣ سفينة وزورق من مختلف الانواع والاحجام ، ورغم عنف المعارك الجوية التى دارت بين السلاحين الجويين البريطانى والالمانى طوال فترة الاجلاء التى استغرقت ٩ أيام والتى اسفرت عن اسقاط ٢٦٢ طائرة المانية مقابل١٠٦ مقاتلةبريطانية ، وفقد ٧٥ طيارا (٩) . ويؤكد المؤرخ العسكرى الاسترالى الشهير « شستر ويلموت » هذه الحقيقة حيث يقول « لو ان « هتلر » كان قد ركز كل القوة الضاربة للسلاح الجوى ضد «دنكرك»، لكان قد تمكن أما من شل عملية الاجلاء ، أو اضطر قيادة المقاتلات البريطانية على الدخول فى معركة دفاعية عنيفة كانت ستؤدى الى استنزاف المزيد من قوتها المضمحلة بالفعل » (٩) ، كما يؤكدها ايضا الجنرال « بلومنتريت » ، مدير عمليات مجموعة « فون رونشتد » ، حيث يقول : « ان امر « هتلر » الذى قضى بمنعنا من مهاجمة الانجليز فى « دنكرك » قد أقنع الكثيرين منا بأن « الفوهرر » يعتقد بأن الانجليز سوف يسلكون سبيل الاتفاق معه ، ولقد تحدثت مع بعض ضباط « اللفتواف » — اى السلاح الجوى الالمانى — وقد قالوا هم أيضا ان « هتلر » منعهم من القيام بهجوم جوى شامل على السفن فى « دنكرك » (١٠) ! هذا ويصف « بلومنتريت » مادار فى الاجتماع الذى عقده «هتلر» صباح يوم

---

(٩) شيستر ويلموت — الصراع من أجل أوروبا — المرجع السابق — صفحة ٤٠.

(١٠) Shulman, Milton. «Defeat in The West» London, Mercury Books, 1963, P. 51.




● رورلدت



● ديجــول



● مولوتوف

٢٤ مايو مع « رونشتد » وهيئة أركان حربه فى مقر قيادة مجموعة الجيوش « أ » فـى « شارلفيل » ، ذلك الاجتماع الذى اسفر عن أمر التوقف هذا ، فيقول : لقد كان «هتلر» فى ذلك اليوم فى حالة صفاء نفسى طيبة ‥ وقد ادلى لنا برأيه فى أن الحرب سوف تنتهى خلال ستة اسابيع ، واضاف قائلا انه يريد انجاز صلح معقول مع « فرنسا » ، وأن الطريق بعد ذلك سيصبح ممهدا للتوصل الى اتفاق مع « بريطانيا » ‥ وقد اذهلنا بعد ذلك عندما تطرق الىحديث باعجاب عن الامبراطورية وعن ضرورة وجودها ‥ واستطرد قائلا ان كل ما يريده من «بريطانيا» هو اعترافها بوضع «المانيا» فى القارة الاوربية ‥ ثم انتهى الى أن هدفه هو عقد صلح مع «بريطانيا» علىأسس تراها متمشية مع شرفها » (١١) ! ويعلق « وليم شيرر » فى كتابه « نشأة وسقوط الرايخ الثالث » على هذه الاقوال والمواقف الصادرة من « هتلر » بصـدد « دنكرك » « ان « هتلر » كبح جماح قواته المدرعة أمام «دنكرك» ليجنب « بريطانيا » اذلالا مؤلما ، ويسهل عليها قبول تسوية سلمية ، على أن هذه التسوية ، كما قال يجب ان تجعل البريطانيين يتركون « المانيا » تستدير بحرية نحو الشرق مرة أخرى ، أىنحو «روسيا» فىهذه المرة ، كما ان على « لندن » ، على حد قوله ايضا ، ان تعترف بسيطرة « الرايخ الثالث » على القارة ، وقد استمر « هتلر » طوال الشهرين التاليين على ثقة فى أن مثل هذه التسوية السلمية فىمتناول يده (١١) . وهكذا ترك هتلر نحو ٢٢٤ ألف جندى بريطانى يفرون من « دنكرك » اعتقادا منه أن « البريطانيين لن يعودوا مرة أخرى الى هذه الحرب » (١٢) كما صرح وقتئذ للجنرال « فون كليست » ، وان هذا التنازل المقدم منه سيجعل الطريق الى اتفـاق مماثل « ميونيخ١٩٣٨ » ممهدا او سهلا ، وذلك تمشيا مع رأيه فى ساسة بريطانيا أمثـال « تشمبرلين » الذين كان يصفهم لقادته بقوله « ان أعداءنا مجرد ديدانصغيرة ، ولقد رأيتهم بنفسى فى « ميونيخ » (١٢) ! .

حقا لقد عاد هؤلاء الـ٢٢٤ ألف جندى الى بريطانيا وهم لا يحملون غير البنادق والرشاشات على اكتافهم مخلفينوراءهم فوق ارض فرنسا نحو ٢٣٠٠ مدفع ، ٧٠٠٠ طن ذخيرة ، ٩٠ ألف بندقية ، ٨٠٠٠ رشاش برن ، ٤٠٠ بندقية مضـادة للدبابات ، مئات من الدبابات وحمالات البـرن المدرعة وآلاف من السيارات ومختلف أنـواع المركبات ، ولكنهم مع ذلك كانوا بمثابة « النواة والهيكل الذى يمكن لبريطانيا أن تبنى عليه وحده جيوشها المستقبلة » (١٣) علىحد قول«تشرشل» .

ولهذا نجد كاتبا بريطانيا مثل « اليستر هورن » يقول معلقا على أحداث « دنكرك » « ان الجلاء عن دنكرك » عمل ينتمى على النحو الاكثر اتساقا مع منطقالاحداث ، الى مشـاهد الفصل من « معركة بريطانيا ، اكثر مما يبدو أنه ينتمى الى المشاهد الاخيرة من « معركة فرنسا » (١٤) .

لقد أراد هتلر « لمعجزة دنكرك » أن تحدث أملا فى « ميونيخ » أخرى تعطيه حرية العمل فـى « الشرق » ولكنه لم يدرك أنه لا يواجه هذه المرة تلك « الحشرات الصغيرة » التى رآها فى ميونيخ عام ١٩٣٨ ، وانما يواجه الشعب البريطانى نفسه ، الشعب الذى هرع بقواربه الصغيرة عبر مضيق « دوفر » للمساهمة فى انقاذ جيشه ، الذى كادت

---

(١١) وليم شيرر ــ نشأة وسقوط الرايخ الثالث ــ المرجع السابق ــ صفحة ٩٦٧ .
(١٢) شستروبلموت ــ المرجع السابق ــ صفحة ١٩ ، ٢٠ .
(١٣) تشرشل ــ المذكرات ــ الجزء ٣ ــ المرجع السابق ــ صفحة ٦٥ ، ١٢٦ .
(١٤) اليستر هورن ــ فرنسا ١٩٤٠ ــ المرجع السابق ــ صفحة ٤٦٧ .

نتائج « سياسةميونيخ » أنتؤدى به الى الهلاك أو الوقوع فى الاسر بكامل قوته ، لم يدرك أنه يواجه هذه المرة قيادة سياسية بريطانية ، أكثر صلابة وحزما ، ألا وهى قيادة « تشرشل » . وهكذا تورط « هتلر » فى أول أخطائه الكبرى فى الحرب العالمية الثانية ، وهو فى الحقيقة خطأ يندرج تحت اطار الاستراتيجية السياسية العليا ، ولا يقع ضمن دائرة الاخطاء العسكرية المباشرة الدالة على جهل ذلك « العريف » أو « الاومباشى » السابق بالثقافة العسكرية الاكاديمية ، كما قال بعض القادة العسكريين الالمان فى أقوالهم التى أدلوا بها بعد انتهاء الحرب .

موقف بريطانيا العسكرى في يـــونيو ١٩٤٠

لقد ارسلت بريطانيا جيشا بلغ عدده نحو ٤٠٠ ألف جندى عاد منهم عقب المعارك التى دارت هناك فى الفترة من ١٠ مايو حتى ١٧ يونيو ١٩٤٠ نحو ٣٦٠ ألف جندى ــ ٢٢٤ ألفا من « دنكرك » و١٣٦ الفا من موانى « شيربورج » و « بريست » و « سان نازير » ــ ولكن معظم هؤلاء العائدين كانوا لا يحملون معهم سوى اسلحتهم الخفيفة ، ولذلك لم تعد من أصل ٧٠٤ دبابة سوى ٢٥ دبابة فقط (١٥) ، ولم تعد جميع مدافع الميدان الحديثة من عيار « ٢٥ رطلا » ، هذا فضلا عن كميات الاسلحة والعتاد التى سبق ذكرها عند الحديث عن نتائج معركة « دنكرك » .

ولقد كانت معظم الاسلحة الثقيلة التى فقدت فى معركة فرنسا تمثل فى الحقيقة الثمرات الاولى الكاملة التى قدمتها المصانع الحربية فى بريطانيا اثر نشوب الحرب فى سبتمبر ١٩٣٩ ، وكان لابد من انقضاء عدة شهور قبل أن يمكن استعاضة تلك الخسائر ، وذلك على فرض تنفيذ برامج الانتاج دونتدخل منجانبالطيران الالمانى (١٦) ، ونتيجة لذلك لم يكن لدى الجيش فى بريطانيا عقب هزيمة فرنسا سوى ٥٠٠ مدفع ميدان تقريبا من أنواع قديمة ومعظمها من عيار « ١٨ رطلا » اما الدبابات فلم يكن موجودا منها سوى ١١٤ دبابة مشاة ثقيلة ، ١٠٣ دبابة متوسطة ، ٢٥٢ دبابة خفيفة مسلحة بالرشاشات (١٦) . أما بالنسبة للمدافع المضادة للدباباتفقد كانت قليلةللغاية ، وتفتقر الى الذخيرة بصورة مفزعة ، وتتضح لنا هذه الحقيقة بشكل ملموس مما يرويه « تشرشل » فى مذكراته عن تلك الحقبة حين يقول « ولقد قمت بزيارة لشواطئنا عند خليج « سانت مرجريت » بالقرب من « دوفر » . وقد أبلغنى قائد اللواء الموجود هناك أن لواءه ليس لديه سوى ٣ مدافع مضادة للدبابات ، وهو مسئول عن تغطية أربعة أو خمسة أميال من هذا الشاطىء المهدد بشدة كما قال انه لا يملك اكثر من ست طلقات لكل مدفع ، ثم سألنى بشكل ينطوى على تحد ، ما اذا كان من حقه أن يسمح لرجاله باطلاق طلقة واحدة للتدريب حتى يتاح لهم على الاقل معرفة كيف يعمل هذا السلاح ، وقد أجبت عليه بأننا لا نستطيع أن نتحمل استهلاك طلقات للتدريب ، وأن هذه الذخيرة يجب أن يحتفظ بها حتى اللحظة الاخيرة ولا تطلق الا من أقرب مدى ممكن » (١٦) ، فقط كانت حالة وسائل الدفاع الجوى هى التى يمكن اعتبارها حسنة الى حد لا بأس به فى تلك الظروف ، فقد كان هناك فى يوليو ١٩٤٠ ما مجموعه ١٢٠٠ مدفع ثقيل مضاد للطائرات من عيارات ٤ر٥ ، ٧ر٣ ، ٣ بوصة و٥٨٧ مدفعا خفيفا م ـ ط منها ٢٧٣ « بوفرز ٤٠ مم » ، ١٣٦ عيار « ٣بوصة » معدةللضرب المنخفض ، ٣٨ مدفعا « هسبانو ٢٠مم » و ١٤٠ مدفعا من أنواع أخرى ، فضلا عن ٣٩٣٢ مصباحا كاشفا ، اذ كان الرادار لم يعمم بعد للاستخدام مع المدفعية (١٧) .

هذا وكانت جملة وحدات الجيش البرى الموجودةوقتئذ فىالوطن البريطانى يبلغعددها٢٧ فرقة مشاة و١٤ لواء مشاة مستقل ولم تكن هناك فرقة مدرعة كاملة التشكيل ، وكانت غلبية هذه الفرق تعانى من نقص خطير فى مدافع الميدان والمدافع المضادة للدبابات وحمالات البرن والهاون بل ان بعضها كان يفتقر الى العدد المناسب من الرشاشات الخفيفة والبنادق المضادة للدبابات ، هذا فضلا عن ان حوالى ١٠ فرق منها لم تكن قد استكملت تدريبها ، بل ان بعضها كان قد تعلم فقط الرماية بالبندقية ١٥ ، **ولم تكن احوال السلاح الجوى بافضل كثيرا من احوال الجيش ، اذ انه كان قد فقد خلال معركة فرنسا ٤٧٧ طائرة مقاتلة و٢٨٤ طيارا مقاتلا** (١٨) ونتيجة لذلك لم يكن لدى قيادة المقاتلات البريطانية فى أوائل يوليو سوى

---

(١٥) شسترويلموت ــ الصراع من أجل أوروبا ــ المرجع السابق ــ صفحة ٣٢ .
(١٦) تشرشل ــ المذكرات ــ جزء ٣ ــ المرجع السابق ــ صفحات ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٤٩ .
(١٧) تشرشل ــ المذكرات ــ جزء ٤ الكومنولث وحده ــ صفحة ٦٩
(١٨) Mason, K. Francis. «The Hawker Hurricane». London, Macdonald, 1926, P. 50, 15.

٥٨٧ طائرة صالحة للقتال (١٩) ، وكان الوضع عقب « دنكرك » مباشرة وعلى وجه التحديد يوم ٧ يونيو ، أكثر خطورة اذ كانت عدد أسراب المقاتلات قد انخفض من ٥٢سربا الى٣٦ فقط ، وكان ثلث طائرات الخط الاول من الهاريكين » و «السبتيفير» قد فقد فى المعارك فى فرنسا ودنكرك . وكانت البحرية تواجه هى الاخرى متاعب شديدة ، فقد كانت تعانى عجزا شديدا فى المدمرات اثر عمليات « النرويج » و « فرنسا » ، اذ أغرقت خلالها ١٦ مدمرة وأصيبت ٤٢ مدمرة أخرى اصابات سحبت بسببها من الخدمة لاصلاحها فى الاحواض الجافة وورش الصيانة ، وبذلك اصبحت البحرية تفتقد عملا ٦٨ مدمرة من أصل ١٨٥ مدمرة كانت لديها عند قيام الحرب ، وهى نسبة تزيد عن ٥٠ فى المائة من قوة مدمرات أسطول الوطن ، وهذا فى الوقت الذى كانت الغواصات الالمانية تهدد فيه حركة النقل التجارى التى تقوم بها نحو ٢٠٠٠ سفينة تجارية بريطانية ، والذى كانت فيه المدمرات هى السلاح الرئيسى المضاد للغواصات ، هذا فضلا عن تهديد المائة غواصة الايطالية التى باتت تهدد الملاحة فى البحر المتوسط اثر دخول ايطاليا الحرب يوم ١٠ يونيو ١٩٤٠ .

ونتيجة لذلك كله كان من المنطقى أن يعلق « تشرشل » على موقف بريطانيا العسكرى عقب هزيمة فرنسا بقوله انه « لم يحدث مطلقا من قبل أن وقفت أمة كبرى مجردة من السلاح على هذا النحو أمام أعدائها » (٢٠) .

قصة المساعدات الامريكية لبريطانيا

كتب « تشرشل » فى ١٥ مايو ١٩٤٠ الى الرئيس الامريكى « فرانكلين روزفلت » عقب انهيار خط الدفاع الفرنسى فى سيدان ، يطلب منه أن يبادر بارسال أكبر قدر ممكن من الطائرات الحربية الحديثة والاسلحةالمضادة للطائرات، وأية كميات أخرى من الاسلحة التى يمكن للولايات المتحدة الاستغناء عنها ، ثم ركز بالحاح فى مطالبته بضرورةامداد بريطانيا بالذات بـ ٥٠ أو ٦٠ من المدمرات الامريكية القديمة التى يمكن الاستغناء عنها، وذلكحتى يمكن تغطية الفجوة الزمنية التى ستنقضى لحين استكمال بناء المدمرات البريطانية الجديدة فى منتصف عام ١٩٤١ تقريبا ، بالعدد اللازم من المدمرات لمواجهة خطر الغواصات الالمانية والايطالية المتوقع ، ورغم تعاطف « روزفلت » على المستوى الشخصى مع مطالب بريطانيا وفرنسا أيضا وقتئذ الا أنه كان يواجه ضغطا داخليا شديدا من أنصار سياسة عدم التدخل فى مشكلات أوروبا ، هذا فضلا عن أن الاحتكارات المالية والصناعية الامريكية بصفة عامة كانت لاترغب فى التورط فى حرب ضد « هتلر » ونظامه النازى ، نظرا لانها ساهمت طوال سنوات ما بين الحربين فى اعادة بناء الصناعة الثقيلة الالمانية بالقروض والمساعدات المالية الضخمة ، فضلا عن امدادها بالاسلحة ورخص انتاج أحدث مخترعاتها فى مجالات صناعة محركات الطائرات واللاسلكى والمطاط الصناعى والبترول الصناعى والالومنيوم والمغنسيوم وغير ذلك من المواد الاستراتيجية ، كما أن الحكومة الامريكية كانت قد أيدت اتفاقية « ميونيخ » ، وذلك تشجيعا منها لهتلر كى يتجه بجحافله شرقا ، ولـذلك كان الرئيس الامريكى يبدو شديد التردد ازاء مطالب بريطانيا وفرنسا الخاصة بامدادهما بالاسلحة ، ويتضح لنا هذا من الطريقة التى رد بها على رئيس الوزارة الفرنسية « بول رينو » فى ١٥ يونيو بهذا الخصوص ، اذ وعده وعدا غير محدد بارسال المعدات والمؤن الممكنة وبتزويد اللاجئين الفارين أمام الزحف الالمانى بأغذية وملابس قيمتها ٥٠ مليون دولار مردفا ذلك بقوله « أظن انكم تدركون أن تصريحاتنا هذه لا تلزمنا بأى تعهد على الصعيد العسكرى ، فالكونجرس وحده، هو القادر على اتخاذ مثل هذا التعهد » (٢١) . ولذلك أيضا كان السفير الامريكى فى لندن » وقتئذ « جوزيف كيندى » يبذل قصارى جهده من أجل عرقلة مساعى « تشرشل » هذه لدى « روزفلت » ، يشاركه فى ذلك الموقف ، السفير الامريكى فى «باريس» « وليم بوليت » ، الذى أرسل الى وزير الخارجية « كوردل هل » تقريرا يلح فيه بعدم مساعدة بريطانيا مطلقا لانها امتنعت عن القاء ثقل قوتها الجوية فى معركة فرنسا ، نظرا لانها تحتفظ بها وبأسطولها لاستخدامهماكوسيلةللمساومة مع « هتلر » التى ستتم فى وقت قريب ، بل لقد وصل الامر بكاتب الشفرة فى السفارة الامريكية فى « لندن » وكان يدعى « تيلر كنت » أن قام بتسليم عملاء « هتلر » وانصار أو دعاة سياسة العزلة داخل الولايات المتحدة ، نسخا من خطابات تشرشل وروزفلت المتبادلة حتى ٢٠ مايو ١٩٤٠ ، أى حتى تاريخ القبض عليه ، وتفتيش مسكنه بوساطة البوليس الانجليزى ! (٢٢) .

---

(١٩) Jullian, Marcel. «The Battle of Britain». London, jonathan Cape, 1967, P. 47.
(٢٠) نص اورده « شستروبلموت » ــ الصراع من أجل أوروبا ــ المرجع السابق ــ صفحة ٣٢ .
(٢١) ريمون كارتييه ــ الحرب العالمية الثانية ــ الترجمةالعربية ــ بيروت ١٩٦٦ ــ المجلد الاول صفحة ١٣٩ .
(٢٢) Thompson, Laurence. «1940, Year of Legend, Year of History. «London, Collins, Fontana Books, 1968, P. 181.

الا أن الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة كانت قد بدأت تشعر الى حد ما بخطورة انفراد « هتلر » بالسيطرة على أوروبا ، اثر الهـزيمة الساحقة التى لحقت قوات الحلفاء خلال الاسبوعين الاولين من بدء الهجوم الالمانى على فرنسا، لذلك أمر « روزفلت » يوم ايونيو — أى اثناء احداث دنكرك » — رئيس أركان حرب الجيش الامريكى الجنرال « ماريشال » بتجهيز قائمة فورا بكميات الاسلحة القديمة التى يمكن الاستغناء عنها وارسالها الى فرنسا وبريطانيا ، وقد أعد « ماريشال » القائمة الاولى يوم ٣ يونيو ، وكانت تتضمن نصف مليون بندقية عيار « ٣٠ » صنعت فى عامى ١٩١٧ ، ١٩١٨ ولا تزال مختزنة منذ ذلك الوقت ومملوءة بالشحم ، و٨٠ ألف مدفع رشاش ، و٩٠٠ مدفع ميدان عيار « ٧٥مم » فرنسى الطراز ومن مخلفات الحرب الاولى أيضا ، معها نحو مليون قذيفة ، وقد قامت ١٢ سفينة نقل بريطانية بنقل الدفعة الاولى من هذه الاسلحة والذخائر يوم ١١ يونيو عبر المحيط الاطلنطى وأتمت نقل آخر دفعة منها يوم ٣١ يوليو ١٩٤٠ ، ورغم أن مدافع الميدان الفرنسية القديمة هذه كانت أقل جودة من المدفع البريطانى الحديث عيار « ٢٥ رطلا » ومن المدفع «الهارتزر» الالمانى ، فضلا عن انها كانت تفتقد أجهزة ايصالها بالعربات وتفتقر الى الذخيرة الكافية نظرا لاختلاف عيارها عن عيارات الذخيرة البريطانية الجارى انتاجها ، الا انها كانت تمثل ركنا هاما من أركان تسليح الجيش فى بريطانيا طيلة عامى ١٩٤٠ ، ١٩٤١ .

هذا وقد ادى وصول البنادق الامريكية الى توفير ٣٠٠ الف بندقية عيار « ٣٠٣ » كانت لدى وحدات الحرس الوطنى فحولت بالتالى الى الجيش النظامى الجارى اعادة تسليحه وزيادة وحداته وفرقه ، ولكن وحدات الحرس الوطنى استمرت تواجه نقصا فى السلاح نظرا لانها كانت تزيد عن مليون رجل ، لذلك كان هناك الكثير من رجال هذه الوحدات مسلحين ببنادق الصيد والمسدسات والاسلحة البيضاء ، كما أنها كانت تعانى من نقص الذخيرة ، اذ لم يكن يوجد لكل بندقية أمريكية سوى ٥٠ طلقة فقط وكان من الصعب صنع طلقات جديدة لها نظرا للصعوبات التى يخلقها اختلاف عيار البنادق الامريكية عن البنادق الانجليزية عيار « ٣٠٣ » (٢٣) . هذا وقد أرسلت الولايات المتحدة نصف مليون بندقية أخرى تقريبا الى بريطانيا خلال النصف الثانى من نفس العام ١٩٤٠ ، وقامت بريطانيا بدفع قيمة هذه الاسلحة والذخائر كلها بالدولارات فور تسليمها .

أما بالنسبة لمطلب المدمرات القديمة ، فقد تباطأ « روزفلت » فى ارسالها ، وأخذ « تشرشل » يرسل البرقية تلو الاخرى ، فى ٣١ يوليو ، ١٥ اغسطس ، ٢٢ اغسطس ، ٢٥ اغسطس ، ٢٧ اغسطس ، ٣١ أغسطس ، مطالبا بالحاح شديد يكاد يصل الى حد التوسل بهذه المدمرات وموضحا أنها لازمة لتغطية الفترة الزمنية الواقعة ما بين سبتمبر ١٩٤٠ حتى فبراير ١٩٤١ حين يبدأ الانتاج الجديد من المدمرات البريطانية والسفن المضادة للغواصات وزوارق الطوربيد فى النزول الى الماء ، وموضحا أن الخسائر فى المدمرات تتزايد نتيجة لغارات طائرات الانقضاض الالمانية « شتوكا » على قوافل السفن البريطانية فى بحر المانش خلال شهر يوليو وأغسطس، والتى أسفرت عن اغراق أربع مدمرات واعطاب سبع أخرى فضلا عن اغراق ١٨ سفينة نقل صغيرة ، واخيرا وافقت « أمريكا » على منح « بريطانيا » هذه المدمرات الخمسين والتى كانت البحرية الامريكية على وشك تخريدها ، مقابل تقديم الاخيرة تعهدا قاطعا بعدم تسليم الاسطول البريطانى الى الالمان تحت أى ظروف كانت ، فضلا عن تنازلها لها عن مجموعة كبيرة من القواعد البحرية والجوية فى الاطلنطى فى جزر « بهاما » و « جامايكا » و « برمودا » و «ترينيداد» و « أنتيجوا » و « سانتا لوتشيا » و « غيانا البريطانية » و «نيوفوندلند» وذلك فى صورة عقد ايجار بلا مقابل لمدة ٩٩ عاما ! (٢٤) ، هذا فضلا عن قيام بريطانيا بتسليم الولايات المتحدة احدث نتائج بحوثها العلمية فى الرادار والذرة ، ولذلك قامت الحكومة البريطانية بايفاد العالمان « أ . ش . فولر » و « جورج باجيت طومسون » فى فترتين متقاربتين الى الولايات المتحدة لتسليمها خطة التجارب التى وضعت لصنع القنبلة الذرية ، وحسابات المفاعل الذرية لانتاج البلوتونيوم (٢٥) كما قام علماء الرادار بتسليمها احدث نتائج بحوثهم فى هذا المجال مثل الجهاز « الماجنيترون » الذى احدث انقلابا خطيرا فى صناعة الرادار وقتئذ وساهم مساهمة كبيرة فى تطوير صناعة وبحوث الرادار فى الولايات المتحدة (٢٦) .

وتوالت اثر ذلك (طلبيات) الحكومة البريطانية على شركات ومصانع الاسلحة الامريكية متضمنة

---

(٢٣) تشرشل — جزء ٣ — سقوط فرنسا — المرجع السابق — صفحات ١٢٧ ، ٢٤١ .
(٢٤) تشرشل جزء ٤ — المرجع السابق صفحة ٨٤ — ٨٥
(٢٥) جى ديبورين — الحرب العالمية الثانية — ترجمة خيرى حماد — الكاتب العربى ١٩٦٨ ص ١١٥ ، ١١٧ .
(٢٦) فرانك روس — الرادار — ترجمة زكريا البدراوى — النهضة المصرية ١٩٦٢ — صفحة ٤٧

طلب صنع عشرات من السفن الحربية والتجارية و٢٣ الف طائرة حربية من مختلف الانواع .. الخ. ونتيجة لذلك كله بلغت جملة مدفوعات الحكومة البريطانية الى الولايات المتحدة فى الفترة مابين سبتمبر ١٩٣٩ الى نوفمبر ١٩٤٠ نحو ٤٥٠٠ مليون دولار دفعت فى صورة دولارات أو ذهب ، وذلك مقابل شراء المواد الاستراتيجية والاسلحة والسفن أو التعاقد عليها ، ولم يتبق لدى بريطانيا سوى نحو ٢٠٠٠ مليون دولار معظمها فى صورة استثمارات يصعب بيعها بسرعة فى الاسواق المالية ، فاضطر « تشرشل » الى الضغط على «روزفلت» مرة أخرى من أجل تأجيل دفع ثمن الاسلحة الامريكية الى مابعد الانتهاء من الحرب، فكان أن صدر قانون « الاعارة والتأجير » الشهير فى مارس ١٩٤١ ، وهكذا « فقدت بريطانيا مكانتها الدولية كنتيجة طبيعية لسياسة « ميونيخ » المفجعة التى اتبعتها ، واستغلت الولايات المتحدة هذا الوضع لمصلحتها ولضمان اكبر كسب لها ، واندفعت الى مكان القيادة فى الكتلة « الانجلو - أمريكية » بينما هبطت « بريطانيا » الى مركز لا تحسد عليه وهو مركز الشريك الاصغر (٢٧) .

« هتلر » يعرض الصلح على بريطانيا

فى أوائل يونيو ١٩٤٠ قدم الجنرال « ميلش » مفتش عام « اللفتواف » اقتراحا الى قائده الاعلى « جورنج » يقضى بالقيام بمجموعة من الهجمات تتم فى وقت واحد على قواعد المقاتلات البريطانية بوساطة حشود قوية من جنود المظلات ، وذلك لالحاق اكبر قدر ممكن من الدمار والاضطراب بالقوة الرئيسية التى يعتمد عليها نظام الدفاع الجوى فى بريطانيا ، وكان من المتوقع ان « تحدث هذه العمليات اضطرابا شديدا ، ان لم تسفر عن ماهو أسوأ من ذلك ، وذلك نظرا للحالة التى كانت عليها الدفاعات البريطانية وقتئذ (٢٧) ، وذلك على حد قول الكاتب البريطانى « لورنس تومبسون » فى كتابه ١٩٤٠ « عام الاسطورة والتاريخ » وقد قدم « جورنج » هذا الاقتراح فعلا الى « هتلر » وتناقشا فيه يوم ١٨ يونيو ١٩٤٠ ، الا أن «هتلر» قال له أثناء اجتماعهما فى ذلك اليوم « ان الحرب قد انتهت ، واننى سوف اتوصل الى اتفاق مع انجلترا » (٢٧) ، وقد بدأ فعلا يجرى سلسلة من الاتصالات غير المباشرة ، بعضها عن طريق اتصال بعض عملائه برجال السفارات البريطانية فى دول مثل سويسرا وأسبانيا والولايات المتحدة والبعض الاخر عن طريق الوساطة الرسمية لبعض رؤساء الدول المحايدة مثل السويد والفاتيكان ، هذا فضلا عن ابداء الرغبة علنا فى التوصل الى اتفاق مع بريطانيا فى الاحاديث مع الصحفيين الاجانب مثلما حدث فى الحديث الذى أدلى به لمراسل مجموعة صحف « هيرست الامريكية » والذى نشر يوم ١٤ يونيو فى صحيفة «نيويورك امريكان جورنال» (٢٨).

لقد كان « هتلر » لمدة ستة أسابيع او اكثر من « دنكرك » شديد الثقة والاقتناع فى امكان توصله الى اتفاق مع « بريطانيا » الى حد انه أهمل خلال هذه الفترة وضع الخطط اللازمة لغزو بريطانيا او حتى لفرض شروطه عليها بوساطة الحرب الجوية والبحرية ولذلك فقد منع اسقاط أية قنبلة على الجزر البريطانية طيلة شهر يونيو وقصر نشاط سلاحه الجوى طيلة شهر يوليو على مهاجمة السفن فى « المانش » ولذلك ايضا نجد مثلا أن الجنرال « هالدر » رئيس اركان حرب الجيش الالمانى لا يشير فى يومياته عن تلك الحقبة الى اى خطط لغزو « بريطانيا » بينما نراه يشير الى التهديد السوفيتى فى « البلقان » و « البلطيق » باسهاب وتفصيل . (٢٨)

لقد كان « هتلر » واثقا فى رغبة « بريطانيا » فى التوصل الى صلح معه بعد ان اعطى ساستها درسا لا ينسى فى « النرويج » و « فرنسا » وسمح لهم بالاحتفاظ بماء وجوههم فى « دنكرك » وكان لثقته العميقة هذه .. جذورها الممتدة الى السجل البريطانى المشين فى تشيكوسلوفاكيا ، بولندا ، النرويج ، فرنسا » (٢٩) على حد قول « لورنس تومبسون » ، والواقع ان اعتقاد «هتلر» هذا بامكان التوصل الى اتفاق مع « بريطانيا » قد دعمته وساعدت على استمراره فترة من الوقت مجموعة من الانباء والمواقف الصادرة عن المسئولين البريطانيين التى تحمل معانى ذات دلالة خاصة بالنسبة لهذا الموضوع ، من ذلك مثلا ما نقله السفير السويدى فى « لندن » عما دار فى مقابلته مع مستر « بتلر » احد كبار موظفى وزارة الخارجية البريطانية ، يوم ٧ يونيو ١٩٤٠ ، من أن الاخير صرح له بأن موقف « تشرشل » من مسألة الاستمرار فى الحرب غير حاسم ، وان اللورد « هاليفكس » وزير الخارجية البريطانى وقتئذ يتبنى رأيا يقول بأن « العقل والمنطق هو الذى سيحكم سياسة الحكومة البريطانية وليس التظاهر بالشجاعة » (٣٠) ، ومنها أن «تشرشل» قد دعا فى نهاية مايو « لويد جورج » وهو المعروف جيدا

---

(٢٧) لورنس تمبسون — ١٩٤٠ عام الاسطورة والتاريخ — المرجع السابق — صفحة ١٤٨ .
(٢٨) وليم شيرر — نشأة وسقوط الرايخ الثالث — المرجع السابق — صفحة ٩٨٤ ، ٩٨٣ .
(٢٩) لورنس تمبسون — المرجع السابق — صفحة ١٤٨ .
(٣٠) لورنس تمبسون — ١٩٤٠ — عام الاسطورة والتاريخ — المرجع السابق — صفحة ١٤٩ .

لدى الخارجية الالمانية بنزعته القوية فى التوصل الى صلح مع «هتلر» الى الاشتراك فى الوزارة ، ورغم انه رفض هذا العرض الا ان مجرد دعوته من قبل تشرشل أوحت الى « هتلر » بوجود اتجاه لدى الحكومة البريطانية ذا مغزى معين ، ومنها ايضا ان تعيين سير « صمويل هور » سفيرا لبريطانيا فى « مدريد » فى أواخر مايو ١٩٤٠ ، وهو أيضا احد المعروفين بتأييدهم لسياسة التهدئة التى كان يتبعها « تشمبرلين » قبيل الحرب وخلال المرحلة الاولى منها ، قد اعتبر لدى « هتلر » دليلا آخر مشجعا له نظرا لما يرمز اليه اختيار « هور » بالذات كسفير فى « مدريد » التى كان « بيتان » سفيرا لفرنسا فيها ، قبل توليه رئاسة الوزارة الفرنسية التى عقدت الهدنة فى «كومبين» يوم ٢٠ يونيو ١٩٤٠ . وتدعثر بعد الحرب ضمن مستندات ووثائق وزارة الخارجية الالمانية على تقرير مؤرخ فى ١٢ يوليو ١٩٤٠ يشير الى أن وزير الخارجية الاسبانية عرض على « هور » استعداد بلاده للتوسط بين بريطانيا والمانيا فى مفاوضات الصلح كما فعلت مع فرنسا من قبل ، وأنه يبدو ان « هور » سيلعب دورا هاما فى هذه المفاوضات (٣١) .

هذا فضلا عن الاتصالات التى كانت تجرى بين عملاء المخابرات الالمانية وبعض الدبلوماسيين البريطانيين فى سويسرا والولايات المتحدة وعلى رأسهم السفير البريطانى فى واشنطن لورد « لوثيان » والسفير البريطانى فى سويسرا سير « دافيد كيلى » وهى الاتصالات التى أصدر «تشرشل» فيمابعد ، اثر خطاب « هتلر » يوم ١٩ يوليو فى « الريشتاخ » الذى دعا فيه بريطانيا للمرة الاخيرة للاستماع لصوت العقل والمنطق ، أمرا بمنعها تماما .

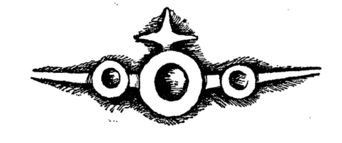
وقد ذكر الجنرال « ديجول » فى مذكراته انه شعر اثناء وجوده فى بريطانيا عقب استسلام فرنسا كزعيم لحركة « فرنسا الحرة » ، ان فى بريطانيا من هم على شاكلة « بيتان » وان الاوساط المطلعة » كانت تتهامس فى الاذان متناقلة اسماء الساسة والاساقفة والكتاب ورجال الاعمال المستعدين للتفاوض مع الالمان ليتولوا ادارة البلاد تحت اشراف الغزاة (٣٢) . ويلقى الكاتب البريطانى « لورنس تومبسون » فى كتابه السابق الاشارة اليه « ١٩٤٠ عام الاسطورة والتاريخ » بعض الاضواء الهامة حول موقف « بريطانيا » عقب هزيمة فرنسا من محاولات « هتلر » الرامية الى عقد صلح معها ، فيقول « لقد كانت هناك فى الحقيقة عدة أسباب للاحتفاظ بوسائل الاتصال مع « المانيا » مفتوحة خلال هذه الفترة ، وأولها أن « بريطانيا » كان من المحتمل ان تضطر لعقد صلح ، ولذلك كان من الحكمة بالنسبة لها ، ازاء وضعها الخطر هذا ، ان تكون على استعداد « للاستماع » — وليس للدخول فى مناقشة ، وهناك فى الواقع فارق حقيقى ودقيق بين الاثنين — الى نوع الشروط التى قد ترغب «المانيا» فى تقديمها اليها، كما انه كان من المرغوب فيه البقاء على اتصال مع « المعارضة الالمانية » ، لتدعيم وتأكيد قوتها فى أية لحظة ، بسبب قدرتها الكامنة على تقويض واضعاف « الوحدة الالمانية » ولاستطلاع امكانية ظهور حكومة المانية بديلة (٣٣) .

ويشير « تومبسون » بذلك الى جماعة العسكريين الالمان الذين كانوا يعارضون فى الخفاء سياسة « هتلر » فى الاتجاه بالحرب نحو الغرب ويعتبرون انه قد خان بذلك الرسالة الاصلية التى جىء به من أجلها الى السلطة ، وهى القضاء على « الاتحادالسوفيتى » وكان على رأس هؤلاء العسكريين « براوخيتش » القائد العام للجيش و « هالدر » رئيس أركانه والاميرال «كاناريس» مدير المخابرات الالمانية ، ولكن الواقع ان هؤلاء المعارضين كانوا شديدى التردد والخوف من بطش « هتلر » ، كما انهم كفوا عن التفكير فى أية محاولة من هذا النوع بعد انتصارات « هتلر » المدوية فى « النرويج » و « فرنسا » ثم يستطرد « تومبسون » فى بحثه فيقول : « ان كل الشواهد فى الحقيقة تشير الى استنتاج نهائى واحد مؤداه : انه لفترة محدودة (الى حين ان تصبح نوايا الولايات المتحدة اكثر وضوحا) وفى سبيل غاية معينة (وهى منع وقوع الغزو خلال الاسابيع العصيبة لحالة الاضطراب البريطانى) لم يكن « هاليفكس » ووزارة الخارجية فقط ، وانما « تشرشل » نفسه أيضا ليسوا على نحو أكيد معارضين ، بل مشجعين بطريقة فعالة لاعتقاد « هتلر » الخاص بأن البريطانيين يرغبون فى التفكير من أجل السلم .. وان المسألة التى يجب ايضاحها ، انه لو كان « هتلر » قد قام بغزو « بريطانيا » فى نهاية مايو ، او فى يونيو ١٩٤٠ ، فانه كان من المحتمل أن يحقق نجاحا ، وان واحدا من الاسباب التى جعلته يحجم عن القيام بمثل هذا الغزو وقتئذ انما يرجع الى اعتقاده بامكان التوصل الى اتفاق مع بريطانيا » (٣٣) .

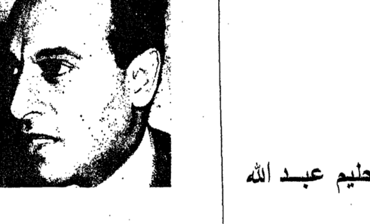
---

(٣١) المرجع السابق صفحات ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٣ .
(٣٢) مذكرات ديجول — المجلد الاول — ترجمة خيرى حماد — طبعة بيروت ١٩٦٤ صفحة ١٤٦ .
(٣٣) لورنس تمبسون — ١٩٤٠ عام الاسطورة والتاريخ المرجع السابق صفحات ١٦١ — ١٦٢ .

ويقول « شستر ويلموت » في هذا الصدد : « لقد اهتم هتلر بالتوصل الى اتفاق مع «بريطانيا» يعطيه حرية العمل في « الشرق » ، ويمكنه من تجنب « الحرب في جبهتين » ، وكان يعتقد ان « بريطانيا » لابد « وان تكون ميالة لعقد صلح عندما تعلم أنه مازال في امكانها الحصول عليه الان بثمن صغير نسبيا » لقد كان مستعدا لان يكون كريما ، فانه لن يطلب شيئا أكثر من استعادة المستعمرات الالمانية السابقة والاعتراف بسيطرته على اوروبا الغربية ، وعلى هذه الاسس قام « هتلر » بعدة اتصالات ملتوية مع « بريطانيا » في أواخر يونيو، وبالرغم من التوصيات المشددة التي قدمها «جورنج» و «رايدر» — قائد الطيران والبحرية — فقد منع القيام بهجوم جوى على الموانى والمدن البريطانية ، فلقد كان تواقا للغاية لتشجيع المساومة عن طريق التأكيد المصحوب بالادلة لزعمه بأنه ليس لديه سبب للنزاع مع بريطانيا (٣٤) ، ثم يستطرد «ويلموت» قائلا « ان هتلر عندما نظر عبر القنال الانجليزى عند « كاب جرينيه » في يونيو ١٩٤٠ لم ير فقط سوى ضعف «بريطانيا» المادى ماثلا أمامه ، ولم يقدر القوة والشجاعة اللتين يستمدهما شعبها غريزيا من ماضيه حق قدرهما ، وفي ظل تجاهل تحذير التاريخ هذا ، تعلق «هتلر» بالامل في «ميونيخ» أخرى (٣٤) .



(٣٤) شستر ويلموت — الصراع من أجل اوروبا — المرجع السابق — صفحات ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .



محمد عبد الحليم عبد الله

وتطور الرواية المصرية

غالى شكرى

رأيته للمرة الاخيرة ، ونحن ماضون خلف **على أحمد باكثير** الى مرقده الاخير . اتكأ على ساعدى فى حالة من الضعف لم أره عليها من قبل . وأحسست بعد حين أنه لايشكو آلام الجسد وحدها ، وانما هو يرزح تحت عبء ثقيل من أزمات النفس · قال لى فى مرارة : هل تعلم أن أحد الرهبان الفرنسيسكان قد كتب عنى دراسة طويلة فى احدى مجلاتهم المتخصصة ؟ صدقنى ، بكيت يومها ولم أفرح كثيرا ، لماذا تتجاهلونى أنتم ؟ اننى لا أطمع فى تقريظ أو مديح ، وانما أتلهف حقا على معرفة مكانى بين كتاب مصر · لقد نلت من الجوائز ما ينأى بى عن الاحساس بالاضطهاد ، ولكنى لا أدرى سببا واضحا لموقف النقد منى ·

ثم تدرج بنا الحديث الى مسارب شتى ، لم أتمكن خلالها من صياغة اجابة دقيقة على تساؤلات **محمد عبد الحليم عبد الله** ، فالحق أن تقصير النقد ظاهرة لا تتعلق بكاتب بعينه ، وانما تكاد تشمل ذلك الجيل بأكمله ، وهو الجيل الذى ينتمى اليه **نجيب محفوظ** · وفى هذا الصدد يميل البعض الى القول بأن نجيب محفوظ قد حجب بظل قامته العملاقة الضوء عن بقية أبناء جيله · ويميل البعض الاخر الى القول بأن سيطرة النقد الواقعى ابان الخمسينات على الحركة الادبية واتخاذه من نجيب محفوظ مثالا وقدوة تحتذى ، قد أبصر الامور بنظرة أحادية الجانب فلم ير بقية الالوان الفكرية والفنية ـ غير الواقعية ـ فى الادب المصرى الحديث · وهكذا يتحول نجيب محفوظ الى « **مشجب** » يعلق عليه فريق من نقادنا أسباب تقصيرهم فى حق جيل كامل ، والى « **متهم** » من جانب بقية زملائه الذين يشعرون بالضيم لانصراف الاضواء الى كاتب واحد من بينهم ·

ومنذ البداية أقول أن نجيب محفوظ قد تكون فى غيبة النقد على حد تعبيره ، فلقد ظل خمسة عشر عاما أو يزيد دون أن يلتفت اليه النقد الا بمقال أو مقالين . وبالتالى فان ظاهرة تقصير النقد تشمله

هو أيضا بصورة من الصور . وعندما استقر **نجيب محفوظ** كان استقراره نتيجة التفاف الجماهير القارئة من حوله، ثم أقبل عليه النقد مؤخرا متهافتا على كاتب«**جاهز**» الاعداد والجماهيرية . ولابد فى النهاية من القول بأنه ليس هناك كاتب مهما تبلغ درجة عظمته يستطيع أن يحجب عن النقد دوره ازاء بقية أبناء جيل الكاتب العظيم ، أيا كانت درجات تخلفهم الفنى عنه . ففى كل عصر وفى كل وطن يبرز دائما فنان تعلو قامته على قامات أقرانه ، **ولكن وظيفة النقد لم تكن على الاطلاق قاصرة على قياس القامات الطويلة ، بل هى المتابعة التفصيلية للحركة الادبية بحلوها ومرها** . كما أن انتماء التيار الرئيسى للنقد الى نفس الاتجاه الذى يدين به كاتب ما ليس شفيعا للنقد ــ وبخاصة اذا كان واقعيا ! ــ لان يتفرغ لكاتب من لونه .. فبقية الالوان هى الاخرى ظواهر اجتماعية تستوجب المواجهة وليس التجاهل ، فهذا التجاهل يؤدى فى المدى الطويل الى الجهل بها، ومن ثم الى العزلة عن الصورة الشاملة لحركة الادب وتطور المجتمع .

هذا لا ينفى بطبيعة الحال أنه كما أن جانبا من النقد التف حول نجيب محفوظ ايثارا للكسل العقلى او من قبيل ركوب الموجه ، فأن جانبا آخر التفت حوله لانه كان التعبير الفنى الاكثر تقدما عن حركة التطور الاجتماعى .

ولعل من المفيد أن أفاجىء بعضا من نقادنا بما أتيح لى أن أطلع عليه من واقع أرقام التوزيع حيث فوجئت بدورى أن مؤلفات محمد عبد الحليم عبد الله ظلت فى مقدمة القائمة من أواخر الاربعينات حتى منتصف الستينات ، أى خلال ما يقرب من عشرين عاما . وهى الحقبة التى ازدهرت فى بداياتها الاولى اعمال **احسان عبدالقدوس ويوسف السباعى** وازدهر فى القرب من نهاياتها **نجيب محفوظ ويوسف ادريس وعبدالرحمن الشرقاوى.** هذا على الرغم من أن جميع هؤلاء الكتاب قد اتصلوا بوشيجة أو بأخرى بما يمور به باطن المجتمع من مشكلات وما يغلى داخله من قضايا ، بينما كان عبد الحليم عبد الله مشغولا غاية الانشغال بموضوع واحد لا يحيد عنه ، ورثه من قبل عن المنفلوطى ومن بعد عن محمود كامل ، هو موضوع « **الحب** » لا كاطار عاطفى للرواية وانما كمضمون نفسى لذلك الجيل من الشباب المصرى المعاصر لاحداث ما بعد الحرب العالمية الثانية .

[عن] الحب و [فى] الحب

ولقد كتب السباعى وعبد القدوس عن الحب فى ذلك الوقت ، ولكن أحدهما اتخذ منه تعبيرا عن مشكلة اجتماعية ندعوها الجنس ، **واتخذ منها** الاخر وسيلة لعرض آرائه فى البلبلة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى أعقبت الحرب . كتبا « **عن** » الحب ، أما عبد الحليم فكتب « **فى** » الحب بمعزل شبه تام عما يحيط هذه العاطفة البشرية من ظروف وملابسات تتخطى دائرة الفرد الضيقة الى محيط المجتمع الواسع المضطرب ولعل ذلك دون سواه هو الذى جذب نحوه عددا متزايدا من القراء الذين أثخنتهم أو أثخنت آبائهم جراحات الحرب والازمات الاقتصادية المرافقة لها ، فكان الحب بلسما يرطب الجراح بندى العواطف المفقودة. اما الروايات الواقعية وشبه الواقعية والمزيج بين الرومانسية والواقعية ، فكلها كانت أشبه بمرآة ــ مصقولة حينا وباهتة أحيانا ــ لمشهد الحرب وآثارها التى يفزع لهولها الجميع . من هنا جاءت أعمال نجيب محفوظ الاولى « **القاهرة الجديدة ، خان الخليلى ، زقاق المدق ، بداية ونهاية** » فى ذيل قائمة التوزيع. ثم جاءت أعمال يوسف السباعى الاولى « **نائب عزرائيل ، أرض النفاق ، السقا مات** ، قرب المنتصف، ثم أعمال احسان بعد ذلك بقليل، ويتربع على قمة القائمة كل انتاج محمد عبدالحليم عبدالله « **لقيطة ، بعد الغروب ، شجرة اللبلاب ، شمس الخريف** » . على أن هذه الاعمال الناجحة تجاريا ، والتى تخاطب قطاعا عريضا من الشباب ، معظمهم من الطلبة فى مرحلة انتقالهم العنيف من القرية الى المدينة ، **لم يكن صداها** ليتجاوز الدموع التى يذرفها العاشق المهجور أو الحبيبة الملتاعة الفؤاد . . كما كان الموقف تماما من كتابات جيل مضى يقف على رأسه المنفلوطى ومحمود كامل . أما قصص محفوظ والسباعى والشرقاوى واحسان ، فرغم تفاوت اتجاهاتها الفكرية والفنية، ورغم الانخفاض النسبى لتوزيعها فكانت أصداؤها أعمق من اللحظة العابرة ، وان تجاهلها النقد. كانت أصداؤها تمتد الى الشوارع والبيوت وأماكن العمل ، حيث لا يمكن لمشكلات الواقع أن تتوارى خلف المناديل المعطرة أو الوسائد المبللة بالدموع .

ولما كان النقد فى غالبيته حينذاك ــ وبعضه الى الان ــ يؤثر الكسل العقلى فقد استسهل لفظة الرومانسية واطلقها دون تحفظ على كل من يكتب حول الحب او فى الحب أو عن الحب دون تأن وامعان للنظر فى هذا المصطلح الوافد من الغرب ، والذى يجسد تجربة حضارية تغاير فى القليل أو الكثير التجربة المحلية الوليدة . ولاشك أن النقد معذور الى حد ، لان أدبنا قد احتاج لأمد طويل ــ وربما لا يزال يحتاج الى الان ــ الى أن يتعلم الكثير فى أصول الصنعة الفنية من الغرب .. وبالتالى فقد لاحظ النقد عن حق أن

معالم بعض المذاهب الجمالية الاوروبية تلفت النظر فيما بين يديه من انتاج محلى · فهذا هو محمد حسين هيكل وهذا هو توفيق الحكيم يتلقيان دروسهما الفنية الاولى فى باريس مباشرة ، بل هما يحاولان تجربتهما الفنية الاولى فى اللغة الفرنسية نفسها · وكانت الرومانسية – من هنا – أولى البصمات الاوروبية على انتاج الرواد · **ولكن النقد غير معذور بعدئذ فى بلورة المصطلح وتحديده كلما اوغلت التجربة المحلية فى النضوج والشبوب عن الطوق · فلا شك أن هذه التجربة فى السياق التاريخى للرواية المصرية والمجتمع المصرى على السواء قد حذفت وعدلت، وأضافت الى البصمات الوافدة ما يدفعنا الى اعادة النظر فى المصطلح الأصلى ·** ان **نجيب محفوظ** – على سبيل المثال – يأخذ الكثير من الرومانسية فى روايته « خان الخليلى » والكثير من المدرسة السيكلوجية فى روايته « السراب » ، ومع ذلك فنحن ندعوه كاتبا واقعيا · وكذلك **عبد الرحمن الشرقاوى** فى « الارض » يستلهم العديد من عناصر الرؤية الرومانسية فكرا وفنا ، وندعوه فى نفس الوقت كاتبا واقعيا · ثم يضع النقد احسان عبد القدوس ويوسف السباعى وعبد الحليم عبد الله فى سلة واحدة هى الرومانسية !! ان هذا الخلط وضبابب الرؤية النقدية يؤدى بناعند التطبيق الى اضطراب الميزان واعتساف الاحكام ، ولا ينير الطريق أمام المتلقى الى عالم الكاتب موضع التقييم. لذلك كان المصطلح النقدى من أخطر المهام الملقاة على كاهل النقد فى بلادنا ، فما أحوجنا الى بذل مزيد من الجهد والمعاناة فى تشريح التجربة الادبية وتحليلها بجدية وعمق ، مهما صادفنا من عقبات أبرزها التناقض – ربما كان مظهريا – بين عناصر شديدة التباين فى انتماءاتها الفكرية والفنية داخل العمل الادبى الواحد . **فليست التجربة الادبية المحلية – فى خاتمة المطاف – الا ايجازا مركزا للمرحلة الحضارية التى نعيشها بكل تناقضاتها وتشابكاتها المعقدة ، وهذا وجه الاصالة فيها ·** لئن اكتشفنا عنصرا رومانسيا يجاور عنصرا واقعيا يجاور عنصرا سرياليا فى عمل فنى واحد ، لا ينبغى أن نرتبك أو نخشى التصنيف أو نؤثر الكسل ونحيل هذا العمل الى « كليشيه » محفوظ نقسره داخله ، هو والمؤلف والقارىء أيضا · ليس هذا الا نوعا من القهر ، هو فى التطبيق العملى نوع من الارهاب · بل علينا أن نبحث بجدية وعمق فى تفاصيل العوامل الذاتية والظروف الموضوعية التى أثمرت هذه الظاهرة ، من ثقافة الكاتب الى ثقافة المجتمع الى التقاليد الادبية التى انحدر منها ·

ليس كاتبا رومانسيا !!

أقول ذلك مقدما لانى سأختلف مع القائلين بأن محمد عبد الحليم عبد الله ينتمى الى المدرسة الرومانسية فى الرواية العربية · بل أكاد أقول أنه ربما كان على النقيض من الاتجاه الذى يمثله أحسان عبدالقدوس، وهو الاتجاه الذى أحب أن أستعير له المصطلح المعروف Sensationlism الذى يميل الى معالجة الموضوعات المثيرة ويستلهم رؤياه من المذهب الحسى القائل بأن أفكارنا مستمدة فى مجموعها من الاحساس وحده · أما عبد الحليم عبد الله فانى أرجح انتماءه الى النزعة العاطفية Sintimentalism المفرطة فى عاطفيتها والمسرفة فى النظر الى الاشياء والتأثر بها من وجهة عاطفية تماما · وهى صيغة تتشابه مع الظلال الرومانسية من بعض الزوايا، حتى ليخيل للمرء أنهما شىء واحد ، ولكنهما فى واقع الامر مختلفان أشد الاختلاف : مختلفان فى الاصول العامة والفروع الدقيقة ، مختلفان فى المصادر الاولى والاصداء المنعكسة على السواء ، ولنتخذ من أشهر روايات عبد الحليم عبد الله وأكثرها شيوعا بين القراء **(كما تؤكد سجلات دار الكتب والملاحظات المدونة على صفحاتها)** وهى رواية « شجرة اللبلاب » خامة فنية لاختبار هذا الرأى ، واضعين فى الاعتبار أن الكاتب قد عرف أكثر من مرحلة من مراحل التطور ، ولكنا نحاول أن نضع أيدينا على الخطوط الرئيسية التى تضم هذه المراحل مجتمعة ·

ليست « **شجرة اللبلاب** » نشازا بين اقرانها من امثال « لقيطة » و « بعد الغروب » و « شمس الخريف» و«غصن الزيتون » من حيث اعتمادها على الذكريات اطارا للاحداث . وبالرغم من ان الماضى دائما هو الزمن المختار عند عبد الحيلم عبد الله الا ان الماضى كذكرى يختلف عن الماضى كزمن ·· فذكريات الماضى هى اولى خطوات الفنان الى التدفق العاطفى المسرف فى عاطفيته، اما الماضى كزمن فيمكن ان يكون تحديدا تاريخيا او اجتماعيا او سيكلوجيا لظاهرة ترتبط بالحاضر والمستقبل · هذه المجموعة من الروايات تتصل بالماضى كذكرى تخطف البطل الرئيسى للقصة من حاضره ومستقبله ، حتى انه يعيش زمانا غير زمانه . و « شجرة اللبلاب » كشقيقاتها الاخريات تعتمد على الذكريات من الوهلة الاولى اطارا للاحداث، بحيث ان الماضى لا يصبح عاملا مؤثرا فى مجراها فحسب ، بل يصبح هو البطل الحقيقى للرواية، وما بطلها الا الظل العاطفى المترامى فوق ارض خلاء · « **كانت طفولتى من ذلك النوع الذى يتعذر على الانسان ان ينساه** » بهذه العبارة تبدأ الرواية فتحدد على الفور طبيعة السيرة الفنية للكاتب ·· فليست هذه الطفولة جرثومة خفية تنمو داخله وتكبر دون وعى منه بحيث ان عقدة حياته فيما بعد تستدعى « **الغوص** » فى اللجة المظلمة ، فى أعماق

الماضى ، حتى يمكن اكتشافها وحلها · وانما طفولة « حسنى » جرثومة وقحة يراها رأى العين فى مختلف مراحل حياته ، بل هو يتابع نموها بيقظة يحسد عليها وانتباه من جانبها يغرى برعايتها . هكذا تعلقت بمخيلته طيلة العمر صورة الاب العنيد المغرور وصورة الام الرؤوم التى ماتت فدفنت قلبه بقبرها وصورة الاخت التى احتلت مكان الام فى حدبها عليه حتى انتقلت الى عش الزوجية وصورة زوجة الاب الصغيرة التى أذاقته المر ألوانا وكانت خيانتها لابيه مع ابن عمها امام عينيه بمثابة العلقم الذى لم يفارق شفتيه طيلة العمر · هذه المجموعة من صور « الحرمان » و « الشك » هى التى حفرت المجرى الرئيسى فى حياة « حسنى » بحيث اصبحت الحساسية المرضية ازاء كافة ظواهر الوجود المحيط به هى السمة الجوهرية التى تميز سلوكه · يصف الاب بأن « مهمته فى الحياة ان يكتشف خيانات الاصدقاء له »» ويصف الام بانها عاشت حياتها « تشتكى من سقم دائم وضعف ملازم » ، ويصف زوجة الاب بأنها ظهرت « فى بياض ايامنا وسواد ليالينا » . ومن الطبيعى لضمير المتكلم الذى استخدمه الكاتب ان يضخم المشاعر ويبالغ فى الاحاسيس بحيث تتبلور نظرته الاحادية الجانب فى رؤية لونين لا ثالث لهما : الاسود والابيض · ولما كان البياض حلما متعذر التحقيق ، فالسواد هو بطل الحلبة بلا منازع ·

تبدأ أزمة حسنى اذن من قبل أن يولد ، ولكن وعيه بها يتم منذ ان قال « وهناك على كنبة يكسوها غطاء ابيض مخرق رأيت زوجة أبى وابن عمها محفوظ غائبين فى قبلة لم تكن خاطفة فاستطعت ان ادرك ما كانا يفعلان » · فى هذه اللحظة لم يحدث تغير حقيقى فى حياة حسنى ، وانما تحدد وعيه الطفل فى اطار الحرمان من الاب والام والشك فى طبيعة الحياة من حوله · ولا يتطور وعى الطفولة بنمو الطفل وانتقاله الى مرحلة الصبا والشباب ، ولكن هذا الوعى يصيبه مايدعونه فى علم النفس بحالة «التثبيت» Fixation فيكبر حسنى ذهنيا وعضويا ، ولكنه يظل اسيرا لطور متخلف من اطوار حياته النفسية . ذلك انه لاينفتح على بقية جوانب الحياة التى تضطرب حوله بمختلف الالوان والموجات · ان الكاتب يسجن بطله فى قمقم ذلك المشهد المؤسى الذى يجسد اعلى درجات الحرمان والشك ويجسم مختلف السلبيات التى عرفت طريقها اليه منذ ولد · ولما كان لكل شهيق زفير ، كان لا بد من « تعويض » يحذر اعصاب الشخصية «العاطفية» الى هذا الحد ، والتى تدور فى فلك « عاطفى » الى غير حد · والتعويض الذى اختاره محمد عبد الحليم عبد الله لبطل « شجرة اللبلاب » وغيره من ابطال رواياته الاخرى كما هو الحال فى « بعد الغروب » — هو الاتجاه به الى التعليم ومواصلته والحرص على نيل شهادة علمية · واذا كانت هذه الظاهرة تصادفنا فى أدب نجيب محفوظ فانها تكتسب عنده دلالة مختلفة أقرب الى تعويض النقص الاقتصادى والاجتماعى الذى تعانيه البورجوازية الصغيرة · اما محمد عبدالحليم عبدالله فيتجه ببطل « شجرة اللبلاب » الى المدرسة والجامعة كتعويض نفسى عن الشك والحرمان · لذلك يتعلق حسنى بأهداب الدراسة تعلقا شديدا . ويصوغ الكاتب هذا التعلق فى اطاره العاطفى فيذهب به الى « عم غانم » صديق خاله فى القاهرة . وهناك يرى زوجة أبيه على وجوه كافة النساء ، وكيف لا وقد رأى عم غانم برفقة امرأة غير زوجته فى شارع مهجور « هذه المرأة متزوجة ولا شك ! أكذا يارب كل النساء خائنات » ، واخذ يقنع نفسه بان لعبة الزواج والخيانة هى التسلية الوحيدة للبشر ، وراح يتخيل وراء كل زوجة عشيق وخلف كل زوج عشيقة لا تراها العيون ، ولكن يحدسها القلب البصير والطفل المجرب !!

مطاردة الشك

بهذه الشخصية المتوترة دوما والعاطفية ابدا ، يلج المؤلف عالم الطلبة فى مدارس العاصمة وجامعاتها ، فلا يرى حسنى من ثم الا لعبة الخداع الشهيرة التى يتخذ لها شعارا يقول « الحب امرأة تتغذى برجل » · ولا يمكن ان يكون اختيار «النماذج» أو « العينات » التى صادفت حسنى عبثا فى عبث ، اذ لاسبيل الى تصور عالم الشباب المصرى ابان الاربعينات وكأنه مجتمع جنسى مخدوع الا اذا كان الاختيار مقصودا به محاصرة الشخصية فى دائرة عاطفية محض لا تتماس مع اية دوائر اجتماعية اخرى . حتى الصديق الذى اختاره حسنى من بين مئات الزملاء كان شابا عاطفيا فشل فى دراسته لاستحواذ « الناى » على ليله ونهاره · ومن الطبيعى ان يؤمن « راشد » بالحب ، بينما يبدى صديقه ارتيابا حقيقيا فى أن تكون ثمة ظاهرة بهذا الاسم · هذا على الرغم من ذلك الميل الطارىء الذى بدأ يستهوى نظراته نحو « زينب » . وتلك اذن هى بداية قصة « الحب » تتهادى اخيرا فى الثياب المدرسية لهذه الفتاة التى يجيد عبد الحليم عبد الله تصويرها من رواية الى اخرى ·· ربما كانت ظلا لصورة حقيقية انطبعت فى الوجدان ولم تغير ملامحها رياح الزمن ، وربما كانت مثالا من خلق الذهن اقرب الى الحلم والامنية منه الى الواقع الخشن · ايا كانت هذه الصورة لزينب واخواتها فى الروايات الاخرى للكاتب ، فانها ليست بحال صورة الفتاة الرومانسية التقليدية الا اذا اعتبرنا الضفائر السوداء الطويلة والوجه الابيض المستدير

والجسد النحيل الى غير ذلك من صفات خارجية هى الرومانسية ٠ اما اذا نظرنا الى التكوين الداخلى للفتاة، فنحن نراها اكثر ايجابية من الفتى نفسه ، هى التى تبادله دوما الاعتراف بالحب ، وهى التى ترعى هذا الحب وتحرص عليه حتى النهاية ٠ ومرة اخرى هل لذلك علاقة بواقع الحياة فى شخصية الكاتب الذى قال ذات مرة انه لم يسترح الا عندما سبقته فتاته ـ وهو فى الخامسة والعشرين ـ الى الهمس بأنها تحبه [جريدة وطنى ١٩٦٠/٤/٢٤] ، او ان لذلك علاقة بفكرة عبد الحليم عبد الله المحورية عن المرأة التى ولدت فى طفولته بذور الشك فهى ايجابية فى كل شىء ، حتى فى الحب ، مهما تبدى ذلك مناقضا لطبيعة الفتاة بوجه عام ، والفتاة المصرية منذ ربع قرن على وجه الخصوص ، ايا كان الحال ، فهو يصوغها على هذا النحو الايجابى ليبرر بعدئذ الشك فى سلوكها نحوه ، او ليتخذ منها ماضيا يطارده بأشباح عشاقها السابقين ٠

هكذا بدأت محنة حسنى وقد استسلمت له زينب بعد أمد طويل من الحب المتبادل وليالى السهاد المتصل ، والتى كانت شجرة اللبلاب القائمة بين نافذته وشرفتها شاهدا عليها ٠ وكما أن صديقه راشد يعزف على الناى، فان حبيبته تقرأ الادب وهى التى دعته للاقبال على القراءة ، تماما كما كان الناى هو الذكرى التى تبقت له من صديقه بعد سفره. كان صوت الناى يعلن عن قدوم صديقه، كلما زاره فى الليل او النهار ، وكانت كلمات هذه الرواية او تلك هى الرسائل الاولى التى تبادلها مع زينب ٠ اما الرسائل الحقيقية التى احتلا على كتابتها كلما قام بالعودة الى القرية أثناء الاجازة فهى التى تصوغ النهاية القريبة من صوت الناى الاسيف ٠ لقد بلغ به الشك ذروة التردد فى الاجابة على رسائلها ، وحين عاد الى القاهرة كانت زينب ـ هكذا فجأة ـ قد ماتت !! ولم يكن هذا الموت المفاجىء الا استفزازا مثيرا لعاطفة حسنى التى توقدت بشعور حاد بالخطيئة واحساس مدمر بالذنب ، فلقد اتجهت نحوه كل العيون باتهام صريح : أليس هو السبب فى ذبول زينب المباغت ورحيلها ـ انتحارا ربما ـ بصورة مباغتة ايضا ، اذ عثروا بجانبها على انبوبة اقراص الدواء الذى اشار به الطبيب وهى فارغة تماما !! **ان هذا الموت الذى يبدو فى مظهره رومانسيا ، هو أبعد ما يكون عن الغرام الفاجع ولكنه اقرب ما يكون الى البناء الميلودرامي للرواية** ٠ وهو البناء الذى يستدر الدموع حقا ، ولكن على نحو موغل فى الصنعة والافتعال ، لا يصوغ تناقضا بين القيم السائدة والعلاقات الاجتماعية الجديدة (**وهو جوهر الرومانسية المصرية**) ولا يصوغ تمردا على الحضارة الصناعية الوليدة (**وهو جوهر الرومانسية الأوربية**) لايصوغ آلام الفرد وعذابه سواء فى مجتمع الالة المتقدم ، او فى مجتمع التقاليد المتخلف ، وبذلك تنأى الطبيعة عن المشاركة فى الديكور الروائى ، ولا تصبح المدينة رمزا للانسحاق ٠ والدليل الذى نسوقه من « شجرة اللبلاب » هو انه وان ماتت بطلتها بلا مبرر، فان بطلها سرعان ما يتعرف على اخرى اكثر تمدنا وتفرنجا لم يمتد حبل المودة بينهما اكثر من اسابيع سافر فى نهايتها الى القاهرة طالبا يدها ٠ اين هذه النهاية « **السعيدة** » من الرومانسية ؟ وانما هى تدرج منطقى بذلك الذى انطوى على حرمان وشك عظيمين ، فأصبح شعاره كرد فعل مضاعف ، يقول « **اصبحت احبها فى وضع واحد وفى موقف واحد ٠٠ اصبحت احبها امرأة منكسرة ذليلة تنظر من حضيض جثوها الى رجولتى فى العلياء** » ٠ وعندما صادفته الفتاة الجديدة الثرية لم يتردد طويلا فى السعى اليها !! ومرة ثانية اين ذلك من ابطال الرومانسية العربية والاوروبية على السواء ٠ وانما كان عبد الحليم عبد الله فى هذه المرحلة الممتدة عبر ست روايات اسيرا للنزعة العاطفية المسرفة ٠ على الصعيد الجمالى تصبح الميلودراما هى سيدة الموقف : تستنزف اكثر المواقف قتامة، وابعدها عن الممكن واشدها التصاقا بنفسية ثابتة عند وعى الطفولة . والقالب الفنى المختار هو الذكريات التى لا ترد على هيئة الوان وخطوط متباينة فى توازيها وتقاطعها وانكسارها ، وانما على هيئة مجرى متدفق بالانفعالات فى جدول مستقيم لا ينحنى ٠ فالذكرى فى « شجرة اللبلاب » تتحول مع الزمن الى ذاكرة لا تخيب ، معلقة على صدر البطل كمرآة لا تعكس سوى طفولته وصباه ٠ **واللغة لذلك تحمل عبق القدم ورائحة التاريخ ، وتوفر لقرائها من الطلبة مخزونا لا ينتهى من الصور والتعبيرات التى يرسلونها الى حبيباتهم على أنهم هم كتابها، وليست منقولة من روايات عبد الحليم عبدالله** ٠ فهى لغة رغم نعومتها وشفافيتها وسهولتها كذلك ، ليست عنصرا داخليا فى السياق التعبيرى للكاتب ، وانما هى اشبه بالوشى والتطريز بالقصب ٠ انها فى صياغة اخرى لغة تعميم وليست لغة تخصيص ، تصلح رداء لفظيا لشخصية الرواية ولسانا لغيرها من الشخصيات خارجها ٠ بل ان المقارنة الدقيقة بين روايات الكاتب تدل فى غير جهد على وحدة هذا المنهج فى التعبير ٠ لا لان الموضوعات التى تناولها والشخصيات التى جسدها والاحداث التى توقف عندها والازمان والضمائر التى اختارها ، جميعها شديدة التقارب ـ حتى ليخيل اليك ان الروايات الست رواية واحدة ـ بل لانه مضافا الى ذلك العنصر الحيوى والخطير ، تصور الكاتب لدور اللغة فى تكوين الشخصية الفنية ٠ انه يراها مترجما باللفظ

لا شريكا فى الخلق. ولا يعنى ذلك ان لغة الكاتب تخلو من الظلال والالوان ، فالحق ان عبدالحليم عبدالله من بين كتاب جيله اكثرهم معرفة بأسرار اللغة العربية ، ولكن الظلال عنده تقترن بالنغم الموسيقى للفظ فى ذاته، او فى ذات الكاتب لا فى دلالته على الشخصية او الحدث او الموقف • وكذلك التلوين يرتكز على التشبيه والمترادفات ، لا كضرورة تفسر الحركة النفسية ، ولا كجزء غير منفصل عن التكوين العام، وانما كوسيلة ايضاح تقريرية تارة وزينة باهرة تارة اخرى • **ومع هذا فقد لعب اسلوب محمد عبد الحليم عبد الله دورا بالغ الاهمية فى الانتقال من لغة المنفلوطى الى اللغة الحديثة، فهو يتميز عن الدور الذى لعبه يوسف السباعى واحسان عبد القدوس فى بعده عن الاسلوب الصحفى وقربه الشديد من سلامة الاصول** • وقد انعكس هذا الاسلوب الوسط على الشكل الروائى ، اذ كان على يديه اكثر تحديدا وتماسكا منه على يدى احسان والسباعى • وربما كان نجيب محفوظ ابان تلك المرحلة هو الذى استطاع ان يوازن الى درجة ما بين الشخصية الروائية وكيانها اللغوى فى اطار اللفظ العربى الفصيح •

رؤيا وليست موضوعا

لا تتخذ « شجرة اللبلاب » وحدها الشك والحرمان ، محورا للعمل الفنى • وانما تكاد بقية أعماله – فى المرحلة الاولى – أن تنحصر بين هذين العنصرين ، فهما يشكلان الرؤية العاطفية السائدة على كتابات عبد الحليم عبد الله • **وهى « رؤية » وليست مجموعة من الالفاظ والموضوعات والحوادث ، هى رؤية للحياة يتسم بها أسلوبه فى التفكير •• أما الالفاظ والموضوعات والحوادث فانعكاس تفصيلى لهذه الرؤية بمحتواها العاطفى** • وقد كان الانتقال من الريف الى المدينة فى صدر الصبا هو القاسم المشترك الاعظم بين أعمال الكاتب كاطار فكرى لهذه الرؤية ، كما أن ضمير المتكلم هو عماد السياق الروائى ، لا لان هذا السياق فى جوهره مجموعة من الذكريات الشخصية ، وانما لان هذا الضمير أيضا يحيط ذات المتكلم بهالة عاطفية تتسق مع مكونات رؤياه • وبالرغم من أنه يبدو للوهلة الاولى أنه ينظر الى الاشياء من بعد زمنى يكفى لاصطناع مسافة موضوعية بين الذات والوجود ، الا انه فى واقع الامر يعمد الى السقوط فى حبائل الماضى بحيث لا تصبح المشكلة الفنية هى استحضار هذا الماضى، وانما هى بالدقة ، الانسحاب اليه • هكذا هو فى « **بعد الغروب** » و « **شجرة اللبلاب** » و « **شمس الخريف** » على التوالى ، يسترجع البطل ماضيا ماثلا بالفعل لا يحتاج الى استرجاع لان صاحبه يعيش فى قلب هذا الماضى، وتلك هى مأساته الحقيقية ، انه يعيش فى غير زمانه • ولعل الدكتورة بنت الشاطىء قد غالت قليلا فى اتهامها للكاتب بالتكرار الحرفى تقريبا « **وان تغيرت الاسماء وتغيرت المواقف** » [الاهرام ٣/٢/١٩٦١) ، ولكنها فى مقالها كشفت عن حقيقة هامة هى وحدة النظرة والاسلوب ، أى وحدة العالم الذى يحياه محمد عبد الحليم عبد الله • **فالشك** منذ « لقيطة » الى « من أجل ولدى » هو العمود الفقرى للبناء الروائى ، وهو ليس شكا فلسفيا يعكس صدمة الفنان ازاء الكون أو المجتمع ، وانما هو شك « **عاطفى** » صرف لا تؤيده الشواهد العقلية ، وانما تسنده وتدعمه طفولة ثابتة فى وعى الفنان لم يتجاوزها، طفولة تعيسة ينسج خيوطها الحرمان• وكان من الممكن لهذا الشك ، لو لم تحدث حالة التثبيت هذه التى أغلقت على البطل باب القمقم للابد ، ان يكون مرآة لاهتزاز القيم فى وجدان الشخصية القادمة من الريف الى المدينة للمرة الاولى • ولكن المدينة فى أدب عبد الحليم لم تكن الا امتدادا للقرية بآثامها الشريرة ، لقد أكدت الظاهرة – وهى هنا خيانة النساء – ولم تخلقها • وبالتالى فان التناقض بين القرية والمدينة بمعناه الرومانسى ، لم يخطر على بال الكاتب • وانما كان الشك فى حياة أبطاله تثبيتا سيكلوجيا لمشهد عرضى فى بواكير العمر ، تلمس ما يؤيده من ظواهر استجداها استجداء من عرض الطريق ط... العمر • والحرمان أيضا لم يكن تجسيدا لعذاب حقيقى فى حياة الشخصية وواقعها الاكثر شمولا رغم أن الفنان فى أحد اعترافاته المنشورة يصف مأساة حبه قائلا « **كانت الفوارق الطبقية بيننا عاملا خارجا عن كيانى وكيانها** » (جريدة وطنى ٢٤ – ٤ – ١٩٦٠) • وكانت النتيجة الطبيعية لقصور الشك عن أن يكون بناء فكريا وقصور الحرمان عن الانفتاح على الواقع خارج الذات ، أن قصرت الرؤية الفنية للكاتب عن تعمق ظاهرة البرجوازية الريفية الصغيرة الراحلة الى المدينة وهى الهيكل الاجتماعى الذى توخى الكاتب مواجهته منذ البداية ، ولكنه توقف عن ملئه باللحم والدم ، فأصبح مجرد هيكل عظمى خال من حرارة الحياة رغم العواطف الجياشة التى تمور بين ضلوعه • كان الشك والحرمان جديرين بأن يتحولا أثناء الخلق الفنى الى معادل موضوعى هو القلق والذبذبة والتردد العنيف الذى يميز البرجوازى الصغير عامة . ولكن المؤلف بتصويره الفوتوغرافى – وليس الرومانسى على الاطلاق – قد بذل مجهودا يتصل بالذاكرة لا بالمخيلة الابداعية فى نقل بعض الحوادث والشخصيات والمواقف والاماكن الحقيقية التى عرفها أو مرت به الى صفحات رواياته •• مما أدى فى نهاية الامر الى

هذا التكوين الميلودرامي الصارخ الاصـــــوات والزاعق الالوان الذى يدفع القارىء فى الاغلب الى العويل والتشنج كما حدث لصافى ناز كاظم عند قراءتها لرواية لقيطة ، تقول « التقيت به أول مرة فى حجرة النوم · ولم يكن أحد يعلم انى مختبئة معه تحت السرير خلف الحقائب الضخمة · ولكنى فضحت نفسى عندما لم أستطع أن أواصل صمتى الى النهاية ، وخرج صوتى المحتبس مرتفعا بالبكاء فى المشهد الاخير » (مجلة الجيل ٢٩ ــ ٨ ــ ١٩٦٠] ، هذا الاثر الميلودرامي لاغش فيه ، لان التكوين الروائى وقد آثر استلاب اللحم والدم والابقاء على العظم لهيكل فرغ من محتواه لم يعد ليتيح سوى مجموعة الخطوط التى تحتاج من الكاتب الى التركيب ولو تعسفا ، لا الى الخلق وبث الحياة · هذه الخطوط هى فى غالبيتها كما قلت مجموعة الذكريات الشخصية لمحمد عبد الحليم عبد الله · ويمكن بغير عناء أن نرجع معظم أحداثه الروائية الى وقائع ــ ولا أقول واقع ــ حياته المنشورة فى الصحف (آخر ساعة ٢٩ ــ ٣ ــ ١٩٦٩ ، ٢٤ ــ ٨ ــ ١٩٦٦ ، ٣ ــ ١٢ ــ ١٩٦٤ ، الجيل ٢٥ ــ ٢ ــ ١٩٦٣ ، الكواكب والاثنين ٣٠ ــ ١ ــ ١٩٦٢ ، وطنى ١٠ ــ ٩ ــ ١٩٦١ ، ٢٤ ــ ٤ ــ ١٩٦٠ ، الاذاعة ٢٦-٩-١٩٥٩] · ولا شك ان كل فنان يستلهم حياته الخاصة فيما يكتب ، ولكن القضية فى كل فن هى الاختيار وزاوية الرؤية · أى أن لحظة الخلق الفنى التى تغربل مخزون الذاكرة هى اللحظة الرئيسية التى تستوجب من الكاتب كل امعان وتدقيق · والمقارنة بين الخطوط العامة فى حياة عبد الحليم عبد الله ، والخطوط العريضة فى رواياته تؤكد مطابقتهما فى تفاصيل كثيرة . والمشكلة الحقيقية هى انه أبقى على هذه الخطوط العريضة كما هى وان تدخلت الصياغة فى كسرها واستقامتها وانحناءاتها بما يتواءم مع الرؤية العاطفية ذات الاثر الميلودرامي الذى لا يخيب · وبخاصة اذا كان الكاتب يخاطب قطاعا محددا ، يقصده قصدا ، هو قطاع الشباب الذى تخطى حديثا مرحلة المراهقة · وهو قطاع معد نفسيا لتلقى هذا النغم الانفعالى تلقيا مشحونا بالوجد ، متقدا بلهيب العاطفة السطحية السريعة الزوال . لذلك كان اثر القراءة لروايات عبد الحليم عبد الله فى هذه المرحلة ، أثرا مباشرا موقوتا بلحظة القراءة ــ مهما كانت مؤسية تستدر الدموع ــ لايتجاوزها الى اللحظة التالية ، لحظة التفكير الهادىء المتزن والتأمل العميق . وربما كان هذا مايفسر لنا الاقبال المنقطع النظير على قراءة هذه الروايات فى ميعة الصبا ، دون أن يقترن هذا الرواج المذهل والمؤكد بأرقام التوزيع ، بضجيج اجتماعى يذكر سواء على أقلام النقاد كما حدث لنجيب محفوظ ــ ولو فى وقت متأخر ــ أو فى الشوارع والبيوت ، وأماكن العمل كما حدث ليوسف السباعى واحسان عبد القدوس · ذلك أن هؤلاء الكتاب الثلاثة ، مهما تباينت أفكارهم ورؤاهم ، كانوا أكثر التصاقا بهموم المجتمع ومشكلات الواقع من محمد عبد الحليم عبد الله ·· لقد فتحوا مع المجتمع حوارا فاتصلت الاسباب ــ والمناقشات ــ بينهم وبين المجتمع حتى وصلت أحيانا الى قاعات وأبهاء السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة الرابعة · أما عبد الحليم فلم يفتح حوارا مع أحد ، وانما سجل خطابا شخصيا الى بعض الناس ، كل على انفراد ، وبعلم الوصول ، بغير أن ينتظر ردا سوى الدموع ·

المأزق ·· والحل

ظلت أعمال محمد عبد الحليم عبد الله تدور فى هذا الفلك منذ أن كتب « **لقيطة** » عام ١٩٤٧ الى أن كتب « **من أجل ولدى** » عام ١٩٥٧ أى طيلة عشر سنوات كاملة ، كانت الهزات الاجتماعية خلالها قادرة على ايقاظ أكثر النائمين استغراقا فى السبات العميق · وكانت الرواية المصرية قد خطت شوطا واسعا فى الاتجاه نحو الواقعية فى « **أرض** » الشرقاوى و « **ثلاثية** » نجيب محفوظ ، مهما علقت بالاولى ظلال رومانسية ، وبالثانية آثار الصراع العنيف بين الطبيعة والواقعية النقدية · وبالرغم من أن ارقام التوزيع كانت لاتزال تسجل نجاحا كبيرا لعبد الحليم عبد الله واحسان عبد القدوس ويوسف السباعى على الترتيب ، الا أن هذه الارقام أيضا كانت تسجل ميلاد ظاهرة جديدة فى سوق القراءة ، هى الاقبال المفاجىء على انتاج الشرقاوى ومحفوظ ونجم جديد يلمع فى الافق هو يوسف ادريس فى مجموعات قصصه القصيرة وفى مقدمتها « **أرخص ليالى** » و « **جمهورية فرحات** » · ولم يكن الكتاب بمعزل عما يجرى على أرض الواقع من تغيرات تشير الى أن ثمة شيئا جديدا سوف يبزغ وينمو ويزدهر ، شيئا يختلف مجراه عن مسار الاساطير الرومانسية التى حلق السباعى فى سمائها بعد « **أرض النفاق** » و « **السقامات** » ، وتختلف رؤياه عن زاوية النظر التى يرى منها احسان مشكلة الجنس فى « **النظارة السوداء** » و « **لا انام** » · ويختلف بالضرورة عن الانسياق العاطفى المسرف فى روايات عبد الحليم · كان اتجاه السهم يشير الى مستقبل يغاير الحاضر ــ والماضى طبعا ــ اجتماعيا وفكريا وفنيا · وكانت يقظة النقد على تباشير هذا المستقبل فى كتابات محفوظ والشرقاوى وادريس يقظة مبررة تماما وان اقبلت كرد فعل ، يتسم بالتضخيم والمبالغة · وكان من آثار التطرف فى استقبال الرؤى الجديدة أن أوغرت صدور أبناء بقية أفراد الجيل الذين أجابوا على رد الفعل النقدى برد فعل مزدوج : شقه الاول هو الاتهامات السياسية المباشرة للكتاب والنقاد الواقعيين ، وأحيانا غير الواقعيين ممن استشرفوا

فى الاعمال الجـديدة آفاقا جمالية جديدة • والشق الثانى كان أكثر ايجابية حين شغلتهم قضـايا المجتمع ومشكلات الواقع بصورة مغايرة الى حد ما عما كانوا عليه فيما مضى ، وان لم تختلف رؤاهم الفكرية كثيرا • هكذا راح يوسف السباعى يؤرخ لمراحل تطور الثورة المصرية دون أن يتخلى عن النغمة الرومانسية ، وكتب احسان « **فى بيتنا رجـل** » و « **شىء فى صدرى** » و « **لا تطفىء الشمس** » • وبدأ محمد عبد الحليم عبد الله يكتب « **سكون العـاصفة** » و « **الجنـة العـذراء** » و « **البيت الصـامت** » و « **البـاحث عن الحـقيقة** » ، **وأخيرا** « **للزمن بقية** » التى كتبها عام ١٩٦٨. فى هذه الاعمال جميعها حاول هؤلاء الكتاب الثلاثة ألا يصدقوا أرقام التوزيع المغرية الىٰ غير حد فى الاستمرار على النحو الذى كانوا عليه ، حاولوا استباق الرياح القادمة غدا • وهى الرياح التى استشعروا اتجاهها بحاسة قوية فيما شنوه من حملات سياسية فى جوهرها ، وكانت « **الرسالة الجديدة** » منبرها الديموقراطى المفتوح • غير أن هذه الحملات لم تمض فى خط مواز لتجاربهم الفنية المصاحبة لها ، كانت مجرد محطة استراحـة يلتقطون فيها أنفاسهم من سرعة هذا الذى يجرى • وقد شارك عبد الحليم عبد الله فى الحوار الحاد وبخاصة عندما صدر كتاب الدكتور عبد القادر القط « فى الادب المصرى » ، وكتاب محمود العالم وعبد العظيم أنيس « فى الثقافة المصرية » • رفض اتهامهم له بالرومانسية رغم أنها ليست اتهاما ولا صلة لها بأدبية « **العاطفى** » • والنزعة العاطفية فى مختلف آداب العالم هى الورم الخبيث الذى يقضى على الرومانسية وان تمدد منها • ودعا نفسه واقعيا بحجة أنه ينقل عن الواقع ما يراه وما يحسـه . وهى دعـوى مردودة ومرفوضـة معـا ، لان الواقعيـة منهـج فى التفكير وأسـلوب فى التنـاول ، وليست بالقطـع نقـلا فوتوغرافيـا عن الواقـع . يقـول عبد الحليم فى « الرسالة الجديدة » (عدد مـارس ١٩٥٦] ما نصه بالحرف « .. **فالحرية هى روح العمل الفنى ، اما ان يقاد الفنان من الامام الى هدف ، أو أن يدفع من الخلف الى هدف فهذه بدعة لا تلبث أن تختفى . وسيظل الكتاب الذين كتبوا بغير مذهبية يكتبون وسيظل الناس يقرأون لهم على الرغم من حملة النقاد الموجهين الذين يريدون ان يلغوا قسما كبيرا من الثقافة وأن يهدموا فى سبيل من يدعون اليهم كثيرا من الصروح حتى تستوى الارض بالارض وينزل الجيد الى الردىء** .. » • والحق انه بالرغم من كافة التحفظات التى يمكن رصدها على النقد الواقعى حينذاك ، الا أن رد الفعل لدى عبد الحليم عبد الله وزملائه كان هو الاخر من التطرف بحيث انحرف ذلك الحوار التاريخى عن جادة الموضوعية وجاء حصـاده النظرى أقل من القليل •

أما حصاده الفنى فكان هذه المجموعة من التجارب التى أرى أن أقصى ما استطاعت أن تواصل به السير هو تجديد « **الموضوع** » وتغيير طفيف فى « **الشكل** » دون أن يصحب هذا التغيير وذاك التجديد أى تطور حقيقى فى الرؤية الفنية والفكرية . لم يكن موضوع «الحب» مثلا هو الذى القى بظلاله العـاطفية الوارفة على أعمال عبد الحليم عبدالله السابقة، وانما كانت زاوية النظر، ومنهج التعبير هما اللذان يحاصران « الحب » بهذه الظلال .. أما الموضوع فى ذاته فيمكن تناوله بعيدا عنها وبأساليب متنوعة • وحين انتقل الكاتب جزئيا عن الحب الى عديد من المشكلات الاجتماعية الاخرى ، لم يغير فى الكثير من دعائم رؤياه الاساسية • وهذا ما تقول به أبعد رواياته عن الحب وأقربها من المجتمع ، وأقصـد بهـا رواية « للزمن بقية» آخر ما كتب •

ولابد من التأكيد على أن الروايات الاربـع السابقة عليها كانت تجارب أولية للغوص فى باطن الواقع الاجتماعى ، لذلك فان هذه الرواية وان تكن اكمل أعماله الاخيرة وأنضجها فانها تتضمن فى نفس الوقت أهم الميزات التى تتسم بها هـذه المرحلة . وأولى هذه الميزات السمة الكلاسيكية فى التفكـير الفنى ، وهى السـمة التى تعتمد على « **المطلقات** » المثالية فى ثنائياتها « **الخالدة** » اى المتناقضة استاتيكيا كالخير والشر ، والفضيلة والرزيلة والمادة والروح الى غير ذلك من مطلقات كلاسيكية تقليدية تدور فى حلقة مفرغة ، تتكرر ولا تتطور ، اقرب ما تكون الى الدورات الابـدية السـاكنة ، وأبعد ما تكون عن التفاعل والتكامل الديناميكى • وليس من شك فى ان هذه المطلقات الفكرية تحتاج الى ابنية فنية مشابهة ، لذلك كانت البداية والوسط والنهاية وما بين البداية والنهاية من عقدة تتدرج نحو الازمة فى ذروتها ثم تتدرج هبوطا الى الحل عند السفح، هى البناء التعبيرى الامثل، وهى ايضا البناء الموغل فى الكلاسيكية •

تجربة الخروج من الذات

يستعير الكاتب فى « للزمن بقية » احـدى الشخصيات التى تواترت كثيرا فى أعماله القديمة وأبرزها شخصية « **راشد** »فى « **شجرة اللبلاب** » وهى الشخصية الفاشلة فى الدراسة الناجحة فى الحياة على نحو من الانحاء • وغالبا ما يكون فشلها فى الدراسة سـتارا لموهبة اخـرى تغلب ما عداها من المواهب كالفنون او الدخول مباشرة فى معترك الحياة • يظهر لنا راشد من جديد فى « للزمن بقية » فى مرحلة أكثر تطورا من عزف الناى وباسم « **صلاح النجومى** »الابن الاصـغر لعمدة قرية النجومى • وفى قالب الذكريات أيضا

تبدأ رحلتنا مع صلاح « **ذكريات أول مغامرة جدية فى حياته عادت اليه .. ايامها كان فى التاسعة عشرة من العمر .. رسب فى شهادة اتمام الدراسة الثانوية** » .. وها هو ذا يعود من المنصورة الى طلخا ، يقف على الكوبرى قليلا ثم يلقى بالنتيجة المنشورة بالصحف فى اليم الجارى . ويشعر أنه سيرى قريته للمرة الاخيرة ويرفع رأسه نحو السماء كأنما افسح له القمر بنوره الطريق ، ولكن الظلمة تستوى فى مخيلته مع الضوء قائلا : « **ما فائدة ان يضىء القمر مثل هذا المكان** » . ويلوح له من بعيد القنديل المتدلى من سلك أمام بهو الدوار حيث يجلس أبوه وحوله « شهاد الزور » الذين يوافقونه على كل شىء حقا كان أو باطلا ، بما فيهم نجله الاكبر « **طه** » الذى يعده لخلافته على عرش القرية . رجل وحيد هو الذى يجرؤ على قول ما يشعر به ، رجل عجوز يحدس بالحقائق ولا يعنيه الزجر ولا يقربه احد بسوء حتى العمدة يخافه وابنه يخشاه دون أن يعرفا سببا لهذا الخوف وتلك الخشية . ربما كان يمثل لهم ذلك الضمير البصير بالعالم الخفى ، هو « **محمد الجندى** » الذى اكتفى فى اواخر حياته بتقديم القهوة لاهل الدوار وزاوره وقد اصطفاه الابن الاصغر صديقا وفيا يأتمنه على اسراره وهمسات قلبه . لذلك كان هو الشخص الوحيد الذى يدرى اين يذهب صلاح فى تلك الليلة التى غاب فيها عن البيت . كان قد ذهب الى أحد الاصدقاء فى بور سعيد اذ قرر أمرا ، أن يغادر لا القرية وحدها وانما الوطن باكمله . نعم ، هو صغير السن ، ولكنه يستطيع ان يرشو قبطان احدى السفن لتنقله الى اوروبا . ويجتاز اهوال الجحيم ابان تلك الليلة التى قضاها فى مخزن السفينة بين الحياة والموت . ويحس حتى النخاع ان الوطن بعذابه وأساه أرحم كثيرا من الهجرة ما دامت هذه مقدمتها السوداء البشعة . ويعود الى بيت أبيه كسير القلب محزونا ، ويستغل الجميع هزيمته الجديدة – بعد فشل الدراسة – فى اذلاله . ويضطر للاستجابة الى مطالبهم بأن يعمل فى الارض فلاحا ابن فلاح ، وهنا يلقى هزيمته الثالثة فقد حاول ان يعامل الفلاحين على نحو مختلف عن الصورة المألوفة للسيادة والقسوة فكان نصيبه الامتهان ، سواء من استخفاف الفلاحين به والنيل منه بالتمادى فى الكسل او من معايرة اخيه له بأنه لا يصلح لشىء .

ويحدث ما ترتج له القرية وتهتز فقد مرض العمدة مرضا خطيرا ومرض محمد الجندى كذلك ، وخيمت سحب الكآبة على القرية لاخوفا على العمدة وانما خوفا من المستقبل . على آية حال تنقشع الغمامة يوما ويعلن النجومى الكبير ابتهاجه بالشفاء ، بأن يستدعى احدى الفرق المسرحية من العاصمة ، لتمثل فى القرية أمام الفلاحين ، ويأمر بأن تقام ليلة لا تقل عن ليالى العيد ، فتضاء القرية وتجرى الصدقات بين الايدى استبشارا واحسانا وعرفانا بجميل السماء . ويختفى صلاح فى هذه الليلة الكبيرة وراء الكواليس ، فقد اقنع مدير الفرقة بموهبته الفنية وسعة إطلاعه على روائع المسرح فيكلفه بتمثيل دور الحارس فى المسرحية التى سيمثلونها الليلة . ويرتدى صلاح الثياب الزاهية الالوان ويؤدى دوره على الخشبة التى اقيمت خصيصا لهذه المناسبة ، ولا يلحظ ذلك احد من النظارة ، حتى شقيقه الاكبر لا يعرفه اثناء التمثيل . ولكنه هو الذى يلحظ خلو المقعد المجاور لمقعد اخيه فيفهم – ويقلق – ان أباه لم يحضر ، وبعد لحظات يرى طه يقوم هو الاخر مهرولا ، فيزداد قلقه . ولا تلبث المفاجأة ان تنزل على الجميع كالصاعقة ، فقد اقبل من يصرخ بأن تطفأ الانوار ويتوقف التمثيل ، فقد مات النجومى الكبير . وتبدأ صفحة جديدة فى حياة صلاح منذ يدخل على المعزين بملابس التمثيل اذ نسى نفسه من وقع المفاجأة . ولكن أخاه كان قد قرر أمرا لا يختلف عن الامر الذى قرره صلاح وهمس به لمحمد الجندى على فراش المرض ، ان يترك القرية ويذهب الى القاهرة فلعله يجد عزاء فى العمل هناك . كان طه سخيا وهو يودع شقيقه باكياس النقود . وذات صباح ترك صلاح قريته تعيش فى كنف العمدة الجديد القديم الذى اذاقها المر – حرقا للمحاصيل وقتلا للرجال – وتوجه الى العاصمة فربما كانت الامل فى ان يعوض فشلا شخصيا وفشلا عاما : فشله فى الانضواء تحت لواء السيادة العائلية والتقاليد الاجتماعية ، وفشله فى انقاذ الفلاحين من وهدتهم . ومن الطبيعى ان تكون الصحافة هى وسيلته الى تحقيق هاتين الغايتين . ومن اول السلم بدأ صلاح حياته الجديدة ككاتب . ولم يطل به الزمن ليدرك ان العاصمة امتداد للقرية فى عذابها الذى لا ينقطع ، يتغير الديكور حقا ، ولكن القضية واحدة . فصاحب الصحيفة يتاجر بالشعارات ليحصل على الاعلانات ، ويتاجر بالضمير ليحصل على الشيكات . والضحية الاولى هى جماهير القراء ومصلحة الوطن ، والضحية الثانية هى هذه القلة من الاقلام النظيفة التى تأخذ المسألة جدا فى جد ، واذا هى هزل فى هزل .

وفى المدينة يلتقى صلاح بشخصيتين ، اولاهما تكاد أن تكون صورة جديدة من محمد الجندى ، ولكن فى ثياب الصحفى العجوز « البدوى السيد » الذى وصل به الضمير والشرف والثقافة الجادة الى هاوية الافلاس الدائم . والشخصية الثانية لاسيدة

« اسرار » التى فشلت هى الاخرى فى دراستها وعملها وحبها وزواجها وأضحت كالطائر المذبوح تتلوى الما من فراش الى فراش والابتسامة لا تفارق شفتيها • وهى شخصية جديدة تماما على ادب عبد الحليم عبد الله اجاد صياغتها على نحو يشى بمعايشته الخصبة والعميقة لهذا النموذج الانسانى الضائع •• وربما كانت اسرار من ناحية والبدوى السيد من ناحية اخرى يمثلان وجهين متلازمين متناقضين فى شخصية صلاح • فكلاهما حذره وشجعه على كل خطوة خطاها ، وكانا له بمثابة المصير القدرى المحكم . حذراه وشجعاه على شراء رخصة الصحيفة التى يعمل بها ليكون مطلق الحق والتصرف فى جعلها لسانا حقيقيا للريف البائس • حذراه وشجعاه على بيع ارضه لاخيه ليكون مطلق الحرية فى الصرف على المجلة • ولكن الاحداث لا تمضى على هوى صلاح وصاحباه • فالرسائل الحماسية تتناقص وترد بدلا منها رسائل التجريح والسب • وأرقام التوزيع المتزايدة تقل ويتراكم العائد من النسخ فى المخازن • ويصل « طه » من القرية فى أبهة العمودية الباذخة ليعرض على أخيه أن يساعده فى انتخابات مجلس النواب أمام الشيخ عبد الجليل • ويعانى صلاح ويلات التردد بين تأييد طه الذى يعرف أنه ابعد الناس عن تمثيل مصلحة الفلاحين وبين تأييد الشيخ عبد الجليل الذى لا يقل عنه بعدا .. ولكن طه يركز على رابطة الدم والانتساب الى القرية التى لا يجب ان ينوب عنها غريب • ويرضخ صلاح أخيرا فيرشح نفسه مع أخيه ضد عبد الجليل ، على أن يتنازل لاخيه ليلة الانتخابات ، فهذه هى اللعبة او التمثيلية المضمونة النجاح • ذلك ان صلاح كان قد اكتسب شعبية واسعة بين الفلاحين كمناضل صلب عن حقوقهم • ويقيد نفسه فى جدول الترشيح ويزور القرية ويدخل المعركة مزودا بالحماس والمال والشباب والامل ، وبخاصة وأن طه فاجاه بالرغبة فى التنازل له امام هذا الالتفاف الجماهيرى الواسع • لم يكن باقيا على يوم الانتخاب الا ثلاثة أيام انفق خلالها صلاح ما يملك من جهد ومال وحماس ورصيد شعبى • وقبل فجر الانتخاب بساعات لاحظ صلاح ومؤيدوه من الشباب بأن ثمة رائحة غريبة تفوح مصدرها لم يكن — على وجه اليقين — المرشح الخصم • فوجئوا بأن الهتاف اخذ يتحول عن صلاح ويخف ، وأن رجلا كالدب قد ارتدى ملابس التمثيل الزاهية التى دخل بها صلاح على مأتم ابيه يرقص وسط المتظاهرين ، فعمت الكآبة والصمت واتضحت خيوط المؤامرة التى حاكها طه بدهاء . لقد باع أخاه للشيخ عبد الجليل ، وحكم عليه بالافلاس المؤبد • واتضح ان رسائل التأييد والاستنكار التى تصل الى المجلة لم تكن فى معظمها رسائل حقيقية وانما كتبها أصحابها بوحى من طه حتى يدب الامل فى صدر صلاح ، ثم يخبو ، تنتفخ اوداجه ثم ترتخى ، ويؤول اخيرا الى الضياع ، فلا منبر داخل مجلس النواب او خارجه •• وتلك كانت الوسيلة الوحيدة المرتجاه فى تحقيق وجوده الذاتى وهدفه العام ، على السواء • لقد مات محمد الجندى ولكن البدوى السيد لم يمت ، وضاعت اسرار ولكنها لا تزال تحيا ، وها هى تجرى وتضحك وتقول لصديقها « **الى اللقاء الليلة •• لنهيم على وجوهنا فى العباسية الشرقية •• تشجعوا يا رجال ، فلا يزال فى الزمن بقية** » •

ماذا يبقى من الزمن ؟

والرواية على هذا النحو ، تعد أنضج اعمال عبد الحليم عبد الله الروائية ، وتشى بأنه لولا رحيله المبكر لاستطاع ان يكتب فنا مغايرا فى قيمته الفنية لاعماله السابقة ، بما فيها الاعمال التى رأيتها ارهاصا لعمله الاخير « للزمن بقية » •• انه يخرج قليلا عن دائرة الذات الثابتة التكوين فى وعى الطفولة ، ويخرج كثيرا من القوقعة العاطفية المغلقة باحكام • وهو وان تناول الريف المصرى والعاصمة فيما قبل الثورة ، الا انه يلتقط ملامح لهما اكثر عمقا من الملامح التى صورها قديما ، فهذا هو الريف بفلاحيه المضطهدين حقا والمقهورين دائما ، ولكنهم أيضا حريصون على رمق الحياة بأبخس الاثمان لا يشجعون النضال عنها الا فى أضيق الحدود . وها هى السلطة البورجوازية الصغيرة ممثلة فى العمدة ، وابنه الاكبر كأدق ما يكون التمثيل للبطش والارهاب • وما ابعد هذا الريف بسادته وعبيده عن القرية الرومانسية الوارفة الظلال فى « زينب » و « عودة الروح » • وتلك هى العاصمة لا باضوائها المتلالئة وأعواد لبلابها المتدلية من السطح الى الشرفة ونباتها البيض النحيلات ذوات الضفائر الذهبية والعيون المسبلة ، وانما بصراعاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، بنفساقها وزيفها ، وبهرجها الكاذب ونسائها الضائعات ورجالها الاكثر ضياعا •• وهكذا ، فبالرغم من قالب « الذكريات » خرج الكاتب الى الشارع وضجيجه ، واغترف من مشكلاته ما يتصل بالذات ويتجاوزها فى نفس الوقت •

ولكن محمد عبدالحليم عبدالله فى هذا الطور الاخير من اطوار ملاحقته لما طرأ على الواقع من تغيرات فى الفكر والفن ، لم يغير سوى « الموضوع » الاثير لديه ، وهو « الحب » ولم يتخل عن الرؤيةالعاطفية للاحداث والشخصيات والمواقف. بل انهذه الرؤيةقد عثرت فى المطلقات الكلاسيكية كالشر المطلق والمجسم فى شخصيتى العمدة ونجله الاكبر والخير المطلق والمجسم فى شخصيات محمد الجندى وصلاح والبدوى السيد واسرار .. عثرت فى هذه المجموعة المتوالية كلاسيكيا من المطلقات على خامة مثيرة للتدفق الانفعالى المتطرف . وهو التدفق الذى واكبته مجموعة مماثلة من المؤثرات الميلودرامية العنيفة. وهى المؤثرات التى انسجمت فكريا مع اختيارات الكاتب لشخصياته وحوادثه ومواقفه الروائية . انه لم ير فى الشارع المصرى المناضل ابان الاربعينات سوى المثقف البرجوازى الصغير وحزب « الفلاح » الاصلاحى والصحافة الانتهازية والفلاحين الخانعين والعمدة الرهيب .. وكادت الرواية فى النهاية أن تصبح ثأرا شخصيا وانتقاما عائليا لا مبرر له ، فالضراوة التى عامل به الاخ الاكبر اخاه الاصغر حتى الخاتمة لا معنى لها ولا موجب. وان شغلت حيزا ضخما من الرواية ملأه الكاتب بالحيل الدرامية المكشوفة والمقنعة . ولقد انطفأ الامل فى عينى الكاتب وبطله على السواء رغم عبارة « اسرار » المتفائلة « للزمن بقية » . وهى العبارة التى تناقضها احداث الرواية من البداية الى النهاية . **ولو انها كانت مضمونا فكريا يتسق مع اضطرام المجتمع وغليانه حينذاك بما هو اكثر عمقا من الملامح التىالتقطها الكاتب من فوق سطح الاحداث ، لاحتاجت الرواية الى نسيج مختلف لم يكن ميسورا للكاتب برؤيته العاطفية ومطلقاتهالكلاسيكية وانفعالاته الميلودرامية.** لذلك كان بطله فى هذه الرواية وغيرها ، كابطال الاساطير يعيشون فى غير زمانهم ، ولكنه يشبه الاسطورة فى شكلها الخارجي وما يتمتع به من جاذبية وسحر لافى روحها الحية المتجددة على مر العصور والاجيال .

ان محمد عبد الحليم عبد الله فى تطوره الاخير اكثر تقدما من حيث البناء الروائى المتماسك ولغة التخصيص التى مال اليها ، ولن يجد فيها طلبة المدارس « مقتبسات » يردون بها على رسائل حبيباتهم . ذلك انه فى اخريات حياته كان يلتمس جمهورا جديدا جذبته خيوط الاتجاهات الواقعية الجديدة جذبا شديدا ، حيث مال الخط البيانى لجدول التوزيع لمصلحة هذه الاتجاهات منذ اواسط الستينات . على أن هذا لا ينفى الاثر الجاد والحقيقى لتجارب عبد الحليم عبد الله وأبناء جيله من كتاب الرواية . انه ينتمى الى جيل روائى بحق ، فبعد ان ظلت الرواية المصرية عملا فرديا مبعثرا لا يشكل تيارا فى الحركة الادبية ، اصبح هناك جيلكامل منالروائيينيشكلون تيارا ادبيا لا يقل أهمية عن التيار الشعرى السائد منذ أمد طويل، بل اخذت الرواية رويدا رويدا تتصدر عالمنا الادبى ، حتى اذا ظهر جيل جديد يمكن تسميته بجيل القصة القصيرة ، وجيل آخر يمكن تسميته بجيل المسرح ، لم يتحول الجيل الروائى عن الرواية . اكثر منذلك ان نشاطه لم يكن مقصورا على كتابتها ، بل اتخذ منها رسالة تستحق النضالفأسس نادىالقصة، وكتابه الشهرىالذى رفع التوزيع لكاتب مغمور وقتئذ كنجيب محفوظ من الف نسخة الى ثلاثين الفا . ولقد كان عبد الحليم عبد الله من بين زملائه الروائيين بالغ الحرص – كنجيب محفوظ – على البناء الروائى ضمن الاطار الفنى الذىاختاره لنفسهوفكره وخامته الجمالية. ان قضية البناء الروائى التى اسهم فى ترسيخها وتأصيلها ذلك الجيل مدينة لروايات محمد عبد الحليم عبد الله بالكثير من الجهد والعطاء المبذول فى كسب جمهور لم يعتد ذوقه هذا الفن ، وكسب حيز مرموق فىتاريخ الادب المصرى، كان من قبل عرشا ثابتا للشعر . ولولا تراث ذلك الجيل الذى يحق له ان ندعوه بجيل الرواية المصرية ، ما وجد ابناء الموجة الجديدة ما يجددونه ، فهم انما يجددون شيئا قائما بالفعل ، ربما كان الان شيئا قديما ومتخلفا عن روح العصر .. ولكنه فى قدمه وتخلفه انما يصوغ آلام مرحلة كاملة لم يعرفها الجيل الراهن ، مرحلة التأسيس والتشريع والتأصيل والترسيخ لنوع ادبى لم يكن معدودا فى بلادنا حتى العشرينات من هذا القرن ، من الاعمال « المحترمة » التى يأتيها البشر .

وبعد، فلربما أكون قد أجبتعن تساؤلاتمحمد عبدالحليم عبدالله بغير ما كان يود ، ولربما يبدو هذا الحديث نشازا فى حضرة جلال الموت ورهبته . ولكنى أرى ان النقد لا ينبغى أن يكون تكفيرا عن تقصير ، ولا تأبينا فى ذكرى وفاة . وليرحمنا الله .



■ الصداقة العربية السوفيتية ، لم تعد عملية مرحلية
■ الوثائق تفضح المؤامرات الدموية فى السودان
■ انتصار اتجاه الوحدة والاستقلال فى قبرص
■ مؤشرات هامة فى مؤتمر المستعمرات البرتغالية
« رسالة من روما »

■ الجمهورية العربية المتحدة

المبادرة واليقظة عند نقطة التحول

كان لاعلان الرئيس عبد الناصر فى خطابه الافتتاحى أمام الدورة الرابعة للمؤتمر القومى قبول المقترحات الامريكيةاصداء واسعة، وردود فعل عميقة فى الاوساط السياسية ودوائر الرأى العام العربىوالعالمى، بل ان اعضاء المؤتمر أنفسهم قد وجهوا أكثر من سبعين سؤالا الى الرئيس حول هذا القرار وحول كل أبعاده واحتمالاته ٠

وأكد الرئيس أن هذا التحرك السياسى يتم من موقف القوة النابعة من تزايد مقدرة قواتنا المسلحة فى الردع ، وتزايد الدعم السوفيتى السياسى والعسكرى ومراعاة الرأى العام العالمى ٠

كما أكد أن التحرك السياسى لا يجوز أن يعطل حشد كل الطاقات العسكرية ، والطاقات الاقتصادية ، وانا يجب أن نكون مستعدين لكل التطورات اذا لم يصل العمل السياسى الى غايته ٠

واكد الرئيس فى اجاباته على اسئلة أعضاء المؤتمر بأنه فى حالة تنفيذ وقف اطلاق النار فان أى عدوان على سوريا أو الاردن انما يعتبر انتهاكا لوقف اطلاق النار ٠

والى جانب الموقف الايجابى من المبادرة الامريكية ، تناول الرئيس فى خطابه قضايا أخرى هامة مثل طبيعة الحرب التى تخوضها القوات المسلحة المصرية ، وصمود الجبهة الداخلية ، ودور الاتحاد السوفيتى فى دعم القوات المسلحة ، وتطور الوضع فى العالم العربى كما استعرض موقف الدول والقوى المؤيدة لنا والمؤيدة لاسرائيل ٠

لقد أوضح الرئيس فى خطابه أن الجيش المصرى الذى بلغ عدده نحو ٦٥٠ ألف مقاتل يخوض الان حربا من نوع جديد مبنية على التفوق الجوى ، بالاضافة الى استخدام الاجهزة الالكترونية التى لا يوجد لها مثيل الا فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ٠ وعلى الرغم من أن العدو يهدف من هجماته الضاربة الى تدمير بطاريات الصواريخ المصرية الا أن الحقيقة التى اعترف بها العدو نفسه هى أن بطاريات الصواريخ المصرية على جبهة القناة تتزايد ولا تتناقص ٠

وخلف جبهة القتال تتأكد أهمية الاستمرار فى البناء ٠ لقد حقق بناة السد العالى الذين تعهدوا بانجاز السد فى العيد الثامن عشر للثورة ــ حققوا وعدهم على أكمل وجه ، وظهر مجهود الشعب فيما

قدمه الفلاحون والعمال من عمل تجسد فى زيادة الانتاج الزراعى والصناعى ، وزيادة الصادرات الزراعية والصناعية ·

وأفرد الرئيس فى خطابه مكانا بارزا لدور الاتحاد السوفيتى بوصفه أول الاصدقاء وأهمهم واحقهم بشكرنا الدائم وعرفاننا ، واستعرض الرئيس المواقف الثابتة والمتتالية لقادة الاتحاد السوفيتى وحكومته وشعوبه من دعم النضال العربى منذ ١١ يونيو ١٩٦٧ مؤكدا ما لمسه أثناء زيارته السرية لموسكو فى يناير ٧٠ من اهتمام قادة الاتحاد السوفيتى بسلامة الشعب المصرى ومدنه وقراه ومصانعه ، وقرار القيادة السوفيتية بأن يساعدنا الاتحاد السوفيتى بكل ثقله فى الدفاع عن وطننا ضد غارات العمق وضد التهديد الذى يتعرض له المدنيون والاهداف المدنية · كما أوضح الرئيس مظاهر التعاون والدعم الاقتصادى ·

وفى حديث الرئيس عن الاوضاع فى الوطن العربى أكد على حقيقة أن تغييرات كمية وكيفية لها أهميتها الكبرى على الصراع الدائر ، قد توالت على الوطن العربى خلال العام الاخير · وفى مقدمة هذه التغييرات انتصار ثورتى ليبيا والسودان ونجاح الثورة الليبية فى تصفية القواعد الاجنبية الانجليزية والامريكية واتجاه الثورتين نحو الثورة الاجتماعية · وفضح الرئيس محاولات الوقيعة بين ثورة ليبيا ،وبين الثورة المصرية ـ كما حيا الرئيس صمود سوريا ، وكذلك جهود الاردن ولبنان ومنظمات المقاومة لتخطى **الازمات واحباط** كل المحاولات الموجهة الى تفريق صفوفها ·

وفى استعراض لمواقف الدول من قضيتنا هاجم الرئيس موقف بريطانيا لمحاولتها الاستمرار فى احتلال الخليج العربى ، كما فضح موقف الولايات المتحدة الامريكية وتعاونها الكامل مع اسرائيل وشرح دورها فى دعم العدوان ومساندة اسرائيل ·

وأعطى الرئيس فى خطابه اهتماما ملحوظا لموقف الدول الاشتراكية التى قطعت علاقتها مع اسرائيل ووقفت الى جانبنا سياسيا واقتصاديا ، وكذلك أشاد بموقف يوغوسلافيا والهند وسيلان وتنزانيا وغينيا وأفريقيا الوسطى والصومال ـ وهى كلها من دول عدم الانحياز ـ وقطعت علاقاتها مع اسرائيل · وكذلك ابرز الرئيس دور القوى التقدمية فى أوروبا الغربية وكذلك التحركات داخل اسرائيل ذاتها من مظاهرات وتدهور الروح المعنوية الناتج من أن الاسرائيليين يجدون أنفسهم أمام طريق مسدود ·

هذا وكان المؤتمر القومى فى أول جلسات دورته الرابعة قد وافق على مشروع جدول الاعمال الذى قدمته **اللجنة المركزية** للاتحاد الاشتراكى العربى والذى يتضمن موضوعين :

● مناقشة الموقف السياسى والعسكرى على ضوء خطاب الرئيس الافتتاحى والاجابات التى قدمها على أسئلة الاعضاء ·

● تقرير اللجنة المركزية عن انجازات العمل الوطنى فى السنة الماضية ، وزيادة الحشد من أجل المعركة ·

ومن المعروف أن اللجنة المركزية كانت قد استعرضت فى الجزء الاول من تقريرها المراحل المتتالية للجهد الذى بذل على الجبهة العسكرية حتى وصلنا الى مرحلة الاستنزاف التى تعد تعبيرا عن استراتيجية الحرب طويلة الامد ، **وأشار التقرير الى أن المرحلة القادمة التى يواجهها شعبنا مرحلة مفعمة بكل احتمالات العنف والخطر من جانب اسرائيل والقوى التى تساندها ، وأن العدو لن يسلم فى الارض التى اغتصبها الا فى معركة ضارية ·**

وتناولت اللجنة المركزية فى تقريرها موقف الولايات المتحدة الامريكية وانحيازها الكامل الى جانب اسرائيل موضحة أن التحولات العميقة فى المنطقة العربية لصالح قوى التحرر والتقدم العربى وتعاظم القوة العربية واصرارها على تحرير الارض ـ أرغمت أمريكا على أن تكشف عن نفسها كطرف أصيل وصاحب مصلحة رئيسية فى العدوان · كما تميز موقف الولايات المتحدة الامريكية بوضع العقبات أمام أى حلول للمشكلة وتبنى وجهة نظر اسرائيل وادعاءاتها والتقدم بمشروعات مشبوهة مقترنة بتوقيت الهجمات الاسرائيلية والمحاولات المستمرة لتجزئة القضية العربية ·

وحيت اللجنة المركزية موقف الاتحاد السوفيتى وبلدان المعسكر الاشتراكى الى جانب الحق العربى والتحولات المهمة التى بدأت تظهر فى الرأى العام العالمى والافريقى وفى المواقف الرسمية لبعض الدول الافريقية ·

وفى مجال العمل على الجبهة الداخلية اكدت اللجنة المركزية على أن التزايد المستمر فى الانتاج خصوصا فى الانتاج الزراعى والصناعى خلال السنوات التى تلت العدوان ـ كان هو الاساس الحقيقى الذى مكن اقتصادنا من تحمل أعباء المعركة والتزايد فى الاستثمارات وان ذلك تم **بجهد العمال والفلاحين وبمعونة الدعم العربى والمعونة السوفيتية ·**

وفى الجزء الثانى من تقرير اللجنة المركزية أكدت اللجنة على أن توصيات مؤتمرات الاتحاد قد

اجمعت اجماعا كاملاعلى أن تكون « زيادة الحشد من أجل المعركة لمواجهة المرحلة النضالية المقبلة » هى الموضوع الوحيد الذى يجب أن يشغل مؤتمرنا القومى فى دورته الرابعة ٠

وأوضحت اللجنة المركزية أن المعركة فى المرحلة المقبلة تأخذ أبعادا جديدة وتدخل فى آفاق متناهية الشدة والخطورة بما تتلقاه اسرائيل كل يوم من عون متزايد بلا حدود من قوى الامبريالية المعادية لتقدم شعبنا ـ وهو أمر يحتم علينا أن نركز كل فكرنا وجهدنا على مواجهة هذه الاعباء الجديدة ، وضرورة تدبير التمويل المتزايد لمواجهة استمرار المعركة وتزايدها ، وذلك برفع كفاءة الانتاج ، وضغط الانفاق وفرض ضرائب جديدة أو زيادة معدلات بعض الضرائب العامة ، الى فرض مدخرات اجبارية بأشكالها العديدة ، الى تحريك الوعى الادخارى لتزداد المدخرات الاختيارية ٠

وطالبت اللجنة المركزية بالاستمرار فى دعم القوات المسلحة ، والاستمرار فى كل الجهود لتحقيق التفوق الجوى على العدو ، والارتفاع المستمر بكفاءة التنظيم السياسى وزيادة فاعليته والاستفادة من ظروف المعركة لدعم التنظيم وتطويره ٠

هذا وقد عززت اللجنة المركزية تقريرهاللمؤتمر القومى بمجموعة من التقارير التفصيلية التى أعدتها اللجان الدائمة فى اللجنة المركزية ٠

ويرى المراقبون أن خطاب الرئيس ومناقشاته مع أعضاء المؤتمر قد ركزت أساسا على تبديد اى وهم يرى فى المبادرة الامريكية حلا سلميا نهائيا للنزاع العربى الاسرائيلى ٠ فهذا الحل لا يزال بعيدا ٠ كما أن المراقبين يرون أن قبول « المبادرة الايجابية » قد أصبح يستوجب القيام بمجهودات مضاعفة على جميع الجهات السياسية والعسكرية والفكرية فى الداخل وفى الوطن العربى وفى معسكرى الاصدقاء والاعداء على السواء ٠

●

■ مجلس الامة

مواصلة التعبئة والتوزيع العادل لاعباء الحرب

فى مستهل الشهر الماضى انهى مجلس الامة دور انعقاده الثانى ، وكان من ابرز اعمال المجلس :

● المشروعات الخاصة بتعبئة امكانيات البلاد من اجل المعركة ٠

● تحرك المجلس على المستوى الدولى ٠

● اقرار عدد كبير من المشروعات المتعلقة بالخدمات ومشاكل العاملين ٠

● اهتمام عدد من اعضاء المجلس بتقديم مقترحات تهدف الى التوزيع العادل لاعباء الحرب والنهوض بالريف ٠

وهكذا ، كان من أهم أعمال المجلس موافقته على اعتماد اضافى بمبلغ مائة مليون جنيه من موازنتى صندوق الطوارىء وصندوق الاستثمار للسنة المالية ٦٩ ـ ٧٠ وجهت كلها للمعركة ، كما أعطى المجلس فى ميزانية ٧٠ ـ ٧١ مبلغ ٥٥٠ مليون جنيه لتغطية نفقات المعركة ٠

وفيما يتعلق بتحرك المجلس على المستوى الدولى فيمكن أن نشير الى عقد مؤتمر لابرلمانيين فى القاهرة لمناقشة مشكلة الشرق الاوسط ، كما اشتركت الشعبة البرلمانية المصرية فى مؤتمر الاتحاد البرلمانى (الهند ٦٩) ودورة موناكو (مارس ـ ابريل ٧٠) ٠

كما دعا المجلس عددا من الشخصيات العالمية (رودنسون ـ جورج براون ـ مرجريتكلاى ٠٠ الخ) كما استقبل وفودا برلمانية من فيتنام الديمقراطية والاتحاد السوفيتى والمملكة المتحدة ، وكوريا الديمقراطية الشعبية ، والهند ، والاردن وسيراليون ٠

وفيما يتعلق بالقوانين التى ترتبط بالمصالح المباشرة للجماهير ومشاكل العاملين فقد غطت هذه القوانين قطاعات الصحة والنقل والاسكان ومؤسسة الطيران العربية والسياحة والمهجرين والشباب والانتاج الصناعى ، وكان فى مقدمة القوانين التى أنجزها المجلس :

ـ قانون التعليم الفنى بكافة أنواعه ٠
ـ قانون محو الامية ٠
ـ قانون نقابة الصحفيين ٠

للحرب وللتنمية معا :

وتابع المراقبون باهتمام شديد المناقشة الواسعة التى أجراها مجلس الامة قبل اقرار الميزانية الجديدة ٧٠ ـ ٧١ وهى الميزانية التى وصفتها لجنة الخطة والميزانية بالمجلس بأنها « ميزانية حرب تعطى الاولوية الاولى لاستخدام الموارد للانفاق العسكرى » ٠

وفى الميزانية الجديدة التى اقرها المجلس ، خصص لاعتمادات الدفاع ٥٥٣ مليون جنيه بتأييد اجماعى وحماسى من الاعضاء ، وكانت هذه الاعتمادات عام ٦٦ ـ ٦٧ ١٦٠ مليون جنيه ارتفعت الى ٣٥٣ مليونا عام ٦٨/٦٩ ، ثم الى

٥٠٥ ملايين عام ٦٩/٧٠ الذى انتهى فى ٣٠/٦/١٩٧٠ .

ومع هذه الاعتمادات الضخمة المخصصة لمواجهة متطلبات المعركة فان الاعتمادات المخصصة فى الميزانية الجديدة لاستثمارات التنمية بلغت ٣٠٠ مليون جنيه بنقص قدره خمسين مليون جنيه فقط عن العام السابق .

ولما كان وزير الخزانة قد اعتمد هذا العام فى توازن الميزانية على ضغط الانفاق وزيادة موارد القطاع العام فقد اشترك عدد غير قليل من اعضاء مجلس الامة فى البحث عن وسائل تدبير موارد جديدة لدعم الميزانية وتوفير الاعتمادات المطلوبة لمواجهة المعركة ، وكانت الكلمات والبحوث التى القاها الاعضاء : مختار هانى ـ نبيل نجم ـ فاروق جرانة ـ حامد عبد اللطيف حمادة ـ محمد سيد عبد المنعم ـ فؤاد مرسى ـ سيد عويس ـ أحمد طه أحمد ـ أحمد فؤاد البشبيشى ـ أحمد كمال الحديدى ـ محمد صبرى القاضى ـ محمود محمد ابو النصر ـ مصطفى الجندى ـ محمد القاسمى الطرشوبى ـ عبد الوهاب قوطة ـ كانت ترتكز على محورين أساسيين :

أولهما : ما سمى « رفع كفاءة القطاع العام » . وفى هذا الشأن قدم فؤاد مرسى وفاروق جرانة افكارا أساسية قامت على ضرورة وضع خطة للتنمية ، طالب جرانة بأن تكون خطة اقتصادية شاملة تحدد أهداف اقتصاد هذا البلد على المدى البعيد والقريب ، ودعا فؤاد مرسى الى ضرورة أن تكون خطة تضع فى اعتبارها ظروف الحرب والعدوان وعلى أساس أن تستهدف تحقيق ٣ فى المائة فقطمن النمو .

ويتفق الاثنان على أنه ليس مطلوبا أن نجلب للقطاع العام موارد جديدة ، وانما المطلوب هو رفع كفاءة الاستثمارات الموجودة فى القطاع العام ، حيث توجد طلقات كامنة غير مستغلة كما ينبغى ، بل ان بعض النظم الداخلية فى القطاع العام تساعد على اخفاء هذه الطاقات وعدم اظهارها .

وثانيهما : مجموعة الاقتراحات القيمة التى تقدم بها الاعضاء بهدف تدبير موارد جديدة للانفاق على معركة المصير ، وقد برزت أساسا فى المقترحات التى تقدم بها فؤاد مرسى ، وكان فى مقدمة هذه الاقتراحات :

● فرض ضرائب على تجارة الشقق المفروشة وتشغيل التاكسيات ومصادرة السلع المهربة واعمال المقاولات من الباطن وعمليات التصدير والاستيراد والملاهى والمشروبات الكحولية وفرض رسم عبور على السيارات .

كما قدمت اقتراحات برفع نسب الشرائح العليا فى الضرائب الحالية ، والحد من الاعفاءات والاهتمام بمجموعات الممولين الذين لم تصل اليهم أوعية ضريبية حتى الان ، وفرض ضريبة على الارباح الاستثنائية وجعل ضريبة الايراد العام على الاسرة وليس على الفرد ، كما اقترح تسليم سندات حرب مقابل أى زيادة فى اسعار المحاصيل بالنسبة لمن يملكون أكثر من عشرة افدنة ،ورفع الضرائب على من يزرعون أرضهم فاكهة ، وكذلك الامر بالنسبة لعلاوات وترقيات القطاعات فوق المتوسطة من الموظفين .

واقترح أيضا فرض تأمين اجبارى ضد اخطار الحرب على المنازل والمتاجر والمصانع وزيادة الادخار الى يوم كامل ، ولم تقتصر الاقتراحات على طلب اجراءات علوية تفرض على الجماهير مهما كانت درجة حماسها لهذه الاجراءات ـ بل دعا العضو **أحمد طه** الى ضرورة تنمية دور الجماهير من القاعدة حتى أعلى مستوى ، والعمل على أن يستنهض الفرد ويشعر بأن الخطة خطته ، ويساهم فيها بنصيب .

وأكد **نبيل نجم** على ضرورة تنظيم الجهود التطوعية ، وعدم ترك الامر للنوايا الحسنة والاستعداد الفردى .

وقدم اقتراحا بان تتخذ النقابات المهنية اجراءات جادة وتنظيمية بحيث تستطيع مضاعفة جهود اعضائها ، فالمدرس يستطيع أن تكون المدرسة مدرستين دون أن تبنى مدرسة جديدة ، والنقابات العمالية تستطيع من خلال تشكيل فرق العمال التطوعية التى تعمل دون مقابل أن تضاعف من قيمة الاستثمار المتاح وهكذا .

الريف ... ومشكلاته

واذا كانت المعركة ومتطلباتها وتوفير الاعتمادات لها قد احتلت مكان الصدارة فى المناقشة ، وكانتقاسما مشتركافى كلالكلمات ، فان أربعة قضايا أخرى كانت محور اهتمام من الاعضاء خلال مناقشة الميزانية .

لقد اشترك الاعضاء **عبد الحميد عبد العزيز صالح ـ ابو الفتوح الجندى ـ عطا محمد سليم ـ محمود محمد ابو النصر ـ مختار هانى ـ ممدوح خليل ـ ناصف عبد المقصود طاجون ـ عبد المنصف الدفراوى ـ حسن رفعت مظلوم ـ الدكتور سعد الخوالقة ـ احمد محمد الدمرداش تونى ـ احمد عيسى عامر ـ محمد عبد الحميد شاهين ـ محمد فاروق زكى الدربى ـ دكتور اسماعيل معتوق ـ**

حسين محمد محمود حجازى ، فى اثارة مشكلات القرية المصرية والفلاحين الذين يقطنونها ٠

وكانت النقطة الاساسية فى مناقشتهم هى الاعتراض على خفض الاعتمادات المخصصة لمشروع انارة القرى من ٣ ملايين جنيه فى ميزانية ٦٩ ــ ٧٠ الى مليونين فقط فى ميزانية ٧٠ ــ ٧١ وهو مايكفى لانارة ثمانية قرى فى كل محافظة ٠

وطالب بعض الاعضاء بتخصيص حصيلة صندوق لكهربة الريف ، والاستفادة بكميات الكهرباء الموجودة حاليا من السد العالى ، وتوجيه آكبر قدر منها الى الريف ٠

كما طالبوا بضرورة الاهتمام بتصنيع الريف وميكنة الزراعة ، بحيث تخلق الظروف الملائمة لخلق مجتمع جديد وتقريب المسافة بين المدينة والقرية ٠

وطالب بعض الاعضاء بتخصيص حصيلة صندوق الخدمات التى تجمع من الفلاحين للخدمات ، وكذلك عائد الجمعيات التعاونية الزراعية الذى لم يصرف منه شىء حتى الان ، وبقى حائرا فى متاهات بنك التسليف وأخطاء حسابات الجمعية ٠

وركز العضوان محمد القاسمى الطرشوبى وعبد الحليم عبد الحفيظ على مشكلة مقاولى الانفار فى الريف الذين يحتكرون توريد العمال ، ولايصل لهؤلاء العمال أكثر من ٢٠ فى المائة فقط من أجورهم : بينما بلغ ربح أحد متعهدى توريد الانفار فى عملية تطهير الترع ١٥٫٥٠٠ جنيه ــ ودعا العضوان الى تشكيل جمعيات تعاونية تقوم مع النقابة العامة لعمال الزراعة ولجانها النقابية ولجان الاتحاد الاشتراكى فى كل قرية برعاية وتشغيل هذه الاعداد الضخمة من العمال الفقراء ٠

واهتم عدد من الاعضاء بمشكلات القطاع الخاص : **عبد الجابر علام ومحمد محمود مصطفى والدكتور سعد الخوالقة وسيد عمار** وأبرزوا بشكل خاص مشكلات الحرفيين ، وابرزها تعدد الصناعات ، وعدم انتظام توفير مستلزمات الانتاج ، وعدم انتظام التمويل المستمر ، وعدم امكان تسويق منتجاتهم ، والانخفاض المستمر فى مستوى انتاجهم ودعوا الى ضرورة انجاز حصرهم وتصنيفهم وتحديد مشاكلهم ومواجهتها ٠

وطالب **عبد الفتاح عزام** بأن تزاد التسهيلات للقطاع الخاص والتعاونيات فيما يختص بالاسكان وأن يشجع كل من يبنى أكثر من دور بأن يزاد القرض كلما ارتفع البناء ٠

وانتقد العضو **محمد سيد عبد المنعم** شريحة كبار المولين من القطاع الخاص التى تستأثر بمعظم تسهيلات البنوك ٠ بل ان البنوك تساعدهم على زيادة مواردهم ، ودعا الى تشجيع القطاع الخاص الصغير والحرفى،أما القطاع الخاص الذى يستأثر بتسهيلات ما كان يجدها فى ظل النظام الرأسمالى ، والذى يلتف حول القوانين بطرق غير مقبولة ، فانه يجب النظر اليه بطريقة اخرى ٠

■ **الاتحاد الاشتراكى العربى**

قضايا هامة
فى المؤتمرات المحلية

تمهيدا لانعقاد الدورة الرابعة للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى ، عقدت اجتماعات موسعة على مختلف مستويات التنظيم ٠

وكانت للجنة التحضيرية للمؤتمر قد طرحت جدول الاعمال على كافة المستويات (راجع عدد يوليو من الطليعة) ٠

ويرى المراقبون أن المعركة ومتطلباتها كانت أبرز القضايا التى تناولتها المناقشات ، وقدمت القيادات المختلفة عددا كبيرا من التوصيات كاد بعضها ان يكون قاسما مشتركا فى كثير من الاجتماعات، وفى مقدمة هذه التوصيات :

● الاهتمام بقضايا الدفاع المدنى ، والدفاع الشعبى ورعاية أسر الجنود والمهجرين ، وكان من **أبرز التوصيات ، تلك التوصية التى أكدت على ضرورة تدعيم فصائل خدمة الجبهة بشباب من العمال والفلاحين ، وعدم قصر الخدمة فى هذه الفصائل على طلاب الجامعة ،ومن بين التوصيات الهامة المطالبة باشراك أفراد الدفاع الشعبى فى مهام قتالية بالجبهة لتشكيلهم واعدادهم فى غمرة الحرب والقتال ٠**

● وفى كثير من الاجتماعات كان هناك الحاح على أن تفرض التزامات على أصحاب الدخول الكبيرة واعادة النظر فى البدلات والمرتبات

الاضافية ، وأن يعرض جانب منها على صورة شهادات استثمار لا تباع الا بعد انتهاء الحرب . وكان هناك اتجاه واضح يدعو الى فرض ضرائب على الشرائح الاجتماعية التى لم تشملها الضرائب من قبل (الاستقلال الزراعى ، الشقق المفروشة ، تجارة التاكسى) وتحديد موقف من المماطلين فى سداد مستحقات الجمعيات التعاونية وبنك التسليف ومصلحة الضرائب . وفرض رسوم اضافية على السلع الكمالية ومصادرة البضائع المهربة لحساب المجهود الحربى، ورفع الادخار من ثلاثة أرباع يوم الى يوم كامل ، مع ضرورة الحد من الاسراف فى الانفاق العام سواء فى الاموال أو الوقت أو المواد الاولية .

وعندما تعرضت الاجتماعات للوسائل الخاصة بزيادة فاعلية التنظيم السياسى وعلاج أوجه قصوره كانت المطالبة بمحاسبة السلبيين والمعوقين وتنحيتهم ، ووضع حدود زمنية لتولى الافراد مواقع القيادة فى التنظيمات الجماهيرية المساعدة ، وعدم الجمع بين العديد من المراكز السياسية أو الادارية وضرورة اعداد مدارس الكادر لتربية قيادات شابة . واعدادها لتحمل المسئولية فى التنظيم السياسى ، والاسراع فى بناء التنظيم النسائى ، وتوفير الحماية للحقوق المشروعة لقيادات التنظيم السياسى : وهو الامر الذى لم يتحقق حتى الان بالرغم من جميع التوصيات والقرارات التى صدرت بشأنه .

● الاسراع فى الانتهاء من تشكيل لجان المواطنين من أجل المعركة واعطائها الفاعلية لكى تقوم بالمهام الموكولة اليها حتى لا يتأثر حماس الجماهير ببطء اجراءات تشكيل هذه اللجان .

● ضرورة استمرار الانتاج تحت أية ظروف ، وتوفير البدائل للمواد الخام وقطع الغيار الغير متوافرة .

● تحديد أسلوب واضح للتصدى لقوى الثورة المضادة والمتلاعبين بأقوات الجماهير .

عبد العزيز فهمى .. وداعا

فى الثالث عشر من يوليو،ودعت اسرة الصحافة عضوا من اعضائها ، وكاتبا سياسيا حمل القلم زهاء ربع قرن ، وطنيا بحق ، ومناضلا بثبات فىسبيل الاشتراكية ، هذا الكاتب هو عبد العزيز فهمى .

وعلينا ، لكى نؤدى اليه بعض حقه ان نضعه فى مكانه من جيل الاربعينات ، هذا الجيل الذى أطل على بلاده ابان فترة الحرب العالمية الثانية ، ودخلفى صدام عنيد وفورى ضد الاحتلال وضد الحكم الملكى الاقطاعى ، ان عبد العزيز فهمى يحكى قصةهذا الجيل حين اعطى نفسه لقضية التحرر الوطنى وقضية الاشتراكية ، وهذا ما تشير اليه بواكيركتاباته فى مجلة الفجر الجديد التى عطلها اسماعيل صدقى ١٩٤٦ . وكان عبدالعزيز ــ فىذلك الوقت ــ قد بدأ حياته العملية مدرسا فى التعليم الحر ، وكانت مؤسسات هذا التعليم ونظمه تعكس المظالم التى يعيشها معلمو المدارس الحرة فى ظل النظام الملكى الاقطاعى ، لكن زملاء عبد العزيز من المدرسين يذكرون انه كان يتقدم المناضلين ضد هذه الاوضاع ، وانه كان احد الذين قادوا المسيرةالضخمة الصامتة التى نظمها اتحاد معلمى المدارس الحرة فى اواخر الاربعينات ، ويذكرون انه عقب هذه المسيرة اتخذت حكومة الوفد قرارها بضم معلمى التعليم الحر الى الوزارة .

لكن عبد العزيز كان قد وجد نفسه اخيرا عندماوضع قدراته ككاتب سياسى فى ميدان الصحافة ، ويذكر له تاريخ النضال من اجل الديموقراطيةحملاته العنيفة فى اواخر الاربعينات ، ضد حكومات السعديين والاحرار الدستوريين ، ثم يشرق تاريخه الوطنى فى أوائل الخمسينات كمناضل من اجل الوحدة المقدسة بين عنصرى الامة ، فعندما اشتد الكفاح المسلح على ضفاف القناة ــ على ايام حكومة الوفد الاخيرة ــ حاول الانجليز ان يحرفوا هذا الكفاح بالايقاع بين عنصرى الامةفدبروا حريق كنيسة السويس ، وكان المحتلون يتوقعون ان تقوم فتنة ، لكن عبد العزيز فهمى كان احد هؤلاء الشبان الوطنيين الذين بادروا الى الاجتماع الكبير الذى عقد فى الكنيسة المرقسية الكبرى ، ونظم مع عدد من اصدقائه وزملائه الخطة المضادة لوأد الفتنة العنصرية والطائفية .

● دعم دور أجهزة الاعلام فى خدمة تماسك الجبهة الداخلية واعادة النظر فى وسائل الرقابة على المصنفات الفنية ، وخاصة الكتب والافلام والبرامج الامريكية التى تمجد فى النظام الرأسمالى ، أو تقلل من قدرات شعبنا على المواجهة ٠

● اعادة النظر فى القوانين التى تسود مجتمعنا الان والتى لم تعد تتفق بأية حال مع اتجاهاتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبصفة خاصة قانون التعاون العام وقانون العمل الموحد ٠

هذا وقد أبدت بعض المؤتمرات اهتماما بقضايا ما بعد النصر وطرحت مجموعة من القضايا التى يتعين مواجهتها :

● التنظيم السياسى وتطويره ٠

● عودة المهجرين الى بلادهم ٠

● الاسلوب الذى سوف يتم على أساسه تأهيل المجندين للحياة المدنية حين يتطلب الامر الاستغناء عن خدمتهم النظامية فى القوات المسلحة ٠

● أسلوب البدء بالعمل فى خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى ضوء اتساع أبعاد التطبيق الاشتراكى ٠

ويرى المراقبون انه لما كان جدول الاعمال الذى كانت قد طرحته اللجنة المركزية على مختلف مستويات الاتحاد الاشتراكى قد ركز فى الاساس على المعركة ومتطلباتها ، فان هذا التركيز قد ساعد المؤتمرات المحلية على أن تبلور أفكارها واقتراحاتها بما يخدم الهدف الذى رمت اليه اللجنة المركزية ، هذا من ناحية ؛ ومن ناحية اخرى فقد أوضحت مناقشات الاعضاء فى قاعدة الاتحاد الاشتراكى وفى مستوياته المختلفة أن الرأى العام والناس البسطاء قد قدموا ـ ولا زالوا يقدمون ـ كل ما هو مفيد وفعال لتحقيق النصر على العدو ٠

واستمر عبد العزيز يهب معظم جهده ككاتب ومفكر لفضح الامبريالية العالمية وكشف الاستعمار فى شتى مظاهره ، هكذا تعاون فى اوائل الخمسينات مع المرحوم الدكتور محمد مندور فى اصدار سلسلة « كتاب المواطن» وفى هذه السلسلة يحتل كتاب عبد العزيز فهمى « الاستعمار عدو الشعوب » مكانا بارزا ، ولا يزال حتى اليوم من خيرة الكتب التى عالجت قصة الاستعمار من زاوية علمية وتقدمية ٠

وقد واصل عبد العزيز الجهد كمحرر فى جريدة الجمهورية حيث تولى الاشراف على سلسلة « كتاب التحرير السياسى » التى صدر منها اثنا عشر كتابا ، لازلنا نذكر بعض عناوينها :

الطريق الى باندونج ـ رياح الثورة فى امريكا الجنوبية ـ آسيا المعاصرة ـ تجربة الثورة الجزائرية ـ ثورة غينيا والتجديد الاجتماعى ـ تطور الفكرة الاشتراكية ـ القاموس السياسى ٠٠ الخ ٠

وكان عبدالعزيز يوجه السلسلة ويقدم لكل كتاب ٠

وفى اعماق هذا القلب الذى أحب بلاده كان يكمن الاديب والانسان الذى ـب الحياة واحب الانسانية ، وهذا ما نكتشفه عندما نقرأ بعض الاعمال الادبية التى نقلها الى العربية ، فهناك « مأساة روزنبرج » التى كتبها الاديب البولندى كروتشفسكى ، وقدم لها اراجون ، وهناك « المؤامرة » للكاتب الصينى الشهير كوموجو ٠

فهل استطعنا فى هذه العجالة ان نقدم هذا القلب الكبير بكل قسماته النيرة ؟ هيهات ! لكننا نذكر بكل اللوعة والاعجاب ان عبد العزيز كان من جيل حمل هموم وطنه ؟ وانه كافح ، وتعب ، وتشققت قدماه ليضع البذرة الطيبة فى الارض الطيبة ، وانه فى كل هذا لم يكن يبحث عن امتياز او مقابل ، بل وانه فى كل هذا كان يهتدى بالحكمة القائلة بأننا « نكافح لكى لا يندم أحد على الحياة » ٠

الاعلام الناجح : عرض الحقيقة

أثار الحديث الذي ادلى به **محمد حسنين هيكل** وزير الارشاد القومي للتليفزيون العربي في برنامج «حوار مفتوح» في منتصف الشهر الماضي ، اهتمام الدوائر السياسية والثقافية •

ويرى المراقبون ان وزير الارشاد القومي في حديثه عن قضايا الاعلام ، قد قدم خطا عاما لعمل أجهزة الاعلام في فترة من أهم الفترات التي يعيشها المجتمع المصري •

وعلى الرغم من أن الوزير قد تناول أكثر من قضية تشغل اهتمام الرأي العام ، الا أن المهتمين بقضايا الاعلام والمجتمع ، يرون أنها دارت — جميعا — حول محور أساسي هو : **ضرورة اعلام الجماهير وتعريفها بحقيقة ما يجري واتجاهات المستقبل مع مراعاة ضرورة الا يستفيد العدو** •

وقد حرص وزير الارشاد القومي — في بداية حديثه — على أن يؤكد أن الاعلام عملية لا تنفصل عن المجتمع بمعنى أنه « ينقل للناس وللرأي العام صورة مما يجري في البلاد يمس حياة الناس وشئونهم واتجاهاتهم الفكرية والسياسية والثقافية » ، ومن هنا حدد الوزير « أن الاعلام وسيلة للنقل وليس وسيلة انشاء ••• ومن الخطأ والخطر أن نتصور أن مهمة الاعلام هي التزويق •• فالاعلام هو نقل الصورة وليس تزويقها» •

وفي مجال تحديد معيار نجاح الاعلام، قال الوزير « وعندما نتكلم عن الاعلام الناجح فهذا يعني اننا نتكلم عن أمور كثيرة ناجحة بمعنى أننا لا نستطيع أن نقوم باعلام ناجح عن سياسة ضعيفة ، والاعلام بشيء الغرض منه هو الاخبار عن حقيقة هذا الشيء » • وأبرز الوزير مثلا واضحا على صحة هذا المعيار ، فأمريكا التي لم تستطع برغم امكانياتها في علم الاعلام ووسائله التأثير على الرأي العام العالمي والامريكي ، لان اعلامها لا يعبر عن حقيقة سياستها العدوانية ، وقد حرص الوزير على أن يؤكد « وأنا لا أقول أن علينا أن نقول كل شيء ويستفيد العدو مما نقول •• لا •• لكن لابد أن يكون الاعلام في بلد يحارب أمامه أكبر قسط ممكن من الحقيقة » •

وعن علاقة أجهزة الاعلام ومهمتها •• بالدولة ، أشار وزير الارشاد « الى أن الاعلام لا يرسم سياسة الدولة بل هو يعبر عنها » • وحدد الوزير أن السياسة الاعلامية السليمة يجب أن ترتكز على ثلاثة أمور : أولا : أن يعرف أكبر قدر من الحقيقة ، والحقيقة لا يمكن اختراعها • **ثانيا** : مواجهة الحرب النفسية بأن نكون واضحين وألا تكون هناك قرارات بلا مبررات ويعلم المواطنون أسباب اتخاذ أي قرار • واضعين في الاعتبار انه من الصعب امام تطورات العصر والتكنولوجيا ، اخفاء الحقائق ، بينما قد تنقلها جهات اخرى بصورة مشوهة عن عمد • **ثالثا** : يجب أن نكون على علم تام بما ندافع عنه ، ولماذا نحارب •

ثم أفرد الوزير حيزا ملموسا من حديثه ، عن الحرب النفسية التي تواجهها البلاد ، وأجاب على تساؤل حول مقاومتها ، قائلا : « لا شيء يقاومها الا **الحقيقة والامل** » • وأضاف « فاذا قلنا أكبر قدر من الحقيقة والناس مقتنعون حقيقة ، وفاهمون ما يحدث ، والحقيقة أمامهم مترابطة ومسموعة — بمعنى أن الناس عندهم الصورة الحقيقية — فالمقاومة في داخل أنفسهم تقوى ، نحن لا نستطيع أن نبني سورا حول تفكير الناس أو حول ضمائر الناس ونقول اننا نقيم حاجزا صحيا ، لم يعد هناك ما يمكن اخفاؤه فالدنيا كلها قد أصبحت مفتوحة » •

وفي نهاية حديثه عن الاعلام ، ركز الوزير على أهمية دراسة المكونات الرئيسية للعدو : فكره ولغته وحياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية •• الخ • وذلك بهدف تخطيط « حرب نفسية موجهة اليه وقادرة على التأثير » •

ويرى المعلقون أن اتجاه سياسة الاعلام اليوم ، تسعى الى أن تتلافى كثيرا من السلبيات التي تعرضت للنقد في هذا المجال ، وتحاول في نفس الوقت خلق تقاليد ثابتة في مجال الاعلام العربي •

■ **القاهرة — موسكو**

الصداقة العربية السوفيتية لم تعد عملية مرحلية

لم يحدث ان أثارت محادثات عربية — سوفيتية اهتماما عالميا بالغا ، كهذا الاهتمام الذي أثارته اجتماعات الوفد العربي برئاسة الرئيس **جمال عبد الناصر** مع الوفد السوفيتي برئاسة **ليونيد بريجينيف** في الفترة من ٢٩ يونيو حتى ١٧ يوليو الماضي • فقد ظلت — وما تزال — صحافة العالم كله ، واذاعاته ودوائره السياسية ، الرسمية

والشعبية، تتناول هذه المحادثات بمتابعتها اخباريا وبالتعليق وبالدراسة ٠

وتعتقد المصادر المطلعة أن المحادثات التى استمرت ١٨ يوما دون انقطاع كانت تدور حول قضية أساسية : **قضية نضال شعب ضد قوى امبريالية تحاول أن تفرض ـ بكل الطرق ـ سيطرتها على أرضه، وعلى كيانه وعلى مستقبله** ، وكان واضحا أن مهمة المحادثات التى ضمت كل أعضاء الوفدين ، أو تلك التى اقتصرت على الرئيس عبد الناصر والقادة السوفيت ، كانت تدور حول الحل الذى يتفق وأمانى الشعوب العربية ويعيد حقوقها ، وهنا بالتحديد كانت المهمة التفصيلية **للجنة السياسية (المنبثقة عن اجتماعات الوفدين)** برئاسة **محمود رياض وأندريه جروميكو** ، **واللجنة العسكرية** (المنبثقة ايضا عن المحادثات) برئاسة **محمد فوزى وجريتشكو** ، ويرى المعلقون السياسيون أن تحديد استراتيجية الجهود العربية السوفيتية للفترة المقبلة ، كانت هى القضية الاولى ، وذلك على ضوء دراسة كل احتمالات الموقف السياسى والعسكرى ومتطلباتهما ازاء أية اقتراحات معروضة ٠

وتكتسب زيارة الرئيس عبد الناصر للاتحاد السوفيتى ومحادثاته مع القادة السوفيت ، أهميتها الخاصة ، لا من الفترة الطويلة التى استغرقتها فحسب ، بل ومن الظروف والاحداث التى احاطت بها سواء عشيتها أو خلالها أو غداتها :

● **فقد سبق زيارة الرئيس عبد الناصر الى موسكو** ، لقاؤه برؤساء الدول العربية : سوريا والعراق وليبيا ولبنان والاردن واليمن ، وممثلين لرؤساء السودان وتونس والجزائر والمغرب والكويت ، ويعنى ذلك أن الصورة الدقيقة لامكانيات وحدود العمل العربى كانت قد تحددت بوضوح الى جانب تحديد مطالبه ، ومن الجدير بالذكر أن الرئيس عبد الناصر كان قد اشار فى آخر خطاب له فى ليبيا الى أنه لابد من ايجاد حل لتفوق الطيران الاسرائيلى ووضع حد رادع لغاراته على الجبهة ٠

● **كذلك فان الولايات المتحدة الامريكية** كانت قد تقدمت عن طريق وزير خارجيتها بطرح ما سمى « بالمبادرة الامريكية » كمقترحات لحل مشكلة الشرق الاوسط من وجهة نظرها ، ومن الجدير بالذكر ان الرئيس عبد الناصر كان قد اوضح فى خطابه بليبيا بأن مصر لن تقبل أى حل يتجاهل انسحاب اسرائيل من كل الاراضى العربية المحتلة ، وقد نقلت صحيفة **الهيرالد تريبيون** تصريحات على لسان ما أسمتهم بالمسئولين الامريكيين ، جاء فيها انه « اذا رفض العرب المبادرة الامريكية الاخيرة ، فسوف يصبح ذلك دليلا قاطعا على أن الاسرائيليين على حق ، ومن ثم فان خططنا يجب أن تقوم على أساس حماية اسرائيل وبقائها » ٠

● **كانت اسرائيل وأجهزة الدعاية الصهيونية** والغربية الاستعمارية ، قد شنت حملة واسعة من الهجوم على الاتحاد السوفيتى بسبب دعمه السياسى والعسكرى للشعوب العربية ، ومن الواضح أن هذه الحملة كانت مقدمة تمهيدية لتصريحات نيكسون عن الشرق الاوسط بعد ذلك ٠

ومن الجدير بالذكر أن **ناحوم جولدمان** رئيس المنظمة الصهيونية ، قد كتب مؤخرا محذرا من « **أن الزمن لا يعمل ولا يسير فى صالح اسرائيل** » ٠ **كما ان دافيد بن جوريون ـ رئيس وزراء اسرائيل الاسبق ـ كان قد أجاب على سؤال حول حدود اسرائيل ، قائلا : « لو اننى سئلت هذا السؤال فى أعقاب حرب يونيو مباشرة لاجبت على الفور : حيث يوجد جنودنا الان عند قناة السويس ، ولكن بعد مرور ثلاث سنوات ، فانى أقول : حيث يرغب الرئيس عبد الناصر والعرب** ٠

● **تطورات الاحداث على جبهة قناة السويس** بسقوط طائرات الفانتوم الاسرائيلية ـ الامريكية الصنع ، هذه التطورات التى أثارت الدوائر المسئولة فى تل أبيب ثم فى واشنطن الى الحد الذى ذهب اليه الرئيس الامريكى نيكسون ٠ فبينما كان يتحدث فى التليفزيون عن الموقف فى الهند الصينية ، اذ به يفاجىء العالم ويتجه الى الحديث عن الشرق الاوسط ـ وكان قد تسلم قبل ساعات من الحديث تقريرا عن سقوط الفانتوم ـ ويقول : « ان الموقف فى الشرق الاوسط خطير بدرجة مرعبة ، وهو أشبه بالموقف فى دول البلقان قبل الحرب العالمية الاولى » ٠ ثم أضاف أنه « أكثر خطورة من الموقف فى فيتنام لانه ينطوى على احتمال حدوث صدام بين الدولتين الكبيرتين » ٠ وتقول صحيفة **نيوزويك الامريكية** » ان صوت نيكسون كان يحمل احساسا جديدا بالموقف » ٠

وقد ارتبط هذا التصريح من نيكسون ، برواج الحديث فى اسرائيل وخارجها عن التهديد بتدخل قوات امريكية فى القتال ، وتقول صحيفة **هيرالد تريبيون** « **اذا نحينا جانبا مسألة فعالية أو عقم الحرب الفيتنامية ، فثمة ادراك من جانب الحزبين الامريكيين بأن اهمية الهند الصينية قد تضاءلت الى ادنى درجة بالمقارنة بالاخطار الاستراتيجية فى الشرق الاوسط** » ٠

ومن الجدير بالذكر أن **على صبرى** عضو اللجنة التنفيذية العليا ، كان قد أجاب على سؤال فى الاجتماع الذى عقده مع الطلبة العرب الدارسين

فى موسكو ، حول ما اذا كان فى التخطيط العربى للمعركة أن امريكا قد تتدخل بشكل مباشر فى المنطقة ؟ ـ اجاب بقوله « **اننا لا نستطيع استبعاد ذلك ، ولكن المسألة بالنسبة لنا مسألة حياة أو موت** » .

وتقول آخر الانباء ـ عند كتابة هذا التقرير يوم صدور البيان المشترك ـ ان السفارة الامريكية فى تل أبيب قد أصدرت بيانا تقول فيه ان زيارة بعثة سلاح الطيران الامريكى برئاسة نائب رئيس قيادة القوة الضاربة لسلاح الطيران الامريكى لاسرائيل ، لا علاقة بينها وبين « اية اجراءات خاصة بأزمة الشرق الاوسط » . ثم أوضح متحدث باسم السفارة أن هذه البعثة تقوم « برحلة عادية لمنطقة تقع ضمن مسئولية قيادتها » .

● جرت محاولات من الصحافة الغربية بشكل عام والصحافة الامريكية بشكل خاص ، للحديث عن « مشروع سوفيتى جديد » بهدف اضفاء بعض الظلال أو الغموض من جهة ، وبهدف تصوير أن الصراع فى الشرق الاوسط قد أصبح قضية بين الاتحاد السوفيتى وأمريكا .

ومن المعروف ان الاتحاد السوفيتى لم يتقدم بأية مشروعات جديدة ، وقد أوضح أنه لم يتقدم بأية مقترحات تخص الشرق الاوسط منذ مقترحات يناير ١٩٧٠ والتى كانت تعنى فى جوهرها تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر ١٩٧٠ .

● برغم أن الجلسة الافتتاحية لدورة الانعقاد الاولى لمجلس السوفيت الاعلى (البرلمان) كان من المفروض أن تتعلق فقط باجراءات الانعقاد التى عادة ما تعقب الانتخابات الجديدة ، الا أن المجلس قد اتخذ فى نفس الجلسة ـ وبناء على اقتراح اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى ـ قرارا بتأييد « السياسة التى تنتهجها الحكومة السوفيتية الرامية الى تقديم مساعدة شاملة للدول العربية فى نضالها الباسل ضد العدوان » . وقد جاء فى قرار المجلس « ان الدول الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة ، والدوائر الحاكمة فى اسرائيل ـ أداة السياسة الامبريالية فى المنطقة ـ هى المسئولة مسئولية كاملة عن الموقف الخطير فى الشرق الاوسط » .

ويشير المعلقون السياسيون الى أن « قدرا كبيرا من التفكير السوفيتى المسئول يرى أن اسرائيل تسعى جديا الى جر الولايات المتحدة الى القيام بالحرب نيابة عنها ضد الشعوب العربية » .

ويركز المراقبون السياسيون فى نظرتهم الى البيان المشترك الذى صدر بعد انتهاء المحادثات العربية السوفيتية ، على أهمية ما جاء به « يهيب الطرفان وهما يبذلان الجهود من أجل تسوية عاجلة لازمة الشرق الاوسط ، بكل الشعوب المحبة للسلام ، أن **ترغم** اسرائيل على الكف عن سياستها الفاشلة التى تستند الى استخدام القوة » . ويضيف البيان « وقد عبر الطرفان عن تضامنهما مع **الشعب الفلسطينى العربى** الذى يخوض معركته الباسلة ضد الاستعمار من **أجل التحرر الوطنى** وضد العدوان الاسرائيلى » . وقد أكد الجانبان « أن اسرائيل لم تكن قادرة على الاستمرار فى انتهاج هذه السياسة العدوانية والتوسعية لولا الدعم المتواصل الذى تقدمه لها الاوساط الاستعمارية فى الولايات المتحدة على وجه الخصوص » . ثم يؤكد الطرفان « رغبتهما فى استمرار توسيع وتدعيم التعاون الصادق بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى فى مجال السياسة والاقتصاد والدفاع لمصلحة شعوب كلا الدولتين » .

وترى الدوائر السياسية التقدمية أن النتائج الهامة التى حققتها زيارة الرئيس عبد الناصر لموسكو ، تعبير صادق عن الصداقة العربية السوفيتية التى تحدث عن طبيعتها وآفاقها الرئيس فى الخطاب الذى القاه أمام الوفد السوفيتى فأوضح « **أن الصداقة العربية السوفيتية لم تعد بالنسبة لشعوبنا عملية مرحلية وانما اصبحت عاملا باقيا يستمد قوته من نضال يلتقى على اهداف الحرية والسلام ، ويعمقه الاخلاص المتبادل الذى يصنعه الفهم العميق للقضايا التى تهم الجانبين** » .

ويقول المراقبون ان آذان كافة الضيوف كانت تستمع بانتباه الى الرئيس عبد الناصر وهو يقول « مهما كانت التحديات فأن امتنا ستواصل مسيرتها ، ومهما كانت الاستفزازات فان امتنا لن تتراجع عن ايمانها بحقها ، ورغم أساليب التمويه والخداع فان أمتنا قادرة على التمييز بين الحق والباطل ، وهى فى ذلك تجد تجاوبا كبيرا وسندا أكيدا من جميع القوى المحبة للسلام وفى مقدمتها الدول الاشتراكية والاتحاد السوفيتى العظيم الذى ألقت عليه الظروف التاريخية مسئولية دعم حركة الثورة العالمية » .

هذا ، وتجمع كل الدوائر المهتمة بأنه عندما يؤرخ لتطورات « مشكلة الشرق الاوسط » والصراع العربى الاسرائيلى ، فان اللقاء العربى ـ السوفيتى الاخير سوف يحتل مكانا بارزا فيها كمؤشر لمنعطف هام فى مسارها .

■ الصراع العربى الاسرائيلى

القـوة المصرية : العـــامل الحاسم فى احتمالات أى حل

اجتاز الصراع العربى ـ الاسرائيلى ، خلال الشهر الماضى ، عـددا من التطورات السياسية والعسكرية الهامـة الى الحد الذى دفـع بعض المراقبين السياسيين الى وصفهذه التطوراتبأنها وضعت عملية الصراع أمام مفترق طرق حاسمة سـوف تحدد ملامح وآفاق فترة غير قصيرة قادمة .

ويجمع المعلقون لشئون الشرق الاوسط ، على أن أبرز التطورات السياسية من حـول الصراع العربى ـ الاسرائيلى خلال الشهر الماضى ، هو ما سمى « بالمبادرة الامريكية » ، فضلا عن المحادثات العربية السوفيتية (اقرأ التقرير الخاص بها) .

وكانت صحيفة « الاهرام » قـد نشرت النص الرسمى لرسالة **ويليام روجرز** وزير الخارجية الامريكية ، الى **محمود رياض** وزير خـارجية الجمهورية العربية المتحدة التى تضمنت المقترحات الامريكية الجديدة لحل مشكلة الشرق الاوسط وهى :

« أ ـ **أن توافق** كل من اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة على العودة الى وقف اطلاق النار ولو لفترة محدودة (٣شهور) » .

« ب ـ **أن توافق** الاطراف المعنية على التصريح التالى على أساس أن يصدره السفير يارنج فى شكل تقرير الى السكرتير العام يوثانت :

أبلغتنى الجمهورية العربية المتحـدة والاردن واسرائيل انها توافق على :أ ـ « انها بعد أن قبلت وأبدت رغبتها فى تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بكل أجزائه فانها سوف تعين ممثلين لها فى المناقشات التى تعقد تحت اشرافى طبقا للاجراءات والمكان والزمان الذى قد أوصى به مع الاخذ فى الاعتبار ، كلما كان ذلك مناسبا ، ما يفضـله الاطراف بالنسبة لاسلوب الاجراءات وبـالنسبة للتجارب السابقة بينهم . ب ـ أن الهدف مـن المناقشات المشار اليها عاليه هو التوصل الى اتفاق حول اقامة السلام العادل والدائم بينهم مستندا الى :١ ـ الاقرار من جانب الاطراف بسيـادة وسلامة الاراضى والاستقلال السياسى (وفق نص قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧) . ٢ ـ الانسحاب الاسرائيلى من الاراضى التى احتلت خلال نزاع عام ١٩٦٧ وذلك طبقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . جـ ـ وانه لتسهيل مهمتى للعمل من أجل التوصل الى حل كما تضمن قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ فان الاطراف ستحترم بكل دقة ـ ابتداء من أول يوليو حتى أول أكتوبر على الاقل ـ قرارات مجلس الامن الخاصة بوقف اطلاق النار » .

ويقول المراقبون أن « المبادرة الامريكية » قد جاءت ردا على النداء الذى وجهه الرئيس جمال عبد الناصر الى الرئيس نيكسون فى خطاب أول مايو بمناسبة عيد العمال . وكان الرئيس عبد الناصر فى ذلك الخطاب وأمام الجماهير قد وجه الى نيكسون سؤالين محددين : « ١ ـ اذا كانت الولايات المتحدة تريد السلام فى الشرق الاوسط فعليها أن تطالب اسرائيل بالانسحاب وفق قرار مجلس الامن . ونحن نعتقد أن ذلك فى طاقة الولايات المتحدة التى تأتمر اسرائيل بأمرها لانها تعيش على حسابها ٢ ـ اذا لم يكن فى طاقة امريكا فنحن على استعداد لتصديقها مهما كانت اراؤنا فيه ـ ولكننا فى هذه الحالة نطلب طلبا واحدا هو بالتأكيد فى طاقة أمريكا . وذلك الطلب هو أن تكف عن أى دعم جديد لاسرائيل بينما هى تحتل أراضينا » .

ويعتقد المراقبون أن ذلك النداء فى ذلك الوقت ، على ما صحبه من مشاورات عربية واسـعة النطاق ، قد أوجد قوة ضغط أوقفت ـ رسميا على الاقل ـ عقد صفقة الطائرات الجديدة التى طلبتها اسرائيل من آمريكا وهى خمس وعشرون طائرة من طراز فانتوم ومائة طائرة من طراز سكاى هوك .

ولقد لفت نظر الدوائر العربية أنه فى الوقت الذى أذيع فيه أن وزير الخارجية المصرى يستعد لارسال رده على رسالة روجرز اليه ، فان الرئيس الامريكى نيكسون عقد مؤتمرا صحفيا مفاجئا قال فيه : « ان الولايات المتحدة تعلق أهمية كبيرة على مبادرتها السياسية الاخيرة فى الشرق الاوسط . ومن أجل ذلك فقد أحجمنا فى الوقت الحالى عن ارسال أى شحنات أسلحة الى اسرائيـل » . وأضاف نيكسون « ان الموقف فى الشرق الاوسط تزايد خطورة . وأنه من الضرورى تجنب ما يمكن أن يؤدى الى نشوب حرب فى المنطقة على نطاق واسع كما أن أمريكا تسعى الى تجنب المواجهة مع الاتحاد السوفيتى فى أى مكان فى العالم » .

ويلاحظ المراقبون أن الولايات المتحدة قد أقدمت على « مبادرتها » هذه بعد تطورات هامة وقعت أبرزها على جبهة القتال فى قناة السويس . فقد شدت جبهة القناة مرة أخرى اهتمام العالم بما كشفت معاركها عن زيادة كفاءة قوات الدفاع الجوى المصرية وقدرتها على التصدى لتفـوق

الطيران الاسرائيلى . فقد تمكنت أجهزة الدفاع الجوى المصرية من اسقاط ٦ طائرات فانتوم بالاضافة الى عدد من طائرات سكاى هوك . كما اسرت القوات المصرية عددا من الطيارين الاسرائيليين . وكان لهذه الضربة ، ردود فعلها الحادة داخل اسرائيل وبين صفوف حلفائها وبخاصة الولايات المتحدة . وقد أعلن الجنرال هود قائد السلاح الجوى الاسرائيلى بأن الجيش المصرى أقام فى منطقة القناة نظاما دفاعيا جويا بالغ القوة يواجه الطائرات الاسرائيلية بمشكلة خطيرة . وراحت الصحافة الغربية بشكل عام تتحدث عن أن « تزويد الاتحاد السوفيتى لمصر ببطاريات الصواريخ ، لا يعنى فقط شل حركة الطيران الاسرائيلى فى القناة ، وانما يعنى أيضا تمكين المدفعية المصرية من توجيه ضربات بالغة العنف للمواقع الاسرائيلية فى سيناء ، وبالتالى تمهيد الطريق أمام عملية عبور واسعة للجيش المصرى » .

ومن الملاحظ أن اسرائيل وأمريكا كانتا قد أخذتا ــ أمام الموقف العسكرى الجديد على جبهة القناة ــ تلوحان باحتمالات تصعيد الحرب الى حد تدخل الولايات المتحدة مباشرة فى القتال . والاكثر من هذا ، سربت اسرائيل وأمريكا ــ عن عمد ــ أنباء عن احتمالات أن تكون اسرائيل قد أصبح لديها ــ أو على وشك أن يصبح لديها ــ قنبلة ذرية .

ويرى الدارسون لتطورات مشكلة الشرق الاوسط ، أن احتمالات ايجاد حل وتنفيذه ما تزال ــ رغم تفاؤل كثير من المراقبين ــ فى حاجة الى وقت طويل يتوقف الامر فيه عسى تأكيد قوة الجبهة العربية وفعالية قدراتها على مواجهة وردع تفوق الطيران الاسرائيلى . وكان الرئيس عبد الناصر قد حدد الموقف العربى من المبادرة الامريكية فى خطابه الذى ألقاه أمام المؤتمر القومى (اقرأ التقرير الخاص بالمؤتمر القومى) .

الخليج العربى

خطوة سيئة ... لكنها متوقعة

كشفت التحركات الاستعمارية فى الفترة الاخيرة عن اتفاق تام بين حكومة المحافظين الجديدة فى بريطانيا وبين الولايات المتحدة ، بشأن الاحتفاظ بالوجود العسكرى البريطانى فى منطقة الخليج العربى ، كما كشفت كذلك عن التنسيق الكامل بين الدولتين للمحافظة على ميزان القوى بين اسرائيل والدول العربية .

ويرى المراقبون ان الشىء الذى يمكن ان « يحمد » عليه حزب المحافظين ، هو « الوضوح والصراحة » فى سياسته العدائية نحو الشعوب العربية . فهذا الموقف الصريح انما يضع النقط على الحروف بدلا من سياسة المخاتلة والمراوغة اللتين اشتهر بهما سلفه حزب العمال البريطانى .

واذا كان حزب المحافظين قد رفض القرار الذى اعلنته حكومة العمال السابقة ، والخاص بتحقيق الجلاء العسكرى البريطانى عن منطقة الخليج العربى فى موعد اقصاه نهاية عام ١٩٧١ .. فان السؤال المنطقى بعد ذلك هو : وماذا عن موقف حكام امارات الخليج أنفسهم ازاء هذا الوضع الجديد ؟ ..

ويرى المراقبون أن الاجابة على هذا السؤال تقتضى أولا معرفة الاسباب التى دعت حكومة العمال السابقة الى اتخاذ هذا القرار بالجلاء عن المنطقة التى يعتمد عليها ميزان المدفوعات البريطانى ، وتمتلك الاحتكارات البريطانية حوالى ٤٠ فى المائة من البترول المستخرج منها .

ولقد أكدت تجربة الثورة الشعبية المسلحة فى الجنوب اليمنى ، فشل الوجود العسكرى البريطانى فى حماية حكم السلاطين العميل من قبل هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى بسبب تفاقم الازمات الاقتصادية فى بريطانيا فى السنين الاخيرة ،لجأت بريطانيا الى تاكتيك جديد . فاعلنت فى يناير عام ١٩٦٨ عن اعتزامها الجلاء عن منطقة الخليج فى نهاية عام ١٩٧١ ، مع الاحتفاظ ببعض القواعد الهامة فى المنطقة ، ودعت فى نفس الوقت حكام الامارات العربية التسع فى الخليج الى تكوين ما يسمى باتحاد امارات الخليج العربية .

وكان الهدف من وراء ذلك ، تجنب الدخول فى مواجهة مكشوفة مع القوى الثورية التحررية فى المنطقة ، وتخفيض النفقات العسكرية فى الخارج ، وتحميل مشايخ الامارات عبء الدفاع عن المصالح البترولية الاستعمارية . وذلك بما يتمشى مع أسلوب الاستعمار الجديد فى التخفى وراء واجهات واقنعة محلية ،كما عهد الى الميجر جنرال **جون ويلوبى** المستشار العسكرى البريطانى للاتحاد الجديد بمهمة بناء قوات عسكرية وبوليسية فى الامارات العربية بقيادة ضباط بريطانيين تتولى مهمة حفظ الامن والنظام فى المنطقة .

وقد ووجه هذا الاجراء البريطانى منذ البداية بمعارضة شديدة منجانب الولايات المتحدة صاحبة أغلبية المصالح البترولية فى شبه الجزيرة العربية

ذلك أن الولايات المتحدة اعتبرت ذلك اخلالا باستراتيجية شرق السويس العسكرية • كما تعرضت حكومة العمال لانتقادات شديدة من جانب حزب المحافظين المعارض وقتذاك ، الذى اتهمها بالعمل على تصفية البقية الباقية من الامبراطورية البريطانية القديمة ، ولم يكن الشعور بالتهديد والخطر لدى مشايخ الامارات من رحيل القوات البريطانية عن المنطقة بأقل من جزع كل من الولايات المتحدة وحزب المحافظين • وقد طلب بعض المشايخ من حكومة العمال العدول عن قرارها ، وتعهد ثلاثة من حكام الامارات الغنية بالبترول بدفع مبلغ ٢٥ مليون جنيه استرلينى للمساهمة فى نفقات القوات البريطانية ، ولكن بريطانيا لم تشأ التراجع عن موقفها ، وفى مقابلة لادوارد هيث زعيم حزب المحافظين - رئيس الحكومة البريطانية حاليا - مع حكام الامارات اثناء جولته فى المنطقة فى ابريل عام ١٩٦٩ ، أعرب له المشايخ عن أسفهم لقرار حكومة العمال الجلاء عن المنطقة ، وقد وعدهم ادوارد هيث باعادة النظر فى هذا القرار حالما يأتى المحافظون الى الحكم •

غير أن تجربة السنتين والنصف فى الماضى قد أظهرت تعثر اتحاد الامارات الجديد ، بسبب تنازع الحكام على المناصب القيادية للاتحاد ، والخلافات بين الامارات الغنية والاخرى الفقيرة ، وارتباطات بعض الحكام بالدول الكبرى فى المنطقة ، كما تعرض الاتحاد لاتهامات عديدة من جانب القوى الثورية • وان تجربة حكومة اتحاد السلاطين السابقة فى الجنوب اليمنى مازالت ماثلة للاذهان •

وكانت بريطانيا قد قامت بخلع الطاغية سعيد بن تيمور سلطان مسقط وعمان ، وتعيين ابنه « قابوس ابن سعيد » خلفا له ، وذلك فى محاولة أخيرة لتفادى سقوط البلاد فى ايدى القوات الوطنية فى اقليم ظفار ومنع انتقال الثورة المسلحة الى بقية انحاء المنطقة وتحريرها من القواعد والوجود الاستعمارى فى منطقة الخليج العربى •

ويرى المراقبون أن كل الدلائل فى الوقت الحالى تشير الى أن قوى التحرر العربية مقبلة على مرحلة جديدة بالغة العنف فى الصراع المصيرى ضد قوى الاستعمار الامريكى والبريطانى والصهيونية وأن شعوب الامة العربية التى ترتبط مصالحها وأهدافها لا يمكن أن تظل مكتوفة الايدى بعد الان فى الوقت الذى تهددها فيه القواعد العسكرية البريطانية والامريكية •

هذا وقد أعلنت حكومة الكويت أنها تعارض بقاء **القوات البريطانية فى المنطقة ، وتصر على سحب** هذه القوات من الخليج العربى قبل نهاية العام القادم •

■ السودان

الوثائق تفضح المؤامرة الدموية

فى الشهر الماضى كشف الرائد فاروق حمد الله عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الداخلية السودانى النقاب عن وثائق المؤامرة الاستعمارية الرجعية التى أشعلت نيران الفتنة فى مارس الماضى فى محاولة لضرب ثورة الخامس والعشرين من مايو •

وكشفت الوثائق أن المؤامرة شاركت فيها دوائر استعمارية أجنبية ، وأوكل التنفيذ والتنظيم لقوى رجعية محلية متعددة الاطراف : **دوائر حزب الامة بجناحيه ، وجماعة الاخوان المسلمين ، وبعض العناصر ، من قادة وكادر الاتحادى الديمقراطى وجماعة الشريف الهندى الهارب ، الى جانب عدد من الشخصيات الحاقدة الناقمة على النظام •** واتجهت المؤامرة الى العمل بين تجمعات الانصار وبعض الطوائف الدينية والعشائرية فى الريف والمدن ووسط الطلاب خاصة والموظفين والعمال والمؤسسات الحكومية المختلفة وبين القوات المسلحة وقوات الامن •

وكان المتآمرون قد اتفقوا على انشاء **قيادة** موحدة تتخذ مركزا لها **أبا والخرطوم الى جانب** بعض العواصم المجاورة والواقعة تحت **النفوذ** الامريكى والغربى الاستعمارى ومخابراته •

وتؤكد الوثائق التى اذاعها **فاروق حمد الله أن** المؤامرة لم تكن قاصرة على العمل العسكرى فقط ، وانما خططت لعمل سياسى وتنظيمى يدعم العمل العسكرى ويمهد له • كما أوكل الجانب العقائدى للمؤسسة الطائفية ولجماعة الاخوان •

وكشفت الوثائق ان رسالة من الجبهة الديمقراطية الشعبية وجهت الى **الهادى عبد الرحمن** تدين الحكم الثورى وتدعو للعمل الموحد للاطاحة به ، وهذه الجبهة مشكلة من مجموعة من الطوائف الدينية الصغيرة • ورسالة أخرى موجهة للامام الهادى وتطالب بتنظيم جبهة العمل الموحد المضاد لثورة مايو ، وتدعو هذه الرسالة الى : **وحدة متينة بين كل من يهمهم امر المعارضة للنظام القائم والابتعاد عن أسباب التمزق والفرقة ، ثم تذكر الرسالة :** « ان العناصر الوطنية [هكذا

تطلق على نفسها) بادرت الى الانضواء فى جبهة وطنية وأن هذه الرغبة ظهرت من قبل اخواننا فى الداخل والخارج ، وأن هذه الجبهة يجب أن تحشد لها كل القوى من طلبة وعمال وموظفين والجماهير الموالية لقيادتنا » · ثم تقول الرسالة : « ان الحكومة ربما تلجأ الى خطة ماكرة للتسويف أو المهادنة الظرفية ، ثم بتركيز اجراءات القمع كلها على جبهة واحدة لتوليد الفوارق الشعورية ، وحتى تتمكن السلطة من جبهة تلو الاخرى من قوى المعارضة » · ثم تقول الرسالة : « لابد من تفويت هذا المكر بعمل موحد يعرف فضله وتسند تكاليفه للجميع » · ثم تعلن الرسالة : **« أنه قد آن الاوان للانقضاض على هذا النظام واثقين أن قوى كثيرة تتحفز لذلك ولكنها تنتظر المبادرة التى تصدر عن القوة السياسية ذات الحق فى قيادة الامة · وقد رأينا أن نكتب اليكم لانكم فى مركز القوة المعارضة وقيادتها وتتوفر لكم أسباب العمل لدعوة القوى الوطنية لتحزم أمرها فورا فى صف واحد وتعاجل الباغية بالجهاد » ·**

واتجه الاعداد السياسى ــ الى العمل فى الجنوب مع العناصر الجنوبية العميلة ، ويكشف ذلك الرسائل الموجهة من عبد الدائم ابو بكر السنوسى الهادى والمؤرخة ١٩٦٩/٧/٣٠ و ١٩٦٩/١٢/١٩ و ١٩٧٠/١/١٧ و ١٩٧٠/١/٢٢ · وفى هذه الرسائل يشير الى اتصالاته بالجنوبيين عن طريق فلمون ماجوك ، وفى هذه الرسائل يشير الى أن فلمون « يعمل أقصى جهده فى حدود ما أوكل اليه من عمل ومهام »· **ولخصت الرسائل اعمال فلمون ماجوك فى : « ١ ــ أنه عقد اتصالات مع كل الجنوبيين من ذوى المناصب فى الدولة تقريبا · ٢ ــ انه عقد اتصالات مع طلاب رومبيك الثانوية وأساتذتها وكذلك بطلاب الجامعة من الجنوبيين ، وببعض من لا عمل لهم ، وانه سافر للجنوب وعقد اتصالات ومقابلات مع رؤساء القبائل فى بحر الغزال ، كما أتصل بالاساتذة فى شندى والدديم » ·**

وكشفت الوثائق عن عمل المخطط الرجعى تحت لافتته القومية العربية ــ بأسم القوميين العرب ــ تحت ستار مكافحة الشيوعية ، وكانت مهمة هذه العناصر التسلل فى كافة المجالات ومنها لجان

تعليـــق

وحدة القوى الثورية فى السودان

جاءت اجراءات مايو الاشتراكية فى السودان ضربة عنيفة هزت معـــاقل الاستعمار والرجعية ، واتجهت السلطة الثورية متحدة مع جماهير الطبقة العاملة والمزارعين والنساء والشباب الى دعم هذه الاجراءات وحمايتها ، والى تقوية العلاقة مع القـــوى الصـــديقة للثـــورة السودانية ، قوى المعسكر الاشتراكى التى قدمت كل عون نزيه لثورة السودان على اساس مبادىء التضامن الأممى ·

فى ذلك الوقت ، ووسط هذا الجو الثورى نشطت القوى المضادة للثورة ، والمضروبة مصالحها ، للعمل من اجل تحطيم وحـــدة القوى الثورية · فملأت الدنيا صياحا بما حـــاولت أن تسميه « اليسار » و « اليمين فى السلطة » وهدفها من ذلك جر الســـلطة الثورية والقوى الثورية الى معارك فرعية وجانبية ·

وما أن عاد الرئيس اللواء أ٠ح جعفر نميرى من رحلته الاخيرة التى زار خلالها خمسة بلدان اشتراكية حتى بادر الى كشف هذا المخطط الخبيث ، فاعلن فى حديث صحفى له نشرته جريدة الاحرار السودانية فى ١٢ يوليو الماضى :

قـــال : « مايشاع عن وجود اجنحة او تيارات متصـــارعة داخل الســـلطة الثورية يعنى بعبارة واضحة وجود يمين ويسار وهو أمر غير وارد على الاطلاق. فلقد انحزنا لليسار سياسيا واقتصاديا، الأمر الـــذى تعكســـه قرارات مايـــو الاشتراكية ، وعداؤنا السافر للاستعمار والرجعية والصهيونية ، والذى اتخـــذ شكل الصدام المباشر ولم يكن مطلقـــا مجرد شعارات ، لقد التزمت الســـلطة الثورية مجتمعة جانب الشعب وحققت تطلعاته ، واختارت الاشتراكية طريقـــا للتحول مؤكدة علميتها غير متجاهلة فى نفس الوقت واقعنا السودانى الاصـــيل ذا الطبيعة الاشتراكية الفطرية » ·

لقد اصبحت الحلقة الرئيســـية فى مخطط القوى المضادة للثورة السودانية، وخاصـــة بعد هزيمة مؤامرتهـــا فى أبا عسكريا وشعبيا هى السعى الى تحطيم هذه الوحدة ، ولقد اكد الرئيس نميرى فى حديثه ان السلطة الثورية السودانية ليست تعبيرا عن حكم قـــومى ائتلافى تجمع فرقه شـــهوة الحكم وتضـــارب المصالح ، وانما هى تعبير عن وحـــدة القوى الثورية السودانية التى ناضلت من اجل الاشـــتراكية طيلة ربع قرن منذ انتهاء الحرب العـــالمية الثانية ــ وان هدف هذه الوحدة ــ فى ظل سلطة مايو الثورية ــ هو العمل من اجل التغيير الاجتماعى ولوضع السلطة فى ايـــدى اصحابها الحقيقيين من قوى الشـــعب العاملـــة ، أن السيـــاســـة التقليـــدية للاستعماريين والرجعيين « فرق تسد » تحـــاول ان تجـــد لها مكانا اليوم فى صفوف الثوريين السودانيين ، وأن تعطل سيرها الموحد لبناء السودان الثورى ·

وجاء حـــديث الرئيس جعفر نميـــرى الصحفى بعد ذلك والذى نشرته جريدة القوات المسلحة فى ١٩٧٠/٧/٢٥ « وعلى القوى الثورية أن توحد من صفوفها ، وأن لا تسمح للرجعية بالتشكيك فى وحدتها او النيل منها عن طريق هذا المخطط الذى يستهدف تفتيت وحدة القوة الثورية تمهيدا للانقضاض عليها ودون تمييز » ·

عبد المنعم الغزالى

استقبال الرئيس نميرى خلال رحلته فى الاقاليم • وأشار **السنوسى** فى تقريرمقدم منه الى الهادى الى العمل فى جامعة الخرطوم ، وأن جبهة من الاخوان والامة والاتحاد الديمقراطى تشكلت فى الجامعة وحققت نصرا فى اتحاد الجامعة • كما أشارت الوثائق المضبوطة لدى الامام عن نشاط محموم فى النقابات والقوات المسلحة وبين أجهزة الامن •

وكشفت الوثائق عن المخطط الدموى الذى كان مقدرا له أن يتم فى ٣١ مركزا بالعاصمة المثلثة والشمالية وكسلا والنيل الازرق وكردفان ودار فور • وأنه قد أختير ٦٣٠ شابا للاتصال والاغتيالات السياسية وانه تقرر اغتيال ٢٣ شخصية من قادة الثورة والوزراء والقادة السياسيين • وأن عملية الاستيلاء على السلطة سيساعد فيها ٢٣٤٠ مقاتلا ، ويشترك فى القبض على الوزراء وقادة الثورة ٣٠٠ من المسلحين •

وانتقلت الوثائق بعد ذلك لتكشف أن مؤامرة القوى المضادة للثورة ــ كانت قد بدأت منذ فبراير ١٩٦٥ ، حيث تجمعت القوى المضادة للثورة بهدف اجهاض الثورة وتصفية فصائلها الثورية والمنظمات الديمقراطية وحركة الطبقة العاملة والمزارعين والضباط الاحرار والحزب الشيوعى وكافة القوى الاشتراكية تصفية بدنية • والعمل لاعلان ما سمى بالدستور الاسلامى ، وحكم البلاد حكما ديكتاتوريا رجعيا • وقد بدأت هذه القوى الاعتماد على قوى الاستعمار الاجنبى وعلى الجماعات الرجعية الحاكمة فى البلدان المجاورة وفى بعض البلدان العربية . فنجد بين الوثائق خطابا من الهادى عبد الرحمن بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٦٥ الى أحد الحكام الرجعيين فى بلد مجاور يشكره على وصول الدفعة الاولى لمساعدة حزب الامة [١٠٠ ألف جنيه] ــ وخطابا آخر فى ١٥/٥/١٩٦٥ يشكر فيه هذا الحاكم على وصول ٢٠٠ ألف جنيه ، ويشير فى خطابه الى « **ان هذه المعونة كان لها اكبر الاثر فى فوز حزب الامة وكسبه الاغلبية** » ثم يقول فى خطابه نفسه : « **وكان هذا النصر الذى انتم سببه لمساعدتكم ومساهمتكم مساهمةكبرى ــ كان مزدوجا ــ وحيث أنناقادمون على معارك أضخم وهى معركة تشكيل الحكومة والمعركة الكبرى لانتخابات رئيس الجمهورية فلهذا كله يتطلب منا الامر مبالغ ضخمة ، ولا عون لنا بعد ذلك سواكم فانا لذلك فى حاجة لمبلغ أقله مليون جنيه سودانى** » • وفى ٢٩ يوليو ١٩٦٧ كتب الهادى الى رئيس المؤتمر الاسلامى يطلب منه العون المالى بهدف المحافظة على وجود حزبه فى السلطة بعد الانتخابات التى جرت فى أعقاب الانتكاسة بثورة أكتوبر وعقب انتخابات دوائر الجنوب التى جرت فى عام ١٩٦٧ •

ولم يقتصر الاتصال على الدوائر الرجعية وحدها ، ولا على مجرد العمل السياسى ــ بل تعدى ذلك الاتصال بالدول الاستعمارية الغربية للحصول على معونات عسكرية • فيكشف فاروق حمد الله رسالة للهادى من **المستر هولدن** مدير شركة كونسويل وهاريش للاسلحة ليمتد بتاريخ ١١/١٠/١٩٦٥ تتحدث عن اتفاق تم بينه وبين الهادى لشراء كميات كبيرة من الاسلحة الحديثة والذخيرة ، بما قيمته ٥٠٠ ألف جنيه منها خمسة آلاف بندقية اوتوماتيكية عيار ٧٫٦٢م • م ، وخمسة آلاف مدفع برين خفيف عيار ٣٠٣ م • م وألف مسدس ستار شبه أوتوماتيكى عيار ٩ م • م وخمسة ملايين طلقة مدفع عيار ٧٫٦٢م • م ، ومليونى طلقة مدفع عيار ٣٠٣ ، وخمسة آلاف قنبلة قرنيت يدوية • وكان هولدن قد أبدى للهادى عبد الرحمن فى ٨ ــ ٩ ــ ١٩٦٥ استعداد شركته لان تقدم للهادى مائة مدفع برين خفيف عيار ٣٠٢ وأسلحة أخرى بمناسبة زيارته لمقر الشركة فى لندن • كما أبدى **المستر هولدن كذلك موافقة على مد الهادى بناء على طلبه بثمانية عشر طائرة قاذفة للقنابل من طراز كانبيرا وسيكون سعر الطائرة ٢٠٠ ألف جنيه وسيتم تسليم جميع الاسلحة فى الجزيرة أبا** •

وقد تم تسليم كميات كبيرة من الاسلحة قبل ثورة ٢٥ مايو • وما أن فاجأت ثورة الخامس والعشرين من مايو القوى الرجعية وسادتها حتى ازداد نشاطهم المحموم من أجل انجاز العمل العسكرى • وكشفت الوثائق أنه بعد مايو اتخذ **محمد صالح عمر** وهو من قادة الاخوان **والشريف الهندى** مراكز لهم فى البلاد المجاورة وأقاموا معسكرات للتدريب على الحدود وداخل الجزيرة أبا • وأقاموا خطا للتهريب بين الحدود الاثيوبية وأبا لنقل المزيد من الاسلحة • كما كشفت الوثائق رسالة طويلة كتبها الشريف الى الهادى يستعجل الهادى العمل ضد الثورة ، جاء فيها « لم يحدث لاى حركة منظمة أن وضع تحت تصرفها مثل هذا الدعم لمثل هذا الوقت ولم تحرك ساكنا » • وجاء فيها :« أنا واثق من وصول معاونة **الطعام** عاجلا لكم من أبناء العم بسواكن ، وقدسافرمندوبهم فعلا لحملها لمندوبهم فى الخرطوم • وأنا أيضا متفائل أن أبناء العم هنا يسعون وسيساعدونكم مباشرة » . وقد قال **فاروق حمد الله** وهو يقدم الوثائق ان الطعام يعنى المال وابناء العم هم بعض الحكومات الرجعية المجاورة • وفى رسالة من الهندى الى الامام الهادى يقول : « ان دفعة الطعام الاولى بعد برقيتكم قد أرسلت من هناك وسنوالى الارسال رأسا لكم • أرجو أن تساعدوا ذلك بالتجاوب فى الامر الاساسى » •

وفي ٢ ديسمبر ١٩٦٩ كتب الهادي الى مركز من المراكز الرجعية الاستعمارية التي كانت تمد المؤامرة يقول : « اننا منذ أن قام الانقلاب العسكرى الشيوعي في بلادنا عملنا لمعارضته ومناهضته ومقاومته » . ويقول فيها : « ان جماهير الانصار اليقظة ، وكثير من زعماء الاحـــزاب والطوائف والجنوبيين يعملون معنا يدا واحدة لهذا الغرض في الظرف الراهن بكل قوة » . وبعد أن تحدث عن تجميع الانصار المسلح بالجزيرة أبا ، وعندما بدأت المقاومة برفض طلب للحكومة بفتح نقطة بوليس في الجزيرة قال : « ... انما قصدت فيما ذكرت لادلكم على مدى درجة السخط التي بلغها المواطنون والانصار بصفة عامة على هذا النظام الراهن المتصدع وعن روح التحفز والتصميم على ازالته — واننا بأذن الله بالغون هذه الغاية وسائرون في تحقيقها ، فقط نحتاج لدعمكم ، ومديد العون لنا ونشكركم على ما وصلنا منكم لتاريخه مـن عون ... »

وفي وثيقة أخرى كشف فاروق حمد الله دور ألمانيا الغربية في المؤامرة — فتكشف واحدة من الوثائق عن تحويل مبلغ ٧٩٦٣ مارك ألماني من حساب الامام الهادي المودع في أحد البنـوك السويسرية في جنيف الى أحد المؤسسات الالمانية الغربية لحساب المستر فانكر الذي يقوم بخدمات في « أ » (أي ألمانيا الغربية) لعقد صفقة أسلحة وترحيلها الى السودان .

ويرى المراقبـــون انه اذا كانت مجمـوعة الوثائق التي قدمها **فاروق حمد الله** قد كشفت الطبيعة الرجعية الاستعمارية للمؤامرة الدموية التي كانت تدبر ضد الثورة الا أن حجم العمل الثوري **أكبر من المؤامـرة ، الامر الذي يفسر هـزيمتها الساحقة في آبا ، والانتصار عليها بفضل الوحدة الوثيقة بين كل فصائل الثورة السودانية .**

■ ■

■ **قبرص**

انتصـــار اتجــاه الوحـدة والاستقلال

أسفرت الانتخابات الاخيرة لمجلس النواب في قبرص (٥٠ مقعدا ، منهم ٣٥ لليونانيين ، ١٥ للاتراك) عن فـوز **الحزب الموحد القبرصي** الذي ينادي باستقلال قبرص دون الوحدة مع اليونان ، باغلبية مقاعد القبارصة اليـــونانيين ، وفـوز الحـزب الشيوعي القبرصي (سكيل) بسبعة مقاعد بزيادة مقعدين عما كان له في مجلس النواب السابق ، بينما لم يفز حزب تاكيس آدفوكاس المعـارض للرئيس مكاريوس والذي يطالب بانضمام قبرص الى اليونان باي مقعد في البرلمان الجديد ، كما احتل ممثلو الاقلية التركية مقاعدهم الخمسة عشر بعد ان تنافس عليها ١١٥ منهم ، على أسـاس « برنامج التضامن الوطني » الذي وضعه المحامي القبرصي التركي « **رؤوف دنكتاش** » المتحدث باسم كل القبارصة الاتراك .

وأعربت جميع الاحزاب الممثلة في البـرلمان الجديد عن تأييدها لسياسة الرئيس مكاريوس في الحفاظ على استقلال قبرص كدولة موحدة . وتأييد الخطوات التي تتخذ للتوصل الى حل مرن للمشكلة القبرصية .

ولقد ظلت الانتخابات القبرصية التي كان من المفروض اجراؤها في ١٩٦٥ تؤجل او تلغـى باستمرار بسبب الاشتباكات المستمرة بيـن القبارصة الاتراك، وبين القبارصة اليونانيين . خاصة وأن اجراءات الانتخابات نفسها كانت احدى النقاط الرئيسية للخلاف بين الطرفين .

فطبقا لاتفاقيات زيوريخ التي ابرمت في عـام ١٩٥٩ بين اليونان وتركيا وبريطانيا ، كان دستور ١٩٦٠ يعطى للاتراك حقا انتقاليا يسمح لهم بدخول الانتخابات على أساس قائمة مستقلة ، وعندما أرادت الاغلبية اليونانية الاصـلاحات الدستورية الغاء هذا النص الانتقالي والتحول الى قائمة موحدة لكل الجزيرة الصغيرة (٦٠٣٫٠٠٠ نسمة) اشتد الخلاف وتفجر ، وتعذر التوصل الى تهدئة الخلاف وخلق الجو المناسب لاجراء الانتخابات الا بعد مفاوضات طويلة وشاقة ، كان يقوى خلالها الاتجاه الى حل المشكلة القبرصية على أساس التعايش بين الطرفين ، وذلك استنادا الى قاعدة من التضامن الوطني في ظل دولة موحدة مستقلة ، خاصة بعد أن أصبحت اعمال حكومة الانقلاب في اليونان دافعا هاما لتأكيد هذا الاتجاه .

ويعتقد المراقبون أن استقرار اتجاه الوحدة الوطنية والاستقلال هو وحده الكفيل بتمكيـن الجـزيرة الصـغيرة من استكمال اسـتقلالها ، والتخلص من القواعد البريطانية الجاثمة فيها (قاعدة « **ديكليا** » ، والقاعدة الجـوية فـي « **نيقوسيا** ») التي تحتل ٩٩ ميلا مربعا من أرض

الجزيرة بالاضافة الى حق الحركة وحق استخدام مناطق أخرى للتدريب .

ولقد احتلت قبرص دائما أهمية خاصة بالنسبة لحركة التحرر الوطنى العربية ، فلقد كان اراضى قبرص وهى تحت السيطرة البريطانية هى محطة الانزال الرئيسية للهجرة الصهيونية غير الشرعية الى أرض فلسطين ، ولم يغلق آخر معسكر لهؤلاء المهاجرين الا فى عام ١٩٤٩ ، كما كانت القواعد البريطانية فى الجزيرة هى مقر قيادة قوات العدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦ ، ويأمل المراقبون العرب أن يكون استقرار الاوضاع فى الجزيرة ، ونمو قوى الوحدة والاستقلال والتقدم داخلها ، مؤكدا لاتجاه الرئيس « **مكاريوس** » فى ابعاد الجزيرة عن أن تكون مصدر تهديد لحركة التحرر العربى . ولقد أذيع فى مطار « **نيقوسيا** » فى ٧ ــ ٧ ــ ١٩٧٠ طلب الى السلطات الاسرائيلية فى مطار اللد بعدم استخدام الطائرات المتجهة الى اسرائيل أو القادمة منها للممر الجوى فوق جزيرة قبرص . ومع ان الطلب قد صدر بلا مسببات فان تنفيذه سيساعد فى عرقلة عمليات التنسيق الجوى بين الدولة الصهيونية وبين القواعد الاستعمارية الاخرى فى المنطقة .

■ ■

■ كمبوديا

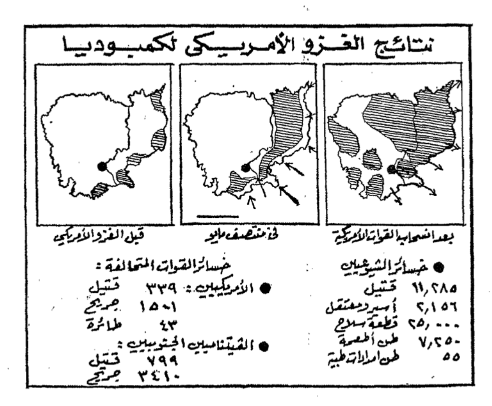
من يزرع الريح يحصد العاصفة

يجمع عديد من المراقبين السياسيين المتابعين لشئون الهند الصينية، على ان الولايات المتحدة الامريكية لم يلحق بها فشل عسكرى وسياسى واضح وسريع فى الهند الصينية طوال السنوات الماضية ، كالذى لحق بها مباشرة نتيجة **الغزو الامريكى لكمبوديا** فى أول مايو الماضى .

ففى ليلة ٣٠ أبريل الماضى ، أعلن الرئيس نيكسون غزو كمبوديا ، وأوضح « ان الوحدات الامريكية والفيتنامية الجنوبية تهاجم فى هذه الليلة **مقر القيادة العامة لجميع العمليات العسكرية الشيوعية التى تجرى ضد جنوب فيتنام** » . وقبله فى نفس الشهر ، كان احد موظفى وزارة الخارجية الامريكية قد أشار الى « **أن المخابرات الامريكية** **تعلم مكان مقر القيادة الشيوعية الخاصة بجنوب فيتنام** » . وأعلنت وزارة الخارجية الامريكية من ناحيتها أيضا ، تأكدها من « **أن المناطق التى تغزوها القوات الامريكية والفيتنامية الجنوبية تقع تحت سيطرة جبهة التحرير تماما** » ، وان الضربة ستوجه للثوار ستكون مباشرة .

واشار الرئيس نيكسون الى أن هدف العملية هو « **تطهير المعاقل الرئيسية للفيت كونج** » . ولم يحدد موعدا لانسحاب القوات الامريكية . وانما أوضح « **أننا سوف ننسحب عندما يتم طرد القوات المعادية** من هذه المعاقل ، ويتم تدمير معداتهم العسكرية » . كذلك تم تبرير هذا الغزو وفق استراتيجية « **ربع الساعة الاخير** » فى سبيل الانتصار النهائى على الشيوعية فى فيتنام . وبعد الغزو بثلاثة أيام أعلن **سبيرو اجنيو** نائب الرئيس الامريكى « **أن قوات فيتنام الشمالية** أصبحت الان منهكة القوى ومبعثرة ، لذلك أعتقد أنها **لن تتمكن من الصمود طويلا** » .

والحقيقة أن مقارنة النتائج التى حققها الغزو الامريكى عمليا بالاهداف التى كان نيكسون قد وضعها نصب عينيه عند اتخاذه لقرار غزو كمبوديا ، هو الذى يمكن أن يلقى بضوء على محصلة الفشل الامريكى الاستراتيجى فى عملية غزو كمبوديا . « فمقر القيادة العامة لجميع العمليات العسكرية الشيوعية التى تجرى ضد جنوب فيتنام » والذى أعلن نيكسون أنه هدف الهجوم ، **لم يرد ذكره قط على لسان احد بعد ذلك** ، وقد أوضح أحد كبار العسكريين الامريكيين **فى** جريدة « وول ستريت جورنال » : « **أن مقر القيادة العامة لقوات الفيت كونج ، مجرد تصورات فى خيال البعض** » ، ومكان « **مقر القيادة الشيوعية** الخاصة بجنوب فيتنام » والذى كانت المخابرات الامريكية على علم به حسبما قيل ، **لم تعثر فيه قوات مشاة البحرية الا على ممرات تحت الارض وعدد من الاكواخ** ، دون ان يجدوا فيه « بتاجون » « الفيت كونج » أو اى مسئول على الاقل ، على حد تعبير الصحفى الفرنسى « **جاك ديكورنوى** » فى صحيفة « لوموند » بتاريخ ٢ **يوليو** الماضى . وكميات الإسلحة التى عثر عليها **فى معاقل الثوار** ، والتى نشر الامريكيون عنها احصاءات وأرقاما مخيفة ، **لم تعادل فى حقيقة الامر** وحسبما أوضح الكاتب الفرنسى « **بومونتى** »



في صحيفة «لوموند» بتاريخ ٣٠ يونيو الماضي نقلا عن المخابرات الامريكية نفسها — لم تعادل سوى **كمية الاسلحة والمعدات التي كان الفيتناميون الشماليون يرسلونها خلال شهر واحد من عام ١٩٦٩ الى الجنوب** عبر طريق «هوشي منه»، كذلك لم يتم الانسحاب الامريكي، حسبما حدد نيكسون سلفا، «بعد طرد القوات المعادية (أي الثوار)» **وانما تم بعد أن ازدادت بشدة قوة الثوار، تم في ٣٠ يونيو تحت ضغط الرأى العام الامريكي** ومئات المظاهرات التي اجتاحت الولايات المتحدة وتحت ضغط الرأى العام العالمي، **وبعد نجاح الثوار في الاستيلاء على أكثر من نصف البلاد**، وتتضح هذه الحقيقة بجلاء من الخرائط المصاحبة لهذا التقرير، **أما الانتصار النهائي على الشيوعية** في «الربع ساعة الاخير» **فلم يك الا وهما محضا**، لان **الهزائم** توالت على القوات الامريكية في عديد من **مناطق فيتنام**، وفي لاوس استولى الثوار على «**اتوبوي**» و «**سراقان**»، واتسع نطاق الحرب بدلا من أن ينحصر وبلغ القتال حدود **تايلاند**».

وقد اوضح الكاتب الالماني الغربي «**تيلو بود**» في صحيفة «**زود دوتيشة**» الالمانية بتاريخ ١ — ٧ الماضي عند تقييمه لنتائج الغزو الامريكي **لكمبوديا** : «أن أصحاب الاراء السديدة يرون ان كلمة كارثة تطابق بدقة، الوصف الذي يمكن أن يطلق على نتيجة مغامرة كمبوديا، فعندما اقصى الامير سيهانوك عن الحكم في ١٨ مارس الماضي، لم يكن الفيتناميون الشماليون والفيت كونج يستخدمون سوى شريطا من الحدود في كمبوديا، لا يتجاوز ٣٠٠ متر، اما الان فتعتبر نصف كمبوديا تحت سيطرة الثوار أنصار سيهانوك، كذلك استولت قوات الثوار على عدد من المدن الاستراتيجية المحيطة بالعاصمة «**بنومبن**» وعلى مقاطعات كمبودية بأسرها، واصبحت تهدد العاصمة نفسها».

وبدلا من أن يؤدي الغزو الامريكي الى تقوية وتعضيد حكم **لون نول — سيريك ماتاك**، أصبح هذا الحكم مهددا بالخطر أكثر من ذي قبل، بعد انسحاب أمريكا، مهددا لا من الخارج فحسب بل من الداخل أيضا بسبب عجز الحكام. وهذا ما عبر عنه الجنرال **وستمورلاند** بقوله ان فرص حكومة الانقلاب في البقاء لا تتجاوز ٥٠ في المائة. وليس أدل على عزلة هذا الحكم من الناحية السياسية من أنه لم تقم على الاطلاق منذ وقوع الانقلاب في ١٨ مارس الماضي، مظاهرة جماهيرية تلقائية واحدة في كمبوديا كلها تأييدا للنظام الجديد. وبينما يسعى هذا النظام الى جمع الشعب حوله بالاشارة الى الامريكيين على أنهم أصدقاء أقوياء، **نجد الجماهير الكمبودية حتى في**

القرى والمدن البعيدة عن مناطق القتال تنحاز بشدة الى جانب الثوار ، بسبب القصف الجوى للامريكيين ، والمعاملة السيئة التى تلقاها على أيدى القوات الحكومية الفيتنامية الجنوبية ، أما من الناحية الاقتصادية فقد تدهور الوضع بسبب توقف السياحة ، ومزارع المطاط ، وتأثر صادرات الارز بالحرب ، ووقف جميع مشروعات التنمية ٠

ومع ذلك تواصل الولايات المتحدة بذل جهودها محاولة انقاذ نظام « **لون نول** » ، ولم يتوقف الطيران الامريكى حتى بعد انسحاب القوات الامريكية عن قصف المناطق التى يعتقد بوجود الثوار فيها ، وقد دفعت الولايات المتحدة **بتايلاند** أخيرا الى خضم الصراع لمعاونة نظام لون نول المتداعى ، وانضمت فعلا قوات تايلاند الى قوات حكومة الانقلاب فى أقصى شمال كمبوديا ، ولكن الامر المؤكد ان تايلاند لن تنجح فيما فشلت فيه الولايات المتحدة ، ليس ذلك فحسب ، بل « **ان تدخل تايلاند فى كمبوديا سيؤدى الى توسيع نطاق حرب العصابات فى تايلاند نفسها** » حسبما أوضحت صحيفة جيش فيتنام الديموقراطية ٠ يؤكد ذلك بيان اللجنة الوطنية التايلاندية الذى نشر فى بداية هذا العام وجاء فيه « **ان النضال المسلح فى تايلاند ، اتسع نطاقه ليشمل ١٣٠ مركزا فى ٣٣ اقليما** »

على أنه اذا كانت خطة الولايات المتحدة فى غزو كمبوديا ، قد لحقها فشل استراتيجى على هذا النحو ، فمن المهم بمكان الاشارة الى جهود الدول الاشتراكية الاسيوية فى تحقيق تلك النتيجة

تعليق

اشراف عمالى ديمقراطى على التأمينات الاجتماعية

فى ابريل الماضى أجرت الاهرام مناقشة مع وزير العمل حول نفس السلبيات فى التأمينات الاجتماعية ، وقد جاء بالمناقشة ما يوضح مسئولية العمال وتفريطهم فى حقوقهم التى كفلها لهم القانون ، فبعضهم يرفض التأمين حتى لا يخصم من أجره النسبة المقررة ، وبعضهم يتفق مع صاحب العمل على اثبات أجر أقل فى سجلات التأمينات حتى تنخفض نسبة الخصم من الاجر ..

وما جاء فى هذه المناقشة صحيح لكن يجب أن نسجل — فى الوقت ذاته — أن أصحاب الاعمال — فى الحقيقة — هم الذين يرغمون عمالهم على ذلك حتى يستفيدوا من تخفيض حصصهم بالتأمينات المقررة وفقا للاجور الفعلية التى يتقاضاها عمالهم ، وهذا الشىء ليس قاصرا على القطاع الخاص فقط ، بل نجده بكل أسف فى قطاعنا العام ، نتيجة لعدم وجود حركة نقابية ديمقراطية وواعية تدافع عن العمال ، وتعمل على سيادة التشريعات العمالية وتطويرها .. ففى شركات النقل مثلا التابعة للقطاع العام تقوم بعض اداراتها ذات العقلية الرأسمالية بمغالطة العمل والتأمينات معا مما يضر كثيرا بشيوخ العمال والعاجزين منهم ، ممن تقذف بهم حياة العمل الطويلة الشاقة الى عالم الكهولة والعجز عن العمل .

وتتم المغالطة بعدم دفع حصص التأمينات الاجتماعية وفقا للاجور الفعلية التى يتقاضاها العمال ، حيث تحبس هذه الشركات حصص التأمينات عن الاجور الاضافية التى يتقاضاها عمال النقل ، وذلك حفظا على أموالها وزيادة أرباحها طبقا للمفهوم الرأسمالى الصرف ، علما بأن هذه الاجور الاضافية التى تصرف طوال أيام العمل والتشغيل تصل نسبتها الى ٥٠٪ من الاجور الرسمية المقررة تبعا للائحة العاملين بالشركات والمؤسسات .

ومن المؤسف أن هذه المغالطة الضارة اجتماعيا واقتصاديا قد ترسخت بفضل بعض القيادات النقابية الجاهلة والمغلقة الفهم والضيقة الافق التى طالبت بضرورة تجنيب الاجور الاضافية التى كانت تصرف فى يوم واحد وفى كشف واحد وبتوقيع واحد حتى لاينتزع منها مليم واحد للتأمينات ، وعلى الفور استجابت الشركات لطلب تجنيب الاجور الاضافية ، لكى تنفى عنها أى صلة بالاجور .

قد ترتب على هذا ضياع حصص التأمينات عن هذه الاجور ، وبالتالى تضاءلت معاشات العمال وعائلاتهم تضاؤلا لا يتلاءم أبدا وسنوات العمل الشاقة والطويلة فى مجال النقل بالذات حيث تصل سنوات العمل فى هذا المجال الى نحو ستين سنة ، نظرا لان يوم العمل بالنسبة لعامل النقل البرى يزيد على اثنتى عشرة ساعة ، ولهذا يحتسب يوم عمله بيوم ونصف على الدوام ، هذا بالاضافة الى ضآلة معاشات العمال بالقطاع العام ، عموما ، اذا ماقورنت بمعاشات عمال وموظفى الاجهزة الحكومية

وان تضاؤل المعاشات على هذا النحو يشكل تناقضا صارخا بين ما قدمه هؤلاء العمال من جهد فى صنع الحياة المصرية ، وبين ما يقدمه لهم المجتمع الان من عطاء شحيح لايمكن أن يحقق لهم حياة انسانية طيبة وكريمة .

ولهذا فالواجب الثورى يقضى باصدار تشريع عاجل يوحد التأمينات والمعاشات على أن يتضمن الاعتبارات التالية :

المساواة فى المعاشات والتأمينات لنفس المستويات الوظيفية بين العاملين بالدولة والقطاع العام على ان تتوسع هذه المساواة رويدا رويدا حتى تغطى عمال الزراعة والصناعة بالقطاع الخاص .

● ووفقا لزيادة سنوات العمل الفعلية يجب أن تتزايد استحقاقات التأمينات والمعاشات .

● وبجانب هذا فلابد من الاشراف الديمقراطى للعمال على أجهزة التأمينات عموما ، واعطاء ممثليهم صفة الضبطية القضائية ليتسنى لهم الرقابة الحازمة ، وتقديم المعوقين والمنحرفين الى المساءلة الجنائية ، حماية لحقوق العجزة والشيوخ من العمال .

عطية الصيرفى
العامل بالنقل البرى

الخاصة ، وبهذا الصدد أوضح الامير سيهانوك نفسه في ٣ يوليو الماضي « ان الاسلحة التي احتاج اليها المقاتلون تحت قيادته ، قد جاءتهم من الصين وكوريا الشمالية اللتين تقدمان أيضا المعدات الحربية والادوية اللازمة ، أما فيما يتعلق بالفيتناميين الشماليين فقد أشار سيهانوك الى أنهم يقدمون المدربين ، وقال : ان مدربنا الاكبر هو الجنرال « **فو نجوين جياب** » قائد جيش فيتنام الديموقراطية ٠

وعلى أية حال فالامر الذي يشير اليه بعض المراقبين السياسيين هو أن انسحاب الامريكيين من كمبوديا بعد هذا الفشل ، قد أثر على معنويات « اتباع ٠٠ الولايات المتحدة في فيتنام الجنوبية وتايلاند ـ كذلك فان **ثوار كمبوديا** الذين يلعب الشيوعيون الكمبوديون دورا كبيرا بينهم **يضعون أسس النظام الاجتماعي الرأسمالي الاقطاعي في كمبوديا موضع تساؤل ، الامر الذي يتعارض مع هدف الولايات المتحدة الاساسي من التدخل في الهند الصينية الا وهو « وقف الشيوعية »** ٠ على أننا يمكن في النهاية أن نعتبر التحليل الذي نشر بتوقيع « **مناضل** » في **صحيفة « كوان دوى نهان دان »** الناطقة باسم جيش فيتنام الديموقراطية ، ممثلا لوجهة نظر الثوار الاسيويين فيما يتعلق بالنتائج التي أسفر عنها الغزو الامريكي لكمبوديا » ، وقد جاء في هذا التحليل «**ان عملية كمبوديا كانت فشلا استراتيجيا للولايات المتحدة** ٠ **وان التدخل الامريكي في كمبوديا** ، خدم في نهاية الامر ـ وعلى عكس ما كان يراد منه ـ **الاستراتيجية الثورية في الهند الصينية** » ٠ واستند « المناضل » الى ما قاله الجنرال الفرنسي « **بوفر** » وأضاف « ان مد نطاق الحرب الى كمبوديا ، يضاعف الخطر الذي يهدد **الامريكيين في فيتنام الجنوبية** التي تعد ميدانا أوسع مما يجب بالنسبة لقوات سايجون ، **لانه كلما زادت المساحة ، كلما أصبحت الحرب الثورية أكثر سهولة** » ٠

■ ■

■ **الاتحاد السوفيتي :**

الهدف : الغاء الفوارق بين الريف والمدينة

في اوائل الشهر الماضي ، عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي اجتماعا موسعا لبحث مشاكل الزراعة في البلاد ، ورسم برنامج التطور الزراعي خلال مشروع السنوات الخمس القادمة ٧١ـ٧٥ ، وقد استمع الاجتماع الى تقرير من **ليونيد بريجنيف** السكرتير العام للحزب حول « المهام العاجلة للحزب في ميدان الزراعة » واشترك في مناقشة هذا التقرير عدد واسع من المختصين والعاملين في ميدان الزراعيين والفلاحين الجماعيين ٠

ويلمح المعلقون الغربيون الى أن بحث مشاكل الزراعة في اجتماع موسع يسبق **انعقاد المؤتمر الرابع والعشرين** للحزب بقليل انما يوحي بأن الزراعة السوفيتية تواجه مشاكل معقدة وفشلا في تحقيق الاهداف المرسومة ، ويستند المعلقون الغربيون في ذلك الى أن المؤتمر الثالث والعشرين قد سبقه اجتماع موسع للجنة المركزية لمناقشة مشاكل تطوير الزراعة التي كانت تعاني حينذاك من بعض العثرات ٠

غير أن المعلقين السوفيت يؤكدون **ان هذا الاهتمام من جانب الحزب ولجنته المركزية بمشاكل الزراعة لا علاقة له باستنتاجات معلقي الغرب ، وانه يرجع في الاساس الى تزايد أهمية الانتاج الزراعي مع ارتفاع مستوى المعيشة وتنوع احتياجات الشعب** ، والصعوبات التي تواجهها الزراعة السوفيتية هي صعوبات نمو طبيعية نتيجة للمتطلبات الضخمة التي تواجه الزراعة في الظروف الحاضرة من نمو الاقتصاد القومي ٠

وتقول الصحافة السوفيتية ان البرنامج الزراعي الذي صاغته اللجنة المركزية في اجتماعها الاخير يفوق كل ما تم في الزراعة من قبل ، وهو يهدف الى اقامة اساس مادي وتكنيكي جديد في الريف على أساس الشعار الذي سبق أن رفعه المؤتمر الثالث والعشرون للحزب : (**التكنولوجيا + الكيمياء + تحسين الارض**) ٠

ولقد أشار قرار الاجتماع الموسع الى أن البلاد قد سارت بالفعل في هذا السبيل ، ولكنه لفت الانظار الى ان معدلات التجهيز التكنيكي للريف لا تزال متخلفة عن احتياجات تطوره ، وأكد الاجتماع الموسع على اهمية زيادة انتاج الحبوب ، واقترح زيادة معدلات انتاج الحبوب في مشروع السنوات الخمس القادمة ، وكذلك انتاج اللحم والخضروات والفاكهة والقطن والمحاصيل الصناعية ، ولقد زادت مبيعات الزبد ٢٧ في المائة منذ بداية مشروع السنوات الخمس الحالي ، كما زاد السكر ٢٠ في المائة ، واللحم ٦ كيلو جرام للفرد ، بينما انخفض استهلاك الخبز مما يشير الى تغيرات أفضل في انماط الاستهلاك وفي هيكل التغذية ويدل على ارتفاع في مستوى المعيشة ، ورغم هذا الارتفاع في مستوى المعيشة ، أشار التقرير الى أن المنتجين الرئيسيين في الريف لم يحتلوا بعد مكانا بارزا في الحياة العامة ، وهذا ما يجب ان يوضع

تحقيقه ضمن أهداف الحزب والشعب فى المستقبل القريب .

وأشار التقرير الى ان استثمارات الدولة فى مجال اعادة التجهيز التكنيكى للريف وفى مجال الخدمات والثقافة سيصل الى ٧٧٫٦٠٠ مليون روبل كما ستستثمر المزارع الجماعية بالاضافة الى ذلك مبلغ ٤٣٠٠٠ مليون روبل ، وسيخصص من هذه الاستثمارات حوالى ٧٤٫٠٠٠ مليون روبل لاعمال البناء . ويمكن ان تتضح ضخامة مثل هذا الرقم لو علمنا أنه يساوى اكثر من نصف المصروفات فى ميزانية الاتحاد السوفيتى لعام ١٩٧٠ ، وسيذهب جزء من هذه المخصصات الى توسيع استخدام الالات والى تسهيلات انتاجية أخرى فى الريف ، كما سيخصص جزء آخر لاصلاح الاراضى وتحسينها ، وسيرصد جزء هام كذلك لاعمال الانشاء وتحسين الاسكان والمبانى الثقافية .

ويشير المعلقون السوفيت الى أن تنفيذ هذا البرنامج الزراعى سيعنى تحولا عميقا فى حياة الفلاح يقربه من تحقيق احدى النقاط الهامة فى برنامج الحزب ، الى جانب تحقيق معدلات عالية فى تطور الزراعة تضمن رفع مستوى معيشة الشعب بما يتمشى مع الاهداف الطموحة للتغير الاجتماعى .

وفى الختام ، أشار تقرير اللجنة المركزية الذى أصبح بعد اقراره برنامجا للحزب والدولة خلال السنوات الخمس القادمة فى مجال الزراعة ، الى **ان تحقيق تلك الاهداف سيدفع بالمجتمع السوفيتى خطوات هامة الى الامام فى طريق القضاء على الفوارق بين المدينة والريف** . وأهاب بكل الشعب السوفيتى أن يعمل بكل ما أوتى من عزم وقوة فى سبيل تحقيق أهداف هذا البرنامج فى التطور الزراعى من أجل وضع الاساس المادى لبناء الشيوعية فى البلاد .

■ ■

■ **الامم المتحدة**

خمسة وعشرون عاما فى قلب الصراع

بدأت خلال الاسابيع القليلة الماضية احتفالات الامم المتحدة بعيدها الفضى ، ومن المقرر أن تستمر هذه الاحتفالات حتى الرابع والعشرين من اكتوبر المقبل وهو اليوم الذى بدأت فيه هذه المنظمة الدولية عملها منذ خمسة وعشرين عاما (١٩٤٥) مستهدفة تحقيق العدل والسلام فى العالم .

وتأتى احتفالات العيد الخامس والعشرين للامم المتحدة وسط مناخ عالمى مشحون بالخطر ، بالصراعات المحتدمة ووسط عديد من علامات الاستفهام حول مدى فعالية الدور الذى تؤديه أو يمكن ان تؤديه تلك المنظمة الدولية لتحقيق السلام العالمى .

ويرى المراقبون ان التقييم الموضوعى لدور الامم المتحدة لابد أن يضع فى اعتباره أمرين هامين :

الامر الاول : أن هذه المنظمة الدولية لم تنشأ صدفة ، او تحقيقا لحلم فلسفى لا يرتبط بالواقع ، او لمجرد الرغبة الطارئة من جانب هذه الدولة او تلك . وانما نشأت تلبية لحاجة انسانية عامة الى تنظيم عالمى يضم فى صفوفه كل الدول وينسق بينها من أجل تجنب ويلات الحرب والقضاء على الفقر .

الامر الثانى : ان الامم المتحدة ـ وفقا لميثاقها ـ ليست حكومة عالمية يعلو سلطانها على حكومات الدول الاعضاء بها ، وانما هى مجرد هيئة للتنسيق بين الدول .

ويرى المراقبون ان هذا لا يعنى ان يبحث المرء عن مبررات لاوجه النقص فى عمل هذه الهيئة الكبرى ، وانما معناه البحث عن الصعوبات التى تعترض الامم المتحدة وتحد من فعاليتها .

ومن المعلوم أن رجال القانون الدولى قد اختلفوا فى تقديم اجابات حاسمة عن اسباب الصعوبات التى تواجه الامم المتحدة فى القيام برسالتها . فالبعض يشير الى أن الداء كامن فى ميثاق الامم المتحدة لان هذا الميثاق يقتصر على المبادىء العامة دون التفاصيل ، الامر الذى يفتح الباب أمام تفسيرات شتى ، كثيرا ما أدت الى صدامات بين الهيئة وبين الدول الاعضاء . وربما قيل ايضا ان من عيوب الميثاق انه يشترط قاعدة الاغلبية الموصوفة لصدور قرار مجلس الامن أو ما أصطلح على تسميته « بحق الفيتو » للدول الخمس الدائمة (الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفيتى ، المملكة المتحدة ، فرنسا ، فورموزا) .

ولكن كثيرا من الكتاب والساسة يتجاوزون هذه الانتقادات قائلين بان الميثاق فى جوهره **بلورة للتيارات الانسانية النامية فى المحيط الدولى الحديث ، وهى التيارات التى صقلتها تجارب الشعوب خلال الحربين العالميتين ، واهمها :**

اولا : اعلان مبدا المسئولية الجماعية بين الدول نحو انقاذ الاجيال المقبلة من ويلات الحرب (انظر ديباجة الميثاق) .

ثانيا : اعلان مسئولية حكومات العالم مجتمعة عن توفير اسباب الرزق والحياة الكريمة لكل فرد من افراد الجنس البشرى نساء ورجالا ، (المادة ٥٥ من الميثاق) ٠

ثالثا : اعلان مبدأ المساواة بين الشعوب وضرورة تحرير المستعمرات (الفصل الحادى عشر من الميثاق وعنوانه تصريح يتعلق بالحكم الذاتى)

ولقد عبر الرئيس **جمال عبد الناصر** عن هذا الاتجاه ، حينما اعلن فى خطابه الذى القاه أمام الجمعية العامة للامم المتحدة فى ٢٧-٩-١٩٦٠ « انه ليست هناك مشكلة تتعلق بوطننا الجمهورية العربية المتحدة ، أو تتعلق بأمتنا العربية ، أو تتعلق بالقارتين اللتين تمتد بينهما حدود افريقيا وآسيا ، أو تتعلق بما هو خارج ذلك من القضايا العالمية الا ونحن على استعداد كامل لان نقبل فيها ميثاق الامم المتحدة ومبادئها وقراراتها واحكامها قضاء عادلا فيها برضاء طيب ونية حسنة » ٠

واذا كان الرأى بالنسبة لميثاق المنظمة الدولية يؤكد ان ما فى هذا الميثاق من عيوب لا يبرر مطلقا ما تواجهه الامم المتحدة من صعوبات فى عملها لحل مشكلات العالم الكبرى ٠ فأين اذن تكمن الاسباب الحقيقية لهذه المصاعب ؟

ان الاجماع يكاد ينعقد فى اجابة هذا السؤال على أن اتجاه بعض الدول الكبرى الى العمل خارج نطاق الامم المتحدة هو السبب الرئيسى وراء ما تعانيه تلك المنظمة الدولية من أزمات وتشير اصابع الاتهام كلها عند ذكر هذا السبب الى الولايات المتحدة الامريكية بوصفها المسئولة أساسا عن تغذية وحماية الاتجاه الى العمل خارج الامم المتحدة ٠

فلقد كتب الاستاذ « **جون ماكلورين** » فى كتابه « **الامم المتحدة وسياسة القوة** » يقول « سيسجل التاريخ بلا شك علامة تعجب كبيرة حيال تصرف الولايات المتحدة التى لعبت دورا اساسيا فى انشاء الامم المتحدة ، ثم نظمت بنفسها بعد ذلك اكبر تنظيمات سياسية وعسكرية واقتصادية حدثت بين الحكومات خارج نطاق تلك الهيئة » ٠ وتجد علامة التعجب الكبيرة هذه تفسيرها فى تعليق « **مستر لاجورديا** » المدير الامريكى لادارة الاغاثة والتعمير على موقف مندوبى الولايات المتحدة وبريطانيا عام ١٩٤٦ ، اى غداة انشاء الامم المتحدة حينما نادوا بأن تقتصر مهمة الامم المتحدة فى مجال التعاون الاقتصادى الدولى على تكليف سكرتيرها العام باعداد نشرة احصائية بالمساعدات المطلوبة ، وتوزيعها على الدول الاعضاء كى تتولى هذه الدول كل على انفراد تقديم المعونة التى تراها ، وبالطريقة التى تراها ، للشعوب والدول التى تراها ٠٠ فقد قال « لاجورديا » يومها معلقا على هذا الرأى « انه الطريق الاستعمارى القديم عندما كانت كل امة غنية تختار الامة التى ترى مساعدتها وتفرض عليها شروطها ـ هذا واضح وبين ـ انه عودة الى نفس السياسة القديمة : سياسة تنازع القوى التى انتجت حربا بعد حرب » ٠

ولقد أسفرت الولايات المتحدة عن عدائها لفكرة التعاون الاقتصادى الدولى داخل حدود الامم المتحدة ، حينما لجأت علانية الى تقديم مساعدات اقتصادية مشروطة بشروط تتنافى مع مبادىء الامم المتحدة (مشروع مارشال ـ النقطة الرابعة) وأكثر من ذلك أمعنت الولايات المتحدة وحلفائها من الدول الاستعمارية فى محاولات هدم الامم المتحدة عن طريق تكوين الاحلاف والتكتلات العسكرية والسياسية خارج نطاقها ٠

ويرى المراقبون انه رغم هذا التيار الاستعمارى ، استمرت الامم المتحدة خلال الخمسة والعشرين عاما الماضية فى محاولة اداء دورها لتحقيق العدل والسلام العالميين ، وكانت تنجح احيانا وتخفق احيانا أخرى ، الا انها انجزت فى الفترة الماضية ما يمكن اعتباره خطوة بارزة على طريق تقدم الاسرة الدولية ٠ حقيقة ان انجازات الامم المتحدة فى مجال تطبيق مبدأ الامن الجماعى او العمل الجماعى لحفظ الامن والسلام العالميين قد عاقها اصطدام هذا المبدأ بالمصالح الاستعمارية المباشرة للولايات المتحدة وحلفائها ، ورغبتهم فى تفجير الحروب ضد الشعوب الراغبة فى التحرر ٠ الا انه يكفى انها استطاعت فى هذا المجال ان تعمق الاحساس بوحدة الامن والسلام فى العالم كله ٠

اما فى مجالات التعاون الاقتصادى والاجتماعى وحماية حقوق الانسان وهى المجالات الرئيسية الاخرى لعمل الامم المتحدة فقد استطاعت المنظمة الدولية ان تتخطى هذه الصعوبات الى حد كبير ٠ وساهمت خلال سنوات عمرها الخمسة والعشرين فى تقديم المساعدات المادية والفنية لتنفيذ خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى عدد كبير من الدول الاعضاء بها ٠

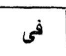
وقد يكون دليلا ذى وزن على نجاح الامم المتحدة رغم المؤامرات الاستعمارية ضدها ان المعلق الامريكى الشهير والتر ليبمان لم يجد فى الامم المتحدة ، حينما اراد ان يكتب عنها ، سوى انها « قد تحولت الى منبر للوطنيين المتطرفين يوجهون من خلاله الانتقادات الى سياسة الولايات المتحدة وحلفائها ، ويؤلبون الرأى العام العالمى ضدها ٠٠ » ٠

الا أن المراقبين المنصفين يرون انه ايا كانت « اتهامات » امريكا « للوطنيين المتطرفين » فان صمود الامم المتحدة أمام الضغوط الاستعمارية قد تحقق بفضل نضالات ومواقف الدول غير المنحازة وايمانها ـ على عكس ما يدعى كثير من فقهاء الغرب ـ بوحدة الاسرة الدولية وتمسكها بمبادىء الامم المتحدة كتعبير عن الضمير الانسانى المعاصر وايمانه بالعدل والسلام العالميين •

■ ■

■ **ايطاليـــا**

افلاس طريق « يسار الوسط » فى ايطاليا



فى ٦/٧/١٩٧٠ ، وبعد ١٠٠ يوم بالضبط من الحكم ، استقالت الوزارة الايطالية الواحدة والثلاثين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وكان يرأسها الديمقراطى المسيحى «**ماريانو رومر**» وبذلك تعود ايطاليا الى دوامة الازمة الوزارية تبحث من خلال المشاورات المضنية والمعقدة عن وزارة ائتلافية جديدة ، وكان اول من كنفه رئيس الجمهورية بالمحاولة بعد استقالة رومر هو « **جوليو اندريوتى** » زعيم جبهة الديمقراطيين المسيحيين •

كانت استقالة وزارة رومر مفاجأة غير متوقعة بالنسبة لبعض المراقبين ، نظرا للمشاورات الطويلة التى صاحبت تشكيلها فى ٢٧ مارس الماضى بعد ازمة وزارية استمرت ٤٨ يوما ، ونظرا للتقدم الملحوظ الذى حققته الاحزاب الاربعة المشتركة فيها فى الانتخابات الاقليمية التى جرت فى ٧ يونيو الماضى • فجاءت الاستقالة لتكون تأكيدا جديدا لحقيقة ان ازمة ايطاليا هى بشكل اساسى ازمة طريق « يسار الوسط » كله الذى قاد ايطاليا الى نفس الطريق المسدود الذى قادتها فيه حكومات ما قبل ١٩٦٢ ، عندما لم يكن يسار الوسط قد راج فى اوساط الاحزاب الحاكمة فى ايطاليا كمهرب من مستقبل يجىء بالحزب الشيوعى القوى الى السلطة •

فعلى الصعيد الاقتصادى تمخض الضجيج الواسع حول ازدهار الاقتصاد الايطالى الذى علت نغماته فى اوائل الستينات عن نمو اقتصادى محدود مع تدهور حقيقى فى مستوى الاجور ، مع ازدياد فى رؤوس الاموال الامريكية المستثمرة فى ايطاليا ، مع فشل كامل فى حل المشاكل الاجتماعية للجنوب الايطالى •

وقد اصبح واضحا ان الجنوب الايطالى قد تدهورت احواله الاقتصادية : فمن تكدس للمنتجات الزراعية الى اتساع نطاق البطالة بين سكانه ، وقد ترتب على هذه التطورات ان تحول الجنوب ضد سياسة الديمقراطيين المسيحيين بعد أن كان اليمين الايطالى يعتبره معقله الرئيسى •

ومنذ صيف العام الماضى شهدت ايطاليا موجات عارمة من الاضرابات الجماهيرية المتتالية ، فشهد شهر ابريل الماضى وحده عددا كبيرا من الاضرابات شملت تقريبا كل نواحى الانتاج بما فى ذلك الخدمات ابتداء من عمال السكك الحديدية الى ممرضات المستشفيات ، الى عمال النظافة وموظفى الحكومة ، ثم اعلنت اتحادات العمال الايطالية الثلاثة عزمها القيام باضراب عام يبدأ فى السابع من يوليو للمطالبة بعمل سريع فى مجال الاصلاحات الاجتماعية ، ولم يوقف تنفيذ الاضراب سوى استقالة الوزارة فى ٦ يوليو قبل يوم واحد من الميعاد المحدد للبدء به بعد أن فشلت فى التفاهم مع اتحادات العمال •

وتتبلور الازمة على المستوى السياسى فى اتساع الخلاف بين الاحزاب الحاكمة حول مدى « التعاون المحدود » مع الحزب الشيوعى أقوى الاحزاب الايطالية • ولقد اعلن ان ذلك كان هو المحور الرئيسى الذى نشبت حوله الخلافات السياسية التى أودت بحكومة رومر ، **لقد ابدى رومر وحزبه استياءهما من تعهد الاشتراكيين بالتعاون مع الشيوعيين فى بعض الاقاليم • وشن الحزبان الديمقراطى المسيحى والاشتراكى الموحد حملتهما على الحزب الاشتراكى لخيانته لمبادىء يسار الوسط التى تهدف فى الاساس الى استبعاد التعاون مع الشيوعيين** ، ودافع الحزب الاشتراكى عن قراره بالتعاون مع الشيوعيين فى اثنتين من الحكومات الاقليمية التى انشئت حديثا ، بأنه يريد الابقاء على علاقة مثمرة مع المعارضة اليسارية بما لها من خبرة فى مواجهة الازمات الحادة ، ولم تؤثر استقالة الوزارة فى نمو هذا الاتجاه لدى الحزب الاشتراكى • فلقد اعلن فى الشهر الماضى عن انتخاب السياسى الشيوعى « **اليوجا بوجيانى** » رئيسا للبرلمان الاقليمى لاقليم توسكانيا ـ وهو اول شيوعى يتولى هذا المنصب منذ عام ١٩٤٧ وذلك بتأييد النواب الاشتراكيين فى البرلمان الاقليمى •

ولا يشك المراقبون فى حقيقة ان الجانب السياسى من الازمة الايطالية انما يعقده أحرار الاحزاب الحاكمة على تفادى الطريق الطبيعى لحلها ، وهو اجراء انتخابات عامة جديدة وذلك لخشيتها من أن يحرز الشيوعيون انتصارات جديدة مؤكدة •

واذا كانت قوة الحزب الشيوعى الايطالى والحركة الجماهيرية تقف عقبة ليست بالهينة أمام

محاولات اليمين لتدبير انقلاب عسكرى على الطراز اليونانى ، فأن اجراء انتخابات جديدة فى ايطاليا انما تؤكده الحاجة التى باتت ملحة الى سياسة جديدة تتمشى مع مصالح القواعد الجماهيرية العريضة التى تلعب دورا متزايدا فى الحياة السياسية الايطالية .

■ ■

■ علوم

ثورة تصنيع « الجينات » هل هى بداية النهاية ؟

من المعروف ان الجينات هى وحدات الوراثة ، او المورثات (GENES) فاذا استطاع الانسان « خلق » الجين ، فهو يستطيع نظريا خلق الحياة .

ونحن نواجه بالفعل هذه الحقيقة ، نتيجة لاذاعة **خبر هام فى الشهر الماضى ، لا يقل فى أهميته عن خبر انقسام الذرة ، فقد أعلن الدكتور هار جوبند كورانا** ، وهو كيميائى هندى ، يبلغ من العمر ٤٨ عاما ، عن نجاحه فى تكوين جين مصنع فى معمله القائم فى ١٢٥ شارع الجامعة بمدينة ماديسون بولاية ويسكونسن الامريكية ، ويعتبر هذا الجين الذى يوجه عمليات الحياة أول جين يصنع بأكمله من الجزئيات الكيمائية .

ولكى ندرك أهمية ذلك النجاح العلمى ، نعود الى الوراء قليلا ، عندما بدأ الراهب النمساوى **جريجور مندل** فى عام ١٨٦٦ نظريته عن الوراثة بأنه لابد وأن يكون هناك « وحدة ما للوراثة » . ولم يتمكن العلماء قبل القرن العشرين من عزل النواة من داخل الخلايا ، واستخراج ما يسمى كيمائيا بالاحماض النووية ، وفى عام ١٩٤٠ استطاع العلماء أن يشيروا الى نوعين هما D.N.A. (حامض ديسوكسى ريبونيوكليك) و R.N.A. (حامض ريبو نيوكليك) باعتبارهما ناقلى الصفات الموروثة فى الانسان .

ومن المعروف حاليا أن الجين هو عبارة عن حامض D.N.A. وشكل هذا الحامض الكيمائى مثل خيطين ملفوفين على بعضهما البعض ويتكون كل

تعليق

القديم والجديد فى فن عبده صالح

كان الفنان الراحل محمد عبده صالح من ألمع العازفين المخضرمين — على آلة القانون — وهو من العازفين القلائل الذين جمعوا بين الاداء الموسيقى التقليدى الموروث . والقدرة على ابداع اداء جديد نابع من الاداء الموسيقى التقليدى ، واذا كان النشاط الموسيقى للفنان عبده صالح قد ارتبط فى اذهاننا دائما بألحان وحفلات السيدة ام كلثوم فان القيمة الموسيقية المميزة لاسلوب الفنان عبده صالح فى العزف على القانون مستقلة تماما عن هذه الالحان والحفلات .

أن اهم ما يميز الشخصية الموسيقية للفنان الراحل هو — فن التقاسيم — والتقاسيم هى ابتكارات الحان يبدعها العازف اما موزونة ومضبوطة الايقاع ، او حرة لا تلتزم الاوزان الايقاعية ، كما ان طابع التجريد من اهم خصائص التقاسيم ، ذلك لان التقاسيم هى فى الحقيقة تكوينات زخرفية تنمو ابتداء من وحدة لحنية صغيرة ، ثم ان التناسق بين هذه التكوينات الزخرفية النغمية ، والتنوع فى طابع السلالم الموسيقية التى تتكون منها ، هو الذى يشكل قيمتها الجمالية العالية ذات الطابع التجريدى .

أن الفنان عبده صالح صاحب اسلوب مميز فى التقاسيم ، من اهم خصائصه استخدام خطين من الالحان يعزفان باليدين فى وقت واحد ، ويكونان شكلا زخرفيا بسيط التركيب ، وهذا النوع من التركيب النغمى الزخرفى لم يكن مستخدما فى اساليب التقاسيم التقليدية قبل الفنان عبده صالح .

أما دور الفنان الراحل فى الفرقة الموسيقية المصاحبة للسيدة ام كلثوم فهو دور تقليدى ، يرجع الى الاهمية التقليدية لالة القانون فى التخت الموسيقى فقد كانت آلة القانون هى سيدة التخت فهى التى تقود العمل الموسيقى خلف المطرب او المطربة ، تصاحب الاداء الغنائى او تترجمه طبق الاصل فى فقرات موسيقية تتخلل الغناء . ولم يكن دور الفنان عبده صالح خلف غناء السيدة ام كلثوم دورا عاديا يقف فقط عند حدود قيادة الالات الموسيقية وتوحيد ادائها . وانما كان شيئا اكثر من ذلك فقد كان عبده صالح يبتكر خطوط الحان يمهد بها طابع النغم الذى تستلهمه السيدة ام كلثوم وتنسج منه ابتكاراتها فى الاداء وتنويع الحان الاغنية . وهكذا كان عبده صالح نجما غنائيا يعزف على القانون فى حفلات ام كلثوم .

ان الفنان الراحل قام بنشاط مرموق فى اطار حفلات فرقة الموسيقى العربية . ولم يكن مجرد عازف منفرد يؤدى عمله فى الحفلات . بل قام بتوجيه اعضاء فرقة الموسيقى العربية الى آفاق التراث الموسيقى العربى الكلاسيكى .

واذا كان للفنان الراحل كثير من المقطوعات الموسيقية المسجلة فى الاذاعة والتليفزيون فان هذه المؤلفات الموسيقية لا ترقى الى مستوى اسلوبه الخلاق فى التقاسيم الزخرفية : التى نرجو ان يهتم مركز الفنون الشعبية بجمع تسجيلاتها فى ارشيف خاص بأعمال الفنان الراحل عبده صالح . ولعل المعاهد الموسيقية تستفيد بهذا الارشيف فى تعليم اجيال جديدة من العازفين على آلة القانون .

سليمان جميل

خيط من مواد كيمائية معقدة ، والتكوينات المختلفة لكل جين هى التى تعطى الصفة الوراثية المعينة ، فالشكل المعين الذى يتخذه الجين او الحامض D.N.A. عبارة عن اللغة التى يأمر بها الـ D.N.A. اجهزة الخلية الاخرى لتصنع مادة بروتينية او لتصنع رجلا .

وقد استطاع الدكتور كورانا بعد خمس سنوات من العمل الشاق ان يصنع حامض D.N.A هذا ، أى الجين ، ومادام الدكتور كورانا قد وضع الاسس للتركيب الكيمائى للجين ، فانه من الممكن عمل اى جين فى انبوبة اختبار ، صحيح ان الجين الذى صنعه يتكون من ٧٧ زوجا من الحلقات والتكوينات الكيمائية ، ورغم تعقيده يعتبر من المركبات البسيطة بالمقارنة بالجين الانسانى الذى يحتوى على ٦ ملايين من هذه الحلقات والتكوينات الكيمائية ، وعلى الرغم من ذلك فهو احتمال قائم نظريا ، ولقد أثبتت الايام ، ان كل ما يصنعه العلم من الناحية النظرية يتحقق عمليا بعد سنوات ، طالت او قصرت .

وقد اثار هذا الخبر جدلا علميا واسعا ، فمثلا يخشى الدكتور جورج كيستيا كوفسكى الذى كان يشغل منصب المستشار العلمي للرئيس ايزنهاور من ان اى هتلر جديد قد يتمكن من تكوين مئات من الرجال على صورته أى رجال حسب الطلب ! ! واعتبر بعض العلماء ان تصنيع الجينات تمكن الانسان من صنع فيروسات جديدة لا علاج لها فى الحروب البيولوجية ، ومن هذه الزاوية اعتبروا ذلك الحدث الخطير « بداية النهاية » بالنسبة للانسان .

ولكن من الناحية الاخرى ، اتجه تفكير العلماء الى امكانية استخدام هذا الكشف فى تجنب كثير من الامراض الوراثية ، فيمكن حقن الجينات المصنوعة فى أطفال المستقبل لمنع او معالجة الامراض الوراثية مثل السكر والامراض العقلية وغيرها ، علما بأنه هناك حوالى ١٥٠٠ مرض تلعب فيها الوراثة دورا أساسيا كما يمكن تطوير الانسان ذاته ، فى المستقبل البعيد جدا فيفصل الانسان طبقا لرسم معين .

وبين التشاؤم والتفاؤل الذى نقابل به فى العادة المكتشفات العلمية الخطيرة ، يرى المراقبون أن الخط العام الذى يسير عليه تاريخ العلم ليس منفصلا عن نضال الانسانية من أجل عالم افضل . وانه رغم المحاولات التى تبذل من جانب اعداد الانسان لاستغلال منجزات العلم ضد التقدم ، الا ان البشرية هى التى تفيد من هذه المنجزات رغم كل المعوقات .

■ ■ ■

رسالة من روما

مؤشرات هامة فى مؤتمر نصرة شعوب المستعمرات البرتغالية

عبد الهادى ناصف

تنفيذا لقرارات **مؤتمر الخرطوم** لنصرة شعوب جنوب افريقيا ، والمستعمرات البرتغالية (يناير ١٩٦٩) قامت **لجنة التعبئة** المنبثقة عن هذا المؤتمر والعاملة فى اطار منظمة التضامن الافريقى الاسيوى بالتعاون مع اللجنة الايطالية لنصرة شعوب جنوب أفريقيا والمستعمرات البرتغالية بتنظيم المؤتمر الدولى لنصرة شعوب المستعمرات البرتغالية فى روما فى الفترة من ٢٦ الى ٢٨ يونيو سنة ١٩٧٠ .

وقد أتيحت لكاتب التقرير فرصة الاشتراك فى هذا المؤتمر كعضو فى وفد الجمهورية العربية

المتحدة ، وهو يسجل فى هذا التقرير بعض الانطباعات التى خرج بها من المؤتمر ، الى جانب بعض المؤشرات الهامة فى المناقشات التى جرت حول بعض القضايا الهامة وما انتهى اليه من قرارات :

أولا ــ المغزى العميق لانعقاد المؤتمر فى روما :

ان نجاح **اللجنة الايطالية** لنصرة شعوب المستعمرات البرتغالية فى حمل الحكومة الايطالية على التصريح بعقد المؤتمر فى روما ، يمثل فى حد ذاته ظاهرة تستحق التسجيل ، فحكومة ايطاليا كما نعلم عضو فى حلف الاطلنطى ، وحكومة البرتغال عضو فى نفس الحلف ، والطائرات التى تستعملها حكومة البرتغال الفاشية فى ضرب الوطنيين فى موزمبيق وأنجولا وغينيا بيساو هى طائرات يعتمد فى تصنيعها بصفة أساسية على **مصانع فيات** الايطالية، وبيوت المال الايطالية تساهم فى تحويل المشروعات الاستغلالية التى تقوم السلطات البرتغالية بتنفيذها فى مستعمراتها الافريقية وفى مقدمتها مشروع خزان كايورا باسا فى موزمبيق .

ان قبول الحكومة الايطالية لانعقاد المؤتمر فى روما ، بفعل ضغط القوى التقدمية والديموقراطية الممثلة فى اللجنة الايطالية لنصرة شعوب المستعمرات البرتغالية لدليل يؤكد من ناحية ، مدى التأثير التى بلغته هذه القوى فى ايطاليا ، ويشير من ناحية أخرى ، الى مدى التفسخ والتمزق الذى أصاب هذا الحلف العدوانى (حلف الاطلنطى) من داخله .

ثانيا ــ ادانة حلف الاطلنطى بصفة عامة والولايات المتحدة الامريكية بصفة خاصة :

الامر الذى لم يختلف عليه اثنان من بين المئات الذين أشتركوا فى المؤتمر هو أن البرتغال ، وهى دولة فقيرة ومتخلفة لم تكن لتستطيع ان تتحمل تكاليف وأعباء الحرب الاستعمارية التى تخوضها ضد شعوب هذه المستعمرات ، والتى تستنفد سنويا ما يزيد على نصف ميزانية ، الحكومة البرتغالية ، لولا الدعم والمساعدة التى تتلقاها من دول حلف الاطلنطى والاحتكارات الامريكية والاوربية ،

ولقد تأكد هذا الفهم بشكل واضح ، قاطع وصريح ، فى تقارير اللجان الثلاث للمؤتمر ، وفى البيان العام الذى صدر عنه ، اذ أعتبر حكومات حلف الاطلنطى وبصفة خاصة الولايات المتحدة الامريكية مسئولة مسئولية مباشرة عن استمرار هذه الحرب البربرية التى تشنها حكومة البرتغال الفاشية ضد شعوب موزمبيق وأنجولا وغينيا بيساو .

ثالثا ـ وضوح النظرة الكلية الى ظاهرة الاستعمار وحركة التحرر :

بالرغم من أن المؤتمر كان مخصصا لنصرة شعوب المستعمرات البرتغالية ضد السياسة الاستعمارية لحكومة البرتغال الفاشية ، الا انه بدا واضحا من خلال المناقشات التى جرت فى لجان المؤتمر تفهم عميق من كل المشتركين فى المؤتمر ــ على اختلاف انتماءاتهم الفكرية، ومواقعهم الاجتماعية ــ للحقيقة التى تؤكد أن الاستعمار مهما اختلفت أسماؤه وأساليبه وأشكاله ، ومهما تباينت القوى التى تمارسه ، وبدا ما بينها من تناقضات ، ومهما تباعدت مواقع عدوانه ، فانه يشكل فى النهاية وحدة متماسكة البنيان ، متكاملة التنسيق ، وأن قوى التحرر فى العالم مهما اختلفت ظروفها ، فان نجاحها فى مواجهة الاستعمار يستلزم ان يقوم بينها نوع من التكامل والتنسيق والتعاون على نفس المستوى الذى يجمع قوى الاستعمار ان لم يكن اشد واصلب .

كان واضحا من هذه المناقشات ، أن المشتركين فيها لا يفصلون بين ما يجرى فى المستعمرات البرتغالية وما يجرى على أرض الهند الصينية والبلاد العربية وجنوب أفريقيا وروديسيا ، ولا يغفلون عن نسيج العلاقات المتشابكة الذى يجمع بين كل مايجرى فى هذه المناطق من العالم ، ويضعه فى اطار واحد ، وحركة متسقة توجهها اصابع الاستعمار الامريكى ، ومصالح الاحتكارات الامبريالية مهما اختلفت شخوص الممثلين من مسرح الى آخر .

كذلك ، وضح أمام المشتركين فى المؤتمر الوجه الاخر لهذه القضية ، الوجه الذى يبرز ملامح القوى التى تقف من خلف شعوب المستعمرات المناضلة تمدها بالعون والتأييد فى مواجهة قوى الاستعمار ايمانا منها بأن الحرية لا تتجزأ وأن التحرر والتقدم لكل شعب من الشعوب هو قضية كل الشعوب وواجبها وقدرها ، وكانت النغمة البارزة فى حديث أعضاء المؤتمر ممن ينتمون الى بلاد أوربا الغربية هى التقدير العميق للمساعدة القيمة التى تتلقاها شعوب المستعمرات البرتغالية المناضلة من حكومات وشعوب الدول الاشتراكية ودول افريقيا وآسيا المتحررة والاعتراف بضآلة ما تقدمه شعوب أوربا الغربية بالرغم من أنها تعتبر مسئولة بشكل ما عما يقع على شعوب هذه المستعمرات من عدوان ، كما أنها بدورها واقعة تحت أستغلال القوى التى تقف تمارس هذا العدوان أو تقف وراءه ٠

ولقد لفت نظرى بنوع خاص أفراد ينتمون الى تنظيمات أبعد ما تكون عن الشيوعية يتصدون للهجوم على الدعايات التى تغذيها الدوائر الامبريالية فى أوربا فى محاولة لايهام هذه الشعوب بان حركات التحرر فى المستعمرات البرتغالية حركات عميلة لما يسمونه بالشيوعية الدولية» ،مستندة فى ذلك الزعم على أن هذه الحركات تتلقى عونا من الدول الشيوعية ، **ولقد نص تقرير اللجنة السياسية للمؤتمر على ضرورة قيام جبهة موحدة من الدول الاشتراكيه وحركات التحرر فى العالم وكل القوى الديموقراطية والتقدمية فى الدول الرأسمالية للنضال ضد الاستعمار باعتباره نضالا ضد القهر والاستغلال ، ومن ثم ، فهو نضال من أجل الجنس البشرى بأسره ٠**

رابعا ـ النمو المتصاعد للاتجاهات المعادية للاستعمار داخل أوروبا وامريكا :

لقد عكس المؤتمر ـ من واقع تشكيله ـ بعض الظواهر الصحية بالنسبة لمستقبل الاتجاهات المعادية للاستعمار داخل أوروبا وامريكا نفسها ، فقد بلغ عدد المنظمات المشتركة فيه من دول أوروبا وكندا والولايات المتحدة ٨٦ منظمة أى أكثر من نصف عدد المنظمات القومية المشتركة فى المؤتمر ومجموعها ١٦٦ منظمة قومية الى جانب ١١ منظمة دولية ، **وكان من بين المنظمات المشتركة فى المؤتمر ست منظمات برتغالية تعمل من خارج البرتغال ولكنها على صلة بقطاعات كبيرة من الشعب البرتغالى ، كما كان هناك ممثلون لاربع منظمات أمريكية ٠**

والجدير بالملاحظة أن عددا كبيرا من هذه المنظمات قد انشىء خصيصا لمحاربة الاستعمار ، وتأييد الشعوب المناضلة من أجل حريتها ٠ وبعضها ـ كما يدل عليه اسمه ـ مختص بدعم وتأييد شعوب المستعمرات البرتغالية ، بينما يختص البعض الاخر بمحاربة الاستعمار فى افريقيا بوجه عام ٠ وثمة بعض ثالث يمتد اهتمامه حتى يشمل العالم الثالث كله ، هذا الى جانب الاحزاب التقدمية المعروفة فى أوروبا ، وقد كانت كلها ممثلة فى المؤتمر ، وايضا الاتحادات العمالية والمنظمات ذات الطابع الانسانى ، والمنظمات المعبرة عن الاتجاهات التحررية للشباب الاوروبى ٠

خامسا ـ أهمية الدور الذى يلعبه الشباب فى الاتجاهات المعادية للاستعمار فى أوربا الغربية :

ظاهرة أخرى مشجعة برزت من خلال تكوين المؤتمر أيضا وهى تزايد أهمية الدور الذى يلعبه الشباب فى الحركات المعادية للاستعمار والامبريالية فى دول غرب أوربا ٠ فلقد كان ما شهدته فى هذا المؤتمر أبلغ دليل على أن حركة الشباب المعاصرة فى الدول الرأسمالية ليست مجرد رفض سلبى للقيم السائدة فى مجتمعاتهم ، وليست مجرد اتجاه عدمى الى الهدم دون تصور أو فهم لقيم وعلاقات جديدة وبناءة تحل محل القيم والعلاقات التى يرفضونها ، لقد شهدت فى المؤتمر نماذج مختلفة تماما عن الصورة التى ترسمها فى أذهاننا لشباب الدول الراسمالية تلك النماذج السيئة لشباب غارق فى القذارة واللهو والانحلال ٠

لقد قضيت حوالى عشرين ساعة استغرقتها مناقشات اللجنة الثانية للمؤتمر وهى لجنة التعبئة والمساعدات فى أربع جلسات طويلة ، وكان وضعى فى اللجنة كنائب رئيس ثم رئيس لها فى اجتماعها الاخير بعد أن اضطر رئيسها الاصلى الى السفر قبل انتهاء اجتماعاتها ، كان وضعى هذا يحتم على أن اتابع المناقشات متابعة دقيقة ، وأن أوازن وأقارن بين كل ما يرد فى أقوال المتحدثين من آراء

واقتراحات ، ولقد أدهشني وأثار اعجابي مدى ما لمست من نضج ممتزج بالحماس في مواقف وآراء ممثلي المنظمات البريطانية والسويدية والدنماركية والنرويجية والفنلندية والبلجيكية، وهم جميعا دون الثلاثين ، وبعضهم لم يبلغ الخامسة والعشرين ، ولقد كان رئيس اللجنة نفسه ، وهو لورد انجليزي شاب ، خير نموذج لهذا الشباب ، فلقد كان في مظهره ومخبره جميعا يمثل نقيضا صارخا لما توحي به كلمة « لورد انجليزي » من مواقف وأفكار ، كان يضطرم ثورة على الاستعمار والامبريالية وكان أشد ما يكون عنفا ومرارة عندما يتحدث عن سياسة بلاده الاستعمارية سواء عندما كانت لها سياسة مستقلة ، او بعد أن أصبحت ذيلا للاستعمار الامريكي .

سادسا ـ الدعم الفعلي وليس مجرد التأييد هو ماتحتاجه حركات التحرير :

لقد كان نجاح المؤتمر حريا بأن يكون محدودا للغاية اذا ما اقتصر على البيانات التي تحمل عبارات التأييد لحركات التحرر في المستعمرات البرتغالية الثلاث ، والاشادة بما حققته من انتصارات وتحية الجهود المضنية التي تبذلها شعوبها في نضالها الباسل ضد العدو المستعمر وقوى الاستعمار العالمي التي تقف خلفه ، ولكن المؤتمر ولجانه اتجهوا منذ اللحظة الاولى نحو ايجاد صيغة للعمل تستهدف ترجمة مواقف التأييد لحركات التحرير الى مواقف دعم ومساعدة لهذه الحركات ، وكان الميدان الذي ركز عليه المؤتمر هو حكومات وشعوب أوروبا الغربية على اعتبار ان حكومات وشعوب الدول الاشتراكية ودول افريقيا وآسيا المتحررة تقدم لحركات التحرر في المستعمرات البرتغالية دعما ومساعدات تتزايد من يوم لاخر .

وقد انتهى المؤتمر الى تحديد أهداف العمل في أوروبا الغربية في هدفين أساسيين :

الهدف الاول : هو عزل حكومة البرتغال عسكريا وسياسيا واقتصاديا .

الهدف الثاني : دعم حركات التحرر في المستعمرات الثلاث ومساعدة شعوبها اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا (استبعدت المساعدة العسكرية من جانب شعوب أوربا الغربية باعتبار انها غير ممكنة من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان الدول الاشتراكية ودول افريقيا المتحررة تغطى بالفعل هذا الجانب من المساعدات) .

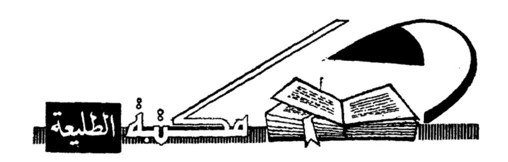
وانطلاقا من هذين الهدفين انتهت المناقشات في لجان المؤتمر الى اقرار كثير من المقترحات التي تشكل صيغا للعمل في مجالات متعددة تؤدي الى تحقيق هذين الهدفين .

ويضيق المجال في هذه الرسالة المختصرة عن ايراد ما وصل اليه المؤتمر في هذا المجال ، ولذا فانى سأكتفي بالاشارة الى الركائز الاساسية التي تستند عليها المقدمات العديدة التي وافق عليها المؤتمر كصيغة لهذا العمل :

● ان التعبئة الجماهيرية الواسعة لشعوب أوربا الغربية ، وتبصيرها بالاخطار الهائلة التي تتعرض لها ، وتتعرض معها الانسانية كلها من جراء مساعدة السياسة الامبريالية (التي تتبعها حكوماتها) لحكومة البرتغال الفاشية ، وانسياقا وراء السياسة الامريكية ، هذه التعبئة هي الكفيلة بتجنيد هذه الشعوب للضغط على حكوماتها حتى تكف عن تقديم المساعدات عسكرية كانت أم اقتصادية أم سياسية الى حكومة البرتغال ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان هذه التعبئة هي المحرك لهذه الجماهير حتى تقدم كل ما تستطيع من معونة لحركات التحرر .

● ان المنظمات الديموقراطية والتقدمية واتحادات العمال في هذه الدول مطالبة بأخذ المبادرة وبذل الجهد المضاعف في هذا السبيل ، وان تضرب المثل وتقدم القدوة للجماهير العريضة حتى تحذو حذوها وتتجه الى نفس الغاية التي تنشدها .

● ان أنواعا عديدة من تنسيق الجهد وتكامله وتبادل الخبرات يجب أن تنشأ بين المنظمات العاملة في كل دولة أولا ، وبين مختلف دول أوربا الغربية ثانيا ، وبين هذه وبين حركات التحرر في المستعمرات الثلاث من ناحية ، وبينها وبين مختلف القوى العالمية المؤيدة والمساعدة لنضال شعوب المستعمرات الثلاث بنوع خاص ، والمعادية للاستعمار بوجه عام .



أدب المقـــــــــاومة

■ تاليف :

غالى شـكرى

■ عرض وتحليل :

سامى خشبة

■ النـاشر :

دار المعارف ١٩٧٠

في اثنى عشـر فصلا يقدم **غالى شكرى** دراسته الطويلة المتعددة الجنبات حول « أدب المقاومة » . والمؤلف ينطلق الى دراسته من زاوية بروز اهمية الدور الذى يلعبه الادب فى مراحل الازمات والمحن التى يواجهها المجتمع .

والناقد لا يقدم أساسا نظريا عاما لدراسة أدب المقاومة ، وانمايقدم نوعا من التحديد النظرى لماهية ذلك الادب من ناحية ، ثم هو يحرص فى بداية كل من فصول الكتاب على أن يقدم الاساس النظرى الخاص الذى سيعالج على أساسه موضوع المقال .

أدب المقاومة عند المؤلف هو ذلك الادب الذى يبرز علاقة الصراع بين الانسان والكون ، باعتبار هذا الصراع جزءا لا يتجزأ من العلاقة الديناميية بين الطرفين ، وسواء تجسد الكون الخصم فى صورة وحش بحرى أو « **غاز اجنبى ، أو سلطة طاغية ، أو قهر اجتماعى عات** » . ثم ان هذا الادب قد يتسع لكى يعبر عن مضمون انسانى عام حين يتجاوز سمات مشكلة قومية بعينها ، ويضعنا أمام مشكلة من مشاكل الضمير البشرى . وأدب

المقاومة أيضا قد يعبر عن بعد قومى حين تبرز سمات الروح الخاصة لشعب معين وتصبح هى الرمز الذى يحاول العمل الادبى أن يبرزه أو القضية التى يدافع عنها . وقد يعبر أدب المقاومة عن بعد اجتماعى حين يدور العمل حول قضية من قضايا التطور الاجتماعى فى مجتمع بعينه .

هذه هى الحدود النظرية التى حدد بها المؤلف رؤيته لادب المقاومة ـ وسوف نناقشها فيما بعد ـ ولكن « البطل » و « البطولة » هما المعنيان اللذان ركز المؤلف همه على اكتشاف صياغتهما الفنية فى الانواع الادبية للاعمال الكثيرة التى تعرض لها .

● فالبطولة فى القصة تصبح « **رمزا** » لا « **صورة** » شعرية ، أو « **أزمة** » مسرحية ، لما تتمتع به القصة من حرية الحركة فى الزمان والمكان وفى موقفها من الواقع المتراوح بين محاكاته وبين خلق واقع آخر بديل .

● وفى تراثنا الشعبى يظل معنى البطولة « رمزا » لاننا لا نجده الا فى « السير الشعبية » . **فالبطل الملحمى هو الذى يحمل معنى رمز البطولة هنا لانه يوجز كافة صفات الشعب ، ويحتفظ ببعض السمات الفردية ، ويعبر عن نفسه فى « تداخل البعد الاجتماعى مع البعد القومى »** .

● وفى الرواية المصرية التى ولدت « **ابنة لمناخنا الوطنى المناضل ضد القهر الاجنبى** » يصبح الانسان المصرى هو محور البطولة . وقد بدأت البطولة جماعية فى رواية « عذراء دنشواى » وانتهت جماعية أيضا فى رواية « الباب المفتوح » . ومرت بمراحل البطولة الفردية المختلفة ، من بذرة الفردية التى جعلت البطولة لروح مصر والثورة ، الى بطولة الفرد الرومانسى ، الى بطولة البطل الوطنى الكامل ، الى بطولة المزج بين البعد الوطنى والبعد الاجتماعى .

● وفى الرواية **الفلسطينية تتخلص** رواية المقاومة من البعد القومى الضيق المتمثل فى التعبير عن المأساة من خلال البعد السياسى ، وتتجه هذه الرواية الى اكتساب البعد الانسانى الرحيب ، من خلال طرح قضايا الانتماء والموت المجانى ، والحلم بمستقبل أفضل .

● وفى الرواية الجزائرية تتصارع الدماء العربية والفرنسية والبربرية ، ولكن المقاومة تظل هى « **النسيج الاساسى للادب الروائى الجزائرى** » . وهنا يبرز البعد القومى حاملا ظلالا اجتماعية قوية ، ولكن البعد القومى اذا تحول الى « رمز » روحى شامل وعريض مثل « نجمة » فى رواية كاتب ياسين فانه سيتجاوز حدوده القومية لكى يصل الى آفاق انسانية رحيبة .

● والبطولة تتخذ شكل الازمة المسرحية فى مسرح المقاومة الذى يقف بين التراجيديا والملحمة الامر الذى يجعل قضية « الموت والشهادة » هى محور أزمة البطولة فى هذا المسرح ، ثم أن أزمة البطولة فى مسرح المقاومة هى أزمة للناس العاديين تتجسد فى حياة البطل النضالية . وهذه البطولة « الجماعية » هى التى أدت الى ابتعاد مسرح المقاومة عن البناء الكلاسيكى ، ومهدت للمسرح الملحمى .

● وعن أبطال المقاومة فى المسرح المصرى يتحدث **غالى شكرى** عن كيف « **تفرض الواقعة التاريخية نفسها فرضا على الكاتب المسرحى اذا تصدى لمعالجة قضية المقاومة الوطنية** .. » ولكن مسرحية المقاومة الوطنية قد تؤرخ لمرحلة زمنية قديمة ، وقد ترمز للحاضر بالتاريخ ، وقد تسجل مرحلة قائمة وقد تواكب مثل هذه المرحلة وقد تتنبأ بما سيكون عليه أمر المقاومة فى المستقبل .

● واذا كانت الملحمة قديما هى القادرة على التعبير عن صراعات شعوب وفضائلها ، فقد استطاع المسرح أن يقترب من الملحمية وأن يقتبس بعض سماتها ليخدم نفس الهدف : تعبير الشعوب عن صراعاتها وفضائلها ، وهذا هو ماحدث فى المسرح العربى المتأثر بالمسرح الملحمى عند كاتب ياسين ونجيب سرور .

وفى الجثة المحاصرة لكاتب ياسين تتحول الشخصية الى حالة من حالات الوجود ، ولكن البطولة الشعبية هى جوهر مسرح بريخت وهى ما يحتفظ به كاتب ياسين فى مسرحيته . وفى مسحوق الذكاء يصبح البطل الفولكلورى ميدانا يلتقى فيه الرمز الاسطورى بالمعنى الواقعى ويلعب الكورس دور العازل الشعورى بين المتفرج والممثل . وفى (الاسلاف يتميزون غضبا) يستخدم كاتب ياسين الكورس استخداما شاملا فى الرواية والتعليق والمشاركة فى الحدث .

وفى ياسين وبهية وآه يا ليل يا قمر يطوع **نجيب سرور** الشعر الحديث للمسرح ، وهو يعتمد على الفولكلور المصرى ، وأضاف من عنده الكثير الى الموال الاصلى ، ثم صاغ البطل الشعبى ممتلئا بالبعد الاجتماعى والقومى فى موقف وطنى . فان « البطل فى موقف » هو مجال التأثر هنا بالمسرح الملحمى علاوة على استخدام **الكورس** ، وان كان البطل الذى جاء من العمال قد عجز عن احتواء « النموذج » التاريخى لازمة البطولة والمقاومة اللتين لا يعبر عنهما سوى **المثقف الوطنى** الديموقراطى فى مرحلة الصراع الوطنى .

● وفى القسم الثالث من الكتاب ينتقل **غالى شكرى** الى الشعر . وهو يرى أن الشعر « **هو أكثر**

الانواع الادبية قدرة على امتصاص رحيق الكارثة ومقاومتها فى حينها » ٠

● أما شعر المقاومة المصرية فينقل رؤياه عن البطولة من خلال قدرته على تمثل « الحدث الوطنى » واستيعابه بصورة مركزة ٠ ويبدأ شعر المقاومة المصرية ـ فى الفصحى والعامية ـ من **البارودى والنديم** ، وينتقل شعر العامية الى **بيرم التونسى** الذى أضاف الكثير الى همومه الوطنية والى قالبه الشكلى ، وتسلمه منه **فؤاد حداد** الذى حوله الى التعبير الصورى والبنائى الحديث وأكد التزامه بالبعد القومى والاجتماعى ، ثم **صلاح جاهين** الذى أنجز تحول شعر العامية الى قالب الشعر الحر ، والى الامتزاج الكامل بالاحساس الشعبى والتاريخى بالقضية الوطنية ٠

أما **عبد الرحمن الشرقاوى وصلاح عبد الصبور** فيختار المؤلف من الاول قصيدة « الى زوجتى » ـ ١٩٥٦ ـ التى تعبر عن لحظة احتدام الحدث التاريخى فى وجدان الشاعر الذى واكب الحدث فى قصيدته وان لم يتنبأ بما بعده ٠ ويختار من صلاح عبدالصبورقصيدة « سأقتلك » حيثيسطع اليقين الذى غاب عن قصيدة الشرقاوى فمنحها غيابه توترها ، ومنح حضور اليقين لقصيدة صلاح عبد الصبور الصلابة والتماسك ، ثم يختارمن **كامل أيوب** قصيدة الجندى الاخير التى تعتمد على الحكاية الشعرية وتصدر دراما الصمود حتى آخر جندى حيث تكتمل البطولة بالاستشهاد ٠

● وفى فلسطين ـ حيث يبحث المؤلف عن أبعاد البطولة فى شعر المقاومة العربية ـ ينظر الناقد الى الشعراء المقيمين بالارض المحتلة باعتبارهم شعراء معارضة لانهم ينطلقون من موقف الحوار مع الدولة ومع العدو ، وليس من موقع القتال ضده ، ومن هنا مصدر تصورهم للبطولة ، وينظر الى الشعراء الفلسطينيين خارج اسرائيل على أنهم شعراء المقاومة الحقيقيين لانهم لم يكونوا يملكون وسيلة للحوار مع العدو سوى البندقية حتى قبل أن توجد البندقية فعلا ٠ **فمحمود درويش** ينطلق من طرح تحديات المعارضة القائمة ، ومن صدقه فى التعبير عن حياة ذات ألوان متعددة ٠ **وراشد حسين** ينتمى من الناحية الفنية الى الاتجاه السلفى الذى يبلغ ذروته فى شعر **سميح القاسم** ، كما تصل الرومانتيكية الاشتراكية الى ذروتها فى شعر **توفيق زياد** الذى يميل الى تحليل أسباب الهزيمة وأبعادها ومستقبلها ٠

أما **فدوى طوقان ومعين بسيسو** ـ خارج الارض المحتلة ـ فيتمثلان معانى المقاومة المأساوية بكل ظلالها بما فيها من ظلال الموت والشهادة ، وبما فيها المقاومة على امتداد الوطن العربى وليست فى فلسطين فحسب ٠ ولهذا فان الهزيمة لم تكن مفاجأة صادمة لهما وانما كانت مبررا كافيا لازدياد لهيب المقاومة ولاكتساب شعرهما أبعادا جديدة من المرارة ومن الثقة فى معركة قادمة ٠ وليس كذلك **نزار قبانى** الذى كانت الهزيمة عنده مناسبة للتشفى واطلاق الشعارات : التشفى فى الاعداء القدامى الذين كان نزار نفسه واحدا منهم ، واطلاق الشعارات الجديدة التى تشبه شعره القديم الى حد بعيد ٠

أما الشعر الامريكى فقد كانت فيتنام هى الفرصة الذهبية لانطلاقه الى آفاق جديدة تنقذه من البوار ، مثلما كانت فرصة لتحرير الروح الامريكية من اعباء الضمير الاثم لما استقر فيه من شعور بالذنب لتراث العنف الدموى الذى جلل الحضارة الامريكية ٠

أرجو أن أكون قد نجحت فى نقل ملخص صادق لافكار المؤلف الاساسية فى العرض السابق ٠ وربما كانت قلة المراجع العربية والمترجمة الى العربية أو المكتوبة باللغات القريبة من استخداماتنا فى موضوع « أدب المقاومة » هى التى تمنح كتاب **غالى شكرى** ميزة المشاركة فى ريادة العمل النقدى لمجال خصب وكثير الاغراء من مجالات الابداع الادبى والفنى ، هذا العمل النقدى الذى لم يسبقه اليه من نقادنا العرب سوى **غسان كنفانى، ورجاء النقاش ، ويوسف الخطيب** ٠

وبينما تندر المراجع التى تعالج «أدب المقاومة» فان موضوع أدب المقاومة لابدان يظهر ـ ضمنيا ـ فى كل عمل يتناول تاريخ الادب من وجهة النظر الاجتماعية ٠ من هنا يظهر صواب المؤلف فى ربطه بين موضوع ادب المقاومة ،وبين الدور الذى يلعبه الادب فى الحياة الاجتماعية ، ولكن من هذه النقطة بالتحديد تبدأ خلافاتنا مع المؤلف ٠

اننا نشعر بأن **غالى شكرى** فى تحديده لماهية أدب المقاومة بأنه الادب الذى يبرز علاقة الصراع بين الانسان والكون ، وبانه يمكن أن يضم ابعادا انسانية أو قومية أو اجتماعية ، نشعر بأن هذا التحديد يفتقر الى الدقة المنهجية المطلوبة ، بينما نلاحظ أن المؤلف كان دقيقا فى اختياره لنماذج من اعمال أدبية ذات اتجاه معين ٠ ان المؤلف يقرر بنفسه ان كل أدب عظيم لابد وأن يبرز جوهر علاقة الصراع بين الانسان والكون ، ولا ينفرد « أدب المقاومة » بهذه الميزة ، كذلك نرى نحن أن كل أدب عظيم لابد وأن يضم ابعادا انسانية ، أو قومية ، أو اجتماعية ، فليست هذه ايضا ميزة ينفرد بها أدب المقاومة ٠ ببساطة نعتقد أن كل أدب عظيم هو أدب يفجر فى الانسان طاقة المقاومة ، طالما انه يزود روح الانسان وعقله وارادته بالقيم التى تحميها من التحلل ، وتزودها بالوعى اللازم لمواجهة أعباء الحياة الانسانية التى تكتسب قيمتها من صراع الانسان ضد الطبيعة والمجتمع ٠

ولكن ثمة نوع معين من الادب ، موضوعه هو المواجهة التى لابد أن تقوم بين الانسان وبين قوى القهر الاجتماعى والسياسى والروحى التى تحاول أن تحرم الانسان من حق وجوده الانسانى الحر ومن حق التعبير الحر عن ملكاته وخصائصه واستخدام طاقاته استخداما نافعا لنفسه وللبشرية ، باعتباره كائنا ذا ارادة واعية ، له حقه فى حرية العمل والتفكير ومشاركة الآخرين من بنى جلدته ، أو بنى جنسه فى صياغة حياتهم بالصورة التى يختارونها ويحبونها والتى تنبثق من تاريخهم وتراثهم الحضارى الخاص . هذا النوع من الموضوعات الادبية هو الذى يمنح العمل الذى يعالجه الحق فى الانتماء الى أدب المقاومة .

والغريب أن المؤلف قد اختار فعلا نماذجه من بين الاعمال التى تعالج موضوعات الصراع الانسانى ضد صنوف القهر السياسى والاجتماعى والروحى المختلفة ، مع استثناءات قليلة . ولكنه حينما أراد أن يربط بين « أدب المقاومة » وبين طاقة المقاومة التى تتفجر فى كل أنواع الادب العظيم وصل فى تحديده النظرى الاول الى أن صراع الانسان ضد وحش بحرى قد يكون صورة من صور المقاومة ، والى أن الوحش البحرى قد يتجسد فى صورة سلطة طاغية أو غزو أجنبى أو قهر اجتماعى عات طالما أن المقاومة تعنى عنده صراع الانسان ضد الكون .

ولكننا نرى انه فى أدب المقاومة « لابد » أن يصارع الانسان قوى اجتماعية وتاريخية تحاول قهره ، لها معناها « التاريخى » أو الاجتماعى ، وصراعه ضدها تجسيد لطموحه الى الحرية التاريخية : الحرية « من » القهر السياسى والاجتماعى والروحى . ومعنى هذا ان ادب المقاومة يتحدد — فى نظرنا — بموضوعه اولا ، وثانيا بزاوية الرؤية التى يعالج بها الاديب موضوعه ، أى : الى أى جانب من جانبى الصراع ينتمى ؟ وما موقفه من قضية الصراع ضد القهر السياسى والاجتماعى والروحى اصلا ؟ وما رؤيته للمقاومة التى هى صراع الانسان المقهور ضد القهر وضد قاهره ؟

ورغم عمق معنى البطولة التى ركز المؤلف همه على استكشافه فى الاعمال الادبية الكثيرة التى تعرض لها ، فاننا نود ان نبرز نقطة هامة ، سواء كانت للبطولة صورة « الرمز » أو « الصورة » أو « الازمة » ، وهى صياغات فنية فى الاساس ، فان للبطولة فى أدب المقاومة « معنى » أساسيا هو المعنى القومى . لقد مزج المؤلف بين معنى البطولة وبين استهداف تحرير الارض أو الطبقة أو الانسان ، ولكن هذه « العناصر » تكتسب قيمة محددة فى أدب المقاومة : فالارض تفقد معناها الجغرافى لتصبح « الوطن » الذى صنع أبناؤه تاريخه ومنحهم هو من خلال صناعة التاريخ وفى أثنائها شخصية قومية متميزة وعقلية متميزة وتراثا حضاريا متميزا . فالصراع من أجل تحرير الارض هو الصراع من أجل استعادة الحق فى ابراز الشخصية القومية والعقلية القومية والتراث الحضارى القومى « متحررة » من محاولات مسخها وطمسها وتشويهها التى تهدف الى تسهيل عملية قهر الانسان نفسه واستمرار ذلك القهر . والصراع من أجل تحرير الطبقة يهدف الى تحرير الوطن من أسر طبقة اخرى طاغية ومستغلة ومعوقة لحركة التاريخ المتقدمة : أى معوقة لفرص نمو الثقافة والحضارة والعقلية القومية نموا انسانيا ورحبا : المقاومة الطبقية مقاومة « قومية » أيضا ولكنها غير شوفينية ، لان الشوفينية ترتبط بالقهر الاجتماعى للطبقات المستغلة ، وترتبط باففار الثقافة القومية وحبس الحضارة والعقلية القوميتين فى أطر جامدة بحدود الماضى وحده دون المستقبل . ومن باب أولى أن يرتبط تحرير الانسان — كقيمة مطلقة — بنفس الاهداف .

من خلال هاتين النقطتين : عدم تحديد أدب المقاومة بأنه أدب الصراع الانسانى ضد القهر السياسى والاجتماعى والروحى ، وربط البطولة فى أدب المقاومة بصياغات فنية دون اكتشاف قيمتها التحريرية القومية ، تبرز كل خلافاتنا مع المؤلف حول تحليله للكثير من الاعمال والمواقف التى تعرض لها فى كتابه .

وربما كان هذا التحديد « الفنى » لادب المقاومة عند المؤلف هو المسئول عن ظنه أنه لابد أن تكون لادب المقاومة أشكال فنية متميزة . ولكن هل لهذا الادب أشكاله المتميزة حقا ؟ ان كان الامر كذلك فما الفرق بين شكل مسرحية « سانت جون » لبرناردشو — وهى التى اختارها المؤلف بين نماذجه — وبين شكل أية مسرحية أخرى لنفس المؤلف لا علاقة لها بأدب المقاومة ، ولتكن مجموعة مسرحيات « العودة الى ميتوشالح » على سبيل المثال ؟ وما الفرق بين بناء قصيدة « سأقتلك » لصلاح عبد الصبور وبين بناء قصيدة « أغنية انتظار » **لاحمد عبد المعطى حجازى** ؟

يتضح خطأ تحديد شكل أو قالب خاص لادب المقاومة من حديث المؤلف عن مسرح المقاومة مثلا . فالحدث الدرامى والشخصية الرئيسية فى نظر المؤلف هما الاساس الراسخ للمسرح . والحدث الدرامى فى مسرح المقاومة مهما تعددت زواياه هو مثلث متساوى الاضلاع : اثنان يوجزان القوتين المتصارعتين ، والثالث دائما هو قطعة الارض التى يتكىء عليها كلاهما » . وهو يعنى بقطعة الارض الارض الحقيقية فعلا التى يتنازع الطرفان السيطرة عليها . ولكننا نسأل : فما الرأى فى مسرحية « صعود وسقوط ارتورووى » لبريخت

التى كانت من أهم الأعمال المسرحية فى مقاومة النازى ؟ ربما كانت تضم شخصية رئيسية ، ولكنها لا تقوم على أى حدث درامى لانها تحكى مجرد الحدوتة التى ترمز الى قصة استيلاء النازى على السلطة فى ألمانيا ، وليس هناك ضلعان يوجزان القوتين المتصارعتين على قطعة الارض لان الصراع يدور بين جناحين من الرأسماليين ، والضلع الثالث ليس هو الارض ، وانما هو الحزب النازى نفسه الذى يخدم مصالح من يدفع أكثر فى سبيل الاستيلاء على السلطة وليس على الارض !.

ومن خلال نفس النقطتين السابقتين يضطر المؤلف الى التمييز بين « مواقف » لا تمييز حقيقى بينها . مثل ذلك التمييز بين موقف الشعراء العرب داخل اسرائيل ويسميه المؤلف موقف المعارضة وبين موقف زملائهم خارجها ويسميه موقف المقاومة ، فالمشكلة الحقيقية ليست هى الخلاف بين المعارضة التامة للدولة الصهيونية وبين المقاومة التحريرية الشاملة للوجود اليهودى ، ليس بين الشعراء الفلسطينيين من يطلب التحرير الشامل من الوجود اليهودى ، وليس هناك من يكتفى بالمعارضة التامة للدولة الصهيونية : المجموعتان تطالبان بفلسطين ديموقراطية : لا اسرائيل وانما فلسطين ، ولا سيادة عنصرية لاحد الاديان أو الاجناس او القوميات ، وانما مساواة تامة وديموقراطية فى وطن حر . فلسطين تعنى استعادة حرية الثقافة والحضارة القوميتين للجميع ، واستعادة الارض لا يبرره غير هذا التحرير ، والديموقراطية تعنى كفالة الفرصة للجميع لتنمية ثقافاتهم القومية المتميزة والانسانية .

ومن خلال نفس التحديد النظرى لادب المقاومة من وجهة نظر المؤلف ينطلق خلافنا الاخير معه :

لقد اضطر المؤلف فى أحيان كثيرة الى الاكتفاء بموقف المفسر للعمل الادبى الذى اختاره كنموذج لادب المقاومة دون أن يحدد منه موقفا ، بل ان الاكتفاء بالتفسير كثيرا ما أدى به الى اتخاذ موقف المدافع عن أعمال أدبية تقف موقفا مضادا لمضمون المقاومة الحقيقى . فحينما يحلل المؤلف مثلا فكرة البعث عند توفيق الحكيم فى عودة الروح يجردها من ملابساتها التاريخية ، حينما كانت فكرة « بعث الروح المصرية » فكرة تقدمية ومرتبطة بالحركة الوطنية المصرية ضد الاستعمار الانجليزى . وقبل أن تعيد مصر اكتشاف عروبتها ، بل وقبل ان تنمو أية حركة قومية وطنية وحدوية تجمع الحركات الوطنية فى مختلف أجزاء الوطن العربى ، ولهذا السبب يضطر المؤلف الى اعتبار كل عمل أدبى استخدم فكرة البعث عملا من أعمال أدب المقاومة بل والى اعتباره عملا ذا دلالة قومية مثلما قال عن الشعراء التموزيين (أو القوميين السوريين بتعبير أوضح) ، أصحاب فكرة الهلال الخصيب الاستعمارية المعادية للقومية العربية بمعناها الوطنى والتحررى والديموقراطى منذ سنة ١٩٤٦ حتى الان .

هذه التحفظات - أو الخلافات - وان تناولت الحدود النظرية التى استند اليها المؤلف فى تحديد مجال بحثه وفى تشكيل نظرته النقدية - فكريا وفنيا - الى الاعمال التى دخلت فى مجال البحث لا أظنها تبخس قيمة الكتاب نفسه أو تقلل من أهميته . ان لحظتنا الحضارية التى نعيشها الان هى نفسها التى تفرض أهمية الكتاب وأهمية موضوعه وأهمية العناية بمناقشته فى جدية كاملة - ايجابا وسلبا - اذا كنا نعتقد حقا فى أهمية الدور الثقافى التحريرى الذى يلعبه أدب شعبنا المناضل من أجل الحرية ومن أجل استعادة وجوده القومى المتحرر والانسانى .

■ ■ ■

هكذا يبنى الاسلام

■ تاليف :

د . محمد أحمد خلف الله

■ عرض وتعليق :

محمد عمارة

■ الناشر :

الهيئة العامة للتاليف والنشر

صاحب هذا الكتاب - الدكتور محمد احمد خلف الله - أستاذ أثار فى حياتنا الفكرية ، منذ رسالته الجامعية عن (الفن القصصى فى القرآن) عددا من المناقشات الخصبة ، وقدم العديد من الاراء الجريئة ، التى تذهب فى حقل الدراسات الاسلامية مذهب التجديد الدينى ، مواصلة لما بدا به فى عصرنا الحديث الشيخ محمد عبده .

وهذا المذهب الذى يذهب اليه الدكتور خلف الله ، يمكن ان نسميه الاتجاه « السلفى المعاصر » ، ذلك الذى يريد تجديد الاسلام كى يواكب روح العصر ، وما تطرحه الحياة من جديد ،

عن طريق الرجوع الى المنابع الاسلامية الاولى والبكر ، وخاصة القرآن الكريم ، مع تخطى كل التفسيرات والاجتهادات التى جاءت استجابة لروح عصور مضت ، وثمرة لتجارب انسانية طوتها عجلة التطور الانسانى من صفحة الوجود ، تلك التفسيرات العديدة التى جعلت الناظر فى تراثنا يرى نفسه حيال أكثرمن اسلام واحد ، وهو يعلن ذلك صراحة (ص ١٢) عندما يتساءل عن الاسلام الذى يؤمن به ، ويعنيه ، وينطبق عليه تحديده ووصفه ، ثم يقول « أما انا فأذهب الى رأى صريح واضح استندت اليه ومضيت عليه فى كتبى السابقة ، وهو أن الاسلام الذى أعنى انما هو الاسلام الذى حدد القرآن الكريم معالمه ، الاسلام الذى أعلن القرآن الكريم نفسه عنه أنه قد كمل »

أما اهداف هذا الكتاب الذى نعرض له ، وهدف **الدكتور خلف الله** منه ، فانه يحددها بمحاولة اكتشاف **الاسس والقواعد** التى يبنى عليها الاسلام **المجتمعات والافراد** ، واكتشاف **الوسائل** التى أقام النظام الحضارى الاسلامى على ضوئها **المجتمعات والافراد** (ص ٢١٩ ، ٩ ـ ١١) .

وبسبب من بعض المعارك الفكرية ، واللغط والجدل الذى أثير من قبل حول الرسالة الجامعية التى قدمها من قبل الدكتور خلف الله ، وبسبب من اساءة الظن ببعض كتاباته ، او كما يقول هو : « ان من الناس أناسا يسيئون الظن بما اكتب ويرون فيه جرأة على الدين » (ص ١٥) وجدناه يحتمى فى هذا الكتاب بنصوص الاخرين ، وعلى وجه التحديد بنصوص الشيخ **محمد عبده ورشيد رضا** فى (تفسير المنار ، ويقول برراً ذلك « وقد أردت بهذه النصوص الكثيرة ان اقطع على هؤلاء سبيلهم الى الجرح والتشهير » (ص ١٥) . ولعله قد ادرك ان هذا الموقف الذى اضطر اليه قد كاد أن يذهب بوضوح شخصيته القوية اللامعة هو فى هذا الكتاب ، فاعتذر عن ذلك عندما توجه بالرجاء الى القارىء « ألا يضيق ذرعا بهذه النصوص العديدة التى سردتها ، فقد كنت مستكشفا لقيمنا من تراثنا ، **ولم أكن صانعا لرأى جديد فى موقف جديد** » [ص ٢٢٥] .

والدكتور خلف الله يؤكد لنا فى اكثر من موقف انه مضطر الى هذا المسلك طلبا للسلامة من الجرح والتشهير ، وانه يرى فى هذا الامر شيئا يستحق الاسف ويستدعى العمل الجاد كى تعود للباحث اليوم جرأة السلف الصالح فى هذه الأمة ، عندما كان القرآن الكريم يحفل بالاراء المعارضة ، وعندما كان الرسول يناقشها ويقارعها بالمنطق والبرهان ، على ما فيها من عوج وفساد بين الظهور ، وعندما كان « التاريخ الاسلامى يحفظ لنا مقدارا كبيرا من الاراء الحرة التى كانت نتيجة جدل قوى عنيف بين المفكرين المسلمين ، وهذا الجدل انما يدور حول بعض القضايا التى نعجز نحن اليوم عن طرح مثيلاتها ، لقد كانوا يطرحون للجدل والمناقشة قضايا : الوجود والعدم ـ الله والوحدانية ـ والقدم والبقاء ـ القرآن ، وهل قديم هو أو مخلوق » البعث وما بعد البعث من ثواب أو عقاب ـ عصمة الانبياء ، وما عده القرآن عليهم من أخطاء ـ الى غير ذلك من المسائل الدينية والفلسفية التى حفظها لهم التاريخ ، والتى نعدها نحن اليوم من التراث الذى نعتز به ونفخر » .

وعندما يقارن **الدكتور خلف الله** بين مستوى هؤلاء السلف والقضايا التى طرحوها فى عصرهم وبين المستوى الذى يجعله هو فى النصف الثانى من القرن العشرين يحتمى بنصوص (**تفسير المنار**) ليقدم رأيا يراه فى كيفية بناء الاسلام للمجتمع العصرى الحديث ، يقطع بأن « الازمة التى نعانيها اليوم ليست الا أزمة فكرية » ؟! (ص ١٦٩ ، ١٧٠) .

ولعل من « حسنات » هذا الموقف الذى اضطر اليه المؤلف ـ اذا جاز هنا استخدام كلمة « حسنات » ـ انه قد وضعيدنا على أمر هام جدا فيما يتعلق بالمحتوى الاجتماعى المتقدم الذى تضمنه [تفسير المنار] للقرآن .. فالقارىء الذى يطالع (فى ص ١٥ ، ١٦) قول الدكتور خلف الله : « ان تفسير المنار هو التفسير الاسلامى الذى يمكن أن يسمى بالتفسير الاجتماعى ، أو التفسير الاشتراكى للقرآن ... واننا اليوم فى حاجة الى التفسير الاشتراكى للقرآن ، وتفسير المنار يعطينا المنهج السليم لمثل هذا التفسير » . قد يرى فى هذا القول مبالغات فى تقييم ذلك التفسير ، ولكن الاقتباسات التى غطت أغلب صفحات هذا الكتاب من تفسير المنار بالذات ، تضع يد القارى بالفعل على صفحات دفينة وهامة من التفكير الاجتماعى المتقدم لدى كل من **الشيخ محمد عبده ، ورشيد رضا** ، أودعت صفحات هذا التفسير ، ولعل

الكثيرين من الذين لم يقرأوا هذا التفسير لايعرفون ان الشيخ **محمد عبده** قد استخدم مصطلح « **الاشتراكية** » و « **الاشتراكيين** » ، وتحدث عن « **مذاهب الاشتراكيين** » (ص ٨٢ ، ١٠٢) قبل مطلع هذا القرن · والنصوص التى اقتبسها **الدكتور خلف الله** من هذا التفسير ، والتى اشتملت على هذه المصطلحات مفيدة جدا ، وخاصة للذين ينكرون معرفة لغتنا لهذه المصطلحات قبل ثورة سنة ١٩١٩ م ، أو قبيلها بقليل .

غير ان ذلك لا يعنى اتفاق الجميع مع المؤلف فى أننا اليوم بحاجة الى **التفسير الاشتراكى للقرآن** ·· ذلك ان كثيرا من الناس يفضلون ان يكون تفسير القرآن بمعزل عن **الارتباط** بالنظم الاجتماعية التى لا تعدو ان تكون استجابة لمرحلة فى سلم التطور الانسانى الطويل ، وذلك حتى تظل للقرآن وتفسيره صلاحيات الخلود فى كل زمان والعموم فى كل مكان · وايضا حتى لا يكون تفسيرنا الاشتراكى للقرآن بابا لتفسير اقطاعى وآخر رأسمالى للقرآن ؟! خصوصا واصحاب هذا الرأى ، او بعض منهم على الاقل ، لا يقفون موقفا اجتماعيا رجعيا ، وانما هم يرون ان القرآن قد وقف اجتماعيا الى جانب **الانسان العامل** الذى يبنى ويعمر فى هذه الحياة ، وأنه قد انحاز الى صف **الجماعة والجماعية** ، وانه قد رسم للبشرية « **مثلا عليا** » **فى العدالة الاجتماعية** تستظل النظم الاقتصادية والاجتماعية تجتهد كى تحقق معناها ومضمونها على الارض فى مجتمع الانسان · اى انه يقف دائما مع التطور ، ومع اكثر النظم تقدمية ، ومع النظم التى تحقق اكبر قدر مستطاع من **العدل والحق والخير والجمال فى** هذه الحياة ، دون ان يربط نفسه بنظام معين قد يكون مستجيبا اليوم لمتطلبات الحياة ، ثم لايفى بذلك فى المستقبل البعيد ·

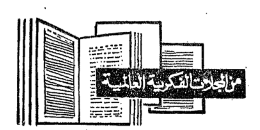
وربما لا يكون **الدكتور خلف الله** على خلاف حقيقى مع وجهة النظر هذه ، وذلك بدليل انه فى كثير من صفحات الكتاب يؤكد ان الاسلام لم يتعرض لتفصيلات بناء المجتمع السعيد الذى يدعو اليه ، وانه لم يطلب اكثر من ان يبنى هذا المجتمع فى اطار من **الحق** والعدالة **والامانة** ، وان كون الاسلام خاتم الاديان السماوية ، انما يعنى ــ بل من أهم ما يعنى ــ اعلان نضج الانسانية حيث قد بلغت « مرحلة من النضج تأذن بأن تترك لنفسها لتضع من النظم الحضارية ما يلائم حياتها وأحوالها ، ومن ثم فان « السماء هى التى رفعت الوصاية عن أهل الارض » كى ينظموا حياتهم وفق الصالح العام ، وان ما هو ابدى خالد فى القرآن انما يختص أساسا « بالمعتقدات الدينية المتعلقة بالايمان بالله ، وملائكته وكتبه ، ورسله ، واليوم الاخر · وماهو غير أبدى ومتغير بطبيعته : هو ما يدخل فى ميدان المعاملات من كتب الفقهاء ، او هو ما يرتبط بالصالح العام فى هذه الدنيا » [ص ٧ ، ٨] .

ومن ثم فربما كان الاوفق ان يتفق الذين يجتهدون كى يقف الدين فى صف التقدم على عدم اقحام القرآن وتفسيراته فى **المواقف المؤقتة والقضايا المرحلية** ، اجتماعية او علمية ، وان يحتفظوا له بمكانة الكتاب الاول فى حياة العرب والمسلمين الذى يستحث خطاهم ، اجتماعيا ، كى تحقق اقصى ما يستطاع تحقيقه فى ميدان العدل الاجتماعى بالنسبة للانسان ، هكذا دائما وباستمرار .

واذا كانت هذه « الانطباعات » التى يقدمها هذا العرض للكتاب ، هى اشياء **تغرى القارىء بمطالعته** ، فان العديد من **القضايا الهامة** والاساسية التى عقد لها الكتاب العديد من الفصول تستوجب من كل المعنيين بهذا البحث ان يطالعوه ···ففى الكتاب حديث كثير عن **علاقة** الجوانب الحضارية فى الاسلام بالجوانب الدينية · وكيف ان ارتباط الاسلام بالقيم الانسانية هو الذى اعطاه طابعه العالمى · وعن **موقف** الاسلام الذى يرفض النظام الرأسمالى ، لانه النظام المشتمل على قسمات المجتمع الجاهلى الذى صنعته شهوات الانسان ، والذى حاربه القرآن (ص ٢٣ ــ ٣١) وان هذا الموقف الاسلامى المعادى للرأسمالية انما يتجلى أهم ما يتجلى فى عدائه للملكية الفردية الخاصة ، كما تقررها الرأسمالية ، وذلك عندما يقرر ان ملكية الارض وما فيها من ثروات انما هى لله ، وليس للانسان العامل فيها اكثر من حق **الانتفاع** عن طريق **الحيازة** ، وان مفهوم « الملكية » انما هو طارى فى التاريخ كثمرة « لانانية الاقوياء » الذين جعلوا لانفسهم « حق التملك » بدلا من « حق الانتفاع » (ص ١١٤ــ١١٦، ١٢٣) ·

هذا الى موقف الاسلام من العمل ، وقيمته ، فهو الى جانب كونه « اشرف الطرق فى كسب المال »

فانه « هو الاسلوب الوحيـــد الذى يستثمر به الانسان ما فى الكون من ثروات طبيعية او بشرية ـ مادية اقتصادية ، او عقليــة روحيــة » (ص ٤٣،٦٤) ، وهى جميعها قضايا ترشح هذا الكتاب لقراءة المعنيين برؤية الجوانب المشرقة والمتقدمة فى فكر الاسلام وتفكير المسلمين .



المحتـوى الاجتمـاعى للراديكاليـة اليســارية فى الولايات المتحـدة

فى عدد مايو ١٩٧٠ لمجلة « الاقتصاد العــالمى والعــلاقات الدولية » الشهرية الســوفيتية ، نشر ن. نوفيكوف احد المهتمين بمشــاكل الحركة الدولية للطبقة العاملة دراسة مستفيضة تحت عنوان : المحتــوى الاجتماعى للراديكالية اليسارية فى الولايات المتحدة .

وفى الجزء الاول من هذه الدراسة يتعرض الكاتب لظروف البلدان الرأسمالية المتطورة وما ترتب عليها من ظهور اتجاهات جديدة فى النظرة البورجوازية والراديكالية الى العالم . وتبدو هذه الاتجاهات أوضح ما تكون فى الولايات المتحدة حيث تمتد التناقضات الاجتماعية والاقتصــادية للرأسمالية المعــاصرة بشــكل متزايد ، وتحتل الراديكالية اليسارية مكانا هاما بين الاتجاهات اليسارية البورجوازية فى الولايات المتحدة ، حيث نمت شعبيتها فى الفترة الاخيرة مع نمو موجة النقد والنشاط السياسى والاجتماعى فى صــفوف الجماهير . ويعتبر هربرت ماركوس ابرزشخصية بين الراديكاليين اليساريين رغم ان آراءه لا تعبر تعبيرا كاملا عن مختلف الاتجاهات القائمة .

ثم ينتقل الكاتب بعد ذلك الى تحليل بعض الجوانب النظرية للراديكالية اليسارية فى الولايات المتحدة ، ويناقش دورها الاجتماعى ، ومستقبلها التاريخى فى المجتمع الامريكى . ويرى الكاتب أن الافكار الاســاسية لــلاتجاهات اليســارية البورجوازية فى الولايات المتحدة يعبر عنها خير تعبيرماركوس فى كتابه الشهير « الانسان ذو البعد الواحد ـ دراسات فى ايديولوجية المجتمــع الصيناعى المتقدم » (بوستون ١٩٦٤) ذلك الكتاب الذى اكتسب شهرة واسـعة بيـن مـؤيديه ومعارضيه .

والنقطة الرئيسية فى مفهوم ماركوس تتركزفى فرضية يصوغها عــن الشكل « الشيـمولى » و « الكلى » لسيطرة « المجتمع المنظم » علـى الشعب . ويرى ماركوس أن كل نشاط اجتماعى تاريخى (فى المجالات الاقتصادية والسيـاسية والروحية) ، انما هو عملية خضوع ذاتى من قبل الانسان للسيطرة « الكلية » و « الشمولية » للقوى الخارجة عن ارادته والتى لا تعتمد عليه . ويرى ماركوس أن مقاييس الانسان لكافة المسائل قد تغيرت بالمقــارنة مع المجتمعات البورجــوازية القديمة . والفكرة الجديدة عن الحرية يجب أن تكون فى رأيه ذات طبيعة « مطلقة » وتتضمن سيادة الانسان على كافة اشكال السيطرة التى تواجهه ، أى على المحتوى الاجتماعى للعلاقات الاجتماعية . ان المجتمع القائم يخلق فردا من نوع جـديد « الانسان ذو البعد الواحد » . ويرتكز بناء وعى هذا الانسان على بعد واحد فحسب ، هو علاقته بالمجتمع ككل . ويدافع ماركوس عن أن المجتمع القائم هو شكل مغلف للسيطرة ، وانه لا حق له فى البقاء . فما هى الطرق التى يرسمها للرفض الاجتماعى العملى لهذا المجتمع ؟

لا يخفى ماركوس أن المسألة تبدو له فى غاية الصعوبة ، بل تكاد تكون مستحيلة التحديد . لاننا كما يقول لا نستطيع أن نتبين فى المجتمع القائم العوامل التى تقود الى التغيير ، أو القوى التى ستقوم بهذا التحول . وهكذا فان النظـر الى الانسان المعاصر باعتباره عاملا سلبيا فى التاريخ

وليس صانعه الفعال يعتبر قسمة مميزة للنظرة النقدية المنتشرة فى الولايات المتحدة اليوم · ولابد من أن نشير الى أن مثل تلك النظرة تكمن فى كل المفهومات التى ترى أن المجتمع المعاصر انما هو تعبير عن تجميع لافراد غير متحدين، وفرديين اجتماعيا، بل وفقدوا كل قدرة على العمل المستقل · ان جوهر فكر ماركوس يكمن فى انه يستبعد امكانية مشاركة الانسان المعاصر فى أى محاولة جادة لاعادة صياغة المجتمع القائم، كما ينكر قدرة الانسان على الاستجابة للظروف الخارجية والتفاعل معها · ويتحدد اهتمام الانسان المعاصر «ذو البعد الواحد» فى المحافظة على «كلية» المجتمع الذى لا يعطى لاى ناقد أى فرصة كى يطرح بطريقة معقولة طرق واساليب تغييره · ولا شك فى أن ماركوس بذلك انما يعجز عن رؤية التناقضات الداخلية فى المجتمع الراسمالى المعاصر، وزيادة هذه التناقضات حدة مع ما يترتب على ذلك من زيادة فعالية الدور الذى تلعبه الجماهير المضطهدة من أجل التغيير الاجتماعى وتزايد فرص وامكانيات هذا التغيير ·

ومما لا شك فيه أن افكار ماركوس رغم ما تقوم عليه من خطأ انما تشكل وجهة نظر متماسكة · ويرجع ذلك الى انها تعبر عن موقف اجتماعى لجماعات اجتماعية معينة تجاه المجتمع القائم · ويبدو ماركوس من ثم، فى صورة مفكر «اليسار الجديد» فى الولايات المتحدة، والموجه للنشاط العملى لبعض فصائل حركة الشباب · ونتيجة لذ حركة الشباب المعارضة فى الفترة الاخيرة يرى البعض أن تلك الحركة تعبر عن اكثر اقسام المجتمع الامريكى استعدادا لمقاومة الظلم الاجتماعى · غير أن جزءا من حركة الطلاب اليسارية ذات طابع عدمى يتضمن برنامجها رفض الواقع ومعارضته · **ويتمثل ذلك بوضوح فيما كتبه ماركوس من أن الاشكال الجديدة من الحرية التى يحتاجها المجتمع يمكن أن نجدها فقط فى «التعريفات السلبية» · وتتميز قطاعات كبيرة من حركة الشباب فى الولايات المتحدة بشعور بالقدرية · وبأنه لم يكن لهم أى فرصة فى تشكيل الماضى ولا الحاضر ولا مطامح لهم فى المستقبل · وتلك هى جوهر ازمة الشباب الايديولوجية (رفض المجتمع القائم، والتصرف العاطفى والانفعالى حيال المشاكل الاجتماعية) ·**

ان القسمة المميزة للنشاط السياسى للشباب الامريكى اليوم هى انه تعبير عن «العدمية الكاملة» · وقد تبلورت هذه الايديولوجية خلال الخمسة عشر عاما الاخيرة واصبحت مثار اهتمام كثير من الباحثين · والطلبة الامريكيون الذين يشاركون بنشاط فى المظاهرات والاضطرابات هم تعبير عن ذلك الاتجاه الانسانى القدرى المشوش الذى يختلط فى ذهنه الاستعداد للنضال مع القدرة على ذلك · وهو فى نفس الوقت يبرر عدم جدوى وفعالية الجهد البشرى، وينظر الى قضايا النضال الحقيقية باعتبارها موضوعا للدراسة والتأمل فقط ·

وهكذا تعكس الراديكالية اليسارية الجانب المتمرد فى حركة الشباب الامريكى · **لكن الشك فى جدوى النضال تسيطر عليهم، لا كتعبير عن موقفهم المتهادن، أو كتعبير عن ترددهم، وانما كتعبير عن الافكار التى تسيطر عليهم حول أن الموقف النقدى أو «الرفض الكلى» هو الموقف الاسمى ·** ان نظرية «الرفض الكلى» للمجتمع لا يمكن أن تساعد على تغيير المجتمع وفقا لبرنامج محدد، وعجز الراديكالية اليسارية عن أن تتحول الى برنامج ايديولوجى للعمل الاجتماعى العملى انما يحدد الاساس الاجتماعى الذى ترتكز عليه · ويمكننا القول بان الفئة الاجتماعية التى يطلق عليها اسم «الشباب» انما تشكل الاساس الاجتماعى للايديولوجية الراديكالية اليسارية فى الولايات المتحدة · ان الغالبية العظمى من هذا الشباب من الطلبة الذين ليست لهم صلات وثيقة ولم يتداخلوا بعد مع الاجهزة البيروقراطية للمجتمع، ولكن بمجرد أن يلتحق الطالب باحد الوظائف بعد تخرجه ينخرط فى النظام البيروقراطى للمجتمع، ويتحدد وضعه الاجتماعى ويبدأ فى التخلى عن افكاره بالتدريج، **ان انعدام استقرار الراديكالية اليسارية**، وارتباطها بفترة محدودة فى حياة **الشباب يجعل من المستحيل ان تتحول الى ايديولوجية للحركة الاجتماعية ·**

وتمتص المؤسسات العلمية والسياسية للمجتمع الامريكى الشباب المتمرد · ودخول الشباب الى هذا المجال ينقلهم الى المؤسسات القائمة للمجتمع والى التناقضات التى تحكمها، التناقضات بين المجموعة المختارة التى تتمتع بالامتيازات والسلطة وبين المثقفين الفنيين والاداريين الذين يمتلكون مهارات عالية ويلعبون دورا هاما فى ادارة المجتمع ولكنهم لا يملكون سلطة اقرار المسائل الاساسية فى توجيه المؤسسات الاجتماعية · ويزداد نمو هذه الفئة من الاداريين والتكنوقراطيين، ويضطرد اتساعها مع تطور الانتاج الحديث · ونمو هذه الفئة من البيروقراطيين والاداريين والفنيين يضعهم فى تعارض مع المؤسسات القائمة للنظام البورجوازى · ومع اتساع حجم هذه الفئة وازدياد نفوذها بدأت ايديولوجيتها تتبلور بدرجة أو أخرى · ونتيجة للصلة العضوية الوثيقة بين

الراديكالية اليسارية وبين الفئة الواسعة من البيروقراطيين والتكنوقراطيين يمكن القول بان الراديكالية اليسارية هى التعبير الايديولوجى عن تلك الفئة الجديدة من المثقفين الامريكيين • لكن سرعان ما يتم تهذيب تلك الاتجاهات المتمردة داخل ماكينة المؤسسات الاجتماعية الضخمة ، ومن خلال مستلزمات جهاز الدولة البيروقراطى • ويتضح من ذلك أن تلك الفئة لا يمكنها أن تكون قوة اجتماعية تحويلية فى المجتمع ، وانما تعمل فى اطار النظام القائم كى تشق طريقها نحو مزيد من الامتيازات تنتزعها من المجموعة المختارة المتربعة على عرش الامتيازات والسلطان •

■■■

حقيقـــة الرأسماليـــة اليابانيـــة

يعتبر المقال الذى كتبه **ف • سـوفاج** تحت عنوان « **ملاحظـات عـن الامبريالية اليابانية** » من اهم المقالات التى تضمنها العدد الخامس (مايو ٧٠) من مجلة **الكراسات الشيوعية** • وفيه أشار الكاتب الى أن اليابان تمكنت على الرغم من هزيمتها الساحقة فى الحرب الاخيرة ، من أن تصبح الدولة الثالثة فى العالم من ناحية المقدرة الاقتصادية ، وثانى دولة فى المعسكر الرأسمالى •

وبسبب تحقيق هذه النتائج انهال الثناء على « ذكاء وجرأة » أصحاب الاعمال اليابانيين وعلى اجتهاد الطبقة العاملة اليابانية ، وانكارها لذاتها • ومن ثم شرع العالم الرأسمالى يقدم اليابان « كمثل ينبغى ان يحتذيه الاقتصاد المتعثر » بل وقدمت « كنموذج » يحتذى للبلدان النامية •

وأشار الكاتب فى تمهيده لبحث تلك القضايا الى أن اليابان التى توجد فيها أعلى نسبة كثافة سكان فى العالم (١٠٢ مليون نسمة و٣٦٠ الف ك•م) ، والتى لا يوجد فيها الا القليل من الفحم والحديد والنحاس ، والتى تستورد البترول وكافة المعادن والصوف والقطن ، هذا البلد استطاع أن يحقق معدلات نمو لم تحققها بلدان الرأسمالية الاخرى ، ففى الفترة من ١٩٥٥ الى ١٩٦٣ كان متوسط الزيادة السنوية فى اجمالى الناتج القومى ١ر١٠ فى المائة • وبعد الانخفاض الملحوظ فى ١٩٦٤ و١٩٦٥ عاد المعدل الى الارتفاع ليصبح ٨ر١٠ فى المائة عام ١٩٦٦ ، وفى ١٩٦٧ بلغ ٧ر١٣ فى المائة ، وفى ١٩٦٨ بلغ ٩ر١٣ فى المائة ، واذا أخذنا عام ١٩٥٥ سنة قياس فسنجد أن الانتاج الصناعى بلغ عام ١٩٦٦ ، ٤٣٤ فى المائة بالمقارنة مع سنة القياس ، والانشاءات الميكانيكية ٧٩٧ فى المائة والاستثمارات ٨٠٠ فى المائة •

وبينما تضاعف الإنتاج الصناعى فى العالم الرأسمالى فى الفترة من سنة ١٩٥٠ الى سنة ١٩٦٨ بنسبة ٦ر٢ مرة ، تضاعف الانتاج الصناعى فى اليابان فى نفس الفترة بنسبة ٧ر١١ مرة ، وازداد نصيب اليابان فى انتاج العالم الرأسمالى من الصلب من ٣ر٩ فى المائة فى عام ١٩٦٠ ، الى ٤ر١٨ فى المائة فى عام ١٩٦٨ ، وفى الطاقة الكهربائية من ٦ر٤ فى المائة الى ٨ فى المائة ، وفى انتاج السيارات من ٩ر٤ فى المائة الى ٢ر١٤ فى المائة ، وفى الحاسبات الالكترونية من ٤ فى المائة الى ١ر٥ فى المائة • وفى هذا العام لحقت اليابان بجمهورية ألمانيا الاتحادية ، ووصلت الى المرتبة الثانية فى العالم الرأسمالى بالنسبة لانتاج العقول الالكترونية ، وحققت طفرة كبيرة جدا ، كذلك فى مجال الصادرات ، فبعد أن كان نصيبها من صادرات العالم الرأسمالى فى سنة ١٩٦٠ لا يتجاوز ٦ر٣ فى المائة ، أصبح فى ١٩٦٨ ، ٦ فى المائة ، وبمعنى آخر **فان تطور علاقات القوى بين الدول الامبريالية نفسها ، يتجه لصالح الاحتكارات اليابانية** هو عنصر هام فى تحليل الظاهرة المطروحة •

وهناك فى الحقيقة عاملان اساسيان ساعدا على سرعة نمو الاحتكارات اليابانية ، أولهما : خفض النفقات العسكرية ، اذ أدت الاجراءات التى اتخذت فور انهاء الحرب ، والمحظورات التى تضمنها الدستور الى خفض هذه النفقات غير المنتجة الى حد كبير للغاية ، وعلى سبيل المثال توضح الاحصاءات التى ينشرها معهد الدراسات

الاستراتيجية البريطانية (الميزان العسكرى لعام ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩) أن النفقات العسكرية تمثل ١٢٫٧ فى المائة من اجمالى الناتج القومى السوفيتى ، و٩٫٨ فى المائة من اجمالى الناتج القومى الامريكى ، و٤٫٣ فى المائة من اجمالى الناتج القومى الفرنسى ، فى حين تهبط هذه النسبة فى اليابان الى ٩ر فى المائة من اجمالى الناتج القومى ، بمعنى أنه أمكن فى اليابان تخصيص أغلب الاستثمارات للقطاعات المنتجة ، وبشكل خاص لادوات الانتاج (١) .

وبالاضافة الى ذلك **استفادت الاحتكارات اليابانية من الحروب التى شنتها الامبريالية منذ ١٩٤٥ ضد الحركة الثورية فى آسيا** ، وقد كان العدوان الامريكى فى كوريا مربحا تماما ، فقد تدفق على الرأسماليين اليابانيين بسببه سيل من الطلبيات ، بالاضافة الى نفقات الامداد والتموين والمهمات الخاصة بالجيش الامريكى والتى كان يقوم بها الرأسماليون اليابانيون .

وفى الحقيقة ، **أتاحت حرب كوريا تمويل عملية اعاده بناء القطاعات الحاسمة على أسس أكثر اتساعا ـ وهى الصلب ، والقطاع الميكانيكى الثقيل ، والصناعة الكيميائية** ـ وذلك فى وقت كانت اليابان تواجه فيه الصعوبات من أجل مجرد اعادة بناء صناعتها الخفيفة ، وكانت تنقصها فيه رؤوس الاموال نقصا كبيرا ، ثم ساعد تصعيد أمريكا للحرب فى فيتنام الاقتصاد اليابانى على التغلب على التدهور الملحوظ الذى كان يعانى منه فى ٦٤ ، ٦٥ . ومكن التصعيد الرأسمالية اليابانية من الاندفاع نحو الاسواق الخارجية (وبخاصة أسواق كوريا الجنوبية وتايوان وتايلاند) . وتقدر الطلبيات السنوية المرتبطة بالحرب بأكثر من مليار دولار .

أما العامل الهام الثانى الذى ساعد على سرعة نمو الاحتكارات اليابانية فيكمن فى صور الاستغلال الوحشى ـ والمصنع فى الوقت نفسه ـ للجماهير الشعبية ، فعلى الرغم من أن اليابان هى ثالث دولة فى العالم من ناحية القوة الاقتصادية ، الا أنها ـ فى الوقت نفسه ـ البلد العشرون من ناحية دخل الفرد ، وليس هذا بغريب ، فمن المعروف مثلا أن لصاحب العمل وحده ، حق الاشراف على الشئون الاجتماعية فى مؤسسته ، وله وحده فقط الحق فى تحديد الذين تقدر لهم العمالة ، مدى الحياة ، بمرتب كامل ، وعلى أية حال فان المستفيدين من هذه الامتيازات ليسوا سوى اقلية من العاملين ، وعادة ما يفوز بها أولئك العاملون الذين يقبلون تحكمات الرأسماليين اليابانيين باعتبارها جزءا من نواميس الطبيعة ، ويحرم منها ـ بالتالى ـ من يتصدون للدفاع عن حقوق العاملين .

هذا فى الوقت الذى بلغت فيه أسعار السلع الاستهلاكية فى اليابان أقصى ارتفاع لها بالنسبة لما هو سائد فى البلاد الرأسمالية المتقدمة الاخرى ، ولو أخذنا سنة ١٩٦٠ سنة قياس (أى ١٠٠) نجد أن المعدل العام للاسعار ارتفع فى ١٩٦٨ الى ١٥٦ أما السلع الضرورية فبلغت أقصى ارتفاع لها فأصبح سعر السمك ٢٦٥٫١ وهو مع الارز أساس الغذاء اليابانى ، والخضروات ٢٤٩٫٩ ، والفواكه ٢٢١٫٧ ، والمساكن ٢٢١٫١ ، واللحوم ١٨٤٫٥ ووصل الرقم المخصص لتغذية الفرد يوميا ١٥ ين فى حين يتطلب نظام التغذية المعقول ٣٠٠ ين يوميا ، وتعانى ١٠ ملايين أسرة من سوء المسكن كما أن التعليم فى اليابان ليس مجانيا ، وتستنزف النفقات الخاصة به ٣٠ فى المائة من موارد الاسرة المتوسطة ، واذا كانت بعض الاحتياجات الثانوية (مثل التليفزيونات ، والادوات الكهربائية والسيارات) يمكن تلبية الطلب عليها ، أو هى فى طريقها الى ذلك ، فمرد ذلك يرجع الى أن هذه السلع تتيح للاحتكارات اليابانية تحقيق أرباح مرتفعة الى أقصى حد ، على خلاف الوضع بالنسبة للاحتياجات الاساسية للشعب (الغذاء والمسكن والتعليم) .

وتسيطر على الاقتصاد اليابانى بعض التروستات الاقتصادية الضخمة ، وبضع عشرات من الاشخاص ، وهناك اربع مجموعات ضخمة تسيطر على القطاعات الاساسية للاقتصاد اليابانى هى : **ميتسوبيشى ، وميتسوى ، وسوميتومو ، ويازودا** . وتسيطر المجموعات الثلاث الكبرى الاولى منها ـ وفقا لاحصاءات سنة ١٩٦٨ ـ على ٦٣٫١ فى المائة من انتاج السيارات ، و٣٨٫٨ فى المائة من الالومنيوم ، و٦٣٫٤ فى المائة من النحاس ، و٤٣٫٥ فى المائة من الوقود ، أما التركز المالى فهو أشد من ذلك .

وللتعرف على حقيقة الوضعية الاقتصادية التى تتمتع بها الامبريالية اليابانية عالميا نجد أنه من بين

---

(١) هذه الارقام التى ينبغى تفهم دلالتها ، توضح بشكل جلى مدى الثقل الذى تمثله بالنسبة للاتحاد السوفيتى نفقات الدفاع عن اراضيه ، واراضى المجموعة الاشتراكية ، والمساعدة المقدمة منه الى حركات التحرر الوطنى ؛ وهذا يلقى الضوء على مدى تاثير تلك النفقات على الحد من التنمية السريعة المتناسقة التى يمكن ان يتيحها فحسب اسلوب الانتاج الاشتراكى .

أكبر ٢٠ بنكا فى العالم ــ حسب احصاء مجلة فورتشن الامريكية فى عددى مايو وأغسطس ١٩٦٩ ــ هناك ٤ بنوك يابانية و٨ أمريكية و٣ بريطانية وبنكين كنديين وبنكين فرنسيين وبنك ايطالى .

ومن بين أكبر ٢٠٠ مؤسسة صناعية غير أمريكية فى العالم ، ــ حسب احصاء ١٩٦٨ ــ هناك ٤٥ مؤسسة يابانية ، و٤٧ مؤسسة بريطانية ، و٢٨ مؤسسة ألمانية غربية و٢١ مؤسسة فرنسية .

والحقيقة أن المرحلة الحالية للرأسمالية اليابانية ، تتطابق تماما مع التعريف الذى وضعته الحركة العمالية العالمية لرأسمالية الدولة الاحتكارية . فهناك ميكانيزم موحد يضم قوة الاحتكارات مع قوة الدولة ، وقد أكد رئيس الوزراء ايكيدا فى ١٩٦١ « أن الحكومة والعسكريين والماليين هم بوصلة السفينة » . **وفى هذا النظام تتمتع البيروقراطية بوضع استراتيجى ممتاز فى السياسة والاقتصاد** ، فالاحتكارات تستشعر ضرورة خطب ود البيروقراطيين ، وهؤلاء يجاهدون لتلبية مطالبها ضمانا للحصول على المناصب الهامة بعد انهاء مدة الخدمة .

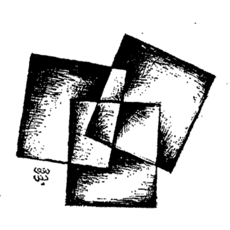
ويتضح الوزن الخاص للبيروقراطيين اذا أدركنا أن ٤٦ فى المائة من الوزارة طوال العشر سنوات الماضية جاءوا من صفوفهم .

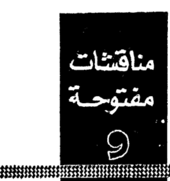
والجدير بالذكر ، **أن عنصر العلاقات العائلية ، له أهميته فى دعم حكم الرأسمال الاحتكارى اليابانى** ، اذ ترتبط برباط وثيق فيما بينها ، العائلات الكبرى فى مجالات المال والسياسة والنبلاء القدامى ، وكبار رجال الادارة ، وكبار قادة الجيش والجامعات والامراء والعائلة الامبراطورية .

ومن الناحية السياسية يعد الحزب الحر الديموقراطى ، الممثل المباشر للاحتكارات ، وتقوم الاحتكارات بتمويله على مرأى ومسمع من الجميع ، وهناك سمة خاصة يتسم بها هذا الحزب، آلا وهى وجود « الزمر » و « الشيع » بداخله ، ولكل زمرة أو شيعة صحفها واجتماعاتها وزعيمها ، وتستخدم البرجوازية اليابانية هذه الشيع فى أخطر عملية تمويه تقوم بها ، اذ تتيح لها أن تضع الاقنعة على الانقسام الطبقى فى اليابان وتقوم الخلافات بينها باعتبارها مظهرا للحيوية والديموقراطية والتجدد السياسى .

وبعد فالامر الواضح بعد ذلك ، هو أن الاحتكارات اليابانية بلغت درجة عالية من التطور ، ومن المتوقع أن تلعب دورا متعاظما فى السنوات العشر القادمة ، ويقول الكاتب :

« لقد أبرزت الاحتكارات اليابانية انيابها من قبل ، ويبدو أنها قررت استعادة الارض التى فقدتها بالهزيمة ،ولكن بين الحلم وبين تحققه ، هناك هامش الواقع والكفاح الشعبى » .







ماذا يفيد مجتمعنا من قصر استيراد الأفلام الأجنبيــة على القطاع العـام

مهندس فوزى حبشى
مدير مبانى مؤسسة السينما

قرأنا اخيرا ان السـيد الدكتور وزير الثقافة يدرس مع السيد الدكتور وزير الخزانة مشروعا بقانون بقصر استيراد الافلام الاجنبية على القطاع العام ، وأن لجنة الخدمات بمجلس الامة أمامها هذا المشروع بقانون .... فماذا يفيد مجتمعنا من هذه الخطوة الهامة ؟

تمهيد : أحب أن أوضح هنا أننا لسنا بصدد أستصدار قانون جديد بل المرجو هو الغاء أستثناء من قانون قائم . فانه فى أغسطس ١٩٦٣ صدر القانون رقم ٩٥ لسنة ١٩٦٣ فى شأن تنظيم الاستيراد ، ونصت المادة الاولى منه على ان يكون أستيراد السلع من خارج الجمهورية بقصد الاتجار أو التصنيع مقصورا على شركات وهيئات القطاع العام او تلك التى يساهم فيها القطاع العام، الا ان ادارة الفتوى والتشريع لوزارة الاقتصاد قد اصدرت فتواها رقم ٣٤٦ ـــ ٥٨ ـــ ٣٧٢ وانتهت فيها الى أن استيراد الفيلم الاجنبى لا يتم بقصد الاتجار فيه ومن ثم لا ينطبق عليه حكم المادة الاولى من القانون سالف الذكر .

وبغض النظر عن كيفية صدور تلك الفتوى عقب مذكرة قدمت من السيد مدير منطقة البحر الابيض لجماعة مصدرى الافلام الامـريكية (**كولومبيا** ، مترو جولدين ، **بارامونت** ، **فوكس** ، **يونايتد آرتست** ، **يونيفرسال** ، **وارنربرودرس**) ، اورد فيها ان استيراد الافلام لا يمكن ان يكون من اعمال الاتجار ، بل هى عملية اشبه بالخدمات . ؟ الخ .

فنحن نرى اليوم كيف جانب تلك الفتـوى الصواب ، اذ أن أستيراد الافلام ولو بطريق حق الاستغلال هو عملية تجارية اذ أن الفيلم سلعة من نوع خاص وليس الاتجار فيه هـو نقـل ملكية « بوبينات » الفيلم فقط ولكنه سلعة تنطوى على حق الملكية الادبية والفنية وهو حق معنوى ليس له كيان مادى ملموس يتم أستيراده من

الخارج بقصد نقله الى جمهور المشاهدين فى دور العرض مقابل أجر معين ، فرؤية الفيلم شأنها شأن قراءة الكتاب لا يتلقى القارىء أو المشاهد هنا قيمة أو سلعة مادية وانما قيمة فنية أو أدبية يقبل عليها ويدفع مقابل الحصول عليها ، ومن هنا تقوم المكاتب الاجنبية باستيراد الفيلم وتقدم للجمهور القيمة الفنية فيه مقابل ثمن معين تحول منه جزءا بالعملة الصعبة الى الشركات الاجنبية (الامريكية على وجه الخصوص) وتستعمل الباقى غير المحول فى أعمال قد تكون فى غير صالح البلاد .

ولقد كشف العمل خلال السنوات الاخيرة ان المكاتب التى تستورد الفيلم الامريكى تقوم دائما على خط مناوىء للسياسة الموضوعة فى مجال عرض الافلام ، الامر الذى يجعل مؤسسة السينما عاجزة عن التحكم فى البرامج الموضوعة طبقا للخطة الثقافية التى تضعها الوزارة ، فقد استطاعت السينما الامريكية ان تسيطر على السوق المصرية ، كما سيطرت على غيرها من الاسواق تقديرا منها لاهمية السينما كمصدر للربح وكأداة للحرب الفكرية ، فانهالت على السوق المصرية سلسلة لا تنتهى من أفلام الجنس والجريمة والعنف وتمجيد السيطرة العسكرية الاستعمارية كأفلام جيمس بوند وغيرها وغيرها . وتبرير العدوان فى كل مكان ومحاربة الفكر الاشتراكى — ولقد بات واضحا أن السماح بترك هذه الافلام يمثل تخريبا لكل الجهود الصادقة التى تبذلها الدولة من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية واتمام التحول الاشتراكى ، ذلك أن القيم التى تحاول الدولة أن تؤكدها فى معركة التحول الاشتراكى ، وهذا أمر يفرض بالضرورة ان يقتصر استيراد الفيلم الاجنبى على مؤسسة السينما حتى تستطيع أن تلتزم بالخطة الثقافية المستهدفة بأن تختار من الافلام الاجنبية عموما والامريكية خصوصا ما ينطوى على قيم فنية انسانية تسهم فى رفع مستوى التذوق ، هذا هو الطريق الوحيد لدرء خطر القوى الاستعمارية والصهيونية والرجعية التى تقف حاليا متربصة بنظامنا الثورى لا تترك سبيلا الا وسلكته من أجل تحطيمه وتقويضه من الداخل والخارج ، وليس اخطر من حرب الفكر سلاحا يدمر كل مجهوداتنا فى التطوير .

انه من المسلم به ان السوق الداخلية لاتستطيع فى العادة ان تغطى اكثر من ٤٠ ٪ من نفقات الفيلم المصرى ، اما الباقى (وهى النسبة الاكبر) فيتعين الحصول عليها من الاسواق الخارجية المعتادة مما يضعنا تحت رحمة الموزع فى تلك الاسواق ، وتفقد أفلامنا قيمتها كأداة توجيه تبشر بفكر معين أو ثقافة معينة ، وقد ساعد على سيطرة الفيلم الاجنبى (الامريكى بصفة خاصة) على السوق المحلية بهذه الصورة وازدياد ضراوة منافسته — فى السوق الخارجية — للفيلم المصرى ، ضعف صناعة السينما المصرية وانخفاض مستواها الفنى ، فهى تقف عاجزة فى منافسة الافلام الامريكية ذات الامكانيات الضخمة من حيث الصناعة والتكنيك والدعاية والاعلان ، وبذلك يذهب ويحول للخارج فى شكل عملات صعبة الجزء الاكبر من حصيلة ايراد عرض الافلام فى السوق الداخلية ولا يترك للفيلم المصرى الا قدر لم يكن فى يوم من الايام كافيا لتمويل الصناعة وتطويرها ، ويلجأ القائمون على صناعة السينما الى الدولة لسد العجز .

ان فى سيطرة الدولة عن طريق أجهزتها على توزيع وعرض الافلام واخضاع سوق الافلام الداخلية للتخطيط الاشتراكى بقصر استيراد الافلام الاجنبية على مؤسسة السينما سيرفع من نسبة العائد المحلى للفيلم المصرى تدريجيا فيخفف من العبء الملقى على الخزانة حين تعاون القائمين على هذه الصناعة لسد العجز المزمن .

والفيلم صناعة تدر فائضا من العملات الاجنبية فضلا عن أثرها الفكرى والثقافى ، ولهذا تعمل جميع الدول على اختلاف نظمها الاقتصادية على دعمها وتطويرها ، وأيسر السبل الى ذلك هو توجيه أكبر قدر من ايرادات السوق الداخلية لخدمة الانتاج المحلى ، وهذا يتطلب قصر حق استيراد الفيلم الاجنبى على مؤسسة السينما .

والانتاج السينمائى صناعة غير نمطية وبالتالى يصعب تحديد أسعار نمطية للافلام يمكن عن طريقها مكافحة التهريب فى استيراد وتصدير الافلام والسبيل اذن لتلافى ذلك يجب أن يكون عن طريق أشراف القطاع العام « مؤسسة السينما » على الاستيراد والتوزيع .

نخلص مما تقدم ، الى اننا نرى قصر حق استيراد الافلام على مؤسسة السينما ، أى ان يكون استيرادها وتوزيعها فى السوق الداخلية قاصرا على القطاع العام للاسباب التى أوضحناها والتى يمكن تلخيصها فى الآتى :

● أن أستثناء المكاتب الامريكية من القانون العام للاستيراد رقم ٩٥ لسنة ٦٣ قائم على فتوى خاطئة وذلك لان عملية استيراد الافلام — بجميع صورها — هى عملية تجارية يظهر أثرها فى ميزان

المدفوعات ويحول عنها ثمن بالعملة الصعبة لذلك فانها يجب ان تخضع للقانون المذكور .

● ان سيطرة الدولة على استيراد وتوزيع الافلام ضرورة يفرضها تنفيذ الخطة الثقافية والفنية من أجل تنفيذ الخطط ، والبرامج الاقتصادية والاجتماعية والفكرية فى سبيل تحقيق التحول الاشتراكى .

● ان قصر توزيع الافلام الاجنبية على القطاع العام سيزيد من حصيلة التوزيع بحيث يصبح كافيا لتمويل الانتاج السينمائى وتوفير الاعتمادات الضرورية لدعم صناعة السينما وتطويرها لمجاراة التطور العالمى فيها .

● اننا بذلك نزيد من اعتماد الفيلم المصرى فى تمويله على السوق الداخلية وبذلك نخلصه من الخضوع للموزع الاجنبى - فكريا وثقافيا واقتصاديا .

● ان زيادة حصيلة مؤسسة السينما من عرض الافلام المحلية أو الاجنبية المستوردة هو الوسيلة للحصول على الموارد الضرورية .

● ان دعم صناعة السينما يزيد من مقدرتها على تحقيق موارد من العملات الصعبة، ذلك لان ما يدخل من مستلزمات انتاج الفيلم من العملات الاجنبية لا يتعدى ٢٥ فى المائة من حصيلة الفيلم منها .

● والفيلم صناعة غير نمطية ولذلك تصعب مكافحة التهريب فيها عند تصديرها أو استيرادها ولذلك يتعين اشراف القطاع العام على استيراد وتصدير الافلام .

وبصرف النظر عن الاهمية الاقتصادية للصناعة فى ذاتها فان الاثر الفكرى والاجتماعى والثقافى لصناعة السينما يعطيها أهمية مضاعفة لا يجوز اغفالها عند اتخاذ أى قرار يكون له هذا المساس الخطير باقتصادياتها أو بمقدرة أجهزة الدولة على توجيهها فنيا وأدبيا واعلاميا .

لذلك ، فان سيطرة الدولة عن طريق القطاع العام « مؤسسة السينما » على توزيع وعرض الافلام سيطرة كاملة فى هذه الظروف الحرجة التى نحارب فيها معركة المصير ضد عدونا الاساسى ودو الاستعمار الامريكى لتمثل مطلبا ملحا يجد صداه لدى جميع العاملين فى الحقل السينمائى ولدى الحريصين على مستقبل صناعة السينما وتطويرها بل ومستقبل الوطن كله .

تجربة «مسرح القهوة» .. ونوعيات الجماهير

خيرى شلبى

مخطىء من يظن ان الحركات المسرحية التجريبية بمختلف اتجاهاتها تدل على ان المجتمع الاوروبى الحديث « يجرب » اشكالا جديدة يبتدعها، نظرا لانه استنفد كل الاشكال الكلاسيكية ، واصبح ينفر منها ، الواقع غير هذا تماما ، فالاوساط الفنية والادبية فى اوروبا لا تفهم معنى التجريب الذى يدور فى أدمغتنا ، ان مفهومنا للتجريب مفهوم خاطىء وغريب ، فلأول وهلة يحس المتابع لما يدور حول هذا الموضوع فى اوساطنا ان بنات افكارنا الادبية والفنية خرجت عن سيطرتنا ونزلت الى الاسواق الاجنبية تبحث لنفسها عن أزياء وموديلات جديدة تساير بها الافرنج ، فى حين ان مفهوم التجريب فى المجتمعات الاوروبية ، على حقيقته ، معناه أن هناك افكارا شاذة بالفعل تولد فى مناخ غير طبيعى وتحمل سمات فريدة وتتميز بأطوال وابعاد مختلفة تفرض على اصحابها ضرورة ان يفصلوا لها اشكالا على قدها من نفس قماشها ومن ذات نوعها .

ومن هنا يمكن ان يتضح الفرق بين ما يبدو على اعمالنا الفنية الشابة من تغريب ، وما يكمن فى الاعمال الفنية الغربية من وضوح تام هو فى حقيقة أمره وضوح الرؤية أمام الفنانين ، واغلب التجارب الفنية التى تخلقت فى مجتمعات الغرب وسادت اجواءه انما خرجت الى الوجود لتعبر عن احتياج ما ، ومطلوب من الذين يرون هذه التجارب

فى الخارج ان يدرسوها مرتبطة بالواقع الذى اوجدها ، وبالمناخ النفسى والاجتماعى الذى ساعدها على النمو ، اما اذا درسوها كتجربة مجردة فان الانبهار سيظل يحجب الحقيقة عن بصيرتهم حتى لو حاولوا محاكاتها فى مجتمعاتهم التى تختلف اختلافا تاما عن مثل هذه المجتمعات الاجنبية .

وتجربة « مسرح القهوة » واحدة من التجارب العديدة التى انتشرت حديثا فى مجتمعات الغرب وبخاصة فى فرنسا ، ويبدو ان أغلب مقاهى باريس قد صممت بحيث تكون منتديات أدبية وثقافية أكثر منها اماكن لهو وتزجية فراغ ، فاذا علمنا أن المفكر الكبير سارتر يكتب فى احدى هذه المقاهى تأكد لدينا انه من الممكن ان يقوم فى أى مقهى ـ كتلك التى يكتب فيها سارتر مثلا ـ عرض مسرحى متكامل .

والعروض المسرحية التى قدمت فى مقاهى باريس كما شاهدها البعض وكما عكستها الصحف تشير الى أن النص المسرحى ليس الا خطوطا عريضة فقط تحدد أبعاد الفكرة وتكون بمثابة أسهم توجه الممثلين الى اتباع الطريق السليم أثناء العرض ، اما العرض نفسه فان قدرة الممثلين الخلاقة تلعب دورا كبيرا فى تشكيله ، ولذلك فان العرض فى كل ليلة يختلف عنه فى الليلة السابقة مما يجعل العرض حيا نابضا بصورة مستمرة ، حافلا بانعكاسات لانفعالات جديدة فى نفس الاطار الموضوعى ، انهم يقومون باضافات تثرى العمل من الناحية الموضوعية ، وتعطيه أبعادا ربما يكون قد اغفلها فى البداية ، ومجموعة الشبان المصريين الذين قاموا بتنفيذ فكرة « مسرح القهوة فى قهوة المختلط ليسوا مطالبين بتقليد الشبان الفرنسيين فى عروضهم ، ولكنهم فى نفس الوقت مطالبون ـ أولا وقبل كل شىء ـ بدراسة شىء هام جدا .. ماهو الموضوع الذى ينبغى ان نقدمه لرواد المقاهى المصرية؟ ان رواد المقاهى عندنا فى غالبيتهم يختلفون عن رواد المسارح وعن رواد السينما وعن رواد المعارض التشكيلية ، هناك مثلا بعض المقاهى مخصصة لفئة معينة من الناس لدرجة أنها تكتسب اسمها من اسم الفئة التى ترتادها ، مثل « قهوة الخرس » التى ترتادها مجموعة هائلة من الخرس ، وقهوة الشيوخ التى يتردد عليها بعض المقرئين ، وقهوة الحانوتية ، وقهوة العوالم التى يتجمع فيها « الآلاتية » قبل ذهابهم الى الافراح ، وما الى ذلك من المقاهى التى تتساوى مع موقف التاكسى والتى اذا تردد عليها زائر جديد ليس من ابناء المهنة انكشف أمره لأول وهلة وعومل معاملة خاصة ، وربما يحاط بجو من الريبة من بقية الزوار الاصلاء ، وهناك أنواع أخرى من المقاهى المصرية يقيمها أصحابها بجوار مصنع أو هيئة او مصلحة حكومية أو مؤسسة تجارية ، لتكون بمثابة استراحة للعمال والموظفين التابعين للهيئة او للمصنع او للمؤسسة ، والجلوس فيها عادة لا يزيد عن بضع دقائق مسافة شرب واحد شاى او حلول موعد الوردية . هذا عدا بعض المقاهى التى يجلس فيها أرباب المعاشات والموظفون العجائز يلعبون الطاولة ويثرثرون ويتحدثون عن العلاوات وعن أيام زمان ، وليس لديهم استعداد لتلقى عروض مسرحية جادة ، اما المقاهى الشعبية الاخرى فهى ما يكاد الليل يدخل حتى يتجمع روادها أمام التليفزيون يتفرجون على الرقص والافلام والمطربين والمباريات وما الى ذلك ..

لكن الحماس لتجربة « مسرح القهوة » لم يترك أمام شباننا فرصة لدراسة هذه الاجواء المتعددة ، ولدراسة نوعية الجماهير التى سيتعاملون معها ، ولعلهم اختاروا قهوة المختلط لانها اقرب المقاهى شبها بصالة العرض الى جانب تمتعها بالهدوء ورزانة الرواد ، ولنلق نظرة على موضوع المسرحية .. ان المؤلف الشاب « **ناجى جورج** » يختار المقهى مكانا لاحداث مسرحيته بل انه يسمى المسرحية باسم « قهوة المعلم ابو الهول » ، ويجعل من قهوة المعلم أبو الهول تصغيرا للجو العام الذى تعيش فيه البلد بعد نكسة حزيران ، ثم يقدم لنا تشكيلة من الرواد عبارة عن نماذج تلخص المجتمع الكبير ، ففيها المعلم صاحب القهوة الرأسمالى الذى لا يعنيه من قضية الحرب سوى الابقاء على ماله ، والعامل الزهورات المخلص الصادق الولاء لبلده ، والموظف السلبى ، والمثقف الثرثار الذى يتشدق بألفاظ واصطلاحات أجنبية جوفاء والمتصوف المتدروش ، والعامل الذى لا يملك سوى قوة ذراعية ، والاخرس الذى تكاد فداحة المصيبة ان تنطقه ، وبائعة اليانصيب الضائعة التى يحبها الجميع ويحجم أغلبهم عن انقاذها من الخطر ، والباحثون عن الذهب والعربات المستعدون لبيع أنفسهم للشيطان مقابل ما يرضى لهم تطلعاتهم الرخيصة ، والقهوة ـ أى البلد ـ تهددها قنابل الاعداء ، والجميع يغطون فى سلبية مقيتة ، ويتحدثون عن البنت « ميزا » بائعة اليانصيب التى أصبحت فى قبضة الخطر .. ولا أحد يتقدم ليفتح لها باب المقهى لكى تدخل وتحتمى به من شظايا النيران ، الكل يجبن أمام تهديد المعلم (أبو الهول) ولا يتقدم ليفتح « الباب » . وكأن كل واحد منهم قد عثر على تبرير لجبنه وسلبيته فاستراح له وسكت ، والامر محتاج فى النهاية الى ان تتقدم جميعا ونفتح الباب ونواجه الخطر بصرف النظر عن أى اعتبارات أخرى ، لكن الشجاعة مع الاسف

تنقصنا ، مثلما يفتقر رواد قهوة المعلم (أبو الهول) الى روح جديدة توحد بينهم وتجمعهم على خط المواجهة فى معركة المصير الواحد .

ولقد نجح المؤلف « ناجى جورج » فى رسم الشخصيات نجاحا يؤكد موهبته المسرحية ، كما أنه نجح أيضا فى وضع يده على الموضوع المناسب ، لكنه لم يقدم عملا فنيا بالقدر المطلوب ، نعم فان « قهوة المعلم ابو الهول » تحتاج الى قدر من الفن يصهرها ويجعلها بالفعل انعكاسا بسيطا ومعبرا لما فى مجتمعنا المعاصر من تناقضات وصراعات ذاتية محضة ، لقد كان يدين المثقفين وكاد هو نفسه ان يقع فى سقطة الثرثرة والتشدق بالالفاظ والمصطلحات ، عموما فاننا نحيى هذه التجربة ونرجو لها تجاوبا جماهيريا عظيما .. لكن لكى يتم هذا نرجو من القائمين على هذه التجربة دراسة نوعية الجماهير ، واختيار أقرب الاشكال الى افهامهم ،خاصة ونحن نعبر عن واقع حى لا يحتاج الى رمزيات او معادلات موضوعية،او محاولة ارساء قيم فنية بغير ضرورة موضوعية،ان تجربة كتجربة « مسرح القهوة » تحمل فى تكوينها فكرة النزول الى الناس والالتصاق بهم بعيدا عن قاعة المسرح وما لها من جلال مهيب يفرض على المؤلف الاستمساك بقيم فنية معينة ، ان لهؤلاء الشبان فضل الريادة والمبادرة ، ولكننا نرجو لهم ـ فى تجارب قادمة ـ فضل المشاركة الفعالة فى اذابة الجليد الذى يفصل بين الناس وبين قضيتهم الراهنة .



تعقيب .. على تعقيب

كتب **عبد اللطيف ياسين الياسرى** ـ من العراق ـ يعقب على التعقيب الذى كتبه صديق حنا حول سؤال رفعت الشعراوى من سوريا عن موقف اليسار فى فلسطين من قرار التقسيم ، يقول :

ردا على تعقيب السيد حنا حول موقف [عصبة التحرر الوطنى الفلسطينى) وهى المنظمة الماركسية من قضية تقسيم فلسطين ، فان العصبة كما هو معلوم **قد رفضت فى بداية الامر الدعوة لتقسيم فلسطين او اقامة دولة يهودية خاصة** ، الا أن هذا الموقف قد تغير بعد ذلك كما هو معروف الى تأييد التقسيم ، وان موقفها هذا أخرجها بالتالى عن التزامها جانب الحقيقة ... وهى التى تملك نظرية علمية قادرة على كشف المخطط الامبريالى والصهيونى القاضى بانشاء الكيان الصهيونى المتمثل اليوم بـ [اسرائيل] .

وفى الموقفين يبدو تناقض غريب ، وأن موقفها الاخير قد الغى ونفى جميع مواقفها الوطنية السابقة وان تحليلها لموقفها من **تأييد قرار تقسيم فلسطين بعد رفضها السابق يعد خروجا عن الماركسية اللينينية** . وهو بالتالى ليس حلا للمسألة اليهودية المتمثلة بقيام (**جيتو**) يهودى خاص على شكل دولة ، **وكان المطلوب من العصبة هو الاستمرار** على موقفها السابق من رفض التقسيم واقامة الدولة اليهودية ، والدعوة الى قيام دولة فلسطين الديمقراطية التى يتعايش على أرضها المسلمون والمسيحيون واليهود وترتبط بالتالى بالامة العربية باعتبار فلسطين جزءا منها .

وأما دعوة السيد حنا (القوى التقدمية وحركة فتح أن تحدد موقفها) بما أسماه بـ (**الامة الاسرائيلية**) التى أقر بأنها (**قد وجدت فعلا فى فلسطين المحتلة**] فهذا الطلب يبدو غريبا ، فلعل السيد حنا لم يطلع على موقف المنظمات الفلسطينية الفدائية وخاصة **حركة فتح والجبهة الشعبية** وهى المنظمات الرئيسية للمقاومة الفلسطينية ، والتى تؤكد فى كل مناسبة تمر على موقفها من الكيان الصهيونى والذى يتمثل باختصار (**بازالة الكيان الصهيونى ، دولة ، ومؤسسات ، وقيام دولة فلسطين الديمقراطية التى يعيش على أرضها المسلمون والمسيحيون واليهود وترتبط هذه الدولة بالامة العربية باعتبار فلسطين جزءا منها ، واعتبار الثورة الفلسطينية جزءا من الثورة العربية** ..]

وأما ما ورد فى رسالة السيد حنا عن (**الامة الاسرائيلية**) فهو أمر غريب اذ يدل على أن السيد حنا لم يطلع حتى الان على مفهوم (**الامة**) **التى أوجدها على أرض فلسطين المحتلة** . فانى أوجه

سؤالي للسيد حنا على أي أساس اعتبر الكيان الصهيوني (أمة موجودة الان فعلا في فلسطين المحتلة] ، وما هي مكونات هــــذه الامـــة الاسرائيلية (التي تدعى أنها تمثل يهود العالم أجمع] ولابد انالسيد حناقد أطلع أوسمع بموقف لينين من البوند والتي فند فيها ادعاء البوند بأن اليهود قومية خاصـــة ، وبالتالي أمة ... وان القول [بالامـــة الاسرائيلية] أمر مـــرفوض من أساسه لانه ادعاء زائف بشكل مطلق ، ومناقض للواقع التاريخي والعلمي .

الحزب الشيوعي في جنوب افريقيا يساند النضال العربي

جاءنا البيان التالي من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في جنوب افريقيا :

« نود أن نحيطكم علما بأن الاجتماع الذي عقد مؤخرا للجنة المركزية للحـــزب الشيوعي لجنوب افريقيا ، قد اتخذ القرار التالي حول مشكلة الشرق الاوسط :

« ويعرب الاجتماع عن مساندته التامة لنضال الشعب المصري وسائر الشعوب العربية ضـــد العدوان الاسرائيلي الذي تسانده الامبـــريالية الامريكية .

« واننا نطالب بأن تنسحب القوات الاسرائيلية فورا الى حدود يونيو ١٩٦٧ وتطبيق قرار مجلس الامن .

« واننا لنعرب عن تضـــامننا التام مع الكفاح المشروع للشعوب العربية من أجل ازالة آثـــار العدوان ، بمساعدة الاتحاد الســـوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى ، واننا لنؤيد — بكل قوة — نضــــال الفلسطينيين العرب من أجل حقوقهم الشرعية » .

اللجنة المركزية
للحزب الشيوعي في جنوب افريقيا

.. وبيان من الطلبة المصريين في الاتحاد السوفيتي

وجاءنا البيان التالي الذي أصدره الاتحاد العام لمبعوثي الجمهورية العربية المتحدة بـــالاتحاد السوفيتي بعد مرور ثلاثة أعوام على العدوان الاسرائيلي ، والذي جاء فيه :

يأتي الخامس من يونيو هذا العام ، وفي الافق تلوح بوادر ظواهر تثبت من جديد أن الانســـان العربي قادر في كل الظروف ، ورغم مرارة النكسة وحطامها أن يحقق الكثير .

واعضاء اتحادنا رغم تواجدهم بعيدا عن جبهة القتال ، يعيشون المعركة مع كل جماهير شعبنا بكل ابعادها وتحدياتها ، يؤمنون كما تـــؤمن كل الجماهير بأن « النصر أو الموت » هو شـــعار التحـــرير الذي لا بديل عنه ، وهم يضعون كل امكانياتهم في خدمة معركة المصير العربي .

ان الاتحاد العام لمبعـــوثي الجمهورية العربية المتحدة في أرض الاتحاد الســـوفيتي الصديق ، ليعرب في هذه المناسبة عن تأييده والتفاف شبابه - كجزء من جماهير الامة العربية - حول القيادة المجربة التقدمية للمناضل جمال عبد الناصر .

ويحيي اتحادنا في هذه المناسبة قواتنا المسلحة التي يربض رجالها على خط النار ويواجهون العدو يوميا ببسالة رائعة ، ويتابع أعضاء اتحادنا بتقدير واعجاب شديدين العمليات اليومية المتصاعدة لقواتنا المسلحة ،ويحيون ذكرى شهدائها الابطال الذين ســـقطوا وهم يدافعون عن تراب هـــذا الوطن .

ويؤيد اتحادنا بغير ما حد الكفاح المســـلح البطولي الذي تخوضــــه المقاومة الفلسطينية المسلحة ، ويؤمن أن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير الارض العربية المغتصبة قبل وبعد يونيو ١٩٦٧ وبناءفلسطينالديمقراطية ، ويستنكر اتحادنا بكل شدة وحسم المؤامرات التي تمارسها القوى الرجعية لضربحركة المقاومة الفلسطينية ، ويضع هذه القوى العميلة في جبهة واحدة مع الامبريالية والصهيونية .

ويود اتحادنا في هذه المناسبة أن يعرب عن تقديره وشكره العميق للاتحاد السوفيتي الصديق حكومة وشعبا لوقفته المشرفة الى جانب شعوب الامة العربية ، تلك الوقفة النابعة من مبادىء النضال المشترك ضد العدو الامبريالي .

كذلك يعرب اتحادنا عن شكره العميق للدول الاشتراكية الاخرى وكذلك كل الدول الصديقة لما قدمت من دعم مادي ومعنوي للشعب العربي ، ويتمنى لصداقتنا مع هذه الدول مزيدا من التقدم .

ويندد اتحادنا بشدة بالدور الاساسي الذي تلعبه الولايات المتحـــدة الامريـــكية كقائدة للامبريالية العالمية في تخطيط ودعم العدوان الصهيوني الذي يستهدف ضرب مكاسب جماهيرنا ، وتصفية تيار التحرر الوطني المعادي للامبريالية في المنطقة .

رئيس الاتحاد العام لمبعوثي ج . ع . م .
بالاتحاد السوفيتي
[حلمي ســـلام]

ملف
خاص

أحـــد رواد الفـــكر الاشـــتراكى المصـــرى

عصام الدين حفنى ناصف

فى هذه الايام تأتى الذكرى السنوية الاولى لوفاة عصام الدين حفنى ناصف ..

وعصام ناصف واحد من طلائع المفكرين الاشتراكيين الذين حملوا لواء الدفاع عن الاشتراكية فى وجه طغيـــان حكومات الاقليـــة واستبداد صدقى وارهابه ، وفى وجه مقاومة عاتية من كافة القوى الرجعية .

وفى بـــداية الثلاثينـــات وعقب الضربة التى وجهت الى الموجة الاشتراكية الاولى ، كان صوت عصام ناصف أحد الاصوات القليلة التى ارتفعت فى تصميم شجاع للدفاع عن الاشتراكية ونشر مبادئها .

ولم يكن عصام الدين ، مجرد مفكر يقول كلمته ويمضى ، لكنه كان مناضلا مثابرا خاض النضال — من أجل تحقيق أفكاره — من كل أبوابه المتاحة .

والطليعة اذ تقدم هذا الملف عن « عصام الدين حفنى ناصف » لتأمل أن يكون مساهمة ايجابية فى لفت أنظار الباحثين الى الاهتمام بدراسة تراث فكرنا الاشتراكى .

اعداد : د . رفعت السعيـد

قد يبدو غريبا ان تبدأ دراسة بفترات من ملف التحقيق فى احـــدى الجنايات ، لكن بعض الناس لا يمكن دراسة تاريخ حياتهم بغير تقليب صفحات القضايا ومحاضر البوليس وتقارير المباحث ..

س : هل أنت ناشر كتاب التجديد الاجتماعى ؟

جـ : نعم . وقد طبعت منه ١٥٠٠ نسخة وبيعت معظمها .

س : تشير فى كتابك الى « أناس لا ينظرون الى الفلاح الا باعتباره ثورا يضعون فى عنقه نيرهم » فمن هم هؤلاء ؟

جـ : هم طائفة كبيرة من أصحاب الاطيان والمصانع ·

س : تشير فى كتابك الى « الاموال التى تصرف فى اسراف سخيف وتكفى لتحسين حالة الفلاح لحد ما » فماذا تقصد من ذلك ؟

جـ : اريد مثلا الاموال التى تنفق على الزينة فى أعياد جلالة الملك والتى لا يستفيد منها غير اصحاب محلات الكهرباء الاجانب وغير ذلك حاجات كثيرة جدا ، فالاغنياء مثلا يشترون الماسات ويقيمون الافراح ونحو ذلك ، ومثال ذلك أيضا البرنس يوسف كمال عنده ٤٠ كلبا للصيد يذبح لها خرفانا مخصوصة · بينما الفلاحون فى أرضه لا يأكلون غير المش ، وهو وغيره يحجزون على أملاك الفلاحين اذا خسرت الزراعة ·

س : من الذى يأبى على الفلاح قسطه من القوت ؟

ج : كل اللى شايفين حالته وسايبينه «يرن» ؟

س : ماذا تقصد بعبارة « سحقا لها وتعسا » ؟

جـ : اقصد مدنيتنا الحالية ·

س : ماذا تعنى بعبارة « كل من يعمل على قدر ما يعمل » ؟

جـ : « الفلاح يشتغل طول السنة مفيش معنى يأكل المش وصاحب الارض يبعثر الفلوس ، بل يجب أن توزع الايرادات على صاحب الارض والفلاح بنسبة عادلة » ·

س : قلت فى كتابك « ان الفلاح يزرع فيجب أن يحصد ، الفلاح هو المنتج فيجب أن يكون هو المتمتع » فماذا تقصد بهذه العبارة ؟

جـ : أقصد المعنى الحرفى ··

س : ما الذى تقصد بالضبط ؟

جـ : اقصد ان الفلاح فى حالة سيئة وانهم مش عايزين يعطوا له حقوقه ··

س : من هم ؟

جـ : الملاك والاغنياء والحكومة ·· (١) ·

وبعد ، لم تكن الكلمات السابقة محاولة للتعرف على كتاب يدور بشأنه التحقيق ويتهم صاحبه بالتطرف ، فما أكثر هذه الكتب ، لكنها محاولة للتعرف على الرجل الذى أصدر الكتاب وواجه المحقق بشجاعة ووضوح ثورى ·

أما الرجل ، **فهو عصام الدين حفنى ناصف** ·

والكتاب ، « **التجديد الاجتماعى** »

والمحقق ، ممثل واحدة من أكثر الحكومات التى شهدها تاريخ مصر الحديث ، رجعية وتعسفا · حكومة **اسماعيل صدقى** عام ١٩٣٠ ·

ولم تكن هذه هى المرة الاولى التى سجن فيها عصام ، فلقد كانت الفترة الاولى من كفاحه ، سلسلة من التصادمات مع الطغيان ، فالتحقيق فالمحاكمة · لكن صوته كان فى كل مرة يعلو فوق صوت قضاته ، يدينهم قبل أن يدينوه ، وكثيرا ما كان ينتزع براءته لا بالتراجع وانما بمزيد من الهجوم الذى يضع النظام كله فى قفص الاتهام ·

والقصة طويلة جدا · فلقد دخل عصام المعركة مبكرا ، شابا فى العشرين من عمره ، تفجرت حوله ثورة ١٩١٩ فشارك فيها بكل ثقله · ومن ١٩١٩ عندما دخل السجن لاول مرة حتى ١٩٦٩ عندما كف قلبه الشجاع عن الخفقان تمتد مرحلة طويلة تحاول هذه الدراسة تغطيتها .

وقد يكون الامر سهلا اذا حاولنا أن نؤرخ لشخص عادى ، لكن عصام تمتزج حياته بحياة شعبه وقضايا أمته ، ولا يمكن للحديث عنه أن يكون صادقا ولا أن يكون مجديا اذا لم نتحدث عن السلطة والنظام وثورة ١٩١٩ وحزب الوفد وسعد زغلول والحزب الوطنى ونقابات العمال والحزب الاشتراكى ، وعشرات المحاولات المخلصة لاقامة حزب العمال والفلاحين واتحاد انصار السلام وعديد من المجلات ، «**روح العصر**»، « **التطور** » ، « **شبرا** »، « **الشعاع** »، « **والمصرية** » ·

من هنا تبدو صعوبة الامر ، فنحن نؤرخ لرجل غير عادى · لكننا مع ذلك سنحاول مستخدمين حصيلة من المواد ·· كتاباته وهى كثيرة جدا ، صحف هذه الفترة ، ارشيفه الشخصى الذى ظل

---

(١) ملف القضية رقم ٣٤٤ كلى سنة ١٩٣١ . محكمة جنايات الاسكندرية ــ دور يوليو . ص ١١ وما بعدها ..

بجمعيه بدأب طوال نصف قرن • وهناك أيضا محاضر البوليس ، وتقارير المباحث ، وملفات القضايا ، وهكذا سنحاول •

من هو •• ؟

انه ابن حفني ناصف ، وأحد من رواد الوطنية الصحيحة الذين شاركوا فى ثورة عرابى ، وبعد الاحتلال رفضوا الانحناء للمحتلين •• ويحاول طه حسين أن يقدم حفنى ناصف فيقول أنه « عرف احتفار قناة السويس فى آخر الصبا ، وعرف الثورة العرابية وشارك فيها حين استكمل شبابه، ثم شهد الاحتلال البريطانى ، وشقى به فيمن شقوا من مواطنيه ، ثم شهد نهوض الصفوة المصرية لمقاومة هذا الاحتلال ، فأخذ معها فيما أخذت فيه ، ثم شهد اليقظة العقلية لمصر ، فكان من دعاتها والجادين فى اذكاء نارها من أمثال : **محمد عبده ، ومصطفى كامل ، وقاسم أمين ، وسعد زغلول** (٢) •

ولم يكن حفنى ناصف مجرد شاعر ومناضل وطنى ، ففى بعض أشعاره يمكن أن نلمح بوادر للتمرد الاجتماعى ورفضا للظلم والاستغلال • وفى قصيدة كتبها وهو طالب بالازهر يحيى فيها برلمان الثورة العرابية قال : (٣)

لا ارجع الله أياما مررن بنا
أيام كنا نقاسى الظلم والهونا

كنا نسلق بسوط الظلم تندبنا
احبابنا وتنادينا ذرارينا

ايام كان ولاة الجور في سعة
وكان صاحبنا الفلاح مسكينا

وكم اتينا لهم نشكو ظلامتنا
وما وجدنا اميرا قط يشكونا

وهو شقيق باحثة البادية ملك حفنى ناصف ، وشقيق مجد الدين الذى لعب دورا هاما فى تاريخ الحركة الوطنية المصرية . فعصام ، اذن ، نبت مناخ وطنى اصيل، ولعل ثوريته المتأججة وحماسه الدافق هما ثمرة الامتزاج بين الوطنية المصرية الاصيلة والفكر الاشتراكى •• لكن ثمة صورة أخرى ، صورة ترسمها صحيفة السوابق ، وتقارير المباحث وملفات القضايا •

صحيفة سوابق

● « عصام الدين حفني ناصف حكم عليه حضوريا فى ١٩١٩/١٢/١٤ بحبسه ثمانية اشهر بسيطة ، واعدام المنشورات ، لاشتراكه فى طبع منشورات تحرض الناس على كراهية الحكومة وبغضها ، والازدراء بها فى اواسط عام ١٩١٩ » (٤).

● جاء فى تقرير كتبه حكمدار بوليس مصر يقول : « •• فى اغسطس ١٩٢١ كان عصام الدين حفنى ناصف يعمل مع الوفديين ، وكان معروفا عنه اذ ذاك أنه من أكبر أنصارهم ، والف جمعية الدفاع عن المسجونين السياسيين التى كان من افرادها شفيق منصور الذى أعدم فى قضية المغفور له « السير لى ستاك » •

وكان فى ذلك الحين يشيع أن له اصدقاء كثيرين من الروس والالمان فى الحزب البلشفيكى ويرى أن أحسن وسيلة لطرد الانجليز من مصر هو قلب مصر الى حكومة بلشفية • وتبلغ للبوليس عنه على اثر عودته من برلين فى يوليو ١٩٢١ أنه جاء مزودا من جمعية اتحاد أمم الشرق بخطة لنشر المبادىء البلشفية ، وعقد اجتماعات فى منزل **محمد توفيق مكرم بك** لتأليف لجنة للنشر والطبع والترجمة لبث دعوة البلشفية تحت ستار الجامعة الاسلامية •

وفى ١٩٢٢ انشق على المغفور له سعد زغلول باشا وانصاره، وانضم الى الحزب الوطنى. وفى مارس ١٩٢٤ ابلغ عنه أنه نشر الدعاية الشيوعية فى خطبة القاها فى حفلة تكريم المسجونين السياسيين •• وعصام الدين ناصف هذا شاب متطرف الى درجة الجنون فى سياسته وآرائه وكل اعماله ، ومعروف عنه انه من الاشخاص الخطرين •• » (٥) •

● وحكم صادر من محكمة جنايات مصر فى القضية نمرة ٤٩ الموسكى ١٩٢٤ المتهم فيها عصام الدين حفنى ناصف بأنه :

أولا : فى أثناء شهر يناير ١٩٢٣ ببرلين نشر فى جريدة ازاد شرق (حرية الشرق) التى تصدر فى

---

(٢) ديوان حفنى ناصف . جمعه وارخله ولده مجد الدين حفنى ناصف . وقدم له تلميذه طه حسين . دار المعارف ١٩٥٧ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٨ .
(٤) محرر رسمي صادر عن قلم السوابق بنيابة الاستئناف بالقاهرة ١٩٣١/٦/١١ ومودع ضمن دوسيه القضية رقم ٥٧٣ لسنة ١٩٣١ ص ٢ .
(٥) المرجع السابق ص ٧٨ ، وسوف نرى ان بعض هذه التهم غير صحيح .

برلين مقالا الفه تحت عنوان « عودة الوفد الى الدسائس..الماضى المؤلم » وذلك بالعدد الصادر فى ٢٠ يناير ١٩٢٣ . وقد تضمن المقال عيبا فى حق صاحب الجلالة ملك مصر بأن قال انه حصل خلاف بين جلالته وبين معالى سعد زغلول سول للسراى أن تستنجد بدار الحماية حتى قبضت على معاليه ونفته فى مالطة .

ثانيا : بانه من ثلاثة شهور سابقة على يوم ٢٢ يوليو ١٩٢٤ بالطريق العام وهو شارع البوستة بدائرة قسم الموسكى حسن أمرا من الامور التى تعد جناية حسب القانون ، بأن حبذ جناية قتل المرحوم بطرس غالى باشا رئيس الوزارة المصرية الاسبق التى وقعت يوم ٢٠ فبراير ١٩١٠ وذلك علنا بأن أشهر وحمل فى عروة سترته فى ذلك الطريق العام صورة ابراهيم الوردانى الذى ارتكب الجناية المذكورة .. » (٦) .

والقائمة طويلة جدا ، لكننا سنكتفى بهذا القدر . فعصام الدين ليس بمجرد ملفات فى محاكم ولا تقارير بوليس ، بل هو ذلك الكفاح الفكرى والسياسى الذى ادى به الى مواجهة المحاكم والبوليس .

وفدى ثم حزب وطنى !

ومع التيار الجارف للوطنية المصرية التى تدفقت قواها ضمن حزب الوفد فى ثورة ١٩١٩ ، سار عصام الدين ليواكب الثورة منذ أيامها الاولى ، وليعانى سجنا وتشريدا لانه طبع ووزع منشورات تحض على الثورة والازدراء بالحكومة . لكن الامور تتغير سريعا ، ويسافر عصام الى برلين ليكمل تعليمه ويشارك هو وأخوه مجد الدين فى تنظيم الطلبة المصريين بالخارج وفى تعبئتهم لخدمة القضية الوطنية .

وكان مجد الدين سكرتيرا لجمعية الطلبة المصريين فى باريس ، وعصام الدين سكرتير الجمعية فى برلين ، وهناك أمكن الاحتكاك بقوى اليسار الاوربى فى فرنسا : بحزب حقوق الانسان وبالحزب الاشتراكى وبزعيمه « كاشان » ، وفى المانيا بالحزب الاشتراكى الالمانى .

ولم يكن هذا موقفا فرديا ، فالاتجاه العام للجمعية المصرية فى باريس وفى برلين وفى روما كان قد اقتنع تماما بأن اليسار الاوروبى هو السند الوحيد لحركة التحرر الوطنى المصرية ، وذلك بعد أن انكشف أمام أعينهم وبصورة سافرة اكذوبة مبادىء ويلسون ، ومؤتمر الصلح .. (٧) .

وكان طبيعيا أن يبدأ التباعد بين الطلبة الذين يتجهون يسارا ، وبين الزعيم الذى يتمسك باعتداله . وهكذا بدا الصدام بين سعد زغلول وبين جمعيات الطلبة فى أوروبا . ويروى محمود أبو الفتح القصة قائلا : « كانت الجمعية تناقش الاشاعات التى حامت حول سعد زغلول باشا خاصة وقد رأى البعض أنه لم يكذب الخبر (كذبه فيما بعد) ــ ثم رأى أنه لم يبادر الى الاحتجاج على بعض المسائل فى الحال بل تأخر فى ذلك أياما . فعمد البعض الى ارسال خطابات اليه منهم شخصيا فيها عبارات شديدة ، وأرسلوا اليه خطابات كانت ترد اليهم من بعض المصريين فى سويسرا وفرنسا وانجلترا ومصر .

وطرحت مسألة الاشاعات على بساط البحث فى الجمعية فتقرر فى النهاية باجماع الاراء ــ ما عدا اثنين ــ ارسال خطاب لسعد باشا ، وقيل فيه : اننا قرأنا فى الصحف اشاعات مخجلة فيها أن سعادة زغلول باشا سيقبل بعض منح ، ولما كان لم يظهر أى تكذيب فى الصحف رغم انتشار الخبر فنرجو أن تكذبه او تسمح لنا بتكذيبه وسيذهب عضو بعد ٤٨ ساعة لاخذ الرد » (٨) .

والذى يهمنا فى هذا الصدد هو الدور الذى لعبه عصام وشقيقه مجد الدين فى تزعم هذه الحملة ، فقد عمدا الى الدعوة لمؤتمر عام لجمعيات الطلبة المصريين فى أوربا ليواجهوا محاولات التهاون وعلامات التردد التى بدأت تسود تصرفات قادة الوفد فى باريس .

وعندما منع الوفد عنهم مساعداته المادية التى كانوا يستخدمونها فى اصدار نشرات اعلامية تشرح أبعاد القضية الوطنية ، دعوا المواطنين فى مصر الى التبرع لهم وكانت الاستجابة للنداء واسعة ، الامر الذى أزعج سعد زغلول فى باريس ، كذلك أزعجته الدعوة الى تأسيس فرع لجمعية الطلبة داخل مصر .

---

(٦) اللواء ١٩٢٤/١٢/٢١ .
(٧) راجع : محمود ابو الفتح . المسألة المصرية والوفد . حيث يؤكد عمق علاقات الطلبة المصريين فى اوربا باحزاب اليسار واتصالاتهم المستمرة مع هذه الاحزاب .
(٨) ابو الفتح ــ المرجع السابق ص ١٢٧

وثمة وثيقةهامة هى واحدة من الرسائل السرية التى ارسلها **على ماهر** من باريس – وكان فى ذلك الحين سكرتيرا خاصا لسعد زغلول – الى **عبد الرحمن فهمى** سكرتير اللجنة المركزية لحزب الوفد ، وقد جاء فيها : « يظهر ان مسألة الجمعية المصرية قد اتسعت أخيرا لعطف البلاد عليهم ومساعدتهم بالاموال وايجاد لجنة لهم فى مصر ، وظاهر أن مثل هذه التصرفات لا تتفق مع وحدة العمل ووحدة الوجهة ، فانه مهما كان شعورهم عظيما فانهم يقعون فى الاغلاط كثيرا ، ولا يؤمن عليهم من غير اشراف الوفد، ولذلك يكون الاولى ان يترك الامر للوفد : فهو يقدم لهم من النقود ، ويشرف علىاعمالهمبوجه الاجمال، ويرشدهمالى الدائرة التى يجب أن يوجهوا فيها مجهوداتهم ، واذا أمكن الغاءلجنتهم بمصر يكون أكمل وأوفى . وانى منذ وصولى كان همى ضم الجمعية للوفد حتى يعامل اعضاؤها كأبنائه ، ويساعدهم بكلما يلزمهم ، الا أنهم كانوا فى غاية العناد . وأشدهم عنادا هو مجدالدين افندى ناصف ، فلذلك أرى أنه اذا عاد ليخدمالقضية فى مصريكون أصلح للوفاق هنا (٩) .

ويقول عصام الدين « حضرت مؤتمر الطلبة المصريين الذين يدرسون فى أوربا وكان ذلك فى ١٩٢١ ، وفى الاجتماع هاجمنا سعد زغلول وقلت انا نسحب الثقة منه،فثار سعدوقال: اناوكيل الامة ولست وكيل جمعية الطلبة » . (١٠) . وعندما سأله أحد وكلاء النيابة الذين حققوا معه الم تشتغل بالسياسة مدة وجودك فى المانيا ؟ يجيب « كنا عاملين لجنة حزب وطنى وعملنا منشورات، باللغة العربية ضد سعد باشا باعتبارنا لجنة حزب وطنى » (١١) .

وهكذا يرفض عصام الدين « الاعتدال » والتهادن ويتمردعلى زعامة سعد زغلول ، ويحاول أن يدفع بالثورة الى مسار أكثر أصالة .

من الوطنية الى الاشتراكية

ان اتصال الطلبة المصريين باليسار الاوربى لم يكن يعنى أنهم قد انضموا الى معسكر اليسار ، ففارق كبير بين **التأثر والانتماء** ، والحقيقة أن جناحا لا بأس به من الدارسين المصريين فى الخارج قد أطل على الفكر اليسارى ، وتأثر به البعض تأثرا عابرا تحول نتيجة للتكوين الطبقى ولطبيعة المكونات الفكرية للمجتمع المصرى الى اتجاهات ليبرالية . والبعض اكتفى بالحماس فى الخارج ، ثم يفتر حماسه عندما يعود ، ويكتفى بمشاركة البورجوازية المصرية وكبار ملاكها فى اقتسام ثمار ثورة ١٩١٩ . لكن البعض ظل يطور نفسه مع الاحداث ، يسوقه اخلاصه الوطنى ، ورفضه للتهاون مع الاحتلال الى الالتقاء مع القوى المعادية للاستعمار فى أوربا ، وهى بالتحديد قوى اليسار . ثم يسوقهسخطه على أسلوب التهادن مع الاحتلال الى التناقض مع المتهادنين والهجوم عليهم . ومنخلال هذا وذاك يجد نفسه وهو يقترب رويدا رويدا من معسكر اليسار لينتمى اليه فى النهاية .

وثمة امثلة كثيرة لشبان وطنيين دفعهم احساسهم الوطنى الصارم برفض التهادن مع المحتل الى التمرد على الوفد والانضمام الى الحزب الوطنى « **لا مفاوضة الا بعد الجلاء** » لكن الحزب الوطنى كان يعانى من الضعف والتفسخ برغم ثوريةشعاراته . كان يعانى من نفس أمراض الفئات التى يمثلها الحماس مع نفاد الصبر ، والتشدد مع عدم الثقة فى حركة الجماهير . ورويدا رويدا يكتشف بعض هؤلاء الوطنيين المتحمسين الامراض الحقيقية ، التى يعانى منها مجتمعهم ورويدا رويدا يتجهون يسارا .

ولنتأمل بعض الامثلة :

د . **عبد الفتاح القاضى** زميل عصام الدين ورفيق كفاحه . . يقول : « انا كنت وطنيا متطرفا وكل همى ان اطعن فى الانجليز . كنت وطنيا أومن بمصطفى كامل ومحمد فريد ولم أكن أحب الوفد لانه يسعى للمفاوضة والمفاوضة تؤدى الى التسليم . ومع مضى الوقت ابتدأت الافكار تختمر فى عقلى واقتربت من الاشتراكية أكثر فأكثر عن طريق الادب ، وعن طريق القصص الاشتراكية ابتدأت اقتنع بالاشتراكية . وبعدذلك بدأت الاطلاع على النظرية الاشتراكية . لقد أصبحت اشتراكيا فكرا ، لكن لم يكن لىّ نشاط . وعندما رجعت الى برلين فى ١٩٢٣ لاكمل دراستى اتهمتنى القنصلية المصرية بأن لى علاقات متطرفة مع ذوى المبادىء الهدامة ، ولم يكن هذا صحيحا فقد كنت لا أزال عضوا بالحزب الوطنى ، الى أن عدت الى مصر ، وعملت كطبيب أطفال ، واحسست بحقيقة الفقر وبشاعته ، كنت أقول للام « اشتر دواء لطفلك أو

---

(٩) محمد انيس . دراسات فى وثائقثورة ١٩١٩ . الجزء الاول مكتبة الانجلو٦٣ ص ٢٥٢ .
(١٠) من نقاش شخصى اجراه الكاتبمعه
(١١) ملف القضية ٣٤٤ كلى ١٩٣١ ــالوثائق .

ظلام » وأشعر انها لا تملك قرشا • وهكذا اقتنعت انه لا فائدة من الطب ولا فائدة من أى جهد أبذله الا اذا تغير المجتمع ،وأن الواجب الاساسى لاى انسان هو العمل لبناء الاشتراكية (١٢).

وفى نفس المسيرة تقريبا سار عصام الدين • والشيء الغريب اننا نشاهد عصام ، وهو وطنى متطرف فى عام ١٩٢١ ، يعارض تأسيس حزب اشتراكى قائلا : ان بلدا كمصر تقف دائما موقف المصارعة لعدوها السياسى يجب أن تستجمع كل قواها لدفعه عنها ، وبعد ذلك تتفرغ لبحث النظم الاجتماعية ، أما أنها تشغل مجهودها بمسائل اجتماعية ثانوية لا يمكن أن ينفذ منها الا ما لم يكن فيه معاكسة للاحتلال فتضييع لقوى الامة (١٣) • ثم اذا به وبعد أن نضجت وطنيته يتقدم الصفوف ليدافع عن الاشتراكية •

سئل عصام فى التحقيق أمام النيابة : لماذا ترك الحزب الوطنى؟ وأجاب بكلمة واحدة « لانهم لضبطوا » • انها كلمة بسيطة لكنها تجمع فى أطرافها كل المعانى التى قد تجيش فى نفس شاب ثورى وهو يرى قيادته تتراجع ثم تتهاوى •

واذا كان عبد الفتاح القاضى قد بدأ عمله الاشتراكى عن طريق الادب حيث قدم لقراء العرب ، ولاول مرة ، دراسة علمية ممتازة عن تولستوى تتضمن تحليلا لمنهجه الاجتماعى ولموقفه الفكرى ودراسة لعديد من كتاباته (١٤) • فان عصام الدين قد بدأ من طريق آخر، فأصدر كتاب «النشوء والارتقاء » لداروين •• ويبدو ان فكرة النشوء والارتقاء والدفاع عنها وتقديمها للقارىء المصرى كانت مفتاحا للتحول نحو الاشتراكية عند الكثيرين وهى تعبير عن ايمان هذا الاتجاه •• (شبلى شميل — سلامة موسى — اسماعيل مظهر ثم عصام الدين ناصف) بأن الايمان بالعلم هو السبيل الوحيد الممكن لهزيمة الرجعية وانتصار الاشتراكية •

وعصام الدين لم يهمل الادب ، فقد ترجم فى ١٩٣٦ قصة « النور يضىء فى الظلام » لتولستوى ثم « الزوج الابدى » لويستويفسكى ، لكنه سرعان ما يتجه مباشرة الى الكتابة عن الاشتراكية ، وفجأة تنهال كتاباته فى سرعة غريبة وكأنها سيل يتدفق بغير توقف •

والحقيقة أن أية محاولة لاستعراض عصام الدين هى محاولة صعبة فى حدود دراسة كهذه ، فقد أصدر ٢٣ كتابا ، وعددا من المجلات والكثير من المقالات فى عشرات الصحف ، وعبر سنوات طويلة . لكننا مع ذلك سنحاول أن نقدم نماذج من فكره لعلها توضح لنا صورة عصام الدين المفكر ، بادئين بالحديث عن المكونات الفكرية لاراء عصام الدين عن الاشتراكية •

المكونات الفكرية لآرائه

تأثر عصام الدين كثيرا بالفكر اليسارى الالمانى ، فكل ما ترجمه من كتب ومقالات عن الاشتراكية مترجمة أساسا عن الالمانية ولمفكرين ألمان « كمغماير » ، « كارل ديل » و « د • لودفيج كسل » وغيرهم •

وعصام لا يخفى هذا فهو يقول ردا على سؤال عن علاقاته بالحزب الشيوعى الالمانى « كنا نتعلم منهم ونتابع أعمالهم ، لكن لم تكن هناك علاقة مباشرة بالحزب • والحقيقة أننى لم أدرك أهمية النضال العملى من أجل الاشتراكية الا بعد عودتى من المانيا ، لكن الذى لاشك فيه أننا تأثرنا كثيرا بهذا الحزب وبأفكاره » (١٥) •

وقد تأثر عصام الدين بالمدرسة الالمانية اليسارية بشكل عام ، وبالاشتراكية الديموقراطية ، وبالشيوعية ، وحتى بالاتجاهات اليسارية الاخرى • فقد كان مجرد طالب معرفة ولم يكن فى ذلك الحين بقادر على أن يحدد موقفا صريحا من الخلافات التى كان يعج بها اليسار ،فهو يدافع فى عديد من مقالاته عن الاتحاد السوفييتى وعن تطبيقه للاشتراكية، لكنه أيضا يترجم بعض كتابات تروتسكى • ففى أحد محاضر تفتيش منزله ترد أسماء عشرات من الكتب الماركسية والكتابات عن تأييد الاتحاد السوفييتى ، لكن يوجد أيضا « كتاب باللغة الالمانية سألنا عصام الدين افندى عن موضوعه فقال بأن ترجمته « الثورة الدائمة » تأليف تروتسكى • وهو لا يكتفى بالقراءة لتروتسكى ، لكنه يترجم له أيضا ، ففى محضر التفتيش السابق يلاحظ أيضا وجود « مسودات مترجمة تحت عنوان : « الحالة الحقيقية فى روسيا » بقلم تروتسكى قال انها ترجمت من كتاب وجدناه

---

(١٢) من نقاش شخصى أجراه الكاتب معه
(١٣) الاهرام ١٩٢١/٩/١٦ •
(١٤) نشرت هذه الدراسة فى خمس حلقات فى كوكب الشرق ابتداء من عدد ١٩٢٩/٣/٢٥ •
(١٥) فى نقاش شخصى أجراه معه الكاتب •

بالدولاب كتب بالالمانية وعليه اسم ، ليوتروتسكى » (١٦).

وفى ١٩٣١ نشر مقالا يلخص فيه كتابا أصدره مؤلف ألمانى د . **تيودور زايبرت** اسمه « روسيا الحمراء » يقول فيه أن تروتسكى والمعارضة التى معه عرضت على ستالين خضوعا معقولا، ولكن ستالين أبى الا خضوعا مطلقا .. » ويقول « لقد توطدت سلطة ستالين فى أواخر ١٩٣٠ ، ولم يبق معه غير الرجال الذين لا شخصية لهم مثل كالنين (١٧) . لكنه لا يتخذ موقفا معاديا للتجربة السوفيتية فهو يمتدحها ويؤكد على جوانبها الايجابية . وفى مقال طويل بعنوان « روسيا » يتحدث عن تجربة توحيد القوميات على أساس من المساواة ، وعلى أساس « الاتحاد الاختيارى » . وهو يمتدح تجربة مجلس السوفييتات ويقول « انه السلطة العليا للتشريع والادارة معا على خلاف برلمانات الدول البورجوازية .. » .

وهو يفرق بين البلاشفة والاشتراكية الديمقراطية قائلا « ان البلاشفة صمموا على الغاء طبقة الاغنياء كلية ومهاجمه الامبرياليزم الخارجى ، ومن ذلك نرى أن الامر لم يقتصر على تغيير رجال الحكم مع بقاء الامور الاقتصادية والسياسية على ما هى عليه كما حدث عند تولى وزارة شيومان فى ألمانيا وماكدونالد فى انجلترا .. » (١٨) .

واخيرا حسم عصام الامر بكتابه « **موسكو – برلين – لندن** » حيث خصص صفحات عديدة من كتابه لتمجيد الاتحاد السوفييتى ، ولتمجيد الدور السوفييتى فى هزيمة الفاشية ويتضح من كثير من كتاباته انه اطلع على قدر لا بأس به من كتابات ماركس ولينين وتأثر بها غاية التأثر . وهو لا يدع فرصة تمر الا ويمتدحهما مديحا لا حدود له ، وهو يدرك أيضا حقيقة معنى **اللينينية** كتطوير لافكار **ماركس** ، فيقول « عاش ماركس فى عصر كانت الاستعمارية فيه فى طور الجنين ولم يكن يرى الثورة المسلحة ضرورة لا مناص منها ، أما الان فقد عظمت – متناقضات الرأسمالية ، وليس مذهب لينين مجرد تطبيق للتعاليم الماركسية على روسيا ، بل هو مذهب عالمى جديد يلائم بين الماركسية وظروف الامبريالية الاخيرة (١٩) .

ولقد درس عصام الدين دراسة تفصيلية تاريخ الثورة السوفييتية وكثيرا من كتابات لينين حول الخلافات بين البلشفيك والمنشفيك . وكتب فى ذلك مقالا غاية فى الامتاع والاسهاب بعنوان « **تاريخ الحرب الاهلية فى روسيا** » .

وهو فى هذا المقال يمتدح لينين ويقدم عرضا لبعض كتبه ، ويمتدح الدولية الثالثة ، ويتحدث عن انضمام كثير من القوى اليها ثم هو فى النهاية يردد كلمات لينين الحاسمة : « لقد ماتت الدولية الثانية هزمتها سياستها الانتهازية (٢٠) .

لكن هل تخلص عصام الدين من رواسب فكرة الدولية الثانية ؟ لست اعتقد ذلك ، لقد صحح كثيرا من افكاره فى مسار نضاله الطويل ، لكن ثمة رواسب بقيت ، اهمها موقفه من فكرة « **قيادة الطبقة العاملة للثورة** » فقد كان عصام الدين يرى ان المثقفين هم اقدر العناصر على ايقاظ الجماهير وتحريكها .

وفى أحد لقاءاتى معه سألته : لماذا اختلفت مع الدكتور القاضى ؟ واجاب : لاسباب كثيرة ، منها اننى لم اكن اثق فى الطبقة العاملة المصرية ، وكنت اطلب الاتجاه الى المثقفين(٢١)، لكن ذلك لايعنى انه لم يوجه نضاله الى الطبقات الكادحة فقد كان يؤمن بالطبقة العاملة وبدورها الكفاحى وبضرورة تعبئتها وحشد طاقاتها من اجل الثورة .

وهو يهدى احد كتبه «الى كل عامل وفلاح يرفض هذا المركز الوضيع الذى تريده انظمة الظلم والعسف . الى كل متنور يكرس وقته وجهوده للقضاء على طبقة الخليعين المتهتكين غير المنتجين الذين يتطاولون على جهود الطبقة العاملة . الى كل من يحارب الظلم المحيق فى أية صورة من صوره » (٢٢) . ولسوف تشهد صفحات تالية كيف كرس عصام الدين كثيرا من سنوات عمره للعمل وسط جماهير العمال ومن اجل تنظيمهم والدفاع عن حقوقهم .

كذلك تأثر عصام الدين كثيرا بآراء شبلى شميل، حول اهمية العلم واهتمامه بنظرية النشوء والارتقاء وتصوره ان الدعوة اليها كفيلة باحداث

---

(١٦) ملف القضية ٣٤٤ كلى ١٩٣١ ــ المرجع السابق ص ٣ ، ٤ ، ٥ .
(١٧) الوادى ١٩٣٤/١٢/١٢ .
(١٨) الوادى ١٩٣٤/١١/٢١ .
(١٩) المرجع السابق .
(٢٠) مجلة العصور ، يونيو ١٩٣٠ .
(٢١) من نقاش شخصى اجراه الكاتب معه
(٢٢) كتاب لم ينشر بعنوان « متابعة التجديد الاجتماعى » .

تطور فى فكرية المجتمع يؤدى بذاته الى الاقتراب من الثورة ٠

التجديد الاجتماعى

وهى عبارة استخدمها عصام الدين كثيرا وجعلها عنوانا لاثنين من اشهر كتبه ، وقد كان يعنى بها المزج بين المعركة الوطنية ضد المحتل ، والمعركة الطبقية ضد اعوان المحتل ٠ وتحت هذا العنوان كان عصام الدين يهاجم الاحتلال والاقطاع والبورجوازية والسراى مطالبا بتجديدالمجتمع ، بمجتمع جديد ٠٠ ولقد خاض عصام الدين المعركة بشجاعة تستحق الاعجاب ، ووزع هجماته على الجميع دون استثناء ٠ وقد رأينا كيف تحدث بجراة أمام المحقق مهاجما الزينات التى ملأت الشوارع احتفالا باعياد الملك ٠٠ بل لقد كتبمقالا مليئا بالسخرية يتهكم فيه على الملك فؤاد وعلى حرف « الفاء » الذى كان بداية لاسمه ولأسماء جميع اولاده ، فأصبح بذلك محطا لتملق الكثيرين الذين كتبوا عن هذا الحرف كرمز للاسرة المالكة ٠ « حرف الفاء ما ادراك ما حرف الفاء ، هو ذلك الحرف الشريف الذى ما ورد فى مقدمة كلمة من الكلمات الا وكانت الكلمة اسما لشىء مهاب محبوب ، ويمكننا ان نتبين اهمية حرف الفاء اذا وقع فى الابتداء من ان الفيل ملك الحيوانات وان الفستق ملك الياميش وان الفستان ملك الملابس والفل ملك الزهور ، والفت ملك الطعام » (٢٣) ٠

وهو يشن حملة عنيفة ضد الاحتلال وسياسته فى فرض التبعية الاقتصادية على مصر ، ويقول كان المستعمرون يقيمون العراقيل التى لا تحصى فى سبيل القطن المصرى من دخول روسيا (الا عن طريق ليفربول) وذلك باسم (البعبع الشيوعى) ٠ ويهاجم الشركات الاجنبية وتحكمها فى المصالح القومية ، ويكتب مقالا يهاجم فيه شركات التأمين الاجنبية التى تستغل المؤمنين لديها مستفيدة من هبوط سعر العملة الورقية المستمر (٢٤) ٠

وهو يوضح سياسة الاحتكارات الاستعمارية ، ويكتب دراسة مستفيضة عن استنزاف هذه الاحتكارات لثروات العالم وتهديدها مصالح البشرية كلها بالتسبب فى الحروب المحلية والعالمية بحثا عن الاسواق والسيطرة المالية ، وقد نشر فى هذا الصدد مقالين ممتازين ترجمهما عن الكاتب الامريكى « **لودويل دنى** » احدهما بعنوان « **أمريكا تسحق انجلترا** » (٢٥)، والاخر « **الحرب القادمة بين انجلترا وامريكا** » (٢٦) ٠

وهو لا يكتفى بهذا الهجوم لكنه يدين الملكية الفردية بشكل عام ٠ فهو ينتهز فرصة الحديث عن « عيد الثورة الفرنسية » (٢٧) ليورد كلمات قالها روسو « **ان اول من وضع سياجا حول قطعة من الارض وقال هذا ملكى ، ووجد اناسا سذجا يصدقونه هو المؤسس الحقيقى للمجتمع البورجوازى ، وكم من شقاء وهول كان يوفرها على جنسنا من يهدم هذه الاسوار ،ويهيب برفاقه : احذروا الاصاخة الى هذا المخادع ٠٠ اما انكم لتضيعون ضياعا اذا نسيتم ان الثمار للجميع، اما الارض فليست لاحد** » ٠ ثم يواصل عصام فى تحليل علمى دقيق لطبيعة الثورة الفرنسية فيقول : « لقد كان لروسو اثره التوجيهى فى الثورة ، اما من حيث مثله العليا السياسية او آرائه الاجتماعية فلم يعمل بها، ذلك ان العالم لا يطفر ويقفز ،فقد كان من اللازم ان تتحرر الطبقة البورجوازية من قيود الاقطاع قبل ان يفكر الناس جديا فى تحرير الطبقة التالية لها ٠٠ بل هو يقدم شرحا لتطور موقف البورجوازية ذاتها ، ففى زمن الثورة الفرنسية والتمهيد لها كان التفكير البورجوازى الاجتماعى والتاريخى يتطور فيها نحو الكمال ، وكانوا يفهمون قوانين التطور الاجتماعى كالاعتراف بالعلاقات بين النظرية والعمل [بيكون] والنظر الى حوادث العالم من وجهة النظر المادية [**باكون وهوبز وتولند** فى انجلترا ، **وماديو** القرن الثامن عشر فى فرنسا) ونظرية الطبقات، [**الفيزوقراطيون وسان سيمون**]، ونضال الطبقات (**برناف وفورخو**) (**عهد الاصلاح**) (**الفرنسيون**) ونظرية القيمة (**المدرسة الانجليزية الكلاسيكية فى الاقتصاد السياسى**) كل هذه الحقائق الاساسية سبق ان اعلنها واضعو النظريات البورجوازية واعترف بها **البورجوازيون** انفسهم، فلما شحذ ماركس سلاح هذه النظريات وسدده شطر البورجوازيين انقلب **النظريون** البورجوازيون يهاجمون **هذه النظريات التى** وضعها سلفهم ٠

ان اهمية هذه الفقرة هى انها تعبر عن فهم

---

(٢٣) الفجر ١٩٢٦/٥/٢٠ ٠
(٢٤) الدستور ١٩٣٩/١٢/١٣ ٠
(٢٥) الاخاء الوطنى (عراقية)١٩٣٣/١١/٦ ٠
(٢٦) وادى النيل ١٩٣٠/١١/١٤ ٠
(٢٧) الاهرام ١٩٣٨/٧/١٤ ٠

ماركسى كامل لفكرة صراع الطبقات ولطبيعة الدور الذى لعبته البورجوازية ، لكن عصام لم يقتصر فهمه على وضع البورجوازية الاوروبية ودورها، فقد قدم دراسة تحليلية ممتازة توضح البورجوازية المصرية وحقيقة دورها وموضعها من التاريخ ، وكان ذلك فى رده على مقال يزعم ان مصر كبلد شرقى مستعمر لم تنشأ فيه طبقة بورجوازية ، فيرد عصام فى مقال بعنوان « **فى طريق النهضة المصريـــة** » (٢٨) قـــائلا : « تستعمل كلمـــة البورجوازية للدلالة على الطبقة الرأسمالية التى تستغل اموالها بصفة عامة فى التجارة او الصناعة واعمال المصارف المالية ، فهل فى مصر طبقة كبيرة من الصناع والتجار ؟ وهى تستخدم ثلاثة ارباع المليون من العمال الصناعيين ، اما التجـــار فدكاكينهم تملأ الشـوارع ، وتلتهم من الموظفين وحدهم معظم مرتباتهم البالغة ١٣ مليون جنيه ، والموظفون بورجوازية صغيرة » .

وهو يتحدث عن دور البورجوازية المصرية عبر التاريخ الحديث فيقول : لقد ثارت البورجوازية اكثر من مرة فثورة عرابى تمثل منازعة الطبقة الوسطى للارستقراطية الشركسية، وحركة مصطفى كامل تمثل يقظة الطبقة الوسطى فى المدن . وثورة ١٩١٩ كانت ثورة بورجوازية . ولقد اسهم العمال والفلاحون فى ثورة ١٩١٩، لكن الطبقة البورجوازية خرجت ظافرة بما ارادت من الاستعماريين وضد المتطرفين من العمال .. وهو لايكتفى بالهجوم على الطغـــاة والمحتلين والبورجـــوازية ، لكنه يختار معسكره الذى ينضم اليه ويدافع عنه ..

وصدر كتابه الشهير « **التجديد الاجتمـاعى** ، ابحاث فى شئون العمال والفلاحين ، وهو دفاع صادر عن العمال والفلاحين ، دفاع عن حقوقهم ، وحث لهم على التمرد ، والثورة . وقد عرضه هذا الكتاب للمحاكمة امام محكمة الجنايات فى قضية تعد من اشهر قضايا الرأى فى مصر وتحركت للدفاع عنه كل القوى التى كانت تعارض دكتاتورية اسماعيل صدقى ، واخيرا اصدرت المحكمة حكمها ببراءته . فماذا قال عصام فى كتابه « التجديد الاجتماعى » :

« لكأن آباءنا واجدادنا ومئات الاجيال الماضية قد ظلوا يعملون فى بناء المدنية آلاف السنين ليتمتع بها بضع مئات من الاغنياء والوارثين ، لئن كان ذلك فسحقة لها وتعسا . اننا نريد حضارة تضىء بنورها للشعب كله ، نريد مدنية يتمتع بها كل من يعمل على قدر ما يعمل » (٢٩)

« ان الفلاح انسان فيجب ان يتمتع بحقوق الانسان » ، ان حقوق الفلاح السياسية ليس لها كبير وزن ، فهو فى أكثر الاحيان عاجز عن التمتع بها ، وهو فى المعارك الانتخابية مضطر ان يعطى صوته لسيده او لمن يقع عليه اختيار هـــذا السيد(٢٩) الفلاح يقدم لمصر طعامها فلا تقدم له الا الذل والهوان .. اننى عندما خبرت حالة الفلاح الحقيقى ادركت ان تجارة الرقيق لم تمح ، واننا لا نعيش فى القرن العشرين (٣٠) .

وهو لا يكتفى بذلك بل يدعو الى تغيير النظام الاجتماعى الى نظام يكفل للفلاح حياة انسانية، واذا كان « هناك قوم يتهيبون البحث فى أصلاح النظم السارية ، ثم ينتحلون لتبرير انكماشهم سببا هو ادل على الوجل وخمود الفكر ، فيقولون ذلك هو النظام الطبيعى الذى أوجده الله وسار عليه الناس منذ القدم . لا يجدون وسيلة يتنصل بها البشر من تبعة جرائمهم الا بقذفها فى وجه الاله والطبيعة ، اما نحن فلا نرتضى الا ان تشعر الهيئة الاجتماعية بقسوتها وفظاعتها والا ان تهيأ لها السبل لتحسين نظمها وقواعدها (٣١) .

وكخطوة للتغيير اسماها هو « خطوة اصلاحية بسيطة قليل من كثير اترك اصلاحه للزمن » يقدم عصام الدين برنامجا لتحسين حال الفلاح :

- ٨ ساعات عمل مقابل حد ادنى للاجر ٦ قروش فى اليوم تزيد من تلقاء نفسها قرشا ونصف كل عام حتى يصل الاجر اليومى الى عشرين قرشا .. مع تمتع المرأة العاملة بنفس الاجر مقابل نفس العمل .
- تخفيض ايجار الاراضى الزراعية .
- الغاء الضرائب عن الملاك الذين يملكون فدانا فاقل ، وفى مقابل ذلك تفرض ضريبة على كبار الملاك وعلى كل من يزيد دخله عن حد معين .. وتزداد هذه الضريبة ارتفاعا كلما ازداد الدخل . ان فى مصر عددا كبيرا من كبار الملاك لا تنتفع البلاد منهم بشىء يذكر ومن العدل ان يدفع هؤلاء ٤٠ فى المائة من دخلهم السنوى ، وان يؤخـــذ

(٢٨) الاهرام ١٩٣٨/٦/٢٦ .
(٢٩) ص ١٢ .
(٣٠) ص ١٣ .
(٣١) ص ١٠ .

منهم (اى من تركاتهم) مثلْ هذه النسبة عند وفاتهم ..

● عدم السماح للاجانب بامتلاك الارض الزراعية

● العمل على نشر الصناعات الريفية .

● العمل على تحديد النسل .

● اتباع سياسة جمركية لحماية الانتاج الزراعى .

● انشاء وتقوية الجمعيات والنقابات الزراعية .

ومرة أخرى يؤكد عصام الدين انها مجرد مطالب اصلاحية ، ولكنها مجرد بداية كى نشعر الفلاح بأن حقوقه مهضومة وبأنه مظلوم بائس مهان ، وبأنه ينقصه الكثيرحتى يصير انسانا ، ثم يقول « اهدوا الفلاح الى بداية الطريق فلا يلبث ان ينطلق فيه الى آخره .. وترتفع حرارة النداء اكثر فأكثر ،مجرم فى حق شعبه وحق الانسانية من يعوق هذا الشعب عن بلوغ امنيته ، مجرم من يحاول اشباع انانيته ، وشهواته وجشعه على حساب هذا الشعب ، ان اقدس واجباتكم ان تنيروا له طريق التقدم .. ان تهيبوا بالفلاح ، ان ابرز الى الامام وخذ مكانك .

لكن كل هذا الى أين .. ؟

ان عصام يلخص الهدف فى سطر واحد .. « الفلاح يزرع ، فيجب ان يحصد ، الفلاح هو المنتج ، فيجب ان يكون هو المتمتع » (٣٢) .

وفى سنة ١٩٤٠ قدمت الحكومة الى مجلس النواب قانونا ينص على عدم السماح بالحجز على الضروريات اللازمة للفلاح الصغير ولمعيشته .. فثارت ثائرة النواب ونشر الاهرام بعضا من آرائهم التى قيلت فى الجلسة (٣٣) .

لبيب ابو قورة بك : هذا القانون ليس له معنى وهو معطل للفلاح الصغير .

محمود سليمان غنام : ان هذا المشروع فيه تعقيد لشئون الفلاحين .

خليل ابو رحاب : هذا القانون يعلم الناس الباطل والتضليل .

اسماعيل فهمى الشلقانى بك : لا يصح عرض هذا القانون هنا .

احمد عبد الغفار بك : انا اعترض على هذه القوانين التى تقدمها لنا الحكومة لانها قائمة على مبادىء بلشفية .

ويشن عصام الدين هجومه على النواب جميعا وعلى مجلسهم وعلى النظام الذى وصل بهم الى مقاعد البرلمان قائلا : اذا اردنا تحليل هذه المشكلة فاننا نجد :

● ان النواب ليسوا سوى جماعة من اصحاب الاملاك وممن يطمعون ان يصبحوا كذلك ذات يوم .

● ان الاغلبية الساحقة من الشعب المصرى اى الفلاحين ليس لهم من يمثلهم فى هذا المجلس .

● ان رجال الاحزاب السياسية المختلفة اذا اختلفوا فى المسائل الثانوية وتنازعوا على الحكم وما يتبعه من محسوبية فانهم صف واحد عندما يتعلق بطبقتهم ،الاحزاب تتنازع وتتقابل حين يكون الوطن فى خطر ، ولكنها تتساند وتتعارض عندما تكون الطبقة معرضة للقيام بتضحية ضئيلة .

ويهاجم عصام الدين النواب هجوما شديدا ويصفهم « **بالمهرجين** » ويقول : لعل السادة الاغنياء والنواب المحترمين يفهمون قبل فوات الوقت ان الترويج للمبادىء البلشفية وتحبيبها لقلوب الشعب لا يكون بالمطالبة بهذه الاصلاحات الطفيفة التى اذا نحن رحبنا بها فليس ذلك على انها اصلاحات حقيقية، بل على أنها دلالة على التفكير نحو الاصلاح ليس الا ، وان مايلوكه هذا الترويج بافهام البائسين الذين يحسون مسيس الحاجة الى الاصلاح ، ان الاصلاح قرين البلشفية وان فرض ضريبة الايلولة على تركات الاغنياء بلشفية ، ان نشر التعليم الالزامى بلشفية ، وان تعليم البنات بلشفية ، وان محاربة البذخ والتبذير بلشفية ، وان المطالبة بترقية احوال العمال والفلاحين والجنود بلشفية . وعلى ذلك فان حضرات النواب المحترمين لا يخدمون انفسهم ولا طبقتهم حين يكثرون من ترديد الاتهام بالبلشفية (٣٤) .

يواصل عصام الدين هجومه على مجلس النواب فى مقال آخر بعنوان « **نحو أمة عديمة الطبقات** » قال فيه : « ان الرأسماليين يعتقدون أن الديمقراطية هى نظام سيادة أصحاب رؤوس الاموال وليس البرلمان الانقابة يبحثون فيها شئون طبقتهم . ونحن نرى بعضهم يطالب بتحديد عدد طلبة الجامعة الوحيدة وذلك على اعتبار أن التعليم

---

(٣٢) ص ٢٤ .
(٣٣) مجلة التطور عدد مايو ١٩٤٠ .
(٣٤) التطور عدد يونيو ١٩٤٠ .

ليس حقا للشعب وليس المراد به التثقيف ، بل كانما يراد به تخريج فئة من الخدامين : أطباء لمعالجة البكوات والباشوات ومهندسين لتشييد قصورهم ورى تفاتيشهم ، وقضاة للحكم بحبس من يسرقون زراعاتهم » (٣٥) .

وكان عصام الدين فى دعوته العنيدة الى نشر التعليم لا يتساهل حتى مع كاتب مثل محمد زكى عبد القادر الذى اهتم ونادى باصلاح احوال الفلاحين . وعندما كتب **زكى عبد القادر يقول:**

ان القوت مفضل على التعليم ، وان قانون التعليم الالزامى بحاجة الى تعديل كبير ، بل لعله فى حاجة الى الالغاء ، ولابد من بحث المسألة كلها بشىء من الجرأة والفهم الصحيح .

ويرد عصام على محمد زكى عبد القادر قائلا : ان الخبز والتعليم كليهما ضرورى ولايسوغ للاستاذ أن يضع سؤاله فى هذه الصيغة المضللة ، فان فى وسع الدولة ان تعطى كل طفل لقمة ليأكل، وقلما ليكتب ، ومن واجب الدولة أن تقدم الخبز والتعليم معا لهذا الشعب الجائع البطن والراس . » ويختتم عصام الدين مقالته بقوله : « ونحن نطمئن حضرته فسيجد الفلاحين والعمال والصعاليك دائما ما يقرأونه ونحن سنزودهم بما يقرأون .. » (٣٦) .

ماهى الاشتراكية ؟

هذا هو السؤال الذى احس عصام الدين بواجب ملح فى الاجابة عليه ، وفى نشر هذه الاجابة على أوسع نطاق حتى يعرف شعبه المعنى الحقيقى للاشتراكية والاهداف الحقيقية التى تسعى من أجلها، وفى عام واحد [١٩٣٣] يصدر عصام الدين ثلاثة كتيبات « **حركة العمال والاشتراكية الديمقراطية** »،« **المسالة الاشتراكية** »،« **مبادىء الاشتراكية** » . ومن هذه الكتيبات الثلاثة وبعض مقالاته الاخرى سنحاول أن نلقى بعض الضوء على فكره الاشتراكى والاسس التى أقامه عليها .

وكتيب « المسالة الاشتراكية » عبارة عن أسئلة واجوبة :

س : ما هى الاشتراكية ؟

جـ : الاشتراكية هى اشتراك جماعة من الناس [كأهالى القطر المصرى مثلا] **فى انتاج** البضائع التى يرونها لازمة لهم ، **وذلك بدلا من قيام** فرد أو شركة تجارية مفردة بالانتاج . اذ أن المنتج الفرد لن يراعى فى انتاجه الا مصلحته الشخصية ولو تعارضت مع مصلحة المجتمع . **فانه لا يتورع** عن احراق نصف محصوله كى يرفع **ثمن النصف** الاخر ، ولن يتأخر عن طرد نصف عماله من غير ضرورة ماسة اذا وجد فى ذلك مغنما ولو ضئيلا .

س : وكيف يحل الاشتراك فى الانتاج محل الانتاج الفردى .. ؟

جـ : **يكون ذلك بالغاء الملكية الفردية فى وسائل** الانتاج كالمصانع والمزارع واستبدالها بالملكية المشتركة .

س : وكيف الحال فى التجارة ؟

جـ : تكون جميع المتاجر ملكا للدولة ، أو المجالس البلدية أو النقابات التعاونية يعمل فيها موظفون فنيون . ووظيفة التاجر الاشتراكى قاصرة على الوساطة بين الانتاج والاستهلاك، من دون ان تتطفل على الحياة الاقتصادية برفع الاسعار واحداث الغلاء المصطنع .

س : ومن الذى يقوم بادارة الانتاج وتوزيع الارباح ؟

جـ : تقوم بذلك لجنة ينتخبها أهل البلد من بينهم ، ويستبدل أفرادها كل عام مثلا حتى لا يتولد فيهم حب السيطرة والاستبداد والمحسوبية ، وتكون هذه اللجنة خاضعة لمراقبة الاهلين مراقبة صارمة . اما الارباح فتوزع على مجموع الاهالى (العاملين) بصفة أجور ، فاذا امتنع شخص عن العمل بغير سبب معقول فانه لا يتقاضى أجرا ، وبما أنه لم يرث عن أهله ضيعة ينفق من ريعها من غير أن يعمل فسيضطره الجوع الى العودة الى ميدان العمل ثانية ، وفى ميدان العمل الاشتراكى متسع للجميع .

وليس من الضرورى أن يكون نصيب كل فرد من الربح مساويا لنصيب آخر ، بل يصح أن تتفاوت الاجور تفاوتا معتدلا ، فيمنح المهندس المخترع من اسباب الراحة قدرا أكبر مما يمنح للعامل العادى، وتستمر الحال على ذلك المنوال فترة طويلة يمكن اعتبارها دور انتقال الى الدور النهائى للاشتراكية ، وهو الدور الذى يزداد فيه الانتاج (رغم قلة ساعات العمل) ، وتكثر الخبرات

---

(٣٥) التطور عدد يونيو ١٩٤٠ .
(٣٦) التطور عدد مارس ١٩٤٠ .

الى حد أن يجد كلّ امرىء ما يرغبه من المنتجات .. » (٣٧) .

ويواصل عصام الدين الاسئلة محاولا فى بساطة ووضوح ان يجيب على كثير من التساؤلات .. موقف الاشتراكية من الحرية .. موقفها من الاخلاق .. لكننا سوف نتوقف عند سؤال هام ، لانه يحدد موقف عصام الدين من الاتجاهات الاصلاحية فى الدولية الثانية .

س : ألا يمكن ايجاد حالة وسط بين الاشتراكية والفردية ؟

جـ : لقد فشلت جميع المحاولات التى أريد بها ذلك .. اذ يجب على من اقتنع بصحة مذهب الاشتراكية أن يجاوز التورط فى سياسة النفعية والحلول المتوسطة .. أما تحسين أجور العمال وتخفيض ساعات عملهم فهو ممكن وقتى لا يحل الاشكال ، كما أن تحسين أحوال العبيد لا يعتبر حلا لمشكلتهم وانما كان الحل فى الغاء الرق جملة .

وتحت عنوان «الاشتراكية من الوجهة العلمية» يقول عصام الدين : « وألفت النظر الى أن الغرض من الاشتراكية ليس رفع أجور العمال وتحسين أحوالهم تحسينا محدودا ، وانما هو أن تحل الدولة محل طبقة مالكى الاراضى والمصانع ، وأن تمنع اصحاب رؤوس الاموال من التحكم فى الفقراء واستخدامهم عمالا أجيرين لا يتمتعون بكل ما ينتجه عملهم من الثمار .. » (٣٨) .

انه موقف صارم ضد الاتجاهات الاصلاحية ورفض لها .

وفى مقال آخر بعنوان « الاستيلاء على القوة السياسية »، « قيمة المجالس النيابية والوسائل السلمية فى نظر الاشتراكية »(٣٩)، يقدم عصام الدين دراسة ممتعة وعلى أسس ماركسية صرفة لفكرة استخدام الوسائل القانونية كسبيل للدعوة للاشتراكية،ويردد فيها انتقادات ماركسية للاسال، وآراء تفصيلية لانجلز حول هذا الموضوع ، وهناك موضوع آخر بالغ الاهمية يناقشه عصام الدين فى كتاباته هو « **العلاقة بين الاشتراكية والاسلام** »، ويصدر هذا الفصل بعبارة للكواكبى تقول : « **كذلك تركت الاسلامية معظم الاراضى الزراعية ملكا للعامة الامة يستنبتها ويتمتع بخيراتها العاملون فقط** » ثم يمضى عصام قائلا : « اذا قارنا بين ما أورد « الاسلام فى شئون المعاملات وما قررته الاشتراكية ازاءها وجدنا فيها أشياء متماثلة تماثلا كليا كتحريم الربا » (٤٠) ، ثم يقول : « اما المسألة الوحيدة التى يرى البعض فيها اختلافا بين الاسلام وبعض المذاهب الاشتراكية فهى مسألة الميراث ، ويرى البعض أن الغاء الوراثة الخاصة وجعلها مشاعا هو نوع من التعاون ليس فيه خروج على الدين ، اذ أن نظام التوريث ليس الزاميا ولا سيما عندما تدعو الظروف الاقتصادية الى تحويره » .

لكن عصام الدين لايكتفى بذلك، بل هويلجأ الى الغمز والهجوم من طرف خفى قائلا : « ويرى الآخرون أن الحكومة التى توافق على الغاء الارث الخاص تخرج على الاسلام كما تخرج عليه حكومتنا المصرية فى الغائها الحدود الاسلامية وفى حبسها السارق بدلا من قطع يده وفى تنظيمها البغاء وتحليلها الربا » . وأخيرا يقول عصام الدين : « وعلى ذلك فليس هناك أى تنافر بين الاشتراكية والاسلام،واذن فتدكذب الذين يستندون الى الاية (ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات) لتثبيط همم الطبقة العاملة بحقوقها ، ولتبرير حالة الذين يرثون المال ، فيأخذون فى انفاقه على العاهرات وبائعى الخمور متخذين من تركز الثروة فى أيديهم قوة ووسيلة لاتلاف أخلاق الوسط الذى يعيشون فيه .. » (٤١).

كذلك كانت مجلة «**روح العصر**» منبرا اشتراكيا أسسه عصام الدين بالاشتراك مع د . عبد الفتاح القاضى وحسنى العرابى ، بهدف الدعوة للاشتراكية ونشر أفكارها .

وقد صدر من هذه المجلة ٢٤ عددا زخرت بمقالات عديدة عن الاشتراكية واهدافها ضد الفاشية .

ولقد كان عصام الدين بفضل ثقافته الالمانية وتتبعه المستمرللمنجزات الفكريةالالمانية،ولاحداث الصراع السياسى والاجتماعى فى المانيا ، أول من تنبه من المثقفين المصريين الى خطر الفاشية والى ضرورة دحرها. ولم يقع عصام الدين فى المنزلق الذى انساق اليه بعض الساسة المصريين وخاصة

---

(٣٧) المسألة الاشتراكية . سبتمبر١٩٣٣ . مطبعة ابى الهول .
(٣٨) التجديد الاجتماعى . ابحاث فىشئون العمال والفلاحين — ١٩٣١ —مطبعة السفير الاسكندرية ص ٥١ .
(٣٩) قصاصة من صحيفة عثرت عليهاضمن ارشيف عصام وغير موضح عليهااسم الصحيفة ولا التاريخ
(٤٠) مبادىء الاشتراكية . الطبعةالاولى ١٩٣٣ — مطبعة ابى الهول بالقاهرة ص ١٨ .
(٤١) ص ٢٤ .

من ممثلى البورجوازية الصغيرة والوسطى ، محاولين الاستعانة بهتلر ضد الانجليز ، أما هو فقد حمل لواء الدعوة ضد الفاشية داعيا الى تركيز كل الجهود للقضاء على الخطر الفاشى المحدق ، ومنذ البوادر الاولى للخطر الفاشى ، كان عصام الدين سباقا الى التعرض به والهجوم عليه والتحذير منه ، ففى عام ١٩٣١ يضمن كتابه « **التجديد الاجتماعى** » فصلا بعنوان « **دكتاتورية الفاشسزم** » (٤٢) يقول فيه : « ان الفاشيةليستالا رجعية ضد نموالمدنية فى مدىألف عام، وهى تنكرحقوق الانسانوتعمل على خنق الحريةالشخصية وحرية الفكر »، لكنه لا يلبث أن يصدر كتابا بعنوان « **اخفاق الفاشية** » (٤٣) ، يعالج فيه فكرة الفاشية فى علاقاتها بالقضية الوطنية وبالدعاوى التى ترددت كثيرا حول الفاشية وعلاقاتها بالاشتراكية ،ويعالج الموقف من الانجليز فى ضوء قضية الصراع المشترك ضد العدوالمشترك، وهو كتابهام يعبر عن سعة اطلاعه ، وعن وضوح الرؤية لديه وضوحا تاما .

ولنتأمل بعض آرائه فى هذا الصدد ، اذ يقول : « ونحن نكافح الفاشية فى مصر ونؤيد كل ما من شأنه القضاء عليها ، ونحن اذ نرجو دحر ألمانيا الفاشية لا نبغى بذلك كراهية بالالمان بل كراهية للفاشية ، فاذا برىء الالمان من هذا الداء مددنا اليهم يد الصداقة كما هو شأننا مع غيرهم من الشعوب » . « لقد قام سماسرة المحور فى الشرق ببث دعاواهم فى أقطاره قبل نشوب الحرب وبعدها ، ناهجين نهج سادتهم فى برلين ، اولئك الذين كانوا يبشرون بين كل طبقة وفئة بمبادىء ويمنونها بأمان تناقض مايذيعونه بين سواها،فهم يقولون للاغنياء ان الفاشية تحفظ لهم املاكهم من خطر الشيوعية،ويقولون للفقراء، ان الفاشيةتلغى الرأسمالية وتمحو امتيازاتالاغنياء ، وتسوىبين أبناء البلاد جميعا ، والواقع أنها لم تلغ النظام الرأسمالى ، بل الغت ما كان باقيا فيه من محاسن » .

ان اشتراكية هتلر ليست سوى صرخة الرأسماليين الالمان بطلب مضاعفة أرباحهم ورغبتهم وزيادة استغلال عمال بلادهم والقاء نير استغلالهم على عاتق البلاد الاخرى » (٤٤) .

ويحدد عصام الدين موقفا صريحا ينادى فيه بتوجيه كل الجهد من الخطرالفاشى المحدق « لقد أخذ دعاة الحورية يستغلون ما بيننا وبين انجلترا من المشاكل لكى ننحاز اليهم، اما نحن فنرى ـ ان أمكن ـ أن نبحث لكل مشكلة محلية عن حل وقتى نتهادن عليه حتى ننتهى من مشكلة المشاكل .. اننا نشكو ما نراه فى نظامنا من عيوب ، ولكن ذلك لا يدعونا الى أن نستجير من الرمضاء بالنار .. دائما نكافح الفاشية لانها تريدنا أن نتقهقر ونحن مصرون على التقدم، وبالقضاء علىالفاشية تنتهى البداية وتبدأ النهاية » (٤٥).

لكن عصام الدين لم يعف الانجليز من مسئوليتهم ، بل اتهمهم صراحة بأنهم هم الذين شجعوا النازية ومهدوا الارض أمامها ، فعندما حمل هتلر لواء الاستعمارية الالمانية واخذ النازى بيده الحكم ، ملأ الطربجوانح تشمبرلين ودلادييه ومن لف لفهما ، فقد كانوا يرون فى الهتلرية حاجزا منيعا دون البلشفية ، وقد طرقت مسامعهم صيحات النازيين لانتزاع اوكرانيا من الاتحاد السوفيتى ، وقصرت أبصارهم عن رؤية الحرب النازية المقبلة على بلادهم فهللوا لهتلر ومجدوه .

ومن ذلك ما كتبه « **لويد جورج** » فى جريدة التيمس الصادرة فى ٢٢ سبتمبر ١٩٣٣ اذ يقول« اذا أفلحت الدول فىسحق النازيةفىالمانيا فما الذى سيكون بعد ، انه لن تكون ثمة حكومة محافظة أو اشتراكية أو حكومة من الاحرار، بل حكومة شيوعية متطرفة ولا يمكن أن يكون هذا هو الغرض الذى ترمى اليه هذه الدول » . (٤٦) .

وهكذا فقد حرص دوما على ان يوضح وبجلاء أن الفاشية ليست سوى أحد أشكال النظام الرأسمالى ، وأن القضاء عليها هو فى الاساس اضعاف للنظام الرأسمالى ككل . وهو يحمل اشتراكيى الدولية الثانية مسئولية نهوض الفاشية ونجاحها ، فيقول : ويرجع نجاح الفاشية فى المانيا الى السياسة التى انتهجها الاشتراكيون الديمقراطيون اذا أنهم :

● انضموا الى المعسكر المعادىللثورة التىقام بها العمال والجنود والبحارة عقب هزيمة المانيا فى الحرب ، وفتكوا بزعمائهم ، وفى مقدمتهم كارل لبنخت وروزا لكسمبرج .

---

(٤٢) مترجم عن كتاب « حكومةالشعب ام الدكتاتورية » للدكتور مارتن لانيارت
(٤٣) اخفاق الفاشية . اغسطس١٩٤٣ . مطبعة لجنة التأليف والترجمةوالنشر .
(٤٤) المرجع السابق ص ٣ .
(٤٥) ص ٤ .
(٤٦) موسكو ـ برلين ـ لندن ـ الطبعة الاولى ١٩٤٦ . ص ١٠ .

● اخذوا يمالئون البورجوازيين ؟ ولا سيما بعد أن أخفقوا في الحصـــول على كثرة مطلقة في الجمعية الوطنية ، فأصبح وجودهم في دست الحكم منوطا بائتلافهم مع الحزبيين الديمقراطيين والوسط • (٤٧)

ثم يواصل عصام الدين رواية قصة وصول هتلر الى الحكم وكيف كانت خيانة اشتراكيي « الدولية الثانية » هي السبيل الذى مكنه من ذلك • وفى هذا الكتاب يحدد عصام الدين موقفا صريحا مـن المدارس الاشتراكية ، ويرفض صراحة انتهازية الدولية الثانية ، ويمجد دور حزب (البروليتاريا) الالمانية الذى وقف يقاوم تيار الفاشية بشجاعة منقطعة النظير •

لكن ذلك كله لم يكن من وجهة عصام الدين سوى اعداد المسرح كى يتاح لمصر أن تشهد فصول الرواية الحقيقية ••

لم يكن ذلك كله الا استعدادا لعمل أكبر وحلم أعظم •• ذلك الحلم الذى قضى عصام الدين ردحا طويلا من حياته يفكر ويدبر ويسعى بدأب كى يصل اليه ••

حزب للعمال والفلاحين

كانت تلك هى القضية الاساسية من وجهة نظر عصام الدين .•. فلقد ادرك منذ البداية ضرورة تأسيس هذا الحزب كسبيل للنضال والجهاد من أجل تحقيق الاشتراكية فى مصر •

ولقد بذل محاولات عديدة اتسم بعضها بالتسرع والبعض الاخر بالذكاء ، ورغم أن هذه المحاولات لم تنجح فى تحقيق حلم عصام الدين بشكل مباشر فانها تستحق التأمل والدراسة ، خاصة وأنها قد أصبحت بوتقة تولدت فى غمارها أجزاء من الحركة الاشتراكية المصرية الحديثة ••

ولنبدأ مع محاولاته الاولى لتأسيس حـركة اشتراكية •

وتبدأ المحاولة فى ١٩٢٧ عندما كون مع بعض أصدقائه ما سمى « باللجنة التحضيرية للحزب الاشتراكى المصرى » ولا تحمل صحف هذه الفترة أية أخبار عن نشاط هذه اللجنة •• سوى برقية تقول « اللجنة التحضيرية للحزب الاشـتراكى المصرى تحتج بشدة على منع النائب الشيوعى البريطانى سكلاتفالا من دخول مصر ، وتعلن أن اضطهاد الحرية الفكرية لا يمكن أن يدل على شـــجاعة الحكام الذين يخافون من ذيـوع الحقائق •••

السكرتير : عصام الدين ناصف (٤٨)

وتتهكم كوكب الشرق على هذا الحزب الذى « لم يسمع به احد » والذى نبت نباتا شيطانيا، ولابد ان المحاولة لم تنجح ، فقد كانت مصر لا تزال تعانى من آثار حملة إرهاب شديد والذى تعرض له مؤسسو الحزب الاشتراكى فى ١٩٢١ ، وكانت معظم كوادر هذا الحزب اما فى السجن أو مطاردين •

لكن هذا الفشل لايمنع عصام الدين من مواصلة المحاولة ••• مستخدما أسلوبا جديدا •••

لماذا لا يلجأ الى الكوادر المتطرفة فى الحزب الوطنى ، ألم يكن هو نفسه واحدا من هذه الكوادر ثم انحاز الى الاشتراكية •

وهكذا يبدأ علاقة وثيقة مع لجنة الحزب الوطنى بالاسكندرية حيث كان يعمل مدرسا ، ثم يدعم علاقته بالنقابة التابعة لها ، وهى نقابة الصنائع اليدوية •

وعندما يجد عصام استجابة ما فانه يسرع فيصدر كتابه (التجديد الاجتماعى) كمحـاولة لوضع أساس فكرى للحزب الجديد •

ويبدو أن ثمة خلافا نشأ : هل يسـمى الحزب « الحزب الاشتراكى » أم حـزب « العمال والفلاحين » كما كان يريد محمود محمد ناصر أحد قادة الحزب الوطنى بالاسكندرية ومراقب نقابة الصنائع اليدوية •

فيكتب عصام الدين مقالا توجد مسودته ضمن مطبوعات قضية ١٩٣١ بعنوان « حزب اشتراكى لاحزب عمال » .

لكن بيانا يصدر فى ٤ يونيو ١٩٣٠ ، بعنوان « برنامج حزب العمال والفلاحين » (٤٩) •

وقد كانت قضية كتاب « التجديد الاجتماعى » هى فى الاساس قضية تأسيس هذا الحزب ، وكانت الوقائع التى دار حولها التحقيق تتعلق أساسا بمحاولات تأسيس الحزب •

فيدور التحقيق حول علاقة عصام ناصف بنقابة الصنائع اليدوية ، ولماذا قـامت النقابة

---

(٤٧) ص ٣٩ •
(٤٨) كوكب الشرق ١٩٢٧/١/٨ •
(٤٩) ملف القضية ٣٤٤ كلى ١٩٣١. بيقائمة المضبوطات ص ٤ •

بتوزيع كتاب « التجديد الاجتماعى » وباعت منه نسخا كثيرة ·

ويستدعى الى التحقيق محمود ناصر الذى يعترف بمحاولة تأسيس « حزب العمال والفلاحين » وبأنه قد طبع منه ألف نسخة ووزع معظمها ·

واذا كان تقديم عصام الدين الى المحاكمة ، والضجة التى صاحبت القضية والقبض على زملائه فى محاولة تأسيس الحزب قد أعاقت هذه المحاولة ، فان عصام الدين لم يتراجع بل صمم على المحاولة من جديد ·

وفى ٣٠ أبريل ١٩٣٢ ، يصدر بيانا بمناسبة « أول مايو » موقعا باسم « الكتلة الاشتراكية » · والبيان يحمل شعار « يا عمال العالم اتحدوا . كارل ماركس » ويبتدىء بداية ساخنة « لقد فشل النظام الرأسمالى ، وها هى بشائر انهياره تبدو للابصار ··· » ·

ويمضى البيان منددا بالاسلوب الرأسمالى فى الانتاج مؤكدا انه مصدر الازمات والحروب ··· لكنه لا يلبث ان يوجه نداءه الى عمال مصر :

« يا عمال مصر . . لقد ظللتم أبد الدهر متفرقين، لا يقيم لكم أحد وزنا ، ولا يخطر ببال الحكومة أن تجيب مطلبا من مطالبكم ، فلما أخذتم فى تكوين النقابات رغم كل معاكسة ··· فكر البعض فى استغلالكم لتعضيد سياسة يجدر أن يبتعد العمال عنها ·· فدعوا هذا التواكل ولا تجعلوا أنفسكم مطية لغيركم . . » (٥٠) .

·· انه يدعو العمال الى ضرورة التخلص من نفوذ الاحزاب والعناصر البورجوازية التى سابقت فى محاولة سيطرتها على الحركة النقابية . .

ويبدو أن مساعيه قد نجحت بعض الشىء وأنه قد استطاع أن يجمع عددا من العناصر ليبدا من جديد . .

لكن البوليس كان يتعقب كل حركاته ، وفى ٢١ مايو ١٩٣٢ تصدر معظم الصحف بعناوين ضخمة « ضبط منشور اشتراكى ··· » ·

ومن محاولة تتبع ما نشر فى صحف هذه الفترة يمكن أن نستخلص المعلومات الاتية :

■ أن البوليس السياسى قد علم أن بعض الافراد ألفوا لجنة تحضيرية مهمتها الدعوة الى تأليف حزب جديد أطلقوا عليه اسم « الحزب الاشتراكى » وأنهم أعدوا منشورا لطبعه وتوزيعه على الجمهور يدعونه فيه الى الانضمام الى الحزب وتكوين جمعية عمومية تنتخب اللجنة التنفيذية التى تكون مهمتها انتخاب رئيس الحزب ·

■ ان البوليس علم أن اللجنة التحضيرية ستصدر منشورا يتضمن برنامج الحزب ·

■ قام البوليس بضبط المنشور فى مطبعة العامل المصرى، وقد ضبط ٥٠٠٠ منشور معدة للتوزيع ·

■ وقد قبض على كل من عصام الدين ناصف ومحمود ابراهيم اللذين اعترفا بطبع المنشور ، وأيدا كل ما به من مبادىء .

وتشير الصحف الى أن المنشور موجه الى « الامة المصرية الكريمة » يحثها على تأليف حزب اشتراكى، وأنه تضمن برنامج هذا الحزب، وأن البرنامج يتحدث عن الملكية العامة والملكية الفردية وساعات العمل وحقوق النساء وضرورة مساواتهن بالرجال ، وضرورة تمثيل العمال فى البرلمانات (٥١) .

لكن حرب المنشورات التى بدأها عصام الدين لم تنته ، فما أن يحضر الى مصر ملك ايطاليا لزيارة الملك فؤاد ، حتى يوزع منشور يهاجم الفاشية الايطالية ويهاجم من سمحوا لملك ايطاليا بزيارة مصر ، ويطالب المنشور أيضا بالغاء الامتيازات الاجنبية ، وقد وزع هذا المنشور على نطاق واسع فى القاهرة ودلت تحريات البوليس على أن سيارة قد استخدمت فى توزيعه (٥٢).

والغريب فى الامر أن عصام الدين قد قبض عليه فى هذه القضية لأن رجال البوليس « رجحوا أنه هو كاتب المنشور نظرا للطريقة التى تعرض بها لنقد نظام الفاشست (٥٣).

وعلى أية حال فان الاهرام تشير الى ضبط نسخ هذا المنشور فى منزل عصام الدين (٥٤).

ويواصل عصام الدين مسيرته .

---

(٥٠) الوادى — ١٩٣٢/٤/٣٠ .
(٥١) الاهـــرام — البلاغ — كوكب الشرق ١٩٣٢/٥/٢١ .
(٥٢) الاهرام — المقطم — الجهاد — كوكب الشرق . أيام ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ١٩٣٣/٢/٢٤ .
(٥٣) مجلة صـــندوق الدنيـــا —١٩٣٣/٨/٢٩ . ويلاحظ ان صاحب المجلة هو محمود ابراهيم الذى قبض عليه مع عصام فى قضية منشورات عام ١٩٣٢ ، وربما كانت صندوق الدنيا ثم الشعاع التى صدرت ١٩٣٨ . هى جزء من محاولات عصام الدين لتأسيس مجلة يمكن اعتبارها منبرا للاشتراكية .
(٥٤) مجلة المصرية ١٩٣٧/٩/١ .

وفى أول مايو ١٩٣٣ يصدر نداء جديدا للعمال يهاجم فيه من جديد النظام الرأسمالى ، ويدعو العمال الى الوحدة والتضامن ضد الحرب والاستعمار والارهاب ... (٥٥).

وعندما ينشب الخلاف بين حزب الوفد ، وبين عباس حليم حول زعامة الحركة النقابية ، ينشر عصام مقالا عنيفا يدعو فيه العمال الى الانفضاض عن هذين المعسكرين المتصارعين وتكوين حزب خاص بهم ·ويقول « لقد أعلن أنصار الوفد عن انشقاق حزبهم على اتحاد العمال الذى يرأسه الشريف عباس حليم ، وأعربوا عن أراء مرتبكة تدل على نهاية الجهل المشوب بسوء النية ... يزعم الوفد أن الوطنية البورجوازية الفاشلة التى يرفع هو لواءها لا تسمح بافساح المجال لحركة عمالية يقوم بها العمال لجمع شتاتهم وضم صفوفهم وتكوين جبهة موحدة للعمل على تحرير أنفسهم من تحكم أصحاب الاعمال » ···

وترى جريدة العمال [جريدة عباس حليم] أن تقسم شئون الامة الى قسمين: قسم يتولاه مصطفى النحاس، وقسم يتولاه عباس حليم، وينبغى على العمال فى رأيها أن يمتنعوا عن معالجة المسائل السياسية التى لا تختص بشئون العمال » ·

ويهاجم عصام كلا المعسكرين ، فكل من هذين الزعيمين لا يقل عن الاخر بعدا عن محجة الصواب ، والعمال يجب أن يعنوا ببحث جميع الشئون السياسية على أن ينظروا اليها من وجهة نظرهم الخاصة دون تبعية للاحزاب البورجوازية ... (٥٦) .

والحقيقة ان عصام لم يقصر اهتمامه على المطالبة العامة بمصالح الطبقة العاملة ولا على تأسيس حزب لها ، لكنه ركز فى كثير من الاحيان اهتمامه على الحركة النقابية ، محاولا أن يضىء أمامها سبل العمل المفيد ، وقد دأب باستمرار على سبيل تحذيرها من سيطرة العناصر الغادرة والبورجوازية ·

والحقيقة ان عصام لم يفرق كثيرا بين محاولاته لتأسيس حزب للعمال والفلاحين، وبين عمله وسط النقابات ، فقد سيطرت عليه تماما فكرة العمل العلنى والقانونى ، وفى مناقشات خاصة معه أكد لى أنه رفض كافة المحاولات لتأسيس تنظيم سرى على أساس ان النضال المستمر سوف يجبر الحكام يوما على الرضوخ لمنح العمال حقهم فى تكوين حزب خاص بهم ·

وقد قاده هذا التمسك بالعلنية الى كثير من المزالق · فبعد هذه المحاولات المتكررة والتى ضربت واحدة بعد الاخرى لم يجد مناصا من اللجوء الى من يحمى محاولاته من بطش البوليس فلجأ الى عباس حليم ·

وهنا يبدو واضحا تسلط « البرجوازى الصغير » على تصرفه هذا ، لقد فقد الصبر والثقة فى جماهير العمال فلماذا لا يلجأ الى سند ارستقراطى يحمى محاولاته ؟، خاصة وان كثيرا من الجماهير العمالية قد التفت حول عباس حليم وقلدته لواء زعامتها ؟

ولقد لجأ عصام الى عباس حليم على مضض فهو لا يقبل زعامة ارستقراطى للحركة العمالية ، وهو لا يرضى عن الزعامات النقابية التى التفت حول عباس حليم ·

لكن عصام لا يخفى هذه « المرارة » بل هو يقتحم معسكر عباس حليم شاهرا سيفه معلنا الحرب على النقابيين النفعيين ·

فيكتب فى صراحة « كنت مضطرا للذهاب الى النبيل عباس حليم ، فقد كان جميع العمال تحت زعامته ، وهو رجل مخلص حسن النية ولكنه قليل الخبرة بهذه الشئون ، وقد وجدته ترك الامر فى أيدى عدد من العمال ، معظمهم غير مخلص للحركة ، وانما كان انضمامهم لاستغلالها والافادة منها أدبيا وماديا ·· وكان البعض منهم يختلس ما تصل اليه يده من أموال العمال المساكين، ثم هناك ما هو ادهى وامر ، كان الكثيرون منهم يتصلون بادارة الأمن العام .. كانوا جهلة أدعياء » ..

وشعر هؤلاء النقابيون بخطر وجود عصام الدين وسط صفوفهم فأخذوا يقاومونه بسلاح قديم « لا نريد أفندية بيننا ، ان الافندية لا يحسون آلام العمال ·· » .

ورد عليهم عصام ردا قاسيا قائلا : « انهم يعيشون فى ظلال الأغنياء ويتمتعون بكرم الاغنياء ولا يمكن مقارنتهم بالعمال .. » (٥٧) .

ومع ذلك يواصل عصام محاولاته مع عباس حليم ·· بل لقد حاول أن يستفيد من اهتمام النبيل

---

(٥٥) المقطم .
(٥٦) الوادى ١٩٣٢/٨/٢١ .
(٥٧) جريدة شبرا ١٩٣٧/٤/١ م

بتأسيس اتحاد العمال لاقتناعه بتأسيس « حزب العمال » ورفع عصام شعار « حزب عمال لا اتحاد نقابات فقط » وتقول جريدة شبرا « اقترح الاستاذ عصام الدين على الشريف عباس حليم ان يؤسس حزبا للعمال الى جانب اتحاد العمال ، لان للحزب وظيفة غير وظيفة النقابات فعارض أعضاء الهيئة التنفيذية فى ذلك ، ولكن الشريف اقتنع بصواب الفكرة ودعا الاستاذ عصام الى وضع مبادىء الحزب (٥٨) .

وهنا تثور ضجة شديدة ، فالمحاولة ليست مجرد محاولة متواضعة ، كتلك المحاولات التى دأب عصام بصبر على القيام بها طوال السنوات الماضية ، لكنها محاولة يسندها عباس حليم بنفوذه الضخم فى الطبقة العاملة ، وباتحاد عماله الذى يضم غالبية النقابات .

ويشعر الوفد بالخطر على نفوذه وسط العمال ، فقد رضى على مضض باتحاد للعمال برأسه عباس حليم ، مصمما باستمرار على أن هذا الاتحاد لا يجب له ان يشغل نفسه بالاعمال السياسية ، اما تكوين حزب عمالى فهذا شىء آخر ، خصوصا اذا أعد برنامجه عصام الدين ناصف ، ولعب دورا أساسيا فى تكوينه .

وتهاجم صحف الوفد هذا الاتجاه ، ويهاجمه النحاس شخصيا فى عدد من خطبه معلنا أنها محاولة للدس بين الوفد وبين انعمال ، ثم عاد النحاس لينشرحديثا فىالصحف يكرر فيه الى ان الدستور يحرم على الامراء الاشتغال بالسياسة .

ويبدو ان هذه الهجمات قد دفعت عباس حليم الى التردد ، فينشر الاهرام خبرا لمراسله فى لندن (حيث سافر عباس حليم) يقول « ان النبيل سيكتفى على الارجح بتكوين اتحاد نقابات (٥٨) .

لكن عصام لا يتراجع ، بل يشن هجوما مركزا على الوفد والنحاس ، وهو لا يكتفى بهذا الهجوم فهو اذ يعلن عدم تصديقه للتصريح المنسوب لعباس حليم ، يوجه اليه التحذير صريحا « فاذا فرضنا (وهذا ما نكتبه على سبيل الجدل ولا نعتقده قط) أن النبيل عباس حليم رأى أن يتخلى عن الحركة ، وان يكتفى باعادة اتحاد النقابات ، فهل معنى هذا أن العمال يمتنعون عن انشاء حزب العمال ؟ كلا .. ثم الف كلا ، فالعمال سينشئون حزب العمال ، لا لان الزعيم عباس حليم يرى ذلك فقط بل لانهم هم يرون ذلك أيضا ..

ويواصل عصام تأكيده « نحن الان نعلن أننا مصرون على وجوب انشاء حزب العمال فى أقرب فرصة ، واننا ماضون فى الدعاية لتكوين الحزب .. واننا لن نتراجع عن عملنا هذا مهما غضب اعداء الحركةومهما تراجع أصحاب القلوب الخائرة ، ولن تمضى بضعة اسابيع حتى نزف الى العالم بشرى تكوين حزب العمال المصرى »(٥٩)
ويسرع عصام فيعلن برنامجا تفصيليا للحزب ، يجمع عليه توقيعات مئات من القادة النقابيين فى محاولة لوضع الجميع بما فيهم عباس حليم ، أمام الامر الواقع ، لكن اعلان البرنامج والتفاف العمال حوله قد أزعج الراى وازعج عباس حليم نفسه ، واعلن عباس حليم ان جلالة الملك قد تدخل طالبا ابعاد حزب العمال عن السياسة ، ومن ثم فقد تقرر شطب كافة النقاط السياسية من البرنامج ، وكانت هزيمة قاسية لافكار عصام ، لعلها لقنته درسا بعدم جدوى الاستعانة بالبرجوازية لتأسيس حزب للعمال ، فعلا صوته فى مقال غاضب بعنوان « عمال قبل كل شىء ، حذار من تضليل البرجوازية » يقول فيه : « ليس هناك اشد ضلالا ممن يزعم أن هناك نزاعا بين الوطنية المصرية والعاملية المصرية ... ما أمهر الاحزاب البرجوازية فى التهويش والتضليل ، انها تعطى للعامل خنجرا مسموما ليطعن به طبقته ، وتدعوه باسم الدين او الوطن ان ينتحر فيفعل ، ويقولون ابق مكانك لا تتقدم الى الامام حتى ننتهى نحن من اجلاء المحتلين ، فيجيب سمعا وطاعة سأظل قابعا فى الاوحال القذرة الى ان يصدر أمركم بالتحرك فأتحرك ، اتحرك فى الطريق التى سارت فيها احزاب العمال والاشتراكية فى سائر بلاد العالم .. »

ويواصل عصام الدين صيحته : يجب على العمال ان يرفضوا تلبيةدعوة الاحزاب البرجوازية وعليهم أن يردوها قائلين : اننا نسعى لتحسين حالة أغلبية الامة من عمال المدن والارياف وهذا أمر لا يعوق الحركة الاستقلالية ، بل هو حرى ان يقدمها ويقويها .. فاذا زعمت هذه الهيئات ان حركة العمال تعرقل جهادكم ، فالامر سهل ، فليتخلوا للعمال عن الجهاد لتحرير الوطن .. ان العمال يستطيعون النهوض بالحركتين معا : الاستقلالية والعمالية .. ولقد اثبتت الحوادث فى الصين وغيرها أن احزاب العمال هى التى تستمر

---

(٥٨) شبرا ١٩٣٧/٩/٩ .
(٥٩) شبرا ١٩٣٧/٩/١٦ .

الى النهاية فى الجهاد ضد الاحتلال الاجنبى على نقيض الاحزاب البورجوازية، فهى مرتشية تساوم العدو على حقوق بلادها ، وتضحى بالمصلحة العامة فى سبيل المصلحة الحزبية والشخصية .. (٦٠) .

وهكذا يتضح عصام الدين من خلال التجربة والخطأ ، من خلال الممارسة العملية ، ويدرك ان السبيل لتأسيس حزب للعمال هو فضح البرجوازية ومجابهتها .

ويدرك ايضا ان الاسلوب القانونى ليس هو السبيل الوحيد أمام العمل الاشتراكى ، وهكذا تبدأ محاولته لتأسيس تنظيم سرى .

والحقيقة ان هذه الخطوة لم تكن نتيجة نضج شخصى ، بل هى ثمرة تطور شامل وصلت اليه حركة اليسار المصرى على مشارف الاربعينات .

لقد استطاع اليسار المصرى ان يلعق جراحه وان يبدأ من جديد ، وكانت حركة شاملة وواسعة .

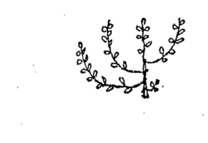
لكن عصام الدين لم يواكبها ، من جديد يبرز « البرجوازى الصغير » من أعماق المكافح الصلب يبرز ليردد كل أمجاده (وهى حقيقية) ، ويردد كل ما قدم من نضال وتراث وفكر وتضحيات (وهى حقيقية أيضا) لكنه يرفض الاخرين ، فالشبان الجدد يندفعون بحركتهم دونما استئذان من القدامى ، ودون خضوع لقيادتهم،

ويكتب عصام فى مجلة التطور قائلا : لقد أخذت على عاتقى منذ بضعة عشر عاما أن أنشر التعاليم الاشتراكية وادعو لها، وكانت كلمة الاشتراكية فى ذلك الحين تثير الدهشة والاستخفاف .. وقد بلغت مصر فى النهاية بعض مارجوناه لها ، فكثرت فيها الدعوات الى الاصلاح الاجتماعى ، وظهر الاتجاه الاشتراكى فى أبحاث الباحثين ودعوات المصلحين ، ومع أن هذه الدعوات ليست فى الصميم .. ومع أن معظمها ليس جديا ، ومع أن الكثير منها لا يعدو الندب والعويل .. فهى على الاقل قد نجحت الى حد ان الكثيرين قد أصبحوا يتطفلون ويصطنعون المبادىء التى رفعنا علمها فى مصر ، وينتحلون مظاهر يقلدون بها المظهر الذى عرفنا به » (٦١) .

وهكذا فان هذا المفكر المصرى الذى تبدى فى صورة الفارس الشجاع الذى وهب حياته كلها للمعركة ، يفتح عينيه ذات يوم ليجد موكبا كبيرا من شبان صغار ، وهم بالتأكيد ثمرة للمناخ الذى اسهم فى تكوينه ، لكن الموكب يمتد ولا يكون للفارس مكان الصدارة .. فيؤدى به ذلك الى الابتعاد .

لكنه لا يبتعد كثيرا عن الموكب ، فيظل يتابعه ، ويظل يلعب دوره كمثقف اشتراكى وثورى ، وتتوالى كتبه ومقالاته دفاعا عن الاشتراكية .

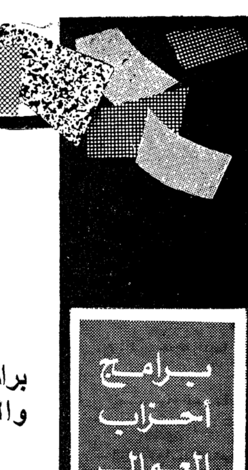
وفى آخر أيام حياته كان فخورا جدا بكتابه .. « سيرة لينين » ، وكان يستعد لاصدار كتب أخرى . ولكن .. كان لابد للرحلة أن تنتهى .



---

(٦٠) الشعاع ١٩٣٨/٥/٢٣ .
(٦١) التطور ابريل ١٩٤٠ .





برامج أحزاب العمال والفلاحين فى الثلاثينات

نشرت الطليعة فى أعدادها الاربعة الاولى [يناير ــ ابريل ١٩٦٥] الوثائق الخاصة بالتنظيمات والاحزاب السياسية فى مصر ..

وفى هذا العدد تبدأ الطليعة فى نشر مجموعة أخرى من الوثائق تستهدف القاء الضوء على المحاولات التى بذلت فى الثلاثينات لتأسيس حزب للعمال والفلاحين المصريين .

وهذه المحاولات بالرغم من كونها لم تثمر نشاطا حزبيا ذا أثر فعال فى المناخ السياسى المصرى فى ذلك الحين ، الا أنها تعبر بصورة واضحة عن عجز الاحزاب التقليدية عن تبنى مطالب العمال والفلاحين المصريين وعن التعبير عنهم .



أصدر هذا النداء فى ٤ يونيو ١٩٣٠ — محمود محمد ناصر مراقب نقابة الصنائع اليدوية بالاسكندرية وكان عضوا بالحزب الوطنى،وعندما استدعته النيابة للتحقيق فى شأن هذا البيان ، اعترف بأنه صاحب البيان،وانه وجماعة من زملائه فى الحزب الوطنى قد رأوا ان الحزب قد انتابه الضعف والعزلة فأرادوا القيام بمحاولة لاحياء نشاطهم بالدعوة لتأسيس حزب جديدللعمال والفلاحين .

وقد اشترك عصام الدين حفنى ناصف فى هذه المحاولة ومهد لها باصدار كتاب « التجديد الاجتماعى » كمحاولة لتوضيح أفكار ومبادىء الحزب الجديد .

لكن خلافا وقع بين المؤسسين .. فمحمودناصر رأى أن يسمى الحزب بحزب العمال والفلاحين ، بينما صمم عصامناصف علىتأسيسحزب باسم « الحزب الاشتراكى المصرى » .

وكان عصام ناصف قد أصدر عام١٩٢٧ بيانا باسم « الكتلة الاشتراكية » وفى أول مايو١٩٣٢ أصدر بياناآخرموقعا باسم « الحزب الاشتراكى » وعليه شعار « ياعمال العالم اتحدوا .. كارل ماركس » يدعو فيه العمال الى الاحتفال بأول مايو .

لكنه لاتوجد معلومات كافية حول هاتين المحاولتين ولا البرامج التى صدرت عنهما .

حزب العمال والفلاحين المصرى « نداء »

الى الطبقة العاملة فى القطر المصرى :

فى ظل النظام الملكى الدستورى وفى حدود القانون يبدأ حزب العمال حياته اليوم ويتقدم بمبادئه السامية الى الطبقات العاملة التى هى أكثرية الامة والتى تقوم بالقسط الاعظم فى تشييد عظمة الوطن .

فمنذ سنة ١٩١٩ قطعت مصر شوطا بعيدا فى مضمار الرقى الاجتماعى ، وكان طبيعيا انتكون شئون العمال فى مقدمة الشئون التى ينالها هذا التقدم وهم الذين يبذلون ارواحهم واموالهم فى سبيل تحرير البلاد ولكن الوقائع خيبت آمال العمال فلم يصدر القانون الذى قيل انه سيسن لحمايتهم من جشع اصحاب الاعمال . ولاشك ان السبب الاكبر فيما وصلوا اليه من التأخر والانحطاط دون غيرهم من عمال العالم المتمدين — انما يرجع قبل كل شىء الى تكاسلهم عن المطالبة بحقوقهم والى عدم تنظيم جهودهم وعدم انشاء حزب خاص بهم وانضمامهم الى الصراع الحزبى حيث استغلتهم الاحزاب دون ان تعمل شيئا لفائدتهم .

لذلك نوجه دعوتنا الى كل عامل وفلاح طالبين فيه باسم المصلحة المشتركة ان ينضم الى الحزب الوحيد الذى يعنى بحمايته وترقبه شئونه ، وفقنا الله جميعا الى سبيل الهدى والرشاد .

الاغراض

١ — الاستقلال التام لمصر والسودان وان تكون قناة السويس مصرية .

٢ — القضاء على النزعات الاستعمارية فى جميع بلدان العالم ونشر المحبة والاخاء بين الشعوب بحيث تكون هذه خطوة فعلية نحو السلام الدائم .

٣ — تحرير الطبقات العاملة فى مصر من عمال وفلاحين وتثقيفهم مع تقليل الفوارق بين الطبقات الاجتماعية وجعل هذه الفوارق قائمة على اساس الاجتهاد والمنفعة للمجتمع .

٤ — بث الافكار الديمقراطية وروح المساواة العامة فى الشعب .

المبادىء

١ — التكاتف مع الامم المستعبدة ، ولا سيما الامم الشرقية والعربية على محاربة الاستعمار .

٢ — نشر الدعوة فى مصر والخارج لاظهار حقيقة نيات السياسة الانجليزية واعمالها السيئة فى مصر وغيرها .

٣ — الغاء الامتيازات الاجنبية بدون قيد ولا شرط .

٤ — سن القوانين لتحديد مهاجمة الاجانب الى مصر .

٥ — سن القوانين الجمركية لحماية المنتجات الوطنية الاساسية من زراعية وصناعية .

٦ — حث الشعب والحكومة على تفضيل المنتجات الوطنية .

٧ — فرض ضرائب جمركية على الكماليات ومواد الزخرفة والترف .

٨ — القضاء على حركة التبذير السارية فى اغلب مرافق الحكومة .

٩ — نشر الثقافة ومحاربة الامية وفتح مدارس ليلية للطبقة العاملة .

١٠ — قيام الحكومة باصلاح اراضيها البور وتوزيعهـــا على صغار المزارعين .
١١ — حل الاوقاف الاهلية .
١٢ — فـــرض ضرائب على الدخل والميراث .
١٣ — حماية العمال والفلاحين بقوانين تحدد اجور وســاعات العمل وتحتم على اصحاب المزارع والمصانع ، بناء منازل صــحية ومريحة للعمال .
١٤ — حماية الاولاد بمنــع تشغيل الذين دون الثانية عشرة .
١٥ — تحسين الحالة الصحية ومجانية المعالجــة للطبقـــــة العاملة الاجيرة .
١٦ — "جعل التعليم مجــانا بجميع درجاته .
١٧ — حق العامل والفــلاح فى التعويض عند الاستغناء عنه وحقه فى الاعانة عند البطالة مع التأمين ضد الاصابة والشيخوخة .
١٨ — سن قانون للتحكيم بين اصحاب الاطيان والمؤجرين ابان اشتداد الازمات الاقتصـــادية او حدوث ظروف قاهرة .
١٩ — تنظيم نقابات واتحادات طائفية مركزية للعمال والفلاحين فى جميع الصنــاعات والدوائر الاقليمية مع سن تشريع يعترف بشخصية هذه النقابات واتحادها العام الذى تنتخبه هذه النقابات .
٢٠ — زيادة اختصــاصات البلديات ومجالس المديريات مع تعديل قانون انتخابها والغــــاء شروط النصاب العقارى .
٢١ — تقوية الحركة التعاونية .
٢٢ — الغاء البدل وقصر فترة الخدمة العسكرية على ٦ اشهر .
٢٣ — تشجيع الحــــركات الرياضية والكشافة .
٢٤ — زيادة نصيب المراة فى الحقوق السياسية والاجتماعية .
٢٥ — محــــاربة الافيــون والمخدرات والخمور المركزة .
٢٦ — تحريم ملكيــة الاراضى الزراعية للاجانب .
٢٧ — تحديد الملكية الزراعية .
٢٨ — عدم الســماح بانشاء شركات اجنبية الا فى ظـــروف ضيقة وفى هذه الحــالة يحتفظ للمصريين بنصف اسهمها .

[٢]

.. وبعد محاولات عديدة غير مثمرة قام بها عصام الدين ناصف لتأسيس حزب اشتراكى اضطر الى اللجوء الى الحركة العمالية ليؤسس حزبا عماليا .

وكان النبيل عباس حليم يتزعم اتحاد العمال المصرى فى ذلك الحين ، فاتصل به عصام ناصف واثار معه قضية تأسيس حزب للعمال .

وقد اعترض الوفد على تأسيس هذا الحزب ، كذلك تردد عباس حليم خوفا من « اشتغال العمال بالسياسة » .

لكن عصام ناصف انتهـــــز فرصة غياب عباس حليم خارج البلاد واصدر البيان التالى داعيا فيه الى تأسيس « حزب العمال المصرى » . ثم نشر برنامج الحزب موقعا عليه من مئات النقابيين — تيار عباس حليم — فى محاولة لوضع عباس حليم امام الامــــر الواقع .

وبعد تردد طـــويل من جانب عباس حليم وبعد ضغط شديد من السراى وهجوم عنيف من الوفد ، اعلن تأسيس حزب العمـــــال المصرى كحـــزب اجتمـــاعى اقتصادى بعيد عن السياســـة .

حزب العمال يقوم على أنقــــاض الاحزاب الاخـرى

تزعزع مركز الوزارة واشرفت على الســـــقوط ، وآذن الوفد وطغيان الوفد بالزوال ولكن ذلك لا يقض مضاجع عثمان محــرم ووليم مكرم وشركائهمـــــا قدر مايقض مضجعهما فشل مشروعهما الخاص بمشروع السماد .

لقد كان الكثيرون من ابنــاء الشعب يحسنون الظن بالوفــد ورجاله ، وكنا نحن لا نحسنــه وذلك انا قرانا تاريخ كثير مــن الحركات الوطنية واصبح لدينــا من الثقافة ما يكفى لمعرفة حقيقة هؤلاء المدعين من اســـاليبهم التهريجية المعروفة لنا ، اما الذين خدعوا بالوفد فقد اخذوا يفتحون اعينهم فرادى وزرافات ، واخطأ الوفد فى ظروف شتى اخطـــاء جسيمة ، كادت تقضى عليــــه لولا ان خصومه كانوا لا يلبثون حتى يقعوا فى اخطاء اشد منها جسامة ، فكان السذج يقارنون بينهما ويقولون ان الوفد ما زال هو الفريق الاقل خطأ .

لقد كان هذا التفكير خاطئا من الوجهـــــة المنطقيـــة فاذا وجدت احزاب سياســـية متحللة وزعماء غير صالحين فليس هناك ما يضطرنا الى انتخـــاب اقلهم فسادا بل فى وسعنا ان ننبذهم جميعا ، ونبقى غير تابعين الى اى

حزب من الاحزاب حتى يوجد الحزب الذي يعبر عن آرائنا تماما والذي يكون له زعماء مثقفون نزيهون متشبعون بالفكرة، ولماذا لم يظهر حزب من هذا القبيل حتى الان .»

لان الوفد كان يقضي على كل حزب او هيئة سياسية او اجتماعية او اقتصادية سواء كانت صالحة او غير صالحة ، فقد حارب حزب العمال ونقابات العمال ومصر الفتاة ومشروع القرش كما حارب بنك مصر في أول عهده لانه كان يضم بين كبار مؤسسيه بعض خصوم الوفد من امثال عدلي يكن .»

عاش الوفد الى الان لا لانه كان يستحق ان يعيش ، بل لان خصومه كانوا يقترفون من الاخطاء والتصرفات السيئة ما يعطيه الفرص للشوشرة واستخدام امواله وصحفه ولجانه لعمل دعاية واسعة عن مساوىء خصومه فيغطى بذلك على مساوئه هو .

وقد نجح في التشويش حتى اعتقد الكثيرون من السذج والبسطاء ان وزارته ستكون خيرا من وزارات خصومه ، فصدمتهم الوزارة النحاسية الثالثة بخيبة امل قاسية .

فقد بدأت تلك الوزارة اعمالها بهدم جميع المشروعات النافعة التي تمت على يد سواهم مثل قانون معاملة المسجونين السياسيين معاملة ممتازة الذي صدر في عهد « على ماهر » ثم انها استبقت القوانين السيئة التي كان الناس يعتقدون انها ستقضي عليها بجرة قلم مثل القوانين واللوائح التي سنتها وزارة [صدقي] لتصعيب مهمة الصحافة ،بل انها بالغت في بعثرة الاموال السرية على رجالها وصنائعهم بدرجة جعلت جميع الذين كانوا يهتفون للنحاس باشا يعرفون انهم كانوا يهتفون غافلين ، اللهم الا الذين قبضوا ثمن الهتاف من أموال الدولة ومن مناصب الدولة .

وأما فضيحة خزان اسوان فحدث عنها ولا حرج ، لقد دعم [محمود غالب] بياناته بحيثيات تكفي لفهم الحقائق ، وشرح تقرير الدكتور عبدالعزيز احمد ماااكتنف ظروف المشروع واظهرت وثائق البلاغ تلك الصلة بين وزير الاشغال وجماعة المقاولين الذين يتآمرون للفوز بهذه الصفقة الرابحة . لقد كشفت هذه البيانات والوثائق الغطاء عن معظم الذين كانوا لا يزالون الى الان منكوبين بالوفدية اما نحن فقد كان الامر غير خاف علينا .

هذه هي بعض اعمال الوزارة النحاسية ، وبما ان حزب الوفد يؤيدها فهو شريك لها ومسئول عن هذه المساوىء ومن المضحك ان الحزب الذي هذا شأنه ينادي العمال بكل جرأة ... ان يلقوا اليه مقاليد امورهم .

لقد بلغ العمال المصريون رشدهم السياسي فاصبح من المحال ان يمنحوا ثقتهم لحزب من هذه الاحزاب التي لا عمل لها الا التهريج .

لقد تفكك حزب الوفد ، وسيتلقى الضربة النهائية عند افتتاح الموسم السياسي في الشهر القادم وما بعده .

جريدة شبرا ١٦ سبتمبر ١٩٣٧

[٣]

حزب العمال المصري في سبيل التكوين

تلقينا ما يلي :

طال انتظار العمال لحزبهم المنشود واشتد تلاعب الاحزاب السياسية بالحركة العمالية ومصالح العمال واخذت الوزارات المختلفة تناوىء العمال او تلاينهم حسبما تقتضي مصالحها هي لا مصالحهم هم ، وقد ضحى الكثيرون من العمال المخلصين بارواحهم وباموالهم وباشغالهم وبراحتهم وبمجهودهم الجسدي والفكري وتحملوا من العنت والارهاق ماتحملوا ولكن تضحيتهم ذهبت هباء .

لماذا ؟

لانهم لم يكونوا يعملون تحت لواء حزب العمال بل تحت لواء الاحزاب السياسية وهي احزاب لا يعنيها من العمال الا ان تستغلهم وتسخرهم لقضاء مصالحها ، ولقد اطلقت هذه الاحزاب على الحركة العمالية عددا من الطفيليين يمتصون من دمائها حتى لم تعد تطيق زيادة في الصبر .

والان :

علم آلاف من العمال المتنورين ان الاعتماد على اولئك السادة لا يؤدي الا الى الاخفاق في تحقيق اغراضهم المتواضعة .

ولذلك :

فقد قر قرارهم على انقاذ الحركة العمالية من الفوضى وذلك بابعادها عن جميع الاحزاب السياسية وتكوين «حزب العمال المصري » لتعود الحركة العمالية الى بر الامن والسلامة [في ظل حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق] .

وقد علمنا :

ان عددا كبيرا من العمال البارزين في صفوف الحركة العمالية قد اجتمعوا مع بعض المثقفين المعروفين بآرائهم وثقافتهم العمالية ودرسوا مشروع اعلان الحزب وقرروا :

١ ـــ انشاء « حزب العمال المصري » .

٢ ـــ اعتماد المبادىء الاقتصادية والاجتماعية التي وضعها الاستاذ عصام الدين حفني ناصف ونشرت في جريدة شبرا بتاريخ ١٦ سبتمبر سنة ١٩٣٧ [وسنعيد نشرها في فرصة اخرى] .»

٣ — الاستغناء عن برنامج سياسى للحزب وذلك نزولا على نصيحة حضرة صاحب الجلالة للعمال بعدم الاشتغال بالمسائل السياسية .

ولا شك ان انشاء الحزب على صورة غير سياسية يجعل فى استطاعة من يعتنقون مبادئه الاقتصادية والاجتماعية من الموظفين ان يلتحقوا به ويعضدوا جهوده المشروعة دون ان يكون فى ذلك تعارض مع نصوص القانون الحالى الذى يمنع موظفى الحكومة من الاشتغال بالسياسة .

وبوساطة الحزب يستطيع كل انسان سواء كان عاملا او غير عامل ان يساهم فى هذه الحركة لصالح الطبقة العاملة خاصة وللشعب عامة .

وبما ان الحزب هو مؤسسة غير سياسية فانه لن يحارب حزبا او يناصر حزبا من الاحزاب السياسية، بل يسره ان يتعاون مع كل « فرد » يعطف على مبادئه ويناصره ولو كان هذا الفرد منتميا لحزب من الاحزاب الاخرى .

جريدة شبرا ١٣ يناير سنة ١٩٣٨

[٤]

حزب العمال اجتماعى اقتصادى بعيد عن السياسة

جاءنا ما يلى :

لقد نادينا من سنوات مضت بضرورة انشاء حزب العمال المصرى ولم نكن فى ندائنا هازلين او غير عارفين ما ندعو اليه ، بل كنا جادين فى دعوتنا غاية الجد ، وكنا نعنى تماما ما نقول، وقد نادينا بانشاء حزب العمال لا ارضاء لزيد او اغضابا لعمرو.

فعلنا ذلك اقتناعا منا بان هذه الملايين من ابناء الطبقة العاملة المصرية فى حاجة ماسة الى حزب يجمع شملهم ويرقى مستواهم وها نحن ننادى من جديد بانشاء الحزب ولدينا من الاسباب مايجعلنا نعتقد ان الحزب سيتكون فعلا فى القريب العاجل رغم المقاومات الحزبية .

عجيب امر اولئك الذين كانوا يخشون حزب العمال فيدعون العمال الى عدم تأسيسه ويقولون انه دسيسة ، لقد افتضحوا حتى اصبحت فضائحهم تزكم الانوف بما ينبعث منها ، وقد كانوا يريدون ان يبسطوا يدهم على حركة العمال ، كأنما هى مزرعة خصبة لارباحهم .

فعلى محترفى الزعامة ان يعلموا ان العمال فى غنى عن خدماتهم وبيبتعدوا عنهم فى سلام والا كان جزاؤهم الطرد الشنيع.

ولقد انقضى الزمن الذى كانوا يستطيعون فيه العثور على عمال مغفلين يستهووونهم باسم الوطنية فيسخرونهم لمحاربة اخوانهم وقد اصبحنا فى زمن يعرف كل عامل انه لا نجاح له ولا فلاح لحركة العمال الا فى انشاء «حزب العمال المصرى » مستقلا عن جميع الاحزاب السياسية التى تعمل لغير مصلحة العامل فقط .

ولقد انقضى الزمن الذى كانوا يستطيعون فيه خداع العمال بتلك المنح الضئيلة التى اعلنها وزير المالية السابق بين عمال المطبعة الاميرية ببولاق !

ان كل عامل يعرف ان هذه المنح الضئيلة ليست وليدة عطف الوزارة الوفدية للعمال بل هى وليدة شعورها بحرج موقفها ووليدة اعلان العمال اعتزامهم انشاء حزب اقتصادى اجتماعى خاص بهم يقضى على البقية الباقية من علاقتهم بالوفد ومجلسه الاعلى .

هكذا كان موقف حكومة الوفد المقالة ازاء الحركة العمالية منذ بدئها فهى لم تفكر فى ايجاد تشريع خاص بالعمال الا عند قيام الاعتصاب الكبير فى الاسكندرية سنة ١٩٢٣ .

لقد صدرت بعض قوانين العمال ، ولكن العمال لم ينالوا منها شيئا ملموسا ، ومازالت افراد العمال تفصل من المصانع المختلفة على غير اساس ، ومازالت حقوق العمال مهضومة.

ولقد تشكلت وزارات متعددة فكان عملها سياسيا محضا وكانت السياسة تطغى على الشئون الاجتماعية ، فكان لابد للعمال من اصلاح شئونهم بأنفسهم بالطرق المشروعة ،وهذا ما رأيناه من عمال المطبعة الاميرية مثلا ، فان صلابتهم وتصميمهم على ابعاد وكيل المطبعة دل على ان روح التضامن والوصول الى الحقوق بدأت تدب فى صفوفهم .

والان فليعلم العمال ان انشاء حزب العمال فيه محافظة على كرامتهم وضمان لحقوقهم ومستقبل ابنائهم .

أما تأسيس النقابات والانتخابات النقابية فانه يقوى حزب العمال ولكنه لا يغنى مطلقا عن انشائه .

وكل من يقول غير ذلك فهو اما مخطىء واما مخادع مضلل.

واما القول بالتريث والانتظار حتى تقوى الحركة النقابية وتنتظم فهو قول مبهم غير مفهوم .

فحزب العمال يجب ان ينشأ ليسير مع الحركة النقابية جنبا الى جنب فى مدارج القوة والنشاط فى عهد الفاروق المحبوب نصير العمال .

[٥]

مبادىء حزب العمال :

نشر هذا البرنامج في جريدة شبرا في اول سبتمبر سنة ١٩٣٨ .

١ — استقلال مصر والسودان استقلالا تاما وازالة ما يمس هذا الاستقلال بحيث لا يكون لاجنبي سلطة شرعية او فعلية او امتياز يسمح له بالتدخل في شـئون البلاد على اية صورة من الصور .

٢ — لا يحق للحكومة ان تتنازل او تسمح باحتلال جزء من اراضي مصر او جوها او بحارها .

٣ — تجنب الاشتباك في حرب غير دفاعية .

٤ — الغاء الامتيازات الاجنبية الغاء تاما بلا قيد او شرط .

٥ — المحافظة على الدستور مع زيادة النصوص التي تحمي حريات الامة فيه وحقوقها ازاء الحكومة وعلى طريقة الانتخاب المباشر مع جعل الاقتراع بطريقة القائمة .

٦ — نشر الدعاية للسلام والتنفير من الحرب الاستعمارية وبث الروح الديمقراطية وفكرة المساواة بين الشعب واظهار فساد مبادىء الدكتاتورية .

٧ — توثيق صلات مصر بالبلاد العربية والاسلامية مع قبول عدد من ابناء هذه البلاد في المدارس المصرية مجانا .

المبادىء الاجتماعية

١ — كفالة حرية الاجتماع والخطابة والكتابة مع عدم جواز مصادرة كتاب او مطبوع بسبب آرائه الا بوساطة النيابة العامة على ان يعرض امره حتما على محكمة مستعجلة ولا تتصرف الحكومة قبل صدور حكم من المحكمة .

٢ — الغاء القوانين التعسفية ، وازالة الصعوبات القانونية والادارية والمالية التي تحول بين احد المصريين وبين اصدار جريدة او مجلة .

٣ — التفريق بين المجرمين السياسيين وغير السياسيين فيما يختص بالمعاملة .

٤ — تعميم التعليم وزيادة الجانب العلمي فيه وجعل الرياضة البدنية جزءا هاما من برنامجه والاكثار من المدارس الفنية وجعل التعليم مجانا في المدارس الابتدائية وتنفيذ برنامج لازالة الامية في عشر سنوات مع فتح مدارس ليلية اجبارية لتعليم الكبار الاميين .

٥ — تشجيع المؤلفين والمترجمين بأن تمنحهم الحكومة اعانات مالية او ان تشتري عددا معينا من النسخ من كل كتاب تقرره لجنة خاصة بذلك .

٦ — عدم السماح للارساليات الدينية الاجنبية بمزاولة التبشير عن طريق تأسيس مدارس ومستشفيات او توزيع رسائل والقاء مواعظ وغير ذلك وعدم التبرع باراض مجانا او بثمن زهيد للكنائس والمعابد الاجنبية .

٧ — جعل اللغة العربية هي اللغة الوحيدة المستعملة في مصالح الحكومة وفي الشركات المالية والتجارية والزام اصحاب الحوانيت باستعمالها وفي دور السينما .

٨ — رفع مستوى المراة المصرية .

٩ — تشجيع الزواج والاكثار من النسل مع فرض الكشف الطبي الدقيق على طالبي الزواج .

١٠ — اصلاح الاحوال الشخصية بحيث تلائم روح العصر الحاضر .

١١ — حل الاوقاف الاهلية وتنظيم الاوقاف الخيرية للانفاق على المؤسسات النافعة بما يلائم روح العصر الحاضر .

١٢ — توحيد التشريع ورفع المستوى العلمي والخلقي للقضاة وحمايتهم من العزل واعطاؤهم الضمانات الكافية فيما يختص بالترقية والنقل وتبسيط الاجراءات القضائية وسرعة الفصل في القضايا .

١٣ — حماية صغار الموظفين وضبط قواعد ترقيتهم ونقلهم مع مراعاة الاقدمية قبل كل شيء واعطاؤهم حق المناقشة في اسباب تأخرهم عن سواهم وتعيين لجان للفصل في شكاواهم .

١٤ — الغاء البدل العسكري وقصر الخدمة العسكرية على سنة واحدة ، مع تجنيد الموظفين والعمال والطلبة على دفعات خلال الاجازات وترقية الاسطول الجوي وجعل الاسطول البحري على اساس دفاعي وترقية الجيش من حيث تعليمه واسلحته .

١٥ — تشجيع الرياضة البدنية والكشافة .

١٦ — ترقية الطبقة العاملة في مدن مصر وريفها ورفع مستوى معيشتها مع تقليل الفوارق بين الطبقات الاجتماعية وجعل ما يتبقى من هذه الفوارق قائما على اساس الاجتهاد ونفع الجماعة . ويعتبر من الطبقة العاملة في نظر الحزب كل مصري يعيش من اجر عمل يتناوله جزاء عمل يؤديه سواء كان عاملا صناعيا او زراعيا او تجاريا او فكريا او كان صاحب مهنة حرة على الا يكون من اصحاب رؤوس الاموال الكبيرة او ممن يعيشون على وجه التعميم من ثمار مجهود الآخرين .

١٧ — الاعتراف بنقابات العمال وتشجيعهم على تأسيسها وتقويتها ووضع تشريع لهم على نمط احدث تشريعات البلاد المتمدنة الديمقراطية يعين الحد الادنى

لاجورهم وللمسامحات التى يتناولون اجرهم عنها والحد الاقصى لساعات عملهم وينص على حقهم فى المكافأة منذ الفصل والتعويض والاعانة عند البطالة والمعاش عند الشيخوخة والتفتيش وحسن المراقبة وملاءمة المصانع للصحةومعاملة العمال وعدم استغلالهم على صورة غير قانونية والزام المحال التجارية بالعطلةيوما فىالاسبوع يتقاضى العامل فيه اجره .

١٨ — الزام اصحاب العزب والمناجم والمصانع الكبيرة البعيدة عن المساكن ببناء منازل صحية مريحة لأجوريهم .

١٩ — قيام الحكومةوالمجالس البلدية ببناء آلاف المنازللعمال تؤجرها لهم بقيمة تتناسب مع مرتباتهم .

٢٠ — تحسين الحالةالصحية فى الارياف واحياء العمال وبناء مستشفيات لمعالجة العمال والفلاحين .

٢١ — تخفيف هجرة الفلاحين الى المدن باشتراط ان يكونرجال البوليس وفراشو المصالح الحكومية ومستخدمو الشركات الكبيرة ممن حصلوا على قسط معين من التعليم .

واشتراط ذلك ايضاعلىالذين يرخص لهم بمزاولة بعض المهن كقيادة السيارات .

٢٢ — مكافحة التسول .

٢٣ — محاربة المحسوبية الشخصية والطبقية والطائفية.

٢٤ — توحيد الزىبحيثلا يدل لباس الزىعلى الطبقةالاجتماعية التى ينتمى اليها .

٢٥ — عدم السماح للجاليات الاجنبية بتكوين كشافات وجمعيات شبه عسكرية وعدم السماح بتعليق الرايات الاجنبية الا باذن خاص مقابل ضريبة خاصة .

٢٦ — الغاء [اللوتاريات] الخاصة والاكتفاء [بلوترية] خيرية تباشرها الحكومة فى مناسبات قليلة .

المبادىء الاقتصادية

١ — تحريم رهن الاراضى فى غير مصارف الدولة على قروض انتاجية يشترط انفاقها فىاصلاح الاراضى وزراعتها وذلك تحت مراقبة المصارف الراهنة .

٣ — تحريم ملكية الاجانب للاراضى الزراعية (١) .

٤ — تحرير التجارة الاجنبية من احتكار الاجانب ، وشراء الدولة لشركات الاحتكار الاجنبية كالمياه والنور وغيرها .

٥ — ازالة العراقيل السياسية والادارية والمالية القائمة فىوجهالتجارة المصريةمع روسيا واليابانوغيرهما ومعاملة تجارة الدول المختلفة علىاساس المساواة .

٦ — اصلاح شروط الايجار الزراعى بقوانين مفصلة تحمى الفلاحين من الغبن .

٧ — انشاء محاكم التوفيق للتحكيم بين الملاك الزراعيين والمستأجرين،وحماية ملكيةصغار الزارعين منجشع المرابينبحماية عشرة افدنة لكل مالك من الحجز عليها هى والمواشى والادوات اللازمة لزرعها (٢) .

٨ — حماية صغار الصناع بجعل آلاتهم غير قابلة للحجز عليها .

٩ — تقوية الحركة التعاونية وتوسيع نطاق التسليف الصناعى وتعميم استعمال الالات الزراعية الحديثة والعمل على زيادة انتاج الفدان وتقليل تكاليف انتاجها .

١٠ — فرض ضرائب متدرجة على الميراث مع اعفاء الطبقات الفقيرة من الضرائب المباشرة .

١١ — مضاعفة الضرائب على الخمور وموارد الزخرف والرفاهية .

١٢ — تخفيضمرتبات الوزراء ومكافآت النواب والشيوخ وتخفيض عدد كبار الموظفين ومرتباتهم وموظفى مكاتبهم واختصار الاجراءات الحكومية وتغيير قواعد معاشات الموظفين على اساس قواعد شركات التأمين .

١٣ — تنشر الحكومة مشروعاتها الخاصة بالمشتريات والمقاولات وترقية الموظفين قبل جعلها نهائية باسبوع على الاقل حتى تكون هذه الشئون خاضعة لمراقبة الجمهور .

١٤ — الغاء تبعية الجنيه المصرى للجنيه الانجليزى .

١٥ — الغاء المصاريف السرية ومنعتبذير الحكومةلاموال الامة والكف عن اقامة الزينات.

١٦ — محاربة العطلةبتشجيع الانتاجالوطنى ، وتشجيع اصدار المنتجات الوطنية الى الخارج بعقد سلفيات ومنح اعانات للمصدرين وتشديد الرقابةلضمان جودة البضاعة المصدرة وطريقة لفها .

١٧ — قيام الحكومة باصلاح الاراضى البور على نطاق واسع وبيعها بالتقسيط لصغار المزارعين .

١٨ — مساهمة الحكومة فى تاسيس مصانع جديدة وشركات

---

(١) لم يرد بالأصل البند رقم ٢

(٢) لم يرد بالأصل البند رقم ٦

ملاحظة مصرية بحرية ونيلية وضمان أسهمها .

١٩ ـ الزام شركات التأمين والمصارف المالية وما يماثلها من المؤسسات بتوظيف اموالها فى مصر ويجعل جميع مستخدميها من المصريين الا فى الظروف النادرة التى لا يتيسر فيها ذلك .

٢٠ ـ تضييق نطاق هجرة الاجانب لمصر الى اقصى حد يتمشى مع المصلحة الوطنية ومعرفة الموارد التى يرتزقون منها وعدم السماح لهم بمزاولة المهن التى يحسن المصريون مزاولتها وعدم التصريح للاطباء الاجانب بمزاولة مهنتهم فى مصر ، اما الذين سبق التصريح لهم فيلزمون بالعمل فى عيادة طبيب مصرى .

٢١ ـ الاكثار من المصايف والمشاتى المصرية وتأسيس فنادق ومقاهى مصرية راقية .

٢٢ ـ تخفيض اجور التليفون باعتبار انه ليس مصدرا للايراد .

٢٣ ـ الاقتصاد فى عدد المفوضيات المصرية فى الخارج وفى نفقتها ومراعاة انتقاء موظفيها من القادرين على عمل الدعاية السياسية والاقتصادية والتجارية والدعوة للسياحة .

بعض توقيعات من اعضاء مؤتمر حزب العمال

بيومى خليفة . حامد محمد . عراقى ابراهيم . عبد الحميد محمد ابراهيم . على هلالى . محمد سيد احمد . حسين سيد احمد . محمود محمد حسنين . محمود على ، ابراهيم دسوقى . محمد عبد الفتاح حمزة . محمد عبد الفتاح ابو الخير . محمد عبد الفتاح يس . محمد سالم العترة . محمد مصطفى . محمد السيد على . بدر محمد حسن . عبد الدائم محمد . حسين الشايب . محمد محمد خليل . احمد بدر . سعيد القماح . ابراهيم على . على شويطة . سيد احمد نقى . محمد حسن زايد . صاوى عبد العال . عبد اللطيف مصطفى . عبد المحسن عبد الرحمن . صالح درويش . محمود درويش مصطفى . محمد حسن . عبد الرحمن عبد الرحمن . احمد درويش . سيد عبد المجيد . عبد الحميد على . عبد العال عبد الحميد . احمد محمد . رمضان محمد السيد . محمد على مسعود . محمد عباس محمد . عبد العزيز عباس . صالح محمد ابراهيم محمد التونى . رجب شعبان . عطية عليوة . محمود مصطفى حسين . ابراهيم على حسن . رمضان محمد على محمد . يس محمد محمد شوقى . محمد عبد العزيز الشهير بابى نواس . محمد مصطفى خليل . احمد مصطفى . امين احمد خليل رياض . محمد شعراوى عبده ، على مزروع . محمد شبانة . اسماعيل النمر . على حيدر . محمد بدر . محمد اسماعيل .

[٦]

الى جانب المحاولات العديدة لتأسيس حزب للعمال . كانت هناك محاولات اخرى لتأسيس حزب للفلاحين .

ومن بين هذه المحاولات المحاولة التى قام بها اسماعيل مظهر والتى وجه الدعوة اليها على صفحات « مجلة العصور » فى اكتوبر ١٩٢٩ .

وقد نشرت الطليعة الوثائق الخاصة بهذا الحزب فى عددها الصادر فى مارس ١٩٦٥ .

وكانت المحاولة الثانية من جانب عدد من المثقفين الذين بدأوا نشاطهم لاصلاح حال الفلاح بتأسيس « جمعية نهضة القرى » فى عام ١٩٣٣ . ثم استقال احد اقطاب الجمعية فى ٢٠ نوفمبر ١٩٣٨ وهو الاستاذ احمد كامل قطب ليعلن تأسيس « حزب الفلاح » الاجتماعى والاقتصادى ، تأكيدا لبعد الحزب عن السياسة .

جمعية نهضة القرى تأسست عام ١٩٣٣

الغرض من تأليف هذه الجمعية

تألفت هذه الجمعية لتحقيق غرض من اسمى الاغراض الاجتماعية ، وهو رفع مستوى عقلية السواد الاعظم من هذه الامة ، وخاصة فلاحيها وعمالها ، ليفقهوا معنى الحياة ، ويجروا اعمالهم على قواعد صحيحة منتجة ، وذلك عن طريق تعليمهم مبادىء القراءة والكتابة والحساب ، وتوليهم محاضرات تتعلق بشئونهم الصحية والخلقية والاقتصادية ، ليصلحوا ان يكونوا اساسا لمجتمع قوى الدعائم ، متين البناء ، على نحو ما عليه كل مجتمع كتب له النماء

والارتقاء ؟ هذا هو مرمى مشروع القرى .

ومن اغراض هذه الجمعية ايضا : تعويد الناشئة على التطوع لخدمة المجتمع ، والعمل على استكمال مقوماته الادبية العادية ، فيصبحون بعد استيفائهم ادوات ثقافتهم عناصر حيوية فى بنية الامة ، نعمل على حفظ وجودها ، وايصالها الى اكمل ما تبلغه امة من ارتباط آحادها ، وتكافل طبقاتها ، وتعاون قواها ومقوماتها .

اسلوب الجمعية فى تنفيذ برنامجها :

اسلوبها : هو ان يقوم متطوعون من الشباب المتعلم ، طلبة وغيرهم ، كل فى قريته ومنطقته اثناء العطلة الصيفية — وهى نحو اربعة اشهر — بتعليم الفلاحين والعمال تعليما يناسب اعمالهم ، ويصلح ان ينهض بعقولهم .

وانه مما يبشرنا بان مشروعنا هذا سيؤدى بنا الى الثمرات التى نتوقعها منه ، ان الامم التى نالت من التقدم اليوم اوفر الحظوظ قد سبقتنا اليه وعملت به فجنت منه ما كانت تتوقعه من الاصلاح الاجتماعى الخطير ، وهذا يثبت ان هذه الحركة الادبية المباركة حاجة من حاجات الاجتماع تنشأ فى الامم فى دور من ادوارها ، واننا قد بلغنا هذا الدور وسنصل منه الى مثل ما وصلت اليه تلك الامم ان شاء الله .

ضرورة هذا المشروع :

يبلغ عدد سكان القطر المصرى اليوم نحو خمسة عشر مليونا من النفوس منهم تسعون فى كل مائة فلاحون اميون لم يتذوقوا طعم العلم ، ولم يبصروا نور الثقافة مما لا يتفق مع كرامة الامة ونهضتها ، فانقاذ هذا العدد الضخم من هذا الشر المستطير اصبح من اوجب الواجبات على فريق المتعلمين ، ولا يتفق الاعضاء عنه وبما نتحفز له من اللحاق بالامم المتمدنة .

نعم ان الوصول الى هذه الغاية يتطلب من النابتة المتعلمة ان تجاهد فيه سنين ، وان عظم النتيجة المنتظرة يهون عليها كل جهاد فى سبيله ، ويقصر فى عينيها الزمن الذى يقتضيه .

بدء تنفيذ هذا المشروع ، ونتيجة جهاد العام الاول :

اول من فكر فى القيام بهذا المشروع فئة من خير النابتة الحديثة ، وما كادوا يعلنون اخوانهم به حتى اقبل مئات منهم متطوعين لحمل اعبائه ، فقاموا بتأليف اللجان القروية ، وكان من بين الملبين لدعوتهم جم غفير من العمد والمحامين والاطباء ونظار المدارس والموظفين ، فتولوه كلهم بنفوس يعمرها الايمان والاخلاص . فكانت ثمرة جهادهم فى عام واحد ان ساعدوا على انقاذ اربعين الفا من القرويين من براثن الجهل ، فأصبحوا يشعرون بنعمة الحياة ، وانفتحت امامهم طرق النهوض الصحيح ، كل هذا بفضل تعلمهم مبادىء القراءة والكتابة والحساب والمامهم من طريق المحاضرات بما تمس اليه حاجاتهم من قوانين الصحة واصول الزراعة وآداب الاجتماع .

وقد يظن لاول وهلة اننا نبالغ فى عدد الذين امددناهم بهذا البصيص من النور ، ولكننا بتفصيل ما قام به المتطوعون نقيم الدلائل المحسوسة على صدق ما نقول ، فلقد تألفت نحو اربعمائة لجنة قروية فى جميع الاقاليم ، وقامت كل لجنة بتعليم مائة فلاح على الاقل ، اذ كان يحضر دروس المتطوعين فى بعض القرى مائتان او ثلاثمائة او خمسمائة من الفلاحين ، وقد بلغ عددهم فى بعضها الفا ، وقد شوهد ان اللجان متى انارت مصابيحها ، وبثت دعوتها لحضور المحاضرات ، كان القرويون يتنافسون فى السبق الى الحضور حتى اذا تمت المحاضرة انصرفوا مغتبطين بما كانوا يأنسونه من انفسهم من علم ما لم يكونوا يعلمون ، وهم بفطرتهم يهوون سماع كل ما هو جديد ومفيد .

فاذا قصرنا العدد الذى استفاد من هذه المحاضرات على مائة فقط فى كل قرية كان ثمرة ما عملته اربعمائة لجنة تعليم اربعين الفا من الاميين .

هذه نتيجة يسمعها كل مصرى بارتياح عظيم ولا يستبعد معها ان يتم الانتصار على الجهل فى امد قريب وزيادة فى الاقتناع بحقيقة الحال ندبت اللجنة التنفيذية للمشروع بعض اعضائها لزيارة بعض القرى التى عمل فيها المتطوعون فكانت نتيجة تفتيشها الاطمئنان الى صحة هذا التقدير .

حلقات البرنامج :

كانت اللجنة التنفيذية توزع كل اسبوع على اللجان القروية حلقة من حلقات البرنامج الخاص بتعليم الفلاحين ، وكل حلقة كانت تحتوى على ثلاث محاضرات محررة باقلام كبار الاساتذة الاخصائيين ليقوم المتطوعون بالقائها على الفلاحين حتى تكون النهضة فى مستوى واحد فى جميع القرى وكانت كل حلقة فى الغالب مصدرة بكلمة لحضرات كبار الرجال امثال سعادة على باشا ابراهيم وعثمان مرتضى باشا وصاحبى العزة جلال بك ، واحمد فهمى العمروسى بك .

وتكونت من هذه الحلقات مجموعة اطلق عليها اسم « مجموعة جهاد العام الاول فى مشروع القرى » .

اخلاص المتطوعين لهذا المشروع :

يجب علينا ان نسجل الى جانب ما نسجل من اخلاص الطلبة للقيام بهذا المشروع اسراع حضرات العمد ونظار المدارس والاطباء والمحامين الى المساهمة فى هذا الجهاد الشريف ، وكان بعضهم يتبرعون بمنازلهم

لاجتماع الفلاحين ؟ وبعضهم انفق مالا فى سبيله مما يستحقون عليه الشكر الجزيل ، وكان بعض العمد يراس اللجان : فكان لعملهم تأثير كبير ، ومما يجدر بنا التنويه به ان الناس كانوا يبتهجون ويستبشرون عندما يرون الشباب المتعلمين يطوفون القرى ناشرين أنوار الثقافة بين الجماهير ، وكانوا يقابلونهم فى المنازل والمساجد والجتمعات التى يغشونها بسرور عظيم .

وكانت الجماهير التى تتلقى هذه الانوار الفياضة ينتظرون المتطوعين بتلهف عظيم ، وكان نساؤهم يزغردون حين يرين شابا متطوعا ، يقف بين جمع كبير ، يبث فيهم ما ينهض بعقولهم ، ويخرجهم من الظلمات الى النور .

وزارة الزراعة ومصلحة الصحة :

ولقد اتصلت اللجنة التنفيذية بوزارة الزراعة ومصلحة الصحة ، فبذلتا معونتهما الثمينة للمشروع فأمدته الاولى بمجلة « زميل الفلاح » والثانية « بنشرات الدعوة الصحية » فكانت اللجنة توزع هذه النشرات على فروعها لبث ما بها من المعلومات القيمة فى الفلاحين .

امتحانات القرويين :

ولقد اذاعت اللجنة التنفيذية فى التعليمات التى اصدرتها للجانها القروية وجوب عمل امتحانات للقرويين فقامت بما عهد اليها خير قيام ، وارسلت بعضها اوراق تلك الامتحانات ، فكانت محل اعجاب الناظرين .

وقد عملت اللجنة بالطريقة الهجائية التى تقدم بها اليها حضرة الاستاذ النابه محمد مظهر سعيد المدرس بمعهد التربية وكلية أصول الدين ، فأسفرت عن النجاح الذى نسديه عليه الشكر الجزيل ولا نخلى من الشكر كتابا نابغين امدوا اللجنة بمحاضرات قيمة فى شتى المواضيع عاونت اللجنة فيما هى بصدده من انارة عقول القرويين .

دور خاصة للتعليم القومى :

وقد جاهدنا فى عامنا الاول هذا فى بث فكرة بناء دار فى كل قرية ، يطلق عليها اسم : « دار التعليم القومى لمشروع القرى » تبنى ولو بالطوب الاخضر مشتملة على قاعة للمحاضرات وحجرة للادارة وفناء واسع تغرس فيه بعض الاشجار ، ليجتمع فيها القرويون ، ويقوم المتطوعون فيها بالتعليم ، فما كدنا نذيع هذه الرغبة حتى بادرت بعض القرى بانشاء هذه الدور وجمع بعضها مالا لانشائها ، فكان هذا مدعاة لسرورنا وحافزا لنا للمضى فى عملنا المجيد .

استفادة المتطوعين من هذا المشروع :

لم تقتصر فائدة هذا المشروع على القرويين ولكنها تعدتهم الى المتطوعين انفسهم فلم يضيعوا اوقات فراغهم سدى ، وازدادوا علما باحوال قراهم ومناطقهم من النواحى العلمية ، والاجتماعية ، والصحية والاقتصادية والزراعية ، واكتسبوا منه ايضا عاطفة الرغبة فى الاصلاح وضرورة العمل لخير الوطن بما يسعه الامكان ويرتاح اليه الضمير .

واجب الهيئات نحو هذا المشروع :

ان مشروعا ضخما مثل هذا المشروع يرمى الى رفع كابوس الامية عن امة برمتها لا شك فى انه يحتاج الى جهود الجبابرة والى معونة كل هيئة من الهيئات القومية فى مصر والى مال جم واخلاص كبير ، فلذلك نهيب بكل الذين يتشرفون بالانتساب الى مصر بان هلموا الى مساعدة هذا المشروع فهو طريق النهوض بالوطن العزيز .

وها هو يمد اليكم يديه ، ان انهضوا يا ابنائى البررة ، فهلموا الى تلبية ندائه ، هلموا الى العمل الخالد ، بل هلموا الى اداء الواجب ، وقد علمتم الا نهوض لوطنكم الا بتعليم هذه الملايين الكثيرة من سكانه وتثقيف عقولهم ، وهدايتهم الى اقوم طريق للنظر والتفكير .

استخدام الراديو لتعميم المحاضرات :

بعد اتمام انشاء دور للتعليم القومى نأمل ان نوجد فى كل منها جهازا للراديو نذيع بوساطته ونحن فى مصر وفى جميع فصول السنة محاضرات قيمة خاصة بالقرويين فنتمكن بذلك من الاتصال بهم على الدوام ، فيساعد ذلك على انهاضهم بالسرعة المطلوبة .

اشراك سكان المدن فى فوائد هذا المشروع :

اننا فى القيام بمهمتنا هذه لم ننس العامل والصانع والتاجر من سكان المدن فاننا نرمى الى تكليف الشباب المتعلمين المقيمين بالمدن ان يتطوعوا لتعليم الاميين من اهالى مدنهم حتى تعم هذه الحركة المباركة جميع المصريين ، فان فى المدن عددا كبيرا ممن لم يسعدهم الحظ بالتعلم فى طفولتهم ، وبقاؤهم فى جهالتهم يحول بينهم وبين النجاح فى اعمالهم .

خاتمة :

هذا تقريرنا عن مشروع القرى فى عامه الاول اى صيف سنة ١٩٣٣ ، وامامنا طريق الجهاد مفتوح فى كل صيف من الاعوام المقبلة ، واننا لنرجو من الله تعالى ان يوفق شباب هذه الامة للنجاح فى مشروعهم تحت قيادة مرشديهم المخلصين ، ملحوظين من جانب حضرة صاحب الجلالة مليكنا المعظم فؤاد الاول بعين الرعاية لنحقق بمعونته السنية اخص ما تصبوا اليه نفسه الشريفة من الاصلاح الاجتماعى وشعارنا هذه العبارة الحكيمة :
— من هدم ركنا من اركان الجهالة فقد شيد ركنا من اركان الوطن .

رئيس الجمعية
على ابراهيم

السكرتير العام
احمد كامل قطب



الثمن ١٠ قروش

مطابع الأهرام التجارية



طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

٩

سبتمبر ١٩٧٠
السنة السادسة

- حتى لا يدير العدو رقصة تقسيم الصفوف

- **القضايا الرئيسية فى الوضع السياسى الراهن**

  • حول توصيات المؤتمر القومى بعد المقترحات الأمريكية •

- التراث والتجديد فى فن سيد درويش

- **هيجل : الجدل - الحرية - فلسفة التاريخ**

  « ملف خاص »



طـريق المناضـلين الي
الفـكر الثورى المعاصر

مجلة شـهرية
تصدر أول كل شهر

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبدالله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد أحمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتير التحرير :

عبد المنعم القصاص

عنوان المراسلات :

« الطليعة »
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء
القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠ .

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.ع.م. دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .

الفهـــرس

العدد التاسع — السنة السادسة — سبتمبر ١٩٧٠

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان
تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان
يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل راى لديه
كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير
فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الراى ولكنى على
استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » ! .



حتى لايدير العدو رقصة تقسيم الصفوف

حتى

لانحمل الماء الى طاحونة العـدو ،وحتى لايتمكن العدو من تنفيذخطته فى تقسيم صفوف الثورة العربية ،يحسن أن نعـود باستمرار الى التأكيد على القضايا الاساسـيةالمتعلقة بموقف العدو ، وبحـركة الثورة العربية ككل .

فعلى الرغم من أن المقترحـات الامريكية ليست فى حقيقتها سوى اجـراءات تهـدف الى تمكـين السفيرياربـج من أن يسـتطلع آفـاق الحل السـياسى ، وعلى الـرغم من أن هذه الاجراءات ليست ـ فى ذاتها ـ الحل الذى قاتلت وتقاتل فى سبيله الامة العربية ، وعلىالرغم من أن الحرب قائمة (وان توقف اطلاق النار) ، وعلى الرغم من أن العدوالصهيونى لا يزال منذ يونيو ١٩٦٧ يحتل الارض العربية ، وعلى الرغم مـن أنالولايات المتحدة الامريكية لا تزال ثابتة فى موقف دعم اسرائيل المعتدية بالسلاح لحفظ« التوازن » المزعوم فى الشرق الاوسط ، نقول على الرغم من مجموع هذه الوقائعالثابتة تتلفت الشعوب العربية بأسف ـ بل بهلع ـ الى تلك البادرة الخطرة التى بدات تنمو وتستفحل ، والتى تتمثل فى بذر بذور الانقسام والتفكك داخل صـفوف معسكرالقوى الوطنية والدول العربية الوطنيـة والتقدمية .

وتعلمنا التجارب ـ أن الخلاف فـىالرأى ، وتعدد وجهات النظر ، لا يترتب عليهما بالضرورة حدوث انقسامات . بليمكن أن يؤدى التنوع فى الآراء والمواقف، الى وحدة أقوى وأصلب ، غير أن هذهالوحدة لا تتحقق الا من خلال منهـج توحيـدى وثورى حق ، وهو المنهـجالذى يتجنب دفع التناقضات الثانوية داخل الصف الواحد الى مرتبة التناقض الرئيسى وهو التناقض الذى يحكم العـلاقة بين الشعوب العربية وبين العدو الامبـريالىالصهيونى .

ويكاد أن يكون من المذهل حقا أن نرى بعض القوى الحاكمة فى بعض البلدان العربية تتصرف — بازاء قبول ج . ع . م للمقترحات الامريكية — بكيفية تدفع بالصراعات داخل الوطن العربى الى صراعات عدائية ومدمرة . هذه الصراعات التى لا يترتب عليها من الناحية العملية، الافقدان اليقظة والحذر ضد الاعداء ، والا تسهيل مهمة ومخططات هؤلاء الاعداء ، والاتبديد طاقة الشعوب العربية بالكيفية التى تضر بقضية التحرر وتفيد — من حيث نقصد أو لا نقصد — مخططات التوسع والعدوان .

هذا الموقف الانقسامى الذى تنساق اليه وتتورط فيه بعض القوى العربية ، لا نريد — حاليا — أن نبحث هل هو مقصود أو غير مقصود ، مخطط أو غير مخطط ، فسندع حديث النيات جانبا . ولنقل ان هناك خطأ ولنحاول أن نضع أيدينا على جذور هذا الخطأ الفكرى أو الايديولوجى ، الذى لا تغنى عنه « الجمل الثورية » أو « الشعارات الملتهبة » .

ولنقل أيضا ان مصدر هذا الخطأ المميت كامن — على أقل تقدير — فى نسيان المبادىء أو المنطلقات الاساسية المتصلة بحركة التحرر الوطنى العربية المعادية للامبريالية والصهيونية والرجعية .

وأولى هذه المنطلقات : هو أن العدو الرئيسى للثورة العربية ، لا يزال هو الامبريالية العالمية ورأس رمحها الولايات المتحدة الامريكية والصهيونية والرجعية . وان هذا العدو لا يرضى بأقل من أن يصفى الثورة العربية أو يجهضها ، وأن هذا العدو قد خاض ضد هذه الثورة معارك متصلة الحلقات ، بالسلاح حين لم يجد بدا من استخدام السلاح ، ثم على المستوى الفكرى والسياسى والاقتصادى والثقافى عندما أرغم على أن يضع السلاح .

واذا نظرنا الى حركة العدو الامبريالى الصهيونى ، خلال حقبة باكملها — منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية — فسوف نجد أن العدو الرئيسى ، لا يزال هو العدو الرئيسى ، لم يتخل لحظة واحدة عن هدفه الرئيسى ، حتى وان اختلفت تاكتيكاته فى هذا البلد العربى أو ذاك .

وتنطبق هذا على ما حدث بعد يونيو : لقد ظلت اسرائيل يساندها الامبرياليون الامريكان ثلاث سنوات يركزون على أسلوب العنف العسكرى فى معاملة الثورة العربية على أمل أن يحدث هذا الاسلوب أثره ، ولكن لما خاب سعيهم ، انتقلوا — مرغمين — الى المجال السياسى والدبلوماسى ، غير أنهم لم يغيروا من طبيعة أهدافهم فقد كان الهدف — قبل تقديم المقترحات الامريكية — هو ضرب ج . ع . م وقيادتها انطلاقا من أن هذا يسهل عليهم الحركة فى بقية البلدان العربية ، وبعد تقديم المقترحات الامريكية ظل الهدف ثابتا وهو ضرب حركة التحرر الوطنية فى البلاد العربية عن طريق محاولات تستهدف عزل ج . ع . م وانهاء الدور الذى تلعبه فى المنطقة ضد الامبريالية العالمية وضد مشروعاتها . يكفى لاثبات هذا ، ان نستمع الى الاذاعات وأن نقرأ الصحافة الامريكية والاوربية الغربية ، فلم تمض ساعات على قبول ج . ع . م للمقترحات الامريكية حتى رقصت الدوائر الامبريالية والصهيونية رقصة « تقسيم الصف العربى » . وأخذت كل ابواقهم تذيع الافتراءات عن تنكر مصر للمقاومة الفلسطينية وعن النزاع التقليدى من أجل « السيطرة » على العالم العربى بين بغداد وبين القاهرة — وعن عزلة مصر وقيادتها السياسية عن الشعوب العربية ، وعن اهتمام مصر « بمصالحها » الانانية والضيقة .

وهذه الحملة المغرضة قد خططها الامبرياليون بدقة وذكاء ، وهم يوجهونها بحيث تجرى فى روافد ، عديدة ومتشابكة . وعلى سبيل المثال ، فلكى يؤكدوا ما يزعمونه عن تخلى مصر عن قضايا الثورة العربية ، يسقطون عمدا الحديث عن دور مصر وصمودها ، فيتحدثون مرة عن « ضغوط سوفيتية » ، ويتحدثون مرة أخرى عن أن قضية الصراع العربى الاسرائيلى يجب أن تحسمها الدولتان الكبيرتان بحل يملى املاء على أطراف النزاع ..

والقصد هنا واضح : ألا وهو طمس المعالم الرئيسية لطبيعة المعركة التحريرية التى نخوضها ، ولدور القوى الوطنية والثورية فى المنطقة ، بل ان قوى الرجعية الاوربية تستخدم كل الاحتياطى الذى فى أيديها لكى تدق (اسفين) الانقسام بعمق أكبر بين مصر، وبين القوى الثورية العربية الاخرى . وربما لاندهش – فى هذا الصدد – عندما نرى جريدة لوموند الفرنسية ، اليمينية ، تفتح صفحاتها لعضو فى جماعة من الشراذم الصغيرة التى تسمى نفسها الجماعة الماركسية اللبنانية ، لكى يكتب مقالا فى صورة « فرمان بابوى » يخرج به ج.ع.م من حظيرة قوى الثورة العالمية ، ويضع الاتحاد السوفيتى فى صف الامبريالية ، وليحدد حلفاء جددا للثوار فى فلسطين وفى البلاد العربية ، معمقا بذلك الانقسام ، ومضيفا اليه عوامل أخرى من البلبلة الفكرية والتمزق السياسى (١) .

فاذا كان اطلاق النار على جبهة القتال قد توقف لمدة تسعين يوما فان الحرب على الجبهة السياسية والفكرية قد فتحت من جانب الاعداء كأشد ماتكون . والمهم – من وجهة نظرهم – أن يحققوا ما لم يحققوه عن طريق العمل العسكرى ، وبعبارة أخرى :

● اذا كانت مصر قد عززت بفضل صمود شعبها ، وقتال جيشها ، مكانتها كقوة طليعية داخل الصف العربى ، فليعمل العدو اذن على عزل مصر واهدار دورها .

● واذا كان من نتائج حرب يونيو نمو وتأكيد دور المقاومة الفلسطينية ، فليعمق العدو الانقسام فى صفوف الثورة الفلسطينية ذاتها ، وليلق بأهل فلسطين الى اليأس الكامل والهزيمة المعنوية .

● واذا كانت علاقات التضامن الكفاحى ضد الامبريالية والصهيونية قد دخلت مرحلة جديدة ، وتعززت بين الثورة العربية وبين الاتحاد السوفيتى ، فليعمل العدو بدعايته المنظمة والمنهجية والمسمومة على هدم هذا المكسب الايجابى الكبير .

ان الهدف لم يتغير ، وان تغيرت الاساليب ، وعندما يفشل الامبرياليون والصهيونيون فى عملهم السياسى والايديولوجى ، فلا يستبعد أيضا أن يعودوا – مرة أخرى – الى العدوان السافر لا فى فلسطين وحدها بل فى أجزاء أخرى من الوطن العربى .

وكل من قرأ أخيرا بعض الصحف الامريكية ، يرى كيف انها بدأت تحرض بعض جيران السودان ليقوموا بعمل مسلح ضد السودان ، وليمدوا يد المعونة [السلاح] الى المتمردين فى جنوب هذا القطر الشقيق (٢)

والمنطلق الثانى : هو انه ما لم نتسلح بالنظرة الشاملة الى ظاهرة « الثورة العربية .. [الحركة المعادية للامبريالية والصهيونية بجانبيها الوطنى والاجتماعى] ، وما لم ننطلق فى معالجة القضايا الجزئية من نظرة كلية ، فان شعاراتنا المرحلية مهما بدت « ثورية » ستسبب الانقسام بدلا من الوحدة ، والفرقة بدلا من التجمع .

وعلى ضوء هذه النظرة الشاملة نستطيع أن نتبين الحقائق الاساسية التالية :

١ – ان الثورة العربية فى مسيرتها العامة قد حققت ما حققته من تقدم تحت شعارات استراتيجية هى : الحرية والتقدم الاجتماعى والوحدة ، وان هذا التقدم تم عبر مرحلة تاريخية بأكملها فيها انتصارات وفيها انتكاسات ، وفيها فترات من السلم ، وفيها حروب ومؤامرات دموية فرضها الاعداء ، وان الثورة العربية لايزال أمامها الشوط طويلا جدا وشاقا جدا لكى تحقق عمليا أهدافها البعيدة فى الحرية والوحدة والاشتراكية ، ولايزال عليها أن تخوض معارك ضارية وعنيفة فى الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية . ومن ثم فهى لاتستطيع بحكم الاوضاع العربية والدولية ، وبحكم الظروف التاريخية والاجتماعية ، أن تحقق أهدافها فى معركة واحدة ، أو فى « حرب ثورية شاملة » تنخرط فيها كل القوى وكل الشعوب والحكومات العربية .

---

(١) جريدة لوموند فى ١٩٧٠/٨/١٢ : مقال جمورى عضو « الجماعة الماركسية اللبنانية » بنانتير .
(٢) كريستيان ساينس مونيتور الامريكية [١١–٨–١٩٧٠]

٢ ـ ان **الثورة العربية** تدين بانجازاتها التى حققتها لحركة الجماهير الشعبية ، العفوية والمنظمة ، ولتضحياتها البطولية .

ومن هنا فان معدل تقدمها يتوقف فى النهاية على القدر الذى يمكن الجماهير من ان تقوم بمبادرات حاسمة وخلاقة .

٣ ـ ان **النظرة الكلية للثورة العربية** لاتنفى واقعة أن فى داخلها فصائل ثورية ووطنية متعددة ومتميزة ، وأن هذه الفصائل قد تتنوع اساليبها ، وتتفاوت تجاربها الكفاحية فى العمل ، وقد تختلف أهدافها الجزئية ، بل قد تتعارض أحيانا مصالحها المباشرة والمؤقتة ، وذلك بحكم التفاوت الموضوعى فى مستوى التطور التاريخى والسياسى والاجتماعى لهذا البلد العربى اوذاك ، لكن هذا التفاوت والاختلاف لا ينفى اطلاقا أن وقائع الحياة ومصالح الثورة تفرض على جميع فصائل الثورة العربية أن تبحث باستمرار عن نقاط التقاء وتعاون وتنسيق ، ومن ثم فان التناقضات التى توجد بكيفية طبيعية بين قوى هذه الثورة ، تظل على الدوام تناقضات ثانوية وليست عدائية .

٤ ـ ان **الثورة العربية** لا تنمو وتتطور بمعزل عن العملية الثورية التى تشمل العالم كله ، بل هى جزء لا يتجزأ من هذه العملية ، ومن ثم فان انتصاراتها ومكاسبها يتحدد حجمها ـ من ناحية ـ فى نطاق الانتصارات التى تحرزها قوى الاشتراكية والتحرر الوطنى فى العالم كله ، وفى اطار علاقات القوى الدولية السائدة ، ومن ناحية أخرى تتوالى هذه الانتصارات وتتعزز بقدر ماتنجح الثورة العربية فى توحيد وكسب كل القوى العالمية المعادية للاستعمار والصهيونية الى جانبها .

وعلى ضوء هذه الحقائق مجتمعة يحكم على شعار بأنه ثورى ، وعلى موقف أو هدف بأنه ثورى ، بمقدار ما يحقق هذا الشعار ، او يضمن هذا الهدف انتقال حركة الثورة العربية ـ فى مجموعها ـ من موقع نحو موقع أكثر تقدما . ومن ثم فان شعار استعادة الارض المحتلة بعد ٥ يونيو يظل شعارا ثوريا ، بحق طالما انه لا يتضمن تنازلات فى المبدأ والتطبيق عن شعارات النضال من أجل الاستقلال والتقدم الاجتماعى والوحدة ، اما الوسيلة وهل هى العمل العسكرى اى الحرب ، او النضال السياسى أو هما معا ، فهذه امور تحددها الظروف الذاتية والموضوعية المعنية ، محلية وعربية ودولية ، ولا يحددها مجرد الإجتهاد الشخصى ، أو المصلحة الضيقة والمؤقتة لفصيلة من فصائل الثورة العربية .

وعندما يتحدد الموقف والشعار فى اطار الحركة العامة للثورة العربية ككل ، ففى هذه الحالة لا يمكن أن يكون هذا الشعار او الموقف متناقضا فى الاساس مع مصلحة هذا الجانب او ذاك من قوى الثورة العربية ، ومن ثم فان كفاح ج. ع. م لاجلاء قوات الاحتلال الإسرائيلى عن الاراضى التى احتلت بعد يونيو ، لا يمكن الا أن يخدم قضية تقدم الثورة الفلسطينية ذاتها لانه يهدف الى اجلاء العدو الصهيونى عن المراكز الرئيسية التى توجد فيها وتعيش التجمعات الرئيسية لشعب فلسطين ، وعلى جزء من الارض الفلسطينية ، فهل يؤدى هذا الى دفع قضية الثورة الفلسطينية الى الامام ؟ الجواب بالإيجاب ، ولا يمكن أن نتصور ـ خصوصا بعد أن ولدت المقاومة المسلحة وبعد الخبرات التى اكتسبها المقاتلون من ثوار فلسطين ـ كيف يتعارض الالتحام المجدد لهؤلاء الثوار بجماهير الارض المحتلة مع أهداف الثورة الفلسطينية ، بل مع اهداف الثورة العربية ككل ، بل الاصح أن يقال أن هذا الالتقاء المجدد سيمثل دفعة هائلة ، وانطلاقة حاسمة لحركة التحرر الوطنى الفلسطينية المعادية للامبريالية والصهيونية ، والمسألة الاساسية هى ألا نضع قضية فلسطين ، أو اية قضية عربية الا فى اطار الحركة العامة للثورة العربية ، اننا بذلك نخدم باخلاص قضية فلسطين وقضية الثورة العربية .

وإذا تحدثنا بعد ذلك عن انصار الوحدة العربية ، وعن الوحدويين الحقيقيين فسوف نرى أن الموقف الوحدوى بحق ، لايمكن الآن يأخذ كمنطلق أساسى فى تحليلاته وفى تحديد شعاراته حركة الثورة العربية فى مجموعها . لا يضخم ذاته ، ولا يدعى أنه يملك الحقيقة كلها ، ولايزعم أنه الثورى دون غيره .

من هذين المنطلقين : (حركة العدو الامبريالى الصهيونى ومخططاته وأهدافه ، وضرورة النظرة المتكاملة لقضية الثورة العربية] تأتى الى المحاولات التى تبذلها بعض جهات عربية لادانة مواقف ج . ع . م بكيفية تستهدف عزلها عن الصف العربى ، ان هذه الجهات تحاول ان تصور أن قبول ج . ع . م للمقترحات الامريكية استسلام للامبريالية ، وبالتالى يعنى خروجها من الصف الثورى العربى ، الا أن مثل هذه الاتهامات لا تصيب ج . ع . م وحدها بل تصيب الصف العربى الثورى كله ، وعلينا أن نسأل بعض هذه الجهات وعلى الاخص البعث الحاكم فى العراق ، ما هو المقياس الموضوعى للثورية فى نظره ، ماهو المقياس الذى يمكن أن نطبقه ، لا على ج . ع . م وحدها بل على كل بلد عربى ، وعلى كل قوة عربية ، فعندما نقول أن ج . ع . م قوة وطنية وتقدمية فى الصف الاول من صفوف الثورة العربية ، فهذا الحكم له أساس موضوعى وليس مبعثه التفاخر الاجوف أو التعصب الوطنى الاقليمى ، والاساس الموضوعى كامن فى حقائق صلبة تتمثل فى أن ج . ع . م - وعلى مدى ١٨ عاما - قد اكتسبت سيادتها القومية خالصة ، وصفت كل أشكال السيطرة الامبريالية ، وخلصت اقتصادها من التبعية للامبرياليين ، وهذا هو الذى يجعلها الهدف الرئيسى لمؤامرات ومخططات الامبرياليين ، ولكن هذا هو الذى يمكنها من أن تقوم بمبادرات هامة فى مساعدة الحركة الوطنية فى البلاد العربية ، وهو الذى يجعلها قادرة على رفض الاستسلام للامبريالية سواء بالوعد او بالوعيد ، فالقضية اذن ليست قضية فرمان يصدر باخراج هذا البلد او ذلك من نطاق الثورة العربية ، انها قضية الموقف المادى الذى لا يجادل فيه الثوريون الحقيقيون ، والا فان التمادى فى هذا الجدل انما يصيب بابلغ الاضرار ، هذا الانجاز الهام الذى حققته الثورة العربية ، والذى يتمثل فى قيام دول عربية وطنية وتقدمية تكافح الامبريالية ، وتسير فى طريق التحولات الاجتماعية ، وهذا بالضبط ما يريده العدو الامبريالى الصهيونى ، أن يشق جبهة هذه الدول ، وأن يقسم صفوفها ليسهل عليه التعامل معها بالعنف مرة ، وبأساليب الاستعمار الجديد مرة اخرى .

وإذا صح بعد هذا ان تشرع القوى الوطنية الصادقة فى تجنب الوقوع فى الاستفزاز ، وفى البعد عن الوقوع فى مصيدة الانقسام فان هذا الموقف يفرضه ويزكيه أمران :

الاول : هو انه لايوجد فى هذه المرحلة خطر على قوى الثورة العربية أشد من خطر الانقسام ، والى احداث الانقسام وتعميقه تتجه الان كل جهود الاعداء ومخططاتهم ، وينبغى ان تواجه كل فصيلة من فصائل الثورة مسئولياتها ، وأن تواجهها امام الجماهير العربية صاحبة المصلحة فى الثورة .

الثانى : ان دور هذه الجماهير يتزايد ولا ينكمش منذ ٥ يونيو ، والامر المؤكد أيضا أن الجماهير العربية قد حصلت على قدر من الثقافة السياسية من خلال المعارك التى خاضتها يمكنها أن تتخطى البلبلة والتشويش ، وأن تميز بمقياس لا يخطىء بين الذين يعملون لمصلحة الثورة العربية ، ولدعم الصف الوطنى ، وبين الذين يقسمون الصفوف ويحملون الماء الى طاحونة العدو .

« الطليعة »



الثورة التكنولوجية وبعض مشاكل التقدم في العالم الثالث

د. ابراهيم سعد الدين

[١] **لا تهدف هذه الورقة القصيرة (١)** الى التعريف بالثورة التكنولوجية المعاصرة وطبيعتها واحتمالاتها المقبلة ، ان هذا الامر هو موضوع بحث منفصل يقدمه فى هذه الندوة من هو أكثر تخصصا ومعرفة بجوانب هذا الموضوع المختلفة . ورغم ذلك فان التطرق الى معالجته أو حتى مجرد الاشارة الى بعض المشاكل التى تترتب على هذه الثورة التكنولوجية بالنسبة لدول العالم الثالث الساعية للتقدم والرغبة فى اللحاق بالدول الاكثر تطورا ـ وهو ما تهدف هذه الورقة الى مجرد التنبيه اليه ـ يتطلب الاشارة السريعة الى أهم ما يميز الثورة التكنولوجية المعاصرة .

[٢] **ان القول بأن عالمنا يمر بثورة تكنولوجية جديدة** يشير الى أننا نعيش فى فترة تتميز فيما يختص باستخدام العلم وتطبيقه لخدمة الانتاج بمرحلة جديدة تختلف كيفيا عن مراحل سابقة ،وان هذا الاختلاف الكيفى قد نتج من عدد من التطورات التى تجعل ما يأتى بعد هذه التطورات يختلف جذريا عما سبقها . فما هى هذه التطورات الاساسية ، هذا ما نلخصه فى التالى باختصار شديد :

أ ـ **الترابط الكامل بين العلم والانتاج** فى المرحلة الحالية من مراحل التطور البشرى ، ووضع العلم فى خدمة الانتاج بشكل مباشر . والظاهرة الجديدة فى **هذا الشأن ليس مجرد** استخدام العلم ولا حتى مدى اتساع هذا الاستخدام . فالعلم كان دائما دعامة يستند اليها التطور التكنيكى والتقدم الفنى ، سواء عنينا بالعلم هنا هذه المعارف التى يكتسبها الانسان مباشرة فى أثناء العمل والتطبيق مطورا خلالها مقدرته وادواته التى يستخدمها ، أو عنينا هذه الحصيلة من المعرفة والقوانين

---

(١) هذه هى النقاط التى طرحها د. ابراهيم سعد الدين فى المؤتمر الخاص« بالوحدات الاقتصادية فى مواجهة السبعينات » ، وهو المؤتمر الذى عقدته جماعة خريجى المعهد القومى للادارة العليا بالاسكندرية من ٢٥ يونيو ١٩٧٠ م.

والنظريات التى هى نتاج البحث العلمى والدراسات التى يقوم بها متخصصون فى مجال العلوم المختلفة • والتى كثيرا ما استفاد بنتائجها المنظمون والمنتجون بوضعها موضع التطبيق العملى مطورين أدوات الانتاج والمنتجات النهائية ذاتها •

ان **الظاهرة الجديدة** هى بروز الترابط الكامل أو شبه الكامل بين العلم والانتاج • بمعنى ان تقدم الانتاج فى أى دولة من الدول أصبح رهنا بتقدم البحث العلمى النظرى والتطبيقى فيها • وان المشاكل موضع البحث العلمى ذاته هى تلك التى تطرحها أساسا احتياجات الانتاج وتطويره • وقد أصبح التسابق بين الدول فى مجال الانتاج يستند أساسا الى قدرتها فى السبق الى الوصول الى حلول للمسائل العلمية التى تطرحها ضرورات تطور الانتاج وسرعة وضع نتائج الدراسات العلمية موضع التطبيق الفعلى فى مجال الانتاج •

وقد ترتب على هذا الترابط بين العلم والانتاج ان البحث العلمى والدراسات العلمية لم تعد مسالة منفصلة عن تنظيم الانتاج وتقدمه • بل على العكس من ذلك أصبحت هى القاعدة الاساسية لتطوير الانتاج • مع ما ترتب على ذلك من ان قدرا متزايدا من البحوث العلمية يتم اليوم بوساطة الوحدات الانتاجية ذاتها أو بوساطةمعاهد وتنظيمات ترتبط بالوحدات الانتاجية ارتباطا عضويا • وأصبحت قضية الاسراع بوضع نتائج البحوث موضع التطبيق العملى هى احدى القضايا الهامة التى سيتوقف على حلها مدى قدرة المشروعات والدول المختلفة على احراز قصب السبق فى ميدان التنافس بينها من أجل تطوير الانتاج •

ب ـ **ان العلم والانتاج** قد تعدى مرحلة مجرد استخدام المواد الخام الموجودة فى الطبيعة أو التى تنتج بوساطةالتفاعل بين العمل الانسانى والطبيعة الى مرحلة جديدة أصبح فيها الانسان قادرا على خلق مواد جديدة لها نفس صفات المواد الموجودة فى الطبيعة أو تفوقها فى بعض الصفات • كما أصبح الانسان قادرا على التحكم فى مواصفات العديد من المنتجات الطبيعية ذاتها خلال استخدام العلم • وبذلك أصبح الانسان قادرا على توفير مواد أولية لها من المواصفات ما هو ملائم للاستخدامات التى يحتمل أن تستخدم فيها هذه المواد بدلا من خضوع العمليات الانتاجية والمنتجات النهائية ذاتها لطبيعة المواد الخام التى تهبها الطبيعة والتى لم يكن يستطيع الانسان لمواصفاتها تغييرا • ان التطور فى علوم الفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة والعلوم الكونية قد أدى الى نشوء مرحلة جديدة تماما يتمكن فيها الانسان من الحصول على المواد الاولية الضرورية ـ طبقا للمواصفات المطلوبة ـ اعتمادا على الصناعة والعلم الحديث وحلول هذه المواد بصورة متزايدة محل المواد الاولية الطبيعية فى كثير من الاستخدامات •

جـ ـ **أن العلم والانتاج** قد تعدى مرحلة استبدال العمل اليدوى بالعمل الالى الى مرحلة جديدة تحل فيها الالة لا محل العمل اليدوى للانسان فحسب ، بل ومحل عملة الذهنى ايضا • وأصبحت الالة قادرة على القيام بعمليات ذهنية بسرعات مذهلة وبكفاءة أعلى مما يستطيع الذهن البشرى • وقد فتحت هذه الالات بذلك ـ العقول الاليكترونية ـ المجال واسعا لحل مشاكل التحكم الالى فى الانتاج والبرمجة للعمليات الانتاجية المختلفة ولعمليات التوزيع والنقل وغيرها • ومتيحة فرصا كبيرة لحل العديد من مشاكل العلوم التى أصبح تطورها ذاتها مرتبطا ارتباطا كبيرا بتطور قدرات هذه الالات • ومتيحا الاتصال بين وحدات الانتاج وأقسامها بما يكون تنظيما تكنيكيا متكاملا ومترابطا .

[٣]

وقد ترتب على هذه الظواهر الجديدة عدد من النتائج الهامة فى مجال الانتاج والتنظيم الصناعى لها آثارها الضخمة على محاولات الدول التى تسعى الى التنمية والتقدم نشير الى بعض منها فيما يلى :

أ ـ **أن الترابط بين العلم والانتاج** قد ادى الى زيادة كبيرة فى سرعة ظهور منتجات جديدة فى الاسواق والى سرعة ظهور وسائل وطرق جديدة للانتاج • ان بعض هذه المنتجات أو الوسائل ليست مجرد تحسينات طفيفة على أنواع من السلع قائمة بالفعل ، بل قد تتضمن ايضا تغييرات اساسية فى طبيعة المنتجات وفى وسائل الانتاج • ويكفى أن نشير الى الاتجاه لاحلال العمليات الكيمائية محل بعض العمليات الميكانيكية فى مجالات متعددة من الصناعة والاثار التى تترتب على ذلك •

أن بعض التقديرات تشير الى ان أكثر من ٨٠ فى المائة من المنتجات التى تباع فى الاسواق فى الدول المتقدمة صناعيا لم تكن قد ظهرت للوجود قبل نحو ١٠ سنوات ويتسارع باستمرار المعدل الذى تظهر به المنتجات الجديدة فى الاسواق ووسائل الانتاج الجديدة فى الصناعة •

ب ـ **ان النتيجة الحتمية للظاهرة السابقة** هى زيادة سرعة التقادم وانتهاء العمر الانتاجى للعديد من أدوات الانتاج بعد فترة زمنية قصيرة نسبيا كنتيجة للتقدم التكنولوجى • ان هذا يعنى ضرورة **الاسترداد السريع لقيمة هذه الادوات** بعد فترة

قصيرة من استعمالها · وهو يعنى كذلك ضرورة السعى المستمر لتقصير المدة اللازمة لاقامة أدوات الانتاج الجديدة ولتهيئتها للانتاج بطاقتها القصوى · ان طول المدة اللازمة لاقامة أدوات انتاج جديدة قد تعنى فى بعض الاحوال اتمام تقادم بعض الادوات حتى قبل أن يبدأ استخدامها · أو أن يتم هذا التقادم بعد فترة وجيزة لا تسمح حتى فى حالة التشغيل الكامل لهذه الادوات باسترداد قيمتها ·

ومن ناحية أخرى فان القصور الفنى الذى قد يعيق الاستخدام الاقصى للادوات الجديدة ، أو قصور امكانيات السوق عن استيعاب الانتاج الجديد لابد وأن يؤدى الى خسارة كبيرة وفقدانه لجزء هام من رأس المال المستخدم ·

ج ـ أن التقادم فى صناعة معينة لا يحدث فقط نتيجة للتقدم التكنولوجى الذى تحرزه بعض المشروعات فى هذه الصناعة والتى تجعلها فى مركز متفوق بالنسبة لمنافساتها ، بل يحدث ايضا كنتيجة للتقدم فى صناعات أخرى أو فى فروع أخرى من الصناعات قادرة على أن تنتج مواد جديدة تحل محل المواد القديمة فى اشباع طلب المستهلكين والمستخدمين الصناعيين ·

د ـ ان سرعة التطور التكنولوجى تفرض على الوحدات الانتاجية ضرورة متابعة التطور العلمى والتنبؤ بالتطورات المحتملة فى مجالات العلوم المختلفة باعتبار ذلك شرطا أساسيا من شروط التخطيط الطويل الاجل الذى لابد وأن تمارسه كافة المشروعات الكبيرة سواء فى البلاد الاشتراكية أو البلاد الرأسمالية اذا أرادت هذه المشروعات الاستمرار والنمو · ودون التنبؤ بالتطور العلمى المحتمل خلال فترة معقولة ـ ١٠ ـ ١٥ سنة مثلا ـ فان كثيرا من المشروعات الحالية التى قد تتطلب اغراق مقادير هائلة من الاموال ـ قد لا تستطيع تعويض الاستثمارات التى حدثت أو يحتمل أن تحدث فيها بالفعل · وبمعنى آخر فان الخطط الحالية للمشروعات لا يجب أن تأخذ فى الاعتبار التطور التكنيكى الحالى وحسب ، بل يجب أن تهتم ايضا بمعرفة التطورات العلمية المقبلة فى عديد من مجالات العلم وما قد يكون لهذه التطورات من آثار على الامكانيات المتاحة للمشروع فى المستقبل ·

هـ ـ ان جزءا هاما من الانفاق يتم بوساطة المشروعات فى خلال الفترة السابقة للانتاج · ان الانتاج الحديث يحتاج الى بحوث علمية فى مجالات متعددة وهى بحوث تأخذ فى العادة وقتا وجهدا طويلا نسبيا · وتتطلب الاستمرار فى الانفاق عليها حتى ولو لم تصل الى نتائج سريعة ، فأحد النواحى المميزة للانفاق على البحوث العلمية هو الطبيعة التراكمية لهذا الانفاق بمعنى أن أى توقف فى الجهود اللازمة لتطوير المنتجات أو للوصول الى نتائج علمية جديدة تعنى ضياع الجهد السابق دون الاستفادة منه · ان الاستمرار فى مثل هذا النوع من الانفاق حتى ينجح المشروع فى تحقيق النتائج المرجوة هو وحده الذى يمكن من الاستفادة مما سبق انفاقه من وقت وجهد · ان النتيجة الاساسية لهذه الحقيقة هى أن المشروعات الاكثر قدرة على الانتظار هى فى نفس الوقت الاكثر قدرة على تمويل البحوث العلمية والاستفادة بنتائجها ·

ان وضع نتائج البحوث العلمية موضع التطبيق الفعلى وبدء الانتاج الكبير لسلع جديدة على أساس الاستفادة من النتائج الايجابية التى وصل اليها البحث العلمى ، تتطلب فترة طويلة من التخطيط والاعداد تشمل كثيرا من أعمال التصميم وحل العديد من المشاكل الجانبية التى لابد وان تبرز فى أثناء العمل ، واجراء الاختبارات على المنتجات الاولية ثم تحسينها ودراسة اقتصادياتها وامكانيات خفض تكاليف الانتاج وغير ذلك من البحوث والدراسات اللازمة · وقد يقتضى تطبيق نتائج البحوث العلمية فى بعض الاحيان ، تطوير فى أدوات الانتاج المستخدمة بوساطة المشروع واعداد آلات وأدوات خاصة ، كما قد يتطلب تدريب اعداد جديدة من العاملين والفنيين ، وهكذا . ان الملايين بل مئات الملايين من الدولارات أو الجنيهات أو الروبلات قد يصبح من الضرورى انفاقها قبل البدء الفعلى بانتاج كميات كبيرة ، ان مثلا واحدا قد يكفى فى هذا السبيل · ان انتاج الطائرات التجارية الاسرع من ضعف الصوت قد تطلب أكثر من خمس سنوات من سنى الاعداد والتخطيط بوساطة اكثر البلاد الصناعية تقدما · وينطبق هذا المثال بدرجات متفاوتة بالنسبة لانتاج العديد من السلع الصناعية الحديثة ابتداء من العقول الاليكترونية حتى التليفزيون الملون والراديو الترانزستور وغيره من أنواع السلع المختلفة ·

ان كبر حجم الانفاق اللازم للاعداد للانتاج وطول الفترة التى يستغرقها هذا الاعداد تتطلب تحقيق أمرين رئيسيين : القدرة على التمويل فى خلال فترة الاعداد الطويلة · والقدرة على استعادة ما أنفق فعلا من أموال فى خلال فترة قصيرة من بعد بدء الانتاج ·

ان أفضل الوسائل لتمويل الانفاق على البحوث ـ بما تتضمنه من مخاطرة عدم التوصل الى النتائج المرجوة أو التوصل الى النتائج بعد أن يكون المنافسون قد نجحوا فعلا فى حل المشكلات موضع البحث ـ هو التمويل الذاتى بوساطة المشروع · ان هذا يعنى أن أقدر المشروعات على

تمويل الانفاق اللازم فى فترات البحث والاعداد هى تلك التى تعتمد على مصادرها الداخلية • ومن هنا فان المشروعات الكبيرة التى تحقق ربحا احتكاريا والتى تسيطر على عديد من الاسواق هى أقدر من غيرها على توفير الاموال المطلوبة •

ونفس المشروعات من ناحيـــة أخـرى هى الاقدر على تصريف المنتجات النهائية بسرعة كافية تمكنها من استعادة ما أنفقته من أمـــوال • فالسيطرة على سوق متسعة وامكانيات توجيه الطلب فيها تعتبر شرطا ضروريا لضمان تيار مستمر من المبيعات خلال فترة زمنية معينة تمكن المشروع من استعادة ما أنفق وتحقيق الارباح الضرورية لاستمرار النمو المتقدم •

ان هذه الاسباب بالاضافة الى ما قد يتوفر من مميزات فنية للمشروعات الكبيرة هى التى تؤدى الى زيادة الاتجاه الى التركز الصناعى •

ورغم محاولات المشروعات الكبيرة لتحقيق قدر من الضمان لتسويق منتجاتها خلال السيطرة على سوق متسعة وامكانيات توجيه الطلب فى هذه السوق • فانها لا تستطيع أن تتجنب بالكامل كل المخاطر التى تتعرض لها كنتيجة لضخامة أعباء البحوث والتطوير التى قد لا تستطيع استعادتها لسبب أو آخر •

ان العديد من المشروعات تحاول من أجل ذلك أن تعمل على توزيع المخاطر التى تتعرض لها ، عن طريق تعدد أوجه نشاطها • ان اندماج مشروعات قد تختلف فى نشـــاطها قد يمكن كلا منهـــا من الاستمرار رغم ما قد يتعرض له من أخطار • والى جانب الاندماج فان عددا من المشروعات الـكبرى يميل الى التوسع فى بعض نواحى النشاط التى قد لا تتمشى مع خط تطورها السابق •

ان النتيجة النهائية لمثل هذا الاتجاه هو زيادة حدة التركز الصناعى أيضا والميل الى خلق وحدات صناعية عملاقة متعددة النشاط وقادرة علـــى السيطرة على العديد من الاسواق وعلى تحمل أعباء المخاطر التى يتضمنها النشاط الصناعى الحديث بما تشمله من انفاق كبير فى الفترة السابقة للبدء فى الانتاج •

و ــ ان الحجم الاقتصادى للانتاج فـــى المشروعات الحديثة قد وصل الى حد من الكبر جعل السوق القوميةفىأغلبية الدول الصغيرة ، بل وحتى المتوسطة عاجزا عن امتصاص الانتاج الجارى • ان تصريف مثل هذا الانتاج يتطلب وجود فرص مناسبة للبيع فى عديد من الاسواق القومية • ان السبيل الى تحقيق ذلك هو خلال تكوين تكتلات سوقية أوسع من الحدود القومية لاغلب الدول الصناعية الحديثة • ان خلق الاسواق المشـــتركة يصاحبه فى نفس الوقت تخصص الدول المنضمة للسوق الاوسع فى أنواع محددة من الانشطة • فالاستفادة الكاملة من اتمته الانتاج المطلوب تتطلب درجة عالية من التخصص على مستوى الوحدات الانتاجية ، وضخامة نفقات البحوث تؤدى الى اتجاه العـــديد من الدول الى التركيز على هـــذه الانشطة التى توجد لها الفرصة فى أن تحقق فيها قدرا مناسبا من التفوق التكنولوجى الذى يجعلها قادرة على التعامل على قدم المساواةمعغيرهامن الدول متبادلة معها لا المنتجات النهائية فحسب بل وأيضا المعرفة الفنية والتكنيكية المتقدمة • ان هذا يؤدى الى زيادة التبادل التجارى بدرجة كبيرة بين الدول المكونة للســـوق الواحـــدة ، بين الدول الصناعية المتطورة عموما •

ز ــ وفى نفس الوقت الذى يزيد فيه الاعتماد المتبادل للدول المتقدمة على بعضها البعض كنتيجة للتقدم العلمى ، فان هذا التطور ذاته يؤدى الى الحد من اعتمادها على عدد من الدول المتخلفة المصدرة للمواد الخام • فان تطور الصـــناعة الكيماوية كما سبق الاشارة قد أدى الى احلال العديد من منتجاتها محل المواد الخام التـــى تصدرها الدول المتخلفة • ان النتيجة المنطقية لذلك هو عدم قدرة الدول الاخيرة على زيـــادة صادراتها • أو تخفيض أثمان هذه الصادرات أو تحقيق كلا الامرين فى نفس الوقت •

ح ــ واخيرا نشير الى أثر التطور التكنولوجى فى تركيب القوى العاملة اللازمة للسيطرة على أدوات الانتاج الحديثة وانتاجها • ان زيادة أهمية أعمال البحث والتنبؤ والتصميم وغيرها يؤدى الى زيادة الاهمية النسبية بل والمطلقة للعاملين فى هذه المجالات • وعلى العكس من ذلك فان اتمتة الانتاج وحلول الصـــناعة الـكيماوية محل غيرها من الصناعات فى تقديم المواد الخام الضرورية وحلول العمليات الكيماوية محل العمليات الميكانيكية فى عدد من العمليات يؤدى الى تخفيض نسبى بل مطلق فى بعض الاحيان فى العاملين فى مجال الانتاج المباشر •

ومن ناحية أخرى فان طبيعة العمل الاشرافى على الالات الاوتوماتيكية بما يتضمنه من القياس والضغط والصيانة وغير ذلك قد أدت الى زيادة الطلب على العمل الماهر المتخصص فى نفس الوقت الذى أدى الى انخفاض الطلب على العمل غير الماهر •

وتؤدى الاتمتة الكاملة فى بعض الميادين الى نقص كلى فى العمالة اللازمة لتحقيق قدر اكبر من الانتاج فى نفس الوقت الذى يزداد فيه الطلب على المهندسين والتكنيكيين والاخصائيين والباحثين فى ميادين العلوم المتعددة • ففى نفس الوقت الذى تتزايد فيه حدة البطالة بشكل عام فى عدد من **البلاد الصـــناعية المتقدمـــة ، تزداد** الحـــاجة الى

العناصر العلمية القادرة ، سواء فى ذلك تلك المشتغلة بميادين العلوم الطبيعية أو الاجتماعية ، فأحد المميزات الاساسية للبحوث العلمية فى هذه المرحلة من مراحل التطور هو اشتراك مجموعات من الباحثين المتخصصين فى الميادين المختلفة فى حل مشاكل التطور بما تتضمن من مسائل تقع فى اطار كل من العلوم الطبيعية والاجتماعية .

[٤] **ان الملاحظات السابقة** لا تتضمن محاولة حصر للنتائج التى تترتب على الثورة العلمية والتكنولوجية ولكنها تتضمن فقط بعض النتائج التى يعتقد بأثرها الهام على المحاولات التى تبذلها الدول النامية فى سبيل التطور . ان تحقيق التطور الاقتصادى يتضمن بالنسبة للعديد من الدول النامية ـ وخاصة تلك المزدحمة بالسكان والمحدودة الموارد الزراعية مثل الجمهورية العربية المتحدة ـ ضرورة تغيير الهيكل الاقتصادى القائم وتحقيق نمو أسرع للصناعة . والمشكلات التى تطرحها الثورة العلمية والتكنولوجية على هذه الدول تتضمن المسائل الهامة التالية :

أ ـ **ماهى الاثار** التى تترتب على التقادم السريع لادوات الانتاج على جهود هذه الدول من أجل التصنيع وكيف يمكن مواجهة هذه الاثار ؟

ب ـ **ماهى الاثار** التى تترتب على التطور السريع فى المنتجات وكيف يمكن للصناعة ان تواجه هذه الظاهرة ؟

جـ ـ **ما هى الاثار** التى تترتب على كبر حجم المشروعات الانتاجية الحديثة . والى أى حد يمكن الاعتماد على التصدير الى اسواق الدول المتقدمة والدول النامية وماهى الاجراءات الكفيلة بزيادة فرص التصدير ؟

د ـ **ماهى الاثار** التى تترتب على التركز الصناعى وسيطرة عدد محدود من المشروعات الكبيرة العملاقة على الاسواق والقدرات التى تتمتع بها مثل هذه المشروعات فى تمويل البحوث العلمية ومواجهة النفقات اللازمة للاعداد للانتاج فى فرص البلاد الصغيرة والنامية فى تحقيق تطور مستقل ؟

هـ ـ **ماهى الاثار** الذى تترتب على خلق التكتلات الاقتصادية الاقليمية على فرص البلاد النامية فى تحقيق التقدم الاقتصادى وكيف يمكن مواجهة هذه الاثار ؟ .

و ـ **الى أى حد** تستطيع الدول المزدحمة بالسكان والتى تعانى فى نفس الوقت من نقص الكفايات الفنية من الاستفادة بالتطور الهائل فى أدوات الانتاج وباستخدام العقول الالكترونية وغيرها ، وما هى الاثار التى يمكن ان تترتب بالنسبة للعمالة فيها وكيف يمكن مواجهة هذه الاثار ؟

ز ـ **ماهى السياسات** التى يمكن ان تتبعها الدول النامية فيما يختص بنموها الصناعى فيما يتعلق بالتخصص والقبول بتقسيم العمل اما فى الاطار الدولى او فى اطار تكتلات اقليمية جديدة تضم دولا من العالم الثالث ؟

[٥] **ان اعطاء اجابات واضحة ومحددة** على هذه الاسئلة يخرج عن نطاق هذه الورقة التى تهدف الى اثارة التفكير فى المسائل الهامة التى تترتب على الثورة التكنولوجية ولا تدعى بامكانية فرد او مجموعة قليلة من الافراد اعطاء اجابات شافية على هذه النوبات .

ومن ناحية أخرى فان محاولة اعطاء اجابات عامة للكيفية التى يمكن ان تواجه بها دول العالم الثالث هذه التطورات يؤدى الى الانزلاق فى تعميمات قد لا تكون صحيحة فى كثير من الاحوال فدول العالم الثالث ذاتها لا تكون مجموعة منسقة من ناحية مستوى التطور الفنى والعلمى ومستوى النمو الصناعى وتوفر الكادرات الفنية الخ .. وغير ذلك من الامور التى تؤثر ولا شك فى الكيفية التى يمكن بها لدولة ان تواجه التحديات السابق الاشارة اليها . فبينما قد تملك عدد من الدول من الامكانيات والظروف ما يهيئها لمحاولة الاستفادة من التطور التكنولوجى الحديث ومسايرة ركب العلم والتقدم فان دولا أخرى قد تفتقد كلية الظروف التى تمكنها من استيعاب النتائج التى تترتب على التطورات التكنولوجية الحديثة .

[٦] **على ان ذلك** لا يمنعنا من ابداء بعض الملاحظات الهامة التى قد تكون ذات فائدة عند بحثنا عن اجابات للتحديات السابق الاشارة اليها .وتستند هذه الملاحظات بوجه خاص على الدروس المستفادة من التجربة المصرية فى التنمية .

أ ـ **ان دولا كالجمهورية العربية المتحدة** تملك الامكانية الفعلية لتنمية كادر علمى وفنى قادر على الاستفادة من الثورة التكنولوجية المعاصرة وعلى المشاركة فيها ـ مهما كانت هذه المشاركة محدودة على ان تحقق مثل هذه الاستفادة والمشاركة يقتضى اعادة تحديد الاولويات فى عملية التنمية وذلك باعطاء العلم والبحث العلمى اهمية اكبر مما حدث فعلا فى خلال الخطة الاولى للتنمية فى مصر . ان التركيز فى خلال الخطة الاولى للتنمية كان على تحقيق حجم كبير من احجام الاستثمار وخاصة فى القطاعات الانتاجية . وبالرغم من اهمية زيادة أدوات الانتاج المتاحة من أجل تحقيق ارتفاع الدخل القومى فان حسن استخدام هذه الادوات هو شرط أساسى لتحقيق النتيجة المرجوة ، والاستثمار فى

تكوين الكادر الفنى والعلمى قادر على ان يحقق نتائج هامة فى هذا السبيل ٠

ب ـ يثير التقادم السريع فى ادوات الانتاج كنتيجة للتقدم الفنى قضيتين هامتين بالنسبة لجمهوريتنا ٠ تتعلق الاولى بطول الفترة اللازمة لاقامة المشروعات الجديدة ٠ وتتعلق الثانية باختيار الصناعات التى يمكن تنميتها دون التعرض لاحتمالات خسارة كبيرة نتيجة للتقدم الفنى السريع ٠

ان طول الفترة اللازمة للتعاقد والتنفيذ تعرض العديد من المشروعات للتقادم حتى قبل ان تبدأ الانتاج الفعلى ٠ ويمكن ضرب عديد من الامثلة عن مثل هذه الحالات من تجربتنا المصرية ٠ ان الوسيلة الوحيدة لتجنب مثل هذه الحالة هو تخطيط عمليات التشييد بصورة تؤدى الى التركيز فى كل فترة معينة على عدد محدود من المشروعات المترابطة التى يمكن تنفيذها فى اقل فترة ممكنة بدلا من البدء فى نفس الوقت فى العديد من عمليات التشييد التى تاخذ فترة طويلة نسبيا لانهائها ٠

أما فيما يختص باختيار الصناعات فيمكن أن نشير بصفة عامة الى ان معدل التطور الفنى والتكنولوجى ليس بنفس السرعة فى كل الصناعات ٠ وقد يكون من المناسب فى فترة النمو الصناعى الاول التركيز على بناء تلك الصناعات التى لا تتعرض للتقادم السريع كنتيجة للمعدل المرتفع للتطور التكنولوجى بها ٠

جـ ـ ان المشاركة فى الجهود المبذولة من أجل تحقيق التقدم العلمى هو شرط اساسى لتحقيق درجة من الاستقلال تقف فيها الدولة على قدم المساواة مع غيرها من الدول وتتبادل مع الغير ما يمكن ان تصل اليه من نتائج ومن معرفة فنية متقدمة ٠ والشرط الاساسى لتحقيق هذا بالنسبة للدول الصغيرة هو التخصص فى عدد محدود من مجالات الانتاج ٠ فالنفقات الباهظة للبحث العلمى تجعل من المستحيل على أى من الامم الصغيرة بل حتى والمتوسطة ان تتحمل العبء الذى يمكن ان ينتج من عدم التخصص ٠ ويتم تخصص الامم الصغيرة فى هذا النوع من النشاط الذى تتبين فيه قدرات خاصة على المساهمة فى تطويره وتقدمه ٠ ان التركيز على بعض انواع النشاط لا يعنى اغفالا كاملا لانتاج العديد من السلع الاخرى ، ولكنه يعنى فقط ان الدولة تعتمد فى هذه الصناعات الاخرى على الاستفادة من الخبرة الدولية بينما تعمل على الوصول فى مجال تخصصها وتركيزها على مستوى من المعرفة والخبرة التى يمكن ان تصدرها للخارج ٠

ان السير فى هذا الاتجاه قد يقتضى اعادة النظر فى اتجاهات التصنيع الحالية على ضوء التنبؤ بالتطورات العلمية المحتملة فى المستقبل والتركيز على هذه النواحى التى يمكن لمصر ان تحظى فيها بميزات نسبية ٠

د ـ ان ازدياد حجم الانتاج فى الوحدات الحديثة وضيق حجم السوق المحلية عن استيعاب الانتاج المحتمل بالنسبة لاغلب الدول الصغيرة يوضح ضرورة التكتلات الاقتصادية الدولية من أجل حل مشاكل التصنيع فى الدول الصغيرة ٠ واذا كانت الجهود من أجل انشاء مثل هذه التكتلات الدولية قد تتعثر لسبب او آخر فان الامكانيات لابد وان توفر لايجاد أشكال مختلفة من التعاون وتقسيم العمل بين عدد من الدول التى تواجه نفس الظروف وتحتاج الى تعاون دولى من اجل حل مشكلات التصنيع فيها ٠

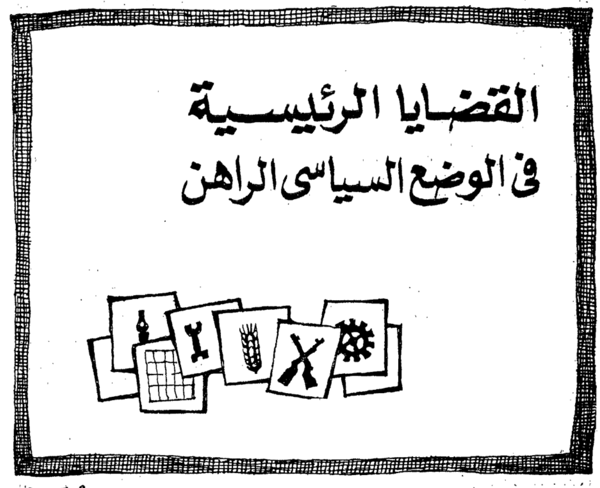
ان مزيدا من الجهد من اجل تحقيق تعاون اقتصادى فى المجال العربى ـ حتى وان كان هذا التعاون جزئيا وفى بعض الصناعات ـ كفيل بحل بعض من مشاكل الصناعة المصرية ٠ وفى نفس الوقت يجب الاستفادة من امكانيات تقسيم العمل وتخصص بين دول العالم الثالث ٠

هـ ـ لا تستطيع الدول المتخلفة ان تغض النظر عن التطور فى وسائل التحكم التلقائى والاوتوميته ـ مهما ادت مثل هذه الوسائل الى تقليل العمالة وزيادة رأس المال المستخدم ، وعلى الاخص حيث يكون التحكم التلقائى ضروريا لدقة الانتاج او تحسينه ٠ ورغم ذلك فلابد من الحذر من الاتجاه الى استخدام العقول الالكترونية باعتبارها دليلا على التقدم دون استفادة حقيقية بها ٠

ان الاستخدام الامثل لهذه الوسائل قد يتطلب اعادة النظر فى تنظيم الوحدات الانتاجية والشركات بحيث يصبح حجم العمل فى هذه الوحدات مما يستوجب استخدام هذه الوسائل المتقدمة ، أو أن يتم تنظيم استخدام هذه الوسائل مركزيا بشكل او آخر بالنسبة للوحدات الصغيرة ٠

و ـ رغم ما قد يؤدى اليه استخدام الكيمياء الحديثة من مشاكل بالنسبة للدول المصدرة للمادة الخام ، فان هذا التقدم يتيح امكانية حقيقية لحل بعض المشاكل بالنسبة للدول التى لا يتوفر فيها العديد من المواد الخام اللازمة للصناعة ٠ والجمهورية العربية المتحدة هى احدى هذه الدول التى يمكن ان تستفيد بالفعل فى تطور الصناعة الكيماوية من أجل توفير مستلزمات الانتاج المطلوبة للعديد من الصناعات فيها ٠

هذه بعض الملاحظات العاجلة التى قد يكون من المفيد التطرق الى مناقشتها بالاضافة الى العديد من المشاكل الاخرى التى تثيرها الثورة التكنولوجية والتى لم تمسها هذه الورقة القصيرة ٠



القضايا الرئيسية في الوضع السياسى الراهن

"حول توصيات المؤتمر القومى بعد المقترحات الأمريكية"

أيد المؤتمر القومى العام فى دورتـهالرابعة الموقف الذى اتخـذته القيـادة السياسية للبلاد بقبول المقترحات الامريكية ،وأكد المؤتمر أن قبولها يعنى أن البلاد انما تخطو خطوة جديدة فى المجال السياسى ،وأن هذه الخطوة ـ لكى تحقق أقصى ما يمكن أن تحققه من أهداف ـ لابد وأن تستند الىعمل متعدد الجوانب والاتجاهات يستهدف تدعيم القوة الذاتية ، باعتبارها العـامل الاساسى فى كسب معركة التحرير •

واتخذ المؤتمر توصياته السبع الرئيسية

تدبير التمـــويل المـتزايد لمواجـهة استمرار المعركة والاستمرار فى دعمالقوات المسلحة ـ وتحـديد مسـئوليات التنظيم السياسى فى المرحلة المقبلة ، والتحـرك السياسى الشعبى على المستوى الدولى ـوالتحرك على المستوى العربى ـ والدفاع الشعبى والمدنى ورعاية اسر المهجرين ـ ومحو الامية ، ووضع الثقافة والاعلام والفكر فى خدمة المعركة •

ولما كانت معركة التحرير ، بل لما كانت الامة العربية كلها تمر بظروف دقيقة يقترن فيها النضال السياسى والدبلوماسى الواسع والمعقد بأشق الجهود لحشد الطاقات والامكانيات السياسية والاقتصادية والعسكرية : فقد رأت « الطليعة » أن تستطلع آراء عدد من الكتاب والمفكرين ليقدم كل منهم فى نطاق تصوره الخاص ما يراه مساعدا على وضع توصيات المؤتمر القومى موضع التنفيذ ، ومن ثم فان المقالات التى تتضمنها الدراسة المقدمة فى هذا الصددليست هى الدراسة المعتادة التى درجت الطليعة أن تقدمها ، فالمقالات من التنوع بحيث تطرح الرأى الذى يثير الحوار ويحتمل المناقشة ، وبحيث يقدم فيها كل كاتب ـ من زاوية رؤيته الخاصة ـ مساهمته فى طرح عدد من أهم القضايا التى تضمنتها توصيات المؤتمر القومى •

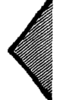
من هنا يكتب خالد محيى الدين عن الظروف الدولية التى أحاطت بتقديم المقترحات الامريكية ، والآفاق الدولية التى يتوجب على المنظمات الشعبية أن تنطلق اليها وتنشط فيها •

ويكتب اسماعيل صبرى عبد الله طارحا بعض الحقائق الاساسية فى الموقف العربى الراهن ، هذه الحقائق تمثل اطار الحركة الرئيسى فى المجال العربى •

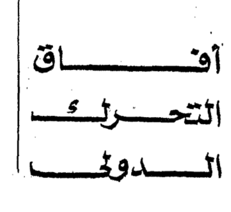
ويكتب فؤاد مرسى مقاله الاقتصادى موضحا لماذا ركزت توصيات المؤتمر القومى على جانب التضحيات التى قدمتها الجماهير الشعبية من أجل المعركة ، واستعدادها لتقديم المزيد •

ويكتب عبد الهادى ناصف عن دور التنظيم فى مجال العمل السياسى ومهام التثقيف الاشتراكى على أساس أن النشاط على هاتين الجبهتين يحتل فى هذه المرحلة اهمية خاصة •

ثم يتحدث محمد صبرى ميدى عن « المؤتمر القومى » ذاته باعتباره ظاهرة فى واقعنا السياسى ، وكيف أنه يرتبط بفهم معين للديمقراطية ، وكيف تطور ، وما هى ايجابياته وبعض المعوقات التى تؤثر فيه ، والتى يمكن أن ترد الى ضعف النشاط فى بعض المستويات القاعدية للتنظيم •



وأخيرا ، فانه لما كانت توصيات المؤتمر القومى قد أولت اهتماما خاصا ـ فى باب التعبئة الشعبية ـ لقضية بناء التنظيم النسائى ، فقد طرحت كل من أمينة شفيق وليلى الشال الخطوط العامة فى هذه القضية التى تحتم الظروف أن يمضى فيها التنظيم السياسى بحزم وثبات •





بعـد مقـترحات روجـرز

خـــالد محـيى الديـن

منذ **العدوان الاسرائيـــلى** فى يونيو ١٩٦٧ ، وعلى وجه الخصـــوص منذ صدور قرار مجلس الامن فى نوفمبر ١٩٦٧ ، ظهرت على مسرح السياسة الدولية محاولات سياسية عدة وقدمت مشروعات مختلفة تستهدف التوصل الى حـل سياسى لما يسمى بأزمة الشرق الاوسط ، وهى الازمة التى ترتبت على العدوان الاسرائيلـى الاخير .

لكن ما سمى بالمبادرة الامريكية أو مقترحات روجرز وزير الخارجية الامريكية كانت أكثر هذه المحاولات نيلا لاهتمام الرأى العام والصـحف والاذاعات ، وحظيت بمناقشات واسعة من قبل مختلف الاطراف والاتجاهات وخاصة بعـد أن أعلنت ج ٠ ع ٠ م موافقتها عليها ، ثم مـوافقة معظم اطراف النزاع وموافقة الدول الاربع الكبرى عليها .

بل ان الموقف من هذه المبادرة قد أعتبر ـ الى حد كبير ـ فيصلا لتحديد مواقف كثير من القوى السياسية فى العالم عامة، وفى البلدان العربية على وجه الخصوص .

وفى تقديرى أن السبب فى ذلك كله يرجع الى أن هذه المقترحات الامريكية التى تدعو السفير يارنج الى استئناف مهمته سعيا لتنفيذ قرار مجلس الامن مع وقف مؤقت لاطلاق النار ، هذه المقترحات قد جاءت وسط ظروف وتطورات دولية مواتية ، وبعد حدوث تغييرات بالغة الاهمية فى ميزان القوى فى الشرق الاوسط ، الامر الذى دفع عديدا من القوى السياسية المختلفة الى أن تضع فى اعتبارها الحجم الحقيقى لمخاطر استمرار الصراع فـى الشرق الاوسط ، والحجم الحقيقى لاحتمالات نجاح هذه المبادرة ، وكلاهما قد تزايد خلال الفترة الاخيرة بصورة كبيرة .

وباختصار ، فان الظروف العالمية ، والظروف الخاصة التى تمثلت فى احداث تحولات هامة فى ميزان القوى فى المنطقة قد ترتبت عليها تطورات تسمح الان ـ بتزايد نسبى ـ فى فرصة فرض تسوية سلمية متوازنة وعادلة الى حد كبير .

ان المقترحات الاخيرة تأتى من خلال مؤثرات عديدة ، منها ذلك الكفاح الدامى والطويل والمتسع المدى فى الهند الصينية ، وفى فيتنام على وجه الخصوص ، الذى اثبت لامريكا وللعالم اجمع ان القوى العسكرية مهما كان مداها لا يمكنها ان تفرض على شعب من الشعوب شروطا لا يرضاها ، وان استخدام التكنولوجيا العسكرية فى ارقى

صورها، لم يعد احتكارا لطرف دون الطرف الاخر، وذلك بعد قيام الاتحاد السوفيتي بتقديم معوناته للقوى الثورية ٠

وهكذا تواجه امريكا بشبح هزيمة سياسية وعسكرية فى الهند الصينية، تعقب تلك الهزيمة السياسية الواسعة المدى التى أعقبت التدخل الامريكى ضد شعب كمبوديا، والضربات المتتالية التى وجهت لسياسة العدوان حتى فى داخل الولايات المتحدة ذاتها، واضطرار امريكا للانسحاب من كمبوديا، وانتشار الحرب الوطنية والثورية فى كافة أرجاء الهند الصينية بشكل يؤكد حتمية انتصار شعوبها طال أمد الكفاح أم قصر، وخاصة بعد ان فضحت السياسة الامريكية فى أهدافها وأسلوبها وأعوانها، ووقفت ضدها كل القوى الوطنية على اختلاف اتجاهاتها ولم يبق معها سوى عملاء مفضوحين لا تحميهم سوى الحراب الامريكية ٠

وفى أوربا تمرد شديد ضد النفوذ الامريكى هناك، واتجاهات واضحة فى عديد من بلدانها نحو التعايش السلمى، وحل مشكلات الامن الاوربى، وتصاعد أصوات عديدة تطالب بأن تلعب أوربا دورا أكثر ايجابية وأهمية فى الحياة الدولية، على أساس اللجوء الى سياسة التعاون ونبذ استخدام القوة، وقد قوى هذا الاتجاه بعد أن فقدت العناصر الانتقامية والمتشددة امكانية تحقيق أهدافها عن طريق التلويح باستخدام القوة، وقوى أيضا بفضل السياسة السلامية المستمرة التى نهجها الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية الاخرى، ونجاح جمهورية المانيا الديمقراطية فى بنائها الاشتراكى حتى لقد أصبحت حقيقة سياسية فى أوربا والعالم أجمع ٠

ثم كانت مشاركة الاتحاد السوفيتى وعدة دول اشتراكية أخرى فى اخماد عناصر الثورة المضادة فى تشيكوسلوفاكيا مؤشرا هاما يعلن لكل القوى الانتقامية والفاشية والنازية الجديدة فى ألمانيا الغربية وغيرها، أن استخدام القوة لتغيير الاوضاع القائمة فى أوربا سوف يقابل بموقف شديد الحسم من جانب المعسكر الاشتراكى ٠

هذه الظروف مجتمعة، هى التى دفعت الحكومة الالمانية الغربية الجديدة الى محاولة حل مشكلاتها مع المعسكر الاشتراكى، وقبول الامر الواقع، والاعتراف بالحدود الحالية لالمانيا الديمقراطية وبولندا وتشيكوسلوفاكيا ٠

وكانت اتفاقية موسكو الاخيرة تتويجا صريحا لهذا الموقف الجديد ٠

وبالاضافة الى ذلك كله بدأت قوى عديدة فى العالم تشعر بمصاعب وفداحة سباق التسلح، وخاصة بعد التطورات الجديدة فى مجالات التسليح مثل القنابل المدارية، والصواريخ ذات الرؤوس المتعددة، الامر الذى أعطى لاعباء التسلح ابعادا خطيرة وأدى الى تزايد القوى المتعقلة التى تخشى من المخاطر الرهيبة للحرب القادمة والتى تسعى الى تسوية ما يطرأ من مشكلات تسوية سلمية ٠

وفى ظل هذه الظروف جميعا تطورت الاوضاع فى الشرق الاوسط نحو تدعيم القوى العسكرية للجمهورية العربية المتحدة، نتيجة للدعم السوفيتى الاخير فى نوعه وكميته والذى ادى الى الغاء احتكار التفوق التكنولوجى للعدو، وأثبت أن الزمن هو بالفعل فى صالح ج ٠ ع ٠ م والشعوب العربية، كذلك فشلت الاهداف التى دبر العدوان لتحقيقها، وهى تحطيم الانظمة التقدمية واسقاطها أو افشالها سياسيا ٠ بل على العكس – فمن خلال الصمود الشجاع فى المعركة – تدعمت مكانة هذه الانظمة، فقد أثبتت التجربة أن الانظمة التقدمية وعلى الاخص فى ج ٠ ع ٠ م هى أكثر الانظمة قدرة على مواجهة العدوان وعلى حشد طاقاتها وقدراتها فى المعركة، فالجمهورية العربية المتحدة هى القوة الاولى التى تخوض صراعا حقيقيا ضد العدو، وهى التى تضع كل مواردها من أجل كسب المعركة، ثم أن الانظمة التقدمية بدلا من أن تتهاوى تعززت بثورتى السودان وليبيا، وهكذا تحطمت الاهداف السياسية للعدوان، وزاد ايمان الشعوب العربية بقدراتها، وبامكان خوضها المعركة للنهاية ٠

وأحست الولايات المتحدة أن دعمها لقوة اسرائيل العسكرية لن يمكنها بأية حال من الاحوال من املاء شروطها على البلاد العربية، وأن الزمن لم يعد فى صالح مخططاتها فى المنطقة ٠

والشعب الفلسطينى يجسد ارادته فى تصميم على خوض المعركة من أجل العودة الى وطنه، مناضلا بالسلاح وبالعمل السياسى والدعائى، مؤديا الى حدوث تطورات هامة فى الرأى العام العالمى ٠

يضاف الى ذلك الانقسام الذى طرأ على صفوف الاسرائيليين وارتفاع صوت بعض القوى مطالبا بنبذ سياسة العدوان والتوسع ٠٠

وهكذا تتجمع هذه التطورات جميعا، لتفرض على السياسة الامريكية ضرورة البحث عن حل آخر يواجه التغييرات الجديدة فى العالم وفى الشرق الاوسط، حتى لا تزداد خسائر الولايات المتحدة الى ما لانهاية، وحتى لا تزداد عزلة أصدقائها فى المنطقة الى درجة الاختناق، الامر الذى يهدد مصالحها العديدة فى المنطقة تهديدا جديا ٠٠

وفى ظل هذه الظروف جميعا، تتبلور أهمية موافقة ج ٠ ع ٠ م **على المقترحات الامريكية**،

وتكتسب أهمية خاصة لدى مختلف الاوساط السياسية العالمية والمحلية • وقد وجدت هذه الخطوة قبولا كبيرا لدى هذه الاوساط باعتبارها خطوة شجاعة وواقعية ، وتعبر ـ وهذا هام للغاية ـ عن وصول ج • ع • م الى مركز القوة الذى يمكنها من أن تتحدث عن حل سلمى عادل •

ولعلها المرة الاولى فى تاريخ هذه الازمة التى يتضح فيها بجلاء انه بالامكان التوصل الى تنفيذ قرار مجلس الامن ... الجلاء عن الاراضى التى احتلت عقب عدوان الخامس من يونيو ، واحترام حقوق شعب فلسطين التى اقرتها له الامم المتحدة •

وقد كان من الطبيعى أن يؤدى موقف ج • ع • م من المقترحات الامريكية الى حدوث استقطاب فى مواقف القوى السياسية المختلفة ، فالقوى التى أيدت موقف ج • ع • م تمثل اتجاهات مختلفة ومتعددة لان كلا منها يستهدف من قبوله للمقترحات الامريكية أهدافا مختلفة ، وان كان الجميع يلتقون نحو هدف واحد وهو امكانية الحل السلمى ، وتجنب نشوب حرب جديدة فى الشرق الاوسط قد تهدد بانفجار عالمى مروع •

ولقد اثبت قبـــول ج.ع.م للمبـــادرة صدق السياسة التى ظلت تنهجها ج • ع • م فـى السنوات الثلاث الاخيرة بانتظام فى صـحفها واذاعاتها وفى بيانات وأحاديث **الرئيس جمال عبد الناصر** والمسئولين فى ج • ع • م وخاصة وزير خارجيتها ، وهى السياسة التى كانت تواجه دائما بالتشكيك من قبل الدعاية الصهيونية •

ان ترحيب الرأى العام العالمى بالخطوة التى اتخذتها القاهرة تجاه المبادرة الامريكية ينبع من ان الغالبية العظمى لاوساط الراى العام العالمى ظلت طوال الفترة الماضية تركز جهودها على تأكيد ضرورة تنفيذ قرار مجلس الامن باعتباره الحل العملى الممكن فى ظل الظروف العالمية الراهنة ، ولانه يتضمن ازالة آثار العدوان الاسرائيلى الذى ارتكب فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وينص على احترام حقوق الشعب الفلسطينى فى العودة الى وطنه .. الامر الذى يعتبر خطوة أساسية لضمان حقوقه الاصلية •

ولقد كان من الطبيعى أن يفجر قبول القاهرة للمبادرة الامريكية صراعات عنيفة وسط القوى الاسرائيلية الحاكمة التى كانت تبنى أحلامها على أساس الخروج من المعركة بمكاسب سياسية وإقليمية • كذلك فجر صراعا وسط كثير من القوى العربية والعالمية ترتب على مواقف التشدد الكلامى من قبل بعض القوى التى لا مصلحة لها الآن فى قبول تسوية سياسية قائمة على احترام الحق والعدل ».

ويترتب على كل ذلك أننا فى مسيس الحاجة الى بذل جهود سياسية ودعائية مضاعفة وعلى درجة عالية من التخطيط والتنظيم سواء على المجال الدبلوماسى الرسمى أو الشعبى والاستفادة من رد الفعل العالمى الذى يرحب بقبول مصر للمبادرة ، ولمواجهة الانقسامات التى طرأت فى السنوات الاخيرة على صفوف الاوساط العالمية التى تؤيد الحق العربى •

فخلال السنوات الثلاث الاخيرة انعكست على هذه الاوساط الخلافات التى تولدت داخل النطاق العربى ، ولا يصح أن يترك الامر على هذه الصورة وبغير معالجة عاجلة وحاسمة ، والا استفاد العدو من هذه الخلافات استفادة كبيرة •

ويتعين أن يدرك الجميع اننا نخوض معركة كبيره متعددة الوسائل ، وأول هذه الوســائل وأهمها على الاطلاق هو استكمال استعدادنا العسكرى ، وتعبئة موارد بلادنا لمواجهة العدو اذا رفض الحل السلمى العادل ، ويستدعى ذلـك بالضرورة تعبئة سياسية شاملة على أساس مرحلى واضح •

ويقف على نفس الدرجة من الاهمية شرح موقف ج • ع • م بالوسائل الرسمية والشعبية وبذل مزيد من الجهود السياسية والدعائية فى هذا المجال ، **ويجب أن نتوجه أولا** الى معسكر الاصدقاء ، فتدعيم جبهتنا مع أصدقائنا كان أحد العوامل الرئيسية فى تغيير ميزان القوى لمصلحتنا ، ومن هنا فانه يتعين علينا أن نبذل جهدا خاصا لتوضيح موقفنا أمام جماهير الدول الصديقة ، فهذه الدول بالرغم من وقوفها الصادق معنا ، ووضوح موقف حكوماتها الا أنه توجد ثمة حاجة لبذل جهدسياسى ودعائى لدى جماهير هذه البلاد لتوضيح موقفنا لتزداد ثقة جماهير هذه البلدان فى صدق خطواتنا وليزداد تأييدهم وايمانهم بكل خطوة تخطـوها حكوماتهم لتأييدنا •

وعلينا ثانيا أن نتوجه الى القوى الصديقة فى البلدان الغربية التى أيدت الشعوب العربية فى السنوات الاخيرة ، والتى وقفت بشجاعة معنا متحدية صعابا عديدة ، وهى قوى انعكست عليها طبيعة الاوضاع العربية والانقسامات التى تتواجد فيها ، وهى الانقسامات التى تفرضها تلك القوى التى تريد أن تصور الجهود المبذولة لازالة آثار العدوان كأعمال متعارضة مع حل القضيـة الفلسطينية ، وفى هذا المجال علينا أن نبذل جهودا كبيرة متسلحين بأعلى قدر من الوضوح والشجاعة والصراحة مؤكدين أن كفاح الشعب الفلسطينى جزء لا يتجزأ من كفاح الشعب العربى ، **وأن ازالة**

آثار العدوان الاسرائيلي على أساس قرار مجلس الامن لا تعني وضع حد نهائي للصراع ، وانما هي بالتحديد وضع للصراع في مسار واتجاهات وأساليب جديدة ، خاصة وأن أولى الخطوات نحو تأكيد الحق الفلسطيني هي التمسك بحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة الى وطنهم حسب قرارات الامم المتحدة • اذ أنه بدون العودة الى الارض فان حق تقرير المصير يصبح صعب التحقيق •

ولهذا فانه يتعين علينا الاستفادة من كل باب يفتح أمامنا • والذى لا شك فيه أن ازالة آثار عدوان يونيو سوف يقوى الجبهة العربية الى حد كبير ، وسوف يضعف في المقابل القوى العدوانية التوسعية داخل اسرائيل ، وسوف ينهى اسطورة الخوف من القوة العسكرية الاسرائيلية •

ان تطبيق قرار مجلس الامن في ظل وجود انظمة عربية قوية ومستقرة سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، ذات سياسة منسقة ، يعطى أملا أقوى للنضال الفلسطيني ، وليس العكس كما يتصور البعض •

يجب أن نوضح لهذه القوى أن الاهداف الكبرى ، لا يمكن أن تكسب في جولة واحدة ، بل ان هناك جولات وجولات ذات طابع متجدد ، بل وربما لا يمكن التنبؤ به الان ، ولابد لنا من أن نستخدم كل الاسلحة المتاحة ابتداء من بناء القوة العسكرية للدول العربية لمواجهة أخطار المطامع الاسرائيلية الان وفي المستقبل ، الى دعم حركة فدائية فلسطينية على أرقى مستوى من النضالية ، الى العمل السياسي والدعائي المتصل والذكي الذى يحرم عدونا من تأييد الرأى العالمي له ، بل ويجذب أوسع الاوساط نحو تأييد الحق العربي •

وعلينا ثالثا : ان نتوجه نحو القوى المحايدة التي لم تحدد موقفا بعد ، والتي أيدت الموقف الاخير الذى اتخذته ج • ع • م والاردن بقبول مقترحات روجرز ، محاولين قدر الامكان أن نستفيد من هذا التقارب في وجهات النظر ، باذلين أقصى جهد ممكن في كسب رصيد واسع من العلاقات والتقارب والثقة المتبادلة مع هذه القوى التي تقترب منا لاول مرة ••

ان قبول المقترحات الاخيرة سوف ينهى الحجج التي روجتها الدعاية الاسرائيلية التي أقامت الدنيا وأقعدتها قائلة أن العرب يريدون القاء الاسرائيليين في البحر ، وسوف يفتح امامنا آفاقا واسعة للاستفادة من اظهار نوايانا السلمية ، مبرزين الطبيعة التقدمية لانظمتنا التي تهدف الى بناء حياتنا الجديدة لخدمة جماهيرنا ، دون أية اتجاهات عنصرية أو توسعية ، ومؤكدين أن عدونا هو الذى تلطخه وصمة العدوانية والتوسعية والعنصرية •

علينا أن نتجه بسرعة نحو حركات السلام والقوى المناهضة للحرب في الهند الصينية ، والحركات العمالية والنقابية ، وحركات الشباب ، والطلبة ، وأساتذة الجامعات ، وكذلك رجال الدين ، والحركات النسائية ، والبرلمانات في مختلف أنحاء العالم •

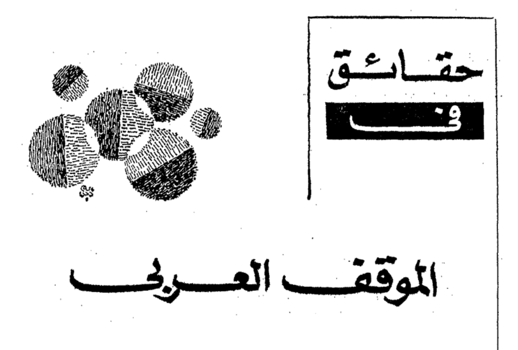
وعلى المنظمات المصرية والعربية أن تتجه بسرعة الى الحركات المثيلة لها في كل بلدان العالم لتشرح لها موقف ج • ع • م واضحا ومدعما بالوقف العملية الاخيرة ، وأن تفند الدعاية الاسرائيلية نقطة نقطة وأن تنسق بين كل الجهود الصديقة لنخوض معا وجبهة واحدة المعركة العنيفة التي ستنشب حتما على النطاق الدعائي والسياسي في مختلف الاتجاهات •

وفي الجمهورية العربية المتحدة فان لدينا عديدا من المنظمات والاجهزة المحلية والعالمية ، مثل اللجنة الدولية لنصرة الشعوب العربية ، وسكرتارية التضامن الآسيوى الافريقي ، والمجلس القومي للسلام ، واتحاد العمال والمعلمين والمحامين العرب ، ومنظمة الشباب واتحاد الطلاب ، ولجنة العلاقات الخارجية بالاتحاد الاشتراكي • وكل هذه الاجهزة والمنظمات مطالبة بأن تتحرك على وجه السرعة وبشكل منسق لمواجهة الحرب الدعائية للعدو ولبناء وحدة سياسية مصرية وعربية ، ولتوحيد جهودنا مع أصدقائنا على أساس متين ومستقر ، **فالمعركة طويلة وشاقة جدا ، وهي لم تقترب من نهايتها كما يتصور البعض ، بل نحن لازلنا في أول الطريق** •

لقد ركز المؤتمر القومي اهتماما كبيرا على دور الدبلوماسية الشعبية في كسب الرأى العام العالمي ، وقدر تقديرا ايجابيا للجهود التي بذلت بالفعل والتي كما تقول قرارات المؤتمر « اسهمت مع التحرك الرسمي في تحقيق تحولات هامة في صالح القضية العربية في قطاعات كبيرة من الرأى العام العالمي •• » •

وقد أكد المؤتمر في قراراته انه « من الاسلحة الاساسية لاسرائيل تضليل الرأى العام العالمي وتقديم المعلومات له بما يخفى أهدافها العدوانية التوسعية • ومن ثم فقد أوصى بضرورة بذل مزيد من الجهود المنسقة بين كافة الهيئات من « أجل الافادة الى أقصى حد ممكن من كل تحرك في الخارج على أساس مدروس ومخطط » •

ان المهمة صعبة وهي بحاجة الى جهود كثيرة •• الى كل الجهود •



حقائق في الموقف العربي

د. اسماعيل صبرى عبد الله

من بين التوصيات الرئيسية التى اتخذها المؤتمر القومى العام فى دورته الرابعة ، تلك التوصية التى ترسم الخط العام لحركة التنظيم السياسى فى المجال العربى ، فقد جاء فى هذه التوصية أن :

« ان المؤتمر اذ يقدر الخطوات التى اتخذت وتتخذ على المستوى العربى ، فانه يوصى باستمرار العمل ـ وأيا كانت الصعوبات ـ بتجميع القوى العربية ولحشد امكانيات الامة العربية كلها ، لكى تكون فى المعركة ، ومساندة المقاومة الفلسطينية مساندة كاملة ، مع بذل الجهود لدعم وحدتها ولتامين حركتها » .

والواقع أن كل جهد يبذل لوضع هذه التوصية موضع التنفيذ يقتضينا أن نلقى الضوء على حقائق أساسية فى الموقف العربى .

فلقد حفل جو السياسة العربية طوال الشهر الماضى بضجيج شديد ، اختلطت فيه الاصوات وتضاربت الاراء وتصاعدت المهاترات حتى بلغ الصدام احيانا حد اراقة الدماء ، بين بعض فصائل المقاومة وكثرت المزايدات فى سوق « السياسة » الحزبية وكان موضوعها المفضل مرة أخرى فلسطين وشعب فلسطين ، ولقد أعاد هذا كله الى الاذهان صورا من الماضى كنا نظن أنها اندثرت نهائيا تحت انقاض هزيمة يونية سنة ١٩٦٧ ، نعم لقد عادت الى الاذهان صور من عهد حرب الكلام ، لقد اتسمت تصرفاتنا حتى حرب ١٩٦٧ دائما بطابع « رد الفعل » ازاء تصرفات العدو وحلفائه ، ولم تتخذ قط طابع « الفعل » ، وبقدر تصور حركتنا ازاء حركة الصهيونية كان صوتنا عاليا وتهديداتنا صارخة ومواقفنا عصبية ومتفرقة ، ولكى « نفعل » لابد أن يكون محتوى الفعل واضحا لا يشوبه لبس ، والا غدا قعقعة لا تغنى ، أو ارتد الى صدورنا سهاما قاتلة ، ولكى نتحرك ، لابد أن يكون لمسيرتنا غاية نهدف اليها ونهتدى بها ، والا غدا السير فيها فى الصحراء يمكن أن يدور فى حلقة مفرغة ، **لقد تساءلنا كثيرا فى اعقاب النكسة الكبرى عن اخطاء السياسة العربية ازاء اسرائيل ، وفى رأيى أن الخطيئة الاولى فى هذا المجال كانت بالذات عدم وجود سياسة عربية اصلا ، لقد تمسكنا بموقف مبدئى هو رفض التسليم بالامر الواقع الذى صنعته الصهيونية بمساندة الاستعمار ، وكان الاصرار على هذا الرفض بالرغم من الهزائم والنكبات والضغوط العنيفة موقفا رائعا ونبيلا** ، ولكن الرفض ذاته لا يكفى لتغيير هذا الواقع ، بل لابد من سياسة ايجابية تستهدف هذا التغيير وتخطط لتحقيقه بنضال دؤوب ، وتغيير الواقع الراهن لا

يمكن أن يعنى مجرد « اعادة الاحوال الى ما كانت عليه قبل ربع قرن أو نصف قرن » . فالتاريخ لا يرجع القهقرى ، وانما يسير الى الامام ، وتصورنا لاهداف نضالنا يجب أن يدخله البعد الزمنى ، فهو بالضرورة تصور للمستقبل الذى نعمل على تشكيله من خلال نضال طويل يستغرق سنوات وسنوات ، ولذلك فهو لابد أن يأخذ فى الحسبان وقائع الحاضر المادية ، واحتمالات الغد فى حياتنا وفى حياة اعدائنا ، وفى حياة العالم المحيط بنا وبهم . ان الثوريين لا يتجاهلون الواقع ، لانهم يعرفون تماما أن فهمه الكامل شرط لتغييره ، ولكن الفرق بينهم وبين « الواقعيين » يتمثل بالدقة فى أن دراستهم للواقع تستهدف تجاوزه وليس الاستسلام له ، كما أن الثوريين يعرفون أن لكل نضال طويل « استراتيجية » تحدد هدفه الاساسى والاخير ، و « تكتيكات » تمثل خطوات أو مراحل تكمل بعضها بعضا بحيث تؤدى آخر الامر الى الوصول الى الهدف المنشود ·

وازاء البلبلة التى يمكن ان يشيعها البعض عن قصد أو عن غير قصد ، لابد من أن نقف قليلا ، ونضالنا الحالى فى منعطف خطير محفوف بالصعاب ، لنذكر ببعض الحقائق الاساسية التى تحكم الان ، وستحكم لامد طويل ، كل أوضاع النضال العربى ·

التزام مصر العربى

فأولى تلك الحقائق هى التزام مصر العربى، وهذا الالتزام نابع أولا وقبل كل شىء من عروبة مصر ذاتها ، فالمرء لا يملك أن يتنكر لنفسه أو ينكر حقيقته ، حقا لقد شهدت فترة ما بعد الحربين العالميتين اتجاها فى الدوائر الحاكمة والقيادات البورجوازية ولدى بعض المثقفين نحو عزل مصر عن أخوتها فى العروبة ، وراجت فى بلادنا فى ذلك الوقت دعاوى كالتى يرددها بورقيبة فى السنوات الاخيرة تقول بما يسمى « حضارة البحر الابيض المتوسط » وأن البحر عازل أقوى شأنا من الصحراء ، وأن هدف مصر — ذات الحضارة العريقة — أن تصبح « قطعة من أوروبا » وليس أن تربط نفسها « ببدو متخلفين » · وكانت تلك الدعاوى ثمرة الغزو الفكرى الذى شنه الاستعمار الاوروبى ، لقد حاول الاستعمار أول الامر أن يفعل بمصر ما فعل بالجزائر فيحرمها لغتها القومية ويفرض لغته مطية لمسخ حضارته ليفقد الشعب العريق شخصيته ، ولكن المقاومة التى لقيها كانت شديدة فغير الاستعمار سياسته فى اتجاهين : **الاول** ، محاربة فكرة الوحدة العربية باسم الرابطة الاسلامية ، والاسلام رابطة دينية روحية لها مكانتها ولا شك ، ولكن العرب بين المسلمين اقلية قليلة لاتبلغ الخمس ، كما ان بين العرب عددا لا يستهان به من المسيحيين · **والثانى** ، محاربة فكرة القومية العربية باسم القومية المصرية · واندفع عدد من المثقفين يمجدون ماضى مصر القديمة ويروجون للزعم بأن العرب كانوا أجانب مسيطرين ، وذهب بعضهم الى حد المطالبة باستخدام « اللغة العامية » بدلا من العربية زاعمين انها اللغة المصرية ، ولكن الانصاف يقضى بأن كل تلك الدعاوى لم تلق رواجا بين جماهير شعبنا ، فرجل الشارع عندنا ظل دائما يعرف نفسه على أنه « ابن العرب » فى مواجهة « الخواجة » · وقبل ذلك ، فى مستهل القرن الماضى عندما نجحت مصر فى نبذ التركية كلغة رسمية ، لم تستخدم « العامية » وانما عادت الى العربية ، ومثقفو القرن التاسع عشر ابناء الفلاحين الذين درسوا فى أوروبا كان همهم الاول أن يكتبوا بالعربية تأليفا وترجمة ، وازاء تزايد الاضطهاد العنصرى التركى فى الشام فتحت مصر أبوابها لرواد الفكر القومى والنهضة العربية فاستقروا بها وأسهموا فى تشكيل حياة العرب الفكرية المعاصرة ، وكان من أعظم أعمال ثورة ١٩٥٢ وقيادة عبد الناصر استرداد مصر وجهها العربى واضحا ووضاحا وتقبلها لمسئوليتها التاريخية فى النضال العربى بكل ما تعنيه من اعباء وتضحيات . وصاحب ذلك حركة فكرية وتعليمية تلقى الضوء على روابط الاخوة ، وتبث الواقع العلمى للقومية العربية ، وتنقى الجو الثقافى من شوائب الاقليمية ، وبالنسبة للشباب من جيل الثورة أصبحت عروبة مصر حقيقة لا تحتمل الجدل ، وانحصر الاتجاه الانعزالى فى بعض دوائر البورجوازية المصرية ذات التفكير التقليدى ، وليس أدل على شعور المصريين العميق بقوميتهم العربية من مناقشات المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى فى دورته الرابعة ، لقد دارت أكثر الاسئلة التى وجهها اعضاء المؤتمر الى رئيس الاتحاد الاشتراكى حول مسئوليات مصر ازاء بقية الشعوب العربية وبصفة خاصة ازاء شعب فلسطين ، ونحن لا نحس أدنى تناقض بين اعتزازنا بتاريخ مصر القديم وبين تمسكنا بعروبتنا ، فالحضارة العربية لم تقم على نظرة عنصر ضيقة تقول بتفوق أو سيادة عرب الجزيرة ، بل كانت عبقريتها تتمثل أساسا فى تفتحها على الحضارات التى سبقتها واستيعابها لها فى جو التسامح الاسلامى المعروف ، وشعب مصر حين استعرب قدم للحضارة العربية كنوز تاريخه العريق ·

وعروبة مصر ليست مغنما لشعبها ، ولكنها مسئولية كبرى ، فنحن ثلث الامة العربية ، وموقع مصر الجغرافى يجعل منها نقطة الالتقاء بين عرب الشرق وعرب الغرب ، وطاقات شعبنا الاقتصادية والثقافية . وتاريخنا المعاصر يلقى علينا اعباء جساما فى النضال العربى ، ولا شك أنه لا فخر باداء الواجب ، ولكن الامانة التاريخية تقتضى أن نذكر فى هذا المجال أن شعب مصر قد أعطى

للقضايا العربية الكثير فى غير مقابل؟ بل ودون ان ينتظر أى مقابل ، لقد حصل كل نضال تحررى على أرض العرب على العون والتأييد من جانب مصر ، والحقيقة الناصعة فى ان هذا الشعب الاصيل لم يبخل بشىء ، وما لنا نذهب بعيدا ، مع أنه معروف للخاص والعام، ان الضغط الامريكى المركز على مصر منذ أواخر ١٩٦٤ كان يستهدف رسميا تخلى القاهرة عن القضايا العربية وفى مقدمتها قضية فلسطين ؟ وكان اخفاق هذا الضغط فى احداث التحول المطلوب فى السياسة المصرية من الاسباب التى دفعت الى عدوان ١٩٦٧ الذى كان يرمى الى ضرب النظام التقدمى الذى التزمت مصر فى ظله بطريقها الصحيح ، طريق القومية العربية المتحررة .

والتزام مصر العربى فى قضية فلسطين بالذات له أساس آخر ، فالاستعمار الصهيونى تهديد مباشر لارض مصر وشعب مصر ، ومطامع اسرائيل الرسمية تشمل أجزاء من أرضنا ، ومنذ أن وجدت اسرائيل قامت بحربين عدوانيتين ضد مصر بالذات وليس ضد أى بلد عربى آخر ، والامر لا يقتصر على الطمع فى جزء من سيناء ، وانما هو أعمق من ذلك وأبعد ، فالعدو الصهيونى ، ومن ورائه الاستعمار العالمى ، يدرك أن العقبة الاساسية أمام كل محاولة اجنبية للسيطرة على الوطن العربى هى مصر ، وبالتالى فلن يهدأ له بال أو يستقر به حال الا اذا كسر المقاومة المصرية ، فاما أن يتنكر الشعب العربى فى مصر لعروبته وينطوى على نفسه ويستسلم للاستعمار الجديد ، واما تقف له الصهيونية والاستعمار بالمرصاد، تحاول استنزاف قواه وتعطيل تقدمه وضرب منجزاته ، لقد قيل أن اسرائيل باحتلالها سيناء حركت من الاعماق الوطنية المصرية ، وما يجب أن يقال هو أنها فتحت أعين الجميع على حقيقة أن مصر لا تملك أن تتجاهل خطر الصهيونية ، وتصريحات قادة العدو بالغة الدلالة على حقدهم على مصر ، فحين عدل جمال عبد الناصر عن الاستقالة استجابة لرغبة الجماهير الشعبية صرح بن جوريون فى اليوم التالى ــ ١١ يونية ١٩٦٧ ــ قائلا : « ما دام عبد الناصر قد عاد الى السلطة فكأننا لم نكسب الحرب» . ان العدو ذكى وعلى علم بحقائق بلادنا العربية وتاريخها ، وهو يعلم انه فى كل مرة صمد الشعب المصرى أمام الغزاة انحسرت موجتهم عن الوطن العربى كله : وهذا ما حدث مع الصليبيين ومن بعدهم مع المغول ، وفى المرات التى هزم فيها الشعب المصرى نجح الغزاة فى بسط سيطرتهم على كل البلاد العربية ، وهذا ما حدث إثناء الغزو العثمانى ، ثم فى فترة الاستعمار الاوروبى .

لكل ذلك فانها لكبيرة أن يقول بعض المزايدين من تجار السياسة بأن مصر تبحث عن مصلحتها بعيدا عن مصلحة العرب القومية ، وأنه لخطأ جسيم أن يكون رد الفعل عند بعضنا أمام الجحود والتشهير دعوة لنفض يدنا من القضايا العربية ، فكل محاولة للحد من قيام الشعب المصرى بمسئولياته التاريخية نحو المصير العربى خدمة مباشرة للاستعمار والصهيونية .

استراتيجية النضال العربي

والحقيقة الثانية التى كثيرا ماردددها، ثم لا نرتب عليها نتائجها العملية، هى ان اسرائيل حلقة رئيسية فى مخطط الامبريالية العالمية للسيطرة على الوطن العربى وامتصاص ثرواته واستغلال شعوبه ، ولقد دبجت الابحاث والمقالات والخطب التى تبين أن اسرائيل رأس جسر للاستعمار الغربى ، وأداة بالذات بيد الاستعمار الامريكى ، وقاعدة للعدوان ضد حركة التحرر العربى ، وكلب حراسة للمصالح الاستعمارية، فضلا عن دورها الاستعمارى المتحامى بها، والنتيجة المنطقية لهذا كله هى أن الترابط بين الدولة الصهيونية وبين الامبريالية العالمية ترابط عضوى لا فكاك له ، فاسرائيل بحاجة الى مساندة الدول الاستعمارية لتعيش وتتوسع ، والدول الاستعمارية فى حاجة الى اسرائيل وجيش اسرائيل لحماية مصالحها الاستعمارية فى المنطقة وضرب حركة التحرر العربى ، ومؤدى ذلك أن النضال ضد الصهيونية لا ينفصم عن النضال ضد الاستعمار ، **والامر الذى لا يحتاج الى برهان هو أن اسرائيل أقوى قواعد الاستعمار فى الوطن العربى ، ومن ثم فلابد من حركة التفاف حولها تتمثل فى تصفية قواعد ومصالح الاستعمار فى الاقطار العربية ، فهذه التصفية تحرم الاستعمار من وسائل يستخدمها فى مساندة اسرائيل ، كما أنها تجعل اسرائيل ، تفقد اهميتها فى نظره ككلب للحراسة « وانكشارية جديدة»** . ولنا فى موقف فرنسا دروس عميقة المعانى ، لقد حاربت فرنسا الى جانب اسرائيل سنة ١٩٥٦ ، ثم وقفت موقف الحياد سنة ١٩٦٧ ، ثم أصبح هذا الحياد متسما بالعطف على قضية العرب ، إن النظرة الذاتية والشخصية لقضايا السياسة تجعل الكثيرين منا يفسرون هذا التغير فى موقف فرنسا بالتغيير فى الاشخاص،فيقولون أن جى موليه عميل للصهيونية وديجول رجل مبادىء ، ولكن تلك النظرة ساذجة وفجة ، فالديجوليون فى البرلمان الفرنسى لم يعارضوا حملة السويس سنة ١٩٥٦ . بل ان وزير خارجية فرنسا الحالى كان عضوا بوزارة جى موليه ، وها قد ذهب ديجول ولم تتغير السياسة ، ان أساس التغيير هو أن السنوات الاحدى عشرة قد شهدت حدثا ضخما هو انتهاء حرب الجزائر بانتصار الشعب الشقيق واعلان استقلاله ، وفرنسا اشتركت فى حملة السويس لا حبا فى اسرائيل ، وانما انتقاما لتأمين قناة السويس وسعيا لضرب ثورة الجزائر فى القاهرة ،

أما الآن وقد صفيت المواقع الاستعمارية فى الوطن العربى ، فانه لم يعد لاسرائيل أهميتها الحيوية فى نظر باريس ، وأدركت أقسام واسعة من الرأسمالية الفرنسية أنها لم تخسر الجزائر فحسب ، وانما كانت حرب السويس كارثة على كل مصالحها الاقتصادية ونفوذها السياسى والثقافى فى الشرق العربى ، لقد دفعت فرنسا ابهظ الاثمان ، وكان طبيعيا أن تحاول استعادة العلاقات الاقتصادية والثقافية مع البلاد العربية ، وأن ترفض أن تقف المطامع التوسعية الاسرائيلية عقبة أمام التعامل مع سوق تضم قرابة المائة مليون ، وأرض تضم ثروات ضخمة ، وأثبتت تلك السياسة الجديدة نجاحها بالفعل اذ فتحت امام فرنسا باب صفقات مربحة فى مجال السلاح والبترول ، وبالمثل يمكن أن نتوقع أنه يوم ينجح العرب فى تأميم البترول ، أو حتى المصالح الامريكية فيه فحسب ، ستفقد اسرائيل كثيرا من أهميتها فى نظر الولايات المتحدة .

ولهذا الوضع أثره المباشر على علاقات القوى فى المنطقة ، فازاء أى تهديد لاسرائيل لابد أن يتدخل الاستعمار عسكريا لحمايتها ، وهذا لا يصدق على الولايات المتحدة وحدها بل ان بريطانيا ستقف بجانبها ، وكذلك الشأن مع فرنسا ، وقد صرح ديجول نفسه أكثر من مرة منذ ١٩٦٧ أنه لو كانت اسرائيل واقعة تحت اىتهديد حربى لكان موقف باريس مختلفا تماما ، هذا فضلا عن أن الرأى العام العالمى بكل وزنه سيساند عندئذ الدولة الصهيونية .

ولكن الاهممنذلك وتلكهى الحقيقة الثالثةهو: أنه فى حدود علاقات القوى الحالية فى المنطقة لا يستطيع العرب سحق العسكرية الاسرائيلية حتى بدون تدخل مباشر منالقوات الاستعمارية، وعبثا نحاول ان ندور حول هذه الحقيقة برفع شعار « الحرب الشعبية » ، ذلك أن الحرب الشعبية فى جوهرها حرب ثورية يخوضها شعب ضد جيش احتلال اجنبى أو جيش رجعى محلى وهدفها فى الحالة الاولى اقناع المحتل باستحالة الاستمرار فى الاحتلال لان تكلفته باهظة تفوق بكثير كل المزايا التى يحصل عليها المستعمر منه ، وهذا بالدقة ما حدث فى الجزائر فحمل حكومة ديجول على المفاوضة ثم الانسحاب ، أما فى الحرب الاهلية ، فان الحرب الشعبية اما أن تقضى الى انهيار النظام الرجعى من الداخل ، واما أن تتحول الى حرب نظامية ، وجيوش ماوتسى تونج التى وجهت الضربة القاضية لتشانج كاى تشيك واحتلت بكين وكانتون وشنغهاى كانت جيوشا نظامية ، أما اسرائيل فانها تمركز قوتها الضاربة داخل حدود دولية معترف بها وفى اطار سيطرتها العددية ، وفى الحرب الشعبية يستهدف الثوار دائما تحرير بعض المناطق ليستقرون فيها ويكونون جيشا نظاميا (وهذا ما حدث فى الصين) . ولذلك فلا معنى للقول بتعميم المواجهة بين العرب والاستعمار بحرب شعبية فى كل مكان ، ولو كان ثمن ذلك سقوط الدول المتحررة فى قبضة العدو ، وحتى لو تخيلناجدلا مثل تلك المواجهة العامة ، فان الحرب الشعبية بطبيعتها ليست حربا خاطفة ولكنها سنوات قتال طويلة .

ولكل ذلك فلابد من أن نتخلى عن نفاد الصبر وقصر النفس ، وبدل أن نعلل أنفسنا بعمل خارق ينهى الامر فى أمد وجيز علينا أن نهيئها لنضال طويل ومرير ، ولنا أن نتمثل تجربة العدو الصهيونى الذى رسم استراتيجيته على مدى قرن كامل ، فقد مرت أكثر من عشرين سنة بين تحديد الصهيونية لهدف اقامة دولة فى فلسطين وبين الحصول على وعد بلفور ، ومرت ثلاثون سنة بين الوعد المشئوم واقامة الدولة بالفعل على جزء من فلسطين،ولميكنكل ذلكفىنظرهم الأخطوة اولى وعلينا من ناحية اخرى أن نتذكر ان الحرب فى عالم اليوم ليست ظاهرة عسكرية خالصة ، بل ان القوة العسكرية الان هى التعبير الأخير عن تقدم اقتصادى وتكنولوجى وطاقات بشرية أخذت بأسباب الحياة الحديثة ، ومن ثم فان تطوير اقتصادنا القومى ، وتصنيع بلادنا ، وتحرير الانسان العربى من القهر والاستغلال ، واتاحة أحدث المعارف البشرية له جزء من عدتنا فى النضال ، وأخيرا ، ان علاقات القوى الدولية ، وموقف الرأى العام العالمى ، بل وحالة الرأى العام داخل اسرائيل نفسها ... كلها عوامل لها تأثيرها الهام فى مجرى الصراع ، ويجب أن تحظى بجانب كبير من عناية العرب .

نعم ، اننا بصدد صراع طويل ومرير ، ولابد اذن من تخطيط طويل الامد لهذا الصراع ، أو بعبارة أخرى لابد من تحديد استراتيجية لصراعنا ضد الصهيونية والاستعمار فندرج داخلها فى اتساق معاركنا المتتالية ، وكل استراتيجية تتحدد بتحديد الهدف الذى نسعى لتحقيقه ، ومن ثم لابد من وضوح الرؤية حول هدف النضال العربى ضد الصهيونية والاستعمار ، ولنقل بصراحة اننا لا نستهدف بحال من الاحوال ابادة اليهود المقيمين على أرض فلسطين ، أو القاءهم فى البحر ، أو طردهم بالقوة ، فمثل تلك الاغراض غريبة تماما عن تقاليدنا الحضارية ، وطوال تاريخنا كله كانت رسالة العرب حضارة وسلاما ولم تكن يوما تخريبا وابادة ، كما أن المشكلة فى مستوى الصراع الحالى ليست مشكلة « ثأر » ، لسنا بصدد تطبيق القانون العبرانى « العين بالعين والسن بالسن » وأن نفعل باليهود فى اسرائيل ما فعله الصهاينة بالعرب،انما نريدبوضوح **«تصفية وضع اسرائيل كقاعدة صهيونية استعمارية فى قلب الوطن العربى »** . وهذا يعنى على سبيل التحديد أمورا ثلاثة :

● **حق الشعب الفلسطينى فى أرضه ووطنه واستقلاله .**

● الا يعني وجود يهود في فلسطين الادعاء بوجود وطن بها لكل يهود العالم •
● الا يكون هذا الوجود تجسيدا لارتباط بالغرب الاستعماري •

وبعبارة أخرى ، يتوقف مستقبل الاسرائيليين على مدى تسليمهم بحقوق شعب فلسطين ، وفصمهم لعرى الصهيونية العالمية ، وتقبلهم أن يصبحوا جزءا من المنطقة التي يعيشون فيها وليس رأس جسر اجنبي ضد امالها وامانيها . ان الامة العربية حين تناضل في سبيل وحدة أراضيها ، وحين تضع صيغة اتحادية تجمع شملها ، تدرك حقيقة أن هذه الارض تضم في أجزاء منها أقليات قومية ، والشعار الثوري الوحيد هنا هو التمسك بوحدة التراب العربي مع احترام حقوق الاقليات القومية ، اننا نؤمن بفكرة أن شعبا يقهر شعبا آخر لا يمكن أن يكون هو نفسه شعبا كامل الحرية ، والثورة العربية بابعادها التحررية والتقدمية تلفظ القهر القومي والتعصب العنصري في كل الصور ، اننا لا يمكن أن نقبل بقاء قاعدة استعمارية عدوانية على ارضنا ، ولكننا لانضمر عداء عنصريا لليهود كأفراد ، وغني عن الذكر أن نقطة التحول في نضالنا الاستراتيجي هي أن نبلغ من التقدم الاقتصادي والثقافي والقوة العسكرية ما يبدد نهائيا أحلام السيطرة الصهيونية وما يفرض فرضا داخل اسرائيل استقطابا واضحا بين أولئك المتعصبين الذين لا يحلمون الا بالغزو والتوسع ، وأولئك الذين ستبدو في نظرهم سراب الصهيونية فيقررون العيش مع العرب والتعايش معهم ، وليس كل شيء من ذلك بالمنظور في الغد القريب •

وأهمية وضوح الهدف الاستراتيجي تتمثل في أنه المعيار الذي تقوم في ضوئه نتائج أى معركة تكتيكية ، ففي كل خطوة نخطوها ، وكل عمل نقدم عليه ، وكل تسوية نقبلها علينا ان نطرح السؤال الاتي : هل يقربنا ذلك من الهدف المنشود ام يبعدنا عنه ؟ وكلما كان الجواب بالايجاب علمنا اننا نسير على الطريق السليم •

تصفية آثار العدوان وقضية فلسطين

والحقيقة الرابعة ، التي ضاعت في خضم المهاترات ، هي أن القاهرة بقبولها « مقترحات روجرز » لم تغير موقفها ، وان استمرت على الخط الذي تحدد في مؤتمر القمة العربي المنعقد في الخرطوم في أغسطس سنة ١٩٦٧ ، لقد حدد ذلك المؤتمر للعمل العربي بعد هزيمة يونية هدفا محددا هو « **ازالة آثار العدوان** » ، وفتح الباب أمام الوصول لهذا الهدف لكل مساعي التسوية السياسية مادامت تستبعد المفاوضة مع اسرائيل والاعتراف بها وعقد صلح معها ، وابتداء من هذا الخط قبلت مصر قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ ورحبت بمحادثات الدول الاربع الكبرى ـ وهم الاعضاء الدائمون في مجلس الامن ـ وبمباحثات الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية ، ونشطت دبلوماسيتها الرسمية والشعبية لتوضح للرأى العام العالمي حكومات وشعوبا ان قضيتنا قضية جلاء عن اراض محتلة بالقوة ، واننا نرحب بتحقيق هذا الجلاء سياسيا والا اضطررنا للنضال من أجله عسكريا ، ولايمان القاهرة العميق بضآلة احتمالات نجاح مساعي التسوية السلمية من ناحية ، وبأهمية القوة العسكرية في زيادة تلك الاحتمالات من ناحية أخرى لم ندخر أى جهد في بناء جيش حديث قوى ومدرب ، وربما كان بين أهم ثمرات هذه السياسة الحكيمة أن حلفاءنا الطبيعيين حين لمسوا في مواقفنا الجدية والنضوج والبعد عن المغامرة استطاعوا أن يضعوا كل ثقلهم الى جانبنا ، وليس سرا أن الاتحاد السوفيتي تحمل ازاءنا بالتزامات لم يتحمل مثلها قط خارج المعسكر الاشتراكي ، والان حين تؤدى هذه السياسة بجوانبها العسكرية والدبلوماسية والاقتصادية الى تعديل في علاقات القوى تضطر ازاءه واشنطون الى تعديل موقفها بعد أن ظل ثلاث سنوات كاملة مبنيا على المساندة الكاملة وغير المشروطة لاهداف اسرائيل التوسعية ، يتعالى الصراخ في بعض العواصم العربية ولدى بعض القوى السياسية ضد ما يسمونه « التخاذل » وتصفية قضية فلسطين •

ومن الامتهان للعقل أن نقف ولو لحظة عند الاتهام بالتخاذل حين يردده من ضن بالمدفع أو الطائرة أو الطيار ضد من صمد وقاتل وتحمل أعباء الحرب العصرية [وغير خلف أن أعباء هذه الحرب وقعت أساسا على المقاتلين في خط القتال كما حملت الجبهة السورية أيضا نصيبها]

... وعلى العكس لابد أن نطرح في صراحة أثر « تصفية آثار العدوان » على قضية شعب فلسطين ، فمنذ أن تطورت المقاومة الفلسطينية والتفت حولها أفئدة العرب ، وهذا التساؤل وارد ، ولكن معظم الناس كانوا يحجمون عن الاجابة عليه لانها في نظرهم شائكة ، أو يمكن أن تفت في عضد المقاومة ، أو لاتروق في نظر منظمات المقاومة وشبابها الفدائي (١) • ولكن العواطف هنا غير ذات غناء ، ولا مجال في هذا

(١) عالجت هذا الموضوع تفصيلا في كتابي « في مواجهة اسرائيل » الذى صدر عن دار المعارف في يولية ١٩٦٩ (سلسلة اقرا) •

الصراع المصيرى الرهيب الا للتفكير الهادىء والحساب الدقيق . ان جوهر تصفية آثار العدوان هو انسحاب اسرائيل الكامل من جميع الاراضى التى احتلتها فى يونية سنة ١٩٦٧ ، ولكى نقدر تقديرا سليما اثر هذا الانسحاب على قضية فلسطين لابد أن نبحث أولا كيف يمكن ارغام اسرائيل على الجلاء .

اننى من أولئك الذين يعتقدون أن فرص التسوية السياسية مازالت ضئيلة للغاية لاسباب متعددة أهمها ان اسرائيل مازالت تؤمن بتفوقها العسكرى وبالتالى بقدرتها على فرض شروطها وتحقيق توسع اقليمى جزئى على الاقل ، ولكن لنفرض أن ضغط الرأى العام العالمى والتغير فى علاقات القوى واعتبارات السلام العالمى يحمل الدول الاربع الكبرى على أن توفر لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ضمانات التنفيذ ، اى ان تجبر اسرائيل على الإنسحاب دون قتال فماذا سيكون اثر ذلك على اسرائيل نفسها من ناحية، وعلى الثورة الفلسطينية من ناحية اخرى؟ ان اسرائيل ولدت بالعنف وتوسعت بالقوة وعاشت بالارهاب ، فمنذ سنة ١٩٤٧ حتى الان نجحت اسرائيل باستمرار فى فرض ما تريد بالقوة ، تلك قضية حيوية بالنسبة للوضع الداخلى فى الدولة الصهيونية ، فأولئك الذين فروا اليها خوفا من اضطهاد حيث ولدوا ، أو املا فى حياة أفضل ماديا وأدبيا ، لن يستقر بهم المقام الا اذا اطمأنوا تماما لقدرة اسرائيل على أن تعيش بالقوة ، وأن تتوسع بالتدريج ، وأن ترغم العرب فى النهاية على التسليم بوجودها والاستسلام لسيطرتها الاقتصادية ونفوذها السياسى ، وبعبارة أخرى تقوم نظرية « الامن الاسرائيلى » على التفوق العسكرى المطلق ، وفعالية هذا التفوق فى المحافظة على ديناميكية الانتشار الاستعمارى ، ولو أجبرت إسرائيل على الانسحاب دون أن تجنى من حرب يونية توسعا اقليميا ، فان معنى هذا أن سياسة القوة لم تعد فعالة أو مثمرة ، وبالتالى تنهار آمال التوسع الاقليمى واحلام السيطرة الاسرائيلية ، بل تهبط مكانة اسرائيل ككلب حراسة للمصالح الاستعمارية ،وبالتالى تقل قدرتها على الحصول على مساعدات ضخمة من الدول الاستعمارية ، ومحصلة ذلك كله شعور بالقلق ، ومصاعب اقتصادية ، وخلافات سياسية حادة ، وفضح لسراب الصهيونية أمام اقسام متزايدة من الشعب الاسرائيلى ، ولن يكون غريبا عندئذ أن تتجدد على نطاق واسع الظاهرة التى شهدتها اسرائيل سنة ١٩٦٦ : زيادة الهجرة منها عن الهجرة اليها ، ولاشك أن هذا فى ذاته كسب جوهرى لنضال الشعب الفلسطينى . ولكن يضاف الى ذلك ان هذا الشعب الشهيد ليس طرفا فى مثل التسوية التى نتحدث عنها ، لان المجتمع الدولى لم يعترف به بعد ولم يفاوض أحد فيها ، وبالتالى فانه لا يمكن أن يلتزم بها ، فليس لاحد وصاية عليه ، ولا يملك أحد غير الفلسطينيين انفسهم ان يتحدث باسمهم، وعلى من يريد تسوية منهم أن يفاوضهم ، ويوم يفوز شعب فلسطين بالاعتراف به والتفاوض معه ، تكون الثورة الفلسطينية قد عبرت أعسر مراحلها ، والشعوب العربية لابد أن تساند الشعب الفلسطينى فى نضاله فيما وراء تصفية آثار العدوان ، ولا توجد قوة تستطيع أن تحول دون هذا التأييد الشعبى ، ولنذكر تأييد الشعوب العربية لشعب الجزائر وما أتاحه هذا التأييد من امكانيات حتى فى أقطار كانت حكوماتها تعارض « أعمال العنف » التى تقوم بها الثورة الجزائرية .

فاذا انتقلنا الى « الحل العسكرى » فيجب أن نتذكر دائما ان الحرب ليست مغامرة نلقى فيها بأنفسنا وعدتنا فيها عدالة القضية وبطولة الرجال ، **ان الحرب ليست الا امتدادا للسياسة بصورة عنيفة، ولذلك فانها لابد ان تخضع لكل ما تخضع له السياسة من تقديرات وحسابات** ، بل ان الحرب أعنف صور السياسة وأحفلها بالمخاطر ، وبالتالى أجدرها بدقة التقدير والحساب ، وهنا نعود فنكرر ان علاقات القوى على المستوى المحلى ودون تدخل مباشر من جانب الجيوش الاستعمارية ، لا تجعل من الممكن للعرب أن يسحقوا العسكرية الاسرائيلية بحيث يصبح ميسورا أن يفرضوا على اسرائيل شروط السلام العادل التى تؤمنهم نهائيا ضد الصهيونية ومخططاتها ، انما الامر الممكن ، والذى لابد أن يكون ، هو أن تهزم الجيوش العربية ــ وبالذات فى جبهة القناة ــ جيش اسرائيل وترغمه على التراجع منسحبا من الاراضى التى احتلها فى عدوانه الاخير . عندئذ يصبح من المتصور أن يصدر مجلس الامن قرارا بوقف اطلاق النار مع انسحاب اسرائيل الى حدود ٤ يونية سنة ١٩٦٧ ، وأن تنصاع اسرائيل لمثل هذا القرار .وعندئذ يصبح السؤال : هل تستمر الجيوش العربية فى الحرب ضاربة عرض الحائط بالرأى العام العالمى ، وتواجه الاسرائيليين وهم يقاتلون مستميتين لان ظهرهم الى البحر ، ونقبل فتح الباب لتدخل عسكرى استعمارى مباشر تحت شعار حماية اسرائيل من التدمير والابادة ؟ وبعبارة أخرى هل نتجاوز الحساب الدقيق ونقبل على مغامرة نتائجها معروفة مقدما ؟ أم الاولى أن نقف لنترك آثار الهزيمة تحدث أثرها المفكك داخل اسرائيل ؟ . ان الاجابة على هذا التساؤل يجب أن تكون واضحة وقاطعة .

ومهما يكن الشكل الاخير الذى تتخذه تصفية آثار العدوان،فانه لابد ان يصطحب بتقدم اساسى تحرزه الثورة الفلسطينية . واذا قصرنا النقاش على احتمال التسوية السلمية فان أساس تلك التسوية هو قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، والقرار

المذكور يشترط للتسوية الوصول الى « حل عادل لمشكلة اللاجئين في ضوء قرارات الامم المتحدة ».
ونحن نعرف أن تلك القرارات تنص على أن يخير اللاجئون بين العودة والتعويض . وعندئذ يمكن أن نتصور للعمل الفلسطيني أهدافا مباشرة مثل :

— دعوة اللاجئين الى اختيار العودة ، فلو طالب نصف مليون فلسطيني فقط بالعودة لفجر ذلك مشكلات ضخمة أمام اسرائيل ، فهي اما ان ترفض وتتحدى الرأي العام العالمي وتقدم بذلك مسوغا جديدا لاعمال المقاومة ، واما ان تقبلها فتواجه مصاعب داخلية لا حد لها .

— مطالبة الأمم المتحدة بتطبيق قراراتها السابقة التي لم تحترم ، وفي مقدمتها قرار التقسيم ، اننا مازلنا نعتبر هذا القرار عملا غير مشروع وعدوانا على شعب فلسطين ، ولكن هذا لا ينبغي أن يمنعنا من مطالبة من أصدروه بأن ينفذوه .

ان المقاومة الفلسطينية ترفع شعار « دولة فلسطين الديمقراطية » التي تضم العرب واليهود ، اي انها كحركة ثورية أصيلة تنبذ شعارات الابادة والتشريد والطرد ، والنتيجة الحتمية لهذا الشعار الثوري هي ضرورة عمل كل ما من شأنه اقناع الناس العاديين في اسرائيل بأنه لا مستقبل لهم في المنطقة الا في ظل تلك الدولة الديمقراطية ، وهذا الاقناع سبيله الاول ولاشك هو المقاومة العنيفة التي تقلق الوجود الصهيوني ، ولكن سلاحه الاخير — الذي لا يقل أهمية — هو تقديم الحلول العملية البديلة .

وحدة القوى الثورية

والحقيقة الخامسة هي أن مستقبل الثورة الفلسطينية بيد الفلسطينيين انفسهم قبل كل انسان ، ولا يمكن لقوة في الوجود أن تصفي الثورة الفلسطينية ، اذا اخذ الفلسطينيون بأسباب دعم الثورة وتقدمها ، وان من واجب كل ثوري مخلص أن يقول للاخوة المناضلين رأيه في صراحة ، وليس في ذلك أي نوع من الوصاية ، حيث لا التزام لاي رأي ، وفي تقديري أن الثورة الفلسطينية مطالبة من أجل تقدمها بأن :

● تنوع وتطور أساليب كفاحها ، فالعمل الفدائي بكل ما به من بطولات لا يمكن أن يكون الشكل الوحيد للنضال الثوري ، بل انه يؤتي أفضل نتائجه حين يستند الى قاعدة عريضة من العمل السياسي والجماهيري .

● تلتحم بالجماهير الفلسطينية العريضة التحاما عضويا بحيث تكون التجسيد الحي لامالها وأمانيها ، والمعبر الصادق عن مطالبها العاجلة والاجلة .

● توحد صفوفها ، ليس فقط باتفاقات علوية ، ولا عن طريق تبني شعارات غلاة المزايدين وانما من خلال العمل الجماهيري الواسع النطاق ، فالجماهير هي التي يجب ان تحسم الخلاف حول الخط السياسي او اساليب النضال اومطالب المرحلة ، ان المنطق الثوري الذي يفرض الاوصاية من الخارج على الثورة الفلسطينية ، هو نفسه الذي يفرض الا وصاية على الجماهير الفلسطينية ، ان الثوريين الحقيقيين ليسوا أبرع صناع الشعارات ، وانما هم اولئك القادرون على الالتحام بالجماهير والتعلم منها والاصغاء لها واحترام ارادتها والتفاني في خدمتها .

● توثق الروابط النضالية مع كل قوى الثورة العربية ، انه من غير المقبول من اولئك الذين أمضوا عشرين عاما من حياتهم السياسية يروجون لفكرة الا حل لمشكلة فلسطين الا من خلال الثورة العربية الشاملة ، أن يزعموا اليوم الا صلة بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية ، وانه لمرفوض تماما القول بأن قضية فلسطين لا تعني الا شعب فلسطين ، فهذا انكار لحقيقة القومية عربية ، وتجاهل بطبيعة خطر الصهيوني ، وعزل لشعب فلسطين عن أكبر سند له في نضاله ، كذلك ينبغي التحذير من دعاوي قيادة هذا الفريق او ذاك من حركات المقاومة للثورة العربية تأسيسا على أن العمل الفدائي في ساحة المعركة اعلى اشكال العمل الثوري ، فأي اتجاه من هذا القبيل يحول أصحابه من ساحة النضال المباشر الى معترك تفتيت قوى الثورة العربية بزعم التأصيل في الاهداف والوسائل او التطهير ممن هم أقل ثورية ، ان الثورة الفلسطينية جزء لا يتجزأ من الثورة العربية ، والامل ان تكون عامل تجميع لتلك القوى يبرز نقاط الالتقاء ، وليس عامل تفريق يذكي التناقضات او « يلعب عليها » .

● تنسق على أوسع نطاق مع كل القوى المعادية للاستعمار على المستوى العالمي . فالثورة الفلسطينية حركة تحرر وطني متدرج في التيار الجارف للثورة الوطنية المعاصرة الملتحم بتيار الثورة الاشتراكية العالمية ، وهنا ايضا يجدر ان يتذكر الجميع ان الثورة لا تتغذى بالكلمات ولو كانت نارية ، وانما تتقدم بالدعم السياسي والعسكري الفعال ، وليس للثورة الفلسطينية نفع في أي حملات تشن على الاتحاد السوفيتي او تتهمه بالتآمر مع الامبريالية الامريكية ، فقد اثبتت الاحداث والشواهد بما لا يحتمل الجدل ان الدولة

الاشتراكية العظمى أوفى صديق للعرب ، وأن وزنها الكبير بامكانياتها الضخمة سند للنضال العربى لا يعادله سند •

الحقيقة السادسة

وهذا الفهم للامور يقودنا ضرورة الى الحقيقة السادسة فى الموقف العربى — وليس العد ترتيبا لاهمية — الا وهى اهمية وحدة القوى الثـورية العربية فى النضال ضد الصهيونية والاستعمار •
ان السنوات العشر التى سبقت العدوان قد شهدت تلك القوى وهى تختلف فيما بينها كأشد ما يكون الخلاف ، وتتصارع حتى يبلغ الصراع حد الصدام الدموى • وكانت محصلة ذلك كله ان اختلطت الامور اختلاطا شديدا ، واستنزف الصراع الداخلى بين القوى الثورية طاقات ثورية هائلة ، وحرم النضال العربى من كثير من المناضلين ذوى الخبرة والصلابة ، وانفتح الباب عريضا امام عناصر الثورة المضادة بل وعملاء الاستعمار ليتسربوا الى صفوف الوطنيين ليصطادو فى الماء العكر ، ويذكون الاحقاد فى سبيل المؤامرة والمغامرة وسفك الدماء ، وكانت الجماهير العربية تأمل ان تفتح هزيمة يونية بأبعادها الرهيبة العيون على حقيقة من ابسط الحقائق النضالية الا وهى ان مايجمع بين المناضلين ضد الاستعمار قديمه وجديده اكثر بكثير ممايفرق بينهم ، ولنكن فى غاية الوضوح فى هذا الصدد : **اننا لاندعو باية حال الى مصالحة غير مبدئية اومهادنة وقتية ، اننا نؤمن تماما ان وحدة الثوار لا تتم الا حول خط ثورى ،** ولكن الالتقاء حول خط ثورى لا يعنى تلاشى كل الخلافات ، والا اصبحت كل القوى الثورية قوة واحدة تماما ، وانما المقصود هو الالتقاء حول خط ثورى اساسى فيما يتعلق بالمعركة الرئيسية مع الاحتفاظ بوجهات النظر المختلفة فى قضايا اخرى كثيرة ، والخط الثورى ليس شعارا يلقى على كثيرة ، والخط الثورى ليس شعارا يلقى على عواهنه ، ولا يجد ترجمته فى التزام واضح بعمل محدد ، وانما الخط الثورى **برنامج عمل** يصاغ فى وضح النهار وتتبناه الجماهير ، ويلتزم به كل من يلتقون حوله ، ويضعون كل امكانياتهم فى سبيل تحقيقه ، ان جماهيرنا قد ضاقت بالشعارات واصبحت تشمئز من « الكلمات الثورية » حين ترن جوفاء ، ولا تتجسد الا فى السجن وسفك الدماء ، ان طريق الوحدة بين القوى الثورية له معالم واضحة لا يجوز لمن يفتقدها بعضها او كلها ان يدعى لنفسه شرف النضال الثورى :

١ — النضال الحاسم والنضال ضد الاستعمار : فلن تأخذ الجماهير العربية مأخذ الجد من يدعو فى كل يوم لتشديد النكير على الاستعمار واعوانه ، وهم يداورون الاستعمار فى عقر داره فلا يصفون مواقع الاستعمار القديم ، او يفتحون الباب لسيطرة الاستعمار • وأولى بالمتحدثين اليوم عن التخاذل عن نصرة فلسطين ان يؤمموا معاقل الاستعمار فى بلادهم ، وان يسيروا بجد فى طريق البناء الاقتصادى المستقل بدل الاعتماد على «معونات» الاستعمار ، وتسليم موارد البلاد لاحتكاراته •

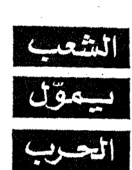
٢ — الحرص على وحدة القوى الوطنية والثورية على المستوى القطرى : فلا يمكن ان يكون المرء وحدويا على المستوى القومى ، ومفرقا للصف على المستوى القطرى ، وحين يبطش نظام حاكم القوى الوطنية ويزج بالمناضلين فى المعتقلات ويدبر لهم المحاكمات او حتى الاغتيالات ، فانه يخدم موضوعيا الاستعمار لانه يضرب قوى تعاديه وتناضل ضده •

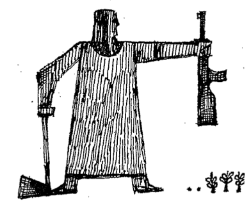
٣ — الثقة بالجماهير والاستناد اليها وتعبئتها واشاعة جو من حرية الرأى يمكنها من الحركة الفعالة والمنظمة ، فلا يمكن أن نصنع سعادة البشر رغم أنوفهم ، ومن العبث الحديث عن الثورة ، وهى بالضرورة عمل لصالح الشعب ، حين يحس الشعب بأنه يعيش فى سجن تضيق به فيه سبل الحياة •

٤ — العمل على وحدة الصف العربى فى النضال ضد الاستعمار : فكل قوة ثورية حريصة على مستقبل الثورة العربية يمكنها ان تجمع دائما بين ابداء رأيها الخاص والابقاء على وحدة القوى الثورية ، انها تختلف ولا تصل الى القطيعة ، اما اولئك الذين يستغلون بشكل بعيد تماما عن المبادىء ، أى اختلاف فى محاولة منظمة للتهجم على قوى وطنية وتقدمية للنيل منها او التآمر ضدها فانهم — ازاء نضج الجماهير — يمارسون تجارة خاسرة • فلن تكسبهم الديماجوجية فى بلادهم شعبية افقدتهم اياها المؤامرات والمحاكمات والمذابح والفساد والسعى الدائم للمصالح الشخصية والحلقية على حساب مصالح الجماهير العريضة ، اما تطلعهم « لزعامة على مستوى القوى » فشأنهم فى هذا كناطح صخرة يوما ليوهنها •

● ● ●

وبعد لقد طال هذا الحديث ولكن الوقت وقت مصارحة ، والنصر فى صراعنا المصيرى الرهيب مرتهن بنضجنا السياسى ، أى بقدرتنا على ادراك الحقائق المادية ادراكا كاملا لا تحد منه العواطف ، وان نرتب عليها النتائج اللازمة فى صراحة لا تحد منها المجاملات ، اننا نريد أن نكون «عصريين» والنصر عصر العلم ، والعلم هو معرفة الواقع والقوانين التى تحكمه ، ثم استخدام تلك المعرفة فيما يرفع من شأن الجماهير •





لتصفية آثار العدوان

د. فؤاد مرسى

اتخذ المؤتمر فى مجال التعبئة الاقتصادية توصيتين اثنتين ، الاولى هى تحية من المؤتمر لشعبنا العظيم ، والثانية هى تدبير للتمويل المتزايد لمواجهة استمرار المعركة وتزايدها .

فالتوصية الاولى تقرر أن « جماهير شعبنا تحملت راضية الكثير من التضحيات ولم تتردد عن العطاء من أجل تحرير الارض · ومازالت على استعداد لتقديم المزيد من التضحيات وفقا لمتطلبات المعركة وتزايدها المستمر » ·

وهذا كلام صحيح ·· فالواقع أن شعبنا هو الذى استطاع بجهوده ان يمول الحرب حتى الان ·

ان العمل اليومى لجماهير شعبنا فى المصانع والحقول والمكاتب هو الذى استطاع ان يصنع هذا السد العالى من الصمود فى كل مكان · ويكفى ان نعلم ان عام النكسة ٦٦ ـ ١٩٦٧ كان هو عام جمود الانتاج فى التعدين والصناعة · وكان ذلك « أول حدث من نوعه منذ عام ١٩٥٢ » · فى ذلك العام انخفض الانتاج الزراعى ، وزادت الطاقة العاطلة فى بعض الصناعات بنسب كبيرة وزاد المخزون السلعى من المنتجات المحلية ، وكان الامر ملحوظا الى حد ما منذ نهاية الخطة الخمسية الاولى · لقد سجلت الارقام ضآلة معدل النمو فى الصناعة والتعدين فى السنتين التاليتين للخطة وذلك على الرغم من ان نسبة الاستثمار الثابت الاجمالى المنفذة ظلت عند مستوى عال هو ٢٧ فى المائة من المجموع الكلى للاستثمارات ـ مقارنة بنسبة ٢٦٫٧ فى المائة فى الخطة الخمسية الاولى ·

لكن شعبنا بقوة معجزة استطاع ان يغير هذه الصورة وهو منهمك فى خوض أشرس حرب يفرضها عليه اضرى عدو · وجاءت ارقام انتاجنا الزراعى والصناعى والتعدينى والبترولى ـ وقد نوقشت بصدد الميزانية الجديدة ـ وكأنها تحديات صافعة لكل التوقعات المألوفة ·

ان تضحيات شعبنا ـ بالاضافة الى عمله اليومى ـ قد اضافت هى ايضا الى قدرة الوطن . إن هذه التضحيات تتمثل فى الضرائب العادية المباشرة وغير المباشرة والرسوم والتأمينات الاجتماعية والمعاشات والادخار الاجبارى الى ٣/٤ اليوم ، والمدخرات الاختيارية من شهادات استثمار وتوفير ، ويكفى أن نعلم أن التضحيات الاضافية وحدها ، وهى التى تحملها الشعب منذ

عدوان يونيه ١٩٦٧ ـ والتى تتمثل بصفة خاصة فى ضرائب الدفاع والامن القومى ورفع الادخار اليومى وزيادة بعض الرسوم ورفع الاسعار على بعض السلع الاستهلاكية الضرورية والاعانة المفروضة لصالح المهجرين انما تبلغوحدها حوالى ٢٠٠ مليون جنيه • ان هذه التضحيات فى بند واحد هو فروق الاسعار قد بلغت فى اول ميزانية بعد العدوان ٥ر١١٤ مليون جنيه ، تحملها الشعب فى مأكله وملبسه ، فقد كانت ٨٠ فى المائة من السلع التى فرضتعليها الزيادة سلعا شعبية • واستمرت هذه الزيادات حتى الان • ان الزيادةفى الاسعار والضرائب والرسوم السلعية تمثل وحدها ٥٣ فى المائة من جملة الايرادات الجارية للحكومة وتمثل ٦٥ فى المائة من جملة ايرادات السيادة ، وهى تجعل تمويل الخدمات يقع على كاهل اصحاب الدخول المتوسطة والدنيا •

ان الشعب يقدم هذه التضحيات ، بينما يبلغ متوسط دخل الفرد حوالى ٦٨ جنيها فى السنة ، وبينما لا تتجاوز نسبة عدد المصريين الذين ترتفع فئات انفاقهمالى ١٠٠ جنيهفاكثر فى السنة ١٠ فى المائة من مجموع المصريين ، اما باقى المصريين فيدخلون فى الفئة التى يقل انفاقها عن ١٠٠ جنيه فى السنة • ولاشك ان هناك حاجة ماسة لدراسة هيكل الاسعار فى اتجاه الوصول الى حسابات اقتصادية سليمة ومحاولة رفع مستوى معيشة الشعب •

ان الشعب يقدم هذه التصحيات ومازالت حصيلة الضرائب التى تصيب الدخل والثروة ضئيلة ، وثابتة منذ عام ١٩٣٩ عند مستوى معين هو ٣ فى المائة أو ٤ فى المائة فقط من حجم الناتج القومى الاجمالى ، و ٤ فى المائة فقط من جملة الايرادات • وكل هذا مما يدعو بشدة لاعادة النظر فى النظام الضريبى حتى يسرى على كل الدخول تحقيقا لمبدأ العدالة فى تحمل الاعباء وعلى أساس الا يتهرب دخل من الضريبة • فالواقع الذى لا شك فيه هو ان شعبنا على استعداد لتقديم المزيد من التضحيات ، بشرط واحد هو المساواة فى التضحية والتأكد من جدوى هذه التضحية •

ان شعبنا على استعداد لكل التضحيات فى سبيل تحرير ارض الوطن • ويكفى ان نعلم اننا انفقنا على الدفاع ٥٠٠ مليون جنيه فى السنة المالية ٦٩ ـ ٧٠ واننا نخصص للغرض نفسه ٥٥٣ مليون جنيه للسنة المالية الحالية ، أى اننا ننفق حوالى ١٠٥٣ مليون جنيه للدفاع فى سنتين •

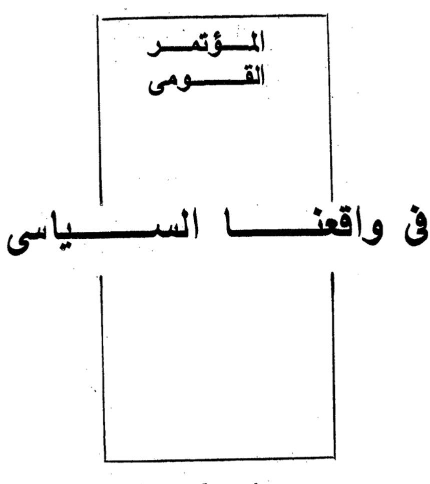
ان ضخامة الانفاق هى التى دفعت المؤتمر القومى لتقديم توصيته الثانية والاخيرة • وفى هذه التوصية يدعو المؤتمر « تحقيقا للرغبة الاجماعية لمؤتمرات المحافظات لاصدار سندات الجهاد التى يتم الاكتتاب فيها اختيارا من الشعب والتى تخصص حصيلتها لتمويل الانفاق المتزايد من أجل المعركة على انتقوم الدولة بسدادها بعد النصر •

ولقد كان مجلس الامة فى تعبيره عن رغبات فئات الشعب المختلفة قد بادر بطرح فكرة اصدار سندات لتمويل المعركة • ولقد رأى المجلس ان تكون هذه السندات اختيارية بفائدة مجزية ، وان تستهلك بانتهاء الحرب وازالة اثار العدوان • كما دعا المجلس لاصدار سندات اجبارية يمكن ان تتناول الزيادة التى تطرأ على بعض الدخول • وعلى سبيل المثال اقترح البعض ان اية زيادة جديدة تقرر فى اسعار المحاصيل الزراعية لا تسلم لاصحابها نقدا ، وانما تسلم اليهم فى صورة سندات حرب ، تستهلك عقب انتهاء الحرب • هذه السندات التى تعتبر عندئذ قرضا مؤقتا من المزارعين للدولة ، تضمن لهم عدة مزايا : الحصول على اثمان المحاصيل نقدا ، الحصول على زيادة فى اثمانها ، الحصول على فائدة عن السندات ، الحصول على قيمتها بعد الحرب بوصفها مدخرات يمكن ان تساعد على الاستثمارالمقبل •يضاف الى ذلك أهميتها للدولة فى الحصول على مبالغ كبيرة لتمويل المعركة ، وهى مبالغ كان يمكن ان تؤدى لرفع اسعار السلع عامة اذا نزلت الى السوق مشترية • وقد كان المتفق عليه ان الاقتراح لا يمس سوى بعض الحاصلات الزراعية وأنه لا يمس سوى المزارعين المالكين او الحائزين لاكثر من عشرة افدنة •

وقد جاء المؤتمر القومى فأقر فكرة اصدار سندات الجهاد لتمويل المعركة ، وأوصى بأن تكون هذه السندات اختيارية ودعا التنظيمات السياسية والجماهيرية كى تلعب دورها فى التوعية بأهمية العملية وضرورة نجاحها •

والواقع ان التضحيات المطلوبة من الجميع لا يمكن ان تتوقف بانتهاء الحرب • فالذى لا شك فيه انه بعد الحرب ستواجه البلاد مهام التعمير واعادة البناء ومواصلة التنمية الاقتصادية بمعدلات عالية وذلك فى محاولة لبناء ما خربته الحرب ورفع مستوى معيشة الشعب العامل • ومثل هذه المهام تتطلب جهودا يومية وتضحيات جبارة • ولاشك ان الشعب الذى قدم كل شىء من اجل معركة التحرير على استعداد ايضا لتقديم المزيد مناجل ازالةآثار العدوان واقعا وفعلا ، ومواصلة السير فى طريق التحرر الوطنى حتى الاشتراكية •

لكل هذا فان العمل السياسى من أجل شرح المهام المطروحة ورفع حماس الجماهير من حولها ؛ يجب ان يلقى أولوية اولى فى كل المستويات • ان المرحلة التى تبدأ من العمل السياسى وهى التى تستدعى تحركا واعيا من الشعب تتطلب لذلك اعتمادا كاملا على هذا الشعب العظيم •



المؤتمر القومى فى واقعنا السياسى

محمد صبرى مبدى

عضو اللجنة المركزية
للاتحاد الاشتراكى

عقد المؤتمر القومى العام دورته الرابعة والبلاد تحتفل بالعيد الثامن عشر لثورة يوليو المجيدة ، ويمثل قيام المؤتمر القومى واحدا من ابرز الاحداث التى شهدها المجتمع العربى فى مصر وذلك منذ أن بدأت الثورة مسيرتها • ذلك أن المؤتمر القومى يمثل رأس اكبر مؤسسة ديموقراطية فى مجتمعنا ، وهى المؤسسة التى تعد تجسيدا لهدف من اهم اهداف ثورة يوليو بل هو – ولعلنا – لا نعدو الحقيقة فى هذا – اهم أهدافها جميعا ، هدف اقامة الحياة الديموقراطية السليمة •

وقد كان طرح قضية الديموقراطية فى وقت مبكر – غداة قيام الثورة – بمثابة مؤشر هام تجددت على أساسه الهوية الثورية لذلك الحدث العظيم الذى شهدته الساعات الاولى فى يوم ٢٣ يوليو • اذ لو كان انقلابا عسكريا لتصادم – تجاوبا مع طبيعته – مع أى معنى يتصل بالديموقراطية قربا أو بعدا • كما كان هذا الطرح تأكيدا من جانب آخر بأن الثورة لم تعمد الى تنصيب نفسها بديلا عن الجماهير •

انطلاقا من هذا قامت الثورة بدراسة نقدية لازمة الديموقراطية • انتهت منها الى أن مهمة البناء الديموقراطى لا يمكن انجازها الا اذا مدت الثورة اندفاعها الى أبعد من موقف المواجهة السياسية الظاهرة والمحدودة فى تحرير الوطن من الاستعمار وتحقيق استقلاله • وضربت الثورة فى اعماق المشكلة الاقتصادية والاجتماعية • وكان ربطها بين هذه الجوانب الثلاثة تعبيرا عن مفهوم علمى للمجتمع وعلاقاته المتداخلة • وهو المفهوم الذى جاء « الميثاق » – فى وقت لاحق – ليؤكد عليه اذ يقرر : ان من الحقائق البديهية التى لا تقبل الجدل

ان النظام السياسى ، فى بلد من البلدان ليس الا انعكاسا مباشرا للاوضاع الاقتصادية السائدة فيه ، وتعبيرا دقيقا للمصالح المتحكمة فى هذه الاوضاع الاقتصادية .. » .

ومن هنا : وعلى ضوء هذا كله بدأت ثورة يوليو تعارض وتفضح الديموقراطية فى المجتمع القديم ، وتبشر بميلاد جديد للديموقراطية يؤكد السيادة للشعب . وكانت خطب المناضل جمال عبد الناصر اداة هذا التبشير ان لم يتوقف الرئيس عن معالجة هذه القضية على امتداد مراحل النضال المتعددة التى قطعتها ثورة يوليو . ففى خطابه بساحة جامعة القاهرة فى ١٥ نوفمبر ١٩٥٢ اشار الى أن « حركة الجيش ما قامت الا لتحرير الوطن واعادة الحياة الدستورية السليمة للبلاد » . وفى خطاب له بشبين الكوم فى ٢٣ ـ ٢ ـ ١٩٥٣ اشار الى مافعله الاستعمار فى تزييف محتوى الديموقراطية ، وفى نوفمبر ١٩٦١ يقدم الرئيس هذه الصيغة التىتكشف عن مضمون الديموقراطية السليمة : « نريد مجتمعا متحررا من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، لكى نعطى الحرية للجماهير بلا قيد ولا شرط » . ثم يأتى الميثاق بعد ذلك ليطرح نظرية الديمقراطية بابعادها المختلفة، وفىهذا كله يؤكد الرئيس على الجانب العملى من قضية الديموقراطية فيشير عام ١٩٦٤ ، امام مجلس الامة ـ الى أن الديموقراطية الحقيقية ليست « ان نجعل الناس ينفسون عن شكاواهم، ولكن هى أننجعل الناس يغيرون بارادتهم ما يريدون تغييره » (*)

ولكن هل كان من الممكن أن يتوقف دور الثورة عند هذا الحد ، وتكتفى بالفكر التبشيرى وتنتظر ليفعل فعله بالتلقائية ، فيحدث الانقلاب المستهدف فى مجال الديمقراطية ؟ ان هذا لو حدث لظل دور الثورة حبيسا فى اطار « المثالية الاخلاقية » ، ولوقعت الثورة فى تناقض مع نفسها ، وانطلاقا من هذا المفهوم خاضت الثورة معاركها مع الاستعمار ، والاستغلال الطفيلى المتمثل فى الاقطاع ورأس المال المتسلط ، وكانت معاركها من أجل التنمية كأساس لمرحلة التحول الاشتراكى ، ومن أجل بناء الجيش الوطنى القادر على حماية وصيانة النظام الثورى ، وهى المعارك التى ما كان يمكن أن تقفز الثورة فوقها تعجيلا لتحقيق هدف الديمقراطية وذلك على غير ما تخيل البعض فى السنوات الاولى للثورة ، وهو ما مثل من جانب هذا البعض خطأ تكتيكيا واستراتيجيا ، لان القفز فوق مراحل يجب اجتيازها يعد خطأ فى التقييم ، وبالتالى ، خطأ فى الاستراتيجية ، كما يقول بذلك علم الثورات ، ومن هنا ، يبدو بوضوح أن وضع مبدأ اقامة الحياة الديمقراطية السليمة فى نهاية المبادىء الستة كان امرا مقصورا لذاته ، لان تحقيق هذا الهدف كان يستلزم بالضرورة توفير الشروط الموضوعية التى يتطلبها ، والتى تمثلت فى كل الانجاز « الكيفى » و « الكمى » الذى حققته الثورة والذى عبرتبه واقعيا عنالمبادىءالخمسة الاولى والذى ترجمت به عن شعبيتها ، تلك الشعبية التى اصبحت تسمو فوق المجادلة والنقاش ، بعد تلك الوقفة الاسطورية التى وقفتها الجماهير يومى ٩ ، ١٠ يونيو ، والتى كانت ايذانا ببدء مرحله جديدة على درب النضال الثورى يتأكد فيها ويتثبت دور قوىالشعب العاملة ، وتحالفها ، وقياداتها فى تحقيق سيطرتها ـ بالديمقراطية ـ على العمل الوطنى فى كافة مجالاته ، ولقد كانت البداية ، لذلك ، هى اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى العربى حيث المؤتمر القومى العام ، وهو المستهدف بالحديث (*)

الصيغة الاولى للمؤتمر

لقد بدا اول بروز للمؤتمر القومى العام فى صيغته التنظيمية بعد اعادة تشكيل الاتحاد القومى، غداة قيام الوحدة بين مصر وسوريا ، ليكون التنظيم الواحد للجمهورية الجديدة ، وكان أول انعقاد له فى يوليو سنة ١٩٦٠ ، ومع التسليم بهذه الحقيقة ، الا اننا نضع تحفظا عليها ، اذ ـ فى راينا ـ آن مجتمعنا قد شهد ميلادا لشكل يقترب من شكل المؤتمر القومى اقترابا كبيرا ، وان اختلف عنه فى افتقاره الى « الصيغة التنظيمية » ، وتفسير ذلك هو أن مجتمعنا بدأ يشهد ـ وبعد قيام الثورة بفترة وجيزة ـ تجربة جديدة لم يشهدها من قبل ، عبر عنها ذلك التوجه الدائم الى الجماهير الذى مارسته القيادة الثورية ، من خلال المؤتمرات الموسعة ، والتى كادت تأخذ شكل الدورية ، حيث كانت القيادة تطرح أخطر القضايا وأكثرها أهمية أمام الجماهير ، تستلهم فكرها ورأيها فيها ، وكم من قرارات كان لها خطرها اتخذتها القيادة على مرأى ومسمع من الجماهير ، وان جاز الاستشهاد بواحد منها فانه قرار تأميم القناة ـ والذى كانت له تأثيرات على مجرى الاحداث فى العالم كله ـ لا زالت تفعل فعلها حتى الان ، ولقد اتهمت القيادة الثورية « بالديماجوجية » من قبل القوى المضادة فى الداخل وفى الخارج بسبب هذا « التوجه » الدائم الى الجماهير والذى يقترب فى شكله ومضمونه من معنى الديمقراطية المباشرة ، وهو شىء أصبح عزيزا فى عالمنا المعاصر .

ولقد قدر على المؤتمر « التنظيمى » الاول الا يعمر، فلمينعقد الا دورة واحدة جرىبعدها بحوالى سنة أو تزيد حل الاتحاد القومى بسبب وقوع الانفصال الذى كشف عن تخلف هذا التنظيم عن

مستوى المرحلة التى بدأت فى تاريخ اعلان القرارات الاشتراكية فى يوليو سنة ١٩٦١ ، ولقد أوضحت القيادة الثورية على لسان المناضل جمال عبد الناصر أسباب هذا التخلف فى نقدها للفكر الثورى فى نوفمبرسنة ١٩٦١ • •• وبرغم ما يمكن أن يسجل على ذلك المؤتمر ــ والذى حمل آنئذ أمراض التنظيم ونواقصه ككل ــ فقد كان خطوة رائدة على طريق الديمقراطية ، وتجربة أغنت الفكر الثورى ، وكشفت عن امكانات ضخمة لدى الجماهير ، شهدت بقدرتها على ادارة العمل الوطنى فى مستواه القومى ، وكان ذلك يمثل بحق ، انعكاسا لعمليات التدريب السياسى المتصلة التى هيأتها القيادة الثورية للجماهير عن طريق المؤتمرات الواسعة التى أسلفنا الاشارة اليها •

وباختفاء الاتحاد القومى ، كان من البديهى أن يجرى التفكير فى تنظيم بديل عنه يتدارك فيه أسباب النقص والقصور التى أظهرتها تجربة الاتحاد القومى ، وكانت الخطوة الاولى هى البيان السياسى الذى أعلنه المناضل جمال عبد الناصرفى ٤ نوفمبر سنة ١٩٦١ ــ والذى تضمن من بين ما تضمن ــ خطوات العمل من أجل التنظيم الشعبى الديمقراطى ، ومن بينها خطوة انتخاب المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ، والذى كان مؤتمرا مؤقتا ومحدودا بمهمتين أساسيتين،كان عليه القيام بهما:

أولاهما : اصدار الميثاق الوطنى ، **ثانيتهما** : تكوين القواعد التأسيسية للتنظيم السياسى الجديد •

وبرغم هذا التحديد ، فقد كان لهذا المؤتمر والذى لم ينعقد الا دورة واحدة تأثير بعيد المدى على فكر وحركة النضال الثورى لا يزال قائما حتى الان ، ولسوف يبقى الى مدى طويل وبعيد : ذلك لانه كان المؤتمر الذى أقر الميثاق واصدره كأول دليل فكرى للعمل الوطنى بابعاده المختلفة ، فضلا على انه كان المؤتمر الذى أقر الشكل الجديد للتنظيم السياسى القائم حتى الان • الى غير هذا ، فقد زاد الفكر الثورى غناء وخصوبة عاون على الوصول اليهما تلك المشاركة العريضة والفعالة من المناضل جمال عبد الناصر فى المناقشات الحية والحيوية التى ثارت على امتداد أيام انعقاده ، وقد كان من المقرر أن تنضم هيئة هذا المؤتمر الى « المؤتمر العام » للاتحاد الاشتراكى العربى فى دور انعقاده الاول ، على نحو ما جاء فى مشروع التنظيم السياسى ، والذى تقدم به القائد الى المؤتمر المذكور فى ٣ يوليو ٦٢ ، الا أن الظروف لم تمكن من تحقيق ذلك بسبب عدم اكتمال البناء التنظيمى للاتحاد الاشتراكى العربى ، ووقوفه عند مستوى لجان المحافظات ، فاللجنة التنفيذية العليا ، ثم الامانة العامة • **وبرغم هذا فسوف تبقى بصمات هذا المؤتمر على مسيرة نضالنا الى آماد بعيدة ، فقد كان بانجازه قفزة ضخمة على طريق الوضوح الديمقراطى واستقراره •**

ويظل غياب المؤتمر القومى قائما الى ان وقعت أحداث النكسة فى يونيو سنة ١٩٦٧ ، وقامت الجماهير فى ظل أحلك ظرف مرت به بلادنا فى تاريخها الحديث ، تحمى نظامها الثورى وتؤكد قدرتها على أن تأخذ الامر كله بين يديها ، وهى الهبة التى مكنت لتحولات هامة « كمية وكيفية » أن تحدث أثرها على اتساع العمل الوطنى وتعدد مجالاته • وهكذا كان صدور بيان ٣٠ مارس ايذانا باعادة بناء الاتحاد الاشتراكى العربى ، باعتباره المؤسسة الديمقراطية الاولى فى البلاد •

ومن ثم قام التنظيم السياسى ، ولاول مرة بعد ثورة يوليو بصورته الكاملة • وبرزت الى الحياة ، مرة أخرى ، صورة المؤتمر القومى العام بملامح أكثر تحديدا وأكثر وضوحا • وقد بدأ هذا المؤتمر أولى دورات عمله فى يوليو سنة ١٩٦٨ • ولقد توفر لهذا المؤتمر عدد من الميزات لم تتوفر لغيره من المؤتمرات السابقة من أهمها :

١ــ **انه أول مؤتمر قومى عام**، لاول تنظيم سياسى كامل البناء قام على أساس الانتخاب الحر لكل مستوياته وبهذا فهو تعبير حقيقى عن ارادة الجماهير •

٢ ــ **انه قد بدأ** عمله على ضوء منهج محدد المعالم واستراتيجية مفصلة بشكل دقيق ، أساسهما الميثاق وبيان ٣٠ مارس وفى هذا ضمان ضد العفوية أو التلقائية •

٣ ــ **أنه أول مؤتمر قومى** يقوم بالصيغة التنظيمية فى مرحلة الثورة الاشتراكية والتى يمثل فى ظلها العمال والفلاحون « التركيبة الاجتماعية » الكبرى فى كل المنظمات الديمقراطية • ومعنى هذا أن مسار المؤتمر واتجاهه رهن بما تراه هذه القوى الغالبة فى المجتمع • وفوق هذا كله فان المؤتمر الذى يقوم فى مرحلة هى أخطر مراحل نضالنا وأكثرها مشقة ودوره فيها هو أول الادوار وأكثرها تأثيرا •

واذا ما استطردنا من ذلك الى محاولة سريعة

للتعرف على توصيف واختصاصات ومهام المؤتمر القومي العام نجـد مصادرنا في الميثاق وفي بيان ٣٠ مارس وفي أقوال وأحاديث المناضل جمال عبد الناصر وأيضا في القانون الاساسي للاتحاد الاشتراكي العربي .

فالميثاق يقرر « ان الاتحاد الاشتراكي العربي هو السلطة الممثلة للشعب والدافعة لامكانيات الثورة ، والحارسة على قيم الديمقراطية السليمة (والحديث عن الاتحاد الاشتراكي بشكل عام هو حديث عن مستوياته المختلفة وعلى قمتها المؤتمر القومي الذي يرسم سياسة التنظيم كما سنوضح فيما بعد) .

ويقول بيان ٣٠ مارس بشكل أكثر تحديدا « والمؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي وهو أعلى سلطة ممثلة لتحالف قوى الشعب العاملة ... »

وقبل هذا ، وفي اعلان خطوات تكوين التنظيم السياسي وفي المناقشات التي دارت حوله أكد المناضل جمال عبد الناصر على هذه الحقيقة « ... ان مؤتمرات الاتحاد الاشتراكي العربي على جميع المستويات من الوحدات الاساسية الى المؤتمر العام هي السلطة الشعبية العليا ، كل في نطاق مسئوليتها ... » « وستكون السلطة العليا في الجمهورية هي مؤتمره العام » . ويأتي بعد ذلك « النظام الاساسي » للاتحاد الاشتراكي مقررا « اعتبار المؤتمر القومي العام أعلى سلطة بالاتحاد الاشتراكي العربي » .

وعلى هدى هذا التعريف ، يمكن القول ان المؤتمر القومي العام هو الذي يهيمن على العمل الوطني بكل أبعاده ، وسند هذا القول قائم في بيان المناضل جمال عبد الناصر باعلان خطوات بناء التنظيم السياسي ، والذي اعلنه في يوليو ١٩٦٢ ، وفي عدد من خطبه وأحاديثه : « ان الاتحاد الاشتراكي العربي هو بناء كامل تقيمه الجماهير الثورية ديمقراطيا وتقوده بآمالها ليكون اداتها **بعد ذلك في قيادة العمل الوطني** » . ـ الحديث عن الاتحاد كما قلت من قبل هو ذاته حديث عن المؤتمر ـ .. « وستكون السلطة العليا في الجمهورية هي مؤتمره العام الذي **يتعين عليه أن يكون مسئولا في الواقع عن الحياة السياسية في الوطن كله** .. » . « أنا باعتبر ان قرارات المؤتمر **حتبقى ملزمة** لان كل الناس حتمشي في سياستها على أساس قرارات المؤتمر .. الحكومة من المؤتمر .. مجلس الامة من المؤتمر .. المؤتمر لو قرر شيء ولو بالاغلبية كل الناس لازم تقبل رأي الاغلبية ويبقى كلام الاغلبية ملزم لها .. » .

ويأتي بيان ٣٠ مارس معمقا لهذه المعاني كلها عندما يقول : يظل المؤتمر القومي المنتخب للاتحاد الاشتراكي العربي قائما الى ما بعد ازالة آثار العدوان ويعقد دورة عامة بكامل هيئته مرة كل ثلاثة شهور **لكي يتابع مراحل النضال ويوجهها** ويصدر في شأنها ما يراه ، ومفهوم ذلك أن المؤتمر القومي العام يفرض سلطانه على كل مجالات العمل الوطني . وحديث البيان عن اللجنة المركزية التي تعد « المكتب التنفيذي للمؤتمر » يمثل تجلية لهذا المفهوم « تظل اللجنة المركزية المنتخبة من المؤتمر القومي في حالة انعقاد دائم ، **وتقوم لجانها السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية برسم سياسات العمل في جميع المجالات استهدافا لتحقيق النصر واعادة البناء الداخلي** » .

ويتولى « **النظام الاساسي** » للاتحاد الاشتراكي العربي اعطاء المزيد من التفصيل حول مهام واختصاصات المؤتمر القومي ، ومن بينها « **دراسة سياسة الاتحاد الاشتراكي العربي وخططه العامة واصدارها** » . وهي السياسة والخطط التي تلتزم بها كل الاجهزة والمؤسسات القائمة في الدولة .

المؤتمر العام وحركة المستويات القاعدية

يبقى لنا ، بعد هذا القول بأن المؤتمر القومي العام لا يعمل في فراغ وهو ليس منقطع الجذور بغيره من المستويات الاخرى للمؤتمرات في الوحدات والاقسام أو المراكز والمحافظات . فهو على صلة واتصال بها لان عمله في النهاية ترجمة لاتجاهات هذه المؤتمرات ومحصلة **لما بادرت به من أفكار** تنتهي كلها اليه من خلال تسلسل تنظيمي ، **يتبلور** في نهايته الى تقرير تتقدم به اللجنة المركزية الى المؤتمر القومي العام . **وبهذه الدورة تتوفر** ضمانات لاكبر مشاركة من **جماهير التنظيم في** رسم سياسته . **وبهذا نتحاشى أن يتحول العمل** السياسي من عمل جماهيري **الى عمل تمارسه** الاقلية . وهو أمر فطن له **الفكر الثوري عندما** خطط للهيكل التنظيمي ، لقد كان **الذي يحكم هذا** الفكر مفهوم أن **ينطلق العمل السياسي من الجماهير ويعود الى الجماهير** . **ومن أجل هذا كان النص**

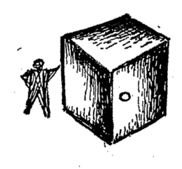
فى النظام الاساسى للاتحاد الاشتراكى العربى على انعقاد المؤتمرات بمستوياتها المختلفة فى فترات زمنية متقاربة تعود فيها القيادات اليها وفى هذا ضمان لتحقيق أمور أساسية ثلاثة هى :

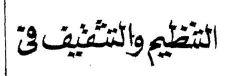
الاول : التعرف على فكر الجماهير والتزود بتجربتها باعتبار أن ذلك هو الاساس الصالح للقيادة .

الثانى : ان تمارس الجماهير حقها فى الرقابة والتقييم والتوجيه تأكيدا لمعنى انها صاحبة الامر .

الثالث : تلافى خطر الابتعاد عن الجماهير فتشيع البيروقراطية فى العمل السياسى ، وهذا يمثل أسوأ خطأ يمكن أن يقع فيه أى تنظيم سياسى .

وبمراجعة هذا النص المذكور [والذى بمقارنته بالنصوص المقابلة فى النظم الاساسية للاحزاب والتنظيمات السياسية فى عديد من الدول) نجد انه يفضلها جميعا لانه يجعل فترات انعقاد المؤتمرات متقاربة الى حد بعيد بما لا يسمح بغياب الجماهير عن ممارسة دورها فترة قد تترك تأثيرات ضارة على العمل السياسى والتنظيمى (مؤتمر الوحدة الاساسية مرة كل أربعة شهور ـ مؤتمر القسم أو المركز مرة كل ستة شهور ـ مؤتمر المحافظة مرة كل ستة شهور ـ المؤتمر العام مرة كل سنتين فى الظروف العادية الا انه طبقا لبيان ٣٠ مارس فانه يجتمع مرة كل ٣ شهور) . الا أن أعمال هذا النص كثيرا ما يتراخى نتيجة لخطأ تنظيمى يقع فيه الكثيرون منا ، **ويتمثل هذا الخطأ فى التأكيد على حركة المستويات القيادية واعتبارها هى المعيار الوحيد للحكم على فاعلية التنظيم** . ومن هنا كانت أكثر الانتقادات التى توجه الى المستويات القاعدية بسبب عدم ملاءمة حركتها لمستوى الاحداث، بينما أن معيار الحكم على فاعلية التنظيم يجب أن يتحدد على ضوء حركة أعضائه العاملين جميعا . وهى حركة قد تضيع فى الزحام بسبب عدم ادراك المعنى الكبير الذى يقف وراء ضرورة انعقاد المؤتمرات فى المستويات المختلفة والتى تمثل بحق نبع الحياة والحيوية بالنسبة للتنظيم السياسى . وهذا قول لا يلقى به على عواهنه وانما يشهد به دورة الحيوية الدافقة التى اندفعت فى عروق التنظيم فى الشهر الماضى نتيجة لعقد مؤتمراته بمستوياتها المختلفة اعدادا للمؤتمر القومى العام . وتشهد به حقيقة كبيرة تمثلت فى أن تقرير اللجنة المركزية الى المؤتمر القومى كان فى مجمله وتفصيله من صنع هذه المؤتمرات ، وهذا بدوره يعلى قدر الحقيقة الكبرى التى يجب أن تتأكد يوما بعد يوم وهى أن السيادة للشعب حقا . ولاشك أن هذا كله يجب أن يكون فى حسابنا جميعا بصراحة ووضوح فى وقت نرى من ضروراته دفع العمل التنظيمى فى خطى مسرعة فى اتجاه تحقيق القول الذى قاله المناضل جمال عبد الناصر أمام المؤتمر القومى العام فى دورته الثالثة بهدف أن يصبح الاتحاد الاشتراكى العربى التنظيم الذى تستند اليه السلطة ، لا التنظيم الذى يستند الى السلطة ، وهو القول الذى يعبر عن اخلاص متجدد لقضية الجماهير .







قرارات المؤتمر القومى العام

عبد الهادى ناصف

عضو اللجنة المركزية
الاتحاد الاشتراكى

جاء موعد انعقاد الدورة الرابعة للمؤتمر القومى العام فى ظروف اتسمت بسمتين اساسيتين :

أولا ـ تصاعد المواجهة بيننا وبين العدو واقترابها السريع من نقطة الذروة التى ليس بعدها الا الصدام الشامل ٠

ثانيا : بروز واضح لنتائج الجهد الذى بذل من جانبنا خلال السنوات الثلاث الماضية فى صورة تلك التحولات العميقة التى طرأت على موازين القوى بيننا وبين العدو عسكريا وسياسيا واقتصاديا ٠

وغنى عن القول أن هذه التحولات قد جاءت نتيجة لعوامل كثيرة أسهم كل منها بنصيبه فى تحقيقها ، ولكن الامر الذى اصبح ـ بحكم ماتحقق بالفعل ـ من البديهيات المسلم بها هو انه يأتى فى مقدمة هذه العوامل صمود جبهتنا الداخلية ، ذلك الصمود الذى تحول من خلال الجهد المخطط والمنظم الى عملية حشد هائلة لطاقات هذا الشعب العظيم المادية والمعنوية ، ذلك الحشد الذى انعكست صورته وامتدت تأثيراته الى كل جبهات النضال من أجل النصر ٠

وبديهى أيضا انه بدون الدور الفعال الذى بذله التنظيم السياسى فى استيعاب وتنظيم وتوجيه طاقات جماهيرنا العاملة فى الاتجاهات التى تخدم متطلبات المعركة وتشق بها الطريق الى هدف النصر ، بدون هذا الدور الفعال لتنظيمنا السياسى لم يكن من الممكن أن تأتى عملية الحشد على هذه الصورة الرائعة التى لم يعد من الممكن لجاحد أو ناكر أو متشائم أن يتجاهلها ٠

ولكن هذه الصورة ـ على روعتها ـ لا ينبغى أن ننظر اليها وكأنها غاية الغايات التى ليس من بعدها أمل لمستزيد ، بل على العكس من ذلك تماما ، فلا زال شعبنا يملك من القدرات والطاقات ما يمكنه من أن يعطى لهذا النضال المصيرى أكثر واكثر ٠ ولايوجد بين جماهيرنا العاملة من يبخل ببذل كل مايملك من جهد وعرق ودم ومال فى سبيل هدف هو بلا شك أغلى وأعز لديه من كل ذلك ، بل ان هذه الجماهير قد أثبتت وتثبت كل يوم أنها على استعداد دائم للعطاء والبذل بدون حدود ، هذه حقيقة تدل على نفسها من واقع ماحققناه خلال السنوات الثلاث الماضية وليست شعارا براقا أو ادعاء اجوف ، ونحن نرى والاسى يملأ قلوبنا ان الشعارات البراقة والادعاءات الجوفاء لازالت هى كل بضاعة أولئك الذين قنعوا من النضال بشتم المناضلين الحقيقيين ٠

ولقد كان من الامور الواضحة فى جو المؤتمر تشبع أعضائه لقناعة معينة ، فمن خلال معايشتهم اليومية لعمل التنظيم بين قواعده الجماهيرية ،

ومن الصورة المجملة لعمله خلال العام الاخير والتى أبرزها تقرير اللجنة المركزية وتقارير لجانها الدائمة الى المؤتمر فى دورته الرابعة ، من خلال ذلك كله تأكد لديهم ان الدفعة القوية التى حققها التنظيم فى العام الاخير والتى زادت من فعاليته بشكل ملحوظ ، كان لها آثارها الواضحة فيما تحقق من زيادة بحشد قوى الشعب وطاقاته من أجل المعركة ، ومن هنا فقد انصب جانب كبير وهام من توصيات وقرارات المؤتمر على النواحى التى رآها كفيلة بزيادة فاعلية التنظيم وبناء كوادره ، ايمانا منه بالدور الاساسى الذى يضطلع به الاتحاد الاشتراكى العربى فى حشد وتنظيم وقيادة وتطوير الطاقات النضالية الهائلة لجماهير شعبنا من أجل أنبل واشرف غايتين يتوخاهما نضالنا المعاصر :

١ ـ تصفية العدوان الصهيونى الامبريالى .

٢ ـ حماية ودعم واستمرار البناء الاشتراكى للمجتمع .

وقبل أن نعرض لتوصيات وقرارات المؤتمر فى مجالات دعم التنظيم وبناء وتدريب كوادره ، واتجاهات العمل المستقبلة فيما يتصل بهذا الشأن والواردة بتقريرى **اللجنة الدائمة للتنظيم واللجنة الدائمة للثقافة والفكر والاعلام** ، فانه مما قد يساعد على تفهم أعمق لهذه الاتجاهات أن نلم المامة مختصرة بما تم انجازه خلال العام المنقضى بين دورتى انعقاد المؤتمر الثالثة والرابعة على ضوء الاهداف المستخلصة من قرارات وتوصيات الدورة الثالثة (يوليو سنة ١٩٦٩) فيما يختص بالعمل التنظيمى والتثقيف ، والتى يمكن اجمالها فيما يلى :

أولا : الهدف العام للعمل التنظيمى

« زيادة كفاءة وفاعلية التنظيم باعتبار أن دعم التنظيم السياسى هدف فى ذاته فضلا عن أن زيادة كفاءة وفاعلية التنظيم تنعكس ايجابيا على الجهود التى تخدم المعركة ، كما أن النضال المتاح للتنظيم فى اطار هذه المعركة المصيرية هو الذى يمكننا من أن نخرج مع انتصارنا بتنظيم قوى قادر على مواجهة مسئوليات المستقبل » .

ثانيا : الهدف العام للتثقيف

« تهيئة تنظيمات الاتحاد الاشتراكى العربى لاداء دورها الاساسى ـ بالقدوة والقيادة ـ فى تعبئة الجماهير وراء أهداف المعركة وتحصينها ضد حملات الحرب النفسية ، وتحقيق وحدة فكرية بين أعضاء التنظيم تستند على فكر الميثاق ، مع ايجاد المناخ الملائم داخل الاتحاد الاشتراكى لارساء تقاليد سليمة لعمل حزبى ملتزم ، واعداد كوادره فكريا ونضاليا لقيادة العمل من داخله فى الاتجاه الذى يكفل للتحول الاشتراكى استمرارا أقوى » .

وبوجه عام فلقد كانت اتجاهات العمل التنظيمى والتثقيفى فى الاتحاد الاشتراكى خلال العام المنقضى مترجمة عن محاولة صادقة ومسيرة جادة على طريق الوصول الى هذين الهدفين وكانت لها آثارها المباشرة على زيادة كفاءة وقدرة الاتحاد الاشتراكى على القيام بواجبه فى الحشد المادى والمعنوى من أجل المعركة ومن أجل دعم عملية التحول الاشتراكى وحمايتها .

ولقد كانت الواقعية فى تقدير الموقف وتحديد احتياجات العمل وأولوياته ، والموضوعية فى معالجة وتناول المهام المترتبة على هذا التقدير هما أبرز ما اتسمت به اتجاهات العمل التنظيمى والتثقيفى فى هذه المرحلة ، ونستطيع ان نلمس هاتين السمتين بوضوح من خلال التعرف على هذه الاتجاهات :

ففى مجال التنظيم كانت هناك خمسة اتجاهات رئيسية للعمل فى هذه الفترة هى :

أولا : التركيز على تنشيط قاعدة الاتحاد الاشتراكى باعتبارها منبع حركته الفعلية ومقياس قدرته على التطور ، ونستطيع ان ندرك اهمية هذا الاتجاه وحيويته اذا ماتذكرنا ان اهم مشاكل التنظيم خلال العام الاول لاعادة بنائه كانت هى التفاوت الكبير فى نسبة النشاط والفاعلية بين مستوياته القاعدية ومستوياته الوسطية والعلوية .

ولقد كانت الاشكال الرئيسية للحركة التى اتخذها العمل لتحقيق هذا الاتجاه هى التوسع فى تشكيل لجان النشاط الفرعية بالوحدات واجتذاب العناصر النشطة من الاعضاء الى العمل بها من خلال واجبات وتكليفات محددة ارتبط معظمها بالحشد من أجل المعركة كتغذية منظمات الجيش الشعبى والدفاع المدنى بالعناصر القيادية والنشطة ، كما كان نشاط اللجان القاعدية موضع المتابعة والتقييم المستمرين .

ثانيا : الاهتمام باكتشاف وتربية الكوادر السياسية ، ومن اجل تحقيق هذا الهدف بدأت عملية شاملة ، ومستمرة ، وطبقا لمعايير موضوعية ، للاعضاء من حيث الحركية والالتزام والجهد المبذول من أجل المعركة بهدف اكتشاف هذه

الكوادر التى عنى بتدريبها وتثقيفها وتنظيم حركتها داخل مواقعها فى التنظيم السياسى .

ثالثا : وضع كل امكانيات التنظيم وخبراته التنظيمية فى خدمة اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة تمكينا لها من أداء مهمتها وتحقيقا للتلاحم والتفاعل الخلاق بين التنظيم السياسى وبين التنظيمات التى تستنبطها احتياجات العمل الوطنى فى هذه المرحلة .

رابعا : دعم صلة التنظيم السياسى بالمنظمات الجماهيرية ، وفى مقدمتها النقابات العمالية والمهنية ومنظمة الشباب الاشتراكى واتحادات الطلبة ومعاونتها على أداء رسالتها فى المجالات الداخلية والخارجية .

خامسا : تنمية علاقات الصداقة والتعاون وتبادل الخبرات مع الاحزاب والتنظيمات التقدمية فى الدول العربية والصديقة .

اما فى مجال التثقيف السياسى ، فقد حددت اتجاهاته فى تلك الفترة فى ضوء الاحتياجات العاجلة التى تفرضها طبيعة المرحلة والامكانيات التى توفرت لهذا العمل عند بدايته والتى لم تكن لتمكن على الاطلاق من قيام نظام متكامل للتعليم والتثقيف السياسى دفعة واحدة ، وكانت الاتجاهات الرئيسية للعمل التثقيفى خلال هذا العام هى :

أولا ـ وضع وتنفيذ نظام للتثقيف السياسى العام يشمل قيادات الاتحاد الاشتراكى من لجان المحافظات حتى لجان الوحدات الاساسية ، يستند على برامج تثقيف متطورة ومتغيرة تتناول القضايا المتصلة بالمعركة ومتطلباتها ، وتربط بينها وبين القضايا الاساسية للتحول الاشتراكى وآمال الجماهير فى المستقبل ، بالاضافة الى مجموعات من النشرات التى تصدر تباعا وتتناول بالشرح والتحليل والتعريف كثيرا من القضايا السياسية والنظرية .

ثانيا ـ تكوين الكادر التثقيفى المتخصص بالعدد الكافى لقيادة العمل التثقيفى على مستوى المحافظات والاقسام والمراكز وصولا الى مسئول تثقيف على مستوى لجنة الوحدة الاساسية .

ثالثا ـ تنفيذ مبدأ وحدة العمل التثقيفى بين الاتحاد الاشتراكى وكافة المنظمات التى تمارس عمليات التثقيف السياسى مثل منظمة الشباب والمؤسسة الثقافية العمالية ، والثقافة الجماهيرية ، والاتحاد التعاونى ، وأيضا البرامج التدريبية التى تنقلها النقابات والاجهزة الحكومية ومؤسسات القطاع العام ، وذلك بهدف ضمان أن تكون الاتجاهات الفكرية حول قضايا نضالنا الاساسية صادرة من منبع واحد وأن صبت فى روافد متعددة .

رابعا ـ ارساء مفاهيم محددة للعمل التثقيفى سواء من حيث الاسس التى يقوم عليها ، والمجالات التى يتحرك فيها ، وأساليب العمل المحققة لاهدافه ، وبشكل يضمن تراكم الخبرة فى هذا المجال الحيوى من مجالات النشاط السياسى ويوفر له تقاليد راسخة .

فى حدود هذه الاتجاهات نستطيع القول بأنه خلال العام الماضى قد تحقق الكثير من الانجازات فى العمل التنظيمى والعمل التثقيفى ، ولكننا نستطيع القول أيضا بأن ما تحقق هو دون ما نتطلع اليه بكثير ، ان قضية البناء المستمر والمتطور لقوى تنظيمنا السياسى هى نفس قضية استمرار الثورة وتجددها ، **والحقيقة التى يجب أن نتنبه اليها دائما هى أن العمل الثورى الذى تم على أرضنا خلال الثمانية عشر عاما التى انقضت منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو المجيدة قد جاوز فى تطوره ونموه كما وكيفا نمو وتطور قوى التنظيم السياسى المنوط به ضمان استمراره وتطوره** . ومعنى هذا أنه بالنسبة للمستقبل ، وحتى يلحق التنظيم السياسى فى تطوره بالعمل الثورى ويتجاوزه ، ليصبح بالفعل قادرا على قيادته وتطويره ، وبعبارة أخرى فانه من الامور المهمة ان يتضاعف الجهد المبذول من اجل دعم التنظيم والارتفاع بكفاءته وقدرته حتى يصبح كما قال المناضل جمال عبد الناصر تنظيما تستند اليه السلطة ، لاتنظيما يستند الى السلطة .

ولعل من الشواهد التى تسترعى الانتباه وتؤكد الاحساس العام بأهمية هذا الامر أن نجد المؤتمر القومى العام فى دورته الرابعة ، والتى انعقدت فى ظل هذا التصاعد الذى وصلت اليه معركة المواجهة مع العدو ـ يولى كل هذا الاهتمام لقضية دعم التنظيم السياسى ، ويؤكد على ضرورة الاستمرار فى ماتم من خطوات ايجابية خلال العام الماضى فى هذا السبيل ، ويوصى بتطوير اعمق لهذه الخطوات وبخطوات أخرى جديدة يرى عن اقتناع تام ضرورة الاخذ بها سيرا على الطريق نحو الهدف الذى لا غنى عنه لاستمرار الثورة وهو خلق التنظيم الذى يتولى قيادتها وتطويرها .

ومن هنا فقد تضمنت توصيات المؤتمر فى مجالى العمل التنظيمى والتثقيفى داخل الاتحاد الاشتراكى ـ بالنسبة للمرحلة القادمة ـ عدة اتجاهات جديدة لا نشك فى انها بالاضافة الى الاتجاهات التى تبناها التنظيم خلال العام الماضى ،

ستكون لها آثارها العميقة فى دعم قوى التنظيم وزيادة فاعليته :

● **ففي مجال التنظيم** : « رحب المؤتمر باتجاه اللجنة الدائمة لشئون التنظيم باللجنة المركزية الى وضع خطة محددة للعمل ترتبط كلها بالمعركة فى هذه المرحلة المصيرية ، وتتم متابعتها دوريا ، وبحيث يجرى على أساسها تقييم المستويات القيادية المختلفة تقييما علميا وعلى أساس موضوعى محدد ، وبحيث تمتد عملية المتابعة والتقييم وتتسع لتشمل كل مستويات التنظيم » •

ولا شك أن وجود خطة مركزية شاملة لعمل التنظيم السياسى ، وتقييم اللجان والقيادات والاعضاء على أساس القيام بتكليفاتها من عدمه هو خطوة جبارة فى سبيل تحقيق وحدة العمل التى تربط أجزاء التنظيم كله بعضها بالبعض وتضبط ايقاع حركته فى اتجاه هدف موحد يعمل الجميع من أجل بلوغه •

● **كما أوصى المؤتمر** « بالبدء فى اتخاذ الخطوات اللازمة لاقامة تنظيم نسائى حتى يستطيع هذا القطاع الحيوى القيام بدوره الكامل فى العمل السياسى وفى أداء دوره فى المعركة بأسلوب منظم ومتكامل » •

ونحن نعلم من واقع التجارب الماثلة فى المجتمعات التى وصل العمل السياسى فيها الى درجة عالية من التطور ان التنظيم القائد يعتمد فى حركته الى حد كبير على مجموعة المنظمات الجماهيرية التى تضم فى أطرها كافة قوى الشعب العامل بقطاعاته المختلفة ، وعدم وجود تنظيم نسائى يحرم العمل الجماهيرى للتنظيم السياسى من قطاع يضم نصف قوى المجتمع ، صحيح أن كثيرا من العناصر النسائية يساهم الان فى العمل السياسى من خلال عضويتها بالمنظمات المختلفة ولكن وجود تنظيم نسائى سيتيح فرص المشاركة لاضعاف العدد المشارك الان • ومن هنا كانت الاهمية الخاصة لتوصية المؤتمر بانشاء التنظيم النسائى •

● **وأوصى المؤتمر أيضا** « بالدراسة العلمية للتجارب الرائدة التى تجرى فى بعض المحافظات **لانشاء معسكرات للطلائع من الطلبة والعمال والفلاحين** ليكونوا معينا لامداد منظمة الشباب الاشتراكى والحركة الشبابية فى المستقبل ، والاعتماد على نتائج هذه الدراسة وعلى تحليل التجارب التى تمت فى البلاد الاخرى فى هذا المجال لتكون أساسا لبناء منظمة الطلائع مستقبلا » •

ولسنا نبالغ اذا قلنا ان هذه التوصية تعتبر من أهم وأخطر ما اتخذه المؤتمر فى أى دورة من دوراته من توصيات تتصل ببناء التنظيم السياسى ، انها توصية لا تنحصر فى الحاضر الماثل ، أو تقتصر على المستقبل القريب ، ولكنها تمد البصر ببصيرة واعية الى آفاق المستقبل البعيد ، وتترجم عن تصميم شعبنا واصراره على استمرار الثورة باعداد اجيال لازالت فى مرحلة الطفولة لتتولى فى يوم بعيد مسئوليات القيادة والعمل بعقول أحسن صقلها ، وغذيت بفكر الثورة منذ البداية ، وسواعد دربت على العمل الجاد منذ نعومة أظفارها •

أما فى مجال التثقيف السياسى فلقد جاءت توصيات المؤتمر معبرة عن ضرورة تحقيق دفعة جديدة وقوية لهذا العمل المرتبط عضويا ببناء التنظيم السياسى ، وتؤثر تأثيرا مباشرا على قدرته على الحركة الواعية الملتزمة • وقد ركزت توصيات المؤتمر فى هذا المجال على أمور أربعة هى :

● « **الاسراع فى** انشاء المعاهد الاشتراكية على ضوء ما اقره المؤتمر فى دورته الثانية ، باعتبارها عنصرا أساسيا فى عملية البناء الفكرى للكوادر السياسية المناضلة » •

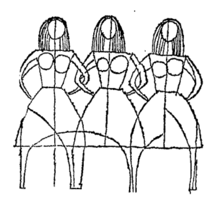
● « **التوسع فى** نشر الثقافة العسكرية بين الجماهير » •

● « **تعزيز الجهد المبذول فى مجال التعبئة** الدينية انطلاقا من أن الايمان هو أكبر قوة تمنح الفرد طاقات لا حدود لها فى نضاله العادل من أجل التحرر والبناء » •

● « **العمل على الانتهاء** فى اسرع وقت ممكن من اعداد المنهج العلمى الذى يقوم على أساسه تدريس العلوم القومية والاجتماعية والانسانية بما يتفق مع طبيعة التحولات الجذرية التى شهدها ويشهدها المجتمع » •

ولسنا فى حاجة الى التدليل على أن هذه التوصيات الاربع انما تشكل استجابة لمطلب حيوى يرتبط من ناحية بطبيعة الصراع المصيرى الذى يخوضه شعبنا والذى يفرض عليه أن يخوض المعركة بعقله وقلبه وسواعده جميعا ، ويرتبط من ناحية أخرى بنضاله المستمر من أجل ان يبنى لنفسه ولاجيال قادمة حياة أفضل •

ومرة أخرى فلقد كان المؤتمر القومى فى دورته الرابعة مؤتمرا من أجل المعركة ومن أجل التنظيم معا ، ولسنا نرى فى واقع الامر أى فاصل بينهما ، فعليهما وبهما معا يتوقف مصيرنا فى الحاضر ويتعلق أملنا فى المستقبل •



التنظيم النسائى لن يبدأ من فراغ

أمينة شفيق
ليلى الشال

طرح **المؤتمر القومى** فى دورته الرابعة شعار تكوين تنظيم نسائى فى الجمهورية العربية المتحدة ، باعتباره من المهام الملحة فى المرحلة الراهنة ، والواقع أن فكرة اقامة شكل من اشكال التنظيم النسائى ظلت تشغل اهتمام عدد من العاملات فى الحياة العامة منذ أمد طويل ، وخاصة منذ بداية عام ١٩٦٣ على اثر تكوين الاتحاد الاشتراكى العربى كتنظيم يضم قوى التحالف الوطنى .

ولقد نشأت التنظيمات النسائية بمختلف المجتمعات ، تلبية لاحتياجات فئة اجتماعية محددة تحاول ما استطاعت أن تنسق عملها فى اطار مشترك مع بقية الفئات العاملة فى المجتمع؛ واذا كانت فكرة قيام تنظيم نسائى مصرى قد اثيرت منذ عام ١٩٦٣ بفضل الوعى والفعالية لدى بعض القيادات النسائية فى بلادنا ، الا انه من المفيد القول بأن الظروف الموضوعية الراهنة أكثر نضجا من سبع سنوات مضت لقيام التنظيم المرجو ، ولعله من المفيد أيضا أن نضع فى اعتبارنا ونحن بصدد تجسيد شعار المؤتمر القومى ، النقاط التالية :

● **ان التنظيم النسائى المصرى** ليس فكرة جديدة أو طارئة ، وانما هى فكرة عميقة الجذور فى تاريخنا الوطنى ، تتصل بثورة الشعب المصرى عام ١٩١٩ التى كان للمرأة فيها دور هام احرزت بموجبه بعض المكاسب كقوانين الاحوال الشخصية وقوانين التعليم [١٩٢٤] .

● **ان التقدم الكبير الذى** حققته المرأة فى كافة مجالات الحياة يعد بمثابة طفرة كيفية مثل دخولها حقل العمل على نطاق واسع ، واسهامها فى كافة حقول النشاط الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ، مما يحتم ضرورة تنظيمها ، لا لان هذا التنظيم يشكل ضرورة بالنسبة للمرأة ، وانما هو يشكل ضرورة للتقدم الاجتماعى .

● **ان الحركة والنشاط الفرديين** — مهما كانت اهميتهما — لايحققان الهدف المرجو للمرأة والمجتمع على السواء ، ولقد تعطلت بعض الاتجاهات التقدمية فى صفوف المرأة المصرية نتيجة اقترانها بالجهد الفردى ، وكان من الممكن لهذه الاتجاهات أن تحقق أضعاف ما حققت لو أن تنظيما جماعيا وحد جهودها . وكان اتجاها صحيا سليما من جانب بعض العاملات فى الحياة العامة ، بالحركة النقابية العمالية والمهنية والجمعيات النسائية والجهاز الادارى والتنظيم السياسى ، ان طالبوا بضرورة قيام التنظيم النسائى المصرى .

● **لم يكن من المتصور** أن تشارك المرأة المصرية فى التنظيمات النسائية العربية والعالمية بغير أن يكون لها تنظيمها الخاص، وبالتالى بغير أن تجسد جهودها — لدى المنظمات الدولية — أحلاما واقعية للمرأة المصرية .

ان تنظيما نسائيا ديمقراطيا يوحد صفوف المرأة المصرية كفيل بتحقيق الامال التالية :

● **يجمع المرأة وينظمها** حول قضاياها التى هى فى واقع الامر قضايا المجتمع ، فاذا أخذنا على سبيل المثال قضية مثل تعديل قانون الاحوال

الشخصية كاحدى القضايا التى لا تهم المرأة فحسب ، وانما تهم المجتمع ككل ، فاننا نجد أن المرأة المصرية فى أشد الحاجة الى اعادة تقييم لهذا القانون فى ظل مجتمع له قيم جديدة تتشكل حسب تطوره الاقتصادى والاجتماعى والثقافى التى ترفع شعارا يقول ان الكل متساو ، وان الطفولة هى صانعة المستقبل ، وان على المرأة أن تحطم القيود بالعمل والتنفيذ .

واذا أخذنا قضية أخرى مثل قضية الاجر المتساوى للمرأة والرجل من خلال تنمية مهارات الجنسين معا ، نجد ان دور التنظيم النسائى هنا ينبع أساسا من تنظيم المرأة حول حق من أهم حقوق عملها وحياتها وهو حق التمتع بتنمية مهاراتها العملية حتى تحصل واقعيا على أجر يساوى أجر الرجل ·

وكذلك قضايا مثل قضية تنظيم الاسرة والادخار والحد من الاستغلال ·· كل هذه القضايا نسائية ولكنها فى نفس الوقت هى قضايا المجتمع ككل ··

ومن هنا كان التنظيم النسائى الديمقراطى المصرى هو الجهاز الذى يحقق للمجتمع الجديد أهدافه من خلال تنظيم المرأة وتعبئتها واقناعها بالعمل والتنفيذ ·

● **والسبب الآخر** ، هو أن كافة التنظيمات الديمقراطية فى الدول التى تسير فى طريق التقدم الاجتماعى يصبح لها دور جديد يختلف عن الدور الذى لعبته فى مرحلة الراسمالية .. ففى المرحلة الرأسمالية يكون للحركة النقابية العمالية دور مناهض لرأس المال فى حين أنها فى المجتمعات الغير رأسمالية يصبح لها دور جديد اذ تصبح مدرسة الديمقراطية والعمل السياسى ·· ومنظمات الشباب فى تلك المجتمعات هى المدرسة التى تعد الشباب للعمل السياسى الحزبى فى المستقبل ·· وكذلك التنظيمات النسائية تخرج للتنظيم الحزبى قيادات نسائية لم تكن تستطيع أن تنضم الى التنظيم الحزبى السياسى مباشرة بسبب درجة تخلفها الاجتماعى ·

● **والسبب الثالث** ، هو وجود طبيعة خاصة لمشاكل المرأة لا يمكن للرجال أن يتفهموها بسبب دورها المزدوج فى الحياة ·· فهى أم وربة بيت وزوجة وعاملة ·· فى حين أن الرجل لا يمكن أن يكون الا عاملا ·· ولذلك فللمرأة مشاكل قد تبدو صغيرة ولا يمكن مناقشتها باسهاب فى اللجان النقابية أو التعاونيات أو الاتحاد الاشتراكي،ولكن يمكن ان يخصص للتنظيم النسائى القدر الاكبر من نشاطه ·

● **وأخيرا** ·· لان المرأة المصرية حققت تقدما علميا واجتماعيا واقتصاديا لابد ان يتبلور فى تنظيم تصبح له قوة التعبير عن هذا التقدم عربيا وعالميا ·· وأهم من كل ذلك محليا ··

اذن ·· كيف يمكن أن يتكون ؟

لقد ضربت لنا النساء فى العالم مثلين لتكوين تنظيماتهن ··

الاول ·· هو التنظيم القاعدى ·· الذى يعبر عنه الاتحاد النسائى الصينى والفيتنامى وبعض البلدان الاخرى . ففى اثناء حرب التحرير لعبت المرأة على مستوى القرية دورا بارزا ، مما أكسبها وعيا بدورها كمحاربة ومنتجة فى نفس الوقت ·· وبسبب ظروف الحرب الشعبية كانت المرأة تخوض المعارك اليومية ومن هنا سهل على القيادات النسائية حينذاك أن تنشىء لجنة نسائية فى كل قرية يتم تحريرها · ولذلك وجدنا تنظيما نسائيا قويا مثلا فى الصين فور استقلالها عام ١٩٤٨ ، غير انه – وحتى نكون واقعيين – لابد أن نذكر أن حرب التحرير الشعبية استمرت ثلاثين عاما ·· ومعنى ذلك أن انشاء الاتحاد النسائى الصينى استمر تكوينه لمدة ٣٠ عاما ، ولكن الذى ميزه هو أنه تنظيم بدأ أساسا بالقاعدة ثم تصاعد الى القمة ·

الثانى .. هو نموذج التنظيم النسائى السودانى ·· الذى تكون أثناء وجود المستعمر البريطانى والذى بدأ أساسا بلجنة العاصمة · واستطاعت هذه اللجنة أن تضم اليها الاعضاء وتنمى من نشاطها وتنوع منه ثم تنتشر من العاصمة الى المدن الاخرى ، ولذلك بدأ تنظيما علويا ثم اتجه الى القاعدة ، وذلك بسبب تخلف المرأة فى الاقاليم وفى نفس الوقت لوضوح الفكرة لدى القيادات فى العاصمة ·

فأمامنا الان طريقان للتكوين .. أما أن نبدأ بالقرى ، ونرتفع الىالعواصم ، واما أن نعترف بالواقع ونبدأ حيث توجد القيادات ثم نحاول من خلال العمل زيادة العضوية ، ثم الانتشار الى الاقاليم ثم الى القرى ·

والذى يحدد اتجاه المسيرة هو الاجابة على السؤال التالى :

هل نريد تنظيما واسعا منتشرا، ولكنه ضعيفة الاطراف ·· أم نريد تنظيما قويا له الفعالية والتأثير بغض النظر عن حجمه أو عدد أعضائه ··

وعلينا أن نجابه واقعنا فى الاقرار بحقائق هى :

● **أننا لا نملك** قيادات نسائية فى القرى ··

● **وقد لا نملك** قيادات نسائية على مستوى بعض المحافظات أو على مستوى بعض المدن · وان كان من المستطاع مع العمل خلق وتكوين هذه القيادات .

ولكن هل يقف افتقارنا الى هذه القيادات دون تكوين « الاتحاد النسائى المصرى الديمقراطى » أو « التنظيم النسائى الديمقراطى المصرى » ·· ؟

ان افتقارنا الىالقيادات النسائية المنتشرةعلى طول وعرض الخريطة المصرية لهو الحافز الى سرعة البدء ·· ولنبدأ حيث توجد القيادات ، اذا توافرت فى القاهرة فقط فلتكن البداية فى العاصمة ، واذا توافرت فى الاسكندرية أيضا ، فلتكن البداية من القاهرة والاسكندرية ، واذا توافرت فى أسوان أيضا ، فلتكن البداية من العواصم الثلاث ··

لتكن هذه البداية فى شكل مؤتمر تحضره كافة القيادات الموجودة .. لتضع لائحة العمل وتشكل قياداتها الجماعية وتضع خطة عمل ·

لقد استطاعت الجمعيات النسائية ذات النشاط الاجتماعى أن تبنى لنفسها رصيدا من العمل والخبرة فى حقل العمل النسائى ، واستطاعت فى غيبة التنظيم السياسى النسائى أن تكون لنفسها قيادات وتجمعات ذات طبيعة خاصة ·

ولا شك فى أن قيام التنظيم النسائى سوف يثير عددا من التساؤلات حول علاقة هذا التنظيم بالجمعيات والتكوينات ذات النشاط الاجتماعى ، وحول تطلع قيادات هذه الجمعيات الى مزاولة دور قيادى فى العمل السياسى ·· الخ ·

ويتعين علينا أن نعالج هذه التساؤلات بحرص شديد ··

فليس من المفيد أن تنظر هذه الجمعيات الى التنظيم الجديد نظرتها الى غاز يريد أن يزيحها عن مواقعها ، وليس من المفيد ، بل وليس من الممكن أن نتصور أنه بامكان التنظيم أن يحل محل هذه الجمعيات ·

فالتنظيم النسائى السياسى سوف يمارس بطبيعة الحال دورا قياديا فى مختلف مجالات النشاط ، وعليه أن يكون متواجدا بشكل أو بآخر ، وفعالا بصورة أو بأخرى فى مختلف أوجه النشاط ، والا حكم على نفسه بالعزلة والهزال ، عليه أن يكسب موقعه القيادى ، لا أن يفرضه ·

كذلك فان على قيادات التنظيم النسائى أن تسعى بجدية نحو استيعاب أفضل العناصر وأنشطها فى ميدان العمل الاجتماعى الى صفوفها ، مع ضرورة أن تضع فى اعتبارها أن كثيرات فى قيادات العمل الاجتماعى رغم حماسهن بصورة أو بأخرى فى ميدان الخدمة الاجتماعية، الا أنهن قد تحركن نحو هذا العمل من منطلقات تبعد فى كثير من الاحيان عن منطلقات العمل السياسى ·

ان ضعف التكوينات السياسية النسائية الموجودة حاليا ، ونقص الخبرات الموجودة فعلا حول هذا الموضوع ـ وهى نتائج طبيعية وموضوعية تماما نظرا لنسيان هذا الامر لفترة طويلة ، هذا الضعف يملى علينا ونحن بصدد تأسيس تنظيم نسائى أن نتوخى عددا من القواعد الهامة .·

أن نفتح باب العضوية على أوسع مدى وخاصة بين صفوف العاملات والفلاحات ·· ذلك أن توسيع قاعدة العضوية هو السبيل الوحيد لخلق مناخ عام وسط النساء يمكن من خلاله أن يتحرك التنظيم وأن ينشط وأن يختار العناصر القادرة على القيادة .

٢ ـ **بذل أقصى وأسرع جهد** ممكن فى اعداد الكوادر النسائية على مختلف المستويات كسبيل لاعداد الصفوف المتتالية فى سلم القيادة للتنظيم الجديد ·

لقد تعثرت فكرة التنظيم النسائى لفترة من الوقت من خلال فكرة تصارع بعض القيادات التقليدية ، لكنه من غير الممكن أن نحصر آمال هذا التنظيم الجديد فى اطار هذه الصراعات الشخصية ، ولابد لنا مع الاستفادة من الخبرات القديمة أن نفتح الباب واسعا ـ وبغير حدود ـ أمام الكوادر الجديدة التى تمرست فى اطار عرس التجربة الجديدة ، والتى يمكن جذبها وتكوينها بسرعة من خلال النشاطات المختلفة للتنظيم الجديد ·

٣ ـ ان **يكفل هذا التنظيم** منذ البداية اكبر قدر من التقاليد الديموقراطية فى العلاقة بين مستوياته المختلفة ، متيحا بذلك أمام القواعد فرصة الاسهام الخلاق فى دعم التنظيم الوليد ٠

ولا شك أن من المفيد فى النهاية أن نلقى بعض الضوء على تجربة السنوات الثلاث الاخيرة فى مجال اقامة تنظيم نسائى فى اطار الاتحاد الاشتراكى ، وذلك بالرغم من أن هذه التجربة محدودة النشاط ومحدودة فى اطار محافظات قليلة ، الا أنها يمكنها أن تقدم لنا مؤشرا حول اتجاهات النشاط ونتائجه ومحتواه ٠

ففى مجال العمل التنظيمى تكونت مجموعات نسائية تابعة للوحدات الجماهيرية ، والوحدات السكنية للاتحاد الاشتراكى العربى ، وقد استطاعت هذه المجموعات أن تعبىء أعدادا لا بأس بها من الموظفات والعاملات وربات البيوت فى ميدان العمل السياسى ٠

ومن خلال هذا النشاط لعبت المجموعات النسائية دورا لا بأس به فى عديد من المجالات ، منها رعاية أسر المجندين ، والقيام بدراسات ميدانية عن حالة هذه الاسر واحتياجاتها والخدمات التى يمكن أن تقدم لها ٠

كذلك نظمت هذه المجموعات فى بعض الاقسام حملات جماعية لزيارة الجبهة ومناطق التهجير وتقديم هدايا رمزية للمهجرين ، ويشرف التنظيم النسائى بمحافظة القاهرة على عدد من دور الحضانة التى تكونت فى بعض الاحياء ، ويسهم ـ بشكل محدود ـ فى عمليات تنظيم الاسرة وخدمة البيئة .. الخ ٠

وفى مجال الاعداد السياسى للكوادر النسائية قام التنظيم النسائى على مستوى الاقسام باعداد دورات تثقيفية لمسئولات النشاط فى المجموعات المختلفة ٠

واذا كانت هذه التجربة محدودة بحكم طبيعتها والظروف الموضوعية التى أحاطت بها ، فلابد للنتائج التى أحرزتها أن تكون محدودة هى أيضا ٠

لكن الطبيعة الايجابية التى برزت فى كثير من الاماكن توحى بغير شك بوجود طاقات هامة يمكن تحريكها واستيعابها من خلال عمل نسائى منظم وواسع النطاق ٠

ان المرأة المصرية قد أسهمت منذ فجر الحركة الوطنية بجهد ايجابى وتضحيات كبيرة فى المعترك الوطنى والسياسى والاجتماعى ٠

وقد اسهمت حتى فى ظل السلبيات الماضية بنشاط هام ٠

وهى قادرة بغير شك على أن تلعب دورا بالغ الاهمية فى ظل تنظيم نسائى ديموقراطى عام ، يفتح أمامها سبيل المشاركة الفعالة فى مختلف نواحى الحياة السياسية والتنظيمية والاجتماعية والاقتصادية ٠



الــدورات الأربــع للمــؤتمر القــومى العــام
(الاتجــاهات والتوصــيات)

ننشر فيمـــا يلى ابرز الاتجـاهات والتوصيات والقرارات التى صدرت عن الدورات الاربع للمؤتمر القومى العـام للاتحاد الاشتراكى العربى ...

الدورة الاولى :
١٤ ــ ٢١ سبتمبر ١٩٦٨

● برزت خلال جلسات المؤتمـــر وفى بيانه العام عدة اتجاهات هامة من بينها :

ــ أن معركتنا مع العدو ليست معركة تحرير الارض مع العدو فحسب بل هى تأمين لحق الانســان على هذه الارض كفاية وعدلا فى الحرية بجميع جوانبهـا ولا يتأتى ذلك الا بالحفاظ على النظام الاشتراكى .

ــ أن المعركة ليست معركة الجيش وحده بل معركة كل الشعب ، وطلب المؤتمر الى اللجنة المركزية ان تتخـذ الخطوات اللازمة لتعبئة قوى الجماهير فى منظمات للدفاع الشعبى حمــاية للخطوط الخلفية لقواتنا المتقدمة .

ــ أن النضال العسكرى هو الجانب الاول ، وليس الجانب الوحيد ، بل لابد لاستمراره من وجود نضال اقتصادى يكفل له الامداد الدائم لمتطلباته ويؤمن احتياجات الشعب الضرورية ، الامـر الذى يحتم استمرار التنمية فى اطـار التطبيق الاشتراكى .

ــ اكد المؤتمر على أهمية التخطيط العلمى لكل أوجه نشاطنا .

ــ أبرز المؤتمر أن ضرورات المعــركة تفرض علينا تأكيد سلطة قوى الشعب العامل مع دعم رقابتها الفعالة على كل أجهزة الحكم ومختلف انشطة الدولة مع الايمان بأن حرية الراى وحرية النقـد هما الضمان الاكيد لممارســـة الشعب سلطاته ، وأن تأكيد سيادة القــانون ضرورية بحيث يصبح القانون أعلى من مراكز القوى واقوى من نزعات الافراد.

كذلك أصـــدر المؤتمر سلسلة من القرارات الهامة من بينها :

ــ اعادة النظــر فى جميع النصوص القانونية المانعة لحق التقاضى كفــالة لهذا الحق وتدعيما لسيادة القانون .

ــ دراسة أوضـاع الصحافة ووضـع تنظيم جديد لها يؤكد ملكية الشعب لها ويضعها فى خدمة الرأى الحر والنقــد البناء تحقيقا لاهداف مجتمعنا الاشتراكى

ــ الاهتمام بالمشاكل اليومية للجماهير مثل الاسكان والمواصلات والتموين وغيرها

ــ يجب أن نعطى للشباب أهميــة خاصة تكوينا وتنظيما وتوجيها .

ــ دعم الحركة النقابية المهنية والعمالية وتجديد قياداتها فى مواعيدها المحــددة مع اتاحة حرية الحركة لها .

ــ دعم دور المرأة فى العمل السياسى وتنظيم جهـــودها فى اطار التنظـيم السياسى .

ــ دعم القيم الروحية والاخلاقية .

ــ الاهتمام بوضع خطة شعبية للقضاء على الامية فى فترة محددة .

ــ تشكيل لجنة قومية لبحث نظــم التعليم بمختلف مراحله واشــــكاله ، والاهتمام بالبحث العلمى وتوفير المناخ الملائم له وربطه بمشاكل الصـــناعة والزراعة .

ــ تقوم اللجنة المركزية باعداد خطة عمل تشمل تحديدا واضحا للواجبــات والمهام والمسئوليات وتستهدف تعبئــة كافة القوى البشرية والمادية وحــل المتناقضات التى يمكن أن تنشأ فى العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى العربى والاجهزة التنفيذية والتنظيمات المختلفة . عــلى ان يوضع فى الاعتبار :

١ ــ وضوح اختصاصات الاطراف المعنيــة ووضع خطة عمل مشــتركة يتكامل فى ظلها جهد جميع الاطراف تحقيقا للهدف المشترك .

٢ ــ عقد اجتماعات دورية الزاميــة

مشتركة بين مستويات التنظيم والاجهزة التنفيذية المقابلة .

٣ — ان تقوم اللجنة المركزية بوضع خطة لاعداد الكوادر السياسية والادارية الصالحة لشغل المراكز القيادية لتكون بمثابة قوى طليعية داخل أجهزة الدولة وفى مختلف التنظيمات الشعبية .

٤ — أن تقوم اللجنة المركزية بتشكيل لجنة خاصة لاعداد مشروع الدستور ، وعرضه على مستويات الاتحاد الاشتراكى المختلفة بحيث يكون معدا للاستفتاء الشعبى العام فور ازالة آثار العدوان .

الدورة الثانية : دورة غير عادية

٢ — ٤ ديسمبر ١٩٦٨

وقد عقدت هذه الدورة غير العاديه لمناقشة تطورات الاحداث عقب مظاهرات الاسكندرية والمنصورة وكما قال الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه الافتتاحى فى هذه الدورة « ان هنــــاك امورا تقتضينا أن نتشاور فيها .. حتى يمكن أن نحقق رؤية أوضح » .

وطالب السيد الرئيس بتحديد أسلوب العمل الذى نستطيع به كل قوة من قوى الشعب أن تمارس دورها .

وبتحديد الاسلوب الذى تستطيع به السلطة التنفيذية أن تمارس سلطة الدولة فى هذا الوطن .

وأكد السيد الرئيس ثلاثة مبــادىء أساسية :

١ — أنه لا ينبغى ولا يمكن أن يقوم تناقض بين الثورة وشباب الثورة وبالذات شباب الجامعات .

٢ — ان الحوادث المؤسفة التى وقعت لا يمكن أن تكون مسئولية جموع الشباب ، وان كان قسط من المسئولية فيها يقع على قلة من الشباب تصرفوا بالخطأ ، ثم كان سوء القصد من عناصر مختلفة ، وان كان يجب أن نسلم أن الفرصة التى استغلتها هذه العناصر لم تكن لتتــاح لولا الخطأ الذى وقعت فيه هذه القلة من الشباب .

٣ — أن أى تصور يفترض أو يدعى أن الغرض من عقد هذا المؤتمر هــو اعطاء سند للسلطة التنفيذية لكى تقوم باجراءات قمع للشباب هو تصور جانبه الصواب .

وبعد أن استمع المؤتمر الى خطاب السيد الرئيس وبيانات وزراء التربيــة والتعليم ، والتعليم العالى ، والعدل ، والداخلية وبعض أمناء المحافظات حول أحداث الاسكندرية والمنصورة وما يرتبط بها من موضوعات .

وبعد حوار شارك فيه كثير من اعضاء المؤتمر أصدر المؤتمر بيانا أكد فيه : أن التطورات والتحولات الهامة التي تمت بعد حرب يونيو ١٩٦٧ فى كافــة المجالات ، قد افقدت العدو آمله فى أن يملى علينا ارادته ، فى فرض الاستسلام بالقوة ، وقد حاولت القوى الاستعمارية أن تنفذ الى جبهتنا الداخلية من خلال حرب نفسية خبيثة ، حركت آمال عناصر القوى المضادة للثورة فى مصر ، وكانت حالة القلق والجو الثقيل الذى تركته النكسة ، والذى كان تأثيره على الطلبة وشباب الجامعة الذين عاشوا أمجــاد الثورة وعاشوا الهزيمة العســكرية ، اكثر عمقا وأكثر حدة ، وكان هــؤلاء هم الهدف الذى استهدفته قوى الثورة المضادة ، والتى دفع اليها دفعا مجموعة من التلاميذ الفاشلين ، وتسبب عنهــا عمليات التخريب والحريق والاعتــداء والســلب والنهب التى قادها ودبرها وتزعمها وحرض عليها بعض عملاء العدو وعملاء الرجعية .

ووضع المؤتمر عدة قواعد تحكم حركتنا لمواجهة تحركات الرجعية المتحالفة مع الاستعمار وهى :

أولا : أن قوى الشعب العامل هى صاحبة هذه الثورة ، وصاحبة هــذا الوطن ، ومصدر السلطات فيه ، وقد اجمعت قوى الشعب العامل على خوض معركة المصير الى النهاية ، وأن كل عمل يحاول أن يرفع الى جانب صوت المعركة أصواتا أخرى هو عمل يدينه نضــال الشعب العامل .

ثانيا : أن الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية هم قوام قوى الشعب العامل ، ومن ثم لا يحق لقلة من فئات الشعب العامل او لقلة قليلة من احدى هذه الفئات أن تفترض أن رغباتها أمر أو أن ماتراه هى صالحا هو الصالح ، أو أن تمارس نوعا من الاستعلاء ، أو أن تحاول أن تفــرض وصايتها بطريق أو آخر على قوى الشعب العامل .

ثالثا : أن حرية الشعب العامل فى ان يدير حوارا مفتوحا منظما وحريته فى النقد والنقد الذاتى حرية ينبغى أن تستكمل لها كل مقوماتها ، وأن تعمق مفاهيمها فى مجتمع ثورى مفتوح يتيح اللقاء الدائم والسريع والفعــال بين القيادات والقواعد ، لقاء يتيح للثورة تجددها واستمرارها ، ويتيح للشعب أن تتحول الى أفعال ، لقاء يمكن معه احداث التغييرات الدائمة والدائبــة التى تتطلبها المرحلة المصيرية وتتطلبها المعركة .

ان هذا هو أسلوبنا الديمقراطى .

رابعا : واذا كنا نرفع الشعار الذى رفعه القائد المناضل جمال عبد الناصر « ان الحرية كل الحرية للشعب » فاننا نؤكد ما أكده أن لا حرية لاعداء الشعب

وقد اتخذ المؤتمر القومى فى دورته الثانية « غير العادية » سلسلة من القرارات الهامة التالية :

— **يؤكد المؤتمر من جديد** قراره السابق وماجاء فى بيان ٣٠ مارس من أنه لا يعلو صوت فوق صوت المعركة .

— **تطبيق مبدأ سيادة القانون** فيمــا يتعلق بحماية امن الشعب والمصالح العليا للوطن وللتقدم الاجتماعى ، مما يقتضى اتباع سياسة حازمة مع القلة غيــر المسئولة التى اثارت او تثير الاضطرابات .

— **عزل افراد القلة غير المسئولة** التى تبث سمومها فى الجــامعات والمعــاهد العليــا والمدارس ، وذلك حفاظا على تماسك الجبهة الداخلية ، وتوفيــر الجو المستقر الذى يفيد الغالبية العظمى من الطلاب .

— **عزل افراد القلة غير المسئولة** من عناصر الثورة المضادة ، أيا كانت مواقعها حفاظا على الثورة الاشتراكية ، وعلــى وحدة الجبهة الداخلية وتماسكها ، وعلى تحقيق متطلبات النصر للمعركة .

— **تدعيم العمل السياسى** بين شباب الجامعات والمعاهد والمدارس وربط هذا العمل بقوة بالاتحاد الاشتراكى ، ووضع التنظيم المتكامل لذلك ، تدعيما لحــرية وفاعلية الحركة السياسية الطلابية ، فى اطار التقدم الاشتراكى ، ومن خلال التنظيم السياسى القائد المتمثل فى الاتحاد الاشتراكى .

— **ارساء أسس** منهج علمى ســليم للتربية السياسية الفعالة فى جميع مراحل التعليم ، ومراعاة الدقة فى اختيــار القائمين على تدريس المواد القومية على اساس أن هذه المواد تتمتع بأهمية كبرى وتتطلب فى القائم بتدريسها مواصفات خاصة ، على أن يتيسر لهؤلاء لقاءات دورية مع القيادات السياسية فى البلاد .

— **اتخاذ كافة الوسائل** التى تحقق لتنظيمات الاتحاد الاشتراكى فاعلية أكبر فى قيادة الجماهير قيادة واعية ، وفى تنمية قدراتها على التصدى للقوى المضادة للثورة وكشف أساليبها ، والقضاء عليها ، وعلى أن يبدأ فى ذلك مباشرة بعمليــة تدريب الكوادر السياسية .

— **تدعيم امكانيات الجامعات** والمعاهد والمدارس ، لكى تزيد من فاعلية دورها فى تحقيق التقدم العلمى ، باعتباره عاملا أساسيا لكسب معاركنا المستمرة .

— **ازالة جميع العوامل** التى تعترض الوصول الى الاهداف السابقة ، وتعديل جميع التشريعات بما يكفل ذلك .

الدورة الثالثة :

٢٣ — ٢٥ يوليو ١٩٦٩

وقد اتخذ المؤتمر القومى فى دورته الثالثة سلسلة قرارات هامة من بينها :

— الاستمرار فى مد القوات المسلحة بكافة متطلباتها .

— دعم منظمة سيناء العربية .

— الاستمرار فى دعم العمل الفدائى الفلسطيني ومساندته بكل الوسائل .

ـ دعم الجبهة الشرقية وتوحيد جهودها .

ـ الاستمرار فى سياستنا الخارجية المناهضة للاستعمار والسيطرة .

ـ الاهتمام بالعمل السياسى الشعبى فى المجال الخارجى .

ـ تشكيل قيادة عسكرية لتسيوات الدفاع الشعبى على درجة كبيرة من المسئولية .

ـ اعطاء الدفاع المدنى الاسبقية فى العمل سواء على المستوى الشعبى او التنفيذى وان يجرى تقييم للقيادات السياسية ومحاسبتها على أساس القيام بواجبها فى هذا المجال .

ـ الاهتمام برعاية اسر المجندين .

ـ تأكيد الدور الايجابى والبناء الذى يؤديه الائتمان الزراعى والتعاونى لخدمة الانتاج الزراعى وتطويره ، والعمل على تسوية المديونيات المتأخرة على الفلاحين .

ـ ضرورة العمل على اصلاح البنيان التعاونى وتطويره .

ـ حل مشاكل الحرفيين على اساس سياسة متعددة المراحل ، وتشجيع وتدعيم الجمعيات التعاونية التى يكونها الحرفيون اختياريا .

ـ الاسراع فى تشكيل مجلس قومى للبحث العلمى او مجلس قومى للعلوم والتكنولوجيا .

ـ تأييد الدور الفعال الذى يمكن ان تقوم به منظمة الشباب لخدمة أهداف المرحلة .. وتنظيم مشاركة الشباب ايجابيا لخدمة اهداف المعركة المسلحة وفى تشكيلات جيش الدفاع الشعبى والدفاع المدنى وفى خدمة مشروعات الاقتصاد القومى .

ـ دعم الحركة النقابية للعمال واعادة بناء التنظيم النقابى بحيث يغطى القاعدة العريضة لجماهير العمال .

ـ التعجيل باصدار قانون العمل الجديد حتى يمكن تجديد قيادات الحركة النقابية .

ـ التأكيد على أهمية الدور الذى تلعبه لجان الانتاج فى تكتيل الجهود السياسية والنقابية والادارية لتحقيق أهداف خطة التنمية .

ـ ضرورة اتخاذ خطوات اكثر شمولا واتساعا لتطوير القوانين على النحو الذى يتلاءم مع أهداف المجتمع الاشتراكى تقنينا للثورة وتثبيتا لمبادئها وتحقيقا لاهدافها .

ـ تطوير تدريس المواد القومية بالجامعات والمعاهد العليا ، والعمل على سرعة انشاء المجلس القومى للتعليم ليتولى رسم السياسة القومية للتعليم فى مختلف مراحله .

ـ انشاء المجالس الشعبية المنتخبة على مستوى المحافظات وتحديد العلاقة بين التنظيم السياسى ممثلا فى الاتحاد الاشتراكى العربى وبين هذه المجالس .

ـ انشاء مجالس تنفيذية تشكل من مديرى مديريات الخدمات فى نطاق المحافظة لتتولى ادارة مختلف المرافق والاعمال ذات الطابع المحلى .

ـ مركزية التخطيط الشامل لعمليات التثقيف الاشتراكى من حيث وضع مناهجه واعداد المندوبين والموجهين الذين يتولونها ، والالتزام فى برامج التثقيف بالخط الفكرى للميثاق .

ـ دعوة اللجنة المركزية الى ان تستأنف دراسة اوضاع الصحافة .

ـ الاهتمام بالصحافة الاقليمية والصحافة المتخصصة .

ـ انشاء المجلس القومى للثقافة بشعبه المختلفة .

ـ انشاء تنظيم يضم العاملين فى قطاعات الفنون والاداب يرتبط بالتنظيم السياسى .

ـ صيانة حرية التعبير للفنان والاديب فى اطار القيم الاساسية التى يقوم عليها البناء الاجتماعى .

ـ تنسيق الجهود فى مجال ثقافة الطفل بما يحقق التخطيط العلمى للبرامج التثقيفية للاطفال .

الدورة الرابعة :
٢٣ ـ ٢٦ يوليو ١٩٧٠

افتتح الرئيس جمال عبد الناصر المؤتمر بخطاب سياسى اشتمل على معالم سياسية جديدة من أهمها :

ـ ان الحرب التى تجرى على الجبهة المصرية الان حرب من نوع جديد فى التاريخ ، وهى الحرب الاليكترونية ، وهى حرب لا تملك معداتها غير دولتين فى العالم هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى .

وقد قامت أمريكا بتزويد اسرائيل بمعدات هذه الحرب ، وقد دخلنا نحن بمعونة الاتحاد السوفيتى الى مجال هذه الحرب .

ـ ان المبادرة الامريكية التى سميت مبادرة سلام ، وهى ليست كذلك فى الحقيقة ، اذ لاتزيد عن كونها مشروع اجراءات ، ونحن نرى أنها قاصرة عن حل الازمة ، الا اذا صاحبها موقف أمريكى حازم بالنسبة لتزويد اسرائيل بالاسلحة الحديثة .

ـ ان المبادرة تقول بوقف اطلاق النار بين مصر واسرائيل ، لان هذه هى الجبهة الوحيدة التى يجرى عليها اطلاق النار ، بعد أن أعلنت مصر سقوط قرار وقف اطلاق النار ، مادام تنفيذ قرار الانسحاب معطلا .

ـ أن الجمهورية العربية المتحدة ، رغبة منها فى اختبار النوايا ، واظهار موقفها على حقيقته أمام العالم كله ، وحتى أمام الشعب الامريكى نفسه ، ردت ردا ايجابيا على المبادرة الامريكية .

ـ لقد ظهرت المقاومة الفلسطينية ، واستطاعت المقاومة أن تحول الشعب الفلسطينى من شعب من اللاجئين الى شعب من المقاتلين ، واستطاع العمل الفلسطينى أن يفرض نفسه على كل العالم .

ـ أننا نرفض رفضا قاطعا كل المحاولات الانجليزية فى العودة الى سياسة الوجود فى الخليج العربى تحت ستار سياسة شرق السويس . وأن الامة العربية كلها ستناضل من أجل اخراج القوات الانجليزية المحتلة من كل الاراضى العربية .

ـ حينما نتذكر الاصدقاء الذين وقفوا معنا فى محنتنا فى الايام الحالكة الظلام فى سنة ١٩٦٧ نقول ان أول هؤلاء الاصدقاء واحقهم بشكرنا الدائم وعرفاننا غير المحدود هو الاتحاد السوفيتى .

ـ أن الامة العربية تطالب بأراضيها المحتلة وتطالب بحقوق شعب فلسطين حقوق شعوبها التى اغتصبتها اسرائيل ويجب أن يكون ذلك كله واضحا لجميع الاطراف لان النتائج التى يمكن أن تترتب عليه نتائج خطيرة .

ـ أن الجماهير العربية تدرك الاهمية التمييز بين الذين يتاجرون بالكلمات فى أسواق المناورات الضيقة ومزايداتها وبين الذين يتقابلون مع الموت فى ساحة ميدان القتال .

ـ أن الجماهير العربية تدرك الاهمية الحاسمة للعمل العسكرى ، وهى تدرك الضرورة الواجبة للعمل السياسى .

ـ لقد وجدت من قادة الاتحاد السوفييتى كل اهتمام بسلامة الشعب المصرى فى مدنه وفى قراه واهتمام بألا يتعرض للشعب المصرى لغارات العدو واهتمام بأن تكون مصر قادرة على الدفاع عن أرضها بكل وسيلة من الوسائل .

ـ أن هدف الجمهورية العربية المتحدة النضالى الاساسى هو . الانسحاب الكامل من جميع الاراضى العربية المحتلة وهى المرتفعات السورية ، والقدس ، والضفة الغربية ، وغزة ، وعودة حقوق شعب فلسطين .

وأكد السيد الرئيس فى اجاباته على أسئلة الاعضاء على ما يلى :

ـ ان العملية التى تقدمت بها أمريكا عملية اجراءات ، وان الموقف فى يوليو سنة ١٩٧٠ يختلف عما كان عليه فى ٦٧و٦٨و٦٩ وأوائل ٧٠ ، وفيه عوامل كثيرة تدخلت فى الموقف وجعلت آفاق المشكلة أوسع مما كانت عليه فى الماضى وعلى هذا الاساس قدمت امريكا هذه المبادرة ، واللى قلت ان مفيهاش جديد لان كل كلمة فيها جت فى قرار مجلس الامن سنة ٦٧

ـ نحن الغينا قرار وقف اطلاق النار بيننا بين اسرائيل ، أما قرار وقف اطلاق النار اللى صدر فى يونيو ٦٧ بين الاردن واسرائيل وبين سوريا واسرائيل فلم يلغ ولكن اذا رمت اسرائل بثقلها على الجبهة السورية فمن الواضح أن هناك دفاع مشترك بيننا وبين سوريا ، ويكون الاخلال بوقف اطلاق النار على الجبهة

الاردنية ايضا هو اخلال بوقف اطلاق النار على الجبهة المصرية .

— أن الحل السلمى عملية بعيدة جدا وقد تكون مستحيلة لطبيعة العدو ، ولان العدو يريد التوسع ، ولايمكن أن يكون هناك توسع وحل سلمى ، وعلى هذا الاساس فالمبادرة الامريكية ليست بأى حال هى الحل السلمى .

— انا ماعنديش ثقة فى امريكاواقول النهاردة ايضا أنا ماعنديش ثقة فى انجلترا . ولكن موقفهم أمام العالمحايكون ايه هل سيستمروا فى مد اسرائيل بالاسلحة .

— دى آخر فرصة ممكننعطيهاللولايات المتحدة الامريكية وعلى الولايات المتحدة أن تعلم انها اذا استمرت وتمادت فى معاونة اسرائيل فان مصالحها فىالعالم العربى ستكون مهددة بالخطر .

— أن المطلوب فى المبادرة الامريكية تنفيذ قرار مجلس الامن الذى صدر فى نوفمبر ٦٧ اذا ادت اسرائيل تحفظيات انها حاتحتفظ بجزء من الاراضى أو بانها حاتحتفظ بالقدس ، معنى هذا أنالمبادرة الامريكية تكون فشلت .

— احنا فى ردنا على المبادرةالامريكية كنا نريد أن نقول فعلا اننا لا نريدالحرب من أجل الحرب . واذا استنفدنا جميع الوسائل السلمية لن يكون أمامنا الا القتال — لاننا لن نستطيع أن نتنازل من أراضينا ، والقتال فى سبيل تحرير اراضينا حق لنا وواجب علينا ، ودى بديهيات ومواضيع معروفة .

— أن علاقاتنا مع موسكو علاقاتقوية ومتينة ١٠٠ فى المائة ، وبنتكلم مع بعض بكل وضوح وكل صراحة ، والقيادة السوفييت فى موسكو اكدوا لنا فى زيارتنا الاخيرة أنهم بيؤيدونا لاسترداد حقوقنا المشروعة الى أقصى حد ، وبكل وسيلة من الوسائل . والاتحادالسوفيتى فى هذا مقتنع كل الاقتناع لسبب واحد زى ماقالوا لنا : ان احنا بندافع عن نفسنا وبندافع عن بلدنا وبندافع عنالامة العربية وبندافع عن أراضينا المحتلة .

وأصدر المؤتمر بيانا ركز فيه على النقاط التالية :

— **تاتى ذكرى ثورة ٢٣ يوليو المجيدة** فى هذا العام ، بعد مضى أكثر منثلاثة أعوام على عدوان يونيو ١٩٦٧ تأتى ومعها تغييرات كيفية وكمية على أرض الامة العربية ، لها دلالاتها الكبرى فى الصراع المصيرى الذى تخوضه أمتنا العربية .

— **أن حركة الثورة العربية والنضال** العربى تزداد وتتصاعد على كل الجبهات العربية ، فى سوريا ، وفى الاردن ، وفى لبنان ، وفى كل الارض العربية ، كما استطاعت المقاومة الفلسطينية ان تنقل الشعب الفلسطينى من شعب من اللاجئين الى شعب من المقاتلين ، واستطاع العمل الفلسطينى أن يفرض نفسه ، على كل العالم .

— **أن المراحل النضالية** التى انجزتها قواتنا المسلحة حتى الان تعتبر حتى بمقاييس العصر ، أشبه بالمعجزات .. وأن المؤتمر ليعبر عن ثقته واعتزازه بالقوات المسلحة وعن ايمانه بقدرتها على أداء رسالتها التاريخية .

— **أن شعار ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة** ، كان ولا زال هو التعبير الصحيح من حقيقة التحدى ، والطريق الى انتزاع النصر من قلب المعركة .

— **أن علاقتنا بشعوب الاتحاد السوفييتى** وقيادته الممتازة ليست علاقة مرحلية ، ولكنها علاقة دائمة ومستمرة يعمقها وينميها النضال المشترك من أجل التحرر والتقدم .

— **أن السلام العادل** المؤسس على تنفيذ قرار مجلس الأمن الصادر فىنوفمبر سنة ١٩٦٧ وعلى انسحاب القوات الاسرائيلية المحتلة من جميع الاراضى العربيةهو مطلبنا ، بالسياسةأو بالحرب

— **أن الولايات المتحدة** قد وضعت نفسها بهذه المبادرة موضع الاختبار الصعب ليس امام الشعب العربى وحده ولكن أمام العالم كله .

— **أن المؤتمر** ينظر باهتمام بالغ ، لما أعلنته بريطانيا من عدول عن جلاء قواتها عن الخليج العربى ، ويعتبر أن استمرار الاحتلال البريطانى فى هذه المنطقة الهامة من الجزيرة العربية ، اعتداء على حرية واستقلال الوطنالعربى بأكمله .

— **وفى ظل ظروف الحرب** ، تحققت انجازات اقتصادية عظيمة يعبر عنها استكمال بناء السد العالى بما يتيحه من طاقات توجه للتصنيع وامكانيات لاستصلاح مزيد من الارض ، وتعبرعنها مشروعات التصنيع الثقيل ، مجمعالحديد والصلب ، ومجمع الصناعاتالفوسفورية والالمنيوم وغيرها من المشروعات التى ترسى قاعدة راسخة للتنمية الاشتراكية .

كذلك أصدر المؤتمر سلسلة من التوصيات الهامة من بينها :

— يوصى المؤتمر تحقيقا للرغبة الاجماعية لمؤتمرات المحافظات باصدار « سندات للجهاد » يتم الاكتتاب فيها اختياريا من الشعب .

— الاستمرار بكل طاقاتنا فى دعم قواتنا المسلحة بكل ما تتطلبه وتحتاج اليه .

— الارتفاع المستمر بكفاءة التنظيم السياسى وفاعليته .

— نظرا لما قررته اللجنة المركزية من تأجيل انتخاب لجان الوحدات الاساسية فيجب القيام بعملية تقييم ومحاسبة وابعاد العناصر السلبية والمعوقة ، واعطاء الفرصة للعناصر المؤمنةوالنشطة للمشاركة فى العمل السياسى على أوسع نطاق ، وفتح مجال التصعيد للقيادة امامها .

— نظرا لاهمية القرية وللدور الذى تقوم به فى الانتاج ، فيجب أن يهتم التنظيم السياسى فى المرحلة القادمة بايجاد اطار صحيح وسليم للعمل السياسى داخل القرية ، بحيث يصبح منظما ومنسقا ومتكاملا .

— البدء فى اتخاذ الخطوات اللازمة لاقامة تنظيم نسائى .

— دعم العمل السياسى بين الشباب فى جميع المواقع .

— استمرار العمل لتجميع القوى العربية ، ولحشد امكانيات الامة العربية كلها لكى تكون فى المعركة ، ومساندة المقاومة الفلسطينية مساندة كاملة مع بذل كل الجهود لدعم وحدتها وتأمين حركتها .

— زيادة كفاءة وفاعلية الدفاعالشعبى والمدنى ، وزيادة رعاية المهجرين واسر المقاتلين والشهداء .

— حشد كافة الجهود التطوعية والرسمية لتنفيذ الخطة الشاملةللقضاء على الامية فى زمن محدد .

— الاسراع فىانشاءالمعاهدالاشتراكية على ضوء ما أقره المؤتمر فى دورته الثانية .

— التوسع فى نشر الثقافة العسكرية بين الجماهير .

— تعزيز الجهد المبذول فى مجال التعبئة الدينية .

— اعداد المنهج العلمى الذى يقوم على أساسه تدريس العلوم القومية والاجتماعية والانسانية بما يتفق معطبيعة التحولات الجذرية التى شهدها ويشهدها المجتمع .

— وضع خطة شاملة لكى يكونللاعلام دوره الرائد كأداة ثورية تعمل بالحقيقة وبالجد فى تعميق وعى الجماهيروالتعبير الصادق من متطلباتها وتطلعاتها .



نحو دراسة عملية لمعوقات

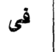
الإنتاج الزراعى

من واقع قرية مصرية

د. جلال رجب

عبد العزيز يوسف أبو حرب

من واقع معايشة مشكلات الانتاج والحياة فى قرية شباس الشهداء ، يقدم د. جلال رجب المحامى بكفر الشيخ وعبد العزيز يوسف ابو حرب من منتفعى الاصلاح الزراعى هذه الدراســة التى تتسم بالحيوية والعمق . ورغم ان البحث يتركز على قرية شباس الشهداء ، فالمشكلات التى يثيرانها لها ابعاد قومية عامة ، تجد ترديدا فى جميع قرى الجمهورية .



فى السنوات الاخيرة اجمعت المصادر المختلفة السياسية منها ، والاقتصادية على السواء ، أن الانتاج الزراعى فى هذه المرحلة من مراحل تطورنا يحمل تبعات ثلاث :

- تزويد الشعب بالمنتجات الغذائية .
- تزويد الصناعة المحلية بالمنتجات .
- التصدير للحصول على العملات الصعبة اللازمة لمتطلبات التنمية والتصنيع .

وبديهى أنه لا يمكن للزراعة أن تفى بهذه التبعات دونما تخطيط سواء أكان ثلاثيا أو خماسيا او سباعيا ـ واذا كان التخطيط وهو اداة الاقتصاد الاشتراكى يعرف بأنه الطريق الرشيد لتوظيف الامكانيات القائمة من أجل الحصول على امكانيات مستقبلة ، فان أى تخط للواقع وعدم الاعتداد به يعنى فى الحقيقة التجاوز عن بعض أسس التخطيط وبعض الامكانيات القائمة ـ وهى تعنى فى النهاية القفز فى الهواء للوصول الى امكانيات وهمية مهما كانت مطلوبة وضرورية .

وفى ظل المعركة الناشبة بيننا وبين الاستعمار ورأس حربته اسرائيل يظل الشعار السائد فى جميع الدوائر الوطنية هو توظيف كل امكانيات الشعب من أجل المعركة وما بعد المعركة أيضا ـ ولا شك أن عناصر الانتاج الزراعية هى فى الاساس من أهم امكانيات الشعب ولذلك فان التعرف على واقع الانتاج الزراعى ومستقبله لابد منها فى معركتنا مع

الاستعمار والصهيونية كما أنه الطريق الوحيد للتخطيط الرشيد .

ان أى دراسة لمشاكل الانتاج الزراعى لابد لها من أن تتناول مقوماته الاساسية :

اولا : الارض وما يقوم عليها من منشآت، وما يلحق بها من آلات وحيوانات فى خدمة الانتاج الزراعى وعلاقات الانتاج السائدة .

ثانيا : الاجهزة الادارية والفنية .

ثالثا : الفلاحون وعلاقاتهم بالمنظمات والهيئات والادارات المختلفة فى مجال قيامهم بعملية الانتاج .

ولكى تؤدى هذه الدراسة الغرض منها ـ وفى حدود امكانيات كاتبى سطورها ـ فانها تتخذنقطة لانطلاقها قرية من قرى محافظة كفر الشيخ هى قرية **شباس الشهداء** .

ولعل مما يزكى اختيار هذه القرية بالذات هو تكامل بعض العناصر السياسية للدراسة وهى :

ـ **أن قرية شباس الشهداء** تماثل اغلبية القرى فى الجمهورية من حيث طبيعة الارض وانتشار الملكيات الصغيرة الى جانب بعض الملكيات الكبيرة والمتوسطة بنسبة مطابقة للنسبة المعروفة على المستوى القومى .

ـ **أن بها نفس النمطين المعروفين** فى ملكية الاراضى الزراعية ، أى نمط الملكية عن طريق الميراث والشراء ونمط التمليك الجديدطبقالقوانين الاصلاح الزراعى .

ـ **أن علاقات الانتاج السائدة** فىالقرية هى من نفس اقامة علاقات الانتاج الزراعى فى الواقع القومى .

ـ **وجود نسبة من عمال الزراعة** تقارب النسبة العامة على المستوى القومى .

ـ **وجود المنظمات** التى استحدثتها الثورة وهى مجلس القرية الذى يشرف على وحدة مجمعة بها وحدة صحية وقسم اجتماعى به دار حضانة ومشغل وورشة نجارة ، وقسم زراعى به مزرعة هى الحقل الارشادى ومصنع البان وتربية عجول ودواجن وبرج حمام ومنحل ـ كما يوجد بها جمعيتان تعاونيتان زراعيتان هما جمعية ائتمان وجمعية اصلاح زراعى ـ كما يوجد بها ثلاث مدراس ابتدائية بها ١٢٨٦ تلميذا ومدرسة اعدادية بها ٣٢٠ تلميذا . . .

ولكى يكون القارىء فى موقف يسمح له بتقييم وجهات النظر التى تتضمنها هذه السطور فانه لابد من البدء بتعريف سريع لواقع قرية شباس الشهداء ثم الاستخلاص لمعوقات الانتاج الزراعى بالقرية من هذا الواقع ذاته :

تقع قرية شباس الشهداء على مسافة ١٢ كيلو مترا من مدينة دسوق ويربطها بها خط السكك الحديدية المتجه الى طنطا والطريق الزراعى فى نفس الاتجاه ، ويبلغ عدد السكان ١٢٦٤١ نسمة تتعيش غالبيتهم العظمى من الزراعة، اذ لايزيدعدد الحرفيين بها عن ٣٥٠ شخصا وحتى هذا الرقم لا يمثل فى الحقيقة افرادا منفصلين تماما عن مهنة الزراعة فانه يشمل سائق الجرارات الزراعية وسماسرة المواشى ورعاة الغنم الى جانب التجار والصيادين والبقالين وغيرهم .

وتبلغ مساحة الاراضى الزراعية التى تدخل فى زمام القرية ٤٢٠٠ فدان منها ١٨٠٠ فدان تملكها أصحابها بطرق كسب الملكية التقليدية (أى الميراث والشراء .. الخ) . والباقى من المساحة وقدره ٢٤٠٠ فدان تملكها أصحابها بطريق التمليك طبقا لقانون الاصلاح الزراعى ، وبالتالى فان الارض المنزرعة بشباس الشهداء تتبع جمعيتين زراعيتين (ائتمان واصلاح) .

الارض وآلات الانتاج

وعلاقات الانتاج السائدة

من الدراسة المباشرة للواقع ، ومن سجلات التسجيل العينى للملكية والحيازة بالقرية تتضح لنا الحقائق التالية :

١ ـ **تفتيت الملكية والحيازة :**

ويبين لنا الجدول التالى المدى الذى وصلت اليه الملكية من تفتيت الى وحدات صغيرة يتعذر معها تنفيذ سياسة الزراعة الحديثة وهى بالضرورة سياسة الانتاج الكبير القائمة على وحدة انتاجية كبيرة ..

المساحة	عدد الملاك	المساحة	عدد الملاك
اقل من فدان	٩٥٣	أزيد من ٤ــ٥ أفدنة	٢٢
من ١ــ٢ فدان	١٥٠١	أزيد من ٥ــ١٠ افدنة	١٣
أزيد من ٢ــ٣ فدان	١٠٤	أكثر من ١٠ افدنة	٨

ويتبين من هذا الجدول مدى التفتيت فى المساحات المنزرعة فى القرية خصوصا اذا لاحظنا انه بالنسبة للملاك الذين يملكون أقل من فدانيين وعددهم ٢٤٥٤ مالكا فان ملكيتهم نفسها تخضع لتقسيم آخر على الاقل بالنسبة لمنتفعى الاصلاح الزراعى بالقرية وعددهم ١٢٠٠ عائلة تملكت كل منها فدانين وقد قسمت هذه المساحة الى ٣ قطع متناثرة فى ثلاثة أحواض تطبيقا لقوانين الدورة الزراعية الثلاثية

بحيث يصبح لكل منتفع ١٦ قيراطا فى كل حوض ، مما يستتبع بالتالى تفتيتا أكبر للارض الزراعية يجيء مخالفا لقانون الاصلاح الزراعى نفسه الذى نص فى المادة ٢٣ منه على أنه « اذا وقع ما يؤدى الى تجزئة الارض الزراعية الى أقل من خمسة أفدنة سواء كان ذلك نتيجة للبيع أو المقايضة أو الميراث أو الوصية أو الهبة أو غير ذلك من طرق كسب الملكية وجب على ذوى الشأن ان يتفقوا على من تؤول اليه ملكية الارض منهم ، فاذا تعذر الاتفاق يرفع الامر الى المحكمة الجزئية الواقع فى دائرتها اكثر العقارات قيمة بناء على طلب احد ذوى الشأن أو النيابة العامةللفصل فيمن تؤول اليه الارض، فاذا لم يوجد من يستطيعالوفاء بباقى الانصبة قررت المحكمة بيع الارض بطريق المزاد ·

ولعل المشرع وهو يعنى بتفادى تفتيت الملكية كان يقدر مدى الضرر الذى يعود أساسا على الانتاج الزراعى من هذا التفتيت ·

أ ــ فمعروف أن كل مالك مضطر الى شق ترعة ومصارف وطريق لارضه مما يشغل ما يوازى ٢٠ فى المائة من مساحة الارض ، بل ان هذه النسبة نفسها تزيد بمقدار الزيادة الحاصلة فى التفتيت ذاته كما هو الحاصل فى أراضى المنتفعين بالاصلاح الزراعى الذى يخصص لكل ١٦ قيراطا منها مصرف ومروى وطريق الى جانب حد فاصل بين كل منتفع وآخر ، فاذا اضيفت الى تلك المساحات الضائعة ما يخصص للاجران وللسواقى يتبين أن نسبة الـ ٢٠ فى المائة المذكورة هى أقل من الواقع ·

ب ــ ويستتبع تفتيت الارض فى القرية بهذا الشكل صعوبات تصل حتى فى بعض الاحيان الى حد استحالة استعمال الالات لخدمة المساحات المقسمة من ذلك مثلا انه بالنسبة للجمعية التعاونية الزراعية المخصصة لخدمة أراضى منتفعى الاصلاح الزراعى فانه يوجد بهذه الجمعية جرارين وماكينتى رى وعشرة موتورات لرش المساحات المنزرعة قطنا ويوجد مثل هذه الالات فى جمعية الائتمان تقريبا وهى التى تخدم ١٨٠٠ فدان ،وعليه فانه فى العمل يتبين أن هذه الالات غير قادرة أصلا على خدمة المساحات المخصصة لها ــ فبالنسبة لحرث الاطيان يقف التفتيت حائلا دون وصول الجرار الى القطع المفتتة وحتى بالنسبة لتلك التى يكون فى أمكان الجرار الوصول اليها بسهولة فان تغير مواعيد الزراعة عن مالك صغير الى آخر، وضرورة تلبية طلبات كل حسب دوره يجعل من المدة التى يستغرقها الجرار فى الانتقال من منتفع الى آخر وقتا ضائعا بما يستتبع ذلك من زيادة التكاليف نفسها ·

جـ ــ وبطبيعة الحال ، فان عدم امكان استخدام الالات بطريقة منتظمة فى الزراعة بالقرية يؤثر على الانتاج الحيوانى ومنتجاته ، [وان اضطرار المنتفع الى استخدام ماشيته فىالحرث والرى يؤدى الى هزال الماشية مما يؤثر فى انتاجها ، وبالتالى يؤثر ايضا على دخل المنتج الصغير من نتاج هذه الماشية ·

د ــ تفتيت الملكية فىالقرية يستتبع وجودفارق فى مواعيد الزراعة من مالك الى آخر مما يظهر اثره جليا بالنسبة لمحصول رئيسى كالقطن مثلا حيث يؤدى ذلك الى خلق مشكلة مقاومة آفاته على مستوى القرية ــ وقد أثبتت تجربة الرش بالطائرات التى أجراها الاصلاح الزراعى فى جزء من أراضى القرية هذا العام ــ بعد النجاح الذى لاقته ــ الضرورة الملحة الى تجميع المساحات المنزرعة قطنا وضرورة التحكم فى مواعيد زراعته وبالتالى التحكم فى الاطوار المختلفة التى تمر بها دودة القطن بحيث تتم مقاومتها بنجاح ·

هـ ــ بل أن الملاحظ فى القرية أن وجود الحيازات الصغيرة بها واختلاف مواعيد زراعة كل حائز لارضه يؤدى الى اختلاف فى أنواع التقاوى المنزرعة على مستوى القرية ، اذ أن اعداد بعض الملاك لاراضيهم فى مواعيد مبكرة يحملهم على شراء تقاوى لزراعتها حيث لا تكون الجمعيات التعاونية قد تمكنت بعد من احضار تقاويها، أو تأخرت فى التسليم كما يحدث فى غالب الاحيان ·

واذا كان وجود الحيازات الصغيرة فى القرية يعتبر معوقا للانتاج فان الملاحظ أن هذه الحيازات الصغيرة تؤدى بشكلها الحاضر الى مشاكل فى التوزيع أساسها عدم تمكن الحائز الصغير من الموازنة بين المقررات المطلوب توريدها من المحصول للدولة وبين احتياجاته واحتياجات ماشيته التى تشاركه فى استهلاك الناتج من بعض المحاصيل كالاذرة مثلا ·

ولعله من المفيد الاشارة الى أن التقسيم الذى ينتهى اليه محصول أحد المنتفعين بالاصلاح الزراعى فى قرية شباس الشهداء بالنسبة للمحاصيل كالقمح والاذرة التى تزرع لدى كل منتفع فى دورة مساحتها ١٦ قيراطا كما سبق أن ذكرنا فانه يتبين من الكشفين المرفقين ان شكل التفتيت فى الملكية الذى يظهر فيه المنتفع فى شكل المنتج أو المالك يساعد على استمرار اوضاع لا يمكن أن تسمح بتطوير حقيقى للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية الى علاقات أكثر تقدما ·

بالنسبة لمحصول القمح لو أخذنا اعلى نسبة محصول فى فدان القمح بشباس الشهداء هذا

العام وهو تسعة أرادب للفدان لتبين أن المنتفع الزارع لستة عشر قيراطا فى دورة قمح يحصل على ستة ارادب على أقصى تقدير توزع كالآتى :

عدد

١٦ كيلة المقرر الواجب توريده طبقا للقوانين للجمعية على اساس ان الاستثناء من التوريد للحيازة الاقل من فدان لا ينطبق على اراضى الاصلاح الزراعى باعتبارها وحدة واحدة.

٤ **كيلات** أجر مشالٍ للجمال من الارض الى مكان الجرن الذى يدرس فيه القمح .

٤ **كيلات** أجر ضم للمساحة المذكورة .

٤ **كيلات** أجرة مدراوى .

٢ **كيلتان** مسانية [أى اجر سنوى] للحلاق .

١ **كيلة** لنجار الساقية .

١ **كيلة** للجران [أى حارس الجرن العمومى].

٢ **كيلتان** اجر سنوى للسـقا .

١ **كيلة** مسانية لخادم الجامع .

ويكون اجمالى التوزيع ٣٣ كيلة يضاف اليها ما يضطر المنتج الصغير الى التنازل عنه للفقراء من أهل القرية (كزكاة) مما يجعل المخصص لـه ولعائلته من هذا المحصول مالا يزيد عن ٣ أرادب هى مئونته طيلة العام .

فاذا لاحظنا أن عائلة المنتفع لا تقل عن سبعة أفراد على أساس التفضيل فى التمليك للاسر الكبيرة ، تبين أن هذا القدر من المحصول لا يفى قطعا بحاجة المنتج .

وما ينطبق على محصول القمح ينطبق على محصول الاذرة الذى يغل الفدان منه من سبعة الى ثمانية أرادب تقسم بنفس الشكل مع الفارق فى أن الباقى من المحصول للمنتج تشاركه ماشيته فى استهلاكه حيث لا يكون لديه فى ميعاد ذلـك المحصول من السنة ما يقيم به أود هذه الماشية الى جانب اضطراره الى مقايضة بعض هذا المحصول أو بيعه فى السوق للحصول على أنواع أخرى من الغذاء من وقت لآخر كشراء كيلو سمك أو كيلو طماطم أو كيلو بطاطس ... الخ .

ولعل من المفيد أن نلاحظ أن تفتيت الملكية بالقرية وصغر الحيازات يخلق أصلا مشكلة توزيع المساحة المنزرعة بين ما هو لازم لغذاء الماشية كالبرسيم وما هو ضرورى لاستهلاك المنتج نفسه ..

آلات الانتـــاج

تنقسم عملية الزراعة الى أربعة أقسام :

أ ـ اعداد الارض للزراعة ويشمل ذلك الرى (طفى الشراقى) ـ الحرث (فك وتنى وتثليث) والتمهيد والتخطيط أو تقسيم الارض الى أحواض واعداد فتحات الرى ـ وتقوم بذلك آلات الزراعة الثقيلة مثل الجرارات والمحاريث البدائية وهى عملية شاقة ومضنية تتطلب فى حالة المحاريث البدائية مجهودا بدنيا شاقا ولياقة بدنية عالية .

ب ـ الزراعة وهى تشمل البذار أو الشتل وتتم كلها بطريقة بدائية يدوية .

جـ ـ العناية بالنبات وهى تشمل خـل النبات (تخفيف الزرع النابت) ـ ترقيع القطع التى لم تنبت فيها البذور ـ مقاومة النباتات الطفيليـة والغريبة ـ مقاومة الافات والحشرات الضـارة والرى والعزيق وتتم كلها بطريقة يدوية .

د ـ جنى المحصول وتشمل الحصاد والجمع وتتم يدويا .

وبذلك يتضح لنا أن الميكنة الزراعية لم تدخل الا فى المراحل الاولى وهى اعداد الارض للزراعة أما بقية العمليات الزراعية الضرورية فتتم يدويا بآلات يدوية بدائية تستخدم منذ ٤٠٠٠ عام ، وحتى آلات الزراعة الثقيلة فأنها غير كافية اذا عرفنا أن جميع الالات الموجودة فى القرية تتبع ثلاثة قطاعات :

ـ جمعية الاصلاح : ٢ جرار ـ ٢ ماكينة رى ـ ١٠ موتور رش .

ـ جمعية الائتمان: ٢ جرار ـ ٢ ماكينة رى ـ ٩ موتور رش .

ـ القطاع الخاص : ٣ جرار ـ ٢ ماكينة رى .

ان جملة الاراضى المنزرعة فى شباس الشهداء التى تبلغ ٤٢٠٠ فـدان يلزم لها : ١٤ جـرارا ـ و ٢٥ ماكينة رى حسب المعدلات العادية .

أما عن الرشاشات فان أى عدد منها لا يكفى فقد اتضح أن الطريقة الوحيـدة لتجنب الاصـابة بالافات ومقاومتها هى الرش بالطائرة ـ على أن مقارنة ما هو موجود بما يلزم ، توضح لنا أن الالات موجودة بطريقة رمزية وأنها غير قادرة على اتمام التمهيد للزراعة فى المواعيد المناسبة ـ وقد يكون هناك رد تقليدى أن الفلاح يملك الماشية التى يمكن استخدامها بدلا من الالات ، على أن هذا الرد سرعان ما يتضح زيفه اذا تصورنا ماذا يستطيع الفلاح المالك هو وأسرته لفـدانين اقتناؤه من الحيـوانات ذات القدرة على العمل ، ولا شك أن تساؤلا يطرح نفسه معنا كيف يحصل الفلاح على

الالات اللازمة للزراعة ؟ ان واقع قرية شباس الشهداء يقول : لقد تكفل اغنياء القرية الذين يحوزون الالات بقصد تأجيرها بحل هذا الاشكال غير أنه حل يفقد الاصلاح الزراعى مضمونه الثورى وهو تحرير الفلاحين ـ كما أنه حل يفقد الفلاح جزءا من دخله لتحكم اغنياء القرية فى أسعار تأجير آلاتهم ، ان الفلاح الذى لا يملك الة ولا يستطيع استئجارها يقوم بالعمل البدنى الشاق الذى لا يمكن مقارنة انتاجيته بالالة ٠

الانتاج الحيواني

واذا تطرقنا للانتاج الحيوانى المكمل للانتاج الزراعى فان التجزئة فى الارض تجعل من التربية المعتمدة على الوسائل الحديثة بمثابة خرافة ـ فان تكاليف الرعاية البيطرية تبقى دائما فوق مستوى دخل الفلاح وأسرته الحائزة لفدانين ، وتزداد المشكلة تعقيدا اذا عرفنا ان الماشية والدواجن تشارك الفلاح فى غذائه الاساسى وهو ليس من الوفرة بحيث يمكن الاستغناء عنه٠ كل ذلك يفسر لنا كيف لا يوجد الانتاج الحيوانى بشكل حيوى بالقرية ٠

واذا كان ذلك ينطبق بشكل أساسى على أرض الاصلاح الموزعة على المنتفعين التى تبلغ ٢٤٠٠ فدان فان أرض الائتمان التى تبلغ ١٨٠٠ فدان وفلاحيه لا تختلف عن ذلك فان الملكية المتوسطة تعانى من نفس التفتيت فهى تزرع بطرق المشاركة والمحاصة حيث تقسم الى قطع صغيرة تـزرع بالمشاركة مع الفلاح غير المالك ٠

وبهذا نجد أن الظروف السائدة فى أرض الائتمان والاصلاح واحدة فضلا عن كون علاقات الانتاج السائدة فى أرض الائتمان هى علاقات شبه اقطاعية (المشاركة) وهى علاقات تضع عبئا جديدا على الفلاح المشارك ٠

ان قضية محورية تبرز هنا وهى أن عنصر التفتيت فى الحيازة والملكية يجعل من الزراعة بالقرية عملية متخلفة ترجع الى عشرات القرون كما يجعل من الانتاج الزراعى ومكملاته انتاجا لا يفى بحاجة الانسان بالقرية ٠

الاجهزة الادارية والفنية

من البديهى أن الدولة وهى تحاول تـوفير الخدمات للفلاحين بالقرى انما ترمى من وراء ذلك الى اشباع حاجات ضرورية لصغار المنتجين لا يمكنهم بدونها الاستمرار فى الانتاج أو على الاقل فانه من المفروض أن تؤدى هذه الخدمات الى تمكين الفلاح من زيادة انتاجه وذلك كتوفير العناية الطبية للفلاح وماشيته ، وتوعيته من ناحية طرق الزراعة الحديثة عن طريق حقول الارشاد الزراعى ومساعدته على زيادة دخله بارشاده الى احسن الطرق فى تربية الماشية والدواجن وما الى ذلك ٠

وباستعراض ما تقوم به أجهزة الخدمات بقرية شباس الشهداء يتبين أنها أبعد ما تكون عن الكمال فبالقرية وحدة مجمعة تابعة للمجلس القروى بها وحدة صحية ، وقسم اجتماعى به دار حضانة ومشغل وورشة نجارة وقسم زراعى به مزرعة أى حقل ارشادى ومصنع البان وتربية عجول ودواجن ومنحل وبرج حمام ٠

والغريب أنه بالنسبة للمستشفى وبها غرفة عمليات كاملة الاعداد فأنها لا تعمل ، اذ يكتفى طبيب الوحدة فى أوقات وجوده بالقرية بتحويل المرضى الى المستشفى بالمركز وهو ما يضطر الفلاحون أصلا الى عمله فى الفترات الطويلة لغياب الطبيب عن القرية حيث لا يكون أمامهم الا الانتقال الى المركز لمعالجة أنفسهم فى عيادات الاطباء بأجر ٠

وبدلا من أن تعالج ظاهرة غياب الطبيب عن مكانه بالوحدة فأن مجلس محافظة كفر الشيخ لم يجد لهذه الظاهرة المنتشرة بالوحدات المجمعة بالمحافظة علاجا سوى أن ينص فى أحد قراراته على جعل العلاج بالوحدة بأجر (ثلاثة قروش للكشف وثلاثون قرشا للزيارة المنزلية] تقسم حصيلتها بين الطبيب والعاملين بالوحدة ، وبين مصاريف العلاج !!

ومن الطريف أن اتخاذ هذا الاجراء اتبعت فيه الديمقراطية الشكلية حيث أوعز المسئولون فى المحافظة الى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى لمركز دسوق باتخاذ هذا القرار ، وكان طريفا كذلك أن يلاحظ الفلاحون أن بعض الاطباء وكانوا جزءا من قيادة المؤتمر التى اتخذت هذا القرار،كما تولى نقيب الاطباء بالمحافظة عرض هذا القرار والدفاع عنه ٠

واما عن دار الحضانة وهى مخصصة أصلا لخدمة أربعين طفلا فلا يوجد بها غير عشرة أطفال محظوظين هم أبناء الموظفين بالقرية ومشايخ البلد أما المشغل فليس به أى عمل ٠

وبدلا من أن تخصص المزرعة لما انشئت من أجله من زراعة محاصيل غير تقليدية فقد اكتفى القائمون عليها بتأجيرها الى بعض الفلاحين حتى تدر ما تطلبه الدولة من حد ادنى لايرادها .

اما بقية النشاط الزراعى من منحل وبرج حمام ومصنع البان فانها لاتعدو أن تكون أبنية خاوية

فيما عدا المكان المخصص لتربية العجول والدواجن حيث يقف عجل واحد ذرا للرماد فى العيون .

الفلاحون وعلاقاتهم بالمنظمات الادارية والفنية بالقرية

لعل المقولات النظرية حول اشتراك الفلاحين فى ادارة شئونهم ووعيهم أو عدم وعيهم تفتح مجالا واسعا للحوار ـ الا أن الحقائق الموضوعية بقرية شباس الشهداء كفيلة بأن توضح لنا كيف تستطيع ابعاد الواقع المعاش انارة الطريق أمام التخطيط الرشيد وكيف أن مجاوزة الواقع وعدم الاعتداد به هى السبب الاول لانحراف التخطيط عن الاهداف التى يجب أن يقوم بتحقيقها ، ومن محاولات الفلاحين بقرية شباس الشهداء لتقويم المنظمات المحلية بالقرية وجعلها أكثر جدية يذكر الفلاحون ثلاث معارك خاضوها :

● **معركة الجمعية التعاونية: (الاصلاح منها والائتمان)** : ويذكر الفلاحون أن أعضاء مجلس الادارة يجرى تعيينهم ، ولم تجر الانتخابات منذ سنة ١٩٥٩ سوى مرتين ـ كما يذكر فلاحو جمعية الائتمان ان الانتخابات ظلت تجرى بجمعيتهم كل سنتين الى أن صدر القرار الثورى رقم ١٦٥ لسنة ١٩٦١ الذى حسم مشكلة نسبة تمثيل فقراء الفلاحين من صغار الملاك والحائزين فى عضوية مجلس ادارة الجمعية بـ ٨٠ فى المائة على الاقل وبعدها لم تجر الانتخابات سوى مرة واحدة جرى بعدها تعيين الاعضاء بوساطة بعض الاجهزة البيروقراطية .....

ويقول الفلاحون ان حجة الادارة أن الفلاحين لم يحسنوا الاختيار لا تمثل الواقع اذ لم يثبت ذلك بالتجربة ، بل أن التجربة اثبتت أن المتهربين من سداد الديون وهم كبار الملاك قد استطاعوا بطريق التعيين السيطرة على كل ادارة الجمعيات . (وكان يجرى التعيين بالتنسيق بين المحافظة والمكتب التنفيذى بمراقبة الاصلاح) . ولقد بلغ الفساد بالاعضاء المعينين بهذا الشكل حدا جعل الفلاحين لا يستطيعون صبرا فدعوا الى مؤتمر حضره ممثلو الاصلاح وامين المكتب التنفيذى فى مدرسة القرية الاعدادية وجرى تحقيق واسع اقتنع بعده المشرفون على التعيين بفساد ذلك الاسلوب ووعدوا بحل مجلس الجمعية واجراء انتخابات جديدة لها ولكن شيئا من ذلك لم يتم وكان ذلك فى أكتوبر سنة ١٩٦٧ .

● **معركة الدورة الزراعية لعام ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩** : يجرى اعلان الدورة الزراعية فى أكتوبر من كل عام ، ولقد اعلن عن الدورة الزراعية والمساحات المطلوب زراعتها بالمحاصيل المختلفة فى أكتوبر سنة ١٩٦٨ ـ ولكن فى آخر فبراير سنة ١٩٦٩ أصدر سيد مرعى وزير الاصلاح قرارا بتعديل نسبة زراعة القطن من ٣٠ فى المائة الى ٥٠ فى المائة وتساءل الفلاحون كيف يمكن ذلك ـ اذ أن تطبيق هذا القرار يقتضى اتلاف الفلاحين مساحات البرسيم التى قاموا بزراعتها فعلا ، وهى غذاء الماشية الذى يعقبه زراعة الاذرة وهى غذاء الفلاح ، أو اتلاف زراعات القمح ـ وحاول الفلاحون التفاهم الا أن جميع الادارات صمت آذانها ـ وحاولت تصوير رغبات الفلاحين بالتمرد ـ غير أن المؤتمر الذى عقد بالقرية وحضره أعضاء مجلس الامة وأمين المحافظة ومندوب المحافظة كشف عن ثورية الفلاحين فقد قال الفلاحون ان ابناءهم يقاتلون بالجبهة ، وهم مسئولون عن الجبهة الداخلية وأن شيئا لا يجب أن يتم دون تخطيط ، وانه اذا اقتضى الامر أن تزرع الارض كلها قطنا فانهم سيتحملون ذلك كما تحملوه من قبل ، غير أن هناك تساؤلا : من هو المسئول عن التخطيط فى الدورة ؟ هل يمكن أن يخطىء المخطط فى اكتوبر وبعد ٤ شهور يحاول اصلاح خطئه على حساب الفلاحين ؟ وكيف يزرع الفلاحون قطنا بعد أربعة شهور من ميعاد زراعته ؟ كيف يتلف الفلاحون محاصيل لازمة لحياتهم وحياة ماشيتهم لتغطية خطأ أحد المخططين ؟ **أيخطىء أحدهم ويتحملون هم العقاب ؟** .. ورفض الفلاحون اتلاف محاصيلهم التى زرعوها بكدهم وعرقهم واعترف المسئولون الذين حضروا المؤتمر بحق الفلاحين ...

● **معركة الرش بالطائرة لمقاومة آفات القطن:** أعد المسئولون مطارا بقرية شباس الشهداء لطائرة ترش مساحات القطن بالقرية والقرى المجاورة وبعد رشة واحدة عرف الفلاحون بالقرية فائدة هذا الرش الذى فتح أعينهم على معنى الزراعة الكبيرة . ولقد صاحب رش الطائرة حملة اشاعات من المشرفين على الزراعة بالقرية فضلا عن كبار الملاك عن أهلاك الماشية والافراد والدواجن ولكن شيئا من ذلك لم يحدث بل أحس الفلاحون أن سلاحا جديدا دخل فى معركتهم مع آفات القطن ـ لقد سقطت أمامهم دعوى الرجوع الى الطرق البدائية التى روجت لها مصادر كبيرة فى وزارة الزراعة ـ وكان الذين يستفيدون من التجارة بالمبيدات الحشرية ويتقاضون الرشاوى من أجل تكثيف الرش وقفوا بالمرصاد . فقد استكتب بعض الفلاحين طلبات بوقف الرش بالطائرة لاهلاكها للمحصول والدواجن ولتسميم الاطفال ، وأوقف **المسئولون الطائرة عن الرش وأصبح الفلاحون**

فماذا بالرشاشات تحل محل الطائرة ؟ وعلم الفلاحون بما حدث فلم يسكتوا بل احتجوا وارسلوا برقيات يطلبون أستئناف الطائرة للرش وكونوا وفودا ذهبت الى مراقبة الاصلاح بدسوق ثم الى المديرية بكفر الشيخ واحتجوا على ايقاف الطائرة واضطر المسئولون تحت ضغط الفلاحين الى أستئناف رش الطائرة وبين تهليل الفلاحين لهدير الطائرة وهى تمر فوقهم تبشر بالخير المقبل لمحصول ينجو من الافات استمع الفلاحون لاحد المسئولين يقول : « **أصل الفلاح يحب الهوجة وماعندوش وعى وغير متقدم** » وكان طريفا ان يرد احد الفلاحين : « بقى احنا ماعندناش وعى علشان بنطلب رش الطائرة وغير متقدمين من أجل المطالبة باستخدام الآلة ، وأنتم متقدمين لانكم تطلبون العمل اليدوى لتنقية لطع الدودة باليد » .

وبالطبع أن تقارير المسئولين لا تحمل الا أن الفلاحين بشباس الشهداء مشاغبون ومخربون ، ويبقى تاريخ هؤلاء الفلاحين دون تسجيل كى يكذب ما يشاع فى الدوائر الرسمية عن تخلفهم وجهلهم .

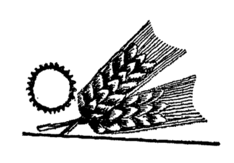
ان ذلك يضع فى دائرة النور قضية محورية أخرى وهى أن أشراف الفلاحين على المؤسسات التى تقدم لهم الخدمات شرط ضرورى لقيام هذه المؤسسات بمهامها ـ كما أنه يبرز أن الصراع بين البيرقراطية والجماهير لا يأخذ شكل الشغب الذى تحاول البيرقراطية الصاقة به وانما هو الطريق الوحيد لاكساب المؤسسات القائمة فى القرية مضمونها الثورى .

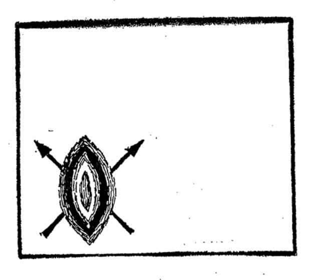
ان واقع قرية شباس الشهداء يوضح لنا قضيتين أساسيتين :

● **أن تفتيت الملكية** والزراعية الصغيرة لايجدى معها تنسيق الدورة الزراعية ، او بما يسمى بالزراعة المنظمة ، انما لابد من بحث عن شكل أحدث وأرقى للزراعة .

● **أن تفتيت الملكية** والزراعة الصغيرة لايجدى بالمزرعة الرأسمالية الكبيرة ،والاشتركية قد حلت هذه المشكلة بالمزرعة التعاونية فلننظر لبديل عن تفتيت الارض عندنا .

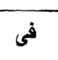
● **أن أشتراك الجماهير** فى ادارة مؤسساتهم شرط ضرورى وجوهرى لقيام هذه المنظمات بمهامها وأن الوصاية مهما تعددت أشكالها وأهدافها قد سقطت نهائيا ولا بديل لها الا الجماهير نفسها فى حركتها من أجل المستقبل .





الجذور التاريخية لمشكلة جنوب السودان

محمد سليمان
سفير السودان بالقاهرة



في صبيحة اليوم الثامن عشر من شهر أغسطس عام ١٩٥٥ قام الجنود الجنوبيون وعددهم ١٣٧٠ من الاورطة السودانية المرابطة في الجنوب وعددها ١٧٧٠ والتى نيط بهـا حراسة المديرية الاستوائية في حدود السودان الجنوبية .. قاموا بتمرد مسلح في مدينة توريت بالضفة الشرقية للنيل ، وسرعان ما انتقل التمرد المسلح الى بقية أجزاء المديرية الاستوائية وبقية الجنوب وأريقت دماء أعداد وفيرة من الشماليين - ضباطا وتجارا وموظفين - وذبحوا ذبح الشياه ، ولولا يقظة بعض الضباط الشماليين وارسال الحكومة المركزية لوحدات من فرق الجيش من الشمال لوقعت الكارثة ، وانفصل الجنوب عن الشمال ، وتحققت الامنية التى ظل الاستعمار البريطاني يعمل لها منذ أن جثم على صدر البلاد في سبتمبر عام ١٨٩٨ .

لقد تفجر اللغم الموقوت بعد يومين فقط من اعلان البرلمان السوداني في ١٦ اغسطس ١٩٥٥ جلاء الجيوش الاجنبية ، تمهيدا لاتخاذ التدابير لممارسة حق تقرير المصير وفق اتفاقية القاهرة عام ١٩٥٣ ، واستمر التمرد منذ تلك اللحظة ، ولمدة خمسة عشر عاما ، بل ولا زال يتخذ مختلف المواقف حتى بلغ وقتاما حرب عصابات تمونها اسرائيل وألمانيا الغربية والكنيسة الكاثوليكية ، وفي كل هذه الحالات كان وما زال يستنزف الكثير من الاموال والانفس .

ان السودان لهو أوسع بلاد أفريقيا ، اذ تبلغ مساحته مليون ميل مربع يشغل الجنوب منها الثلث بغاباته وأحراشه الكثيفة وثرواته الزراعية والحيوانية ، ويقدر سكان السودان بأربعة عشر مليونا من الناس موزعين كالاتى :

٣٩ في المائة قبائل عربية في السودان الشمالي .
٣٠ في المائة زنوج يسكنون في السودان الجنوبي .
٢١ في المائة قبائل زنجية حامية تسكن السودان الشمالي .
١٠ في المائة أجانب ، الاغلبية العظمى منهم من شمال نيجيريا .

وهكذا فان الجنوبيين يشكلون ثلث سكان السودان وتتعدد فيه القوميات .

وجنوب السودان ذو أهمية سياسية واقتصادية واستراتيجية ويمثل حلقة هامة من وادى النيل هذه الاهمية التى يدركها تماما الاستعمار العالمي واسرائيل والمؤسسات الكنسية المختلفة التى ثبت أنها تغدق المال الوفير للمتمردين الجنوبيين الذين يتلقون تدريبهم العسكرى في اسرائيل نفسها ولذلك فان حركة التمرد القائمة الان في جنوب السودان والتى بدأت منذ عام ١٩٥٥ حركة تعمل بايعاز من الخارج .

كان التمرد في أيامه الاولى يهدف الى عزل

السودان وابقائه تحت حكم بريطانيا ولكنه اليوم يهدف الى فصل السودان وخلق بيافرا أخرى ، واقامة نظام معاد للتقدم فى السودان وللجمهورية العربية المتحدة وللامة العربية ومتعاون مع اسرائيل والمانيا الغربية والامبريالية العالمية .

ان قادة الانفصال والتمرد الجنوبيين فى كل نشاطهم ومذكراتهم ودعاياتهم لا يهاجمون الاستعمار بل يهاجمون الامة العربية والاسلام والدول الافريقية المتحررة ، انهم يعارضون الوجه العربى للسودان ولا يريدون الاتصال بالعرب ويعملون لمحاربة اللغة العربية بهذا فهم ليسوا غير أداة من الادوات الطيعة للاستعمار العالمى .

لقد استنزفت حركة التمرد فى جنوب السودان الكثير من الجهود السياسية والاقتصادية كما وأنها عاونت بشكل رئيسى على استمرار التخلف فى الجنوب والشمال على السواء واضحت سببا رئيسيا من أسباب الازمة الاقتصادية فى السودان ، ونسبة لان الحركة السياسية الوطنية فى الجنوب لم تكن فى يوم من الايام فى مستوى الحركة السياسية الجماهيرية فى الشمال فان قيام حركة سياسية متقدمة واعية ملتزمة بالوحدة أمر ضرورى لتحقيق الحكم الذاتى .

والان هذه محاولة متواضعة لالقاء بصيص من الضوء على الجذور التاريخية لهذه المشكلة التى يغذيها الاستعمار العالمى والصهيونية ،ولا تفوقها خطورة فى وطننا العربى غير وجود اسرائيل فى قلب الوطن العربى .

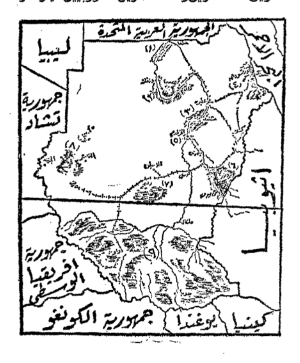
خلفية تاريخية

فى القرن السابع من الميلاد خرج العرب من الجزيرة العربية يفتحون البلدان والامصار ويحملون رسالة الاسلام وقصدوا ضمن ما قصدوا مصر وفتحوها فى عام ٦٤١ م بقيادة عمرو بن العاص فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وكان قوام جيشه عرب جهينة من قضاعة التى تنحدر من عرب بنى قحطان وكان ذلك الفتح ايذانا بعهد جديد فى افريقيا ، ولم تعد مصر دولة عربية وحسب بل أصبحت نقطة ارتكازخرجت منها الجيوش العربية الفاتحة وأخذت سيول العرب تتدفق وهجراتهم تتلاحق على أفريقيا الوسطى حتى شهد التاريخ بعد بضعة قرون من فتح مصر قيام حكومات أسلامية فى تلك البقاع كاد سلطانها أن يمتد على طول الحزام الافريقى من المحيط الاطلسى الى المحيط الهندى .

وكانت القبائل العربية تصعد أرض السودان من مصر فى موجات متلاحقة متفاوتة بلغت مداها فى العصر المملوكى فى مستهل القرن الثانى عشر ، وكانت هذه القبائل الوافدة تتأقلم رويدا رويدا فى البيئة الجديدة ، وتتصل بالسكان المحليين وتعيش بينهم وتتزاوج منهم وتؤثر عليهم بحكم عملية الثقافة الاسلامية واستمرت عملية التسرب هذه والمصاهرة زهاء سبعة القرون حتى اذا كان القرن السادس عشر الميلادى قامت فى السودان دويلات اسلامية اشهرها وأبعدها أثرا دولة سنار نسبة الى مقرها سنار والتى ما زال يعرف السودانيون فى بعض البلدان العربية بالسناريين وما زال الازهر الشريف الى يومنا هذا يخصص رواقا للسودانيين يعرف برواق السنارية ، وأيضا يطلقون عليها مملكة الفونج نسبة الى الاسرة العربية الزنجية الحاكمة آنذاك ، وفى السودان يسمونها بالسلطنة الزرقاء أى السوداء .

ظلت دولة الفونج تحكم السودان أكثر من ثلثمائة عام من ١٥٠٤ الى ١٨٢١ على أساس قبلى اقطاعى ، حتى قوض أركانها محمد على باشا والى مصر وتم له فتح السودان وأخذ السودان ولاول مرة يحكم حكما مركزيا ادراته فى الخرطوم ، وارتبط السودان بما كان يجرى فى مصر .

وتتابعت البعوث الاوروبية الى السودان فى محاولات ظاهرها استكشاف منابع النيل ، وبالرغم من أن نهر النيل العظيم كان يثير حافز العلماء والمؤرخين منذ عهد هيرودتس بل وقبله الى عهد الرحالة العرب فقد ظلت منابعه مجهولة وظل ذلك الجزء من جنوب السودان والذى تنحدر منه مياه النيل تباعا لذلك مجهولا طيلة تلك الاماد حتى وفق المستكشفون اسبيك وفرانت وبيكر والجمعية الجغرافية الملكية باستكشاف تلك المناطق فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وفتح الطريق للمغامرين والمستعمرين الاوربيين ليتوغلوا



فى قلب القارة السوداء كما هو معروف (١)

وأصبح جنوب السودان من ممتلكات خديوى مصر كما كانوا يقولون وأصبحت حدود السودان الجنوبية يحدها خط العرض الثالث ولم تستطع القبائل العربية الرعوية ان تتوغل فى تلك البقاع الجنوبية مثلما كانت تفعل فى الشمال ، فقد كانت ظروف الطبيعة والمناخ تحول دون تجوالها واقتحامها .

وفى عهد اسماعيل باشا كثر تكاثر عدد الاوروبيين فى مصر والسودان حتى كان اغلب حكام السودان ومديرياته أوربيين أمثال غردون وجسى وسلاطين وجفلر وشنتزر (الملقب بأمين باشا) ، وفى ظل العهد الخديوى فى السودان أخذ المبشرون المسيحيون الغربيون يعملون فى حرية فى السودان لنشر المسيحية فى السودان باعتباره النافذة التى يمكن أن يلجوا منها الى بقية أفريقيا شرقها وغربها وجنوبها .

تجارة الرقيق .. وثورة المهدى

غير أن الظاهرة الخطيرة التى تميز بها حكم محمد على باشا وأسرته فى السودان تكمن فى انتشار تجارة الرقيق فى تلك البقعة من أرض السودان ، فقد كان محمد على باشا شخصيا يشجع تجارة الرقيق وارسال الزنوج السودانيين لمصر لينخرطوا فى سلك الجندية حماية لحكمه ، وسرعان ما قامت الشركات والبيوتات التجارية الاوروبية والمصرية واتخذوا لهم عملاء سودانيين منهم الزبير رحمة الذى أغار على اقليم دار فور وضمه للحكومة الخديوية حيث منحته لقب الباشوية ، وكان لتجار الرقيق الاجانب نفوذ فى عهد الحكم الخديوى فى السودان خاصة فى الفترة من ١٨٤٠ - ١٨٦٠ ووجد هؤلاء النخاسون حماية كافية فى الامتيازات الاجنبية ، وكان يقف خلفهم سندا لهم فى الخرطوم قناصل دولهم الذين فتحت لهم مكاتب فى الخرطوم ، وأصبحت لتجارة الرقيق محطات وأسواق فى الجنوب ، وبالرغم من أن محمد على باشا أصدر تعليماته الى ولاته فى السودان بمنع تجارة الرقيق تحت ضغط من بريطانيا بعد مؤتمر فينا عام ١٨١٥ وكذلك وقعت اتفاقية منع تجارة الرقيق بين بريطانيا ومصر فى عام ١٨٧٧ ، الا ان تجارة الرقيق ظلت قائمة طيلة فترة الحكم الخديوى فى السودان « ١٨٢١ - ١٨٨٢ »

كان بعض الولاة الاجانب الذين حكموا السودان باسم الخديوى مثل غردون يشددون نكيرهم على تجار الرقيق الذين بلغوا درجة من القوة تحدوا بها الادارة المركزية وفرضوا نفوذهم على بعض المناطق فى جنوب السودان .

ثم قامت فى السودان ثورة وطنية بقيادة المهدى ضد الحكم الخديوى التركى ، وبالرغم من أن المهدى كان مدفوعا فى حكمه بنزعة دينية الا أنه لم يستطع أن يوقف تجارة الرقيق كما تقتضى تعاليم الاسلام وعاد السودان الجنوبى كما كان موردا هاما لتجار الرقيق فى فترة الحكم الوطنى ، وظلت المهدية تحكم السودان بضعة أعوام ، وكان الاستعماريون منذ احتلالهم لمصر يعدون العدة لاحتلال السودان ، وعندما اكتملت استعداداتهم قضوا على الدولة المهدية بعد مقاومة استغرقت عامين من الزمان ، وبعد ان اقنعوا الدول الاستعمارية الاخرى بأن حملتهم على السودان ليست احتلالا له وانما حملة لاسترجاع ممتلكات الخديوى ، وأخذ البريطانيون والاستعماريون يحكمون السودان وفق اتفاقية ١٨٩٩ التى ابتدعتها عبقرية اللورد كرومر والتى أطلقوا عليها اتفاقية الحكم الثنائى والتى جعلت من الحاكم العام البريطانى حاكما مطلقا على السودان وهى التى بسببها لقى بطرس باشا غالى الذى وقع نيابة عن مصر مصرعه على يد شاب مصرى .

الحكم الاستعمارى

دخل السودان فى طور جديد من تاريخه وارتبط فيه ببريطانيا ارتباطا وثيقا وأخذت الادارة الاستعمارية تنشىء دواوينها وتنظم أعمالها وتخط مشروعاتها الاقتصادية وتفرض ضرائب على الناس وتقهر السكان الذين فجروا ثورات محلية هنا وهناك على أساس قبلى ودينى .

أما جنوب السودان وحده فقد كانت ثوراته القبلية ضد الادارة الاستعمارية لم تفتر لحظة واحدة فى عام ١٩٠٢ و ١٩٠٧ و ١٩١٠ و ١٩١١ و١٩١٤ و١٩١٦ و١٩١٩ و١٩٢٠ و١٩٢٠ و١٩٢٢ و ١٩٢٣ و ١٩٣٤ و ١٩٢٨ (١) .

كان الوضع فى الجنوب يمثل مجتمعا قبليا قبل مجىء البريطانيين ومع البريطانيين دخلت النقود كوسيلة للتجارة والمبادلة وقامت الاسواق وتدفقت السلع ونشأت المدن الكبيرة وخلقت ظروف جديدة فرضت تبعاتها على مجتمع لم يألفها بل ولم يسمع بها ذلك المجتمع ، وأدخلت الادارة الاستعمارية نظام المحاكم وفتحت السجون وعملت نظام السخرة ، والضرائب يدفعها الجنوبيون من أبقارهم التى ينظرون اليها وكأنها كل شىء بالنسبة لهم، لقد كانت حياة ذلك المجتمع تحتفظ بعناصر بقائها ولم تعترها أسباب الفناء ، ولذلك لم تكن فى نظرهم بحاجة الى تبديل (٢)، ومن هنا نشأ

(١) السودان الجنوبى صفحة ١٩ س م.ع . بشر
(٢) صور من البطولة صفحة ١٣٠ ـ محمد سليمان
(٣) محاضرة السيد جوزيف فرانق وزير شئون الجنوب فى مجلس العموم البريطانى فى ١٩٧٠/٤/١٦ بدعوة من لجنة تحرير المستعمرات

التناقض الحاد بين النظام الاستعمارى الجديد والمجتمع القبلى البدائى فى الجنوب ، وقامت الانتفاضات القبلية خاصة بين قبيلتى النوير والدينكا وقد استعملت الادارة الاستعمارية من أسباب الوحشية والعنف فى قمع تلك الانتفاضات خاصة ثورة اكتوبر عام ١٩٢٨ ما يندى له الجبين ، وسخرت كل امكانياتها العسكرية ، بل استعانت بسلاح الطيران الملكى البريطانى ليمطر القرى الجنوبية الموت الزؤام .

أخذت الادارة الاستعمارية ترسم سياستها وحبائلها التى تقوم على القول المأثور (فرق تسد) فعملت لتباعد بين السودان بأكمله وبين مصر وبين شمال السودان وجنوبه ، ووضعت نظاما محكما دقيقا أغلقت به الجنوب عن الشمال ، وجعلت المديريات الجنوبية الثلاث تخضع لنظام فى الادارة يختلف عنه فى الشمال وحددت منطقة حراما بين الشمال والجنوب لا يتعداها أى من القبائل الجنوبية أو الشمالية وجعلت منها اقليما منفصلا بهدف البعد به عن الشمال العربى ، وتركت التعليم برمته فى الجنوب للارساليات المسيحية لا فى نشر التعاليم المسيحية التى تنأى بالمسيحى عن الاثام والرذيلة والحقد وما يعلق بالنفس من أوضار ، ولكن لبث الفرقة بين الجنوبى وأخيه الشمالى ، وأخذت الادارة الاستعمارية ترغم الجنوبى على البعد عن كل مظهر يقربه من الشمالى فى المأكل والملبس والعادات ، وأرغمته على التخلى عن الاسماء العربية واتخاذ اسماء محلية وكنسية ، وحرمت استعمال اللغة العربية ، وأدخلت اللغة الانجليزية لغة التعليم فى الكنائس والتخاطب وجعلت العطلة الاسبوعية الرسمية يوم الاحد بدلا من الجمعة ، وعكفت (٤) التعاليم الكنسية تستغل شعور الناس البسطاء وتلعب بعواطفهم وتصور لهم الشمالى المسلم تاجرا للرقيق فى الماضى ووصفته لهم مستبدا لا يرضى الا باستعبادهم فى المستقبل فأصبح الجنوبى يعتقد أن كلمتى شمالى وإسلام مترادفات للعبودية والاسترقاق والظلم وأبشع أنواع الاضطهاد (٥) **ولم تخف الادارة الاستعمارية سياستها تلك بل أوضحتها فى مذكرتها للجنة ملنر ، بأن سياستها أن تبعد السودان الجنوبى عن أى أثر اسلامى مع عزل الجنوب من السودان الشمالى وضمه لشرق أو وسط أفريقيا ، وقد أوصت لجنة ملنر بما جاء فى مذكرة الادارة الاستعمارية فى السودان ، وتنفيذا لهذه السياسة صدر قانون المناطق المقفولة لعام ١٩٢٢ الذى بموجبه أصبحت المديريات الجنوبية وبعض أجزاء المديريات الاخرى مقفلة ، وأعطى الحاكم البريطانى المختص سلطة منع أى مواطن سودانى من الدخول أو البقاء فى تلك المناطق .**

وعقب الحرب العالمية الاولى نهض المثقفون السودانيون من ابناء الشمال الذين تخرجوا من مدارس الادارة الاستعمارية ، ليجابهوا الحكومة الاجنبية متجاوبين مع مصر ومع ثورتها الامر الذى اقض مضاجعها وخاصة عندما قام الضباط الوطنيون بثورة مسلحة ضد الادارة الاستعمارية فى نوفمبر عام ١٩٢٤ ، كانت قيادة الحركة الوطنية والثورة المسلحة كلها من سودانين يتحدرون من قبائل جنوبية ، فعلى عبد اللطيف زعيم جمعية اللواء الابيض كان من قبيلة الدينكا ، وحسن فضل المولى ، وثابت عبد الرحيم ، وعبد الفضل الماظ الذين قادوا الثورة المسلحة فى نوفمبر عام ١٩٢٤ كلهم كانوا ينتمون الى قبائل جنوبية .

وعكف البريطانيون يولون الجنوب اهتماما اكثر ، فقد أرسل السكرتير الادارى لحكومة السودان توجيهاته (٦) لمديرى المديريات الجنوبية وفحواها العمل على بناء عدد من الوحدات العنصرية أو القبلية يكون لها طابعها ونظامها الخاص القائم على أساس التقاليد المحلية ويقضى تطبيق هذه السياسة أن يقوم غير المتكلمين باللغة العربية بالوظائف الادارية والكتابية والفنية وأن توقف هجرة التجار الشماليين الى الجنوب .

وقد ترتب على ذلك :

١ ــ **نقل كل الموظفين** الاداريين والفنيين والكتبة من الشماليين الذين يعملون فى الجنوب .

٢ ــ **لا يمنح التجار** الشماليون رخصا تجارية وترحيل الذين يعملون بالتجارة فى الجنوب الى الشمال وأن تمنح الرخص التجارية لليونانيين واللبنانيين .

٣ ــ **ترحيل جميع المسلمين** من الشماليين الى الشمال .

٤ ــ **محاربة الاسلام** وطرد المسلمين من الاجناس الاخرى كالفلاتة والهوسا من قبائل نيجيريا الذين يقطنون فى الجنوب .

٥ ــ **منع تدريس اللغة العربية** بمدارس الجنوب .

٦ ــ **جعل اللغة الانجليزية** لغة التخاطب كلما كان ذلك ممكنا .

٧ ــ **اغلاق المحاكم الشرعية** بكل انحاء الجنوب

---

(٤) تقرير لجنة تقصى الحقائق عن المديريات الجنوبية ــ الجمعية التأسيسية ١٩٦٦
(٥) السودان الجنوبى صفحة ٤١ م٠ع٠ بشر
(٦) التجربة الديمقراطية وتطور نظام الحكم فى السودان صفحة ٥٩١ ــ د٠ ابراهيم موسى .

وكانت الادارة الاستعمارية تغدق من الاعتمادات والاعانات المالية للارساليات المسيحيـة الشيء الكثير .

هذا ما كانت تقوم به الادارة الاستعمارية فى الجنوب فى الوقت الذى كانت تفتح فيه المدارس فى السودان الشمالى ليتخرج منها متعلمون يعملون فى الوظائف الدنيا لتسيير دولاب الحكومـة ، ووضعت مشروعات زراعية لزراعة القطن وبعض المحصولات ، وربطت السودان الشمالى بشبكة من المواصلات لنقل تلك الصادرات لبريطانيا العظمى : وولدت تبعا لذلك ظروف جديدة وطبقة جديدة فى حين أغلقت الجنوب ولم تكن فى حاجة لخيراته لاستثمارها بل أبقت عليها احتياطيا وعنـد الحاجة .

وتحركت الطبقة الجديدة فى شمال السودان واتجهت نحو مصر التى فتحت صدرها للطلاب السودانيين وعملت لنشر التعليم فى شمال البلاد ، وأمام تلك الهبة الوطنية وما تؤديه مصر فى ميدان التعليم للسودانيين اضطرت الادارة الاستعمارية أن ترفع من مستوى مدارسها وبدلا من مدرسة ثانوية واحدة كانت بالبلاد قبل الحرب العالمية الثانية فتحت مدارس ثانوية أخرى وطورت كلية غردون لتكون كلية جامعية وهكذا وضحت الفوارق بين الشمال والجنوب فلم يجد المواطن الجنوبى تلك الفرص الضئيلة التى وجدها صنوه الشـمالى وأصبح ينظر الى نفسه كمواطن من الدرجـة الثانية .

سياسة جديدة

هرع المثقفون السودانيون فى الشمال ينظمون **انفسهم** فى تنظيم اطلقوا عليه مؤتمر الخريجين نسبة الى خريجى المدارس وتشبها بالمؤتمر الهندى فى آخر الثلاثينيات وفى مستهل عام ١٩٤٠ زار السودان على ماهر باشا رئيس وزراء مصر آنذاك وتقدم مؤتمر الخريجين بمذكرة له حول بعض المطالب الاصلاحية وجاء فى المـذكرة عـن الجنوب « أن من واجب مصر أن تخصهم بنصيب من العناية فتلفت نظر الجمعيات الخيرية والمعاهد الدينية المصرية للعمل فى الجنوب من حيث التبشير بالدين الاسلامى ونشر اللغة العربية حتى يتسنى للجزء الجنوبى أن يتمشى فى ثقافته مع الجزء الشمالى » .

كانت هذه هى نظرة المثقفين الشماليين الى مشكلة الجنوب فى ذلك الحين .

وفى عام ١٩٤٢ أرسل مؤتمر الخريجين العام مذكرة سياسية للادارة الاستعمارية حوت مطالب هامة منها حق تقرير المصير للشعب السودانى وفيما يختص بالجنوب نادت المذكرة بالغاء قانون المناطق المقفولة وازاحة العوائق أمام التجـار الشماليين فى الجنوب وايقاف الاعانات المالية التى تدفع للارساليات المسيحية وتوحيد مناهج التعليم فى الشمال والجنوب .

وأمام مطالب المؤتمر السياسية انشأت الادارة الاستعمارية مجلسا استشاريا عام ١٩٤٤ لشمال السودان فقط دون جنوبه تأكيدا لسياستها الرامية لفصل الجنوب عن الشمال ، ولكن مـؤتمر الخريجين قاطع ذلك المجلس الذى لم يكتب له العمر الطويل كما كان يود الاستعماريون البريطانيون .

وفى عام ١٩٤٤ اثار السير دوجلاس بتوبولو السكرتير الادارى لحكومة السودان اعادة النظر فى سياسة الحكومة نحو الجنوب على ضـوء التطورات السياسية المحلية والخارجية ، وفـى المذكرة التى بعث بها الحاكم العام البريطانى الى المندوب السامى فى مصر اقترح ثلاث نقاط تقوم عليها السياسة نحو الجنوب وهى :

١ ـ وحدة الجنوب مع الشمال (٧) .

٢ ـ أو وحدة الجنوب فى شرق أفريقيا .

٣ ـ أو وحدة بعض أجزاء الجنوب مع الشمال والاخرى مع شرق أفريقيا .

وهكذا يبدو واضحا أن الادارة الاستعمارية أقلعت عن سياستها الاولى فى عام ١٩٣٠ والتى كانت تقوم على أن ينفصل السودان الجنوبى ويكون وحدة قائمة بنفسه ، ثم دعت الادارة الاستعمارية الى مؤتمر للاداريين عقد فى الخرطوم فى عام ١٩٤٦ حيث أوصى بقيام جمعية تشريعية على غرار الجمعية التشريعية التى كانت قائمة فى مصر فيما قبل الحرب العالمية الاولى وكذلك دعا السكرتير الادارى لحكومة السودان لمؤتمر اشترك فيه بعض من السودانيين شماليين وجنوبيين فى ١٢ يونيو عام ١٩٤٧ اطلق عليه مؤتمر جوبا عاصمة المديرية الاستوائية وقد أوصى المؤتمر بوحدة السودان بعد مناقشات حادة عاصفة وهكذا رضخ البريطانيون

---

(٧) السودان الجنوبى صفحة ٦١ م٠س٠ بشر

ظنا منهم أن أعوانهم فى الشمال والجنوب سيشكلون قوة حقيقية فى المؤسسات الدستورية الصورية التى أنشأوها وفعلا قامت الجمعية التشريعية فى عام ١٩٤٨ وقد قاطعها الشعب السودانى ولم يشترك فى الانتخاب لها الا ما يعادل ٢ فى المائة من مجموع الناخبين **ونجحت سياسة البريطانيين** اذ ضمت الجمعية أصدقاءهم والمتعاونين معهم من ابناء السودان شماله وجنوبه .

وبالرغم من أن الجمعية التشريعية كانت فى الواقع مطية ذلولا للادارة الاستعمارية حيث كانت مجردة من كثير من السلطات الا أن وزير المعارف السودانى آنذاك سجل عملا طيبا باصراره على تدريس اللغة العربية فى مدارس الجنوب وجعلها اللغة الرئيسية هناك ووضع خطة لانتقال المدارس من أيدى المبشرين المسيحيين الى وزارة المعارف وتوحيد مناهج التعليم بين شطرى البلاد .

الجنوب والحكم الوطنى

بقيام ثورة يوليو فى مصر دخلت قضية الجنوب بل قضية السودان بأسره طورا جديدا حاسما فى تاريخها ، ففى المفاوضات التى أجرتها حكومة الثورة مع الحكومة البريطانية كان الجانب البريطانى يعمل لفصل الجنوب عن الشمال ، وعندما كان المفاوض المصرى يعترض على ذلك لجأ الجانب البريطانى الى ان يمنح الحاكم العام سلطات فى دستور الحكم الذاتى بل قال السفير البريطانى فى جلسة المفاوضات فى ٩ ديسمبر ١٩٥٢ « **ان لنا غرضين : اولهما أن ينضم الجنوب الى باقى السودان فى المرحلة التالية، ونعتقد ان ذلك لا يتم الا عن طريق القضاء على مخاوف الجنوبيين اذ لا شك أن فى تاريخهم الماضى ما يبرر اثارة هذه المخاوف عندهم وهى مخاوف صحيحة وقائمة فعلا، اما الغرض الثانى فهو أن نتأكد من أن الجنوب سيمنح الشمال ثقته فى أثناء فترة الانتقال ، اننا نريد توحيد السودان وتحقيق ذلك لا يأتى الا عن طريق استعادة ثقة الجنوب بالشمال ، ونقترح أن نوفر بعض الحماية للجنوب ، والصيغة التى وضعها الجانبان لا تؤكد ما يدل على أن الحاكم العام يستطيع أن يطمئن الجنوب على ما يريد، وكذلك رئى أن ترفع هذه المسألة من الدستور وتوضع فى الاتفاق المشترك ، ولكن وضع الجنوب مسألة داخلية ، ولا يجب أن ترفع من الدستور ثم ان الصيغة لا تعطى الحاكم العام السلطات الكافية لمواجهة مسئوليته فى ادارة الجنوب وفى رأينا انه لو توافرت له هذه السلطات لعاون ذلك على اتمام الوحدة بين الجنوب والشمال ونحن مقتنعون كل الاقتناع أن الاشارة صراحة الى مسئوليات الحاكم العام أمر يجب أن يتضمنه الدستور وسنوافق على أن يكون أمر مسئوليات الحاكم العام فى الجنوب خاضعا لمشورة اللجنة (لجنة الحاكم العام) فان من واجبنا ان نكفل طمأنينة الجنوب (٨) .**

ونجح المفاوض المصرى وتم توقيع اتفاقية القاهرة ١٩٥٣ التى قام بمقتضاها الحكم الذاتى فى السودان ، وعندما اتجه البرلمان السودانى لاعلان الاستقلال فى ديسمبر عام ١٩٥٥ وقف السياسيون الجنوبيون وهم الذين أرضعتهم الارساليات التبشيرية ، وأعدهم الاستعمار البريطانى وقفوا موقفا معارضا فى البداية ووضعوا مطلبا اساسيا ليكون عليهم الجنوب فى المستقبل وهو قيام اتحاد فيدرالى بين الشمال والجنوب .

ثم اعلن استقلال السودان من داخل البرلمان فى يناير ١٩٥٦ وكانت حصيلة الادارة الاستعمارية مدة حكمها للسودان زهاء الستين عاما فى الجنوب ٥ جامعيين ومدرسة ثانوية واحدة وعددا محدودا من خريجى الثانويات فقط فى حين كان السودان الشمالى قد أصاب تقدما ملحوظا فى شتى الميادين ، وبقى الجنوب فى حالة البدائية بعيدا عن أى أثر للرقى والتقدم وهكذا ورث الحكم الوطنى فى السودان عديدا من المشاكل كان ومازال على رأسها مشكلة الجنوب التى أخشى ان اقول بأنها هى احدى مشاكل افريقيا الكبرى اليوم .

وظلت الحكومات الحزبية المتعاقبة فى السودان لاتنظر الى قضية الجنوب بماتستحق من دراسة واهتمام الا بالقدر الذى يضمن لها أصوات النواب الجنوبيين وهؤلاء كانوا سلعا تباع وتشترى فى سوق النخاسة السياسية فقد كان النواب الجنوبيون يتقلبون يمنة ويسرة تارة مع هذا الحزب ومرة مع الاخر وبأبخس الثمن .

وعندما فشلت الحكومات الحزبية التى كانت تحكم السودان على هدى الديمقراطية الليبرالية وامام قوة الرأى العام السودانى المتطلع للتطور والتقدم سلم سكرتير حزب الامة ورئيس الوزراء

(٨) النهر الخالد صفحة ٢٧١ . الدكتور على ابراهيم عبده

وأسرة المهدى الحكم لقيادة الجيش السودانى فى ١٧ نوفمبر عام ١٩٥٨ التى حين تسلمها للسلطة فرضت حالة الطوارىء فى كل أنحاء البلاد وساقت المواطنين الى السجون والمعتقلات والمشانق ، ولجأت الى حل مشكلة الجنوب بالعنف والقوة مما اضطر الالاف من أبناء الجنوب ليهجروا قراهم ويهربوا الى البلاد المجاورة كالكونغو واوغندا وكينيا وافريقيا الوسطى ، وفتحت الطريق للتبشير الاسلامى الا أن الجنوب كان خاويا خاليا من أهله ولم تستطع تلك السياسة سياسة القهر والعنف والتبشير الاسلامى أن تأتى أكلها بل على العكس زادت المشكلة حدة وتفاقما .

واستطاع بعض المثقفين من أبناء الجنوب الهاربين من الحكم العسكرى أن يكونوا تنظيمات لهم فى يوغندا وسرعان ما هرعت الكنيسة واسرائيل والمانيا الغربية لتمدهم بالسلاح والمال حتى استطاعوا فى عام ١٩٦٣ أن يشنوا حرب عصابات من حدود أثيوبيا ويوغندا والكونغو ، وقد اتسع نشاط المتمردين الجنوبيين حتى بلغ مداه فى عام ١٩٦٤ (٩)، وقد قام الحكم العسكرى بطرد جميع القساوسة الاجانب الذين ظلوا يعملون فى السودان ويغرسون بذور التفرقة والشقاق فى السودان بعد ان تأكد لديه نشاطهم المعادى وتعاونهم مع المتمردين الجنوبيين ، الا أن هؤلاء القسس نقلوا نشاطهم الى الدول الافريقية المجاورة ، وأخذوا يعاونون المتمردين عن طريق حكوماتهم فى أوروبا وفتحوا المجال لقادة التمرد والمثقفين الجنوبيين للسفر الى دول غرب أوروبا لنشر أفكارهم المسمومة هناك .

رفض الساسة الجنوبيون التعاون مع اليسار السودانى الذى كان يعمل بكل جهده السرى والعلنى للاحاطة بالحكم العسكرى، وكان اليسار السودانى التنظيم الوحيد الذى كان ينظر الى مشكلة الجنوب نظرة علمية ، وكان ينبه الاحزاب السودانية الحاكمة الى خطورة سياستها العشوائية نحو الجنوب، وقد أعلنت الجبهة المعادية للاستعمار ــ الحزب العلنى الذى كان يعمل تحت ستاره الحزب الشيوعى السودانى ــ فى بيان لها فى عام ١٩٥٤ بأن مشكلة الجنوب يتم حلها على « **أساس تطوير التجمعات القومية فى الجنوب نحو الحكم المحلى أو الذاتى فى نطاق وحدة السودان** (١٠).

كان الحكم العسكرى فى السودان يترنح من المعارضة الشديدة له وخاصة بخصوص استعماله العنف والقوة مع الجنوبيين الذين تركوا ديارهم وهاموا على وجوههم حتى بلغ عدد اللاجئين الى الدول المجاورة فوق ربع المليون وبادر الحكم العسكرى بتكوين لجنة من اثنين وثلاثين عضوا تسعة عشر منهم من الجنوبيين ، وثلاثة عشر من الشماليين لدراسة مشكلة الجنوب وفتحت هذه اللجنة المناقشة لتشترك فيها قطاعات الشعب وقامت الندوات هنا وهناك كان آخرها فى جامعة الخرطوم فى ٢٠ أكتوبر عام ١٩٦٤، ولكن الحكومة العسكرية لم تسمح بها وحاصرت طلاب الجامعة الذين التحموا برجال الشرطة وكان ان قتل أحد الطلاب .

وكانت تلك الشرارة ، وخرج الشعب السودانى يفجر ثورة أكتوبر ونظم أحزابا سياسية فى كل أنحاء القطر، وتولى الشعب بنفسه ادارة البلاد سبعة أيام حتى سقطت الحكومة العسكرية وقامت حكومة انتقالية ممثلة لكل الاتجاهات اليمينية واليسارية وأولت مشكلة الجنوب كل اهتمامها وأعلنت حلها السلمى للمشكلة وأوقفت استعمال العنف مع الجنوبيين معترفة بالفوارق بين شطرى البلاد وأن للجنوب مميزاته الخاصة معلنة ايمانها فى تحقيق الوضع السياسى والادارى الخاص بالجنوب فى اطار السودان الموحد وأسندت وزارتى الداخلية والمواصلات لرجلين من أبناء الجنوب وأصدرت نداء لقادة المتمردين الذين لجأوا للخارج أن يعودوا وأصدرت العفو العام وعقدت مؤتمرا تاريخيا ــ أطلق عليه مؤتمر المائدة المستديرة فى ١٦ مارس عام ١٩٦٥ اشترك فيه قادة الجنوب بمختلف تنظيماتهم من جهة وقادة الاحزاب السودانية الشمالية من جهة أخرى وشهد المؤتمر مراقبون فى مستوى المسئولية من يوغندا وكينيا وتانزانيا ونيجيريا والكاميرون وغانا والجزائر والجمهورية العربية المتحدة .

وبعد مناقشات طويلة حادة استغرقت عشرة أيام انفض المؤتمر بعد أن كون لجنة من اثنى عشر شخصا (ستة شماليين وستة جنوبيين) لمواصلة المناقشة . وفشل المؤتمر فى الوصول الى الحل العلمى السلمى الذى كان ينادى به اليسار ، وذلك لان الحكومة الانتقالية ذات المائة يوم أسقطها اليمين ، وثانيا لان قادة الجنوب لم يكن لديهم رأى موحد ازاء المشكلة فمنهم من كان ينادى بانفصال الجنوب

---

(٩) محاضرة السيد جوزيف فرانق الدولة السودانى لشئون الجنوب

(١٠) جريدة الصراحة العدد ٤٢٢ . ١٩٥٤/٩/٢٨

عن الشمال ، وبعضهم باتحـــاد فيــدرالى بين الجنوب والشمال .

وسارت الامور غير مسارها الطبيعى ورجعت الاحزاب السياسية الشمالية الى الحكم بعد انتخابات عامة وعادت لتمارس بيعها للجنوبيين فى سوق النخاسة السياسية ورجعت لاستعمال العنف مع الجنوبيين مرة أخرى وكان يعاونها قادة التمرد الجنوبيون واشتركوا معها فى الحكم .

فجر جـــديد

وسط الغمامة السوداء والضباب الكثيف وكل مظاهر الفساد والغفلة خرج الضباط السودانيون الاحرار صبيحة الخامس والعشرين من مـــايو ١٩٦٩ ليتسلموا زمام السلطة معبرين حقيقة عن امانى الشعب وآماله وكتبت صفحة جديدة وتفتحت آفاق رحبة ، وبعد أسبوعين فقط من ثورة مايو عكف الثوار يحلون مشكلة الجنوب وفق نظرة علمية فاحصة معترفين للجنوبيين بحقوقهم كقومية تختلف عن القومية فى الشمال ، وافردت وزارة خاصة لشئون الجنوب عين لها وزير جنوبى هو السيد جوزيف فرانق المحامى والنائب السابق فى البرلمان السودانى والجنوبى الوحيد الذى حاز ثقة الشماليين والجنوبيين على الســــــواء فى انتخابات الجمعية التأسيسية فى يونيو عام ١٩٦٥ .

وانى هنا اضمن هذه المقالة مقتطفات من البيان الذى القاه الرئيس اللواء نميرى عارضا فيه رأى الثورة القاطع فى حل مشكلة الجنوب .

« ان الثورة تدرك الابعـــــاد الحقيقيــــة لمشـــكلة الجنــوب ، وهى مصــــممة على المضى قـــدما لايجـــاد تســوية نهائية لتـــلك المشكلة التى تحملت اعباءها جماهير شعبنا فـى جنوب البلاد وشمالها ، اننا جميعا ندرك الجذور التاريخية لقضية الجنوب والتركة المثقلة التى القاها على كاهلنا جميعا الاستعمار البريطانى الذى درج عن قصد وتدبير على رسم خطة التطوير غير المتكافىء بين شقى البلاد فى الجنوب والشمال ، ولقد كانت النتيجة الطبيعية لذلك التخطيط الاستعمارى ان وجد اخواننا الجنوبيون انفسهم عشية استقلال بلادنا فى وضع غير متكافىء مع اخوانهم فى الشمال فى كل المجالات » .

« لقد فشلت القوى التقليدية التى تعاقبت على السلطة منذ الاستقلال أن تجد حلا لمشكلة الجنوب ، وقد استغلت هذه القوى سلطة الدولة للاثراء الحرام ولخدمة المصالح الحزبية العتيقة وتجاهلت المصالح الحقيقية لجماهير شعبنا سواء كان ذلك فى الجنوب أو الشمال » .

« ولعله غنى عن الذكر ان اقول ان معظم القادة الجنوبيين انفسهم قد أسهموا وبقدر وافر فى تدهور الاحوال فى ذلك الجزء العزيز من بلادنا وعبر السنين ومنذ سنة ١٩٥٠ وحتى يومنا هذا ظل معظم أولئك القادة يتحالفون مع القوى الرجعية فى الشمال ومع الدول الاستعمارية صاحبة المصلحة فى بقاء المشكلة دون حل نهائى وكان رائدهم فى ذلك الكسب الشخصى » .

ويستمر فى بيانه قائلا : « ان أعداء الشمال هم فى الوقت نفسه أعداء الجنوب، ان عدونا المشترك الذى يجب ان توحد جهدنا جميعا لسد الطريق أمام مخططاته ومؤامراته هو الامبريالية والاستعمار الذى يستغل الشعوب العربية والافريقية ويقف حجر عثرة فى سبيل تقدمها ، وفى الداخل فان لنا عدوا مشتركا هو القوى الرجعية التى تمثل قوام الثورة المضادة وتقف سدا أمام انطـــلاق بلادنا شـــمالا وجنـوبا نحـــو التقـــدم والرخـــاء والاشتراكية » .

وبعد أن أعلن فى البيان القرار الذى اتخذته قيادة ثورة الخامس والعشرين من مايو بخـــلق الحكم الذاتى الاقليمى للجنوب فى نطاق السودان الموحد .

وأعلن الرئيس فى بيان برنامج العمل من أجل التطبيق العلمى السليم لمبدأ الحكم الذاتـــى الاقليمى .. « ومن أجل الاعداد لليـــوم الذى يستطيع فيه شعبنا فى الجنوب ممارسة حقه فى الحكم الاقليمى فقد قررت ثورتكم :

١ ـ استمرار ومد فترة قانون العفو العام .

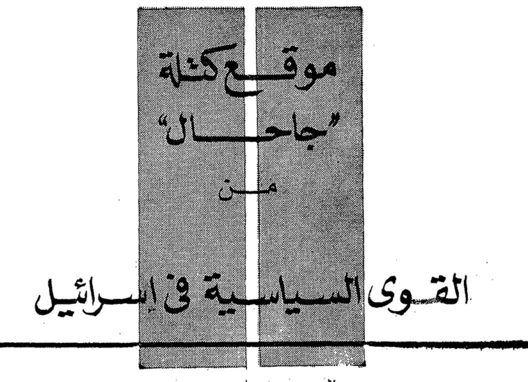
٢ ـ وضع برنامج اقتصادى اجتماعى ثقافى للجنوب .

٣ ـ تعيين وزير لشئون الجنوب .

٤ ـ تدريب كادر متمرس لتولى المسئولية .

وقد اختتم بيانه موجها النداء لابناء المديريات الجنوبية :

« لاشك انكم تدركون أنه من الضرورة القصوى أن يستتب الامن والسلام فى الجنوب وترفرف الطمأنينة فى ربوعه وتعود حياة الجماهير الى مسارها الهادىء بعد طول العناء حتى نتمكن من تنفيذ هذه البرامج وهذه هى مسئوليتكم الاولى وعليه فاننا نناشدكم بكل ما نملك من أمل وفى كل مكان تتواجدون فيه ان تحافظوا على الامن وتتعاونوا معنا يدا واحدة وشعبا واحدا واهدافا مشتركة واحدة لنبنى معا سودانا جديدا ديمقراطيـــــا متحدا ... » .



السيد عليوه

مدير البحوث بالمؤسسة الثقافية العمالية

فى أكبر أزمة سياسية انهار فيها الائتلاف السياسى ـ الذى قامت عليه الحكومة الاسرائيلية طوال ثلاث سنوات ـ وافقت حكومة مائير فى ٤ أغسطس الماضى على الصيغة النهائية لردها على مشروع الاجراءات الامريكى والمسمى بـ « المبادرة الامريكية » . وفى الجلسة التى عقدها مجلس الوزراء الاسرائيلى قبل ظهر هذا اليوم للموافقة على صيغة الرد ، أعلن الوزراء الستة الذين يمثلون كتلة جاحال انسحابهم من الوزارة ، ثم قدموا استقالاتهم الى مائير وغادروا قاعة الاجتماع .

والوزراء الستة هم : « **مناحم بيجين** » وزير الدولة ، والجنرال « **عزرا وايزمان** » وزير المواصلات ، « **وحاييم لانداو** » وزير التنمية (والثلاثة من حزب حيروت) ، و « **يوسف سابير** » وزير التجارة والصناعة « **ويكى مليخ** » وزير البريد « **وآرى دولتيى** » وزير الدولة (وهم من حزب الاحرار) .

وقد استقال الوزراء الستة ، تنفيذا للقرار الذى اتخذته اللجنة المركزية لكتلة جاحال فى الليلة السابقة باغلبية ١١٧ صوتاضد ١١٢ ،وامتناع ثلاثة عن التصويت وبطلان صوت .

ومن المنتظر أن تلعب كتلة جاحال دورا هاما فى صراع القوى على المسرح السياسى الاسرائيلى فى الفترة القادمة ، نظرا لاهمية القضايا المثارة : الانسحاب من الاراضى العربية المحتلة والامن القومى ومستقبل اسرائيل .

وعليه فاننا يجب أن نلقى بعض الضوء على موقع هذه الكتلة « جاحال » من القوى السياسية فى اسرائيل ، وذلك من حيث النشأة التاريخية ، والتركيب الاجتماعى والميول الايديولوجية والنفوذ السياسى .

النشأة التاريخية لكتلة « جاحال »

تكاد كتلة جاحال أن تكون هى القوة السياسية التى تعبر عن الطبقة المتوسطة فى اسرائيل ، بكل اتجاهاتها المحافظة واليمينية ، والتى تمثل الجانب

الصهيونى البحث فى الحركة الصهيونية الذى يستند الى فكر صهيونيى القرن التاسع عشر وامتداداته فى القرن الحالى ، هذا الفكر الذى تأثر بسمات الفكر السياسى الاوربى ، ذى الملامح القومية الشوفينية المتطرفة وذات الطابع الفاشى .

وتتكون كتلة « **جاحال** » فى عناصرها الرئيسية من ائتلاف يجمع حزب حيروت والحزب الليبرالى (الاحرار) . وهذا الاخير يتكون اصلا من حزب الصهيونيين العموميين والحزب التقدمى ، ومن ثم فاننا سوف نتتبع فى ايجاز كلا من هذه الاحزاب على حدة ، حتى نحيط فى صورة شاملة بوضع كتلة جاحال بين الاحزاب السياسية الاسرائيلية .

والواقع ان أكثر هذه الاحزاب تطرفا وهو حزب حيروت ينحدر فى آرائه وسياسته وتنظيمه من الجناح التحريفى الذى برز داخل المنظمة الصهيونية العالمية منذ أن وضع هرتزل معادلة الصهيونية (الارض واللغة والسيادة) فى برنامج بال المشهور ، اذ راح الصهيونيون يتبارون فى تفسير الهدف المباشر للحركة الصهيونية ووسائل تحقيقه .

ومن المعلوم أن « الصهيونيين العمليين » بقيادة وايزمان سيطروا على المنظمة بعد وفاة هرتزل ، وقد أصروا على اتباع سياسة تدريجية اطلقت عليها تسمية « الصهيونية العضوية أو التطورية » . لكن دعاة ادخال التعديل على معادلة هرتزل ــ وعلى رأسهم صحفى روسى اسمه **فلاديمير جابوتنسكى** (١٨٨٠ ــ ١٩١٠) أصروا على صياغة المعادلة من جديد دفعا للالتباس والغموض ، وعرفوا منذ ذلك الحين بـ « التصحيحيين » . أما الصهيونيون الذين حافظوا على ولائهم لسياسة المنظمة فقد تعارفوا على تسمية ذلك الجناح بـ « التحريفيين » . ويشكل هؤلاء التصحيحيون أو التحريفيون » سلف حزب حيروت الحالى ، بينما أفكار جابوتنسكى تمدهم بالاساس النظرى والعملى لما يسمونه بالواقعية السياسية ، وهم يستمدون من رؤيته الاستعمارية والارهابية كل مخططاتهم وكأنها من وحى نبى (١) .

لقد كانت تصحيحية أو تحريفية جابوتنسكى (وهى تحريف للصياغة الهرتزلية فقط ، ولا تحرف الاهداف الحقيقية للصهيونية) تنادى بوجوب الاعلان على أن الهدف الصهيونى الاخير هو اقامة دولة يهودية ضمن الحدود التاريخية لاسرائيل ، وقد استقال جابوتنسكى من اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية عام ١٩٢٣ ، متهما أعوانه بانعدام الواقعية السياسية وبمسايرة بريطانيا أكثر مما يجب ، ولم يثنه عن عزمه وتصميمه سقوط الاقتراح الذى تقدم به للمؤتمر الصهيونى عام ١٩١١ ليطالب بدولة صهيونية على ضفتى الاردن ، فاستقال من الحركة الصهيونية عام ١٩٣٥ لينشىء منظمته الخاصة التى ضمت ارهابيى المستقبل من يهود الطبقة الوسطى فى أوروبا الشرقية وعلى الاخص بولنده ، وأطلق عليها تسمية « المنظمة الصهيونية الجديدة » .

ومع اندلاع الثورة العربية فى فلسطين (٣٦ــ١٩٣٩) وجد جابوتنسكى وأنصاره الفرصة المناسبة لتحدى الموقف الصهيونى العام وفرض السياسة الانتقامية التى تعتمد الارهاب بغية الوصول الى سياسة الامر الواقع ، وحدث ان توحدت حركة شباب جابوتنسكى فى منظمة ارهابية سرية سميت « ارجون زفاى ليومى » (المنظمة القومية العسكرية) بقيادة **دافيد رازاييل** . وفى عام ١٩٤٠ استطاع واحد من التصحيحيين المستقلين وهو قائد حركة شباب جابوتنسكى الشاعر **ابراهام شتيرن** أن ينشق بجماعته التى سميت باسمه (٢) .

ولم يكن انشقاق عصابة شتيرن سوى المرحلة قبل الاخيرة لبروز حيروت بمظهر الحزب السياسى ، وتأتى عصابة « شتيرن » (المحاربون لحرية اسرائيل) ، بمثابة المزايد الذى عقد العزم على مسابقة أقرانه الصهيونيين فى الارهاب ، وقد استمرت الارجون تماطل فى تنفيذ الوعد الذى قطعته لممثلى المجلس الصهيونى العام بالانصهار فى الجيش الاسرائيلى ، من مايو ١٩٤٨ حتى سبتمبر من نفس العام ، حين انصاعت لاوامر الحكومة ، وبعد الحرب ترك المدنيون من التصحيحيين المنظمة الصهيونية الجديدة ، وعادوا الى المنظمة الصهيونية العالمية ، غير أن الارجون رفضت تلك الخطوة وكونت فى عام ١٩٤٨ « حزب حيروت » الذى استمد منهجا يشبه منهج التصحيحيين قبل الحرب ، ثم ما لبث الحيروت والتصحيحيون ان اندمجا حتى يومنا هذا (٣) . وهكذا ظهرت حيروت على مسرح السياسة

---

(١) د. اسعد رزوق ــ نظرة فى احزاب اسرائيل ــ مركز ابحاث منظمة التحرير الفلسطينية ــ ص ٨٠ ــ ٨٣

(٢) Pelmutter, Amos : Military and Politics in Israel, (London, 1969) P. 26.

(٣) بسام ابو غزالة : الجذور الارهابية لحزب حيروت الاسرائيلى ــ مركز الابحاث ــ ص ٦٩.

الاسرائيلية منذ عام ١٩٤٩ بزعامة الارهابي العريق مناحم بيجين .

أما الصهيونيون العموميون فترجع جذورهم الى الايام الاولى للمنظمة ، اذ كان الصهيوني آنذاك كل من انتمى الى المنظمة وسدد اشتراك العضوية وقبل برنامج بال الذى وضع عام ١٨٩٧ بغض النظر عن اعتقاده السياسى حول وسائل تنفيذ هذا البرنامج ، وبعد ظهور الانشقاق فى المنظمة الصهيونية العالمية بين الاشتراكيين (بوعالي زيون) والمتدينين (المزراحي) أخذ اصطلاح الصهيوني العام يستعمل لتحديد هؤلاء الذين لا ينتمون الى أى من الاتجاهين .

ان الدافع الرئيسى نحو تنظيم الصهيونيين العموميين فى حزب سياسى جاء من توحيد بوعالى زيون وأحدوت هافودا وهابوئيل هاتزير فى حزب ماباى ، ومن هنا صمم زعماء الصهيونيين العموميين على تنظيم أنفسهم ليستطيعوا أن يحاربوا الحزبية والنفوذ اليسارى داخل الحركة الصهيونية ، ومن ثم انعقد مؤتمر **كراكوف** فى بولونيا عام ١٩٣٤ حيث خرج منه حزب صهيونى يناوىء جميع الاتجاهات العمالية التى تعتمد على صراع الطبقات لانها رأت أن ذلك يحول دون قيام طبقة وسطى تشكل العمود الفقرى للاستعمار الصهيونى فى فلسطين .

وهكذا كانت الاسباب السلبية لتنظيم الصهيونيين العموميين هى مقاومة تأثير الجماعات اليسارية على سياسات الوكالة اليهودية ، أما الاسباب الايجابية فقد كانت تدعيم الطبقة المتوسطة فى بناء الارض الجديدة بالهجرة والاستيطان والتصنيع (٤) .

واذا جئنا الى الحزب التقدمى فاننا نجده ينحدر من ذلك الانشقاق الذى حدث فى عام ١٩٣٥ داخل حزب الصهيونيين العموميين حول علاقة الحزب بالهستدروت . فالغالبية الكبرى منهم فضلت البقاء فى الهستدروت .وهؤلاء عرفوا بالجماعة (ا) . أما الاقلية فقد عارضت هذه الحركة ونظموا جماعة « بريت » كاتحاد عمال خاص بالصهيونيين العموميين وعرف هؤلاء بالجماعة (ب) . وحدث فى عام ١٩٤٨ أن توحدت الجماعة (ا) مع المهاجرين القادمين من شرق اوروبا بعد عام ١٩٣٣ والذين كونوا جماعة عالياهاداشا (الهجرة الجديدة) مؤسسين بذلك الحزب التقدمى ، ورغم صغره فقد كان له نفوذ أدبى هام ومن ثم شارك فى جميع الائتلافات الحكومية خلال الفترة من ٤٨-١٩٦١ ما عدا سنة واحدة (٥) .

أما الحزب الليبرالى فقد كان قصير العمر لدرجة كبيرة ، حيث أنه أسس فى عام ١٩٦١ باندماج التقدميين والصهيونيين العموميين ، ثم ما لبث أن انضم الى حزب حيروت فى عام ١٩٦٥ مكونين كتلة جاحال ، لذا فقد شارك فى انتخابات ١٩٦١ فحسب .

جملة القول أن أحزاب الطبقة المتوسطة قد اتحدت فى كتلة جاحال اليمينية، وباتت تشكل القوة الثانية فى الكنيست بعد جناح الاحزاب العمالية ، وتخلف عن قيام هذه الجبهة انشقاق بعض الجماعات الصغيرة عن أحزابها الاصلية ، مثل حزب الاحرار المستقلين الذى انشق عن الحزب الليبرالى بزعامة موشى كول ، وحزب الوسط الحر (أو المركز الحر) بزعامة شموئيل تامير الارهابى القديم وزميل مناحم بيجين الذى انشق عن الحزب فى فبراير عام ١٩٦٧ ولم يعترف به الكنيست كحزب مستقل الا فى فبراير ١٩٦٩ .

التركيب الاجتماعي والميول الايديولوجية

تفيدنا المؤشرات والنتائج التى خرجت بها دراسة عن « الاتجاهات والعقائد السياسية للاسرائيليين » قام بها عالم اسرائيلى يدعى انتونوفسكى ، فى تبين بعض ملامح التركيب الاجتماعى والميول الايديولوجية لاحزاب الطبقة المتوسطة فى اسرائيل .

من هذه النتائج ان الذين اختاروا الوسط الليبرالى فى الاستقصاء الذى أجراه بلغوا حوالى ٢٣ فى المائة وحيروت نحو ١٩ فى المائة كاتجاه سياسى ينتسبون اليه ، أى أن مجموعهم بلغ حوالى ٤٢ فى المائة من مجموع الذين اشتركوا فى الاستقصاء .

كما تبين أن التوزيع المئوى للجماعات المهنية

(٤) Badi, Joseph : The Government of The State of Israel, (New York, 1963) PP. 52 - 53.

(٥) Eisenstadt, S.N. : Israeli Society, (London, 1967), P. 289

التى تنتمى الى الاتجاهين (الليبرالى وحيروت) يجرى وفقا للجدول التالى : (٦) •

النسب المئوية من الجماعات المهنية التى تؤيد اتجاه الوسط الليبرالى وحيروت

رجال اعمال صغار ومستخدمين	ملاك كبار ومديرين	ملاك متوسطين ومديرين	مهنيين
٤٨٪	٥٨٪	٥١٪	٥٨٪

وعلى اية حال فاننا نلاحظ آن هناك من يقرر آن حزب حيروت يضم بين اعضائه كثيرا من العمال وآناسا من الطبقة الدنيا ومن الجماعات الشرقية ، ويرى أن من آهم العوامل التى حافظت على التنوع فى الجماعات داخل حزب حيروت هو اندفاعه وحماسه القومى •

اما حزب الصهيونيين العموميين فقد تكون من اندماج جماعات مصالح مختلفة مثل اتحاد أرباب الصناعة ، واتحاد مزارعى الجمعيات وجماعات مختلفة من التجار وقادة بعض الجماعات البلدية والمحلية •

ولا يفوتنا هنا الى آن نشير آن كلا من الحزب التقدمى والحزب الليبرالى يعتبر امتدادا لبعض الاجنحة والاتجاهات داخل الصهيونيين العموميين •

وهكذا يتبين لنا ان كتلة جاحال تتكون من جناحين متميزين يمثلان الطبقة المتوسطة فى اسرائيل : جناح حزب حيروت ، والجناح الليبرالى الذى يضم الصهيونيين العموميين والحزب التقدمى والحزب الليبرالى •

كما يلاحظ ان هذه الاحزاب لا تهتم اهتماما كبيرا بالتنظيم والايديولوجية شأنها فى ذلك شأن الاحزاب البراجماتية التى تركز اساسا نشاطها قبل واثناء المعركة الانتخابية بهدف الحصول على أعلى نسبة من الاصوات •

وجدير بالذكر آن نشاط هذه الاحزاب فى مجال الصراع السياسى يتبلور فى معارضتها لحزب ماباى الحاكم والاتجاه الاشتراكى ، ويركز حيروت بالذات على معاداة الهستدروت والعرب • الا ان المتامل فى نداءات وسياسات هذه الاحزاب ، حتى تلك التى فى ظاهرها نداءات عدائية ، يتكشف انها من طراز احزاب التكامل حيث تتبنى سياسة ترفض الصراع الطبقى وتستهدف دمج وتوحيد المجتمع الاسرائيلى •

أى أن سياسات هذه الاحزاب فى وجه منها تصارعى ، وفى وجه منها تكاملى •

مثلا حزب حيروت ، رغم انه ينحدر من جماعة آرجون زفاى ليومى السرية الارهابية فانه ليس جماعة عسكرية ثورية ولكنه يمثل البورجوازية الصغيرة اليمينية حيث آن المشروعات الحرة للطبقة المتوسطة اعتبرت اول مطالبهم ، بالاضافة الى « كل القدس » وانشاء اسرائيل على ضفتى الاردن ، انه ينتهج سياسة يمينية متطرفة معادية للاشتراكية ، ويعارض ارتفاع الضرائب وسياسة الماباى فى الدور الاقتصادى للدولة ويحرم على العمال حق الاضراب ويرى بالتحكيم الاجبارى بين العمال والادارة ويدعو الى سحب جميع الاختصاصات من الهستدروت (اتحاد العمال) ومنحها الى المؤسسات الخاصة ، كما ينادى باتباع سياسة خارجية نشيطة وتوسعية وبشن حرب وقائية ضد العرب (٧) •

اما حزب الصهيونيين العموميين فقد تكون من الاساسى هو معارضة سيطرة الحكومة الاقتصادية ومحاولة اضعاف مشروعات ونشاطات الهستدروت ، ويتشابه معه الحزب التقدمى فيما ينادى به من تشجيع الاستثمار الخاص •

وبالتالى فاننا نجد آن سياسة جاحال هى جماع هذه الاتجاهات والمواقف •

المركز السياسى لكتلة « جاحال »

تستمد كتلة جاحال بجناحيها اليمينى المتطرف والليبرالى نفوذها السياسى من طبيعة الاساس الاجتماعى الذى تمثله والميول الفكرية التى تعبر عنها • وسوف نناقش المركز السياسى لهذه الاحزاب فى نقطتين : موقعها فى البرلمان (الكنيست) وموقعها من سلطة الحكم •

موقع جاحال فى الكنيست

تمثل جبهة احزاب الطبقة المتوسطة فى مجموعها المركز الثانى فى الكنيست بعد كتلة

---

(٦) Antonovsky, Aaron : Israel Political-S ocial Attitudes, AMOT (Hebrew) No. 6, 1963.
Badi. P. 57.

(٧) مرجع سابق

الاحزاب العمالية ونصيب هذه الجبهة من مقاعد المجلس تتراوح من الكنيست الاول (١٩٤٩) حتى الكنيست السابع (١٩٦٩) على النحو التالى : ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣١ ، ٣٢ • وبالنسبة للكنيست السابع والاخير ، فاننا اذا استبعدنا المقاعد التى يحرزها كل من جناح الليبراليين المستقلين والوسط الحر وعددها ستة مقاعد ، نجد أن كتلة جاحال تحوز ٢٦ مقعدا •

أى أن **السمة العامة** لمركز هذه الاحزاب داخل الكنيست هو الاستقرار المائل نحو التزايد •

واذا جئنا الى كل حزب على حدة فاننا نجد أن جناح حيروت تتزايد قوته الانتخابية فى كل انتخابات ، لقد حصل فى الكنيست الاول على ١٤ مقعدا ثم نزل فى الكنيست الثانى الى ثمانية مقاعد وكان ترتيبه فى كلاهما الرابع ، وفى الكنيست الثالث قفز الى المركز الثانى بحصوله على ١٥ مقعدا ، وحصل فى الرابع والخامس على ١٧ مقعدا ، ثم حصلت كتلة « جاحال » (حيروت والحزب الليبرالى) على ٢٦ مقعدا فى الكنيست السادس والسابع •

أما حزب الصهيونيين العموميين فقد ظفر بسبعة مقاعد فى الكنيست الاول ، ثم نما بشكل ظاهر من ٤٩ ــ ١٩٥١ حيث اصبح ثانى حزب فى الكنيست بعشرين مقعدا ، والتى تزايدت الى ثلاثة وعشرين من خلال التحاق مندوبى ثلاثة احزاب صغرى به • ومن ١٩٥٢ حتى يونية ١٩٥٥ كان الحزب عضوا فى الحكومة ، ولكنه فقد فى انتخابات ١٩٥٥ قوته اساسا لصالح حيروت ، لقد حصل فى الكنيست الثالث على ١٣ مقعدا ، وفى الرابع (١٩٥٩) حصل على ٨ مقاعد • ولما اتحد مع التقدميين فى عام ١٩٦١ مكونا حزب الاحرار حصل فى انتخابات الكنيست الخامس (١٩٦١) على ١٧ مقعدا ، وفى الكنيست السادس (١٩٦٥) والسابع (١٩٦٩) اتحد مع حيروت فى كتلة جاحال على النحو السابق ذكره •

اما الحزب التقدمى فقد حصل على مركز ضعيف نسبيا حيث احتل ٥ ، ٤ ، ٥ ، ٦ مقاعد فى المجالس الاربعة الاولى للكنيست على التوالى ، وفى الكنيست الخامس (١٩٦١) اتحد جناح الصهيونيين العموميين فى الحزب الليبرالى مع حيروت مكونين كتلة جاحال وابتداء من الكنيست السادس ، انفصل الجناح التقدمى مكونا حزب الاحرار المستقلين ، وحصل على خمسة مقاعد ثم اربعة مقاعد فى الكنيست السادس والسابع على التوالى •

اما الحزب الليبرالى فقد كان كما سبقت الاشارة قصير العمر فقد تأسس فى عام ١٩٦١ فى أعقاب مشكلة لافون باندماج التقدميين مع الصهيونيين العموميين ، وانتهى بائتلافه مع حيروت فى كتلة جاحال فى انتخابات الكنيست السادس عام ١٩٦٥ ، أى أنه شارك فى انتخابات الكنيست الخامس فحسب •

موقع كتلة جاحال من سلطة الحكم

رغم القوة النسبية التى تتمتع بها احزاب الطبقة المتوسطة عموما فى الكنيست ، فان موقعها من سلطة الحكم أضعف بكثير ولا يقاس بقوتها البرلمانية • والسر فى هذا أن الطابع الغالب لهذه الاحزاب هو طابع المعارضة للحكومة وبالذات لحزب ماباى الحاكم ، الامر الذى يقذف بها بعيدا عن تشكيل اى حكومة ائتلافية •

ان الاحصاءات تشير الى أن المرات التى شاركت فيها بعض أجنحة هذه الكتلة فى الحكومة هى مرات معدودة ، لقد شارك الصهيونيون العموميون فى الحكومتين الخامسة والسادسة ، والتقدميون فى الوزارات العشر الاولى (بوزير واحد غالبا) والاحرار المستقلون فى الوزارة الرابعة عشرة ، اما حزب حيروت فقد ظل خارج جميع الحكومات الائتلافية حتى يونية ١٩٦٧ •

وعلى أية حال فانه يبدو أن الصورة سوف تتغير ، فقد انضم حزب حيروت لاول مرة الى الائتلاف الحكومى فى الظروف التى صاحبت قيام ازمة الشرق الاوسط عام ١٩٦٧ ، حيث قامت حكومة ائتلافية سميت « حكومة الوحدة الوطنية » من جميع الاحزاب ماعدا الشيوعيين ، وكان من اهم نتائجها ان جاحال ــ وحيروت احد اجنحته ــ قد حقق درجة من الاحترام سوف تجعله منافسا فى عضوية الائتلافات الحكومية مستقبلا (٨) •

وهذا ما حدث بالفعل عند تشكيل الحكومة الاسرائيلية عقب انتخابات الكنيست السابع اذ قامت جولدا مائير بمشاورات طويلة انتهت بتكوين الائتلاف الذى ضم ستة وزراء عن جاحال ضمن ثلاثة وعشرين وزيرا ، واستمر هذا الائتلاف قائما

---

(٨) Fein, Leonard : Israel - Politics and P opulation, (Toronto, 1969) P. 226.

حتى نشوب الازمة الاخيرة المتعلقة بقبول المبادرة الامريكية حين خرج ممثلو كتلة جاحال من الحكومة .

الا أن المتأمل فى قرار التصويت الذى اتخذ داخل اللجنة المركزية لكتلة جاحال بشأن استقالة الوزراء من الحكومة يجد أن الكتلة كادت ان تنقسم على نفسها حيث أن قرار الاستقالة ١١٧ صوتا ضد ١١٢ صوتا وامتناع ثلاثة وبطلان صوت .

وهذه الواقعة تفصح عن اختلاف الرؤية السياسية بين الجناحين اللذين تضمهما الكتلة : حيروت والحزب الليبرالى ، ويبدو أن الاخير يرغب فى المشاركة فى السلطة نظرا لاستحالة الوصول اليها عن غير الائتلاف الوزارى مع الماباى .

وبالتالى فان هذا الاتجاه قد يدفع كتلة جاحال ـ فى ضوء التطورات المرتقبة للاحداث فى المنطقة ـ الى أحد احتمالين : اما أن تنشق الكتلة على نفسها الى جناحيها الرئيسيين ، أو أن تعود جاحال الى حظيرة الحكومة الائتلافية عند أقل بادرة مشجعة من قيادة الماباى ـ قيادة الائتلاف .

ومهما يكن من امر ، فنظرا لاهمية ظاهرة اشتراك حيروت فى الحكم ، مما يعنى ان يحمل الحزب اتجاهاته الى مواقع السلطة فتلقى منها قدرا من التعزيز والمساندة والتبنى ـ وهو ما انعكس بالفعل خلال السنوات الثلاثة الماضية فى مواقف التشدد والتطرف من قبل السلطات الاسرائيلية ازاء عرب فلسطين والدول العربية المحيطة ـ نظرا لذلك فاننا سنناقش سمات التطرف اليمينى الارهابى للحزب والذى يجعله فى عداد الاحزاب الفاشية او شبه الفاشية .

المكونات الفاشية في حزب حيروت

فى اشارة سريعة لتحليل استاذ غربى فى علم السياسة يدعى **جون كاوتسكى** عن نشوء وتطور الحركات الفاشية نستطيع أن نتبين أن أهم الظروف والعناصر التى تهيىء نمو مثل هذه الاتجاهات تنبع من قيام حركة للطبقة المتوسطة اليائسة والتى غالبا ما تستمد قياداتها من اوساط المثقفين وتجند بعض الاتباع من الفلاحين والعمال الساخطين ، كما تقوم ايديولوجية الحركة الفاشية عموما على معاداة النقابية ـ وحتى تستطيع الدعاية الشمولية أن تحقق اهدافها فى خلق الوحدة خلف النظام السياسى ليس بتشجيع الولاء والانتماء الايجابى ، ولكن أيضا باثارة الكراهية والخوف من عدو ما مشترك ، ويجب أن يكون دائما هذا العدو خارجيا حتى لا تهتز وحدة المجتمع (٩) .

وبتطبيق هذا التحليل على حزب حيروت نجد أن بعض عناصر الفاشية تبدو واضحة فيه على النحو التالى :

ا ـ الايديولوجية التى تعادى الاشتراكية والنقابية ، وكذلك العداء السافر للعرب سواء داخل فلسطين المحتلة او خارجها .

ب ـ التركيب الاجتماعى الذى يضم أبناء الطبقة المتوسطة اليائسة ، والجماعات التى تعانى من الاغتراب فى المجتمع الاسرائيلى وهى ذلك الخليط من الارهابيين القدامى الذين لقوا الاحباط من جانب سلطات الانتداب البريطانى ثم من الدولة اليهودية بعد قيامها ، وذلك الاحتياطى من المتعصبين والساخطين ، يضاف اليهم فئات من المهاجرين الشرقيين الذين يشكلون نسبة هامة فى تأييد حيروت ـ كما وضح أنتونوفسكى ـ حيث أن نحو ١٤ فى المائة من السكان من المهاجرين الشرقيين يؤيدونه .

ج ـ تأثير كل من النواة الاولى للحزب وهى الجماعة العسكرية الارهابية (أرجون زفاى ليومى) وشخصية مناحم بيجين زعيمه .

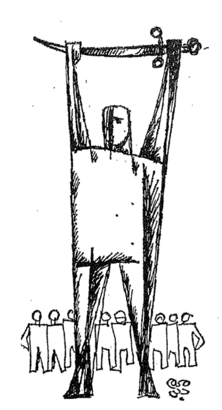
خلاصة القول أن كتلة جاحال تستمد نفوذها من أربعة عناصر : الاساس الاجتماعى وهو ما اشار اليه انتونوفسكى من وجود « طبقة مرتبطة اليمينية » والايديولوجية الصهيونية وهى ايديولوجية قومية عنصرية تمثل طابع قوميات القرن التاسع عشر ، مع ارتباطها المعاصر بالامبريالية العالمية ، ثم الاطار العام المتسم بالتوتر والعداء الذى صنعته ظروف الصراع العربى ـ الاسرائيلى ، واخيرا الاشباعات النفسية التى تقدمها هذه الاحزاب للاتجاهات الفاشية الكامنة والنامية فى بعض أوساط المجتمع الاسرائيلى .

ان افضل اسلوب لقطع الطريق على نمو هذه الاتجاهات ، هو تصاعد فاعلية الضغط العربى الثورى السياسى والعسكرى والفدائى ، المسلح باليقظة الثورية والتفتح الايديولوجى الذى يمكن ان ينعش القوى التقدمية المعادية والمناضلة ضد الصهيونية والعنصرية داخل اسرائيل تمهيدا لعزل القيادات الرجعية الاستعمارية المغامرة التى تهدد السلام والتقدم والحرية للانسان .

---

[٩] Kautsky, John : Political Change in Underdeveloped Countries, (New York, 1965) P. 95 - 106.





فى هذا المقال يتناول عبد القادر ياسين — المناضل الفلسطينى — مرحلة من مراحل نضال شعب فلسطين . وهو يعرض بشكل خاص لهبة البراق [١٩٢٩] والتى تمر هذا الشهر ذكراها الواحدة والثلاثون ، والتى تعد واحدة من اهم الارهاصات الاولى لحركة الكفاح المسلح الفلسطينى .

عبد القادر ياسين

حل عام ١٩٢٩ على فلسطين ، بينما حركة الجماهير العربية فيهاحبيسة، خامدة منذ سبع سنين ·· وقيادة الحركة الوطنية تحتكرها عناصر كبار الملاك ، والمتعاونون مع الاستعمار البريطانى ·· كما واجهت الحركة الوطنية ، بعد دخول القوات البريطانية فلسطين عام ١٩١٨ ، ظروفا جديدة :

— فهى ، لاول مرة ، تخوض نضالها ضد الاحتلال ، بعد اجتزائها من الجسم الكبير: سوريا(والتى كانت تضم كلا من لبنان وسوريا وشرقى الاردن وفلسطين) ابان الاحتلال العثمانى ·

— كما أن الحركة الوطنية واجهت ، لاول مرة أيضا ، استعمارا عريقا صاعدا ، أكثر خبرة وأشد بأسا من الاحتلال العثمانى الهرم ، الذى كان قد انهزم عن البلاد عام ١٩١٨ (١)

— وكانت الصهيونية هى العامل الجديد الثالث ، والعدو الذى لا يقل خطره عن الاستعمار البريطانى نفسه (٢)

كل هذه العوامل سببت لقيادة الحركة الوطنية الفلسطينية صدمة عنيفة ، أربكتها وأفقدتها توازنها ، خاصة وأنها بتركيبها الطبقى شبه الاقطاعى ، وبضحالتها الثورية، وعدم نقائها الوطنى ، لم تكن مؤهلة لمواجهة كل هذه الاخطار ، والانتصار عليها ·

وقد اكتفت قيادة الحركة الوطنية بأنظلت تجأر بالشكوى طوال عشر سنين ، بالبرقيات والاحتجاجات والمذكرات والالتماسات والوفود العديدة التى سيرتها الى المندوب السامى البريطانى حينا والى حكومة لندن حينا آخر ، ويصور شاعر فلسطين **ابراهيم طوقان** تراخى وسلبية الحركة الوطنية آنذاك ، فى قصيدة له ، يقول فيها :

أفنيت يا مسكين
عمرك بالتأوه والحزن
وقعدت مكتوف اليدين
تقول : حاربنى الزمن
ما لم تقم بالعبء انت
فمن يقوم به اذن ؟ !

وطن يبـــاع ويشـــترى
وتصيــح (فليحى الوطن !)
لـو كنت تبــغى خــيره
لبــذلت من دمـــك الثمن (١)

أما الجماهير فقد احتفظت بحيويتها الى حين ، مما مكنها من تفجير هبتين ثوريتين فى ١٩٢٠ و١٩٢١ ، وكان فى الامكان تطوير هاتين الهبتين الى ثورة شاملة لولا افتقار الجماهير **للقياده الثورية** أولا . **وللوضوح الفكرى** ثانيا ، والمتمثل فى خط سياسى وعسكرى صحيح ، ومعرفة دقيقــة بالاعداء والحلفاء .. كما أن **الوحدة الوطنية** الشاملة ثالثا ، لم تكن قد تحققت بعد .

وفى ٢٠ يونيو (حزيران) ١٩٢٨ عقدت الحركة الوطنية مؤتمرها السابع ، هذا المؤتمر الذى وصفه دروزة بأنه كان « أضعف مؤتمرات فلســطين من ناحية الحماس ، وقوة القرارات وشمولها ، وطابع النضال ، وكاد يسفر عن المطالبة بحكومة وطنية فى ظل نظام الانتداب» . (٢) وكانت المهزلة عندما انتخب المؤتمر **لجنة تنفيذية** « ممثلة للفئــات جميعها، مجلسية ومعارضة ، ومخلصة ومنافقة ، وسماسرة وباعــة اراض ، وجــواسيس ! » (٣) لقيادة الحركة الوطنية وتمثيلها .

أما حكومة الانتداب فقد ظلت تعمل بهمة ودأب ، لتهيئة البلاد « **للوطن القومى اليهودى** » ، الذى كان قد نص عليه فى كل من **وعد بلفور وصك الانتداب** ، ولم تدخر الحكومة جهدا فى تيسير مهمة **الجمعية الصهيونية** ومن بعدها **الوكالة اليهودية** ، فى بناء المستعمرات لاستيعاب المهاجرين الجدد ، وتسليح السكان اليهود ، والعمل على تطوير الاجهــزة الصهيونية المختلفة بما يؤهلها لحكم البلاد فى المستقبل .. فقد كانت الجمعية الصــهيونية والوكالة اليهودية فيما بعد بمثابة حكومة داخل حكومة ، وبالنسبة للسكان اليهود كانت الحكومة الحقيقية ، تشرف على كافة شئونهم تخطيطــا وتنفيذا ومتابعة .

كل هذا وقيادة الحركة الوطنية تجتهد على أن تدخل فى روع الجماهير العربية الفلسطينية كون اليهود ، كدين ، **هم العدو الرئيسى** ، وانه يمكن اقناع بريطانيا بالعدول عن تأييد الصهيونية ، وقد استراح الانتداب لاتجاه القيادة هذا ، لانه يبدد سخط الجماهير الفلسطينية ، ويهدر طــاقاتها الثورية، ويحرف نضالها عن عدوها الرئيسى: الاستعمار البريطانى ، ويعطى المبرر لحـــكومة الانتداب للبطش بالحركة الوطنية العـــزلاء ، ويخلق ــ أخيرا ــ للاستعمار الاسباب التى تقدم للرأى العام العالمى، لتبيان شدة حاجة فلسطين للانتداب البريطانى ، ليقوم بدور « الحكم» بين العرب واليهود المتقاتلين ، على أن الانتداب كان لا يسمح للاضطرابات بتعدى الحدود الضيقة التى يرسمها لها ، خشية أن تتحول ضده ان هى اتسعت أو استمرت .

تجمع السـحب

جاء تعيين **هربرت صموئيل*** أول مندوب سامى بريطانى فى فلسطين (١٩٢٠ ــ ١٩٢٥) محققــا لرغبة الحركة الصهيونية ، وشــغل اليهــود الصهيونيون، فى عهده، رئاسة معظم الدوائر الحكومية فى فلسطين(الادارة المدنية ، المالية ، الهجرة ، النيابة العامة والتشريع ، التجــارة والصناعة ، والمخازن)، فى حين بقيت الدائرتان الاخريان(التعليم والاشغال) فى أيدى انجليز لا يقلون حماسا للصهيونية عن زملائهم رؤســاء الدوائر الاخرى (٤) واشرك صموئيــل الجمعيــة الصهيونية فى ادارة شئون البلاد ، وعندما شكل مجلسا استشاريا فى أكتــوبر (تشرين أول) ١٩٢٠، خصص للعرب ثلث مقاعده، فى حين كان هؤلاء يشكلون أكثر من ٩٠ فى المائة من السكان.

● أصدر الانتداب **قانونا للهجرة** عام ١٩٢٠ ، ثم أدخلت عليه التعديلات العديدة المختلفة أكثر من مرة ، بشكل سهل تدفق الهجرة اليهودية ، وقد بلغ مجموع ما دخل البلاد حتى عام ١٩٢٩ أكثر من ١٠٥ آلاف مهاجر يهودى ، وذلك وفقا للاحصاءات الرسمية ، هذا عدا عشرات الالاف من المتسللين غير الشرعيين . وكان هذا التشجيع منسجما مع البيان الذى كان قد أصدره ملك انجلترا (**جورج الخامس**) ، فى السابع من يوليو (تموز) ١٩٢٠ ، والذى تعهد فيه باتخاذ«التدابير لتأسيس **وطن**

---

(١) القى طوقان هذه القصيدة عام١٩٢٨ فى افتتاح العام الدراسى لكلية النجاح بمدينة نابلس .
(٢) محمد عزة دروزة ــ (حول الحركة العربية الحديثة) الجزء الثالث ص ٥٩ .
(٣) المصدر السابق ص ٥٩ .
* صهيونى بربطانى يدين باليهودية ،وكان وزيرا للدفاع البريطانى ابان الحرب العالمية الاولى ، ولقد لعب دورا رئيسيا فى استصدار وعد بلفور وصياغة صك الانتداب . وكان عضــوا فى المؤتمــر الصهيونى .
(٤) عودة بطرس عودة [القضــية الفلسطينية فى الواقع العربى) ص ٣٠٧

شومى للشعب اليهودى فى فلسطين على مراحل » (٥) وما كان قد صرح به **هربرت صموئيل** عند استلامه مهام منصبه ، من ان سياسته « هى تشجيع اليهود حتى تصبح لهم السيطرة على البلاد ، وحتى يمكن انشاء حكومة يهودية فيها » . (٦)

وكان طبيعيا ان ينخفض مستوى معيشة ابناء البلاد ، خاصة بعد مزاحمة هؤلاء الوافدين للفلاحين والعمال العرب فى الارض والمصنع وحلولهم محلهم .

● اما الاراضى الزراعيه فقد تسربت من العرب ، تسرب الماء من الكف . اذ قدم صموئيل نصف مليون دونم من أراضى الدولة الى الجمعية الصهيونيه ، وبمقتضى قوانين سنتها حكومة الانتداب، سحبت ملكيه أراضى ٢٢ قريه فى شمال فلسطين(١٢٥ الف دونم) كان يمتلكها اقطاعيون سوريون ولبنانيون ثم نقلت ملكيتها الى شركات صهيونيه ، بعد أن طردت منها أكثر من ٢٥ الف نسمه ، هم مجموع العاملين فيها ، واشترت الشركات الصهيونيه اراضى **وادى الحوارث** والبالغه ٣٢ الف دونم عام ١٩٢٩ من اصحابها الاقطاعيين اللبنانيين، الا أنها لم تتمكن من طرد المزارعين الا بعد اربع سنين من اتمام عمليه الشراء ، وبذا اصبح مجموع ما فى حوزة الصهيونيين من الاراضى الصالحه للزراعه حتى عام ١٦٢٦، اكثر من مليون دونم، اى حوالى سدس الاراضى الصالحة للزراعة فى فلسطين أنذاك ، وفقد اكثر من ٢٩ فى المائه من الاسر القرويه العربيه الاراضى التى كانوا يعملون فيها ، بل وطردوا منها .

وضيق الانتداب ، بالتشريعات التعسفيه والضرائب العالية، على الفلاحين العرب ، ليرغمهم على بيع اراضيهم، حيث كانت تنتظرهم المبالغ الخيالية التى تعرضها الشركات الصهيونية.

كما اجاز **قانون الرهونات**، الذى اصدرته حكومة الانتداب عام ١٩٢٦ ، حجز وبيع أراضى الفلاحين العرب ومواشيهم ، تسديدا لديون البنوك الزراعية .

وكان دستور الوكالة اليهودية قد نص على انه « فى جميع الاشغال والتعهدات التى تنفذها ، أو تدعمها ، الوكالة ، يجب استخدام اليد العاملة اليهودية» كما كانت عقود ايجار أراضى الشركات الصهيونية تتضمن تعهدا من المستأجر اليهودى بعدم استئجار او استخدام العمال غير اليهود، والا تعرض المستأجر للغرامة وفسخ العقد . (٧)

وحرمان العمال والزراع العرب من العمل فى المنشآت الصهيونية ، أتى تطبيقا لما كان يعرف بنظام **العمل العبرى** . وبذا كان طبيعيا أن يقترن تدفق الهجرة اليهوديه ، وانتقال الاراضى للشركات الصهيونية ، بمزيد من الشقاء للزراع العرب ، وزيادة فى نسبه البطاله بين الصناع العرب .

واغدقت بريطانيا على الشركات الصهيونية الامتيازات على حساب الشعب الفلسطينى .. فمنحت شركه **روتنبرج** الصهيونيه . فى فبراير (شباط) ١٩٢١ ، امتياز استغلال نهر الاردن وروافده ، واحتكار توليد الكهرباء وتوزيعها فى فلسطين ومعظم شرقى الاردن . كما منحت (**شركه البوتاس الفلسطينية**) ، وهى ايضا شركه صهيونية ، امتياز استخراج املاح البحر الميت ومعادنه، وكانت معادن البحر الميت قد قدرت بمبلغ ٢٤٠ مليون جنيه استرلينى بأسعار اوائل العشرينيات .. أى باضعاف هذا الرقم باسعار اليوم (٨) ، وفى السادس من ينساير [كانون الثانى) ١٩٢٩ وافقت الحكومة الاردنية على شروط الامتياز المذكور ، على انيكون لشرق الاردن حصة فى الارباح (٩) . هذا بالاضافة الى مشروع **تجفيف بحيرة الحولة** الذى منحته الحكومة لشركة صهيونية ثالثة .

أما **الصناعة اليهودية** فقد وفرت لها الحكومة سياجا من الرسوم الجمركية العالية التى فرضتها على مثيلاتها الواردة من الخارج ، وخففت عن الصناعة اليهودية الضرائب ، فى حين ضيقت الخناق على الصناعة العربية الضعيفة .

● وفى مجال **الخدمات** أغدق الانتداب على الصهيونيين فى مجالات الصحة والتعليم ، فى حين امسك عن العرب مثل هذه الخدمات ، وقتر عليهم .

---

(٥) د. انيس صايغ (الهاشميون وقضية فلسطين) ص ٩٤ ـ ٩٥ .
(٦) دروزة ـ المصدر السابق ص ٣١
(٧) وردت فى (تقرير سمبسون) ـ الطبعة الانجليزية ـ ص ٧٩ .
(٨) ب.جنسين ـ [مؤامرة فلسطين)جـ ١ ص ٣٩ .
(٩) تيسير ظبيان ـ (الملك عبد الله كما عرفته) ص ٢١٤ .

● وفى **الوظائف** حرم الانتداب العرب من الوظائف العليا ، وأبقاها وقفا على العناصر الانجليزية والصهيونية ، ونال العرب عددا من الوظائف المتوسطة لا تتناسب أبدا مع حجمهم ، اذ نالوا ١٦ وظيفة فقط ، فى حين نال اليهود ٤١ منها .

● هذا عدا النهب والقهر الاستعمارى التقليدى ، والذى تعرفه البلدان التى رزئت بالاستعمار .

كل هذه العوامل عبأت البلاد بالسخط والنقمة، واشتد تأزم الوضع باجتياح الوباء والزلزال والجراد فلسطين عام ١٩٢٧ ، وبتفاقم الازمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩-١٩٣٢) ، مما دفع ابراهيم طوقان الى أن يقول فى قصيدة له :

رب ان المكروب تترى علينا
حسبنا كرب [هجرة] و [احتلال] ! !

الاحداث

نشرت الحركة الصهيونية ، بعد دخول الجيوش البريطانية ، صورا لهيكل يهودى جديد ، يقوم مكان الصخرة المشرفة ، والح الصهيونيون لشراء المنطقة المحيطة بالبراق وحائط المبكى ، ولما فشلوا فى محاولاتهم تلك عمدوا الى المطالبة ، علنا ، بتملك هذا المكان ، وأنشأوا لهذا الامر « **جمعية حراس المبكى** » ، وفى مقابلها أنشأ المسلمون ، بمبادرة من رئيس المجلس الاسلامى الاعلى ، « **جمعية حراسة المسجد الاقصى** » .

وفى ١٥ أغسطس (آب) ١٩٢٨ ، وأثناء احتفالهم **بعيد الغفران** ، نفخ آلاف المحتفلين اليهود بالصور ، وأحاطوا المبكى بالمقاعد والستائر ، وتعالت صيحاتهم مطالبين بالحائط ، فأثار هذا العمل رد فعل عنيف لدى الجماهير العربية ، وحث **الحاج أمين الحسينى** ، وكان رئيسا للمجلس الاسلامى الاعلى ، المسلمين للدفاع عن مقدساتهم ، وقبل أن ينفجر الموقف ، سارعت الشرطة البريطانية الى التدخل وأوقفت الاحتفال .

وقبل منتصف اغسطس (آب) ١٩٢٩ انعقد **المؤتمر الصهيونى فى زيوريخ** بسويسرا ، وشدد على ضرورة تملك الحائط .

وفى الخامس عشر من أغسطس (آب) من نفس العام ، عاد اليهود للاحتفال بعيد الغفران ، ولكن هذه المرة بحشد أكبر واستفزاز أعلى ، بالمقالات التحريضية ، والخطب المهيجة ، والمظاهرات الصاخبة التى أحاطت بالحائط مطالبة بامتلاكه ، ومنددة بالمسلمين ، ورد العرب ، فى اليوم التالى ، على هذا التحرش بمظاهرة ، تجمعت عقب صلاة الجمعة ، وحاول المتظاهرون انتزاع الاعلام والمقاعد التى نشرها اليهود حول الحائط ، فاصطدموا بجماهير اليهود، الا أن الشرطة تمكنت من فض الاشتباك .

وفى اليوم التالى لهذا الاشتباك ، حدث أن دخل بعض الشبان اليهود حقلا يمتلكه عربى فى القدس ، لجلب كرة افلتت منهم ، وعبثوا فى مزروعاته ، فاصطدموا بصاحب الحقل وبعض جيرانه ، وجرح على أثر ذلك ١٤ عربيا و٥ من اليهود، مات أحدهم ، وتجدد الصدام اثناء تشييع جنازته يوم الاثنين ١٩ أغسطس (آب) ، وجرح من جرائه ٢٤ شخصا من العرب واليهود والشرطة، وأقفلت القدس ، وهرعت النجدات العسكرية البريطانية من مصر (خمسة آلاف جندى) ، ورابطت ست قطع من الاسطول البريطانى فى ميناءى يافا وحيفا ، وقبعت ١٢٠ طائرة لمواجهة الموقف المتفجر ، وأصبح وضع البريطانيين « كدبلوماسيين وقعوا فى نفس الشباك التى نصبوها » (١٠) .

وفى يوم ٢٣ أغسطس اعتدى بعض الصهيونيين على نساء وأطفال قرية **لفتا** (ضاحية بالقدس) ، مستغلين غياب الرجال فى صلاة الجمعة، وأسرع الرجال لنجدة ذويهم ، وسرعان ما انتشر القتال الى القرى المجاورة ، ثم الى بقية أرجاء فلسطين ، واستمرت المصادمات حتى ١١ سبتمبر (أيلول) ١٩٢٩ .

ارهاب وضحايا

فى الثالث من سبتمبر (أيلول) ١٩٢٩ أصدرت حكومة الانتداب بلاغا رسميا ، ذكرت فيه أن عدد القتلى بلغ ٢١٦ منهم ٩١ عربيا و١١٩ يهوديا و٦ من الشرطة الانجليز ، أما مجموع الجرحى فبلغ ٥٧٥ من الاطراف الثلاثة (١١) . أما النتائج النهائية فكانت قتل ١٣٣ صهيونيا وجرح ٣٣٩ منهم ، فى حين استشهد للعرب ١١٦ وجرح

(١٠) البروفسير رومين (آسيا المعاصرة — النمل ورد النمل) الجزء الثالث — ترجمة تسامى حسن تمرى .
(١١) أمين سعيد — المصدر السابق ص ١٠٢ .

٢٣٢، (١٢) . وكانت أكثر اصابات العرب بفعل رجال الشرطة .

وفى الخليل وحدها قتل وجرح ٦٤ صهيونيا ، فى حين استشهد فى مدينة صفد ٩ من العرب وجرح ٢٦ منهم ، ومن الجدير بالذكر ان حاييم بارليف رئيس الاركان الاسرائيلى الحالى ، هو الوحيد الذى أفلت من كل أفراد أسرته التى كانت تقيم فى الخليل آنذاك .

وشكلت الحكومة لجنة من تسعة أطباء ، ثلاثة منهم من العرب ومثلهم من اليهود والانجليز ، لفحص جثث القتلى ، وفى تقريرها نفت اللجنة عن العرب تهمة التمثيل بجثث القتلى اليهود ، فى حين ثبت رسميا تمثيل العصابات الصهيونية بأسرة عربية فى سكنة أبو كبير بمدينة يافا (١٣) .

واعتقلت الحكومة المئات من العرب ، وأصدرت على ٢٠ عربيا أحكاما بالاعدام ، وعلى ٢٣ بالسجن المؤبد ، وعلى ١٨٧ بالسجن لمدد تتراوح بين ثلاثة أعوام وخمسة عشر عاما ، وعلى ٧٩٢ آخرين باحكام مختلفة وفرضت الاقامة الجبرية على بعض قيادات الحركة الوطنية ، كما فرضت الغرامات المالية العالية على عدد من القرى العربية ، فى حين حكم على شرطى صهيونى واحد بالاعدام ، لافنائه أسرة عربية بكاملها بسلاح الحكومة ، وعلى ٩٢ صهيونيا آخرين بأحكام اخرى مخففة (١٤) .

وفى يوم الثلاثاء ١٧ يونيو (حزيران) ١٩٣٠ ، نفذ حكم الاعدام ، بسجن عكا ، فى ثلاثة من العرب هم فؤاد حجازى (من صفد) ، وعطا الزير ومحمد جمجوم (من الخليل) ، بالرغم من الالتماسات العديدة التى قدمها قادة البلاد للمندوب السامى والى مجلس الملكبلندن .

وانفضحت محاباة الانتداب للصهيونية ، أوضح ما تكون ، عندما قطع المندوب السامى البريطانى السير جون تشانسلور اجازته ، واصدر فور وصوله من لندن بيانا ، فى أول سبتمبر (ايلول) . ندد فيه « بالذين ارتكبوا جنايات قتل وحشية ضد أشخاص آمنين من السكان اليهود » ، وهدد بانزال العقاب بهم ، واشار بدهاء ، الى ان« الحوادث الاخيرة قد اوقفت المفاوضة مع الحكومة البريطانية » بشأن أحداث تغيير دستورى فى فلسطين (١٥) . أما اللجنة التنفيذية العربية فقد ردت مستنكرة بيان المندوب السامى ، كما أصدر المحامون العرب بفلسطين بيانا ، فى ٤ سبتمبر (ايلول) ، على غرار بيان اللجنة التنفيذية ، وفى ٩ سبتمبر (أيلول) ، قابل رئيس اللجنة التنفيذية (موسى كاظم الحسينى) وأمناء اللجنة الثلاثة المندوب السامى وقدموا له تقريرا عن الحوادث (١٦) .

لورنس جديد

بعد انتهاء الاحداث مباشرة ، وصل الى فلسطين الكابتن كانلج الانجليزى ، محاولا اعادة قصة لورنس المعروفة ، فالتقى بالزعماء العرب ، واستقبله بعضهم بالحفلات ، وتنقل فى ارجاء البلاد ، متظاهرا بتأييد قضية العرب ، وقد لازمه فى تنقلاته هذه فخرى النشاشيبى أحد أركان المعارضة .

وفى اواخر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٩ ، وصل الى فلسطين ، انجليزى آخر هو جون فيلبى ، والذى كان قد أشهر اسلامه وتسمى باسم عبد الله فيلبى وعمل فى بلاط ابن سعود ، وقد نجح فيلبى فى التغرير بقادة الحركة الوطنية ، وبسط لهم مشروعا لحل القضية ، عدلوه له ، واوهمهم بأنه سيقدمه لحكومة العمال ، حيث انه عضو فى حزب الحكومة ، ولهث القادة وراء فيلبى ، الى أن اكتشفوا بعد حين كذبه وخداعه ، خاصة بعد ارساله أحد الصهيونيين كرسول بينه وبين الحاج أمين الحسينى ، وبعد طلبه أموالا بحجة تغطية رحلته الى لندن .

لعبة لجان التدقيق

أرسلت حكومة صاحب الجلالة لجنة برلمانية ، فى محاولة منها لالهاء العرب وتبريد الموقف ، وكانت تلك اللجنة تمثل الاحزاب البريطانية الثلاثة (العمال ، والمحافظين ، والاحرار « للتحقيق فى الاسباب المباشرة التى أدت الى الانفجار .. والتوصية بما يتخذ لتجنب

---

(١٢) د. انيس صايغ ـ المصدر السابق ص ٩٩ ، عيسى السفرى (فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية) ص ١٦

(١٣) أمين سعيد ـ المصدر السابق ص ١٠٠ .

(١٤) المصدر السابق ١٢٠ و١٢١ ، أميل الغورى (المؤامرة الكبرى على فلسطين ومحق العرب) ص ٦٨ .

(١٥) أمين سعيد ـ المصدر السابق ص ١٠٢ .

(١٦) المصدر السابق ص ١٠٣ .

تكراره » كما جاء فى تقرير اللجنة فيما بعد . وقد ترأس اللجنة شخص رابع هو **سير والتر شو** ، وقد كان قبل ذلك قاضيا للقضاة فى احدى المستعمرات البريطانية ، كما سبق له أن ترأس اللجنة القضائية فى تسوية مسالة المضايق التركية ، ووصلت « **لجنة شو** » الى القدس يوم ٢٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٢٩ ، وعقدت أولى جلساتها فى اليوم التالى لوصولها ، وبعد حوالى مائة يوم غادرت اللجنة فلسطين ، بعد أن عقدت ٤٧ جلسة علنية و١١ جلسة سرية ، استمعت فيها الى ٦١٠ شهادة من العرب واليهود والموظفين الرسميين ، وقد ودعها العرب ، دون الصهيونيين ، وهتفوا لها .

وانتهت اللجنة من كتابة تقريرها يوم ٦ مارس (آذار) ١٩٣٠ ، الا انها تأخرت فى نشره حتى اول ابريل (نيسان) ، بسبب تأييد مندوب حزب العمال فى اللجنة **مستر سنل** لوعد بلفور دون بقية أعضاء اللجنة ، وقد أكد تقرير اللجنة أن السبب الرئيسى للاضطرابات « هو شعور العرب بالعداء والبغضاء نحو اليهود ، شعور نشأ عن خيبة أمانيهم السياسية والوطنية ، وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادى .. بسبب الهجرة اليهودية وشراء الاراضى .. وعن عجزهم المتواصل عن نيل أى قسط من الحكم الذاتى » وأيدت اللجنة ما كان قد ذكره من قبل **جون كامبل** من ان « المهاجرين الذين قدموا الى البلاد كانوا أكثر مما تستطيع البلاد استيعابه » ، وطالبت اللجنة ، فى تقريرها ، الحكومة بالحفاظ على الاراضى العربية (١٧) .

شجعت موضوعية وحياد لجنة شو ، أثناء سماعها للشهادات المختلفة ، العرب فأرسلوا وفدا ، وصل الى لندن فى ٣١ مارس (آذار) ١٩٣٠ ، برئاسة **موسى كاظم الحسينى** وعضوية **أمين الحسينى** ، **وألفريد روك** ، **وراغب النشاشيبى** ، **وعونى عبد الهادى** ، **وجمال الحسينى** . الا أن الوفد سرعان ما ترك لندن ، خائبا ، بعد سبعة أسابيع ، بعد أن تمسكت حكومة لندن بصك الانتداب .

وأرسلت الحكومة البريطانية **جون هوب سمبسون** ، ليدرس على الطبيعة مسائل الهجرة والاسكان والتنمية ، وقال سمبسون فى تقريره الذى رفعه الى حكومته فى ٢٢ أغسطس (آب) ١٩٣٠ ، أن « الاراضى الصالحة للزراعة لدى العرب لا تكفى لضمان معيشة السكان .. ونتيجة لسياسة الحكومة فى موضوع الاراضى فقد قسم عددكبيرمن الفلاحين عملهم، وارغموا على مغادرة أراضيهم ، ويرزح الفلاح العربى تحت عبء **الديون** مثقلا بالضرائب » وأن بعض الاهالى اضطروا « الى بيع أراضيهم ، اما لتسديد ديونهم ، او لدفع ضرائب الحكومة ، او للحصول على ما يسدوا به رمق عائلاتهم » ، كما أشار التقرير الى ضرورة دراسة « حقيقة البطالة بين العرب ، لا البطالة اليهودية وحدها » وذلك عندما تضع الحكومة جداول الهجرة اليهودية ، واتهم تقرير سمبسون « الوكالة اليهودية بأنها المسئولة عن جميع الحوادث المخالفة للقانون » (١٨) .

ثم اصدرت الحكومة البريطانية **الكتاب الابيض** ، فى أكتوبر (تشرين أول) ١٩٣٠ ، أكدت فيه أن صك الانتداب هو « تعهد دولى لا يمكن العدول عنه .. ومن العبث للزعماء اليهود أن يلحوا على حكومة جلالته لان تسير فى سياستها ، فيما يتعلق بالمهاجرة والاراضى مثلا ، حسب امانى طبقات الرأى العام الصهيونى المتشددة .. ومن العبث للزعماء العرب ان يصروا على مطالبهم لوضع نوع من الدستور » ، وأكد الكتاب الابيض على ضرورة **ربط الهجرة بمقدرة البلاد الاقتصادية** ، وأن « يؤخذ بعين الاعتبار عدد العاطلين من العرب واليهود » . واشار الكتاب الى « ان الوقت قد حان للسير فى مسألة منح فلسطين درجة من الحكم الذاتى » ، وان الحكومة البريطانية ستشكل **مجلسا تشريعيا** « من المندوب السامى ومن عشرة موظفين واثنى عشر عضوا منتخبا » . وأكد كتاب الحكومة البريطانية أنه لا توجد فى فلسطين « أية أراض ميسورة لاستقرار المزارعين من المهاجرين الجدد » . والحت الحكومة البريطانية فى كتابها على ضرورة « تاليف **جمعيات تعاون** من الفلاحين » . واختتمت كتابها الابيض بدعوة « العرب الى الاعتراف بالامر الواقع » و « الزعماء اليهود الى أن يعترفوا بضرورة اجراء بعض التنازل من جهتهم عن التصورات الاستقلالية الانفصالية » (١٩) .

الا أن الحكومة البريطانية عادت وانكفأت على نفسها ، بعد تعرضها لضغوط صهيونية عنيفة ، **فنفى باسفيلد** وزير المستعمرات ، على صفحات جريدة **التايمز** اللندنية — فى ٤ نوفمبر (تشرين

---

(١٧) جامعة الدول العربية (الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين — المجموعة الاولى ص ١٦٠ — ١٦١ — واميل الغورى — المصدر السابق ص ١٢٦ .
(١٨) احمد طربين — (محاضرات فى تاريخ فلسطين) ص ٩٥ — ١٠٣ .
(١٩) دروزة — المصدر السابق ص ٢٨٢ — ٣٠٥ .

ثان ١٩٣٠ — ما يقال عن — نية بريطانيا ايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين » ، ثم ارسل رئيس الوزارة البريطانية رامزى ماكدونالد — فى ١٣ فبراير (شباط) ١٩٣١ — رسالة الى الزعيم الصهيونى المعروف حاييم وايزمن أكد له فيها أن « الكتاب الابيض لا يعنى منع اليهود من امتلاك أراض جديدة •• وأن حكومة جلالته لم تقرر ، ولم يخطر ببالها ، ايقاف او منع الهجرة اليهودية •• وسينظر بعين الاعتبار الى حصول اليهود على نصيب من الاعمال الميسورة •• وتعترف الحكومة بحق المنظمات الصهيونية الا تستخدم سوى العمال اليهود » (٢٠) • وقد أودعت هذه الرسالة ضمن الوثائق الرسمية للحكومة البريطانية ، وأطلق العرب عليها اسم الكتاب الاسود.

الهبة والوطن العربى

فجرت الهبة المظاهرات الصاخبة فى سوريا والعراق ، وخرجت البرقيات من مصر والهند ، الى اللجنة التنفيذية العربية والمندوب السامى وحكومة لندن ، مؤيدة الحق العربى ، وشددت القوات الفرنسية المراقبة على الحدود السورية ، للحيلولة دون وصول السوريين لنجدة عرب فلسطين ، وفعل الانجليز نفس الشىء على حدود شرقى الاردن ، واعتقلوا الشيخ مثقال الفايز شيخ قبيلة بنى صخر لمؤازرته عرب فلسطين •

وأرسل عبد الله بن الحسين ، أمير شرق الاردن ، رسالة الى تشانسلور فى الثانى من يوليو (تموز) ١٩٣٠ ، اوضح له فيها « ان المسألة دينية •• وأن ذلك المجاز المتصل بالجدار الغربى للمسجد الاقصى الشريف وقف اسلامى » (٢١) •

وصرح الشيخ حافظ وهبة ، الوزير السعودى المفوض فى لندن ، لمندوب وكالة رويتر ، يومى ٢ و ٦/٩/١٩٢٩ « ان بريطانيا تقبض بيدها على قسطاس العدل بين اليهود والعرب » وأن ابن سعود لايتدخل فى شئون فلسطين « معتمدا على بريطانيا فى دفع المظالم عن المسلمين (٢٢) •

وأرسل الملك عبد العزيز بن سعود برقية الى اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى بالقاهرة ، ذكرها فيها « بحكم الاسلام فى حقوق أهل الاديان التى تقدمته » • وفى أكتوبر (تشرين أول) ١٩٢٩ ، أرسل برقية ثانية لنفس اللجنة وللمجلس الاسلامى الاعلى بالقدس ، أكد فيها ثقته « بأن الحكومة البريطانية ، بما يعهده من تقاليدها ، ستعامل بأقصى أنواع الشدة ، أولئك الاثمين » • وقد اشيع انه ارسل ، ايضا ، كتابا الى ملك بريطانيا طلب فيه انصاف العرب (٢٣) .

الخبرات

كانت هبة البراق — فى جوهرها — وطنية ديموقراطية ، أهدافها الارض والحرية ، وان كانت أسباب دينية هى التى اشعلتها ، وهى لم تتطور الى ثورة بسبب قصر عمرها ، فقد كان من الممكن لرد الفعل العفوى الجماهيرى هذا ، والمتمثل فى الهبة ، أن يكتسب طابعا ايجابيا من خلال حركة الشارع ، فى خضم النضال ، مما يبلور الحركة فى مؤسسات ومواقف وأفكار أكثر وضوحا وديناميكية •

ولفشل هبة البراق أسباب موضوعية وأخرى ذاتية :

● توزع قيادة الحركة الوطنية ، بالفسطاس بين دعاة التعامل مع الاستعمار البريطانى ، وبين كبار الملاك من ثوريى السنتيمترات ، مما جعل مواقف هذه القيادة تتسم بالتردد والمساومة ، وحرمت الحركة الوطنية من **القيادة الثورية** •

● اعتمدت الحركة الوطنية على **التقديرات الذاتية لقيادتها** المتخاذلة المتخلفة ، وعلى **ردود الفعل** لتحركات الاستعمار والصهيونية ، وعانت الحركة الوطنية من **غياب التخطيط** ، **وسيادة التخبط** ، **وتقديس العفوية** ، **وأهمال تنظيم الجماهير وتسليحها** •

● **الغموض الفكرى** الذى لف الحركة الوطنية ، من جراء التداخل بين معسكرى الاصدقاء والاعداء ، حيث لم تضع قيادة الحركة الوطنية الاستعمار البريطانى كعدو رئيسى ، بل طالما اتجهت اليه لانصافها من الصهيونية • كما ان معسكر الثورة كان يضم ، كما رأينا ، الوطنى والعميل جنبا الى جنب وعلى

---

(٢٠) احمد طربين — المصدر السابق ص ١٤١ — ١٤٣ — وجامعة الدول العربية — المصدر السابق ص ١٨٨ — ١٩٤ •

(٢١) تيسير ظبيان — المصدر السابق ص ٢٥ •

(٢٢) أمين سعيد — المصدر السابق ص ١٠٨ .

(٢٣) المصدر السابق ص ١٠٨ .

قدم المساواة ، وفوق هذا كانت الجماهير العربية تفتقر الى برنامج سياسي وعسكري صحيح.

● غياب التنظيم الثوري .. فبالرغم من وجود الحزب الشيوعي الفلسطيني ، الا انه كان أسير خط انعزالي في السياسة والتنظيم.

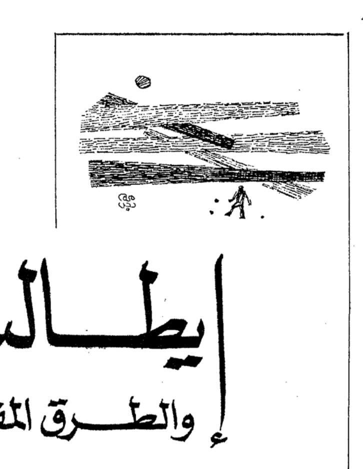
● ولم يكن الموقف العالمي يسمح بانتصار أي من حركات التحرر في المستعمرات ، فقد كان النظام الاشتراكي محصورا في دولة واحدة ، تعاني من مشاكل البناء ومن مؤامرات التخريب في الداخل والخارج ، وبذا حرمت الحركة الوطنية الفلسطينية من النصير القوي، في حين كانت الامبريالية والصهيونية تعيش مرحلة قوتها وبأسها.

ومع ذلك لم تضع هبة البراق سدى ، فقد ضاقت ، بعدها ، الهجرة اليهودية ، اذ لم يدخل البلاد في السنوات الثلاث التي اعقبت الهبة الا ستة عشر الف مهاجر يهودي ، (٢٤) بالرغم من ضغط الازمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩ ـ ١٩٣٢) ، وبالرغم مما كان قد صرح به وايزمن غداة الاضطرابات من ان الحركة الصهيونية سوف ترسل الى فلسطين الف يهودي مكان كل يهودي قتل . (٢٥).

على ان القيمة التاريخية لهذه الهبة ، كانت في كونها اقنعت الجماهير الفلسطينية بعدم جدوى أساليب النضال السلبية في مواجهة الاستعمار والصهيونية ، وبأن الحرية تنتزع ولاتمنح ، كما غيرت وصححت المواقع داخل معسكري الاعداء والاصدقاء .. فكانت بذلك تمثل نهاية مرحلة وبداية اخرى ، اكثر ثورية ، في حياة الحركة الوطنية الفلسطينية ، والتي وصلت قمتها في الانتفاضة المسلحة التي قادها **عز الدين القسام** في نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٣٥ ، وفي الثورة المسلحة الشاملة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ المجيدة.



(٢٤) د. انيس صايغ (المصدر السابق) ص ١٠٠.
(٢٥) أمين سعيد ـ المصدر السابق ص ١٠٩ .



إيطاليا والطرق المفتوحة

فتحى عبد الفتاح

للمرة الثانية والعشرين بعد الحرب العالمية الثانية ، تعيش ايطاليا ولمدة شهر كامل — طوال شهر يوليو — بدون وزارة،وكل يومين يستقبل **جوزيبى ساراجات** رئيس الجمهورية مرشحا جديدا لتأليف الوزارة بعد أن يجد المرشح السابق صعوبات كثيرة فى طريق اعادة التحالف الرباعى الذى حكم ايطاليا منذ سنة ١٩٦٨ ، والمكون من **الحزب الديمقراطى المسيحى، والحزب الاشتراكى الديمقراطى ، والحزب الديمقراطى ، والحزب الجمهورى** .

وربما نجح **كولومبو** ، أو اندريوتى ، أو اميليوتافياتى من الحزب المسيحى الديمقراطى فى تشكيل الوزارة الثالثة والعشرين سواء من التحالف القديم أو من الحزب المسيحى الديمقراطى وحده، ولكن المؤكد انه نجاح مؤقت سرعان ما تنسفه المتفجرات الموضوعية التى تجعل من استمرار هذه التحالفات التقليدية أمرا يكاد يرقى الى درجة المستحيل .. وتعود لعبة « التقييد الوزارى » التى لم تعد مستحبة بين قطاعات واسعة من الشعب الايطالى ..

أزمة نظام

والواقع أن الازمة **الوزارية** فى ايطاليا ولعدة أسباب سياسية واقتصادية واجتماعية انما تعبر عن أزمة السلطة الحاكمة التى ظلت تحكم ايطاليا منذ سنة ١٩٤٧ ، وبالتحديد منذ استبعد الحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى **(جناح بيترونينى)** وشكلت حكومة الحزب المسيحى الديمقراطى والحزب الاشتراكى الديمقراطى (جناح ساراجات) التى ربطت ايطاليا بحلف الاطلنطى وبالمعسكر الغربى .

وفى أوائل الستينات حققت السلطة الحاكمة فى ايطاليا ما كانت تعتقد أنه بمثابة قطع الطريق نهائيا أمام الشيوعيين وقوى اليسار ، حين فضل الحزب الاشتراكى تحالفه مع الشيوعيين والذى استمر لما يزيد عن ١٥ عاما ، وانضم الى الحزب الاشتراكى الديمقراطى مكونا الحزب الاشتراكى الموحد ومشاركا فى السلطة ..

ومنذ سنة ١٩٦٣ حتى مايو ١٩٦٨ شهدت

ايطاليا سياسة ما سمى « بيسار الوسط » المتمثلة فى تحالف الحزب المسيحى الديمقراطى والحزب الاشتراكى المتحد ،ومضتخمس سنواتكانت تعتبر بحق الفترة الذهبية للسلطة البورجوازية فى ايطاليا ، اذ تحققت فى هذه الفترة من وجهة نظرهم النتائج التالية :

أولا : انفصال الاشتراكيين عن الشيوعيين وانضمامهم الى تحالف « يسار الوسط » الامر الذى كاد يوحى بأن الحزب الشيوعى الايطالى ، وهو أقوى حزب شيوعى خارج الدول الاشتراكية ، قد أصبح معزولا ومحاصرا وحده فى مقاعد المعارضة ٠

ثانيا : زيادة واضحة فى الاستثمارات الرأسمالية سواء داخل ايطاليا أو خارجها مما جعل البعض فى تلك الفترة يشير الى ما سمى بالمعجزة الايطالية على منوال « المعجزة الالمانية » وبرزت فى تلك الفترة مؤسسات وشركات ايطالية مثل اينى للبترول وانسالدو الكيماوية ركوجيكو للمبانى وفيات للسيارات كمؤسسات رأسمالية عالمية لا تقل فى قدراتها ونفوذها عن الاحتكارات الامريكية والانجليزية والفرنسية والالمانية ٠

ثالثا : تحقيق ارتفاع فى مستوى الدخل القومى ، وبغض النظر عن الطبقات التى حققت ارتفاعا كبيرا فى دخولها وهى الرأسمالية الكبيرة والشرائح العليا والمتوسطة ، الا أن هذا اضفى لمعانا وبريقا على المجتمع الايطالى استطاع أن يخفى وراءه الكثير من معاناة وفقر الطبقات الاخرى ٠

افلاس يسار الوسط

وحينما اجريت انتخابات مايو سنة ١٩٦٨ كان بيترونينى وساراجات وامينتورى فانفانى ممثلو تحالف يسار الوسط المتمثل للاشتراكيين والاشتراكيين الديمقراطيين والمسيحيين الديمقراطيين على ثقة من اكتساح الجولة التى اعتبروها تتويجا لما حققه تحالفهم طوال خمس سنوات ٠

وجاءت نتائج الانتخابات مفاجأة مطلقة لتوقعاتهم ٠٠ فالحزب المسيحى الديمقراطى لم يحصل الا على ٣٩ فى المائة من الاصوات وهو الذى كان يحصل دائما على نسبة تتراوح بين ٤٥ ، ٤٨ فى المائة منها ٠

والحزب الاشتراكى المتحد يخسر مليون صوت تقريبا ، ويتقلص عدد نوابه من ١٢٠ نائبا الى ٩٠ نائبا ٠

فى حين يحقق الحزب الشيوعى انتصارا ساحقا فيحصل على حوالى ٣٣ فى المائة من الاصوات متحالفا مع حزب اتحاد البروليتاريا الذى انشق عن الحزب الاشتراكى (**نينى**) **حين انضم الاخير الى الحزب الاشتراكى الديمقراطى ٠ ويحصل** الشيوعيون على ٢٥ دائرة انتخابية اضافية ٠

ولم تكن انتخابات مايو ١٩٦٨ مجرد صدمة مفاجأة لتحالف « يسار الوسط » بل كانت فى الواقع قلبا لموازين القوى فى المجتمع الايطالى واشهارا لافلاس تلك السياسة ٠٠

وقد حققت الاحداث فى خلال العامين الماضيين عمق التغيير الذى جاءت به انتخابات سنة ١٩٦٨ ٠٠

وكانت أولى النتائج المباشرة للانتخابات انفصال الحزب الاشتراكى مرة أخرى عن الحزب الاشتراكى الديمقراطى بعد ثورة واسعة بين قواعد الحزب الاشتراكى ولومها لقيادة نينى لاستسلامها أمام اليمين وتبنى سياسته فى المجال الداخلى والخارجى ٠

وكانت النتيجة الثانية هى بروز التكتلات داخل الحزب المسيحى الديمقراطى نفسه ، وظهور ثلاث اجنحة واضحة داخل الحزب : الجناح اليمينى التقليدىالمحافظ،ثمجناح الوسطالراديكالى ويتزعمه فانفانى والدو مورو ، ثم الجناح اليسارى بزعامة جوليتى وهو يدعو صراحة الى الانسحاب من الاطلنطى واتباع سياسة مستقلة نابعة من مصالح ايطاليا وارتباطاتها بحوض البحر الابيض المتوسط ٠

وثمة نتيجة ثالثة أكدتها هذه الانتخابات ،هو أن ما سمى بالمعجزة الايطالية ، **وازدهار الاقتصاد** الايطالى لم يكن الا مظهرا شكليا لتحالف الرأسمالية الكبيرة الايطالية مع **الاحتكارات** الامريكية والالمانية الغربية ، وأن قطاعات واسعة من الشعب الايطالى لم تحس أو تمارس هذا الازدهار ٠

نقطة تحول

وكانت نتائج مايو سنة ١٩٦٨ تعتبر بحق نقطة تحول هامة فى تاريخ ايطاليا بعد الحرب العالمية الثانية ، لانها جاءت بمثابة ضربة قاتلة لاحلام المسيحيين الديمقراطيين وحلفائهم من الاشتراكيين

والاشتراكيين الديمقراطيين، وعلى عكس توقعاتهم فانه من الضرورى القاء الاضواء على بعض القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى أدت الى هذا التحول ..

بالنسبة للوضع الاقتصادى ، وعلى الرغم من الازدهار المؤقت للاقتصاد الايطالى فى السنوات الخمس الاولى للستينات ، فان ثمة حقائق تؤكد أن هذا الازدهار لم ينعكس على الطبقات الشعبية والوسطى، بل استأثرت به الشرائح العليا من المجتمع والمتحالفة مع رؤوس الاموال الامريكية والانجليزية والالمانية ، ووفقا لاحصائيات سنة ١٩٦٨ فأن مجموع المبالغ الامريكية المستثمرة فى ذلك العام فى ايطاليا بلغت ٢ر٢٢ مليار ليرة ، كما بلغت رؤوس الاموال البريطانية حوالى ٢ مليار ليرة ، فى حين بلغت رؤوس الاموال الالمانية والسويسرية حوالى ٨ مليارات ليرة .

ومعنى هذا أن الاقتصاد الايطالى كان يتحرك مستندا الى ركيزتين احداهما امريكية والاخرى تتكون من مجموعة دول السوق الاوربية ، وأن الشركات الايطالية التى خرجت تغزو أسواق العالم وخاصة السوق العربية مطعمة برؤوس اموال امريكية وانجليزية والمانية ، كانت فى الواقع تعمل لحساب هؤلاء أكثر منها لحساب الشعب الايطالى ، فبينما حققت هذه الشركات خلال الستينات أرباحا خيالية ، فان أجور ومرتبات العمال والموظفين لم تزد الا بنسبة ضئيلة تقل عن نسبة زيادة الاسعار فى تلك الفترة ، ولذلك ليس غريبا أن تصبح مشكلة الاجور، وتخفيض الضرائب الغير مباشرة القضية الرئيسية التى تثيرها الطبقات العاملة فى ايطاليا والتى أدت الى الاضرابات الواسعة المستمرة لاتحادات العمال والنقابات المهنية واتحادات العاملين فى الدولة لعل أشهرها اضرابات صيف سنة ١٩٦٨ ، سنة ١٩٦٩ ومارس وابريل سنة ١٩٧٠، والتى شملت قطاعات واسعة من العاملين ابتداء من ممرضى المستشفيات والاطباء الى عمال النقل والمواصلات والمؤسسات الصناعية والحكومية واشترك فيها اكثر من ٥ ملايين عامل وموظف .

كذلك فمن أهم مطالب تلك الطبقات التوسع فى الخدمات الاجتماعية التى لم تبذل حكومات يسار الوسط أى جهد لتطويرها ، مما ادى الى أزمات حادة فى الاسكان وارتفاع شديد فى الايجارات . فالحصول على شقة صغيرة فى روما مثلا يكلف الموظف أو العامل الايطالى أكثر من ثلث دخله ، وهناك أيضا اصرار حكومات يسار الوسط على عدم رفع نسبة المعاش لاكثر من ٦٠ فى المائة فى حين يطالب العمال والموظفون برفع النسبة الى ٨٠ فى المائة يساندهم فى ذلك الحزب الشيوعى ..

وفوق كل هذا فان هناك ازديادا فى نسب البطالة وازديادا فى انخفاض مستوى الانتاجية مما أدى فى سنوات ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ الى انخفاض الانتاج الصناعى واهتزاز فى قيمة الليرة الايطالية ..

أما فى المناطق الزراعية والتى كان يعتبرها الحزب المسيحى الديمقراطى قاعدته الثانية وخاصة فى الجنوب ، فان ارتباط ايطاليا بالسوق الاوربية المشتركة كان كارثة للفلاحين الايطاليين ، فشهدت السنوات الاخيرة تكدس المنتجات الزراعية دون تصريف كما شهدت خللا فى الميزان التجارى لايطاليا مع دول السوق وخاصة فيما يتعلق بالمنتجات الزراعية ، كما أن الاصلاح الزراعى الذى طبق فى ايطاليا تحول بفعل عوامل التفتيت والتركز الى زيادة تركز الارض فى أيدى اغنياء الفلاحين مع زيادة أعداد عمال الزراعة الذين يفقدون ملكياتهم ..

اتجاهات جديدة

أما من الناحية السياسية فقد شهدت الستينات تحولا هاما بين قطاعات واسعة من الرأى العام الايطالى فى اتجاه مضاد للارتباط بأمريكا وبحلف الاطلنطى ، والغريب أن هذا التحول كان يحدث فى نفس الوقت الذى كان الحزب الاشتراكى (اتجاه نينى) يتخلى عن مواقفه المعروفة بالعداء للاطلنطى ، ويتحد مع الحزب الاشتراكى الديمقراطى ليشتركا سويا مع الحزب المسيحى الديمقراطى فى تحالف يسار الوسط الذى يقوم أساسا على فكرة تدعيم الارتباط بالاطلنطى .

بل انه فى الفترة بين سنة ١٩٦٣ الى سنة ١٩٦٨ كان نينى أكثر تمسكا بالاطلنطى وبالارتباط بالسياسة الامريكية عن حلفائه من المسيحيين الديمقراطيين ، الامر الذى أدى ، كما أثبتت انتخابات مايو سنة ١٩٦٨ الى أن يفقد الحزب الاشتراكى (نينى) الكثير من قواعده وجماهيره التى ارتبطت به على أساس تراث نضالى سابق ضد الاحلاف العسكرية ، وضد السياسة الامريكية ..

وقد لعبت عوامل كثيرة فى تغيير اتجاه جانب هام من الشعب الايطالى ازاء الاحلاف والسياسة الامريكية ، فبالاضافة الى تغلغل النفوذ والسيطرة الامريكية على الاقتصاد الايطالى والذى آثار أجزاء هامة بين البورجوازية الايطالية كان هناك عاملان آخران هامان :

أولهما : انفضاح السياسة الامريكية على النطاق العالمى وخاصة فى فيتنام وامريكا اللاتينية

والشرق الاوسط ، وتدل المظاهرات الصاخبة التى اشترك فيها الطلبة والعمال ضد السياسة الامريكية على أن هذه المظاهرات لم تكن تقتصر على شباب وأعضاء الحزب الشيوعى الايطالى فقط ، بل كانت تشمل قواعد الاشتراكيين والمسيحيين الديمقراطيين .

ثانيهما : التمرد الديجولى على أمريكا وحلف الاطلنطى واتباع سياسة قومية مستقلة تخضع مصالح البورجوازية الفرنسية فى المقدمة اعطى نموذجا ايجابيا لقطاعات من الرأسمالية الايطالية وخاصة تلك التى أضيرت من اجراء السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط أو فيتنام ، فمثلا انخفضت حركة الشحن فى الموانى الايطالية بنسبة تتراوح بين ٣٠ ، ٥٠ فى المائة بعد اغلاق قناة السويس نتيجة العدوان الاسرائيلى سنة ١٩٦٧ .

ولقد ادت هذه العوامل الى الدعوة المتزايدة داخل صفوف الشعب الايطالى من أجل اتباع سياسة ايطالية مستمدة من « رضع ايطاليا ومصالحها فى البحر الابيض » وهذه السياسة تعنى باختصار انسحاب ايطاليا من حلف الاطلنطى ، ويلتف حول هذا الشعار اليسار الشيوعى وقواعد الاشتراكيين وبعض قطاعات من اليمين القومى المثلة فى القطاع اليسارى داخل الحزب المسيحى الديمقراطى ، وقد زاد من هذا الاتجاه ما يمكن ان يسمى بالشعور المعادى للامريكية على حد تعبير احد اعضاء مجلس الشيوخ الايطالى ،وقد احسست فى زيارة قمت بها لايطاليا فى صيف سنة ١٩٦٨ ان رجل الشارع الايطالى وهو معتز بتاريخه وتراثه الفنى والفكرى ينظر الى الامريكيين نظرته الى غنى الحرب الغبى الذى يتصور انه يمكنه شراء كل شيء بماله .

وقد لخص احد المثقفين الايطاليين الموقف بقوله « ان روح العداء للفاشية والنازية الذى تكون لدى الرجل الاوربى فى النصف الاول من القرن العشرين ، قد أصبح فى النصف الثانى عداء للامريكية ، باعتبارها تجسيدا لكل مساوىء الفاشية والنازية » .

الكنيسة والشيوعيون

ولا يمكن الحديث عن الازمة الايطالية الراهنة دون التعرض للكنيسة ومواقفها ، فالكنيسة الايطالية موطن البابا سلطة لا يستهان بها فى تاريخ ايطاليا ، فبوحى من الكنيسة توحدت ايطاليا فى القرن التاسع عشر ، وبوحى من الكنيسة ايضا قامت الفاشية فى ايطاليا ، وباسم الكنيسة وسلطتها حكم الحزب المسيحى الديمقراطى ايطاليا ، بعد الحرب العالمية الثانية ..

وفى الستينات حدثت تطورات هامة فى موقف الكنيسة ، فبعد الحرب المقدسة التى كانت تشنها على الحزب الشيوعى والاحزاب اليسارية وقرارات اللعنة والحرمان التى كانت تلاحق اى عضو او اى شخص متعاطف مع هذه الاحزاب ، بدأ فى الستينات ما يمكن ان يسمى « بالمغازلة المتبادلة بين الكنيسة والشيوعيين » .

وقد فسر « أرماندو سافيولى » نائب رئيس تحرير اليونيتا جريدة الحزب الشيوعى الايطالى هذا الموقف بأنه يرجع الى أن بعض القيادات الكنيسة تضع فى الاعتبار عندما تتخذ مواقفها مطالب الشعب الايطالى والرأى العام العالمى ، ويضرب مثلا على ذلك بمواقف البابا من حرب فيتنام والشرق الاوسط . كما أن كثيرا من الكاثوليك بدأوا يفقدون ثقتهم فى الحزب المسيحى الديمقراطى ..

وفى انتخابات سنة ١٩٦٨ صوت كثير منهم الى جانب المرشحين الشيوعيين واليساريين ، بل ان الكنيسة الايطالية بدأت تبنى لنفسها قاعدة عامة بين جميع الاحزاب ، حتى أن عددا من الكاردينالات البارزين منهم « **كاردينال بولونيا** » دعوا فى الانتخابات الاخيرة للتصويت للمرشح الشيوعى .

وتكررت نفس الظاهرة فى الانتخابات التى أجريت اخيرا فى يونيو سنة ١٩٧٠ .

احتمالات ثلاث

واذا كانت انتخابات مايو سنة ١٩٦٨ قد حطمت من الناحية العملية اسطورة استقرار سياسة يسار الوسط الناجمة عن التحالف غير الطبيعى بين الاشتراكيين والمسيحيين الديمقراطيين ، فان الانتخابات البلدية والاقليمية التى أجريت فى يونيو سنة ١٩٧٠ تدمت بوضوح بديلا لهذه السياسة البالية . ففى هذه الانتخابات الاخيرة استطاع الشيوعيون فى تحالف مع قواعد الاشتراكيين (اتجاه بيترونينى) ان يحصلوا على أغلبية ساحقة فى كثير من مجالس الاقاليم

والمجالس البلدية وخاصة فى روسكان داميريان وايميليا رومانا وبولونيا بالاضافة الى الاقاليم التى كان يسيطر عليها الشيوعيون أصلا • والحقيقة ان ازدياد المناطق الحمراء فى الحكومات المحلية فى ايطاليا هو الذى ادى مباشرة الى الازمة الوزارية الاخيرة حين استقال ماريانو رومور فى ٧ يوليو الماضى بعد أن احتج الحزب الاشتراكى الديمقراطى (ساراجات) على تحالف الحزب الاشتراكى (نينى) مع الشيوعيين فى الانتخابات المحلية ••

والحلول المعلنة او المستترة لازمة الحكم الحالى فى ايطاليا لا يمكن أن تخرج عن ثلاثة حلول وراء كل منها قوى سياسية واجتماعية تعمل من اجلها •

فأول هذه الحلول هو ان ينجح كولومبو او غيره فى تشكيل وزارة من قوى التحالف القديم (المسيحى الديمقراطى - الاشتراكى - الاشتراكى الديمقراطى - الجمهورى) وحيث انه نجح بالفعل الا أنهناك اجماع على أنذلك سيكون نجاحا مؤقتا ، وذلك لان هناك كثيرا من الاسباب الموضوعية التى سبق وأشرنا اليها التى تجعل استمرار هذا التحالف امرا عسيرا ان لم يكن مستحيلا ••

اما الاحتمال الثانى فهو أن تقوم بعض الاوساط العسكرية متعاونة مع بعض القوى اليمينية بانقلاب عسكرى على نمط ما حدث فى اليونان لتصفية اليسار الايطالى ، وهذا الاحتمال تقف امامه عقبات كثيرة تجعله هو الاخر شبه مستحيل ، فالشيوعيون واليسار الايطالى يمثلون قوةكبيرة لا يستهان بها، ولا يمكن ضربها بسهولة ، كما أن المجتمع الايطالى نتيجة تجربته المريرة مع الفاشية لديه حساسية شديدة ضد أى اتجاهات من هذا النوع،واكبر دليل على ذلك هى الضجة التى حدثت سنة ١٩٦٨ حين فضح الحزب الشيوعى مؤامرة كان يدبرها رئيس أركان حرب الجيش الايطالى مما ادى الى طرده وطرد عدد من كبار الضباط من وزارة الدفاع الايطالية ، كذلك فان الحركة الاشتراكية الايطالية وهو اسم الحزب الفاشى الجديد لا يحظى بين الايطاليين سوى بالسخرية مثلما حدث فى انتخابات سنة ١٩٦٨ •

ويبقى الاحتمال الثالث وربما كان اكثرهم واقعية ، وهو اشتراك الشيوعيين فى الحكم ، وهذا الاحتمال تجابهه هو الاخر صعوبات شديدة ، منها عناد قطاعات واسعة من قيادات الحزب المسيحى الديمقراطى ، والحزب الاشتراكى الديمقراطى (ساراجات) واصرارهما على ابعاد الشيوعيين ، ومنها ايضا ان الشيوعيين وحلفاءهم من حزب اتحاد البروليتاريا يشترطون للاشتراك فى الحكم تنفيذ برامج سياسية واجتماعية تغير من جوهر السياسة الايطالية الحالية وتقوم هذه السياسة على محورين :

أولهما : الانسحاب من حلف الاطلنطى ، واتباع سياسة ايطالية مستقلة نابعة من مصالح ايطاليا فى البحر الابيض ، وفى دول العالم الثالث •

ثانيهما : **تأميم** عدد من المنشآت الصناعية والتجارية واجراء اصلاح زراعى جذرى بما يحقق للعمال والفلاحين مشاركة حقيقية فى الانتاج وفى السلطة ••

وسواء نجح احدهم فىتشكيل وزارة ائتلافية ،او اجريت انتخابات جديدة قبل موعدها بثلاث سنوات ، فان هناك اجماعا على أن الطريق الوحيد المفتوح نسبيا امام ايطاليا فى السنوات القليلة القادمة هو اشتراك الشيوعيين فى الحكم •





التراث والتجديد فى فن سيد درويش

سليمان جميل

توافق هذه الايام الذكرى السابعة والثلاثين لوفاة الفنان الخالد « سيد درويش » [١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٣) .
وفى هذه المناسبة تثار من جديد قضية جمع تراث هذا الفنان العظيم ، باعتبارها تشكل مرحلة هامة فى تاريخ تطور الموسيقى المصرية : واعادة تقديمها الى الحياة . وانها اعمال تلمس بالنغمة كل احداثنا المعاصرة ، وهذا هو الدليل على حيويتها وبقائها حتى الان.

لكى نلقى الضوء على الجانب الموسيقى فى حياة سيد درويش ، فانه يتحتم علينا أن نلقى الضوء اولا على خصائص التلحين والغناء التى كانت سائدة فى مصر قبل ظهور سيد درويش ، خصوصا وان تلك الخصائص هى التى تعلمها هذا الفنان فى مرحلة نشأته الموسيقية ، ثم ثار عليها وخلق أسلوبا جديدا فى التلحين والاداء الغنائى استلهمه من بيئة الحرفيين بالذات .

الغناء محور التعبير

الموسيقى فى مصر

كانت حنجرة المغنى وما زالت هى سيدة الالات الموسيقية ، وكانت وما زالت الحنجرة ــ وهى الالة الموسيقية الطبيعية ــ هى محور التعبير الموسيقى الذى تقلده ، وتتحدد فى نطاقه وظيفة الالات الموسيقية التى صنعها الانسان المصرى ، وان كان الغناء بالحنجرة وما يصاحبه من آلات موسيقية صناعية هو السائد فى مصر ، فان بعض أشكال التعبير الموسيقى التى تعزفها الالات الموسيقية دون عنصر الغناء البشرى له وجود فى حياتنا الموسيقية مثل « السماعيات » والبشارق .. الخ . ولقد ازدهرت هذه المقطوعات الموسيقية أول الامر فى تركيا وهى مستلهمة ــ كأسلوب وشكل ــ من أساليب وأشكال « الموشحة » و « النوبات » التى ظهرت أصلا فى عصر الاندلس وبغداد ــ العصر العباسى الذهبى ــ وكانت تلك الاشكال الموسيقية ومن أهمها « النوبات » تضم الغناء البشرى ، وكذلك فقرات العزف بالالات الموسيقية فقط ، ولقد سادت أشكال الغناء والمقطوعات الموسيقية التى أثمرتها الحضارة العربية فى العصر الوسيط وتبنتها تركيا منذ القرن الخامس عشر ، وانتشر هذا التراث الموسيقى والغنائى فى البلاد العربية ، وانتقل عبر الاجيال شفويا وعلى مستوى المدن الكبيرة والصغيرة فى الاقاليم ، ومن وحى أساليب الموشحات والنوبات ظهرت أساليب تلحين القصائد الدينية وتبلورت هذه الاساليب فى صياغة الشعر الصوفى بأوزان ايقاعات موسيقية موروثة مثل « السماعى الثقيل » و « المصمودى الكبير والصغير » و « الدارج » الخ .. وظهرت موشحات وقصائد مدرسة المشايخ حول حلقات قراءة القرآن وأوراد الاذكار . وتبلورت أساليب الموسيقى الدينية فى مصر فى شكل القصيدة والموشحة والانشاد المنفرد والجماعى فى حلقة الذكر ، وظل أساس هذه الاساليب والاشكال الموسيقية الدينية هو استخدام عناصر موسيقية أولية مستخدمة فى موسيقى التراث ، وهى الاوزان الايقاعية

المحددة – وهى المقابلة لبحور الشعر العربى القديم ، وكذلك المقامات الموسيقية ، وهى مادة النغم الاولية التى تصاغ منها الالحان ، ومهما اختلفت أسماء الاوزان الايقاعية والمقامات الموسيقية من بلد عربى الى بلد آخر ، فان هذه العناصر الموسيقية الاولية هى الجوهر المشترك فى القصائد أو الموشحات أو السماعيات .. الخ فى جميع البلاد العربية ، وبعض البلاد الاسيوية والافريقية التى انتشر فيها الاسلام ، وقد يختلف أسلوب التلحين فى شكل القصيدة أو الموشحة أو السماعى من بلد عربى الى بلد آخر ، وهذا ما يوضح اختلاف الذات الموسيقية ، ولكن فى اطار أشكال موسيقية تقليدية موروثة .

عبده الحامولى (١٨٤٠ – ١٩٠١)

كان مغنيا مصريا ذاعت شهرته فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .. **أولا** ، لان صوته كان قويا ومساحة درجات انغامه تشمل طبقة القرار والجواب، والقرار هو ترديد النغم المنخفض والجواب هو الترديد الحاد لهذا النغم . **ثانيا** ، كان عبده الحامولى مجيدا فى اداء أساليب الغناء التقليدية مثل القصيدة والموشحة ، وتقاسيم الحان المنشد المنفرد ، وكان أهم ما يميز ألحان القصيدة التى يؤديها **أولا** : التزام الوزن الايقاعى الواحد المتكرر والذى يخلق بتكراره قافية موسيقية موازية لقافية الشعر . **ثانيا** : ابتكار الالحان وهذا الابتكار اللحنى هو ما يقال عنه تقاسيم الالحان ، وقد يكون مقيد الوزن ايقاعيا كالشعر ، أو متحررا من هذا القيد الايقاعى كالنثر . ولم تكن القصيدة التى يغنيها عبده الحامولى ذات شكل موسيقى محدد بقدر ما هى أسلوب فى ابتكار الالحان بغير تصور عام وكلى لحركتها ، وعلى هذا الاساس فان عبده الحامولى ليس ملحنا وانما مبتكرا للالحان بأسلوب التقاسيم بما يلائم قدرته المتفوقة على أداء حركات النغم الصعبة صعودا وهبوطا ، ولم يكن عبده الحامولى مبتكرا لكل تقاسيم الالحان التى اداها ، بل كان كثير من هذه الالحان منقولا من تراث تقاسيم الالحان التى حفظها عبده الحامولى فى بداية نشأته الموسيقية ، وبما أن الغناء البشرى كما عرفنا كان هو محور التعبير الموسيقى والتأثير فى المستمع المصرى ، فان قوة الصوت وانطلاقه وقدرة الحنجرة على أداء الحركة اللحنية الصعبة ، خصوصا عند قفلة اللحن – نهايته – وهى ما يقال عنها « الفرملة » كانت هذه الخصائص هى التى تميز مطربا عن مطرب آخر ، وكان عبده الحامولى يمتاز بهذه الخصائص كلها مضافا اليها استعداده الفطرى فى ابتكار الالحان وتنويعها بأسلوب التقاسيم ساعة الغناء أمام الجمهور .

فى حدود هذه الخصائص الموسيقية التقليدية ، وهى :

أولا : أسلوب تقاسيم الالحان – بالغناء – وترجمتها بالالات الموسيقية، وخصوصا – آلة القانون .

ثانيا : أداء الحركات اللحنية الصعبة .

ثالثا : قدرة الحنجرة على تحقيق « الفرملة ». بمعنى القدرة على التوقف بحركة لحنية صعبة عند نهاية اللحن ، كل هذه الخصائص الموسيقية هى التى كان يجب توفرها فى المغنى المصرى حتى ينال الشهرة ، وهذه الخصائص الموسيقية كانت أيضا هى معايير التذوق الموسيقى خصوصا على مستوى جماهير المدن الكبيرة قبل ظهور سيد درويش .

محمد عثمان (١٨٥٧ – ١٩٠٠)

لم يكن هذا الفنان المصرى قادرا على الغناء ، فقد كان ملحنا أكثر منه مغنيا ، كان محمد عثمان موهوبا فى ابتكار الالحان ، ولكنه لم يبتكرها فقط بأسلوب التقاسيم كزميله عبده الحامولى ، وانما بقصد تكوين شكل موسيقى نهائى ومحدد لحركة الالحان ، وعلاقتها ببعضها ، ويقال ان محمد عثمان هو رائد تلحين « الدور » الغنائى المصرى الحديث ، فقد كان هذا « الدور » يتكون شعريا من « مذهب » و « أغصان » من بحر عروض واحد ، يكسوها الملحن بلحن واحد ذى ايقاع ونغم واحد يتكرر دون أى تغيير (١) . وكان التغيير الذى أحدثه محمد عثمان فى الدور ، وحقق به مرحلة ثورية فى التعبير الغنائى هو كسوة « المذهب » وكسوة «الاغصان» – الكوبلية – بالحان متنوعة ومختلفة عن لحن المذهب ، وأهم الخصائص الجديدة التى ابتكرها محمد عثمان سواء فى تلحين « الدور » أو « الموشحة » هو التلحين بأسلوب الحوار بين المنشدين على شكل سؤال وجواب (٢) . هكذا كان الملحن محمد عثمان مجددا فى أسلوب التلحين ولكن فى اطار الشكل

---

(١) دور « البدر لاح فى سماه »تلحين الشيخ المسلوب تسجيل اسطوانات شركة جراموفون سنة ١٩٠٥ .
(٢) موشح « ملا الكاسات وسقانى »ايقاع سماعى ثقيل من تسجيلات فرقة الموسيقى العربية – تلحين محمد عثمان – شركة صوت القاهرة . والحوار فى هذا الموشح بين جماعة المنشدين هو ما يقال عنه – الهنك –

التقليدى « للدور » أو « الموشحة » الخ • وكانت من التقاليد الموسيقية المتبعة أن يمهد الملحن للقصيدة أو الدور بعزف مقطوعة موسيقية، قصيدة تتكون من لحن واحد وتسمى ـ دولاب ـ وظل هذا التقليد مستخدما فى بعض الادوار أو القصائد التى لحنها محمد عثمان ومن جاءوا بعده حتى سيد درويش ومحمد عبد الوهاب •

الشيخ سلامة حجازى (١٨٥٢ ـ ١٩١٧)

اشتهر الشيخ سلامة حجازى بالغناء أكثر من شهرته بالتلحين ، ولقد نشأ الشيخ سلامة حجازى مقرئا ومنشدا فى حلقات الذكر ومارس الغناء باسلوب تقاسيم الالحان ومعظم قصائده وادواره الغنائية فى المسرح الغنائى تمتاز بهذا الاسلوب ، وانما الجديد الذى ابتكره الشيخ سلامة حجازى على خشبة المسرح الغنائى المصرى هو الاداء الغنائى التصويرى وهذا الاداء لم يتحقق فى اطار شكل موسيقى جديد ، فلم يكن أسلوب الشيخ سلامة حجازى فى ابتكار الالحان قادرا على تجاوز حدود أسلوب التقاسيم الى نطاق ابتكار شكل موسيقى محدد للغناء على خشبة المسرح الغنائى ، والحقيقة أن مسرح سلامة حجازى لم يكن مسرحا غنائيا بالمعنى الفنى المعروف عالميا ـ الاوبريت والاوبرا ـ وانما كان مسرحا لتقديم تمثيلية يتخللها الغناء المصرى التقليدى والذى استطاع سلامة حجازى أن يبلوره احيانا فى اداء غنائى تصويرى يعبر عن موقف حب او هزيمة ، او انتصار او فرح فى التمثيلية ، واهم خصائص هذا الاداء الغنائى هى ارتعاشة الصوت الطبيعية فى حنجرة الشيخ سلامة حجازى ، وايضا قدرة هذه الحنجرة على اداء انغام بينها مسافات صوت كبيرة •

سيد درويش (١٨٩٢ ـ ١٩٢٣)

بعد هذه المقدمة التى لخصنا فيها اهم خصائص التلحين والغناء فى مصر قبل ظهور سيد درويش ، نضيف ان هذا الفنان قد بدأ حياته الموسيقية بدراسة هذه الخصائص ، فهو أولا شيخ قطع مرحلة فى دراسة قراءة القرآن وتجويده ، وحفظ كثيرا من الانشاد والقصائد الدينية ، واكتسب كثيرا من خصائص الاداء الغنائى ومن أهمها اتقان الحركة اللحنية الصعبة خصوصا اجادة قفلات الالحان ، وهى ما يقال عنه ـ « الفرملة » او العفق بالحنجرة ، أى الركوز الصوتى السليم على آخر نغمة فى اللحن ـ وسيد درويش لا يجيد الغناء ، ولكنه يتمتع بموهبة فطرية اصيلة فى التلحين كما يمتاز بحساسية عالية بعناصر الموسيقى الاولية ، وهى الايقاع والصوت وهذا ما جعله فى مرحلة الشباب قادرا على استلهام ايقاعات وانغام الحانه ـ فى أغانى الحرفيين بالذات ـ من ايقاعات لهجات الحرفيين فى كلامهم اليومى وأصواتهم الصادرة منهم بحكم عملهم الحرفى كما سنوضح ذلك فيما بعد •

خصائص الموسيقى التقليدية

فى أعمال سيد درويش

سيد درويش ولد ونشأ فى مدينة الاسكندرية وفى هذه المدينة ـ وعلى درجة أعلى من القاهرة ـ تركزت نشاطات الفرق الموسيقية الاجنبية الوافدة من البلاد الاوروبية خصوصا منذ النصف الثانى من القرن الماضى ، ورغم ان سيد درويش ولد ونشأ فى أحياء الاسكندرية المكتظة بفئات الحرفيين الفقيرة والبعيدة عن الاحياء الجديدة التى شيدت فيها فيلات وقصور كبار الملاك والاثرياء المصريين والاجانب ، الا ان سيد درويش عاش حياة موسيقية كاملة فى أحياء الاسكندرية القديمة والجديدة ، وتأثر بكل ما سمعه من الحان فى هذه الاحياء •

وفى عام ١٩٠٩ سافر سيد درويش (١٧ سنة) الى الشام ودرس مع الشيخ عثمان الموصلى اشكال الغناء العربى التقليدى خصوصا الموشحات ، وعناصر هذه الاشكال من مقامات موسيقية واوزان ايقاعية ، ولم يكن هدف رحلة سيد درويش الى الشام هو الدراسة ، وانما الاشتراك بالغناء ضمن فرقة غنائية تمثيلية متجولة ، وعاد سيد درويش الى الاسكندرية حيث استمر بقاؤه طوال فترة الحرب العالمية الاولى حيث واصل دراسة أصول الموسيقى العربية مع الشيخ على ابراهيم ، كما تعلم العزف على العود مع « الحاج سالم » •

سيد درويش و « الدور الغنائى »

بدأ سيد درويش تلحين « الدور » من حيث انتهى الملحن محمد عثمان ، واذا كان هذا الملحن الاخير قد ادخل على الدور الغنائى ـ وفى حدود شكله التقليدى ـ عناصر تغيير الحان ـ الكوبليهات ـ والحوار بين المنشدين ، فان سيد درويش استفاد من كل ذلك واضاف اليه من ذاتيته الخلاقة مرحلة جديدة ، هى العناية بالتعبير عن الحالة العاطفية ، والصور الكامنة فى النص الشعرى ، ولم يحقق سيد درويش الجديد فى الشكل الموسيقى للدور التقليدى ـ الذى يتكون من مذهب وكوبليهات ـ وتشابه فى ذلك مع محمد عثمان ، ولكن اهتمامه بالتعبير عن مضمون النص الشعرى خلق اسلوبا جديدا فى التلحين أهم

ما يمتاز به انه تحرر الى حد بعيد من الجمل اللحنية ـ الطويلة والحشو المضاف الى الحان الدور ـ وهو نوع من الاطناب اللحنى ـ الهدف منه فقط اظهار براعة المغنى فى تصريف الالحان وابتكارها ـ اسلوب التقاسيم واظهار مهارة المغنى من خلال ذلك فى اداء الحركات اللحنية الصعبة ، هكذا تخلى سيد درويش عن تقاليد العناية الشكلية باظهار مهارة المغنى واهتم بالتركيز على صياغة اللحن الملائم للتعبير عن العواطف والمشاعر التى يحتوى عليها النص الشعرى ، واقرب مثل يوضح لنا عناصر المقارنة التى ذكرناها بين سيد درويش واستاذه محمد عثمان هو الاستماع الى الدور الغنائى « **حبيت جميل طبعه الدلال** » تلحين محمد عثمان ، والدور الغنائى « **ضيعت مستقبل حياتى** » تلحين سيد درويش،ان الشكل الموسيقى للدورين هو الشكل التقليدى وكل منهما يبدأ بالمقدمة الموسيقية التى تعزفها آلات التخت وهى المقدمة المعروفة باسم « **الدولاب** » • بل ان الدورين يبدآن بنفس « الدولاب » واساس لحن الدورين هو مقام « **شورى** » ان سيد درويش يجمع فى الدور الغنائى « ضيعت مستقبل حياتى » كل الخصائص الموجودة فى الدور الغنائى « حبيت جميل طبعه الدلال » ، تلحين محمد عثمان ، ومنها استخدامه لاداء الحركة الصعبة والعناية بها الى الحد الذى تفقد فيه الكلمة معناها بسبب اهتمام المغنى باظهار مهارته الشكلية فى الاداء ، ان المغنى هنا هو سيد درويش ـ انه يغنى من تلحينه دور ضيعت مستقبل حياتى ـ ويأتى عند كلمة « البغددة » ويهتم بصياغة الحركة اللحنية لهذه الكلمة فيخرجها تماما عن معناها ، اذ يحولها الى « البغدآده » وهنا سيد درويش يبدو مغنيا تقليديا مهتما بشكل الحركة اللحنية وليس بمعناها المرتبط بمعنى الكلمة فى النص الشعرى ، واذا انتقلنا الى « دور » محمد عثمان « حبيت جميل طبعه الدلال » فسنجد الاداء الغنائى الشكلى يظهر مع كلمة « طبعه » اذ تتحول مع اظهار الحركة اللحنية الشكلية الى « طيعوو •• ومع ظهور هذه الخصائص التقليدية فى الاداء الغنائى فى « دور » ضيعت مستقبل حياتى » لسيد درويش فاننا نجد معها فى نفس الوقت محاولة سيد درويش الجديدة فى التخلص من الالحان الطويلة والاطناب اللحنى ومراعاة التركيز فى بناء الجملة اللحنية لخدمة التعبير عن مضمون الكلمات ، وذلك يظهر بوضوح فى أدواره الغنائية المشهورة مثل « **أنا هويت وانتهيت** » و « **أنا عشقت** » و « **فى شرع مين** » و « **يا فؤادى ليه بتعشق** » و « **الحبيب للهجر مايل** » والدور الغنائى الاخير ، وان كان يبدأ ـ بالدولاب ـ اى المقدمة الموسيقية التقليدية الا انه يوضح نضج سيد درويش وتقدمه فى ابتكار الجملة اللحنية المعمقة لمعنى الكلمات ، ففى دور « الحبيب للهجر مايل » يبدأ سيد درويش اداء كلمة « الحبيب » من النغم المرتفع ثم يتدرج بالنغم هبوطا، ويحقق حركة لحنية فيها معنى «الاستفهام؟»

واذا كان سيد درويش قد بدأ مقلدا لمحمد عثمان فان **محمد عبد الوهاب** بدأ مقلدا لسيد درويش الذى ربط النغمة بمعنى الكلمة فى جمل لحنية مركزة ودليل ذلك أن لحن دور « الحبيب للهجر مايل » لسيد درويش قد اقتبسه محمد عبد الوهاب فى دور « القلب ياما انتظر » والحوار اللحنى بكلمة « آه » الذى **لسمعه** فى دور « الحبيب للهجر مايل » قد اقتبسه عبد الوهاب فى دوره الغنائى « أحب اشوفك كل يوم » ان استخدام كلمة « آه » فى التلحين وصياغتها فى عبارات لحنيه تأخذ شكل الحوار بدأ مع محمد عثمان وكان هذا الحوار رشيقا ينبع جماله من تساوى النسب الزمنية للعبارات الموسيقية • ولقد تحول هذا الحوار الى التعبير عن كلمة « آه » فى أدوار سيد درويش واصبح جزءا من صميم معنى الدور الغنائى ، وليس مجرد تناسق جميل لحركة العبارات اللحنية كما هو الحال فى كثير من اعمال محمد عثمان •

سيد درويش والموشحة

الموشحات شكل موسيقى غنائى قديم ظهر فى الاندلس وأهم خصائصه :

أولا : العبارات والجمل الموسيقية المتساوية الابعاد زمنيا •

ثانيا : استخدام الاوزان الايقاعية التقليدية •

ثالثا : صالح للاداء الجماعى ، ونابع من الاحساس به •

رابعا : يخلو من الاطناب اللحنى •

فى ضوء دراسة هذه الخصائص لحن سيد درويش فى شكل الموشحة عددا من الاعمال الغنائية مثل موشحات ـ العذارى المائسات ـ منيتىعز اصطبارى ـ يابهجة الروح ـ يا شادى الالحان الخ • ومن خلال هذه الدراسة بالذات استطاع سيد درويش أن يحقق أسلوبه الجديد فى تلحين الجمل الموسيقية المركزة والتخلى عن الاطناب اللحنى •

سيد درويش و « الطقطوقة »

الطقطوقة هى دور غنائى صغير، ولايحتمل بناؤها الموسيقى غير لحن واحد يتكرر أو لحنين على الاكثر ، وتعرف الطقطوقة بالدور الغنائى الخفيف ، وذلك وصفا للحن الطقطوقة بأنه لحن

سهل يستطيع كل انسان أن يغنيه، ولا يحتاج الى تدريب لادائه، وكان هواة الاستماع الى الموشحات والقصائد والادوار الغنائية الكبيرة يعتبرون الطقطوقة عملا غنائيا تافها لانه يقوم على أساس لحن شعبي ليس فيه مهارة الصنعة ولا تجويد الاداء الغنائي، وبالتالي لا يطرب ولا يشبع مزاج المستمع الهاوي العارف بأصول الغناء التقليدي، ان سيد درويش لحن أكثر من خمسين طقطوقة أي أغنية صغيرة، من بينها بعض اغانيه الخالدة المعروفة باغاني الحرفيين، والحقيقة انسيد درويش ابتكر أسلوبه الموسيقى الجديد تماما وحقق ثورته الموسيقية عندما بدأ يستلهم عناصر الحانه من ايقاع لهجات الكلام العادي للناس، ومن الاصوات الصادرة منهم والنابعة من طبيعة عملهم الحرفي، مثلا كلمة « **اوعى** » التي يرددها « سائق العربة الحنطور أو غيرها، انه يردد « اوعى يمينك، اوعى شمالك » بتشكيل صوتي معين وبصوت مرتفع وذلك تنبيها للمارة في الطريق • وليس هذا الصوت موسيقيا، ولكن سيد درويش اقتبس الشكل الايقاعي لهذا الصوت، وبدأ به طقطوقة « العربجية » أو « السياس » •

اوعى يمينك اوعى شمالك اوعى

اوعى لقلبك ولالا لحالك اوعى

اوعى وشك اوعى ضهرك اوعى كوعك •

ويبدأ الطقطوقة بلحن « آلة البروجي » أي النفير العسكري، ولكن يعزف هذا الحن القصير « البيانو والكمان » واللحن يوحى للمستمع بصورة « عربة فخمة » تجرها الخيول، ثم فجأة تستمع الى صوت واقعي هو صوت « العربجي » أوعى يمينك، ويبدأ احساسنا بالتناقض بين صورة « الركوبة الملوكي » التي يوحى بها لحن البروجي وبين صوت العربجي « أوعى » والتي توحى « بركوبة الحنطور » العادية تتحرك وسط زحام الناس في أحد الاحياء الشعبية ويبدأ الايقاع يميل الى البطء مع القاء شبه منغم : اوعى لروحك م الحانوتية •

أوعى الكوكايين يلحس مخك

أوعى للبوكر لـ يطسك

وبعد الايقاع البطيء والاداء شبه المنغم ينتقل الايقاع الى السرعة مع «اوعىللروماتيزمفيرجلك، اوعى الجوزةتطير عقلك » فيهذهالطقطوقة استخدم سيد درويش الايقاع البطيء لتصوير حالة اللاوعى وتاثير المخدرات على مدمنيها، ثم انتقل الى الايقاع السريع وهو يقول « اوعى الجوزة تطير عقلك » للايحاء وهو في حالة الوعي الكامل بخطورة المخدرات، ان سيد درويش استخدم عناصر الايقاع والصوت الموجودة في واقع حياة « العربجية » اليومية واعاد صياغتها بأسلوب

الاداء شبه المنغم وبأداء زمني متنوع بين البطء والسرعة بحيث يخدم ذلك توصيل مضمون الكلمات الى المستمع • ان اغاني سيد درويش للموظفين والشيالين، والعمال والصنايعية الخ تكشف لنا عن نقطة تحول هامة في حياة سيد درويش الموسيقية هي النقطة التي ارتبط عندها تصوره الموسيقي لعناصر الايقاع والاصوات والعبارات الموسيقية وشبه الموسيقية للباعة المتجولين •، وباختصار كل ما هو ايقاع أو صوت نابع من الفئات الشعبية التي عاشت فيالاحياء السكنية القديمة المجاورة للمدينتين الكبيرتين ــ الاسكندرية والقاهرة ــ ولقد امتص سيد درويش بعض عناصر الالحان الريفية ولكن بشكل عابر، ولم يكن سيد درويش قادرا في اطار عصره أن يعمق دراسته للعلوم الموسيقية الحديثة، وبالتالي لم يكن قادرا على تعميق الرؤية الموسيقية الشعبية التي اكتشفها وابتكر من خلالها اسلوبه المميز في التلحين والمختلف تماما عن اسلوب التلحين التقليدي والمتجدد في أعمال محمد عثمان •

لقد جمع سيد درويش في أعماله ــ الموشحات والادوار ــ بين خصائص التلحين والغناء القديمة، وخصائص التجديد التي ابتكرها محمد عثمان، ثم ابتكر اسلوبا متميزا تماما عن هذا الخط الموسيقي التقليدي المتحضر ونبع هذا الاسلوب المميز في نوع من لهجات الكلام والالحان الشائعة بين فئات الحرفيين على وجه الخصوص •

وفي سنوات قليلة أخيرة في عمر سيد درويش استطاع هذا الفنان أن يمارس التلحين للمسرح الغنائي، والحقيقة ان الحان سيد درويش التي لحنها للمسرح ــ بخلاف ما يرى كثير من النقاد ــ تجمع كثيرا من خصائص اسلوبه التقليدي المتجدد موشحات وادوار ــ واسلوبه الواقعي في اغاني الحرفيين

ومن الامثلة التي توضح ذلك •• لحن « **آن الاوان يا حلوة** » في مسرحية **العشرة الطيبة**، ان هذا اللحن يصور مشهد « الحبيب الفقير وهو يودع حبيبته التي تزوجهاالمملوك التركي الثري، في هذا اللحن نجد العناية بأداء الحركة اللحنية الصعبة في أداء المغني والمغنية، ولكننا نجد في نفس الوقت عبارة لحنية يرددها الكورس تمتاز بالتركيز والوضوح وتكرار هذه العبارة هو الذي يحدد الشكل الموسيقي الذي يتحرك في اطاره الحوار اللحني بين المغني والمغنية، هكذا بدأ سيد درويش في مرحلة التلحين للمسرح الغنائي ابتكار أسلوب جديد في صياغة الحوار الغنائي، ولو أن سيد درويش قد عاش ولحن فترة طويلة للمسرح لاستطاع انيحلق باسلوبه الجديد المتحرر تماما من خصائص التلحين القديمة التي تجمدت ولا تصلح للتعبير الغنائي فوق خشبة المسرح •



- تسعون يوما من اليقظة والحذر
- ملاحظات حول انتخابات الرئاسة اللبنانية
- موسكو : خطوة هامة نحو دعم الامن الاوروبى
- كوبا : لماذا طلب كاسترو التنحى ؟

■ **منظمة الشباب الاشتراكى :**

عام انتقالى جديد

أتمت السكرتارية المركزية لمنظمة الشباب الاشتراكى منذ أيام قليلة وضع التقرير النهائى عن تقييم عمل المنظمة [١٠٤ الف عضو عامل ومنتسب) فى مختلف المجالات خلال العام الانتقالى الاول يوليو ٦٩ - يوليو ١٩٧٠ وذلك من واقع تقارير التقييم التى أرسلها لجان المنظمة فى جميع المحافظات متضمنة تقييما شاملا لمختلف مجالات العمل السياسى والتنظيمى والتثقيفى والانشطة الثقافية والفنية من مستوى الوحدة الاساسية وحتى مستوى المحافظة ٠

وكان أمناء شباب المحافظات قد اتخذوا فى ختام المؤتمر الموسع الذى عقدته لهم السكرتارية المركزية للمنظمة فى أوائل يوليو الماضى قرارين على جانب كبير من الاهمية :

القرار الاول : هو استمرار العمل لمدة عام آخر باجراءات الفترة الانتقالية التى نص عليها قرار اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى باعادة بناء المنظمة فى أوائل العام الماضى بما يعنيه ذلك من تأجيل الانتخابات ، وتأجيل النظر فى تشكيل اللجنة المركزية للمنظمة لمدة عام آخر ٠

وقد استند رأى الاغلبية المؤيدة لاستمرار العمل باجراءات الفترة الانتقالية ـ كما تقول مصادر السكرتارية المركزية للمنظمة ـ الى ثلاثة اعتبارات حيوية :

اولها : أن هذا القرار لا يتعارض بل ويتفق تماما مع مغزى قرار اللجنة التنفيذية العليا الذى نص على أن تستمر الفترة الانتقالية لمدة عام [**على الاقل**) بما تعنيه كلمة (**على الاقل**) من امكانية مد هذه الفترة الانتقالية اذا ما اقتضت ذلك ظروف المنظمة أو ظروف المجتمع ككل ٠

ثانيها : أن جزءا كبيرا من العام الانتقالى الاول قد استنفد فى عمليات اعادة البناء التنظيمى ومعنى ذلك أن العمل السياسى الجاد والنشيط لم يبدأ داخل الغالبية العظمى من الوحدات الاساسية للمنظمة وهى (٥٠٥١ وحدة كاملة التشكيل ، ١٦٠١ وحدة تحت التأسيس) الا منذ فترة قصيرة ، مما يحتم اتاحة فرصة عمل كافية أمام الوحدات ، وأمام القيادات التى تم اختيارها قبل اجراء الانتخابات ٠

ثالثها : أن اجراء الانتخابات بما يصحبها فى أغلب الاحوال من حزازات ومنافسات غير

موضوعية ، قد يأتى بنتائج فى غير صالح المنظمة ككل خصوصا اذا وضعنا فى الاعتبار الظروف التى يمر بها المجتمع الان .

أما القرار الثانى : فهو أن تقوم المنظمة ــ قبل وضع الاطار الجديد لخطة عملها عن العام الانتقالى الثانى ــ بتقييم انجازات العام السابق على كافة المستويات القيادية بما تتضمنه من جوانب سلبية وجوانب ايجابية ، وذلك حتى يمكن من خلال هذا التقييم تطوير حركة المنظمة فى المرحلة القادمة على أسس مستقاة من الواقع بكل ما فيه من مميزات ومعوقات .

وبناء على ذلك تحدد هدف عملية التقييم ــ كما تقول النماذج التى أعدتها السكرتارية المركزية ــ فى نقطتين :

الاولى : هى رصد انجازات العمل بسلبياته وايجابياته ، على ان تحدد رقميا وتعمق بوجهات النظر التحليلية .

الثانية : هى اقتراح الاتجاهات العامة للعمل خلال المرحلة القادمة مستخلصة من حصيلة العمل خلال المرحلة الماضية .

وقد حددت السكرتارية المركزية الاسس التى يقوم عليها أسلوب التقييم على النحو التالى :

أولا : أن تستند عملية التقييم فى كل مستوى من المستويات القيادية (من الوحدة الاساسية وحتى مستوى المحافظة) على النموذج المعد لذلك مركزيا ، دون أن تتحول هذه النماذج الى قيود على عملية التقييم تجعل منها عملية لملء خانات النماذج بغض النظر عن اعتبارات الواقع .

ثانيا : أن تقوم المستويات الاعلى بمشاركة المستويات الادنى فى تنفيذ عملية التقييم وحضور اجتماعاتها والمشاركة فى النقاش والحوار الذى يدور داخلها .

ثالثا : ان تدعى القيادات السياسية والتنفيذية فى كل مستوى لحضور الاجتماعات الختامية الموسعة .

رابعا : أن تدعى أيضا الى هذه الاجتماعات العناصر التى عملت فى المنظمة خلال المرحلة الماضية وكوادرها القدامى للاستفادة من آرائهم وخبراتهم .

ويقول المراقبون المهتمون بعمل المنظمة ان أهم الايجابيات التى أثارتها عملية التقييم انها أتاحت ــ لاول مرة ــ تقييم الوحدات الاساسية للمنظمة تقييما شاملا وتفصيليا ، ولا يخفى بطبيعة الحال أن مدى قوة أى تنظيم سياسى تقاس ــ أصلا ــ بمدى الحيوية والنشاط والانضباط فى وحداته الاساسية .

ولكن تبدو على الجانب الاخر سلبية لايمكن اغفال خطورتها ، وتتمثل فيما لوحظ من عدم الالتزام الدقيق سواء من جانب السكرتارية المركزية أو من جانب بعض المستويات المحلية بمبدأ المشاركة والمتابعة الميدانية الساخنة للمستويات الادنى أثناء عملية التقييم مما يزيد من احتمالات أن تجىء بيانات التقييم انعكاسا لعمل مكتبى لا يعبر عن الواقع الفعلى لاحداث المنظمة .

وأيا ما كان الامر فقد انتهت عمليات التقييم ، وأتمت السكرتارية المركزية ــ كما سبق أن قلنا ــ وضع التقرير النهائى عنها من واقع تقارير لجان المنظمة فى المحافظات المختلفة . وعلمت «الطليعة» أن الاجتماع الدورى لامناء الشباب مع السكرتارية المركزية المقرر عقده فى أوائل سبتمبر الحالى سوف يخصص لمناقشة هذا التقرير النهائى تمهيدا لوضع الاطار الجديد لخطة عمل المنظمة خلال عامها الانتقالى الثانى .

والمعروف أن هذا الاطار الجديد سوف يعرض فور اعداده على مؤتمر عام يضم قيادات الشباب فى مختلف المستويات لمناقشته واقراره قبل أن يصبح قابلا للتطبيق .

● ● ●

■ الجمهورية العربية المتحدة :

البرنامج الثانى للتثقيف الاشتراكى

بدأت لجان الثقافة والفكر والاعلام بلجان الاتحاد الاشتراكى العربى فى جميع المحافظات تنفيذ البرنامج الثانى للتثقيف الاشتراكى . وذلك استجابة لتوصيات المؤتمر الاول للتثقيف الاشتراكى الذى عقدته اللجنة الدائمة للثقافة والفكر والاعلام باللجنة المركزية ، وحضره المسئولون عن التثقيف الاشتراكى بالمحافظات .

وكان العمل بالبرنامج الاول للتثقيف العام قد استغرق عاما كاملا وانتهى فى مايو الماضى ، وقد اشرف على تنفيذه حوالى ١٠٠٠ موجه سياسى شاركوا فى تنظيم ١٤٢٤ دورة لنقل البرنامج الى قيادات الاتحاد الاشتراكى على كافة المستويات حتى لجنة الوحدة الاساسية ، وحضر هذه الدورات ٦١٨٤٩ قياديا ، هذا بالاضافة الى الدورات التى نظمت لمتطوعى الدفاع الشعبى والتى حضرها ٤٢٦٦٢ متطوعا ، ومنظمات الدفاع المدنى ٢٨٩٩٤ متطوعا ، هذا وقد شاركت قصور الثقافة

الجماهيرية ومراكز الثقافة العمالية ومراكز الاعلام والتنظيم النسائى فى نقل موضوعات البرنامج الى المشاركين فى نشاطها .

وكان البرنامج الاول للتثقيف العام بمثابة أول وجهة نظر متكاملة يقدمها الاتحاد الاشتراكى العربى بعد اعادة بنائه بالانتخاب لادارة حوار مع الجماهير حول القضايا موضع الاهتمام الجماهيرى العام ، وهى فى هذا الوقت القضايا المرتبطة مباشرة بعدوان يونيو سنة ١٩٦٧ وما ترتب عليه من نتائج .. مثل أسباب العدوان ودوافعه وكيفية ازالة آثاره ، أشكال وأساليب النضال من أجل كسب المعركة ، الصراع العربى الاسرائيلى فى اطاره العالمى ، قضايا التغيير ، والدولة العصرية .. الخ .

ونتيجة لما استجد على الموقف من تطورات خلال هذا العام سواء فى المجالات السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية او على النطاق العالمى أو العربى أو المحلى . فان الاهتمام الجماهيرى اتجه الى قضايا جديدة أصبحت موضع مناقشات فى كل مكان .. من هنا برزت أهمية وضع البرنامج الثانى للتثقيف العام .

وهكذا فانه بعد نجاح العمل الوطنى فى الجمهورية العربية المتحدة فى تحقيق الصمود الاقتصادى لم يعد هناك مجال لاستمرار المناقشة فى تاثير تفرغنا لمواجهة العدوان على عملية التحول الاشتراكى ، فقد ثبت عمليا أن القطاع العام والجهود التى بذلت للتنمية فى السنوات الماضية وتضحيات الشعب العامل وخاصة العمال والفلاحين كانت الدعائم الاساسية لقدرة اقتصادنا الوطنى على الوفاء بكل احتياجات المعركة والصمود فى مواجهة العدوان ، اى أن التحول الاشتراكى كان أساس نجاحنا فى مواجهة الوضع بالغ السوء الذى عشناه عقب العدوان ، ومن ثم فان السؤال المطروح الان للنقاش الجماهيرى هو كيف ندعم ونعمق مسيرتنا الاشتراكية لنحقق مزيدا من الصمود ؟

وهكذا أيضا فانه بعد نجاحنا فى اعادة بناء القوات المسلحة وامتلاكها زمام المبادرة مرة أخرى

تعليـــق

مواجهة العام الدراسى بحلول جذرية

من المعلوم انه لاتخلو اسرة من طفل يخطو نحو التعليم لاول مرة أو تلميذ انهى مرحلة ويبحث عن مكان له فى مرحلة اخرى خوفا من الضياع أو من ان يلفظه سلك التعليم ، وفى مطلع كل عام دراسى يتزايد القلق بين آلاف الاسر نتيجة لمشكلات القبول فى مراحل التعليم المختلفة .

وهذا القلق يمكن ان يرد الى عوامل متعددة منها ، ازدياد عدد الدارسين من ناحية ، وارتفاع مستويات النجاح من ناحية اخرى ، كما ان له جذورا أعمق من مجرد عدم وجود أماكن فى دور التعليم ، الامر الذى سبق ان اشار اليه عدد من المهتمين بالتربية والتعليم. ويمكن تلخيصها فيما يأتى :

- عدم التخطيط للتعليم بما يتمشى مع متطلبات خطة التنمية .
- تسعيرة الشهادات التى تجعل الجميع يتطلعون الى الحصول على شهادة كصك لدخول المجتمع .
- الطريق المسدود فى معظم فروع التعليم ماعدا التعليم العام .
- احتقار العمل اليدوى الموروث من المجتمعات السابقة .

وحتى الان لم تتخذ خطوات ايجابية جذرية لوضع التعليم فى خدمة خطة التنمية ، مع أن جميع المخططين للتربية والتعليم دائما وأبدا يبدأون من نقطة ضرورة ربط خطة التعليم بخطة التنمية .. وقد جاء هذا المعنى فى الخطة الخمسية الاولى كما جاء فى قرارات مؤتمر مديرى التربية والتعليم المنعقد فى ١٩٧٠/٨/٦ ، ومع التسليم بالتقدم الكبير الذى أحرزه التعليم فى بلادنا من حيث الكم ، والتقدم البطىء فى السنوات الاخيرة من ناحية الكيف كما دلت على ذلك نتائج الامتحانات الاخيرة) الا أن هذا لم يغير من جذر المشكلة .

ان خطة التنمية تحتاج الى القوى البشرية المثقفة أو المتعلمة على أقل تقدير ، مع ملاحظة أن نسبة الاميين تمثل ٧٠٪ من سكان الجمهورية بالنسبة للمواطنين الذين تتراوح أعمارهم بين عشر سنوات و ٦٠ سنة ، وحتى جميع الاطفال الملزمين بالتعليم لم نتوصل بعد الى الصيغة الصحيحة لاجتذابهم .

وقد جاء فى قرارات مؤتمر مديرى التربية والتعليم الخاص ببدء العام الدراسى الحالى « قد نجحت الوزارة فى استيعاب جميع المتقدمين للمرحلة الابتدائية » ولكن ماذا عن الملزمين الذين لا يتقدمون خاصة فى الريف وفى المناطق النائية ؟ ؟ كذلك ماذا أيضا عن الذين يتسربون خلال الاعوام الست لاسباب اقتصادية واجتماعية ..

ان مسئولية الرقابة على تنفيذ التعليم الالزامى لا تقع فحسب على الاجهزة التنفيذية ، بل يجب على الاتحاد الاشتراكى ان يعمل مع الاجهزة التنفيذية فى ايجاد الصيغة الملائمة للوصول بالالزام الى ١٠٠ ٪ (كان من المقرر ان يتم هذا سنة ١٩٧٠) سواء من ناحية المناهج الملائمة وفترات الدراسة التى تتناسب مع مواعيد المحاصيل وتعديل العقوبة الخاصة بمن يهمل من الاباء فى تعليم ابنائه فى سن الالزام لانها جريمة فى حق المجتمع.

والقوى البشرية المثقفة او المتعلمة على اقل تقدير — لا يمكن استخدامها فى عمليات الانتاج قبل سن السادسة عشرة وتلميذ الابتدائية ينهى دراسته فى سن الثانية عشرة . من هذا ينضم الى جيش الامية نصف عدد المهتمين من المدرسة الابتدائية ومما يثبت ذلك ان عدد الطلبة الذين كانوا مقيدين بالسنة السادسة

وعملياتها العسكرية الكبيرة المعروفة بالاضافة الى نشاط قواتها الخاصة ومنظمة سيناء العربية وتزايد قدرات الدفاع الجوى .. لم يعد الموضوع مطروحا للنقاش على شكل مفاضلة بين العمل العسكرى النظامى ، والعمل العسكرى الشعبى ، والعمل العسكرى الفدائى ، وانما تحقق اقتناع عملى بأن هذه الاشكال جميعا لازمة للمواجهة وأن أساسها قواتنا المسلحة المزودة بأحدث الاسلحة لحماية الوطن . ومن هنا فان السؤال المطروح للنقاش الان هو : كيف نساهم فى ضمان أفضل الظروف لقواتنا المسلحة لتقوم بواجبها فى تحرير الارض ؟ ومتى يتم التحرير ؟

عشرات القضايا كانت موضع اهتمام فى العام الماضى تتوارى الآن فى الظل ، وعشرات القضايا الجديدة تبرز الى الصدارة نتيجة التطورات العسكرية والاقتصادية والسياسية التى جرت اخيرا **وقد حددت اللجنة الدائمة** للثقافة والفكر والاعلام أهداف تنفيذ البرنامج الثانى للتثقيف فيما يلى :

ـ **تسليح قيادات الاتحاد الاشتراكى العربى** بوجهة نظر متكاملة فى القضايا موضع الاهتمام الجماهيرى ، تمكنها من مواصلة الحوار على نطاق واسع بما يكفل الوعى بمتطلبات المعركة .

ـ **تعميق الوعى** بطبيعة الصراع العربى ضد الاستعمار العالمى ، والتعريف بجبهة العدو ، ومعسكر الثورة العربية ، واحتمالات تطور هذا الصراع ، وكيفية الاستعداد ثوريا لخوض حرب طويلة ضد الاستعمار العالمى ، وتأثير العلاقات الدولية المعاصرة على مسيرة الصراع .

ـ **تأكيد الثقة** فى قدرتنا على تحقيق النصر ، فى معركة ازالة آثار العدوان ، وفى صراعنا ضد الاستعمار باستعراض نضال الامة العربية وتضحياتها فى أسوأ الظروف منذ ١٧٠ عاما ، وباستعراض نماذج من خبرات الشعوب المكافحة فى تحقيق النصر على الاستعمار بامكانياتها المتواضعة .

ـ **محاربة الافكار المعادية** وحماية الجماهير من أن تقع تحت تأثيرها .

الابتدائى فى العام المدارسى ٦٨/٦٩ هو ٥٧٦ر٥٥٧ تلميذا وكانت الاماكن المتاحة لهذا العدد نفسه فى العام الدراسى التالى ٦٩/٧٠ بالسنة الاولى اعدادى هو ٧١٨ر٢٤١ تلميذا ومع التقدير التام للجهود التى بذلت فى فتح فصول عملية للمنتهين من المرحلة الابتدائية ، الا أن الحل الجذرى لهذه المشكلة هو من الالزام حتى المرحلة الاعداديةليكون خطوة حقيقية لتحقيق الهدف الذى أشار اليه مؤتمر مديرى التربية والتعليم . وهو « تحويل النظام التعليمى من نظام يستهدف تعليم القلة الى نظام مستهدف تعليم جموع الشعب باكمله » .

ولكن عند الحديث عن الخطوات التنفيذية للاستعداد لاستيعاب جميع المتقدمين هذا العام الى المدرسة الاعدادية اشار مؤتمر المديرين الى « دراسة امكانية استيعاب مزيد من التلاميذ فى المدارس الخاصة ذات المصروفات » . ونعلم أن التعليم الخاص يهدم المبدأ الاساسى فى ديمقراطية التعليم ، أى مبدا المدرسة الواحدة لجميع ابناء الشعب . ان التعليم حق لكل مواطن ويجب ان يمتد الالزام ـ مرحليا ـ حتى الاعدادية. ولكن أيضا يجب الا تتحمل الدولة كل هذه الاعباء . ويجب ان نشارك الاجهزة الشعبية والنقابات العمالية والمهنية فى تعليم ابنائها .

● وخطة التنمية تحتاج الى الايدى العاملة الماهرة من أسطوات ومساعدى مهندسين وفنيين وفى تخصصات معينة . ولكن لازالت الغالبية العظمى من الاباء ترسل أبناءها الى التعليم العام . فلا ينتظم فى التعليمالفنى الا ذوى المجاميع الضئيلة . ومن ناحية اخرى فان عدد المدارس الصناعية بالدقة لا يتناسب اطلاقا مع متطلبات النهضة الصناعية المطلوبة . فعدد المدارس الثانوية العامة بالجمهورية هو ٣٣٦ مدرسة فى حين ان عدد المدارس الصناعية فهو ٨٣ مدرسة فقط او التعليم العالى والجامعى شبه مغلق امام تلاميذ هذه المدارس ..

واحد العقبات فى التوسع فى فتح هذه المدارسالصناعية هو ارتفاعتكلفتها. ولكن هنا أيضا يجب أن تشارك الاجهزة الاخرى وبالذات المصانع والمؤسسات والنقابات فى فتحمدارس صناعية لعمالها وابناء العاملينفيها ولتدريبطلبة المدارس المجاورة .

وهنا نسجل الخطوة الايجابية الجديدة التى تمت بفتح مدرسة صناعية ذات خمسسنوات لتخريجالفنيين المتخصصين. وان كنا نطالب بان تستكمل هذه الخطوة بفتح مجال التعليم العالى والجامعى امامها دون شروط مجحفة .

● وخطة التنمية لا تحتاج الى يد عاملة متعلمة ومتخصصة فحسب ، وانما نحتاج ، ايضا ، الى قوى عاملة واعية بدورها السياسى فى عملية التحول الثورى. واذا صح أنالإتحاد الاشتراكى هو المسئول اساسا عن هذه العملية ، الا ان المدرسة يمكنها أن تلعب دورا فعالا فى هذا المضمار فى ميدان التربية القومية . وهذا يثير قضية تدريس المواد القومية . فالوزارة تتجه هذا العام الى « تطوير اسلوب امتحانات النقل للمواد القومية فى بعض المدارس الاعدادية والثانوية العامة بهدف الاقتصار ـ عند تقييم الطلاب ـ على درجات اعمال السنة » .

ولا اعتراض لنا على اعادة النظر فى أسلوب تقييم أعمال الطلاب عن طريق امتحانات اخر العام الدراسى بل ونؤيد ضرورة وضع أعمال السنة فى مكانها الصحيح . ولكن البدء بتقييم هذه التجربة بالمواد القومية سيعطى احساسا عاما بعدم اهمية هذه المادة خاصة وقد كثرت الشكوى حول تدريس هذه المادة ... فالمنهج مكدس ، والمدرس يحتاج الى تدريب سياسى يمكنه من تدريس هذه المادة على اكمل وجه .

بقيت كلمة اخيرة . هى بدء تطبيق القانون ٦٨ لسنة ٦٨ هذا العام لانتهاء فترة الانتقال .. لن يكون هناك بعد اليوم طالب ناجح راسب.. وهى خطوة هامة تخطوها الوزارةنحو كفالة مستوى احسن من الطلاب ومستوى أحسن من العملية التعليمية بشكل عام .

فاطمة زكى

ـ تزويد قيادات الاتحاد الاشتراكى العربى بخبرات تنظيمية تمكنها ـ وخاصة فى الوحدة الاساسية ـ من ممارسة نشاطها باسلوب سليم ٠

أما موضوعات البرنامج فهى :

الاستعمار والوطن العربى ـ تاريخ النضال العربى من التحرر الوطنى الى الثورة الاشتراكية ـ موقع عدوان يونيو من الصراع ضد الاستعمار ـ فلسطين ٠٠ القضية والثورة ـ ثورة ٢٣ يوليو والتطبيق الاشتراكى فى ج ع م ـ مهام ومجالات العمل فى مواجهة العدوان ـ فى الحزب وخبرات الشعوب ـ دروس من غزوة أحد ـ خبرات تنظيمية فى العمل مع الجماهير ٠

وقد تقرر أن يغطى هذا البرنامج النوعيات التالية ،

ـ أعضاء المؤتمر القومى العام ـ لجان المحافظات ـ لجان المراكز والاقسام والوحدات الاساسية

ـ قيادات وأعضاء منظمة الشباب الاشتراكى ٠

ـ متطوعو الدفاع الشعبى والمدنى ٠

ـ الجانب السياسى فى الدورات التدريبية التى تنظمها الهيئات الاخرى ٠

ـ الجانب السياسى من دورات الثقافة العمالية ، ونشاط قصور ومراكز الثقافة الجماهيرية ومراكز الاعلام ومجالس الاعلام الريفى ٠

واستفادة من تجربة العمل التثقيفى فى العام الماضى ومراعاة لتفاوت المستوى الثقافى والتعليمى للدارسين فقد تقرر أن يتم تنفيذ البرنامج بأكثر من اسلوب ، حيث سيراعى أن يتبع الاسلوب المناسب مع الدارسين حسب قدرتهم على الاستيعاب وهناك فى هذا المجال : حلقة المناقشة ـ المحاضرة النقاشية ـ الندوة ـ المسابقات بين الوحدات ـ الليالى السياسية الفنية ٠

●●●

■ **الاتحاد الاشتراكى**

الطلائع : تجربة يجب أن تعمم

بدأت لجنة القاهرة تجربة جديدة ، لاول مرة فى البلاد ، تهدف الى فتح مجالات مثمرة أمام عدد كبير من الطلائع (بين ١١ ـ ١٤ سنة) ومن طلاب المدارس الثانوية ٠ وتتجه هذه التجربة الى استثمار اوقات الفراغ فى الانشطة المفيدة ، وتثقيف الطلائع ، وطلاب الثانوى بواقع النضال الوطنى ٠

وقد اقيم بكل قسم من اقسام محافظة القاهرة (٢١ قسما) معسكرا لطلاب الثانوى ، وآخر للطلائع ، ويدير كل معسكر مسئول سياسى من لجنة قسم الاتحاد الاشتراكى التابع لها المعسكر ، ويتولى المسئولية الادارية فيه أحد أساتذة المدرسة المختارة مقرا للمعسكر ٠

ويتضمن النشاط الفنى فى المعسكر اعطاء فكرة مبسطة عن اللاسلكى مع التركيز على الراديو الترانزستور ، وعمل التوصيلات الكهربائية البسيطة ، والتدريب على قراءة اجهزة قياس الرصد الجوى (الترمومتر ـ البارومتر ـ الهيدرومتر) ٠ كما يتضمن تدريبا على اعمال التجارة والمعادن ٠

ويتضمن النشاط الرياضى ـ رياضة جماعية (كرة سلة ـ طائرة كرة قدم) ورياضة فردية (العاب قوى ، دفاع عن النفس واشتباك) ٠

وتعطى الطلائع وطلاب الثانوى تدريبا يرتكز على المعلومات النظرية والمعلومات الفنية بتعمق للتخصص فى مجالات الدفاع المدنى المختلفة ٠ ويتم التركيز بالنسبة لطلاب الثانوى على التدريبات العملية بما يمكنهم من الاندماج فى تشكيلات الدفاع المدنى بمستوياتها المختلفة ٠

ويتم النشاط الثقافى والفكرى للطلائع من خلال باقى الانشطة الاخرى ٠ أما بالنسبة لطلاب الثانوى فيقوم النشاط الثقافى والفكرى على اساس معايشة اعضاء المعسكر للاحداث الوطنية والقومية الجارية والخروج بمفاهيم واضحة حول واجبات العمل الوطنى القائمة ٠

ونظمت للافواج المختلفة زيارات ميدانية للوحدات الانتاجية ، ومراكز العمل السياسى فى لجان الاقسام ومنظمة الشباب حيث اتيحت لهم لقاءات سياسية مع قيادات العمل السياسى ٠

وعلى الرغم من أن التفكير فى اخراج هذه التجربة الى مجال التطبيق قد جاء فى الاسابيع الاخيرة من العام الدراسى ، الامر الذى رأى الكثيرون انه جاء متأخرا ، الا أن الجهد الذى بذل فى دراسته والجهد الذى اعطته امانة القاهرة لهذه التجربة ـ قد وفرا لها الكثير من عناصر النجاح ٠ واستطاعت هذه التجربة الجديدة ان تجذب انظار المهتمين بمشكلات الشباب ٠

وعلى الرغم من أن معسكرات الطلائع وطلاب الثانوى ما زالت فى منتصف الحجم المقرر لها ، الا ان ثمة حقائق اصبحت ملموسة تماما للمراقبين المتابعين لنشاط هذه المعسكرات :

فأولا ـ يلاحظ الاقبال الشديد من جانب الطلائع وطلاب الثانوى على الاشتراك فى المعسكرات ٠

وقد أكدت هذه الظاهرة مدى استعداد الشباب للحياة المنتجة والجادة اذا توفرت له ٠

ثانيا - ظهر بوضوح ضعف الاثر الذى يتركه تدريس المواد القومية سواء من ناحية الكتب الخاصة بها او اسلوب تدريسها . وما يؤدى اليه ذلك من عدم وضوح وتشويش فى اذهان الشباب .

ثالثا - خلال الزيارات التى قامت بها الافواج لبعض الوحدات الانتاجية ومراكز العمل السياسى وخلال المناقشات مع قيادات لجان الاتحاد الاشتراكى ومنظمة الشباب - بدا واضحا اهتمام الطلائع وطلاب الثانوى بمدى التطابق بين الشعارات وبين الواقع فعلا .

رابعا - طرح بعض الطلاب تساؤلات عن اوضاعنا بعد النصر وتحرير الارض المحتلة . وعن شكل التنظيم السياسى فى المرحلة الجديدة .

خامسا - كانت هناك قضية عامة فى كل الافواج وهى مستقبل العلاقة بين اعضاء المعسكرات وبين التنظيم السياسى وشكل الارتباط بعد انتهاء فترة المعسكر .

وهذه القضية بالذات هى المشكلة الحقيقية التى تواجه لجان الاتحاد الاشتراكى ومنظمة الشباب باختبار صعب : وهو ضمان كيفية المحافظة على الارتباط بالعناصر الجيدة من الطلاب وتطوير العلاقة بهم .

وعلى الرغم من أن النتائج الاولى التى حققتها التجربة حتى الان تعتبر - بشكل عام - ايجابية ومشجعة ، وتؤكد ضرورة التوسع فى هذا النوع من المعسكرات ، سواء من حيث عدد المعسكرات أو فترة الافواج ، أو الحجم الذى تستوعبه من الطلاب ، الا أن حداثة عهد التنظيم السياسى بمثل هذا المجال من مجالات النشاط يتطلب ضرورة عمل دراسة واسعة وتقييم شامل عن نتائج التجربة - بحيث تكون الحقائق المستخلصة تحت نظر التنظيم وهو يحاول التوسع فى التجربة .

●●●

■ **الصراع العربى الاسرائيلى :**

تسعون يوما من اليقظة والاستعداد

لم تتوقف محاولات اسرائيل عن نسف الجهود الرامية الى تسوية ازمة الشرق الاوسط ، وقبل أن يبدأ **يارنج** فى مهمته قامت اسرائيل بمناورة واسعة لتخريب مهمته وافتعلت الضجة حول دعم ج . ع . م لدفاعها الجوى الصاروخى فى جبهة القناة فاتهمت مصر بأنها أقامت بعد ساعات من وقف اطلاق النار قواعد جديدة للصواريخ على

تعليق

اعلان ملفت للنظر

مجرد اعلان صغير نشرته احدى الصحف اليومية الصادرة يوم ٧٠/٦/٢٩ ربما مرت عليه الاعين دون ان تنتبه . وربما تجاهلته عن عمد لانه لا يتعلق باهتماماتها .

.. والاعلان يقول :

مطلوب مالك ارض ، موقعها مهم يشترك معنا بالارض فقط لانشاء عمارة للتمليك ، يصل الربح الى ٨٠ فى المائة ولكى لا يشك القارىء ان ثمة خطأ مطبعيا فان الربح المضمون هو ثمانون بالمائة ، فى عملية لن تستغرق اكثر من عام .

والاعلان فى اعتقادى يستحق وقفة تامل ، لانه يقدم لنا صورة للارباح الخيالية التى يحققها قطاع متزايد النمو ينتهز ظروف الحرب التى تمر بها البلاد والفرص المتاحة امام القطاع الخاص ليمارس نشاطا متزايدا خلال هذه الايام محقق ارباحا خرافية .

والشىء المثير ان المسالة لا تقتصر على مجال البناء فقط ، فثمة قطاعات اخرى من الحياة الاقتصادية تشهد الان نشاطا محموما يحقق القائمون به ربحا خياليا ، ولنضرب مجرد امثلة : سيارات النقل والتاكسى - تجارة قطع الغيار - الاتجار فى السيارات - الاتجار فى السلع المهربة - المقاولات - صناعة وتجارة الاحذية - الخ ... والمجالات عديدة جدا وما اوردناه ليس سوى مجرد امثلة بسيطة .

والشىء الملفت للنظر ، ان معظم محققى هذه الارباح ، كثيرا ما يستطيعون الافلات بارباحهم من الجهاز الضرائبى ، وهو امر يضيع على الدولة موردا هاما ، كذلك فان تزايد ثراء هذه الفئات الواسعة العدد قد يشكل فى المستقبل خطرا ينجم عن التغيير المنطقى - والذى لابد من ان يطرا على موقفها - من عملية التحول الاجتماعى والبناء الاشتراكى .

ثم ان هذه النماذج العديدة والمتزايدة العدد من الثراء الفاحش تثير فى نفوس المواطنين الذين تضيق امامهم فرص زيادة الاجر او المرتب والحصول على العلاوة المنتظرة او الاجر الاضافى بسبب ظروف الحرب ، تثير فى نفوسهم تساؤلا حول جدية مشاركة كافة فئات المجتمع فى تحمل اعباء الحرب .

واخيرا فاننى اعتقد ان الموضوع اخطر من ان يعالج فى عجالة كهذه ، لكنه بحاجة الى وقفة حاسمة تضع حدا لهذا السيل المتدفق من الارباح الفاحشة ولست اطالب باتخاذ اجراءات انتقامية او تاميمية ، فانا ادرك طبيعة الظروف التى نمر بها الان ، وانما اكتفى بالمطالبة بوضع حدود معقولة للربح وبضمان حق الدولة فى تحصيل نصيبها من الضرائب بصورة حاسمة .

وبغض النظر عن الزوايا الاقتصادية فاننا فى اشد الحاجة الى موقف عاجل يضع حدا للاخطار السياسية التى تنجم عن تزايد نمو هذه الفئات وتزايد ثرائها وفى وقت نطالب فيه فئات اخرى من الشعب بالتضحية بالقليل الضرورى اسهاما فى معركة المصير .

د. رفعت السعيد

مقربة من قناة السويس ، وهددت اسرائيل بسحب موافقتها على المقترحات الامريكية اذا استمرت مصر فى اقامة قواعد متقدمة للصواريخ على جبهة القناة ، وقد صرح مسئول اسرائيلى بأنه ما دامت الولايات المتحدة هى التى اقترحت وقف اطلاق النار فان عليها أن تطلب من القاهرة ازالة الصواريخ وتزويد اسرائيل بمزيد من الاسلحة لحفظ توازن القوى وتمكين اسرائيل من الدفاع عن نفسها .

وقد علقت النيويورك تايمز على تلك الحملة فقالت « ان اسرائيل تحاول استغلال حملتها تلك للضغط على الولايات المتحدة من أجل الحصول على مزيد من المعدات العسكرية الامريكية » . وانتهت الحملة الاسرائيلية حول الصواريخ المصرية بالفشل اذ لم تلق هذه الضجة اهتماما كبيرا من الولايات المتحدة كما أنها لم تثر أى قلق فى صفوف المسئولين فى الامم المتحدة مما دفع اسرائيل الى التراجع والى التظاهر مرة أخرى باستعدادها للتعاون مع يارنج .

وفى بداية الشهر الماضى أحدث اعلان مصر لقبول المبادرة الامريكية رد فعل عنيف فى كل حسابات القوى فيما يتعلق بأزمة الشرق الاوسط . فقد علقت الصحف على هذا الموقف بأن مصر قد حققت بقبولها تلك المقترحات انتصارا سياسيا ضخما اذ أنها فوتت الفرصة على مخطط جديد للهجوم على العرب كانت اسرائيل والولايات المتحدة قد وضعته فى التنفيذ منذ أوائل العام الماضى ، ويتركز هذا المخطط فى امداد اسرائيل بالسلاح ، والابتزاز الدبلوماسى ، ومحاولة ضرب الاعماق ، وأخيرا محاولة تحطيم وحدة العرب .

ويشير عدد من المراقبين الغربيين الى أن مقترحات واشنطن انما تتفق بصفة عامة مع قرار مجلس الامن ، وأنها جاءت نتيجة لعديد من العوامل والضغوط وفى مقدمتها صمود الشعب المصرى وارتفاع كفاءة قواته المسلحة وزيادة الدعم السوفيتى ، وكانت تلك المقترحات شعارا لاخفاء شحنات الاسلحة الامريكية الى اسرائيل ، وفى نفس الوقت فلو كانت الدول العربية قد رفضتها لوجد الغرب فرصة لاتهامهم بالتشدد ، وعقب قبول مصر للمقترحات الامريكية أذيع نص رد الخارجية المصرية الذى أكد أن نجاح مهمة المبعوث الدولى ترتكز على :

● **تحقيق انسحاب اسرائيل** الكامل من الاراضى العربية المحتلة .

● **الاعتراف بحقوق الشعب العربى** الفلسطينى .

● **أن يتلقى يارنج** توجيهاته من الدول الأربع الكبرى .

وأدى قبول القاهرة للمقترحات الامريكية الى تفجير الموقف داخل اسرائيل وانتهت الازمة بخروج كتلة « **جاحال** » من الوزارة ، وجاءت موافقة اسرائيل على مقترحات روجرز ، كما يقول مراسل جريدة **زوجادرش** الاسرائيلية» بمثابة اعتراف رسمى بفشل سياسة العدوان التى تتبعها الدوائر الحاكمة فى اسرائيل » ، غير أن اسرائيل فى ردها على مقترحات روجرز اشترطت « أن يكون الانسحاب الى حدود آمنة ومعترف بها تحددها اتفاقيات سلام تعقد بين أطراف النزاع عن طريق المفاوضات » . وعندما سئل **ايبان** عقب موافقة اسرائيل على المقترحات الامريكية عما اذا كانت حكومته على استعداد للعودة للحدود القديمة التى كانت قائمة قبل حرب يونيو ١٩٦٧ أجاب فى وقاحة « لا توجد حدود قديمة ، لا يوجد سوى خطوط لوقف اطلاق النار وقد اختفت وربما لن يكون من الممكن أبدا اعادتها » . والتصريحات المتعددة التى أدلى بها المسئولون الاسرائيليون لا يمكن الا أن تثير القلق اذ تخلق انطباعا بأن الزعماء الاسرائيليين يريدون محاولة استغلال الموقف القائم كى يحصلوا بالمحادثات على ما لم يستطيعوا الحصول عليه بالقوة، وأكد مراسل **الديلى ميل** فى لندن « أن الحكومة الامريكية أكدت لتل أبيب أنها ستزودها بأى طائرات وأسلحة تحتاج اليها ولن توافق على سحب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية التى أحتلتها » .

وبعد أن تم الاتفاق على وقف أطلاق النار فى ٨ أغسطس رحبت عواصم العالم بذلك وبدأ النشاط على أوسع نطاق فى المجال الدولى من أجل سرعة استئناف يارنج لمهمته ، ولجأت اسرائيل الى محاولة عرقلة بدء المحادثات فأعلنت أنها لا توافق على اجراء هذه الاتصالات فى نيويورك ، كما أنها ترفض اجراءها الا على مستوى وزراء الخارجية ، ورغم كل الجهود التى تبذلها اسرائيل كى تقضى على أى أمل فى السلام وتتحلل من موافقتها على مشروع روجرز ، تنشط دوائر الامم المتحدة والدول الكبرى من أجل الاسراع بوضع مهمة يارنج موضع التنفيذ ومساندة محاولات التسوية السلمية بأقصى جهد ممكن تقديرا منها لمدى الخطر الذى يمكن أن يترتب على فشل هذه المحاولة باعتبارها آخر أمل للسلام فى الشرق الاوسط .

ولقد لقى التحرك الدبلوماسى المصرى مساندة واسعة فى الاوساط المهتمة بالتوصل الى تسوية للأزمة على أساس قرار مجلس الامن ، فأعلن الاتحاد السوفيتى بأنه سيواصل مساعداته للدول العربية بما فى ذلك تزويدها بجميع المعدات العسكرية ، فى نفس الوقت الذى يواصل مساعيه لتحقيق تسوية سياسية عادلة للازمة على أساس انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية المحتلة وضمان حقوق الشعب العربى الفلسطينى · وأكدت الحكومة الفرنسية ترحيبها بالموقف الذى اتخذته ج · ع · م وأعلنت اصرارها على انسحاب اسرائيل من جميع الاراضى العربية المحتلة اذا ما أرادت حقا أن تصل الى تسوية للازمة ·

وأيدت معظم البلدان العربية موقف وسياسة ج · ع · م وأشار اللواء جعفر نميرى الى أن قبول المقترحات الامريكية يؤكد ضرورة الاستعداد العسكرى لمواصلة النضال ضد اسرائيل ، كما أنه لا يعنى بحال من الاحوال الحجر أو الوصاية على حركة الفداء الفلسطينى · غير أن عددا من الدول العربية عارض قبول القاهرة للمبادرة الامريكية وأعلن رفضه للمقترحات الامريكية وبدأ فى التحرك ضد خط ج · ع · م ، وحاولت بعض هذه الدول استغلال هذا الموقف لتمزيق حركة المقاومة الفلسطينية ، ولتغذية نعرات المزايدة على الدفاع عن حقوق العرب ، وساعدها فى ذلك الخلافات التى نشأت بين منظمات المقاومة حول الموقف من مقترحات روجرز ومبادرة ج · ع · م ، اذ بينما قبلت بعض المنظمات موقف ج · ع · م وأيدته اتخذت أغلبية منظمات المقاومة موقف المعارض للمبادرة الامريكية ، ولقد بذلت القاهرة جهودا كبيرة من أجل محاولة شرح موقفها ، وتوضيحه لكافة الاطراف والدوائر العربية تقديرا منها لمسئولياتها حيال وحدة الصف العربى ، وبهدف خلق أكبر قدر من التعبئة والاستعداد لكافة الاحتمالات ، وأوضحت أنقبولها لمشروع روجرز لا يعنى بأى حال تخليها عن مساندة المطالب الشرعية العادلة للشعب العربى الفلسطينى ·

● ● ●

■ لبنان



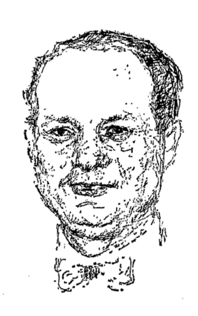
معركة الـ ٩٩ نائبا

قوبل فوز « سليمان فرنجيه » ممثل كتلة الوسط فى انتخابات رياسة الجمهورية فى لبنان على منافسه «الياس سركيس» مرشح كتلة النهج بصوت واحد (٥٠ الى ٤٩) بتحفظ شديد فى أوساط المراقبين والرأى العام العربى ، وذلك عقب معركة عنيفة سادها الغموض والبلبلة والمناورات بين الكتل والاحزاب السياسية التقليدية ·

وقد انحصرت المعركة حول الفوز بمقعد الرياسة بين القوى الثلاث الرئيسية داخل البرلمان وهى **كتلة النهج** ، **والحلف الثلاثى اليمينى** (كميل شمعون ــ وريمون اده ــ وبيير الجميل) ، **وكتلة الوسط** ·

وكانت كتلة النهج قد أعلنت ترشيح « فؤاد شهاب » الرئيس السابق للجمهورية ، الذى اشترط لدخوله المعركة ضمان الحصول على أغلبية الاصوات (٦٦ صوتا) ولم يكن من السهل توفير مثل هذه الاغلبية له ، فاعلن عن انسحابه من المعركة ·

وقد أدى انسحاب شهاب المفاجىء الى حدوث الارتباك والفوضى فى صفوف النهجيين ، ودفع بهم الى ترشيح الياس سركيس محافظ البنك المركزى فى اللحظات الاخيرة · وقد علق كمال جنبلاط وزير الداخلية وزعيم الحزب التقدمى الاشتراكى على تصرف النهجيين بقوله : انهم يغفلون القوى التقدمية والوطنية فى البلاد ولا يتفاهمون معها على مرشح يحظى بتأييدها وترحب به القوى العربية التقدمية ، وان بعض أركان النهج يتصرفون على أساس ما يحقق مصالحهم » والمعروف ان جنبلاط قد انسحب من كتلة النهج فى



● بارنج ●

الفترة الاخيرة لاختلافه معهم حول عديد من القضايا الاساسية الداخلية والعربية .

وقد حاول كميل شمعون الرئيس السابق استغلال الفراغ الناشىء عن انسحاب فؤاد شهاب وأعلن ترشيح نفسه ، مما نتج عنه ردود فعل عنيفة فى الاوساط الشعبية والتقدمية ، اذ اعتبر ترشيحه تحديا للشعب اللبنانى ، وتنفيذا لمخططات استعمارية جديدة ضد لبنان والامة العربية ، وكانت أن هددت باستخدام القوة لمنعه من الوصول الى الحكم . وهناك من يفسر اقدام جنبلاط باعتباره وزيرا للداخلية على الترخيص لجميع الاحزاب اليسارية الممنوعة وفى مقدمتها **الحزب الشيوعى** وحزب **البعث** بمزاولة نشاطهما فى لبنان ضمن الانظمة والقوانين المعمول بها بأنه قد جاء ردا على تحركات شمعون وبقية انصار الحلف الثلاثى .

وقد كان الخلاف واضحا داخل كتلة الوسط (حوالى ١٥ صوتا) فيمن يمثلها ، وكان هناك من يرى ترشيح « **ريمون اده** » وزير الاقتصاد السابق وأحد أركان الحلف الثلاثى اليمينى ، ولكن ردود الفعل التى أثارها ترشيح كميل شمعون وبيير الجميل وهما من أقطاب الحلف الثلاثى جعلتهم يعدلون عن ذلك ويقدمون **سليمان فرنجية** وزير الاقتصاد الحالى بدلا منه خاصة وأنه من أقطاب كتلة الوسط ، وقد **وافق كل** من ريمون اده وكميل شمعون على الانسحاب لصالح سليمان فرنجية كيلا تضيع الاصوات ، مما يتضمن تأييدا من جانبهم لفرنجية .

وقد عاد بيير الجميل بعد الاقتراع الاول وحصوله على ١٠ أصوات الى تأييد فرنجية ، وكذلك فعل **جنبلاط** فى الاقتراع الثانى .

ويعود الفضل فى نجاح فرنجية فى الاساس الى حصوله على أصوات نواب حزب كمال جنبلاط وجبهة النضال الوطنى التى يتزعمها وتقدر

تعليق

حتى ندعم دور المحامين فى القطاع العام

بعد أن أصبحت الغالبية الساحقة من المحامين تعمل فى القطاع العام ، وهو امر يعكس التطورات الايجابية ، الاقتصادية والاجتماعية التى بدأت باجراءات يوليو ١٩٦١ ، نقول — بعد أن تم هذا ، كان الامل أن يؤدى وجود المحامين العاملين فى القطاع العام الى حل المشكلات بين القائمين على الادارة وبين العاملين بما يضمن مصالح العاملين ومصالح مؤسسات القطاع العام .

غير أن هناك سلبيات شديدة تظهر بين الحين والحين مصدرها الاساسى فقدان المحامين فى كثير من شركات القطاع لاستقلالهم وتبعيتهم الشديدة لما يملى عليهم من توجيهات بعض رؤساء مجالس الادارات .

وللتدليل على ذلك نسوق هذه الواقعة التالية : حدث أن الاستاذ فاروق الخربوطلى المحامى بشركة اتوبيس وسط الدلتا وقع عليه اجراء ادارى صارخ من جانب رئيس مجلس الادارة لمجرد انه كتب مذكرة يرى فيها أن تقوم الشركة بتنفيذ حكم قضائى يقتضى تعويض مواطن اصابته احدى سيارات الشركة . هذا التعسف من جانب القيادات الادارية . نراه فى واقعة أخرى ، وذلك فى الحكم الصادر فى القضية رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٦ — عمال جزئى طنطا ، المرفوعة من محام يعمل بشركة اتوبيس الغربية ... فقد جاء فى هذا الحكم :

« ولما كان فان الواضح للمحكمة أن قيادة الشركة المدعى عليها فى هذه الدعوى تتنكب طريق العدل فى التوزيع بالنسبة للاجور وتصر عليه ، بلا مبرر » .. وجاء فيه ايضا « بل انها على حد تعبيرها ترى فى طلب الالتجاء « لعدل القضاء » تهديدا من احد العمال ، وذلك ثابت من الطلب المقدم من محامى الشركة المدعى عليها .. ولم يلحظ رئيس الشركة أن رفع الامر الى القضاء لا يحتاج اذنا أو أمرا ، فساحة القضاء حق لكل مواطن . ولكنه رأى أن فى ذلك تهديدا» ثم ينتهى هذا الحكم بقوله : « وهذا ما تأخذه المحكمة على قيادة الشركة لان الذى يزرع التفرقة والتمييز بلا مبرر بين العاملين لا ينتظر أن يكون حصاده الا وبالا « وتعطيلا لعجلة الانتاج » .

ومن الواضح أن هذه الوقائع انما تشير الى أمور هامة فى مقدمتها عدم استقلالية اجهزة القانون بالقطاع العام من يجعلها عرضة — لان تتصرف وفقا للتوجيهات الادارية والاهواء لا وفقا للقوانين القائمة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فان فقدان هذه الاستقلالية — فى كثير من الاحيان يفسر لماذا تزدحم المحاكم باعداد متزايدة من قضايا العمال سواء كانت فردية او جماعية ، هذه القضايا التى زادت على ١٦ الف قضية .

ومن الواضح بعد كل هذا انه لا بد من تشريع أو اجراء فورى عاجل يحمى محامى القطاع العام من تسلط بعض الاجهزة الادارية فى الشركات والمؤسسات وفى اعتقادنا أن هذا التشريع او الاجراء يجب أن يستهدف فى الاساس ضمان استقلال المحامى فى اطار جهاز قانونى شبيه بجهاز ادارة قضايا الحكومة ، حيث يستطيع هذا المحامى أن يسترد عافيته النفسية والروحية ، وتتعاظم شخصيته القانونية ليساهم بدوره فى توفير العدالة والمساواة للجماهير العاملة التى تصنع الامل والحياة فى رحاب القطاع العام .

عطية الصيرفى



● سليمان فرنجية ●

بحوالى ٧ أصوات ، ويقال ان تحول جنبلاط الذى كان يقف الى جانب المرشح **جميل لحود** فى الاقتراع الاول ، الى تأييد فرنجية بعد ذلك ، كان نتيجة تعهد فرنجية لجنبلاط بتنفيذ مشاريعه الاصلاحية المعروضة أمام البرلمان ، وكانت تجد معارضة من بعض أركان النهج ، والمتعلقة بالحد من سلطة جهاز المخابرات ، وحق وزير الداخلية فى اصدار تراخيص حمل السلاح ، والغاء المنطقة العسكرية الخاصة على الخطوط مع اسرائيل .

وعلى أية حال فهناك اعتقاد قوى لدى معظم المراقبين بأنه ليس من المتوقع حدوث أى تغييرات كبرى فى السياسة اللبنانية فى المستقبل سواء فى المجال الداخلى أو العربى بعد انتخابات الرئاسة الاخيرة .

● ● ●

■ المغرب :

انتخابات « مجلس الممثلين » بعد تعديل الدستور

تثير التطورات التى تجرى حاليا فى مراكش اهتمام المراقبين والرأى العام فى العالم العربى ، وكانت المعارضة الوطنية قدعت الجماهير وكافة الاتحادات العماليةوالهيئات الشعبيةوالطلابية الى مقاطعة الانتخابات النيابية التى تقرر اجراؤها فى المغرب خلال الفترة من ٢١ الى ٢٨ أغسطس ، لاختيار « **مجلس الممثلين** » ، وهو الاسم الجديد لمجلس النواب ، وذلك ضمن التغييرات التى يجريها **الملك الحسن الثانى** « لاعادة ترتيب الاوضاع فى البلاد » ، وهذه هى المرة الثانية التى تجرى فيها الانتخابات البرلمانية منذ الحصول على الاستقلال .

وتتمثل المعارضة اساسا فى حزب الاستقلال ، وحزب التحرر والاشتراكية ، وحزب الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية ، واتحاد العمال المغربى،ويعتبر موقفهامن الانتخابات امتدادا لموقفها السابق ولمعارضتها للدستور الجديد المعدل لدستور عام ١٩٦٢ ، عندما قررت التصويت ضده فى الاستفتاء الذى تم فى شهر يوليو الماضى ، وذلك باستثناء اتحاد الطلبة المغربى الذى أعلن رفضه التام للاستفتاء ودعا الى مقاطعة الدستور والمجلس الجديد .

كذلك قرر اتحاد العمال المغربى الذى يتزعمه **المحجوب بن صديق** الاضراب العام لعمال السكك الحديدية وتعطيل المواصلات خلال الفترة من ١٩ الى ٢٤ يوليو وأثيرت قضية المطالبة بزيادة الاجور فى هذه المناسبة .

ويقضى هذا التعديل الجديد فى الدستور ، بأن يتولى الملك تعيين الحكومة ، وتولى ممارسة السلطة التنفيذية بدلا من رئيس الوزراء ، وأن تكون الحكومة مسئولة امام الملك وأمام مجلس الممثلين ، وأن يتولى رئيس الوزراء مهمة عرض برنامج الحكومة أمام المجلس .

ووفقا للتعديلات التى أدخلت على الدستور فان المجلس الجديد ينتخب لمدة ست سنوات بدلا من أربع كما فى الدستور القديم ، وتشارك فى عملية الانتخابات ثلاثة قطاعات ، القسم الاول يتم بالاقتراع العام المباشر ، وجزء آخر يتكون من ممثلين ، يتم انتخابهم من اتحاد الصناعات والتجار والفلاحين ، والثالث من مجالس البلديات والمجالس القروية ، كما يحتفظ الملك بموجب المادة الخامسة والثلاثين من الدستور القديم ، بحق اعلان حالة الطوارىء عند وقوع أحداث قد تهدد عمل المؤسسات الدستورية ، وكذلك احتفظ بحق حل المجلس النيابى ، والمعروف ان الملك الحسن الثانى كان قد قرر حل البرلمان السابق واعلان حالة الطوارىء ويتولى بنفسه السلطات التشريعية والتنفيذية ، فى البلاد ، وذلك عقب المظاهرات الشعبية والطلابية الدامية التى جرت فى انحاء البلاد فى شهر مارس عام ١٩٦٥ .

وكان قد أعلن فى المغرب عن تكوين « جبهة وطنية » من حزبى الاستقلال والاتحاد الوطنى

للقوى الشعبية ، وذلك فى مؤتمر صحفى عقده زعماء الحزبين فى شهر يوليو الماضى ، استعدادا لمواجهة الانتخابات العامة لمجلس الممثلين الجديد ، وأعلن الحزبان انهما يتركان الباب مفتوحا لانضمام منظمات أخرى الى الجبهة ، وانهما يسعيان لضم اتحاد العمال المغربى الى الجبهة .

واوضح الحزبان أهدافهما المشتركة فى الميثاق الذى عقد بينهما ، **وهى : النضال من أجل تحقيق** ديمقراطية اشتراكية ، وتحرير الاقتصاد الوطنى من الاحتكارات الاستعمارية ، وتحقيق برنامج اصلاح زراعى ، وتحرير الاقاليم المغربية من السيادة الاسبانية ، وتوحيد شعوب المغرب العربى .

وقد تم تشكيل لجنة مركزية للجبهة تضم : علال الفاسى رئيس حزب الاستقلال **ومحمود دويرى ومحمود بوستار القديرى** عن حزب الاستقلال ،

تعليق

ملاحظات حول انتخابات الرئاسة اللبنانية

استقبل المراقبون والرأى العام العربى انتخابات رئاسة الجمهورية فى لبنان بالفتور والتحفظ ، وهو فتور ربما يكون قد سرت اليهم عدواه من الشعب اللبنانى نفسه الذى لم يبد حماسا لاى من المرشحين المتنافسين على كرسى الحكم والذين حفلت بهم الساحة اللبنانية ، وذلك على الرغم من اهمية وخطورة المناسبة التى ستحدد نتيجتها طبيعة واتجاه الحكم خلال السنوات الست القادمة ، والسبب هو ان الانتخابات تتم بعيدا عن مشاركة رجل الشارع ، حيث تجرى داخل المجلس النيابى بين الكتل الثلاث الرئيسية التى تبلورت خلال السنوات الاخيرة على مسرح السياسة اللبنانية ، وعلى وجه التحديد فى اعقاب حرب يونيو عام ١٩٦٧ مباشرة .

وهذه التكتلات السياسية هى :

● **كتلة النهج** : وتتكون من بعض الفئات المؤيدة لرئيس الجمهورية السابق فؤاد شهاب ، وتعد اكبر تجمع نيابى (حوالى ٤٠ نائبا) وتضم مجموعة الاقطاعيين المشاترين والبورجوازية الكبيرة ورجال المصارف . ومن أبرز زعمائها رشيد كرامى رئيس الوزراء الحالى ، وعبد الله اليافى رئيس الوزراء السابق وصبرى حماده رئيس المجلس النيابى الحالى .

● **الحلف الثلاثى** : وهو تجمع للاحزاب الثلاث اليمينية (حوالى ٣٠ نائبا) وهى الوطنيين الاحرار بزعامة كميل شمعون . والكتلة الوطنية بزعامة ريمون اده وزير الداخلية السابق ، والكتائب بزعامة بيير الجميل وزير الاشغال الحالى . وتمثل اساسا البورجوازية التجارية الكومبرادورية التى تعمل ذيلا للاحتكارات الاستعمارية فى لبنان ، ومجموعة رجال المصارف التى تهيمن على اقتصاد يبلغ حجم قطاع الخدمات فيه حوالى ٦٧ ٪ من الدخل القومى . والتى تخضع بدورها لسيطرة البنوك الامريكية والبريطانية ، وينتمى زعماء هذه الاحزاب الى طائفة واحدة هى طائفة الموارنة .

● **كتلة الوسط** : (حوالى ١٥ نائبا) وتتكون من مجموعة صائب سلام رئيس الوزراء الاسبق ، ومجموعة كامل الاسعد رئيس المجلس النيابى السابق ، ومجموعة جوزيف سكاف ، وسليمان فرنجية وزير الاقتصاد ، وتضم العناصر الاقطاعية والبورجوازية الكبيرة ورجال المصارف .

وذلك بالاضافة الى جبهة النضال الوطنى (حوالى ٧ نواب) التى يتزعمها كمال جنبلاط رئيس الحزب التقدمى الاشتراكى ووزير الداخلية الحالى ، فهو الوحيد الذى يتزعم مجموعة سياسية ويخوض المعركة على أسس تقدمية . ولقد كان من الطبيعى ان تجيء البرامج الانتخابية انعكاسا للمواقع الطبقية والايديولوجية لهذه الكتل ، وهى تتفق جميعا على التمسك بالنظام الاقتصادى الحر والدفاع عنه كجزء من النظام الراسمالى العالمى . الامر الذى يوحى باجماع هذه الكتل على استمرار السياسة اللبنانية القديمة التى تتسم بالغموض والضبابية التى تميز السياسة اللبنانية فى العالم العربى .

ولقد كانت هناك محاولات مستمرة من جانب القوى اليمينية منذ حرب يونيو لعزل لبنان عن المعركة المصيرية ضد الاستعمار والصهيونية ، ولدفع لبنان فى اتجاه اليمين الصريح ، وتدبير المؤامرات ضد حركة التحرر العربى والانظمة التقدمية بالتنسيق مع الامبريالية والصهيونية العالمية ، ولم يكن يمنع تلك الاندفاعة وقطع الروابط والصلات التى تربط لبنان الرسمى بالامة العربية ، غير هبات الجماهير اللبنانية وضغط المقاومة الفلسطينية وغضبة واستياء الرأى العام العربى هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى فقد كانت سياسة المجموعات الحاكمة طوال السنوات الاخيرة موجهة لتفتيت قوى الجماهير اللبنانية ، وحجب وجه لبنان العربى الاصيل صاحب التراث الثقافى فى بعث القومية العربية ، والعمل على تغذية النزعات الطائفية والعشائرية الانعزالية تحت زعم ظروف لبنان الخاصة ، والمطالبة بتحييد وتدويل لبنان ، واستدعاء البوليس الدولى لحماية حدودها ومحاولات طرد اللاجئين الفلسطينيين وضرب رجال المقاومة ، وضمان رؤوس الاموال الامريكية وربط لبنان بالاستعمار الجديد ، الخ .

وفى نفس الوقت كانت جماهير العمال والفلاحين والمثقفين اللبنانية تقاوم كل هذه العوامل والضغوط رافعة شعارات المقاومة والتجنيد الاجبارى وبناء الجيش وتحصين الحدود ودعم وحماية العمل الفدائى ، وهى نفس جماهير الشعب اللبنانى وقواه التقدمية والوطنية التى تحركت طوال حرب الايام الستة ، وادانت حكومتها لتقاعسها عن دخول المعركة ، وهى نفس الجماهير التى قدمت عشرات الشهداء ومئات الجرحى ضحايا مجازر ابريل واكتوبر عام ١٩٦٩ دفاعا عن المقاومة الفلسطينية ، وذلك فى وجه سياسة التخاذل واللامقاومة والسكوت عن الانتهاك الحقيقى للسيادة اللبنانية .

ولعل كل ذلك يفسر الموقف المتحفظ المشوب بالفتور الذى استقبل به المراقبون والرأى العام العربى انتخابات الرئاسة فى لبنان .

اننا لا نريد ان نسبق الحوادث والسير وراء المتشائمين او المتفائلين ، ونفضل الانتظار حتى ٢٣ سبتمبر وهو موعد تسلم الرئيس سليمان فرنجية سلطاته الدستورية والاعلان عن سياسته الجديدة ، وسيظل الامل دائما معقودا على الشعب اللبنانى وقواه التقدمية والوطنية التى اثبتت دائما قدرتها على التصدى لكل المخططات الرجعية والاستعمارية .

وديع أمين

وعبد الله ابراهيم ومحجوب بن صديق وعبد الرحيم بوابيد ومحمد مهابى عن حزب الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية .

● ● ●

■ اليابان :

جريمــة جديدة .. فى ذكرى هيروشيما

تفجرت من جديد المظــاهرات فى ذكرى مــرور ٢٥ عــاما على ضرب هيروشــيما ونجازاكى بالقنــابل الذرية ، ففى يوم ٦ أغسطس ، ذكــرى يوم اخــتارت القــوى العــدوانية الامريكيــه هيروشـــيما هدفا لاول قنبله ذريه ، خرجت مظــاهره ضخمه تضـــم آلاف المعادين للحرب الى شــوارع المدينه تندد بهذه الجريمه البشعه التى راح ضحيتها ٢٠٠ الف شخص ، وما زالت اسرها تواجه اهالى هيروشيما بخطر الموت والتشويه .

وقد خرجت هذه المظاهرة الضخمة عقب اجتماع كبير عقد فى حرم جامعة هيروشيما ، طالب فيه المتظاهرون بحظر استخدام وانتاج الاسلحة النووية ، والغاء معاهدة الامن الامريكية اليابانية ، وازالة القواعد الامريكية من اليابان وانهاء الحرب الفيتنامية . واصطدمت هذه المظاهرة بقوات البوليس ووقعت بين الطرفين اشتباكات دامية عنيفة .

ذلك أنه بعد مضى ربع قرن على هذه الجريمة المشئومة ، يعلن الخبراء الامريكيون واليابانيون أنهم لا يزالون حتى الان يكتشفون آثارا متأخرة ــ بعضها مميت ــ نتيجة للاشعاعات الذرية لدى أشخاص كانوا أطفالا يوم أن ضربت هيروشيما بالقنبلة الذريــة ، وصرح العــالم اليــابانى البروفيسور « **تاكوما تسوموتو** » وهو أحد الناجين من قنبلة هيروشيما ــ بأن **حوالى ٣٠٠ ألف شخص ممن نجوا من التفجير النووى فى المدينة يعانون أمراضا خطيرة ، واضــاف** ، « ان قيام الولايات المتحدة بالقــاء القنــابل الــذرية على مدينتى هيروشيما وناجازاكى يومى ٦ ، ٩ أغسطس ١٩٤٥ لم يكن ضروريا ، لان اليابان فى ذلك الوقت كانت على استعداد للاستسلام على أثر هزيمة المانيا النازية » .

واذا كانت قنبلة هيروشيما ــ بقوة ٢٠ ألف طن من المتفجرات ــ قد فتحت عصرا نوويا ، فانه بعد مضى ربع قرن وصل انتاج الاسلحة النووية حدا خياليا كما وكيفا ، وقفز عدد الدول النووية الى خمس هى الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتى ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والصين ، وأصــبحت ٣٥ دوله تمتلك مفاعلات ذرية لتوليد الكهرباء ، ومن ثم اصبح يخيم على الانسانية فى عصرها النووى رعب ضــخم مخيف يهدد بفنــاء الكوكب الذى نعيش عليه .

وتكتسب الشعوب المحبة للسلام من ذكرى ضحايا هيروشيما عزما متزايدا على مواصلة النضال ضد انتاج الاســلحة النــووية او استخدامها . ففى هذه الذكرى الاخيرة أصدر معهد السلام فى ستوكهلم كتابا تضمن ٣٣ حادثة من أهم الحوادث التى وقعت لطائرات وصواريخ أمريكية تحمل رؤوسا نووية ، عرضت العالم لخطر تفجير نووى أشد هولا وأكثر بشاعة من انفجــارات هيروشيما ونجازاكى . واوضح هذا الكتاب مــدى خطورة الاستراتيجية النووية الامريكية وتعريضها سلام العالم لخطر رهيب ، فان هذه الحوادث التى اوردت المؤسسة السويدية ٣٣ منها فقط لم تقنع الولايات المتحدة الامريكية بالكف عن استخدام قواعدها فى أنحاء العالم لتخزين رؤوس ذرية تحملها قاذفات تقوم بدوريات مستمرة ، وتحمل معها مئات الاحتمالات لانفجار ذرى مدمر بطريق الخطأ .

بل تمضى الولايات المتحدة فى اللعب بالنار ، ووسط صيحات الاحتجاج من المسئولين والسكان فى داخــل الــولايات المتحـــدة وخــارجها فى جــريمتها الجــديدة باغــراق غاز الاعصاب فى المحـــيط الاطــلنطى ، ومعـــروف ان هذا الغاز يقتل الانسان خلال دقائق بشل جهازه العصبى ، وقد سبق أن صنعه علماء المانيا النازية فى الحرب العالمية الثانية ، ثم أنتجته الولايات المتحدة فى الخمسينات ، وحين اصبح هذا السلاح باليا أمام التطور الهائل بانتاج الاسلحة الكيمائية والبيولوجيه ، قررت الحكومه الامريكيه اغراقه .

وقد أثار هذا القرار هلع السكان الامريكيين ،

وغضب المسئولين ، الامر الذى دفع بحاكم فلوريدا الى مقاضاة الجيش الامريكى فى المحاكم لمنعه من اغراق هذا الغاز المميت وتلويث البحار به ، وقد اصدر أوثانت السكرتير العام للامم المتحدة بيانا قال فيه : « ان مشروع الولايات المتحدة لاغراق غاز الاعصاب انتهاك لقرار الجمعية العامة للامم المتحدة الصادر فى عام ١٩٦٧ ، واتفاقية جنيف عام ١٩٥٨ الخاصتين بعدم تلويث البحار » .
ومضى أوثانت يقول : « وقد سبق أن أشرت فى تقرير قدمته عام ١٩٦٩ الى أن غاز الاعصاب يتحلل فى الماء وبالتالى يقتل الاحياء المائية ، ولابد من أجراء أبحاث عاجلة لمنع هذا الخطر » .

غير ان الحكومة الامريكية أغرقت ٦٧ طنا من غاز الاعصاب القاتل ، دون أن تقيم أى أعتبار لاحتجاجات المسئولين ورغبة الشعوب المحبة للسلام فلاشك أن قوى السلام يهمها وتكافح من أجل تدمير كل أسلحة الحرب والدمار ولكنها ترفض بشدة أن تدمر تلك الاسلحة الفتاكة بمثل هذه الوسيلة التى تهدد الحياة ومن المعروف أن امريكا لم تقرر اغراق غاز الاعصاب بهدف الخلاص من أسلحة الابادة والدمار أو استجابة للرأى العام العالمى ، بل تحت ضغط الاحتجاجات من جانب سكان مناطق تخزين الغاز ، حيث وقعت عدة حوادث كانت تهدد حياتهم ، كمـا اصبح هذا السلام أقل فاعلية بعد انتاج اسلحة اكثر دمارا .

● ● ●

■ **موسكو :**

خطوة هامة نحو دعم الامن الاوروبى

فى يوم ١٢ أغسطس الماضى وفى أعقاب محادثات طويلة استغرقت عـدة شهور وتعرضت لكثير من العراقيل والخلافات الحادة ، وقعت معاهدة عـدم الاعتـداء بين الاتحـاد السـوفيتى وجمهورية المانيا الاتحادية، وما كان لهذه المعاهدة أن تكون ممكنة ، كما يقول كوسيجين ، لولا ان تطور الواقع الاوروبى برمته ، والمجرى الطبيعى للعلاقات الدولية قد مهدا لها .

ولقد كانت تلك المعاهدة تتويجا للسياسة التى انتهجها برانت منذ بداية حكمه ، والتى سعى فيها الى محاولة الانفتاح على الدول الاشتراكية فى اوروبا ، ويلاحظ الكثيرون أن حكومة ويلى برانت منذ أن وصلت الى الحكم فى العام الماضى وهى تحاول انتهاج سياسة واقعية تقوم على الاعتراف بالواقع الذى تعيش فيه كل من المانيا وأوروبا ، وتسعى الى التلاؤم مع هذا الواقع الجديد الذى أصبح يواجه دول أوروبا كلها .

ويشير كثير من المراقبين الى أن حكومة برانت قد سعت الى تطوير البناء السياسى لالمانيا برمته كى يتلاءم مع مستوى تقدمها الاقتصادى وما يفرضه هذا التقدم من مصالح فى الخـارج والداخل ، وتطلعت حكومة برانت الى أن تكسر الطوق المضروب حول رقبة المانيا لتقف على قدميها من جديد كقوة مستقلة فى أوروبا ، ولذلك فان المعاهدة انما ترتبط باتجاه الحصـول على قـدر اكبر من الاستقلال النسبى عن امريكا وتحويل أوروبا الى مركز قوة عالمى جديد .

وتشير المعاهدة الى أن الاتحاد السـوفيتى وجمهورية المانيا الديموقراطية يعتبران المحافظة على السلام الدولى والوصول الى تخفيف حدة التوتر هدفا أساسيا لسياستهما ، وهما يعربان عن تشجيع الاتجاه لاعادة أوروبا الى حـالتها الطبيعية ، وتطوير علاقات السلام بين كافة الدول الاوروبية ، والعمل على أساس الاوضاع الواقعية القائمة فى المنطقة ، كما تضمنت المعاهدة النص بعدم انتهاك الحدود القائمة فى أوروبا كما تشكلت بعد الحرب العالمية الثانية حدود الاودر ـ نيسا ، كما تعهد الجانبان باحترام الوضع القائم فى



● كوسيجين ●

أوروبا كضمان للمحافظة على السلام • وقد تحدثت الدوائر الرسمية للحكومة الالمانية عن « وجود دولتين المانيتين » • مما يتضمن الاقرار بالامر الواقع • ويعنى ذلك تخلى حكومة بون عن دعاواها السابقة تجاه جمهورية المانيا الديموقراطية ، وتمت مجموعة من اللقاءات بين المسئولين فى الحكومتين كانت ذروتها فى احتماع « ايرفورث » الذى ضم رئيس الوزارتين •

وكان لتوقيع المعاهدة أثر طيب فى معظم الدوائر الاوروبية وفى جميع انحاء العالم ، فقد اشارت تعليقات الصحافة الاوروبية الى أن مغزى المعاهدة يتعدى حدود العلاقات بين الدولتين اذ انها ستساعد على توفير مناخ سياسى افضل فى أوروبا وتلعب دورا فى تحسين المناخ الدولى العام ، واشارت **وكالة الانباء الفرنسية** الى أنها تعتبر **أهم حدث فى المانيا بعد سقوط الرايخ** ، وجاء فى بيان الخارجية الهولندية « اننا نامل أن تفتح المعاهدة فرصة لحل القضايا التى لا تزال تمزق اوروبا فى الوقت الحاضر » ، وكتبت **فرانكفورت راندشاو** الالمانية تقول « لقد لقيت المعاهدة ارتياحا واسعا بين مواطنى جمهورية المانيا الاتحادية الذين يدرك غالبيتهم أننا على الرغم من أننا لم نتحول فجأة الى أصدقاء حميمين للاتحاد السوفيتى فانه فى امكاننا أن نواصل محادثاتنا معهم بأشكال سلمية ، ولقد آن الاوان كى نوضح لجيراننا الشرقيين اننا تعلمنا من درس ١٩٤٥ !! » .

أما **الدوائر الرسمية** فى بريطانيا والولايات



● **برانت** ●

المتحدة فرغم أنهما « باركتا الاتفاقية رسميا الا ان عدم الرضاء والقلق كانا يتضحان بجلاء فى اتجاه الصحافة الغربية • ثم أن الاحزاب المعارضة لبرانت فى المانيا قد أبدت صراحة عدم رضاها عن توقيع المعاهدة واتهمت برانت بانه قد باع المصالح الالمانية وتنازل عن الكثير للاتحاد السوفيتى مقابل لا شىء ، وقد حاولت تلك الدوائر وضع العراقيل أمام التوصل الى توقيع المعاهدة •

غير أن الرأى العام الاوروبى يرى أن المعاهدة تفتح آفاقا طيبة لنمو ناجح للتعاون السلمى بين الاتحاد السوفيتى وجمهورية المانيا الاتحادية فى مختلف الميادين فى صالح شعبى الدولتين ، كما أنها ستساعد على دعم الامن فى أوروبا وحل المشاكل القائمة ، واقامة تعاون سلمى بين جميع دول أوروبا بغض النظر عن اختلاف أنظمتها الاجتماعية .

● ● ●

■ **كوبا :**

لماذا طلب كاسترو التنحى ؟

كشف

« **فيدل كاسترو** » السكرتير الاول للحزب الشيوعى الكوبى ورئيس وزراء كوبا فى الخطاب الذى القاه يوم ٢٦ يوليو الماضى فى الاحتفالات بمناسبة الذكرى السابعة عشرة للهجوم على ثكنات مونكادا ، كشف عما اسماه « بأكبر تحد واجهته الثورة الكوبية » ، وذلك فى خطاب اعتبره أغلب المراقبين السياسيين « أقسى خطاب سمعه الشعب الكوبى منذ نجاح الثورة » سنة ١٩٥٩ •

وبعد هذا الخطاب الذى أستبعد فيه كاسترو بحث المسائل الدولية والسياسية ، بمثابة تقرير اقتصادى عام عن الصعوبات الضخمة التى عانى منها الاقتصاد الكوبى أخيرا ، وصاحبت تطبيق برنامج « الظفرا » ، الذى كان يستهدف الوصول بانتاج قصب السكر الى « ١٠ مليون طن » حتى يوليو ١٩٧٠ ، والحقيقة أن الصعوبات الضخمة التى واجهت الاقتصاد الكوبى لا ترجع ، فحسب ، الى عدم التمكن من تحقيق هدف « الظفرا » (ما تحقق فعلا هو ٨٫٥ مليون طن فقط) وانما ترجع كذلك الى التدهور فى الانتاج فى الفروع

الاقتصادية الاخرى، والعجز عن الوفاء بما قررته الخطة الاقتصادية القومية .

وقد أوضح كاسترو فى خطابه أن انتاج اللبن الحليب نقص بمقدار ٢٥ فى المائة ، وصيد الاسماك بمقدار ٢٢ فى المائة ، والاسمنت بمقدار ٢٣ فى المائة وقضبان الصلب بمقدار ٣٨ فى المائة ، والسماد بمقدار ٣٢ فى المائة ، والالات الزراعية بمقدار ٩٢فى المائة والنيكل بمقدار ٤فى المائة ، ونقص كذلك انتاج « الريون » الذى يستخدم فى صناعة الاطارات،كما نقص انتاج الورق والزجاج، واذا كانت الطاقة الكهربائية قد حققت زيادة قدرها ١١ ٪ عن العام الماضى فان الطلب قد ازداد بنسبة ١٧ ٪ ، ونقص انتاج اطارات السيارات بنسبة ٥٠ فى المائة والبطاريات بنسبة ٣٣ فى المائة ونقص انتاج الاحذية من ٦ر١٥ مليون زوج الى ٩ر١٣ مليون زوج من الاحذية ، ومعجون الاسنان بمقدار ١١ فى المائة والصابون بنسبة ٣٢ فى المائة ، ونقص انتاج الخبز فى هافانا بمقدار ٦ فى المائة عن الخطة المقررة و ٢ فى المائة عن العام الماضى ، وتم تحديد الاستهلاك فى اللحوم والدجاج والسيجار والسجائر ، ونقصت الواردات الخاصة ببعض البقول ، أما فى التجارة الخارجية فلم تستطع كوبا تنفيذ مقرراتها بالنسبة للصادرات والواردات ، وظهرت صعوبات شديدة فى النقل الداخلى .

ويرجع ذلك النقص الانتاجى فى جانب كبير منه



● **كاسترو** ●

الى الانصراف الى العمل الزراعى الخاص « بالظفرا » والى نقص المنشآت اللازمة ، وعدم كفاءة الادارة ، والقصور فى نقل المواد الخام داخل الجزيرة ، والعجز عن نقل المنتجات الى أماكن الاستهلاك بسبب نقص وسائل النقل ، والنقص فى الايدى العاملة ، والنقص فى استيراد المواد اللازمة من الخارج ، وعدم الانتظام فى توريد بعض المواد الاولية ، والتأخر فى تنفيذ بعض المشروعات الجديدة ، والصعوبات التى تعانى منها الموانىء ، والنقص فى التعاقد مع الخارج ، والصعوبات التى تجابهها كوبا فى توفير السفن اللازمة للصادرات ومصاعب الشحن والتفريغ ، والمشكلات المترتبة على صعوبة نقل المعدات من أوروبا ، والاولوية التى اعطيت فى النقل لمحصول قصب السكر ، هذا بالاضافة الى التغيب عن العمل ، وتحديد الاهداف تحديدا غير دقيق ، وعدم فاعلية الكوادر .

وحدد كاسترو فى خطابه المسئولية العامة عن نشوء هذه المشاكل ، ومسئوليته هو « بصفة خاصة » . **واعلن للشعب الكوبى أن من حقه أن ينحيه متى يشاء وحتى فى نفس اليوم ان اراد ، ولكن الجماهير الكوبية جابهت ذلك الاعلان بمعارضة كاسحة** ، ويعتقد بوجه عام الان أن سبب ذلك القصور راجع فى ناحية هامة من نواحيه الى تحديد الاهداف المبتغاه على أسس ذاتية اكثر منها على تقدير واقعى علمى للعوامل الموضوعية ، فالخبير الزراعى الفرنسى الكبير **رينيه ديمون** الذى يعد من اكبر خبراء الزراعة فى العالم ، حذر من أن كوبا لن تستطيع انتاج العشرة مليون طن الا فى سنة ١٩٧٥ وبعد القيام بأعادة تنظيم زراعتها تنظيما اقتصاديا اجتماعيا جذريا ، كذلك حذر من نفس المبالغة الخبراء الاقتصاديون السوفييت وكبار رجال صناعة السكر فى لندن .

على أن كاسترو لفت النظر فى خطابه الى حقيقة هامة وهى أن تزايد القوى الانتاجية العاملة فى الاقتصاد الكوبى لا يتحقق الا بنسبة ٣٢ فى المائة من الزيادة السكانية العامة أما النسبة الباقية فتمثل الذين تزيد أو تقل اعمارهم عن سن الانتاج ، هذا فى حين تمثل القوى الانتاجية العاملة فى البلاد الصناعية المتقدمة ٤٥ فى المائة من النسبة السكانية العامة ، ومن ناحية اخرى فقد توسعت الثورة الكوبية منذ إنتصارها فى الخدمات

والضمانات التى قدمتها للعاملين والشعب عامة والزيادة التى تمت هنا ، تمت فى قطاعات غير منتجة وان كانت ضرورية فقد منحت الثورة منذ انتصارها معاشات مستمرة لـ ٣٧٩٫٨٤٢ شخصا ، وزادت نفقات الضمان الاجتماعى من ١١٤٫٧ مليون بيزو سنة ١٩٥٨ الى ٣٢٠ مليون بيزو سنة ١٩٧٠ ، والنفقات المتعلقة بالصحة العامة من ٢٢٫٧ مليون بيزو سنة ١٩٥٨ الى ٢٣٦٫١ مليون بيزو سنة ١٩٦٩ ، والنفقات الخاصة بالتعليم العام من ٧٧ مليون بيزو سنة ١٩٥٨ الى ٢٩٠٫٦ مليون بيزو سنة ١٩٦٩ ، كما زاد عدد النساء العاملات من ١٩٤٫٠٠٠ سنة١٩٥٨ الى ٦٠٠٫٠٠٠ سنة ١٩٧٠ الامر الذى خلق بالطبع احتياجات ومطالب جديدة ، كذلك شكا كاسترو من نقص الكوادر القادرة على الاضطلاع بمهام الانتاج المعقدة .

وفى تحليل لعلاج المصاعب الضخمة التى عانى منها الاقتصاد ، اشار الى أن تغيير الاشخاص ليس هو الحل السحرى للمشاكل القائمة وان كان من الضرورى اجراء مثل هذا التغيير فى بعض المواقع والمراكز ، وأوضح أن اصلاح كافة النواقص انما يستلزم عمل الشعب كله والمزيد من الوعى السياسى والاجتماعى ، ولكن ربما يكون العلاج الاساسى الذى اقترحه كاسترو فى الحقيقة هو المزيد من المشاركة الشعبية الواسعة الفعالة .

ولذا دعا كاسترو الى **تكوين جهاز جماعى فى المؤسسات** وأماكن العمل من ممثلى **حركة العمال المتقدمين ، ورابطة الشباب الشيوعى ، والحزب والنساء** ، يقوم بالرقابة وتحقيق مساهمة الجماهير فى الانتاج كما طالب كاسترو **بالتمييز بشكل واضح بين مهام سكرتير الحزب ومهام المدير** ، وأوضح أنه من غير الممكن تعيين سكرتير الحزب فى منصب المدير ، وتحويل المدير الى سكرتير للحزب . واشار كذلك الى أنه لا ينبغى للحزب أن يضطلع بمسئولية الادارة لان الحزب هو الذى عليه أن ينبه الجهاز الادارى الاعلى الى أى قصور أو خطأ ادارى الطابع « ولكن الحزب لا ينبغى قط أن يحدد للمدير ما الذى ينبغى عمله » .

ودعا كذلك الى انشاء جهاز سياسى للتنسيق بين مختلف قطاعات الانتاج الاجتماعى . وطالب بألا يكون للجنة المركزية للحزب الشيوعى مكتب سياسى فحسب وانما ايضا مكتب للانتاج الاجتماعى يكون بمثابة أداة سياسية للحزب لتنسيق نشاط الفروع الادارية المختلفة .

والحقيقة أن عنف النقد الذاتى الذى قدمه كاسترو لا ينفى أن الثورة الكوبية حققت طفرات كبيرة فى مجال انتاج الارز بلغت ستة أضعاف ، كما أن انتاج الاسماك زاد ٨ مرات عما كان عليه قبل الثورة ، كما أن الزيادة فى انتاج السكر هذا العام تبلغ ١٠٠ فى المائة بالنسبة للعام الماضى .

ويرى المراقبون أنه أيا كانت الصراحة القاسية التى واجه بها كاسترو الاخطاء والنواقص فان الامر المؤكد والايجابى هو أن الثورة قادرة على تصحيح اخطائها ، وان القادة الكوبيين قد اخذوا يلتفتون بعمق الى أهمية الانتاج فى مجتمع يحدد أهدافا اشتراكية ، وذلك بعد أن كانت كل جهودهم منصبة ــ فى المقام الاول وفى السنوات الاولى للثورة ــ على العمل الدعائى والسياسى والايديولوجى .. ان هذه الاعمال على أهميتها الحيوية لا تغير من واقع أن الثورات التقدمية تنجح وتضرب المثل بقدر ما تدعم القاعدة الاقتصادية التى تسمح بتحويل الشعارات الى حقائق ملموسة .

● ● ●

بوليفيا :

هل يطيح « اليانكى » « بأوفاندو » أيضا ؟

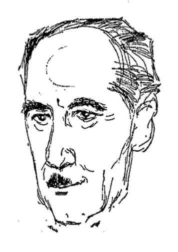
يتزايد ضغط **عناصر** أقصى اليمين فى بوليفيا على الجنرال « **الفريد أوفاندو** » الذى استولى على السلطة هناك فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٩ ، اثر الانقلاب الذى قام به ، وأطاح بالحكومة المدنية التى كان يرأسها « **سايلس ساليناس** » . ويرجع ذلك الضغط المتزايد الى خوف وقلق عناصر أقصى اليمين من السياسة التى قرر أوفاندو اتباعها ، والتى وصفها بأنها « اشتراكية، وطنية، مناهضة للامبريالية » . وتتمثل الجوانب الجديدة فى هذه السياسة فى تأميم منشآت شركة البترول الامريكية **جولف أويل كومبانى** ، والغاء التشريع الاستثنائى ، والغاء القانون المقيد للنشاط النقابى الذى صدر سنة ١٩٦٥ ، وسحب الجيش من مناجم القصدير ، **وبدء نشاط** يتجه الى محو الامية فى بلد

لا يعرف ٦٥ فى المائة من البالغين فيه ، القراءة أو الكتابة •

ويتزعم الزحف اليمينى المتطرف كل من الجنرال **روجيليو ميراندا** قائد القوات البرية ، والكولونيل **جوان ايوروا** وزير الداخلية، والكولونيل«ادموندو فالنسيا » وزير التجارة والصناعة ، فى حين يقف لهم بالمرصاد « **البرتو بيلى** » وزير الاعلام وأبرز الليبراليين فى الحكومة والذى يعد من أوثق معاونى الجنرال اوفانو ، يؤيده كل من وزيرى التعليم والمناجم • ويدعو بيلى الى الاستمرار فى الخط الذى بدأه الجنرال أوفاندو فى سبتمبر ١٩٦٩ والدفاع عنه ضد تهديد اليمين •

وقد بدأ الزحف اليمينى المتطرف الضاغط نحو السلطة فى ١٢ يوليو الماضى ، باقالة الجنرال « **جوان جوزيه توريز** » القائد الاعلى للقوات المسلحة المعروف بتعاطفه مع النقابات العمالية ، والذى كان أحد صناع التأميم الذى تم فى اكتوبر الماضى لشركة البترول الامريكية •

وعندما استطاع رجال العصابات الثورية التابعين « لجيش التحرير الوطنى » احتلال قرية « **تيوبونتى** » احتلالا مؤقتا يوم ٢٠ يوليو الماضى وقاموا باختطاف اثنين من الفنيين الالمان الغربيين ، وجد اليمين المتطرف وبخاصة ممثليه العسكريين فى ذلك فرصة سانحة للانقضاض على سياسة الحكومة ودفعها ضد اليسار فى البلاد • خصوصا وقد كانت هذه هى المرة الاولى التى تضطر فيها الحكومة للافراج عن ١٠ من المسجونين السياسيين تحت ضغط رجال العصابات مقابل



أوفاندوه

الافراج عن الفنيين الالمانيين ، وأعلنت الحكومة حالة الطوارىء يوم ٢١ يوليو •

واستغلت حالة الطوارىء يوم ٢٥ **يوليو للقيام** بحركة اعتقالات واسعة للزعماء النقابيين واليساريين وزعماء الطلبة ، فاعتقلت الحكومة **جوان لوشان** السكرتير التنفيذى لاتحاد عمال بوليفيا والنائب السابق لرئيس الجمهورية • **ونوفلو اورتيز** النائب السابق لرئيس الجمهوريه وقائد تنظيم الحركة الوطنية الثورية ، **وجوزيه موراليس** السكرتير العام لحزب اليسار الوطنى الثورى ، **وراؤول جونزاليس** السكرتير العام للحزب الشيوعى [الاتجاه الصينى] ، و « **جورج ريوس** » أحد قواد الحزب الديموقراطى المسيحى الثورى ، وعدد من قادة الجبهة الثورية العمالية المنشقة من حزب اليسار الوطنى الثورى •

وزاد اليمين المتطرف من تدخله المباشر فى مجرى الاحداث بقيام مجموعات من الكوماندوز التابعين للقوات البوليفية الخاصة ، التى دربها المستشارون الامريكيون الشماليون (وعدد منهم اشترك فى أسر شى جيفارا سنة ١٩٦٧) بمحاصرة وحدات حرب العصابات فى « هو بنى » واعتبروا المنطقة كلها « منطقة عسكرية » •

والاكثر من ذلك ، أن الكوادر المسلحة لحزب الفلانج (حزب أقصى اليمين) قامت باحتلال جامعة « **لاباز** » « لطرد الشيوعية منها » ، وقامت باجلاء الطلبه اليساريين بالقوة بعد معركة دامية أسفرت عن مقتل عدد كبير من الاشخاص بالاسلحة النارية • ليس ذلك فحسب ، بل لقد حاول رجال الكولونيل « ايوروا » وزير الداخلية ، اعتقال الجنرال « جوان جوزيه توريز » القائد السابق للقوات المسلحة ، ولكن المحاولة فشلت ، وأنكرت وزارة الداخلية صلتها بها •

وأخيرا استقال أعضاء الحكومة الستة عشر يوم ٤ اغسطس الماضى • وفسر البعض تلك الاستقالة بأنها نتيجة للضغط المتواصل لليمين المتطرف • واتهمت مجلة « **برنسا** » وهى المجلة الاسبوعية لنقابة الصحفيين البوليفيين ، قائد القوات البحرية ، ووزير الداخلية ، ووزير التجارة

والصناعة ، بالتآمر للاطاحة بالجنرال أوفاندو ، وأشارت المجلة الى « أن الخطوة الاولى فى هذا الانقلاب قد تكون تكوين حكومة عسكرية صرفة » . كما أدان « **البرتو بيلى** » وزير الاعلام ، علنا ، تلك المجموعات فى الجامعة والجيش « التى تهدف الى الاطاحة بالجنرال أوفاندو والقيام بعملية ترميم استعمارية » واتهم السفارة الامريكية بتمويل الصحف المناصرة للامبريالية .

فهل جاء الدور على « **الفريدو أوفاندو** » ليطيح به الامريكيون الشماليون ، كما أطاحوا من قبله بسلفه « **سايلس سالييناس** » عقابا له على عجزه عن وقف حركة العصابات وتقدم اليسار ، أم أن « **أوفاندو** » سينجح فى اختطاط طريقه الاصلاحى معتمدا على العناصر الاكثر ديناميكية للطبقة الوسطى ، وعلى تحييد الحركة النقابية على أقل تقدير ، علما بأن احدى مشاكل بوليفيا تكمن فى أن الطبقة الوسطى فيها ضعيفة ومنشقة على نفسها ، ذلك ما ستكشف عنه على أية حال الاحداث القريبة القادمة .

● ● ●

■ **أدب :**

ا . م فورستر :
التقليد الليبرالى فى الادب

غاب عن **المشهد الادبى المعاصر** وجه الروائى الانجليزى **أ.م. فورستر** ، **وبوفاة فورستر** ، كما يقول **بول د. زيمرمان** فى مجلة « **نيوزويك** » الصادرة فى ٢٢ يونيو ، أنبتت آخر آصرة كانت تربطنا بانجلترا العصر الادواردى . فقد توفى ادوارد مورجان فورستر عن واحد وتسعين عاما

كانت روايته « **طريق الى الهند** » [١٩٢٤] قد كفلت له مكانا قيما فى الادب البريطانى . ولكنه كان أكبر من مجرد روائى من الصف الاول . لقد كان من حراس المدنية .

ان مجموعتى مقالاته المسميتين « **حصاد ابينجر** » و « **هتفتان للديمقراطية** » أثران من آثار المذهب الانسانى ، وثمرة عقل مثقف واسع المدى ، مستقل يتميز بالصلابة والبعد عن التحيز ، يمجد « التسامح وحسن الطبع والتعاطف » . كانت العلاقات الشخصية تهم فورستر أكثر مما تهمه المطامح القومية ، وكان يرجع بميراثه الروحى الى « **ارازموس ومونتينى** » لا الى موسى والقديس بولس » .

كان فورستر ، مثل **ديكنز** ، أشد عناية بالقلب الانسانى منه بالنظم السياسية . ومع ذلك فعلى حين كان ديكنز يرى أن التعاطف مفتاح تحسين الاحوال الاجتماعية ، كان فورستر يرى أنه ليس الا حلا خاصا ، وترياقا للظلم الاجتماعى ، دون أن يكون علاجا له . ويتردد موضوع « القلب غير النامى » فى كل أعماله : أستمده من خبرته بالمدارس الخاصة البريطانية التى كتب عنها أنها تنتج « أجساما نامية ، وعقولا نصف نامية ، وقلوبا غير نامية » .

على أن سنوات فورستر الجامعية السعيدة فى كلية الملك بكامبردج أنقذت قلبه من هذا المصير ، حيث أنه نشأ على أيدى معلمين أحبوه وفهموه . وحين بلغ السادسة والعشرين كان قد كتب أول رواية له وعنوانها « **حيث تخشى الملائكة أن تطأ** » وفى السنوات الخمس التالية صدرت له روايات « **أطول رحلة** » و « **غرفة مظلة على منظر** » ، و « **هواردز أند** » ، وميزته عن أسلافه الفيكتوريين ، رغم أنه ظل ، مثلهم ، ولوعا بالميلودراما والصراع ـ باعتبارهما مصدرا للحدث . وكانت نظرته الى بناء الرواية تقليدية . فقد كتب فى « **أوجه الرواية** » يقول : « ان العمود الفقرى للرواية ينبغى أن يكون قصة » . ومازال هذا الكتاب واحدا من أحسن الكتب عن الشكل الروائى وأمتعها .

غير أنه كان حديثا تماما ، من عدة نواح أساسية . فالميلودراما عنده لا تضع قوى الظلمة فى مواجهة قوى النور ، وانما تؤكد الابهام الخلقى الذى يغمر شخصياته ، أن نغمته محايدة ، وشكوكيته تنبع من اتصاله بجماعة بلومز برى التى ضمت د . هـ لورانس وليتون ستريشى وفرجينيا وولف وزوجها ليونارد ، وهو مرهف الحس بالتهكم

مما يميزه عن انشغال أسلافه بالصراع بين العلم والدين ، والاخلاقيات المتصلبة ·

وكان من شأن السنوات التى قضاها فورستر فى الهند منذ عام ١٩٢٢ أن زاد نفوره من مفهوم كبلنج للاستعمار ، وقوى من اتجاهه المناهض للامبراطورية فى رواية « **طريق الى الهند** » · وفى هذه الرواية التى تعد اعظم رواياته مسرح، على أكمل نحو ، صراع الثقافات بين التصوف الهندى

تعليق

ماذا وراء اجتماعات مؤسسة السينما ؟ ! !

يكاد النشاط السينمائى ان يقتصر فى هذه الايام على عقد الاجتماعات ، فمنذ السابع من يوليه والاجتماعات لا تتوقف تقريبا ، وهناك اجتماعات مجلس الادارة التى حضرها وزير الثقافة ، واجتماعات عقدها المديرون التنفيذيون ، واجتماعات عقدها مدير عام المؤسسة ، واجتماعات اخرى عقدتها لجنة الانتاج ، تلك اللجنة التى تكونت بناء على قرار من القرارات التى اتخذها مجلس ادارة المؤسسة فى اول اجتماعاته ، والذى ينص على ان تشكل المؤسسة لجنة للانتاج وتختص بالاشراف على خطة الانتاج السينمائى العام والخاص الممول ، وان يكون لهذه اللجنة سلطة الاشراف الفنى والادبى والمالى على الخطة ، وتقدير صلاحية القصص والموضوعات المعروضة للانتاج السينمائى العام والخاص الممول ، بغرض تحقيق اهداف المؤسسة من النواحى الثقافية والفكرية والاقتصادية هذا بالاضافة الى تعبئة الجماهير لخوض معركة المصير نحو التحرير والنصر فى اطار معالجة قضايا الفكر الاشتراكى ومشاكل المجتمع وتسجيل كفاح الشعب وبطولاته ، على ان توضع الخطة بعد دراستها من النواحى الادبية والفنية والاقتصادية لتحقيق الاهداف المنشودة من الانتاج » .

وقد يكون من المفيد ان نعرف باقى القرارات التى اسفرت عنها بعض هذه الاجتماعات حتى نلم بكل جوانب الصورة التى تعكس الوضع السينمائى كما تصوره السطور التى تضمنتها اوراق ودوسيهات ترقد داخل مكاتب المديرين على شكل ملفات رسمية .

أما الوضع السينمائى الفعلى الذى تكشف عنه عادة الحركة داخل الاستوديوهات فانه يبدو فى صورة اخرى مختلفة تماما ، فلو اننا استعرنا كلمات رئيس مجلس ادارة المؤسسة عبد الحميد جوده السحار نفسه فى احد هذه الاجتماعات لوصفنا هذه الصورة بالكساد والتوقف ، فهو يقول : «ان العمل متوقف منذ نحو ثلاثة اشهر ولا عمل للمؤسسة خلالها سوى صرف المرتبات !! » .

من القرارات التى صدرت قرار بانشاء اربع وحدات انتاجية يكون عملها الاشراف على انتاج ما يسند اليها من افلام الخطة السينمائية التى يقرها مجلس ادارة المؤسسة ، وان يكون لكل وحدة انتاجية مدير مسئول يتولى ادارتها والاشراف على ما يسند اليها من اعمال .

وتقرر – لصالح العمل – ان يغير مجموعة من المديرين الموجودين داخل المؤسسة مواقع اختصاصاتهم ويتولوا ادارة قطاعات اخرى فى نفس المؤسسة، مثلا مختار العفيفى يتولى ادارة الشئون المالية والادارية بدلا من ادارة قطاع دور العرض ، على ان يتولى احمد سامى تركى ادارة هذا القطاع بدلا من ادارة التوزيع الداخلى .. الخ .. وهكذا فى قطاع التوزيع والاستوديوهات و « الادارة الاشرافية » .

هذا بينما يظل بعض المديرين قابعين فى اماكنهم دون ان يمسسهم التغيير بشىء ، هؤلاء هم : رئيس مجلس ادارة المؤسسة ، ومدير عام المؤسسة ، ومدير قطاع الانتاج ومدير قطاع التوزيع ، ومدير قطاع الاستوديوها .. اى اهم الملامح البارزة فى وجه المؤسسة .

علينا ان نسأل هل هذه التغييرات التى حدثت تعتبر تغييرات جذرية من شأنها ان تحدث التغيير ؟ !

ان ما حدث لم يكن تغييرا بالمرة ، فالبناء المتآكل لا يمكن ان يصلحه تغيير لبنة من مكانها ووضعها فى مكان آخر او اضافة لبنات جديدة ومتينة بينما الاساس لايزال كما هو لم يتغير .

وعندما يكون هذا الاساس هو سر الداء فلا يمكن ان نتوقع اصلاحا او تغييرا مالم يوضع اساس جديد ومتين بناء على تصورات قوية وصحيحة .

اما الاساس الذى نستهدفه فى هذه المرحلة فهو حصر الانتاج السينمائى للقطاع العام فى اضيق نطاق ممكن هذا بعد تصفية معظم القائمين فيه على أمر السينما من الموظفين والمديرين والمنتجين بل والفنانين ممن اثبتوا فشلهم الذريع فى خلق فيلم سينمائى قومى يتمتع بحد ادنى من المواصفات الفنية ويحقق فى نفس الوقت الهدف الاقتصادى الذى نطمح اليه

والمشكلة لن يحلها تشكيل وحدات انتاجية لتشرف عليها وعلى تشغيلها نفس العناصر التى خلقت المشكلة المزمنة واصبحت مصدرا لتعقيدها وصاحبة مصالح كثيرة متشابكة من اوضاعها الحالية ، وانما لابد وان تكون هذه الوحدات نفسها هى الاساس ، بمعنى ان تقتصر المؤسسة على وحدات للانتاج تكون مستقلة استقلالا كاملا ومسئولة مسئولية مباشرة أمام وزير الثقافة ، وان تستمد صفة الاستمرار من مقدار نجاحها الفنى والاقتصادى فقط : فاذا ما اصابها الفشل تحاسب حسابا صارما وتحرم فى الخطة التالية من مسئولية الانتاج .

اما عن قطاع التوزيع فلن يغيره او يعيده الي الطريق المستقيم الذى يحققه الهدف الاقتصادى مجرد تغيير مدير او ابعاد آخر ، وانما يجب ان تقسم اختصاصاته على مجموعات لا تزيد على اثنين ولا يستأثر بها شخص واحد له ان يفعل ما يشاء ...

وعلى كل مجموعة ان تختص بمنطقة معينة تطالب بتسويق الفيلم داخلها ، فاذا ما فشلت احدى هذه المجموعات او تلاعبت فمن الممكن ان تقصى فورا ويعين بدل منها وهكذا .. ففكرة التغيير والابعاد والمحاسبة الصارمة ومواجهة المسئوليات دون حرج او مراعاة لخواطر البعض يجب ان تكون دستورا لا نحيد عنه ، خاصة فى مجال السينما حيث ذلك التراث الطويل من التخلف والفوضى .

بهذا فقط تستطيع السينما ان تحقق اهداف المؤسسة من النواحى الثقافية والفكرية بالاضافة الى تعبئة الجماهير لخوض معركة المصير نحو التحرير والنصر فى اطار معالجة قضايا الفكر الاشتراكى ومشاكل المجتمع .. الخ .. هذه العبارة التى لا نجد غيرها على الدوام فى كل قرارات المؤسسة او فى محاضر اجتماعاتها ! !

خيرية البشلاوى

والعقلانية الانجليزية – وصور – بما عرف عنه من حس فكه وحساسية – كيف أن الاختلافات الثقافية تقف عائقا فى طريق العلاقات الشخصية .

● ● ●

■ علوم

حول المؤتمر العلمى لمرضى السكر

عقد فى الشهر الماضى بمستشفى الشاطبى الجامعى ، أول مؤتمر علمى لعلاج مشاكل مرضى السكر تحت رعاية الدكتور « **عبده سلام** » والدكتور « **عبد الوهاب البرلسى** » والدكتور « **أحمد السيد درويش** » عميد كلية طب الاسكندرية ، وحضور كبار أخصائيى الغدد الصماء والسكر والامراض الباطنية ، وتتضح أهمية هذا المؤتمر اذا علمنا أن نسبة الاصابة بالسكر تتراوح بين ١ فى المائة ، ٣ فى المائة من مجموع السكان بالجمهورية العربية المتحدة ، ويتعرض هؤلاء المرضى لمضاعفات خطيرة تمس كل جهاز من أجهزة الجسم المختلفة ، ويصاب بهذا المرض ، الذى لا شفاء منه ، أى شخص مهما بلغ من العمر ، ما بين الطفولة المبكرة والشيخوخة ، ويحتاج الى تناول العلاج طوال فترة حياته للسيطرة على المرض ، ومنع المضاعفات ، وهناك مشكلة أخرى يتعرض لها هؤلاء المرضى وهى توفير الطعام المعين ، وتحديد الكمية التى يجب تناولها ، هذا الى جانب تحديد نوع العلاج ، وهل من الافضل تعاطى حقن الانسولين طوال العمر أم الاكتفاء بالاقراص أو منع أطعمة معينة ، كما يحتاج كل مريض الى التأكد اليومى من سلامة العلاج بتحليل البول للسكر ، وتحليل السكر بالدم بصورة دورية منتظمة .

ومن المعروف أن هناك نوعين من مرضى السكر :

النوع الاول من المرضى يصاب بالمرض قبل بلوغ سن الاربعين ، وهؤلاء لا يمكن علاجهم الا عن طريق تعاطى الانسولين ، ولا يستجيبون للعلاج عن طريق الاقراص .

والنوع الثانى من المرضى يصابون بالمرض بعد سن الاربعين ، وهؤلاء يميلون للسمنة ويمكن علاجهم عن طريق الاقراص فقط ، بل ويمكن أيضا التحكم فى السكر عن طريق تحديد الطعام ، كما أن هناك بعض المواطنين معرضون للاصابة بالسكر أكثر من غيرهم ومن بين هؤلاء : التوائم اذا كان أحدهم مصابا بالسكر ، اذا كان كلا الابوين مصابا بالسكر فان أولادهما معرضون للاصابة بالمرض ، اذا كان أحد الابوين مصابا بالسكر والاخر له أقارب مصابون بالسكر ، وكذلك الام التى تلد طفلا يزيد وزنه عن ٤ أو ٥ كيلو ، ولذلك فمن الضرورى حماية ومتابعة هذه الحالات قبل استفحال المرض وزيادة مضاعفاته قبل اكتشافه .

كانت تلك أهم نقاط البحث فى المؤتمر العلمى الاول لدراسة مشاكل مرضى السكر فى الجمهورية العربية ، وقد تم اتخاذ عدة قرارات هامة فى هذا المؤتمر من بينها :

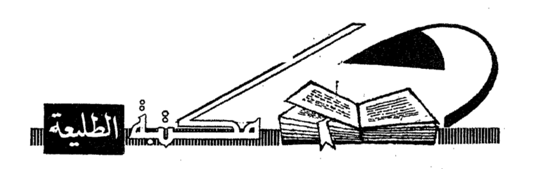
– **انشاء معهد متخصص لمرضى السكر فى مستشفى فم الخليج** ، واجراء مسح طبى شامل لجميع المواطنين ، يتم على ٥ مراحل ، لمعرفة مدى انتشار مرض البول السكرى ، وتأثيرات الوراثة ، والبيئة .

– **مطالبة جمعية الغدد الصماء والسكر بانشاء فروع لها بجميع المحافظات** مع دعم الوحدات الخاصة بعلاج مرضى السكر فى المستشفيات الجامعية ومستشفيات وزارة الصحة ، بادخال أجهزة قياس كيماوية الدم وفحص قاع العين .

– **انشاء درجة ماجستير فى أمراض التمثيل الغذائى والسكر بكليات الطب ، حتى يتوافر عدد كاف من الاخصائيين ، تمهيدا لتأميم علاج مرض السكر** فى مصر على مرحلتين : **مرحلة أولى يتركز فيها الاهتمام بتوفير أدوية السكر بكل أنواعها ، والمرحلة الثانية يتم فيها توزيع الادوية على كل مرضى السكر بالمجان** ، وبدأ بالفعل تنفيذ التأميم بالاسكندرية .

– كما أوصى المؤتمر باتخاذ الخطوات اللازمة لتصنيع مأكولات خاصة لمرضى السكر تتيح لهم تناول عدد من أنواع الطعام التى لا يضرهم تناولها .

واذا علمنا أن عدد مرضى السكر فى مصر يتراوح بين ٧٥٠ر٠٠٠ ومليون يمكن أن نتصور أهمية هذه المشروعات الضخمة التى تصدى لها المؤتمر، من الناحيتين العلمية والانسانية .■



«مشاكل النمو فى العالم الثالث»

من وجهة نظر الاقتصاديين فى البلاد الاشتراكية

■ تأليف :

م · فالكو فسكى

■ عرض :

كمال السيد

■ الناشر :

دار « بايو » الفرنسية

بباريس ١٩٦٨

فى السلسلة التى تصدرها دار « بايو » للنشر فى باريس ، متضمنة وجهة نظر الإقتصاديين الاشتراكيين فى مشاكل النمو فى العالم الثالث، يعتبر كتاب الاقتصادى البولندى فالكوفسكى جهدا رائدا فى تنمية ذلك الحوار حول هذا الموضوع الحيوى ، والذى بدأ بين الاشتراكيين وبين الاقتصاديين الغربيين، واقتصاديي العالم الثالث على حد سواء ·

والواقع ان رؤيا كل فئة من فئات هؤلاء الاقتصاديين وتحليلها لاسباب التخلف ، ومن ثم طرق الخروج منه ،تختلف باختلاف التجربة التاريخية ، والانماط السياسية والاقتصادية التى تعيش فيها كل فئة ·

ومع ذلك فقد اثبتت التجربة التاريخية ــ كما يقول المؤلف ــ عقم استحالة تطبيق الانماط الاقتصادية التقليدية ، اشتراكية او راسمالية ، على مشاكل العالم الثالث الاقتصادية · فظروف النصف الثانى من القرن العشرين وتعدد مناهج وأساليب النمو المطبقة ،كشفت عن عدم قابلية طرق النمو التقليدية للتطبيق فى كثير من بلدان العالم الثالث · لقد فرض الواقع نفسه على الفكر النظرى · وبدأ المفكرون الاشتراكيون فى بلورة نظرية ماركسية

للنمو فى بلاد العالم الثالث ، تضع فى اعتبارها الخصائص المميزة لها ، وتوفر أساسا صالحا لتوجيه العمل التطبيقى .

وفى فصل خصصه المؤلف لاهمية تعريف التخلف فى وضع استراتيجية ملائمة للنمو، يقول ان هناك كثيرا من المسلمات فى العلوم ظلت لفترة طويلة تشكل أساسا للعمل النظرى والتطبيقى ولكن المواجهة المستمرة مع الواقع نزعت عنها كل قيمة كانت لها . ومن أهم القضايا التى اثارت دهشة علماء الاقتصاد ، واجبرتهم على مراجعةكثير من مسلماتهم مشاكل العالم الثالث هذه المشاكل التى اضطرتالكثيرين الى التخلى عما ظنوه أسسا منهجية ونظرية صلبة لا تقبل الجدل . لقد أجبروا مع الامور فى بلدان العالم الثالث كل المدارس الفكرية على مراجعة افكارها ، ففى الغرب كان الاقتصاديون الرأسماليون يزعمون انتقدم بلدان العالم الثالث لابد وان يمر عبر المرحلة الراسمالية : بنفس حوافزها ، ومؤسساتها القديمة التى ضمنت لاوربا انطلاقها فى القرن السابق . فهى وحدها - فى نظرهم - التى تضمن التقدم الاقتصادى وزيادة الاستهلاك ، بل واشاعة الديمقراطية السياسية . ويرون ان التخصص وتقسيم العمل الدولى يضمن توازنا اقتصاديا مثاليا ويحقق اقصى انتاجية .

كذلكفان الفكر الماركسى لم يحاول ان يفرد منهجا خاصا لمشكلة التخلف ، واعتمد على فقرة فى كتاب ماركس « رأس المال » ، تقول « ان البلاد الصناعية الاكثر تطورا ، تقدم للبلاد الاقلتطورا صورة المستقبلالذى ينتظرها» ،واستخلصوا منها نتيجة مؤداها انه اذا اراد البلد غير المتطور ان يتجنب الطريق الراسمالى ، فعليه ان يقوم بثورة اشتراكية . ولم يضع المفكرون الماركسيون فى البدء فى اعتبارهم وجود طرق بديلة للتنمية ، واعتقدوا ان الظروف الذاتية والموضوعية للقيام بتحول مماثل لذلك الذى تم فى البلدان الاشتراكية متوفرة فى بلدان العالم الثالث . وادت هذه الفكرة الى التراخى فى دراسة السمات والملامح الخاصة . ولكن مواجهة الواقع فرضت تغيير هذا الموقف ، ووجد المفكرون الماركسيون فى كتابات ماركس وروزا لكسمبرج وغيرهما ، حول المستعمرات ودورها وطبيعة القوى الانتاجية فيها ، أفكارا تصلح نقطا للانطلاق فى الدراسة والبحث .

والواقع ان تعريف التخلف بتحديد سماته لا يجعل الفرق كبيرا بين مختلف التعريفات التى وضعت له . ولكنالاختلاف ينشأ عند تحديد الاهمية النسبيةلكل من هذهالسمات ، وعند تحديد اسبابها ، فذلك هو الذى يحدد طريقة الخروج من حالة التخلف ، واذا نحينا جانبا اسباب التخلف وعدم نمو قوى الانتاج ، تظهر مشكلتان فى المنهج :

الاولى : مشكلةطريقة تحليل الوضع القائمللقوى الانتاجية والهيكل الاجتماعى والسياسى كمنطلق لتحليلوتحديد السماتالميزة للوضع ،وهو تحليل استاتيكى ، اما **المشكلة الثانية فتتعلق بمعرفة المبادىء العامة** التى تحكم استراتيجية التنمية المدرجه للانتقال الى مستوى انتاجى اعلى ، والتحليلهنا ذو طابع ديناميكى .

وفى نظر المؤلف تنقسم اقتصاديات البلاد المتخلفة الى ثلاثة انواع :

● **اقتصاد متاخر :** ذو طابع استاتيكى راكد ، يتميز بانخفاض مستوى القوى الانتاجية ، وادوات الانتاج البدائية والمهارة.اما التكنيك المستخدمفهو تكنيك العمل اليدوى ذو الطابع الحرفى ، وكلذلك يعدس صفة الركود وعدم التغير فى وسائل الانتاج وانخفاض الانتاجية والدخل الفردى ، ويتميز هذا الوضع بنقص ادوات الانتاج وعدم وجود حوافز للمستثمرين ، والى جانب القطاعات الاقتصادية البدائية ،قد توجد قطاعاتحديثةمميكنة ،ولكنها لا ترتبط بغيرها من القطاعات فى سوق موحد . ويصطحب هذا الوضع بهياكل سياسية واجتماعية اقطاعية ، او حتى ما قبل الاقطاعية ، وفيها تلعب الزراعة ذات الانتاجية الضعيفة الدور الاساسى ، ويزداد دور الوسطاء .

● **البلاد الناقصة التطور :** وهى تلك البلاد التى توجد بين مرحلة الركود الاقتصادى ومرحلة الانطلاق . وهذه الفكرة لا تقتصر على وصف الوضع القائم فيها ، بل تبين الحاجة الى تحليل العوامل الاقتصادية التى يمكن استخدامها للانطلاق ،وتحليلالثروات الطبيعيةغير المستخدمة والتراكم الكامن ، وتربط بين مشكلة اليد العاملة الصالحة للاستخدام ، وبين مشكلة توافر رأس المال .

● **بلاد فى طريق التطور :** وهى التى حددت حاجتها الى التغيير واتجاهاته .وفى هذا الوضع تبرز أهمية مجموعة من الارقام القياسية مثلتلك المتعلقة بحجم الانتاج ، او الاستثمار لانها تتيح وضع البرامج وقياس النتائج المحققة ، وفى هذا المجال من المفيد تحديد الارقام القياسية المطلقة للانتاج مرتبطا بالارقام القياسية لمعدل النمو فيه ، لانذلك يبين اتجاه النمو ومعدل التغير .

تعريف أوسكار لانج

يعرف اوسكار لانج الاقتصاد المتخلف بأنه الاقتصاد الذى لا يكفى مجموع رؤوس الاموال الموجودة فيه لاستخدام كل اليد العاملة على أساس

من التكنيك الحديث للانتاج ، ولاستغلال الثروات الطبيعية الموجودة فيه .

وهذا التعريف ، كما هو واضح ، يركز على الجانب الاقتصادى وعلى مشكلة التراكم والاستخدام الاقتصادى للموارد ، ويضع فى اعتباره جانبى القوى الانتاجية : الادوات والعمال .

تعريف بوربروفسكى

يقترح معيارا لتصنيف وترتيب البلاد المتخلفة ، يعتمد على نمط السياسة الاقتصادية المتبعة وعناصرها : العوامل التى تتحكم فى النمو وشكل ومدى تدخل الدولة

ويخصص الكاتب جزءا كبيرا من مؤلفه للحديث عن اختلاف الظروف التاريخية للنمو الاقتصادى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر عنها اليوم، ومن أهمها :

● أن التطور تم من قبل بطريقة تدريجية مستمرة . اما البلاد المتخلفة اليوم فتتميز بأن تطورها لم يكن مستمرا بل شهد فترات من الانقطاع والتوقف . ولذا فهى لا يمكن ان تعتمد فى نموها على أشكال التنمية التقليدية ، ولابد لها من تخطى مراحل كاملة ، وتحقيق معدلات اعلية للنمو ، وتحويل أساليب الانتاج ، وتوفير كادر مؤهل ، وكل ذلك لا يمكن تحقيقه بتطور بطىء تدريجى .

● كذلك فان تعدد القطاعات الاقتصادية واختلاف معدل نموها ، كان فى القرن الماضى من عوامل التنمية الراسمالية ، ولكن وجود قطاع رأسمالى حديث فى البلدان المتخلفة اليوم ، لايؤدى الى تنمية القطاعات الاخرى ، بل يسبب عدم تكامل السوق ويعوق التراكم .

● ومن جانب آخر ، فان التراكم لم يعد — اليوم — ممكنا عن طريق مصادرة الملكيات الصغيرة فى الداخل ، او نهب المستعمرات فى الخارج .

● كما ان استخدام التكنيك الحديث يستدعى وجود اطار اجتماعى وثقافى واقتصادى ومالى معين ، الامر الذى يستلزم احداث تغييرات جذرية سريعة فى المجتمع .

● ان الانفجار السكانى اصبح من عوائق النمو ، بدلا من أن يكون من عوامل زيادتها كما كان الحال من قبل . والواقع أن الكاتب هنا يختلف مع بعض الاقتصاديين الاشتراكيين ، فبعضهم مثلا لا يعتبر ذلك من عوائق التنمية .

● يؤدى ما يسمى « بأثر المحاكاة » وتقليد البلاد المتخلفة للانماط الاستهلاكية فى البلاد المتقدمة ، الى زيادة الاستهلاك وتقليل القدرة على الادخار .

وحول تكنيك الانتاج الذى يستخدم ، يقول الكاتب أن المهم فى الانتاج هو كمية العمل المبذولة لتحقيق نتائج معينة ونوع الادوات والفن الانتاجى المستخدم . وهناك فكرة شائعة مؤداها أنه على البلاد المتخلفة أن تستخدم الاساليب الانتاجية التى تعتمد على استخدام أكبر للعمل وأقل لرأس المال . ولكن امكانية احلال العمل محل رأس المال أمكانية محدودة لاسباب تكنيكية . وفى البلاد التى تعانى نقصا فى رأس المال ، يجب تنمية قطاعات الاقتصاد التى يقل نصيب الوحدة المنتجة فيها من رأس المال .

ولكن كثيرا من الاقتصاديين الاشتراكيين ، قد فندوا هذه المقولة ، وتساءلوا عما اذا كان التكنيك الاقل كثافة فى استخدام رأس المال هو الاكثر رشادة من الزاوية الاقتصادية . وقالوا ان اختيار مستوى عال من التكنيك يساهم فى المدى الطويل فى تزايد معدل النمو للدخل القومى والنمو الاقتصادى العام الذى يحدد بدوره معدل النمو والتراكم والاستهلاك . وفى حين أن التكنيك الاقل قد يكفل تعظيم الانتاج ، فان التكنيك الاعلى يضمن معدلا مرتفعا للنمو الاقتصادى على المدى الاطول .

وفى فصل عن الزراعة يورد المؤلف عدة معايير لقياس فاعلية الاصلاح الزراعى ، منها درجة تحقيق الاهداف المرجوة منه وهى أهداف مباشرة تتحقق بسن وتنفيذ التشريع ، وتتعلق بالجانب الاجتماعى والسياسى ، وتمهد للاهداف غير المباشرة وتتعلق بالجانب الاقتصادى وزيادة الانتاج والانتاجية . وهناك معيار آخر هو درجة القضاء على علاقات الايجار ، وعلاقات الانتاج الاقطاعية . ومعيار ثالث هو : لمصلحة من يتم وبأى وسيلة يتحقق ؟ . ومعيار آخر هو دور الجماهير فى تطبيق القانون .

وفى فصل آخر بعنوان « **تصنيع أم لا ؟** » يتساءل المؤلف عن الطريق الذى تتطور به البلاد المتخلفة . والتصنيع بالمعنى الضيق ، هو عملية منظمة لتحويل البلاد الزراعية الى بلاد صناعية . لان دور الصناعة أساسى فى الانطلاق وتوفير الظروف الموضوعية للنمو ، والتصنيع فى معناه الواسع هو استراتيجية اقتصادية يعطى فيها للصناعة الدور الاساسى فى تحقيق النمو .

ويعتبر موريس دوب الاقتصادى الانجليزى أن التصنيع مرادف للتراكم ، وان المسألة الاساسية فى التصنيع هى اختيار هيكل الانتاج الذى يتفق مع الظروف الذاتية والموضوعية ، وأن يتسم هـذا الهيكل بالواقعية ، ويقوم على دراسة مفصلة ومستمرة لمهامه والوسائل المتاحة أمامه . فمعدل التصنيع لا يتحدد وفق امزجة القائمين عليه ، بل يتأثر بالفائض الغذائى ، وتوافر العملات الصعبة والخبرات ودرجة المعارف الفنية وامكانيات تحقيق التوازن بين الاستهلاك والانتاج .. ويواجـه التصنيع عدة مشاكل منها : مشكلة حساب فعالية الاستثمارات المختلفة ، مشكلة زيادة نفقات التنفيذ عـن النفقـات المخططـة ، مشـكلة تأخير التنفيذ .. الخ .

ويطرح المؤلف معايير لتقييم فاعلية المساعدة الخارجية منها : مدى دورها فى تحسين الوضع الاقتصادى ، وميزان المدفوعات ، وماهية الاغراض التى تستخدم فيها : زيادة الاستهلاك والخدمات والاستثمار ودورها فى تنفيذ خطط التنمية .

والواقع ان الكتاب يحوى عديدا من النقاط الاخرى الهامة مثل ، دور الدولة الديمقراطية الوطنية ، ودور رأسـمالية الدولة ، واهميـة وامكانيات التخطيط ، وحركة راس المال الاجنبى ، وهو يعتبر بحق عرضا شاملا ومتكاملا لوجهة نظر اقتصادى اشتراكى فى المشاكل المعاصرة لبلدان العـالم الثالث ، يراعى أن يجىء تحليله للسمات الخاصة لهذه المشاكل مساعدا للتعرف على طريقة الحل ، ومن ثم فهو لا يكتفى بوصف ما هو قائم ، بل يبين العوامل الاساسية المؤثرة والتى يكمن فـى مواجهتها الحل الامثل للمشاكل ، وذلك دون اغراق فى التفاصيل والمسميات الفنية المعقدة ، والتى تصرف الكثيرين عن تتبع الدراسات الجادة فى مجال الاقتصاد ، ولذلك فان الكتاب عمل جدى يستحق النقل الى اللغة العربية .

■■■

عـالم الفـن الاسـلامى

(عمارة . خزف . تصوير . سجاد . اشغال معدنية . حفر)

■ **تاليف :**

د . أرنست ج جروب

أمين الجنـاح الاسـلامى بمتحف متروبوليتان للفن ـ نيويورك

■ **عرض وتقديم :**

مختـار العطـار

■ **الناشر :**

بول هاملين ـ لندن

يستكشف هذا الكتاب جـذور الفن الاسلامى من عمارة وخزف وتصوير وسجاد وأشغال معدنية وحفر، خلال تكوين الامبراطورية الاسـلامية التى امتدت من أسبانيا غربا الى حدود الصين شرقا خلال قرن واحد من الزمان . يتناول هذا الفن على أنه ظاهرة حضارية تكونت خلال الظـروف التاريخية المتمثلة فى هزيمة العالم القديم وانتصار العرب ، وتوحيدهم لشعوب تلك الامبـراطورية الهائلة تحت لواء العقيدة الاسلامية .

هضمت الحضارة الاسلامية التقاليد الفنية فى مختلف تلك الشعوب ، حتى تكاملت وتحولت الى ما يعرف الان بالفن الاسلامى . ومن الممكن اقتفاء أثر اسهام هذه التقاليد ـ خاصة التركية والفارسية الا أن العامل العربى كان غالبا منذ البداية ، وشاملا لجميع التشكيلات الزخرفية التجـريدية المستمدة من شغف العرب بعلوم الكيمياء والهندسة والرياضيات .. واحساسهم الفطرى بـالايقاع

المتميز في اشعارهم وموسيقاهم .. أما العامل الفارسي فيتبدى في جوانب معينة مثل مدارس التصوير العظمى التي بلغت درجات رفيعة من الروعة والخيال ، أثرت على التصميمات المعماريه فغيرت من طبيعتها الجامدة وزودتها بزخارف الجص والقاشاني والحفر على الحجر ٠

الا أن الفن الاسلامي في نهاية الامر ، ارتفع على كل الاعتبارات الجغرافية والتاريخية للشعوب اذ أن الدين نفسه كان العامل الاساسي الذي منحه الطابع الروحي ٠ فشعوب الامبراطورية مهما اختلفت كانت تشعر دائما بأنها مسلمة ٠٠ تتكلم العربية لغة القرآن وتكتبها ٠٠ وتتجه في المساجد الى قبلة واحدة هي الكعبة ٠وتشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ٠ وتؤمن بأن الدنيا فانية والاخرة باقية ٠ هذا الايمان المشترك ، هو الذي شكل جوهر الفن الاسلامي مهما اختلفت أساليب التعبير وخاماته ٠ وخير تعبير عن هذا الجوهر ، يتضح في الوحدة الزخرفية اللانهائية التي ظهرت متكاملة منذ البداية ٠٠ واستمرت عبر العصور مميزة للفن الاسلامي ٠ ومن أروع نماذج هذه الوحدة ما يعرف بتصميمات « الأرابيسك » التي تعتمد على شكل وحدة نباتية تنقسم الى مكوناتها وتتشابك الى ما لا نهاية في تصميمات متنوعة ، نشاهدها على غطاء علبة معدنية ٠ أو آنية زخرفية أو قبة كروية مهيبة ٠ ان الفنان الاسلامي استطاع بهذا الاسلوب ان يحقق فكرة المساواة بين جميع الاشياء الداخلة في نطاق الفن البصري ٠

قد تختلف الوحدات بين تجريدية أو شبه تجريدية او شبه تشخيصية ، **لكنها في تكرارها اللانهائي تعبير عميق عن دوام الحق وزوال المادة** ٠ هكذا نجحت هذه الزخارف في تذويب الوجود المادي للاشياء ورفعه الى الاجواء الفسيحة اللانهائية ، والخلود ٠ وفي العمارة بنوع خاص تختفي العقود والاسقف الجامدة في سماء من الزخارف النباتية والخطية وأشكال المقرنصات ٠ ويؤكد المؤلف أن فن العمارة الاسلامي في هذه الاشكال ، يعتبر فنا دينيا من الطراز الاول ٠

يستعرض الكتاب عددا من انماط الفن الاسلامي تربط كلا منها وشائج تقليدية بالظروف التي نشأ فيها ٠ فالامويون حين نقلوا عاصمة الامبراطورية من « المدينة » الى « دمشق » ، كانت الثقافة الاسلامية قد أثبتت قدرتها على هضم الثقافة الرومانية والهيلينستية والاسيوية٠وفي عالم كان يسير — ما زال — في ركب الافكار الكلاسيكية ، قدم الامويون زخارف الجص والتصميم المعماري للمسجد ، محددين بذلك زاوية انطلاق للعصور القادمة ٠ كما وجدت بين آثارهم لوحات تصويرية كبيرة وصغيرة تتسم بالتشخيصية ، مما ينفي فكرة معارضة الاسلام لفن التصوير ٠

أما العصر العباسي الذي استمر — نظريا — من سنة ٧٥٠ حتى سنة ١٢٥٨ ، فقد جاء بعاصمة جديدة في الشرق ٠٠ هي بغداد ٠ لكن العناصر التركية توافدت عليه من وسط آسيا واستفل بعض الولاة المحليين في الشرق والغرب ، كالامويين في اسبانيا والطولونيين في مصر ٠ وانعكست الحاله السياسية على فنون العصر كله ٠ لكن هذه الفنون بانتقالها من الوسط الكلاسيكي الى وسط التقاليد الشرقية ، استقبلت العناصر التركيه التي برزت في المنتجات الحرفية شكلا ومضمونا ، سواء كان صانعوها من العرب أو الفرس أو الارمن أو السوريين أو المصريين ٠ فالنمط العباسي في هذا الضوء هو اندماج التقاليد الفنية الاسيويه التي جلبها الاتراك مع التقاليد الهيلينستية الشرقية في العراق وايران ، مما أسفر عن أسلوب معماري وتصويري أصيل حدد اتجاها جديدا نحو الاستخدام التجريدي للزخارف الطبيعية الكلاسيكية ٠ ذلك الاتجاه الذي تبلور في مدرسة سامرا التصويرية وانتشر في ايران وخراسان ووسط اسيا ، وامتد الى غرب العالم الاسلامي ٠ اما الاضافة الكبرى لهذا العصر فتمثلت في الخزف ذي البريق المعدني وفي تعميق الاتجاه الفني العام نحو تذويب المادة والسمو بطبيعتها الجامدة ٠

وفي أسبانيا في أقصى الغرب ٠٠ كان الامويون يقدمون اضافات جديدة غير متأثرة بتداخلات التقاليد الوافدة من وسط آسيا ٠ ففي قرطبة أبدعوا أسلوبا بالغ الاصالة ، هاضما الزخارف والتصميمات المعمارية الكلاسيكية ، وكاشفا عن طابع فريد من التجريد المتصل بالطبيعة ٠٠ مع نقاء رفيع في التصميم وفي الاسلوب الموحد للزخارف المعمارية على الاحجار والرخام والجص والعلب العاجية والمنمنمات ٠

وبين الغرب والشرق ، كان الفاطميون يخلفون الدولة الطولونية في مصر وينقلون عاصمتهم من « المهدية » قرب تونس الى القاهرة ٠ ازدهر في دولتهم الطابع التشخيصي الذي ورثوه عن العراق ، وانتشر في التصوير والنسيج والحفر على الخشب والعاج والزجاج والبللور ٠ ووصلوا بالفن الاسلامي الغربي الى ذروته ، متألقا في الاشكال المعمارية المستلهمة من التقاليد الشرقية العراقية ٠٠ والكلاسيكية ، بالاضافة الى الزخارف التي انتشرت على جميع الاسطح المتاحة ٠٠

واستعرض الكتاب كيف وفد الاتراك السلاجقة من وسط آسيا وتمكنوا من السلطة في ايران في منتصف القرن الحادي عشر ووصلوا بها الى قمة

ازدهارها الثقافى خلال التاريخ الاسلامى ، فامتدت فنونهم لتشمل معظم البقاع الاسلامية خلال القرنين الثانى والثالث عشر . وتميزت فنونهم بابتكار أشكال جديدة وتصميمات معمارية أثرت على العصور التالية . أما فى التصوير التشخيصى والرسوم الايضاحية ، فصوروا الطبقة الحاكمة بأسلوب وسط آسيا .

كان للاتراك السلاجقة أثر عظيم فى الاناضول أيضا حيث هضموا الثقافة البيزنطية التى انتصروا عليها هناك . فتميزت منشآتهم المعمارية بالفخامة والفخفخة . واعتمدوا فى تشييد المساجد والاضرحة واستراحات القوافل ، على مواد البناء الجديدة وفى طليعتها الاحجار التى أبقت اثارهم حتى الان . تميزت هذه المنشآت بامكان رؤيتها من جميع الزوايا ، فضلا عن الاهتمام البالغ بالواجهات وزخرفة المساحات الكبيرة بالحفر على الحجر . واذا كان العباسيون اضافوا البريق المعدنى الى الخزف فى سامرا فقد أضاف سلاجقة الاناضول استخدام الفسيفساء . لكنهم استلهموا الافكار والمبادىء الفنية الايرانية فى التصوير الخزفى وتصميمات القاشانى .

انتقلت التقاليد السلجوقية كما هى الى سوريا والعراق فى عصر الاتابكة والايوبيين . وظهرت بجلاء فى مدرسة الموصل التصويرية . أما العمارة فاتضحت فى سوريا باستخدام الاحجار فى جمال وبساطة وتصميمات تكعيبية وزخارف تجريدية محفورة على مساحات تتباين مع المساحات الفارغة . واستمر أسلوب « التباين » هذا قرونا فى مصر وسوريا مع استخدام التطعيم بالاحجار الملونة .

ويشير المؤلف الى أنه بينما اتصلت التقاليد الشرقية والغربية فى الفن الاسلامى خلال القرنين الثانى والثالث عشر ، أقبل المنغوليون بتقاليد الشرق الاقصى الفنية فظهرت فى ايران الى جانب التقاليد السلجوقية . واتضحت شخصية هذا العصر فى روائع التصوير والفنون الصغيرة التى سادتها العناصر الصينية والابتكارات التى تربط بين الواقعية والتفاصيل الدقيقة فى أشكال ابداعية أصيلة زودت الفن الاسلامى بحصيلة هائلة من الاشكال الزخرفية استخدمها الفنانون فى العصور التالية .

المماليك هم الذين ورثوا التراث الفنى بعد سقوط الايوبيين،وبعد هزيمة المنغوليين فى عين جالوت . اقاموا طابعهم الفنى على التقاليد العراقية والسورية من ناحية ، وتقاليد شمال افريقيا من ناحية أخرى ، فادمجوا التقاليد الفاطمية والسلجوقية والايوبية واستخدموا الاحجار فى منشآتهم المعمارية ذات التصميمات التكعيبية التجريدية الجليلة . كما اتبعوا أسلوب التباين بين البساطة الخارجية وفخفخة الزخارف الداخلية .. ثم امتدت هذه الفخفخة الى الخارج أيضا على مر السنين بمختلف الخامات من التصوير الحائطى الى الحفر على الرخام والاحجار الملونة . واستطاعوا أن يجمعوا بين بساطة الزخرفة وفخامة التأثير فى المشغولات النحاسية المطعمة بالفضة . ووصلوا بالطبيعة التشخيصية فى فن التصوير الى ذروة الشكل التجريدى .

فى أقصى الغرب .. فى أسبانيا ، كان العصر الناصرى (عصر عبد الرحمن الناصر) يؤسس انطلاقة ثقافية جديدة فى غرناطة تضاهى تلك التى أرساها العصر الاموى الاول ، فيما اتسمت به من فخامة وعظمة ؛ قدم هذا العصر للفن الإسلامى نموذجا فريدا من الزخارف المعمارية التى حققت بالفعل هدف تذويب المادة تذويبا كاملا ، والسمو بها الى عالم روحانى لا يفنى . كما كان نفس الهدف يتحقق فى ايران والعراق فى الشرق على يد الدولة التيمورية حيث أضاف الفنانون مزيدا من الخيال الخصب فى التصميمات المعمارية ، ومزيدا من الفخامة الزخرفية فى الخزف متعدد الالوان ، حتى اختفت طبيعة مواد البناء فى أجواء من المظاهر الروحية الباهرة ..

أما فى الشمال .. فكان الاتراك العثمانيون يمهدون لاتجاهات ثقافية شملت معظم بقاع العالم الاسلامى بتأثيرها . اذ تميز الفن العثمانى بأصالة الاسلوب فى كل المجالات : القاشانى والخزف وزخارفه النباتية متعددة الالوان ، والتكوين والرسوم الايضاحية والنظم اللونية الجديدة . وفى مقدمة كل ذلك ، التصميم المعمارى للمسجد وزخرفة المنشآت من خلال الهدف التقليدى لاذابة جمود مواد البناء واخفائها فى جو من الفخامة النقية . وزادوا على ذلك أن اتسمت مبانيهم بالقوة الغامرة والطابع الرزين المختلف عن الحلاوة الرشيقة والزخارف النباتية الانيقة والارابسك والالوان التى سادت العمارة « الصفوية » المعاصرة لهم .

ان الكسب الذى قدمته العمارة العثمانية للفن الاسلامى يكمن فى مواجهتهم الناجحة للمشكلات الانشائية ، واستخدام وسائل معمارية حقيقية لابداع تصميمات داخلية روحانية ، محققين « التباين » بين الموضوعية المعمارية والذاتية التعبيرية ، وواقعية الاشكال ، مع التفاصيل الدقيقة والتجريد والتأثيرات اللونية . فالفن العثمانى علامة مميزة فى مسيرة الفن الاسلامى بما يتضمنه من ثراء الابتكار وامتياز التكنيك .

وفى قلب فارس القديمة وعاصمتها « اصفهان » ، ازدهر نمط آخر من الفن الاسلامى فى عصر « الصفويين » غمر الفن الاسلامى عامة بتاثيره طوال قرنين من الزمان . أبدع الصفويون فى اصفهان مساجد عظيمة اعتمدت على التصميمات التقليدية ، لكنها وصلت بالزخارف الفارسية الى أرفع مستوياتها فى سبيل تحقيق فكرة اخفاء المادة • وانعكست هذه الفخامة على تصوير المنسوجات الحريرية والسجاد ، ونما العنصر التشخيصى الى أقصى درجاته •• واتسم التصوير عامة بالغنى والتنوع والتفرد •• بل اكتمل الى حد بروز شخصية الفنان وذاتية أسلوبه •

أما الفن الاسلامى فى الهند ، فبدأ تياره منذ القرن الثامن وظل ينمو وينضج حتى بلغ ذروته فى العصر المغولى فى القرنين السادس والسابع عشر • ويبين المؤلف كيف تميز هذا النمط باختلاطه بالتقاليد الهندية السابقة دون أن يمتصها امتصاصا كاملا • فبينما اتجه الى استخدام الزخارف الفنية فى العمارة وسائر الفنون الزخرفية ، نجده من ناحية أخرى اتجه الى الالوان القوية واستخدام الذهب فى التصوير ، جاريا بذلك على منوال التقاليد القديمة • فهو تطبيق ناجح للمبادىء الفنية الاسلامية بتقاليد غير اسلامية • وتطورت الواقعية هناك الى حد تسجيل ملامح الاشخاص ، وهو طابع لم يسبق أن ظهر فى التصوير الاسلامى رغم الاشكال العديدة المتنوعة التى قدمها عبر العصور •

• • •

هكذا قدم د • جروب فى كتابه عرضا للفن الاسلامى وكيف تخوض عبر العصور ومن خلال التقاليد الثقافية لمختلف الشعوب التى تألفت منها الامبراطورية الاسلامية • أوضح كيف ظهر الامويون بقوة ثقافية جديدة فى العالم الذى كان يخضع للافكار الكلاسيكية الرومانية والهيلينستية • ثم بقيام الدولة العباسية التقت تقاليد غرب ووسط آسيا واندمجت ، واختلطت العناصر التركية والفارسية والعربية وتفاعلت فى اطار العقيدة الاسلامية • وبين كيف كان الاتراك معماريين مجددين اكتست منشآتهم بالزخارف الخزفية الرائعة وتركوا بصماتهم فى كل مكان بما أبدعوه من روائع السجاد • أما العناصر الفارسية فأسهمت بالمنمنمات التصويرية الفاتنة • بعضها رقيق للغاية والبعض الاخر مفعم بالالوان الغنية البراقة • وأوضح فى كل مناسبة أن العرب لم يتركوا شيئا لا يحمل متنوعات خطية تذكر دائما بأن الاسلام هو القوة المحركة خلف كل هذه الحضارة • فالمخطوطات العربية ظهرت فى كل مكان : على المنشآت والمنسوجات والخزفيات والفنون الصغيرة بوجه عام • واستعرض المؤلف مجموعة التأثيرات الاخرى التى تركتها بعض الشعوب فى بعض المجالات ، كالفاطميين فى مصر والمماليك فى سوريا •• والايوبيين والمنغوليين وأباطرة المغول •

■■■

دعـــوة الى الســـينما

■ تاليف :

صلاح ذهنى

■ عرض وتقديم :

رءوف مسعد

■ الناشر :

مكتبة حسين النورى ـ دمشق

هل **السينما فن أم تسلية ؟** : سؤال ظل يتردد خلال صفحات كتاب دعوة الى السينما ، وفوق صفحاته المائة والتسعين . هل هى فن خالص ام تجارة خالصة ؟ ومن خلال عرضه لتاريخ السينما منذ اختراع الاخوين لويس **واجست لومير** للصورة المتحركة فى باريس عام ١٨٩٥ حتى افلام مابعد الواقعية الجديدة [كما يسميها المؤلف] نجد انه يصل الى نتيجة حاسمة فى رأيه هى أن « السينما فن خالص يعبر عن واقع الحياة ، .. وهى جماع ميراث الماضى الثقافى وأداته الفريدة فى التعبير .. وهى فن شعبى بالدرجة الاولى » .

والحقيقة لا نعلم ماذا يقصد الكاتب باصطلاح فن شعبى هنا . وهو بالتأكيد لايقصد بها المعنى المتعارف عليه فى تحديد ماهية الفن الشعبى ، ولا أظن أنه يقصد أن السينما « فولكلورية » ، اغلب الظن انه يقصد انها فن جماهيرى كما اورد بعد ذلك فى ص ١٢٣ حيث يستشهد بما كتبه **جوستاف لوبون** عام ١٨٩٥ [أى نفس العام الذى ظهرت فيه السينما] قائلا « فبينما تتأرجح معتقداتنا القديمة وتتلاشى ، وبينما ينهار صرح الطبقات العتيقة للمجتمعات بدورها ، فان فعل الجماهير هو القوة الوحيدة التى لايهددها جمود، هل تكبر كل يوم ، ان العصر الذى ستدخله سيكون بحق « عصر الجماهير » واذا كان المؤلف يقصد اذن أن السينما فن جماهيرى ، فأغلب الظن انه يؤكد المعنى الاجتماعى — وليس السياسى — لعلاقة الجماهير بالسينما ، من حيث انها مصدر تسلية، وتجمع ، وتوجيه ، ونموذج ، لشرائح عريضة من المجتمع . لان السينما ، بعد ان أصبحت صناعة مرتبطة كبقية الصناعات الضخمة بالسياسة ، [وهذا باعتراف المؤلف نفسه] لايمكن ان تكون فنا جماهيريا ، بالمفهوم السياسى الحديث لكلمة الجماهير ، الا فى اضيق الحدود ، وفى البلاد التى تلتزم فيها السينما بمناقشة مشاكل الجماهير اليومية وتطلعاتها ، لا أن تزيف احلامها ومشاعرها كما يحدث الان بمعظم الانتاج الرأسمالى العالمى للسينما .. وهى بالتالى ، لن تكون فنا خالصا ، لان الفن ، حتى فى المفهوم الرأسمالى لابد أن يخدم قضية ، او حلما ، او وهما ، او يساعد فى خلق وتزييف واقع غير حقيقى ، وبالنسبة للسينما الاشتراكية ، فدور السينما هناك دور الموجه الحزبى والقوميسيار السياسى ، وحتى فى أفلام الوجوه الجديدة (فى الاتحاد السوفيتى وبولندا ، ويوغسلافيا] تلعب هذه الافلام دور الناقد ، لمساوىء ، تطبيق النظام الاشتراكى .

ويثير الكاتب السؤال التقليدى:كيف استطاعت السينما ، أن تنجح فى تسويق افلام لاتمت الى الرغبات الحقيقية للجماهير ؟ ويجيب على السؤال بقوله : « ان معظم افلام هوليوود تضلل الجمهور المتهيىء لتقبلها ، لان الجمهور منفعل بطبيعته (أ) وبسبب الدعاية القوية التى تصاحب افلامها» ثم يستدرك قائلا « وهى مضطرة اضطرارا للتكيف مع تبدلات الجو السيكولوجى للجمهور ، غير ان رغبات الجمهور على المدى الطويل ، تكيف طبيعة افلام هوليوود »

لم يقل لنا المؤلف من الذى هيأ الجمهور لتقبل افلام هوليوود ؟ هل حقيقة لان الجمهور منفعل بطبيعته ؟ ثم كيف يستطيع هذا الجمهور المنفعل بطبيعته ، والمقوم بالدعاية الجارفة التى تصدر من هوليوود أن يكيف طبيعة أفلام هوليوود ، على المدى الطويل ؟ لقد استطاعت السينما ان تسوق افلاما لاتمت الى الرغبات الحقيقية للجماهير ، لان السينما اولا ليست فنا خالصا ، ثانيا لان السينما ليست صناعة معزولة عن التيارات السياسية العامة ، وعن وسائل الاعلام ، وعن أجهزة المخابرات المركزية ، وعن مراكز الابحاث العسكرية ، وعن الحكومات الخفية فى البنتاجون وغيره . وعن الحلم الامريكى ، وعن شركات الاعلان الضخمة . واذا كان ثمة نجاح باهت فى ان يفرض الجمهور بعض رغباته على هوليوود فليس هذا براجع الى تزايد الضغط « الشعبى » على هوليوود بل الى ذكاء ملوك السينما الذين يسمحون فى بعض الاحيان بانتاج أفلام ضد التفرقة العنصرية ، او ضد الحروب ، انها ليست سوى مناورة ذكية لتاجر بارع ، لايريد ان يذهب زبونه الى المحل المجاور الذى يبيع نفس البضاعة وبنفس السعر !

وفى الفصل الخاص ، بمسئولية السينما الاجتماعية يقول الكاتب « **ان الفيلم فى حد ذاته لا يستطيع أن يكذب ، ولا أن يقول الصدق ، فالكاميرا عبارة عن آلة يحركها الناس ، وخلف الكاميرا يقف الانسان يوجهها وجهة الخير والشر ، ولايمكننا ان نعتبر السينمائى هو المسئول الوحيد عما يعرضه الفيلم الذى يخرجه ،فخلف السينمائى يوجد عديد من البشر ، وخلفهم جميعا المجتمع نفسه والنظام الذى يعيش فيه** »

بالطبع ! فنحن لانستطيع ان نحاكم فيلما ، كما لانستطيع ان نحاكم بندقية استخدمها قاتل . وان « المجتمع نفسه والنظام الذى يعيش فيه » **كل من** السينمائى وصاحب البندقية ، هو نفس المجتمع الذى ينتج نقادا يحاكمون السينمائى وقضاة يحاكمون القاتل ، ان المؤلف هنا يحاول ان ينفى كلية مسئولية الفنان أمام الكاميرا وخلفها، ويلقيها بأكملها على المجتمع وليس هذا من العدل فى

شيء ؟ ولولا رفض عديد من السينمائيين لما يطلبه منهم المجتمع ، لما ظهرت في السينما هذه الاعمال العملاقة .

لكن الكتاب ، بالرغم من كل هذا ، كتاب ممتع ، ومحاولة مخلصة لتفهم السينما ، بذل الكاتب فيه مجهودا ضخما ، واستفاد بعديد من المراجع ، وآراء الكثيرين من نقاد السينما ومؤرخيها ، وهو بالفعل دعوة الى مؤازرة السينما وتطويرها ، وتفهمها .

■ ■ ■



« المراجعة » الفلسفية اليوم طبيعتها - وظيفتها

Phylosophical Revesionism.

ملخصة عن مجلة « الوحدة الالمانية الشرقية نشرت بالنشرة الاخبارية رقم ٧ المجلد الثامن [مايو ١٩٧٠] الصادرة عن ناشرى مجلة السلم والاشتراكية ببراغ — ص ٣٧ — ٤٨ .

فى بداية القرن الحالى انتشر تعريف محدد للمراجعة ، وهو القائل بأنها تجسد النفوذ البورجوازي على حركة الطبقة العاملة ، غير أن هذا التعريف لم يعد مناسبا منذ وقت طويل ، اذ أصبح قاصرا على توضيح الدور الذى تلعبه المراجعة المعاصرة . فالصراع الطبقى الحاد بين الاشتراكية والامبريالية — الذى يعتبر السمة الرئيسية لعصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية — أعطى للمراجعة مضمونا جديدا وجعلها موجهة أساسا ضد النظام الاشتراكى كحقيقة واقعة ، وأصبح دورها الاول أن تنسف القوة القائدة للمجتمع الاشتراكى — الحزب الثورى للطبقة العاملة المنتصرة — وأن تهدم وعيها الاشتراكى ، فتمهد بهذا الطريق للثورة المضادة .

وقد كشفت الاحداث العديدة عن وجود هيئات امبريالية متكاملة أقيمت في بلدان مختلفة ، ومهمتها التخطيط الطويل المدى لعمليات تهدف الى تفتيت البلدان الاشتراكية من الداخل ، وذلك بالاعتماد على الاتجاهات المراجعة فيها وتوجيه عناصرها طبقا لخطة موضوعة ، ويظهر هذا أهمية النضال الفكرى والنظرى لتفنيد المراجعة المعاصرة ، فهذا النضال عنصر لابد منه لانطلاق الكفاح ضد الامبريالية ، واساس ضرورى للتطبيق الخلاق للماركسية اللينينية في الظروف الحاضرة .

ويمكن تلخيص الفكرة الرئيسية التى تدور حولها المراجعة المعاصرة فى أن اللينينية ليست استمرارا سليما للماركسية ، بل تطبيقا محرفا ضيقا لها ، مما يستلزم العودة الى « أصول » ماركس . وأن الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ليست تطبيقا وفيا للنظرية الماركسية ، بل « تحويرا بيروقراطيا » لها ، يعتمد على السيطرة المطلقة لاجهزة الدولة . والنتيجة التى ينتهون اليها هى أن هناك ضرورة لايجاد « نموذج جديد » للاشتراكية ، تمتزج فيه « بالديمقراطية والحرية » .

ان القادة المبرزين للمراجعة ـ من أمثال **لوفيفر وجارودى ، وكولانوفسكى ، وفيشر ، ولارش ، وبيتروفيش** ـ لا يستطيعون اليوم رفع الشعار المراجع القديم « لنبتعد عن ماركس ! » لان هذا الشعار لا يمكن أن يحرز أى نجاح بسبب شدة التفاف الشعوب حول الاشتراكية وتمسكها بها تمسكا عميقا ، فلقد حققت الماركسية انتصارات تاريخية هائلة مماغير الاطار الفكرى الذى يستطيع المراجعون المحدثون التحرك فيه ، ولذلك لم يعد لهم ممكنا أن ينكروا تماما دور النظرية فى تحقيق التحولات الاشتراكية الضرورية ، كما كان يفعل سابقوهم من أنصار الفلسفات الايجابية Positivism فهم أخذوا يلجأون الى اصطناع التعارض بين التطويرات النظرية التى أضافها لينين للماركسية وبين ما يسمونها بالماركسية « الاصلية » ، مقدمين لاراء ماركس تفسيرات « انسانية » عامة أحادية الجانب عن المجتمع الرأسمالى ، ومنكرين فى الوقت نفسه وجود القوانين العامة للطبيعة والمجتمع .

ان المراجعين المحدثين يحولون الماركسية الى احدى النظريات الطوبوية تدور حول « الانسان المتكامل » (فيشر) أو « ما يمكن أن يكون عليه الانسان » (كانجرجا) أو الانسان باعتباره « كائنا عمليا حرا » (بتروفيش) ، مما يحرف النظرية الثورية لكفاح الطبقة العاملة التحررى الى مفهوم انسانى غامض يضع مقاييس الواقع الاجتماعى على أساس المثل الذاتية البحتة .

وتحتل فكرة الاغتراب مكانة هامة فى الافكار المراجعة الحالية ، ففى حين أن الماركسية ترى فى جوهر الانسان « **المجموع الكلى للعلاقات الاجتماعية جميعا** » ، يدخل المراجعون حاليا فى سلسلة من الاستنتاجات الذهنية لاثبات أن بين الانسان « **المطلق** » والمجتمع تناقضا أساسيا بصرف النظر عن الظروف التاريخية والواقعية لهذا المجتمع ، وبهذا فهم لا يرجعون الاغتراب الى النظام الرأسمالى الاستغلالى ، بل يؤكدون قيام الاغتراب وان كان المجتمع محررا من النظام الطبقى ، ملحين على أن هذه هى « الفكرة المحورية لا لكتابات ماركس الاولى فقط ، بل تعتبر عنصرا رئيسيا فى أعماله الاخيرة أيضا » .

ومن هذه المقدمات النظرية يصل المراجعون المعاصرون جميعا الى النتيجة القائلة بأن « نموذجا جديدا للاشتراكية » يجب أن يرسم ، وهو بالتحديد نموذج « ديمقراطى وانسانى ومتكامل » يختلف فى تقديرهم عن النظم الاشتراكية القائمة كل الاختلاف اذ يحتوى على تلك الانواع من الحريات والديموقراطية الموجودة فى النظم الرأسمالية والتى يرونها قيما عليا يجب التمسك بها .

ان انكار المراجعين دور العوامل الموضوعية التى تحدد الاطار الواقعى لنشاط الطبقة العاملة ، ينتزع من الفلسفة الماركسية اللينينية جانبها الهادف الى تغيير العالم المادى القائم فى الظروف التاريخية الموجودة ، ويترتب على هذا الخطأ النظرى الاصيل أن يقف المراجعون من أجل **فصم العلاقة** بين الفلسفة الماركسية وبين حزب الطبقة العاملة من جهة ، وبينها وبين الدولة الاشتراكية من جهة أخرى ، ومن هنا جاء **هجومهم** على سياسة الحزب الثورية بزعمهم **أنها** « مذهب رسمى » و « فكرة حزبية » بحتة ضيقة ، وأن الحزب تحول الى « هيئة رسمية » من هيئات الدولة يجب التحرر منها ، وهم يفسرون هذا الموقف بأن التنظيم الحزبى ونشاطه ومبادئه الكفاحية مستمدة من الاضافات والتطويرات التى جلبتها اللينينية الى الماركسية ، والتى يرونها تحريفا يتناقض معها .

وتشكل هذه الارضية النظرية كذلك القاعدة التى ينطلقون منها لمحاربتهم المجتمع الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى والمانيا الشرقية وبولندا الخ من الدول الاشتراكية . فهم يعملون على الايهام بأن هذه الدول لا تطبق الاشتراكية « الحقة » التى رسم مثلها ماركس ، بل تأخذ بالمبادىء البيروقراطية المنافية للديموقراطية والانسانية ، مما يبرر التهجم على الكتلة الاشتراكية بجميع الصور ويمهد الطريق للقوى المعادية للاشتراكية فى سبيل الثورة المضادة .

وتعود هذه الاشكال المعاصرة للمراجعة الى ظهور فئات من المثقفين فى الدول الرأسمالية يشعرون بالطبيعة المرحلية المؤقتة للنظم البورجوازية ، غير أنهم يعجزون عن التضامن مع الطبقة العاملة والنظام الاشتراكى العالمى ، لا بسبب معاداتهم الدفينة للشيوعية فحسب ، **بل لعدم كفاية استيعابهم للماركسية بشمولها ، وخاصة تطويرها اللينينى** ، وقد وجدوا فى الكتلة الرأسمالية مناصرين لهم فى تلك الاقسام العليا من الطبقة العاملة التى استفادت من بعض المزايا المادية والمعنوية ، وكذلك فى **بعض** عناصر البورجوازية الصغيرة **المكونة** للكوادر العلمية

والفنية التى تحتاج اليها التكنولوجيا الحديثة ، أما فى البلدان الاشتراكية ، فان المشاكل المترتبة على نموها وانتقالها الى مراحل كيفية جديدة للتطور تثير العديد من المسائل النظرية والعملية المعقدة ، واذا وجدت بعض الاحزاب الشيوعية صعوبات خاصة فى حل تلك المسائل ، فقد تظهر فى تلك البلاد قوى لاترى أمامها من طريق الا فى مراجعة الماركسية اللينينية ، وتبنى النظرية البورجوازية وأساليب الممارسة الخاصة بها ، وفى كلتا الحالتين ، وجدت الامبريالية العالمية فى المراجعة المعاصرة أسلحة فكرية هامة تستعملها لهدم الاشتراكية وأحزابها الثورية .

■ ■ ■

الكفاح ضد التعصب القومى .. فى اسرائيل

■ مجلة السلم والحرب والاشتراكية المجلد ١٣ ــ العدد ٣ مارس ١٩٧٠ بقلم : ولف ايرليش عضو المكتب السياسى لحزب « راكاح »

لقد رفع لينين الأسس النظرية للحركة الدولية للطبقة العاملة وكفاحها ضد التعصب القومى الى قمم عالية ، وتظهر أهمية هذا الكفاح فى اسرائيل بالذات بصورة حادة ، فالاجيال المتتالية للشباب الاسرائيلى تغذى عقولهم بالنظريات القومية المتعصبة خلال مراحل التعليم وعن طريق الطقوس الدينية فى المعابد وبوساطة وسائل الاعلام الواسعة ، وأخيرا أثناء الخدمة العسكرية ونظم الجيش ، ان الفئات الحاكمة الصهيونية فى اسرائيل تدعى أن يهود هذه البلاد عبارة عن شعب الله المختار ، فتجد فى هذا الادعاء حقا فى التصرف كما تشاء عسكريا وسياسيا ، وحجة ما بعدها حجة ، على أن الشعوب العربية يجب ان تستسلم طبقا لشروطها (*)

ان الصهيونية مذهبا وسياسة ليست مستقلة عن الاستعمار ولا يمكن أن تكون . فمنذ بدء تاريخها كان عليها ان تعتمد على الامبريالية لتنفذ خططها الاستيطانية ، وبعد تأسيس اسرائيل كدولة أصبح المحور الصهيونى للسياسة الاقتصادية يرتكز على استيراد الرأسمال الاجنبى ووضع موارد البلاد وثرواتها تحت يد الاحتكارات الدولية ، وفوق هذا ، فحقيقة أمر الصهيونية أنها رأس رمح استعمارى موجه ضد الشيوعية ومختلف البلدان الاشتراكية ، فالصهيونيون يلقبون كل تقدمى وكل مناضل نقابى يدافع عن حقوق العمال بالشيوعى .

وتدور الدعاية الصهيونية ضد الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية حول محورين أساسيين ، فمن جهة ، تدعى أن الحكم السوفيتى يضطهد الشعوب غير الروسية وتطابق بين هذا الحكم وبين الاستعمار ، وهذا كان الاساس الذى جعل الصهاينة يتضامنون تماما مع الجبهة الاستعمارية العالمية فى التشهير بكفاح الشعب الفيتنامى الجنوبى ، وفى وصف الماركسيين اللينينيين فى تشيكوسلوفاكيا « بالرجعيين » أثناء الازمة الاخيرة ، وعندما اشتعلت الثورة المضادة فى المجر سنة ١٩٥٦ نظم الهستادروت ــ الاتحاد النقابى الاسرائيلى ــ اضرابا تضامنيا مع القوى الرجعية المجرية .

ومن جهة أخرى ، توجه الدعاية الصهيونية نيرانها ضد الاتحاد السوفيتى وبولاندا والبلدان الاشتراكية الاخرى بدعوى أنها تمارس التمييز العنصرى والدينى ضد اليهود ، وتعتمد الفكرية الصهيونية فى هذا على ذلك التلفيق النظرى القائم على اعتبار الصهيونية واليهودية شيئا واحدا ، وعلى توجيه الاتهام باللاسامية لكل من يكافح الصهيونية ويدين السياسة الاستعمارية التى تتبعها الاوساط الحاكمة فى اسرائيل .

وفيما يتعلق بقضية النزاع بين اسرائيل والعرب ، تعتمد الدعاية الصهيونية على أسس لا تختلف عن تلك التى ذكرناها فى صورتها العامة اختلافا كبيرا ، فعنصر من عناصر هذه الدعاية موجه ضد العرب كعرب مستغلا تصاعد القتال فى الحرب الحالية ، وكذلك مستعيدا التعبيرات

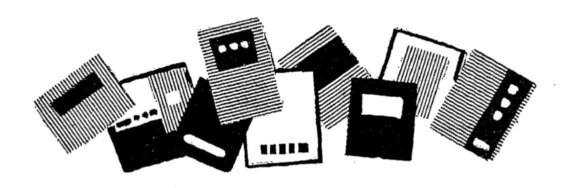
المتعصبة التى فاه بها بعض الرجعيين العرب والتى أعلنوا فيها أنهم يستهدفون القضاء على دولة اسرائيل والقاء سكانها اليهود فى البحر ، غير أن العنصر الرئيسى فى الدعاية الصهيونية يقول بالتمييز بين العرب « السيئين » والعرب « الطيبين » على أساس موقف الجماعات والشخصيات العربية من السياسة الاسرائيلية الرسمية ، ومن الاستعمار الاجنبى . فالدعاية الصهيونية تناصر القوى العربية الرجعية ضد حركة التحرر الوطنى للشعوب العربية ، وقد ظهر هذا جليا أثناء الازمة اللبنانية الاخيرة .

وقد علمنا لينين أن العناصر الغريبة وغير البروليتارية تتسلل باستمرار فى الطبقة العاملة وتبث فيها الفكريات البورجوازية والبورجوازية الصغيرة ، وقد اختبر حزبنا ، الحزب الشيوعى الاسرائيلى ، مثلا لصحة هذا القول فيما جرى لجموعة ميكونيس - اسنيه ، فقد عملت هذه المجموعة على تسريب الفكرية المعادية الى صفوف الحزب تحت لباس ماركسى لينينى ، غير أنه لم تظهر أعماقها وأبعادها الكاملة مرة واحدة ، بل شيئا فشيئا .

فقبل أن تنشق هذه المجموعة على الحزب ، بدأت بالهجوم الفكرى على أساس الانحرافات التالية : التخلى عن وجهة النظر الطبقية البروليتارية ، واضعاف المواقف والدعاية المعادية للاستعمار ، وغرس بذور الشك نحو الاتحاد السوفيتى والحركة الشيوعية العالمية ، والبدء فى تسريب الفكرية القومية المتعصبة الصهيونية ، وكذلك عملت هذه المجموعة على ابراز الاخطاء التى وقعت فيها بعض القوى المكافحة فى صفوف حركة التحرر العربية ، وتقديم هذه الاخطاء على اعتبار انها العنصر الرئيسى فى الحركة التحررية ، وتعرضت للقوميتين العربية واليهودية . على أنهما فى مستوى واحد ، وان الخلاف بينهما هو التناقض الرئيسى فى المنطقة ، ثم وجهت هذه المجموعة هجومها على القواعد اللينينية للتنظيم الحزبى ، فاقامت نظرية تقول أن الاعضاء اليهود لهم وزن نوعى اكبر من الاعضاء العرب ، مما كان يعنى محاولة تقسيم الحزب على أساس قومى .

وبعد الانشقاق ، أصبحت مجموعة ميكونيس - اسنيه الطفل المدلل للرجعية الاسرائيلية، فطورت سماتها وأوضحت خطوطها . لقد تخلت تماما عن الموقف المعادى للاستعمار ، وصارت رأس رمح الهجوم الرجعى على الشيوعية الدولية والاتحاد السوفيتى وحزبنا .

ان الترسانة الفكرية للاستعمار تزداد فراغا مع مرور الايام ، وأصبحت الرأسمالية تفقد جاذبيتها بالنسبة لجماهير الشعب أكثر فأكثر ، ولذلك يعمل المفكرون الذين يخدمونها على استعمال الاسلحة التى تبقت بأوسع صورة ممكنة ، وأن التعصب القومى مازال السلاح الرئيسى فى تلك الترسانة ، فالكفاح ضد الشوفينية ومن أجل الروح الاممية مازال اليوم من الاهمية بمكان كما كان فى أيام لينين ، بل زاد عنه خطورة وقيمة .







الدبلوماسية الشعبية .. والعمل السياسى

مصطفى النجار

تشهد المرحلة المقبلة تحركا شعبيا على المستويين الخارجى والداخلى تنفيذا لما تضمنه البيان السياسى وقرارات وتوصيات الدورة الرابعة للمؤتمر القومى العام فى هذا الشأن ·

ففى المجال الخارجى سيتم تحرك سياسى شعبى على المستوى الدولى فى اطار التنسيق والتعاون بين الدبلوماسية الشعبية والدبلوماسية الرسمية ، فستقوم بعض الوفود من الاتحاد الاشتراكى العربى بزيارة عدد من الدول العربية والدول الصديقة ، كما ستوجه الدعوة الى بعض التنظيمات الشعبية فى الخارج لزيارة الجمهورية العربية ، بهدف شرح قضية الشرق الاوسط بمختلف جوانبها والقاء الضوء على آخر تطوراتها ، وفى هذا المجال ستعقد قيادات الاتحاد الاشتراكى بالمحافظات سلسلة من اللقاءات مع القواعد الشعبية بحيث يكون التركيز على تعبئة الجماهير وخدمة أهداف ومتطلبات المعركة سياسيا وعسكريا واقتصاديا ·

أشكال الدبلوماسية

لقد ظهرت عدة اشكال للدبلوماسية فى العصر الحديث ·· فهناك دبلوماسية المؤتمرات والمنظمات الدولية وهى أقرب الدبلوماسيات الى الرأى العام، ثم هناك دبلوماسية القمة · وهناك كذلك·· الدبلوماسية الشعبية ، ويسمونها الدبلوماسية الجماهيرية ، وهى تتجه الى مخاطبة الجماهير ، وانتشار هذا النوع من الدبلوماسية بشكل كبير فى الوقت الحاضر أمر منطقى ·

ولذلك تهتم الحكومات بمخاطبة الشعوب عن طريق المنظمات الدولية وممثلى اتحادات العمال والاتحادات النسائية والطلبة ، ويسافر هؤلاء ليوضحوا سياسة بلادهم الى زملائهم فى الدول الاخرى ، باعتبار أن هناك لغة مشتركة تستطيع أن تربط بين هذه الفئات ·

والاتصالات التى تقوم بها هذه المنظمات سواء كانت منظمات طلابية أو نسائية أو عمالية ، هى

التى تخلق رأيا عاما مستنيرا بالنسبة للقضايا الدولية ، ويستطيع ممثلو هذه الفئات أن يقولوا مالا يستطيع الدبلوماسى الرسمى أن يقول • ولذلك فالدبلوماسية الشعبية ليست رسمية ولكنها فعالة •• وكانت اسرائيل طوال السنوات الماضية تعتمد بصفة أساسية على هذا النوع من الدبلوماسية •

معارك شعوب ومصائر

اذن لم تعد المعارك فى وقتنا الحاضر معارك جيوش وأسلحة فقط بقدر ما هى معارك شعوب ومصائر ، فقد اثبتت حروب التحرير فى فيتنام وكوريا والصين أن الشعب هو الهدف ، وهو أعظم قوة فى هذا الصراع وفى اى معركة من معاركه وضد أى سلاح من الاسلحة ، ومن هنا كان دور الشعب فى معركتنا المصيرية مع الصهيونية والاستعمار اساسيا وحاسما •

الدور السياسى للمنظمات الشعبية

ففى مثل هذا الظرف التاريخى يمكننا ان نتصور ان واجب المنظمات الشعبية فى الوطن العربى يمكن أن يقسم الى ثلاثة أقسام :

● واجب المنظمات حيال أعضائها على ضوء ما تجتازه أمتنا العربية من أخطار • فما لم نحشد كل قوانا الشعبية ونعبىء كل طاقاتنا المادية والمعنوية فى مواجهة هذه الاخطار المتزايدة — وعلى اسس من الثقة بالجماهير والديمقراطية ، فسيظل شعبنا فى عزلة عن معركته المصيرية ، وبذلك نفقد أقوى وأمضى الاسلحة ضد العدو • وواجبها هو تفهيم أعضائها بابعاد المعركة الحقيقية وبحقيقة الخطر الاسرائيلى •

● وفيما يختص بالتنظيمات الشعبية على المستوى العربى نجد أن أمامها مهمة تحقيق وحدة الطبقة العاملة فى الوطن العربى،لانها القوة الفعالة فى القضاء على الاستعمار وتحقيق المجتمع الحر الموحد •

أما القسم الثالث :

● واجب التنظيمات الشعبية العربية فى الخارج ، فعليها ان تخاطب التنظيمات المماثلة لها بلغة تفهمها جيدا • خذ مثلا المبعوثين هؤلاء ليست لهم صفة دبلوماسية رسمية ، وتستطيع ادارات المبعوثين فى الخارج ان تزودهم بالمعلومات والحقائق بصفة مستمرة •

الاستراتيجية النضالية للقوى الشعبية

وما دمنا قد تحدثنا عن الساحات التى يمكن أن تمارس من خلالها الدبلوماسية الشعبية من خلال التنظيمات الشعبية ، أصبح من السهل علينا الان تحديد الطريقة التى يجب أن تتوافر فى الاستراتيجية النضالية التى تجمع تحت لوائها المنظمات الشعبية والقوى التقدمية والحركات الثورية فى الوطن العربى •

ونستطيع تصور الاستراتيجية من خلال المنطق العملى ، بأن تكون مرتبطة بقضية ،وان تحدد الاهداف التى يجب السير عليها وهى التى تأكدت بالنضال الجماهيرى فى الحرية والاشتراكية والوحدة •

كما يجب أن نعى دائما عدة حقائق :

اولا : أن معركتنا الراهنة ليست معركة مع اسرائيل فقط ، انما هى معركتنا مع كل قوى الاستعمار والصهيونية والامبريالية بكل ما تملك من امكانيات هائلة وبكل ما تحمل علينا من أحقاد •

ثانيا : أن اسلحةهذه المعركة يجبان تتناسب مع أسلحة أعدائنا الكثيرة • واسلحةاعدائنا التى كشفناها حتى الان تبدأ منالكلمة الشفوية والمذاعة والمكتوبة الى الصورة المضللة الى التآمر ، وحتى الغزو المسلح والعدوان السافر •

ثالثا : ان الدور الحقيقى الحاسم هو دور النضال العربى ، ففيتنام مثلا لم تنل كل هذا التأييد العالمى الا بالنضال ، فصوت المدفع أقوى من صوت الكلمة •

رابعا : التنسيق بين المنظمات الشعبية المختلفة وبين الحكومات العربية المختلفة وبين الشعوب العربية المختلفة لانه بالتنسيق والتعاون نستطيع أن نحول الاعمال البسيطة الى أعمال كبيرة تفيد فى تحرير الارض •

خامسا : تجاوز الشعارات العامة الى تحديدات دقيقة وملموسة تضفى طابع الجدية على الاهداف •

سادسا : خلق ظروف اكثر مواتاة للعمل الدعائى ، ولتفنيد ادعاءات العدو ، ووضعه فى موقف الدفاع •

سابعا : ان الموقف الان أصبح يحتم ليس فقط تحديد مالا يجب عمله ومالا ينبغى أن يكون ، بل أيضا تحديد البديل ، أى تحديد تصور لما ينبغى أن يكون • فمثلا طرح شعار دولة فلسطين المتعددة القوميات،أو التى تتسع لطوائف من مختلف الاديان كبديل لدولة اسرائيل الصهيونية المنغلقة على اليهود وحدهم •• كيف تتجسد هذه الدولة ؟ ما هى الضمانات التى ستعطى للاقليات فيها ؟ ما الذى سيكفل تكافؤ الحقوق فيها لجميع مواطنيها ؟ كيف تتحدد العلاقة بين الطوائف والقوميات ، وكيف تنظم ؟

ان التوصل الى نتائج ملموسة والى تصور محدد فى هذه المسائل بالذات هو الكفيل بتجريد العدو من حجج ما زال يشهدها أمام الرأى العام •

مبادرات يمكن القيام بها

واذا ما انتقلنا من ميدان التفكير الى ميدان التطبيق فيجب أن نطرح سؤالا عن المبادرات التى يمكن أن تقوم بها التنظيمات الشعبية •

● والواقع أن دراسة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التى تنعكس على الدفاع الشعبى ضرورة لتأمين احتياجات القوات المسلحة ولتنظيمات الدفاع الشعبى وتجهيزها وتدريبها ، هذه الدراسة خطوة واسعة فى اتجاه المواءمة بين نظام الدفاع ، والنظام الاجتماعى فى الدولة ••

● أما بالنسبة للتنظيمات والنقابات العمالية والمهنية فتقوم بالتصدى لقوى الثورة المضادة والرجعية ، وفى تدعيم المكاسب الثورية لجموع شعبنا ••• والاشتراك فى أعمال الدفاع الشعبى فى مواقع العمل ، بل ويتعداها بالدعوة للمؤتمرات الدولية من أجل نصرة الشعوب العربية والتعريف بحقيقة القضية وأبعادها ومتطلباتها والحصول على تأييد الرأى العام العالمى والمنظمات والاتحادات الدولية والاقليمية لقضيتنا العادلة •

● والفلاحون بحكم ارتباطهم بالارض وايمانهم بالوطن يتأكد دورهم فى الدفاع الشعبى عن طريق تأمين وحماية المحاصيل والحقول ومنشآت القرية فى حدود الامكانيات الذاتية لها والمعاونة التى تقدمها لهم الاجهزة الشعبية والحكومية فى الدولة ، هذا الى جانب استمرارهم فى الانتاج ومضاعفة الناتج القومى لدعم الاقتصاد الوطنى •

● وأما دور الشباب فيتمثل فى الاشتراك فى منظمات الدفاع الشعبى على مستوى الجمهورية والاشتراك فى أعمال الدفاع المدنى ومعركة الانتاج واستصلاح الاراضى والمساهمة فى تكوين فصائل خدمة الجبهة • هذا فضلا عن قيام وفود الشباب بالدعاية لقضيتنا فى المؤتمرات الدولية والاقليمية وتنظيم لقاءات مع شباب أوربا وأفريقيا وسائر دول العالم للتعريف بالقضية والحق العربى •

مليون عربى فى أمريكا

لا شك أن هناك نشاطا عربيا فى الولايات المتحدة أخذ يتسع فى السنوات القليلة الماضية ، ويتمثل فى عدد من المنظمات العربية أو التى تضم أعضاء عرب وأمريكيين •

ولكن هل استطاعت هذه التنظيمات وغيرها من القيام بدورها باعتبارها تمثل ما يقرب من مليون شخص ؟

وتشير الدلائل كلها الى أن نشاط المنظمات العربية هناك يلقى صعوبات كثيرة ــ هذا صحيح ــ الا أن كشف حقيقة اسرائيل للرأى العام واظهار حجم الفوائد التى تعود على الولايات المتحدة من العالم العربى فى دولة يتقرر فيها كل شىء بحساب الارباح والخسائر ــ ٢٠٠٠ مليون دولار سنويا ــ فوائد استثمارات البترول وأرباح السلع التى تستهلكها الاسواق العربية زائد ١٨٠٠ مليون دولار قيمة الاستثمارات العربية فى الاسواق المالية الامريكية ، يمكن أن يحول تيارا من ضغط الرأى العام على حكومته يوازى التيارات المعارضة للسياسة الامريكية فى فيتنام وكمبوديا ، يساعد على ذلك الصورة البطولية التى اكتسبتها المقاومة الفلسطينية فى نظر الشباب الامريكى وتجمعات اليسار الجديد،واتساع التأييد للقضية العربية بين الزنوج وهم قطاع هام فى الولايات المتحدة •

وللوصول الى ذلك يحتاج العرب فى الولايات المتحدة الى اتخاذ عدة خطوات ليتحولوا الى قوة مؤثرة فى خدمة القضية العربية :

● هناك حاجة لتنظيم مركزى يصبح وعاء للمنظمات العربية الامريكية •

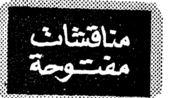
● أن بعضا من العرب الامريكيين ليست لديهم صورة كاملة لما يجرى فى الشرق الاوسط ــ فالجهل بالقضية العربية أوسع بين الامريكيين ــ وهذا النقص يعوضه تزويدهم بالمعلومات عن الشرق الاوسط بصفة مستمرة ، واصدار صحف ومجلات قوية وزيادة عدد البرامج المقدمة فى الراديو

وتمويل عربى يكفى لتغطية نفقات النشاط الاعلامى العربى ٠

● اجراء اتصالات عن طريق هذا التنظيم المركزى وفروعه مع مختلف الشخصيات المؤثرة فى الحياة السياسية الامريكية ٠

ان المليون عربى يمكن أن يتحولوا الى تيار مؤثر فى الحياة السياسية فى دولة يعطى نظامها الانتخابى للاقليات وزنا يؤثر فى اتخاذ المواقف والقرارات ـ هذه حقيقة سبق أن أشار اليها هارى ترومان عام ١٩٤٨ حين قال لاحد الدبوماسيين العرب « للاسف ليس لديكم مثل اليهود بضعة ملايين من الاصوات تفيد فى المعركة الانتخابية » ٠ ففى اطار محاولة الحزبين الرئيسيين جذب الناخبين ، اكتسبت المجموعات الانتخابية ـ البروتستانت ـ الكاثوليك ـ الزنوج ـ اليهود ابناء بورتوريكو ـ وغيرهم ثقلا سياسيا ، الا أن الاقلية العربية لا تزال تفتقر الى هذا الثقل بسبب عدم تجمعها فى تنظيم قوى ودقيق ٠

ان معركتنا مع الصهيونية كالنهر الكبير ٠٠ فيجب أن نعمل على أن تصب فيه كل سواقى النقمة الشعبية والدفاع العربى الرسمى والانتفاضات المصيرية حتى نتغلب على التناقض الاساسى والكبير الذى يهددنا جميعا ، ويربطنا فى معركة واحدة ومصير واحد ٠



وقف اطلاق النار ٠٠

كتب المواطن **رجب أحمد عبد الباقى** ـ عضو مؤتمر الاتحاد الاشتراكى بمركز مطاى ـ بمحافظة المنيا ، يقول :

ان التحرك السياسى الواعى فى الرد الايجابى على المبادرة قد أعطانا فرصة التحرك سياسيا وعسكريا على كل الجبهات ٠ كما أنه بين موقفنا أكثر للعالم الذى قابل الرد الايجابى بارتياح كبير ، ان المناورات والمزايدات الكلامية فى هذه الظروف لا تتفق ووحدة الصف العربى ، وانما هى تتفق مع ما تسعى اليه القوى الامبريالية الامريكية والصهيونية من اضعاف هذه الوحدة وتخريبها بكل الوسائل ، حتى تستطيع تنفيذ مشاريعها التآمرية بضرب قوى الثورة العربية ونظمها التقدمية ، لهذا فان على التنظيم السياسى فى ج ٠ ع ٠ م وعلى قياداته الثورية أن تضع خطة لوقف هذه المناورات والمزايدات، وبأن تكون هذه الخطة واعية بالظروف المحيطة بأمتنا العربية ، وهناك جبهات ثلاث يجب أن يكون التحرك عليها واعيا وموضوعيا :

الجبهة العالمية

ـ **التحرك السياسى** على المستوى الرسمى والشعبى وايفاد الوفود لدول العالم لشرح موقفنا دائما وضرب محاولات العدو فى هذا المجال والاشتراك فى المؤتمرات الشعبية فى كافة الدول المحبة للسلام ٠

ـ **الاتصال بالمؤسسات والنقابات العمالية** ، والتجمعات الشبابية السياسية والتى تناضل ضد الامبريالية وتبادل الوفود البرلمانية على كل المستويات والتجمعات السياسية ٠

ـ **توثيق الصلات الودية** ودعمها مع الدول الاشتراكية الصديقة ،ومداومة شرح موقفنا بالنسبة للدول التى تقف مع العدو نتيجة لتضليل العدو لهذه الدول ، ومحاولة فتح الحوار والمناقشة مع هذه الدول حتى تتخذ هذه الدول موقف الحياد بدل الانحياز التام للعدو الاسرائيلى ٠

ـ **الاهتمام بدعم القضية الفلسطينية** ، ودعم الثورة الفلسطينية فى المجال العالمى وفى مواجهة التحرك الواسع لكافة المنظمات والمؤسسات الصهيونية ، والتى تسعى الى تصوير القضية الفلسطينية على أنها قضية لاجئين ، وفضح مؤامرات الصهيونية فى انهاء حقوق الشعب الفلسطينى متحالفة مع الامبريالية الامريكية ٠

الجبهة العربية

عدم الدخول فى مهاترات : أو مناورات

ومزايدات كلامية ، والاتصال بكافة المؤسسات السياسية والنقابات العمالية العربية وتجمعات الشباب العربى ومع كل القوى الثورية التقدمية ، وشرح الموقف وتطوراته باستمرار ، وعدم اعطاء الفرصة لبذر التفرقة بين الامة العربية عامة والقوى الثورية خاصة ، وأن يكون نقدنا دائما من موقف التضامن ومن أرضية النضال المشترك وليس من موقف العداء وتوزيع الادانات والاتهامات •

ـ التلاحم مع الثورة الفلسطينية ودعمها واتاحة السبل أمامها لتزيد من ضرباتها للعدو الصهيونى ، ومواصلة الاتصالات بكل فصائل الثورة الفلسطينية لضرب المحاولات التآمرية فى الوطن العربى ضد الثورة الفلسطينية •

الجبهة الداخلية

ـ ضرورة الاسراع بتشكيل لجان المواطنين من أجل المعركة •

ـ مداومة عقد المؤتمرات الشعبية ، وشرح الموقف بكل أبعاده أمام الجماهير ، ومدها بالحقائق ومواجهة الاشاعات والحرب النفسية التى تشنها الدعاية الصهيونية •

ـ تنشيط العمل التثقيفى والفكرى من خلال التجمعات الجماهيرية [نقابات ومنظمات.. الخ]

ان فترة الشهور الثلاثة لوقف اطلاق النار لا تعنى حلول السلام وانما يجب أن يعرف الجميع اننا يجب أن نكون فى يقظة تامة خلال هذه الفترة الحساسة والحاسمة أيضا ، وأن تجرى الاستعدادات لكافة الاحتمالات العسكرية والسياسية على كل الجبهات ، وأن المعركة قائمة وستظل قائمة طالما أن هناك قوى امبريالية تتآمر على نظامنا الثورى وعلى النظم التقدمية فى وطننا العربى •

ان صراعنا مع العدو الصهيونى ومع الامبريالية قائم ، لهذا فلنستعد دائما سياسيا وعسكريا واقتصاديا لكافة احتمالات الموقف ، وليست هذه فرصة راحة بقدرما هى فترةعمل شاق ومضن من أجل استكمال وسائل دفاعنا فى كل الجبهات ، اننا نريد السلام القائم على العدل وحسب ما أعلنته قيادتنا الثورية بضرورة الانسحاب الكامل والشامل من جميع الاراضى العربية التى احتلت نتيجة لعدوان يونيو ١٩٦٧ ، وعدم المساومة على حقوق شعب فلسطين ، لهذا فلنأخذ حذرنا كل الحذر ، ولنراقب كل تحركات العدو الصهيونى وقوى الامبريالية المساندة له ، وليكن تحركنا بين الجماهير العربية مدعوما بكل الضمانات التى تكفل كشف حقيقة الاطماع الاسرائيلية أمامها •

■

كتب **شوقى عبد الحميد ـ الجيزة** ـ رسالة يقول فيها :

فى العدد الثامن من الطليعة نشر تقرير عن كمبوديا تحت عنوان « من يزرع الريح يحصد العاصفة » • والملحوظة التى أحب أن أقدمها هى أن الخرائط المنشورة مع التقرير والتى تدل ـ بوضوح ـ على أن الغزو الامريكى فى كمبوديا لم يفشل فى تحقيق أهدافه فحسب (تحطيم قوى الثورة)، بل أن الثوار زادوا من نشاطهم وحرروا المزيد من الارض ، أقول ان هذه الخرائط كان يجب أن يشار الى أنها منقولة عن مجلة **نيوزويك** الامريكية •

والامر الهام هنا هو أن عدد الضحايا من ثوار كمبوديا هو مجرد تقدير من القيادة الامريكية ، وكما لاحظت مجلة **نيوتيمس السوفيتية** فى عددها رقم ٢٨ والصادر فى ١٥ يوليو ١٩٧٠ فان جنرالات البنتاجون قد درجوا على أن يضيفوا عدد القتلى من المدنيين الى عدد الثوار الكمبوديين الذين يستشهدون خلال معارك التحرير • ومن هنا فان الارقام الامريكية التى تنشر عن خسائر الثوار يجب أن تؤخذ بحذر •

ومما له مغزى فى هذا الصدد ما اشارت اليه جريدة النيويورك تايمس فى أواخر يونيو عندما نشرت أن القوات الامريكية فى كمبوديا أنذرت الفلاحين العاملين فى حقول الارز بأنها ستطلق النار على كل فلاح يشرع فى الرفض أو يحاول الاختفاء أو يمشى بطريقة تدل على الريبة والحذر عندما تحلق طائرات الهليكوبتر الامريكية فوقهم ، وعلقت الجريدة الامريكية على هذا الانذار الغريب بقولها :

« الظاهر أن الحكومة الامريكية تفضل أن ترى الكمبوديين أمواتا عن أن تراهم شيوعيين » •

الطليعة :

وجهة نظرك سليمة ، ولقد كانت هذه أيضا وجهة نظر مجلس التحرير عندما اجتمع لنقد العدد الذى صدر ـ شأن كل عدد آخر ـ وابدى نقده لكاتب التقرير حول نفس النقطة ■

« أمريكا .. قتلت عمالنا »

تحت هذا العنوان، قامت **النقابة العامة للعاملين بالصناعات الهندسية والمعدنية والكهربائية**، باعداد وطبع كتيب (٥٨ صفحة) حول قصف اسرائيل مصنع **أبى زعبل** بطائرات الفانتوم الامريكية الصنع، والكتيب مهدى « الى الضمير العالمى » .. وشهداء الحرية فى أرض مصر والوطن العربى والعالم .

ويسرد الكتيب بالتفصيل ـ العام ـ حادث القصف البربرى، ثم موقف الرأى العام العربى والعالمى من هذا العمل العدوانى، ليعرض بعد ذلك فى صفحة أخرى (٥١) حادث الاعتداء الاسرائيلى على **مدرسة بحر البقر الابتدائية** .

ذلك كله فى « الوثيقة التاريخية » ـ بتعبير الكتيب ـ مهدى الى الرأى العام العالمى وضميره .

وانها لمبادرة من النقابة العامة للعاملين بالصناعات الهندسية والمعدنية والكهربائية ـ تستحق التحية والتقدير . فاهتمام النقابة بمخاطبة الرأى العام العالمى حيث ترجم هذا الكتيب الى الانجليزية والفرنسية، اهتمام يكشف عن وعيها لا بدورها « النقابى ـ السياسى » فحسب، بل وبوعيها بدور الرأى العام العالمى فى هذا المجال، وأهمية مخاطبته دائما لتوضيح مواقفنا من جهة، وخرق العدو لكل المعاهدات والاتفاقيات الدولية الخاصة بعدم الاعتداء على الاهداف المدنية .

والواقع أن غلاف الكتيب « الاسود » اختيار موفق للغاية، وجدير بالاعجاب .

ولكن ..

اذا كانت هناك ثمة ملاحظات فاننا نحصرها فى :

أولا : وقعت الغارة الهمجية الاسرائيلية فى ١٢ فبراير ١٩٧٠، وصدر الكتيب فى ابريل ١٩٧٠، ووصلنا الطليعة فى يوليو ١٩٧٠، ونعتقد بأنه اخذ وقتا طويلا فى صدوره فيما بين وقوع الغارة وبين نشره، ومن أهم عناصر مخاطبة الرأى العام هو **التوقيت** بمعنى « أن نضرب الحديد وهو ساخن » . فمرور شهرين على صدوره يقلل للاسف ـ فى رأينا ـ من أثره، ونخشى أن يكون قد وصل الى دوائر الرأى العام ـ لا فى ابريل غداة صدوره ـ وانما فى يوليو كما وصلنا فى الطليعة .

ثانيا : الكتيب صدر على أنه « **وثيقة تاريخية** » . وكان يجب فى رأينا أن يحمل كل ما جاء به هذا المعنى، فقد نشر الكتيب مثلا صورا لـ ٦٠ عاملا بين خطين سوداوين [وفيات]، أن يذكر أن هؤلاء هم **شهداء** الغارة مثلا، كما أنه يشير طوال صفحاته الى **قصص** انسانية للشهداء فيقول مثلا :

مهندس الانشاءات الذى لم تمض على ترقيته فى فى العمل سوى أيام قليلة ..

ملاحظ اللحام، عامل الدرافيل ... الخ ..

وكان واجبا أن نذكر أسماء هؤلاء ونحن نروى كل قصة انسانية لهم .

ثم أن الكتيب لم ينشر الا صورة واحدة لعامل مصاب دون ذكر اسمه ايضا، وكان يمكن ـ بل يجب ـ نشر صور أكثر موجودة بالفعل مع ذكر أسماء اصحابها .

وكان يمكن أيضا نشر صور زنكوغرافية للرسائل والبرقيات التى بعثت بها اتحادات ونقابات العمال العالمية استنكارا للغارة وتأييدا للعمال المصريين، بدلا من نشر بعض ما جاء بها بشكل **عادى** (بحروف المطبعة) .

ربما تكون هذه ملاحظة بسيطة وقد تبدو شكلية ولكنها ـ فى نهاية الامر ـ تمس أسلوب العمل دون أن يذكر ان هؤلاء هم **شهداء** الغارة مثلا، كما تستوعب كل **عناصر** ومفاهيم الجوانب النفسية للعمل الدعائى .

يبقى أن نؤكد آخر الامر ـ ومرة أخرى ـ أهمية مبادرة النقابة العامة للعاملين بالصناعات الهندسية والمعدنية والكهربائية، ووعيها بدورها .

■

بيان من الحزب الشيوعى الاردنى

جاءنا البيان التالى من الحزب الشيوعى الاردنى :

يا جماهير شعبنا ..

فى هذه الايام، وبعد أكثر من ثلاث سنوات على العدوان والاحتلال الاسرائيلى ـ الامبريالى، ورفض اسرائيل، بتشجيع ودعم الامبريالية الامريكية، العسكرى والاقتصادى والسياسى، تنفيذ قرار مجلس الامن الدولى، القاضى بالانسحاب الكامل من الاراضى العربية المحتلة، يجد التحالف

الامبريالى — الاسرائيلى نفسه عاجزا عن تحقيق الاهداف الاساسية التى قام بالعدوان من أجلها .

فلقد صمدت الشعوب العربية ، ورفضت الاستسلام ، وتعاظمت القدرات القتالية لجيوش الجمهورية العربية المتحدة وسوريا ، وأخذت تكيل الصاع صاعين للمعتدين الاسرائيليين ، واشتدت حركة المقاومة الفلسطينية ، وأخذت تلعب دورا هاما فى استنزاف القوى البشرية والمادية للعدو ، وأحرزت حركة التحرر العربية انتصارات جديدة على مواقع الامبريالية فى العالم العربى ، وبخاصة فى السودان وليبيا ، وأخذت تهدد مصالح الامبريالية واحتكاراتها البترولية ومواقعها الاخرى فى المنطقة ، ورافق ذلك كله توطيد عرى الصداقة والتحالف مع الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ، وادى ذلك كله الى تزايد التعاطف ، على الصعيد العالمى ، مع القضية العادلة للشعب العربى الفلسطينى والشعوب العربية الأخرى .

وهكذا تجد الامبريالية الامريكية نفسها ، بعد ثلاث سنوات من التآمر المستتر والعداء السافر للشعوب العربية ، تحصد العزلة القاتلة ، والكراهية السوداء ، لا فى مصر وسوريا والاردن وحسب ، بل فى سائر انحاء العالم العربى ، وما المشروع المسمى بـ « المبادرة الامريكية للسلام فى الشرق الاوسط » ، الذى هو مشروع روجرز ، الا محاولة جديدة لرفع اعتبار أمريكا المتدهور ، وانهاض هيبتها الساقطة فى الحضيض فى سائر انحاء الوطن العربى ، مشرقه ومغربه .

مشروع روجرز ظاهره السلام وباطنه التآمر

ان مشروع روجرز ، مع انه يشير فى أكثر من موضع الى قرار مجلس الامن ، الصادر فى تشرين الثانى سنة ١٩٦٧ ، الا انه ينطوى على غموض مقصود ، يعطى الامبريالية الامريكية امكانية التحرك فى الاتجاه المعاكس ، اتجاه التنصل من التزامها بتنفيذ قرار مجلس الامن ، وتصفية هذا القرار والغائه عندما تشعر أن الفرصة قد لاحت ، ذلك ان مشروع روجرز لا يتضمن نصا صريحا حول الانسحاب من جميع الاراضى العربية المحتلة ، وتستهدف الامبريالية الامريكية من مشروعها هذا ، الذى يظهر حسن النية ، ويبطن الكيد والتآمر ، اخفاء انحيازها المعروف ودعمها المكشوف للمعتدين الاسرائيليين ومنحهم أشد الاسلحة والطائرات الامريكية فتكا وتدميرا ، لضرب الاهداف العربية المدنية والعسكرية ، واخفاء دورها الحاسم فى الحيلولة ، طوال السنوات الثلاث الماضية ، دون تنفيذ قرار مجلس الامن الدولى ، ولا سيما البند الخاص بالانسحاب الاسرائيلى الكامل من جميع الاراضى العربية المحتلة .

الجمهورية العربية المتحدة قبلت المشروع ، وهى تعى كيد الامبريالية الامريكية ، وحقدها الاسود على الشعوب العربية .

لقد شعرت الجماهير العربية بالارتياح وهى تصغى لخطاب عبد الناصر فى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى ، الذى أدان فيه الامبريالية الامريكية علنا ، وكشف عن دعمها المستمر عسكريا واقتصاديا وسياسيا ، للمعتدين الاسرائيليين ، ولفت انتباه الشعوب العربية ، فى أكثر من موضع ، إلى سوء النية التى تنطوى عليها تحركات الامبريالية الامريكية فى المنطقة ، ولقد كان يعبر فعلا عن أعمق مشاعر الشعوب العربية تجاه الولايات المتحدة الامريكية ، عندما كرر القول بانعدام الثقة بها .

ولهذا ، فان الجماهير العربية تشعر بالثقة ، بأن الجمهورية العربية المتحدة وافقت على المشروع الامريكى ، لا بهدف التواطؤ مع الامبريالية الامريكية ضد حركة التحرر العربية وتصفية القضية الفلسطينية ، وانما كما قال عبد الناصر نفسه « بهدف كشف آخر أوراق الامبريالية الامريكية وفضحها أمام الرأى العام » ، واحراجها ، وقطع الطريق على حريتها فى المناورة لاختلاق المبررات لمواصلة دعمها لاسرائيل ، وتشجيع اسرائيل على الامعان فى عرقلة تنفيذ قرار مجلس الامن ورفض الإنسحاب الكامل من جميع المناطق المحتلة ، واحباط الجهود الدولية المبذولة للجم قوى العدوان والحرب فى المنطقة ، هذه القوى التى تعرقل الوصول لحل سلمى يصفى العدوان الامبريالى — الاسرائيلى ، ويؤدى الى تحرير الاراضى العربية المحتلة ، واسترداد حقوق الشعب العربى الفلسطينى بالعودة الى أراضيه وحقه فى تقرير مصيره .

موقف الجمهورية العربية المتحدة يزيد فى عزلة المعتدين الاسرائيليين :

ان قبول الجمهورية العربية المتحدة « للمبادرة الامريكية للسلام » ، لا يضعف من قوة قرار مجلس الامن ، وبالدرجة الاولى جلاء المعتدين الاسرائيليين من كافة الاراضى العربية المحتلة ، لان قبولها يأتى فى وقت أصبحت فيه القدرة القتالية للقوات المسلحة المصرية فى وضع يسمح لها برد الاعتداءات الهمجية الاسرائيلية والحاق الخسائر بها ، وتوجيه ضربات مضادة للمعتدين ، ان جيش الجمهورية العربية المتحدة مزود الان ، كما شهد بذلك الرئيس جمال عبد الناصر ، أمام المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى ، بأحدث وسائل الدفاع الصاروخية والالكترونية السوفيتية .

ولهذا ، فان الجمهورية العربية المتحدة تنطلق فى قبولها لمقترحات روجرز ، من موقع قوة وليس من موقع ضعف ، خصوصا وانها تستند الى حليف جبار وصديق ثابت للشعوب العربية ، هو الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ، ولذا فان قبول الجمهورية العربية المتحدة لمقترحات روجرز ، لا يضعف موقفها ، كما لا يضعف نضال الشعوب العربية ضد العدوان والاحتلال ، بل على العكس من ذلك ، فانه يقوى موقف العرب ، ويعزز مركزهم الدولى ، ويزيد من تعاطف الرأى العام العالمى الديمقراطى معهم ، ويخلخل التحالف الامريكى — الاسرائيلى ، ويزيد فى عزلة المعتدين الاسرائيليين ، الذين وجدوا انفسهم فجأة فى مركز صعب ، نتيجة لموافقة الجمهورية العربية المتحدة على المشروع الامريكى ، لان ذلك أدى ويؤدى لفضح مخططاتهم العدوانية والتوسعية ، أمام أوساط أوسع فأوسع ، على الصعيد العالمى .

قبول الجمهورية العربية المتحدة للمشروع لا يحول دون استمرار كفاح حركة المقاومة الفلسطينية ضد المعتدين :

ان قبول الجمهورية العربية المتحدة لمشروع روجرز ، لا يحول دون استمرار حركة المقاومة الفلسطينية ، فى كفاحها العادل والمشروع ، ضد المعتدين الاسرائيليين ، وكنس احتلالهم البغيض ، فقبول الفيتناميين لايجاد حل سلمى لقضية فيتنام ، بعد ان التزم المعتدون الامريكيون بوقف غاراتهم البربرية على جمهورية فيتنام الديمقراطية ، لم يؤد الى اضعاف حركة المقاومة فى فيتنام الجنوبية ضد الغزاة الامريكيين وعملائهم فى سايجون ، على العكس من ذلك ، فقد تصاعدت المقاومة ، واشتد بأسها ونفوذها محليا وعالميا ، ولهذا فانه يتعين على

حركة المقاومة الفلسطينية أن تعرف كيف تعزز من وحدتها وتنسق جهودها ، لتطوير مقاومتها لقوى الاحتلال الاسرائيلي الباغية ، وارغامها على الانسحاب الكامل من الاراضي المحتلة ، ومواصلة النضال لاسترداد حقوق الشعب العربي الفلسطيني المشروعة ، وعودة اللاجئين الى ديارهم ، ويتعين عليها كذلك أن تعرف كيف تجعل من الظروف الجديدة التي نشأت ، مناسبة لتوثيق عرى الترابط الاخوي المتين مع مجموع حركة التحرر العربية ، ومع فصائل الثورة العالمية ، ولا سيما مع الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى .

لقد كان من أبرز أهداف التحالف الامبريالي — الاسرائيلي ، والعدوان المباغت ، الذي شنه في صبيحة الخامس من يونيو [حزيران] سنة ١٩٦٧ ، العمل على تشتيت وبعثرة الصف العربي لاضعافه ، وتسهيل مهمة ضربه واخضاعه ، وكذلك فصم عرى التحالف ، الذي ازداد رسوخا في معمعان النضال المشترك ضد الامبريالية والصهيونية ، بين حركة التحرر العربية ، ومن ضمنها حركة المقاومة الفلسطينية ، وبين الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى ، ولهذا فان في رأس مهمات حركة المقاومة الفلسطينية ، وحركة التحرر العربية ، أن تعمل على زيادة عرى هذا التحالف مع الاتحاد السوفيتي ، وأن تعرف حركة المقاومة الفلسطينية الباسلة كيف تجد طريقها بحذق ومهارة ، لمواصلة الكفاح الظافر ضد المعتدين الاسرائيليين ، بالتعاون والتنسيق مع الجمهورية العربية المتحدة ، ومجموع حركة التحرر العربية ، ومع الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى ، لا أن تقع في الفخ الامبريالي ، وتجد نفسها تتحول من الهجوم على الامبريالية واسرائيل ، الى الهجوم على الاتحاد السوفيتي ، صديق العرب الكبير وحليفهم الامين ، وعلى الجمهورية العربية المتحدة ، مركز حركة التحرر العربية ، واحدى فصائلها الاساسية ، والتي كانت وما تزال الهدف الرئيسي للعدوان الاسرائيلي الوحشي ، وللمؤامرات الامبريالية .

واجبنا الاساسي توطيد التضامن العربي والوحدة الوطنية مع التحلي بأعلى درجات الحيطة والحذر واليقظة !!

ومن الضروري الاشارة الى ان موافقة الجمهورية العربية المتحدة على المشروع الامريكي ، لا تعني أن مهمة حركة التحرر العربية ، ومن ضمنها المقاومة الفلسطينية ، قد أصبحت سهلة ، وأن الحل السلمي العادل قد أصبح على الابواب ، على العكس من ذلك ، فان اضطرار الولايات المتحدة الامريكية ، على التقدم بمشروعها ، الذي يؤكد في بعض نقاطه على تنفيذ قرار مجلس الامن ، وانسحاب القوات الاسرائيلية المعتدية ، يمكن استخدامه ورقة التين لاخفاء كل عيوب وجرائم الامبريالية الامريكية بحق الشعوب العربية ، وبالتالي استخدامه كحركة التفاف امبريالية رجعية خطيرة ضد كل منجزات حركة التحرر العربية ، ولضرب حركة المقاومة الفلسطينية ، وتحويله الى صك استسلام لحركة التحرر العربية ، وتصفية للقضية الفلسطينية .

ولهذا ، فان الموقف الناشيء يتطلب أعلى درجات الحيطة والحذر واليقظة من جانب حركة التحرر العربية ، ومن ضمنها حركة المقاومة الفلسطينية ، كي لا تسلك طريقا سهلا مهمة هذه القوى الامبريالية والرجعية ، ويتطلب كذلك وحدة القوى الوطنية والتقدمية محليا وعربيا ، وتعبئة كافة الطاقات ، واطلاق حرية العمل للجماهير الشعبية ، ورفع القدرات القتالية للجيوش العربية ، والتلاحم اكثر واكثر مع الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى ، في سبيل مقاومة العدوان والاحتلال ، وتحرير الاراضي العربية المحتلة ، وقطع الطريق على القوى الرجعية ، التي ستتخذ حتما من المشروع الامريكي ، مبررا للدس والتآمر على حركة التحرر العربية ، وحركة المقاومة الفلسطينية ، والتحريض الرخيص ضد الصداقة العربية — السوفيتية الراسخة .

فلتتوطد وتتعزز أكثر فأكثر وحدة حركة التحرر العربية في النضال ضد العدوان الامبريالي — الصهيوني .

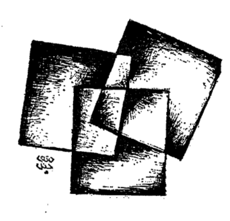
ولتتوطد وتتعزز أكثر فأكثر علاقات الصداقة والتحالف بين حركة التحرر العربية والاتحاد السوفيتي .

النصر لقضية الشعوب العربية !!

والهزيمة للمعتدين الاسرائيليين وحلفائهم الامريكيين .

٣٠ تموز [يوليو] ١٩٧٠

الحزب الشيوعي الاردني





ملف خاص



هيجل

الجدل - الحرية فلسفة التاريخ

تحتفل الاوساط الفلسفية ومنظمة اليونسكو هذا العام بمرور قرنين من الزمان على مولد الفيلسوف الالمانى الكبير جورج فلهلم فردريك هيجل [١٧٧٠ — ١٨٣١] .

((والملف)) الذى تقدمه الطليعة فى ذكرى مولده لا يشكل سوى تحية متواضعة لذكرى فيلسوف كانت فلسفته فى عام ١٨٣٠ تقف كالجبل الشامخ ، وذلك على حد تعبير جون لويس فى كتابه ((مدخل الى الفلسفة)) . وفى ذلك التاريخ ، أيضا كانت فلسفته تحتوى على هذين العنصرين بوضوح : مذهبه ومنهجه . اما المذهب فقد انتهى الى أن يمثل العنصر المحافظ والآفل فى فلسفة هيجل ، وأما المنهج فيمثل

اعداد :
لطفى قطيم د. مراد وهبه مجاهد عبد المنعم مجاهد أديب ديمترى



ـ وبحق ـ هذه الاضافة الثورية الكبرى في تاريخ الفلاسفة وفي تاريخ الفكر الانساني بوجه عام . وأيا ما كان الامر ، فاننا نتفق الى حد كبير مع الرأى القائل بانه لكي يكتسب المرء شيئا من المنظور التاريخي عن الماركسية والوجودية والبرجماتية ... الخ ((فلابد من أن يأخذفي أعتباره تاثير هيجل من حيث هو أحد العوامل الرئيسية)) [الموسوعة الفلسفية المختصرة ـ مطبوعات الالف كتاب ـ

وربما كان من الدلائل المبشرة أن نرى الاوساط الثقافية في بلادنا وقد بدأت ـ وان كان ذلك منذ وقت قريب وبجهود جد متواضعة ـ في الاهتمام بدراسة هيجل . غير اننا لانزال نعتقد في رحاب لغتنا العربية بعض الشوامخ التي الفها هيجل . وستظل ثقافتنا المعاصرة مشوبة بنقص كبير مالم تشرع الهيئات المشرفة على شئون الثقافة في تبنى مشروع ترجمة كتب هيجل الرئيسية . واذا كان لهذا الملف من فائدة ، فربما يكفي ان تكون في ذكرى مولد هيجل ـ تحية واجبة ، ودعوة حارة الى تمكين المثقفين العرب من أن يضيفوا الى روافد ثقافتهم عناصر هذه الفلسفة الخصبة والفكر العميق .

■■■

١ حياته ومذهبه

لطفي فطيم

١ ـ طبيعة العصر

عاش هيجل حياته في خضم الثورة الفرنسية والتحولات التاريخية الكبرى التي اعترت أوروبا بعدها، فعندما سقط الباستيل في يوليو ١٧٨٩ وأطاحت البورجوازية الناشئة بالاستبداد الاقطاعي وانشأت نظاما اجتماعيا جديدا وحضارة وفكرا جديدين، كان هيجل يبلغ التاسعة عشرة من عمره، وعندما توفى في عام ١٨٣١ ، كانت ثورة ١٨٣٠ في فرنسا قد أطاحت بشارل العاشر المستبد وأتت بالملك لويس فيليب ، كانت البورجوازية قد ضاقت ذرعا بالاسلوب الملكى الاستبدادى من ناحية وأخذت تنظر بعين الريبة الى اشتداد ساعد الطبقة العاملة .

لقد كانت تلك الفترة في عمومها فترة تاريخية حاسمة في نشوء البورجوازية وتحطيم الاقطاع ، ثم نمو البورجوازية في مراحلها المختلفة وانفتاح آفاق عالم جديد في العلوم والفنون الى جانب النظام الاجتماعى الجديد الذى نالت في ظله طبقات اجتماعية أوضاعا جديدة ، بل وظهرت طبقات وحركات اجتماعية جديدة .

كان عصر صراع تاريخي قادته البورجوازية الفرنسية وانعكست آثاره على الملوك والحكام الاقطاعيين، وعلى الطبقات البورجوازية الناشئة في مختلف بلدان أوروبا وخاصة ألمانيا ، ففى خلال ما لا يزيد عن قرن ١٧٨٩ ـ ١٨٧١ قامت الثورة البورجوازية الكبرى كما قامت أول ثورة بروليتارية في التاريخ ، كوميون باريس ١٨٧١ .

لذلك لم يكن غريبا ان كان مايميز طريقة هيجل في التفكير عن كافة الفلاسفة هو ذلك الاحساس الهائل بالتاريخ ، والذى قامت عليه فلسفته كلها بحيث يمكن القول أن كل ماكتبه هيجل هو تاريخ .

ولا شك أن النظريات الفلسفية الكبرى هي أيضا من الاحداث صانعة العصور في التاريخ الانسانى، وهى لا تكتسب هذه الصفة لمن حيث كونها علامات على طريق التطور الفكرى للانسان وحسب ، وانما لانها تقطر وتصفى الجوهر الروحى لعصرها أيضا ، ان هذه النظريات تكشف بدقة عن حاجات ومطالب عصرها وصراعاته مع قوى الماضى التى تحوطه ، وقوى الحاضر التى تعارضه كما تكشف عن مثله الاخلاقية والاجتماعية والعقلية .

وتتضمن المشاكل التاريخية العابرة لكل عصر ، عناصر ومطامح تتسم بالشمول ، لذلك تتخطى

النظرية الفلسفية الكبرى حدود عصرها مندمجة فى التراث الروحى للبشرية كلها ، ولا ريب أن مجال تاريخ الفلسفة الذى تلتقى فيه الاجيال الجديدة بكافة مراحل التطور الفلسفى للعصور التى سبقتها ، هو الساحة العقلية الوحيدة التى يلتقى فيها المفكرون من كل العصور ، كما لو كانوا متعاصرين ، فمع أننا نحن الذين نتولى تقديم الاجوبة على مشاكل العصر الحالى فان النظريات الفلسفية السابقة تساعدنا على ذلك دون شك .

وهذا الفهم للفلسفة بوصفها وعى العصر وروحه نجده واضحا لدى الفيلسوف الالمانى الاكبرجورج فيلهم فريدريش هيجل .

ان فلسفة هيجل هى وعى البشرية الذاتى بالعصر الذى نشأ فيه المجتمع البورجوازى ، وهى فى الحقيقة أول محاولة نظرية لامعة لفهم تطوره السابق وآفاق مستقبله ، ويعتبر ديالكتيك هيجل تعبيرا عن الثورة ، الا أن هذا لا يعنى بالطبع أن هيجل قد أدرك بشكل كامل دلالة الهبات الثورية فى تاريخ البشرية ، **بل ان هذا بالدقة هو ما كان ينقصه، ان أقوى وأبرز جوانب مذهب هيجل ــ بل وأبرز جوانب شخصيته هو كانسان ومفكر ــ هو اهتمامه الدائب بعملية الحركة والصيرورة فى كل ما هو متغير وحى ومؤقت ، وهو يهتم دائما بالحى الذى يأتى ويذهب : فكل ما هو موجود فى الزمان ــ خاصة كل ما هو حى ــ مؤقت وعابر، وهذه الحدود والمحدودية للاشياء الحية هى التى تخلق طاقتها ، ان دينامية الاشياء الحية تنبع من جمعها بين المتناقضات .**

لقد كانت فلسفة هيجل تعكس التطور المتناقض لالمانيا عشية الثورة البورجوازية وكانت تحركها نفس الثنائية التى كانت تحرك البرجوازية الالمانية الناشئة ، وهذا هو جانبها المؤقت والعابر ، كما كانت تعكس جوهر الحركة الثورية عامة ذلك أنها وجهت ضربة قاضية لمفهوم الثبات والطابع النهائى لكل ثمار الفكر والعمل الانسانى . وهذا هو جانبها الدائم .

فمن المعروف أن البورجوازية الالمانية وصلت متأخرة جدا، فجاءت فترة ازدهارها فى الوقت الذى كانت تغرب فيه شمس البورجوازية سياسيا فى دول غرب أوروبا ، ومن السمات المميزة للبورجوازية عموما أنها ـ على عكس كافة الطبقات الحاكمة السابقة ـ تتطور حتى تصل الى نقطة يصبح أى ازدياد بعدها فى أدوات سيطرتها وخاصة رأس المال ، يميل بها أكثر فأكثر الى تعطيل قدرتها على الحكم السياسى ، فعلى قدر تنمية البورجوازية لصناعاتها وتجارتها ووسائل مواصلاتها بقدر ما تنتج عمالا ، وعند نقطة معينة ـ لا يلزم الوصول اليها فى كل مكان فى نفس الوقت أو عند نفس المرحلة من التطور ، تبدأ فى ملاحظة أن توأمها البروليتارى يفوقها فى النمو ، ومنذ تلك اللحظة تفقد القوة اللازمة لكى تتولى السلطة السياسية بمفردها، وتتلفت حواليها بحثا عن حلفاء تشركهم فى الحكم ، أو قد تتنازل لهم عن حكمها كله حسب الظروف .

وفى المانيا كانت البورجوازية رغم تأخرها فى النمو تسير حثيثا نحو هذه النقطة ، والواقع أن البورجوازية الالمانية ــ فى ذلك الوقت ــ لم تكن منزعجة من البروليتاريا الالمانية قدر انزعاجها من البروليتاريا الفرنسية، فقد بنيت الحركات الثورية التى مهدت لثورة ١٨٣٠ فى فرنسا ماذا ينتظر البورجوازية ، وكانت البروليتاريا الالمانية تجيش بالحركة والاضطراب ، ومنذ ذلك اليوم اختفت الحمية من كافة الاجراءات السياسية للبورجوازية وبحثت عن حلفاء ، وباعت نفسها لهم دون اكتراث بالثمن .

ولهؤلاء الحلفاء جميعا طبيعة رجعية ، فهناك الملكية بجيشها وبيروقراطيتها، وهناك كبار النبلاء الاقطاعيين وصغار الملاك، وحتى رجال الدين ، وعقدت البورجوازية مع كل هؤلاء الاتفاقات والمساومات لتنفيذ جلدها الغالى حتى لم يعد لديها فى النهاية شيء تقايض عليه .

وكان الامر أشد نكرا فى بروسيا ، فكانت هناك ارستقراطية من ملاك الارض لا تزال قوية والى جانبها بورجوازية ناشئة شديدة الجبن لم تستطع أن تكسب لا السلطان السياسى المباشر كما هو الحال فى فرنسا ولا السلطان غير المباشر بدرجة أو بأخرى كما هو الحال فى انجلترا ، لذلك وجد فى بروسيا شرط وجود مايسمى بالحكم العسكرى ، وهو حفظ التوازن بين البورجوازية والبروليتاريا الى جانب الشرط القديم لقيام الملكية المطلقة وهو حفظ التوازن بين الارستقراطية والبورجوازية ، ونتيجة لهذين الشرطين كانت السلطة الحكومية الفعلية تزيد فئة خاصة من ضباط الجيش وموظفى الدولة .

وهكذا كانت فلسفة هيجل ثورية تقدمية فى جانب **ورجعية محافظة** من جانب آخر تعكس تذبذب البورجوازية وجبنها وترددها بين السير بالثورة البورجوازية وبين مصالحة الاقطاع .

●●●

بعد ان تمت هزيمة نابليون فى وواترلو ١٨ يونيو ١٨١٥ سيطرت الرجعية فى أوروبا

وقام ما يعرف بالحلف المقدس بين حكام أوروبا الرجعيين ، فعادت الملكية الى فرنسا وخضعت اوروبا الوسطى [**الولايات الالمانية**، والامبراطورية النمسوية] لنظام الوزير النمساوى الداهية مترنيخ ، وهو النظام الذى كان يرمى من ورائه الى الحفاظ على الامبراطورية وممتلكاتها بما فرضه من رقابة صارمة وجاسوسية محكمة وسيطرة على الجامعات ورقابة على الصحف . الخ ضد كل ما ايقظته حروب نابليون والثورة الفرنسية من امان قومية ودستورية ، وكان ينفذ ارادته فى الولايات الالمانية عن طريق الاتحاد الالمانى الذى كان يتكون من ٣٨ دولة ذات سيادة، وفيما بين ١٨١٥-١٨١٩ اصبحت الجامعات الالمانية مراكز للحركة التحررية ونظم الطلبة صفوفهم فى جمعيات سرية وعلنية وكانت جامعة يينا مركز هذه الدعوة ، وقد افزع هذا النشاط التحررى مترنيخ الذى تحالف مع الملك فردريك وليم ملك بروسيا لاتخاذ وسائل القمع اللازمة .

وعندما قامت ثورة ١٨٣٠ فى باريس احتجاجا على المراسيم المقيدة للحريات التى أصدرها الملك شارل العاشر وأقام الثوار المتاريس، وتزعم المركيز لافاييت حركة الدعوة الى الجمهورية ، انعكست كل آثارها على المانيا حيث استيقظت الحركة الثورية على أيدى حركة الجامعات التى أعيد تنظيمها فى عام ١٨٢٧، وقامت ثورات فى مختلف الدول الالمانية أجبرت حكامها المستبدين على التنازل وادخال نظم دستورية جديدة .

وكانت هذه الفترة التاريخية العاصفة هى فترة حياة ونشاط هيجل .

٢ - حياته ومؤلفاته

ولد هيجل فى شتو تجارت فى ٢٧ أغسطس ١٧٧٠ ، ويرجع أصل أسرة هيجل الى يوهان هيجل الذى هاجر الى ألمانيا تحت تاثير اضطهاد النمساويين للبروتستانت من مقاطعة كارينثيا وذلك فى أواخر القرن السادس عشر ، وكان أبوه موظفا بالجمارك وأثر عنه أنه كان ذا طابع محافظ وعادات تقليدية ، وفقد هذا الاب زوجته عندما كان هيجل الصغير فى الثالثة عشرة من عمره . وكانت على درجة ملحوظة من الذكاء والتعليم ، واحتفظ ابنها هيجل الصغير لها بذكرى عزيزة عليه مدى حياته ، وكان لهيجل أخ اصغر منه يدعى لويس ويعمل جنديا وأخت تسمى كريستيان ظلت علاقته بها وطيدة وحارة طيلة حياته .

تعلم هيجل مبادىء اللاتينية عن والدته ثم دخل المدرسة الابتدائية فى سن الخامسة وواصل تعليمه حتى نال شهادة اتمام التعليم الثانوى فى سن الثامنة عشرة ، وكان تلميذا ظاهر القدرة على التلقى والاستيعاب ، ويبدو من مذكراته الشخصية - التى كانت موضة العصر حينذاك - أنه قرأ كتب العلوم والفلسفة التى وصلت الى يديه عن طريق مدرسيه حتى سن الخامسة عشرة ، وتفتح ذهنه بعد ذلك على أهم ما أيقظ ذهنه واصالته وهو الشعر اليونانى ، وكان لمعرفة هيجل باليونانية أثر كبير على فكره ، فقد ابتعد تحت تاثير الثقافة اليونانية الكلاسيكية عن العاطفية الرومانتيكية التى سادت العصر اذ ذاك وتمثلت فى « آلام فرتر » لجوته وغيره ، وقام فى سن السادسة عشرة بعمل ملخصات للكتب الادبية والعلمية التى كان يطالعها الى جانب المقتطفات التى كان يأخذها من الصحف وكل ما كان يقع بين يديه فى أى فرع من الفروع .

وفى عام ١٧٨٨ التحق هيجل بجامعة توبينجن، ودرس قسم اللاهوت طبقا لرغبة والديه . وكانت هذه الجامعة تحافظ على أنظمة الحياة فى الاديرة . ويبدوا أن الدراسة بالمعهد لم تستطع أن تستغرق اهتمامه بأكمله فانصرف عنها الى قراءة روسو . ودرس الفلسفة والكلاسيكيات لمدة سنتين نال بعدهما درجة الدكتوراه عام ١٧٩٠ ، وانتقل بعد ذلك الى دراسة اللاهوت ولكن ضاق صدره بارثوذكسية مدرسيه وجمودهم . فاعتاد مناقشة السياسة وأفكار الثورة فى النادى السياسى الذى أنشأه « شلينج » ، وفى تلك الفترة انعقدت اواصر الصداقة بينه وبين الشاعر هيلدرلين وكذلك بينه وبين شيلنج الذى كان يكبره بخمس سنوات ، وقرأ الثلاثة معا المآسى الاغريقية ، واحتفلوا معا بانتصارات الثورة الفرنسية ، ونال فى النهاية عام ١٧٩٣ دبلوم معهد اللاهوت وجاء فى تقريره أنه حسن السير والسلوك ولكنه لم يوهب للخطابة أو الفلسفة ، ومع أن زملاءه كانوا يطلقون عليه « الرجل العجوز » الا أنه كان يحب الصحبة المرحة والشراب .

وبعد أن ترك كلية اللاهوت لم ينتظم فى سلك الخدمة الدينية فقد كان يرغب فى فسحة من الوقت لدراسة الفلسفة والادب اليونانى وأصبح مدرسا خصوصيا ، وعاش السنوات الثلاث التالية فى مدينة برن وأصبح لديه من الوقت ما يكفى لالتهام الكتب فى المكتبة العامة . فقرأ ادوارد جيبون ومونتسكيو والكلاسيكيات الاغريقية والرومانية ، كما درس مؤلفات « كانط » ونخته وشيلنج ، وكان كانط يرى أنه اذا كانت الارثوذكسية تتطلب الايمان بالحقائق التاريخية وبالعقائد التى لا يمكن للعقل وحده أن يبررها وتفرض على المؤمن نظاما أخلاقيا

يحتوى الكثير من الاوامر والنواهى التحكمية التى يقال أنها أوحيت فان المسيح كان يعلم الناس فى الاساس أخلاقيات عقلية تتفق مع تعاليم كانط الاخلاقية وديانة تتفق ــ على عكس اليهودية ــ وعقلية كافة البشر .

وقد تقبل هيجل هذه الفكرة ولكن بحكم أنه كان أميل الى التاريخ من كانط ، أخضــعها لاختبار التاريخ بأن كتبموضوعين : **أولا** « حياةالمسيح » وحاول فيه اعادة تفسير الانجيل وفقــا لآراء كانط ، **وثانيا** : اجابة عن سؤال : كيف أصبحت المسيحية عقيدة تحكمية تسلطية فى حين أن تعاليم المسيح لم تكن تسلطية بل كانت فى جوهرها عقلية ؟

أحس هيجل بالوحدة فى برن ، وفرح عندما واتته فرصة الانتقال الى فرنكفورت فى نهاية عام ١٧٩٦ حيث نجحصديقه هيلدرلين فىالحصول له على وظيفة معلم ، الا أن آماله فى اتساع دائرة صحبته لم تتحقق فقد كان هيلدرلين غارقا حتى أذنيه فى قصة حب مع زوجة مخدومه ، وسرعان ما فقد عقله بعد ذلك بفترة قصيرة .

وقد كانتعلاقة هيجل بالشاعرهيلدرلين موضع اهتمام عدد كبير من الباحثين، اذ أشار عدد كبير منهم الى احتمال أن يكون هيلدرلينمصدر الدافع الشعرى وصاحب الايحاء بفكرةالجدل على نحوما أستخدمها هيجل ، وذهب عدد من الباحثين الى أن الجدل بصورته الهيجلية النهائية كان يتمثـل بحذافيره فى شعر هيلدرلين ، كما أن النفحة الشاعرية التى تبرز من كيان النسق الهيجلى هى وحى من هيلدرلين .

وبدأ هيجل يعانى من الاكتئاب والوحدة، ولكى يعالج نفسه أستغرق فى الدراسة وخاصة دراسة الفلسفة الاغريقية والتاريخ الحديث والسياسة ، وأخذ يقرأ وينتقل ويقتطع القصاصات من الصحف الانجليزية وكتب عن الاحوال فى مسقط رأسه فيرتمبرج ، ودرس الاقتصاد ومكنه هذا الانغماس فى الدراسات البعيدة عن تأثير كانط منأنينظر بعين جديدة وأن يخلص نفسه من سيطرة أستاذه وأن يعيد النظر فى مشكلة أصول المسيحية .

ولقد كانت هذه المشكلة بالغة الاهمية لــدى هيجل ، واحتوت كتاباته اللاهوتية الاولى الكثير من قارص القول عن المسيحية والكنيسة ، ولكن كان موضوع هجومه هو الارثوذكسية [جمـــود العقيدة] وليس اللاهوت نفسه ، وكل ما كتبه فى تلك الفترة ينبض بعقيدة دينية غريبة تماما على كانط ، وعلىمدرسيه من أبناء القرن الثامنعشر، اذ كانت تلهمه عقيدة الروح القـدس [عقيدة التثبيت] . **فروحالانسان أى عقله قبس منالله ولذلك لا يمكن أن تخضع للحدود التى وضعها كانط فى « نقد العقل المجرد » وهذا الايمانبالعقل** وأساسه الدينى هو المحرك لكل أعمال هيجل من **الان فصاعدا** . وأصبحت نظرته الى العالم نظرة المؤرخ. وهذا ما يميزه مرة أخرى عن كانطالذى كان أشد تأثرا بتصورات العلوم الطبيعية .

وفى عام ١٧٩٨ عندما رجع الىماسبق أنكتبه منذ سنتين أو ثلاث فى برن رأى بعين المؤرخ انه تحت تأثير كانط قد أساء تفسير حياة وتعــاليم المسيحوتاريخالكنيسة المسيحية، وظهراستبصاره الجديد فى مقاله « روح المسيحية » الذى لم ينشر الا فى عام ١٩٠٧

وهو يبدأ مقاله هذا بتخطيط لجوهراليهودية ، فقد كان اليهود عبيدا للشريعة الموسوية يحيون حياة قبيحة بالمقارنة الى قدماء الاغريق ، أما المسيح فقد كان يدعو الى أشياء مختلفة تماما ، فالبشر ليسوا عبيدا تلقى اليهم الاوامر انما قد خلق القانون لاجل الانسان ، بلأن الانسان ليرقى فوق التوتر الكائن فى الخبرة الاخلاقية بين الهوى وبين احساس العقل بالمسئولية ، لان القانونانما يتحقق فى حب الله واذ ذاك تزول كافة التوترات ويؤدى المؤمن ارادة الله بكلقلبه وبوحى من عقله ، ان مجتمعا من مثل هؤلاء المؤمنين هو مملكة الله .

وكانت هذه المملكة هى التى بشر بها المسيح وهى تقوم على الاعتقاد فى وحدة المقــدس والانسانى ، فهناك حياة واحدة تسرى فى الاثنين ، ولأن الانسان روح فانه يمكنه أن يفهمويدرك روح الله ، وقد وصل هيجل الى هذا المفهوم عن طريق تأويله لفقرات من انجيل يوحنا ، الا أن هــذه المملكة لا يمكن أن تتحقق فى هذا العالم فالانسان ليس مجرد روح ، ولكنه جسد أيضا « فالكنيسة والدولة، والعبادة والحياة والروحى والدنيوى لا يمكن أن تجمع كلها فى واحد ».

فى هذا المقال تكمن جذور الافكار القيادية لمذهب هيجل الفلسفى ، ولقد كان كانط يرى أننا لايمكن أن تكون لدينا معرفة الا بعالم محدود من المظاهر . واذا حاول العقل أن يذهب الى أبعد من تلك الدائرة ويرتطم باللامحدود أو بالحقيقة النهائية فانه يقع فى شباك تناقضات لا حــل لها ، الا أن هيجل وجد فى الحب بوصفه رباطا أو وحدة بيــن المتناقضات كيانا مسبقا للروح بوصفها الوحدة التى تحتوى وتؤلف بين المتناقضات، بين المحدود واللامحـــدود ، وكان أختيـــاره للفظ الالمـــانى Cresites ليعبر به عن تصوره الاساسى هذا اختيارا متعمدا ، فالكلمة تعنى « العقــل » كما

تعنى « الروح » ولكنها تترجم بالانجليزية Mind وبالعربية « عقل » وهى الفاظ لا تنقــل معنى هيجل بدقة، فالتناقضات فى التفكير عند المستوى العلمى « لفهم » كائط محتومة ، ولكن التفكــر كنشاط للروح أو العقل يمكن أن يرقى فوق هذه التناقضات الى تأليف تنحل فيه التناقضات ، أما فلسفة كانط فانها تتوقف على أعتاب الدين لانها تقوم على التعارض بين الفكر وموضوعه ، هناك اذن مكان لفلسفة جديدة تقوم على تصور للروح التى تقوم بتقطير أستبصارات الدين فى شكل مفهومات وتصورات، وكانت هذه هى الفلسفة التى وضع هيجل يده عليها وشعر أنه على أستعداد لعرضها والدفاع عنها •

وتغيرت ظروف هيجل فى تلك الفترة ، وتمكن أخيرا من أن يسلك الطريق الاكاديمى الذى كان يطمح اليه دائما، فقد أدت وفاة ابيه فى عام ١٧٩٩ الى أن يرث ميراثا ضئيلا ولكنه كان ليجعله يتقدم الى وظيفة محاضر ، وفى يناير ١٨٠١ وصل الى يينا حيث كان شيلنج يعمل بها استاذا منذ عام ١٧٩٨، وكان العصر الذهبى لجامعة يينا قد أدبر فقد رحل عنها تيك ونوفاليس وآل شيلنــج الذين اتخذوا منها مقرا لافكارهم الصوفية والغيبيــة ومذاهبهم المغرقة فى المثالية والرومانسية ، كما رحل عنها أيضا فختة الذى طور بعض جوانب أخلاق كانط فى اتجاه المثالية الثورية ، كان كل هؤلاء قد رحلوا عن يينا ، أما شيلنج الناضج قبل الاوان والذى كان يبلغ السادسة والعشرين عن وصول هيجل فقد كان يخوض معركته وحيدا فى الجامعة ضد اتباع كانط ، وتصور النــاس أن هيجل قد أستدعى ليكون نصيرا لصديقه وتأكد هذا الاعتقاد نوعا ما من الرسالة اللاتينية التى قدمها لينال بها درجة محاضر ، وكانت عن مدارات الافلاك ، ويتضح فيها تأثره بفلسفة شيلنج فى الطبيعة ، وكذلك مــن أول بحث نشره وكان عن « الفرق بين المذهب الفلسفى عن كل من فختة وشيلنج» وفيه يبدو تفضيله للاخير ، ومع ذلك وحتى فى هذا المقال وماتبعه من مقالات يبدو اختلاف هيجل عن شيلنج واضحا ، فقد كان كلاهما مهتما بالاغريق كما كانا يرغبان فى تطوير أعمال كانط ، وكان كلاهما محطما للمعتقدات التقليدية كما كانا يتفقان فى نقطة رئيسية وهى الوحدة الروحية الموجودة فوق كل الاختلافات والتى تحتفظ بنفسها خلال كل الاختلافات والتى ينبغى أن تشرح كل الاختلافات بالاشارة اليها ، ولكن شيلنج كانت لديه اهتمامات رومانسية لا تتفق وميول هيجل ، وأخذ تفكير هيجل يتكامل فى البحث عن منهج جديد صارم لتطور الفكر تطورا جدليا وذلك خلال قيامه بالتدريس كأستاذ فى جامعة يينا •

وفى شتاء ١٨٠١ ــ ١٨٠٢ حضر على هيجل فى المنطق والميتافيزيقا أحد عشر طالبا وفى عام ١٨٠٤، كان عدد طلبته ثلاثين طالبا يحاضرهم عن مذهبه كله ، الا أن متوسط الحضور عنده كان فى العادة أقل من ذلك ، وحاضر الى جانب الفلسفة مرة على الاقل فى الرياضيات ، وخلال القائه لدروسه تمكن تدريجيا من اقامة مذهبه •

وبعد رحيل شيلنج من يينا عام ١٨٠٣ تــرك هيجل ليعمل فى تنمية أفكاره الخاصة دون عائق ، فالى جانب دراساته الفلسفية والسياسية كان يجمع خلاصــات للكتب ، ويحضر محــاضرات الفسيولوجيا وغيرها من العلوم ، وعين فى عام ١٨٠٥ أســتاذا فوق العادة فى يينا ، وفى يوليو ١٨٠٦ ، وبناء على تدخل جوته ، تسلم أول مرتب له (ما يساوى مائة جنيه)

وعندما انتصر نابليون فى يينا [٤ أكتــوبر ١٨٠٦) ابتهج هيجل ــ شأنه شأن جوته ــ فقد كان يرى فى بروسيا بيروقراطية فاسدة مغرورة ،فكتب الى صديقه نييتهامر (١٧٦٦ ــ ١٨٤٨) فى اليوم السابق على المعركة متحدثا باعجاب عن « روح العالم » الامبراطور الفرنسى ، وبالرضى عــن الاطاحة المنتظرة بالبروسيين •

وعرف هيجل الحرمان بعد هذه الحرب التى تهدمت فيها جامعة يينا وأرســل جــوته بعض المساعدات المالية الى هيجل فى ظروفه السيئة ، وقبل فى ذلك الوقت العمل مع صديقه نييتهامر تحرير صحيفة بامبرج (١٨٠٧ ــ ١٨٠٨) الا أن هذه المهنة لم تكن ملائمة له ، ومع ذلك استطاع فى تلك الفترة أن يتم ويصــدر أول مــؤلفاته الكبرى « فينومنولوجيا العقل »
Die Phenomenologie des Geistes
وهو الكتاب الذى قال عنه ماركس ، انه « المصدر الاصيل وسر فلسفة هيجل كلها » ويجمع كل شراح هيجل أن المقدمة التى كتبها لهذا الكتاب هى أهم ما كتبه وأن من يفهم مقدمة الفنومنولوجيا يمتلك ناصية الفلسفة الهيجلية •

وظل هيجل فى رئاسة تحرير الجريدة على مضض ، فقد كانت صحيفة تسجل الاحداث دون أى تعليقات أونقد ، ولم يكن يسمح بافتتاحيات فى عهد نابليون ، واظهرت مقالات هيجل مدى اهتمامه بالاوضاع التى عاصرها والظروف السياسية التى احاطت به ، ولذلك سرعان ما قبل أن يصبح ناظرا لمدرسة نورنبرج الثانوية وظل فى هذا المنصب من ديسمبر ١٨٠٦ حتى اغسطس ١٨١٦، وهناك القى هيجل الطمأنينة والثقة فى نفوس طلبته ، واحتفظ بالنظام دون تدخل أجوف فى الشئون الشخصية لحياة الطلاب •

وفي عام ١٨١١ تزوج هيجل من ماري فون توفر وهي ابنة أسرة عريقة من نورنبرج ، وكانت تصغره باثنين وعشرين عاما ، وكان زواجه موفقا وسعيدا وانجب ولدين كارل [١٨١٣-١٩٠١] الذي صار فيما بعد أستاذا للتاريخ في جامعة لانجن ، وايمانويل (١٨١٤ - ١٨٩١) الذي كان مهتما باللاهوت ، كما انضم الى الاسرة لودفيج وهو ابن غير شرعي لهيجل من يينا ، وظل دخل هيجل محدودا فلم يحصل على دخل كبير حتى وهو في أوج شهرته ٠

والف هيجل في السنوات التالية لزواجه مباشرة من ١٨١٢ الى ١٨١٦ اهم أعماله العلمية وهو كتابه عن المنطق ، وظل خلال ثماني سنوات من العمل بالتدريس في الثانوي يشكو من عدم ملاءمة العمل لطبيعته ويسعى للحصول على وظيفة جامعية ، واستطاع أثناء ذلك أن يكتسب شهرة طبقت الافاق ووسعت من صلاته بالكتاب والصحفيين والمعجبين بفلسفته ، ولم يكد ينتهي من الجزء الاخير من « المنطق » حتى تلقى ثلاثة عروض لمنصب استاذ في كل من ايرلانجن وبرلين وهيدلبرج ، فقبل منصب الاستاذية في هيدلبرج خلفا للفيلسوف فريس ، واستطاع في سن السابعة والاربعين أن يحتل مكانته اللائقة به والتي تاق للحصول عليها طيلة حياته ٠

واتاحت له جامعة هيدلبرج الفرصة كي يحاضر في علم الجمال ، وظل مشغولا بأعداد محاضراته تلك الى جانب تأليف موسوعة العلوم الفلسفية » ٠ وكانت بمثابة تخطيط موجز لفلسفته في فقرات قصيرة أعدها خصيصا لمحاضراته بالجامعة (١٨١٧) .

وفي عام ١٨١٨ جددت جامعة برلين عرضها فقبل منصب استاذ كرسي الفلسفة الذي كان شاغرا منذ وفاة فختة ، وفي برلين كان تأثيره على طلبته هائلا ، وركز اهتمامه في محاضراته خاصة بعد نشره « فلسفة الحق » عام ١٨٢١ ، ووصل نشاطه الى غايته القصوى ما بين عامي ١٨٢٣ ، ١٨٢٧ ، وكانت مذكراته موضع مراجعة وتعديل واضافة على الدوام ٠ ويتضح هذا من الشكل الذي ظهرت به مؤلفاته ، فقد نشرت كتاباته عن علم الجمال وفلسفة الدين وفلسفة التاريخ ٠ وتاريخ الفلسفة من المذكرات الموجودة لدى تلامذته أساسا ، بينما ظهرت كتاباته عن المنطق وعلم النفس وفلسفة الطبيعة في صورة ملاحق وهوامش للموسوعة ، وخلال هذه السنوات زاد عدد مستمعيه وزاد تأثيره على طلبته في كافة أنحاء المانيا ٠

وبذلك بقي هيجل منذ ١٨١٨ حتى آخر يوم في حياته ١٨٣١ في منصب قيادي بالنسبة لفلاسفة المانيا وتخللت سنواته الاخيرة وهي السنوات التي سبقت ثورة ١٨٣٠ مناقشات في السياسة ادت الى ظهور مدارس هيجل متعارضة حول فكره بمجرد وفاته ٠ويمكن القول بان فلسفة هيجل مرت بخمس مراحل مختلفة في تطورها هي :

١ - **المرحلة الواقعة بين عام ١٧٩٠ - ١٨٠٠** وتتميز بمحاولة وضع صيغة أساس ديني للفلسفة وتتمثل في مجموعة الابحاث التي نشرت في هذه الفترة ، وهي كتابات الشباب اللاهوتية ٠

٢ - **شهدت الفترة ١٨٠٠ - ١٨٠١** صياغة وجهة نظر هيجل الفلسفية وظهور اهتماماته من خلال المناقشة النقدية للمذاهب المعاصرة ولا سيما مذاهب كانط ، وفختة ، وشيلنج . وأهم كتابات هيجل في هذه الفترة هي : الفارق بين مذهبي فختة وشيلنج في الفلسفة والعقيدة والمعرفة ٠

٣ - **ظهر في السنوات من ١٨٠١ الى ١٨٠٦** مذهب يينا ، وهو أول شكل من اشكال مذهب هيجل الكامل ٠٠ وأهم كتابات هذه الفترة « منطق وميتافيزيقا يينا » وفلسفة الواقع ، ومذهب الاخلاق ٠

٤ - **في عام ١٨٠٧** نشر كتاب ظاهريات الروح ٠

٥ - **والفترة الاخيرة** هي فترة المذهب النهائي ، الذي عرض هيجل خطوطه العامة منذ ١٨٠٨ - ١٨١١ في المدخل الى الفلسفة ولكنه لم يكتمل الا في عام ١٨١٧ ٠ والى هذه الفترة تنتمي الاعمال التي تؤلف أهم كتابات هيجل : علم المنطق ، موسوعة العلوم الفلسفية ، فلسفة القانون (الحق) ومختلف محاضرات برلين في فلسفة التاريخ وعلم الجمال وتاريخ الفلسفة والدين ٠

وفي ١٨٣١ انتشر وباء الكوليرا في المانيا ، وكان هيجل وعائلته يقضون الصيف في الضواحي وفي ١٤ نوفمبر ١٨٣١ توفي بعد اصابته بالكوليرا ولم يمهله الوباء سوى يوم واحد ودفن كما أوصى بجوار قبري فختة وزولجار اللذين سبقاه في كرسي الفلسفة ٠

٣ - مذهبه

ماهو اصل الكيان والفكر الانساني ؟ ماهو سر هذا العالم ؟ والفكر ؟ والانسان ؟

العالم في الاصل فكرة مطلقة تفكر بنفسها ، وهي لا تستطيع فهم نفسها بنفسها ، أي فهم نفسها

فهما مجردا ، اذ أن ذلك يعني انتهاء الفكرة المطلقة، لذلك توجد دورة تصل الفكرة في نهايتها الى فهم نفسها اى تصل الى المعرفة المطلقة ، فكل مظاهر الطبيعة والكون والعقل هي طرح الفكرة المطلقة لذاتها حتى تستطيع التوصل الى الوعي الذاتي، أي تصل الى الحرية ٠

ولقد تأثر تفكير هيجل بعناصر عديدة يمكن اجمالها في التراث الاغريقي والديانة المسيحية وحركة التنوير ، والرومانسية الفلسفية ، والفيلسوف كانط ٠

فقد أخذ هيجل مأخذ الجد قول افلاطون « الفيلسوف هو المشاهد لكافة الازمنة والموجودات » . وفلسفته هى كل متكامل ، محاولة للاحاطة بالكون كله ، فقد حاول أن يصنع للعالم الحديث ، ماصنعه ارسطو للعالم القديم ،واساس مذهبه كامن في الايمان ، ففي العقيدة المسيحية يتجلى الله باعتباره حقيقة وروحا ، ونظرا لان الروح لا تفهمها الا روح مثلها ، فان الانسان بوصفه روحا يمكنه أن يتلقى الوحى وهو اذ يتلقاه (أى يتلقى المعرفة) يتعرف على الله أى على الحقيقة المطلقة ٠

ويعتقد الفيلسوف الفرنسى المعاصر **جان فال** أن هيجل قد انطلق أصلا ابتداء من مشاكل أخلاقية ودينية ، والواقع أنه يصعب فهم هيجل تماما بغير وضع هذه الحقيقة نصب العين ، ومن الصعب أيضا التقدم في فهم كل منظورات هيجل الفلسفية بغير ادراك العلاقة القوية التى تربط فلسفته بالديانة المسيحية ، واذا اضفنا الى هذا تأثره بأفلاطون، فمن المؤكد أن هيجل وفق بين اليونان والمسيحية ، وهذا التوفيق هو موضع اللقاء الحقيقي بين الفرد والشمول اذا صح هذا التعبير ، فالروح الاغريقية روح شمول ولكنها محدودة ، أما الروح المسيحية وخاصة البروتستانتية فهى روح شمول عال وبدلا من ايجاد صراع بينهما عمد هيجل الى توحيدهما في اثبات المحدود الذى ينطوى على اثبات اللا نهائى ٠

فالمسيحية تبث حبها فى شىء غير متعين أى توجهه الى الله خالصا وخاليا من التعلق بأى شىء محدود ٠ أما اليونانية فجسمت كل شىء تجسيما ماديا محسوسا ، وحاول هيجل أن يقيم تركيبه بين النظريتين ، وان يصحح احداهما بالاخرى ، واتحد المنظوران فى فكرة اثبات المحدود الذى يشتمل على اثبات اللا نهائى ، وعمد بالتالى الى نقل هذه الحقيقة بسرعة الى داخل العقل ٠

وما لبث هيجل أن ادرك مع مضى الزمن أن التأمل ـ أى المخطط الفكرى الذى ربط به بين اليونانية والمسيحية ـ غير قادر على بلوغ الواقع الحقيقي الماثل ولهذا نراه يندفع في تتبع التكوين نفسه تتبعا زمنيا فى التاريخ مستكملا بذلك ما عساه ان يكون قد فاته بالتأمل المحض ، ويتضح ذلك في اعادة كتابته لتاريخ المسيح ثم كتاباته المتأخرة في تاريخ الفن وتاريخ الدين ٠٠ الخ ٠

ويأخذ هيجل عن أرسطو مفهوم الله بوصفه فكرا خالصا يفكر هو نفسه ، كما يأخذ عن اسلافه فى الفلسفة الحديثة الاهمية الكبرى لمعرفة العقل لذاته بوصفه عقلا ، وفى كلتا الحالتين يصبح الفكر وموضوعه شيئا واحدا ، وعن طريق هذا التوحد يصل الفكر الى المعقولية الكلية التى هى هدف جهوده الفكرية ، ويتم الوصول الى التوحد خلال خبرة الاختلاف ، فالحقيقة هى غياب الخطأ ولكنها تعرف كحقيقة لسبب واحد فقط هو المرور بتجربة الخطأ وانتصار الحقيقة ، والله فى رأى هيجل لا محدود لسبب واحد هو أنه يصل الى خلق حدود التناهى وانتصر عليها ، ووظيفة الفلسفة هى معرفة اللا متناهى وأن ترى كافة الاشياء فى الله ، ومذهب هيجل هو الواحدية الروحية ولكنها واحدية يلزم فيها التمايز اى تتفق مع الديانة المسيحية حيث الله ثلاثة فى واحد ، والروح عنده لا تعنى شيئا ميتافيزيقيا انما تعنى الوحدة التى تنتظم كل شىء فردى ، الوحدة المحدودة كل التحديد، وفى نطاق هذه الوحدة يحقق كل كائن ذاته ، لهذا فالروح معناها ، الكائن المطلق ، لذلك فانه يسميها GEIST ، ولما كانت بوصفها وحدة تعتمد على نفسها ، كانت الروح هى عملية التدفق الازلية للمعرفة فى جهادها وارتدادها الى ذاتها ٠

والمذهب الفلسفى الذى يقول بكل هذا يفهم نفسه من حيث هو « روح » ، وهكذا تمثل فلسفة هيجل الوجود وهو يمارس تجسيد نفسه تجسيدا كاملا ، أى تجسيدا مطلقا ، وهذا المذهب لا يرفع الجزئى الى نظام الكلى ، فهوليس تفكيرا تأمليا «نظريا»، بل هو يتخذ شكل خاطرة ، والخاطرات هى مهام أو مشكلات تضاف اليها حلولها ، وهذه يحددها الوجود فى مجموعه ٠

فالفلسفة والمدرك العقلى والمنهج والفكرة والروح والخاطرة والميتافيزيقا والوجود كلها عند هيجل بمعنى واحد ، فهى كلها تعنى النظر الى ما هو محدود ، على انه شىء يشتمل على الفعل ونتيجته معا ، أو قل انه يشتمل على الذات والجوهر معا ، او بعبارة ثالثة هو عملية الاقرار والشىء الذى يقر فى آن واحد ، فهذه المترادفات كلها تعنى تأمل الذات ٠

والروح لن تعرف نفسها بوصفها روحا الا بمقابلة نفسها بالطبيعة ، فهى تعطى لنفسها دوما

أشكالا يمكنها من خلالها أن تعمل • فيجب أن تتشيىء أو تتموضع فى عقيدة أو مؤسسة اذا لم تكن ترغب فى التلاشى •

فاستمتاع الروح اللامتناهى بنفسه كروح يستلزم وجود المتناهى فى شكل الطبيعة والارواح المحدودة وكافة أنواع النقص والشرور فى العالم ، ولكن فى مذهب **هيجل** الجدلى متسع لكل ذلك ويظل مع ذلك واحديا لانه يسعى لاثبات أن الحقيقة ، ان الجوهر الاساسى للمحدود ، هو اللامحدود الذى يكون المحدود هو مظاهره والتعبير عنه فى درجات متفاوتة ، فهناك لب للخير فى الشر ، وهذا اللب هو كل الحقيقة التى يمتلكها وكل ماعدا ذلك يفنى ويتلاشى ، والمذهب واحدى ايضا لان له فكرة اساسية واحدة ، فما يجعل الكون مفهوما هو ان نراه عملية دورية أبدية تصل فيها الروح الى معرفة نفسها بوصفها روحا ، اولا : من خلال تفكيرها هى ذاتها ، ثانيا : من خلال الطبيعة ، ، ثالثا : من خلال الارواح المحدودة وتعبيرها عن ذاتها فى التاريخ واكتشاف نفسها فى الفن والدين والفلسفة باعتبارها شيئا واحدا ذا روح مطلق هى ذاتها •

ولكن ما هى العملية التى يتم بها تعرف الروح على نفسها اذا كانت تعتبر نفسها فى تناقض وتقابل مع الظواهر ؟

لم ير هيجل فى التنـــاقض أى نوع من انواع اللاعقلية ، بل لقد انشأنظريته فى العقل البشرىبناء على هذا المنهج ، وقد استخدم هيجل لفظ الضمير الشقى أو المعذب Unhappy Conciousnessليعبر بهعنروح الانسان التىتسعى دوما لتحقيقانتصار الفكر ، اى الوصول الى معرفة الذات • ولذلك فالتناقض هنا لا مفر منه ولابد من الارتفاع فوقه نحو المركب من الموضوع ونقيضه ، اى السعادة • فلا مفر من اجتياز الشقاء لبلوغ السعادة ، وما دامت روح الانسان هى العالم الذى يعى نفسه فشقاء الضمير الانسانى تعبير عن التمزق وعن الشقاء الكامن فى فعل الوجود نفسه ، فالضمير المعذب او الشقى هو مرحلة الانقسام الداخلى الذى ينبغى على الفكر أن ينتصر عليه من أجل الانتقال الى السعادة ، وبهذا يكون السلب محرك التطور وعجلة التقدم •

وهذه هى العملية الديالكتيكية ، فالفكر عند هيجل يفترض التناقض كما يفترض الهوية ، غير أن التناقض أكثر عمقا وأهمية لانه أصل كل حركة ولولا وجود التناقض داخل شىء من الاشياء ما تحققت حركته وحيـويته ، وتحمـل العمليـة الديالكتيكية ثلاث لحظات تسمى الموضوع ،ونقيض الموضوع والمركب من الموضوع ونقيضه أو الاثبات والنفى ونفى النفى •

فاذا بدأنا بالوجود استصفينا منه اللاوجود أو العدم ، ثم نستخلص الصيرورة من العـلاقات بينهما ، وهذه هى مقولات المنطق الهيجلى الثلاث الاولى وتفرض هذه العملية الثالوثية نفسهـا فرضا عن طريق الضرورة العقلية ، والعقل هو المنطق وهو الموضوعى المستقل عنا .

وقد كان أرسطو وكانط حصمين للجدل ، ولكن هيجل استطاع اكتشاف بدور التفكير الجدلى عند كانط ، اذ لاحظ أن كانط عند دراسته للمقولات قد نظمها على نحو معين بحيث يبدو الطرف الثالث فى كل جدول عبارة عن عملية تأليفيه من الطرفين الاوليين ، وكان ذلك احد أوجه تاثير كانط على هيجل ، أما الوجه الاخر فهو تخطى قـول كانط « بالشىء فى ذاته» فعند هيجل لا يمكن وجود حقائق خارج نطاق المعرفة ،اما لدى كانط فهناكما نعرفه» وهو الشىء ذاته » وهناك الا نستطيع معرفته وهو « الشىء فى ذاته » •

وقد شرح هيجل طريقته الجدلية قائلا : « هناك ثلاثه اوجه فى كل فكر حقيقية أو صادقة منطقيا وهى : الشكل التجريدى أو الشكلى الذى يعرفنا بما هو الشىء ، ثم النفى الديالكتيكى الذى يعرفنا بما ليس هو الشىء ، ثم الفهم العينى التاملى بأن ما هو أ هو أيضا ما ليس أ أى أ هى لا أ • وهذه الاوجه الثلاثة لاتشكل اجزاء ثلاثة للمنطق ، ولكنها لحظات لكل شىء حقيقى وصادق منطقيا ، فهى تصدق على كل تصور فلسفى • فكل تصور يكون عقليا ويتعارف تجريديا مع غيره ، ويتحد فى الفهم مع أضداده • وهذا هو تعريف الديالكتيك ••

الفينومنولوجيا

فى هذا الكتاب يصف هيجل تطور العقـل ومظاهره ابتداء من أشد الافعال بدائية للوعى الفردى حتى المعرفة المطلقة والحرية ، فيقودنا فى رحلة الفيلسوف لاكتشاف المطلق . فيقول « لقد أطلقت حركة الوعى ابتداء من التعارف الفج الاول بينه وبين الموضوع حتى المعرفة المطلقة ، وتسرى هذه العملية خلال كافة أشكال العلاقة بين الفكر والموضوع حتى تصل الى مستوى نظرية للمعرفة نتيجة لها » •

فالموقف الفطرى البدائى للوعى تجاه الوجود هو الاعتماد على ادلة الحواس ، ولكن قليلا من التفكير كاف ليبين أن الحقيقة المنسوبة للعالم الخارجى ترجع الى التصورات العقلية مثلما ترجع الى الحواس ، وأن هذه التصورات تروغ منا عندما نحاول تثبيتها ، فاذا كان الوعى لا يستطيع أن يكتشف موضوعا واحدا ثابتا خارج ذاته فان الوعى بالذات لا يمكنه أن يجد ذاتا دائمة داخل نفسه ، وقد يستطيع ان يؤكد حريته بالابعاد عن

تشابكات الحياة الواقعية ، أو ربما ينظر بشك الى العالم بوصفه وهما ، أو يمكنه فى النهاية بوصفه « ضميرا شقيا » أن يصبح حدثا متوترا لا يصل الى التحقق ، ولكن بهذا الانعزال عن العالم يغلق الوعى بالذات أبوابه أمام تيار الحياة المتدفق ، وادراك هذا هو العقل Reason

ان هيجل يبدأ من تأكد الفرد الذاتى النابع من أبسط الاحداث اليومية ، حيث يواجه الفرد عالما خارجيا غريبا عنه • فالفرد يرى منزلا وهذه حقيقة حسية اذ أن كلا من الذات والموضوع يوجد منفردا كمعطى خالص ، ولكن « أنا » وكذلك « المنزل » قد « ننفى » فيحل محل المنزل شيء آخر فى مجال بصرى ويحل محلى شخص آخر ، ويؤدى هذا الى مفهوم« المكان » « والزمان » وهى مفهومات كلية ، ويقول هيجل أن الكلى هو حقيقة مؤكدة حسيا وأن عملية الوصول الى الكليات هى عملية نفى •

وفى تلك اللحظة تتحول التأكيدات الحسية الى مدركات ، وهنا نتعرض للاشياء الثابتة رغم تغيرات المكان والزمان ، فالاشياء لها صفات خاصة بصرف النظر عن الزمان والمكان وهكذا يوضع الشيء بوضوح بوصفه نفيا مطلقا لكافة الكليات ، فهو وحدة وكثرة فى نفس الوقت ، انه وحدة الاضداد •

ومن هنا يبدأ التحليل التجريدى فنترك مجال الادراك وندخل هى الظاهريات ، فقد تخطينا الفهم ودخلنا العقل Reason وفى هذا العالم العلوى للمعرفة تؤدى دروب الوعى الى الوعى بالذات حيث ندخل فى المملكة الداخليةللحقيقة ، ففى مجال الوعى بالذات لا يوجد أنا بل نحن •

وينتقل هيجل بذلك الى الاطار الاجتماعى ، فهو فى الفنومنولوجيا لا يصف الخبرات الشخصية للعقل فحسب ولكن خبرات الانسان فى التاريخ أيضا ، وتتميز لغته فى هذه المنطقة بالغموض الشديد بحيث يصعب تحديد الاحداث أو الفترات التاريخية التى يقصدها .

ويشير هيجل الى أن « الانا » و « والاخر » ليسا متشابهين : فالوعى الذاتىيتصارع مع « التعارض مع الذات » ، ويؤدى هذا الى الانقسام الى السيد والعبد ، وخلال العمل يكتشف كل من السيد والعبد نفسه أى عقله الذاتى •

وينتقل هيجل الى البحث عن « حرية الوعى الذاتى » فيجدها فى التاريخ ، فيصف المراحل التى مرت بها الامبراطورية الرومانية ، ثم الضمير المعذب فى الحياة الدينية للعصور الوسطى ، ويمر بعد ذلك خلال مراحل العقل حيث يواجه الطبيعة ، ثم مراحل العقل الموضوعى حيث يواجه القانون والاخلاق والثقافة واللغة والدين ، ويصل فى النهاية الى المرحلة الاخيرة ، المعرفة المطلقة حيث يحرر العقل نفسه وتظهر كافة الاساليب السابقة للوعى فى مكانها الطبيعى • وهذه العملية أى عملية تحرير الذات من الاشكال هى أعلى حرية وأكبر ضمان لمعرفة الذات نفسها بنفسها • وهذا هو مجال الفلسفة الحقيقى •

• • •

أن الحقيقة التى يعتبر التعرف عليها شغل الفلسفة الشاغل لم تعد على يد هيجل مجاميع من القضايا المنمقة الجامدة ، التى ما ان يماط اللثام عنها حتى ينبغى أن تحفظ عن ظهر قلب • لقد أصبحت الحقيقة تكمن الان فى عملية التعرف نفسها ، فى التطور التاريخى الطويل للعلم الذى يرقى أبدا من المستويات الدنيا الى المستويات العليا من المعرفة • وكل ما يصح فى مجال المعرفة الفلسفية يصح ايضا بالنسبة لكل انواع المعرفة الاخرى وللنشاط العملى كذلك ، وكما أن المعرفة عاجزة عن بلوغ نتائج كاملة عند توفر ظروف كاملة ومثالية للبشرية فكذلك شأن التاريخ « فالمجتمع الكامل » « والدولة الكاملة » أمور لا يمكن أن توجد الا فى الخيال ، وعلى النقيض من ذلك فان كافة النظم التاريخية المتعاقبة ليست سوى مراحل انتقالية فى مجرى تطور لا نهائى ، فكل مرحلة لها ضرورتها ومن ثم فهناك ما يبررها بالنسبة للزمن وللظروف التى تدين لها المرحلة بوجودها ، ولكنها فى مواجهة الظروف الجديدة الارقى التى تتكون فى احشائها تدريجيا تفقد صلاحياتها ومبرراتها ، وينبغى عليها أن تفسح الطريق لمرحلة أرقى ستتحلل وتفنى بدورها •

فالفلسفة الديالكتيكية لا ترى أن هناك شيئا نهائيا مطلقا أو مقدسا ، انها تكشف عن الطابع الانتقالى لكل شيء وفى كل شيء • فليس هناك شيء يمكن أن يصمد أمامها اللهم الا تلك العملية التى لا تهدأ ولا تنقطع ، عملية الصيرورة والزوال والارتقاء اللانهائى من الادنى الى الاعلى ، بيد أن الفلسفة الديالكتيكية لها أيضا جانبها المحافظ فهى تسلم بأن المراحل المحددة من المعرفة والمجتمع لها ما يبررها فى زمانها وظروفها ولكنها لا تزيد على ذلك شيئا ، والجانب المحافظ لهذه النظرة نسبى بينما طابعها الثورى مطلق •

ان أراء هيجل التى حاولنا بلورتها فى الفقرة السابقة ليست محددة بهذه الدقة بل هى نتيجة ضرورية لمنهجه ، كما انه لم يستخلصها ابدا بمثل هذا الوضوح ، وهذا راجع فى الحقيقة لسبب بسيط هو انه كان مضطرا لاقامة مذهب ، وطبقا للمتطلبات التقليدية يجب على كل مذهب فلسفى ان ينتهى الى نوع او آخر من الحقيقة المطلقة • ولذا فكثيرا ما أكد هيجل خاصة فى كتابه « المنطق » أن الحقيقة الابدية ليست سوى العملية المنطقية أو

التاريخية ذاتها ، ومع ذلك فقد وجد نفسه مضطرا ان يصل بهذه العملية المنطقية التاريخية الى نهاية لان عليه أن يصل بمذهبه الى نهاية عند موضع أو آخر .

وتبين وقائع التاريخ كيف ان هذا المذهب الثورى انتهى الى نتيجة سياسية غاية فى الضعف نظرا لان ضرورات المذهب المحافظة غطت على جانبه الثورى ، ومن البديهى أن هيجل اضطر نظرا لاحتياجات المذهب الى اقامة بعض التراكيب المتعسفة التى يحاول بعض خصومه اثارة ضجة حولها ، ولكن المذهب هو عادة الشيء الذى لا اهمية له لدى كافة الفلاسفة لانه ينبع من تلك الرغبة التى لا تتوقف للعقل الانسانى وهى الرغبة فى التغلب على كافة المتناقضات .

وعلى اى حال فالفلسفة تنتهى على يد هيجل ، لانه من ناحية قد لخص فى مذهبه كل تطورها الشامل فى أروع صورة ، ومن ناحية اخرى ابان لنا طريق الخروج من تيه المذاهب الى المعرفة الموضوعية الحقة للعالم .

٤ ـ اليمين واليسار الهيجلى

نستطيع ان نتخيل الاثر الهائل الذى كان لابد ان يحدثه هذا المذهب الهيجلى فى جو المانيا المفعم بالفلسفة ، لقد كان موكبا مظفرا لم يتوقف على الاطلاق بموت هيجل ، بل على العكس لقد كانت الفترة ما بين ١٨٣٠ ، ١٨٤٠ بالتحديد هى الفترة التى سادت فيها الهيجلية كلية ، وسرت عدواها بقدر او بآخر حتى الى خصومه ، فقد نفذت الاراء الهيجلية عن وعى أو غير وعى وعلى أوسع نطاق الى العلوم المختلفة ، وهزت حتى الادب الشعبى والصحافة اليومية التى يستمد منها المثقف العادى غذاءه الذهنى ، الا ان هذا الانتصار لم يكن الا تمهيدا لصراع داخلى .

وكما رأينا فان المذهب الهيجلى فى جملته قد ترك متسعا يأوى أشد الاراء الحزبية والعملية اختلافا ، وكان الموضوعان السائدان اذ ذاك فى الدوائر النظرية فى المانيا هما السياسة والدين ، فمن جعل سنده الرئيسى « المذهب » كان بحق محافظا فى كلا الميدانين ومن اعتبر المنهج الديالكتيكى سنده الرئيسى انتمى الى أشد المعارضين تطرفا فى كلا الميدانين ، ولقد كان هيجل نفسه رغم تعدد انفجارات الحقد الثورى فى مؤلفاته يبدو فى الاغلب الاعم أشد ميلا الى الجانب المحافظ ، وقبيل نهاية العقد الثالث من القرن التاسع عشر ازداد اتضاح الانشقاق فى مدرسته فقد تخلى الجناح اليسارى المعروف باسم الهيجليين الشبان شيئا فشيئا خلال صراعه مع الارثوذكس الورعين والرجعيين الاقطاعيين تخلى عن ذلك التحفظ الفلسفى المهذب تجاه المشكلات الملحة فى ذلك الوقت ، وهو الموقف الذى كان قد كفل تسامح الدولة ورعايتها لتعاليمهم حتى ذلك الحين ، وعندما ارتقى فردريك وليم الرابع العرش فى عام ١٨٤٠ وسيطرت فى ظله الارثوذكسية ، الورعة والاقطاعية الاستبدادية الرجعية أصبح من العسير تجنب الصراع المكشوف ، ولقد ظل الصراع يدور بالاسلحة الفلسفية غير أنه لم يعد ذا أهداف فلسفية مجردة ، فقد انقلب مباشرة الى تقويض أركان الدين التقليدى والدولة القائمة ، فظهرت مجلة الحوليات الالمانية (لسان حال الهيجليين الشبان) ورأس تحريرها أ . روج ، واخترماير فى ليبزيج (١٨٤١ ـ ١٨٤٣) وكانت لاتزال تقدم الاهداف العملية فى ثوب فلسفى أساسا ، وعبرت المدرسة الهيجلية اليسارية كذلك عن نفسها مباشرة فى (مجلة الراين) ١٨٤٢ بوصفها فلسفة البورجوازية الرادكيالية مستخدمة رداء فلسفيا شفافا بغرض تضليل الرقابة .

ولما كانت السياسة فى ذلك الوقت ميدانا شائكا للغاية فقد اتجه الكفاح الرئيسى ضد الدين ، ولو أن هذا الكفاح كان سياسيا كذلك بشكل غير مباشر خاصة منذ ١٨٤٠ ، وكان كتاب شتراوس « حياة يسوع » ١٨٣٥ هو الشرارة الاولى فقد دفعت النظرية المعروضة فى هذا الكتاب عن تكوين أساطير الانجيل ، دفعت برونوباور فيما بعد الى نقضها ببرهان مؤداه ان مؤلفى الاناجيل قد أضافوا فصولا من عندهم ، واحتدم الجدل بينهما تحت ستار معركة فلسفية بين « الوعى الذاتى » و « الجوهر » ثم تضخمت المسألة فأصبحت : أيهما القوة المحركة الحاسمة فى تاريخ العالم .. الجوهر أو الوعى الذاتى ؟ وتدخل ماكس شتيرنر ـ نبى الفوضوية وأستاذ باكونين ـ فأحل سلطان الانا محل الوعى الذاتى .

الا أن الجزء الاشد عزما من الهيجليين الشبان ارتد الى المادية الانجليزية والفرنسية تحت ضغط الضرورات العملية لنضاله ضد الدين الوضعى وأوقعهم هذا فى صراع مع مذهب مدرستهم ، فبينما تعتبر المادية الطبيعة هى الواقع الاوحد يرى المذهب الهيجلى أن الطبيعة هى مجرد تخلى الفكرة المطلقة عن جوهرها أى انحدار الفكرة المطلقة ، وعلى أى حال فان التفكير وناتجه الفكرى اى الفكرة المطلقة هو الاساسى ، والطبيعة هى الاشتقاق ، فالطبيعة لا توجد مطلقا الا بتنازل الفكرة المطلقة ، وانغمس الهيجليون فى الصراع حول هذه الافكار حتى ظهر كتاب فيورباخ « جوهر المسيحية » ١٨٤١ فسحق التناقض وأعاد المادية الى عرشها دون تردد ، فالطبيعة موجودة فى استقلال تام عن كل فلسفة فهى الاساس الذى نشأنا

نحن معشر الكائنات الانسانية فوقه ، فلا شيء يوجد خارج الطبيعة والانسان . أما الكائنات الاعلى التى خلقتها خيالاتنا الدينية فليست الا الانعكاسات الخيالية لماهيتنا نحن .

أما اليمين الهيجلى الذى تمسك « بالمذهب » و « المثالية » فقد حاول تفسير تعاليم هيجل بروح مسيحية ارثوذكسية ، واستفادوا فى البداية (هوشل ، هنريخ ، جابلر) من التناقضات وعدم الاتساق بين الفلسفة والدين فى المذهب الهيجلى ليخرجوا منها بتأليف بين العقيدة والعقل، وذلك ليواجهوا الراديكاليين وأصروا على تصحيح هيجل فى ضوء روح شيلنج ولاهوت ليبنتز .

لقد كان شتراوس وباور وشتيرنر وفيورباخ ثمارا للفلسفة الهيجلية بالقدر الذى التزموا فيه ميدان الفلسفة ، ولكن النزعة الوحيدة التى حملت ثمرة حقيقته كانت هى النزعة الماركسية . فقد انضم كارل ماركس وفردريك انجلز الى الهيجليين الشبان عام ١٨٤٠ فقد أدى موقفهما النقدى من الحركة الى كشف قصور التحليل الحدسى لخالص للوعى الاجتماعى والى ضرورة بحث العلاقات الاجتماعية المادية لكى نستخلص منها الحياة الروحية للمجتمع .

وقد انطلق ماركس من مادية فيورباخ التى وقفت فى منتصف الطريق فكان أساسها ماديا ونتائجها مثالية ، فقد عجز فيورباخ عن التخلص من هيجل عن طريق نقد مذهبه فألقى به ببساطة جانبا باعتباره عديم الجدوى ، على حين لو قورن فيورباخ بالثراء الموسوعى للمذهب الهيجلى لبدا وكأنه لم يحقق شيئا .

ولكن ماركس لم يطرح هيجل ببساطة جانبا، بل على العكس بدأ من الجانب الثورى لفلسفته وهو المنهج الديالكتيكى ، لقد كان هيجل يرى أن الديالكتيك هو التطور الذاتى للفكرة المطلقة ، وهذه الفكرة الكلية المطلقة لا توجد منذ الازل فحسب ولكنها أيضا الروح الحية القائمة للعالم الموجود كله ، فالفكرة المطلقة تتطور الى ذاتها خلال كافة المراحل التمهيدية التى درست بتوسع فى « المنطق » ثم تتخلى الفكرة المطلقة عن جرهرها بأن تتحول الى الطبيعة حيث تمر بتطور جديد دون أن تعى بنفسها متخذة شكل الضرورة الكامنة فى الطبيعة ، لتعود ثانية للوعى بالذات فى الانسان ، ومن ثم يطور هذا الوعى بالذات نفسه ويتشكل مرة أخرى فى التاريخ بادئا من أشكاله البدائية حتى تعود الفكرة المطلقة فى النهاية الى ذاتها تماما فى الفلسفة الهيجلية .

لذا فالتطور الديالكتيكى الظاهر فى الطبيعة والتاريخ ليس عند هيجل سوى نسخة من الحركة الذاتية للفكرة المطلقة المستمرة منذ الازل ، تلك الفكرة التى لا يعلم مكانها أحد ، ولكنها على أية حال مستقلة عن أى ذهن بشرى مفكر .

وتخلص ماركس من هذا الاتجاه الفكرى المغلوط ففهم التصورات الموجودة فى رؤوس البشر بشكل مادى بوصفها صورا لاشياء واقعية بدلا من اعتبار الاشياء الواقعية صورا لهذه المرحلة أو تلك من مراحل الفكرة المطلقة ، وهكذا قصر الديالكتيك نفسه على علم القوانين العامة للحركة فى كل من العالم الخارجى والفكر الانسانى وأصبح مجرد الانعكاس الواعى للحركة الديالكتيكية للعالم الواقعى .

■■■



لفظ

ديالكتيك يعنى فى الاصل اليونانى . الحوار . اذ هو مشتق من لفظة dialegesthia . ومعناها « تقابل الناس سويا من أجل الحوار » .

والغاية من الحوار **الاقناع** .

والاقناع يستند على **برهان** .

ولهذا قيل عن الديالكتيك انه فن البرهان

وارتأى أرسطو أن مبدع هذا الفن هو زينون الايلى ، اذ اثينا مع أستاذه بارمنيدس حوالى منتصف القرن الخامس ، فالتقى ابان اقامته فيها بالرياضيين ، وكانت أبحاثهم تدور على طبيعة المقدار .

تساءلوا : ما المقدار ؟ أهو متصل أم منفصل وكان جوابهم أن المقدار منفصل ، أى مؤلف من وحدات منفصلة .

أما بارمنيدس فقد ذهب الى الضد من ذلك ■

فارتأى أن العالم واحد ثابت ، ومن ثم أنكر الكثرة والتغير ، واعتبرهما وهما وظنا .

وقصد زينون الى الديالكتيك دفاعا عن الوحدة والثبات ، فكشف عن التناقضات التى تنطوى عليها الحركة ،فالشيء يكون فى آن واحد هنا وليس هنا .

واعجاب هيجل بزينون مردود الى ربطه التناقض بالديالكتيك ، الامر الذى يؤدى الى ضرورة اعادة النظر فى المنطق الصورى، ذلك ان المبدأ الذى يقوم عليه هذا المنطق هو مبدأ عدم التناقض ، وصيغته « يمتنع ان يوجد الشيء وان لا يوجد فى نفس الوقت ومن نفس الجهة » وتفيد هذه الصيغة أن « ليس الوجود اللاوجود » .

وهذه الصيغة، سواء فى شكلها الاول، أو فى شكلها الثانى ، تنطوى على رفض لوجود التناقضات سواء فى الفكر او فى الوجود.

ومع ذلك فالامر الواقع يشهد على الضد من ذلك فلكل عصر تناقضاته .

وتناقضات العصر أيام هيجل بين الثورة البورجوازية فى فرنسا عام ١٧٨٩ وبين النظام الاقطاعى فى أوربا وبالاخص فى ألمانيا .

والتناقضات فى حاجة الى منطق جديد غير المنطق الصورى ، منطق يقر مبدأ جديدا هو مبدأ التناقض بديلا عن مبدأ عدم التناقض .

وهيجل هو مؤسس هذا المنطق الجديد ، المنطق الديالكتيكى فى مقابل المنطق القديم ، المنطق الصورى .

وأول ما فعله هيجل ، هو أنه قصد الى انكار مبدأ عدم التناقض فاتخذ من معنى الوجود وسيلة الى ذلك .

ومعنى الوجود عند هيجل ، هو أعم معنى ، ولهذا فهو أفقر معنى من حيث انه خلو من كل تعيين ، وما كان خلوا من كل تعيين فهو لا وجود .

اذن الوجود واللاوجود سيان ، يقول هيجل « فمن حيث ان الوجود لا متعين فهو ليس على ما هو عليه فهو ليس وجودا وانما عدم » . وهكذا يمكن الانتقال من الوجود الى العدم ، ومن العدم الى الوجود .

ونتيجة هذا الانتقال ليس وجودا محضا ، ولا عدما محضا ، بل وجودا متحدا مع السلب ، ويسميه هيجل الوجود المتعين ، أى الموجود .

والوجود المتعين فى حالة صيرورة ، ذلك أن الصيرورة تعنى اختفاء الوجود فى العدم أو تحول الوجود الى شيء غير ذاته ، ثم هى تعنى اختفاء العدم فى الوجود .

والصيرورة ، بهذا المعنى ، ليست تحولا كميا بل تحولا كيفيا ، يدلل على ذلك بمثال من الكيمياء . فالماء مركب من الاكسجين والايدروجين ولكنه يختلف عن كليهما .

الصيرورة اذن كيف .

ولكن **الكيف** تعين **للموجود** .

وكل تعين سلب

اذن فالكيف سلب .

وسلب الشيء معناه وضع حد له ، أى وضع ما ينافيه ويعارضه .

اذن الوجود المعين له ما يعارضه وينافيه فيبدو مضافا .

والاضافة تتضمن التناهى ، لان وجود الاضافة يعنى ان الشيء متناه .

والشيء المتناهى يومىء الى الاخر .

والاخر بدوره شيء .

اذن الموجود المتناهى يقبل كل تعيين .

وما يقبل أى تعيين فانه يصير الى ما لا نهاية .

اذن المتناهى لا متناه .

وهذا تناقض

بيد أن هذا التناقض ينحل ويختفى فى معنى «الشيء» أى الجزئى أوالواحد الذى هو اللامتناهى، وقد تحقق وتعين وتوحد .

ولكن علاقة الواحد لا تكون الا بذاته فقط .

ومع ذلك فهذه العلاقة سلبية لانها تشير الى أن الواحد له آخر .

اذن الواحد على علاقة بذاته وبالاخر ، ومن ثم فالواحد كثير .

والكثرة كم ، وهذه هى المقولة الثانية بعد مقولة الكيف التى تحدد الوجود .

والكم منه المتصل ومنه المنفصل .

والكم المتصل هو واحد بالفعل كثير بالقوة على حد تعبير أرسطو .

والكم المنفصل هو العدد ، والعدد فى ذاته متناه وغير متناه .

وبين الكميات نسب ، والنسبة كيف ، ومن ثم يبدأ الكيف فى الظهور من جديد .

اذن النسبة تربط بين الكم والكيف .

والمقدار هو المركب منهما ، وهذه هى المقولة الثالثة .

والخلاصة ان الموجود المعين يتحدد بمقولات

ثلاث اكتشفها هيجل بفضل الديالكتيك وهى على النحو التالى :

الكيف والكم والمقدار :

بيد ان هذه المقولات تفضى الى البحث فى الماهية · ذلك ان الماهية تعنى أن ثمة « باطنا » للشيء ·

ولكن الباطن لا يدفصل عن الظاهر ، اذ آن الباطن لا ينكشف الا بفضل الظاهر ·

اذن علاقة الماهية بالظاهر بيست الا علاقتها بذاتها ·

وهذه هى الهوية

بيد ان الهويه هنا مباينة للهوية كما هى فى المنطق الصورى · ذلك أن مبدأ الهوية هو تحصيل حاصل. فصيغته « أ هى أ ». وهذه الصيغة تفيد انعدام التنوع ، فى حين ان الهوية عند هيجل ، تنطوى على التنوع ، اذ أن علاقة الماهية بذاتها يعنى تميز ذاتها عن ذاتها ·

والهوية يناقضها التنوع ·

وفى التنوع يميز هيجل ثلاث درجات :

الآخرية ـ التضاد ـ التناقض

الآخرية تنطوى على الاختلاف ، والاختلاف يتضمن الهوية ·

الاختلاف اذن تضاد ·

وصياغة هذه المفاهيم جميعا ليس ممكنا الا بواسطة قانون التناقض ، وهو القانون المعبر عن حقيقة الوجود ·

ولهذا ليس ثمة مبرر لاقرار وجود عالمين : احدهما عالم « الاشياء بالذات » ، والاخر عالم « الظواهر » ، كما يدعو الى ذلك **كانط**، فكل من العالمين يتضمن الاخر ، ذلك آن الماهية او الشيء بالذات وجود داخلي والظاهرة وجود خارجي ·

اذن الماهية والظاهرة متحدان فى هوية واحدة ، وهذا الاتحاد يفضى بنا الى ما يسميه هيجل بالوجود الماهوى ·

ـ **والوجود الماهوى** على مستويات متباينة :

ـ **الوجود الصورى** ـ الوجود الممكن ·

ـ **الوجود الضرورى نسبيا** ـالوجود الضرورى بالاطلاق ·

والذى يهمنا ، فى هذا العرض ، هو الوجود الضرورى بالاطلاق ·

والعلاقات التى ينطوى عليها هذا المستوى من الوجود هى على النحو الاتى :

ـ الجوهر والعرض

ـ العلة والمعلول

ـ التفاعل

تفصيل ذلك :

ـ **يقرر هيجل** ـ كما جاء فىفقرة سابقة ـ أنه من الجوهرى للماهية ان تظهر ، وللظاهرة أن تنم عن الماهية ·

الماهية اذن فاعل والظاهرة وظيفتها ·

والماهية من حيث هى مبدأ فاعل « جوهر » ·

ولكن ما يخرجه الجوهر ليس الا ذاته ، يظهره ثم يمتصه من جديد باعتباره تحولا فى وجوده · وهذا ما يسمى بـ « العرض » ·

الجوهر اذن مفتقر الى العرض لكى يظهر ومعنى ذلك ان الجوهر عرض ، والعرض جوهر ·

وطبيعة العلاقة بينهما ماذا تكون ؟

انها علاقة علية ، اى علاقة بين علة ومعلول ·

ولكن ثمة سؤال لابد ان يثار :

أيهما علة وأيهما معلول ؟

قول شائع فى تاريخ الفلسفة ان الجوهر علة والعرض معلول ·

ولكن هيجل على الضد من القول الشائع يذهب الى ان كلا منهما علة ومعلول ·

لماذا ؟

لان كلا منهما جوهر · كل ما هناك من فارق أن احدهما جوهر فاعل والاخر جوهر منفعل ·

ولكن كل ماهو فاعل فهومنفعل ، وكل ماهو منفعل فهو فاعل · ومن ثم ينتهى التمايز بين العلة والمعلول ، وهذا هو التفاعل ·

والخلاصة أن الديالكتيك ، عند هيجل ، يبدأ بالوجود ثم يثنى بالماهية ، ولكنه لا يقف عندهما ، اذ لابد من المركب منهما ، ويطلق هيجل على المركب لفظة « الفكرة الكلية » ، يقول « ليس الوجود والماهية الا لحظتين من لحظات الفكر ·· ومعنى ذلك ان الفكر هو حقيقتهما ، وهو أساسهما لانه الهوية التى تجمعهما معا ·· ومعناه ايضا أن الوجود والماهية تضمنتا البذور الاولى للفكرة الكلية » . بمعنى أن الفكرة الكلية ظهرت ضمنيا فى صورة الوجود ثم تطورت فى صورة الماهية ·· وبعد ذلك ظهرت فى صورة الفكر ·

والفكرة الكلية . فى النهاية ، تظهر فى صورة الفكرة المطلقة ، والفكرة المطلقة وجود وهى الطبيعة .

ومعنى ذلك أن الفكرة الكلية معبر الى فلسفة الطبيعة ، فالطبيعة هى « الوجود ـ الاخر » للفكرة الكلية ، أى أن الطبيعة تخارج ومادية ، أى هى المظهر الخارجى للفكرة الكلية ، تعارضها وتنافيها .

والطبيعة ذاتها تتطور بدورها وفقا للحركة الثلاثية للديالكتيك .

فالطبيعة على الضد من المنطق، المنطق يخلو من الزمان والمكان فى حين ان الطبيعة لها زمان ومكان ، وهذان المعنيان هما نقطة البداية فى الميكانيكا .

والزمان له ثلاثة أبعاد : الحاضر والماضى والمستقبل ، وهذه الابعاد يتولد عنها معنى المكان والحركة .

وثمة تعارض بين الزمان والمكان،والوحدة بينها تسمى المادة ، والجاذبية فى مركز المادة ، والمركز هو « الذات » المادة ، ومن هنا يبدأ الروح فى الظهور .

والروح معارض للطبيعة ، ولكن الروح يتغلب على هذا التعارض بأن يستعيد ذاته بمعرفة ذاته .

والروح يتطور بدوره وفقا للحركة الثلاثية للديالكتيك :

- الروح فى ذاته وهو الفرد .
- الروح لذاته وهو المجتمع .
- الروح فى ذاته ولذاته وهو الروح المطلق .

وهكذا يتميز ديالكتيك هيجل بأنه على علاقة جوهرية بالمطلق ، فالمطلق هو نقطة البداية ، وهو نقطة النهاية .

والمطلق معتقد dogma

ولهذا فان ديالكتيك هيجل ليس مجرد منهج انما هو أيضا مذهب دجماطيقى .

وجاءت الماركسية فأخذت بالديالكتيك كمنهج ليس الا ووصمت المذهب الهيجلى بأنه تصورى idéalisme

ومع ذلك فان الماركسية لم تستبعد المطلق من الديالكتيك ، الا أنها لم تأخذ به كنقطة البداية ، وانما كنقطة نهاية تتحقق فى التقدم اللانهائى للانسانية .

وقد أوضح هذه المعادلة الصعبة لينين فى كتابه « المادية والنقدية التجريبية » اذ هو فى هذا الكتاب يركز على الديالكتيك القائم بين المعرفة المطلقة والمعرفة النسبية فيقرر ان المعرفة المطلقة ممكنة ولكن فى اللانهائى .

■■■

٣

هيجل يتحصن خلف قلاع الحرية

مجاهد عبد المنعم مجاهد

الآن **هيجل ليس مفكرا متوسطا** ، فانه لا يطرح « موضوعا » يشتغل عليه تفكيره بشكل أكاديمي جامد، بل يطرح « مشكلة » يعانيها من الباطن ويسعى لرفع الاشكال الذى بها .. ومشكلة المشاكل التى تؤرق هيجل هى مشكلة الحياة وكيف يمكن تغييرها للاحسن .. ووسيلة هيجل فى هذا هى العقل الذى سيقوم بعملية تحرير الانسان الذى سيقوم بدوره بتغيير الحياة نحو الاجمل .. ويظل الانسان فى سعيه هذا طوال الحقب التاريخية مدفوعا بالحرية وهادفا الى الحرية الى ان يحقق الحرية القصوى مع سقوط كل استغلال يفرضه النظام الرأسمالى الذى يفرض ارغاما على الفرد ناتجا عن « الاعتماد المتبادل المعقد لكل فرد على الكل ، وهو الان يقدم نفسه لكل منهم على أنه رأس المال الدائم ثم الكلى الذى يعطى لكل فرد الفرصة عن طريق ممارسة الفرد لتربيته ومهارته لاستخراج نصيب منه يمكنه من معيشته ، على حين أن تكسبه هكذا من عمله انما يحتفظ ويزيد من رأس المال العام كما ذكر هيجل فى كتابه « **فلسفة الحق** » [ص ١٣٠] ، ومع سقوط كل تقييد يفرض على النفس وكل حد خارجى يحدها من الخارج كما أوضح استيس فى كتابه « **فلسفة هيجل** » ، « تقوم الحرية فى الا نتحدد بالاخر » [ص ٣٧٣] .

يقول هيجل فى كتابه « **الكتابات اللاهوتية المبكرة** » : « اذا قام متفرج بزيارة معبد، وبدون أى شعور بالتقوى نظر اليه بشكل محض على أنه بناء ، فربما يملؤه هذا بالجلال ، ولكن حينئذ تصبح جدرانه ضيقة للغاية ، انه يحاول أن يمنح نفسه مسافة بأن يفرد ذراعيه ويرفع رأسه الى اللانهائية ، ان حدود البناء التى أثارت احساس الجمال لديه تفقد هكذا أهميتها بالنسبة له ، ويطلب المزيد ألا وهو اللا نهائية » .. ويعلق روبرت تكر فى كتابه « **الفلسفة والاسطورة عند كارل ماركس** » على هذا بقوله ، « ان هيجل هو المتفرج الذى يحاول ان يجد لنفسه [مسافة] ، وذلك بأن يرفع رأسه للانهائية » [ص ٤٢] .. انها ليست مجرد صورة شعرية، بل فى هذه الصورة تكمن حقيقة الهيجلية كفلسفة تحاول أن تساعد الفرد والمجتمع على السواء أن يحققا تحررهما الكامل لا ضد الطبيعة بل بالطبيعة ، ولا ضد التاريخ بل مع التاريخ ، فالامر على ما أوضحه جان هيبوليت فى كتابه « **مدخل الى فلسفة التاريخ عند هيجل** » ، « بالنسبة لهيجل الشاب لم تكن الحرية هى الحرية المتعسفة لدى الفرد ، بل كانت علاقة التناغم بين الفرد والمدنية » (ص ٣٥) .

يقول لنا هربرت ماركوزة فى كتابه « **العقل والثورة ، هيجل ونشوء النظرية الاجتماعية** » : « فى عام ١٧٩٣ كتب هيجل الى شيلنج: العقل والحرية يظلان مبادئنا» [ص ١١] .. **فاذا تناسج العقل والحرية مع الجدل امكننا أن نتبين التوليفة الهيجلية الفريدة التى تنعكس فى أى موضوع يدرسه سواء كان المنطق او الفلسفه أو التاريخ أو الدين أو الفن** .. لقد كان هيجل الذى جعل من قراءة الصحف صلاة صباحه اليومية مشبعا بأحلام الثورة الفرنسية التى ترفع شعار الحرية والتى عاصرها شابا ، غير أنه لم يكن مشبعا اطلاقا بالعنصر الغوغائى فيها واستسلامها لبغائية الجماهير ، وظل هذا شيئا أساسيا فى تفكيره ، وعندما كتب « فلسفة الحق » عام ١٩٢٠ قبل وفاته باحدى عشرة سنة كتبه وفى ذهنه الدولة البروسية ، وذلك « كدفاع عن الدولة ضد هذه الايديولوجيا الديمقراطية المزيفة التى رأى فيها تهديدا أكثر خطورة للحرية عن الحكم المستنير للسلطات القائمة » [ماركوزة : ص ١٨٠] وهو بهذا انما يكن احتراما أعمق للجماهير التى يريد أن يقودها بالعقل ولا يريدها ان تندفع بحسها التلقائى الذى قد يصيب أحيانا لكنه يفضى الى كوارث أحيانا أخرى ، فهيجل أعدى أعدائه الحساسية الفجة حتى لقد جعل « مهمة تحطيم نبضة الحس العام المشترك مهمة خاصة يضطلع بها المنطق الجدلى » [ماركوزة : ص ١٢٣] وأعدى أعدائه الاستسلام للرأى العام ، ومن ثم « **فان تكون مستقلا عن الرأى العام هو الشرط الصورى الاول لانجاز أى شىء عظيم أو عقلانى سواء فى الحياة ، أم فى العلم** » [فلسفة الحق: ص ٢٠٥] .

وقبل أن نضطرد فى البحث ، وحتى يتضح المعنى الدقيق للحرية ، نحب أن نضع تحذيرا ، أن قراءة نصوص هيجل معزولة عن سياقها العام وعن سياق فلسفته بصفة عامة انما يحرف المعنى الذى يقصده .. انموذج لهذا اسوقه وهو ما قاله فى الجزء الاول من كتابه « **محاضرات فى فلسفة الدين** » : « ان حرية الانسان لا تقوم الا فى معرفة وارادة الله » (ص ٢٢٧) اننا من مثل هذه العبارة معزولة يمكننا أن نستنتج أن هيجل فيلسوف مثالى بل ومفكر لاهوتى ، لكن اذا وضعنا فى الاعتبار انه عرف الله تعريفا محدودا فى الكتاب عينه فى موضع آخر وفى عديد من كتبه الاخرى على أنه سعينا الابدى نحو تحقيق الاكتمال وتجلى الحقيقية الكلية فى خاتمة البشرية مع سقوط كل قيد وقسر وجور وظلم واستغلال واغتراب ، فانه سيظهر لنا فى ضوء جديد قد يماثل فى هذه العبارة ما تحدث عنه ماركس عن المجتمع اللاطبقى الذى سيسقط فيه كل قيد وقسر وجور وظلم واستغلال واغتراب .. بل ان هناك اشارات فى كتاب هيجل « **محاضرات فى فلسفة التاريخ** » تشير — وان كان فى خفوت وباستنتاج من جانبنا بعد التدقيق الشديد — الى اننا نعيش حتى الان فى عصر ماقبل التاريخ وأن عصر التاريخ لم يبدأ بعد وأنه لن يبدأ الا مع كمال الحرية على النحو الذى عبر عنه مؤسسا الماركسية ..

لقد قلنا ان هيجل كان دائما ضد فجاجة الاحساس ، ولهذا فانه يرفض القول بأن الانسان حر بالطبيعة ، وانما الانسان بقوته الذاتية ، انما يمارس حريته ، فالحرية عند هيجل هى فعل ممارسة الحرية ، انها فعاليتنا ، والا سقطنا فى الحرية التى وصفها هو نفسه بأنها « حرية الخواء » [فلسفة الحق ، ص ٢٢] .. يقول هيجل فى « فلسفة التاريخ » ، « ان الخطأ الذى نلتقى به .. هو الرأى القائل بأن الانسان حر بالطبيعة .. ان كون الانسان حرا بالطبيعة سليم تماما بمعنى واحد ، أنه هكذا بمقتضى فكرة الانسانية ، لكننا نذهب بالتالى الى أنه لا يكون على هذا النحو الا بفضل مصيره — اى أن له قوة غير مطورة عليها أن تصبح هكذا ، وذلك لان (طبيعة) شىء ما ، مرادفة تماما لـ [فكرة] هذا الشىء .. ان حالة الطبيعة .. هى أساسا حالة الجور والعنف والدوافع الطبيعية غير المشذبة والافعال والمشاعر اللا انسانية ، ومن المؤكد أن القيد انما يفرضه المجتمع والدولة ، لكنه قيد على الانفعالات البهيمية والغرائز فحسب .. وهذا النوع من القيد هو جزء من الوسيلة التى يستطيع أن يحصل

الوعى بها على الحرية والرغبة فى احرازها فى شكلها الحق ، اى فى شكلها العقلانى والمثالى ٠٠ ومن هنا يوضع حد على الباعث والرغبة والعاطفة وهى تخص الفرد على هذا النحو ، وهذا الحد للهوى والارادة الذاتية الذى قد يعد قيدا للحرية انما يجب أن ننظر اليه على انـه الشرط المحتم للانعتاق ، ان المجتمع والدولة هما الحـالتان الخـاصتان اللتـان فيهمــا تتحقــق الحرية » [ص ٤٢] .

اذن لا مجال هنا للقول بأن هيجل فيلسوف مثالى يتحدث فى المطلق : بل ان الحرية لا تكون حرية الا وهى معانقة للواقع لتتجاوز الواقع الى حريتها الحقة .. لكن ما قد يعطى لهيجل صورته كمفكر مثالى انما تركيزه على العملية التى يتم بها الفرد تحرره قبل المشاركة فى العمل ٠٠ افلا ينبغى قبل انخراط الفرد فى حزب شيوعى او نقابة عمالية او مجموعة فاشيستية ، أومؤسسةدينيةأن يكون أولا الفرد القادر على أن يختار ايا من هذه الاشياء بارادته ؟ لكن هيجل لا يتوقف عندهذا، والالجازان ينضم الفرد مثلا الى حزب فاشيستى ما دامت هذه ارادته ، لكنه يذهب الى ان الفرد اذا ما عرف المعنى الحقيقــى (**للحرية**) فـانه) **بالضرورة**) سيختار المشاركة فى تقـدم المجتمـع والفـرد والبشرية [بارادته الحرة] ، ان هيجل مهتم أساسا بكيف يختار الفرد [بحرية] أن يسير مع حـركة التــاريخ ، وكيف تتحــدد [حـريته] بـ(الحتمية التاريخية) ٠ انه مهتم أساسا بكيف يجعل الفرد من [حتمية التاريخ] [حريته] هو الخاصة ٠٠ فما هى الوسيلة لهذا ؟ ٠

ان وسيلة هيجل الاساسية هى اعتناق المنهج الجدلى حتى يتحرر الفرد من ربقة الحس ، وحتى يتحرر المجتمع من ربقة الواقع الذى قد تحتمه الظروف ولا يتمشى مع اضطراد حركة التاريخ ٠٠ **ان الفكر عند هيجل جدلى لان الواقع جدلى ، ومع هذا فليس الفكر انعكاسا [آليا] للواقع ، لكنه انعكاس [جدلى] ؟ والا حدث خلل فى البناءالفكرى للهيجلية ٠ ذلك لاننا لو تصورنا أن الفكر بقوانينه هو مجرد [انعكاس آلى] لجدلية الواقع،لكنابهذا انما نخون المبدأ نفسه الذى انطلقنا منه الا وهو أن كل ما فى الوجود انما هو وجود جدلى ٠٠ ومن هنا كان لابد للفكر عند هيجل ألا يكون انعكاسا آليا للواقع، بل انعكاس جدلى ٠ ومن هنا توجدمنطقة للحرية بين جدل الفكر وجدل الواقع ٠٠ الواقع جدلى ولهأسبقية وجودية، والفكر جدلى غير أنله أسبقية منطقية على الوجـــود ، والا دخلنا على معطيات الواقع بشكل جدلى تمكننا منفهمجدليتها الواقعية ولاصبحت معطيات الواقع مجرد معطيات تدفقنا تحت غمارها دون ان نملك متنفسا ٠٠ ان هيجل ضـــد التجريبيـــة الفجة ، ضـــد المادية المبتذلة ٠ وحتى تصبح التجريبية موجهة لصالح الانسانية علينا أن ندخل عليها بفكر جدلى٠٠ اذن فالتفكير الجدلى هو « المسافة » الاولى التىكان يبحث عنها هيجل حتى يستطيع انيفردذراعيهالى اللانهائية ٠٠ وهذه المسافة الاولى هى أول منفذ الى الحرية** ٠٠ ان علينا أن نتذكر دائما أن الجدل الهيجلى ليس مجموعة من **القواعد الجامدة عن التراكمات الكمية وتحولها الى تغيراتكيفية،وعن وحدة الاضداد وعن صراع الاضداد وتداخلها** ، بل **علينا ان نتذكر أن الجدل الهيجلى هـــو جـــدل** الحرية ، جدل الخلق والابداع ، الجدل الذى يخلق به الانسان ذاته والعالم ٠٠ **فمهمة الجدل مهمة سالبة هى تحطيم أسار الواقع ، كما أن له مهمة ايجابية هى تأسيس الحرية** على أساس أن جوهر الاشياء قائم فى عدم وحدتها ، ذلك أن«الشىءليس وحدة غير مكترثة به ، بل ٠٠ هى وحدة طاردة متمردة » [عن ماركوزة : ص ١٠٧] ٠٠ التمرد هو روح الجدلية، والتمرد هو التجاوز والتخطى لا الاستسلام للواقع والقناعة به « ان تجاوز الشىء عن طريق المعرفة هو طريق الروح للتمرد ضد التناهى ، وهو ايجاد صدع من أجل الحرية ٠ ان المفهوم الفريد تماما عند هيجل للحرية هو أنها تعنى معرفة النفس باعتبارها لا حد لها ، انها غيبة الشىء المجرد أو اللانفسى » [تكر ، ص ٥٣] ٠٠ اذن لا يجب الاستسلام للواقع ، بل شنحربعلى الواقع حتى لو ادى الامر الى نشوب الحرب الحقيقية ما دام هذا لصالح الامة فان « الحرب التى [تقوض حياة الكل] هو شرط [للصـــحة الاخلاقية للشعوب) ٠ وبدون هذه الحرب ، وبدون التهديد بالحرب فان شعبا من الشعوب انمـا يتعرض لخطر فقدان الحس بالحرية تدريجيا ، ومن ثم يستسلم هاجعا فى الحياة المادية ، ولهذا السبب لم يتردد هيجل فى القول بأن سلما طويلا تديفضى بأمة الى الضياع ، ومن ثم فان [جيشـان الروح يحمى ماء البحيرات من الاسن] ٠٠ [**هيبوليت : مدخل الى فلسفة التاريخ عند هيجل ص ٩٣**] » .

اذن جوهر النفس الانسانية ألا تقبع فى ذاتها ، أن تخرج من ذاتها ٠٠ الى ماذا ؟ الى ذاتها أيضا ولكن بعد أن تعانق ما ليس ذاتها ، تعانقه بعد أن تقهره ، لتغتنى به وتغنيه حتى لا يكون عقبة فى سبيل رحلتها الى ذاتها ، بل ليكون مساهما معها فى تجاوزها الى ذاتها ٠٠ ومن هنا جاء فهمهيجل الدقيق للضرورة من أنها ليست عقبـــة فى وجه الحرية ، بل هى اغناء للحرية ٠٠ يقول هيجــل فى « **المنطق الاصغر** » الذى يشكل الجزء الاولمن كتابه « **موسوعة العلوم الفلسفية** » ، ان عملية الضرورة موجهة تماما ، حتى انها تقهر الخارجية الصارمة التى تكون لها فى البدء ، وتكشف عن طبيعتها الباطنية ، وحينئذ يظهر أن الحــــرية والضرورة مرتبطان معا ليست كل منهما غريبةعن الاخرى ٠٠ وبهذه الطريقة تتحول الضرورة الى حرية ـ لا حرية تقوم فى عملية السلب المجرد ، بل الحرية العينية والايجابية ، ومن هذا نتبين خطأ

اعتبار الحرية والضرورة طاردة كل منهما للاخرى » (ص ٢٨٣) وبهذا نستطيع أن نفهم التعريف الشهير لدى هيجل للحرية من أنها تفهم الضرورة ، فمن شأن هذا التفهم أن يحول الضرورة الى حرية .. يقول هيجل : « **التفكير في الضرورة ينزع الى اذابة الصلابة التى فى الضرورة لان التفكير يعنى أن الانسان يلتقى فى الاخر بنفسه ، انه يعنى تحررا ليس هو هرب التجريد ، بل يتألف من ذلك الواقعى الذى يمتلك نفسه لا كشىء آخر ، بل على أنه وجوده وخلقه فى الوقائعية الاخرى التى يرتبط بها بقوة الضرورة . وهذا التحرر باعتباره موجودا فى شكل فردى يسمى انا وكتطور لكليته هو الروح الحرة ، وكشعور هو الحب ، وكاستمتاع هو النعمة** » [ص ٢٨٥] .

الحرية عند هيجل هى مطابقة الحرية لنفسها ، هى أن تصبح ذاتا وموضوعا ، أن تصبح منطلقا وغاية .. ان غاية الحرية هى حريتها بالمعنى الذى سيقوله سارتر فيما بعد ان الانسان هو الحرية .. لكن علينا أن ننظر بحذر عندما يوحد هيجل بين الحرية وفكرتها .. فالفكرة عنده ليست تجريدا ، « عند هيجل الذى لا يعرف أى مجال للحقيقة وراء العالم ، الفكرة هى الفعل ، ومهمة الانسان هى أن يعيش فى وقائعيتها والفكرة تعيش كادراك وكحياة » (ماركوزة ، ص ١٦٢) .

ان هيجل يؤكد مرات عديدة تنديده بمفهوم الحرية الخاص بأن يفعل الانسان ما يريد . فهو يرى أن مثل هذه الحرية انما هى موقف ضد الحرية ، فالحرية الحقة عند هيجل هى الحرية التى تريد الكل لا نفس صاحبها فحسب « لا تفسر الحرية على أنها مجرد هوى ، فعل لا دافع له ، بل تفسر على أنها ذاتية ، ذات جبر ذاتى . الارادة تكون حرة اذا ارادت الكل ، أى اذا كانت افعالها متطابقة مع الحق ، مع القانون (الخلقى أو التشريعى) تكون حرة ، لان قانون الحق هو قانونها الخاص .. وأنا فى اطاعتى للقانون انما لا أطيع سوى نفسى الجوهرية والحقيقية » (استيس ، ص ٢٧٩) وهذا ما يقوله أيضا فى « فلسفة الدين » : « هذه الحرية ليست هوى ، ويجب تمييزها بجلاء عن الهوى ، انها حرية جوهرية أساسية ، الحرية التى فى تعريفها انما تعرف نفسها » [الجزء الثانى : ص ٢٢٦] .

ان الحرية عند هيجل انما تسلك وفق فكرتها ، وفق الحق ، فما هو الحق ؟ « الحق .. هو بالتعريف الحرية كفكرة » [فلسفة الحق : ص ٣٣] .. فلنفرض أننى اخترت الحق مما لاقيمة له فماذا فى هذه الحالة ؟ « ما هى عليه الذات هو سلسلة أفعالها . فاذا كانت هذه السلسلة انتاجات لا قيمة لها فان ذاتية ارادتها لا قيمة لها بالمثل ، ولكن اذا كانت سلسلة افعالها ذات طبيعة جوهرية فالشىء نفسه يكون حقا أيضا بالنسبة للارادة الباطنية للفرد » (فلسفة الحق ، ص ٨٣) .

أفلا يمكن أن تجعل الذات مصلحتها الشخصية بل والطبقية هى الحق ؟ يقول **استيس** شارحا لفلسفة هيجل فى هذه المسألة : « ان قانونا ما وضع فحسب لصالح **طبقة** معينة أو حتى شخص مفرد [فالملك مثلا فى الحكم الاستبدادى البدائى غير المتطور ، قد يضع القوانين لصالح نفسه وحدها] لا ينطلق من الماهية الكلية للروح كروح ، بل بالعكس ، ان مثل هذه القوانين انما تجسد الاغراض الخاصة والجزئية للافراد المعارضين لما هو كلى ، واننى فى اطاعتى لمثل هذه القوانين فاننى لا أكون محكوما بنفسى ، بل أكون فى قيد . ان الطبيعة المغروسة فى القانون كقانون حقيقى هى ان يجسد الكلية ، أى يجسد نفسى » [ص ٢٧٦] .

.. ان هيجل مدرك تماما لطبيعة المجتمع الرأسمالى الذى شهد هو بداياته وكان ذا قدرة تنبئية عما سيحدث فيه ، وأدرك أن « **ما يستهلكه الانسان انما هو نتاج الجهد الانسانى** » (فلسفة الحق : ص ١٢٩) كما ادرك أن « التحركات المعقدة المتشابكة اللامتناهية للانتاج المتبادل وتبادله وتكثر الوسائل اللامتناهى المماثل والمستخدمة فى الانتاج ، تصبح متبلورة بسبب الكلية المتضمنة فى محتواها وتتمايز الى مجموعات عامة . ونتيجة لهذا فان المركب الكلى ينقسم الى أنظمة جزئية للحاجات والوسائل وانماط العمل المتناسقة مع هذه الحاجات والانماط للاشباع والتربية النظرية والعملية ، أى تنقسم الى أنظمة يندرج تحتها الواحد أو الاخر - بقول آخر - تنقسم الى طبقات » (فلسفة الحق : ص ١٣١) وكان هيجل يدرك « **أن الصراع بين الثروة الطائلة والفقر المدقع يضطرد وهو فقر عاجز عن تحسين ظرفه . والثروة تصبح .. قوة مهيمنة ، وأن تراكمها يحدث فى جانب منها بالصدفة وفى جانب آخر عن طريق النمط العام لتوزيع الثروات .. وعدم المساواة فى الثروة والفقر ، وهذه الحاجة والضرورة يستحيل الى تجزئة شاملة للارادة والى تمرد وكراهية باطنيتين** » [ماركوزة : ص ٨٠ — ٨١] وأدرك هيجل أن العلة فى عدم تحقق الحرية كحرية انما يكمن فى الملكية « فالملكية هى العامل الخالص الذى يجعل الفرد يعارض الكل ويتبع قيود مصلحته الخاصة بدلا من هذا ، وبمصطلح هيجل نجد أن الملكية هى كيف **تجريدى** لا شأن له بالصفات الانسانية » [ماركوزة : ص ١٧٦] ، ومن هنا نستطيع أن نتبين أن « المجتمع الذى يتطابق مع معيار العقل يجب تصوره على أنه (ليس حدا على حرية الفرد الحقيقية ، بل على أنه توسع بها ، وأسمى مجتمع هو أسمى حرية فى قوته وفى ممارسته لهذه القوة » .. [ماركوزة : ص ٥٥] . هذا هو المعنى الحقيقى للحق أو القانون عند هيجل

لا المعنى الذى ذهب اليه راسل نتيجة كراهيته الشخصية للمفكر الالمانى على نحو ما يقوله فى كتابه « تاريخ الفلسفة الغربية » : « عنده أنه لا توجد حرية بدون قانون ، لكنه مال الى أن يقلب هذا ويقول انه أينما يوجد القانون توجد الحرية · ومن ثم فان (الحرية) عنده لا تعنى شيئا أكثر من مجرد حق اطاعة القانون » (ص ٧٦٤) ليست اطاعة القانون سوى اطاعة الحرية ، لانها اطاعة الكل ، لا المصلحة الفردية أو الطبقية أو الشعوبية و « **لا تكون الامم أمما حرة الا تلك التى لديها وعى ونشاط بالكل ، وفى الازمنة الحديثة لا يكون الفرد حرا لنفسه الا هكذا** » [هيجل : محاضرات فى تاريخ الفلسفة ، الجزء الثانى ، ص ٢٠٩] .

اذن البدء بالحرية على أنها الفعل الهوائى شىء غريب على الفلسفة الهيجلية ، انها هكذا حرية خاوية ، وحتى يمكن أن تكتسب معنى توصلا الى اتحادها مع الحق ، اتحادها مع القانون ، اتحادها مع العقل ، اتحادها مع نفسها ، عليها أن تعانق الواقع ·· يقول **فندلاى** فى كتابه « هيجل : تمحيص جديد » : « الارادة العقلانية تكون شيئا فارغا أو صوريا ان لم تتبين داخلها الدوافع العينية للافراد وتعيش فيها على أنها **مصالحها** وعواطفها ، والتى بدونها يعتقد هيجل حقا أنه لا شىء مما له جدارة يمكن ان يتحقق » [ص ٣٠٦] ، وهذا ما يبرزه هيجل فى « تاريخ الفلسفة » : « ان الوعى الذى يتجاوز نفسه يجب عليه ــ حتى يصبح عقلا ــ أن يستحوذ على الواقع جميعه ويستوعبه ، أى يكون واعيا به باعتباره خاصا به ·· ان الحرية العينية انما تتألف من التمسك بنظرة .. تجـاه أنواع الضرورة ، لا بتجنبها ، بل انه باشباعها ، تظل حرة وتهجع فى الاخلاقية والمشاركة فى الحياة الخلقية للانسان · ان الحرية المجـردة ــ على العكس ــ تسلم أخلاقيتها ، لان الفرد ينسحب الى ذاتيته وبالتالى هى عنصر اللا أخلاقية » [الجزء الاول ، ص ٤٨٢] (*)

ان النفس باعتبارها وعيا تظل وعيا فارغا ، وهى فى صيرورتها تغتنى بغنى الواقع ·· « **ان حرية الفكر لا تأخذ سوى الفكر المحض على أنه حقيقتها ، وهذا ينقصه الامتلاء العينى بالحياة · ومن ثم فان حرية الفكر هى مجرد فكرة الحرية لا الحرية الحية نفسها** » [هيجل ، فينومينولوجيا العقل ص ٢٤٥) ·

والحرية عندما تمارس ذاتها ، فماذا تجد ؟ انها تجد أن سعيها لا متناه ، لكنها هى متناهية ·· ومن هنا يأتى وعيها التعس ، ان شقاء الوعى عند هيجل ليس سوى هذه الجدلية المصيرية : انه محكوم فى لا تناهيها بالتناهى ·· « فالحرية القصوى هـى الـوعى بالنفس على انها وجـود لا متناه »

[تكر ، ص ٥٤] ... يقول هيجل فى « فلسفة الحق » .. « **هذه الارادة ليست مجرد امكانية وقـــدرة ومقـــدرة ، بل هى اللاتنـــاهى فى الوقائعية** » (ص ٣٠) ·· لكن ليس معنى هذا الا تعمل ، بل انها تعمل بسبب انها جدلية مستقطبة بين التناهى واللاتناهى .. تعمل ــ على حد قول سارتر فيما بعد فى كتابه « الوجودية نـزعة انسانية » ــ وكأنها فى شرعة اليائس ·· **وهذه ــ عند هيجل ــ هى الوهية الانسان ·· انها الالوهية العظيمة فى يأسها اليائسة فى عظمتها** ·· « لا توجد فحسب ألوهية فى الانسان ، بل انها تعمل فيه فى ظل شكل ملائم لماهية الله ·· ان اللـه روح » (**هيجل : فلسفة الفن الجميل** ، المقدمة التى ترجمها بوزنكيت ص ٣٠٤) ·· ان المسألة عند هيجل هى أن « مذهبه الكلى انما ينسج من صياغة خاصة يرفع بها الانسان ذاتيا من الحياة المتناهية الى الحياة اللامتناهية ، ان العقل المتناهى انما ينظر اليه على أنه تعظيم نفسه الى اللانهائية ليصبح عقلا كليا ، ولهذا **فالهيجلية هى تجسيد هائل واضـــفاء صـــبغة عقلية على الكبرياء** [تكر ، ص ٤٤] .

ان الوعى يسير ليستوعب الجوهرى ويطرد العرضى ، وبهذا يغتنى ويصبح أكثر وعيا بالحياة وصيرورة الحياة : « ان الوعى كوعى باللاتغير ، بالماهية القصوى ، يجب فى الوقت نفسه أن يشرع فى تحرير نفسه من اللاجوهرى ، أى أن يحرر نفسه من نفسه » [**هيجل : فينومينولوجيا العقل ص ٢٥٢**] وبهذا يمكن للحياة أن تتجدد وأن تسير نحـــو الاحسن لانها تسير نحو تحررها من كل ما يعوقها حتى تصبح الحياة متطابقة مع فكرة الحياة ، وحتى تصبح الحرية متطابقة مع فكرة الحرية ، وحتى تصبح الحياة والحـرية والضرورة شىء واحد ·· ومن هنا يجب تنحية الماضى والاضطراد الى المستقبل لكى يصبح الوعى نفسه ، أى لكى تصبح الحرية هى عين ذاتها « **من العبث ان تحاول التمسك بأشكال سابقة من القسر ، عندما يكون النسيج الداخلى للروح قد تغير ، ان هذه الاشكال الاسبق تشبه الاوراق الذابلة التى يجب استبعادها بالبراعم الجديدة التى سـبق للجـذور أن ولتها** » [**هيجل علم المنطق ، الجــزء الاول** ، ص ٣٥] .

ان تريد الحـــرية ذاتهـــا ، يعنى أنهـــا تريد قانونها ·· وقانونها هو الحق ، ليس الحـق الفردى ، بل الحق المتمشى مع منطق العقل ، ومنطق العقل هو نفسه منطق التاريخ ، منطق الحتمية التاريخية « ان التاريخ الشمولى .. انما يظهر نمو الوعى بالحرية من جانب الروح ونمو الوعى بالتحقق المترتب على هذا لتلك الحرية » (فلسفة التاريخ ص ٦٦) ·· غير أن الحتمية التاريخية

ليست آلية والا كانت هناك خيانة للجدل ، بل هي حتمية بمعنى أن الذى يصنع حتميتها هو الوعى الحر للافراد والشعوب التى تختار بـارادتها القانون لا ليكون خانقا لها بل ليصبح مساعدا اياها على مزيد من التنفس .. ان الحق عند هيجل ليس علـى النحـو الكاريكاتـورى الذى صـوره **برتراند راسل** : « ان هيجل الذى يدين بالكثير **لروسو** اعتنق الاستخدام الخاطىء لكلمة الحرية وعرفها على انها الحق لاطاعة البوليس أو شيء ليس مختلفا عن هذا كثيرا » (ص ٧٢٢) .

وعلى هذا يمكننا ان نفهم لماذا يهاجم هيجل أحيانا الديمقراطية والارستقراطية ان كانتـا قائمتين على تغليب رأى الاغلبية أو الاقلية غير المستنيرتين مما يدفع بالامة الى درب مسدود هو درب اللاحرية ، فهيجل من المؤمنين بالطـلائع المستنيرة الثورية التى تحتكم الى اللوجوس ، لان درب الحرية هو التمشى مع العقل و « ماهية العقل الكلى هى الحرية .. الفلسفة تعلمنا ان كل صفات العقل الكلى لا توجد الا من خلال الحرية ، وان كل شيء ليس سوى وسيلة للحصول على الحرية ، وان الجميع يبحث عن وينتج الحرية ، والحـرية وحدها » (عن ماركوزة : ص ٢٢٩) .

ان جدلية التاريخ وتاريخ الجدلية انما هما معانقة الحرية للعقل للقانون للتاريخ لنفسـها و « تاريخ العالم ليس شيئا اخر سوى تقدم الوعى بالحرية » [عن ماركوزة : ص ٢٢٩] .. وحتى لا تكون الحرية معلقة ، لابد أن تتجسد ، وقمـــة تجسدها الدولة ، وعلينا أن نكون حذرين فى فهم هيجل للدولة **فالدولة عنده ليست هى الدولـة القائمة ، بل الدولة هى الدولة التى تتحقق فيها فكرة الدولة ، تتحقق فيها الحرية للجميع** .. ومن ثم فقد قال فى « **فلسفة التاريخ** » : « بالدسـتور وحده تحرز الدولة ـ التى هى (تجريد) ـ حياة وواقعا ، لكن يتضمن هذا التفرقة بين أولئك الذين يأمرون وأولئك الذين يطيعون ـ ومع هذا فان الطاعة تبدو غير متناغمة مع الحرية ، وأن أولئك الذين يأمرون يبدون انهم يفعلون العكس تماما للذى تقتضيه الفكرة الرئيسية للـدولة الا وهـى الحرية » (ص ٤٥ ـ ٤٦) .. هنا نستطيع أن نفهم كلام هيجل فى مطلع شبابه عن ضرورة فناء الدولة « **كتب فى عام ١٧٩٦ : (سوف ابين تماما كما انه لاتوجد فكرة للالة ، فانه لاتوجد فكرة للدولة ، لان الدولة شيء آلي . ولهـذا يجب أن نتجاوز الدولة ونرفعها ، لان كل دولة مقيـدة بمعاملة الناس الاحرار كتروس فى آلة ، وهذا بالضبط ما يجب الا تفعله ، ومن ثم فالدولة يجب ان تزول)** . (عن ماركوزه: ص ١٢) وقد علـق هربرت ماركوزه على هذا فقال : « الدولة التى فى ذهن هيجل هى الدولة التى تحكم بمعايير العقل النقدى وبـالقوانين الصـادقة المطلقـة » (ص ١٨٠) .. وعلى هذا يجب أن نكون حذرين اذا ما قال هيجل ان الفرد يجب أن يجعل الدولة غايته ، فالدولة هنا هى الحرية .. قد يريد الانسان القوة بدل القانون ، وقد يريد الثروة بدل الحق ، لكن الامر كما أوضح ميور فى كتابه « فلسفة هيجل » : « **ان اقتناء الثروة كغاية للحياة والقوة كوسيلة للثروة انما يؤديان الى اغتراب ذاتى كامل للروح .. فالانسان يجد نفسه الان فى شيء ما آخر ، وهو شيء ما عرضى كلية** » [ص ٩٥] .. ومن هنا نفهم لماذا يطالب هيجل بتلاشى الدولة وبالتالى يطالب بالقضاء على الطبقات كما ذكر فى ذلك النص الفريد فى « **فينومينولوجيا العقل** » : « **فى هـذه الحرية المطلقة ، نجد أن جميع الرتب الاجتماعية أو الطبقات ، التى هى العوامل الروحية المركبة التى يتمايز فيها الكل ، انما تجرى مواجهتها وتعديمها ، ان الوعى الفردى الذى يجب أن يمت الى أى من امثال هذه المجموعات ويمارس ارادته ويجد تحققه هناك ، قد أزال الحدود التى تحد منه ، ان غرضه هو الغرض الكلى ، ولغته هى القانون الكلى ، وعمله هو التحقق الكلى** » (ص ٦٠١ ـ ٦٠٢) .

فاذا وجدت هذه الدولة التى تصبح هـى القانون ، تصبح هى الحرية ، أمكن للحرية أن تعانق نفسها ، لانها تكون قد أصبحت الموضوع والمحمول معا ، الوسيلة والغـاية ، البـداية والنهاية .. وامكن للفرد أن يخرج أجمل ملكاته الابداعية حيث يكون هناك تناغم بين الفـرد والدولة ، لان الدولة والفرد أصبحا معـا : الحرية .. وعلى هذا فالمشروع المعرفى عند هيجل ليس رحلة ذاتية مغلقة بل رحلة الى التاريخ فى رحابته ، لقد « **تحدث عن المشروع المعرفى بتشبيه حى عجيب باعتباره (تلك الرحله الى الانفتاح ، حيث لا شيء تحتنا أو فوقنا ، ونحن نقف فى وحدة مع انفسنا وحيدين)** » [عن تكر : ص ٥٤] .

وهكذا أقام هيجل قلاعا ضخمة للحرية مؤلفة من عدة قلاع داخلية : قلعة للعقل وقلعة للتاريخ وقلعة للجدل وقلعة للتطور وقلعة للتحليل العلمى للمجتمع وقلعة للثورية وقلعة للطلائعية ، ذلك انه « **انسان مشغول حتى النخاع بأكثر مشكلات عصره حدة ، وعلى انه انسان يمتلك عينا تلتقط العينى وهو الثانى وحده بعد أرسطو** » (ميور : ص ٤٠) .. فهيجل لم يكن بمعزل عن مجريات عصره ، ومن هنا جاء حديثه عن الحرية : « ان الغاية النهائية للعالم هى الوعى بحرية الروح ، ولكن أحدا لم يعرف أبدا ، ولم يعان بالاحرى ، كما نعرف ونعانى نحن فى عصرنا من اللاتعين بشأن هذه الحرية على نحو ما وصفنا » (عن هيبوليت : ص ٩٣) .. ثم انه

كان يكتب للبشرية جمعاء ، لجميع العصور ، ولجميع الناس موحدا بين التاريخ والانطولوجيا .. « لقد كان هيجل موسى الفلسفة الذى قاد البشرية الى الارض الموعودة (فى الفكر)» (تكر : ص ٧٩) لكنه قادها أيضا اليها فى الواقع أيضا ..

لقد جعل هيجل من التفلسف رحلة للتوصل الى الحقيقة ، وجعل من الله الحقيقة القصوى التى تسعى اليها البشرية ، وجعلَ من الله الحرية القصوى المتطابقة مع نفسها ، وجعل من الحرية صيرورة التاريخ ، وجعل من التاريخ اغتناء الفرد ، فتعانق فى فلسفته : الجزئى والكلى ، الابدى والفانى ، المطلق والنسبى ، التناهى واللاتناهى ، الفرح الوقتى والحزن الدائم .. الحزن الدائم الذى أجد أسبابه فى رأى هيجل « آن الجور يعلق القانون عاليا لدرجة أن أى مواطن لا يستطيع أن يقرأه » (عن ماركوزه : ص ٢٠٩) .

■■

٤

فلسفة التاريخ عند هيجل

أديب ديمتري



استاذ جامعة برلين ، اصبح الفيلسوف الرسمى للدولة البروسية الاوتوقراطية ، ومنظر الوجود والخلود لها .. وهو بعينه الذى علم اجيالا من الثوريين الشباب أن الصراع منطق والتغيير ضرورة والحركة علم ، والتاريخ مقصده الحرية !! .

وقد يبدو أن هيجل المفكر ، قد استعار من البورجوازية الالمانية كل جبنها وترددها ، فقدم للاستبداد تبرير وجوده ، وقدم للثورة بالرمز ، وبالروح المشرقة الاخاذة كل منطقها أيضا : ايمان بالعقل بلا حدود ، وبالعلم ، وبالحرية ..

كان المذهب الشامخ للاستاذ البروسى المعتمد ، تعربد بداخله كل عوامل الحركة والتمرد .. جدل غريب بين الوجود واللاوجود .. السكون .. والحركة

واذا كانت عبقرية هيجل تكمن فى جدله .. كل شىء يتحرك .. له تاريخ .. يولد وينمو ويموت ، ثم يولد من جديد فى منزلة أعلى ، فقد كان هذا الجدل ايضا هو فلسفة التاريخ .

التاريخ قبل الفلسفة

ان هيجل الشاب يهتم اقل مايكون بالفلسفة ، اما اهتمامه الاكبر خلال سنوات الدراسة فبالمسائل الدينية والتاريخية . لقد كان شغله الشاغل ،حياة الشعوب وحياة الانسان كماتبدت له فى التاريخ(١)، واثارت فيه الثورة الفرنسية ، كما اثارت فى كل معاصريه حماسا عميقا ، اولئك الذين كانوا يبحثون عن اصلاح مؤسسات بروسيا النخرة .

« طوبى للانسان الذى ينهل فرحه وقوته فى ازدهار وطنه » (٢) ذلك ما جاء على لسان أحد أصدقائه ، والحق أنها كانت همومه أيضا ، واذا كان قد انتهى وطنيا بروسيا متعصبا ، فقد كان يحتقر بروسيا فى شبابه ، ويرحب بنابليون وبانتصاره فى معركة يينا (١٩٠٦) عندما سحقت الجيوش البروسية وتمرغت كرامة ملك بروسيا فى التراب .

---

(١) جان هيبوليت : مدخل الى فلسفة التاريخ عند هيجل ، ترجمة انطون حمصى
(٢) المرجع السابق

مأســـاة الانســـان

ان الفرد المحدود فى ذاته ليس سوى تجريد فارغ بالنسبة لهيجل ، والوحدة العضوية والكلى المشخص عنده هو الشعب نفسه ، وروح الشعب ، وسوف تكون فلسفته الروحية وصفا للتنظيم الاجتماعى ، بداية من أسسه فى الحاجات المشخصة لبنى الانسان حتى قمته فى دولة الشعب ودينه .

ان هيجل فى حقيقة الامر ، كان يكتب لعصره أكثر من أى فيلسوف اخر (٣) كان معنيا بالمشكلة الالمانية فى السنوات الاولى من القرن التاسع عشر ، كما كان معنيا بالتطور التاريخى فى أوربا ، من خلال انفعاله العميق بالثورة الفرنسية ، وزحف نابليون ، وما حققه من اسباغ الطابع العقلى على الانظمة السياسية والاجتماعية التى جاءت فى أعقاب اعلان القانون المدنى الجديد (١٨٠٤) .
كان الفرنسيون يعلنون أنهم يعملون على أساس مبادىء ذات صلاحية عامة ، وقد ترتب على هذه الاحداث آثار بالغة العمق فى المانيا ، حيث كان للطبقات الوسطى والدنيا تطلمات وأمان لا تختلف عن تطلعات وأمانى الفرنسيين ، ولم يكن غريبا أن رأى العديد من الالمانيين ، الذين كانوا يشعرون بتأخر بلادهم بشكل حاد ، ان جيوش الثورة الفرنسية شىء يرحب به . أما الطالب هيجل فقد كان ينظر الى نابليون على أنه « روح العالم فوق صهوة حصان » .

كانت المانيا ترزح تحت استبداد اقطاعى وفوضى ، من الامارات الصغيرة ، والفلاح يعامل كالدابة ، وكان الامراء يؤجرون أو يبيعون مواطنيهم كجنود مأجورين للدول الاجنبية ، وكانت هناك رقابة قوية تقمع أدنى بصيص لحركة التنوير .

وفى ظل هذه الاوضاع الخانقة تحولت اتجاهات التحرر والاستنارة لدى مثقفى البورجوازية الالمانية الى تباطن ورومانسية ، وكان الدين يلقن الناس قيمة الحرية الباطنية ، والمثقفون حولوا اهتماماتهم صوب الادب والفلسفة ، لقد جاءت فلسفة هيجل آخر تعبير كبير لتلك المثالية الثقافية ، التى كانت بمثابة بديل فلسفى للنشاط السياسى الفعال ، وآخر محاولة كبرى لتحويل الفكر الى مأوى للعقل والحرية ، لقد أصبح هذا المجال عندهم هو « الواقع الحقيقى » المتعالى على حقارة الظروف الاجتماعية القائمة (٤) .

ولكن فلسفة هيجل جاءت تجاوزا لكل مكتسبات المثالية الفلسفية الالمانية، تجاوزت فلسفةشيلنج، فلسفة المطلق ، وهى فلسفة للطبيعة أكثر منها فلسفة للروح ، ليس فيها للشعوب وتاريخها ، أو المأساة الانسانية الكبرى مكان يذكر ، كما تجاوزت مثالية فختة وهى مثالية أخلاقية .

أما عند هيجل فحياة الروح لا تنفصل عن التاريخ ، ومؤلفاته الاولى مفعمة بالتأمل فى حياة الشعب ، وفى العلاقة الحية بين الفرد والمدينة كما كانت تبدو بالنسبة لاغريقى أو رومانى (٥) وتجربة ادماج التاريخ فى المثالية الالمانية ، هى بلا جدال مساهمة هيجل الكبرى ، فالنظرية الكانتية فى الحرية ، التى طورها فيختة ظلت مجردة ، وكانت المثالية الفلسفية بحاجة الى التفكير فى الانسان ، وفى تاريخه المشخص ، والى بعث الروح فيه ، كان شيلروجوتهوشيلنج قد شقوا الدرب ، ولكنهم وقفوا عند أبواب المطلق والطبيعة والفن ، أما تاريخ الشعوب فلم يكن قد عرف طريقه الى هذه القمم .. انطلق هيجل على مستوى الفكر الى استعادة التاريخ ، وهو ما نلقاه فى مؤلفاته الرئيسية منذ الفينومينولوجيا سنة ١٨٠٧ الى فلسفة الحق سنة ١٨٢١ (٦)

العقل فى التاريخ

« **ان فلسفة التاريخ** لا تعنى سوى النظر فى التاريخ على اساس عقلى » (٧) فالفكر للانسان أساسى ، وهو ما يميزنا عن السائمة .. و « الفكرة الوحيدة التى تحملها الفلسفة معها فى تأملها للتاريخ ، هى مجرد المفهوم البسيط ، مفهوم العقل ، وأن العقل سيد العالم ، ومن ثم يقدم لنا تاريخ العالم كعملية عاقلة » (٨)

« **العقل من ناحية** هو جوهر الكون ، الذى يستمد به ومنه وجوده وبقاءه ، ومن الناحية

(٣) مدخل الى الفلسفة : جون لويس، ترجمة انور عبد الملك
(٤) المرجع السابق
(٥) جان هيبوليت : مدخل الى فلسفةالتاريخ عند هيجل ، ترجمة انطون حمصى
(٦) المرجع السابق
(٧) هيجل : محاضرات فى فلسفةالتاريخ ــ المقدمة
(٨) المرجع السابق

الاخرى فان العقل هو الطاقة اللامتناهية للكون لان العقل ليس عاجزا الى الحد الذى لا يستطيع معه أن يصنع شيئا ، سوى مجرد المثال أو النية الخالصة ، ان العقل لا يحتل مكانه خارج الحقيقة فى مكان لا يعلمه أحد ، وليس شيئا مفارقا مجردا ، فى عقول بعض الكائنات البشرية ، انه الاشياء فى لا تناهيها ، وهو جماع ماهيتها وحقيقتها » ٠

« ان **للعقل غايته** المطلقة النهائية ، وهو أيضا القوة المحركة لهذا الهدف ، الذى يدفع به ويحركه لا فى ظواهر الطبيعة وحدها ، بل وأيضا فى الكون الروحى ــ فى تاريخ العالم » ٠

« **واذا كانت** فكرة العقل ليست بعد بالوضوح الكافى فى عقولنا ، فعندما نبدأ فى دراسة التاريخ العام الشامل ، لابد على الاقل أن يتوفر لنا الاعتقاد الجازم بأن العقل يوجد بالفعل فى التاريخ ، وأن عالم الفهم والارادة الواعية ليس نهبا للصدفة » ٠

« الاستدلال من تاريخ العالم وحده ، يؤدى بنا الى أن تطوره هو حركة معقولة ، وأن هذا التاريخ قد اتخذ المجرى الضرورى المعقول لروح العالم ، تلك الروح ذات الطبيعة الواحدة والدائمة ، ولكنها تغض طبيعتها وتتفتح فى ظواهر الوجود العالمى » ٠

« **وفى كل ما يحمل** اسم العلم بالاخص ، على العقل ألا يغفو ، وعلى الفكر أن يمارس وظيفته كاملة » ٠

« العقل يحكم العالم ، وقد حكمه دائما » ٠٠ انه يحكم التاريخ (٩) ٠

لم يكن غريبا هذا الايمان بالعقل ، وقد شهد الناس لاول مرة فى الثورة الفرنسية كيف يحكم العقل فى الواقع الاجتماعى والسياسى ، وعند فلاسفة التنوير عموما العقل قوة ، تستطيع أن تحرر البشرية ، وأن تعمل من أجل التقدم والسعادة ، لو أتيح لها أن تظل حرة طليقة ٠

ولاشك ان هيجل ابن بار لفلسفة التنوير ، كان رومانتيكيا فى ايمانه بأن العالم كل حى له عقل ، وهو عضوى نام يتفتح من الباطن ، وهو فى الحقيقة يواصل نمط لوك وفولتير فى التفكير ، يفحص أنظمة الحكومات ، ويحكم على مالا يتفق والنزعة العقلية ٠

ان هدف هيجل تعقيل المجتمع : فكل ما ليس بعقلى يجب ان يصبح عقليا ، ويجب الا يقبل لمجرد أنه قائم ، اذ أنه لا يصبح حقيقيا فى نهاية الامر الا بقدر ما يصبح عقليا ، وكان المسرح السياسى الالمانى فى نظره لا عقلى تماما ، كان يقول « المانيا ليست دولة » ٠ كان النظام السائد يتعارض مع الاحتياجات الانسانية الاساسية (١٠) ٠

« **يتحقق العقل فى شعب حر** » (١١) ٠

ان التاريخ والعقل يفسر كل منهما الاخر فى فلسفة هيجل ومع ذلك فسيظل هيجل ، مع كل فلاسفة التنوير مثاليا ، يؤمن بقوة بالعقل ، وهو الى هذا الحد ثورى حقيقى فى فلسفته ، ولكنه يعكس الاية ، فليس النشاط البشرى وواقع البشر هو الذى يصنع العقل ، بل يتفتح العقل أو الروح أو الفكرة المطلقة وتعكس ذاتها وتقترب من الاشياء ، لتجد نفسها مرة اخرى ، وتفنى ذاتها فى حركة العالم والتاريخ ، ومهما حاول هيجل أن يربط العقل بالواقع ، والمطلق بالمتعين ، والروح بالعالم ، ويستبعد المجرد الخاوى من المضمون ، فقد كان هذا حقيقة مفهومة للعقل والمطلق والفكرة ٠٠الا ان المنطق المعكوس انتهى بهآخر الامر الى أن يتوه منه العقل والفكر ، ويستخدم أداته فى تبرير ما هو قائم : استبداد الدولة البروسية ٠

روح الشعب

ما يحرك هيجل ، مع كل فلاسفة التنوير ، كما شهدنا ، هى مأساة العصر ومأساة شعبه بالذات ، ألمانيا الممزقة والمسحوقة ٠٠ والبشرية فى هذا الخضم المتلاطم ، الثورات ، والحروب ، والغزوات ٠٠ الى أين تسير ؟

من هنا يأتى شاغل هيجل الاول فى التاريخ ، الشعب ، روحه ، وروح الشعوب والديانات ؟ مؤلفات الشباب تبحث عن روح الشعب ، شعب متعين ، ودين متعين ، بحثا عن حركة الروح المطلقة ٠٠ وبلسان آخر مصير البشرية ٠ « ان كل

(٩) هيجل : محاضرات فى فلسفة التاريخ
(١٠) جون لويس : مدخل الى الفلسفة ، ترجمة انور عبد الملك ٠
(١١) هيجل : الفينومينولوجيا

اصالة قومية وعبقرية تعالج كفرد فى عملية التاريخ العام » (١٢) .

وروح الشعب المتعين هى واقع روحى « يتحقق فيها العقل بالفعل » فهى وجود الروح الحية والفرد يجد فى هذه الروح مصيره ، بل ذاته ، لان هذه الذات ماثلة فى عادات شعبه وحياته الجمعية الكلية ولذلك قال الحكماء القدامى ، **ان الحكمة والفضيلة فى ان يعيش الانسان وفقا لعـــادات شعبه » والاخلاق هى وحدة الذاتى والشخصى فى الارادة الكلية** » (١٣) .

فروح الشعب المتعين حقيقة تاريخية تتجاوز الفرد تجاوزا لاحد له ، ولكنها تتيح له ان يجد ذاته على شكل موضوعى ، انها حقا عالم الروح ـ الفرد « ان الواحد يعى بذاته فى وعى الاخرين ، فهو يعيش خارج ذاته ، وفى طرح الذوات المتبادلة يستعيد كل فرد الحياة التى وهبها للاخرين ، فهو يكسب وجوده ووجود الاخرين » (١٤) .

ويوجه هيجل اهتماما خاصا الى دراسة الدين ، منذ الاديان القديمة ، اديان المدن القـديمة والشعوب ، الى اليهودية والمسيحية ، والدين فى رأيه احد البراهين الاساسية فى عبقرية شعب وروحه . فهو يعارض النظرة المجردة الى الدين، ويقابلها بالنظرة التاريخية .

وروح الشعب وتاريخه ، ودينه ، ودرجة حريته السياسية لايمكن النظر اليها معزولة، فهى متحدة بصورة لا تقبل الفهم .

والجوهرى فى فكر هيجل أنه يرى أن الكل الذى يؤلفه شعب ما ، ليس نتيجة لعملية تجميع ، فالكل هنا ، كما هو عند أرسطو سابق للاجزاء .

وروح شعب ما ، هى ما يعـــبر عن اتحـــاد روحى ، هى واقع روحى أصيل ذو طابع فريد غير قابل للتجزئة .

وطاقة الاله الخلاقة لا تتجلى الا بوســـاطة العبقريات القومية ، وفى حضارات اصيلة يرتد بعضها الى بعضها الاخر وتتعاقب فى التاريخ .

ان **كل شعب يعبر** ، على طريقته ، عن الانسانية والكلى ، وفى كل شعب نجد تحقيقا عضويا للحق المطلق .

ولا شك أن مقولة روح الشعب الهيجلية تتعارض مع المفاهيم السائدة فى الفلسفات الليبـرالية ، وتصورات القرن الثامن عشر الفردية والتجزيئية . تتعارض بوضوح مع مفهوم العقد الاجتماعى عند روسو على سبيل المثال ، وهو العقد الذى يقوم بين أفراد ليكون المجتمع ، والشعب فى مفهوم هيجل يكاد يكون تنظيما سابقا لوجود أعضائه ، وليس هناك تناقض بل انسجام مسبق وحتمى بيــن الافراد ، فلا يمكن للفرد أن يتحقق تحققا كاملا ، كما ذكرنا ، الا باشتراكه فيما يتجاوز ، ويعبر عنه فى نفس الوقت : فى أسرة وثقافة وشعب ، وعلى هذا النحو فقط يكون حرا .

وقد يكون هيجل متأثرا فى هذا المفهـوم بمونتسكيو الذى يستشهد به هيجل فى أكثر من موضع ، فمونتسكيو يتحدث فى « روح الشرائع » عن « الروح العامة لامة » ومع ذلك فروح الشعب عند هيجل تختلف عما يسميه مونتسكيو بالروح العامة للامة ، فهيجل يسعى الى الكشف عن نواة أصيلة للروح الفردية أكثر مما يسعى للكشف عن عناصر مركبة آلية (١٥) .

وهناك أيضا تأثير روسو ، فعلى الرغم من أن العقد الاجتماعى يقوم على أساس النزعة الفردية ، ولكن روسو يتحدث أيضا عن الارادة العامة .

ولا شك أن النبع الاول لهذا المفهوم هو مأساة الشعب الالمانى نفسه .. تمزقه وانسحاقه . الامة التى لم تكن قد وجدت بعد أو حققت وحدتها ، بل كانت لا تزال بعيدة عنها .. كانت هذه الامة تعيش بقوة فى ضمير هيجل وفكره .. كانت وحـدة الشعب المنشودة تجد نفسها فى فلسفته وفـى مفهومه للتاريخ البشرى .

الدولة

ويرتبط بنفس النبع مفهومه عن الدولة . وهو يضفى عليها كل صفات التمجيد والاكبار ، هى الحرية مجسدة . وهو يعرض لفلسفته عن الدولة فى كتابيه الرئيسيين : « فلسفة التاريخ » و «فلسفة القانون »

(١٢) هيجل : محاضرات فى فلسفة التاريخ
(١٣) المرجع السابق
(١٤) المرجع السابق
(١٥) جان هيبوليت : مدخل الى فلسفة التاريخ عند هيجل

فى فلسفة التاريخ يقول : الدولة هى الحياة الخلقية متحققة الوجود بالفعل » وكل حقيقة روحية يملكها الكائن البشرى انما يستمدها من وجود الدولة ، لان حقيقته الروحية فى وحدة الارادة العامة والارادة الذاتية ، والعموم يوجد فى الدولة وقوانينها ونظمها العامة : الدولة هى الفكرة الالهية كما تتحقق على الارض ·· ان الدولة هى تجسيد الحرية العقلية ، اذ تحقق نفسها وتعيها فى صورة موضوعية ·· الدولة هى الروح متحققة فى الخارج فى الارادة البشرية والحرية ·

وفى فلسفة القانون يدفع بنفس الفكرة (١٦) : فالدولة هى حقيقة الفكرة الاخلاقية ، وهى روح الاخلاق والارادة المرئية التى تفكر وتعى ذاتها وتعرف ، وتحقق ما تعرف الى الحد الذى تعرفه ·· الدولة هى العقل فى ذاته ولذاته ، وما دامت هى الروح الموضوعية فالفرد يكتسب موضوعيته وحقيقته باعتبار عضويته فى الدولة ، واذا كانت هناك دول شريرة فليس لها وجود حقيقى ، اما الدولة العقلانية فهى لا متناهية فى ذاتها ·

والدولة البروسية تعبير عن روح العالم بشكل أكثر تطابقا من أية أمة أخرى ·

يجب اخضاع الحق للقوة ، وأن يضحى الفرد بنفسه للمجتمع ، وحريتنا تكمن فى الخضوع والخضوع فحسب ·

وينسجم مع نفس الاتجاه رأيه فى الحرب ·

فالحرب لها قيمة خلقية تصحبها روح الشعوب ، والسلام مفسد ، والصراع بين الدول لا يحل الا بالحرب · ان مصلحة كل دولة هى القانون ·

والحرب ضرورية فى حياة شعب ما لان معنى الكل ومعنى وحدته يزولان دونها ، ولان الحياة الانسانية تهوى وتنحدر لولاها الى درك طبيعة بلا روح ·

ولكن للحرب أيضا نتائج مضرة ، يلح عليها هيجل الحاحا خاصا فى « الفينومينولوجيا » فهى تؤدى الى انصهار الجماعات القومية الخاصة والى قيام امبراطورية كالامبراطورية الرومانية ، تجمع الشعوب الخاصة وتفقدها وحدتها الذاتية وفرديتها الاصيلة ، ان مثل هذه الامبراطورية لا يمكن أن يكون غاية للتاريخ ، فوجود شعوب خاصة هو ضرورة تاريخية ، والروح لا تتجسد فى التاريخ الا فى الشكل المشخص ·

ان ما يرينا اياه التاريخ هو سلسلة من الحضارات والدول التى تظهر متعاقبة فى مقدمة المسرح التاريخى وتصل الى ذروتها ثم تنحدر كى لا تعود الى الظهور ·· ان نجاح دولة وتفوقها العابر هما نجاح مبدأ روحى يعبر عن أعلى درجة وصلت اليها الروح الالهية التى تنفذ الى العالم فى تلك البرهة ·

هذا الصعود والانحدار ، هذه الحركة الصاعدة للتاريخ من أمة الى أمة ·· تقف عند الدولة البروسية ·· التاريخ عندها يقف لانها القمة ·· ولانها تجسيد للمطلق ولروح الحرية والالوهية

واذا كان الاستاذ البرلينى قدنال جزاءه العاجل من الدولة البروسية وأصبح فيلسوفها ، الا أن تبرير الاستبداد من جانب الفيلسوف الثورى ، كان له أسباب أعمق ، فظروف المانيا نفسها شعبا ودولة ، كما ذكرنا كانت تفرض وجودها بقوة على عقل الفيلسوف وقلبه ، لقد كانت اقدام الاجنبى تسحق وطنه ، وكان هذا الوطن مهدما فاقد الاستقلال ، وكل نبيل وكل مدينة يعلنان أنهما سيدين ، وبدت الطريقة الوحيدة لبناء دولة هو تحطيم هذه السيادات الخاصة ، (١٧) وقيام المستبد العادل الذى يحقق للشعب والدولة وحدتهما بل وجودهما ·

والحق أن هيجل كان تعبيرا صادقا عن البورجوازية الالمانية بما فيها من ثورية ومحافظة ·· من قوة وضعف ··

هذا التجسيد لازمة البورجوازية الالمانية وطابعها الخاص ، والنهاية المؤسية فى موقف الفيلسوف من الاستبداد ، لا يخص فى شىء ولا يقلل بحال من شأن السلاح الثورى الذى وضعه الفيلسوف فى يد البشرية ·· المواقف المترددة الوقتية لا تحجب البصيرة النافذة عبر التاريخ ·· ولا المنهج الذى أصبح اداة الرؤية الثورية والعمل منذ قرنين من الزمان ، حول التاريخ ·

حول التاريخ

المنطق والتاريخ يلتحمان فى حركة واحدة ·· الواقع المادى المتقن وأحداث التاريخ ·· كله يتحرك وفق قوانين العقل ·· عبر التناقضات والتصادمات والثورات ·· وتتم القفزات والصعود الى غير نهاية ··

الوجود عملية وحركة وتاريخ ·· صعود فى قفزات الى المطلق ·· الى كماله ·· الى الحرية ·· تلك عبقرية منهج هيجل الذى يحول الواقع والتاريخ البشرى كله الى حركة ·· وحركة منظمة وفق قانون وضرورة ·

---

(١٦) برتراندراسل : تاريخ الفلسفة الغربية

(١٧) جان هيبوليت : مدخل الى فلسفة التاريخ عند هيجل

صحيح انه عكس الامور ، وبدأ من الفكر ليهبط الى الواقع .. ومن قوانين العقل ليعيش حياة الانسان .. ولكن ذلك لا يغير من واقع الثورة التى أحدثها شيئا : أن يلاحم بين الفكر والواقع ، المطلق والمتعين ، العام والجزئى ، الشكل والمضمون .. وأن يكشف وراء كل سكون صراع وتمرق يدفع الى الحركة .. وأن يجعل لكل ظاهرة تاريخا وأن يستخرج من فوضى الجزئى واحداث التاريخ المتكثرة والعشوائيه نظاما وقانونا وضرورة .. ذلك هو عظمة المنهج وخلوده .

والواقع أن تصور التاريخ كتطور منطقى يقوم على اساس مفهوم التقدم شائع فى كل فلسفات التنوير الغربية ، وكان هذا المفهوم ، كما هو معروف التعبير الايديولوجى عن قيام البورجوازية وسعيها الى السلطة ، وتعبيرها عن تطلعها الى هذه السلطة بمنطق التطور والتقدم البشرى ، ولكن فضل هيجل انه خرج عن اطار نظريات التقدم والتطور الساذجة .. نظريات التفتح والنمو الطبيعى والتلقائى والحركة المستقيمة .. الى غنى الواقع واثراء المجرد بالمتعين ، والعام بالجزئى كله فى حركة جدلية صاعدة وغنية وتاريخية اولا واخيرا .

وهيجل ادرك فى حقيقة الامر أن العمل هو جوهر الانسان وماهيته ، وان الانسان هو نتاج عمله (١٨) ذاته وان العملية التطورية للمجتمع والتى يعبر عنها التاريخ هى نتاج نشاط الانسان (١٩) عن طريق اغتراب الانسان أو تخرج جوهره وماهيته فى الموضوعات التى يخلفها .

وتاكيد هيجل على مفهوم الاغتراب ، رغم فهمه السلبى والناقص (٢٠) ، وأن الفكرة تحقق وجودها وماهيتها فى المادى والعملى المتعين ، لتسترد ذاتها وتعى بذاتها وتحقق كمالها من خلال حركتها هذه .. هذه الفكرة التى تمثل حجر الاساس فى البناء المذهبى الهيجلى دفعت هيجل الى ان يبحث بعمق ، ويغوص بفكره فى خضم الواقع المادى والتاريخى بالفعل ، على عكس المذاهب المثالية الاخرى ، التى وقفت عند حدود التصورات القبلية ، وعند تجريد الفكرة .. وسكونها وجمودها .

ولنمض مع هيجل فى رحلة الفكر ، والمطلق ، وهى بعينها رحلة الواقع لنتبين مجرى التاريخ ومساره كما رآه .

التقدم فى التاريخ يتحدد خلال مراحل الروح المطلقة وهى تعى ذاتها ، وماهيتها ، وهى بالتحديد الحرية ، هذه الصيرورة الواعية تنعكس فى تقدم الانسانية التى تتدرج فى صعودها الى وعيها بالحرية، وهو ما يتجسد فى تاريخ الاحداث والعصور العظمى ، عصور الحرية ، والحرية هى التى تعطى للتاريخ البشرى سمته الخاصة ، فالانسان غير الكائنات الاخرى ، الجماد والحيوان الذى تتشكل بتأثير البيئة بطريقة سلبية، باعتباره كائنا عاقلا ، فهو نشط فعال ، والعمل الحر يطبع حياته وتاريخه .

هذا التحرك للتاريخ صوب النظام والمعقولية والحرية يمر بمراحل ، ويتقدم من خلال الصراع ويتحقق فى قفزات ويجد تعبيره فى سلسلة من الشعوب التاريخية الكبرى .. كل منها يعبر عن سمو جديد أو ارتفاع جديد وصلته الروح العالمية ، وشكل جديد للحرية ، واللحظة التى ينجز فيها شعب رسالته هى بعينها اللحظة التى يأفل فيها وينحدر ، لانها تحدد حقيقة نقيضها ، اى مرحلة جديدة فى تطور روح العالم ، وهى مهمة شعب آخر .

ومن هنا حضارات تولد وحضارات تموت ، شعوب تنحدر وشعوب تصعد ، فى العالم الشرقى كانت المرحلة الاولى لتحرير الروح والتى استيقظ فيها الانسان من البربرية لينتقل الى العقل والحرية ، فى صورة الارادة العاقلة ، وكانت للطاغية الذى كان وحده حرا ، وفى العالم الرومانى الاغريقى ، وصلت الروح الى وعى أكبر بالذات ، وكانت الحرية فى الارستقراطية ، وهى وحدها كانت حرة، وفى العالم الجرمانى المسيحى فان الروح تصل الى كمال وعيها بذاتها وتتحقق الحرية للانسان .

وتقدم الحرية فى التاريخ ، هو أساسا فى تحول اشكال الدولة ، التى هى تجسيد لروح العالم ، وتطور الدول يتقرر بصراع بين العقل والسمة غير العقلية فى لحظة معينة نتيجة المؤسسات السياسية والاجتماعية ، هذا الصراع يؤدى الى تحطيم الشكل القائم للدولة واحلال شكل اعلى ، وهدف هذا التطور يوجد فى الدولة البروسية ، الدولة العقلية ، التى يتم الاتفاق فيها بين ارادة الافراد والارادة العامة ، وبذلك يمكن تحقيق وحدة الحرية الفردية والسلطة وان يتحول الخضوع الاختيارى للقانون الى المبدأ الاعلى للمجتمع (٢١) .

---

(١٨) كارل ماركس : المخطوطات الاقتصادية والفلسفية .
(١٩) اوجست كورنى : اصول الفكر الماركسى
(٢٠) كارل ماركس : المخطوطات
(٢١) اوجست كورنى : اصول الفكر الماركسى

وبصرف النظر عن الصورة التى يرسمها لحركة التاريخ ، وقيام الحضارات وموتها ، وانتقال الحضارة بين الشعوب ، وهذه كلها تصورات لا تحتاج الى مناقشة فهى تعكس بطريقة فجة تطلعات البورجوازية الى قيام دولتها وسيادتها ، وسيادة القانون والنظام فيها ، والتقاء الارادات الفردية والارادة العامة ، والفرد والحكومة الخ ٠٠ فان المهم ليس هو هذه الصورة بقدر التحليل الذى يعطيه هيجل للعملية التاريخية نفسها ، ولجدلها ، وطبيعتها ٠٠ واليك نماذج منها :

« **فى الوجود الفعلى** يتبدى التقدم كمسار الناقص الى الكامل ، على الا يفهم الناقص بطريقة مجردة ، باعتباره ناقصا فحسب ، بل هو ينطوى على عين نقيضه ــ الكمال ، كبذرة او واقع ٠٠ وجود نسبى وامكانية مآلها الى التحقق ٠٠ وهكذا ، فالنقص يحمل نقيضه ، وهذا التناقض موجود ولكن يحل ٠٠ (٢٢) ٠

« ٠٠ **التطور ينطوى** على مراحل صاعدة ــ أى على سلسلة من مظاهر التعبير النامية عن الحرية ٠٠ ان الطبيعة المنطقية للفكرة وبالتحديد الطبيعة الجدلية بشكل عام ، تعنى أنها تحدد ذاتها ــ وانها تأخذ اشكالا متتابعة ، صاعدة ، وبعملية الصعود والترقى هذه من الاشكال الدنيا ، فانها فى الحقيقة تغتنى ٠٠ (٢٣) » ٠ الفكرة العامة وهى المقولة التى تجسد نفسها أولا فى الطفرات التى لا تتوقف فى حياة الافراد والشعوب التى توجد لزمن ثم تندثر ــ وهذا هو التغير بمعنى الواسع ٠٠

« **لا شىء يفقد من الماضى** ٠٠ ان الشكل الراهن الذى تتخذه الروح يحمل معه خطوات الماضى ٠٠ ان المراحل التى يبدو أن الروح قد طرحتها ، لا زالت مراحلها فى أعماق الحاضر ٠٠

لقد وضع هيجل فى يد البشرية سلاحا لايعدله سلاح ، الجدل ٠٠ منطق الحركة والتغيير والثورة ٠٠ منطق العلم والتقدم ٠

■ ■ ■

مؤلفات هيجل

[أ] مؤلفات صدرت فى حياته :

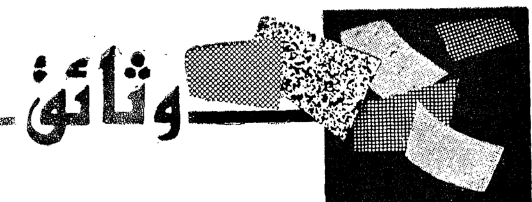
★ [١٧٩٥] حياة المسيح
★ [١٧٩٦] وضعية الدين المسيحى
★ [١٧٩٨] نقد الاخلاق عند كانت
★ [١٧٩٨] نقد دستور فرتمبرج
★ [١٧٩٩] روح المسيحية
★ [١٧٩٩] تعليق على الاقتصاد السياسى فى شتتجارت
★ [١٨٠٧] فينومينولوجيا العقل الكلى
★ [١٨١٢ - ١٨١٦] علم المنطق [المنطق الاكبر]
★ [١٨١٧] موسوعة العلوم الفلسفية ٠ ثلاثة أجزاء :
(أ) منطق هيجل [المنطق الاصغر]
(ب) فلسفة الطبيعة
(جـ) فلسفة العقل
★ [١٨٢٠] فلسفة الحق

[ب] مؤلفات صدرت بعد وفاته :

★ محاضرات عن فلسفة الدين [٣ أجزاء]
★ محاضرات عن فلسفة التاريخ
★ محاضرات عن تاريخ الفلسفة [٣ أجزاء]
★ محاضرات عن فلسفة الفن الجميل [٤ أجزاء]
★ الكتابات اللاهوتية الاولى
★ مجموعة رسائل هيجل [جـزءان]

---

(٢٢) هيجل : محاضرات فى فلسفةالتاريخ
(٢٣) نفس المرجع



برامج أحزاب العمال والفلاحين في الثلاثينات

19

برامج أحزاب العمال والفلاحين فى الثلاثينات

فى العدد الماضى نشرت الطليعة القسم الاول من وثائق ((احزاب العمال والفلاحين فى الثلاثينات)) ..

وتواصل الطليعة فى هذا العدد نشر الجزء الثانى من هذه الوثائق متضمنا عددا من الوثائق الخاصة بحزب الفلاح ..

وحزب الفلاح .. امتداد ((لجمعية نهضة القرى)) التى نشرنا برنامجها ضمن القسم الاول .. وقد تولى سكرتيريتها العامة احمد كامل قطب المحامى الذى اعلن فيما بعد تأسيس حزب الفلاح - الاجتماعى الاقتصادى ، تأكيدا على ابتعاد الحزب عن الاشتغال بالسياسة ..

وفيما يلى البرنامج الاول للحزب الذى صدر فى ٢ ديسمبر ١٩٣٨



[٧]

برنامج حـــزب الفـــلاح
الاجتمـــاعى - الاقتصـــادى

البرنامج الاجتمـــاعى

أولا : الولاء والفداء للوطن ·

ثانيا : تكوين رأى عام للشعب الريفى ودخول الانتخابات العامة للبرلمان لانتخاب ممثلين للفلاح يدافعون عن مصالحه وينادون بمطالبه وحقوقه واصدار جريدة لهذا الغرض ·

ثالثا : احترام الروح الدينية وتقديس العقيدة الوطنية ·

رابعا : بعث روح الاعـــتزاز بالنفس والبيئة الريفية ·

خامسا : محاربة الامية بين الفلاحين ·

سادسا : النهوض بـالمستـوى الاجتماعى بين أوساط الفلاحين ومحـاربة المخـدرات والبـدع والخرافات والجهالة ·

سابعا : تنظيم رجال الامن فى القرى ومحاربة الاجرام والقضاء علـى الحـزازات والاحقـــاد والخصـــومات القـديمـة بيـن العائلات الريفية ومحاربة فكرة الاخذ بالثأر ·

ثامنا : تنظيم القرية اداريـا بمجلس القريـة على أسـاس الانتخــــابات ، وتوســـــيع الاختصاصات لمجالس المديريات والمجالس المحلية والقرويــة ·

تاسعا : تجميل الريف المصرى وتجديد القرى بغرس الاشجار فى الطرقات وانشـــــاء المتنزهات العامة وتنظيم مساكن الفلاحين وتوفير مياه الشرب الصحية ·

عاشرا : القضاء على أمراض الفلاح بنشر الدعوى الصحية وتعميم المسـتشفيات القـروية والمركزية وايجاد طبيـب بكـل قرية ·

حـادى عشر : بث الـروح الرياضية والعسكرية بين أوساط الشعب الريفى لتحقيق الدفـاع الوطنى بأجلى معانيه وانشـاء ملعب رياضى بكل قرية ·

ثانى عشر : تحقيق النهضـة الزراعية لتعميم المكاتب الزراعية والصناعية فى القطر ·

ثالث عشر : تعميم وسـائل الاذاعة اللاسلكية لنشر الثقافة بين أوساط الفلاحين ·

رابع عشر : محاربة هجـرة القرى سـواء من الملاك او من صغار الفلاحين ·

خـامس عشر : الدفاع عـن جميع مطالب الفلاحين وحاجياتهم وشـكاواهم وتبليغها للحـكومة والبرلمان والجهـات المختصـة وتولى الدفاع عنهـا أمـامهـا واقتراح سن القوانين على الهيئة التشريعية التى يكون فيها حماية مصالح الفلاح وحقوقه ·

البرنامج الاقتصـــادى

أولا : رفع الفقر والجـوع والبؤس عنكاهل الفلاح وأسرته ومحاربة البطالة بين الفلاحين ·

ثانيا : الدعوى لسن قـانون للايجارات والاجور يقضى بتحديد ايجارات الاطيان يتفق مع قيمة الانتاج وتحديد حد أدنى لاجور المزارعين بما يتناسب مع مصلحة الفلاح ورفع مستواه ولا يتعارض مع مصلحة المالك ·

ثالثا : تخفيف عبء الضرائب عن كاهل الفلاح بما يتناسب مع الحـالة الاقتصـادية وتنظيم جبايتها ·

رابعا : حمـــاية أسـعـــار الحاصلات الزراعية من الهبوط كالقطن والحبوب بمـا يحقـق الرخاء مع حماية المستهلك من الارتفـاع المتطـرف للاسعار ومحاربة الافات الزراعية بأحدث الاساليب ·

خامسا : ترقية الصـناعات القروية الزراعية المحلية واقامة مصنع قروى بكل قرية والاعتماد على المنتجـات القـرويـة دون الاجنبية المماثلة لها ·

سادسا : توسيع نطاق حماية الملكيات الصغيرة ·

سابعا : توسيع نطاق التسليف الزراعي وتبسيط الاجراءات مع توخي السرعة فيها بما يكفل استفادة الفلاح على أكمل وجه •

ثامنا : تعميم انشاء الطرق الزراعية وتنظيمها واقامة الكباري والجسور اللازمة للقرى والبلدان الريفية •

تاسعا : المطالبة بتنظيم وسائل الري والصرف بما يكفل عدم شكوى الفلاحين والاهتمام بشكاواهم •

عاشرا : تعميم انشاء الجمعيات التعاونية في القرى وتنظيمها بما يكفل تحقيق أغراضها على أتم وجه •

حادي عشر : تنظيم الاسواق الريفية ومعاونة الفلاح على تصريف محصوله وقضاء حاجياته بما فيه السهولة والمصلحة •

ثاني عشر : انقاذ الفلاح من الديون العقارية وتخفيض سعر الفائدة ومحاربة المرابين في القرى •

ثالث عشر : العمل على زيادة الانتاج الاهلي بما يتناسب مع اضطراد زيادة عدد السكان واستغلال الاراضي البور بتوزيعها على صغار الفلاحين •

رابع عشر : تنظيم علاقات الفلاحين بأصحاب الأملاك من ناحية تعويضهم عن اصابات العمل ومكافآتهم وتحديد ساعات العمل وأيام الراحة ووضع نظام لفض المنازعات بينهم •

خامس عشر : تعميم وسائل التامين الاجتماعي والاقتصادي والصحي لدى الفلاح •

القاهرة في ٣ ديسمبر سنة ١٩٣٨ •

صدقت على هذا البرنامج الهيئة التأسيسية الجديدة للحزب في اجتماعها المنعقد في ٥ اكتوبر سنة ١٩٥٢ وفقا لقانون تنظيم الاحزاب السياسية •

■ ■ ■

[٨]

حـــزب الفـــلاح الاشـــتراكي

وفي عام ١٩٤٥ ، ومع تصاعد الحركة الثورية المصرية ، وتزايد نشاط القوى الاشتراكية في الدعوة لافكارها ومبادئها ، وما صادفته هذه القوى من نجاح في دعوتها هذه.. اتجهت بعض الاحزاب الى تعديل برامجها محاولة اضفاء مسحة اجتماعية عليها ..

وقرر حزب الفلاح ان يسمى نفسه « حزب الفلاح الاشتراكي » •

ولم يغير الحزب برنامجه القديم، بل ابقاه كما هو واضاف اليه برنامجا جديدا اسماه البرنامج الاشتراكي .. وقد صدر هذا البرنامج الجديد في ٢٨ ديسمبر ١٩٤٥ •

البرنامج الاشتراكي

(أ) القسم العام

السياسة الداخلية والخارجية :

١ ـ الفلاح رمز الوطن • والدستور حصن الامة ، والديمقراطية حياة الشعب ومصر والسودان وطن واحد وشعب واحد ، ويقرر نظام الحكم في الدولة بانتخاب جمعية تأسيسية •

٢ ـ الامة فوق الحكومة ، والحكومة ما هي الا اداة لتحقيق رغبات الشعب •

٣ ـ من الخيانة العظمى قبول اي تدخل أجنبي أو بقاء جندي أجنبي واحد على ارض الوطن لانه يعرقل النهوض الاقتصادي والاصلاح الاجتماعي ، ويجرح الكرامة الوطنية في الصميم ويهدم الحيوية ، وصرح الاستقلال •

٤ ـ عدم الاعتراف بأي امتياز لاي دولة أجنبية ، وربط العلاقات على أساس القواعد الدولية العامة ، فلا مفاوضة ولا معاهدة •

٥ ـ عدم السماح للاجانب بتملك الاراضى فى مصر ، وحماية المؤسسات والمنتجات القومية وقصر تملك الاجانب للعقارات للاستهلاك •

٦ ـ توثيق الروابط بين شعوب الدول العربية وعدم الاقتصار فى ذلك على الحكومات ، وتدعيم مركز مصر فى الشرق الاوسط ، وتضافر القوى لمناهضة الاستعمار وتحرير الشعوب ، وتحقيق السلام العالمى •

٧ ـ مناهضة النزعات الاستبدادية وتمكين كل فرد أو جماعة من التمتع بحرية الرأى كاملة فى حدود الدستور •

٨ ـ تخفيض تأمين الترشيح لعضوية مجلس النواب وجعله خمسين جنيها فقط ، ومنح المرأة والشبان الذين بلغوا سن الثامنة عشرة حق الانتخاب ، ومساواة المرأة بالرجل فى جميع الحقوق السياسية وتدعيم الحياة النيابية بجعل الاقتناع وحرية الفرد أساسا للتمثيل النيابى الصحيح ، وتعديل قانون الانتخاب بجعله بالقائمة مع التمثيل النسبى •

٩ ـ توطيد دعائم الجيش وتزويده بأحدث الالات ، وجعل الخدمة العسكرية اجبارية ولمدة سنة ليتسنى له تدعيم السلام العالمى والدفاع عن قنال السويس واستغلال جهوده فى القيام بالاصلاحات الداخلية ابان السلام •

١٠ ـ الصحافة ملزمة أن تكون منارا للرأى العام وجميع اتجاهاته بعيدة عن أى تحيز •

[ب] القسم الخاص
السياسة الاقتصادية :

١ ـ الدولة ملزمة باستصدار التشريعات لتحقيق العدالة الاجتماعية ، وانصاف الطبقات الفقيرة والنهوض بها ، بحيث يحظى كل فرد بمستوى مناسب للمعيشة والرقى الاجتماعى يتفق مع آدميته ومصريته •

٢ ـ الدولة ملزمة بضمان استقرار حياة الفرد بالتأمين الاجتماعى ضد المرض والشيخوخة والعوز والبطالة ، وحماية الاسرة وكفالة الاولاد ، وضمان التعليم بالمجان فى جميع مراحله •

٣ ـ الدولة ملزمة بتقريب الفوارق بين طبقات الامة بتخفيض مرتبات الموظفين ورفع مرتبات صغارهم وتحديد حد أقصى للملكية بخمسين فدانا وتأميم القدر الزائد وتوزيع الاراضى للاستغلال على صغار الفلاحين بنظام شامل ،وتدعيم نظام التعاون وتوحيد الزى وتعميم نظام اللامركزية فى الحكم ومنح الاقاليم شخصية معنوية كاملة ، والقضاء على مظاهر البذخ والترف فى الدولة ، وكذلك تحديد الملكية الصناعية والتجارية والعقارية •

٤ ـ كل فرد ملزم بالعمل والدولة ملزمة بتهيئة الفرص لتوفير العمل لكل فرد وايجاد المسكن الصحى للفلاحين والعمال وغيرهم من الطبقات الفقيرة بتشييد القرى والاحياء الوطنية من جديد واستصدار التشريعات لتنظيم علاقاتهم بأصحاب رؤوس الاموال وانصافهم وضمان حقوقهم وتحديد أجورهم وساعات عملهم واشراكهم بحصة محددة فى الارباح •

٥ ـ تجب المساواة فى معاملة الافراد مهما اختلفت طبقاتهم باحترام وتقدير لعزة النفس والكرامة المصرية •

٦ ـ لا يسمح لاى فرد أو جماعة بالحصول على فوائد غير مشروعة من طريق الحكومة أو غيرها على حساب الشعب ويجب القضاء على كل تصرف أساسه الانانية والمحسوبية واستغلال النفوذ •

٧ ـ القضاء على الارستقراطية المتعجرفة والرأسمالية المتضخمة مع احترام الملكية الفردية وذلك بنشر روح الديمقراطية الصحيحة ومساواة الامراء والنبلاء بسائر المواطنين كافراد فى المجتمع والتوسع فى التأميم، بتأميم شركة قناة السويس ومهنة الطب وبادارة الدولة لجميع المرافق العامة وشركات الاحتكار لحساب الامة وتنمية الثروة القومية وفرض الضرائب التصاعدية مع معافاة صغار الفلاحين لغاية خمسة فدادين ومن فى حكمهم من الاموال الاميرية والرسوم القضائية •

٨ ـ استغلال رؤوس الاموال لانهاض الصناعات والتجارة المصرية ولانهاض الصناعات الثقيلة والخفيفة واستخدام الايدى العاملة وتعميم المصانع القروية وحماية الصناعة والتجارة المصرية وتحقيق الاستقلال الاقتصادى •

٩ ـ تنسيق السياسة الزراعية والصناعية طبقا للاساليب الحديثة وتحويل الايدى العاملة الفائضة فى الزراعة الى الصناعة وزيادة القوى الانتاجية بما يواجه اضطراد زيادة السكان ويكفل الاكتفاء الذاتى ، وتنظيم الاستهلاك ·

١٠ ـ تدعيم مجلس الدولة واستصدار تشريع يقضى بمحاكمة الوزراء وتطهير الادارة بتجسيم مسئولية كل من يقوم بوظيفة عامة يقصر فيها أو يخالف قوانين الدولة أو يستهتر بالدين والأخلاق بمنتهى الشدة والحزم ·

قال الله تعالى « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ·

والله معنا

وسائلنا

ملحوظة :

خطتنا الاساسية فى تنفيذ هذا البرنامج هى اتباع الوسائل الديمقراطية المشروعة بايجاد مرشح فى كل دائرة انتخابية من دوائر القطر لتحقيق مبادئنا عن طريق التشريع ·

والله معنا

القاهرة فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٥

صدقت على هذا الهيئة التأسيسية الجديدة للحزب فى ٥ أكتوبر سنة ١٩٥٢ وفقا لقانون تنظيم الاحزاب بعد ادخال تعديلات طفيفة ·

٥ ـ ١٠ ـ ١٩٥٢

رئيس الحزب
احمد كامل قطب

وفى عام ١٩٥١ ، ومع تصاعد المد الثورى من جديد ، ذلك المد الذى صاحب الغاء معاهدة ١٩٣٦ وما تلى ذلك من صدامات مسلحة بين الفدائيين المصريين وقوات الاحتلال ··

ومع تصاعد الحركة الثورية وسط الفلاحين التى ادت الى تصادمات عنيفة بين جماهير الفلاحين وكبار الملاك ··

تحرك حزب الفلاح من جديد، محاولا ان يواكب هذا التطور الجديد فحاول انيعقد مؤتمرا واسعا لممثلى الفلاحين مقدما برنامجا جديدا بعنوان مطالب الفلاحين ·

مطالب الفلاحين

سيعقد حزب الفلاح الاشتراكى بعون الله «مؤتمر الفلاحين » فى حديقة الازبكية بالقاهرة يحضره عشرة آلاف فلاح من الوجهين البحرى والقبلى فى الساعة الحادية عشرة من صباح الاحد ١٦ سبتمبر سنة ١٩٥١ ، وقد طلب الحزب من الحكومة اعداد ثلاثة قطارات سكة حديد لنقل الفلاحين الى القاهرة ·

وسيتوجهون بعد المؤتمر الى سراى جلالة الملك ودار البرلمان ورياسة مجلس الوزراء ليرفع الحزب مطالبهم الاتية فى عرائض تكتب بدماء الفلاحين :

وفيما يلى هذه المطالب :

١ ـ تخفيض ايجارات الاطيان والمحمول ٤٠ فى المائة [اربعين فى المائة] وتحديد الايجارات والغاء المحمول ·

٢ ـ عدم اخلاء المستأجر من الاطيان المؤجرة له ما دام مسددا للايجار ·

٣ ـ رفع أجرة الفلاح «العامل الزراعى » الى عشرين قرشا يوميا كحد أدنى ·

٤ ـ الشكوى المرة من سوء

توزيع مياه الرى ومن الدودة مما أتلف الزراعة .

٥ ـ رفع سعر قمح الحيازة الى ستة جنيهات وتخفيض سعر السماد وتسعيره .

٦ ـ توزيع الذرة على الفلاحين بنصف الثمن المحدد على أن تتحمل الحكومة النصف الاخر لتيسير الخبز لهم .

٧ ـ عدم تحصيل الاموال الاميرية من صغار الملاك لغاية خمسة افدنة وجعلها تصاعدية فيما زاد على ذلك بنسبة جدية .

٨ ـ تحديد الملكية الزراعية بحيث لاتقل عن فدان لكل فلاح للاستهلاك الشخصى للاسرة ولا تزيد عن خمسين فدانا .

٩ ـ الشكوى من اهمال وعدم تعميم المشروعات الاصلاحية العامة كتوفير مياه الشرب الصالحة والمساكن الصحية والضمان الاجتماعى الخ ..

١٠ ـ الاحتجاج الصارخ على الاعتداءات والمظالم التى وقعت أخيرا على الفلاحين فى حوادث «كفور نجم» و«بهوت» .

الله اكبر

والله معنا

ملحوظة : يقوم الاستاذ احمد كامل قطب المحامى رئيس الحزب وزملاؤه اعضاء الحزب بطواف كبير فى مختلف القرى بمديريات القطر عموما ، وسيتشرف بزيارة قريتكم الكريمة فى يوم ....

تنشر الطليعة فى العدد القادم القسم الاخير من الوثائق .


قريباً
كتاب الطليعة
خدمة جديدة تقدمها أسرة تحرير الطليعة بسلسلة
كتب جيب
في • السياسة • الاقتصاد • التاريخ
• الأدب والفن • الفكر
كل كتاب مفتاح لاغنى عنه للباحث عن الحقيقة الإنسانية
في عصر تزاوج ثورات العالم الثلاث :
التحرر الوطني والتكنولوجيا والاشتراكية
الثمن
١٠
قروش


أرونال
• معجون أسنان غني بالفيتامينات
• يعطي الأسنان بريقاً وتألقاً
أرونال
• لنظافة وسلامة الأسنان
أدكو
Aronal
أرونال
الشركة العربية للأدوية
٥ شارع المصانع بالأميرية تليفون ٨٦٤٥٩٤/٨٧١٤٩١



الثمن ١٠ قروش

مطابع الأهرام التجارية





شعب فلسطين يدافع عن ثورته

- الاستثمارات الأمريكية فى البلاد العربية
- المرأة العاملة : واقعها ومشاكلها
  «شهادات واقعية وتقارير»
- وثائق عن برامج أحزاب العمال والفلاحين فى الثلاثينات

الفهـــــرس

العدد العاشر — السنة السادسة — اكتوبر ١٩٧٠



طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبدالله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطفيه الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد احمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتير التحرير :

عبد المنعم القصاص

عنوان المراسلات :

« الطليعة »
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.ع.م. دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر ؛ وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة •

من هذا المفهوم تفتح « الطليعه » صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحريه المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك » ؟ »



شعب فلسطين يدافع عن ثورته

[١]

ان التطورات السريعة والمتلاحقة التى صاحبت احداث الاردن **الدامية** ، لم تكن لتسمح بتحليل هادىء وموضوعى يكشف جوانب المأساة فى كل ابعادها .

ولكن هناك — مع ذلك — بعض الحقائق الهامة التى يجب **التاكيد** عليها فى موضوع الثورة الفلسطينية:

اولاها : وحدة الكفاح التى تربط شعب الاردن **بشعب فلسطين** .

وثانى هذه الحقائق هى أن صورة هذا الدفاع البطولى عن الثورة **لا تكتمل الا اذا** ابرزنا - باعزاز - هذه المساهمات الخارقة التى قدمها سكان المخيمات **من اللاجئين** ، هؤلاء العزل والمرضى والمستضعفين فى الارض الذين ظلوا **يتظاهرون فى أوقات رفع** حظر التجول فيها رغم انهم كانوا هدفا رئيسيا من اهداف المدفعية الثقيلة والدبابات **وقنابل** النابالم . وفى هذا يكمن المجد الحقيقى للثورة الفلسطينية . **فبينما ساد الوهم بأن**

المخيمات هي بقايا شعب شرد من ارضه ،وتحطم من الناحيتين المادية والمعنوية ، اثبتت الطلائع من شعب فلسطين بعملها ـ انه من قلب هذا الحطام البشرى ، يمكن ان يتحقق نهوض وطنى وانسانى كبير ·

[٢] على انه اذا كانت **الطلائع** من ابناء فلسطين قد دفعت الثمن الفادح فى هذه المعركة ، دفاعا عن ثورتهم ، فان ثورة فلسطين كجزء من حركة التحرر العربى ، لم تزل ـ كظاهرة تاريخية ـ تزكى نفسها ، وتحتل بين الثورات العربية مكانا خاصا . ولا يغير من هذا ، ان المنطلق الاساسى هو ان ثورة فلسطين جزء لا يتجزأ من الثورة العربية الشاملة ضد الامبريالية والصهيونية والاستعمار الجديد والرجعية · وفى **هذا** الظرف الدقيق الذى يستميت فيه اعداء الثورة العربية فى سبيل تعميق **التجزئة** وعزل نضال شعب فلسطين عن نضالات الشعوب العربية الاخرى ، وتعميق الانقسامات فى صفوفه ، نقول فى هذا الظرف ، قد يحسن ان نعود للتأكيد على نقاط اساسية فى موضوع حركة التحرر الوطنى الفلسطينى ·

● ان ثورة **فلسطين** تكتسب هذا الوضع الخاص بين الثورات العربية من حيث انها ثورة شعب شرد من أرضه ، واحتلتها جماعات من المستوطنين التوسعيين والعنصريين ، وتفرق الى كيانات متباعدة ، ويناضل من أجل حقه فى تقرير مصيره ·

● وهذا **التفرق والتشتت** اللذان أصابا شعب فلسطين قد انعكسا على واقعه الوطني والكفاحى ، وخلقا ظروفا صعبة للغاية وعقبات خطيرة أمام وحدة العمل الوطنى الفلسطينى ·

● ولان **فلسطين ـ جغرافيا وتاريخيا** ـ هى حلقة الوصل بين البلاد العربية فى آسيا والبلاد العربية فى افريقيا ، فان نضال شعب فلسطين العربى ضد التوسع الصهيونى من أجل ارضه وحقه فى تقرير مصيره يمثل أحد العوامل المحركة والدافعة لحركة الوحدة العربية ، ويعمق **هذا** الارتباط العضوى بين حركات التحرر فى كل اجزاء الوطن العربى ·

● **ولان ثوار فلسطين** قاموا بمبادرة تاريخية فى اعلان الكفاح المسلح ضد الاحتلال الصهيونى غداة نكسة يونيو ، ولان مواجهتهم للعدو تتم على مستوى ساخن فى

الاساس ، وبكيفية لا تكاد تتوقف الا فىفترات قصيرة ، ولان العدو الذى تواجهه الثورة هو الصهيونية اداة الامبريالية العالمية الامريكية بوجه خاص .. فأن ثورة فلسطين تأخذ الابعاد القومية والدولية التالية :

١ ـ فمن ناحية تعتبر الثورة الفلسطينية احدى نقاط المواجهة الساخنة وبكيفية تكاد تكون مباشرة مع قوى الامبريالية الامريكية . وهى بهذا تغذى روافد النضال فى كل ارجاء الوطن العربى ضد العدو الرئيسى لحركة الثورة العالمية ، وتنبه القوى الوطنية العربية الى الخطر المتجدد ، والكامن بازاء التوسع الصهيونى وبازاء مخططات الاستعمار الجديد فى وقت واحد .

٢ ـ ومن ناحية اخرى تكتسب ثورة فلسطين بعدا دوليا عندما تطرح على الصعيد العالمى الكفاح ضد المؤسسة الصهيونية ، اداة الامبريالية العالمية باعتبارها عدوا شرسا وخطرا لابد من كشفه ومن عزله ، لاعلى نطاق حركة التحرر الوطنى كلها ، بل وعلى نطاق العالم الاشتراكى نفسه ، الامر الذى ينعكس فى ازدياد تضامن المعسكر الاشتراكى مع حركة التحرر العربية .

٣ ـ ومن ناحية ثالثة تطرح الثورة الفلسطينية نفسها فى دائرة اوسع من دائرة حركة التحرر ودائرة البلدان الاشتراكية وهذا هو البعد الانسانى لهذه الثورة ، فبعد عملية الابادة التى بداها الاستعمار الصهيونى ضد شعب فلسطين ، تعرض لعملية اخرى من بعض عناصر السلطة . هنا يتأكد ، اكثر فأكثر ، مكانة الثورة الفلسطينية ومشروعيتها فى اعماق الضمير الانسانى العام . وهنا ، بالدقة ، يأخذ نضال شعب فلسطين مكانه جنبا الى جنب نضال الشعوب التى تتعرض لعمليات القتل الجماعى شعوب فيتنام وجنوب افريقيا .

وبالطبع ، فان هذا الوضع الخاص الذى تمثله ثورة فلسطين ، لا يعنى على الاطلاق أن نذهب الى حد القول بان ثورة فلسطين هى المحور الاساسى والوحيد للثورة العربية ، ولكننا نعنى بالدقة ان هذه الفصيلة الفلسطينية من فصائل الثورة العربية تحمل الى حركة النضال الوطنى والاجتماعى فى الوطن العربى دماء جديدة ، ونفسا صحيا ، وتجربة خاصة تغنى هذه الحركة بمضمون ثورى وتقدمى كبير .

[٣]

ان المهمة العاجلة والتى لا تحتمل التاخير هى مساندة شعب فلسطين ، والتضامن الحاسم مع العمل الفدائى والالتفاف حوله وحمايته ،وفى هذا تستطيع الجماهير مع قياداتها الوطنية التقدمية ان ان يقدم الكثير .

والامر المؤكد انه قد مضى الزمن الذى يستطيعفيه الامبرياليون وخدمهم الصهيونيون انيطفئوا حركة أصيلةومشروعة من حركات النضال الوطنى التحريرى . فرغم كل التضحيات وكل الالام ، وكل العثرات المؤقتةوالعابرة فىمسيرة الثورةالفلسطينية سوف توفق ثورة فلسطين فى ان تتجاوز آثار هذه النكسةالاليمة، بالعودة مجددا الىشعبها ، وبتوحيد صفوف طلائعها الوطنية والثورية .

لقد أراد الاعداء من وراء هذه الضربة انيعطلوا وحدة الشعب والطلائع المناضلة . وربما كان أخطر ما يقع فيه المناضلونالفلسطينيون أن ينساقوا الى مزيد من التفرق والانقسامات فى ظلال الضربة التىوجهت لهم . الا أننا نثق فى أن الوعى والخبرات المكتسبة ، والاجماع على مواجهةالعدو الذى يحتل الارض العربية ، كل هذه تحتم على قيادات شعب فلسطين أن تعتصمبحبل الوحدة الوطنية . وان الملحمة الدموية التى خاضها ثوار فلسطين يجب أن تقدمالاساس الراسخ لهذه الوحدة الكفاحية .

ان المعركة المريرة التى خاضها ثوار فلسطين قد هزت من الاعماق شعبنا العربى فى مصر ، كما هزت شعوب الامةالعربية جمعاء . واذا كانت الايام المقبلة هى التى ستوضح مواقف الشعوب العربية ، فانمن المقطوع به ،ان المعركةالتى فرضت على ثوار فلسطين ستعجل وتعمق حركةالاستقطاب داخل الصف العربى ، بحيثأن القوى الوطنية الحقيقية المعاديةللامبريالية والصهيونية والرجعية باتت مدعوة الى أن تضع الحدود الفاصلةوالجادة بين قوى الثورة وبين قوى الثورة المضادة ، وان ترتب على هذا الفصلمواقفها وسياساتها .

غنى عن القول بعد هذا كله أن جميعفصائل الثورة العربية مدعوة بحكم مسئولياتها الى إن توفر المناخ الصحى لكىيتخطى شعب فلسطين آثار الهجوم الرجعى بفاعلية أكبر وأكثر عمقا .

واذا كان من الصحيح أن الهجوم على الثورة الفلسطينية قد تم في ظروف تميزت بتفشى الانقسامات داخل الصف العربي ،وعلى صعيد الدول العربية ، وفى داخل هذه الجماعة او تلك ، فان المناخ الصحى الذى تستطيع فيه ثورة فلسطين أن تضمد جراحها وتعيد خلق وحدتها ، هذا المناخ انما يتشافقط في ظل عمل سياسى ملموس ، وفى جبهة سياسية ، تعكس وحدة العمل بين جميع فصائل الثورة العـربية من اجل توحيـد مواقفها الاساسية وجهودها ضد العـدو المشترك : الامبريالية والصهيونية وقـوى الرجعية •

« الطليعة »

تلاحقت الاحداث المروعة المفجعة فى الاردن بسرعة خارقة ، فتعذر على « الطليعة » ان تخصص لها فى العدد الحالي ما تسـتحقه من اهتمـام ، خاصة وان طبيعة المجلة الشهرية تحدد امكانياتها فى متابعة آخـر تطورات الموقف ، وهـو ما سـوف تراعى « الطليعة » التركيز عليه فى العدد القادم •



الاستثمارات الأمريكية في البلاد العربية

د. فؤاد مرسى

في النصف الثانى من القرن التاسع عشر ،عندما اخذت البلاد الاوربية الرأسمالية تنمى صناعاتها وتبحث عن الاسواق ، ومن ثم عندما ازداد اهتمامها بالبلاد العربية ، اتجهت فرنسا وانجلترا والمانيا لتطوير المواصلات [السكك الحديدية ، قناة السويس ، الخطوط البحرية) فى هذه البلاد العربية بوصفها مركزا حيويا للمواصلات بين الشرق والغرب . فالمواصلات كما هو معروف خطوة ضرورية لنشر التجارة وتصدير رأس المال . وفى ظل الامتيازات الاجنبية ،تدفقت رءوس الاموال على البلاد العربية للاستثمار فى مجالات الاراضى والتجارة والمواصلات وبعض المرافق ، وقامت البنوك تأمينا لهذا النشاط . بيد ان رءوس الاموال الاجنبية قد تحاشت الاستثمار فى الصناعات التى تنتج للسوق المحلية سلعا تماثل او تشابه ما يمكن استيراده من اسواق بلادها ، فى حين امتدت في مصر مثلا نتيجة لتطورها الى صناعة مواد البناء وبعض الصناعات الغذائية ، وتأسست لذلك كله شركات برءوس اموال اجنبية او فروع لشركات اجنبية .

كان كرومر ممثل بريطانيا يتخذ شعارا له فى مصر قوله : « رءوس بريطانية وايد مصرية » ، غير ان هذا الشعار لم يكن قاصرا على اسلوب العمل فى جهاز الدولة بل كان يعنى فى الاساس رءوس اموال بريطانية وايد عاملة مصرية ، ثم امتد الشعار الى السودان بعد عام ١٨٩٩ ، ودخلت بريطانيا العراق وفلسطين نتيجة للحرب العالمية الاولى . ومنذ عام ١٨٣٠ كانت فرنسا فى الجزائر

ومنها انتشرت الى المغرب وتونس . واستقرت بعد الحرب العالمية الاولى فى سوريا ولبنان . وكانت ايطاليا قد احتلت ليبيا بحملة فى عام ١٩١١ .

اما الولايات المتحدة فلم تكتشف العالم العربى الا فيما بين الحربين العالميتين بحثا عن بترول العرب . ثم تغلغلت فى بلاد العرب فى أعقاب الحرب الثانية . وعندما انتهت هذه الحرب كان لبريطانيا فى عام ١٩٤٨ استثمارات فى السودان تبلغ ١١ مليون جنيه استرلينى ، وفى مصر تبلغ ١٠ ملايين من الجنيهات الاسترلينية . اما الاستثمارات الامريكية فى البلدين فكانت فى عام ١٩٥٠ تبلغ ٣٩٫٧ مليون دولار وهى استثمارات تبدو ضئيلة بالنسبة لامثالها فى البلاد العربية الاخرى والتى بلغت عندئذ ٥٧٤ مليون دولار ، لكن هذه الارقام جميعا كانت اول الغيث .

خريطة المصالح الامريكية

فاليوم اصبحت الولايات المتحدة الامريكية صاحبة اكبر استثمارات اجنبية فى المنطقة العربية . وتوجد هذه الاستثمارات فى البترول أساسا . انها تملك حوالى ٦٠ فى المائة من انتاج البترول العربى ، بفضل استثمارات تبلغ بليونين من الدولارات ، منها فى السعودية وحدها حوالى بليون دولار ، وفى ليبيا ٥٠٠ مليون دولار .

ولقد نشرت مجلة الايكونوميست فى شهر مايو ١٩٧٠ احصائية هامة عن الاستثمارات الامريكية فى العالم يتضح منها مثلا ان هذه الاستثمارات فى الشرق الأوسط تبلغ ١٨٠٣ مليون دولار ، وهى من اقل استثمارات أمريكا فى الخارج وهى التى تبلغ ٦٥ مليار دولار . كما هو مبين بالجدول رقم [١] .

والواقع انه ليست العبرة بمقدار الاستثمارات الامريكية وحدها ولا بالارباح المتحصلة منها .

ومن هنا تبدو أهمية المصالح الاقتصادية الاخرى التى تجنيها أمريكا من العالم العربى ناهيك عن المصالح السياسية الكبرى الناجمة عن موقعه الاستراتيجى النادر . فلقد حصلت امريكا فى عام ١٩٦٨ مثلا من وراء البترول وحده على أرباح تبلغ ١٫٣ بليون دولار . وكانت صادرات الولايات المتحدة الى المنطقة تجلب لها فائضا بلغ عندئذ ٥٠٠ مليون دولار من جملة فائض امريكا مع العالم والبالغ كله ٨٠٠ مليون دولار . ومن ثم فان صافى مزايا ميزان مدفوعات الولايات المتحدة مع العالم العربى قد وصل الى حوالى بليونين من الدولارات .

وواضح ان ميزان تجارة العالم العربى مع الولايات المتحدة فى هذه السنين كان ينتهى برصيد مدين للعرب ودائن لامريكا بأرصدة هائلة كما فى الجدول رقم [٢] .

يضاف الى ذلك الاموال العربية المودعة فى بنوك الولايات المتحدة ، وهى تبلغ ٦٠٠ مليون دولار طبقا لتقدير امريكى ، بينما تبلغ نحو ٤٥٠ مليون جنيه استرلينى طبقا لتقدير الخبير العربى برهان الدجانى . ومن المعروف ان سوق بيروت النقدية ظلت تلعب حتى وقت قريب دور الوسيط بين العالم العربى والسوق الدولية ، تجمع الودائع من المنطقة وتوزعها على أهم الاسواق العالمية . فقد كان حوالى ٦٠ فى المائة من الودائع الموجودة بها لغير المقيمين ، اغلبهم من البلاد العربية المنتجة للبترول ، ثم بدت اتجاهات اخيرة لانتقال هذا النشاط الى الكويت .

صور الاستثمارات الامريكية

تنتشر الاستثمارات الامريكية فى البلاد العربية طولا وعرضا ، والى جانب استثمارات البترول توجد رءوس الاموال الامريكية فى بعض البنوك وفى

الاستثمارات الامريكية فى الخارج بملايين الدولارات [١]

البلد	القيمة	البلد	القيمة
اليابان	١٠٤٨	سويسرا	١٤٣٦
كندا	١٩٨٨	فرنسا	١٩١٠
المكسيك	١٤٥٩	المانيا الغربية	٣٧٧٤
البرازيل	١٤٨٤	بريطانيا	٦٧٠٣
فنزويلا	٢٦٢٠	بقية أوربا	٥٥٦٣
كل امريكا اللاتينية	٥٤٤٧	بقية الشرق الاقصى	١٨٤٣
افريقيا	٢٦٧٣	استراليا	٢٨٢١
الشرق الاوسط	١٨٠٣	بقية العالم الغربى	١٩٧٩

صناعات عديدة فى العالم العربي مثل النسيج فى السودان والتعدين فى المغرب ٠

ففى السودان يصل راس المال الاجنبي المستثمر فى الصناعة الى ٤ر١٥ مليون جنيه سوداني ، تمثل ٧٩ فى المائة من مجموع الاستثمارات الصناعية ٠ لكن مصنع النسيج السوداني الامريكي وحده يبلغ راسماله ٥ر٦ مليون جنيه موزعة على النحو الاتى : ١٠ ملايين دولار من المعونة الامريكية بفائدة ٥ر٥ فى المائة على مدى ١٨ عاما ، ٦ر٢ مليون جنيه من احتكار بريطانى ، ٥ر٢ مليون جنيه من مؤسسة اجنبية ٠

وفى المغرب يقف فى المقدمة احتكار (مناجم زليجة) الذى تسيطر عليه جماعتا روتشيلد الفرنسية ومورجان الامريكية ويعمل اساسا فى الزنك . بينما تستغل المناجم معادن القصدير والمنجنيز والحديد والكوبالت، وتصدر حوالى ٩٠ فى المائة من انتاجها ، أما مصنع سوبر الفوسفات فيحتل المكان الثانى فى العالم ٠ وكان تسلل رأس المال الامريكى الى المغرب قد بدأ منذ الحرب العالمية الثانية حيث اصبح له دور بارز فى شركة شمال افريقيا للتصدير التى تكونت بعد الحرب ، حين دخلت ستاندارد اويل ميدان استخراج البترول هناك ، وتوجد فى لبنان وحده ٧٠ شركة أمريكية تعمل بالتجارة والصناعة والمال ، وتؤكد طبيعة سوق بيروت كوسيط بين العرب والسوق العالمية ٠

ومع ذلك تبقى الاستثمارات الامريكية فى البترول العربى أهم واكبر استثمارات أمريكا فى هذه المنطقة من العالم ٠

الاستثمارات الامريكية فى البترول

فى عام ١٩٦٩ قدرت احتياطيات البترول فى العالم غير الشيوعى بحوالى ٨ر٤٦٣ بليون برميل منها ٣١١ بليون برميل فى البلاد العربية وحدها ، اى حوالى ٧٠ فى المائة ٠ ان البترول العربى يكفى ٦٠ سنة مقبلة ، بينما يكفى البترول الامريكى ٩ سنوات فقط ٠ وهذا يفسر جزئيا سر اهتمام امريكا بالبترول العربى ٠ اما الاسباب الاخرى فهى اثنان : ضآلة تكلفة انتاج البترول العربى ، وقربه من أسواق استهلاكه فى اوربا الغربية ٠

فى سنة ١٩٦٥ كان رأس المال الامريكي المستثمر فى البترول العربى يبلغ ٦ر١ بليون دولار ٠ وفى عام ١٩٦٨ ارتفع رأس المال الامريكى المستثمر فى بترول فى ذلك العام وهو العام التالى لحرب يونيو ارتفعت اسهم احتكارات البترول الامريكية بنحو ١٦ دولارا للسهم ، اى بنسبة ٢٦ فى المائة بينما لم تزد اسهم الشركات الصناعية الامريكية عامة عن ٥ر٣ فى المائة فى المتوسط ٠ فالواقع ان اكثر من ثلث ارباح الولايات المتحدة التى تاتيها من استثماراتها فى الخارج انما تاتيها من بترول الشرق الاوسط ٠ وبينما لا تزيد ارباح الشركات العالمية فى فنزويلا وهى اكبر بلد مصدر للبترول عن ١٨ فى المائة تصل الى ٦٢ فى المائة فى العراق والسعودية والى اكثر من ١٠٠ فى المائة فى بعض البلاد العربية الاخرى مثل قطر ٠ وكل دولار تجنيه الاحتكارات الامريكية من البترول العربى تعود منه ١٠ سنتات الى حكومة البلد العربى ويعود سنت واحد الى عمال البترول العرب . اما الحكومة الامريكية فتحصل على ٥٢ سنتا فى شكل ضرائب ويعود الباقى وقدره ٣٧ سنتا الى الاحتكارات البترولية ٠

وتقتسم السيطرة على البترول العربى خمسة احتكارات امريكية رئيسية هى : ستاندارد نيوجرسي ستاندارد كاليفورنيا ، تكساس ، سوكوني موبيل ، جلف اويل كوربوريشن ٠

١ — بترول السعودية :

تحتكره شركة الزيت العربية الامريكية [ارامكو] ، وهى تجمع لاربع شركات امريكية هى شركة ستاندارد اويل كاليفورنيا ٣٠ فى المائة وشركة تكساس اويل ٣٠ فى المائة وشركة ستاندارد اويل نيوجرسى ٣٠ فى المائة وشركة سوكونى موبيل اويل ١٠ فى المائة اى انها شركة امريكية بكاملها ٠ وتملك هذه الشركات بنفس النسبة شركة التابلاين لنقل البترول عبر الانابيب الى لبنان وكفاءتها ٥ر٢٣ مليون طن ، كما تملك ارامكو معمل رأس تنورة للتكرير ويمثل ٩٦ فى المائة من طاقة التكرير فى السعودية ٠ وقد تكونت

الميزان التجـــارى العـــربي معالولايات المتحـدة بملايين الدولارات [٢]

	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
الصادرات	٢٧٧ر٩	٢٦٦ر٨	٢٤٢ر٧	٣٠٢ر٥	٣١٠ر٩	٢٢٨ر٠
الواردات	٦٨٧ر٧	٧٠٦ر٢	٨٣٠ر٦	٧٦٦ر٢	٩١١ر٨	٧٩٠ر١
الرصيد	٤٠٩ر٨	٤٣٩ر٤	٥٨٧ر٩	٤٦٣ر٧	٦٠٠ر٩	٥٥٢ر١

شركة عثرت على البترول على ساحل البحر الاحمر تملك ٣ر٢٣ فى المائة منها شركة تنكو الامريكية مع شركة ايراب الفرنسية .

ب — بترول البحرين :

تحتكره شركة نفط البحرين التى تملكها مناصفة شركة ستاندارد كاليفورنيا ، وشركة تكساس وكلتاهما امريكية .

جـ — بترول قطر :

تساهم فى شركة نفط قطر شركتا اسو ستاندارد وموبيل أويل بنسبة ٧٥ر٢٣ فى المائة وتمثل تلك الشركة ١٣ فى المائة من انتاج البترول فى قطر .

د — بترول ابو ظبى :

توجد شركة نفط قطر بحيث تمتلك شركتا اسو ستاندارد وموبيل اويل ٧٥ر٢٣ فى المائة من شركة نفط ابو ظبى . وتملك شركة فيليبس ٤١ فى المائة وشركة امينو اويل ١٦ فى المائة فى شركة فيليبس ابو ظبى التى اكتشفت البترول فى المناطق البرية .

هـ — بترول المنطقة المحايدة :

فى المنطقة المحايدة بين السعودية وابوظبى، وتشمل واحة البوريمى تعمل شركة امينو اويل وشركةبول جنى الامريكيتان ، وتمثلان ٢٨فىالمائة من مجموع الانتاج كما تملك شركة جنى احد المعلمين الموجودين للتكرير وتمثل طاقته ٥ر٦٢ فى المائة من طاقة التكرير هناك .

و — بترول العراق :

تحتكره شركة نفط العراق ومعها شركة نفط الموصل وشركة نفط البصرة . وهى تجمع لعدة شركات هى شركة البترول البريطانية المحدودة ولها ٧٥ر٢٣ فى المائة من رأس المال ومجموعة شركات شل الهولندية الملكية ولها ٧٥ر٢٣ فىالمائةوشركة استثمار الشرق الادنى وهى لقاء بين شركتين امريكتين هما اسو ستاندارد أويل وسوكونى اويل ولها ٧٥ر٢٣ فى المائة والشركة الفرنسية للبترول ولها ٧٥ر٢٣ فى المائة ،والباقى ويبلغ ٥ فى المائة من رأس المال يملكه جولبنكيان أول صاحب امتياز .

ز — بترول الكويت :

تحتكره شركة نفط الكويت مناصفة بين كل من رءوس الاموال الامريكية [شركة بترول الخليج] ورءوس الاموال الانجليزية [شركة النفط البريطانية) . وتملك شركة بترول الخليج نصف معمل شركة نفط الكويت . بينما تملك شركة امينو أويل الامريكية معمل التكرير بالكويت . ولذلك فان النصيب الاجمالى للشركات الامريكية فى صناعة التكرير يبلغ ٥٥ فى المائة .

حـ — بترول الجزائر :

فى اغسطس ١٩٦٧ وضعت الجزائر تحت اشرافها ثلاث شركات تسيطر عليها شركة اسو الامريكية ، وشركتين تنتميان الى شركة موبيل الامريكية . وكانت الشركات الخمس تملك ٣٢ فى المائة من جميع محطات توزيع الجازولين و٢٦ فى المائة من معمل التكرير فى مدينة الجزائر .

وقد قامت الحكومة الجزائرية بتعيين مشرفين جزائريين لمراقبة عملياتها وحساباتها ، وأرغمتها على أعادة كل ايرادات مبيعاتها الى الجزائر . واستطاعت بعد ذلك ان تفاوض هذه الشركات على زيادة رءوس اموالها الموظفة فى الجزائر ، وعلى التنازل عن جزء كبير من امتيازاتها السابقة . وادت المفاوضات الى اتفاق فى عام ١٩٦٨ مع شركة جنى يقضى بتنازل الشركة عن ٥١ فى المائة من الحقول التى اكتشفتها ومن انتاجها لمصلحة الشركةالوطنيةسونا طراك ،كما يقضىبعقد اتفاقية مشاركة جديدة بين الطرفين تعتبر من أفضل اتفاقيات المشاركة . كذلك فلازال لشركة موبيل فرعان فى الجزائر ، وهناك شركات أمريكية اصغر مازالت تعمل هى شركات سنكلير وفيليبس والبا سوفيدول ونيومونت . وفى عامى ٦٨، ٦٩ تم توقيع اتفاقيات مع خمس شركات امريكية ، متخصصة فى الخدمات الفنية فى الكشف والحفر تم على اساسه تكوين شركات مشتركة بنسبة ٥١ فى المائة للجزائريين و٤٩ فى المائة للامريكيين . وفى عام ٦٩ تم توقيع اتفاق مع شركة الباسو الامريكية لاستغلال الغاز واسالته وبناء ناقلات وتسويقه فى الولايات المتحدة .

ط — بترول ليبيا :

تعمل فيه شركات أمريكية فى مقدمتها شركة اميرادا وشركة أسو سوستاندارد وشركة الخليج وشركة البترول الليبية الامريكية وشركة موبيل اويل كندا وشركة بان امريكان وشركة بترول تكساس وشركة كاليفورنيا الاسيوية ، وهى تمثل نحو ٩٠ فى المائة من مجموع الانتاج ، وتملك شركة أسو المعمل الوحيد لتكرير البترول .

وتحصل بلدان السوق الاوربية المشتركة على ٧ر٦٢ ٪ من البترول الليبى ، وتحصل بريطانيا على٨ر٢٢ فى المائة ، اى ان اوربا الغربية تحصل على ٥ر٨٥ فى المائة من البترول الليبى . ولذلك اثره المباشر على التجارة الخارجية لليبيا . ففى عام ١٩٦٤ كانت الواردات التى تبلغ ١٠٤

مليون جنيه يأتى ٦٥ فى المائة منها من السوق الاوربية المشتركة ، و٢٥ ٪ من الولايات المتحدة .

ك ـ بترول مصر :

وفى مصر تعمل شركتان امريكيتان : هما بان امريكان وفيليبس ، وقد بلغ انتاجهما فى عام ١٩٦٩ ، حوالى ٣٩ فى المائة من مجموع انتاج البترول .

الاستثمارات الاجنبية فى البترول

فى عام ١٩٦٦ كانت البلاد العربية تنتج من البترول الكميات التالية بآلاف الاطنان المترية : السعودية ١١٧٠٠٠ ، الكويت ١١٤٣٠٠ ، العراق ٦٧٠٠٠ ، الخليج ٢٢٠٠٠ ، ابو ظبى ١٧٣٠٠ ، قطر ١٢٥٠٠ ، مصر ٦٥٠٠ ، البحرين ٣٠٠٠ ، ليبيا ٧٢٠٠٠ ، الجزائر ٣٢٠٦٠ ، تونس ٦٠٠ ، المغرب ١٠٠ . فى ذلك العام كان صافى الاموال الموظفة فى البترول العربى حوالى ٢١٦٤٫٥ مليون دولار ، بلغت ارباح الشركات منها ١٧٦٣ مليون دولار بنسبة ٨١٫٤٥ فى المائة . وتمثل الشركات الامريكية والبريطانية اكثر من ٨٠ فى المائة من مجموع الشركات العاملة فى البترول العربى . وعلى سبيل المثال فقد كانت نسبة انتاج الاحتكارات السبعة الكبرى العاملة فى الشرق العربى فى عام ١٩٦٠ من الانتاج العربى على النحو التالى :

ستاندارد جرسى	١٠٫٨٪
الخليج	١٧٫٣٪
تكساكو	٨٫٥ ٪
ستاندارد كاليفورنيا	٨٫٥ ٪
سوكونى موبيل	٦٫٢ ٪
امريكية	٥١٫٣٪
البترول البريطانية	٢٧٫٥٪
شل الهولندية البريطانية	٧٫٧ ٪
	٣٥٫٢٪

وتقتسم النسبة الباقية شركات فرنسية وهولندية ويابانية والمانية وايطالية . وقد تعدلت هذه النسب فى السنوات الاخيرة بحيث صارت الصورة تقريبا كما يلى :

الاحتكارات الامريكية	٥٧٫٥٪
الاحتكارات البريطانية والهولندية	٢٦٫٤٪
الاحتكارات الفرنسية	١١٪
الاحتكارات اليابانية والايطالية والالمانية	٣٫٤ ٪
الشركات الوطنية	١٫٧ ٪

فالى جانب حصة بريطانيا فى شركة نفط العراق (٤٧٫٥ فى المائة مع هولندا) ونصيبها فى بترول ليبيا ، تملك بريطانيا ٢٩ فى المائة من الامتيازات البترولية فى الخليج العربى ممثلة شركة البترول البريطانية التى تملك الحكومة البريطانية نفسها ٥٠ فى المائة من اسهمها وممثلة الجانب البريطانى بنسبة ٤٠ فى المائة فى مجموعة شركة رويال دتش شل الهولندية الانجليزية . وتسيطر انجلترا على ٢٩ فى المائة من مجموع انتاج الخليج البالغ حوالى ٨ ملايين برميل فى اليوم ، كما يمثل البترول العربى ٧٠ فى المائة من مجموع واردات بريطانيا من البترول .

اما فرنسا فتحتل مركزا ممتازا فى بترول الجزائر ، وطبقا لاتفاقية افيان ، احتفظت الاحتكارات الفرنسية ليس فقط باحتياطى البترول المكتشف ، وانما كذلك بأولوية الحصول على امتيازات جديدة لمدى ست سنوات . وتتراوح الارباح الصافية للشركات الفرنسية فى بترول الجزائر بين ١٢٠٠ و١٨٠٠ مليون فرنك سنويا ، بينما لم تتلق الحكومة الجزائرية سوى ٢٠ فى المائة منها . وفى عام ١٩٦٥ عقدت اتفاقية بين الشركة الفرنسية الحكومية سوبيفال والشركة الجزائرية سونا طراك فرفعت حصة الجزائر فى الارباح لكن فرنسا احتفظت بامتياز البترول لمدة ١٥ سنة أخرى . وفى عام ١٩٦٧ قامت جمعية تعاونية بين الشركة البترولية الفرنسية فى الجزائر (ايراب) التى تمثل المؤسسة الصناعية والتجارية الفرنسية وبين شركة سونا طراك لاستغلال وتطوير الانتاج فى ٤٠٠٠ ميل من ارض الجزائر . وعندما كانت الجزائر فى عام ١٩٦٧ تنتج نحو ٤٠ مليون طن من البترول الخام ، كانت تصدر ٩٦ فى المائة من هذا الانتاج .

ومن المعروف ان هولندا تملك ٦٠ فى المائة من أسهم شركة رويال دتش شل التى ترتبط بها عائلة روتشيلد ، وتملك نسبة كبيرة من اسهمها .

اما اليابان فقد اهتمت باستخراج البترول من البحار . فالشركة اليابانية العربية مثلا قد حصلت من السعودية والكويت على امتيازات فى المياه الاقليمية للمنطقة المحايدة السعودية والكويتية .

وقد اقامت ايطاليا ، الى جانب شركة اينى التى تعمل فى استخراج البترول العربى ، صناعة كبيرة فى اراضيها لتكرير البترول معتمدة على البترول العربى ، فمعامل تكرير البترول فى البلاد العربية

لا تمثل اكثر من ٩ر٣ فى المائة من الطاقة العالمية للتكرير ، بينما يمثل البترول العربى اكثر من ٣٠ فى المائة من الانتاج العالمى .

الثروات العربية للعرب

فى ١٧ فبراير ١٩٧٠ كتبت صحيفة (نيويورك تايمز) تعلق على البيان الصادر عن اجتماع رؤساء دول المواجهة والداعى لتصفية الوضع الاستعمارى الذى يتمثل فى استغلال موارد وخيرات الامة العربية وتقديمها عونا وسلاحا لاسرائيل ، فذكرت ان عوائد البترول تمثل ٨٥ فى المائة من دخل السعودية و٩٥ فى المائة من دخل الكويت و٧٥ فى المائة من دخل ليبيا و٨٠ فى المائة من دخل العراق ، واستخلصت من ذلك ان البلاد العربية لن تمس الاستثمارات الاجنبية فى البترول خوفا من « نكسات كبيرة بما فيها وقف الاموال المستخدمة لمساندة الفدائيين العرب » ، وبالطبع تسلم الصحيفة بأن وقف البترول عن الولايات المتحدة قد يصيب بالعجز ايضا صناعة اوربا واليابان فى مدى ستة شهور . ولهذا اعتبرت الصحيفة لقاء المصالح العربية والامريكية « زواجا غير سعيد » محكوما عليه بان يستمر بشكل ما لبعض الوقت .

وهناك من يرى ان الاستراتيجية الامريكية سوف تجد نفسها مجبرة على ان تأخذ فى تقديرها العمل الاستراتيجى العربى ، وذلك بالبحث عن صيغة جديدة تضمن للولايات المتحدة مصالحها فى المنطقة وذلك انطلاقا من حقيقة قائمة لم تعد محل جدل وهى حتمية استمرار المسيرة العربية التقدمية . وهذا يتطلب ضرورة مواءمة المصالح الامريكية كما ونوعا مع تلك الحقيقة الواضحة بحيث لا تتناقض معها . لكن من الصعب ان نتوقع مثل هذا الحساب المتعقل من جانب الادارة الامريكية . ولهذا يجب ان تعد حساباتنا على اساس آخر هو استمرار امريكا فى تحديها لارادة الشعوب العربية .

وعندئذ فسوف تتجسد فى البترول العربى اهم المصالح الامريكية فى المنطقة . وليس من الضرورى ان نحصر انفسنا فى البحث عن حلول قد تبدو مستعصية حاليا مثل تأميم المصالح الامريكية فى البترول او وقف ضخ البترول . وانما توجد امامنا طائفة من الحلول تمتد على مدى واسع وتتعلق جميعا بشروط استغلال البترول العربى ونقله وتسويقه وتكريره . وفى هذا الصدد يحسن ان نضع فى الاعتبار بعض الحقائق الهامة واهمها :

اولا ــ ان اغلب الحكومات العربية لا رقابة لها على حجم الانتاج من البترول ولا على حجم صادراته ولا على الجهة التى يصدر اليها ولا على الاسعار التى يباع بها فى الاسواق الخارجية . وبالمثل فان نقل البترول بعيد الى حد كبير عن الاشراف العربى . وفيما عدا انابيب شركة نفط العراق وانابيب شركة تابلاين ارامكو فانه يجرى حاليا شحن جزء من بترول الخليج بواسطة خط انابيب البترول الاسرائيلى .

ثانيا ــ ان الدول التى استأثرت حتى الان بنصيب الاسد فى البترول العربى وهى الولايات المتحدة وبريطانيا قد تميزت دائما بموقفها المنحاز بسفور لاسرائيل على خلاف الدول الاخرى كايطاليا وفرنسا واسبانيا واليابان . والغريب ان سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية وهى التى شهدت تعمق جذور المصالح الامريكية فى البلاد العربية هى نفسها التى شهدت اشد مواقف العداء الامريكى للعرب : مشروع تقسيم فلسطين فى ٤٧ ، الاعتراف الفورى باسرائيل فى ٤٨ ، مشروع النقطة الرابعة فى ٤٩ ، التصريح الثلاثى لضمان اسرائيل فى ١٩٥٠ . ان هذا الواقع يكفى للقضاء على فكرة امكان كسب صداقة امريكا . ومع ان ما تحصل عليه امريكا من وراء البترول العربى شىء هائل الى حد انها لن تفرط فيه بسهولة ، فان عائدات البترول العربى للحكومات العربية خلال السنوات العشرة من ١٩٦٨ الى ١٩٧٧ ، ومع بقاء شروط استغلاله ، كما هى تقدر بحوالى ٧ بلايين دولار سنويا . وهى ايضا قوة اقتصادية هائلة .

ثالثا ــ ان بعض المؤسسات المالية اليهودية المعروفة بمساندتها الكاملة لاسرائيل قد تمكنت من شراء قدر لا يستهان به من اسهم شركات البترول العاملة فى البلاد العربية . وفى مقدمة هذه المؤسسات بنوك وشركات آل روتشيلد التى تملك اسهما فى شركة شل الهولندية الانجليزية وشركة الخليج الامريكية وشركة البترول الفرنسية . ويتم شراء هذه الاسهم احيانا بصورة مستترة عن طريق شركات التمويل التى يسيطر عليها آل روتشيلد وفى مقدمتها (الشركة الفرنسية للاستثمارات البترولية) و (شركة استثمارات الشمال) الفرنسية . وقد طرحت مؤخرا فى عام ١٩٦٨ شركة الخليج الامريكية التى تملك ٥٠ فى المائة من اسهم شركة نفط الكويت قرضا عاليا بمبلغ ٤٠ مليون دولار بفائدة ٧ فى المائة فسارع للاكتتاب فيه آل روتشيلد وبنك لازار ومؤسسة صامويل وكلها بيوت صهيونية . ومن المعروف اخيرا ان شركتى سوكونى وشل قد امدتا اسرائيل بكميات كبيرة من البترول الخام وان شركة شل قد وقعت مع اسرائيل عقدا طويل الاجل لتزويدها بكميات من البترول (الفنزويلى) قيمتها مليون جنيه استرلينى تقريبا فى السنة .

لذلك نطرح للبحث هنا مسالة اهمية مراجعة شروط استغلال البترول العربى ونقله وتسويقه الخارجى وتكريره .

ا ــ شروط الاستغلال : واهم ما فيها الا تصبح احتكارات البترول دولة داخل الدولة ، ولذلك لابد من ضمان سيادة الدولة العربية على اراضيها ومياهها وسكانها . كما يهم الا تتحول مناطق الاستخراج الى واحات داخل صحارى ، معزولة عنها ، ولا صلة لها باقتصادها القومى ككل . ولذلك لابد من ضمان معدلات طبيعية للانتاج منعا لاستنفاد احتياطيات البترول بطريقة مصطنعة ، ووضع اسس اخرى للمحاسبة عن الزيادة غير المتوقعة فى الانتاج ، واعادة النظر بانتظام فى حصة الدولة العربية من العوائد ، واخضاع حساب تكاليف الانتاج لرقابة جدية ، وتحرير العوائد العربية من أى قيد على حرية التصرف فيها او اسلوب استخدامها ، وفرض رقابة فعالة على العمالة والادارة كما ونوعا ، وترتيب طريقة مستقرة لدفع عوائد الدولة تمنع استخدامها وسيلة للضغط الاقتصادى أوالسياسى، السنوى أو الموسمى على الدولة العربية .

ب ــ شروط النقل : وسواء كان النقل عبر الأنابيب أو بواسطة ناقلات البترول ، فمن الضرورى ضمان اجور معينة مثل عدم نقل البترول العربى عبرأنابيب اسرائيل، اعادة النظر باستمرار فى عوائد المرور ، بحث موضوع المشاركة بشكل او بآخر فى أرباح احتكارات النقل ، وضع شروط خاصة للنقل الى اى بلد عربى ، طرح موضوع انشاء الأسطول العربى لنقل البترول .

جـ ــ شروط التسويق الخارجى : ويبدو هذا الموضوع من ابعد الأمور عن سيطرة الدول العربية المنتجة للبترول . فالبترول العربى قد يباع فى نهاية الأمر لاسرائيل . وهو يستخدم حاليا لتموين حروب القوات الأمريكية فى الهند الصينية . ولذلك نطرح هنا ضرورة التدخل لتحديد الدولة او الجهة التى يباع لها البترول ابتداء وانتهاء ، وتحديد الغرض الذى يمكن أن يستخدم فيه . ومن الممكن التوصل هنا الى خطوط عريضة لا تتعارض مع أهداف الأمة العربية وشعوبها فى هذه المرحلة .

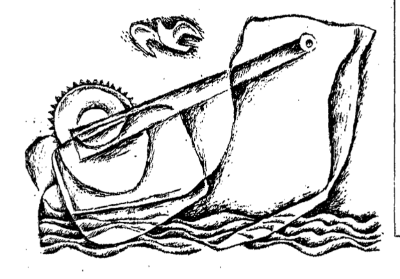
د ــ شروط التكرير : وتكرير البترول صناعة مثلها مثل صناعة الاستخراج ، وقد تكون بالنسبة للبلد المنتج للبترول اكثر أهمية بالنسبة لدخله القومى وعملية التنمية الاقتصادية فيه . لذلك يمكن ان نطرح هنا أمرين : **الاول** هو التدخل لتحديد البلاد التى يمكن ان يتم فيها التكرير بوصفها بلادا عربية او بلادا صديقة للعرب ، **والثانى** هو ضرورة رفع طاقة التكرير العربية سواء بتوسيع المعامل القائمة أو انشاء معامل جديدة على نطاق جميع البلاد المنتجة للبترول تلزم احتكارات البترول بانشائها أو بالمشاركة فيها .

وكل ما قدمناه ليس سوى محاولة لفتح باب البحث والدراسة فى موضوع غنى بالاقتراحات.



استراتيجية الحرب والسلم في البحر الأبيض

وديع وهيب



لعل الدماء التي سالت فوق مياه هذا البحر ، الذى مازلنا نسميه بالبحر الابيض تفوق ما سال منها فوق مياه اى بحر آخر ، لقد شاركت امواجه فى تشكيل احداث اكبر حربين عالميتين ، وساهمت سواحله وموانيه فى تحديد نتائج عدد ليس بالقليل من اهم معارك التاريخ المعاصر ، لكن هذا ليس هو كل تاريخ البحر الابيض .

لقد أطلق المؤرخون على حوضه تعبير « بوتقة الحضارات الانسانية » وبنفس القدر الذى حملت فيه مياه البحر الابيض البضائع والمنتجات ، والبوارج والمدمرات ، حملت أيضا الافكار والفلسفات ، والتجارب والخبرات لأعرق الحضارات التى شهدتها الانسانية فى تاريخها .

وطالما ظلت الملاحة البحرية وسيلة أساسية للمواصلات الدولية ، احتل البحر الابيض مركزه الرئيسى فى التجارة الدولية طوال الوقت فيما عدا فترة قصيرة فيما بين اكتشاف رأس الرجاء الصالح وشق قناة السويس التى عادت للبحر بعدها كامل اهميته ، وعندما احتلت الملاحة الجوية مكانها فى المواصلات الدولية احتفظ حوض البحر الابيض بمركزه ، بل وتضاعفت أهمية هذا المركز ، بفضل طقسه المتميز الملائم للملاحة الجوية .

لقد ارتبط التاريخ الحديث للبحر الابيض بموقعه الجغرافى الذى وضعه بين القوى الاوروبية المتنافسة من ناحية وبين « ممتلكاتها » فيما وراء البحار من ناحية اخرى ، وكونه الطريق الاساسى لاوروبا الى هذه «الممتلكات» ، ومنذ حروب القارة الاوروبية فى القرن الثامن عشر والحروب المبكرة للنزاع حول المستعمرات ، احتل البحر الابيض مركزه فى الاستراتيجيات الدولية الحديثة ، وظل « محور السلم والحرب » طوال القرون الاخيرة .

ومع اكتشاف البترول وتدفقه من أهم منابعه فى الشرق الاوسط الى الساحل الجنوبى والشرقى للبحر الابيض فى طريقه الى اوروبا التى تستهلك حوالى ٦٦ فى المائة منه ، تمثل شريان حياتها الاقتصادية الحديثة ، استحق البحر الابيض أيضا

لقب « بحر البترول » وتدفقت على حوضه الاحتكارات الصناعية واحتكارات النقل والتوزيع ، واكتسب ثقلا خاصا فى الاستراتيجيات الدولية .

ان حوض البحر الابيض يضم سبع عشرة دولة هى اسبانيا وفرنسا وايطاليا ويوغوسلافيا والبانيا واليونان وتركيا وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، ومع ذلك فطوال العصر الحديث ظلت الملاحة فى هذا البحر تحت سيطرة دول من خارج حوضه ، وظلت مصائر الملايين التى تعيش فوق هذا الحوض ، والتى تربو فى السبعينات على حوالى الثلاثمائة مليون نسمة ، تتقرر فى عواصم دول تبعد عنه بمئات ، واحيانا بآلاف الكيلومترات .

كما كان تميز البحر الابيض بحدوده المحكمة ، وامكانية التحكم فى الملاحة البحرية فيه بالسيطرة على عدد قليل نسبيا من المراكز الاستراتيجية أهمها جبل طارق وقناة السويس والبوسفور وعدد من الجزر الصغيرة ، من العوامل التى اغرت القوى الاستعمارية المختلفة ، سواء بريطانيا او ايطاليا فى عهد موسولينى او الولايات المتحدة ، لان تحاول الانفراد بالسيطرة عليه تماما ، متخذة من شعار روما القديمة *Mara Nostreem* شعارا لها ، على الرغم من الوضع القانونى للبحر الابيض الذى ينص على كونه « بحرا مفتوحا » [1] .

الاستراتيجية البريطانية فى البحـــر الابيض

الى جانب هدف الاستيلاء على الاسواق ، كانت سيطرة الدول الاوروبية على أجزاء مختلفة من حوض البحر الابيض تهدف الى موازنة القوى بين بلدان القارة الاوروبية داخل اوربا نفسها ، ومن هنا كان « الامتداد » الاسبانى الى مراكش والفرنسى الى الجزائر ، والايطالى الى ليبيا ، ولكن بالنسبة لبريطانيا ، احتل البحر الابيض مركزا خاصا فى استراتيجيتها باعتباره طريقها الى الهند ، لا سيما بعد حفر قناة السويس .

وقام المفهوم الاستراتيجى البريطانى على اعتبار ان البحر الابيض والبحر الاسود والبحر الاحمر وحدة استراتيجية واحدة لا يمكن تحقيق السيطرة على واحد منها دون السيطرة على الاجزاء الثلاثة ، فتقول دائرة المعارف البريطانية « ان البحر الاسود هو مجرد جيب للبحر الابيض ، وليس البحر الاحمر سوى مصرفه الوحيد اذا أبحرنا من اوروبا شرقا ، ولا يمكن رسم سياسة بحرية ثابتة دون وضع الاجزاء الثلاثة فى الاعتبار كوحدة واحدة .

اما الاستراتيجية البريطانية للسيطرة على البحر الابيض فقد ارتكزت على مبادىء أساسية ثلاثة :

١ ــ تحقيق وجود بريطانى فى البحر الابيض باحتلال كل النقاط الاستراتيجية فيه ، فتم لها الاستيلاء على جبل طارق عام ١٧٠٤ ، وعلى مالطة عام ١٨٠٠ ، وعلى عدن عام ١٨٣٩ (وتعتبرها الاستراتيجية البريطانية أحد أبواب البحر الابيض) وعلى قبرص عام ١٨٧٨ ، ثم على مصر عام ١٨٨٢ .

٢ ــ ابعاد اى منافسة بحرية لاسطولها ، وتحقق لها ذلك بتحطيم الاسطول الفرنسى فى الطرف الاغر ، والاسطول العربى فى نافارين ، ثم بالمعاهدة البريطانية الفرنسية عام ١٩٠٤ .

٣ ــ الحيلولة دون قيام أية دولة كبرى موحدة فى أى جزء من اجزائه ، ولقد كان هذا الهدف هو الذى حدد اتجاهات السياسة البريطانية سواء بالنسبة للمسألة البلقانية ، أو بازاء المنطقة العربية تنفيذا لتقرير بنرمان الشهير الذى أوصى بالعمل على خلق حاجز بشرى بين شرق البحر الابيض وغربه ، لمنع قيام دولة عربية موحدة على الشاطىء الجنوبى والشرقى من البحر الابيض (٢) .

ولقد تمكنت بريطانيا من تنفيذ استراتيجيتها بنجاح ضمن لها سيطرة شبه كاملة على البحر الابيض طوال الفترة ما بين منتصف القرن الثامن عشر حتى الحرب العالمية الثانية ، واذا كان الاسطول البريطانى قد فقد سيطرته فى البحر الابيض مع افول الامبراطورية البريطانية ، فانه مازال يحاول أن يلعب دورا فى اطار الاستراتيجية الامبريالية العامة وتحت جناح الاسطول الامريكى ، وهو ما عبرت عنه جريدة « **فاينانشيال تايمز** » البريطانية فى تعليقها على تحركات سفن الاسطول البريطانى فى شرق البحر الابيض أثناء التحضير لعدوان يونيو ١٩٦٧ بقولها : « قد تبين الازمة القائمة فى الشرق الاوسط أن دول الصف

---

(١) بريماكوف ــ النشرة الاخبارية ١٩٦٨/١٢/١
(٢) ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية ــ القاهرة ــ ١٩٧٠ ص١٤٣ .

الاوسط مثل بريطانيا تستطيع مع الحليفة الكبرى ان تقوم فى بعض الظروف بعمليات تدخل معينة كانت فاعليتها قد توقفت بالنسبة لمردة وعمالقة الاسلحة النووية » (٣) والمقصود هو أن يوكل للاسطول البريطانى القيام بالعمليات الصغيرة التى يخشى ان يؤدى اضطلاع الاسطول الامريكى بها الى خطر مواجهة نووية مع الاتحاد السوفيتى .

الاسطول الامريكى يرث السيادة البريطانية البحرية

لم تخل فترة السيطرة البريطانية على البحر الابيض من تدخل أمريكى هنا وهناك خاصة اذا تعلق الامر ببترول الشرق الاوسط .

لقد شهدت مفاوضات الصلح فى باريس بعد الحرب العالمية الاولى صراعات حادة بين بريطانيا وأمريكا حول الاتفاقيات البترولية التى كانت شركة ستاندرد اويل اوف نيويورك قد تمكنت من الحصول عليها فى فلسطين عام ١٩١٤ ولم تتم تسوية النزاعات الا فى « اتفاقية الخط الاحمر » عام ١٩٢٨ التى تم بمقتضاها تنازل ستاندرد اويل عن امتيازاتها فى فلسطين لمجموعة شركة نفط العراق ككل مقابل ضمان ٢٣٫٧٥ فى المائة من أسهم الشركة الاخيرة لرأس المال الامريكى . [٤] واستمرت المناوشات تجرى هنا وهناك حتى جاء عام ١٩٤٢ ليمثل بداية حقبة جديدة فى تاريخ حوض البحر الابيض .

لقد استدعت الحرب ضد النازية الهتلرية نزول القوات الامريكية ودخول الاسطول الامريكى فى غرب ساحل البحر الابيض ، ولكن نهاية الحرب العالمية الثانية لم تنه الوجود الامريكى العسكرى فى البحر الابيض ، وكانت استراتيجية البنتاجون فى السيطرة العالمية قد تبلورت ، وكان البحر الابيض مفتاحا رئيسيا لهذه الاستراتيجية . « فالسيطرة على البحر الابيض هى مفتاح اوروبا الاطلنطية ، ومفتاح السيطرة على الشرق الاوسط ، وعلى أفريقيا والمحيط الهندى » (٥) . ويؤكد الكاتب الامريكى **ويليام ريتزل** فى كتابه المبكر «دور البحر الابيض المتوسط فى السياسة الخارجية الامريكية » انه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية « ارتبط البحر الابيض بمستقبل الولايات المتحدة » ويعدد أسباب ذلك قائلا « ان الاحتياطيات البترولية فى الشرق الاوسط (وحوالى ٦٠ فى المائة منها اصبحت فى حوزة رأس المال الامريكى) أصبحت ضرورية للامن القومى الامريكى ، ومن المهم ابعاد الاتحاد السوفيتى ومحاصرته بعيدا عن البحر الابيض ، كما أن السياسة الامريكية فى اوربا تتطلب مساندة استراتيجية حازمة فى البحر الابيض » (٦) .

وتقول دائرة المعارف البريطانية « ان المشروعات الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية ابتداء من مشروع مارشال وترومان وحلف الاطلنطى ونظرية ايزنهاور كانت تهدف كلها الى ابقاء البحر الابيض تحت السيطرة الغربية » .

وخلال السنوات القليلة التى تلت نهاية الحرب العالمية تبلورت الخطوط الرئيسية للاستراتيجية الامريكية لتحويل البحر الابيض الى « البحيرة الامريكية السادسة » وفق الخطوط الرئيسية التالية :

١ ــ الحلول التدريجى محل الاستعماريين الانجليز والفرنسيين والايطاليين القدامى فى حوض البحر الابيض ووراثة السيادة البريطانية على مياهه ، باستغلال نتائج الحرب العالمية الثانية وما ادت اليه من هزيمة ايطاليا وانهيارها ، ومن تدهور المركز الاقتصادى والعسكرى لكل من بريطانيا وفرنسا ، وكان مشروع مارشال من اهم الاسلحة الامريكية بهذا الصدد ، ولم يكن ادراك السياسة البريطانية للاهداف الامريكية بحائل كبير امام الاستراتيجية الامريكية ، فلقد كان هزال بريطانيا فى هذه الفترة دافعا لها الى التسليم بمصالح امريكا فى المنطقة .

يقول ريتشارد كروسمان مخاطبا الامريكيين « كلما زاد توتر الوضع الدولى كلما زادت الحاجة الى هذه القاعدة (فلسطين) وزادت الحاجة لعلاقات ثقة متبادلة بين بريطانيا والبلدان التى توجد فيها حقول البترول ، وبالمثل كلما زاد التوتر بين أمريكا وروسيا كلما زادت مصلحة

---

(٣) فاينانشيال تايمز ــ ١٩٦٧/٥/٢
(٤) ملف النزاع العربى الاسرائيلى ــ المركز العربى للدراسات السياسية والاقتصادية [مؤسسة الاهرام] الباب الثانى [مخطوط معد للطبع] .
(٥) بريماكوف ــ المرجع السابق .
(٦) ويليام ريتزل ــ [دور البحر الابيض فى السياسة الخارجية الامريكية] نيويورك ١٩٤٨ ص ١ .

أمريكا فى المحافظة على موضع بريطانيا فى الشرق الاوسط الذى يحمى لا البترول البريطانى وحده بل والبترول الامريكى ايضا » (٧) ٠

بل لقد اضطرت بريطانيا فى كثير من الاحوال ان تطلب من الامريكيين صراحة الحلول محلها فى بعض المناطق التى كان موقفها فيها ميئوسا منه ، ويعبر بيفن عن ذلك بقوله : « ليس فى نية بريطانيا العظمى ان تساهم فى خلق فراغ فى المنطقة [الشرق الاوسط] ، وهى اذا ما انسحبت فان هذا سيتم بعد الالمام مقدما بأن هناك من سيحل محلها » [٨] ٠

٢ ــ استبدال الاساليب الاستعمارية القديمة بأساليب الاستعمار الجديد للالتفاف حول الحركة الوطنية النامية ، وذلك بتأييد منح استقلال اسمى لدول المنطقة مع الاعتماد على الحكومات العميلة فى ربط دولها بالسياسة الامريكية عن طريق القواعد والاحلاف العسكرية ، لانشاء حزام عسكرى حول جنوب الاتحاد السوفيتى ، مكملا لحلف الاطلنطى ٠

٣ ــ توثيق الروابط مع الحركة الصهيونية وخلق دولة للصهيونية فى فلسطين لتلعب دور القوة البوليسية الامامية للاحتكارات الامريكية فى صراعها للحفاظ على منابع البترول فى الشرق الاوسط فى مواجهة أية حركة اجتماعية مناهضة لهذه الاحتكارات ، وهو تطبيق مبكر لاستراتيجية الحرب الخاصة التى بلورها الجنرال تايلور فيما بعد ٠

٤ ــ أن يتولى الاسطول السادس الامريكى (الذى تشكل بشكل نهائى فى يونيو ١٩٤٨) تنفيذ سياسة « **العصا الغليظة** » فى مواجهة أية احتمالات خطرة تهدد المصالح الامريكية ٠

ولم تخف الدوائر الامريكية طبيعة الاسطول السادس هذه . فكتبت صحف نيويورك « ان الاسطول السادس هو عصاتنا الغليظة المرفوعة فوق البحر الابيض الذى يتحول الى بحيرة امريكية » (٩)

وحدد الادميرال **ويليام مارتن** قائد الاسطول السادس مهامه بقوله :

« يجب أن يكون الاسطول السادس مستعدا للرد على أية احتمالات غير متوقعة طبقا لتعليمات السلطات العليا ، وهذه الردود قد تأخذ كافة الاشكال ابتداء من استعراضات القوة العسكرية الصرفة ، الى اجلاء المواطنين الامريكيين من أى بلد ، الى عمليات الانزال الصريحة » (١٠) ٠

والاسطول السادس الامريكى أسطول غزو متكامل مستقل بذاته ، ان له قواعده البحرية فى اسبانيا أو فى سيدى يحيى بالمغرب ، وفى هويلس فى ليبيا (قبل الجلاء عنها مؤخرا) ، بالاضافة الى قواعد حلف الاطلنطى فى جنوب فرنسا وايطاليا واليونان وتركيا ومالطة ، على الرغم من أن السياسة الامريكية تعمدت ان يكون الاسطول السادس قوة أمريكية صرفة فى البحر الابيض ، وألا يكون جزءا من قوات حلف الاطلنطى للحيلولة دون أية تدخلات أوروبية غير مرغوب فيها ٠

ويتكون الاسطول السادس من ٥٠ سفينة حربية تحمل أكثر من ٢٥ ألف جندى وألفين من مشاة الاسطول ، ويضم حاملتى طائرات على كل منها ١٠٠ طائرة مجهزة لمواجهة شتى أنواع الحروب ، المحدودة منها والنووية ، بالاضافة الى غواصات جولاريس النووية ٠

ولقد تميز تاريخ السيطرة الامريكية فى البحر الابيض بعدد من التدخلات الامريكية الصريحة فى الشئون الداخلية لدول المنطقة ، وكان التدخل فى الحرب الاهلية فى اليونان بناء على قرار ١٣ مارس ١٩٤٧ المعروف بمبدأ ترومان من اوائل الاعمال التى اضطلع بها الاسطول الامريكى فى البحر الابيض وكتب ل ٠ **سولزبرجر** فى النيويورك تايمز يشرح اهداف القرار قائلا : « .. ان اهتمامنا باليونان ليس مجرد مسالة عاطفية ، ان اليونان تتحكم فى استراتيجية شرق البحر الابيض ، فاذا سقطت اليونان فى يد الشيوعيين انكشف جناح تركيا التى تعانى ضغطا عنيفا ، وبدون تركيا سوف تنهار ايران ، ومن وراء هذه الدول الثلاث التى تربط آسيا بأوروبا تمتد الدول العربية غير المستقرة ، وهنا توجد للولايات المتحدة مصالح هامة ٠٠ ان هناك من احتياطيات البترول ما يفوق كل ما تعد به الارض الامريكية » (١١) ٠

---

(٧) ويليام ريتزل ــ المرجع السابق ص ٨٨ ٠
(٨) وثائق الاحداث الدولية [مايو ١٩٤٦] ص ٢٨٠ ٠
(٩) يرماكوف ــ المرجع السابق ٠
(١٠) ويليام مارتن ــ تصريح لنيوزويك الامريكية فى ١٩٦٨/٥/١٠ ٠
(١١) س.ل.سولزبرجر ــ نيويورك تايمز ــ ١٩٤٧/٣/٥ ٠

وبعد اليونان جاء دور ايطاليا فى الانتخابات البرلمانية عام ١٩٤٨ حيث اضطلع الاسطول الامريكى بأكبر عملية تسريب للاسلحة الى المدن الايطالية لمساندة القوى الرجعية والاطاحة بحكومة الجبهة الشعبية ، ثم كانت عملية انزال مشاة الاسطول الامريكى فى لبنان فى يوليو ١٩٥٨ لتهديد الثورة العراقية وقمع الانتفاضة الشعبية اللبنانية .

ثم أخيرا وليس آخرا ، كان الاعلان الصريح عن بسط حماية الاسطول السادس على اسرائيل أثناء تحضيرها لعدوان يونيو ١٩٦٧ ، وهو ما أعلنه **ليفى اشكول** فى حديثه لمجلة نيوز أوف ذى ورلد الامريكية مرددا على لسان الرئيس الامريكى جونسون « لماذا تتعبون أنفسكم فى بناء أسطول ؟ وما هى مهمة الاسطول السادس اذن ؟ تستطيعون أيها الاصدقاء أن تعتمدوا على الاسطول السادس تماما » (١٢) .

لقد زادت أهمية دور الاسطول السادس فى نظر المسئولين الامريكيين خاصة بعد انسحاب فرنسا من اللجنة العسكرية لحلف الاطلنطى واعلان قبرص اتخاذها موقف الحياد ، ونمو اتجاهات عدم الرضا من جانب الحلفاء الاطلنطيين ازاء السياسة الامريكية ، وركزت السياسة الامريكية على دعم الاسطول السادس منذ ١٩٦٣ بالغواصات (بولاريس) المزودة بالصواريخ النووية وكتبت جريدة النجم الاحمر السوفيتية تقول « ان البحر الابيض أصبح الان أهم ميدان لعمليات الغواصات الامريكية المسلحة بالصواريخ ، ويعتبر بعض العسكريين الامريكيين ذلك البحر أنه الجناح الجنوبى لدول حلف الاطلنطى ، وهم يعتزمون تحويله الى مسرح لاستخدام الصواريخ النووية .

من الدعوة الى تجريد البحر الابيض من الاسلحة النووية ..

الى دخول الاسطول السوفيتي

فى مايو ١٩٦٣ اقترح الاتحاد السوفيتى فى مذكرة رسمية الاتفاق على جعل البحر الابيض منطقة خالية من الاسلحة النووية ، ولكن الاقتراح السوفيتى قوبل بالرفض من جانب الولايات المتحدة وأعلن المسئولون الامريكيون « أن الاقتراح السوفيتى ينصب على منطقة لا وجود لقوات عسكرية سوفيتية فيها ، ولن يؤثر تنفيذه الا على الدفاع الغربى ، ولذا فهو ليس سوى عملية دعائية موجهة ضد استخدام الامريكيين لغواصات بولاريس المزودة بالاسلحة الذرية فى البحر الابيض » (١٣) .

والواقع أن الاقتراح السوفيتى ظل بلا أصداء حقيقية طالما استمر انفراد الاسطول الامريكى بالسيطرة فى البحر الابيض ، واستمر الاسطول السادس يواصل عربدته فى البحر الابيض ويعد قواه لتلبية الاستراتيجيات الامريكية المختلفة سواء ما عرف منها باسم « الحرب المحدودة » أو « الحرب الخاصة » أو « سياسة الرد المرن » . ولكن هذه الفترة شهدت أيضا اتجاه الاتحاد السوفيتى الى تطوير قواه الدفاعية لمواجهة التاكتيكات الامريكية العدوانية ، ومع تزايد التهديد الامريكى الاسرائيلى للبلاد العربية شهد عام ١٩٦٧ بداية دخول الاسطول السوفيتى الى البحر الابيض ، الذى كان من نتيجته قلب كل المخططات الامريكية .

لقد نشطت أجهزة الدعاية الغربية تثير ضجيجا عاليا حول دخول الاسطول السوفيتى الى البحر الابيض لتصفه بأنه « أهم تطور فى العصر الحديث » و « التفاف حول بطن أوروبا الطرى » و « اغلاق للباب الخلفى لاوروبا » و « محاصرة سوفيتية للجناح الجنوبى لحلف الاطلنطى » ، و « تهديد لامن البحر الابيض » (١٤) . وكأن الشيء الطبيعى هو أن ينفرد الاسطول الامريكى بالتواجد فى البحر والسيطرة عليه ، وتناست الهدف الذى اعلنه الاميرال فلاديمير كازاتونوف النائب الاول لقائد القوات البحرية السوفيتية عندما قال « ان الاسطول السوفيتى موجود فى البحر الابيض لدعم التعاون مع الدول العربية فى مواجهة تهديدات الاسطول السادس ، ولحماية توازن الامن فى منطقة الشرق الاوسط » (١٥) .

يتكون الاسطول السوفيتى من حوالى ٤٠ ــ ٦٠ سفينة ، ليس كلها سفن حربية فبينها سفن لدراسة تيارات وطوبوغرافية اعماق البحار وسفن امدادات وسفن جمع معلومات ، وعشرون سفينة ذات طابع دفاعى وعدد من زوارق الطوربيد السريعة ، وأهم

---

(١٢) نيوز اوف ذى ورلد ١٩٦٧/٤/١٥ .
(١٣) ديلى نيوز ــ ١٩٦٣/٥/٢٢ .
(١٤) محمد حقى ــ الثورة الهادئة التى قام بها الاتحاد السوفيتى فى البحر الابيض ــ الاهرام ١٩٦٨/١٢/١٣ .
(١٥) الاهرام ١٩٦٩/١/٤ .

سلاحين فيه هما الغواصات النووية القانصة ، ومهمتها مواجهة غواصات بولاريس الامريكية وحاملتا طائرات الهليوكوبتر موسكوفا ولينينجراد تحرسهما مدمرات « كاشين » .

وعلى الرغم من ضجيج الحملة الغربية حول تهديد الاسطول السوفيتي لامن البحر الابيض! وعلى الرغم من بعض الصيحات غير المتبصرة لبعض الذين حاولوا التسوية بين الاسطول السوفيتي والاسطول الامريكي تحت ستار من موضوعية مبتذلة ، فلقد اعترف عدد من الصحف الرئيسية الهامة مثل الاوبزرفر الانجليزية والواشنطن بوست الامريكية واللوموند الفرنسية بالطابع الدفاعي للاسطول السوفيتي، وكتب « نيل استير لسون» مراسل الاوبزرفر يقول «ان الاتحاد السوفيتي لا يسعى في الواقع الى السيطرة على البحر الابيض بقدر ما يسعى الى تحدى سيطرة أمريكا عليه وموازنة قوتها فيه » .

ومهما كان من أمر النظريات العسكرية الخاصة بتفسير الاسباب الاستراتيجية لاهتمام الاتحاد السوفيتي بسلاح البحرية ، فان دخول الاسطول السوفيتي الى البحر الابيض قد قضى على الاحتكار الامريكي للملاحة في البحر الابيض ، واعاد للبحر الابيض من جديد ، ولاول مرة منذ القرن الثامن عشر صفته القانونية كبحر مفتوح للملاحة البحرية لا تنفرد بالسيطرة عليه أية دولة من الدول الكبرى ، أما النتيجة الاستراتيجية لذلك فلقد عبر عنها الادميرال **نيقولاى سيمونوف** بقوله لصحيفة وزارة الدفاع السوفيتية « لن يستطيع الاسطول السادس ان يقوم اليوم بمغامرات واشنطن وهو بمأمن من العقاب » . وذلك ما اعترفت به أيضا مجلة فورين افيرز الامريكية بقولها عام ١٩٦٨ « ان الولايات المتحدة لا تستطيع أن تكرر اليوم ما قامت به عام ١٩٥٨ عندما تدخل أسطولها في لبنان ، والسبب الرئيسي في ذلك يعود الى وجود الاسطول السوفيتي في البحر الابيض » .

لقد تمثل رد الفعل الامريكي في محاولة الولايات المتحدة تجنيد دول حلف الاطلنطي لمواجهة نتائج دخول الاسطول السوفيتي الى البحر ، وبالفعل وافق وزراء دفاع الحلف في ٢٨-٥-٦٩ على انشاء قوة بحرية للحلف في البحر الابيض تبدأ بست وحدات وأنشئت في نابلي بايطاليا قاعدة للغواصات تحت قيادة أمريكية ، ولكن النتائج الحقيقية كانت شيئا آخر .

المواجهة ونتائجها

لقد تعود المتطرفون الامريكيون أن يستخلصوا من وقائع الحصار الامريكي لكوبا عام ١٩٦٢ النتائج التي تخدم دعواتهم الى المغامرة ، ولكن عام ١٩٦٩ والذي أطلقت عليه مجلة **فورين افيرز** الامريكية اسم « عام الرد السوفيتي على التحدى الامريكي » ، شهد بعض الاحداث - خاصة في كوريا وتشيكوسلوفاكيا - التي كان لابد وأن تؤدى الى استخلاصات مغايرة ، وعلى الرغم من وقوع هذه الاحداث بعيدا عن مسرح البحر الابيض فان الصحافة الغربية لم تستطع الا أن تتذكرها عند الحديث عن الاوضاع في البحر الابيض واحتمالات المواجهة فيه ، وأخذ يتردد في التقارير الغربية الاقتناع بأن الاتحاد السوفيتي ليس على استعداد - مهما كانت الظروف - لان يقف مكتوف اليدين ازاء التهديد الصريح للدول الاشتراكية وخلق بؤر للحرب حول حدوده القومية ، ولذا اخذت تقارير حلف الاطلنطي الاخيرة تؤكد أن « الاتحاد السوفيتي مستعد لمواجهة في البحر الابيض » [١٦] ، وكانت النتيجة الايجابية لذلك ازدياد الاتجاهات في غرب اوروبا نحو سياسة ذاتية اكثر ميلا الى تخفيف حدة التوتر والتزام سياسة تهدف الى تحييد منطقة البحر الابيض ، وعندما اقترحت اسبانيا - لاكثر من سبب - تحييد منطقة البحر الابيض وجدت الدعوة ترحيبا من بعض الدول الاوربية الاعضاء في حلف الاطلنطي مثل فرنسا وايطاليا بهدف تجنيب دول البحر الابيض اخطار أى احتكاك مباشر او غير مباشر بين القوتين البحريتين السوفيتية والامريكية ، وهكذا حقق دخول الاسطول السوفيتي الى البحر الابيض قول كرمويل الشهير « الجندى أفضل سفير لبلاده » .

ومن ناحية أخرى لم يعد باب العدوان مفتوحا على مصراعيه أمام الولايات المتحدة وجنرالاتها ، وقد أشار معهد **انتربرايز** الامريكي في دراسة تحليلية له عن الاهمية العسكرية للوجود البحري السوفيتي في البحر الابيض ، أن مقدرة الاسطول السادس الامريكي على العمل قد هبطت كثيرا ولا يمكن استعادتها ، وعندما ذهب المتطرفون الاسرائيليون يطلبون من الولايات المتحدة أن تصدر انذارا حاسما لمصر والاتحاد السوفيتي برفع قواعد الصواريخ من الاراضي العربية ، كانت « حسابات القوة » التي وضعت أمام البيت الابيض في هذه

(١٦) اهرام ١٩٧٠/٥/٢٦ .

المرة تختلف كثيرا عن سابقاتها بحيث لم تسمح بالاقدام على مغامرة خطرة فى البحر الابيض ·

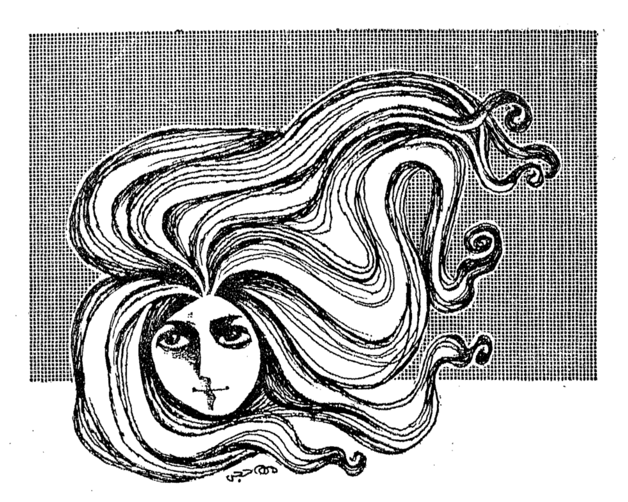
واذا كان هذا لا يعنى أن احتمالات عدوان امريكى ضد اية دولة من دول البحر الابيض قد انتفت ، فانه يعنى ان قوى السلم قد اصبحت فى موقع افضل يضطر الامبريالية الامريكية الى التردد والمناورة والالتفاف .

قضـــية عربية

ان قضية السلم والحرب فى البحر الابيض هى فى المحل الاول قضية عربية ، ان ثمانى دول عربية تحيط بالبحر جنوبا وشرقا ، واذا أخذنا بالمفهوم الاستراتيجى البريطانى لاصبحت السعودية واليمن شمالها وجنوبها والسودان دول بحر أبيض أيضا ، ولقد ارتبط سلام هذه الدول دائما بالاوضاع فى هذا البحر ·

ومن ناحية أخرى عبرت مياه البحر ـ خلال السيطرة الامبريالية عليه ـ كل حملات الغزو الامبريالى للبلاد العربية فى العصر الحديث ، كما حملت فيالق الهجرة الصهيونية الى أرض فلسطين ، وفيه تكمن كل مصادر التهديد لاستقلال وسلام الدول العربية · ومن حق هذه الدول ومن واجبها أن تحاول قلب اتجاه التيارات التى استمرت طيلة قرون تسرى ضد مصالحها ؛ ولن يتحقق ذلك الا من خلال استراتيجية واضحة لثورة العربية تميز بجلاء بين الاعداء والاصدقاء ، وتقدر بدقة الامكانيات والقدرات العربية ·





المرأة العاملة .. واقعها ومشاكلها

كان المشروع الخاص ببناء التنظيم النسائي في مقدمة توصيات المؤتمر القومي العام في دورته الرابعة ، ولا شك أن هذه التوصية جاءت نتيجة الحاح الواقع والضرورة، فمن غير المتصور أن تفتقر الحركة النسائية في مصر الى تنظيم ديمقراطي ، بعد أن ارتادت معظم مجالات العمل البناء في حقل الانتاج والخدمات وأسهمت بدور ايجابي في الحياة الثقافية والفنية والعلمية، وفي ظروف بلادنا حيث حقق شعبنا ـ رجالا ونساء ـ تقدما ضخما، وأحرز انتصارات مشهودة على النطاق الوطني والاجتماعي .

ان المرأة في مصر ـ ٤٩ في المائة أي حوالى ١٥ مليونا ، طبقا لاحصاء ١٩٦٦ ـ تتقدم بسرعة مذهلة في كل مجالات النشاط ، اذ تشكل نسبة ٢٤ في المائة في حقل التدريس والطب والعلوم والخدمة الاجتماعية ، و١٨ في المائة في مجال الخدمات، و١١ في المائة في الاعمال الكتابية، و١٠ في المائة في النشاط التجارى ، و٦ في المائة في الصناعة، و٥ في المائة في الوظائف [illegible] الرجل في الريف .

والواقع أن دخول المرأة الى ميدان الحياة العملية يترتب عليه ضرورة تغيير وضعها في المجتمع وكفالة الحقوق التى تتمشى مع اسهامها في عمليات البناء الاقتصادى والاجتماعى ومساواتها بالرجل .

وتواجه المرأة مشكلة مزدوجة ؟ أولها مايتعلق بحياتها الخاصة وحقوقها كامرأة في ظروف التقدم الحضاري والاجتماعي الذيحققته بلادنا ، اذ ليس بمستساغ ان تظل أسيرة قانون الاحوال الشخصية المتخلف فيالواقع المتطور الراهن ، وثانيهما المتعلق بنشاطها الانتاجي حيثما تعمل، والذييتركز في مطالبتها بالمساواة مع الرجل في الاجر والحقوق والترقي بالاضافة الى التيسيرات التي تتناسب مع طبيعتها كامرأة وأم .

وقد استخدمت الطليعة في هذه الدراسة أسلوب « الشهادات الواقعية » ، وشاركت في الاجابة عن الاسئلة التي وجهتها ٤١ امرأة عاملة من مجالات العمل المختلفة ، وعلق على الشهادات كل من : السيد يس ، فاطمة زكي ، أمينة شفيق .

وننشر فيما يلي نص هذه الاسئلة :

أولا :

١ — هل واجهتك مشكلات عائلية في التعليم والالتحاق بالعمل ؟ اذا كان هناك اعتراض فممن ؟ الاب ، الام ، الزوج ، الاخوة ... ؟

٢ — ان وجدت مثل هذه العقبات — فهل لا تزال قائمة — وكيف تغلبت عليها ؟

٣ — هل كان نوع العمل بناء على اختيار من جانبك ، أم كان استجابة لما كان معروضا ؟ وما هو نوع العمل أو الوظيفة التي تفضلين القيام بها — اذا تركت لك حرية الاختيار ؟

٤ — اذا تمكنت من توفير الاحتياجات المعيشية عن طريق آخر غير العمل .

هل تفضلين الاعتزال أم الاستمرار ؟ وهل تأملين في ترك العمل بعد فترة معينة ؟ وبسبب اية ظروف ؟

٥ — هل تشعرين بالمساواة مع زملائك من الرجال من ناحية المرتب والتقدم الوظيفي ؟

٦ — هل تحسين بتفرقة في اختيار العاملين من النساء والرجال في مجال التدريب المهني ؟

٧ — ماهي علاقتك برؤسائك وزملائك في العمل ؟ وما هي المصاعب التي تعانين منها ؟ والى ماذا ترجع في رأيك ؟

٨ — هل ترين قصر أعمال المراة علىوظائف أومهن معينة ؟ أي نوع من التخصص أقرب الى طبيعتها ، أم تشارك في كل أنشطة الرجال ؟

٩ — ألنتراضية عن عملك ؟ وتعتقدين أنه يتلاءم مع طبيعتك وخبرتك ومؤهلك ؟

١٠ — كيف التحقت بالعمل الراهن ؟ وهل تعرضت لاية ضغوط غير طبيعية ؟

١١ — ما رأيك في ساعات العمل ؟ هل هي مناسبة ؟

ثانيا :

١ — هلتم الزواج [أو ترين أن يتم] بالاختيار أو الرضاء من جانبيك ، أم كان مدبرا من العائلة أم مفروضا تحتضغوط معينة ؟ .. وكيف كان الاختيار .. من العمل أو العائلة ، أو المعارف ؟ .

٢ — كيف تمكنت من تأثيث منزل الزوجية ؟ مامدى مشاركتك في التأثيث ؟ أمن المدخرات ايراد خاص ، مهر .. الخ وهل تم اعداد المنزل كله مرة واحدة أم بالتدريج ؟ هل اضطررت الى الاستدانة أو التقسيط .. مساهمة فردية أم مشاركة من الجانبين ؟

٣ — كيف تواجهين الاعباء المنزلية .. شغالة ، مساهمة من العائلة .. وذلك في مجال :

* النظافة والغسيل
* اعداد الطعام
* الاطفال ورعايتهم

٤ — هل يشارك زوجك في مواجهة الاعباء المنزلية ، وفي هذه الحالة ما هي الجوانب التي يشارك فيها ؟

٥ — ما هي علاقتك بعائلتك وعائلة الزوج والجيران ؟

٦ — هلتستفيدين من المعدات المنزلية الحديثة في الاعمال المنزلية — غسالة .. ثلاجة الخ

٧ — ما هي أوجه انفاق مرتبك ومرتب زوجك في المعيشة، وكيف تنظمين الشئون المالية فيما بينكما ؟

٨ — هل تضطران احيانا للاقتراض / للاستدانة أو عمل « جمعيات » من أجل مواجهة النفقات ؟

٩ — هل تدخرين ؟ وما هو شكل الادخار انوجد ؟ [سندات .. صيغة .. الخ] .

١٠ — هل تعتقدين أن عملك يؤثر في تربية الاطفال ؟ وما نوع التأثير ؟

١١ — أين تقضين اجازتك .. المصيف .. البلدة .. الخ .

١٢ — كيف تقضين وقت فراغك .. تليفزيون ، قراءة ، اذاعة ، سينما، مسرح، حدائق، ناد ، أشغال الابرة ؟

١٣ — من يرعى اطفالك اثناء تغيبك من المنزل في ساعات العمل ؟

ثالثا :

١ — ما رأيك في تعدد الزوجات ؟ وحرية الرجل في الطلاق ؟ وقوانين الحضانة ؟

٢ — هل تعتبرين أجازات الوضع كافية ومناسبة .. وساعة الرضاعة وهل هي كافية ، وما رأيك في المدد المناسبة للحالتين ؟

٣ ـ هل ترسلين اطفالك الى دار الحضانة ؟ ما هى الاسباب فى الاحوال المختلفة ؟ هل تفضلين دور الحضانة على مستوى الحى أم فى الشركة [أن وجدت] .

رابعـا :

ـ هل انت عضو فى الاتحاد الاشتراكى .. اللجنة النقابية او النقابة المهنية ؟ وان لم تكونى عضوا ما سبب امتناعك عن العضوية ؟

ـ ما هو مستواك التنظيمى فيها ؟

ـ ما رايك فى نشاط هذه التنظيمات ؟

ـ ما رايك فى التنظيم النسائى وضرورته ومهامه ؟ وكيف يمكن فى رايك بدء تكوين هذا التنظيم .

خامسـا :

ـ ما رايك فى المعركة ضد الاستعمار والصهيونية ، فى واقعها ومستقبلها واحتمالاتها ؟

ـ ما تقديرك لدور المرأة فى هذه المعركة ؟

ـ ما رايك فى الواقع العربى والدولى والصراعات التى تدور فيه ، وتأثيرها على الصراع العربى الاسرائيلى ؟

من خلال الشهادات الواقعية ، قمنا برصد اهم البيانات ذات الدلالة الخاصة بالنساء اللاتى اشتركن فى الادلاء برايهن والاجابة عن الاسئلة المقدمة ، لما لهذا الرصد من فائدة فى تحديد نوعية العينات المختارة ووضعها الاجتماعى والاقتصادى وظروفها المعيشية .

وفيما يلى اهم البيانات المستخلصة :

جدول رقم (١)
توزيع الحالات حسب السن

	عدد	نسبة ٪
لغاية ١٥ سنة	٢	٤ر٩
اكثر من ١٥ الى ٢٠ سنة	٤	٩ر٨
ـ٢٥	٦	١٤ر٦
ـ٣٠	١٦	٣٩ر٠
ـ٣٥	٥	١٢ر٢
ـ٤٠	٥	١٢ر٢
ـ٤٥	٢	٤ر٩
غير مبين	١	٢ر٤
	٤١	

جدول رقم (٢)
توزيع الحالات حسب المؤهل الدراسى

	عدد	نسبة ٪
بدون	١٢	٢٩ر٣
ابتدائية	٣	٧ر٣
اعدادية	٦	١٤ر٦
مؤهل متوسط ـ ثانوى	١٠	٢٤ر٤
مؤهل جامعى ـ عال	٩	٢٢ر٠
ماجستير	١	٢ر٤
	٤١	

جدول رقم (٣)
توزيع الحالات حسب المهنة

	عدد	نسبة ٪
عاملة بمصنع	١١	٢٦ر٨
بائعة بشركة	٣	٧ر٣
اعمال كتابية وادارية	٨	١٩ر٥
مدرسة	٤	٩ر٨
عاملة موسمية فى الزراعة	٥	١٢ر٢
باحثة ـ مشرفة اجتماعية ـ طبية ـ صحفية ـ زائرة صحية	٧	١٧ر١
مهن أخرى (عاملة سينما ـ كوافير ممرضة)	٣	٧ر٣
	٤١	

جدول رقم (٤)
عدد سنوات العمل

	عدد	نسبة ٪
سنتان أواقل	٢	٤ر٩
اكثر من سنتين الى ٤ سنوات	٤	٩ر٨
اكثر من ٤ الى ٦ سنوات	٥	١٢ر٢
ـ٨	٩	٢٢ر٠
ـ١٠	٧	١٧ر١
ـ١٢	١	٢ر٤
ـ١٤	٢	٤ر٩
ـ١٦	٢	٤ر٩
اكثر	٣	٧ر٢
لاتستطيع تحديدها	٥	١٢ر٢
غير مبين	١	٢ر٤
	٤١	

جدول رقم (٥)
توزيع الحالات حسب مبلغ الاجر الشهرى

	عدد	نسبة ٪
عشرة جنيهات او اقل	١٣	٣١ر٧
اكثر من ١٠ الى ١٥ جنيها	١٠	٢٤ر٤
ـ٢٠ جنيها	٥	١٢ر٢
ـ٢٥	٢	٤ر٩
ـ٣٠	٥	١٢ر٤
ـ٣٥	٤	٩ر٨
اكثر من ذلك (٨٠ جنيها)	١	٢ر٤
غير مبين	١	٢ر٤
	٤١	

جدول رقم (٦)
توزيع الحالات حسب الحالة الزوجية

	عدد	نسبة ٪
آنسة	٦	١٤ر٦
متزوجة	٣٠	٧٣ر٢
مطلقة	٢	٤ر٩
ارملة	٣	٧ر٣
	٤١	

جدول رقم (٧)

توزيع المبحوثات حسب عدد الابناء

	عدد	نسبة ٪
ابن واحد او بنت واحدة	١٠	٤ر٢٤
اثنان	١١	٨ر٢٦
ثلاثة ابناء	٥	٢ر١٢
اربعة ابناء	١	٩ر٤
خمسة ابناء	١	٢ر٤
ستة ابناء	١	٢ر٤
سبعة ابناء	١	٢ر٤
لايوجد أبناء (بما فيهم ٦ آنسات)	١٠	٤ر٢٤
	٤١	

جدول رقم (٨)

وظيفة الزوج

	عدد	نسبة ٪
صيدلى / كيمائى / محاسب / مفتش مجامى / مدرس / مهندس	١١	٧ر٣٦
موظف ادارى او كتابى — مدير مكتب	١٠	٣ر٣٣
عامل صناعى	٥	٧ر١٦
عامل زراعى	١	٣ر٣
عامل خدمات	١	٣ر٣
بائع	١	٣ر٣
لايعمل (مشلول)	١	٣ر٣
	٣٠	

١١ حالة ليس لهن أزواج
[مطلقات — أرامل — آنسات]

جدول رقم (٩)

سن الزوجة وقت الزواج

	عدد	نسبة ٪
١٨ سنة أواقل	٨	٥ر١٩
اكثر من ١٨ الى ٢٢ سنة	٨	٥ر١٩
—٢٦	١١	٨ر٢٦
—٣٠	٤	٨ر٩
—٣٤	—	—
—٣٨	—	—
غير مبين	٤	٨ر٩
آنسات	٦	٦ر١٤
	٤١	

جدول رقم (١٠)

سن الزوج وقت الزواج

	عدد	نسبة ٪
١٨ سنة أواقل	—	
اكثر من ١٨ الى ٢٢ سنة	٦	٦ر١٤
—٢٦	١٠	٤ر٢٤
—٣٠	١٠	٤ر٢٤
—٣٤	١	٢ر٤
—٣٨	٤	٨ر٩
غير مبين	٦	٦ر١٤
حالات أصحابها آنسات	٤	٨ر٩
	٤١	

جدول رقم (١١)

اجر الزوج او مرتبه الشهرى

	عدد	نسبة ٪
عشرة جنيهات او اقل	٥	٢ر١٢
اكثر من ١٠ الى ١٥ جنيها	١	٢ر٤
—٢٠	٣	٣ر٧
—٢٥	١	٢ر٤
—٣٠	٣	٣ر٧
—٣٥	٣	٣ر٧
—٤٠	٣	٣ر٧
—٤٥		
—٥٠	١	٢ر٤
—٥٥		
—٦٠	٢	٩ر٤
لا يتكسب (مشلول)	١	٢ر٤
المرتب غير ثابت	٣	٣ر٧
غير مبين	٤	٨ر٩
لايوجد زوج (آنسات — مطلقات — ارامل)	١١	٨ر٢٦
	٤١	

جدول رقم (١٢)

نسبة الاناث الى مجموع العاملين والعاملات فى موقع العمل

	عدد	نسبة ٪
٢٠ ٪	٢	٩ر٤
٣٠ ٪	٧	١ر١٧
٤٠ ٪	٤	٨ر٩
٥٠ ٪	٤	٨ر٩
٦٠ ٪		
٧٠ ٪	٤	٨ر٩
٨٠ ٪	١	٢ر٤
٩٠ ٪		
١٠٠٪	١	٢ر٤
غير مبين	١٨	٩ر٤٣
	٤١	

جدول رقم (١٣)

المشتركات فى عضوية الاتحاد الاشتراكى

	عدد	نسبة ٪
مشتركات	١٦	٠ر٣٩٪
غير مشتركات	٢٥	٠ر٦١٪
	٤١	

جدول رقم (١٤)

المشتركات فى عضوية النقابة

	عدد	نسبة ٪
مشتركات	١٧	٥ر٤١٪
غير مشتركات — لاتوجد نقابية	٢٤	٥ر٥٨٪
	٤١	

شهادات واقعية

[١]

الاسم : سليمة عبد الونيس ابراهيم

السن : ٢٨ سنة

المؤهل : ـ

العمل : عاملة غزل (بالشركة المصرية لغزل ونسج الصوف .. وولتكس
سنوات العمل : ١٦ سنة .
الاجر : ١٤ جنيها

الحالة الاجتماعية .. (وعدد الابناء) : متزوجة .

السن وقت الزواج .. للزوجة والزوج : ٢٧ للزوجة ـ ٢٧ للزوج .

وظيفة الزوج : موظف بالشئون الادارية بالشركة المصرية لغزل ونسج الصوف وولتكس

مرتب الزوج : ١٨ جنيها
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : ١ : ٣

عضوية الاتحاد الاشتراكى ... النقابة : عضو عامل بالاتحاد الاشتراكى العربى ، ومشتركة فى النقابة

• • •

أولا :

١ ـ نعم واجهتنى مشكلات عائلية فى التعليم وهى عدم المقدرة على نفقات التعليم حيث أن التعليم لم يكن بالمجان كالان ، بالاضافة الى أنه كان من الضرورى أن أعمل حتى أساعد فى نفقات اخوتى الذكور الذين كانوا بالمدارس .

ومن هنا يتضح انه لم تكن هناك معارضة من أحد فى تعليمى او التحاقى بالعمل بل كان هناك عقيدة لدى عائلتى كاحدى عائلات الوجه القبلى بأن تعليم الاولاد أهم من تعليم البنات فكان هناك أولية .

٢ ـ يعمل زوجى على ازالة العقبات التى واجهت حياتى بالنسبة للتعليم ، بل يزيد على ذلك محاولة تثقيفى فى جميع المجالات وخاصة المجال السياسى بوصفه ملم بالسياسة ومن القادة السياسيين .

٣ ـ كان العمل مفروض على نتيجة للظروف العائلية ـ أى عمل مادام شريفا ، ويساعد على رفع مستوى معيشتى .

٤ ـ اذا تمكنت من رفع مستواى وتوفير حاجاتى المعيشية عن طريق آخر . فأفضل التفرغ لتربية اولادى ولعمل المنزل لانه لا يقل شيئا عن العمل بل يفيد الوطن اكثر .

٥ ـ نعم أشعر بالمساواة فى عملى مع زملائى خاصة وأنى أعمل بالانتاج .

٦ ـ أحس الى حد ما بتفرقة فى اختيار العاملين من النساء فى مجال التدريب المهنى .

٧ ـ علاقة احترام متبادل مع زملائى وزميلاتى وعلاقة رئيس ومرؤوس مع الرؤساء ـ يقابلنى بعض المصاعب وهى اصرار الرؤساء على رأيهم الخطأ حتى ولو أضر ذلك بالعمل ، ويرجع ذلك الى أمراض العظمة واحساسهم بأنهم أسمى من مرؤوسيهم .

٨ ـ لا أعتقد ان هناك عملا لا يلائم المرأة فى هذه الايام . وان كان هناك وظائف لا يمكن للمرأة القيام بها مثل الاعمال فى المناجم ومصانع الحديد والصلب ، وكل ما هو يحتاج الى مجهود عضلى .

كبير وما عدا ذلك يمكن للمرأة القيام به ٠

٩ – عملى الحالى يتلائم مع طبيعتى وخبرتى الى حد كبير ٠

١٠ – التحقت بالعمل عن طريق تقديم طلب عادى ولاحتياج المصنع فى هذا الوقت ، لم اتعرض لاية ضغوط غير عادية كما أننى لم أكن قد تجاوزت الثانية عشرة من عمرى وقتها ٠

١١ – أرى أن تكون ٨ ساعات بدلا من ٧ ساعات بزيادة أجر ساعة فى اليوم ٠

ثانيا :

١ – تم زواجى برضائى دون أى ضغوط من العائلة وتم بالتعارف حيث أن زوجى زميل لى فى الشركة التى أعمل بها ٠

٢ – تم تأسيس منزل الزوجية مشاركة بين زوجى وبينى علما بأنه لم يكتمل بعد ولم نستدن بمبالغ كبيرة ولكن فى حدود المعقول ، وتم تسديد الاقساط كلها بعد ٧ شهور من زواجنا والحمد لله ٠

٣ – أقوم بعملى فى المنزل بعد خروجى من عملى وقبل ذهابى اليه دون الاستعانة بأحد ٠

٤ – زوجى الذى يقوم بالتوجيه والتخطيط ، وانا منفذة لتعليماته وهذا يعفينى من عبء كبير ٠

٥ – علاقتى بعائلتى علاقة حب ومودة واحترام – وبعائلة زوجى كذلك ، أما بالنسبة للجيران فلى ٧ شهور أقطن فى هذا المنزل الذى أسكنه الان وللان لم أعرف أسماء جيرانى ولم أختلط بأحد بعد ، وذلك لعدم الفراغ من ناحية ، ولتعليمات زوجى من ناحية أخرى ٠

٦ – للان لم استطع الاستفادة من المعدات الحديثة ولكن ساتمكن ان شاء الله فيما بعد ٠

٧ – أواجه اعباء المنزل بالبركة ٠

٨ – للان لم يحدث ان اضطررت للاقتراض وأتمنى ذلك على الدوام ٠

٩ – للان لم ادخر ٠

١٠ – لم أنجب اطفالا بعد ٠

١١ – ليس هناك برنامج لقضاء الاجازة وهى وظروفها ٠

١٢ – بالطبع ليس عندى فراغ ، يدوب الوقت كله بيستهلك وان كان لفترة بسيطة أستطيع أن اجلس شوية مع زوجى نتكلم ونتشاور وهذا أجمل شيء ، هذا بالاضافة لسماع بعض الاغانى أو برامج الراديو ٠

ثالثا :

١ – رأيى فى تعدد الزوجات ، أولا بالنسبة للزوجات فهو ضار وقد يكون مكسبا للرجل أو خسارة أيضا – وبالنسبة لحرية الطلاق للرجل فهى مكسب للرجل دون المرأة – لم أدرس بعد قوانين الحضانة ٠

٢ – أرى أن اجازة الوضع وساعة الرضاعة معقولة ٠

٣ – افضل دور الحضانة الموجودة فى مقر عملى ٠

رابعا :

– نعم عضو عامل فى الاتحاد الاشتراكى العربى – ومشتركة فى النقابة ٠ رأيى فى هذه التنظيمات بأنها لم تؤد الغرض الذى انشئت من اجله بعد ٠

– ليس من الضرورى أن يكون هناك ما يسمى بالتنظيم النسائى حيث أنه لا يوجد تنظيم يسمى بالرجالى لانه من خلال هذا التنظيم ستتواجد التفرقة ويجب أن يكون أى تنظيم على مستوى الجنسين ٠

خامسا :

المعركة شاقة وصعبة ، وتحتاج لمجهود كبير ومن كل فئات الشعب ٠ واقعها واضح لنا داخليا ولكن فى الخارج لم يتضح بعد بالصورة المطلوبة وهذا يتطلب مجهودا أكثر من وسائل الاعلام ٠

– دور المرأة فى المعركة شأنها شأن الرجل ٠

– الواقع العربى جزء من الواقع العالمى بما فيه من تناقضات وصراعات ونحن لسنا فى عزلة عن العالم بفضل وسائل المواصلات الحديثة – الموضوع أصلا مصالح دول كبرى لديها القوة لتدعيمه ٠

■■

[٢]

الاسم : نفيسة عامر حسن
السن : ٣٩ سنة
المؤهل : –
العمل : عاملة بمصنع الشرق لغزل ونسج الصوف بامبابة
سنوات العمل : ٧ سنوات
الاجر : ٥ر٩ جنيه (حوالى ٧ جنيهات بعد الخصومات)
الحالة الاجتماعية ٠٠ وعدد الابناء : ٧ ابناء
السن وقت الزواج : ١٧ سنة ، و ٢٣ للزوج (الزواج الاول) الزواج الثانى فى سنة ١٩٦٤
وظيفة الزوج : صاحب محل سباكة
مرتب الزوج : ١٢ جنيها تقريبا
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : ١٧٠ عاملة تقريبا – حوالى ٤٥ فى المائة بقسم الصباغة
عضوية الاتحاد الاشتراكى ٠٠ النقابة : عضو بالاتحاد الاشتراكى

أولا :

١ ـ عملت بعد وفاة الزوج الاول ولاسباب عـائلية للصرف على الاولاد •

٢ ـ •••••

٣ ـ لم يكن من اختيارى ، بل استجابة لما كان معروضا •

٤ ـ افضل الاعتزال لخدمة اولادى والتفرغ للمهام المنزلية •

٥ ـ لا أشعر بالمساواة مع زملائى من الرجال من نـاحية المرتب والتقدم الوظيفى •

٦ ـ لاحس بتفرقة فى اختيار العاملين من الجنسين فى مجال التدريب المهنى •

٧ ـ علاقتى برؤسائى وزملائى فى العمل كويسة •

ـ ترجع المتاعب الى صعوبة المواصلات ، وقلة الاجر •

٨ ـ يمكن المرأة أن تقوم باى عمل حاليا ولكن هناك العمـل المناسب أكثر لها •

٩ ـ نعم راضية عن عملى •

١٠ ـ التحقت بـالعمل عـن طريق مكتب العمل •

١١ ـ افضـل أن تـكـون ٦ ساعات بالنسـبة للسـيدات المتـزوجات ، والانسـات ٧ ساعات •

ثانيا :

١ ـ تم الزواج عن طـريـق العائلة •

٢ ـ تاثيث المنزل بالتدريج •

ـ اضـطررت للاسـتدانة والتقسيط ، وتم بالمشاركة من الجانبين •

٣ ـ النظافة والغسيل مساهمة من بنتى الكبرى ، اما اعـداد الطعام ، ورعاية الأطفال فاقوم انا به •

٤ ـ لايشـــارك زوجى فـى الاعباء المنزلية •

٥ ـ مقيمة فى وسط أقارب •

٦ ـ لاشىء سوى بوتاجاز فقط

٧ ـ اقوم انا بدفع الايجار وهو يقوم بمصاريف الطعام •

٨ ـ نحـن نضطـر الى الاقتراض ونقوم بعمل جمعيات •

٩ ـ لا يتبقى مـن المرتب اى شىء بعد يوم ٥ فى الشهر •

١٠ ـ ان عملى من جهـة النظافة والطعام والمدارس والاكل لا يتم فى مواعيده •

١١ ـ أقضى اجازتى فى المنزل لعدم وجود أى فائض •

١٢ ـ اقضى وقت فراغى فى اشغال الابرة ، ولدى ماكينة خياطة خاصة بى •

١٣ ـ الاخت الكبـرى ترعى اطفالى اثناء العمل ولكن بطريقة خطا •

ثالثا :

١ ـ غير موافقة بالنسبة لتعدد الزوجات وحرية الرجل فـى الطلاق •

٢ ـ اجازة الوضع غيـر مناسبة ، واقترح شهرين •

٣ ـ لا أرسل أولادى الى دار الحضانة ، وافضل ان تكون دار الحضانة بجوار المنزل •

رابعـا :

ـ عضـو فـى الاتحـاد الاشتراكى ـ عضو عامل •

ـ نشاط هذه التنظيمات دون المستوى •

ـ التنظيم النسائى غير ظاهر وافضل أن تكون هناك نـواة متحركة •

خامسا :

ـ ان المعركة فى حاجة لتوعية الجماهير بابعادها ، والمستقبل خطير ، وهناك تهديد بالحـرب الكيماوية •

ـ أن دور المرأة غير ظاهر فى المعركة •

ـ الصراعات العربية لن تفيد المعركة • ونتمنى أن يكون هناك اتحاد وتترك الخلافات العقائدية حاليا ونتفرغ للمعركة •

■ ■

[٣]

الاسم : سعاد محمد على •

السن : ٤٠ سنة •

المؤهل : ابتدائية نظام قديم •

العمل : عاملة كنترول بمصنع كريديان للتريكو بالزيتون (قطاع خاص) •

سنوات العمل : ١٠ سنوات •

الاجر : ١١ جنيها

الحالة الاجتماعية .. وعدد الابناء : متزوجة ، ٣ ابناء •

السن وقت الزواج •• للزوجة والزوج : ١٩ سـنة •

وظيفة الزوج : موظف بمصلحة الشهر العقارى •

مرتب الزوج : ٣٦ جنيهـا

عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : ٦٠٪ ، الرجال ٤٠٪ •

عضوية الاتحاد الاشتراكى •• النقابة : عضو لجنة فى الاتحـاد الاشـتراكى ، مندوبة النقابة العامة فى المصنع • عضو اللجنة النسائية على مستوى قسم الزيتون •

● ● ●

أولا :

١ ـ لقد واجهتنى مشكلات فى التعليم فقد نشأت فى عـائلة محافظة وكانت الظروف لا تسمح لى بحكم تقاليد الاسرة ان أخرج من المنزل لاواصل تعليمى ـ ولم التحق بالعمل الا بعـد الزواج برجل مثقف أفكاره متحررة •

٢ ـ كنت أنا محجوزة بالمنزل صغيرة أشاهد عاملات يـدخلن ويخرجن من أبواب مصنع سلوم للمنسوجات والتـريكو ـ وكنت الاحظ أن العاملات أكثر سعادة منى انـا التى اقضى كـل وقتى محبوسـة بالمنـزل ، فلمـا تزوجت وانجبت ثلاثة أبناء كانت ظروفنا المعيشية فى حاجة الى أكثر من مرتب الزوج فـابديت استعدادى لمساعدته فلم اجد أية معارضة فالتحقت بالعمل •

٣ ـ افضل أن اتفرغ فى عمل نقابى لاستطيع الدفاع عن مصالح العمال والعاملات •

٤ ـ انا متمسكة بالعمل وافضل الوجود بين العمال والعاملات ، بينما ترك العمل يجعلنى فى عزلة عنهم وانا أعتبرهم اهلى وعشيرتى •

٥ ـ لم المس تفرقة بينى وبين زميلى من ناحية المرتب او التقدم الوظيفى •

٦ ـ لا شك أن هناك عقبات تواجه المرأة العاملة بالنسبة للتأهيل المهنى وهذا عيب يجب أن يتداركه المسئولون ، لان باب التدريب المهنى يجب أن يكون مفتوحا للنساء مثل الرجال ، ونحن العاملات يجب أن نقف جنب الرجل ، ولماذا يخشون هذا •• اما التنافس من اجل الاشتراكية وبناء الوطن وازالة آثار العدوان فهوامرمطلوب من كل مواطن مخلص •

٧ ـ علاقتى بزملائى علاقة طيبة جدا لانى ارعى مصالحهم داخل العمل وخارجه بحيث يرشحوننى دائما للمراكز القيادية •

ففى سنة ١٩٦٢ رشحنى زملائى العمال لعضوية المؤتمر الوطنى ، وكنت العاملة الوحيدة التى فازت على محافظة القاهرة فى المؤتمر الوطنى •

وفى سنة ١٩٦٤ رشحنى زملائى أيضا لعضوية مجلس الامة ولم انل العضوية فقد كان أمامى لواء نازل بكل امكانياته •

وفى الدورتين للنقابة ، والدورتين للاتحاد الاشتراكى رشحنى زملائى كذلك •

اما الادارة فعلاقتى بها بالطبع ليست طيبة • وعلى سبيل المثال اختارتنى النقابة العامة لعمال الغزل والنسيج واتحاد عمال الغزل والنسيج لكى أقوم بدورة فى معهد الدراسات النقابية بأبى قير • وكانت هذه الدورة على مستوى الوطن العربى واخطرت ادارة المصنع بذلك بخطاب رسمى وعندما كنت فى الدورة فوجئت بفصلى من العمل وتكتمت هذا الخبر حرصا على الوفود التى كانت معنا ، وحضر الينا فى المعهد وفد فرنسى ، ثم وفد من بلجراد وبولندا ، وكنت العاملة الوحيدة التى كانت تقابل هذه الوفود ، وهذا اعتبره نصرا للمرأة العاملة •

٨ ـ من حق المرأة أن تمارس جميع الاعمال التى يمارسها الرجال •

٩ ـ نعم انا راضية عن عملى لانه يتلاءم مع طبيعتى وخبرتى •

١٠ ـ ••••••

١١ ـ لا بأس بساعات العمل بعد أن تحددت بسبع ساعات وهى مناسبة فى هذه الظروف •

ثانيا :

١ ـ لقد تم زواجى تحت ظروف وتقاليد أسرتى ، لكن من رأيى عموما أن يتم الزواج بالاختيار ولا بأس من مساعدة الاسرة لابنتهم فى اختيار زوجها حسب عاداتنا وتقاليدنا •

٢ ـ تم تأثيث منزل الزوجية عن طريق المشاركة وتطور فيما بعد •

٣ ـ خدمة المنزل أقوم بها كأم وزوجة بجانب عملى النقابى والسياسى وعملى بالمصنع ويكون ذلك بالطبع على حساب صحتى لكننى أشعر بسعادة بما الاقيه من تعب فى سبيل وطنى ، وأولادى يقومون بمساعدتى لانهم متحمسين مثلى لقضية بلدنا •

٤ ـ •••••••

٥ ـ علاقتى بأسرة الزوج علاقة طيبة وكذلك أسرتى وكل الناس •

٦ ـ •••••••

٧ ـ عندنا خطة شهرية لمصروف المنزل وتوفير الضروريات قبل كل شىء

٨ ـ لا نستدين من أحد •

٩ ـ لا ندخر شيئا •

١٠ ـ ان عملى لا يؤثر فى تربية الاطفال لان الاولاد كبروا الان ويعتمدون على أنفسهم •

١١ ـ لا يوجد عندى وقت فراغ اطلاقا •

١٢ ـ ••••••

١٣ ـ تتولى ابنتى الكبيرة رعاية اخواتها أثناء وجودى بالعمل •

ثالثا :

١ ـ رأيى أن تعدد الزوجات شىء مشين وغير لائق ، كما أرى ان حرية الرجل فى الطلاق يجب ان تقيد ، لان كثيرا من النساء يصيبهم الظلم من التصرفات الفردية للرجل •• لذلك أقترح انشاء مكاتب على مستوى المناطق السكنية من الجنسين من ذوى التجارب والخبرات لبحث المشاكل الزوجية ولا يسمح بوقوع الطلاق الا على أساس حكم أو موافقة تلك المكاتب • أما الحضانة فيجب أن نوليها عناية واهتماما كبيرا •

٢ ـ ان الحديث عن اى اجازات حاليا وجزء من بلدنا محتل ، امر لايليق بالعاملة المواطنة أن تتحدث فيه، وأنه بعد ازالة آثار العدوان قد أستطيع أن اعطى رأيا فى هذا الموضوع •

٣ ـ لا أرسل أطفالى الى الحضانة فقد تخطوا هذه المرحلة •

رابعا :

ـ عضو لجنة فى الاتحاد الاشتراكى ، ومندوبة النقابة العامة فى المصنع •

ـ ان التنظيم النسائى بسة

عضوات غير جاديات فى العمل، ولكن الجدية الحقيقية ألمسها متوفرة فى العضوات العاملات وهذه حقيقة تسجلها محاضر الجلسات •

خامسا :

– ان الاستعمار والصهيونية والقوى الرجعية تقودها وتنظمها الولايات المتحدة الامريكية ضدنا وضد البلاد العربية وكل البلاد التقدمية ، وعلى ذلك فان نساء العالم يجب ان يتضامن مع النساء العرب مع رجالنا ومع اخواتنا ومع ابنائنا فى الجيوش العربية حتى تطهر ارضنا من العدو الغاشم •

– ان المرأة لها دور كبير وفعال فى المعركة ، وعلى سبيل المثال : قمنا بالتبرع بالدم لجنودنا وارسال الهدايا واشترك أطفالنا معنا بكسر حصالاتهم ؛ كما أننا نعمل فى الانتاج ونعمل فى التدريب على الاسعاف والتمريض وعمل البلوفرات كهدايا وزيارة المستشفيات • وأنا شخصيا زرت اخواتى فى الجبهة وخاطبتهم وشجعتهم فى موقفهم البطولى وتمنيت أن أظل معهم لاكون فى خدمتهم ولكن كل ذلك ليس كافيا •• ويجب أن توحد كل الجهود النسائية المبعثرة فيحصل لقاء بين الاتحادات النسائية العربية والافريقية وكل دول المواجهة فمثلا هناك فى السودان اتحاد نسائى وحكومة متقدمة • انى اطالب بتنظيم المرأة لكى تقوم بدورها فى المعركة مع الرجال فى تصفية الاستعمار وأعوانه •

ان المجتمع الاشتراكى الجديد لابد ان يتنفس برئتيه : المرأة والرجل ، وانا أعتقد أن السيد القائد **جمال عبد الناصر** الذى اعطى المرأة حق التصويت فى جميع التنظيمات والمساواة بين الجنسين ، لابد وانه سيساعد المرأة على التنظيم والتوجيه والتوعية توعية سياسية بما يتناسب مع هذه الظروف .

[٤]

الاسم : سعاد عياد شنوده
السن : ٣٠ سنة •
المؤهل : الاعدادية •
العمل : متابعة انتاج (شركة القاهرة للملبوسات والتريكو)
سنوات العمل : ١٣ سنة •
الاجر : ٢٠,٨ جنيه •
الحالة الاجتماعية •• وعدد الابناء : متزوجة ، طفلان •
السن وقت الزواج •• للزوجة والزوج : ٢٣ الزوجة ، ٣٣ الزوج •
وظيفة الزوج : موظف •
مرتب الزوج : ٣٥ جنيها
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : ٣٠٠ عاملة ، ٥٥٨ عاملا
عضوية الاتحاد الاشتراكى •• النقابة : عضو بالاتحاد الاشتراكى ، عضو بالنقابة •

• • •

أولا :

١ – لم أواجه مشكلات عائلية فى التعليم أو الالتحاق بالعمل •
٢ – لاتوجد عقبات حاليا •
٣ – كان نوع العمل بناء على اختيار من جانبى •
٤ – ان العمل هو المصدر الوحيد لمعيشتنا – افضل الاستمرار فى العمل حتى أتم تعليم اولادى واهيىء لهم المستقبل
٥ – اشعر بالمساواة مع زملائى من الرجال•
٦ – هناك تفرقة فى اختيار العاملين من النساء والرجال فى مجال التدريب فى بعض الحالات•
٧ – علاقتى برؤسائى وزملائى فى العمل علاقة حسنة•
٨ – لا أرى قصر أعمال المرأة على وظائف أو مهن معينة، ويجب أن تشارك المرأة فى كل أنشطة الرجل•
٩ – نعم انا راضية عن عملى ، فهو يتلاءم مع طبيعتى وخبرتى •
١٠ – التحقت بالعمل عن طريق تقديم طلب الى الشركة قبل ان تتحول الى قطاع عام •
١١ – ساعات العمل مناسبة جدا •

ثانيا :

١ – تم الزواج بناء على اختيار من جانبى •
٢ – كان تأثيث المنزل مشاركة من الجانبين عن طريق المهر وبالتدريج •
٣ – أواجه أعباء المنزل بفضل المساهمة من العائلة •
٤ – لا يشارك زوجى فى الاعباء المنزلية •
٥ – علاقة حسنة بعائلتى وعائلة الزوج والجيران•
٦ – أملك ثلاجة •
٧ – بالنسبة لاوجه انفاق مرتبى ومرتب زوجى انفق على ذلك مع زوجى •
٨ – لا نضطر الى الاقتراض او عمل جمعيات ، لاننا نقوم بتنظيم حياتنا وميزانيتنا •
٩ – ادخر عن طريق دفتر التوفير •
١٠ – ان عملى لا يؤثر فى تربية الاطفال •
١١ – اقضى اجازتى بين العائلتين •
١٢ – وقت الفراغ اقضيه فى مشاهدة التليفزيون والقراءة واشغال الابرة •
١٣ – تتولى شقيقة زوجى رعاية الاطفال أثناء وجودى فى العمل •

ثالثا :

١ – لا أوافق على تعدد الزوجات وحرية الرجل فى الطلاق •
٢ – لابد أن تكون أجازة الوضع ٤٠ يوما – وبالنسبة لمدة الرضاعة فهى كافية •
٣ – افضل أن تكون دور الحضانة على مستوى الحى حتى لا تلاقى الام صعوبة بالنسبة للمواصلات •

رابعا :

– انا عضو بالاتحاد الاشتراكى واللجنة النقابية •
– المستوى التنظيمى ، عضو عاملة •
– يجب أن يكون التنظيم

النسائى على مستوى الدولـة ويجب أن يدعم أولا بأول ٠

خامسا :

ـ يجب ان نستمر فى المعركة ضد الاستعمار والصهيونية حتى تحقق الامة العربية ما تريده بكل السبل ٠

ـ ان دور المرأة فى المعركة دور هام جدا ٠

ـ الواقـع العـربى فيـه صراعات ، وانما يجب التغلب عليها بكل الطرق ، حتى يتـم القضاء على المشاكل بين الدول العربية وتحقيق التعاون فيمـا بينها ، حتى يتم لنا النصر فى ظل البطل المفدى جمال عبد الناصر ٠

■■

[٥]

الاسم : زينب محمد عفيفى
السن : ٣٥ سنة
المؤهل : لايوجد
العمل : عاملة بالشركة المصرية للبطاطين بروض الفرج
سنوات العمل : ٦ شهور
الاجر : ٧ جنيهات
الحالة الاجتماعية ، (وعدد الابناء) : متزوجة ، ولدان ٠
السن وقت الزواج ٠٠ للزوجة والزوج : ١٧ سنة ، والزوج ٣٥ سنة
وظيفة الزوج : كان يعمل بشركة مصر للهندسة والسيارات والان مشلول بالمنزل منذ ٦ سنوات ٠
مرتب الزوج : ١٧ جنيها (سابقا) ٠
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسـبة للرجال : الثلث
عضوية الاتحاد الاشتراكى ٠٠ النقابة :

● ● ●

أولا :

١ ـ ٤ :

٥ ـ لا اشعر بالمساواة مع زملائى من الرجال من ناحيـة المرتب والتقدم الوظيفى ٠

٦ ـ لا أحس بتفرقة فى اختيار العاملين من الجنسين فى مجال التدريب المهنى ٠

٧ ـ لاتوجد مصاعب فى مجال العمل ٠

٨ ـ لا أرى قصر أعمال المرأة على وظائف أو مهن معينة ٠

٩ ـ نعم راضية عن عملى ٠

١٠ ـ التحقت بالعمل عـن طريق رئيس مجلس ادارة الشركة بعد أن شكوت له حالتى ٠

١١ ـ رأيى ان ساعات العمل مناسبة

ثانيا :

١ ـ تم الزواج عن طـريق العائلة ولم توجد ضغوط ٠

٢ ـ تمكنت من تأثيث منزل الزوجية عن طريق المهر وتـم الاعداد بالتدريج ٠

٣ ـ أقوم بجميع الاعبـاء المنزلية بنفسى (مثـل النظـافة والغسيل واعداد الطعام ورعاية الاطفال ٠

٤ ـ لا يشارك زوجى فـى الاعباء المنزلية لانه مشلول ولا يقدر أن يفعل شيئا ٠

٥ ـ علاقتى بعائلتى وعائلة الزوج والجيران علاقة حسنة ٠

٦ ـ لا أستفيد من المعدات المنزلية الحديثة ، كما أنه لا يوجد نور ولا مياه ٠

٧ ـ لا يوجد مرتب لزوجى ولا دخل لنا سوى ٧ جنيهـات مرتبى ٠

٨ ـ نضطر دائما للاستدانة وعمل جمعيات لكى أعيش أنا وأولادى وزوجى ٠

٩ ـ لا يوجد شىء أدخره ٠

١٠ ـ ان عملى لا يؤثر فى تربية الاطفال ٠

١١ ـ أقضى اجازتى فـى المنزل ٠

١٢ ـ اقضى وقت فراغى فى النوم ٠

١٣ ـ يتولى زوجى رعـاية الاطفال اثناء العمل ٠

ثالثا :

١ ـ لا أوافق على تعـدد الزوجات وحرية الرجل فـى الطلاق ٠

٢ ـ ان اجازات الوضـع وساعة الرضاعة كافية ٠

٣ ـ أفضـل أن تكون دار الحضانة فى الشركة ٠

رابعا :

١ ـ لست عضوا فى الاتحاد الاشتراكى أو النقـابة لانـى مستجدة فى الشركة ٠

٣ ـ لا أعرف شيئا عن نشاط هذه التنظيمات ٠

٤ ـ لا أعرف شيئا عن التنظيم النسائى ٠

خامسا :

١ ـ رأيى أن الله سـوف ينصرنا فى المعركة ٠

٢ ـ أريد من جميع النساء الاشتراك فى المعركة ٠

٣ ـ ان جميع الدول تساند الدول العربية ما عدا أمـريكا وبريطانيا وينصرنا الله ٠

■■

[٦]

الاسم : زينب مصطفى العباسى
السن : ٢٢ سنة
المؤهل : الابتدائية
العمل : عاملة انتاج (شركة النيـل للادوية والصناعات الكيماوية)
سنوات العمل : ٩ سنوات
الاجر : ١١ جنيها
الحالة الاجتماعية ٠٠ وعدد الابناء : متزوجة ـ طفل واحد عمره ستة شهور
السن وقت الزواج ٠٠ للزوجة والزوج : ٢١ سنة للزوجة، ٢٥ سنة للزوج
وظيفة الزوج : موظف
مرتب الزوج : ١٦ جنيها
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسـبة للرجال : ٢٠٠٠ عاملة ، حوالى ١٠٠٠ عامل
عضوية الاتحاد الاشتراكى ٠٠ النقابة : عضو لجنة العشرة بالمصنع

● ● ●

أولا :

١ ـ لم تـواجهنى مشكلات عائلية فى التعليم او الالتحاق بالعمل ولم يعترض أى شخص على ذلك ٠

٢ ـ لا توجد عقبات حاليا

٣ ـ لم يكن نوع العمل بناء على اختيار من جانبى بل كان استجابة لما كان معروضا علينا ، اما نوع الوظيفة او العمل الذى كنت أفضله هو تكملة تعليمـى والعمل كمدرسة ٠

٤ ـ أفضل اعتزال العمل فى هذه الظروف ، لان المرأة بطبيعتها يجب أن تكون سيدة المنزل وأمل فى ترك العمل لكى أقوم بتربية الاطفال وكذلك بالاعمال المنزلية ٠

٥ ـ نعم ، أشعر بالمساواة مع زملائى من الرجال من ناحية المرتب والتقدم الوظيفى ،وذلك فى ظل اللائحة الموحدة بنظام العاملين بالقطاع العام ٠

٦ ـ لم أشعر بتفرقة فى اختيار العاملين من الجنسين وكل فى مجال تخصصه ٠

٧ ـ علاقتى برؤسائى وزملائى فى العمل علاقة حسنة طيبة ،اما المصاعب التى أعانى منها فى العمل هى الساعات الاضافية التى أقوم بالعمل بها بالمصنع وذلك لتحسين حالتى المالية ولكى أتمكن من الحياة فى هذه الظروف الصعبة من المعيشة ٠

٨ ـ يجب أن تشارك المرأة فى جميع أنشطة العمل حيث ان المرأة تساوت مع الرجل فى جميع مراحل التعليم ٠

٩ ـ انا راضية عن هذا العمل وهو ملائم لطبيعتى وخبرتى ومؤهلى ٠

١٠ ـ التحقت بالعمل عن طريق مسابقة ولم أجد أى ضغوط غير طبيعية ٠

١١ ـ ساعات العمل الحالية بالنسبة للمرأة العاملة كثيرة مما يؤدى الى ارهاق المرأة جسمانيا ويجب تحديد هذه الساعات الى خمس ساعات لكى توفق المرأة بين أعمالها فى العمل وكذلك أعمالها المنزلية وتربية اولادها ٠

ثانيا :

١ ـ أرى أن يتم الزواج بالاختيار والرضا من الطرفين وأرى أن يتم هذا الزواج من أى مجال من العمل او من العائلة او من الجيران ، ولم يحدث اى ضغوط على بالنسبة لهذه العملية ، وقد تم اختيار زوجى من العاملين معى بالشركة ٠

٢ ـ وعن مدى مشاركتى فى تأثيث منزل الزوجية ارى أن يتم من الجانبين وارى ان يتم تكوين المنزل مرة واحدة ، أو يكون مساهمة فردية من جانبى مع دفع المهر المتفق عليه ٠

اما الاستدانة او التقسيط فيؤدى الى ارهاق الزوجين وانا لا أشجع الاستدانة ، وقد تم تأثيث منزلى بالتدريج ، لكى لا أرهق نفسى بالديون ٠

٣ ـ أواجه الاعباء المنزلية بنفسى فى المنزل مع الاستعانة بشغالة مرة كل اسبوع ٠

٤ ـ لا أوافق أن يشارك الزوج فى الاعمال المنزلية لان أكثر الاعمال المنزلية للمرأة وليست للرجل ، وفى بعض الاحيان يشاركنى زوجى فى بعض الاعمال المنزلية ٠

٥ ـ علاقتى بعائلتى علاقةمتينة بالمحبة والاخلاص والسعادة ، وكذلك علاقتى بعائلة الزوج مبنية على أساس التفاهم والاخلاص والود والتعاون ، وكذلك علاقتى مع جيرانى ٠

٦ ـ نعم استفيد من المعدات المنزلية الحديثة مثل الغسالة والثلاجة والبوتاجاز ، لان المرأة العاملة ليس لديها وقت للغسيل والطبيخ ٠

٧ ـ انفاق المعيشة تترتب كالاتى : يضع الزوج والزوجة مرتباتهم فى اول كل شهر وعليهم أن ينظموا أمورهم بالنسبة للمسكن والملبس والمأكل والمصاريف الشخصية وغيرها ، وعليهم ان يضعوا فى اعتبارهم احتجاز جزء من مرتباتهم للطوارىء ، كالمرض أو الموت أو الفرح ٠

٨ ـ فى بعض الاحيان اقوم بعمل جمعية وذلك فى حالة شراء اى شىء ، بالمنزل او تجديد شىء وذلك منعا للشراء بالتقسيط ٠

٩ ـ ادخر جزءا من مرتبى وذلك لطوارىء المنزل ٠

١٠ ـ نعم ، أعتقد ان العمل يؤثر فى تربية الاطفال لان وجود الام فى المنزل ترشدهم الى الطريق الصحيح والتربية السليمة وكذلك تعطيهم جزءا كبيرا من الحنان والعطف عليهم لان العمل يأخذ من الام كل هذا بالنسبة للاطفال ٠

١١ ـ اقضى ما تبقى من اجازتى السنوية بالمنزل وفى زيارة الاقارب والمعارف وافراد العائلة ٠

١٢ ـ ليس عندى وقت فراغ حيث أننى انصرف من العمل الساعة الخامسة مساء ٠ واذهب الى المنزل للقيام بالاعمال المنزلية والقراءة وسماع الراديو ٠

١٣ ـ يرعى اطفالى اثناء غيابى عن المنزل بعض أقاربى الموجودين بصفة دائمة بالمنزل ولا اعرف ماذا كنت اعمل فى حالة وجود اى فرد من اقاربى بالمنزل ٠

ثالثا :

١ ـ رأيى ان تعدد الزوجات يؤدى الى تشريد الاطفال وهدم سعادة الامهات ٠ أما حرية الرجل فى الطلاق فهذا مبدأ خطير ويجب القضاء عليه حيث أن الرجل لا يخطو الى الزواج الا بعد دراسة شريكة حياته دراسة دقيقة واذا كان الرأى كذلك فلماذا لا يعطى هذا الحق للمرأة ؟!! ٠

٢ ـ اعتبر اجازة الوضع غير كافية بالنسبة للمرأة العاملة ويجب أن تحدد هذه المدة بشهر ونصف على الاقل ، وكذلك ساعة الرضاعة يجب أن تكون ساعة ونصف على الاقل ٠

٣ ـ أرسل اطفالى الى دار الحضانة وأفضل دور الحضانة على مستوى الحى الذى أقطن فيه عن دور الحضانة بالعمل وذلك لشدة ازدحام المواصلات وخصوصا اذا كان مكان العمل يبعد عن مكان السكن ٠

رابعا :

ـ انا عضو لجنة العشرة بالشركة التى اعمل بها وعدد العاملين بها حوالى ٣٠٠٠ فرد ، وكذلك عضو بلجنة الاسعاف والتمريض بالمصنع ٠

ورأيى فى نشاط هذه اللجان أن هذه التنظيمات لم تقم بالدور

الايجابي في هذه الظروف وهي ظروف المعركة ويجب على الدولة ان ترعى هذه التنظيمات ، وان تحدد عملها ، وان تعمل على انشاء مجلس أعلى للمرأة لكي تساهم المرأة بكل مالديها من افكار ومشاريع لخدمة بلدنا وخدمة قضيتنا وخدمة ريفنا .

خامسا :

ــ المعركة ضد الاستعمار والصهيونية حتمية ولا مفر منها ، وليس هذا قاصرا على الشعوب العربية فقط بل ان المسألة تتطلب نظرة شاملة ، لان جميع المعارك التي تدور في جميع انحاء العالم تقوم بين الاستعمار وبين الوطنيين أهل البلاد . أما الصهيونية فهي شكل من أشكال الاستعمار الجديد .

ــ اما دور المرأة في المعركة ، فهو دوراساسي ، ولن تقتصر مهمة المرأة على التمريض ، أو الاسعاف ، او بعض التنظيمات الداخلية ، ولكن المرأة سوف تشترك في المعركة بشكل مباشر وتحمل السلاح وتطلق النار ايضا ونحن نتمنى ان يأتي هذا اليوم لكي تقوم المرأة بهذا الدور .

■ ■

[٧]

الاسم : سميرة احمد علي
السن : ٢٤ سنة
المؤهل : راسبة الاعدادية
العمل : عاملة بشركة سيد للادوية
سنوات العمل : ٦ سنوات
الاجر : ١٢ جنيها
الحالة الاجتماعية .. وعدد الابناء : متزوجة ، ٦ أطفال
السن وقت الزواج .. للزوجة والزوج : ١٦ سنة للزوجة ، ٢١ للزوج
وظيفة الزوج : بائع حلويات
مرتب الزوج : ليس له مرتب ثابت
عدد العاملات في مجال العمل بالنسبة للرجال : ١٢٠ امرأة ، ٩٠ رجلا
عضوية الاتحاد الاشتراكي .. النقابة :ــ

● ● ●

أولا :

١ ــ المشكلات التي واجهتني في التعليم كانت من ناحية الاب ، فلم يكن عنده امكانيات لدفع المصروفات .

٢ ــ تغلبت على هذه العقبة عند ترك المنزل واشتغالي في شركة سيد للادوية .

٣ ــ اختيار العمل كان من ناحية والدي واخوتي ــ وانا افضل العمل في اية وظيفة يرتفع فيها أجري .

٤ ــ أفضل الاستمرار في العمل لاسباب كثيرة .

٥ ــ لا أشعر بالمساواة مع زملائي الرجال ، لان مرتبي ضعيف بالنسبة لزميلي الرجل .

٦ ــ لا توجد تفرقة في اختيار العاملين من الجنسين في مجال التدريب .

٧ ــ علاقتي برؤسائي وزملائي طيبة .

٨ ــ لا أرى قصر أعمال المرأة على وظائف أو مهن معينة ، بل تشترك في جميع أعمال الرجال .

٩ ــ نعم راضية عن عملي لانه يتلاءم مع خبرتي في العمل .

١٠ ــ لم أتعرض لاية ضغوط عند التحاقي بالعمل ، فيما عدا المصاعب التي مررت بها عند تقديم الاوراق حتى استلام العمل .

١١ ــ ساعات العمل لا تناسبني من ناحية مواعيد الاطفال .

ثانيا :

١ ــ كان الزواج مدبرا من ناحية العائلة .

٢ ــ تم تأثيث منزل الزوجية بالتقسيط ، وبمساهمة فردية من جانبي .

٣ ــ أواجه أعباء المنزل بمفردي .

٤ ــ لا يشاركني زوجي في الاعباء المنزلية .

٥ ــ ليس لي علاقة بعائلتي وعائلة الزوج والجيران .

٦ ــ لا أستفيد من المعدات المنزلية الحديثة .

٧ ــ أنفق مرتبي ودخل زوجي في المنزل .

٨ ــ لا نضطر للاستدانة أو عمل جمعيات .

٩ ــ لا أدخر شيئا .

١٠ ــ نعم عملي يؤثر في تربية ونظافة الاطفال ، بسبب تركهم كل يوم في الشارع .

١١ ــ أقضي اجازتي في بلدتي .

١٢ ــ أقضي وقتي فراغي في الاستماع للاذاعة .

١٣ ــ تقوم زوجة والدي برعاية الاطفال أثناء وجودي في العمل .

ثالثا :

١ ــ رأيي أن الرجل ميكونش عنده الحرية في الزواج بأكثر من واحدة ، ومن ناحية الطلاق ان الرجل له الحرية في الطلاق لان القانون بيحكم بذلك .

٢ ــ اجازة الوضع كافية ، وساعة الرضاعة غير كافية .

٣ ــ لا أرسل أطفالي الى دار الحضانة ، بسبب عدم وجود امكانيات ــ وأفضل أن تكون دور الحضانة في الحي .

رابعا :

لست عضوا في الاتحاد الاشتراكي أو النقابة ، بسبب عدم وجود فراغ عندي

خامسا :

ــ ان المعركة هي الشيء الوحيد الان أمامنا ــ ويجب أن تشترك المرأة مع الرجل في المعركة .

■ ■

[٨]

الاسم : سناء عبد المنعم
السن ٢٠ سنة
المؤهل : لا يوجد (تجيد القراءة والكتابة)
العمل : عاملة بشركة ممفيس للادوية (قطاع خاص)
سنوات العمل : ٤ سنوات
الاجر : ٨ جنيهات
الحالة الاجتماعية .. وعدد الابناء : متزوجة ، طفلان
السن وقت الزواج .. للزوجة والزوج ١٩ سنة للزوجة ، و ٢٥ للزوج
وظيفة الزوج : عامل في مطعم
مرتب الزوج ٩ جنيهات
عدد العاملات في مجال العمل بالنسبة للرجال : ١٥٠ امرأة ، ٧٠ رجلا .
عضوية الاتحاد الاشتراكي .. النقابة : ــ

● ● ●

أولا :

١ ــ لم ترغب والدتي في مواصلة تعليمي .

٢ ـ الاعتراض تغلبت عليه عند الاشتغال فى الشركة .
٣ ـ اختيار العمل كان من ناحية والدى ـ وافضل اى عمل آخر يرفع مرتبى .
٤ ـ افضل الاستمرار فى العمل بسبب ظروفى الحالية لانى تعودت على ذلك .
٥ ـ لا توجد مساواة مع زملائى الرجال ، كما أن مرتبى لا يكفينى أنا وحدى .
٦ ـ لا أحس بتفرقة فى إختيار العاملين من النساء والرجال فى مجال التدريب .
٧ ـ علاقتى برؤسائى وزملائى طيبة ، ولا توجد مصاعب .
٨ ـ أرى أن تشارك المراة الرجل فى كل الاعمال .
٩ ـ لست راضية عن عملى لانه لا يتفق مع جهدى وخبرتى المتقدمة فى العمل .
١٠ ـ لم اتعرض لاية ضغوط عند التحاقى بالعمل .
١١ ـ ساعات العمل غير مناسبة من جميع النواحى .

ثانيا :

١ ـ تم الزواج تحت ضغط من العائلة ومن ناحية أمى بالذات .
٢ ـ تم تاثيث منزل الزوجية بالمشاركة أنا وزوجى وبالتدريج .
٣ ـ أقوم بالاعباء المنزلية بمفردى .
٤ ـ نعم يشارك زوجى فى كل الاعباء المنزلية .
٥ ـ علاقتى بعائلة الزوج ليست طيبة ، وليس عندى سوى الجيران .
٦ ـ لا توجد عندى هذه المعدات المنزلية الحديثة .
٧ ـ أنفق مرتبى أنا وزوجى فى ايجار المنزل والطعام .
٨ ـ لا نضطر للسلف أو عمل جمعيات .
٩ ـ لا ادخر شيئا .
١٠ ـ ان عملى يؤثر فى تربية الاطفال بسبب تركهم فى الشارع طول اليوم .
١١ ـ أقضى اجازتى فى المنزل .
١٢ ـ أقضى وقت الفراغ فى أشغال الابرة .
١٣ ـ يرعى الجيران اطفالى أثناء وجودى فى العمل .

ثالثا :

١ ـ رأيى ألا يسمح للرجل أن يتزوج أكثر من واحدة ، ومن ناحية الطلاق أن الرجل له الحرية فى الطلاق ، وانه مادام الزوج فكر فى الطلاق يبقى ده معناه ان مالوش رغبة فى الست دفسها .
٢ ـ ان اجازة الوضع وساعة الرضاعة ليست كافية من ناحية راحة الام العاملة .
٣ ـ لا أرسل أطفالى الى دار الحضانة لانه ليس عندى امكانيات لذلك ـ أفضل أن تكون دور الحضانة على مستوى الحى .

رابعا :

١ ـ لست عضوا فى الاتحاد الاشتراكى أو اللجنة النقابية، والسبب فى ذلك انه ليس عندى وقت فراغ .

خامسا :

ـ . . . . . .

[٩]

الاسم : سيدة عبد الوهاب
السن : ١٩ سنة
المؤهل : ـ
العمل : عاملة (معمل حلويات رمسيس ـ الموسكى) قطاع خاص
سنوات العمل : ٩ سنوات
الاجر : يومية ١٥ قرش
الحالة الاجتماعية .. (وعدد الابناء) : متزوجة ، طفلان
السن وقت الزواج .. للزوجة والزوج : ١٦ سنة
وظيفة الزوج : عامل
مرتب الزوج : ٢٥ قرشا فى اليوم
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : ٢٠ عاملة
عضوية الاتحاد الاشتراكى .. النقابة : ـ

اولا :

١ ـ واجهتنى مشكلات فى التعليم وذلك بسبب حالة الاب والام المالية
٢ ـ لا يمكن التغلب على هذه العقبات لان مرتبنا انا وزوجى ضئيل جدا ٢٥ + ١٥ يساوى ٤٠ ، ندفع منها ٢٠٠ قرش ايجار المسكن وعندنا طفلين
٣ ـ كان نوع العمل استجابة لرغبة والدى ولكنى افضل أن اكون ست بيت
٤ ـ لا أرغب فى ترك العمل لاننى فى حاجة له
٥ ـ لاأشعر بالمساواة مع زملائى الرجال
٦ ـ هناك تفرقة فى اختيار العاملين فى مجال العمل
٧ ـ علاقتى مع رؤسائى وزملائى جيدة ، أما المصاعب فهى ضآلة الاجر والحاجة غالية جدا .
٨ ـ ٩ : ـ
١٠ ـ التحقت بالعمل فى سن العاشرة ، وانا الان متزوجة واجرى ١٥ قرشا دى عيشة صعبة .
١١ ـ انا بشتغل ١٢ ساعة ابتداء من ٩ صباحا الى ٩ مساء بينها ساعة واحدة غداء .

ثانيا :

١ ـ تم الزواج عن طريق أبى وامى . لى اخ تزوج بفتاة والفتاة لها شقيق تزوجته .
٢ ـ من ناحية تأثيث منزل الزوجية ـ كده رضا سرير خشب ولبة جاز .
٣ ـ بخصوص الاعباء المنزلية . من الساعة ٦ صباحا نقوم من النوم نعمل الشاى والفطور وبعد ذلك اكنس المطرح واروح الشغل وزوجى ايضا والواد فى الحارة بيلعب وملهى فى اللعب ـ الساعة ١٢ الظهر أحضر واتغدى أنا والواد طعمية ، مش جبنة وأذهب الى العمل حتى التاسعة يكون زوجى جه ، واللى نبات فيه نصبح فيه .
٤ ـ من ناحية مشاركة زوجى فى الاعباء المنزلية ، والله من فضلك قول الكلام ده للناس الكويسة
٥ ـ علاقتى بعائلتى وعائلة زوجى كويسة والحمد لله

٦ ـ غسالة وثلاجة ؟ واللبه العظيم مسابنشوف النـوم من الحشرات
٧ ـ من ناحية مرتبنا مش قادرين نعيش
٨ ـ هوه فيه حد بيسلف دلوقتى ـ تعال معى اوريك احنا بنعيش ازاى
٩ ـ ...
١٠ ـ ان عملى يؤثر فى تربية الأطفال ، لان طول النهار الواد بيلعب فى الحارة
١١ ـ مدة الاجازة باشتغلها .
١٢ ـ ازاى أقضى وقت الفراغ ؟ أسمع يابيه اذا كنت عاير تتريق اتفضل من هنا تليفزيون ايه واحنا بننام على الارض

ثالثا :

١ ـ رايى فى تعدد الزوجات الرجل القادر أهه بيتجوز واللى مايقدرش مابيتجوزش
٢ ـ ٣ ـ ......

رابعا :

١ ـ ......

خامسا :

١ ـ ......

■■

[١٠]

الاسم : حميدة سيد احمد حسب النبى
السن ، ٢١ سنة
المؤهل : ـ
العمل : عاملة بمصنع حلويات نادلر (قطاع خاص)
سنوات العمل : ٢١ سنة
الاجر : ١٧ جنيها
الحالة الاجتماعية .. وعدد الابناء : مطلقة ، طفلان
السن وقت الزواج : ١٩ سنة للزوجة ، ٢٥ للزوج
وظيفة الزوج : ـ
مرتب الزوج : ـ
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : ٦٠ امرأة ، ٤٥ رجلا
عضوية الاتحاد الاشتراكى .. النقابة : ـ

● ● ●

أولا :

١ ـ واجهتنى مشكلات عائلية فى التعليم من ناحية الاب وزوجته
٢ ـ مازالت هذه المشكلة قائمة .
٣ ـ اختيار العمل كان من ناحية الاب ـ كنت أفضل العمل فى شركات النسيج .
٤ ـ أفضل الاستمرار فى العمل حتى أربى أولادى .
٥ ـ لا أشعر بالمساواة مع زملائى الرجال فى العمل لان الرجال يأخذون مرتبا اكبر من النساء .
٦ ـ ...
٧ ـ علاقتى برؤسائى وزملائى عادية ، المصاعب التى أعانى منها هى بالنسبة للمواعيد .
٨ ـ أن تعمل المرأة فى جميع المجالات ، فيما عدا الصناعات مثل الحديد والصلب ، والكهرباء .
٩ ـ لست راضية عن عملى من ناحية ضعف المرتب وخبرتى الطويلة فى العمل .
١٠ ـ لم أتعرض لاية ضغوط عند التحاقى بالعمل .
١١ ـ ساعات العمل لا تناسبنى من ناحية الاولاد والمنزل حيث أعود الى المنزل فى الساعة الخامسة مساء .

ثانيا :

١ ـ كان الزواج مدبرا من ناحية العائلة .
٢ ـ تم تأثيث منزل الزوجية بالتقسيط ومن جانبى أنا وحدى .
٣ ـ أواجه الأعباء المنزلية بمفردى .
٤ ـ ...
٥ ـ علاقتى بعائلتى والجيران عادية .
٦ ـ لا أستفيد من هذه المعدات المنزلية الحديثة .
٧ ـ أنفق مرتبى فى الايجار وتكاليف المعيشة .
٨ ـ اضطر أحيانا للاقتراض وعمل جمعيات لمواجهة نفقات المعيشة
٩ ـ لا أدخر شيئا .
١٠ ـ ان عملى يؤثر فى تربية الاطفال من نواح كثيرة .
١١ ـ اقضى أجازتى فى المنزل
١٢ ـ اقضى وقت فراغى فى أشغال الابرة .
١٣ ـ يتولى الجيران رعاية أطفالى أثناء وجودى فى العمل .

ثالثا :

١ ـ رأيى أن يكون للرجل الحرية فى الزواج من أى واحدة ثانية ، والا يكون للرجل الحرية فى الطلاق لان ده يحطم روح المرأة .
٢ ـ اجازة الوضع ، وساعة الرضاعة غير كافية .
٣ ـ لا يوجد دار حضانة فى المصنع ، وأفضل ان تكون دور الحضانة فى الحى .

رابعا :

ـ لست عضوا فى الاتحاد الاشتراكى أو النقابة فليس عندى وقت لذلك .
ـ رأيى أن يكون فيه تنظيم نسائى لحماية المرأة وأولادها .

خامسا :

ـ يجب أن تشترك المرأة فى المعركة بجانب الرجل
ـ أرجو من الله أن ترجع أرض فلسطين وأرض العرب والمصريين .

■■

[١١]

الاسم : سهير عثمان احمد
السن : ٢٣ سنة
المؤهل : الاعدادية
العمل : عاملة بمصنع بسكويت اراببيسكو
سنوات العمل : ٥ سنوات
الاجر : ٩ جنيهات
الحالة الاجتماعية .. وعدد الأبناء : متزوجة ، ٤ ابناء
السن وقت الزواج .. للزوجة والزوج : ١٩ سنة للزوجة ، ٢٥ للزوج
وظيفة الزوج : عامل سباكة
مرتب الزوج : ٧ جنيهات
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : النساء ٤٠ ، والرجال ٦٥
عضوية الاتحاد الاشتراكى .. النقابة : ـ

● ● ●

أولا :

١ ـ نعم واجهتنى مشكلات فى

التعليم من ناحية الام ، وبسبب المشاكل العائلية واضطرارى لمساعدة اخوتى ووالدى •

٢ ـ تغلبت على هذه المشاكل عند أشتغالى فى مصنع أرابيسكو •

٣ ـ كان نوع العمل من أختيارى أنا لمساعدة اخوتى ـ وأفضل أى عمل آخر بأجر مرتفع •

٤ ـ أفضل الاستمرار فى العمل حتى يكبر أولادى •

٥ ـ لا اشعر بالمساواة مع زملائى الرجال من حيث الاجر •

٦ ـ لا توجد تفرقة فى أختيار العاملين فى مجال التدريب •

٧ ـ علاقتى برؤسائى وزملائى طيبة ولا توجد مصاعب •

٨ ـ تستطيع المرأة الاشتراك فى كل أعمال الرجل •

٩ ـ لست راضية عن عملى فهو لا يتفق مع مؤهلى •

١٠ ـ لم اتعرض لاية ضغوط عند التحاقى بالعمل •

١١ ـ رأيى أن ساعات العمل كافية •

ثانيا :

١ ـ تم الزواج عن طريق العائلة ومن ناحية الوالد

٢ ـ تم تأثيث المنزل بالتدريج من جانبى ومن جانب الزوج •

٣ ـ أواجه أعباء المنزل بمفردى •

٤ ـ لا يشترك زوجى فى أعباء المنزل

٥ ـ علاقتى بعائلة الزوج ليست طيبة •

٦ ـ ليس عندى هذه المعدات المنزلية الحديثة

٧ ـ انفق مرتبى أنا وزوجى فى المنزل •

٨ ـ نضطر أحيانا للاقتراض عند اللزوم من أجل مواجهة المعيشة

٩ ـ لاندخر شيئا

١٠ ـ ان عملى يؤثر فى تربية الاطفال من ناحية تركهم فى الشارع كل يوم

١١ ـ اقضى اجازتى فى المنزل •

١٢ ـ أقضى وقت فراغى فى الحدائق أنا وأولادى •

١٣ ـ يتولى الجيران رعاية الاطفال أثناء وجودى فى العمل

ثالثا :

١ ـ رأيى أن الرجل له الحرية فى الزواج ، أما فى الطلاق فليس له الحرية ، فاذا كان يقدر يتخلص من التزامات الطلاق والنفقة كان كل واحد طلق واتجوز واحدة كل يوم ، ومن ناحية الحضانة أفضل أن تكون فيه قوانين لحماية الاطفال ومستقبلهم عشان يطلعوا كويسين

٢ ـ ان أجازة الوضع مش كافية وايضا ساعة الرضاعة مش كافية

٣ ـ ليس عندى نفقات لكى أرسل أطفالى الى دور الحضانة ـ أفضل أن تكون دور الحضانة فى الحى •

رابعا :

ـ لست عضوا فى الاتحاد الاشتراكى او اللجنة النقابية وليس عندى وقت لذلك

ـ رأيى أن التنظيم النسائى مفيد وضرورى

خامسا :

ـ رأيى أن المعركة ضد الاعداء هى الشىء الوحيد الان • ويجب أن نستعد لان نبذل كل شىء من أجلها •

[١٢]

الاسم : فاطمة سعد عشماوى
السن : ٢٠ سنة
المؤهل : الاعدادية
العمل : عاملة بمصنع الجلود بامبابة (قطاع خاص)
سنوات العمل : ٤ سنوات
الاجر : ٨ جنيهات
الحالة الاجتماعية ٠٠ وعدد الابناء : متزوجة ، طفلان
السن وقت الزواج٠٠للزوجة والزوج : ١٨ سنة للزوجة ، ٢٣ للزوج
وظيفة الزوج : عامل (نقاش) باليومية
مرتب الزوج : ٣٠ قرشا فى اليوم
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : النساء ٨٠ ، الرجال ٩٥
عضوية الاتحادالاشتراكى٠٠النقابة : ـ

• • •

أولا :

١ ـ واجهتنى مشكلات فى التعليم من ناحية الام ، واضطرارى للخروج الى العمل لاساهم فى تربية أخوتى الصغار •

٢ ـ ومازالت هذه المشكلة قائمة

٣ ـ اختيار هذا العمل كان من ناحية زوجى ـ أفضل العمل فى مصلحة حكومية أو فى القطاع العام •

٤ ـ أفضل الاستمرار فى العمل لتربية أطفالى •

٥ ـ لا توجد مساواة بينى وبين زملائى الرجال من ناحية المرتب •

٦ ـ ٠٠٠٠٠

٧ ـ علاقتى برؤسائى وزملائى طيبة ـ ان المصاعب التى أعانى منها ترجع الى ترك البيت طول اليوم •

٨ ـ أرى أن تعمل المرأة فى معظم الوظائف والمهن ، فيما عدا الاعمال الشاقة ـ وان التخصص الاقرب الى طبيعتها هو التفرغ للمنزل وتربية الاطفال •

٩ ـ لست راضية عن عملى ، وأفضل العمل الذى يتفق مع مؤهلى •

١٠ ـ لم أتعرض لاية ضغوط عند التحاقى بالعمل •

١٢ ـ ساعات العمل غير مناسبة .

ثانيا :

١ ـ تم الزواج تحت ضغط العائلة لانى كنت صغيرة

٢ ـ شاركت فى تأثيث المنزل عن طريق مرتبى وبالتقسيط

٣ ـ أواجه الاعباء المنزلية بمفردى

٤ ـ لا يشارك زوجى فى أعباء المنزل .

٥ ـ علاقتى بعائلتى وعائلة الزوج والجيران عادية .

٦ ـ لا أستفيد من المعدات المنزلية الحديثة .

٧ ـ أنفق مرتبى أنا وزوجتى فى البيت والمصروف الشخصى .

٨ ـ نضطر أحيانا الى عمل جمعيات .

٩ ـ لا ادخر شيئا .

١٠ ـ ان عملى يؤثر فى تربية أطفالى من ناحية الرعاية اللازمة والنظافة .

١١ ـ اقضى اجازتى فى المنزل .

١٢ ـ أقضى وقت الفراغ فى الحدائق أنا وأطفالى .

١٣ ـ يتولى الجيران رعاية أطفالى اثناء وجودى فى العمل

ثالثا :

١ ـ رأيى أن يكون للرجل زوجة واحدة فقط ـ وأن تكون للرجل حرية الطلاق

٢ ـ لا توجد اجازة للوضع فى المصنع ، ولكنى أقوم بها على حسابى ـ كما أنه ليس عندنا ساعة الرضاعة هذه .

٣ ـ لا أرسل أطفالى الى الحضانة بسبب عدم امكانياتى ـ وأفضل دور الحضانة فى الحى

رابعا :

ـ لست عضوا بالاتحاد الاشتراكى او النقابة ـ وليس عندى وقت لذلك

خامسا :

ـ رأيى أن تشترك المرأة فى المعركة الى جانب الرجل .

■ ■

[١٣]

الاسم : فاطمة محمد شعبان
السن : ٢٦ سنة
المؤهل : اعدادية فرنساوى
العمل : بائعة (بشركة بيع المصنوعات المصرية)
سنوات العمل : ١٠ سنوات
الاجر : ١٢ جنيهـا
الحالة الاجتماعية .. (وعدد الابناء) : متزوجة ، طفل واحد
السن وقت الزواج : الزوجة ١٨ سنة ، والزوج ٢٩ سنة
وظيفة الزوج : موظف بنفس ادارة الشركة
مرتب الزوج : ٢٠ر٥ جنيه
عدد العاملات فى جال العمل بالنسبة للرجال : ـ
عضوية الاتحاد الاشتراكى .. النقابة :

● ● ●

اولا :

١ ـ نعم واجهتنى مشكلات عائلية فى التعليم ، وكان هناك أعتراض من ناحية الاب .

٢ ـ تغلبت على العقبات التى كانت قائمة بالنسبة للتعليم ثم العمل .

٣ ـ كان العمل بناء على اختيارى .

٤ ـ لو توفرت الاحتياجات أفضل الاستمرار فى المنزل .

٥ ـ لم أشعر بأى تفرقة مع زملائى .

٦ ـ لم أشعر بأى تفرقة فى اختيار العاملين من النساء والرجال فى مجال التدريب المهنى .

٧ ـ لم اجد أى مصاعب من الرؤساء والزملاء .

٨ ـ لا تقتصر أعمال المرأة على وظائف معينة، بل تشارك فى كل أنشطة الرجل .

٩ ـ لست راضية عن عملى .

١٠ ـ لم أتعرض لاى ضغوط .

١١ ـ ساعات العمل غير مناسبة للمتزوجات .

ثانيا :

١ ـ كان الاختيار من العمل .

٢ ـ تم تأثيث منزل الزوجية ـ بالتقسيط ومشاركة من الجانبين .

٣ ـ الشغالة للنظافة والغسيل ـ اعداد الطعام ورعاية الاطفال اقوم به بنفسى .

٤ ـ لا يشارك زوجى فى شىء .

٥ ـ علاقتى طيبة بعائلتى وعائلة الزوج والجيران .

٦ ـ لا استفيد من المعدات المنزلية الحديثة .

٧ ـ اوجه الانفاق مشاركا بينى وبين زوجى .

٨ ـ نعمل جمعيات احيانا .

٩ ـ . . . . . .

١٠ ـ العمل فترتين يؤثر فى تربية الاطفال .

١١ ـ اقضى اجازتى فى المنزل .

١٢ ـ لا يوجد عندى فراغ .

١٣ ـ تتولى الشغالة رعاية الاطفال .

ثالثا :

١ ـ ان تعدد الزوجات غلط، ويجب تقييد حرية الرجل فى الطلاق .

٢ ـ أن تكون اجازة الوضع ٥٠ يوما .

٣ ـ أفضل دور الحضانة فى الحى ان وجدت .

رابعا :

ـ لابد من التنظيم النسائى

خامسا :

ـ لابد من الحرب .

ـ أن تشترك المرأة فى المعركة وخصوصا فى الدفاع المدنى والتمريض .

ـ دور مؤثر وخصوصا من أمريكا .

الاسم : محاسن سيد محمد
السن : ١٨ سنة
المؤهل : دبلوم مدرسة التمريض
العمل : ممرضة بمستشفى شبرا العام
سنوات العمل : ٤ سنوات
الاجر : ١٢ جنيهــا
الحالة الاجتماعية (وعدد الابناء) : آنسة
السن وقت الــزواج .. للــزوجة والزوج : -
وظيفة الزوج : -
مرتب الزوج : -
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : -
عضوية الاتحاد الاشتراكى .. النقابة : -

● ● ●

اولا :

١ - كان هناك مشكلة عدم تعلم الوالد والوالدة ، ولذلك لم يرغبوا فى التعليم اكثر من ذلك .

٢ - لا توجد الان عقبــات ، وتغلبت عليها لان حالتى المادية أصبحت متيسرة .

٣ - كان العمل استجابة منى للعمل ضد القدر والاستسلام .

- اختيار مهنة لها عــلاقة بالطب لانها انسانية .

٤ - لن أترك العمــل لان المجتمع لابد أن تشارك فيه المرأة والرجل معا . كما لن أترك العمل لانه يسمح لى بأن اقوم ببعض التزامات المنزل ان شاء الله

٥ - نعم أشعر بالمساواة مع زملائى من جميع النواحى لاننا جميعا اخوة فى العمل .

٦ - لا توجد تفرقة فى اختيار العاملين من الجنسين فى مجال التدريب المهنى .

٧ - هناك تعاون واخلاص فى العلاقة مع الرؤساء والزملاء فى العمل .

- كنت اجد صعوبة فى بادىء الامر وذلك ، لان المناظر التى كنت أراها تجعلنى أكاد « اسقط من طولى » ، ولكن الان اعتــدت عليها ..

٨ - المرأة تستطيع أن تعمل أى شىء ما دامت واثقة مــن نفسها .

٩ - نعم راضية عن عملى طبعا .

١٠ - لا لم اتعرض للضغوط من أى نوع لانى تخرجت من المدرسة الملحقة بالمستشفى .

١١ - ساعات العمل مناسبة ما دام الفرد يحب عمله .

ثانيا :

١ - أنا مخطوبة من ٥ سنوات وخطيبى لا يملك المال لاتمــام الزواج ، وقد اخترت خطيبــى نتيجة لتجاربى الشخصية ، ولكن طول مدة الخطوبة يضــايقنى ، والعائلة تعارضنى لتمسكى به ، وانا لا أريد أن أعطيه مــن مدخراتى لكى يحس أنه رجــل المنزل لا انا .

٢ - بالتعاون مع خطيبى أدخر ما أستطيع وقد اشتريت للمنزل كل حاجياتى ، ولكن طول مدة الخطوبة تجعلنى أجدد كل ما قدم .

٣ - اقوم بالنظافة والغسيل فى وقت الفراغ ، وبــالنسبة لاعداد الطعام فأنا ماهرة ، عندى حنين كبير الى الاطفال وكل واحد ونصيبه .

٤ - ...

٥ - علاقتى مع عائلتى احترام وود وكذلك الجيران .

٦ - لم أستفد من المعدات الحديثة لان الحالة الاجتماعية تفرض نفسها ، وعنــدى بعض الاخوة وهم اصغر منى يتعلمون وان كانت هناك مساعدات من الاخوة والوالد ولكن أرى أن أمد يد المساعدة الى الاسرة .

٧ - مرتبى البعض منه للاسرة والبعض الاخــر مصروفــى الشخصى والادخار لعــل بيت الزوجية قريب .

٨ - لا اضطر للاقتراض - واعمل جمعيات لانقــذ بعض المعارف من الضيق المالى .

٩ - نعم ادخر فى المنزل - ولكنى اقتنعت اخيرا بمكتــب التوفير .

١٠ - لا اعتقد أن عملى يؤثر فى تربية الاولاد ما دام هناك والدى - ودور الحضانة .

١١ - اقضى اجازتى فــى المصيف او المنزل .

١٢ - اقضى وقت فراغى فى الحدايق ، والسينما ، والقراءة ، وشغل الابرة .

١٣ - ....

ثالثا :

١ - بخصوص تعدد الزوجات وحرية الطلاق فان الدين وضح هذه المشكلة وابعادها .

٢ - اجازة الوضع كافيــة ومناسبة ، والرضاعة فافضل ان يرضع الطفل أكبر مدة ممكنة من أمه .

٣ - انا لست متزوجة ولكن افضل رعاية أمى ، وان كانت هناك دور حضانة فى المستشفى

رابعا :

١ - عضو بالنقابة المهنيــة وعضــو عــامل بالاتحــاد الاشتراكى .

- رايى فى هذه التنظيمات انها تعمل بعض المشكلات .

- التنظيم النسائى هام جدا لكى نوحد كلمة المرأة ، وتثبيت اقدامه ، يبدأ من الحى ثم يتدرج الى مستوى الجمهورية .

خامسا :

- اننا نحارب من أجل المصير العربى وحرية أوطاننا وتحرير الارض من الاستعمار والفساد ، وان شاء الله سينتصر الحق .

- المرأة تعمل جادة وخاصة فى مجال التمريض .

- ان هناك بعض المصــالح المشتركة لبعض القوى الرجعية فى الوطن العربى مع الاستعمار ، ولكن ان شاء الله الشعب سيحدد المصير وكلمة العرب ان شاء الله ستكون واحدة والحق دائما الله معه .

[١٥]

الاسم : نجوى احمد علوان
السن : ٢٩ سنة
المؤهل :
العمل : كوافير سيدات
سنوات العمل : ٨ سنوات
الاجر : ٩ جنيهــات
الحالة الاجتماعية : (وعدد الابناء) متزوجة ، ٣ اطفال
السن وقت الزواج .. للزوجة والزوج
وظيفة الزوج : عامل
مرتب الزوج : ١٥ جنيهــا
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : ١ عاملة ، ٤ رجال
عضوية الاتحاد الاشتراكى .. النقابة :

● ● ●

اولا :

١ ـ لم أواجه مشاكل فــى التعليم ولم يعترض أحد مــن أهلى •

٢ ـ لا توجد أى عقبــات بالنسبة لاستمرارى فى العمل •

٣ ـ اننى انتظرت العمل الى أن جاء الى ، واذا تركت لى حرية الاختيار فانى افضل أن أكون مانيكيرست •

٤ ـ افضل الاستمرار وانا آمل ترك العمل بعد فترة ولكن بعد تحسن الاحوال المعيشية •

٥ ـ نعم أشعر بالمساواة مع زملائى الرجال مــن نــاحية المرتب •

٦ ـ لا توجد تفرقة بين النساء والرجال فى مجال التدريب المهنى ولكن يعطون احيانا العمل الذى يتطلب الجهد للرجال •

٧ ـ علاقة طيبة مع الرؤساء والزملاء ولا توجد أى مصاعب •

٨ ـ لابد أن يقتصر عمل المراة على وظائف معينة ، وأن تأخذ المراة العمل الذى لا يتطلب جهدا بدنيا •

٩ ـ نعم راضية عن عملى لانه يلائم طبيعتى وخبــرتى وقــد أمضيت فيه ٨ سنوات •

١٠ ـ التحقت بهذا العمل وانا عندى ٢١ سنة وكنت فى حاجة اليه ولم تحدث أى ضــغوط للالتحاق به •

١١ ـ ساعات العمــل الان أحسن منها فى الماضى وهــى مناسبة جدا لاى عامل •

ثانيا :

١ ـ تم الزواج برضــاء منى وليس تحت أى ضغوط وجــاء التعرف عليه عن طريق العائلة •

٢ ـ تمكنت من تأثيث منزل الزوجية عن طريق التعاون مع زوجى وجاء التعاون بالمشاركة بايرادى الخاص وتم اعداد المنزل تدريجيا ولم اضطر الى الاستدانة ولكن اضطررت الى التقسيط •

٣ ـ عندما افرغ من عملى اتجه الى البيت فأعمل كل شىء بنفسى ولا استند الى أى أحد •

٤ ـ نعم يشارك زوجى فى مواجهة الاعباء المنزلية وذلك عن طريق اعداد الطعام أو رضاعة الاطفال والعمل على راحتهم •

٥ ـ العلاقة طيبة سواء مع عائلتى او عائلة الزوج أو مع الجيران •

٦ ـ نعم فلقد أفادنى كثيرا وجود الغسالة والبوتاجاز ونحن فى الطريق لشراء الثلاجة •

٧ ـ يجمع هذا المرتب معذاك ويفرق على حسب ما تتطلبــه المعيشة وتنظم الشئون المــالية تنظيما جيدا •

٨ ـ نعمل جمعيات مثلا عند شراء الغسالة أو البوتاجاز لكى لا نقترض من أحد •

٩ ـ لا أدخر فالذى يأتى على قدر الذى يذهب •

١٠ ـ نعم عملى يؤثر فــى اطفالى فانهم عندما يكبــرون ويســتعدون لــدخول المــدرسة يذاكرون بجد لكى يكونوا أحسن من أمهم التى قاست كثيرا •

١١ ـ اقضى اجازتى الصيفية عادة فى الاسكنــدرية أو رأس البر •

١٢ ـ اقضى وقت راغى فى أشــغال الابــرة أو تعلـــم المنيكيرست •

١٣ ـ أبعث بــاطفالى الى والدتى أو والدة زوجى •

ثالثا :

١ ـ لكل رجل الحرية فى تعدد الزوجات والحرية فى الطلاق ، وان الزوجة يمكنها ألا تجعلــه يتزوج غيرها أو يطلقها •

٢ ـ نعم اجازات الوضع كافية وساعة الرضع كافية بــالنسبة للمراة الصحيحة الجسم •

٣ ـ لا أرسل أولادى الى دار حضانة •

رابعا :

ـ ليس لى دور فى الاتحاد الاشتراكى أو النقابة لكى اتكلم عنه •

خامسا :

ـ ليس لى فى شئون الحرب ولكن أعلم أننا نخوض معركة كرامة دفاعا عن الحق ضد دول مغتصبة ارادت أن تأخذ بلادنا بدون حق •

■ ■

[١٦]

الاسم : فاطمة عصمت حسنين
السن :
المؤهل : الثقافة ـ نظام قديم
العمل : عاملة شباك/سينما ميامى
سنوات العمل : ١٥ سنة
الاجر : ١٢ جنيهــا
الحالة الاجتماعية : (وعدد الابناء): آنسة ـ تشارك فى اعالة أسرتها المكونة من ثمانية افراد ، الام ، الاب ، والاخوة : ـ بكلية الحقوق ، ومعهد الموسيقى ، والتوجيهى ، اولى ثانوى •
الســن وقت الــزواج .. للزوجـــة والزوج :
وظيفة الزوج :
مرتب الزوج :
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : الاغلبية رجال
عضوية الاتحاد الاشتراكى .. النقابة : عضو بالاتحاد الاشتراكى ، والنقابة

● ● ●

أولا :

١ ـ لم أواجه مشكلات عائلية فى التعليم أو الالتحاق بالعمل ، لاننى أضطررت للعمل فــور حصولى على الثقافة لاعــالة الاسرة رغم أننى كنت أفضــل اكمال تعليمى •

٢ ـ ......

٣ ـ بالنسبة لنوع العمل قد كان استجابة لما كان معروضا ـ كنت افضل العمل محاماة او وكيلة نيابة .

٤ ـ آمل فى ترك العمل بعد فترة سواء للمعاش أو الزواج .

٥ ـ لا أشعر بالمساواة .. لا تقدير للاقدمية فى العمل .

٦ ـ .....

٧ ـ علاقتى برؤسائى وزملائى جيدة جدا ـ الجمهور هو الذى لايقدر عملنا .

٨ ـ يمكن للمرأة أن تقوم بكل الاعمال .

٩ ـ أنا راضية عن عملى لانه وسيلة كسب العيش ، ولكنه ليس بالوسط الجيد .

١٠ ـ التحقت بالعمل عن طريق اعلان ـ ولم اتعرض لاية ضغوط .

١١ ـ ساعات العمل غير منظمة لانها متقطعة .

ثانيا :

١ ـ ......

٢ ـ .....

٣ ـ أواجه الاعباء المنزلية بالمساهمة مع العائلة ـ فى ورديتى النهارية أعمل فى المنزل بالليل ، وفى وردية المساء اعمل فى النهار ـ أنا ست بيت ممتازة .

٤ ـ .....

٥ ـ .....

٦ ـ ليس عندى معدات منزلية حديثة ، لان لو كان عندى لما عملت فى شباك التذاكر .

٧ ـ .....

٨ ـ اضطر احيانا للاقتراض أو عمل جمعيات .

٩ ـ لا ادخر .. عندى خاتم وسلسلة ذهب .

١٠ ـ .....

١١ ـ أقضى اجازتى فى المنزل .

١٢ ـ اقضى فراغى فى مشاهدة التليفزيون .

ثالثا :

١ ـ أنا ضد تعدد الزوجات ـ تقييد حرية الرجل فى الطلاق ـ قوانين الحضانة لابد من اعادة تنظيمها .

٢ ـ .....

٣ ـ دور الحضانة قليلة ، رغم أن العاملات فى قطاعنا ينزلن الى العمل قبل مضى الفترة القانونية لانهن فى حاجة الى الـ ٣٠ فى المائة خصم .

رابعا :

ـ عضو عامل فى الاتحاد الاشتراكى ، واللجنة النقابية .

ـ استمع الى المحاضرات .

ـ لا أعرف معنى التنظيم النسائى .

خامسا :

ـ سوف ننتصر فى المعركة .. لاننا الفئة المفضلة عند الله وعند المسلمين .

ـ المرأة تستطيع أن تشارك فى المعركة ويمكنها الامساك بالبندقية كالرجال تماما .

ـ رأيى أن المعركة تتوقف على الجمهورية العربية المتحدة أساسا .. مع مساندة الاصدقاء الذين يمكن أن تعتمد عليهم .. لان حتى الصديق يمكن أن يهرب من المعركة طالما ليست معركته .. والاتحاد السوفيتى يمكن أن يخدم فى المعركة

■ ■

[١٧]

الاسم : حكمت السيد بدير
السن : ٣٠ سنة
العمل : عاملة (موسمية فى الزراعة)
الحالة الاجتماعية .. وعدد الابناء : متزوجة ، ابنة واحدة
البلد : عزبة القاطى . قرية ميت الرخا (غربية)

ـ ليه بتطلب اسمى ـ انت هاتشغلنى . ولا هاتقبضنى . ولا هاتحبسنى . ولا عاوز ايه ..

ـ أنا لا رحت مدرسة ولا كتاب هوا فيه نسوان فقرانين زيى بيروحوا مدارس .

ـ أنا بشتغل اليوم بطوله اقعد أتل زى حمار السباخ ببريزة والا خمستاشر قرش ، وساعات بعشرين أيام الشغل ما يكتر .

ـ احنا مش عارفين نعيش ، أنا بشتغل وجوزى بيشتغل ، ولى بنت حايشاها من الشغل .

ـ شغل البيت علشان نعمله لازم نصحى بدرى خالص ، علشان احنا بنروح آخر النهار همدانين .

ـ الشغل فيه البركة ، وحتى لو بقينا عال العال ما أبطلش شغل لان البحر يحب الزيادة .

ـ النقابة لا أعرفها ولا شفتها ولا أعرف شكلها ايه ..

ـ اسرائيل ربنا يغلبها . وحياة النبى الراديو قاعد يدش ما أنا فاهمة بيقول أيه ..

■ ■

[١٨]

الاسم : سميرة السباعى شاهين
السن : ٤٠ سنة
العمل : عاملة (فى الزراعة والفاعل)
الحالة الاجتماعية .. وعدد الابناء مطلقة ـ ابن وابنة
البلد : قرية نهطاى (غربية) ..

● ● ●

ـ أنا لا رحت كتاب ولا دياولو، وجوزى بيشتغل فى الفاعل وفى الغيطان ، زى البغل ، وهو مطلقنى ربنا ما يكسبه .

ـ أنا مخلفة ولد اسمه نسيم وبنت اسمها فتحية .

ـ وشغلى فى الغيط بعشرة وخمستاشر قرش ، وفى الفاعل باخد تلاتين قرش وبقعد أشيل مونة بالقصعة طالعة نازلة زى المكوك لما الواحدة عينها تتقور من الشمس والتعب .. ولما أروح ماقدرش أشتغل حاجة علشان الفاعل شغل شقا خالص

ـ والبركة فى أمى هى اللى بتعمل كل حاجات البيت..ولكن خاصمك النبى تقولى : انت بتسألنى ليه ..يعنى فيه فايدة ، اياك على الله يكون فيه فايدة ، وربنا يجبر خاطرنا ، والرجالة فى الفاعل بتاخد زينا (اسكت أحسن ابن المعلم جاى) دنا باخد والله زى الراجل هو بيشيل القصعة وأنا زيه بشيل القصعة ..

ـ والنقابة لازمتها ايه أنا ما اسمعتش عليها .. والاتحاد الاشتراكى كمان أروحه ، هى الحكاية سايبة ولا ايه .

ـ أما اسرائيل دا ها تاكل بعضها وتبعد عنا ..

■■

[١٩]

الاسم : صالحية انيس سلام
السن : ١٤ سنة
العمل : عاملة (موسمية فى الزراعة)
الحالة الاجتماعية .. وعدد الابناء : آنسة
البلد : سمبو ام غريان ، غربية)

● ○ ●

ـ انت عاوز اسمى ليه ياعم، اوعى يكون فيه حاجة يابا محمد .. واسمى صالحية أبوى ميت ومارحتش المدرسة ولا الكتاب ، وبشتغل مع أمى فى الغيط ده والغيط ده .

ـ أجرتى سبعة صاغ وساعات تمانية صاغ من البدرية للمغرب والخولة ورانا يشعفونا .

ـ الشغل ما نستغناش عنه حتى لو عندنا مقدرة ، لان الواحد ما يتبطرش أبدا . على النعمة .

ـ يا ريت يكون فيه شغل على الطوالى مش نشتغل يوم ونبطل عشرة .

ـ والجواز والعريس يا خويا اسكت سيبنا فى حالنا .

ـ والنقابة، أيه الكلام ده اللى انت بتقوله . نقابة يعنى ايه .. والاتحاد الاشتراكى

ـ وبتقول الحرب واسرائيل :.. انا اعرف حاجة خالص ...

■■

[٢٠]

الاسم : هلالية محمد على بدره
السن : ٤٠ سنة
العمل : عاملة موسمية بالزراعة
الحالة الاجتماعية .. وعدد الابناء : ارملة ، ابن وابنة
البلد : سمبو ام غريان (غربية)

● ● ●

ـ انت ليه عاوز اسمى .. وطيب علشان معاك أبوى محمد الدكانى أنا اسمى هلالية محمد على بدرة من هنا من سمبو أم غريان .. وأنا سنى أربعين سنة .

ـ رحت المدرسة الالزامى اللى فى البلد وانا صغيرة ، وبعدين وقفت على حد كده لان احنا فقرا . . وعلشان تصدق أنا « بأفك » الخط وأقول تلاتة فى أربعة باتناشر ، وأنا بحاول أعلم ابنى ولكن جه عند الاعدادية وربط والحال مش مساعد .

ـ أنا اشتغلت فى جنى القطن وخلافه بعد ما مات جوزى انيس الله يرحمه ويحسن اليه .

ـ ونشتغل بأجرنيل ومعايا بنتى ، والله والله احنا جنينا مرة تلاتين فدان قطن بسبعة قروش للواحدة .

ـ ولما اشتغل فى عمل فى الغيط مع الرجالة يتميز الراجل عنى ، وأروح الشغل من صبيحة ربنا لحد المساء.

ـ أنا أتمنى لواشتغلت فراشة ولا تمرجية علشان أربى عيالى كويس وارتاح من الجرى فى الغيطان وحتى الهدمة مأعرف اغسلها الا بالليل .

ـ وانت بتقول نقابة .. ايه النقابة دى ولا أعرف حاجة عن الاتحاد الاشتراكى يعنى انا مالى وماله .

[٢١]

الاسم : ساميةعبد العزيز عبد الهادى
السن : ١٤ سنة
العمل : عاملة (فى الزراعة ، وجنى القطن)
الحالة الاجتماعية .. وعدد الابناء : آنسة
البلد : مسجد خضر (منوفية)

● ○ ●

ـ أنا الكتاب ماروحتوش ولا المدرسة .

ـ وأنا بشتغل فى الزراعة وفى جنى القطن بعشرة قروش واتناشر قرش .

ـ وفى الجنى آخذ زى الولد ، والاولاد اللى بيزرعوا بيأخذوا اكتر من البنات .

ـ لو ابويا مبسوط وبقينا كويسين كده ما اشتغلش ولا أتبهدل .. وهوا فين الشغل يا ريت يبقى كتير .. والشغل عندى كله زى بعضه .

ـ النقابة . أنا ما أعرفش حاجة اسمها النقابة .. أما الاتحاد الاشتراكى أهه هناك فى البلد .

■■

[٢٢]

الاسم : جوهرةمحمدمحمد ضيف الله
السن : ١٧ سنة
العمل : عاملة (فى الزراعة والفاعل)
الحالة الاجتماعية .. وعدد الابناء : آنسة
البلد : وروره (قليوبية)

● ● ●

ـ انا أبويا ماودنيش الكتاب وامأله آهه موجود اذا ودا نفسه الكتاب كان يودينى الكتاب .

ـ أنا بشتغل فى الزراعة بعشرة وخمستاشر قرش ، وبشتغل فى الفاعل بخمسة وعشرين قرش ، وأشيل مونة بالقصعة قد الراجل مرة ونص ، والراجل يزيد عنى بريزة ، وفى الفاعل ما حدش يقدر يكلمنى

عشان أبو يا بيشتغل معايا ، والشغل فى الفاعل صعب قوى من الصبح لحد آخر النهار ، ومشواره صعب احنا قمنا من وروره فى البدرية وجيت بنها ماشية ، وها أروح « أم خنان » فى العربية بالاجرة وأرجع ماشية مع الرجالة اللى معايا فى الشغل •

— حاجة البيت أشتغلها زى العفريتة • وشغل الغيط أريح من شغل الفاعل •

— أنا بجهز لنفسى من عرقى وشقاى •

— والنقابة •• نقابة ايه دى •• والاتحاد الاشتراكى هو فيه حد يعرفنا فيه •

— ويارب تنصر العرب على اسرائيل •

■■

[٢٣]

الاسم : رحمة عزيز ابتناغو
السن : ٣٥ سنة
المؤهل : بكالوريوس كلية المعلمين بالمنيا
العمل : مدرسة ثانوى (رياضة)
سنوات العمل : ٧ سنوات
الاجر : ٢٩ جنيهـا
الحالة الاجتماعية•• (وعدد الابناء) : متزوجة ، ٣ اطفال
السن وقت الزواج .. للزوجة والزوج : ٢٥ سنة
وظيفة الزوج : وزارة الصحة
مرتب الزوج : ٢٨ جنيهـا
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : —
عضوية الاتحاد الاشتراكى •• النقابة : نقابة المعلمين

•••

أولا :

— لا أجد اعتراضا من العائلة فى التعليم •

٢ — لن تكون هناك مصاعب من العائلة فى العمل •

٣ — حقيقة أن المجموع الذى حصلت عليه لعب دورا فى نوع العمل الذى حصلت عليه •

٤ — لن أعتزل العمل فانى أحبه •

٥ — مساواة تامة مع زملائى •

٦ — لا أحس بتفرقة فى اختيار العاملين من الجنسين فى مجال التدريب المهنى •

٧ — علاقتى بالرؤساء علاقة تعاون — ولا توجد مصاعب فى العمل . ولكن هناك مصاعب بالنسبة للاولاد .

٨ — المرأة تصلح دائما لجميع انواع العمل ما دامت قادرة .

٩ — نعم راضية عن عملى •

١٠ — التحقت بالعمل عن طريق الوزارة •

١١ — ساعات العمل مناسبة •

ثانيا :

١ — تم الزواج برضائى — هو زميل أخى فى العمل وأتى مصادفة لزيارته فرآنى وحدث نصيب •

٢ — تمكنت من تأثيث المنزل بالتعاون مع الزوج — بعض مرتبى وما أدخره — مشاركة من الجانبين

٣ — غسالة كهربائية + شغالة للنظافة والغسيل .
أقوم باعداد الطعام بنفسى + والدتى + شغالة .

— والدتى ترعى الاطفال ثم الدادة الى حين رجوعى وأعود سريعا حيث أكون فى شغف عليهم •

٤ — يشارك زوجى فى بعض الاعمال السهلة — جبران خاطر — يلعب مع الاولاد وخاصة البنت الصغرى •

٥ — علاقة حب واخلاص مع العائلة والجيران •

٦ — نعم — غسالة ، ثلاجة ، تليفزيون •

٧ — الادخار — المأكل — بالاتفاق أنا فى بعض الحالات وهو فى البعض الاخر مع احترامى لشخصية زوجى •

٩ — نعم أدخر فى مكتب البريد وبالمنزل وعندى بعض الذهب (غوايش) •

١٠ — عملى لا يؤثر فى تربية الاطفال •

١١ — أقضى اجازتى فى المصيف أو الريف •

١٢ — وقت الفراغ اقضيه فى متابعة التليفزيون — القراءة — الرياضة ، والحدائق يوم الجمعة •

١٣ — والدتى والشغالة تقومان برعاية الاطفال اثناء العمل •

ثالثا :

١ — تعدد الزوجات فراغة عين •

٢ — اجازة الوضع وساعة الرضاعة مناسبة •

٣ — يجب أن تكون دار الحضانة على مستوى الحى — أو العمل •

رابعا :

— لا — نقابة المعلمين •

— عضو عامل بالاتحاد الاشتراكى — نشاط هذا التنظيم له طابع تعاونى •

— التنظيم النسائى ضرورى لرفع الروح المعنوية للمرأة بالوعى الثقافى •

خامسا :

— لابد من النصر باذن الله •

— واجب وطنى على الجميع نساء ورجالا •

— لابد من النصر — اسرائيل شوكة فى ظهر العرب •

[٢٤]

الاسم : عواطف الحارث
السن : ٣٣ سنة
المؤهل : دبلوم معهد عالى التربية الفنية
العمل : مدرسة تربية فنية (مدرسة شبرا الاعدادية ـ بنات)
سنوات العمل : ١٠ سنوات
الاجر : ٣٠ جنيهـا
الحالة الاجتماعية.. (وعدد الابناء) : متزوجة ، طفلان
السن وقت الـزواج .. للزوجة والزوج : ٢٦ للزوجة ، ٢٧ للزوج
وظيفة الزوج : محـام
أجر الزوج : ـ
عدد العامـلات فى مجـال العمـل بالنسبة للرجال : ٢ : ١
عضوية الاتحاد الاشـتراكى .. النقابة : عضوية الاتحاد الاشتراكى ونقابة المهن التعليمية

• • •

أولا :

١ ـ لم تواجهنى مشكلات فى التعليم .

٢ ـ . . . .

٣ ـ كان نوع العمل بناء على اختيار من جانبى .

٤ ـ أفضل ترك العمـل لـلاسباب الاتيـة : بسـبب المواصلات ، وعدم وجـود دور حضانة ، وعدم وجـود مربية للاطفال كفء .

٥ ـ نعم أشعر بالمساواة مع زملائى من الرجال من ناحيـة المرتب والتقدم الوظيفى .

٦ ـ . . . .

٧ ـ علاقتى برؤسائى وزملائى علاقة طيبة ، المصاعب التـى أعانى منها جدول الحصص وعدم وجود أدوات كافية لمدرسى المواد النسوية ، وترجع الى عدم وجود أناس كفء ، لهذا العمل ، ويجب أن تخصص لجنة فنية لعمـل الجدول يراعى فيه ظروف الافراد قدر الامكان .

٨ ـ فى رأيى أن يقتصر عمل المرأة على التدريس والطب .

٩ ـ نعم راضية عن عملى وهو يتلاءم مع طبيعتى وخبـرتى ومؤهلى .

١٠ ـ بعد ان حصلت على مؤهلى فى معهد التربية الفنية وبعد تقديم مسـوغات التعيين عينت بهذا العمل ولم أتعرض لاية ضغوط غير طبيعية .

١١ ـ ساعات العمل مناسبة .

ثانيا :

ـ تم الزواج، بالرضاء من جانبى وكان الاختيار عن طريق المعارف .

٢ ـ تمكنت من تأثيث منزل الزوجية عن طـريق المهـر ، والمدخرات وتم اعداد المنزل كله مرة واحدة .

٣ ـ أواجه الاعباء المنزلية بمساعدة شـغالة فـى مجـال النظـافة والغسيـل ورعـاية الاطفال .

٤ ـ لا يشارك زوجى فـى الاعباء المنزلية .

٥ ـ علاقة طيبة بعـائلتى وعائلة الزوج والجيـران وكل واحد فى حاله .

٦ ـ نعم استفيد استفادة تامة من المعدات الحديثة فى الاعمال المنزلية .

٧ ـ أوجه انفاق مرتبى ودخل زوجى فى المعيشـة : الايجار ، أجرة الشغالة ، نفقات المنزل من كل النواحى ، ادخار . شـقة ومكتب .

٨ ـ عمل جمعيات فى بعض الاحيان .

٩ ـ نعم ادخر . بالبنك [بنك مصر) .

١٠ ـ ان عملى يؤثر فى تربية الاطفال ، ونوع التأثير ، تـرك الاطفال للشغالةفترة طويلة تؤثر فى تربيتهم .

١١ ـ اقضى اجـازتى فى المصيف والبلدة .

١٢ ـ أقضى وقت الفراغ فى القراءة وأشغال الابرة .

١٣ـ تتولى الشـغالة رعـاية الاطفال أثناء فترة العمل .

ثالثا :

١ ـ رأيى أن يكون تعـدد الزوجات للضرورة بما يقتضيه الشرع ـ وأن يكون الطلاق تحت رقابة القضاء . وقانون الحضانة غير متناسب مع العـاملات ويقتضى التغيـير بمـا يتلاءم والمجتمع الجديد .

٢ ـ ان اجازة الوضع غير كافية ، وينبغى الحصـول على اجازة لاحقة الى ٦ شهور ولو بنصف المرتب . وساعة الرضاعة كافية ، لو كانت الحضانة ملحقة بالعمل أو قرب السكن وللاسف لم تحظ بها العاملات بالحكومة .

٣ ـ لا أرسل أطفالى الى دار الحضانة والاسباب : غير مؤمنة بدور الحضانة لانه ليس هناك كفاءة . وأفضل دور الحضانة فى الشركة أو المدرسة ويكون الاشراف من الامهات بالتناوب .

رابعا :

ـ أنا عضو فى الاتحـاد الاشتراكى . والنقابة المهنية .

ـ عضو عامل .

ـ رأيى أن نشاط هـذه التنظيمات يسير سيرا حسنا .

ـ التنظيم النسائى دعامة من دعامات المجتمع ، هو ضرورى للنهوض بالمجتمع ، والنهـوض بالمرأة من الناحية الاقتصـادية والاجتماعية والسيـاسية ـ ان يكون بدء التنظيم النسائى على مستوى الحى ثم المدينة ثـم العاصمة .

خامسا :

رأيى أن المعركة مع الاستعمار والصهيونية فى واقعها خطيرة ، ومستقبلها يحتاج الى بذل وفداء وجهد كبير . واحتمالاتها قـد تتسع الى حرب عالمية .

وأن دور المرأة أساسى فى هذه المعركة من ناحية الوعى السياسى والناحية الاقتصادية والمساهمة فى التمريض .

رأيى أن الواقع العربى غير مستقر للانقسامات بين العرب، والواقع الدولى فان الغالبية تكن

عداء للعرب . بسبب النشاط الصهيونى ، وهناك صراعات داخلية وصراعات خارجية ، وصراعات بين الافكار بالنسبة للرأسمالية والاشتراكية ، وصراعات بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية ، وتاثيرها على الصراع العربى الاسرائيلى ، الدول الاشتراكية تقف بجانب العرب والدول الراسمالية تقف بجانب اسرائيل .

■■

[٢٥]

الاسم : هدى حسن ابراهيم
السن : ٣٠ سنة
المؤهل : دبلوم معلمات عامة
العمل : مدرسة
سنوات العمل : ١١ سنة
اجر : ١٥ جنيهـا .
الحالة الاجتماعية .. (وعدد الابناء) : زوجة ، ٣ اطفال
السن وقت الزواج .. للزوجة لزوج : الزوجة ٢٣ سنة ـ الزوج ٢٥ نة
وظيفة الزوج : موظف
رتب الزوج : ٣٦ جنيهـا
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة رجال : اغلبية ـ فالعمل فى المدرسة تمد على المدرسات
عضوية الاتحاد الاشتراكى .. النقابة : ضو بنقابة المهن التعليمية فصلت من الاتحاد الاشتراكى لانى لم دفع الاشتراك)

● ● ●

أولا :

١ ـ لم أواجه مشكلات فى التعليم أو الالتحاق بالعمل .

٢ ـ لاتوجد عقبات حاليا فى عملى .

٣ ـ أبى اختار لى العمل .. ضربنى والدى علقة .. كنت قد اخترت أحد أجهزة الاعلام لانى كنت اكتب شعرا وقصصا وكنت أقرأ كثيرا .

٤ ـ لا أريد أن أترك العمل ـ انى أحب عملى .

٥ ـ فى التدريس نجد نوعا من المساواة .

٦ ـ توجد مساواة فى اختيار العاملين من النساء والرجال للتدريب المهنى .

٧ ـ علاقتى برؤسائى وزملائى علاقة طيبة ـ لا توجد مصاعب . لانى اعمل بسرعة لاتوجه للمنزل

٨ ـ أنا ضد تخصص المرأة فى أى عمل محدد لكن التدريس هو الاقرب الى طبيعتها .

٩ ـ أحب عملى فهو يلائم خبراتى ، ولكن ليس طبيعتى .

١٠ ـ التحقت بالعمل بعد التخرج من المعهد لان معهد التدريس تابع لوزارة التربية .

١١ ـ ساعات العمل معقولة .

ثانيا :

١ ـ تم الزواج بالاختيار والرضاء من جانبى وعن طريق العائلة .

٢ ـ تمكنت من تاثيث منزل الزوجية من المدخرات ، وتم اعداده بالتدريج ومشاركة من الجانبين .

٣ ـ النظافة والغسيل (أنا وحماتى) ـ اعداد الطعام (مع حماتى) ـ الاطفال ترعاهم حماتى أثناء غيابى .

٤ ـ الجوانب التى يشارك فيها زوجى بالتعاون ـ شراء الخضار ـ ملاحظة الاولاد .

٥ ـ علاقتى بعائلتى وعائلة الزوج جيدة ـ ولكن لا أعرف الجيران .

٦ ـ عندى ثلاجة ـ غسالة ـ سخان ـ ٢ بوتاجاز ـ تليفزيون وراديو ـ ومكواة

٧ ـ بالنسبة لاوجه الانفاق اننى لم أستطع تنظيم الميزانية لان زوجى ليس مديرا ـ أدفع مرتبى فى المنزل ، وزوجى نفس الحكاية .

٨ ـ نضطر أحيانا للاستدانة .

٩ ـ ادخر فى دفع قسط الشقة وهو الادخار الوحيد .

١٠ ـ لا أعتقد أن عملى يؤثر فى تربية الاطفال .

١١ ـ ..

١٢ ـ اقضى وقت فراغى فى المنزل .

١٣ ـ تتولى حماتى رعاية الاطفال أثناء العمل .

ثالثا :

١ ـ انا ضد تعدد الزوجات ، وحرية الرجل فى الطلاق لابد أن تقيد ـ ولابد من الاسراع فى بحث قانون الاحوال الشخصية ، ولابد من رفع سن الاطفال فى مجلس الامة .

٢ ـ اجازة الوضع ليست كافية ـ لا يعطينى القانون ساعة الرضاعة هذه

٣ ـ لا أرسل أطفالى الى دور الحضانة لانها مرتفعة الثمن ـ وافضل أن تكون فى الحى لانى لا أرغب فى سحبهم فى المواصلات ، ولابد ان تكون دار الحضانة نظيفة ومتواضعة فى الثمن .

رابعا :

ـ عضو بنقابة المهن التعليمية ـ فصلنى الاتحاد الاشتراكى لانى لم أدفع القسط الشهرى .

ـ لا احس بفاعلية التنظيم النسائى ولا أشعر به ـ يا ريت يكون فيه هذا التنظيم .

خامسا :

ـ انا قلقة بالنسبة للمعركة ولكن ارجو أن ننتصر .

ـ لابد أن تساهم المرأة بقدر استطاعتها فى المعركة .

ـ توجد دول تناصرنا .. ودول أخرى تقف ضدنا .. واذا ثبتت مصر على مبدأ رفض الهزيمة فانها سوف يكون لديها موقف مشرف .

[٢٦]

الاسم : رجاء القمص بولس شنودة
السن : ٣١ سنة
المؤهل : بكالوريوس تجارة
العمل : مراجعة بادارة العلاج بوزارة الصحة
سنوات العمل : ٥ر٦ سنة
الاجر : ٥ر٢٧ جنيه
الحالة الاجتماعية .. (وعدد الابناء) : متزوجة ، طفلان
السن وقت الزواج .. للزوجة والزوج: الزوجة ٢٥ سنة ، والزوج ٣٥ سنة .
وظيفة الزوج : صيدلى
مرتب الزوج : صاحب اجزخانة
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : -
عضوية الاتحاد الاشتراكى .. النقابة : -

• • •

أولا :

١ - لم تواجهنى مشكلات فى التعليم .

٢ - كان العمل استجابة لما كان معروضا على - وأفضل القيام به .

٣ - أفضل الاستمرار فى عملى ولا أريد تركه .

٤ - أشعر بالمساواة .

٥ - لا أحس بتفرقة فى المعاملة .

٦ - علاقة حسنة مع زملائى ولا توجد صعاب .

٧ - اشارك فى انشطة الرجال .

٨ - نعم راضية عن عملى وهو ملائم لى .

٩ - عينت عن طريق ديوان الموظفين سنة ١٩٦٣ .

١٠ - ساعات العمل مناسبة .

ثانيا :

١ - تم الزواج بالاختيار - كان اختيار الزواج برضائى .

٢ - شاركت بغرفة نوم - ثم تأثث المنزل بالتدريج .

٣ - الشغالة للنظافة والغسيل .

- أنا وحماتى بالنسبة لاعداد الطعام .

- أنا وحماتى والشغالة فى رعاية الاطفال .

٤ - لا يشارك زوجى فى الاعباء المنزلية .

٥ - علاقة حسنة والحمد لله بالعائلة والجيران .

٦ - نعم أستفيد من المعدات المنزلية الحديثة - عندى غسالة وثلاجة .

٧ - ننفق على المنزل سويا .

٨ - لا نضطر للاقتراض .

٩ - لا أدخر شيئا .

١٠ - عملى لا يؤثر فى تربية الاطفال .

١١ - اقضى أجازتى فى المصيف .

١٢ - أشغال الابرة - التليفزيون فى أوقات الفراغ .

١٣ - حماتى والشغالة تقومان برعاية الاطفال أثناء العمل .

ثالثا :

١ - غير راضية عن تعدد الزوجات وحرية الرجل فى الطلاق وقوانين الحضانة .

٢ - اجازة الوضع وساعة الرضاعة غير كافية - ولا نحصل عليها فى وزارة الصحة .

٣ - لا أرسل أطفالى الى دور الحضانة .

رابعا :

- التحقت بالاتحاد الاشتراكى وللان لم يقيد اسمى .

- لابد من تنظيم نسائى ، ويبدأ من المسئولين .

خامسا :

- رأيى لابد من تحرير الارض العربية - وان شاء الله النصر قريب .

- المرأة بذلت مجهودا تشكر عليه فى المعركة .

- لابد من التعاون العربى بين الدول العربية والاجنبية التى تصادقنا وتسير معنا فى طريقنا فى المعركة حتى يمكن الانتصار على العدو الصهيونى .

[٢٧]

الاسم : سعدية بكر
السن : ٢٨ سنة
المؤهل : الثانوية العامة
العمل : كاتبة آلة كاتبة (ادارة الميزانية بوزارة الصحة)
سنوات العمل : ١٠ سنوات تقريبا
الاجر : ١٨ جنيها
الحالة الاجتماعية .. (وعدد الابناء) متزوجة ، ابن واحد
السن وقت الزواج .. للزوجة والزوج : الزوجة ٢٤ والزوج ٢٨
وظيفة الزوج : محاسب قانونى
مرتب الزوج : ٢٥ جنيها
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : ٣٠ فى المائة تقريبا
عضوية الاتحاد الاشتراكى .. النقابة: عضوية الاتحاد الاشتراكى

• • •

أولا :

١ - نعم واجهتنى مشكلات فى التعليم ، وذلك لقلة الموارد المادية مما أدى الى التحاقى بالعمل وفى نفس الوقت رفض والدى لذلك لتدينه الشديد .

٢ - تغلبت على هذه العقبات بالاقناع والتفاهم مع والدى .

٣ - نوع العمل كان استجابة لما كان معروضا .

- أفضل وظيفة الام فى المنزل .

٤ - الاعتزال - بعد فترة معينة - فى حالة قدرة الزوج المادية وبلوغ مرتبة الكفاية اللازمة .

٥ - نعم أشعر بالمساواة .

٦ - لا أحس بتفرقة فى المعاملة .

٧ - علاقتى برؤسائى وزملائى حسنة ، لاتوجد مصاعب .

٨ - نعم فالمرأة لها المنزل ولكن الظروف تدفعها للعمل من أجل المادة .

٩ - لست راضية عن عملى كما أنه لا يتلاءم مع طبيعتى وخبرتى .

١٠ ـ بتقديم طلب لشغل الوظيفة ـ لم أتعرض لاية ضغوط .

١١ ـ اننا نحرم من ساعة الرضاعة رغم تطبيقها على القطاع العام .

ثانيا :

١ ـ تم الزواج بالاختيار والرضاء ، وعن طريق العائلة .

٢ ـ المدخرات + المهر ـ بالتدريج والتقسيط والمشاركة من الجانبين .

٣ ـ أواجه الاعباء المنزلية بمفردى .

٤ ـ لا يشارك زوجى فى الاعباء المنزلية (الا فى الحالات القصوى) ـ ليس سوى الجوانب المادية .

٥ ـ علاقتى بعائلتى حسنة ـ وعائلة الزوج متوسطة ـ والجيران حسنة .

٦ ـ نعم أستفيد من المعدات المنزلية الحديثة .

٧ ـ أقوم بتسديد ما علينا من اقساط ثم مصروف للزوج ومصروف لى ومصروف للمنزل .

٨ ـ الاقتراض ، الجمعيات ـ خاصة فى حالة شراء الكماليات [تليفزيون ثلاجة الخ] .

٩ ـ لا يوجد فائض للادخار .

١٠ ـ نعم عملى يؤثر فى تربية طفلى من ناحية ـ عدم الرعاية للطفل رعاية كافية .

١١ ـ اقضى اجازتى فى المصيف .

١٢ ـ أقضى وقت الفراغ فى مشاهدة التليفزيون ، اذاعة ، سينما ، مسرح ، أشغال الابرة .

١٣ ـ والدتى تقوم برعاية الطفل أثناء العمل .

ثالثا :

١ ـ تعدد الزوجات شىء سيء ـ حرية الرجل فى الطلاق شىء سيء أيضا وقوانين الحضانة غير مرضية .

٢ ـ أقترح شهرين للولادة وساعتين للرضاعة .

٣ ـ لا أرسل طفلى الى دور الحضانة .

رابعا :

ـ عضوية الاتحاد الاشتراكى ـ عضوية عاملة .

ـ نشاط هذه التنظيمات سليم .

خامسا :

ـ اننا سننتصر باذن الله

ـ تقدير عظيم لدور المراة فى المعركة .

ـ سوف ننتصر رغم كل شىء .

■ ■

[٢٨]

الاسم : رجاء جورجى
السن : ٢٨ سنة
المؤهل : ثانوية عامة
العمل : كاتبة (الادارة العامة للمعامل ـ وزارة الصحة)
سنوات العمل : ٧ سنوات
الاجر : ١٢ جنيها .
الحالة الاجتماعية .. (وعدد الابناء) : متزوجة ، ابن واحد
السن وقت الزواج .. للزوجة والزوج : للزوجة ٢٥ ، وللزوج ٣٠
وظيفة الزوج : موظف
مرتب الزوج : ٣٤ جنيها
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : ٧ : ٢
عضوية الاتحاد الاشتراكى ..
النقابة : ـ

● ● ●

اولا :

١ ـ لم أواجه مشكلات عائلية فى التعليم .

٢ ـ ...

٣ ـ هذا العمل كان بناء على اختيار من جانبى .

٤ ـ أفضل الاستمرار فى عملى مهما كانت الظروف .

٥ ـ نعم اشعر بالمساواة .

٦ ـ لا أحس بتفرقة .

٧ ـ علاقتى بالرؤساء والزملاء علاقة طيبة ولا توجد مصاعب .

٨ ـ ارى ان تشارك المراة فى كل انشطة الرجل .

٩ ـ نعم راضية عن عملى .

١٠ ـ التحقت بالعمل عن طريق مسابقة ـ ولم اتعرض لاية ضغوط .

١١ ـ ساعات العمل مناسبة

ثانيا :

١ ـ تم الزواج من العائلة وبالرضاء من جانبى .

٢ ـ تمكنت من تأثيث منزل الزوجية عن طريق المشاركة وبالتدريج وبالتقسيط .

٣ ـ مواجهة الاعباء المنزلية عن طريق الشغالة .

٤ ـ لا يشارك زوجى فى الاعباء المنزلية .

٥ ـ علاقتى بعائلتى وعائلة زوجى والجيران علاقة طيبة .

٦ ـ نعم أستفيد من المعدات الحديثة .

٧ ـ أوجه انفاق مرتبى ومرتب زوجى هى المسكن والمأكل والملبس والطبيب والشغالة .

٨ ـ نعم اضطر الى الاستدانة احيانا .

٩ ـ لا ادخر شيئا .

١٠ ـ نعم يؤثر فى التربية ـ نوع التأثير الضعف والحرمان من الامومة الحقيقية .

١١ ـ اقضى اجازتى بالمنزل .

١٢ ـ اقضى وقت الفراغ فى مشاهدة التليفزيون .

١٣ ـ الشغالة تقوم برعاية الاطفال .

ثالثا :

١ ـ ان تعدد الزوجات وحرية الطلاق يؤديان الى كثرة المشاكل العائلية وتشرد الاطفال وعدم العناية بهم مما يضطرهم الى التشرد .

٢ ـ اريد ان تعمم رسميا ساعة الرضاعة بالنسبة للمراة العاملة فى جميع ميادين العمل . وبالنسبة للوضع فأريد ان يكون

لمدة شهرين حتى تستطيع الام مباشرة طفلها واسترداد صحتها ، وبعدها تحصل على سنة بدون مرتب حتى تقوم بواجبها كام نحو اطفالها .

٣ – لاتوجد حضانة فى الحى الذى اسكن فيه ولذلك فعندى شغالة .

رابعا :

– تقدمت بطلب عضوية للاتحاد الاشتراكى ، ولم يرد الرد حتى الان .

خامسا :

– سننتصر باذن الله .
– يجب ان تشارك المرأة فى الاسعاف والتمريض وتقف جنبا الى جنب فى المعركة مع الرجل .
– سننتصر رغم كل شىء باذن الله .

■■

[٢٩]

الاسم : روحية عبده عبد الهادى
السن : ٣٢ سنة
المؤهل : اعدادية
العمل : كاتبة (ادارة الملفات بوزارة الصحة)
سنوات العمل : ٦ سنوات
الاجر : ١٢ جنيهـا
الحالة الاجتماعية .. (وعدد الابناء) : متزوجة ، ابنة واحدة
السن وقت الزواج .. للزوجة والزوج : ١٩ سنة
وظيفة الزوج : وكيل تلغراف
مرتب الزوج : ٢٧ جنيهـا
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : –
عضوية الاتحاد الاشتراكى .. النقابة : –

● ● ●

اولا :

١ – لمتواجهنى مشكلات فى التعليم .

٢ – ...

٣ – ...

٤ – اترك العمل بسبب ظروف الاولاد .

٥ – نعم أشعر بالمساواة مع زملائى .

٦ – لا احس بتفرقة فى اختيار الجنسين للتدريب المهنى .

٧ – علاقة طيبة برؤسائى وزملائى .

٨ – ......

٩ – نعم راضية عن عملى .

١٠ – التحقت بالعمل سنة ١٩٦٤ .

١١ – ساعات العمل مناسبة ، ويجب انصراف السيدات قبل الرجال بمدة ١٥ دقيقة .

ثانيا :

١ – تم الزواج بالرضا من جانبى .

٢ – تمكنت من تأثيث منزل الزوجية من المدخرات + المهر وتم بالتدريج ومشاركة من الجانبين .

٣ – تتولى الشغالة النظافة والغسيل .

٤ – لا يشارك زوجى فى الاعباء المنزلية .

٥ – علاقتى بعائلتى وعائلة الزوج والجيران علاقة طيبة حسنة .

٦ – عندى غسالة .

٧ – ننفق المرتبات فى تكوين المنزل والمعيشة .

٨ – نضطر احيانا لعمل جمعيات .

٩ – ...

١٠ – لا يؤثر عملى فى تربية الاطفال .

١١ – ...

١٢ – اقضى وقت الفراغ فى مشاهدة التليفزيون .

١٣ – والدتى ترعى الاطفال اثناء العمل .

ثالثا :

١ – ...

٢ – اجازة الوضع ليست كافية ، والمفروض ان تكون مدة شهرين ، وساعة رضاعة لمدة سنة .

رابعا

– لست عضوا بأى تنظيم ولا يوجد عندى وقت فراغ .

[٣٠]

الاسم : نادية عبد المسيح
السن : ٣٢ سنة
المؤهل : دبلوم خدمة اجتماعية
العمل : مشرفة اجتماعية بشركة ميتالكو
سنوات العمل : ٩ سنوات
الاجـر : ٢٢ جنيهـا
الحالة الاجتماعية .. (وعدد الابناء) : متزوجة
السن وقت الزواج .. للزوجة والزوج : ٢٧ سنة
وظيفة الزوج : مفتش اغذية
مرتب الزوج : ٣٥ جنيهـا
عضوية الاتحاد الاشتراكى .. النقابة : عضو عامل بلجنة برهام قسم الساحل ، عضو نقابة

● ● ●

أولا :

١ – لم تواجهنى أية مشكلات فى التعليم فقد كنت أجد التشجيع من كل افراد الاسرة .

٢ – لم أواجه بأية عقبات من ناحية العائلة بالنسبة للعمل .

٣ – كان العمل فى ميدان الخدمة الاجتماعية بناء على رغبتى وذلك لتأدية واجبى نحو خدمة الفرد والاسرة والتجمعات العمالية . وانى أفضل عملى فى مجال الخدمة الاجتماعية .

٤ – لو تمكنت من توفير الاحتياجات المعيشية عن طريق آخر فانى أفضل الاستمرار فيه .

٥ – نعم أشعر بالمساواة مع زملائى من الرجال فى كافة النواحى كالمرتب والتقدم الوظيفى وغيره .

٦ – لاتوجد أية تفرقة فى اختيار العاملين من النساء أو الرجال فى مجال التدريب الوظيفى .

٧ – علاقتى برؤسائى وزملائى فى العمل حسنة جدا .

٨ – لا أرى قصر اعمال المرأة على وظيفة معينة فان المرأة قد نجحت فى كل انشطة الرجل .

٩ – نعم أنى راضية عن عملى وهو يتلاءم مع طبيعتى وخبرتى ومؤهلى .

١٠ ـ نقلت من شركة النصر للاجهزة المنزلية [ايديال] الى شركة ميتالكو ولا توجد أية ضغوط •

١١ ـ مواعيد العمل لا تناسب المرأة فانى أرى أن يبدأ من الساعة ٨,٥ الى الساعة ٢,٥ مثلا حتى يمكن ان توفق بين واجبها فى العمل وواجبها فى المنزل •

ثانيا :

١ ـ تم الزواج بالرضاء وموافقتى ولم اتعرض لاى ضغوط من جانب الاسرة •

٢ ـ تم تأثيث منزل الزوجية بالتعاون بين الزوجين وبالتدريج •

٣ ـ لا توجد أية أعباء منزلية فانى أوفق بين عملى فى المصنع وواجبى نحو المنزل •

٤ ـ لكثرة أعمال زوجى فانى أقوم بجميع الاعمال المنزلية كما أوفر له جميع أسباب الراحة •

٥ ـ علاقتى بعائلتى وعائلة زوجى والجيران طيبة •

٦ ـ نعم استفيد من المعدات المنزلية الحديثة فلدى غسالة كهربائية وثلاجة وبوتاجاز وسخان ومكواة •

٧ ـ نستعين بالمرتبين والصرف منهما فى أوجه الحياة المعيشية •

٨ ـ نقترض أحيانا وفى بعض الظروف القاسية التى قد تلم بالاسرة •

٩ ـ نعم أدخر فى شكل شهادات استثمار •

١٠ ـ عملى يؤثر فى تربية الاطفال ايجابيا لان عملى يكسبنى خبرة من كثرة معاملتى واحتكاكى بحالات العاملين بالشركة •

١١ ـ أقضى اجازتى بالمصيف

١٢ ـ أقضى وقت فراغى فى القراءة وشغل الابرة •

١٣ ـ ليس لى اطفال •

ثالثا :

١ ـ انى أرى عدم تعدد الزوجات وأومن بأن للمرأة والرجل الحق فى الاتفاق على الطلاق سويا فى أضيق الحدود وتحت شروط قاسية ، كما أنى أرى أن تعدل قوانين الحضانة من أحقية الرجل فى حضانة الابناء الى حضانة الام ، وفى الحالات الشاذة التى ترفض فيها حضانة ابنائها تنتقل الحضانة الى الرجل •

٢ ـ أرى أن تزيد اجازة الوضع من شهر الى شهرين ، وكذا مضاعفة ساعات الرضاعة من ساعة الى ساعتين .

٣ ـ ......

رابعا :

ـ نعم عضو فى الاتحاد الاشتراكى قسم الساحل •

■■

[٣١]

الاسم : هدى فهمى متولى
السن : ٣٩ سنة
المؤهل : ثانوية نسوية
العمل : مشرفة عامة لحضانة مركز الشباب بعابدين
سنوات العمل : ٧ سنوات
الاجر : ١٥ جنيها (قبل الخصم)
الحالة الاجتماعية •• (وعدد الابناء) : ارملة ـ ٥ أبناء
السن وقت الزواج •• للزوجة والزوج : ١٨ سنة للزوجة ، و ٢٧ سنة للزوج •
وظيفة الزوج : ـ
مرتب الزوج : ـ
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : ـ
عضوية الاتحاد الاشتراكى ••
النقابة : عضوية الاتحاد الاشتراكى

● ● ●

أولا :

١ ـ لقد واجهتنى مشكلة فى بدء حياتى وهى التعليم العالى فقد رفض أخى الاكبر أن التحق بالثانوى العام ، علما بأنى كنت متفوقة فى دروسى ، بحجة أنى جميلة ومفروض بأنى يجب أن اذهب الى مدرسة لتعدنى ربة منزل ، وعلى هذا صمم أن أدخل الثانوى النسوى ، وقد وافق والدى وكنت ضحية ذلك •

٢ ـ وللان لم اتغلب على هذه المشكلة فى التعليم لانى الجنس الاضعف •

٣ ـ هذا ثانى عمل بناء على اختيارى •

٤ ـ افضل الاستمرار حيث اننى أعشق عملى •

٥ ـ نعم أشعر بالمساواة مع زملائى من ناحية المرتب والتقدم الوظيفى •

٦ ـ لا احس بتفرقة بين الجنسين فى مجال التدريب المهنى •

٧ ـ علاقتى برؤسائى وزملائى حسنة •

٨ ـ يجب أن تشارك المرأة فى جميع الانشطة •

٩ ـ نعم انا راضية عن عملى •

١٠ ـ التحقت بالعمل بعد وفاة زوجى وفضلت أن أعمل حتى استطيع تربية اولادى (ومن هنا ظهرت أهمية التعليم) •

١١ ـ ساعات العمل مناسبة •

ثانيا :

١ ـ تم الزواج فى الماضى والحمد لله •

٢ ـ والدى قام بتأثيث المنزل بعد أن قبض المهر •

٣ ـ أقوم بجميع الاعمال المنزلية بنفسى من نظافة وغسيل واعداد طعام ومكوة الخ ، أما فى فصل الصيف حيث اجازات أولادى فيقومون بتنظيف المنزل وغسيل الاوانى •

٤ ـ زوجى متوفى •

٥ ـ علاقتى بعائلتى وعائلة زوجى طيبة • حتى بعد وفاة زوجى (أمه تعيش معى) •

٦ ـ لا توجد فى منزلى من هذه المعدات الحديثة سوى البوتاجاز فقط •

٧ ـ أنفق مرتبى بحساب شديد •

٨ ـ اقوم دائما بعمل الجمعيات وخصوصا أيام

الدراسة حتى يتيسر لى دفع أجر أى مدرس خصوصى لأولادى ونفقات المدارس •

٩ ـ لا أدخر شيئا •

١٠ ـ ان عملى لا يؤثر فى تربية الاطفال لانى أعلمهم الهدوء •

١١ ـ لا آخذ اجازاتى فى الصيف ، ولكن آخذها فى موسم الامتحانات حيث أكون بجانب أولادى •

١٢ ـ لايوجد عندى وقت فراغ • أى وقت فراغ اقضيه فى المنزل •

١٣ ـ لا أحد يرعى الاولاد وقد علمتهم الاعتماد على النفس •

ثالثا :

١ ـ تعدد الزوجات أكبر خطأ يرتكبه الاب ، ويجب تقييد الطلاق بالشروط لصالح الاسرة •

٢ ـ نعم اعتقد أن اجازة الوضع وساعة الرضاعة كافية •

٣ ـ أولادى كبروا ـ وأفضل دور الحضانة القريبة من المنزل •

رابعا :

ـ نعم انا عضو فى الاتحاد الاشتراكى

• ـ عضو مؤتمر قسم عابدين عن وحدة شياخة الرحبة وعضو لجنة التنظيم النسائى بعابدين •

ـ أن نشاط هذه التنظيمات يتطلب المزيد من العمل •

ـ من الضرورة تكوين تنظيم نسائى ، ويجب على المراة أن تبذل كل جهدها فى نجاحه وتبتعد عن المظهرية وتتمسك بالجدية •

خامسا :

ـ رأيى فى المعركة ضد الاستعمار والصهيونية أنه مشوار طويل يتطلب العمل والجهد وكشف المستهترين والاستعداد والتسلح بالاسلحة الحديثة •

ـ دور المرأة ليس ايجابيا للان •

ـ الصراع بين الدول الكبيرة يؤثر على الصراع العربى الاسرائيلى •

[٣٢]

الاسم : عايده ابو الهدى حافظ
السن : ٢٦ سنة
المؤهل : ثانوية عامة سنة ١٩٦٠
العمل : موظفة بالبنك الاهلى
سنوات العمل : ٨ سنوات
الاجر : ٣٠ جنيها
الحالة الاجتماعية •• (وعدد الابناء) : متزوجة ، ٣ أطفال
السن وقت الزواج •• للزوجة والزوج : ٢١ سنة للزوجة ، ٢٦ سنة للزوج ••••
وظيفة الزوج : محاسب بشركة المقاولين العرب
مرتب الزوج : ٤٠ جنيها
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : الثلث
عضوية الاتحاد الاشتراكى •• النقابة : عضوية الاتحاد الاشتراكى ، والنقابة

● ● ●

اولا :

١ ـ لم أواجه مشكلات فى التعليم •

٢ ـ لم توجد عقبات بالنسبة للتعليم او الالتحاق بالعمل •

٣ ـ نوع العمل استجابة لما كان معروضا ، وكنت افضل العمل كمضيفة جوية •

٤ ـ افضل الاستمرار فى العمل ، ثم ترك العمل بعد فترة معينة للتفرغ لخدمة الاولاد ورعايتهم •

٥ ـ نعم أشعر بالمساواة مع زملائى الرجال من ناحية المرتب والتقدم الوظيفى •

٦ ـ لا احس بتفرقة فى اختيار الجنسين فى مجال التدريب المهنى •

٧ ـ علاقتى عادية مع الرؤساء والزملاء فى العمل ، والمصاعب التى اعانى منها بسبب التأخير فى الحضور الى العمل ترجع الى بعد المسافة بين العمل ومحل المسكن •

٨ ـ ارى قصر أعمال المرأة على وظائف ا، مهن معينة ـثل التمريض و ا ن • •

٩ ـ نعم ا راضية عن عملى •

١٠ ـ التحقت بالعمل عن طريق اعلان البنك لوظائف خالية •

١١ ـ ساعات العمل غير مناسبة •

ثانيا :

١ ـ تم الزواج بالاختيار والرضاء من جانبى ، وذلك عن طريق العائلة •

٢ ـ تمكنت من تأثيث منزل الزوجية عن طريق مرتبى + المهر ، ـ بالتدريج ـ والتقسيط ـ ومشاركة من الجانبين •

٣ ـ اواجه أعباء المنزل بمساهمة الشغالة للنظافة والغسيل ـ لاتوجد مساعدة فى اعداد الطعام واعده بنفسى • وتتولى الشغالة رعاية الاطفال فى فترة العمل لحين عودتى •

٤ ـ لا يشارك زوجى فى الاعباء المنزلية •

٥ ـ علاقة طيبة مع عائلتى وعائلة الزوج والجيران •

٦ ـ عندى ثلاجة ، وبوتاجاز ، وخلاط ، مكوة كهربائية ، ريكوردر ، راديو ، وتليفزيون •

٧ ـ ايجار المسكن ، والملبس ، والمأكل والترفيه [بالمشاركة]

٨ ـ نضطر احيانا للاقتراض •

٩ ـ لا ندخر شيئا •

١٠ ـ ان عملى لا يمكننى من رعاية الاطفال الرعاية الكافية ، ونوع التأثير بسبب استخدام غذاء صناعى •

١١ ـ اقضى اجازتى فى المصيف •

١٢ ـ اقضى وقت فراغى فى مشاهدة التليفزيون ، واشغال الابرة •

١٣ ـ تقوم شغالة برعاية الاطفال اثناء العمل •

ثالثا :

ـ التعدد لا أحبذه ـ وحرية الرجل فى الطلاق يجب الحد منها

ـ ان تستمر قوانين الحضانة كما هو متبع الان •

٢ ـ اجازة الوضع غير كافية ، وأفضل اجازة الوضع شهرين ، وساعة الرضاعة مناسبة •

٣ — لا وذلك لبعد دور الحضانة عن سكنى ، وأفضل أن تكون دور الحضانة على مستوى الحى .

رابعا :

— انا عضو بالاتحاد الاشتراكى واللجنة النقابية .

— عضو عاملة .

— ان نشاط هذه التنظيمات فعال بعض الشىء .

— يجب أن يوجد تنظيم نسائى ، والدعوة له وتجميع السيدات العاملات .

خامسا :

— يجب ان نستمر فى الحرب حتى النصر .

— يجب أن تشارك المرأة فى المعركة بكل ما تستطيع .

— يجب زيادة الوحدة بين الدول العربية — الكتلة الغربية تقوم بدور استعمارى ، بينما الكتلة الشرقية تقوم بتأييد الدول العربية .

■ ■

[٣٣]

الاسم : هانم جندى جورجى
السن : ٤٢ سنة
المؤهل : الثانوية العامة
العمل : موظفة بالبنك الاهلى المصرى
سنوات العمل : ٢٠ سنة
الاجر : ٧٩ جنيها و٩٤٤ مليما
الحالة الاجتماعية .. (وعدد الابناء) : متزوجة ، ابن وابنة
السن وقت الزواج .. للزوجة والزوج : ٣٠ سنة
وظيفة الزوج : موظف بالادارة العامة بالمعامل
مرتب الزوج : ٣٠ جنيها
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : ٧٦٦ موظفة ، ٢٠٦٥ موظف
عضوية الاتحاد الاشتراكى .. النقابة : عضو

● ● ●

اولا :

١ — لم أواجه مشكلات فى التعليم .

٢ — ....

٣ — نعم كان العمل بناء على اختيار من جانبى ، لكنى كنت اختار الحسابات قيما لو ترك لى حرية انتقاء العمل المناسب .

٤ — أفضل الاستمرار فى العمل .

٥ — لا أشعر بالمساواة مع زملائى من الرجال من ناحية المرتب والتقدم الوظيفى .

٦ — نعم ، أحس بتفرقة فى اختيار العاملين من النساء والرجال فى مجال التدريب المهنى

٧ — علاقتى بالنسبة للزملاء فى العمل فهى على ما يرام ، أما بالنسبة للرؤساء فمازالت هناك رواسب فى نفوس بعض الرؤساء .

٨ — أرى ان تشارك المرأة فى كل أنشطة الرجل

٩ — أنا راضية عن عملى

١٠ — التحقت بعمل آخر قبله ثم نقلت الى هذا العمل بمحض ارادتى

١١ — نعم ساعات العمل مناسبة

ثانيا :

١ — تم الزواج بالرضاء من جانبى عن طريق المعارف

٢ — تم تأثيث منزل الزوجية بمشاركة من الجانبين ، وقد تم التأثيث بالتدريج

٣ — الشغالة للنظافة والغسيل — اعداد الطعام ورعاية الاطفال بنفسى .

٤ — نعم يشارك زوجى فى مساعدة الاولاد ونفقات المنزل

٥ — علاقة طيبة بعائلتى وعائلة الزوج وليس لى اتصال بالجيران لعدم وجود فراغ

٦ — نعم استفيد من المعدات الحديثة فى المنزل

٧ — أوجه انفاق المرتبات فى ايجار المنزل ، ومصروفات المدارس والشغالة والمأكل والملبس — وكل منا يشارك الان بقدر امكانياته .

٨ — نقوم بعمل جمعيات فى الحالات الضرورية .

٩ — لا ندخر شيئا .

١٠ — عملى لا يؤثر فى تربية الاطفال

١١ — أقضى اجازتى فى المصيف

١٢ — أقضى فراغى فى أشغال الابرة والتليفزيون والقراءه فى بعض الاوقات

١٣ — تقوم الشغالة برعاية الاطفال أثناء تغيبى فى العمل

ثالثا :

١ — لا أوافق على تعدد الزوجات ويجب الحد من حرية الرجل فى الطلاق

٢ — اقترح ان تكون الاجازة شهرا للوضع وساعة للحضانة لمدة ١٫٥ سنة .

٣ — لا أرسل أطفالى الى دور الحضانة وأفضل أن تكون دور الحضانة فى الشركة اذا وجدت

رابعا :

— أنا عضو عامل بالاتحاد الاشتراكى .

— رأيى أن هذه التنظيمات تعمل بنشاط .

— أرى أن يتم تأسيس التنظيم النسائى بالاتحاد وكل يقدم مافيه فائدة المجموع

خامسا :

— يجب ان نصمد فى المعركة حتى النهاية

— وان تقوم المرأة بدورها خير قيام مشاركة منها فى المعركة

— ان اتحاد العرب ووقوفهم بصمود أمام العدو سوف يصل بنا الى النتيجة المرجوة

[٣٤]

الاسم : حميده احمد ابراهيم
السن : ٢٨ سنة
المؤهل : ليسانس اداب - قسم فلسفة
العمل : حسابات وزارة الخزانة
سنوات العمل : ٨ سنوات
الاجر : ٢٠ جنيه
الحالة الاجتماعية •• (وعدد الابناء) انسة
عدد العاملات في مجال العمل بالنسبة للرجال : ٥٠ في المائة
عضوية الاتحاد الاشتراكي •• النقابي : عضو بالاتحاد الاشتراكي

• • •

أولا :

١ - لم أواجه مشكلات في التعليم •

٢ - لا توجد عقبات بالنسبة للعمل من ناحية أفراد العائلة •

٣ - نعم كان اختيار العمل من جانبي أيام الثانوية العامة وكنت أفضل العمل بالمحاماة •

٤ - أفضل الاستمرار في العمل ، واذا تمكنت من توفير احتياجات المعيشة فاني أترك العمل بعد فترة ، بمجرد أن يكون منزلي مستوفيا لكل الشروط الواجبة والكماليات ويكون زوجي قادرا ماديا على المصروفات المنزلية والمعيشية •

٥ - نعم أشعر بالمساواة مع زملائي من الرجال من ناحية المرتب والوظيفة •

٦ - لا أحس بتفرقة في اختيار العاملين من الجنسين في مجال التدريب المهني •

٧ - علاقتي حسنة برؤسائي وزملائي في العمل ، أما المصاعب التي أعاني منها فهي من كثرة العمل ، وذلك يرجع الى سوء توزيع العمل •

٨ - لاتقتصر اعمال المرأة على وظائف أو مهن معينة ، أما الاعمال الاقرب الى طبيعتها فهي الاعمال التي تحتاج الى لمسة حنان [مثل الطب والتمريض] ، ويجب على المرأة أن تشارك في كل أنشطة الرجل •

٩ - نعم راضية عن عملي ، وان كنت أعتقد أنه لا يتلاءم مع خبرتي ومؤهلي •

١٠ - التحقت بالعمل بوزارة الصحة بعد الحصول على الثانوية العامة ، ثم النقل الى وزارة الخزانة ، ثم التسوية بالليسانس ، وقد تعرضت للضغوط عند تكليفي بالعمل بالتربية والتعليم مع عدم ميولي لذلك مع تدريس اللغة الانجليزية وفي نفس الوقت ضعفي في هذه اللغة ضعفا شديدا ثم صدور قرار الوزير باعفاء حاملي الليسانس ، وضياع طلبي مما أدى الى متاعب كثيرة •

١١ - ساعات العمل مناسبة للانسات وغير مناسبة للسيدات •

ثانيا :

١ - أرى أن يتم الزواج بالاختيار والرضاء من جانبي •

٢ - •••••••

٣ - الشغالة للنظافة والغسيل ، ومساهمة من العائلة في اعداد الطعام ورعاية الاطفال •

٤ - •••••••

٥ - ••••••••

٦ - لا أستفيد من المعدات المنزلية وذلك لعدم توفر الامكانيات المادية •

٧ - •••

٨ - أقوم بالمشاركة في جمعيات أحيانا •

٩ - •••••••

١٠ - ••••

١١ - أقضي أجازتي في المصيف أو البلدة •

١٢ - قراءة ، سينما في وقت الفراغ •

١٣ - ••••••

ثالثا :

١ - تعدد الزوجات شيء غير سليم ، وحرية الرجل في الطلاق يجب تحديدها

٢ - •••

٣ - •••

[٣٥]

الاسم : فوزية محمد احمد
السن : ٢٨ سنة
المؤهل : بكالوريوس اقتصاد زراعي
العمل : مساعد باحث اقتصادي بوزارة التخطيط
سنوات العمل : ٥ سنوات
الاجر : ٢٥٫٥ جنيه
الحالة الاجتماعية •• (وعدد الابناء) متزوجة - عدد الابناء طفلة واحدة •
السن وقت الزواج •• للزوجة والزوج : للزوجة ٢٥ سنة ، ٢٧سنة للزوج •
وظيفة الزوج : مدرس ثانوي
مرتب الزوج : ٢٤٫٥ جنيه
عدد العاملات في مجال العمل بالنسبة للرجال : -
عضوية الاتحاد الاشتراكي •• النقابة : -

• • •

أولا :

١ - لم أواجه مشكلات في التعليم •

٢ - •••

٣ - كان العمل بناء على اختيار من جانبي

٤ - أرى الاستمرار في العمل •

٥ - نعم أشعر بالمساواة •

٦ - لا أحس بتفرقة •

٧ - العلاقة حسنة ولا توجد مصاعب

٨ - لا أرى قصر أعمال المرأة على وظائف أو مهن معينة •

٩ - نعم راضية عن عملي •

١٠ - التحقت عن طريق امتحان ولم أتعرض لاى ضغط •

١١ - ساعات العمل مناسبة •

ثانيا :

١ - تم الزواج عن طريق المعارف بالاختيار والرضاء •

٢ - تأثيث المنزل تم عن طريق المشاركة - وبالتدريج - وبعض التقسيط •

٣ - النظافة والغسيل واعداد الطعام بمفردي - الاطفال ورعايتهم بمساعدة بعض الجيران والاصدقاء أحيانا •

٤ - يشارك زوجي في الاعمال الخارجية عن المنزل •

٥ ـ علاقتى بعائلتى وعائلة الزوج والجيران حسنة ٠
٦ ـ لا أستفيد من المعدات المنزلية الحديثة ٠
٧ ـ التعاون والمشاركة فى أعباء المعيشة ٠
٨ ـ لا نضطر للاقتراض ٠
٩ ـ لا ندخر شيئا ٠
١٠ ـ عملى لا يؤثر فى تربية الاطفال ٠
١١ ـ أقضى أجازتى بالمنزل ٠
١٢ ـ اشغال الابرة فى وقت الفراغ ٠
١٣ ـ يرعى أطفالى بعض الاصدقاء والاقارب أثناء العمل ٠

ثالثا :

١ ـ تعدد الزوجات وحرية الرجل فى الطلاق غير سليمة ٠
٢ ـ أجازة الوضع مناسبة ـ وغير مناسبة للرضاعة ويفضل أن تكون أكثر من ذلك قليلا ٠
٣ ـ أن تكون دور الحضانة على مستوى الحى ان وجدت بالقرب من المنزل ٠

رابعا :

ـ لست عضوا بالاتحاد الاشتراكى

■ ■

[٣٦]

الاسم : زينات محمد رزق
السن : ٤٥ سنة
المؤهل : دبلوم زائرة صحية وتوليد
العمل : رئيسة وحدة طبية (شركة مصر للمستحضرات الطبية ـ بالمطرية)
سنوات العمل : ١٤ سنة
الاجر : ٣٤ جنيها
الحالة الاجتماعية ٠٠ (وعدد الابناء : متزوجة ، ٤ أبناء
السن وقت الزواج ٠٠ للزوجة والزوج : ٢٣ سنة
وظيفة الزوج : محام
مرتب الزوج : ـ
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : ١٠٠٠ عاملة
عضوية الاتحاد الاشتراكى ٠٠ النقابة : عضو بالاتحاد الاشتراكى ، عضو بالنقابة (عضو لجنة التنظيم النسائى بالقسم)

● ● ●

أولا :

١ ـ المشاكل التى واجهتنى فى التعليم ، كانت مشاكل مادية تمكنت من التغلب عليها ٠
٢ ـ ٠٠٠
٣ ـ نوع العمل كان استجابة لما كان معروضا ٠
٤ ـ افضل الاستمرار فى العمل مهما كانت الظروف المعيشية حسنة ٠ ولا افكر فى ترك العمل الا عند بلوغ السن القانونية أو لظروف صحية شديدة ٠
٥ ـ اعتقد أن مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة موجود بصفة عامة ، وانا أتساوى مع زملائى فى المرتب والتقدم الوظيفى ٠
٦ ـ نعم توجد بعض التفرقة بين الرجال والنساء فى مجال التدريب المهنى ٠
٧ ـ علاقتى برؤسائى وزملائى طيبة ٠ واذا وجدت بعض المصاعب فهى بسبب صراحتى وقولى الحقيقة ٠
٨ ـ لا أرى مبررا لقصر اعمال المرأة على وظائف ومهن معينة ، اذا أبعد عن طريقها المعوقون والمتخلفون ٠
٩ ـ نعم اننى راضية عن عملى فهو يتفق مع خبرتى ومؤهلى ٠
١٠ ـ التحقت بالعمل بالبحث وبذل الجهود ولم أتعرض لاية ضغوط ٠
١١ ـ اعتقد أن ساعات العمل مناسبة فى الوقت الحالى ٠

ثانيا :

١ ـ تم الزواج بالاختيار والرضاء من جانبى ومن جانب زوجى ولم نتعرض لضغوط العائلة لاتمام الزواج ٠ بل تعرضنا لضغوط لفض هذا الزواج ولكننا صمدنا وانتصرنا ٠ وكان الاختيار من العائلة ٠
٢ ـ تأثث منزل الزوجية بالتدريج وبدون استدانة ولا مساعدة من أحد ، ولكن بالتقسيط المريح ، وساهمت فيه بقدر بسيط حسب امكانياتى فى ذلك الوقت ، ولم يكن هناك مهر كان مقدم صداق ١٠٠ قرش ، واعتقد أنه لا داعى للمظاهر ، ولا للمبلغ الذى سيتقاضاه المأذون عن المهر الذى ليس له وجود ٠
٣ ـ لم تكن الاعباء المنزلية على وتيرة واحدة ٠ فأحيانا كنت أقوم باعمال النظافة وغسل الملابس الذى كان أصعب شىء عندى ، واعداد الطعام ورعاية الاطفال . هذا طبعا بعد عودتى من العمل ٠ وأحيانا كنت استعين بشغالة ٠
٤ ـ نعم زوجى يشارك فى بعض الاعمال اذا اقتضت الظروف فى اعداد الطعام وترتيب المنزل ٠
٥ ـ علاقتى بعائلتى وعائلة زوجى وجيرانى طيبة ٠
٦ ـ نعم حاليا استغل من المعدات الحديثة ـ ثلاجة ، غسالة ، سخان ، بوتاجاز ، وهى تعتبر من الضروريات بالنسبة للمرأة العاملة ٠
٧ ـ ليست لى أوجه انفاق خاصة فمرتبى ومرتب زوجى معا ندير بهما شئون المعيشة واحتياجات أفراد الاسرة ٠
٨ ـ لا نحب الاستدانة أو الاقتراض ٠ نعمل بعض الجمعيات للاستعانة بها فى بعض الاغراض ٠
٩ ـ نعم ندخر بعض المال لمواجهة الطوارىء ـ صندوق التوفير ٠
١٠ ـ عملى يؤثر بعض الشىء فى الاطفال ، اذ يؤدى الى تكوين بعض العادات الغير مستحبة فى الاطفال بعدم توفر الرعاية المنتظمة والضرورية وقد يسلك بعض الاطفال سلوكا غير سليم ٠
١١ ـ اقضى اجازتى احيانا بالمصيف ، وأحيانا بالمنزل ، وفترات قليلة بالبلدة ٠
١٢ ـ امضى وقت فراغى فى القراءة أو الاستماع للاذاعة وأحيانا التليفزيون ٠
١٣ ـ أولادى كبروا الان وحينما كانوا أطفالا كثيرا ما كانوا يرعون انفسهم ٠

ثالثا :

١ - اما موضوع تعدد الزوجات ، وحرية الرجل فى الطلاق فانا ضد تعدد الزوجات وهذا الموقف أصبح لا يتمشى مع تطور الحياة وتقدمها ، ويجب أن تقيد حرية الرجل فى الطلاق ، وألا يسمح بالطلاق الا فى ظروف خاصة ويكون ذلك أمام المحكمة - كما أن قوانين الحضانة تستدعى دراسة وبحث ، وذلك من حيث معرفة هل ظروف الام الشخصية والمادية تسمح بتكملة تربية أولادها أم لا ؟ واذا كانت تسمح فهل ظروف الاب تسمح أيضا ، الحقيقة هذا الموضوع يجب دراسته ويستحق البحث .

٢ - اجازة الوضع الحالية غير كافية ويجب أن لا تقل عن ٩٠ يوما ، وساعة الرضاعة مناسبة حاليا .

٣ - لو كان عندى أطفال لأرسلتهم لحضانة الحى ، ومع ذلك يجب الحاق دار حضانة بكل مصنع .

رابعا :

- انا عضو بلجنة العشرة ، وعضو باللجنة النقابية بالوحدة ومقررة لجنة التنظيم النسائى بالوحدة .

رأيى فى نشاط التنظيم السياسى للاتحاد الاشتراكى أنه رغم وجود بعض النشاط فى الفترة الاخيرة . الا انه لم يستطع للان شد القاعدة

٧ - علاقتى برؤسائى وزملائى الجماهيرية والتفاعل معها ، وبالتالى عدم قدرته على ايجاد الثقة بينه وبين القاعدة ، هذا فضلا عن أن بعض قيادات الاتحاد الاشتراكى ، لم يراعوا فى تصرفاتهم أن يكونوا قيادة حسنة ، ويغلب على سلوكهم فى كثير من الاحيان سلوك الموظفين البيروقراطيين ، لا سلوك السياسيين الجماهيريين ..

لذلك لم يستطع تحقيق الاهداف التى يقوم من أجلها اى تنظيم سياسى فى تحريك الجماهير وتنظيمها .

- رأيى فى التنظيم النسائى وتكوينه ، أن يكون تنظيما كاملا من القاعدة القمة ، فلا يمكن لتنظيم أن يعمل مبتور الساقين أو الرأس أو الذراعين .. فمن القيادات النسائية المنتخبة يمكن انتخاب لجان تصعد ،ولا مانع من تعيين بعض العناصر النشطة لتساعد فى عملية خلق هذا التنظيم . ومن خلال العمل ستظهر بعض العناصر الاخرى التى يدعم بها التنظيم .

ومهمة هذا التنظيم تحريك نصف المجتمع لان هذا النصف اذا أحسن توجيهه وتنظيمه كان ذلك دعما للعمل الوطنى ، لانه يملك حقيقتين هامتين هما :

١ - الاسهام فى تدعيم الاقتصاد الوطنى اذا تفهمطبيعة المرحلةالتى نمر بها وهى مرحلة الانتقال للنظام الاشتراكى .

٢ - النساء هن المسئولات أساسا عن تقديم جيل جديد واع بظروف وطنه مستعد لكل جهد وتضحية .

- رأيى فى التنظيم النقابى : انه عجز عن القيام بالدور الذى كان يجب أن يقوم به ، خصوصا مع بداية النظام الاشتراكى للأسباب الاتية :

١ - عدم تفهم اختصاصات لجنة الاتحاد الاشتراكى .

٢ - اشتراك عدد كبير من الاعضاء فى لجنة الاتحاد الاشتراكى واللجنة النقابية .

٣ - العمل الفردى وعدم الوعى بالمفهوم النقابى .

ان نظرة العاملين للتنظيمات النقابية تختلف عن نظرتهم للتنظيمات الاخرى .. فالعمل النقابى له مفهوم ودلالة خاصة منذ بداية التنظيمات النقابية . بمعنى أن النقابة تنبع من القاعدة العمالية، تمثلهم وتنوب عنهم فى معاملاتهم وعلاقاتهم الخاصة بالعمل ، ونتيجة عدم تفهم المهام الاساسية للجنة الاتحاد الاشتراكية ، فانها تبحث وتتبنى جميع المشاكل والمسائل الموجودة بالمصنع أو الموقع والتى تدخل فى مهام اللجنة النقابية .

ثم وجود عدد غير قليل من الاعضاء بلجنة الاتحاد الاشتراكى ، والتزام لجنة الاتحاد الاشتراكى بالاجتماعات الاسبوعية ، أعطى احساسا للجنة النقابية بعدم جدوى اجتماعاتها اذ لا معنى لبحث نفس الموضوعات مرة تحت عنوان لجنة الاتحاد الاشتراكى ومرة تحت عنوان اللجنة النقابية ، هذا بالاضافة الى قيام بعض أفراد اللجان النقابية بعمل فردى بقصد الظهور وتغليب المصلحة الشخصية على المصلحة العامة . كل هذا ساعد على طمس معالم العمل النقابى .

أنا لا أعارض اشتراك العضو فى أكثر من لجنة اذا كان هناك وضوح فى مهام كل لجنة للاتحاد الاشتراكى واللجنة النقابية . فالعضو النشط المؤمن برسالته يستطيع أن يشارك مشاركة جدية فى كل لجنة .

خامسا :

- رأيى فى المعركة ، أن تكون لها الاولوية فى كل ما يتصل بها ، وأن نبذل كل الجهود وبصفة مستمرة لتوعية الجماهير بأساليب الاستعمار الجديد محددا فى الاستعمار الامريكى والصهيونية ، وكل من يسير فى ركابهما لان هذه العناصر تعتبر امتدادا للاستعمار .. وأن يتم تدريب جميع افراد الشعب القادرين على الدفاع المدنى والشعبى بأقصى سرعة وبصورة جادة .. وأن تتنازل الادارة العليا فى جميع مواقع العمل وتنزل لمجالات التدريب استعدادا

لخوض معركة شعبية جماهيرية جنبا الى جنب مع القوات العسكرية ·

كما أرى ضرورة عمل برامج توعية سياسية جنبا الى جنب مع التوعية الدينية .

— ان احتمالات هذه المعركة تتوقف على مدى تفوقنا فى جبهة القتال . فالمسألة ليست مسألة عدالة بقدر ما هى مسألة القدرة على استخلاص حقنا وأرضنا · ولا شك أن الحرب ستقع وتنتشر لكنى اتردد كثيرا فى القول بحدوث حرب عالمية ·

— ان تقديرى لدور المرأة فى هذه المعركة ، أنه لن يكون بالشكل الذى تتطلبه المعركة ، الا اذا حدثت ظروف تخرجها عن سلبيتها ·

— بالنسبة للواقع العربى والدولى فهو ملىء بالتناقضات والخلافات الاجتماعية والسياسية ، وهذا يؤثر فى قضيتنا من حيث اطالة هذا الصراع فى منطقتنا · بعكس ما اذا كانت هذه المنطقة العربية تسير وفق خطة موحدة صادقة ملتزمة على الاقل فى هذه الظروف بالنسبة للمعركة .

ولكن رغم هذا قامت وسط كل هذه الاوضاع مجموعة دول لها أهمية خاصة · كونت وحدة تقدمية — ليبيا — السودان — الجمهورية العربية المتحدة — العراق — سوريا — الجزائر — اليمن الجنوبية . هذه المجموعة لايستطيع أحد أن يتجاهل مكانها وامتداد تأثيرها فى المحيط الدولى بما يدعم وضعنا ·· كما أن وحدة هذه القوى التقدمية العربية لها تأثير فعال بين جماهير الامة العربية ، وهذا سيكون له تأثير فى سير المعركة الى صالحنا .

[٣٧]

الاسم : فاطمة الحسينى
السن : ٤٠ سنة
المؤهل : معلمات
العمل : رئيسة قسم مبيعات بمحلات عمر افندى
سنوات العمل : ٢٠ سنة
الاجر : ٣٣ جنيها
الحالة الاجتماعية ·· (وعدد الابناء) : متزوجة ، ولدان
السن وقت الزواج ·· للزوجة والزوج : ١٧ للزوجة — ٢٠ للزوج
وظيفة الزوج : مدرس
مرتب الزوج : لا تعرف
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : الاغلبية رجال
عضوية الاتحاد الاشتراكى ·· النقابة : عضوية الاتحاد الاشتراكى ، وعضوية النقابة

● ● ●

اولا :

١ — نعم واجهتنى مشكلات فى التعليم فى البداية ، بسبب نظرة الاسرة للعمل

٢ — تغلبت على هذه العقبات بالعمل فقط

٣ — لم يكن اختيار العمل من جانبى ، كان استجابة لما كان معروضا ، افضل العمل كمدرسة ·

٤ — افضل ترك العمل بعد فترة من اجل المعاش ، لابد أن اتفرغ للابنة

٥ — لا أشعر بالمساواة ·· زملائى الذين يحملون نفس المؤهل يترقون ، وأنا لا ·

٦ — لا توجد مساواة فى أى مجال .

٧ — علاقاتى برؤسائى وزملائى نص نص — المصاعب التى أعانى منها ترجع الى يوم العمل الكامل والى وسائل المواصلات الحالية ·

٨ — المرأة تعمل فى كل عمل مع احترام وظيفتها كأم ومسئوليتها فى البيت ، وأنا أشعر أن المرأة مهدورة الحق لانها تحمل فوق طاقتها فى العمل والمنزل ، وأرى أن أقرب الاعمال الى طبيعة المرأة التدريس والتمريض والمحلات التجارية ·· ولكن المهم هو راحتها نفسيا واجتماعيا ·

٩ — راضية عن عملى لاننى أتعيش منه فقط ولكنى اعتقد انه لا يتلاءم مع طبيعتى ·

١٠ — التحقت بالعمل عن طريق قسم التشغيل — الضغوط التى أتعرض لها هى معاملة الجمهور . فالجمهور ينظر للعاملة على أنها دون المستوى الاجتماعى ·

١١ — ساعات العمل طويلة زيادة عن اللزوم بسبب الوقت الذى يضيع فى المواصلات

ثانيا :

١ — تم الزواج بالاختيار وعن طريق المعارف

٢ — تم تأثيث المنزل بالمشاركة والمدخرات والمهر وبالتدريج ، واضطررت الى الاستدانة والتقسيط ·

٣ — تتولى الشغالة كافة الاعباء المنزلية — لدى ابنة متزوجة وأخرى فى الثانوية وحاصلة على الليسانس ·

٤ — لا يشارك زوجى فى الاعباء المنزلية .

٥ — لا أرى أحدا من العائلة والجيران بسبب عملى فى فترتين

٦ — أستفيد من كافة الادوات الحديثة ، بوتاجاز ·· تليفون الخ

٧ — كل ما يأتى يصرف على العائلة لاننى أعلم بناتى ولابد أن أساويهم بالاخريات فى المدرسة حتى يشعروا بالمساواة ·

٨ — الجأ الى الاقتراض أحيانا ·

٩ ـ لا توجد أى مدخرات عندى .

١٠ ـ عملى يؤثر فى تربية الاطفال بسبب غيابى فى العمل طول النهار

١١ ـ اقضى اجازتى فى المنزل

١٢ ـ لا يوجد وقت فراغ لانى أعمل فى المنزل بعد ان اترك العمل

١٣ ـ بناتى كبرن وهن مسئولات عن أنفسهن

ثالثا :

١ ـ تعدد الزوجات خطأ لانه يفتت الاسرة ـ أنا ضد حرية الرجل فى الطلاق ـ أفضل ان يبقى الاولاد مع الام

٢ ـ اجازة الوضع مناسبة، ولكنى أفضل الغاء ساعة الرضاعة وضمها الى اجازة الوضع

٣ ـ لا أرسل أولادى الى الحضانة لانهن كبرن الان

رابعا :

ـ انا عضو فى الاتحاد الاشتراكى فى لجنة الجنوب ـ وعضوية النقابة .

ـ لا اتابع نشاط هذه التنظيمات لأتمكن من ابداء رأيى فيها .

ـ لا أعرف معنى التنظيم النسائى او كيف يبدأ تكوينه

خامسا :

ـ نحن نحارب أمريكا واسرائيل ، وعلينا ان نصمد ونضحى كثيرا

ـ دور المرأة فى المعركة ضعيف .. وأريد ان يكون لها دور كدور المرأة فى فيتنام

ـ ان الوحدة العربية ضرورية فى الحرب مع اسرائيل .. ان الوحدة صعبة ويمكن تتحقق .

[٣٨]

الاسم : عائدة على حندوسة
السن : ٢٩ سنة
المؤهل : اعدادية
العمل : كاتبة (بشركة بيع المصنوعات المصرية)
سنوات العمل : ٤ سنوات
الاجر : ٩٧٥ قرشا
الحالة الاجتماعية .. (وعدد الابناء) انسة
السن وقت الزواج .. للزوجة والزوج : ـ
وظيفة الزوج : ـ
مرتب الزوج : ـ
عدد العاملات فى مجال العملبالنسبة للرجال : ـ
عضوية الاتحاد الاشتراكى .. النقابة : عضوية النقابة

● ● ●

اولا :

١ـ لم أواجه أى عقبات فى التعليم

٢ـ ...

٣ ـ أفضل عملى الان

٤ـ أفضل الاستمرار فى العمل

٥ـ أشعر بالمساواة التامة مع زملائى فى العمل

٦ ـ لم أشعر بأى تفرقة بين النساء والرجال فى التدريب المهنى

٧ ـ علاقتى برؤسائى طيبة وكذلك الزملاء

٨ ـ تشارك المرأة فى جميع الوظائف ما عدا الجيش

٩ ـ نعم راضية عن عملى

١٠ ـ لم اتعرض لضغوط عند التحاقى بالعمل .

١١ ـ أرى ان تكون ساعات العمل لفترة واحدة حتى الساعة الخامسة

ثانيا :

١ ـ أفضل أن يكون الزواج باختيارى مع ارشادات العائلة

٢ ـ لم أتزوج ـ أفضل تأثيث منزل الزوجية بالتعاون المشترك

٣ ـ أواجه الاعباء المنزلية بنفسى

٤ ـ ...

٥ ـ ...

٦ ـ يستحسن الاستفادة بالمعدات المنزلية الحديثة

٧ـ أفضل الانفاق بالمساهمة بين الزوجين

٨ـ ...

٩ ـ ...

١٠ ـ طبعا عملى سيؤثر فى تربية الاطفال لطول فترة العمل على ما أعتقد .

١١ ـ أقضى اجازتى فى البلدة

١٢ ـ أقضى وقت الفراغ فى أشغال الابرة

١٣ ...

ثالثا :

١ ـ تعدد الزوجات خطأ ، ويجب تقييد حرية الرجل فى الطلاق لصالح الاولاد فى أى مكان .

٢ ـ اجازات الوضع غير مناسبة وأفضل ان تكون ٥٠ يوما

٣ـ أفضل دور الحضانة على مستوى الحى .

رابعا :

ـ ارغب فى الالتحاق بالاتحاد الاشتراكى

ـ التنظيم النسائى ضرورى لرفع مستوى المرأة وتجميعها

خامسا :

ـ يجب الاستمرار فى الاستعداد للحرب حتى النصر

ـ سيكون دور المرأة فعال خصوصا فى الدفاع المدنى

ـ رأيى أن أمريكا تساند اسرائيل لتكون شوكة فى ظهر العرب

الاسم : سهير فوزى جرجس
السن : ٢٨ سنة
المؤهل : بكالوريوس الطب والجراحة
العمل : طبيب مقيم بمستشفى دار الشفاء
سنوات العمل : سنتان
الاجر : ٢٠ جنيها
الحالة الاجتماعية .. (وعدد الابناء : متزوجة ، ابنة واحدة
السن وقت الزواج .. للزوجة والزوج : ٢٥ سنة للزوجة ، ٣١ للزوج
وظيفة الزوج : مهندس مدنى
مرتب الزوج : يتراوح ما بين ٥٠ و ٨٠ جنيها بالبدلات
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال :
عضوية الاتحاد الاشتراكى ..
النقابة : عضو بالنقابة المهنية

• • •

أولا :

١ ـ لم تواجهنى مشكلات عائلية فى التعليم •

٢ ـ ....

٣ ـ رغم توفيقى والحمد لله فى دراستى للطب فقد كنت افضل من ناحية الدراسة أن تكون كلية الهندسة • ولكن من ناحية العمل فكونى طبيبة يلائم طبيعتى أكثر من مهندسة •

٤ ـ أفضل الاستمرار فى العمل والاستمرار دائما الى آخر رمق فى حياتى •

٥ ـ نعم أشعر بالمساواة مع زملائى من الرجال (وما الفرق بين رجل وامرأة من ناحية القدرة على التقدم] •

٦ ـ يوجد تفرقة واضحة من حيث اختيار العاملين الرجال فى كثير من مجالات العمل ، ولكن الاوضح فى مجال التدريب المهنى •

٧ ـ علاقتى برؤسائى وزملائى علاقة طيبة تتسم بالاحترام المتبادل والحمدلله ـ غير ان بعض الزملاء يعتقد عدم قدرة المرأة كطبيبة (طبيب مقيم) جراحة ، فهى لا تحتمل مثلا الوقوف ٦ ساعات أو أكثر فى عملية جراحية مثلا ، ولكن بالفعل اثبتت عدم صحة ذلك ـ وعلميا المرأة أكثر احتمالا من الرجل •

٨ ـ لا أرى قصر أعمال المرأة على وظائف أو مهن معينة ، ولكن يستحسن اختيار تخصص يليق بكل واحدة وحسب طبيعتها الخاصة [تدريس ، تطبيب ، تمريض ، حياكة] الخ •

٩ ـ أنا راضية عن عملى تماما ، فهو يتلاءم مع طبيعتى وخبرتى ومؤهلى •

١٠ ـ التحقت بالعمل الراهن عن طريق تقديم طلب حسب الاعلان فى المؤسسة العلاجية بالقاهرة ، ويتم التعيين عن طريق وزارة الصحة وحسب درجات التخرج ، وقد حالفنى الحظ ، ورغم موافقة الوزارة على الغاء تكليفى من القطاع الريفى ، الا اننى وجدت صعوبات كثيرة فى سبيل اخلاء طرفى من الارياف بسبب عدم موافقة مدير الادارة الصحية تصعيبا للامور •

١١ ـ ساعات العمل مناسبة تماما ، غير أن النوبتجيات هى (كل رابع يوم) التى تربك المنزل قليلا ولكن الحمد لله أصبحت العملية مألوفة •

ثانيا :

١ ـ كان الزواج مدبرا من العائلة مع الرضاء من جانبى ، وكان الاختيار عن طريق المعارف •

٢ ـ تم تأثيث منزل الزوجية من مدخرات الوالدين لى ، وتم اعداد المنزل كله مرة واحدة ، عدا بعض الكماليات البسيطة مثل السخان ، بعض الاضاءات ، وقد تم معظمها بالتدريج •

٣ ـ أواجه الاعباء المنزلية عن طريق : شغالة للنظافة والغسيل ، واعداد الطعام أحيانا ؟ ورعاية الابنة بفضل سيدة مسنة قريبة لنا •

---

٤ ـ نعم يشارك زوجى فى الاعباء المنزلية ، مثل شراء السلع التموينية للمنزل ، الشهرية واليومية ، الاصلاحات البسيطة مثل الصنابير •

٥ ـ علاقاتى العائلية طيبة والحمد لله ، ولكن تقتصر على أقرب المقربين نظرا لضيق الوقت ، وفيما عدا ذلك مما ندر ـ أما الجيران فالعلاقة لا تتعدى التحيات العابرة •

٦ ـ أستفيد من المعدات المنزلية الحديثة تمام الاستفادة ولا يمكن الاستغناء عنها •

٧ ـ لا نعرف فرقا بين مرتبى ومرتب زوجى ، ولكن يتم الصرف من المجموع الكلى ، بعد سحب الشهريات المنتظمة مثل السكن والكهرباء والمواد التموينية الشهرية ، ثم مدخر ثابت للطفلة •

٨ ـ ونحن لا نضطر للاستدانة اوعمل جمعيات [على قد لحافك مد رجليك) •

٩ ـ نعم أدخر فى شكل دفتر توفير للابنة ، بوليصة تأمين للاب والابنة على مدى عشرين عاما •

١٠ ـ لا أعتقد أن عملى يؤثر فى تربية الاطفال ، فالطفل الذى لا يجد أمه دائما معه تسنده فى كل عمل ، يحاول الاعتماد على نفسه وقد يقع فى بعض الاخطاء ولكن بالصبر يعتمد على نفسه تماما •

١١ ـ اقضى أجازتى بالمنزل للاستجمام وأحيانا بالمصيف •

١٢ ـ أقضى وقت فراغى فى مشاهدة التليفزيون والقراءة والاستماع للاذاعة ، ونادرا جدا الذهاب الى السينما .

١٣ ـ تتولى سيدة مسنة من الاقارب رعاية الطفلة أثناء وجودى فى العمل .

ثالثا :

١ ـ حقا ان الاسلام يسمح بتعدد الزوجات ، ولكنه أمر غير لازم البتة وخاصة فى وقتنا الحاضر ـ كما أن حرية الرجل فى الطلاق يجب أن تحد ، وتكون عن طريق المحكمة (الاحوال الشخصية) وليس بحلف اليمين ـ وأن قوانين الحضانة معقولة فيما عدا رفع سن الحضانة أكثر .

٢ ـ أعتقد أن أجازة الوضع كافية وكذلك ساعة الرضاعة .

٣ ـ لم أرسل طفلتى حتى الان الى الحضانة لانها لم تتم عامها الثانى بعد ولكن باذن الله السنة القادمة سأرسلها ، وفى رأيى أن أغلبية دور الحضانة المصرية لا تصلح للاطفال أقل من سنتين ونصف وثلاث سنوات ـ وأفضل دور الحضانة على مستوى الحى ، لان لها ميزة عدم تعرض الاطفال للمواصلات المزدحمة صباحا أما فى الشركة كون الطفل يحس انه قريب من أمه فهو فى مأمن ولكن هذا غير صحيح لانه يجب أن يعتمد على نفسه من الصغر .

رابعا :

ـ عضو بالنقابة المهنية [عضو غير عامل] .

ـ رأيى أن نشاط تنظيمات الاتحاد الاشتراكى ، واللجنة النقابية ، والنقابة المهنية جميل ، ولكن من غير المعقول اشراك جميع الاعضاء فى هذه التنظيمات ، لذلك تتضارب الافكار والآراء .

ـ رأيى أن التنظيم النسائى مهم جدا ويجب أن يكون على مستوى المهن أو على مستوى الحى .. ولكن عن طريق المهن يصبح ، أجمل وأجدى ، وذلك للمطالبة بأحقية المرأة فى الحياة السليمة من الناحية العملية والمدنية مثل تعديل قوانين الزواج والطلاق وتعدد الزوجات .

خامسا :

ـ ان معركة الدول العربية أو الافريقية ضد الاستعمار الاجنبى منذ الامد البعيد ، وما زال فى الشرق الاوسط ولكنه فى صورة الصهيونية ، وحاليا لان لساننا فى الامم المتحدة محدود . ودعاية اسرائيل أكبر بكثير منا الا أن النصر الحتمى سيكون للشعوب .

ـ يجب أن يكون دور المرأة فعال مثلها مثل الرجل ولا فرق ليكون الشعور للكل هو الدفاع عن الوطن العزيز .

ـ ان الدول العربية كلها حتى الان ليست يدا واحدة ، لذلك حتى الان لا نستطيع الجزم بأننا نستطيع شيئا لانه فى الاتحاد قوة وخاصة أن المعركة واحدة ، وموقف أمريكا ضد الشرق الاوسط موقف من المؤكد أن له نهاية بدليل ثورة الطلبة الاخيرة على نيكسون ، فان المسألة اذن من تدبير شخص ما ولكن من المؤكد أن النصر لنا ولنا دائما .

[٤٠]

الاسم : سهير شفيق
السن : ٣٠ سنة
المؤهل : ليسانس آداب
العمل : صحفية (بجريدة المساء)
سنوات العمل : عشر سنوات
الاجر : ٣٠ جنيها
الحالة الاجتماعية .. (وعدد الابناء : متزوجة ، وطفل واحد
السن وقت الزواج .. للزوجة والزوج : ٢٥ سنة للزوجة ، ٣٥ للزوج
وظيفة الزوج : مدير مكتب تصدير
مرتب الزوج : ١٠٠ جنيه
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : ٨٠ فى المائة
عضوية الاتحاد الاشتراكى .. النقابة : عضوية نقابة الصحفيين

● ● ●

أولا :

١ ـ لا لم تواجهنى مشكلات عائلية فى التعليم أو الالتحاق بالعمل .

٣ ـ نعم كان نوع العمل فى الصحافة بناء على اختيار من جانبى .

٤ ـ أفضل الاستمرار فى العمل ـ لا أمل فى ترك العمل بعد فترة .

٥ ـ لا أشعر بالمساواة مع زملائى من الرجال فى المرتب .

٦ ـ ....

٧ ـ علاقتى برؤسائى وزملائى فى العمل حسنة ـ لا أعانى من مصاعب .

٨ ـ لا أرى قصر أعمال المرأة على وظائف أو مهن معينة . ان كل التخصصات يمكن أن تكون قريبة من طبيعتها اذا كانت مؤمنة ومقتنعة بالعمل الذى تؤديه .. ويمكن أن تشارك فى كل أنشطة الرجال .

٩ ـ نعم راضية عن عملى .

١٠ ـ لم أتعرض لضغوط غير

طبيعية عند التحاقى بالعمل ، بل التحقت بالعمل وأنا طالبة فى الجامعة واستطعت التوفيق بين الجانبين ٠

١١ ـ ساعات العمل مناسبة ـ أحيانا أقوم بالعمل طوال اليوم فى مهمة خارجية ومع ذلك يمكن التوفيق ٠

ثانيا :

١ ـ تم الزواج بالاختيار والرضاء من جانب الطرفين ٠٠ وكان اللقاء عن طريق الصدفة عند أحد المعارف ٠

٢ ـ كان لزوجى منزل كامل وبالرغم من ذلك كنت قد ادخرت بعض المال ، وساهمت فى طلبات خفيفة ٠٠

٣ ـ أواجه الاعباء المنزلية ٠٠ أقوم بطهو الطعام بنفسى وغسيل طفلى أحيانا ٠ وأرعى طفلى فى كل شىء بنفسى ٠٠ لدى شغال وشغالة ينصرفون عند الظهر وبعد ذلك فى فترة بعد الظهر أكون أنا وابنى فقط فى البيت ٠

٤ ـ أحيانا يشارك زوجى فى الاعباء المنزلية مثل رعاية طفلنا ٠٠ يمكن أن يمكث مع الولد لو كان لدى عمل خارج المنزل يمكن أن يقوم باطعامه ونظافته مثلا ، ولا يتركنى أقوم بكل العبء وحدى ولكن يساعدنى فى كل شىء ٠

٥ ـ علاقتى بعائلتى حسنة وبعائلة الزوج أيضا ٠٠ ولكن الزيارات محدودة جدا نظرا لانشغالنا ٠

٦ ـ أستفيد من المعدات المنزلية الحديثة ٠٠ كلها تقريبا ٠

٧ ـ مرتبى ومرتب زوجى كله تقريبا ينفق على المنزل لافرق بين مرتبه ومرتبى ٠

٨ ـ حتى الان بعد أربع سنوات زواج لم نستدن والحمد لله ، ولكن أعمل جمعية فقط لادخار جزء من المال كل شهر ٠

٩ ـ حتى الان لم ندخر ، لكن اكتفينا بادخار كل قرش جاء هدية لابنى أو من أى دخل خارجى مثل أعمال ترجمة وخلافه لصالح ابنى ٠ وأمكن بذلك ادخار ٣٠٠ جنيه فى صندوق توفيرله ٠

١٠ ـ طبعا لابد أن عملى يكون له تأثير فى تربية طفلى ، فتوسيع مداركى بالاحتكاك العملى كل يوم لابد أن يكون له تأثير سليم على طفلى ٠

١١ ـ اقضى اجازتى فى اى مصيف ٠

١٢ ـ أقضى وقت فراغى أحيانا بمشاهدة التليفزيون ، لانه تسلية لابنى ، وفى الصباح قراءة ٠٠ وأحيانا سينما ، ويوم الاجازة الاسبوعية فى النادى ٠

١٣ ـ تقوم برعاية طفلى أثناء وجودى فى العمل شغالة ، تحضر من الصباح حتى الظهر ٠

ثالثا :

١ ـ ان تعدد الزوجات يضر بالمجتمع الكبير قبل أن يضر بالمجتمع الصغير [أى الاسرة] ـ وبالنسبة للطلاق لابد أن يكون أمام قاض ولجنة مصالحة تعقد مرتين أو ثلاثة حتى يكون الطلاق بعد تروكاف ـ أما بالنسبة لقوانين الحضانة فتكون لاصلح الطرفين ٠

٢ ـ اجازات الوضع كافية جدا ٠

رابعا :

ـ لا اجابة ٠

خامسا :

ـ لابد وان تنتصر كل القوى التقدمية والمؤيدة السلام فى المرحلة القادمة ضد الاستعمار والصهيونية ٠

ـ ولابد أن يكون للمرأة دور فعال فى المعركة باشتراكها فى جميع الانشطة ولكن المطلوب هو اعطاؤها هذه الفرص حتى يمكنها التحرك ٠

ـ تغير النظام فى ليبيا والسودان أضاف قوة جديدة للقوة التقدمية فى المنطقة وهذا من أهم الاحداث فى العالم العربى بعد يونيو ٦٧ ، وأصبح على غير ما كان متوقعا ٠٠ فبدلا من أن تنهار النظم العربية التقدمية لصالح العدوان حدث العكس ووقفت أمام الاستعمار والصهيونية بصلابة وعزم أكثر مما كانت عليه فى العام الماضى ٠

■ ■

[٤١]

الاسم : نجوى حافظ
السن : ٢٩ سنة
المؤهل : ماجستير فى العلوم الاجتماعية
العمل : باحثة بمركز البحوث الاجتماعية والجنائية
سنوات العمل : ٧ سنوات
الاجرة : ٣٥ جنيها
الحالة الاجتماعية ٠٠ (وعدد الابناء : متزوجة ـ لا يوجد اطفال
السن وقت الزواج ٠٠ للزوجة والزوج : ٢٧ سنة للزوجة ، ٣٦ للزوج ٠
وظيفة الزوج : كيميائى
مرتب الزوج : ٥٠ جنيها
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : حوالى ٤٥ فى المائة
عضوية الاتحاد الاشتراكى ٠٠ النقابة : عضو بالاتحاد الاشتراكى

● ● ●

اولا :

١ ـ لم تواجهنى مشكلات

عائلية فى التعليم أو الالتحاق بالعمل ·

٢ ـ لا توجد عقبات بالنسبة للتعليم أو خلافه ·

٣ ـ كان نوع العمل بناء على اختيار من جانبى ·

٤ ـ أفضل الاستمرار فى العمل ·

٥ ـ نعم أشعر بالمساواة مع زملائى من الرجال من ناحية المرتب والتقدم الوظيفى ·

٦ ـ لا احس بتفرقة فى اختيار العاملين من الجنسين فى مجال التدريب ·

٧ ـ علاقتى برؤسائى وزملائى طيبة ، ولا يوجد مصاعب ·

٨ ـ أرى أن تشارك المرأة فى كل أنشطة الرجل ·

٩ ـ اننى راضية عن عملى فهو يتلاءم مع طبيعتى وخبرتى ومؤهلى ·

١٠ ـ التحقت بالعمل بناء على درجة التخرج ·

١١ ـ رأيى أن ساعات العمل لا بأس بها ·

ثانيا :

١ ـ تم الزواج بالاختيار والرضاء من جانبى ، وكان الاختيار عن طريق العائلة ·

٢ ـ تمكنت من تأثيث منزل الزوجية من المدخرات والايراد الخاص ، وتم اعداد المنزل كله مرة واحدة ، وقد اضطررنا الى التقسيط والمساهمة المشتركة من الجانبين ·

٣ ـ أواجه الاعباء المنزلية مثل النظافة وشراء الطعام بنفسى ·

٤ ـ يشارك زوجى الى حد ما فى شراء طلبات المنزل ·

٥ ـ علاقتى بعائلتى وعائلة الزوج والجيران طيبة للغاية ·

٦ ـ نعم أستفيد من المعدات المنزلية الحديثة ·

٧ ـ أنفق مرتبى ومرتب زوجى فى أوجه الانفاق العادية للاسرة بالتعاون التام ·

٨ ـ نضطر أحيانا للاقتراض أو عمل جمعيات ·

٩ ـ لا ندخر شيئا ·

١٠ ـ أعتقد أن عملى سيؤثر فى تربية الاطفال ولو أننى لم أجرب بعد ·

١١ ـ أقضى اجازتى فى المصيف ·

١٢ ـ أقضى وقت الفراغ فى القراءة والاستماع للاذاعة ، والذهاب الى السينما والمسرح والنادى ·

١٣ ـ ليس عندى أطفال ·

ثالثا :

١ ـ ان عدم تقييد تعدد الزوجات وحرية الرجل فى الطلاق للان يعتبر جريمة فى حق الوطن ، وان قوانين الحضانة يجب تغييرها تغييرا شاملا بما يتناسب مع المجتمع المتغير ·

٢ ـ لااعتبر ساعة الرضاعة كافية ، ويجب وضع قانون يبيح للسيدة العاملة اخذ اجازة بدون مرتب لمدة سنة بعد الوضع لتربية الطفل ·

٣ ـ على الرغم من عدم وجود أطفال فاننى أرى انه لابد من ارسال الطفل الى دور الحضانة ويجب أن توفر وأن يعتنى بها بشكل جاد وتكون أساسا على مستوى الحى ·

رابعا :

ـ انا عضو عامل بالاتحاد الاشتراكى ·

ـ رأيى فى نشاط هذه التنظيمات انها مازالت غير فعالة على مستوى الوحدات ·

ـ من رأيى انه لا ضرورة للتنظيم النسائى ، ويجب أن تمارس المرأة نشاطها وتطالب بحقوقها داخل اطار الاتحاد الاشتراكى ·

خامسا :

ـ ان المعركة ضد الاستعمار والصهيونية معركة مصيرية ، يجب أن نبذل فيها كل الجهد

ـ ودور المرأة فى هذه المعركة هو مثل دور أى مواطن مخلص لوطنه ومضحى فى سبيله ·

ـ ان الصراعات التى تدور فى المجتمع العربى طبيعية نظرا للاختلاف الايديولوجى بين الدول العربية ·

[٤٢]

الاسم : نوال حافظ
السن : ٣٩ سنة
المؤهل : اكاديمية الفنون الجميلة بايطاليا
العمل : مدرسة بالمعهد العالى للتربية الفنية
سنوات العمل : عشر سنوات
الاجر : ٣٥ جنيها
الحالة الاجتماعية ·· (وعدد الابناء : ارملة ـ ابنة واحدة
السن وقت الزواج ·· للزوجة والزوج : ٢٧ سنة للزوجة ، و٣٠ للزوج
وظيفة الزوج : رائد طبيب بالقوات المسلحة (متوفى)
مرتب الزوج : ـ
عدد العاملات فى مجال العمل بالنسبة للرجال : حوالى ٥٠ فى المائة
عضوية الاتحاد الاشتراكى · ·
النقابة : عضو بالاتحاد الاشتراكى ، وعضو بالنقابة ·

• • •

أولا :

١ ـ نعم لقد واجهتنى مشكلات عائلية فى التعليم ، اذ كان هناك اعتراض من ناحية الام ·

٢ ـ تغلبت على هذه العقبة عن طريق الاقناع ·

٣ ـ كان نوع العمل بناء على اختيار من جانبى ·

- أفضل الاستمرار فى العمل •

٥ - نعم اشعر بالمساواة مع زملائى من الرجال من ناحية المرتب والتقدم الوظيفى •

٦ - أحس بتفرقة الى حدما فى اختيار العاملين من النساء والرجال فى مجال التدريب •

٧ - علاقتى برؤسائى وزملائى عادية ، اما المصاعب التى أعانى منها ، فهى بعض الغرور من الزملاء وعدم اقتناعهم أن المرأة كموظفة وزميلة غير المرأة كسيدة منزل •

٨ - لا أرى قصر أعمال المرأة على وظائف او مهن معينة - وأن اقرب أنواع العمل الى طبيعتها هى التدريس والطب والهندسة والتمريض والاداب والفنون بأنواعها •

٩ - نعم أنا راضية عن عملى ، فهو يتلاءم مع طبيعتى وخبرتى ومؤهلى •

١٠ - التحقت بالعمل عن طريق التقدم الى الوظيفة الحالية - نعم تعرضت لضغوط غير طبيعية عند التحاقى بالعمل •

١١ - رأيى أن ساعات العمل الحالية مناسبة •

ثانيا :

١ - تم الزواج بالاختيار والرضاء من جانبى - وكان الاختيار عن طريق المعارف •

٢ - قمنا بتأثيث منزل الزوجية بالتدريج وبالمشاركة المتساوية من الجانبين •

٣ - أواجه الاعباء المنزلية عن طريق المساهمة من العائلة ، وذلك فى مجال النظافة والغسيل وإعداد الطعام ورعاية الاطفال •

٤ - •••••

٥ - علاقتى بعائلتى وعائلة الزوج والجيران طيبة للغاية •

٦ - نعم استفيد من المعدات المنزلية الحديثة •

٧ - أقوم بالانفاق بمفردى ، اذ أن الزوج متوفى •

٨ - لا أضطر للاقتراض أو خلافه •

٩ - لا أدخر شيئا •

١٠ - ان عملى يؤثر تأثيرا حسنا فى تربية الاطفال •

١١ - اقضى اجازتى فى المصيف •

١٢ - اقضى وقت الفراغ فى القراءة والذهاب الى السينما والمسرح •

١٣ - تتولى والدتى رعاية الابنة اثناء وجودى فى العمل •

ثالثا :

١ - بالنسبة لتعدد الزوجات ، وحرية الرجل فى الطلاق وقوانين الحضانة ، فانه من الواجب صدور قانون جديد للاحوال الشخصية يتلاءم مع تطورنا الحالى ويتناسب مع طبيعة المرأة فى العصر الحالى ويتناسب مع المجتمع الاشتراكى الذى يتساوى فيه الرجل بالمرأة فى كل الحقوق والواجبات •

وانه من التناقض الغريب الموجود فى مجتمعنا أن ينادى المجتمع بالمساواة بين الرجل والمرأة ونجد المرأة فعلا تساوت بالرجل فى التعليم والعمل والحقوق السياسية ثم نجد قانون الاحوال الشخصية يعاملها معاملة الحريم فى العصور المتخلفة فيكون الجد مثلا هو الوصى على ابنائها يباشر كل امورهم ، وكأن المرأة نفسها قاصر لا تستطيع أن تتحكم بوعى فى أولادها ومستقبلهم ••

والاغرب من ذلك أن يحرم القانون المرأة الارملة بدون ذنب جنته من ابنائها اذا تزوجت مرة أخرى كأنها هى المذنبة ، كيف تشعر المرأة بالمساواة بالرجل ، قطعا لا تشعر ، فهو السيد وهو العالم وهو الذى يستطيع أن يتحكم فى كل الامور ويسيرها ، اننى انادى بسرعة اصدار قانون الاحوال الشخصية بما يتلاءم مع المجتمع الاشتراكى الجديد •

٢ - رأيى أن اجازات الوضع وساعة الرضاعة غير كافية ، ويجب منح المرأة حق الاجازة بدون مرتب اذا احتاج الامر لرعاية الطفل •

٣ - أرسلت طفلتى الى دور الحضانة وذلك لظروف عملى - ويجب أن تكون دور الحضانة على مستوى الحى •

رابعا :

- انا عضو بالاتحاد الاشتراكى •

- المستوى التنظيمى : امين وحدة •

- رأيى فى نشاط التنظيم انه ما زال قاصرا وذلك على مستوى كثير من الوحدات •

- ان اهم واجبات التنظيم النسائى فى رأيى هو رعاية شئون المرة ، والعمل على صدور قانون الاحوال الشخصية على الوجه المناسب • ويجب تكوينا أساسا من القواعد ، والعمل على حل مشاكل المرأة •

خامسا :

رأيى انه يجب خوض المعركة ضد الاستعمار والصهيونية لتحرير الارض •

- والمرأة عليها دور كبير فى توعية الاسرة توعية سياسية •

- وبالنسبة للواقع العربى توجد انظمة مختلفة للحكم فى الدول العربية قطعا سيتم الصراع وعلى الشعوب وحدها انهاء هذا التناقض وتحرير البلاد من الفكر الاستعمارى المسيطر على بعض البلاد ، بالطبع وجود هذا التناقض يؤثر على موقفنا من اسرائيل ويحد من قوة تماسكنا وبالتالى انتصارنا على اسرائيل •

تعليقات

مشكلات المرأة العاملة في مجتمع متغير

السيد يس

من أبرز الظواهر التى يحفل بها المجتمع المصرى فى الوقت الراهن ظاهرة التغير الاجتماعى السريع الايقاع ، الذى يشمل كافة النظم الاجتماعية بدون استثناء . ومن الحقائق المعروفة فى علم الاجتماع ان التغير الاجتماعى الدائم سمة اساسية من سمات أى مجتمع انسانى ، غير أن ايقاع هذا التغير وأسبابه الرئيسية يختلف من مرحلة تاريخية لمرحلة أخرى • ويعرف تاريخ الشعوب فترات اتسمت بالجمود والعقم ، ظلت فيها نظم المجتمع الاساسية فى حالة ثبات نسبى لعشرات من السنين • غير أن المجتمعات الانسانية - وخصوصا بعد انهيار النظام الاقطاعى ومقدم الرأسمالية وانفجار الثورة الصناعية - أتيح لها ان تشهد تحولات بالغة العمق أصابت أبنيتها التحتية من قوى الانتاج وعلاقاته ، وكذلك أبنيتها الفوقية التى تتمثل فى اجهزة القيم والعادات والتقاليد والدين بتغيرات عديدة • كما أدى ظهور الاشتراكية وتطبيقاتها فى عديد من المجتمعات الى تغيرها بصورة بارزة . ونستطيع - بالنسبة للمجتمع المصرى المعاصر - ان نتلمس ارهاصات التغير الاجتماعى التى أخذت تترسخ وتنمو فى مختلف جوانبه منذ البدايات الاولى لحركة الاحياء القومى التى تمثلت فى المحاولات الطليعية لجيل المثقفين المصريين الرواد الذين بشروا بقيم جديدة نتيجة احتكاكهم بالعالم الاوربى بعد فترة موات طويلة ، سيطرت فيها على التفكير المصرى قوالب ميتة •

ولعل التبشير بالمنهج العقلى فى دراسة شئون المجتمع ، والدعوة الى شعور المرأة وتحريرها ، التى ارتبطت باسم قاسم أمين وغيره من المثقفين تكشف عن أهمية الدعوات الفكرية بالنسبة لتغيير العادات والاعراف الاجتماعية • ويكفى أن نلقى نظرة على التطور المذهل فى عدد التلميذات والطالبات فى المدارس الابتدائية والثانوية وفى الجامعات خلال نصف قرن من الزمان لنرى كيف تغيرت العادات الاجتماعية الراسخة ، وتطورت الاتجاهات الجامدة ازاء تعليم الفتيات فى المجتمع

المصرى . غير أنه مهما يكن من تأثير الدعوات الفكرية على خلخلة جهاز القيم التقليدى فى المجتمع ، الا أن العامل الحاسم فى التغيير الاجتماعى هو التغيير الجوهرى فى البناء التحتى له . وهكذا يمكن لنا أن نقرر انه نتيجة للتطبيق الاشتراكى فى مصر ، وما ترتب عليه من تغيير فى قوى الانتاج وعلاقاته ، وآثار ذلك كله على تغيير الاوضاع الطبقية ،وفتح فرص التعليم المجانى أمام أبناء الشعب جميعا ، ازدادت نسبة الفتيات المتعلمات زيادة كبيرة مطردة ، وازدادت بالتالى نسبة النساء العاملات فى المجتمع .

وقد أدى نزول المرأة الى مجال العمل الى تغييرات جوهرية فى عديد من النظم الاجتماعية السائدة . فقد تغيرت ـ الى حد كبير ـ النظرة الى المرأة ، التى كان ينظر لها دائما باعتبارها كائنا بيولوجيا محضا ، مهمته انجاب الاطفال . وذلك بعد أن أصبحت تعمل فى مختلف المجالات جنبا الى جنب مع الرجل ، فى التعليم والهندسة والطب والزراعة والتجارة . وتغيرت أيضا بدرجة أو بأخرى عادات الزواج التقليدية ، التى كانت تعتبر المرأة سلعة تباع وتشترى فى سوق المهور ، وأصبحت الفتيات المصريات يستطعن فى حالات عديدة ان يخترن أزواجهن بحرية ، حتى لو كان ذلك ضد رغبات الاسر التى لم تخضع بعد لمنطق التغير الاجتماعى .

غير أن هذه الزيادة الكمية الهائلة فى نسبة الفتيات المتعلمات ، او فى نسبة النساء العاملات ليست فى حد ذاتها دليلا على التغير الجوهرى فى الوضع الاجتماعى للمرأة ، او قرينة على تحررها الفعلى الشامل . فمازالت المرأة المصرية فى مجتمعنا تجابه كثيرا من العقبات التى تحول دون انطلاقها الحقيقى ، والتى ينبغى مجابهتها لكى تستثمر كل الطاقات الكامنة فى اعماقها ، وحتى يتاح لها أن تكشف عن كل قدراتها ومواهبها . (١)

والتحدى الحقيقى المطروح أمام المرأة المصرية هى كيف تكون امرأة عصرية . والمرأة العصرية تتسم بالنضج الجسمانى والعقلى والاجتماعى فى نفس الوقت . وهى بذلك لا تولى العناية بجسمها وجمالها وازيائها كل طاقاتها ، ولكنها بالاضافة الى ذلك ـ بل وقبل ذلك ـ تعنى العناية كلها بتنمية نفسها ذهنيا ، واعداد نفسها اجتماعيا لكى تقوم بدورها كزوجة وأم ومواطنة ايضا لا تنعزل عن مشكلات المجتمع ، ولا تنزوى بعيدا عن مجالات العمل العام ، تاركة اياها للرجال . (٢)

انها ان اقتصرت على ممارسة دورها الانثوى التقليدى ، تكون قد حكمت على نفسها بالتخلف والجمود ، وليس امامها سوى الكفاح الشاق من أجل الحصول على مزيد من الثقافة لمتابعة ايقاع عصرنا الذى يتسم بالسرعة الخارقة ، ومن أجل الاسهام الايجابى فى المنظمات الاجتماعية والثقافية والسياسية .

ان التطور الاجتماعى للمرأة فى مجتمعنا ، موضوع بالغ الاهمية من وجهة النظر العلمية والقومية معا . وقد وفقت مجلة « الطليعة » فى محاولتها استكشاف بعض ابعاده ، مستحدثة فى ذلك الاسلوب الذى تطلق عليه « الشهادات الواقعية » ، والذى يتمثل فى اعداد استمارة بحث ، تتضمن عددا من الاسئلة ، وتطبقها على « عينة » من الحالات لرصد وتحليل اجاباتها .

استمارة البحث

تتكون استمارة البحث من جزء تمهيدى يحاول الحصول على عدد من البيانات الاولية كالسن والمؤهل والعمل وسنوات العمل والاجر والحالة الاجتماعية . الخ ، وبعد ذلك تتضمن الاستمارة خمسة أقسام ، ويندرج تحت كل قسم عدد من الاسئلة مجموعها ٣٤ سؤالا .

والاسئلة خليط من التساؤلات عن خبرات شخصية معينة ، أو استكشاف الاتجاهات ، ازاء اربع مجالات رئيسية :

العمل ومشكلاته ، الزواج والحياة الاسرية ، النشاط الاجتماعى والنقابى ، وأخيرا الاتجاهات السياسية بوجه عام .

وتتسم الاسئلة بوجه عام بأنها اسئلة مركبة ، بمعنى أن السؤال يسأل عن أكثر من متغير Variable فى نفس الوقت ، مما يجعل مهمة تحليل الاجابات ـ من وجهة النظر الاحصائية ـ مهمة شاقة . (٣) وحتى لو اردنا ان نقنع بالتحليل الكيفى للاجابات الواردة على الشهادات الواقعية ، فهذه ليست مهمة يسيرة اذا اردنا ان نستخلص الاتجاهات العامة بالنسبة لكل

---

(١) انظر بهذا الصدد : د.كاميليا عبد الفتاح ، ملامح منشخصية المرأة المصرية ، الفكر المعاصر ، العدد ٥٠ ، أبريل ١٩٦٩ ، ١١٤ ـ ١٢٣ .

(٢) انظر : د. سيد عويس ،المرأة كسلعة ، الهلال ، مارس ١٩٦٥ ، ١٠٠ ـ ١٠٧ .

(٣) سبق لنا أن أبدينا بالتفصيل بعض الملاحظات المنهجية المشابهة على بحث نشرته « الطليعة » عن ظاهرة الادباء الشباب . انظر : الشـهادات الواقعية للادباء الشباب من وجهة نظر مناهج البحث وعلم الاجتماع الادبى فى كتابنا : التحليل الاجتماعى للادب ، القاهرة : الانجلو المصرية ، ١٩٧٠.

المشكلات المطروحة فى استمارة البحث ، وذلك لان عدد الحالات التى طبقت عليها الاستمارة ٤١ حالة .

وبالرغم من أن عدد الحالات ليس كبيرا ، الا أنه كان من الصعب تحليل الاجابات احصائيا ، نظرا لان الاستمارة لم يراع فيها منذ البداية ان الاجابات يمكن ان تحلل احصائيا . لكل ذلك قنعنا بالتحليل الاحصائى البسيط للبيانات الاولية للحالات ، حتى نستطيع ان نضع ايدينا — بصورة عامة — على التكوين العام « لعينة البحث » ، ونقصد بها الحالات التى قبلت الاجابة على الاستمارة .

السمات العامة للعينة

١ ـ عدد الحالات التى أجابت على الاستمارة ٤١ حالة .

٢ ـ وقد تبين من توزيع الحالات بحسب السن ان ١٦ حالة (بنسبة ٣٩ فى المائة) تقع فى فئة السن من ٢٥ سنة الى أقل من ٣٠ سنة . ونجد ان ٥ حالات [بنسبة ١٢ر٢ فى المائة] تقع فى فئة السن من ٣٠ سنة الى أقل من ٣٥ سنة ، وأن ٥ حالات [بنسبة ١٢ر٢ فى المائة] تقع فى فئة السن من ٣٥ سنة الى أقل من ٤٠ سنة ، وان حالتان (بنسبة ٤ر٩ فى المائة) تقعان فى فئة السن من ٤٠ الى أقل من ٤٥ سنة .

ومعنى ذلك ان غالبية الحالات (٢٨ حالة) تقع فى فئة السن من ٢٥ سنة الى أقل من ٤٥ سنة .

وبذلك يمكن القول ان الاجابات الواردة على استمارة البحث تمثل الخبرات الواقعية والاتجاهات السائدة لدى مجموعة من النساء المصريات الذين مارسوا العمل لعدد من السنوات ، يسمح بالقول انها تتسم بالثبات النسبى ، على اعتبار انها محصلة خبرة طويلة ، وليست مجرد انطباعات غير موضوعية لمجموعة من النساء الذين يحتكرن ببيئة العمل فى بداية حياتهم العملية — (يؤكد هذا البيان الخاص بعدد سنوات العمل) .

٣ ـ تبين من توزيع الحالات بحسب المؤهل الدراسى ان ١٢ حالة منها (بنسبة ٢٩ر٣ فى المائة) بدون مؤهل ، وان ١٦ حالة منها (بنسبة ٣٩ فى المائة) حصلن على الاعدادية اومؤهلات متوسطة او الثانوية العامة .

كما انه توجد ٩ حالات [بنسبة ٢٢ فى المائة] تحمل مؤهلات جامعية او عالية .

ومعنى ذلك أنه لتقدير نوعية الاجابات لابد من الالتفات الى المستوى الطبقى لغالبية الحالات . ومن المعروف أن الفتيات اللاتى يشتغلن بالاعدادية او بمؤهلات متوسطة او بالثانوية العامة غالبا ما ينتمين الى الشرائح الدنيا من الطبقة المتوسطة .

ومن ثم فغالبية الشهادات الواقعية الواردة انما تعكس فى المقام الاول رؤية بعض اعضاء هذه الطبقة للمشكلات المختلفة المطروحة .

٤ ـ ومن استعراض توزيع الحالات بحسب المهنة ، يتبين صدق التحليل الذى قدمناه فى السطور السابقة . فحوالى ١١ حالة [بنسبة ٢٦ر٨ فى المائة] عاملات فى مصانع ، و ٨ حالات (بنسبة ١٩ر٥ فى المائة) يعملن بأعمال كتابية وادارية ، و ٦ حالات (بنسبة ١٤ر٦ فى المائة) يعملن بائعات بالشركات أو عاملات فى السينما ، أو ممرضات .. الخ . كما أن هناك ٥ عاملات موسميات فى الزراعة (بنسبة ١٢ر٢ فى المائة) .

وهذا التوزيع المهنى يتفق مع توزيع الحالات بحسب المؤهلات .

٥ ـ وتتكامل الصورة حين نتبين من توزيع الحالات حسب الاجر الشهرى أن ١٣ حالة (بنسبة ٣١ر٧ فى المائة] دخلها عشرة جنيهات او اقل ، وأن ١٠ حالات [بنسبة ٢٤ر٤ فى المائة] دخلها من عشرة جنيهات الى أقل من ١٥ جنيها . ومعنى ذلك ان غالبية الحالات ٢٣ حالة [بنسبة ٥٦ر١ فى المائة) تنتمى الى فئة العاملات وصغار الموظفات .

٦ — ومن توزيع الحالات حسب الحالة الزوجية يتبين ان غالبية الحالات [٣٠ حالة ، بنسبة ٧٣ر٢ فى المائة] متزوجات . ومعنى ذلك ان الاجابات الخاصة بالزواج والحياة الاسرية تصدر عن خبرات واقعية .

٧ — وفيما يتعلق بالاشتراك فى عضوية النقابات تبين أن ٢٤ حالة بنسبة ٥٨ر٥ فى المائة غير مشتركات فى نقابة أو لا توجد بالنسبة لهن نقابات حتى يشتركن فيها .

أما الاشتراك فى الاتحاد الاشتراكى فقد تبين أن غير المشتركات ٢٥ حالة [بنسبة ٦١ فى المائة] ، وان المشتركات ١٦ حالة [بنسبة ٣٩ فى المائة] .

وعلى ضوء هذه البيانات الاحصائية التى نرجو الا نكون قد اثقلنا بها على القارىء ، يمكن أن نستبين أمامنا السمات العامة للحالات التى اجابت على استمارة البحث . ولعل أبرز هذه السمات أن الحالات فى غالبيتها العظمى تنتمى للمستويات الدنيا من الطبقة المتوسطة، وانها حالات حضرية، بمعنى أن أفرادها يعملن فى مناطق حضرية ، ويبدو ذلك من التوزيع المهنى للحالات ، اذ لايزيد عدد العاملات الزراعيات عن خمس حالات .

ومعنى ذلك أن عينة البحث متميزة بشكل واضح ، وهى من ثم لا تسمح لنا بأى صورة من الصور باصدار اى تعميمات ، فهى حتى فى حدود الحصر ، لا تمثل كل قطاعات النساء العاملات

الحضريات ؟ واهم من ذلك انها لا تشتمل الا على عدد صغير من النساء العاملات الريفيات .

ولعله قد آن الاوان لكى نحاول ان نستخلص بعض الاتجاهات من واقع الاجابات .

بعض الدلالات الاجتماعية للايجابات

لن نستطيع ان نحلل كل الاجابات الواردة على مختلف الاسئلة التى تتضمنها اسئلة الاستمارة ، اذ يقف دون ذلك مشكلات عملية ، اهمها ما يتعلق بعدم التحليل الاحصائى للبيانات . لذلك سنقنع باختيار بعض الاسئلة التى نقدر اهميتها بالنسبة لكل مجال ، لكى نحاول ان نستخلص بعض الدلالات الاجتماعية للاجابات الواردة عليها .

فى مجال العمل :

ورد فى القسم الأول من استمارة البحث السؤال التالى :

اذا تمكنت من توفير الاحتياجات المعيشية عن طريق آخر غير العمل ، هل تفضلين الاعتزال أم الأستمرار ؟ وهل تأملين فى ترك العمل بعد فترة معينة ؟ وبسبب أية ظروف ؟

تبين من الاجابات الواردة على هذا السؤال الهام أن الغالبية القصوى من الحالات يفضلن الاستمرار فى عملهن ، ولا يردن تركه تحت أية ظروف .

ودلالة هذه الاجابات واضحة . فهى تعنى أن هناك اتجاها ايجابيا لدى النساء العاملات ازاء العمل ، باعتباره يمثل قيمة اجتماعية فى حد ذاته ، تتمثل فى اكساب الشخصية نضجا ، مما يسمحلها بالنمو والتطور . والنظرة الى العمل حين لا تركز على الفوائد المادية التى تأتى منه فقط ، تعنى أن العمل نفسه كقيمة قد رسخ فى نفوس هذا الجيل من النساء المصريات .

ولا ينفى هذا ان هناكاتجاها سلبيا ازاء العمل يعيش على هامش الاتجاه الايجابى الاول ، ويتمثل هذا الاتجاه فى النزول لميدان العمل تحت ضغط الحاجة المادية فقط ، فاذا أتيح لها أن تشبع عن طريق آخر ،وانتفى الدافعالمادى ، انسحبت المرأة من ميدان العمل قانعة بأداء دورها الانثوى التقليدى .

وقد عبرت احدى الحالات ممن يعتنقن هذا الاتجاه بقولها : أفضل الاعتزال لخدمة أولادى والتفرغ للمهام المنزلية .

غير انه من الانصاف ان نقرر انه ليست كل الحالات التى ذكرت انهن يؤثرن اعتزال العمل ممن يدينون باتجاه سلبى ازاء العمل . فقد يكون بعضهن ممن يعتنقن اتجاها ايجابيا ازاء العمل ، غير أن هناك صعوبات عديدة تجعل من أشق الامور بالنسبة للمرأة ان تقوم بكفاءة ويسر وبدون تضحيات جسيمة بدورها المزدوج :كزوجة وأم ، وعاملة فى نفس الوقت .

وقد عبرت احدى هذه الحالات عن بعض الصعوبات حين سجلت أسباب رغبتها فى اعتزال العمل فقالت : « بسبب المواصلات ، وعدم وجود دور حضانة ، وعدم وجود مربيات للاطفال يعتمد عليهن » .

والحقيقة ان هذه الاجابة وامثالها تشير الى الصعوبات الجمة التى تقابل العاملات الامهاتفى التنشئة الاجتماعية السوية لاولادهن ، وهى صعوبات لم ينجح مجتمعنا حتى الان فى حلها بصورة فعالة . وذلك كله بالرغم من وجود قانون ينص على ضرورة توفير دار حضانة فى كل مؤسسة او شركة يبلغ فيها عدد العاملات عددا معينا .

وقد يكون من المناسب القيام باستطلاع رأى واسع المدى للنساء العاملات ، وللمشرفين على المؤسسات والشركات بصدد انشاء دور الحضانة للاطفال ، وكيفية التغلب على الصعوبات القائمة.

وفى سؤال آخر سؤلت الحالات : هل ترين قصر اعمال المرأة على وظائف معينة » ؟ .

ومما يلفت النظر فعلا ان الغالبية القصوى للحالات ذهبن الى انه لا ينبغى قصر أعمال المرأة على مهن أووظائفمعينة ،باعتبار أن المرأة أصبحت مساوية للرجال تماما ، وأنها تستطيع ان تنهض بأعباء أى مهنة او وظيفة .

وهذا الاتجاه يعد فى الواقع اتجاها تقدميا ، اذا قورن بالمقترحات التى سبق لبعض المسئولين فى اجهزة الدولة ان قدموها بشأن قصر التعيين فى وظائف معينة على الرجال وحرمان النساء منها ، استنادا الى اسباب شتى ، منها : ضعف انتاجية النساء اذا ما قورنت بانتاجية الرجال ، والمشاق التى تقترن بأداء بعض الوظائف والتى لا تتحملها المرأة .

ومن الطريف أن غالبية الاجابات ذهبت الى قدرة المرأة على أداء كل الاعمال ، ما عدا بعض استثناءات طفيفة أهمها : الخدمة فى الجيش ، والعمل فى الصناعات الثقيلة كالحديد والصلب .

كما أن بعض الحالات ممن رأين قصر عمل المرأة على بعض الوظائف ، ضربن مثلا لها فى التمريض والتدريس والطب .

والحقيقة أن الاتجاه التقدمى للنساء اللاتى

أجبن على استمارة البحث ، ليكشف عن مدى ايمانهن بضرورة تحرر المرأة ، وأهمية غزوها لكل الميادين ، وهى علاقة تدل على وعيهن بعمق التطور الذى حدث فى المجتمع الانسانى المعاصر ٠

فى مجال الزواج والحياة الأسرية :

نكتفى فى هذا المجال باختيار ثلاثة اسئلة :

السؤال الاول نصه .. هل يشارك زوجك فى مواجهة الاعباء المنزلية ؟

وفى هذه الحالة ما هى الجوانب التى يشارك فيها ؟ » ٠

وهذا السؤال طريف فى ذاته ، وذلك لان الاجابات الواردة عليه يمكن أن تكشف عن اتجاهات الرجال الحقيقية ومدى تخلفها او تقدمها بالنسبة لروح العصر ، الذى لا يؤمن بوجود فوارق بين الرجال والنساء ٠ فلنر ماذا كانت الاجابات الواردة على هذا السؤال ؟ :

يبدو أن الازواج المصريين قد رسبوا فى هذا الامتحان ، الذى يكشف عن مدى « عصريتهم » ! فقد اجابت غالبية الحالات ان ازواجهن لا يشاركهن فى مواجهة الاعباء المنزلية ٠

أما من أجبن بأن أزواجهن يشاركهن فى أعبائهن فقد حددن المشاركة فى المجالات الاتية : مساعدة الاولاد ، اعداد الطعام ، رضاعة الاطفال ٠

ومن بين الاجابات الطريفة فى هذه الفئة والتى تكشف عن عدم ايمان بعض الازواج المصريين بضرورة مشاركتهم لزوجاتهم : « يشارك زوجى فى الاعمال السهلة ، جبران خاطر ! يلعب مع الاولاد وخاصة البنت الصغرى » ! ٠

السؤال الثانى الهام فى هذا المجال نصه كما يلى :

هل تعتقدين أن عملك يؤثر فى تربية الاطفال ؟ وما نوع التأثير ؟

من الغريب أن نجد الاجابات على هذا السؤال تكاد تنقسم الى فئتين متساويتين : الفئة الاولى أن عمل المرأة يؤثر على تربية الاطفال ، والفئة الثانية ان العمل لا يؤثر ٠

وقد سجلت بعض الاجابات التى تخرج عن حدود الفئتين السابقتين ، فقد قررت بعض الحالات ان عملها يؤثر فى اطفالها ولكن **بصورة ايجابية مثمرة** ٠

وتكشف عن هذا الاتجاه اجابة احدى الحالات : « عملى يؤثر فى تربية الاطفال ايجابيا لانه يكسبنى خبرة من كثرة معاملتى واحتكاكى بالعاملين فى الشركة ٠

وذهبت حالة أخرى فى نفس هذا الاتجاه حين قررت :

« طبعا لابد أن عملى يكون له تأثير فى تربية طفلى ، فتوسيع مداركى بالاحتكاك العملى كل يوم لابد أن يكون له تأثير سليم على طفلى » ٠

والسؤال الثالث والاخير فى هذا المجال :

« من يرعى اطفالك اثناء تغيبك عن المنزل فى ساعات العمل ؟

يكاد ينحصر الاشخاص الذين يرعون الاطفال أثناء عمل السيدات العاملات فى : الشغالة ، أم الزوجة او أم الزوج ، الجيران ، الزوج نفسه ، او أشخاص اخرين ٠

ويبدو ان الشغالات يستأثرن بنسبة كبيرة فى مجال رعاية الاطفال اثناء غياب أمهاتهن فى العمل ٠ ومن ثم يبدو احتمال التأثير السلبى لهن فى عملية رعايتهن للاطفال ، نظرا لانخفاض مستواهن التعليمى والثقافى على السواء ٠

ونكتفى بهذا القدر بالنسبة لهذا المجال وننتقل الى مجال النشاط النقابى والسياسى ٠

النشـــاط النقابى والسياسى

حين نصل الى مجال النشاط النقابى والسياسى ، فنحن فى حقيقة الامر نلمس أضعف الجوانب فى الدور الاجتماعى الذى تقوم به المرأة المصرى ٠ بعبارة اخرى لابد من فحص المناخ نشاطها السياسى فيكاد ينعدم ٠

والحقيقة أنه لا يمكن فصل نشاط المرأة المصرية فى المجالين النقابى والسياسى عن نشاط الرجل المصرى ٠ بعبارة أخرى لابد من فحص المناخ السياسى السائد وتحليله للكشف عن أسباب السلبية واللامبالاة السياسية عند أعداد غفيرة من المواطنين المصريين ٠ قد يفوق عدد الرجال عدد النساء فى الاتحاد الاشتراكى ، ولكن يبقى التساؤل دائما عن مدى الايمان الحقيقى بالتنظيم السياسى ورسالته ودوره ، ومدى الاستعداد للاسهام الجدى فى أنشطته ٠ ومن الواضح أن الاسهام الشكلى فى التنظيم السياسى مسألة لا تعدو أن تكون سلوكا مظهريا لا مضمون له ٠

غير ان ذلك لا ينفي على أي الاحوال ما هو شاهد من نكوص المرأة المصرية عن الاسهام فى المجال السياسي ، وقلة اهتماماتها السياسية ، ولاشك ان المرأة المصرية فى حاجة الى ان تستزيد من الثقافة السياسية وأن تشارك بجدية وفاعلية فى النشاط السياسى ، ان أرادت أن تتحرر حقا من اسار الادوار التقليدية التى فرض عليها أن تظل سجينة لها ردحا طويلا من الزمان .

ونكتفى بهذا القدر من تحليل اجابات بعض الاسئلة ، ذلك أن القارىء أمامه الفرصة لكي يقرأ الشهادات الواقعية بكل ما تزخر به من تفصيلات ، لا يمكن الالمام بها فى هذا التحليل الوجيز الذى قدمناه .

والحقيقة أن هذا البحث الذى قامت به « **الطليعة** » يشير الى خطورة المشكلات التى تجابه المرأة العاملة المصرية فى سيرها الحثيث نحو التحرر الاقتصادى والاجتماعى والثقافى . وهى مشكلات تحتاج لاستكشافها بطريقة متعمقة الى اجراء عدد من البحوث العلمية المتعمقة السوسيولوجية والسيكلوجية ، حتى يمكن لاجهزة التخطيط الاجتماعى أن تبنى سياساتها الاجتماعية على أساس متين من الحقائق العلمية . ولعله مما يبشر بالخير ، ان « **المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية** » يجرى فيه بحث هام حول هذا الموضوع بعنوان « تغيير الوضع الاجتماعى للمرأة المصرية » يشرف عليه عالم نفسى من خيرة السيكلوجيين المصريين هو الدكتور مصطفى سويف استاذ علم النفس بجامعة القاهرة . ويرجى ان يكون هذا البحث — بعد ان ينشر تقريره — فاتحة لسلسلة من البحوث فى هذا الميدان الحيوى .

ان حركة المرأة المصرية الدائبة لتنفلت من اطار التبعية ، وحتى تنال استقلالها ، لابد لها لكى يتعمق مجراها من ان تجتذب اكبر نسبة ممكنة من النساء المصريات الى ميدان العمل . وخصوصا واننا فى مجتمع يرفع لافتة الاشتراكية ، والمجتمع الاشتراكى بحكم الفلسفة التى يقوم عليها يتطلب ان تقوم المرأة بدور انتاجى مثلها فى ذلك مثل الرجل .

ان عمل المرأة من شأنه ان يفجر طاقات الابداع الكامنة فيها ، ويتيح لها الفرصة لكى تنمى مواهبها ، وتبسط من آفاقها مما من شأنه ان يعود عليها وعلى الاسرة وعلى المجتمع بأسره بأطيب الثمار . غير ان العمل الخلاق للمرأة المصرية يقتضى حل عديد من المشكلات التى تجابهها حتى تستطيع ان تخفف من تبعات الرجال ، وتقوم بدورها الاجتماعى فى عصرنا الذى تحطمت فيه القيود ، وانفتحت مجالات الابداع الانسانى .

المـــرأة والعمـــل الســـياسى

فـــاطمـــة زكـــى

باستعراض الاسئلة التى وردت فى الشهادات الواقعية ، نجدها قد تناولت جوانب خمسة : ١ — ظروف العمل ٢ — الحياة العائلية ٣ — الرأى فى بعض قوانين الاحوال الشخصية ودور الحضانة ٤ — النشاط السياسى والنقابى ٥ — الرأى فى الظروف السياسية التى تمر بها البلاد .

وقد أجابت الغالبية العظمى بدقة واستفاضة على الجوانب الثلاثة الاولى ، وأوجزت أو امتنعت عن الاجابة على النواحى السياسية ، وهذا ليس بغريب فى مجتمع لم تزل الغالبية من نسائه بعيدة عن المشاركة الايجابية فى العمل السياسى ، ويرجع هذا لعدة أسباب منها :

أسباب تاريخية : جعلت العمل السياسى كما ورثنا مفهومه من الاجيال السابقة ، مرتبطا بالاحزاب السياسية ، وهو فى جوهره صراع بين أحزاب البورجوازية من اجل السلطة ، وقد عانت

الامهات والزوجات من الاضطهاد الذى كان يعانيه ابناء الشعب من السلطات الحاكمة .

اسباب اجتماعية ، مثل عدم تكافؤ الفرص لتعليم المرأة وبعدها عن مجال الانتاج مما أدى بالتالى الى تبعيتها الاقتصادية للرجل ــ هذا بالاضافة الى نظرة الرجل للمرأة كمنافس له فى العمل فى بعض المجالات ، او نتيجة للمفاهيم الدارجة عن اقتصار دور المرأة على البيت او التقاليد التى تمنع المرأة من مشاركة الرجل فى الحياة العامة .

ولكن بعد الثورة وفتح مجال التعليم والعمل امام المرأة ، اصبحت هناك ميادين انتاج برزت فيها المرأة بشكل واضح مثل صناعة الغزل والنسيج .. صناعة الادوية .. الصناعات الالكترونية .. وفى مجال البنوك والخدمات مثل التعليم .. هذا غير المجالات الاخرى العديدة التى فتحت امام المرأة العاملة .. وبالتالى ادى الى تحررها الاقتصادى .

لقد منح دستور ١٩٥٦ المرأة حقوقا سياسية متساوية مع الرجل كحق الانتخاب والترشيح وأن جعل ممارسة هذا الحق الزاميا بالنسبة للرجل واختياريا بالنسبةللمرأة ، فما نتيجة هذه الممارسة السياسية ؟ ان عدد السيدات المقيدات فى جداول الانتخاب يبلغ حوالى ٧٠٠ر٠٠٠ ناخبة وهى نسبة ضئيلة جدا اذا قورنت بمن لهنحق القيد بالجداول الانتخابية ، وعدد عضوات مجلس الامة اثنتان فقط .. !! وبالنسبة لاشتراك المرأة فى المجالس المحلية فهو ضئيل لا يذكر ..

اما الوضع بالنسبة لعضوية المرأة فى الاتحاد الاشتراكى ، فهى وان كانت قائمة فى بعض الوحدات الجماهيرية بالعاصمة وبعض المدن .. الا انها تكاد تنعدم فى معظم قرى الريف المصرى .. وان اجابة العاملات الزراعيات ليدل على انعزال التنظيم السياسى عن الجماهير النسائية فى الريف ، وبالتالى على عدم وعى الفلاحات بالعمل السياسى ..

تقول واحدة عن الاتحاد الاشتراكى « انا أقدر اقرب له انا ولا جوزى .. دا له ناس تانيه » . وتقول الثانية « أنا كمان أروحه هى الحكاية سايبه ولا ايه » . وتقول الثالثة « ولا اعرف حاجه عنه » وتجيب رابعة « الاتحاد الاشتراكى هناك فى البلد » وتقول الخامسة « هو حد يعرفنا فيه » .

اما عن قضية العدوان الاسرائيلى الذى يهدد حياة كل انسان فى الجمهورية .. فقد أجابت عنها العاملات الزراعيات بسذاجة « اسرائيل ربنا يغلبها .. وحياة النبى الراديو قاعد يدش ما انا فاهمة بيقول ايه » واخرى تقول « اسرائيل دا ها تاكل بعضها وتبعد عنا » أو مجرد دعاء « يا رب تنصر العرب على اسرائيل » هذه هى تحليلات وتعليقات عاملات الزراعة على المعركة الدائرة من اجل تحرير جزء عزيز محتل من الارض العربية ..

هذه الشهادات الواقعية تدل على تقصير الاتحاد الاشتراكى فى الوصول الى الجماهير الشعبية وحل مشاكلها .. وهذا القول ينطبق على الرجل والمرأة فى الريف على السواء وان كان هذا البحث يقتصر على المرأة ..

فالمرأة فى الريف تشارك الرجل فى أشق الاعمال وتعانى نفس المشاكل التى يعانيها الرجل .. والعمل السياسى اليوم هو حل مشاكل الجماهير اليومية بارتباطها بالمعارك التى تخوضها البلاد ، تقول عاملة بناء ريفية « أنا باشتغل فى الزراعة بعشرة وخمستاشر قرش ، وباشتغل فى الفاعل بخمسة وعشرين قرش واشيل مونه بالقصعة قد الراجل مرة ونص والراجل يزيد بريزه عنى .. ها أروح « ام خنان » فى العربية الاجرة وأرجع ماشية مع الرجالة اللى معايا فى الشغل » .

ان هذا القطاع من النساء المناضلات من اجل لقمة العيش واللائى يعملن جنبا الى جنب مع الرجل من الفجر حتى المساء سيتكون منهن جيش قوى للثورة لو تم توعيته وتنظيمه ..

اذا كانت اجابةهذا القطاع من النساء الريفيات قد أخذ مكان الصدارة فى هذا البحث ، فذلك يرجع لانهن يشكلن الغالبية الساحقة من النساء المصريات ، ولاننا كثيرا ما ننسى فى زحمة المدن ان هناك قطاعات مختلفة من القطاع العام المتقدم من النساء العاملات بالمدن والتى يجب ان توضع فى الاعتبار عند التخطيط للعمل النسائى الشامل .

وتختلف عن الصورة السابقة تماما اجابات العاملات فى قطاع صناعة النسيج والجلود والادوية ــ فأكثر من نصفهن منضم للنقابات العمالية ونصفهن تقريبا منضم للاتحاد الاشتراكى بل وتحتل بعضهن مراكز قيادية فيه وهن على درجة كبيرة من الوعى السياسى كما هو واضح من رد عاملة بمصنع كريديان للتريكو واخرى بشركة النيل للادوية والصناعات الكيميائية .. بل ان اجابات معظم العاملات يعكس ادراكهن لطبيعة المعركة وشدة حماسهن لاشتراك المرأة فى المعركة لدرجة المطالبة لها بحمل السلاح .

اما المثقفات والمتعلمات ، فيتفاوت رد فعلهن من الوعى التام لطبيعة المعركة التى تخوضها بلادنا مثل الصحفية ومديرة دار الحضانة ، الى اللامبالاة وعدم الرد على الباب الخامس الخاص

بالاوضاع السياسية ·· أو الرد بجملة « اننا سننتصر باذن الله » أو « يجب أن نستمر فى المعركة حتى النصر » وقد أجاب البعض بأنهن لم ينضممن للاتحاد الاشتراكى لانه ليس لديهن وقت فراغ ، كما لو ان العمل السياسى هو مجرد ملء فراغ مثل التريكو او الرياضة ··

واذا اخذنا عضوية الاتحاد الاشتراكى والرأى فى المعركة ، والصراع ضد الصهيونية والاستعمار ، كمؤشر للوعى السياسى وللاستعداد للمساهمة فيه ، فانه يمكن أن نستنتج ان اجابات العاملات هى أكثر الاجابات وعيا وحماسا ، تليها اجابات المثقفات والمتعلمات واخيرا تأتى اجابات العاملات الزراعيات ·

والاتحاد الاشتراكى مسئول عن تخلف المرأة سياسيا · وقد نبه المؤتمر القومى العام فى دورته الرابعة الى هذا الوضع ، فرغم الظروف السياسية والعسكرية المعقدة التى انعقد فيها المؤتمر ·· ورغم ان الدورة كانت مخصصة « لزيادة الحشد من أجل المعركة لمواجهة مهام المرحلة النضالية المقبلة » فقد حرص المؤتمر على أن يؤكد فى توصياته ضرورة « البدء فى اتخاذ الخطوات اللازمة لاقامة تنظيم نسائى حتى يستطيع هذا القطاع الحيوى القيام بدوره الكامل فى العمل السياسى وفى أداء دوره فى المعركة باسلوب منظم ومتكامل ، على أن تقوم اللجنة الدائمة لشئون التنظيم باللجنة المركزية بدراسة الشكل المناسب لتعبئة الطاقات النسائية من اجل المعركة » ·

ان هذا يعنى ادراك القيادة السياسية بأن الظروف الموضوعية والذاتية قد تهيأت لقيام تنظيم نسائى يحمل عبء ومسئولية الوصول الى الجماهير النسائية العريضة لتوعيتها وحشدها وتنظيمها من اجل المعركة ·

فما رأى المرأة كما عبرت عنه الشهادات الواقعية ؟ باستثناء العاملات الزراعيات البعيدات كل البعد عن العمل السياسى ؟ اجمعت الغالبية على ضرورة تكوين تنظيم نسائى ، باستثناء سيدتين اعترضتا على قيامه بحجة انه « لا يوجد تنظيم رجالى » ولانه من خلال هذا التنظيم ستتواجد التفرقة ، ويجب أن يكون اى تنظيم على مستوى الجنسين » وهذا الاتجاه يغالى فى ثورية المرأة ووعيها وينكر الاوضاع الخاصة والمشاكل الخاصة بالمرأة والتى تتطلب تنظيما خاصا بها ·

ولكن ما شكل هذا التنظيم المقترح ؟ وما هى واجباته ؟

فى الواقع كانت معظم الاجابات الواردة فى الشهادات الواقعية تنطلق من خبرات ذاتية وزوايا مختلفة وان كانت فى مجموعها تصلح كاطار عام للتنظيم واهدافه ، فمن شكل التنظيم طالبن بـ « نواة متحركة » و « جادة » و « على مستوى الدولة » و « مجلس اعلى للمرأة » « يبدأ من الحى ثم المدينة ثم العاصمة الى الجمهورية » وان تكون « لجان منتخبة من القاعدة » · ولا مانع من تعيين بعض العناصر النشيطة لتساعد فى عملية خلق التنظيم » ·

اما عن أهداف التنظيم او دور المرأة فى المعركة فقد اجبن بما يأتى :

من الناحية السياسية : « انه دعامة من دعامات المجتمع للنهوض بالمجتمع والنهوض بالمرأة من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية » « التدريب على الاسعاف والتمريض » « التبرع بالدم » « الدفاع المدنى » « زيارة الجبهة » و « عمل بلوفرات للمجندين » و « رعاية اسر المقاتلين والمهجرين » وعمل « لقاءات عربية افريقية » و « لقاءات عربية نسائية مع دول المواجهة » .

ومن الناحية الاجتماعية : « المساهمة فى زيادة الاقتصاد الوطنى » و « خلق وتنشئة جيل جديد واع بظروف وطنه مستعد لكل جهد وتضحية » و « رفع مستوى المرأة الثقافى » و « رعاية شئون المرأة واولادها » « فتح دور حضانة » « تعديل قانون الاحوال الشخصية » « حل مشاكل الجماهير » و« خدمة المرأة فى الريف » ·

والواقع انه لابد من قيام تنظيم نسائى يساعد الاتحاد الاشتراكى فى الوصول الى الجماهير النسائية العريضة وخاصة العاملات والفلاحات اللائى يكون الغالبية العظمى من الجماهير النسائية أصحاب المصلحة فى الثورة ·

ولكن هذا التنظيم لابد له من ثلاث مقومات :

اولا — خط سياسى واضح ، واهداف واضحة نابعة من واقعنا تلتف حولها الجماهير النسائية ·

ثانيا — شكل تنظيمى ثابت يخدم هذا الخط على شرط ان يكفل له شعبيته وديمقراطيته ·

ثالثا — كوادر نسائية متطورة على درجة من الوعى ، تفهم متطلبات المعركة وتقود العمل بنجاح ··

فما هو واقع التحرك النسائى فى الجبهة الداخلية ؟

تقول احدى الاجابات « يجب توحيد كل الجهود النسائية المبعثرة » و « لابد من توحيد كلمة المرأة » ·

ان هذه الاجابة لمست حقيقة ان اهم معوقات الحركة النسائية ونموها هو تشتيتها وبعثرة جهودها واختلاف قيادتها ، فهناك على سبيل المثال :

● تنظيم نسائى سياسى داخل الاتحاد الاشتراكى بالقاهرة ونشاطه متفاوت من قسم لاخر ، وهو يتميز بوجود كوادر نسائية شابة متحمسة ، لكن تنقصها الخبرة فى العمل النسائى لحداثة تكوينها [أقل من سنتين] .

● جمعيات نسائية ذات نشاط اجتماعى ، لها خبرة طويلة فى هذا الميدان ، لكنها تتميز بالنشاط الفردى ويتقلص عدد عضواتها بشكل واضح .

● تجمعات نسائية كبيرة فى النقابات العمالية ، تلعب دورا هاما فى الانتاج ولكن نشاطها النسائى غير محسوس .

● لجان التنمية الاجتماعية « النوادى النسائية فى الريف ويغلب عليها قيادة الاجهزة التنفيذية .

● فتيات منظمة الشباب ، وهن عناصر شابة ممتلئة بالحماس والثورة ولكن تنقصهن الخبرة ، وبعضهن يميل الى العزلة عن التنظيم النسائى .

● عناصر سياسية قيادية فى اللجنة المركزية ومجلس الامة ، وعناصر نشيطة فى النقابات المهنية .

ولابد من ايجاد صيغة مناسبة لجمع هذا الخضم الواسع من الجهود النسائية فى تنظيم نسائى ديمقراطى يعمل بين الجماهير النسائية من اجل **توعيتها وحشدها وتنظيمها** حتى يستطيع هذا القطاع الحيوى القيام بدوره الكامل فى العمل السياسى ، وفى أداء دوره فى المعركة كما جاء فى توصية المؤتمر القومى العام الاخير .

عمل المرأة .. لم يعد قضية وانما الأجر المتساوى

أمينة شفيق

لم يعد مبدأ مساواة الرجل بالمرأة أمام القانون .. وخاصة امام قوانين العمل والتوظف ، قضية تحتمل النقاش الكثير . ففى بلادنا تم اقرار هذا المبدأ وعمل به سواء على مستوى العمل فى القطاع العام او فى الوظائف الحكومية منذ فترة طويلة . فمنذ عملت المرأة فى الوظائف الحكومية فى نهاية ثلاثينات هذا القرن ، انهزم كل صوت ينادى بالاجر الاقل للمرأة ، وحصلت المرأة على مبدأ المساواة التامة عند التوظف مع زميلها الرجل .

واذا كانت المرأة قد عانت من مشاكل التفرقة فى الاجر وفى الترقية فى العمل فى مؤسسات الرأسمالية المحلية والبنوك والشركات ، الا انها تمتعت دائما **بمبدأ المساواة** الكاملة فى العمل الحكومى سواء كان ذلك فى التدريس أو الطب أو الوظائف الاخرى التى عملت بها فى مجالات العمل الحكومى .

وفى عام ١٩٥٩ حينما صدر قانون العمل الموحد ـ المسمى بقانون ٩١ لعام ١٩٥٩ ـ لم يفرق المشرع فى مادة واحدة من القانون بين مكاسب الرجل ومكاسب المرأة .

ومع هذا الاعتراف بالمواطنة الكاملة للمرأة بقيت ثغرة فى مجال معاملتها فى الريف وبقى أجرها أقل من أجر الرجل ـ الرجل ١٨ قرشا والمرأة ١٠ قروش ـ بزعم ان عمل المرأة فى الزراعة عملا ثانويا لا يدخل فى صميم العمل الزراعى من حراثة وحصاد وخدمة شاقة للارض ـ وهذا خارج اطار المناقشة الان .

ومع هذا الاعتراف القانونى بمواطنة المرأة

وحقها في المساواة الكاملة أمام قوانين العمل ولوائح التوظف **ظهرت في النهاية نتائج تتناقض كلية مع روح المساواة التي ينطق بها القانون في كل مادة من مواده . فعندما تصل المرأة الى سن المعاش ونقارن وضعها مع زميل لها دخل العمل في نفس اليوم الذي دخلت فيه ويعمل في نفس الوظيفه نجد ان اجرها أقل وان دورها الوظيفي أقل من دور زميلها .**

لمـــــاذا ؟

هل لان المرأة تخلفت عن ميدان العمل في فترة زمنية معينة وهذا ما لم يحدث لزميلها ؟ أم لانها أقل كفاءة منه من حيث حجم العمل والانتاجية ؟

الواقع أن التناقض بين **القانون** الثوري وبين **تطبيقاته** لا يزال يمثل أحدى الثغرات الهامة في حياة المرأة العاملة — ليس في مصر فحسب وانما في بلاد صناعية كبيرة ايضا خرجت فيها المرأة للعمل منذ عشرات السنين . وسواء كانت هذه البلاد لا تزال تسير في طريق النمو الرأسمالي أو في طريق النمو الاشتراكي .

ففي فرنسا التي كانت أول بلد يشهد ثورة بورجوازية منذ نهاية القرن الثامن عشر ، وخرجت فيها المرأة الى ميدان العمل منذ القرن التاسع عشر ، لاتزال قضية مساواة المرأة بالرجل في الاجر ، وفي التدرج الوظيفي احدى القضايا الحيوية التي تثار في كل مؤتمر عمالي يعقد في باريس . ففي اتحاد العمل الفرنسي — وهو الاتحاد العمالي اليساري والذي يقود بالفعل الحركة النقابية الفرنسية منذ الحرب العالمية الثانية الى الان — درست هذه المشكلة ، على انها احدى المشكلات الحيوية التي تعاني منها المرأة العاملة الفرنسية .

وفي أوربا الشرقية حيث تمارس المرأة حقها في العمل وفي الحياة باعتراف الاحزاب السياسية والدولة ، نجد أن أجر المرأة — المجرية مثلا — لا يزال يناقش الى الان على انه شيء ثانوي اذا قورن باجر الرجل ، فأجر المرأة عامل ثانوي بينما أجر الرجل محور اساسي للاسرة .

فالقضية اذن ليست مشكلة محلية فحسب . وانما هي مشكلة عالمية محورها نظرة الجميع لعمل المرأة : نظرة المرأة لعملها ، نظرة الرجل لعمل المرأة ، ثم نظرة المجتمع ككل لذلك الجهد البشري النسائي .

لماذا ؟ .. وكيف ؟

ومن الشهادات الواردة في هذه الدراسة تبرز هذه المشكلة من جانبها الاخر ، وهو الجانب الذي أثير في كافة المناسبات الدولية سواء كان في مؤتمرات الاتحادات العمالية في البلاد المختلفة أو على مستوى منظمة العمل الدولية . وهو : **لماذا ثم كيف** يمكن ان تحصل المرأة على اجر متساو لاجل الرجل اذا ما قاما الاثنان بعمل واحد وبكفاءة واحدة .

ولسنا هنا بصدد توزيع الميزات على العاملين بالتســاوي اذا لم يكونوا على مســتوى كفاءة واحدة . فالعدالة الاجتماعية تحتم أن يحصل كل منا على نصيب من الدخل القومي يتساوى مع ما يقدمه من جهد ومن خدمات . ولكننا بصدد توفير الفرص المتكافئة امام الكل من أجل ان يحصل الجميع — كل على حسب قدراته — على الحقوق المتساوية بحيث يتساوى من كانوا على درجة واحدة من الكفاءة ، سواء كانوا رجالا او نساء .

ومن هنا تبرز دائما — كما برزت في الشهادات الواقعية — **مشكلة الفرص المتكافئة لنمو الوضع الوظيفي والزيادة في الاجر .**

فالقانون — وقانون العمل مثلا — عندما يعترف بمساواة الرجل بالمرأة في مجال العمل في القطاع العام ، لا يعني فقط أن تحصل المرأة الحديثة العمل — في حقل الصناعة مثلا — على الحد الادنى للاجر فقط . وانما يفهم من القانون أن المرأة والرجل متساويان ازاء كل الانشـــطة الاخرى التي تتبع عمليــة التعيين . واهمهـــا التدريب المهني في الصناعة وفي كافة المجالات الاخرى .

فالذي يحدث الان في مؤسساتنا هو أن النظرة العامة لعمل المرأة لا تزال محصورة في حدود انه شيء ثانوي . اما عمل الرجل فشيء أساسي ولابد من العناية به . ولذلك تتاح كافة فرص التدريب المهني للرجل ، وتغلق جميعها امام المرأة ، مما يؤدي في النهاية الى ان تزداد انتاجية الرجل فيرتفع اجره ويحصل على وظائف أعلى ، بينما تبقى المرأة في مكانها لا تتدرج فيه الا في حـــدود القـــانون . **فالزيادة في الاجـــر تأتي عن طـــريق الدورات التقليدية ، والترقية الى العمل الاشرافي لا تسند الا لمن حصل على التدريب الذي يؤهله لذلك .**

وعلى ذلك فانه اذا كان القانون قد اعترف بأن المرأة متساوية مع الرجل في الحق وفـــي الواجب .. واعترف بانها مواطنة منتجة من حقها العمل والحياة ، فان التطبيق يعترف ايضا بأنها منتجة ، **ولكنها منتجة في حدود لا تتعداها .**

التطبيق .. أهم

وهنا تحدث التفرقة التي تتعارض مع المبدأ

العام للمساواة بين الرجل والمرأة ، فليس المهم فقط الاعتراف بالمبدأ ، ولكن وضعه في حياتنا العملية موضع التطبيق والتنفيذ هو المهم كذلك .. بحيث تأتي النتيجة في النهاية مطابقة تماما لـروح الاعتراف بهذه الحقوق .

والغريب ان هذا التطبيق الخاطيء للمبدأ قد تعدى في فترة زمنية حدود القطاع العام واتجه الى القطاع الحكومي ، وبدأ يسـتشري في حـدود الوظائف العليا في الوزارات والتي تكون فيها الترقية بالاختيار عاملا اساسيا في التـرقية الوظيفية ، حتى انه قد اثير سؤال في العديد من المناسبات .. وهو : **كيف حدث ألا تصل الا امرأة واحدة الى منصب مديرة ثم وكيلة وزارة - وهي السيدة كريمة السعيد - طوال السنوات الطويلة الماضية من عمل المرأة المصرية في قطاع التربية والتعليم ؟**

اذن ، فالاعتراف بحقوق المرأة ومساواتها بالرجل لا يجب ان يقف عند حد الالتحاق بالعمل . وانما الاعتراف بالمساواة لابد ان يمتد الى جميـع المستويات الى النمو والتقدم الوظيفي من خلال التدريب والبعثات الداخلية والخارجية . **اى من خلال اتاحة أوسع الفرص للمرأة من اجل ان تكتسب مهارات عملية جديدة تساعدها على زيادة انتاجيتها ثم الحصول على الاجر الاعلى والوظيفة المناسبة لكفاءاتها المتجددة .**

ركيزة اقتصـادية أساسية للعائلة

ومع كون المجتمع ينظر الى عمل المرأة على أسـاس انـه عمـل ثـانوي ، والى أجـر المرأة - بالتالي - على انه دخل ثانوي للاسرة ، فان الشهادات الواقعية تشير الى حقيقة هامة لابد ان تؤخذ في الاعتبار ، وهي اوجه استنفاد مرتب الزوجة - **هذا الدخل الثانوي للاسرة .**

ان ما جاء في الشهادات الواقعية يؤكد ان أجر الزوجة يذهب الى **المنزل** - معنى ذلك ان جهد المرأة البشرى يتحول دائما الى **ركيزة اقتصادية جديدة للعائلة** - اى ان هذا الدخل الثانوي للاسرة لا يذهب الى اغراض ثانوية ، وانما الى اغراض أساسية .

ومن هنا فان القول بأن الرجل اولى بالترقية من المرأة لان دخله اساسى للاسرة قول خاطيء ، طالما ان دخل المرأة يذهب اولا واخيرا الى المشاركة الفعالة من أجل الاولاد والبيت .

ان احدا لا يستطيع ان يقول انه طالما قدمت الاسرة **جهدين بشريين** في عملية البناء الاقتصادي ، فمن حقها الحصول على **دخلين** يتناسبان مع الجهد المبذول ، فلا غرابة اذن اذا طالبنا ان ينظر الى اجر المرأة على انه اجر اساسى يستحق الاحترام والنظرة الجادة منا ، خاصة اذا عرفنا - كما ورد من الشهادات الواقعية انه في بعض الاحيان تعمل المرأة من أجل **الاخوة** ، او من أجل **الابناء** ، فهى في هذه الحالة تكون بالفعل الدعامة الاساسية **الوحيدة** لدخل الاسرة .

فالنظرة الاصح هي التي تقوم على أساس ان الاجر هو **نصيب الفرد - أي فرد - من الدخل القومي .** لا على اساس انه أجر امرأة ، او اجر رجل .

دور الحضانة

وبالاضافة الى أن قضية **التدريب المهني** من القضايا الاساسية بالنسبة لمستقبل المرأة العاملة ، وأن نظرة المجتمع **لأجر المرأة** هو بدوره عامل هام بالنسبة لشخصية المرأة وعلاقاتها بـزملائها وبعائلتها ، الا ان الشهادات الواقعية قد أثارت قضية أخرى تكاد تجمع عليها كافة الشهادات .. وهي قضية دار **الحضانة** بالنسبة للمرأة وبالنسبة لوضعها وحالتها النفسية اثناء العمل ، فما من سيدة عاملة وأم الا وتشكو من **عدم وجود دار الحضانة المناسبة لاولادها** ، وكلمة المناسبة هنا تعني الدار **النظيفة والمعقولة التكاليف .**

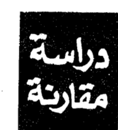
فالملاحظة العامة ان الاجابة على السـؤال الخاص بالمكان الذي تترك فيه المرأة العـاملة اولادها اثناء غيابهـا في عملهـا تكاد تنحصر في - اما عند الاقارب او الجيران او في المنزل - وهذه هي الحقيقة المعذبة في حياة المرأة العاملة في اى مكان - وهي الحقيقة التي تؤثر على نفسية المرأة وتؤثر بالتالي على انتاجيتها .

وقد تعالت اصوات كثيرة تنادي بضرورة حل هذه المشكلة بعد ان تبنى حلها قانون ٩١ لعام ١٩٥٩ عن طريق اجبار المؤسسات التي تشغل اكثر من مائة عاملة على انشاء دار للحضانة في مكان العمل . ثم تعدل القانون عام ١٩٦٤ فنص على وجوب وجود دور الحضانة في الاحياء بدلا من اماكن العمل حتى يسهل على المرأة العاملة ارسال أولادها الى تلك الدور بدلا من مصاحبتهم لها الى مكان العمل .

ومع ذلك فلا تزال مشكلة دور الحضانة قائمة ، والواقع انه قد آن الاوان لحلها عن طريق تنفيذ قانون العمل لعام ١٩٦٤ .

ولكن بمراجعة الشهادات لابد من تسجيل ملاحظة اخرى وهى انه رغم قصر الفترة التى خرجت فيها المرأة المصرية للعمل بشكل واسع اذا ما قورنت بالفترة التى قضتها الى الان المرأة الانجليزية او الفرنسية فى العمل ، فان الاحساس العام باهمية العمل بالنسبة للمرأة المصرية وكذلك اهمية التمسك به واضح وملموس ، وهذا يعنى أولا وأخيرا بداية اقتناع من قبل المرأة بدورها فى الحياة العامة .. وهو كذلك بداية منها باقتناع المجتمع نفسه ، او اجباره على الاقتناع .

■ ■ ■



المـــرأة فى المجتمـــع الرأســـمالى والاشـــتراكى

اعداد : وديع أمين

من أبرز سمات عصرنا الراهن ذلك المعدل المتزايد لدور المرأة العاملة واسهامها فى بناء التقدم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى ، وأن المرأة أخذت تقتحم فى السنين الاخيرة من المجالات ما كان حتى وقت قريب قاصرا على الرجل فقط .

ويقدر عـــدد النساء العـــاملات اليوم وفقا للاحصائيات الدولية بثلث القوى الانتاجية فى العالم .. وكما أن مستوى التقدم الاقتصـــادى والاجتماعى يختلف من دولة الى أخرى ، كذلك فان نسبة عدد النساء العاملات تختلف من دولة الى أخرى .. على أن الشىء الملاحظ هو أن وضع المرأة يختلف عنه فى كل من الدول الرأســـمالية والاشتراكية ، وكذلك الايمان بدورها كانسانة وأم وعاملة تشترك فى بناء المجتمع وفى صنع الاجيال ، الامر الذى يرجع فى الاساس الى طبيعة النظام الاقتصادى والسياسى وعلاقات الانتاج الاجتماعية فى كل من هذه البلدان الرأسمالية والاشتراكية ، والى مستوى التقدم العلمى والثقافى والاجتماعى فيها .

وفى هذه الدراسة المقارنة نحاول تقديم صورة عن وضع المرأة فى عدد من البلدان الرأسمالية والاشتراكية ، وتوضيح مدى التفاوت بين ما تتمتع به من الحقوق والمساواة داخل كل من النظامين الاجتماعيين العالميين .

■ **بيرطانيا**

يبلغ عدد النساء العاملات فى بريطانيا ٩ ملايين امرأة ، أى حوالى ٢ر٣٦ فى المائة من مجموع الايدى العاملة ، ويعملن فى مختلف فروع الصناعة والمؤسسات التجارية وأجهزة الدولة والمهـن الاخرى ، وتشكل النساء حوالى مليونين ونصف من بين عشرة ملايين اعضاء فى النقـابات البريطانية ، وهناك ١٢ فى المائة فقط من النساء العاملات يحصلن على أجر مساو للرجل مثل المدرسات والطبيبات وموظفى الدولة . أما الغالبية العظمى فيعملن فى مختلف فروع الصـناعة ، وأولئك هن اللاتى يقع عليهن العبء الاكبر فى الحياة نتيجة الاستغلال وعدم المساواة ، ويظهر ذلك بشكل واضح فى مجال الصناعات التحويلية ، حيث لا يتعدى الاجر الاسبوعى للمرأة نصف الاجر الذى يتقاضاه الرجل لنفس العمل .

وتقدر نسبة أرباح أصحاب الاعمال البريطانيين نتيجة عمل النساء ، بأكثر من ٦٠٠ مليون جنيه استرلينى سنويا ، الامر الذى يوضح تمسك اصحاب الاعمال بعمل النساء كأيد عاملة رخيصة التكلفة .

ويعد فى مقدمة المشاكل التى تعانى منها المرأة العاملة فى بريطانيا ، سياسة تجميد الاجور التى تنتهجها الحكومات البريطانية بما فى ذلك حكومة العمال ، التى تحاول أن تلقى بعبء الازمــة الاقتصادية والمالية التى يعانى منها النظـام الرأسمالى الاستعمارى البريطانى على كاهـل العمال البريطانيين ، هذا فى نفس الوقت الذى تسمح فيه بارتفاع الاسعار للمنتجات الغذائية والسلع الاستهلاكية وارتفاع ايجارات المسـاكن وسـائر الخدمات الاخرى ، واطـــلاق الحـــرية

للاحتكارات الرأسمالية التي تسيطر على انتاج السلع الغذائية والاستهلاكية فى استغلال الشعب البريطانى .

لقد أقر المجلس العام للنقابات البريطانية فى عام ١٩٦٢ عدة مبادىء فى مقدمتها تطبيق الاجر المتساوى نظير العمل المتساوى ، والعدالة فى ترقية النساء والتكوين المهنى للفتيات فى مختلف الصناعات، وتوفير امكانيات عمل افضل للنساء من أجل تحسين تدريبهن فى مجال التخصص ، ومن أجل تصنيف افضل للنساء اللواتى يرجعن للعمل فى الصناعة ، والاهتمام بحماية صحة العاملات ، الا ان هذه المبادىء مازالت بعيدة عن مجال التطبيق ، وتصطدم بمعارضة قوية من جانب حزب العمال البريطانى الحاكم ، الذى يسيطر عليه اتحاد الصناعات والعناصر اليمينية فى النقابات البريطانية ، ومن غير المتوقع بعد وصول المحافظين الى الحكم أن تلقى من جانبهم أى تشجيع .

وكان المؤتمر السنوى لحزب العمال البريطانى قد اتخذ قرارا فى عام ١٩٦٤ ، بتطبيق مبدأ الاجر المتساوى بين الجنسين نظير العمل المتساوى فيما لو جاء الى الحكم ، وذلك قبل موعد اجراء الانتخابات العامة فى أواخر عام ١٩٦٤ ، غير أنها لم تكن سوى خدعة ومناورة للوصول الى الحكم .

ومن بين المشاكل العديدة التى تواجه الامهات العاملات ، عدم وجود دور حضانة لايواء اطفالهن ، وان نسبة ١ فى المائة فقط من ابناء العاملات فى سن ٣ ــ ٥ سنوات هم الذين يجدون مكانا فى دور الحضانة ، ويقدر عدد الامهات من بين العاملات حاليا بما يزيد عن ٤ ملايين و٢٥٠ الف ام .

وقد جاء فى التقرير الرسمى عن حالة النساء العاملات فى بريطانيا فى شهر مارس عام ١٩٦٨ ، أنه يوجد نحو أربعة ملايين عاملة يعشن فى حالة فقر مدقع ، ويشير التقرير كذلك الى انعدام الرعاية الصحية والتربوية لاطفال الامهات العاملات ، كما ينتقد التقرير الحكومة التى تتراخى فى الضغط على اصحاب الاعمال من أجل تحسين وضع العاملات ، وقد أحدث التقرير ضجة كبرى فى بريطانيا وذلك قبل اذاعته رسميا ، وطالبت وزارة العمل بتأجيل نشر التقرير الى ما بعد انتهاء المؤتمرات السنوية للنقابات العمالية فى ذلك الوقت ، نظرا للمعلومات الخطيرة التى تضمنها التقرير عن وضع النساء العاملات فى بريطانيا .

وشهدت بريطانيا منذ عام ١٩٦٨ حركة احتجاج واضرابات متزايدة قامت بها الهيئات النسائية وتشمل معظم العاملات فى مجال الصناعة والتمريض والتدريس والخدمات وفى مجال الادب والفن ، وذلك من أجل زيادة الاجور وتقليل الفارق بين أجور النساء والرجال ، وتحسين ظروف العمل ، ووضع حد للاضطهاد الذى يقع على المرأة فى المجتمع ، ومنع استغلال جسدها فى الاعلان لترويج البضائع .

ويعتبر الاضراب الكبير الذى قامت به العاملات الميكانيكيات فى مصانع فورد بمدينة داجنهام فى أوائل عام ١٩٦٩ ، والاضراب العام للمدرسين الذى اشتركت فيه المدرسات فى المدارس الخاصة فى بريطانيا ، ضد أصحاب العمل فى فبراير عام ١٩٧٠ من الاحداث الهامة فى تاريخ النضال العمالى فى بريطانيا ، نتيجة اشتراك المرأة فيه بفاعلية ، بعد أن ظل هذا المجال قاصرا على الرجل فقط ، ولقد أحدثت هذه الاضرابات رد فعل شديد وسط النساء العاملات فى بريطانيا ، اذ ارتفعت على اثرها الاصوات مطالبة الحكومة بالتصديق على الاتفاقية رقم ١٠٠ لمنظمة العمل الدولية ، والتى تنص على تقرير الاجر المتساوى عن العمل المتساوى للجنسين ، وقد اضطرت بربارا كاسل وزيرة العمل والانتاج حينئذ تحت ضغط الحملة النسائية والنقابات الى التصريح بأنه ليس من المنتظر تطبيق المساواة فى الاجر بين المرأة والرجل، وتنفيذ اتفاقية المنظمة الدولية قبل شهر ديسمبر عام ١٩٧٥ .

■ فرنسا

وفى فرنسا تبلغ نسبة النساء العاملات ٣٤ فى المائة من مجموع القوى العاملة فى فروع الاقتصاد القومى اذ يبلغ عددهن ٤٫٨٦١٫٣٤٠ عاملة .

وينص الدستور الفرنسى الذى وضع فى عهد حكومة الجبهة التى تشكلت فى عام ١٩٤٦ على مبدأ المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة العاملة ، وكذلك نصت معاهدة السوق الاوربية المشتركة للدول الست فى عام ١٩٥٨ على اقرار المساواة فى الاجر بين المرأة والرجل ، كما أن فرنسا من بين الدول الموقعة على الاتفاقية رقم ١٠٠ لمنظمة العمل الدولية ، التى تنص على الاجر المتساوى عن العمل المتساوى للرجل والمرأة .

غير أن التقارير الرسمية عن حالة النساء العاملات فى فرنسا توضح أن الفوارق فى أجور النساء بالنسبة للرجال قد اتسعت من ٦٫٨ فى المائة الى ١٦ فى المائة ، وذلك فى جميع فروع الاقتصاد القومى ، كما انخفضت أجور النساء فى الوظائف التنفيذية المتوسطة بنسبة ٣٥٫٧ فى المائة عن أجور الرجال . وبشكل عام فان أصحاب الاعمال الفرنسيين لا يرحبون بتشغيل المرأة أو

مساواتها مع الرجل فى الاجر ، وحجتهم التقليدية فى ذلك أن المرأة تنقطع عن العمل بعد فترة قصيرة بسبب الولادة والتفرغ لتربية الاطفال ، وارتفاع نسبة الغياب بين الامهات العاملات • هذا بالرغم من أن معدل الانتاج الصناعى فى فرنسا قد زاد فى الفترة من ١٩٥٧ ـ ١٩٦٧ بنسبة ٦٠ فى المائة كما زادت انتاجية العمل بنسبة ٥٠ فى المائة فى نفس الوقت الذى هبطت فيه القوة الشرائية لاغلبية العمال ، وهناك حوالى ثلاثة ملايين من النساء العاملات لا يتعدى الاجر الشهرى للواحدة منهن ٦٠٠ر٠٠ فرنك بالسعر القديم •

وتعانى المرأة الفرنسية من صعوبة الحصول على عمل بسبب احجام أصحاب الاعمال عن تشغيل النساء ، للتهرب من الالتزامات المالية التى تحصلها الهيئات النسائية لصالح دور الحضانة ، والمعروف أن عدد دور الحضانة فى فرنسا لا يزيد عن ٥٠٠ دار ، وان الدولة ليست مكلفة بانشاء دور الحضانة أو الاشراف عليها ، كما لا يوجد تشريع خاص بتحديد اجازات الحمل والوضع ، وهى تتراوح ما بين ٤ ـ ١٢ أسبوعا ، ويقدر عدد الامهات العاملات بحوالى ثلاثة ملايين أم ، ومن تلك العقبات التى توضع فى وجه المرأة العاملة ، نظام مسابقات العمل التى تشترط الحد الاقصى للسن بـ٣٠ سنة ، مما يشكل عقبة كبيرة فى وجه المرأة العاملة التى تضطر للعودة مرة ثانية الى العمل بعد سنوات الحضانة ودخول الاطفال المدارس ، من أجل المشاركة فى تحمل أعباء الاسرة ونفقات تعليم الاطفال وارتفاع الاسعار وايجارات المساكن •

ان فرص الاعداد والتدريب المهنى لتطوير كفاءة المرأة العملية والانتاجية وتحسين مستواها المادى ضئيلة جدا امامها ،وبخاصة الامهات اللواتى يعدن الى العمل بعد انقطاع عدة سنوات ، للحصول على التدريب المهنى اللازم لاستعادة كفاءتهن الانتاجية ومواكبة التقدم العلمى ، والتطور التكنولوجى الحديث ويظل التخلف والفقر يلازمها طوال حياتها، ويقدر عدد الامهات العاملات اللواتى يطلبن العمل لنصف الوقت ولا يجدنه بما يزيد عن مليون امرأة •

ولا يزال هناك كثير من العقبات التى تحول دون وصول المرأة الى المناصب العليا فى أجهزة الدولة ، وغيرها من المجالات مثل وظائف المحافظين ورؤساء المدن ، وادارة البنوك والادارات المالية والسلك السياسى .

وتعارض الاحزاب الاشتراكية ، والنقابات العمالية والتنظيمات النسائية اليسارية فى فرنسا الاتجاهات اليمينية والاصلاحية داخل الحركة النسائية التى تطالب فى الوقت الحاضر باستصدار قانون يسمح للنساء بالعمل نصف الوقت ، نظرا لخطورة مثل هذا التشريع وتاثيره على قضية تحرير المرأة ومساواتها التامة بالرجل •

■ الولايات المتحدة

يوجد فى الولايات المتحدة ٢٩ مليون امرأة عاملة ، وحوالى ٣٦ فى المائة من مجموع القوى العاملة فى البلاد ، والولايات المتحدة من البلدان التى تزيد فيها نسبة الاناث على الذكور فى العالم ، اذ تبلغ حوالى ٥١ فى المائة •

وتشير احصائيات الامم المتحدة الى أن مرتبات النساء فى الولايات المتحدة سجلت انخفاضا سريعا فى السنوات الاخيرة عن مرتبات الرجال ، وذلك بنسبة تتراوح بين ٥٠ ، ٦٠ فى المائة فى معظم فروع الاقتصاد القومى ، بالرغم من وجود القانون الصادر فى عام ١٩٦٣ والذى يقضى بمساواة المرأة بالرجل فى الاجر عن العمل المتساوى •

وهناك ٥٠ فى المائة من النساء العاملات لا يزيد أجر الواحدة منهن على ٣٧٠٠ دولار سنويا ، فى ظل الغلاء الفاحش لوسائل المعيشة ، بينما اللاتى تزيد أجورهن عن ١٠ آلاف دولار سنويا لا تتعدى نسبتهن ٢ فى المائة من العاملات .

ولا يوجد فى الولايات المتحدة تشريع ينص على تحديد الحد الادنى للاجر ، أو التأمين ضد البطالة أو التأمينات الاجتماعية الاخرى ، كما توجد قوانين تجيز لاصحاب الاعمال استخدام عمل النساء لنصف اليوم أو ثلاثة أرباع اليوم ، وتضبط أجورهن وفقا لذلك ، وتوجد فى الوقت الحاضر آلاف القضايا العمالية المعروضة أمام المحاكم الامريكية وتتعلق بزيادة أجور النساء •

وتعانى الامهات العاملات فى الولايات المتحدة من مشكلة عدم وجود دور الحضانة لاطفالهن ، وأن دور الحضانة الحالية لا تتسع لاكثر من ٣ فى المائة من أبناء العاملات ، وأيضا من عدم توفر الخدمات الصحية وخاصة بالنسبة للنساء الحوامل ، بسبب نقص عدد الاطباء والافتقار الى الاماكن الشاغرة فى المستشفيات ، مما يؤدى الى ارتفاع نسبة وفيات الاطفال فى هذه الفئة بالذات ، ويقدر عدد الامهات العاملات فى الولايات المتحدة بحوالى ٩ ملايين أم •

وتعانى المرأة الامريكية أيضا من التفرقة والاضطهاد بسبب الجنس ، نتيجة نظرة المجتمع الامريكى الى المرأة كمخلوق أدنى لا يجيد التفكير وأنها أقل كفاية من الرجل ، كما يعتبر المرأة المثالية هى المرأة الكاملة الانوثة •

ان المساواة فى الحقوق السياسية التى حصلت عليها المرأة الامريكية فى عام ١٩٢٠ ، لا تعدو أن تكون سوى مساواة نظرية ، مع احتفاظ الرجل بكافة الاعمال القيادية والوظائف الهامة • والان وبعد مرور ٥٠ عاما على نيل المرأة حقوقهــا السياسية والاجتماعية ، لا توجـد سوى امرأة واحدة عضو فى مجلس الشيوخ ، كما لا توجد سوى ١٣ امرأة تشغل منصبا اداريا فى الدولة من بين الـ ٣٠٠ منصب التى شغلها الرئيس نيكسون عند مجيئه الى السلطة فى أواخر عام ١٩٦٨ ، غير أن الصورة تزداد شحوبا بالنسـبة لوضع المرأة الزنجية العاملة ، حيث يبلغ عدد النساء الزنجيات العاملات بحوالى عشرة ملايين امرأة •

وهناك حوالى ٤٥ فى المائة من النساء الزنجيات يعملن فى مهن الطهى والغسيل والنظافة فى المدن ، و٢٥ر٧ فى المائة فى الريف ، وحوالى نصف مليون زنجية فى الوظائف الحكومية والتمـريض والتدريس والاختزال وعلى الالة الكاتبة والاعمال الكتابية البسيطة ، وتبلغ نسبة البطالة حاليا بين الزنجيات ٧ر٧ فى المائة أى ضعف نسبة البطالة بين الامريكيات البيض •

ولا يكاد أجر الزنجية العاملة يصل الى نصف أجرة المرأة البيضاء ، ويوجد حوالى مليون امرأة يعملن لمدة ٦٠ ساعة أسبوعيا ولا يزيد الحد الاقصى الذى يتقاضينهعن ١٥ دولارا فى الاسبوع، فضلا عن ضيق فرص الدراسة والحصول على عمل مناسب أمام المرأة الزنجية ، ولا يتبقى أمامها سوى الاعمال الصغيرة والحقيرة ، وذلك بسبب سياسة الاضطهاد العنصرى التى تغذيها المـؤسسات الاحتكارية الاستغلالية لاحداث الانقسام الداخلى فى المجتمع وتفتيت وحدة الطبقة العاملة واخفاء وتمييع الصراع الطبقى ، واستقطاع قدر اكبر من فائض القيمة •

ويشهد المجتمع الامريكى فى الوقت الحاضر حركة نسائية واسعة النطاق ، وقد بلغ عـدد المنظمات النسائية التى ظهرت خلال السـنوات الاربع الاخيرة أكثر من ١٠٠ منظمة فى أنحاء الولايـات المتحـدة ، ومـن أشـهر هــذه المنظمات : « **المنظمة القومية النسـائية** » التى أسستها الكاتبة المشهورة «**بتى فريدان**» عــام ١٩٦٦ ، و « **منظمة النضال النسائى من أجـل السلام** » و « **منظمة تحرير المرأة** » ، وهــذه المنظمات بدأت تدرك بدرجات متباينة حقيقة وأبعاد القضايا والمشاكل التى تطحن المجتمع الأمريكى من الداخل ، والا فرق بين الاضطهاد الذى يقع على المرأة البيضاء أو المرأة الملونة •• والشىء العجيب هو أن نضال معظم هذه المنظمات النسائية يتسم بطابع العنف مثل سائر الحركات المناهضة لسياسة الدولة الامريكية كحركة تحرير الزنوج وحركة الطلبة المناهضة للحرب الفيتنامية ،وذلك كرد فعل طبيعى نتيجة الاضطهاد والقهر الاجتماعى الذى تعانيه المرأة فى الولايات المتحدة •

وقد قامت هذه المنظمات خلال السنة الماضية بسلسلة من الاعمال العنيفة لاثارة انتباه المجتمع الى حقيقة مشاكلهن ، وذلك عندما توجهت مظاهرة نسائية الى مبنى مجلة « **بلاى بوى** » المتخصصة فى نشر صور النساء العاريات ، احتجاجا علـى سياسة المجلة فى التعريض بجسد المرأة الامريكية واهدار كرامتها وانسانيتها ، والقيام بمظـاهرة كبرى أمام **البيت الابيض** فى مناسبة عيد الامهات للمطالبة بحقوق المرأة ، والتدخل بالقوة لمنع انتخاب ملكة جمال الولايات المتحدة باعتباره عملا مهينا للمرأة واعتبارها مجـرد شىء جنسى ، واختطاف أحد الشبان فى سان فـرانسيسكو ويدعى « **كولد شتاين**» كان يعد لاصدار مجلة لنشر الصور العارية ، ومقاطعة هذه المنظمات لمنتجات شركة [**كولجيت بالموليف**] تضامنا مع عاملات الشركة المضربات من أجل زيادةاجورهن ، وتنظيم المظاهرات النسائية الضخمة فى مختلف المـدن الامريكية من أجل وقف الحرب فى فيتنام ، واعادة أبنائهن الى وطنهم •

وقد عقدت هذه المنظمات فى شهر فبراير ١٩٧٠، سلسلة مؤتمرات فـى نيـويورك وواشـنطن وشيكاغو ، اشتركت فيها مندوبـات عن هــذه المنظمات لمناقشة وضع المرأة الامريكية •

وتعتبر المظاهرات الضخمة التى قـامت بهـا النساء فى ٨/٢٦ الماضى ، فى مناسبة الذكرى الخمسين لحصول المرأة الامريكية على حـق الانتخاب للمطالبة بالمساواة والحقوق الاجتماعية ، من أعنف المظاهرات النسائية التى شـهدتهـا الولايات المتحدة •

وتتلخص مطالب هذه المنظمات فى : تعـديل الدستور ولقرار المساواة الاجتمـاعية بيـن الجنسين ، وتعديل قوانين الاحوال الشخصيـة، والغاء جميع أشكال الاضطهاد والاسـتعباد الجنسى ، والتمييز العنصرى ، والتفرقـة بيـن الجنسين عند التشغيل ، وفى مجال التـدريب المهنى، والمساواة فى الاجر مـع الرجـال لنفس العمل ، ومن أجل فرص عمل متساوية للجنسين ، وتوفير دور الحضانة لابناء العاملات ، ووقف الحرب فى فيتنام ، والغاء سياسة تجميد الاجور ، ووقف ارتفاع الاسعار ، وفتح الطريق أمام المرأة لبلوغ المراكز القيادية فى المجالات المختلفة وفى أجهزة الدولة •

■ بلغاريا

ادت التحولات الاشتراكية فى بلغاريا الى تغيرات جذرية فى وضع المرأة والى تطبيق مبدأ المساواة فى الحقوق السياسية والاقتصادية للجنسين فى جميع المجالات ، وتحطيم الاغلال التى كانت تكبل المرأة وتعوق اندفاعها واطلاق طاقاتها الابداعية للمساهمة فى جميع مجالات الحياة .

ويبلغ عدد النساء العاملات فى بلغاريا مليون و١٣٦ ألف امرأة عاملة وموظفة واخصائية ، ويشكلن ٨٢ فى المائة من مجموع النساء القادرات على العمل فى الدولة ، وذلك وفقا لاحصائيات عام ١٩٦٧ .

وتبلغ نسبة اشتغال النساء فى القطاعات المختلفة كالاتى :

- ٧٠ر٩ فى المائة فى قطاعات الصحة والضمان الاجتماعى والتربية البدنية .
- ٥٠ فى المائة فى قطاع التعاونيات الزراعية
- ٥٠ر٣ فى المائة فى قطاع التجارة .
- ٧٫٣ فى المائة فى حقل التعليم .
- ٤٨ر٢ فى المائة فى حقل العلم والابحاث العلمية .
- ٦٤ر٧ فى المائة فى مجالات التربية والثقافة والفن .
- ١٧ فى المائة من مجموع أعضاء البرلمان .
- ٢٠ فى المائة من مجموع أعضاء المجالس الشعبية .
- ٢٥ر٨ فى المائة من قادة المؤسسات والدوائر والمنظمات الشعبية .

ولا توجد فى بلغاريا مهن خاصة بالنساء وأخرى للرجال فان المرأة تعمل فى جميع المجالات ، كما انه لا توجد بطالة فى صفوف النساء او الرجال على السواء ، ذلك أن امكانيات المجتمع الاشتراكى تضمن العمل لكل قادر على العمل ويرغب فيه .

وتجد الام العاملة الحماية والعناية من الدولة ، وبمقتضى الدستور وقوانين العمل تمنح المرأة العاملة ١٢٠ يوما اجازة عند ولادة طفلها الاول بمرتب كامل ، و١٥٠ يوما للطفل الثانى ، و١٨٠ يوما للطفل الثالث ، و ١٢٠ يوما لكل طفل بعد ذلك ، وبموجب الامتيازات الخاصة بالامومة وحماية العمل النسائى ، تحصل المرأة ابتداء من الشهر الرابع للحمل على عمل خفيف ، كما تستحق اجازة لمدة ١ر٥ شهر قبل الوضع مدفوعة الاجر ، وتتمتع الام المرضع بيوم عمل قصير ، فضلا عن الخدمات والتسهيلات الطبية التى تمنحها الدولة .

وتقدم الدولة كافة المساعدات للام العاملة للتوفيق بين عملها وأعبائها العائلية ، وذلك عن طريق انشاء شبكات دور الحضانة ورياض الاطفال التى تتسع الان لاكثر من ٤٦ر٥٠٠ طفل أى حوالى ٦٠ فى المائة من مجموع أبناء العاملات ويتم حاليا التوسع فى انشاء دور الحضانة فى المؤسسات والاحياء حتى تشمل كل ابناء العاملات ، كما تحرص الدولة على أن يكون عمل المرأة بالقرب من محل سكنها واذا ما تعذر ذلك لاية أسباب فانه يصبح لزاما على المؤسسة أن تتحمل ٨٠ فى المائة من نفقات المواصلات .

وتهتم الدولة فى الوقت الحاضر بحل القضايا الخاصة بأوضاع المرأة الناشئة عن اشتراكها فى الانتاج الاجتماعى والحياة السياسية والثقافية ، على أساس من التقدير لدورها كأم وعاملة وعضو فى المجتمع الاشتراكى .. وتتولى لجنة النساء البلغاريات قيادة الحركة النسائية حاليا فى بلغاريا ، وانه من حق هذه اللجنة الاشتراك فى تنسيق نشاط أجهزة الدولة والمنظمات الاجتماعية والمعاهد والهيئات العلمية وكافة المسائل المتعلقة بالقضايا النسوية ، وحق المبادرات التشريعية ، وفرض الرقابة الاجتماعيةعلى نشاط أجهزة الدولة وذلك فيما يختص بالقضايا التى تتصل بالامهات والعائلات والنساء المشتغلات بالقضايا الاجتماعية ، ومراقبة تطوير شبكة دور الحضانة ورعاية الطفولة ، وتحديد آفاق مستقبلها والاهتمام بالاقسام الداخلية ، ورعاية الارامل والعجائز .. وكذلك العمل على رفع مستوى التوجيه المهنى والكفاءة وتنمية قدرات النساء وحماية عملهن ، وتحسين وتطوير شبكة المؤسسات التجارية والتغذية ، والعمل على تخفيف أعباء المرأة العاملة لكى يتوفر لها الوقت اللازم لتربية أطفالها ورفع مستواها الثقافى والسياسى ومسئوليتها فى بناء المجتمع الاشتراكى .

■ المانيا الديمقراطية

يوجد فى المانيا الديمقراطية ٣ر٧ مليون امرأة عاملة فى كافة فروع الاقتصاد الشعبى ، أى ٤٧٪ من مجموع العاملين من الجنسين ، وحوالى ٧٧ر٤ فى المائة من مجموع النساء فى سن العمل .

وينص الدستور الاشتراكى لجمهورية المانيا الديمقراطية على ما يلى : « الرجل والمرأة متساويان ، ويتمتعان بنفس الحقوق فى سائر ميادين الحياة الاجتماعية والحكومية والشخصية ، وتشجيع المرأة ، وبصورة خاصة رفع

كفاءتها المهنية هى مهمة تقع على عاتق المجتمع والدولة » .

ان نسبة المرأة العاملة فى القطاعات المختلفة التالية تعطى صورة واضحة للدور الهام التى تؤديه المرأة الالمانية حاليا فى جميع الانشطة الاجتماعية .

- ١٧٥٫٨٢٤ عاملة فى المصانع .
- ٤٩٢٫٢٠٠ فى الاقتصاد الزراعى ، من بينهن ١٢٫٦٩٤ يعملن فى قيادة الالات الزراعية .
- ٢٥ فى المائة من اعضاء مجالس ادارة التعاونيات الزراعية .
- ٤٧ فى المائة من مجموع المدرسين بمدارس المهندسين والمعاهد الصناعية والتكنيكية .
- ٢٥ فى المائة من قضاة المحكمة العليا والمدعين العامين .
- ٤١ فى المائة من القضاة الملازمين فى محاكم المحافظات .
- ٢٥ فى المائةمن مديرىالمدارس والجامعات والمعاهد الفنية والصناعية والتكنولوجية .
- ٩ فى المائة من مديرى المصانع ورئيسات أقسام فى الصناعة .

ولا يقتصر نشاط المرأة على المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، بل تشارك أيضا بصورة فعالة فى الحياة السياسية لوطنها ، اذ تبلغ نسبة النساء فى مجلس الشعب (البرلمان) ٣١ فى المائة ، ومجالس المحافظات ٣٣ فى المائة ، ومجالس المناطق ٣١ فى المائة ، ومجالس الاحياء ٢٥ فى المائة ، كما تشغل ١١٧١ امرأة منصب عمدة فى ٩٫٠٠٠ بلدية .

ان مبدأ المساواة بين المرأة والرجل فى الاجر ، وعدم التمييز بين الجنسين عند التعيين ، والضمانات المقررة للنساء الحوامل ، والمرضعات ، وصيانة صحة النساء والامهات ، وتوفير الرعاية الطبية الكاملة لاطفالهن هى حقوق مكفولة بموجب الدستور الالمانى الصادر فى عام ١٩٤٩ ، وجميع المراسيم وتشريعات العمل فى جمهورية ألمانيا الديمقراطية .

وتحصل الام الحامل على اجازة للولادة مدتها ١٤ ـ ١٦ أسبوعا بمرتب كامل ، كما تستطيع الحصول على اجازة أخرى لمدة عام غير مدفوعة الاجر بدون أن يخل ذلك بسائر حقوقها الاخرى تجاه العمل ، كما تحصل من الدولة على مساعدة مادية تقدرها ٥٠٠ مارك عند ولادة الطفل الاول ، و٦٠٠ مارك للطفل الثانى ، و٧٠٠ مارك للطفل الثالث ، و ٨٥٠ مارك للطفل الرابع ، و ١٠٠٠ مارك لكل طفل بعد ذلك ، هذا فضلا عن المساعدات المالية الشهرية التى يحصل عليها الابوان وتبلغ ٢٠ ماركا حتى الطفل الثالث ، و٦٠ و٧٠ ماركا ابتداء من الطفل الرابع ثم الخامس فصاعدا .

وتبذل الدولة كل ما فى وسعها لتسهيل حياة الام العاملة للتوفيق بين مسئوليتها تجاه عملها وشئون اسرتها ، وذلك عن طريق شبكة واسعة من دور الحضانة لرعاية الاطفال الرضع ورياض الاطفال التابعة للمصانع والمؤسسات ، كما تقوم اللجان النسائية المحلية بتوفير الاماكن لابناء الامهات العاملات فى المهن الاخرى أو الامهات الدارسات فى المعاهد والجامعات ، وتوفير دور الحضانة ورعاية الاطفال فى التعاونيات فى الريف وذلك خلال المواسم الزراعية أثناء أعمال الحرث والفلاحة والحصاد .

ومن أجل تحقيق مساواة المرأة بالرجل بصورة كاملة حصلت ٤٤٨٫٧٠٠ امرأة خلال عام ١٩٦٨ على دورات تدريبية لمواصلة تأهيلهن فى جميع فروع الاقتصاد ، وحتى عام ١٩٦٨ حصلت ٣٣٥ فلاحة على شهادة جامعية ، وحصلت ٢٣٢٣ فلاحة على شهادة فنية متوسطة ، وحتى عام ١٩٦٧ حصلت ١٠٧٫٤٠٠ فلاحة تعاونية على شهادة العامل الفنى ، كما حصلت ٩٧٢٤ امرأة على درجة رئيسة عمل .

وتعتبر مهمة تعليم النساء لشغل الوظائف والمراكز المسئولة وتطوير مهارتهن واكتساب مهن ومعارف جديدة مسئولية القوى الاجتماعية وتؤمنها برامج الدولة من خلال عملية بناء وتطوير النظام الاجتماعى على طريق الاشتراكية .

■ الاتحاد السوفيتى

وفى الاتحاد السوفيتى يبلغ عدد النساء العاملات ٤١ مليون امرأة عاملة ، وهذا العدد يمثل نحو ٥٠ فى المائة من مجموع القوى العاملة من الجنسين .

وتؤمن الدولة فى الاتحاد السوفيتى للمرأة حقوقا مساوية لحقوق الرجل فى كافة مجالات الحياة ، وتنص المادة ١٢٢ من دستور الاتحاد السوفيتى على مايلى : تمنح المرأة فى الاتحاد السوفيتى حقوقا مساوية لحقوق الرجال فى جميع ميادين الحياة الاقتصادية والعامة والثقافية والاجتماعية والسياسية .

وحتى عام ١٩١٧ كانت المرأة فى روسيا ممنوعة

من العمل فى الوظائف الحكومية ، وقد قامت الثورة الاشتراكية بالغاء جميع أنواع التمييز والاضطهاد القومى والاقتصادى والاجتماعى ، وتبلغ نسبة النساء العاملات فى القطاعات المختلفة كالاتى :

- ٤٧ فى المائة فى قطاع الصناعة
- ٤٣ فى المائة فى قطاع الزراعة
- ٢٤ فى المائة فى قطاع النقل
- ٨٥ فى المائة فى مجال الصحة ، توجد من بينهن أكثر من ٤٠٠ ألف طبيبة
- ٧٢ فى المائة فى مجال التعليم ، توجد من بينهن حوالى ١ر٥ مليون مدرسة
- ٥٩ فى المائة فى حقل الثقافة
- ٤٠ فى المائة من القضاة
- ٤٧ فى المائة من أعضاء اللجان النقابية فى المعامل والمصانع واللجان المحلية
- ٣٥ فى المائة من أعضاء الهيئات النقابية المركزية
- ٢٣ فى المائة من أعضاء مجلس النقابات المركزى للاتحاد السوفيتى

ويوجد حاليا فى مجلس السوفييت الاعلى ، أى أعلى سلطة تشريعية فى البلاد ٤٢٥ نائبة من بين ١٥١٧ نائبا هم جميع أعضاء المجلس ، وهن لسن سياسيات محترفات ، بل يجمعن بين عملهن الاصلى فى المصانع وفى المزارع التعاونية والمعاهد والمصالح الحكومية ، وبين واجبهن السياسى ، والنساء النائبات فى السوفييت الاعلى والسوفييتات العليا فى الجمهوريات المتحدة وذات الحكم الذاتى يشغل عدد كبير منهن مناصب قيادية فى أعلى المؤسسات الحكومية فى البلاد ، ويقمن بتقديم استجوابات الى الحكومة أو الى الوزراء ، وينظرن فى شكاوى الناخبين ومطالبهم ، ويجبن على العرائض والرسائل ، ويساعدن على تصفية النواقص فى عمل الهيئات الحكومية وينظمن تنفيذ القوانين .

كما يوجد فى الاتحاد السوفيتى ٢٧٥ الف امرأة فى مجال الابحاث العلمية ، وان ٤٣ الف امرأة منهن حصلن على لقب الدكتوراه ، او عضو ، او مرشحة بدرجة استاذة فى اكاديمية العلوم ، كما يوجد بين كل ثلاثة مهندسين امرأة مهندسة وحوالى ٣٠٠٠ امرأة تحمل لقب بطلة العمل الاشتراكى من النساء الطليعيات فى مجالات الصناعة والزراعة والعلم والثقافة والنشاط الاجتماعى ، وأكثر من مليون امرأة يحملن الاوسمة والميداليات الرسمية تقديرا لدورهن وعملهن المتفانى فى خدمة المجتمع ، ولا يوجد فى الاتحاد السوفيتى بطالة أو أمية فى صفوف النساء أو الرجال على السواء ، وتولى الدولة أهمية خاصة لاجتذاب النساء الى المدارس المهنية التكنيكية ، واعداد الاخصائيات على أساس الجمع بين التعليم والعمل النافع اجتماعيا ، وفى استطاعة العاملات الانتقال الى مهن جديدة ، وتوفر الدولة جميع الشروط الضرورية للجمع بين العمل والدراسة ، فالذين يدرسون مع الانقطاع عن الانتاج ، فى بعض الاحوال يحتفظ لهن باجرتهن حسب عملهن الاساسى ، والذين ينهون الدراسة ينتقلن الى عمل يتناسب مع الكفاءة المكتسبة .

ان مبدأ المساواة فى الحقوق بين النساء والرجال يجد انعكاسا له فى تشريع العمل ، اذ ينص على قواعد خاصة تتعلق بشروط عمل النساء ومنها انعدام أى تمييز بين النساء عند القبول فى العمل ، بصرف النظر عن العمر ، والقومية ، والعقيدة الدينية ، والوضع العائلى ، فهن يتمتعن بحق متساو فى العمل والاجر والتقدم والرعاية ومساواة الرجال والنساء فى الاجر لقاء العمل المتساوى ، انما تضمنها المادة ١٢٢ من دستور الاتحاد السوفيتى ، والمواد المناسبة لها فى دساتير الجمهوريات المتحدة وذات الحكم الذاتى .

ورغبة فى وقاية صحة النساء يمنع التشريع السوفيتى استخدام النساء فى الاعمال المرهقة والضارة بالصحة مثل صهر وسبك المعادن ، وطرق المعدن الساخن ، وفى فروع الصناعة الكيماوية ، وصناعة الطباعة ، والجلود ، وفى أعمال جوف الارض لاستخراج المعادن ، وفى بناء المنشآت تحت الارض ، وفى هذه الفروع تستطيع النساء تولى المناصب القيادية او القيام بأعمال غير جسدية أو أعمال الخدمة الصحية والمعيشية .

ولصيانة صحة النساء ينص التشريع السوفيتى أيضا على توفير أفضل الشروط لهن فى الانتاج اثناء الحمل والرضاعة ، فلايجوز تشغيل النساء الحوامل اثناء الليل طوال فترة الحمل ، او فى مرحلة الرضاعة ، وكذلك يمنع تشغيل النساء الحوامل فى الاعمال الاضافية ابتداء من الشهر الرابع ، أو بالنسبة للمرضعات طوال مرحلة الرضاعة كلها ، أو ارسالهن ابتداء من الشهر الخامس فى مهمات خارج محل عملهن ، وتنقل النساء الحوامل الى عمل أخف ولا يستتبع ذلك تخفيض الاجر الذى كن يتقاضينه .

وتحصل المرأة العاملة على اجازة قبل الولادة مقدارها ٥٦ يوما ، و٥٦ يوما بعد الولادة ، تزاد الى ٧٠ يوما فى حالة الولادة غير العادية أو ولادة طفلين أو أكثر ، هذا فضلا عن اجازتها السنوية ،

كما تستطيع الحصول على اجازة اضافية لمدة ٣ شهور غير مدفوعة الاجر ، ويحتفظ للنساء اللواتى يتركن العمل لمناسبة الولادة باستمرار بحقهن فى أقدمية العمل اذا عدن الى العمل قبل مرور سنة على الولادة ، وفى حالة مرض الطفل قبل ان يبلغ الثانية تعفى الام من العمل لضرورة اقامتها فى المستشفى مع الطفل ،ويدفع لها تعويض كامل عن فترة اعفائها من العمل ، بموجب الضمان الاجتماعى الحكومى ، كما يتوافر للنساء العاملات امكانية قضاء اجازة الحمل والولادة فى دور خاصة للراحة ، او فى المصحات وذلك على حساب صندوق المؤسسة .

وتتمتع النساء بموجب قانون المعاشات على شروط أفضل ، وتستحق المرأة المعاش فى سن (٤٥ ـ ٥٠ ـ ٥٥) وذلك وفقا لنوع العمل وقضائهن ما لا يقل عن ١٥ او ٢٠ سنة فى العمل . وتستطيع المرأة البقاء فى العمل بعد سن المعاش بناء على رغبتها ، او الانتقال الى عمل آخر مع الاحتفاظ بالمعاش كاملا بالاضافة الى أجر العمل الجديد .

وتقدم الدولة المساعدة للنساء الامهات فى تربية أطفالهن ، وتجد الام العاملة مكانا لطفلها فى دور الحضانة ورياض الأطفال ـ قبل السن الدراسية ـ التابعة للمؤسسات ، وفى الاحياء حسب مكان السكن .

■■■

مما سبق يتضح أن المجتمع الرأسمالى بالرغم من اعترافه بحق المرأة فى العمل والانتاج ، فانها فى الواقع لا تعدو كونها مجرد السماح لها بدخول سوق العمل . دون مقابل من حقوق مشروعة ومن ثم فهى تحصر المرأة فى اطار تشريعات عتيقة تسجنها داخلها ، وتحول دون تفتح مواهبها وقدراتها الابداعية الانسانية ، وتفرض عليها استغلالا مضاعفا ، فهى تعانى من المشكلات الاساسية سواء فيما يتعلق بالناحية الاقتصادية أو الاجتماعية ، وتجد معارضة شديدة من جانب أقسام واسعة من الرجال لنيل حقوقها ، وذلك رغم التقدم العلمى والتكنولوجى والمستوى الحضارى الهائل وسيادة المذهب العقلى .

كما يتضح من المقارنة بين وضع المرأة فى المجتمع الرأسمالى والاشتراكى ، مدى البون الشاسع بينهما ، مما يؤكد أن قضية تحرير المرأة ليست قضية تقدم علمى وحضارى ، بقدر ما هى قضية نظام اجتماعى فى الاساس ، ووعى اجتماعى يرتبط بجوهر هذا النظام القائم على الملكية الفردية لوسائل الانتاج ، ويخضع لقوى اقتصادية استغلالية ، تعمل على نشر الافكار والمفاهيم العتيقة والمتخلفة عن سيادة الرجل ، واشاعة المناخ الاخلاقى العام الذى يجيز شرعية الاستثمار البشرى واستغلال الانسان للانسان ، وبذلك يسهل على القوى الاقتصادية الرأسمالية استغلال الجنسين معا .

وعلى العكس من ذلك فى المجتمع الاشتراكى ، حيث تختلف الصورة تماما ، وهو اختلاف ناشىء عن اختلاف النظام الاجتماعى ، حيث جميع وسائل الانتاج هى ملك للمجتمع ، والتفكير والوعى الاجتماعى الذى يرتبط بهذا النظام ، فالعمل هو الذى يحدد مكانة الانسان الاجتماعية باعتباره واجبا اجتماعيا ، وهو يقوم على الادراك الواعى للعلاقة الجدلية بين الرجل والمرأة كعنصرين أساسيين فى الحياة .

ان تحرير المرأة لا يمكن أن يتم الا ضمن تحرير الطبقات الكادحة من الاستغلال الرأسمالى والاقطاعى ، واحلال العلاقات الاشتراكية فى كافة مجالات العمل ، والثورة الثقافية للقضاء على المفاهيم والتقاليد والرواسب القديمة ، وتحطيم القيود التى تكبل المرأة وتمنع انطلاقها ، واشراكها فى عملية الانتاج ، مما يكفل توفير الظروف الموضوعية لان تتمتع المرأة بنفس الحقوق والمساواة التى يتمتع بها الرجل ، الامر الذى يجد تعبيره فى حجم المشاركة الفعلية للمرأة فى كافة المجالات .

ان الدولة الاشتراكية لم تغفل الوضع الطبيعى للمرأة ووظيفتها الاجتماعية المزدوجة كعاملة وأم ، فنجد أنها قد استطاعت أن تحل بنجاح المشكلات المعقدة التى ترتبت على نزول المرأة الى ميدان العمل ، وتهيئة الظروف أمامها للتوفيق بين واجبها تجاه المجتمع ونحو أسرتها وبيتها ، وذلك بتوفير دور الحضانة والرعاية لكل ابناء العاملات ، وتوفير المجمعات الاستهلاكية فى جميع الاحياء ، والمطاعم التى تقدم الوجبات طوال أيام الاسبوع . أو توصيلها الى المنازل عند الطلب ، ومحلات الملابس الجاهزة والحياكة وغسل وكى الملابس ، ومراكز الخدمة العامة لتنظيف المنازل ، وهذه كلها خدمات آخذة فى الازدياد والتحسين بصورة مضطردة تتناسب مع نمو وزيادة الانتاج الاجتماعى .

الذكرى السادسة لثورة أكتوبر السودانية

عبدالمنعم الغزالي

في اكتوبر ١٩٦٤ ، سقطت حكومة العساكر الرجعية التي عاش الشعب السوداني في ظل حكمها ست سنوات سود ، منذ ان تسلمت البيروقراطية العسكرية الحكم من حزب الامة في ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ . ولم تكن هبة الشعب السوداني في اكتوبر ١٩٦٤ مجرد هبة تلقائية قامت دون قيادة او تنظيم انما كانت ـ في عمقها الثوري ـ تتويجا لنضال قوى وفصائل الشعب السوداني الثورية ـ العمال والمزارعين والطلاب والضباط الوطنيين ، وجاءت ثورة أكتوبر فاتحة الطريق أمام انتصار الثورة الوطنية الديمقراطية في السودان ، وكعملية تحضيرية للثورة التي انتصرت في الخامس والعشرين من مايو ١٩٦٩ بالبعد الوطني الديمقراطي الذي لم تنجزه أكتوبر والتي تستهدف ، معتمدة على حركة الجماهير الشعبية والقوى الثورية ، بناء مجتمع اشتراكي .. ويحتفل السودان ـ في هذا الشهر ـ بالذكرى السادسة لثورة أكتوبر التي تعتبر من أضخم الاحداث الشعبية التي شهدها السودان خلال السنوات العشر التي تلت الحكم الذاتي في ١٩٥٤ .

البيروقراطية العسكرية تسلم البلاد للاجانب وتضطهد الشعب

قال الفريق **عبود** في التحقيق الذي اجرى معه بعد أكتوبر ١٩٦٤ : « قبل انعقاد البرلمان بعشرة ايام جاءني **عبد الله خليل** وقال لي ان الحالة السياسية سيئة جدا ومتطورة ويمكن يترتب عليها اخطار جسيمة،ولا منقذ لهذا الوضع غير ان الجيش يستولي على زمام الامور » . انه في عام ١٩٥٨ أضبحت الرجعية السودانية بكل فرقها ، وبكل الدعم الاجنبي لها منذ استقلال السودان عاجزة

عن حكم البلاد بالوسائل البرلمانية ، فالقوى التقليدية فشلت تماما فى ايجاد أى حل للازمة الاقتصادية ولكل نواحى التخلف الشديد الموروث من عهد الاستعمار المباشر ٠٠ وبلغت أزمة الحكم قمتها ، ولم يعد فى امكان أى حزب ان ينفرد بالسلطة ، واحتدم التقاتل على كراسى الوزارة وانتشر الفساد والرشوة ٠ واشتدت مقاومة الشارع السودانى للمشروعات الاستعمارية — مشروع ايزنهاور والنقطة الرابعة ٠ ونمت القوى الثورية وازدادت قدرتها فى النضال من خلال حركة المنظمات الديمقراطية خاصة اتحادات العمال والمزارعين والطلبة والشباب والمعلمين ٠٠ كما ازدادت فعالية الحزب الشيوعى السودانى والعناصر الوطنية من داخل الوطن الاتحادى والشعب الديمقراطى ٠

وهكذا فى ١٧ نوفمبر تمت عملية تسليم الحكم من قبل عبد الله خليل سكرتير حزب الامة ورئيس الوزراء لمجموعات الجنرالات الكبار فى الجيش ٠ وما ان تسلموا الحكم حتى بدأوا فى تنفيذ المخطط المتفق عليه بين الامريكان وحزب الامة والاتجاهات اليمينية الرهيبة والطائفية فى الاحزاب الاخرى ، لمواجهة خطر الثورة الشعبية وبحجة اعلان الحرب على أخطار مزعومة : خطر الشيوعية والخطر المصرى ٠

وباستيلاء البيروقراطية العسكرية على السلطة بدأ عدوانها على الحريات الديمقراطية : حلت جميع الاحزاب السياسية ، ومنعت الاجتماعات والتجمعات والمواكب والمظاهرات فى جميع انحاء السودان ، وقيدت حرية الصحافة ، واصدرت القوانين الارهابية المقيدة للحريات مثل قانون دفاع السودان لعام١٩٥٨ ، ولائحةدفاع السودان لعام ١٩٥٨ ، وقانون العمل ١٩٦٠ الذى قيد حرية التنظيم النقابى ٠ وكانت حركة الطبقة العاملة السودانية ، وتنظيمها النقابى يمثلان فى تاريخ السودان الحديث محور الحركة الجماهيرية ، والقوى التنظيمية المبادرة والفعالة فى قيام التنظيمات الجماهيرية الاخرى : كاتحادات المزارعين والطلبة والموظفين والمعلمين.كما كانت العمود الفقرى لكل نضال وطنى ديمقراطى منذ اعلان الحكم الذاتى فى ١٩٥٤ ٠ فهى التى قادت المظاهرات ضد العدوان الثلاثى على مصر ، ونظمت حملات المقاطعة للاستعماريين ، والتطوع لحمل السلاح مع الشعب المصرى ، وهى التى قادت الحركة الجماهيرية ضد **ريتشاردز** مبعوث ايزنهاور وحامل مشروعه حتى فشلت رحلته ، وهى التى قادت المظاهرات والمواكب الضخمة ضد مشروع النقطة الرابعة ... الخ

ولذلك وجهت اليها اقسى الضربات فأصدرت قرارا بتعطيل نقابات العمال واتحادها ابتداء من ٣/١٢/١٩٥٨ ، وفى ١٨ ديسمبر ١٩٥٨ اعتقل قادة العمال وعلى رأسهم **الشفيع احمد الشيخ** وحوكموا امام محكمة عسكرية خاصة ٠ وبطش الجنرالات باتحادات المزارعين وقادتهم **الشيخ الامين** ورفاقه من قادة المزارعين ٠٠٠ وقيدت حركة الطلبة واعتقلت قياداتها الثورية — بينما اتيحت كل فرص النشاط والحركة للعناصر والاتجاهات الرجعية وخاصة لعناصر حزب الامة والاخوان ٠٠ وحوكم الضباط الاحرار وصدرت الاحكام ضد بعض قادتهم بالاعدام حيث أعدم شنقا من الضباط الاحرار الشهداء الخمسة البكباشى **على حامد** والبكباشى **يعقوب كبيدة** والصاغ **عبد البديع على كرار** واليوزباشى طيار **الصادق محمد الحسن** واليوزباشى **عبد الحميد عبد الماجد** ٠ وقاد وزير الداخلية « **أبارو** » بالتعاون مع المخابرات الامريكية حملة لتصفية الحزب الشيوعى واعضائه فشردوا وحرموا من حق العمل وسجنوا واعتقلوا ٠٠ ولحق سيف الاعتقال حتى بعض قادة الاحزاب التقليدية عندما ارادوا ان يشاركوا فى المعارضة بعد ان تأكد لهم ان حكم الجنرالات اصبح مفضوح تماما امام الشعب ٠

ووسط موجات الارهاب الدموى المتعاقبة بدأت عملية تسليم مقدرات البلاد السياسية والاقتصادية والعسكرية للاستعمار وخاصة للولايات المتحدة الامريكية وانتهاج سياسة معادية تماما لحركة التحرر الوطنى العربية والافريقية ٠ ففى ٢٩ نوفمبر ١٩٥٨ أعلنت الحكومة العسكرية قبول المعونة الامريكية قبولا جديدا بكل شروطها بما فيها الحصانة الدبلوماسية لخبرائها ٠ وأعلن مجلس الوزراء فى قرار : « رأت اللجنة التى كونها المجلس باجماع الاراء أنه لا يوجد فى اتفاقية المعونة الامريكية ما يحد من استقلال السودان أو يخدش كرامته ٠ وأن اتفاقية المعونة الامريكية كانت لسوء الحظ هدفا للمناورات الحزبية فى الماضى ، كما ان التحديد الذى اشترطه البرلمان المنحل كان عقبة فى سبيل انجازها والاستفادة منها على الوجه الاكمل ٠ وبالنظر لكل ذلك فقد أصدر مجلس الوزراء القرار الاتى : « المصادقة على اتفاقية المعونة الامريكية المتضمنة فى خطاب وزير الخارجية السابق المؤرخ ٣١/٣/١٩٥٨ الذى بعثت به الحكومة السابقة للحكومة الامريكية — كما يرى المجلس أنه لم يكن ضروريا تحديد الميادين التى تقتصر عليها المعونة وفى واقع الامر فان التحديد الذى فرضه البرلمان المنحل كان عائقا دون الاستفادة الكاملة من المعونة » ٠

وبدأ زحف الاستعمار الحديث بقيادة الولايات المتحدة وألمانيا الغربية • وفرضت القيود والشروط على الاقتصاد السودانى ، وشدت تجارته الخارجية للمعسكر الاستعمارى وسياسته وأصبحت عمليات الاستيراد والتصدير الاساسية فى ايدى الاحتكارات والبنوك الامبريالية [بلغ حجم التجارة الخارجية مع خمس دول غربية كبرى خلال أعوام ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣ حوالى ٣٣٠ مليون جنيه ، بينما لم تزد مع المعسكر الاشتراكى عن ٤٠ مليونا من الجنيهات ،وبلغت جملة القروض الاجنبية ذات الطابع الامبريالى حوالى ١٣٠ مليونا من الجنيهات بفائدة تتراوح بين ٥ و ٧ فى المائة].

وبدأ التطابق الكامل فى السياسة مع الاستعماريين وفى الموقف من حركات التحرر فى البلاد العربية وافريقيا ــ فى فبراير ١٩٥٩ قال **احمد خير** وزير خارجيةالحكم العسكرىللصحفيين على اثر تفجير فرنسا لقنبلتها الذرية فى الصحراء الافريقية .. « لاشأن لكم حتى اذا فجرت هذه القنبلة فى ارض البطانة » ، فيما يخص الجزائر قال : « لا معنى لان تهاجم صحافتنا فرنسا فكما تقتل فرنسا الجزائريين فان الجزائريين يقتلون الفرنسيين » • وقامت حكومة الجنرالات بمصادرة اى نشاط افريقى واعتقلت العديد من القادة الافريقيين المناضلين وكان بعضهم فى طريقه الى ج • ع • م وسلمتهم للسلطات الرجعية فى بلادهم ، كما منعت الطائرات العربية من الهبوط فى ميناء بور سودان لانها كانت تحمل العون لجيوش الثوار فى اليمن،وسمحت باستخدام مطار الخرطوم كقاعدة عسكرية بريطانية لضرب ثوار الجنوب العربى (كانت ٧٥ فى المائة من الطائرات العسكرية البريطانية تتلقى المؤن والوقود من مطار الخرطوم) • ثم كان موقفهم المخزى من لومومبا وثوار الكنغو ، ولذا حظت حكومة الجنرالات برضاء الاستعماريين ــ فصرح **منون ويليامز** وكيل الخارجية الامريكية للشئون الافريقية فى مطار الخرطوم فى ١٧/٢/١٩٦١ بقوله : « ان حكومة السودان قد بذلت جهدا شاقا دون عبور الاسلحة الى الكونغو » ، وعندما استقبل كيندى عبود فى نيويورك قال : « لقد لعب السودان خلال عام ١٩٦١ وخاصة فى الشتاء والربيع دورا هاما وبارزا فى المحافظة على الحرية فى قارتكم » •.

الشعب يقاوم حكم الجنرالات

منذ الساعات الاولى لانقلاب ١٧ نوفمبر الرجعى بدأت القوى الثورية تفضح الانقلاب وطبيعته الرجعية والاستعمارية ، واعلنت تصميمها على المقاومة • فأصدر الحزب الشيوعى السودانى بيان المقاومة الاول فى ١٨ نوفمبر ١٩٥٨ ، بينما أعلن السيد السير **عبد الرحمن المهدى** تأييده ومباركته للانقلاب وكذلك السيد **على الميرغنى** • وتصدى اتحاد نقابات عمال السودان بشجاعة لبطش الجنرالات وارهابهم ، فأمام محكمة عسكرية تعقد لاول المدنيين سخر **الشفيع أحمد الشيخ** سكرتير عام اتحاد النقابات من المحكمة عندما قال فى دفاعه : « ان الفكر لا يمكن أن يحارب بالقانون وأن الصراع الفكرى العالمى الدائر اليوم شيء كبير أكبر بكثير من هذه المحكمة » • وخاض العمال الكثير من المعارك والاضرابات بالاضافة الى اضرابات طلاب الجامعة •• وأعلن المزارعون المقاومة وخاضوا معارك عديدة من أجل مطالبهم الاقتصادية وحقوقهم الديمقراطية•• وبلغت من قوة المقاومة العمالية أنها تمكنت فى اغسطس ١٩٦٣ من عقد مؤتمر نقابى ورغم اشراف السلطة الرجعية عليه اتخذ مجموعة من القرارات الثورية اقلقت الطغمة الحاكمة ، فقد طالب المؤتمر بتنحى السلطة العسكرية عن الحكم ورفع حالة الطوارىء وكفالة الحريات العامة •• وفى أغسطس ١٩٦٤ جرى التحضير لعقد مؤتمر نقابى وقد انعقد فى الجريف بصورة سرية ، وكان انعقاد هذا المؤتمر علامة طريق هامة فى سبيل التحضير للعملية الثورية القادمة • واشترك المحامون والقضاة وأساتذة الجامعة والاطباء والمهندسين والمرأة السودانية فى النضال •••

ومع مقاومة قوى الشعب لمجموعة البيروقراطيين العسكريين الرجعية ــ دخل عنصر جديد فى المعركة كان له كبير الاثر فى هز النظام العسكرى الرجعى ، وأصبح بعد ذلك من المؤثرات السياسية الهامة فى النضال الثورى للشعب السودانى ـ هذا العنصر هو المقاومة التى قادها الضباط الاحرار وتنظيماتهم داخل القوات المسلحة ـ ففى ٤ مارس ١٩٥٩ كانت حركة الاميرالاى **عبد الرحيم محمد خير شنان** والاميرالاى **محيى احمد عبد الله** ، وقد حققت هذه الحركة نصرا مؤقتا اذ تمكنت من طرد اللواء **احمد عبد الوهاب** المدبر الحقيقى للانقلاب الرجعى بالتعاون التام مع عبد الله خليل ، والسفارة الامريكية وقائد أكثر الحلقات رجعية داخل المجلس الاعلى للقوات المسلحة حينئذ •••. وفى ٢٢ مايو قاد مرة أخرى الاميرالاى عبد الرحيم محمد خير شنان حركة ثورية ثانية ولكنها باءت بالفشل لان الظروف الموضوعية لم تكن قد نضجت بعد ، وحكم عليه وعلى الاميرالاى **محيى احمد عبيد الله**

ومجموعة من الضباط بالسجن لمدد طويلة (بلغت الاحكام ١٤٠ عاما) وطرد ١١٧ ضابطا من القوات المسلحة . وفى ١٠ نوفمبر ١٩٥٩ قادت مجموعة من الضباط الثوريين حركة واسعة ضد حكم عبود ، وهى الحركة التى انتهت باعدام خمسة من الضباط الذين قادوا الحركة وسجن عدد آخر لمدد طويلة وطرد من خدمة القوات المسلحة عدد آخر .. وقد علق الحزب الشيوعى السودانى فى بيان له صدر فى ١٩٥٩/١٢/٢ على حركات الضباط الاحرار قائلا : « أن انتفاضات الجيش المتعددة انتفاضات ٤ مارس و ٢١ مايو ومحاولات الهجانة بالابيض والهبة الثورية الاخيرة ، كل هذه الاعمال الثورية المجيدة تدل على أن جيشنا الذى حاول الاستعماريون أن يجعلوا منه أداة لقهر الشعب وكبته مستعينين بالحلقة الرجعية المجرمة بداخله هو أيضا بخير وحافل بالابطال المخلصين لبلادهم .. حافل بالوطنيين المصممين على الانتقام لشرف شعبهم .. ولخص الضباط الاحرار أهدافهم فى صحافتهم السرية ومنشوراتهم ــ بأنهم يعملون من أجل الاطاحة بحكم العساكر الرجعى ومحاكمة كل من اشترك فى هذا الحكم واعادة الحياة النيابية ووضع دستور ديمقراطى للبلاد .. الخ

ومع اتساع جو المعارضة وتزايد حرارتها وافتقاد النظام العسكرى للارض من تحت أقدامه وهو يتلقى الضربات من القوى الثورية فى صفوف الطبقة العاملة والشعب والقوات المسلحة ــ بدأت بعض دوائر الاحزاب التقليدية والتى أيدت الانقلاب تأييدا كاملا عند قيامه تتخلى عن تأييدها وتبدى المقاومة وتجمعت فى جبهة واحدة ــ وقد اعتقل عدد من زعمائها مما أثار موجة احتجاج جماهيرية واسعة وبعد أن أفرج عن زعماء هذه الجبهة من الاحزاب التقليدية بدأت فى التراجع بسرعة عن العمل الايجابى الذى بدأته . ولقد ترتب على ذلك ورغم تراجعهم وجود أثر للاتجاهات اليمينية بين صفوف المعارضة الشعبية ــ هذه الاتجاهات التى كانت تسعى لتجنب معركة حاسمة بين جماهير الشعب والنظام العسكرى الرجعى ،حتى لا ينتهى ذلك الى احداث تغيير ثورى جذرى يفتح الطريق أمام ثورة وطنية ديمقراطية حقيقية بأبعادها الاجتماعية والاشتراكية . كما انعكس هذا الامر كذلك بأثر سلبى على حركة جماهير هذه القوى التقليدية اذ عاودها الامل فى امكانية التطويح بحكم العساكر الرجعى بواسطة هذه القوى .

التحضير للعملية الثورية

شعار الاضراب السياسى العام

ومع ازدياد ونمو قوى المعارضة للنظام العسكرى الرجعى ــ وبعد ثلاث سنوات من النضال المستميت وبعد أن بدأ النظام يتعزل عن الجماهير وعن القوى السياسية فى البلاد وبعد أن بدأت حتى القوى اليمينية التى أيدته فى البداية تتخلى عنه بضغط من جماهيرها وخشية عمق التغيير الثورى القادم الذى أصبح أمرا مؤكدا .. طرح الحزب الشيوعى السودانى امكانية العمل من أجل تنظيم حركة جماهيرية واسعة للتطويح بنظام « الفريق عبود » ، فطرح شعار الجبهة الوطنية الديمقراطية « و الاضراب السياسى العام.. » ففى بيان له فى ٢ أغسطس ١٩٦١ بعنوان تفاقم الازمة الثورية وتفكك الدكتاتورية قال : « والنظام العسكرى الراهن يعانى الكثير من النزاعات الداخلية التى تشل ارادته ، كما انه وصل الى درجة بعيدة من العزلة القاتلة عن جماهير الشعب لذا يمكن القول بأن النظام الراهن فى حالة تفكك وتحلل وأنه لن يستطيع الوقوف أمام حركة ثورية من جماهير الطبقة العاملة والكادحين وسيفشل فى أول تجربة للصدام . وتزايد تناقض النظام الرجعى الراهن وقوى اليمين (حزب الامة) مما ساعد فى احداث العزلة الكبيرة التى يعيشها هذه الايام واضعف من قوته الامر الذى تستفيد منه القوى الثورية فى نضالها الثابت من أجل الديمقراطية .. » .

وفى ٢٩ يوليو ١٩٦١ صدر بيان آخر بعنوان «حول الموقف السياسى والاضراب السياسى العام»، أورد مجموعة من العوامل التى أدت الى تفكك النظام الرجعى والتى استمدت أسبابها من عوامل جوهرية من حياة الشعب النضالية ــ الخراب الاقتصادى من جراء التبعية للمعونة الامريكية والاحتكارات الاجنبية ــ التفريط فى استقلال وسيادة البلاد ــ مصادرة الحريات الديمقراطية وتحول النظام الى نظام دموى [اعدام الضباط الخمسة] ــ انفجار المظاهرات العمالية والشعبية ومشاركة قطاعات من البورجوازية الوطنية فى الصراع . وذكر البيان أنه حتى هذه اللحظة ــ يوليو ١٩٦١ ــ لم تكن القوى الثورية وحلفائها على درجة من التنظيم تسمح لها بالصدام . ولذلك فانه فى أغسطس طرحت خطة تنظيمية للاضراب السياسى العام وطرح شعار الجبهة الوطنية الديمقراطية ــ وكان طرح هذا الشعار لان الحزب الشيوعى وحده لا يستطيع تغيير النظام ، ولان تجمع المعارضة (الاحزاب) ليس فى امكانه تغيير النظام .

وتحددت الطبقات والفئات الاجتماعية التى

ستركز عليها القوى الثورية لدخول المعركة الحاسمة مع الحكم العسكرى الرجعى ـ الطبقة العاملة وتنظيمها النقابى ، جماهير المزارعين المسحوقة وخاصة فى النيل الازرق والقاش وهم عصب الحياة الاقتصادية فى البلاد ـ المثقفين ، المحامين والاطباء والمهندسين والقضاه وموظفى الدولة والمعلمين والمعلمات والطلبة والبورجوازية الوطنية . ان تعبئة هذه القوى من خلال عمل يومى نشط مستمر يمكن ان تشترك فى اضراب سياسى عام من شأنه اذا وقع أن يشل النظام الرجعى شللا تاما .

قيام الاضراب السياسى وأنتصار الشعب

بعد السنوات الست العجاف ، والتى خاض الشعب السودانى خلالها معارك متصلة ضد السيطرة الاجنبية والاستعمار الاجنبى ومن أجل حقوقه الديموقراطية والاقتصادية نضجت الظروف الثورية ، وظهرت خيوط الفجر فى اغسطس ١٩٦٤ عندما تمكنت الطبقة العاملة من عقد المؤتمر النقابى السرى فى الجريف والذى وضع خطة للتحضير للاضراب السياسى العام القادم . واصبح الجميع ينتظرون شرارة صغيرة يكون بعدها الحدث الكبير لتخليص البلاد من القبضة الرجعية التى أصبحت عاجزة عجزا تاما عن مواجهة الازمة الاقتصادية الطاحنة ، والتى اصبحت تعيش أزمة حكم سياسية حقيقية .. فالشعب قد فاض به الكيل ولم يعد فى امكانه أن يتحمل أكثر من ذلك السيطرة الاجنبية الرهيبة وحكم بلاده من السفارات الغربية وقد طحنته آثار الازمة الاقتصادية الشديدة الوطأة .. كل شىء كان فى انتظار اندلاع الشرارة الاولى .

وفى ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ ـ اندلعت الشرارة من جامعة الخرطوم . كانت الجامعة تشهد ندوة عن الجنوب وأزمته ، وكانت قرارات الطلبة أنه لا طريق لحل قضية الجنوب الا بنهاية النظام القائم الذى لجأ الى السلاح يقهر به الجنوب والذى سمح للامبرياليين بحرية النشاط فى الجنوب فأحالوا الجنوب الى خنجر مصوب الى الثورة السودانية يستنزف قدراتها وطاقاتها .. وحاصر قادة النظام الجامعة ، وكانت مجزرة دموية سقط أول شهيد فيها للطلبة المناضل أحمد قرشى ، وتحولت جنازة الشهيد فى اليوم التالى الى مظاهرة شعبية بدا مع نهايتها انفجار الشعب ، ومن على قبر الشهيد خفقت رايات ثورة شعبية ـ وطنية معادية للاستعمار ، وديموقراطية من اجل انهاء حكم الارهاب .. وأعلن أساتذة الجامعة التوقف عن العمل حتى تعود الحياة الديموقراطية للبلاد . وطرح شعار الاضراب السياسى العام واعلان تكوين الجبهة الوطنية الديموقراطية من كافة القوى التى ناهضت بثبات الديكتاتورية .. وبدات المنظمات الجماهيرية فى التجمع والتى عرف تجمعها فيما بعد بجبهة الهيئات .. وفى صبيحة الرابع والعشرين من أكتوبر تجمع المحامون والقضاة وأساتذة الجامعة والاطباء والمهندسون .. والتف حولهم الشعب للسير فى موكب يحمل عريضة تطالب بعودة الحياة الديموقراطية .. وأقفلت الطغمة الحاكمة الطريق عليهم بالدبابات .. وارتفع شعار الاضراب السياسى العام .. ووجهت الهيئات المجتمعة فى القضائية نداء الى جماهير الشعب تعلن فيه بدء الاضراب السياسى ... : « ياجماهير شعبنا العظيم من عمال ومزارعين وتجار ورجال الخدمة المدنية والموظفين جميعا ، ان الهيئات الموقعة ادناه تدعوكم لتنفيذ الاضراب العام فورا حتى زوال الحكم العسكرى حكم الارهاب والظلم وحفاظا على روعة المعركة وهدفها السامى نناشدكم الابتعاد عن التخريب وأن تتمسكوا بشعار الاضراب العام » .
وبدأ الاضراب السياسى العام حتى شمل الخرطوم ـ عطبرة ـ بورسودان ـ الجزيرة ـ القاش . شمل كل انحاء السودان ومدنه ... وتوقف كل شى واصيبت الحياة بالشلل التام .

ومنذ بداية الاضراب بنجاح ومشاركة الطبقة العاملة فيه المشاركة التى قوت ودعمت العمق الاجتماعى لحركة الثورة ـ تخوفت الاحزاب والقوى التقليدية وارتعدت فصائلها من الثورة القادمة وبرز موقفها المتردد منذ البداية ورغبتها فى اجهاض حركة الثورة وتحويل مطلب الجماهير باحداث التغيير الجذرى الى مجرد احداث تغييرات فى سطح الجهاز الحاكم ، وهكذا جرت فى نفس الوقت اتصالات بين قادة هذه الاحزاب والسلطة العسكرية المنهارة للاتفاق حول اقتسام السلطة وحرمان الجماهير الشعبية والقوى الوطنية الديموقراطية من ثمار نضالها ومن بناء سودان ديموقراطى تقدمى متحرر اجتماعيا

وسياسيا واقتصاديا من كل نفوذ أجنبي .. وخططت هذه الاتفاقات السرية الى انهاك القوى الثورية ثم الفتك بها وبحركتها الجماهيرية .

وهكذا أصبح يعمل في الميدان جبهتان ـ الجبهة الوطنية للهيئات والتي تشكلت من العمال والمزارعين والطلبة والقضاة والمحامين والاطباء والمهندسين والمعلمين والموظفين والنساء ، وهي قائدة الاضراب السياسي العام والتي تركز نضالها في العمل على الانهاء الكامل لحكم العسكريين الرجعيين وابعادهم من السلطة .. ورفع حالة الطوارئ والغاء القوانين المقيدة للحريات واطلاق سراح المسجونين والمعتقلين السياسيين ، وتشكيل حكومة ديموقراطية تمثل فيها قوى الثورة والعمال والمزارعين ـ وجبهة اخرى من الاحزاب السياسية التقليدية والبورجوازية ضمت حزب الامة وجبهة الميثاق الاسلامي والوطني الاتحادي .

وفي خضم الاحداث التاريخية ـ دخلت القوى الثورية في القوات المسلحة المعركة وأعلنوا ثورتهم على القيادة العسكرية للجوئها الى السلاح لقمع ثورة الشعب الديموقراطية ، وفي ٢٦ اكتوبر اشترك الضباط الاحرار مع الشعب في حصار القصر الجمهوري بقيادة **جعفر محمد نميري وفاروق حمد الله** ... وفي هذا اليوم أعلن عبود بيانه الاول باعلان حل المجلس الاعلى للقوات المسلحة ووقف المظاهرات ، ومع هذا الاعلان قام الشعب باطلاق سراح المسجونين السياسيين وتصاعد المد الثوري ، وتشكلت الجبهة القومية الموحدة من جبهة الهيئات وممثلي الاحزاب لبحث الموقف والتوصل الى حل بالتفاوض مع المجلس المركزي ووافق عبود على مبدأ التفاوض معهم .

وبدأت المفاوضات ، وحاولت قوى اليمين في الاحزاب أن تصل الى ما اتفقت عليه سرا مع قيادة القوات المسلحة ، فشدد الشعب نضاله في الشارع وعاد يحاصر القصر .. وواجه الشعب أول خيوط المؤامرة التي كانت تبيت بليل عندما أمرت قيادة القوات المسلحة حرس القصر الجمهوري بفتح النار على المظاهرات فسقط ثمانية عشر شهيدا وعشرات من الجرحى .. فصمد الشعب السوداني ، وأقام المتاريس في الشوارع واصر على مطلبه بالتصفية الكاملة لحكم عبود ، وتحول ميزان القوى لصالح القوى الشعبية بعد هذه الاحداث واضطرت انظمة العسكرية الى التسليم وانتهت المفاوضات مع الجبهة القومية المتحدة في ٢٩ اكتوبر . لقد شهد السودان خلال الاسبوع الاول للثورة تولي الجماهير الشعبية للسلطة في المدن والاقاليم وادارته شئونه بنفسه بنظام ودقة ووعي ، وفي ٣٠ اكتوبر تشكلت وزارة انتقالية برئاسة **سر الختم الخليفة** تتولى الحكم وفقا لاحكام دستور ١٩٥٦ واستمر الفريق ابراهيم عبود رئيسا للدولة ومشرفا على شئون القوات المسلحة . وتم الاتفاق على ميثاق وطني أعلنه رئيس الوزراء في مساء ٣٠ اكتوبر متضمنا : تصفية الحكم العسكري واطلاق الحريات العامة ، حرية الصحافة والتعبير والتنظيم والتجمع ، ورفع حالة الطوارئ والغاء جميع القوانين المقيدة للحريات وتأمين استقلال القضاء واستقلال الجامعة واطلاق سراح المعتقلين والمسجونين السياسيين وانتهاج سياسة خارجية ضد الاستعمار والاحلاف .. وتشكلت الوزارة الانتقالية من أعضاء يمثلون الاحزاب السياسية . الوطني الاتحادي ـ والامة ـ والشعب الديموقراطي (ثلاثة مقاعد لكل) وجبهة الميثاق الاسلامي والحزب الشيوعي (مقعد لكل) ووزيران يمثلان المديريات الجنوبية وسبعة وزراء يمثلون الجبهة الوطنية للهيئات ومنهم وزير يمثل المزارعين وآخر يمثل العمال (وقد انتخبت نقابات العمال ممثلها في الوزارة) . ولم يمض على تكوين الوزارة الانتقالية بضعة أيام حتى دبرت مؤامرة من القيادة الرجعية في القوات المسلحة أعتقل فيها قادة الضباط الاحرار والذين اشتركوا في حصار القصر الجمهوري مع الشعب وهم جعفر محمد نميري وفاروق حمد الله والرشيد نور الدين . وبضغط جماهيري أفرج عنهم . وترتب على ذلك تصفية كل آثار رسمية للحكم العسكري ، ففي ١١ نوفمبر ١٩٦٤ أبعد عبود نهائيا من السلطة .. وتشكل مجلس للسيادة !!

وهكذا سقطت حكومة الجنرالات التي أتى بها حزب الامة والدوائر الاستعمارية . وجاءت بعدها سلطة مزدوجة . سلطة تمثل اليمين بكل أحزابه التقليدية وتمثل القوى الثورية بكل فصائلها الثورية والديموقراطية .

اليمين بأحزابه التقليدية يعمل بلؤم وهدوء لاجهاض الثورة ، مستمدا قوته من مواقعه الطبقية ، والتي تدعمت خلال سنوات الحكم العسكري الست ، حيث وضع البلاد على طريق التطور الرأسمالي والارتباط بالامبريالية واحتكاراتها ، ومن جماهيره المتخلفة العريضة والتي لم تكن قد انفكت بعد من قيود الخضوع للطائفية والتقاليد القبلية ، هذه الجماهير رغم أنها شاركت في مقاومة الحكم العسكري بدرجات

مختلفة فانها كانت لا تزال معصوبة الاعين عن حقيقة الحلف الذى كان قائما بين قياداتها السياسية والديكتاتورية العسكرية ، وقد زاد من استمرار تخلفها السياسى هذا موقف المعارضة الذى اتخذته أحزابها فى عام ١٩٦١ ، ومستمدة قوتها كذلك وبشكل رئيسى من اجهزة السلطة التقليدية والتى كانت لا تزال فى قبضة رجالها ـ الجيش والبوليس والخدمة المدنية ٠

القوى الثورية وهى تعتمد على القوى الحديثة للعمال والمزارعين والمعلمين والمثقفين الثوريين ـ المحامين والاطباء والمهندسين والمعلمين ـ والمنظمات الديموقراطية للطلبة والنساء والشباب ٠٠ والتى انهكت القدرة التنظيمية لمنظماتها خلال فترة السنوات الست حيث ركز عليها كل هجوم رجعى ٠٠ كما فرضت على بعضها قيادات انتهازية من عناصر عميلة للرجعية والبورجوازية ، وكان عليها ان تعيد بناء منظماتها تلك ٠ وكذلك فان الحزب الشيوعى السودانى خرج مرهقا غاية الارهاق من المعركة وقد اثخنت جسمه سياط الارهاب وكان عليه أن يدعم صفوفه ويوسع عضويته لتحمل أعباء المرحلة الثورية الصعبة القادمة ٠ وكان على القوى الثورية أن تبذل جهدا شاقا لتستكمل الثورة أهدافها ٠ وأن تفيد من مشاركتها فى « الحكومة » فلاول مرة فى تاريخ السودان دفعت حركة الثورة الى الحكومة بممثلين للعمال والمزارعين والحزب الشيوعى والعناصر الوطنية الديموقراطية دون وصاية من الاحزاب السودانية التقليدية ، بل ومن خلال عملية صراع عنيف ضدها ٠

وكان أمام القوى الثورية لاستكمال ثورة اكتوبر ولتحويلها الى ثورة وطنية ديموقراطية ان تناضل من أجل وضع أجهزة الدولة فى أيدى الوطنيين والديموقراطيين وأن تخلص القوات المسلحة وأجهزة الامن من العناصر الرجعية وأن تصفى الادارة الاهلية لانهاء سيطرة زعماء العشائر وتحرير القرية السودانية من سيطرتهم ، والعمل على اعلان الحقوق الديموقراطية للجماهير الثورية والغاء كافة القوانين الرجعية والاستثنائية المقيدة للحريات والتى ورثها السودان من عهد الاستعمار المباشر ، واشراك الشعب بشكل مؤثر فى وضع سياسة البلاد ، وتمثيل العمال والمزارعين فى ادارة المؤسسات الانتاجية ، فى الادارة والتخطيط والرقابة ، وبناء جيش وطنى ، وفرض التجنيد الاجبارى ، واشراك العمال والمزارعين فى الجمعية التأسيسية بما يضمن لهم ٥٠ فى المائة من المقاعد واجراء انتخابات على أسس ثورية ٠٠ وانجاز اصلاح زراعى جذرى ٠

وداخل مجلس الوزراء وفى قمة السلطة بدأ الصراع بين القوتين ، رفض اليمين محاكمة قادة نظام عبود ، رفض اقتراح الحزب الشيوعى وحزب الشعب الديموقراطى ونقابات العمال تكوين حرس شعبى مسلح ، وضعت العراقيل واستخدمت كافة الاساليب البيروقراطية فى وجه أى محاولة لاحداث تغييرات جذرية ٠ وعندما أثيرت قضية اجراء الانتخابات طالب اليمين بسرعة اجرائها ، فقد كان يرى أن كل يوم يمر فان تيار الثورة يتقوى ويزحف وأن الفكر الاشتراكى ينتشر بقوة وسرعة فى كل مكان ٠ ورفض العمال والمزارعون والحزب الشيوعى وحزب الشعب الديموقراطى مطلب اليمين بسرعة اجراء الانتخابات ٠٠ ولكن اليمين كان يتآمر ، لان انتخابات عاجلة ستأتى بائتلافه ـ الامة والوطنى الاتحادى ـ الى الحكم ٠ وحيكت المؤامرة مع سر الختم خليفة رئيس الوزراء الذى قدم استقالة وزارته فجأة ودون أى سابق انذار لمجلس الوزراء فى الثامن عشر من فبراير ١٩٦٥ ، وفى نفس الوقت كلفه مجلس السيادة بتاليف وزارة جديدة تكون مهمتها التحضير للانتخابات ٠ وأصرت كتلة اليمين ـ الامة والوطنى الاتحادى ـ على استبعاد العمال والمزارعين من الوزارة الجديدة ٠ وتشكلت وزارة جديدة فى ٢٤ فبراير من الوطنى الاتحادى والامة والجنوبيين والشعب الديموقراطى وجبهة الميثاق الاسلامى والحزب الشيوعى ، واستبعد ممثلو الجبهة الوطنية للهيئات وممثلو العمال والمزارعين ٠٠ وخلال ازمة تشكيل الوزارة استعرض اليمين قوته وفتل عضلاته ٠ اذ استقدم حزب الامة ٣٠ ألفا من الانصار لام درمان ٠٠ **وهكذا بدأت عملية اجهاض اكتوبر** ، واخذت القوى المضادة للثورة تعصف بكل شعارات الثورة وتخطط لردة كاملة ٠٠ فجاءت انتخابات ابريل ١٩٦٥ فى صالح اليمين ـ وكان حزب الشعب الديموقراطى قد قاطعها ـ وحصل الحزب الشيوعى على احدى عشر مقعدا فى الجمعية التأسيسية ، مشكلا بذلك قوة المعارضة الرئيسية ٠٠ وتألفت وزارة يمينية برئاسة **محمد محجوب** ائتلف فيها الامة والوطنى الاتحادى ٠٠

وانفردت القوى المضادة للثورة بالسلطة وأخذت تبطش بكل فصائل الثورة ومعتمدة على البرلمانية الزائفة أخذت تعيد الحياة الى كل نواحى النشاط الرجعى والاجنبى ٠ وفتحت أبواب السودان على مصراعيها لرأس المال الاجنبى ، وازدادت عمليات

القهر فى الجنوب فى نفس الوقت الذى سمح فيه للقوى الاجنبية بحرية النشاط فأخذت الدوائر الامريكية والالمانية الغربية والاسرائيلية تدعم التمرد فى الجنوب ليستمر خنجرا يستنزف كل طاقات الشعب وقدراته . وخيم على البلاد جو رهيب ، فاضطهد الحزب الشيوعى واعلنت الحرب عليه وعلى كل القوى الاشتراكية والوطنية الديمقراطية ، وحيكت المؤامرات لتفتيت وحدة المنظمات الديموقراطية وفى مقدمتها اتحاد نقابات العمال الذى كان يمثل دائما الصخرة التى عليها تكسرت موجات الهجوم الرجعى والاستعمارى . وعبئت كل الجهود الرجعية مدعمة دعما كاملا من قبل الامبرياليين والامريكيين خاصة لفرض دستور رجعى على البلاد ، ونشطت دعوة لاشراك السودان فيما يسمى بالحلف الاسلامى الذى كان يراد به أن يكون بديلا لحلف بغداد .

ولكن القوى الثورية ـ بكل فرقها وفصائلها ـ بدأت المقاومة ، وهى أكثر قوة وقدرة مستمدة من أكتوبر العديد من الدروس ومعتمدة على جماهير الشعب الذى أثرت فيه حركة اكتوبر أثرا عميقا لم يعد من السهل ازالته . وفى أغسطس ١٩٦٨ بدأت الموجة الثورية تهدر من جديد ، عندما اعلن اتحاد نقابات عمال السودان الاضراب العام .. وتحول الاضراب العام الى إنتصار سياسى للطبقة العاملة على حكم اليمين ، الذى أخذت الخلافات الداخلية تمزقه ، والفساد ينخر فى عمده ، والازمة الاقتصادية تحيل ميزانيته الى خزينة مفلسة تعيش يوما بيوم على القروض الاجنبية .

وفى نفس الوقت كانت الطلائع الثورية فى القوات المسلحة ـ ومستفيدة من اكتوبر ـ عندما تركت الشارع بعد حصار القصر والاتفاق بين المتفاوضين خاليا من القوة المسلحة الثورية فى مواجهة القوة المسلحة الرجعية ، أخذت هذه الطلائع تعد العدة للاستيلاء على السلطة لاستكمال «اكتوبر» واعلان ثورة شعبية ، وتم فى ٢٥ مايو ١٩٦٩ استيلاء هذه القوى على السلطة بواسطة الفرقة الثورية فى القوات المسلحة .. وبدأت مرحلة جديدة من مراحل الثورة ، مرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية الهادفة الى بناء الاشتراكية فى السودان . لقد غير مايو وجه الحياة فى السودان وأعاد الحياة الى ثورته .. ووضع السودان قوة ثورية جديدة ضمن الحركة الثورية العالمية ..

ان يوم ٢٥ مايو كان هو تصحيح لما حدث فى اكتوبر عندما لم تستول القوة الثورية فى القوات المسلحة بالاعتماد على القوى الشعبية على السلطة ، وعندما لم تضرب اليمين بكل قوة ، وتسقطه من السلطة ، لانه لا يمكن حماية أى ثورة الا بسلطة ثورية، وما بعد ٢٥ مايو هو السير فى طريق استكمال الثورة الوطنية الديموقراطية باعتبارها المرحلة الضرورية لارساء الاسس المادية لبناء الاشتراكية فى السودان .



بريطانيا ١٩٤٠
عملية أسد البحر



محمود عزمي

عقب استكمال عملية الجلاء عن «دنكرك» فجر يوم ٤ يونيو ، وقف «تشرشل» فى مجلس العموم مساء نفس اليوم ، يخطب قائلا : « علينا ان نكون حريصين للغاية فى الا ننسب الى عملية الانقاذ هذه صفات النصر ، فالحروب لا تكسب بعمليات الجلاء .. وقد قيل لنا ان « الهرهتلر » لديه خطة لغزو الجزر البريطانية ، ولكن هناك من فكر فى هذا من قبل ، وذلك عندما وقف « نابليون » لمدة عام كامل فى ميناء « بولونى » بقواربه المسطحة القاع وجيشه الكبير وقد قال له أحدهم وقتئذ « ان هناك أعشابا بحرية مرة فى انجلترا » ، وان هناك لا شك عدد أكبر من هذه الاعشاب الان منذ أن عادت قوات الحملة البريطانية .. وعلى الرغم من ان مساحات ضخمة من اوروبا ، ومن ان دولا عريقة ومشهورة كثيرة قد سقطت أو قد تسقط فى قبضة « الجستابو » وتحت وطأة جهاز الحكم النازى الرهيب ، فاننا لن نضعف ولن نستسلم ، بل سنمضى فى القتال حتى النهاية .. وسندافع على جزيرتنا ، مهما كان الثمن غاليا ، سنقاتل على الشواطىء ، سنقاتل عند أماكن الهبوط من الجو ، سنقاتل فى الحقول وفى الشوارع ، سنقاتل فى التلال ، ولن نستسلم ابدا .... » (١)

ولكن « هتلر » فى ظل اقتناعه الشديد بامكانية التوصل الى « ميونيخ » أخرى ، ولانه كان « لا يستطيع أن يتصور أحدا فى انجلترا مازال يعتقد جديا فى النصر » [٢] ، فقد اعتبر اقوال « تشرشل » هذه « مجرد عبارات بليغة تصدر عن خطيب موهوب » (٢)

ولكن الشعب البريطانى و « تشرشل » كانا قد عقدا العزم فعلا على الصمود فى مواجهة التحدى

---

[١] Churchill. «The Second World War» — 3 — «The Fall of France», London, Cassell, 1968, 104, 105.

[٢] Shirer, William. «The Rise and Fall of the Third Reich», New York, Crest Books, 1964, P. 987, 983.

النازى ؟ ومضيا يستعدان لمواجهة احتمالات الغزو الالمانى للجزيرة البريطانية ، فضلا عن احتمالات الهجوم الجوى ، وكان اشد ما يقلق «تشرشل» والقيادة العسكرية خلال الاسابيع الاولى التى تلت « دنكرك » بالاضافة الى قلة الاسلحة المتوفرة للجيش البرى « القوة المميتة التى تتميز بها المبادرة الالمانية » (٣) وهى القوة التى أثبتها اجتياح « النرويج » واختراق الجبهة الفرنسية فى « سيدان » فى أبريل ومايو ١٩٤٠، ولذلك نجد تشرشل يقول « ترى أى شىء آخر قد أعدوه ونظموه ؟ هل ينقضون علينا فجأة من السماء بأسلحة جديدة ، بوساطة خطط متقنة وقوة هائلة كاسحة فوق جزيرتنا المفتقرة كلية الى المعدات والاسلحة فى نقطة او اكثر من النقاط التى تصلح لانزال القوات ؟ » (٣)

وبدأت نتيجة لذلك سلسلة من الاجراءات والقرارات السريعة من أجل تعزيز الدفاع عن الجزر البريطانية ضد احتمالات الغزو البحرى وانزال القوات المحمولة جوا فضلا عن مواصلة تعزيز وسائل الدفاع الجوى المختلفة لمواجهة الهجوم الجوى المتوقع من جانب « اللفتوات » .

ويشير تشرشل « فى مذكراته الى أنه بدأ فى اتخاذ هذه القرارات ابتداء من يوم ٦ يرنيو ، والتى تضمنت مجموعة كبيرة من الواجبات المختلفة، بعضها يتعلق بتخزين المواد الاستراتيجية والتموينية وبعضها يتعلق باستحضار قوات من الهند واستراليا لتعزيز قوات الجيش النظامى ، وبعضها بالاسراع فى تنفيذ برامج انتاج الطائرات بعد أن انشأت وزارة خاصة بانتاج الطائرات عهد بها الى اللورد « بيفربروك » ، وبعضها يتصل بالتركيز السريع على بحوث وانتاج المعدات الالكترونية اللازمة للدفاع الجوى الخ ، كما بدأت عمليات اعادة تسليح وتنظيم قوات الجيش النظامى خاصة العائدة منها من «دنكرك» ، فضلا عن قوات الجيش الاقليمى ، كما بدأ التنفيذ الفورى لاقتراح « ايدن » الخاص بتشكيل الحرس الوطنى والذى كان قد قدمه فى اجتماع مجلس الوزراء يوم ١٣ مايو السابق ، وعكف الجنرال « ايرونسايد » القائد العام لقوات الوطن على وضع خطة مفصلة للدفاع عن بريطانيا ثم عرضها على هيئة اركان الحرب وعلى تشرشل يوم ٢٥ يونيو ، حيث قاموا بدراستها وأدخلوا عليها العديد من التعديلات والاضافات المستمرة طوال الأسابيع والشهور التالية ، وكانت الفكرة العامة لهذه الخطة تتلخص فى ثلاثة عناصر أساسية ، أولها اقامة قشرة دفاعية مكونة من سلسلة من الخنادق المليئة بجنود المشاة المسلحين بالاسلحة الخفيفة والاسلحة المضادة للدبابات فى جميع النقاط المحتمل غزوها على طول الشاطىء الشرقى والجنوبى للجزيرة البريطانية تعززهم قوات احتياطية محلية خفيفة الحركة للقيام بهجمات مضادة فورية فى المناطق المهددة بالاختراق ، وثانى عناصر هذه الخطة هو اقامة خط من الحواجز المضادة للدبابات ، وهو الخطر الذى كان تشرشل يخشاه كل الخشية على ضوء ما حدث فى فرنسا وبسبب قلة المدافع المضادة للدبابات ، يمتد على طول الساحل الشرقى والجنوبى ويقوم على حراسته رجال من الحرس الوطنى تعززهم وحدات من السيارات المدرعة التى تحمى مداخل « لندن » والمراكز الصناعية الكبيرة الاخرى ، أما العنصر الثالث من الخطة المذكورة فيتمثل فى حشد عدد من الفرق والفيالق وراء هذا الخط الثانى لتشكل الاحتياطى الرئيسى الذى سيقوم بالهجوم المضاد الاساسى على ضوء التطورات الاولى من المعركة .

لقد اعتمدت هذه الخطة فى الاساس على تشكيل قوات احتياطية متحركة سواء على المستوى المحلى، او على المستوى العام للقيام بالهجمات المضادة اللازمة فور نجاح العدو فى انشاء رأس جسر لقواته المنزلة على اى نقطة من الشاطىء أو فى حالة نجاحه فى اختراق خط الدفاع الاول أو الثانى ، وذلك لان اقامة خط قوى من الدفاعات الثابتة على طول شواطىء انجلترا البالغ طولها نحو ٢٠٠٠ ميل كان أمرا مستحيلا لذلك اكتفى بتوزيع نقط مراقبة متفرقة مهمتها القيام بقتال تعطيلى فحسب لحين وصول القوات الاحتياطية المتحركة وقيامها بالهجمات المضادة هذا فضلا عن أن خبرة معركة فرنسا من حيث سوء توزيع القوات الفرنسية وعدم وجود القوات الاحتياطية الكافية لمواجهة اختراق المدرعات الالمانية لخط الجبهة المتصلة ، كانت لا تزال ماثلة فى أذهان القادة البريطانيين وتشرشل بالذات ، الذى نجده يقول فى هذا الصدد « اننا لم ننس قوات المناورة » . ولقد طبقت هذه السياسة التى كانت منطبعة فى ذهنى بشكل دائم الى اقصى مدى تسمح به مواردنا المتزايدة » (٤)

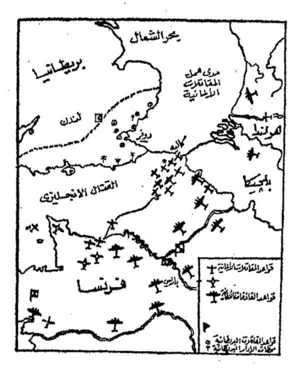
وكان على الجنود الموزعين على القشرة الخارجية للدفاعات أن يصمدوا فى مواقعهم حتى تصلهم نجدة قوات الاحتياطى المتحركة سواء كان الهجوم آتيا من البحر او من الجو ، اما فى حالة انقطاع سبل المعاونة الفورية عن هذه الوحدات الامامية فقد اعدت الخطط العملية اللازمة

---

[٣] تشرشل — المذكرات — سقوط فرنسا — المرجع السابق — صفحة ١٤٤.
[٤] تشرشل — المرجع السابق صفحة ٢٥٨ ، ١٥٧ ، ٢٤٣ ، ٢٤٨ .

لانسحابهم من مواقعهم على أن يستمر نشاطهم فى مؤخرة العدو المتقدم ،كما أعدت الخطط اللازمة لنسف وتخريب الطرق والجسور والمنشآت الهامة فور وقوعها فى أيدى العدو ، الا أن هذه الخطط كانت بعيدة عن تطبيق سياسة « الارض المحروقة » كما يقول تشرشل » (٤)

ونتيجة لذلك قسمت بريطانيا وشمال ايرلندا الى سبع قيادات مناطق ، وقسمت كل منطقة منها الى قيادات فيالق وقيادات فرق ، وكان بكل قيادة من هذه القيادات المختلفة قوات احتياطية متحركة تمثل النسبة الغالبة من قواتها مع ترك الحد الادنى من القوات اللازمة للدفاع عن الدفاعات الثابتة ، وقد بلغ عمق هذه المناطق الدفاعية فى كثير من الحالات نحو ١٠٠ ميل ، ووراء هذا كله كان يوجد الحاجز الرئيسى المضاد للدبابات ، ويلى ذلك الاحتياطى الرئيسى الخاضع مباشرة للقيادة العامة للدفاع عن الوطن وفضلا عن ذلك كله فقد جرى تحصين الموانى فى الشاطئين الشرقى والجنوبى بحيث يصبح كل ميناء قادرا على الدفاع عن نفسه ضد أى هجوم من البحر او البر او الجو ، كما جرى تدعيم وتعزيز المدفعية الساحلية فى مضيق «دوفر» المواجه لشاطىء فرنسا القريب عند « كاليه » و « كاب جرينيه » ، خاصة وأن تقارير المخابرات والاستطلاع كانت تؤكد قيام الالمان بوضع عدد كبير من بطاريات المدفعية الساحلية بعيدة المدى فى تلك المنطقة بهدف السيطرة على مضيق « دوفر ــ كاليه » واعاقة حركة الملاحة البريطانية بين « المانش » و « بحر الشمال » فضلا عن امكان استخدامهم لتلك المدفعية فى حماية أية محاولة للغزو تتم عبر المضيق بوساطة الصنادل والسفن الصغيرة من تدخلات الاسطول البريطانى ، هذا وقد بلغت جملة هذه المدافع الالمانية فى منتصف سبتمبر ١٩٤٠ ٢٩ مدفعا ، منها ١٤ مدفعا من عيار « ١٧ سم » ، ومدفعان عيار « ٢٤ سم »و٦ مدافع عيار ٢٨ سم ، و ٣ مدافع عيار « ٣٠ سم » ، ٤ مدافع عيار «٣٨ سم».ولذلك اهتم تشرشل والقيادة العسكرية البريطانية بحشد عدد كبير من المدافع الساحلية الثابتة والمتحركة لمواجهة هذا الخطر بسرعة وبتحصين منطقة « دوفر » [٥] ولهذا فقد بلغت جملة المدافع الساحلية البريطانية فى هذه المنطقة فى أوائل سبتمبر ١٩٤٠ ، ٢١ مدفعا بعضها كان مركبا على عربات سكة حديد ، وازاء خشية اعمال التخريب التى قد تترتب من عمليات الطابور الخامس المحتمل وجوده فى البلاد أو من جماعات فدائية من المظليين ، جرى



تشكيل حاميات صغيرة خاصة لحراسة نحو ٣٧٥ مطارا ومحطة رادار ومستودع وقود كانت موجودة وقتئذ فى الجزر البريطانية ، فضلا عن قيام رجال الحرس الوطنى بحراسة آلاف من المنشآت الحيوية الاخرى مثل الجسور ومحطات القوى الكهربائية والمصانع الخ ، ونظرا لقلة الاسلحة التقليدية المضادة للدبابات فقد اهتم « تشرشل » بابتكارات منشأة التجارب الحربية التى كان يشرف عليها ضابط نابغة برتبة رائد يدعى « جيفريز » وتم نتيجة لذلك فى أوائل يونيو اجراء التجارب على قنبلة يدوية شديدة الانفجار تلقى على الدبابة فتلصق فورا بسطحها ،ثم تنفجر اثر ذلك محدثة تأثيرا فعالا عليها ، ثم بدأ انتاجها فى الشهر التالى ليستخدمها الجنود ورجال الحرس الوطنى عند الضرورة ، كما تم اقامة واعداد مختلف انواع العوائق اللازمة ضد عمليات انزال القوات المحمولة جوا سواء بالطائرات الشراعية أو بالمظلات فوق آلاف الاميال المربعة من أراضى الجزر البريطانية ، وشرعت المخابرات فى اعداد جهاز سرى من المتطوعين المستعدين لمباشرة عمليات المقاومة السرية فى المناطق التى قد يحتلها الالمان حال قيامهم بالغزو ، وقام هذا الجهاز باعداد الكثير من المخابىء السرية فى مختلف انحاء بريطانيا وتزويدها بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية والالغام والعبوات الناسفة وأجهزة اللاسلكى وآلات الكتابة والطباعة

---

[٥] تشرشل ــ المذكرات ــ الجزء٢ ــ المرجع السابق ــ صفحات ٢٤٣ ،٢٤٨ .

ومختلف اللوازم لتقوم بمباشرة مثل هذا النشاط فور احتلال العدو لاحدى المناطق ، وقد بقى وجود نشاط هذا الجهاز مجهولا خارج الدائرة الضيقة للمتصلين بنشاطه والاشراف عليه طيلة فترة الحرب كلها .

وقد استصدرت الحكومة فى ٢٢ مايو قانونا من البرلمان يعطيها سلطة اتخاذ ماتراه لازما من اجراءات ماسة بالملكية الفردية لمباشرة واجبات الدفاع ، كما أعطى وزير العمل سلطة تجنيد العمال او أى شخص ذى كفاءة معينة لاداء مهمات لازمة لتنفيذ متطلبات الدفاع مقابل اجور عادلة نظمها القانون ، كما أصبح للحكومة حق الاشراف من الناحية المالية على جميع المؤسسات التجارية والصناعية والبنوك وزيدت الضريبة على الدخل بنسبة ١٠٠ فى المائة والزم أصحاب الاعمال بتقديم دفاترهم الحسابية للتأكد من أرباحهم وصحة تقديرات الضرائب ، وتم أيضا تكوين مجلس للانتاج لتنظيم الانتاج وتطويره وفقا لتطلبات الحرب [٦] هذا وقد اقبل جنود الجيش النظامى والجيش الاقليمى ورجال الحرس على التدريب والاستعداد للقتال بحماس شديد ، كما أقبل العاملون فى المصانع وغيرها من المنشآت على العمل بنشاط لخدمة المجهود الحربى ، وتشكلت بسرعة فرق الدفاع المدنى النظامية تعاونها مجموعات كبيرة من المتطوعين المدنيين .

ونتيجة لذلك كله بدأت الاسلحة الجديدة تتدفق من المصانع لاعادة تسليح الجيش والطيران ، وتم انتاج ٢٥٠ دبابة جديدة حتى آخر اغسطس ،فضلا عن انتاج نحو ١٤٠٠ طائرة مقاتلة « سبيتفير » و « هاريكين » خلال شهور يونيو ويوليو وأغسطس ، ولذلك استطاعت قيادة المقاتلات أن تكون على درجة حسنة من الاستعداد عند بدء المعركة الجوية الرئيسية فى منتصف أغسطس ، كما استطاعت قيادة الجيش أن توفر من القوات النظامية حسنة التدريب والتسليح فى المناطق المهددة بالغزو عند الشاطىء الجنوبى المطل على المانش ست عشرة فرقة من بينها ثلاث فرق مدرعة ، فضلا عن القوات الاخرى الموجودة فى خط الدفاع الساحلى الثابت السابق الحديث عنه (٦) وذلك خلال النصف الاخير من شهر سبتمبر ١٩٤٠ ، كما ارتفع عدد متطوعى الحرس الوطنى فى نفس الفترة الى أكثر من مليون مقاتل .

ولكن الامر الذى نود أن نوضحه بصدد استعدادات بريطانيا هذه شعبا وحكومة لمواجهة احتمالات الغزو الالمانى أو الهجوم الجوى عقب هزيمة فرنسا ، ان هذه الاستعدادات بصفة عامة ونظرا للتراخى السابق من جانب حكومة « تشمبرلين » طوال الشهور الاولى للحرب ، لم يكن من الممكن أن تصل الى الحد الادنى اللازم لفاعليتها الا فى نهاية أغسطس تقريبا بل وربما منتصف سبتمبر ايضا ، كما هو واضح من خلال العرض السابق وخاصة بالنسبة للمساعدات العسكرية الامريكية ، ويتضح هذا جليا خاصة بالنسبة لمسألة اعادة تسليح الجيش البرى والحرس الوطنى وبالنسبة لتدعيم قوة البحرية من المدمرات ، بل انه يتضح ايضا حتى بالنسبة لوسائل الدفاع الجوى ، اذ أن جزءا هاما وجوهريا من المنشآت الفنية المختلفة من خطوط المواصلات الاشارية ونقاط المراقبة وغرف عمليات القطاعات والمحولات فضلا عن محطة الرادار الجديدة والمطارات الجديدة ، واللازمة لتغطية الشاطىء الانجليزى من قناة « بريستول » حتى ميناء « سكابافلو » فى شمال اسكتلندا ، والتى لم يكن يمكن للمقاتلات البريطانية أن تعمل بدونها بالكفاءة النوعية المطلوبة ، لم يتم اعداده الا بعد « دنكرك » بعدة اسابيع ! . ويقول « شستر ويلموت» فى هذا الخصوص مؤكدا هذه الحقيقة « وبينما كانت أطقم الانشاء وجماعات المهندسين منهمكة ليلا ونهارا طيلة يونيو وحتى نصف يوليو لاتمام انشاء هذه التوسعات ، كانت القواعد البحرية والموانىء الواقعة غرب « سولنت » تفتقر الى الحماية القوية ، ولكن كلما كان ينقضى أسبوع من تلك الاسابيع التى فقدها « هتلر » فى « الانتظار » كلما كان مدى تعرضها للهجوم الجوى يقل ، لقد كانت هذه الاسابيع التى ساد فيها الهدوء النسبى فى الجو شيئا ثمينا للغاية لا يقدر بثمن ، فلقد منحت قيادة المقاتلات الفرصة ، ليس فقط فى استعادة قوتها ومد سلسلة دفاعاتها ، وانما أيضا فى التغلب على بعض نواحى النقص الفنية التى ظهرت أثناء معركة فرنسا ، فقد زيدت كفاءة عمل المقاتلات « الهاريكين » و « السبيتفير » بوساطة تزويدها بمراوح ذات سرعة ثابتة وزيادة قوة تحملها .. ومع هذه التحسينات أصبح هناك سبب منطقى فى الامل .. فى أن تتمكن قيادة المقاتلات من الاحتفاظ بالميزة الكلية لافضلية النوع أو الكيف ، وهى الميزة التى كان يتوقف عليها الكثير فى المعركة الجوية المتوقع نشوبها قريبا » (٧)

---

[٦] تشرشل — المرجع السابق —صفحات ٢٤٩ ، ٢٦٦ .

[٧] Wilmot, Chester. «The Struggle for Europe», Collins, Fontana Books, London, 1966, P. 41.

ويؤكد « تشرشل » نفس الحقيقة في مذكراته حيث يقول « وعندما انقضى شهرا يوليو وأغسطس دون ان تلحق بنا اية كارثة ، هدأت نفوسنا بعض الشيء وازدادت ثقتنا في أننا سنستطيع أن نخوض حربا طويلة وشاقة » (٨) تلك هي بصفة عامة وبشكل موجز للغاية كانت صورة واوضاع الاستعداد العسكرى والمعنوى التى كان الشعب البريطانى يباشرها خلال صيف ١٩٤٠ انتظارا للغزو الالمانى وللهجوم الجوى والبحرى المتوقع من جانب المانيا النازية حال تأكدها من عدم جدوى انتظار التوصل الى تسوية سلمية انهزامية مع بريطانيا ، والان سننتقل الى الضفة الاخرى من القتال الانجليزى ، أو الى الجانب الاخر من التل كما يقال ، لنعرف كيف كان العدو الالمانى يفكر ويخطط .

عملية « أسد البحر »

فى يوم ١٧ يونيو ١٩٤٠ ، أى فى اليوم الذى طلب فيه الماريشال « بيتان » الهدنة من « هتلر » اثر انهيار فرنسا العسكرى بالكامل خلال المرحلة الثانية والاخيرة من معركتها التى بدأت يوم ٥ يونيو ابلغ الكولونيل « ووليمونت » نائب الجنرال « جودل » مدير ادارة العمليات فى القيادة العليا للقوات المسلحة الالمانية ـ قيادة البحرية الالمانية أنه « فيما يتعلق بالانزال فى « بريطانيا » فان الفوهرر « .. لم يظهر حتى الان أية نوايا من هذا القبيل .. ولهذا لم يتم حتى الان أى عمل تحضيرى من اى نوع فى القيادة العليا للقوات المسلحة » (٩) . وبعد أربعة أيام أخرى ، أى فى يوم ٢١ يونيو حين كان « هتلر » يذل وفد المفاوضات الفرنسى برئاسة الجنرال « هونتزيجر » فى عربة السكة الحديد التى جرت مفاوضات الهدنة فيها فى غابة «كومبيين» ، وهى نفس العربة والمكان الذى وقعت فيهما المانيا الهدنة عام ١٩١٨ ، أبلغت قيادة البحرية مرة أخرى أن « هيئة أركان حرب الجيش لا تشغل نفسها فى مسألة « انجلترا » » وهى تعتبر ان تنفيذ الغزو مستحيلا ، وحيث ان هيئة اركان الحرب لاتعرف كيف يمكن اجراء عملية الغزو من ناحية المنطقة الجنوبية ، فانها لذلك ترفض هذه العملية » [٩] .

وفى ٣٠ يونيو كتب الجنرال « جودل » فى يومياته يقول « ان الانتصار الالمانى النهائى على « انجلترا » اصبح الان مسألة وقت ليس الا » (٩) وكان قد قدم الى « هتلر » فى نفس اليوم مذكرة بخصوص الخطوة المقبلة من الحرب بعنوان « مواصلة الحرب ضد انجلترا » اطلع عليها الاخير عقب عودته فى اليوم السابق من فرنسا ، وكانت هذه المذكرة تستند فى الاساس الى الفكرة العامة المسيطرة على « هتلر » وكبار قادته من أن الحرب قد وصلت الى نهايتها وان « المانيا » قد انتصرت فيها ، وانه «اذا كانت بريطانيا» لم تدرك بعد هذه الحقيقة ، فان اللجوء الى القليل من القوة يصبح لازما لتذكيرها بذلك » (٩) ثم مضت المذكرة بعد ذلك موضحة ان فرض الحصار على بريطانيا هو السبيل الى تحقيق هذا الهدف ، وان هناك ثلاث وسائل لفرض هذا الحصار تتبع فى خطوات متتابعة اولها شن حرب جوية وبحرية شديدة ضد الملاحة البريطانية ومستودعات التخزين والمصانع والسلاح الجوى الملكى البريطانى ، وثانيها شن غارات ارهابية على المراكز الآهلة بالسكان المدنيين ، وثالثها انزال قوات لاحتلال انجلترا نفسها ، وان مهاجمة السلاح الجوى البريطانى هى المسألة التى يجب أن تعطى الاسبقية الاولى عما عداها من الاهداف الاخرى سالفة الذكر ، لان استكمال تنفيذ هذه الخطوة الهامة سيؤدى متى تم متلازما مع تنفيذ الخطوة الثانية ، الا وهى الغارات الجوية الارهابية المتكررة والمصحوبة بحرب نفسية ، الى زيادة اضعاف قواعد الامداد بالمواد الغذائية ، وبالتالى سيؤدى فى النهاية الى « شل وتحطيم ارادة المقاومة لدى الشعب ، ومن ثم سترغم حكومته على الاستسلام » [٩] اما بالنسبة للخطوة الثالثة وهى انزال القوات البرية فى الجزر البريطانية عن طريق البحر ، فقد اعتبرتها مذكرة « جودل » مسألة لا يمكن التفكير فيها جديا الا فى حالة حصول المانيا على السيطرة الجوية ، واستطردت موضحة أن « الانزال البحرى يجب الا يتخذ من اخضاع انجلترا عسكريا هدفا له . لان تلك مهمة يمكن أن يعهد بها الى القوة الجوية والبحرية ، وانما يجب أن يكون هدفه على الاصح هو توجيه الضربة القاضية الى انجلترا التى ستكون قد اصبحت مشلولة اقتصاديا بالفعل ، ولم تعد قادرة على الاستمرار فى القتال فى الجو ، وهذا كله فى حالة اذا ما كانت مثل هذه الضربة مازالت ضرورية ، ثم مضى « جودل » يقول « ولما كانت انجلترا لا يمكنها مواصلة القتال أكثر من ذلك من أجل أن تحقق النصر ، وانما هى تقاتل فقط من أجل الحفاظ على ممتلكاتها وعلى سمعتها الدولية فانها لابد أن تكون وفقا لجميع التوقعات ميالة الى عقد

[٨] تشرشل ـ المذكرات الجزء ٣ « سقوط فرنسا » ـ المرجع السابق ـ صفحة ٢٤٨

[٩] وليم شيرر ـ نشأة وسقوط الرايخ الثالث ـ المرجع السابق ـ صفحة ٩٩٦ ، ٩٩٩ .

صلح ، عندما تعلم أنها لا تزال قادرة على الحصول عليه حتى الآن بثمن صغير نسبيا » [٩].

لقد أوضح « جودل » فى مذكرته هذه أن تفكيره وتفكير القيادة العسكرية الالمانية العليا يتفق كل الاتفاق مع تفكير « هتلر » نفسه سياسيا وعسكريا ، والذى كان قد سبق له أثناء اجتماع عقده فى دار المستشارية فى برلين يوم ٢٣ مايو ١٩٣٩ ليعرض فيه الخطوط الاستراتيجية العامة للحرب المقبلة على كبار قادته العسكريين ، أن قال بصدد مسألة الحرب ضد بريطانيا « لقد كان من الضرورى فى الازمنة السابقة لقهر انجلترا القيام بغزوها ، وذلك لانها كانت تستطيع أن تعتمد على نفسها فى غذائها ، أما الآن فانها لم تعد يمكنها تحقيق ذلك ، ولذا فانه فى اللحظة التى ستنقطع فيها المؤن ، ستكون انجلترا مرغمة على الاستسلام ، فاذا ما تم احتلال هولندا وبلجيكا بنجاح ، وتمت هزيمة فرنسا ايضا فأن الشروط الاساسية لشن حرب ناجحة ضد انجلترا ستكون قد توفرت ، وحينئذ يمكن ضرب الحصار على انجلترا من غرب فرنسا من مسافة قريبة بوساطة القوات الجوية ، وفى نفس الوقت تقوم البحرية بوساطة غواصاتها بمد نطاق ذلك الحصار ، ومتى تم ذلك فسوف لا يكون فى مقدور انجلترا أن تقاتل فى القارة الاوربية بينما الهجمات الجوية والبحرية اليومية تقطع شرايين حياتها » (١٠)

ونتيجة لسيطرة هذه الافكار على « هتلر » والقيادة الالمانية العليا بصفة عامة ، لم تقم هيئات اركان الحرب فى الاسلحة الثلاثة ، برغم ماعرف عنها من دقة بروسية متناهية فى وضع الخطط اللازمة لمواجهة كافة الاحتمالات المقبلة ، بوضع أية خطط تفصيلية جادة لغزو انجلترا سواء قبل نشوب الحرب أو أثناء مرحلتها الاولى التى أمتدت من سبتمبر ١٩٣٩ حتى يونيو ١٩٤٠ ، وذلك باستثناء خطة كانت هيئة اركان حرب البحرية قد فكرت فيها على نحو عام لايتسم بالجدية بناء على ايعاز من الاميرال « رايدر » فى ٢٥ نوفمبر ١٩٣٩ الذى أراد أن يحتاط لنفسه الى حد ما من احتمال مطالبة « هتلر » له بخطة لغزو بريطانيا فى احدى نوباته السياسية المتقلبة المفاجئة ، كما أن قيادة الجيش كانت قد فكرت هى الاخرى فى يناير ١٩٤٠ فى خطة من هذا القبيل ، ولكن قيادة كل من البحرية والطيران رفضتها تماما لعدم واقعيتها وجديتها المتمثلة فى تجاهلها لقوة الاسطول والطيران البريطانى ، ولذلك علقت عليها هيئة أركان حرب السلاح الجوى بقولها « ان عملية مشتركة تهدف الى الانزال فى انجلترا يجب أن ترفض رفضا قاطعا [١١] ».

بل الواقع أن « هتلر » والقيادة الالمانية العليا لم يأخذا فكرة حرب الحصار ضد بريطانيا مأخذ الجد سواء قبل نشوب الحرب أو بعد نشوبها فعلا خلال مرحلتها الاولى ، ويتضح هذا من حقيقة أنه لم يتم اعداد الوسائل المادية اللازمة لتنفيذ مثل هذه الاستراتيجية على النحو الملائم كما ونوعا .

ويؤكد « شيستر ويلموت » هذه الحقيقة فيقول « لقد بدأت المانيا الحرب وليس لديها سوى ٥٧ غواصة ، ولكن « دونتز » ــ قائد أسطول الغواصات وقتئذ ــ كان قد قدر وبعد نظر سليم ، أن الامر يتطلب أسطولا لا يقل عدده عن ٣٠٠ غواصة قبل أن يمكن احداث الضغط الفعال على انجلترا .. وبحلول يوليو ١٩٤٠ كانت هناك ١٧ غواصة بعيدة المدى قد فقدت ، وانخفضت بذلك القوة الممكن استخدامها فورا للعمليات فى الاطلنطى الى ٦ غواصات فقط . كما كان السلاح الجوى الالمانى يفتقر هو الآخر الى القوة اللازمة لغرض الاختناق الاقتصادى ، فلقد أنشىء أساسا لتحقيق المعاونة المباشرة للجيش ، ليعمل « كمدفعية جوية » ، ولم يكن معدا سواء للقصف الاستراتيجى ، أو لشن حرب ضد السفن . وبالنسبة للقصف الليلى للاهداف البعيدة المدى ، لم يكن لدى السلاح الجوى « للفتواف » الاطقم المدربة على ذلك ، ولا الاجهزة الفنية اللازمة لتحقيق نتائج دقيقة » (١٢) وسوف نتناول هذه المسألة فيما بعد بالتفصيل عند الحديث عن المعركة الجوية التى دارت فى سماء بريطانيا فى صيف وخريف ١٩٤٠ .

وفى ٢ يوليو ، أى بعد يومين من تقديم مذكرة « جودل » الى « هتلر » ، أصدرت القيادة الالمانية العليا للقوات المسلحة توجيها يقول « ان الفوهرر بصفته القائد الاعلى قد قرر ان النزول فى انجلترا ممكن بشرط الحصول على التفوق الجوى وتحقق بعض الشروط الضرورية الاخرى ، وان موعد بدء العملية لم يتقرر بعد ، ويجب الشروع فى كافة الاستعدادات اللازمة فورا ، ولكن يجب أن يجرى اتخاذ كافة الاستعدادات على أساس أن

---

[١٠] وليم شيرر ــ المرجع السابق ــ صفحة ٦٥١ ، شيستر ويلموت ــ الصراع من أجل اوروبا ــ المرجع السابق صفحة ٢٠ .

[١١] وليم شيرر ــ المرجع السابق ــ صفحة ٦٩٧

[١٢] شيستر ويلموت ــ المرجع السابق ــ صفحة ٢٤ ، ٢٥ .

الغزو مازال مجرد مشروع ، ولم يتخذ فى شأنه قرار نهائى بعد » (١٣) .

وفى ١١ يوليو دعا هتلر كبار قادة القوات المسلحة الى اجتماع فى الفيلا الخاصة به فى « اوبر سالزبرج » ليتبين مدى شعورهم تجاه فكرة غزو بريطانيا ، وقد دار حديث طويل فى هذا الاجتماع بين « هتلر » والاميرال « رايدر » استغرق معظم الجلسة استنفذ جزء هام منه فى بحث وسائل تدعيم القاعدتين البحريتين فى النرويج « نارفيك » و « توروندهايم » ! كما أكد « رايدر » خلاله أن حرب الحصار الجوى والبحرى هى الكفيلة بارغام انجلترا على قبول الصلح ، وقد انتهى « هتلر » فى هذا الاجتماع الى مشاركة « رايدر » رأيه فى أن « الغزو » اجراء سيتخذ فقط كسبيل أخير لاجبار « بريطانيا » على طلب عقد الصلح » (١٣) .

وفى ١٣ يوليو عقد « هتلر » اجتماعا آخر لمعاودة بحث المشكلة البريطانية فى مقر قيادته المسمى « بعش النسر » ، والواقع فوق قمة جبل قرب « برختسجادن » يبلغ ارتفاعه ٦٠٠٠ قدم ويطل على منظر طبيعى خلاب لجبال الالب ، وقد كتب الجنرال « هالدر » — رئيس أركان الجيش — فى يومياته فى تلك الليلة يقول بصدد مادار فى هذا الاجتماع « ان « الفوهرر » تستحوذ عليه الهواجس الشديدة فيما يتعلق بالتساؤل عن الاسباب التى تجعل انجلترا مازالت مصرة حتى الان عن اتخاذ سبيل الصلح ٠٠ وأنه يرى ونشاركه نحن رأيه هذا ان الاجابة على هذا التساؤل انما تكمن فى الحقيقة القائلة بأن انجلترا لاتزال تضع املها فى « روسيا » وبالتالى فهو يتوقع ايضا ان انجلترا ستجد نفسها مرغمة تحت تأثير القوة الى عقد صلح ، ومع ذلك فانه لا يرغب فى الاقدام على مثل هذا العمل ، وهذا للاسباب التالية : اننا اذا حطمنا انجلترا عسكريا ، فان الامبراطورية البريطانية سوف تتفسخ ، وأن المانيا ، على أى الاحوال ، لن تكون هى المستفيدة من هذا التفسخ ، وبهذا سنكون قد استخدمنا الدم الالمانى فى تحقيق أمر تفيد منه فقط اليابان وأمريكا وغيرها من الدول » (١٣)

وهكذا كان النسر النازى قابعا فى عشه الجبلى الموحش تنتابه الحيرة والهواجس فيما يتعلق بالاسباب التى تجعل فريسته غير راغبة فى الارتماء بين مخالبه ، وذلك بحكم انه لم يكن يرى فى خياله على الضفة الاخرى من المانش سوى أشباح « شمبرلين » و « حشرات ميونيخ » التى سبق ان سلمت له النمسا و تشيكوسلوفاكيا وبولندا الخ . ولم يستطع ان يتصور انه يواجه هذه المرة الشعب البريطانى نفسه و « تشرشل »

ثم أصدر الزعيم النازى ، الذى أقلقه عدم تحقق حدسه الاستراتيجى لاول مرة ، قراره الرسمى بالتحضير لغزو بريطانيا فى يوم ١٦ يوليو ١٩٤٠ الذى قال فيه « لما كانت « انجلترا » على الرغم من موقفها العسكرى الباعث على اليأس ، لا تبدى اية اشارة للرغبة فى التوصل الى اتفاق ، فقد قررت اعداد عملية انزال ضدها ، وتنفيذ هذه العملية اذا كان هذا ضروريا » [١٤] ، وقد اطلق على هذه العملية الاسم الرمزى « أسد البحر » — «Sea lion» — وتوضح لنا « اذا » الشرطية التى تضمنها هذا القرار مدى التردد وعدم الحسم الذى كان « هتلر » لايزال عليه ازاء مسالة الاستمرار فى الحرب ضد بريطانيا ، ولهذا نراه يخطب بعد ثلاثة أيام فى البرلمان الالمانى « الرايشستاج » محاولا ، فى مناورة ديماجوجية مفضوحة ، افتعال انقسام بين الشعب البريطانى وحكومته ، كجهد أخير منه فى مجال الضغط السياسى والنفسى على « بريطانيا » من أجل التمشى مع مخططاته العسكرية والسياسية العدوانية ، فيقول « اننى لا أسمع اليوم من « بريطانيا » سوى صوت واحد ، صوت الساسة لا صوت الشعب ، الذى ينادى بأن الحرب يجب أن تستمر ٠٠ صدقونى أيها السادة ، ان قلت لكم ، بأننى أشعر بتقزز عميق من هذا الطراز من الساسة غير المترددين فى جر بلاد بأسرها الى الدمار . وانى لاشعر بالالم عندما أفكر بأن القدر قد اختارنى لاوجه الضربة النهائية القاضية الى هذا الكيان الذى قام هؤلاء الرجال فعلا بهز قواعده وجعلها متداعية ، وليس هناك شك فى ان المستر « تشرشل » سوف يمضى الى « كندا » وقتئذ ، حيث أرسل هؤلاء الذين يهمهم أن تستمر الحرب ، بأطفالهم وأموالهم ، أما بالنسبة الى الملايين من الناس الاخرين فأية آلام كبيرة تلك التى سيتعرض لها فورا ٠٠ ويجب على المستر « تشرشل » ، أن يصدقنى ولو لمرة واحدة ، عندما اقول متنبئا بأن امبراطورية عظيمة سوف تدمر امبراطورية لم أكن أفكر مطلقا من قبل فى تدميرها أو حتى فى الحاق الاذى بها ٠٠ واننى لاشعر أن من واجبى فى هذه الساعة أمام ضميرى أن أناشد « بريطانيا العظمى » مرة

---

[١٣] وليم شيرر — المرجع السابق — صفحات ٩٨٨ ، ٩٨٩ .

أخرى الاحتكام الى العقل .. وأنني أعتبر نفسي في موقف يسمح لي بتوجيه مثل هذا النداء حيث أنني لست المهزوم الذي يستجدي عطفا ، وانما المنتصر الذي يتكلم بصوت العقل والمنطق .. « انني لا أرى مبررا يدعو لاستمرار هذه الحرب .. » (١٤)

وقد توقع غالبية من استمعوا الى هذا الخطاب ليلة ١٩ يوليو من أفراد الشعب الالماني وقادته العسكريين قبول بريطانيا لهذا الغرض السخي المقدم من « هتلر » ، ولذا اصيبوا بدهشة كبيرة حين استمعوا الى اذاعة « لندن » وهي تذيع بالالمانية في نفس الليلة رفض بريطانيا لهذا الخطاب !!

هذا وقد قامت الطائرات الالمانية من على ارتفاعات كبيرة في سماء بريطانيا بالقاء أعداد هائلة من المنشورات المتضمنة نسخا بالانجليزية من خطاب « هتلر » هذا ، الا أن الشعب لم يعر الامر اهتماما واستمر يعمل في هدوء وثبات أعصاب من أجل الاستعداد لمواجهة أخطار الغزو المتوقع حدوثه والهجوم الجوي الضخم المنتظر ، بينما شرعت قيادة الجيش الالماني وقيادة الاسطول في بحث تفاصيل عملية « أسد البحر » ، وكانت فكرة البحرية الالمانية تتلخص في اقامة ممر ضيق عبر « المانش » في اقصر مسافة ممكنة ، وحمايته من الجانبين بسياج من الالغام البحرية مع حماية خارجية من الغواصات ، ثم يتم نقل معظم وحدات الغزو خاصة قوات الموجة الاولى في صنادل تجرها زوارق جذب عبر القنال الانجليزي الى الشواطىء الجنوبية لانجلترا ، وذلك تحت ستار ستارة قوية من نيران المدفعية الساحلية من « كاليه » في اتجاه « دوفر » ، وتحت حماية كاملة من اللفتواف » (١٥) .

وكان الجيش يرى ان تتالف الموجة الاولى من ١٣ فرقة يتم انزالها على مواجهة عريضة تمتد من « رامسجات » عند « دوفر » تقريبا حتى خليج « لايم » على مقربة من « بلايموث » وهي مسافة يزيد طولها عن مائتي ميل ، على أن تتبعها موجة ثانية خلال الايام الاولى من الغزو تتكون من ٢٦ فرقة أخرى ، هذا فضلا عن انزال فرقتين محمولتين جوا ، وعلى أن يتم هذا كله تحت الحماية الجوية الكاملة وبتعاون تام مع قاذفات اللفتواف التي ستكون قوة النيران الاساسية اللازمة لتليين دفاعات البريطانيين ، وصد هجماتهم المضادة خاصة خلال الايام الاولى للغزو والى أن يتم تدعيم القوات المنزلة بالمدفعية اللازمة والدبابات الكافية وذلك نظرا لضعف النيران المعاونة التي يمكن أن تقدمها البحرية ان أمكنها أصلا القيام بهذا الواجب وعلى فرض عدم قدرة الاسطول الانجليزي على التدخل ، وقد اعترض « رايدر » بشدة على خطة الجيش الطموحة هذا وطلب تقليل عدد فرق الموجة الاولى وتضييق مساحة المواجهة الى اقل قدر ممكن لان امكانيات النقل والحماية اللازمة لعملية ضخمة كهذه لا تتوفر لدى البحرية الالمانية التي لم يكن متاحا لديها وقتئذ من السفن الحربية بعد خسائر عمليات « النرويج » سوى طراد ثقيل واحد وطرادين خفيفين و ٤ مدمرات و ٤٨ غواصة ، هذا فضلا عن نقل مثل هذه القوات التي سيصل عددها في الموجة الاولى فقط الى نحو ١٠٠ ألف جندي ، كان يفترض حشد نحو ١٠٥ سفينة نقل ، ١٦٦١ زورق بخاري ، ٤٧١ زورق جذب ، ١٧١٢ صندل نقل ، وكان يفترض طقسا مناسبا وبحرا هادئا اذ تغرق الصنادل والزوارق اذا كان الموج عاليا ، وقد أوضح « رايدر » لهتلر في يوم ٢٥ يوليو « أن حشد مثل هذا العدد الضخم من السفن سيدمر الاقتصاد الالماني ، حيث أن سحب مثل هذا العدد من الصنادل وزوارق الجذب البخارية سيدمر نظام النقل المائي الداخلي بأكمله ، الذي تعتمد عليه الحياة الاقتصادية للبلاد الى حد كبير » (١٦) ولذلك قدمت هيئة أركان حرب البحرية مذكرة في ٢٩ يوليو تنصح فيها « بعدم القيام بهذه العملية في هذه السنة ، وتقترح القيام بها في مايو ١٩٤١ او بعد هذا التاريخ » [١٦] .

وقد اعترض الجيش بشدة على مطالب البحرية من حيث انقاص عرض المواجهة واعتبر النزول على مواجهة ضيقة امرا مؤديا الى انتحار مؤكد ، ولذلك دعا « هتلر » الى اجتماع يوم ٣١ يوليو لبحث الموضوع مرة أخرى حضره كل من « رايدر » و « كايتل » و « جوديل » و « براوخيتش » و « هالدر » في فيلا خاصة في « اوبرسالزبرج » وقد استعرض « رايدر » اثر انعقاد الاجتماع كافة العقبات التي تكتنف العملية من حيث عدد السفن وخطورة حشد كل موارد النقل المائي الالماني على عمليات نقل الفحم والحديد والغذاء وصيد الاسماك ، ومع ذلك فقد أمره « هتلر » بالاستمرار

---

[١٤] وليم شيرر — المرجع السابق — صفحات ٩٩٠ ، ٩٩١ .
[١٥] مذكرات تشرشل — الجزء ٣ — المرجع السابق — صفحة ٢٧٠ .
[١٦] وليم شيرر — المرجع السابق — صفحات ١٠٠١ ، ١٠٠٣ .

فى الترتيبات اللازمة للغزو ثم انصرف اثر ذلك من الجلسة وعلى اثر ذهابه اخذ «هتلر» يؤكد شكوكه المتعلقة بامكانيات القيام بالعملية من الناحية الفنية ثم أردف قائلا « ان الغواصات والحرب الجوية يمكنها أن تقرر نتيجة الحرب ، وسوف يستغرق الامر على أية حال ، فترة تتراوح ما بين عام وعامين » (١٧) ثم استطرد « هتلر » بعد ذلك - وحسبما جاء فى يوميات « هالدر » - فى حديث طويل وهام يكشف عن حقيقة نواياه قال فيه ضمن ما قال « ان آمال « انجلترا » تتركز فى « روسيا » و « أمريكا » واذا ما تحطم أملها فى « روسيا » ، تحطم أملها فى امريكا » ايضا ، لانه سيترتب على ازالة «روسيا» زيادة قوة اليابان فى الشرق الاقصى الى حد كبير .. ولذلك فانه اذا سحقت « روسيا » ، انطفأ بالتالى أمل « انجلترا الأخير ، وعندئذ تصبح « ألمانيا » سيدة أوروبا والبلقان ، وبناء على ذلك تقرر الاتى : نظرا الى جميع هذه الاعتبارات ، يجب التخلص من « روسيا » فى ربيع ١٩٤١ ، وكلما كان تحطيمنا لروسيا أسرع كلما كان افضل ، ذلك لان هذه العملية لا تكتسب مغزاها فعلا الا اذا سحقنا هذه الدولة بضربة قوية واحدة » (١٧) . ثم استطرد موضحا انه يرى أن يبدأ الهجوم فى مايو ١٩٤١ وأنه سيستغرق نحو خمسة أشهر ليحقق أهدافه وانه كان يفضل القيام به خلال هذا العام ولكن ثبت عدم امكان ذلك حيث أن المفروض أن تتم العملية فى ضربة واحدة قبل أن يحل الشتاء . ثم قال انه تقرر نتيجة لذلك أن يصبح الجيش مكونا من ١٨٠ فرقة تخصص ٪ ١٢٠ فرقة منها للهجوم على روسيا ويحتفظ بالستين فرقة الاخرى للدفاع عن الغرب واسكنديناقيا بواقع ٥٠ فرقة فى فرنسا و ٧ فرق فى النرويج و٣ فرق فى بلجيكا وهولندا [١٨] .

ويضيف « هالدر » عبارة بالغة الاهمية فى يومياته يقول فيها « ان ترتيبات الهجوم يجب أن تجرى تغطيتها أى تمويهها كى تبدو وكأنها مشاريع عمليات ضد جبل طارق بالاشتراك مع أسبانيا ، وضد شمال افريقيا او مصر بالاشتراك مع الايطاليين وضد انجلترا » (١٩) .

ويعلق « لورنس تمبسون » على ما سجله « هالدر » لما دار فى هذا الاجتماع ، الذى يمثل انعطافا خطيرا وحاسما فى مجرى الحرب وتطوراتها اللاحقة ، فيقول « ان كل الاحداث التى تلت ذلك الاجتماع كافية الى حد كبير لاقناع المرء أنه مع بعض الانحرافات والتغيرات فى الرأى ، كانت هذه هى الخطة التى اتبعها « هتلر » من الان فصاعدا ، ولقد أصبح غزو « بريطانيا » بالنسبة له فى احسن الاحوال مجرد مسألة ثانوية ، وليس أكثر من تغطية « Camouflage » لغرضه الحقيقى وهو الهجوم على روسيا » ! (١٩) .

ويقول « وليم شيرر » معلقا على هذا الاجتماع « ومضى « هالدر » فى اليوم التالى ، ١ أغسطس يعمل مع أركان حربه فى أعداد الخطط اللازمة ، وعلى الرغم من زعمه بعد ذلك ، بانه قد عارض فكرة الهجوم على « روسيا » باعتبارها عملا جنونيا ، ولكن يومياته التى كتبها فى تلك الفترة تكشف عن الحماس الكامل الذى اندفع ينفذ به المهمة الجديدة التى كلف بها ، واخذ التخطيط للحملة الجديدة يقطع أشواطا بعيدة بكل ما هو معروف عن الالمان من اتقان نموذجى فى العمل » (٢٠) .

وفى يوم ٦ سبتمبر اجتمع « هتلر » مع«رايدر» وتحدث معه باسهاب عن كل موضوع فيما عدا موضوع عملية « أسد البحر » ! وكتب « رايدر » فى يومياته فى تلك الليلة يقول «لم يتخذ قرار الفوهرر بالنزول فى انجلترا شكلا قاطعا بعد ، حيث أنه واثق كل الثقة من أن هزيمة بريطانيا يمكن أن تتحقق دون اللجوء الى النزول فيها » (٢٠) .

ولو كان « تشرشل » أو قادته العسكريون أو أفراد الشعب البريطانى يعرفون ماذا كان يجرى فى الجانب الاخر من التل كما يقال فى لغة العسكريين، أى لو كانوا قد علموا بما كان يجرى بين « هتلر » و « رايدر » فى ذلك اليوم لما كانوا قد قرعوا أجراس الكنائس مساء اليوم التالى ، ٧ سبتمبر ١٩٤٠ ، كانذار بأن الغزو بات وشيك الوقوع ، وذلك بسبب الغارات الجوية الرهيبة التى شنتها ٦٢٥ قاذفة ألمانية تحرسها ٦٤٨ مقاتلة على لندن مساء ذلك اليوم والتى ظن أنها تقديم ارهابى لعملية الغزو المنتظر منذ شهر يونيو ، ولما كانت الجسور التى نسفت فى ذلك اليوم نسفت والاصابات التى وقعت لكثير من الناس بسبب تعثرهم بالالغام التى زرعت بسرعة قد وقعت !

وبعد سلسلة من الاوامر بتأجيل موعد بدء تنفيذ عملية « أسد البحر » ، أصدر « هتلر » قرارا نهائيا فى ١٢ أكتوبر سنة ١٩٤٠ (٢٠) يقضى بتأجيل

---

[١٧] لورنس تمبسون — المرجع السابق — صفحة ١٧٥ ، ١٧٦
[١٨] وليم شيرر — المرجع السابق — صفحة ١٠٤٧ .
[١٩] لورنس تمبسون — المرجع السابق — صفحة ١٧٦
[٢٠] وليم شيرر — المرجع السابق صفحات ١٠٤٧ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٦

العملية حتى ربيع ١٩٤١ مع اتخاذ الاجراءات التى توحى لبريطانيا ان المانيا تعد لهجوم على جبهة عريضة ، هذا وقد صرح « فون رونشتد » الذى كان سيتولى قيادة القوات الغازية لبريطانيا بعد انتهاء الحرب لميلتون شولمان عن رأيه فى ملابسات هذه العملية فقال «ان الغزو المقترح لانجلترا كان مجرد هراء ·· ولقد كنا ننظر الى الامر كله باعتباره لعبة ليس الا ·· وكان لدى شعور بأن « الفوهرر » لم يرغب مطلقا رغبة صادقة فى غزو انجلترا » ! (٢١) · هذا ويعلق « شولمان » على المسألة برمتها قائلا « ان الحجج العسكرية الداعية الى الاعتراض على غزو إنجلترا فى أواخر صيف ١٩٤٠ قد تكون صحيحة وقد لا تكون كذلك ·· ولكن مثل هذه الاعتراضات العسكرية كانت من النادر أن تتدخل فى قرارات « هتلر » السابقة ، ولم تكن تكتسب غير وزن قليل فى التاثير عليه فى مثل هذه المناسبات ، ان السبب الحقيقى فى فشل المانيا فى عبور القنال الانجليزى انما يكمن فى اعتقاد « هتلر » الشديد الخاص بقدرته على التوصل الى اتفاق سياسى مع انجلترا » (٢١) ·

هذا وقد علق الماريشال « فون مانشتين » ـ الذى وضع خطة غزو فرنسا ـ على عملية « أسد البحر » فى كتابه « انتصارات ضائعة » فقال « الحقيقة أن دفاع انجلترا خلال صيف ١٩٤٠ لم يكن مستكملا ، وكان يمكن أن تستفحل الامور لو أن « هتلر » لم يسمح للبريطانيين بالهرب من « دنكرك » ·· ولكن لم يكن شعور «هتلر» الداخلى نحو هذه العملية نابعا من قلبه ولذا كانت الاستعدادات التى تجرى على جميع المستويات تفتقر الى القوة الدافعة التى تأتى من أعلى » ! (٢٢) ·

عوامل فشل الهجوم الجوى على بريطانيا

لقد سبق لنا ان تناولنا تفاصيل معركة بريطانيا الجوية ضمن دراسة شاملة عن تاريخ الحرب الجوية [٢٣] ، ولذلك سنكتفى حاليا بعرض المعالم الرئيسية لهذه المعركة والعوامل التى ادت الى خسارتها من جانب الالمان ، وبالتالى ادت الى فشل أسلوب الحرب الجوية الشاملة فى ارغام بريطانيا على قبول الصلح الانهزامى الذى كان « هتلر » يأمل فى التوصل اليه قبل ان يتجه نحو غرضه الرئيسى من الحرب ، أى نحو الاتحاد السوفيتى ·

لقد بدأت عمليات الحرب الجوية الالمانية تتصاعد تدريجيا مع تصاعد نوبات يأس هتلر من التوصل الى تسوية سلمية ، فعقب صدور توجيه القيادة العليا فى ٢ يوليو ١٩٤٠ باجراء الاستعدادات اللازمة لشروع غزو بريطانيا وضرورة الحصول على التفوق الجوى اللازم لذلك ، بدأت قيادة السلاح الجوى الالمانى « اللفتواف » تعد نفسها بسرعة لشن حرب جوية واسعة النطاق ، ومع وجود فكرة فرض الحصار الجوى والبحرى على طرق ووسائل امداد الجزر البريطانية بالمؤن لدى « هتلر » والقيادة الالمانية كسبيل أساسى لارغام الشعب البريطانى وحكومته على الاستسلام ، فقد بدأت الحرب الجوية الالمانية تسلك هذا السبيل فى مبدأ الامر ، وأخذت القاذفات والقاذفات المنقضة من أنواع « هينيكل١١١ » و « جونكرز ٨٨ » و«شتوكا» تشن غارات عنيفة على قوافل السفن البريطانية فى بحر المانش بهدف شل حركة الملاحة هناك واجتذاب المقاتلات البريطانية الى المعركة بعيدا عن ارض بريطانيا نفسها ، ولكن قيادة المقاتلات البريطانية تجنبت ابتلاع هذا الطعم الى حد ما نظرا لان ظروف القتال فوق المانش كانت لا تناسبها كثيرا بسبب ان الرادار لم يكن يعطى انذارا مبكرا كافيا فى هذه الحالة يتيح الوقت اللازم لتحقيق اعتراض فعال من جانب المقاتلات البريطانية فى الوقت والمكان المناسبين لها ، ولذلك أوقفت البحرية البريطانية القوافل الكبيرة فى المانش منذ منتصف يوليو أى بعد أن بدأ الهجوم الجوى على السفن فى ١٠ يوليو بنحو خمسة أيام ، ثم اوقفت ايضا القوافل الساحلية الصغيرة عند نهاية الشهر حتى يتم تجهيز السفن بغلالة ساترة من البالونات لحمايتها من القاذفات المنقضة · فأخذت قيادة « اللفتواف » اثر ذلك واعتبارا من ٢٤ يوليو تقريبا تدفع مقاتلاتها الى الطيران فوق « دوفر » والمناطق الساحلية لتهاجم المدمرات الراسية هناك وتشتبك مع المقاتلات البريطانية ، وقامت البحرية نتيجة لذلك بسحب مدمراتها من هذه المنطقة الامامية لتخفف العبء بعض الشيء عن قيادة المقاتلات ، وقد أسفرت عمليات « اللفتواف » خلال هذه المرحلة الاولى من الهجوم الجوى على بريطانيا والتى استغرقت الفترة من ١٠ يوليو حتى

---

[٢١] ميلتون شولمان ـ الهزيمة فى الغرب ـ المرجع السابق ـ صفحة ٤٩ ، ٥٠
[٢٢] فون مانشتين ـ انتصارات ضائعة ـ الترجمة العربية ـ القاهرة ١٩٦٦ ـ صفحات ١٠٢ ، ١٠٣
[٢٣] خمسون من الحرب الجوية ـ الطليعة عدد مايو ١٩٦٨ ـ صفحات ٧٢ ـ ٧٧

١٢ أغسطس تقريبا عن اغراق ١٨ سفينة نقل صغيرة واربعة مدمرات واسقاط ١٤٨ مقاتلة بريطانية مقابل خسارة بلغت ٢٩٦ طائرة [٢٤] ، واعتبارا من ١٣ اغسطس بدأت المرحلة الثانية من الهجوم الجوى والتى امتدت حتى ٧ سبتمبر ، وكانت المرحلة هى أخطر مراحل المعركة كلها لان التركيز كان طوال هذه المرحلة منصبا على قصف قواعد المقاتلات الارضية ومحطات الرادار وكافة المنشآت الاخرى المساعدة لها بالاضافة الى مصانع الطائرات ، وقد ارتكبت قيادة اللفتواف أكبر خطأ لها فى هذه المرحلة حين أوقفت غاراتها على محطات الرادار البريطانية فى ١٥ أغسطس بعد أن كانت قد دمرت واحدة منها واعطبت اربعة اخرى منذ يوم ١٣ ، وذلك لان اصلاح بعض هذه المحطات بسرعة أوحى الى « جورنج » بعدم جدوى الاستمرار فى مهاجمتها بتركيز ! ولكن موقف قيادة المقاتلات البريطانية استمر خطيرا للغاية حتى يوم ٧ سبتمبر حين تحول « اللفتواف » الى مهاجمة « لندن » نفسها كمدينة، وذلك لان « اللفتواف » نجح فى تدمير خمسة من مطاراتها فى جنوب شرق انجلترا تدميرا تاما كما أعطب ستا من المحطات اللاسلكية والتحويلية السبع الموجودة هناك والتى يعتمد عليها نظام التوجيه الارضى المستند الى الانذار المبكر الذى تقدمه اجهزة الرادار ، وقد خسرت قيادة المقاتلات فى الفترة من ٢٣ أغسطس حتى ٦ سبتمبر ٤٦٦ مقاتلة و ١٠٣ من الطيارين فضلا عن اصابة ١٢٨ طيارا آخر بجراح خطيرة فى وقت كانت هذه القيادة تعانى فيه بشدة من نقص عدد الطيارين ، بينما لم يفقد الالمان سوى ٣٨٥ طائرة من بينها ٢١٤ مقاتلة و١٣٨ قاذفة [٢٥] .

وقد ادى تحول « اللفتواف » الى الغارات النهارية الواسعة النطاق فوق « لندن » الى اعطاء الفرصة لقيادة المقاتلات كى تصلح منشآتها الدفاعية ومطاراتها وتعود الى الاشتباك بطريقة أكثر قوة مع القاذفات الالمانية المغيرة وتكبيدها خسائر شديدة بلغت جملتها فى يوم واحد فقط وهو ١٥ سبتمبر ٥٦ طائرة من بينها ٣٤ قاذفة مقابل خسارة ٢٦ مقاتلة بريطانية فقط [٢٥] ؛ وكانت أهم نتيجة ترتبت على خسائر ١٥ سبتمبر هذه أن « جورنج » قد اقتنع بصعوبة التغلب على قوة المقاتلات البريطانية ومدى خطورتها على قاذفاته المغيرة فى وضح النهار ، وذلك لانه دفع فى هذا اليوم بـ ٦٧٩ مقاتلة لحماية ١٢٣ قاذفة أى بنسبة ٥ ــ ١ ، ورغم ذلك فقد اسقطت ٣٤ قاذفة فى هذا اليوم أى أكثر من ٢٥ فى المائة من مجموع القاذفات المغيرة [٢٦] ! ويرجع ذلك فى الحقيقة الى خطأ تكتيك حماية المقاتلات الالمانية للقاذفات الذى اتبعته فى تلك المرحلة وهو التكتيك الذى كان يقضى بملازمة المقاتلات لتشكيلات القاذفات من مسافة قريبة وتجنب تكتيكات الدوريات الحرة ، الامر الذى ترتب عليه اعطاء المقاتلات البريطانية التى تتجمع وتوجه أرضيا ميزة المبادأة بالهجوم بالطريقة وفى الوقت الذى يناسبها .

وقد تحول « اللفتواف » اثر ذلك الى اتباع اسلوب الغارات الليلية بشكل اساسى مع القيام بقليل من الغارات النهارية بعدد محدود من المقاتلات القاذفة من على ارتفاع كبير كانت بطبيعة الحال غير فعالة الاثر من الناحية العسكرية، كما أن الغارات الليلية رغم شدتها طوال الفترة حتى نهاية عام ١٩٤٠ ، وخاصة فى شهرى سبتمبر واكتوبر كما يوضح الجدول رقم [٣] المرفق ، الا أنها لم تؤد الى نتائج فعالة من الناحية العسكرية او الاقتصادية ، اذ أنه بالرغم من ظروف الهجوم الجوى هذه النهارى أو الليلى فقد انتجت الصناعة الحربية البريطانية فى مجال الطائرات عددا أكبر من الطائرات التى انتجتها المصانع الالمانية خلال عام ١٩٤٠ رغم أن الاخيرة لم تتعرض الى أى قصف جوى فعال خلال هذا العام من جانب القاذفات البريطانية ، وتتأكد لنا هذه الحقيقة الغريبة من مطالعة ارقام الجدول رقم [٥] المرافق، والتى يتبين منها أن « بريطانيا » قد أنتجت فى عام ١٩٤٠ ، ٩٩٢٤ طائرة ، بينما لم تنتج المانيا سوى ٨٠٧٠ طائرة (٢٧) !

هذا وقد بلغت جملة خسائر « اللفتواف » فى الفترة من ١٠ يوليو ١٩٤٠ حتى ٣١ أكتوبر ١٩٤٠ ١٧٣٣ طائرة من جميع الانواع مقابل ٩١٥ مقاتلة بريطانية (٢٨) ، وقد تركزت معظم الخسائر فى الفترة من ١٠ يوليو حتى ٣٠ سبتمبر ، اذ بلغت

---

[٢٤] شستر ديلموت — الصراع من اجل اوروبا — المرجع السابق — صفحة ٤٢
[٢٥] وليم شيرر — نشأت وسقوط الرايخ الثالث — المرجع السابق — صفحات ١٠٢٠ ، ١٠٢٥ .
[٢٦] شستر ويلموت — المرجع السابق — صفحة ٥٧ .
[٢٧] اشار وليم شيرر الى هذه الارقام ودلالتها فى كتابه المذكور سابقا — صفحة ١٠٢٥ .
[٢٨] شستر ويلموت — المرجع السابق — صفحة ٥٩ .

Killen, John. «The Luftwaffe A History», London, Muller, 1967, P. 153.
Bekker, Cajus. «The Luftwaffe War Diaries», London, Macdonald, 1967, P. 182.
Green, William. «Famous Bombers of the World War» Vol — 1 —, London, Macdonald, 1967.

جدول رقم ١ ببيان القوة الجوية الألمانية المعدة للهجوم على بريطانيا يوم ٨ أغسطس ١٩٤٠

	القاذفات	القاذفات المنقضة	المقاتلات فردية المحرك	المقاتلات ذات المحرك
نسبة القوة العاملة	٧٠٪	٨٠٪	٩٠٪	٨٠٪
المجموع الكلى للقوة	١٣٣٠	٢٨٠	٧٦٠	٢٥٠
مجموع القوة العاملة تقريبا	٩٣٠	٢٣٠	٦٧٠	١٩٥

بيانات الجدول مستمدة من:

Mason, Francis, London, Macdonald, 1962, p. 57

جدول رقم ٢ ببيان عدد وأسراب مقاتلات الخط الأول البريطانية يوم ٨ أغسطس ١٩٤٠

	الهاريكين		السبيتفير		البلنهيم		ديفيانت	
	طائرات	أسراب	طائرات	أسراب	طائرات	أسراب	طائرات	أسراب
القوة كاملة	٥٢٧	٢٩	٣٢١	١٩	٨٢	٦	٢٦	٢
القوة العاملة وتقدر بنسبة ٧٥٪ تقريبا	٤٠٠	—	٢٤٠	—	٦٠	—	٢٠	—

بيانات الجدول مستمدة من المرجع السابق فى جدول "١" وبنفس الصفحة

جدول رقم "٣" ببيان عدد الطلعات التى قامت بها القاذفات الألمانية وكميات القنابل بمختلف أنواعها التى ألقتها على بريطانيا فى الفترة من أغسطس ١٩٤٠ إلى ابريل ١٩٤١

	أغسطس ١٩٤٠	سبتمبر ١٩٤٠	أكتوبر ١٩٤٠	نوفمبر ١٩٤٠	ديسمبر ١٩٤٠	يناير ١٩٤١	فبراير ١٩٤١	مارس ١٩٤١	أبريل ١٩٤١
عدد الطلعات التى قامت بها الطائرات الألمانية فى الشهر	٤٧٧٩	٧٢٦٠	٩٩١١	—	٣٨٤٤	٢٤٦٥	١٤٠١	٤٣٦٤	٥٤٤٨
كمية القنابل شديدة الانفجار التى ألقتها بالأطنان	٤٦٣٦	٦٦١٦	٧٧٩٠	٦٢٠٥	٤٣٢٣	٢٤٢٤	١٢٢٧	—	—
كمية القنابل الحارقة التى ألقتها بالأطنان	—	٤٢٨	٣٢٣	٣٠٥	—	—	—	—	—
عدد الألغام البحرية التى بثتها فى الموانئ والأنهار	—	٦٦٩	٦١٠	١٢١٥	—	—	—	—	—

× "—" هذه العلامة تعنى أن الرقم مجهول على وجه التحديد

× بيانات هذا الجدول مستمدة من كتاب:

Bekker, Cajns. « The Luftwaffe War Diaries », London Macdonald, 1967, p. 181

جدول رقم "٤" ببيان معدل هبوط عدد المقاتلات الألمانية فردية المحرك الصالحة للعمليات

تاريخ يوم العمليات	إجمالى قوة الخط الأول	إجمالى الصالح للخدمة
١٠ أغسطس ١٩٤٠	١٠٨٥	٩٣٣
٧ سبتمبر ١٩٤٠	٩٥٨	٧٦٢
٢٨ سبتمبر ١٩٤٠	٩٥٧	٧٤١
١٩ أكتوبر ١٩٤٠	٩٤٥	٧١١

× بيانات هذا الجدول مستمدة من كتاب "شستر ويلموت" "الصراع من أجل أوربا" - المرجع السابق صفحة ٥٨

جدول رقم "٥" ببيان مقارن لإنتاج القاذفات والمقاتلات فى بريطانيا وألمانيا خلال عام ١٩٤٠

الدولة	القاذفات	المقاتلات	جميع الأنواع
بريطانيا	٣٧١٠	٤٢٨٣	٩٩٢٤
ألمانيا	٣٩٥٤	٢٤٢٤	٨٠٧٠

× بيانات هذا الجدول مستمدة من كتاب "شستر ويلموت" "الصراع من أجل أوربا" صفحة - ٥٨ -

١٤٠٨ طائرة مقابل ٦٩٧ مقاتلة [٢٩] ؟ من بينها ٢٩٦ طائرة ، و١٤٨ مقاتلة خسرت خلال الفترة من ١٠ يوليو حتى ١٢ اغسطس وهي مرحلة مهاجمة حركة الملاحة والموانى البريطانية ، ويمكن لنا ان نجمل الاسباب والعوامل التى ادت الى فشل هجوم « اللفتواف » على بريطانيا فى النقاط التالية:

١ ــ ان خطأ هتلر السياسى على مستوى الاستراتيجية العليا المتمثل فى اقتناعه المسبق من أنه لن يكون هناك ضرورة لغزو بريطانيا أو شن حرب حقيقية ضدها بحرا وجوا عقب استكمال سيطرة المانيا على أرض القارة الاوربية نظرا لان ساستها سيرغبون فى عقد صفقة مماثلة لصفقة « ميونيخ » ، هو السبب الاساسى الكامن وراء بقية اسباب فشل الهجوم الالمانى على بريطانيا عام ١٩٤٠ ، وذلك لانه ترتب على وجود هذا الاقتناع أن السلاح الجوى الالمانى اعد فقط كى يمارس دور المعاونة الارضية فى عمليات الحرب الخاطفة مع تشكيلات « البانزر » المدرعة والميكانيكية ولم يعد من الناحية الكيفية والكمية فى بعض الحالات لخوض حرب جوية استراتيجية طويلة الامد ، ويؤكد المؤرخ العسكرى الالمانى « كايوس بيكر » هذه الحقيقة فى كتابه « يوميات حرب اللفتواف » حيث يقول معلقا على نتائج معركة بريطانيا « ان محاولة اجبار بريطانيا على الركوع على ركبتيها ببطء بوساطة الهجوم من الجو خلال صيف وخريف ١٩٤٠ كانت محاولة غيرناجحة .وان جذرهذا الفشل، المثقلة للغاية بالعواقب العسكرية ، انما هو اعتقاد « هتلر » الشديد الذى يرجع الى عام ١٩٣٨ ، فى أنه لن تكون هناك حرب مع بريطانيا ، وعندما أقبلت هذه الحرب لم يكن اللفتواف معدا بالوسائل اللازمة لها ، فهو قبل أى شيء كان يفتقر الى القاذفات الثقيلة ذات أربعة المحركات ، وهو التطور الذى تم ايقافه فى عام ١٩٣٦ لصالح القاذفات المنقضة ، ولقد كانت القاذفات المستخدمة من طراز دورنير ١٧ وهينيكل ١١١ وجونكرز ٨٨ تعتبر بالمقارنة بالقاذفات الثقيلة المطلوبة خفيفة للغاية ومعرضة بشدة لهجوم المقاتلات ، وكان تسليحها الدفاعى هزيلا ، وكان مداها محدودا للغاية ، كما أن حمولتها من القنابل كانت غير كافية » [٣٠] !

وتتأكد لنا هذه الحقيقة اذا ما علمنا مثلا أن مدى « الهينيكل ١١١ » وهي محملة باقصى حمولة قنابل كان لا يتعدى ٧٦٠ ميلا ذهابا وايابا ، ومدى « الدورنير ١٧ » فى هذه الحالة ايضا كان ٧٤٥ ميلا ، و « الجونكرز ٨٨ » كان ٦٥٠ ميلا [٣١] ، كذلك كانت حمولتها من القنابل تتراوح ما بين ٢٢٠٠ رطل فى اقل الحالات ، و٥٥٠٠ رطل فى أقصى الحالات . يضاف الى ذلك ان القاذفة المنقضة الاساسية لدى « اللفتواف » وهي « الجونكرز ٨٧ » التى عرفت باسم « شتوكا » والتى كانت تشكل مع دبابات « البانزر » الثنائى الجديد والخطير فى اسلوب الحرب الخاطفة الناجحة حتى ذلك الوقت فى اوروبا ، كانت ذات حمولة محدودة لا تتعدى فى معظم الحالات وقتئذ ١١٠٠ رطل كما أن مداها فى هذه الحالة كان لا يتعدى ٣٧٠ ميلا ، فضلاً عن أن سرعتها العادية لم تكن تزيد عن ١٧٥ ميلاً فقط بل كانت لا تتعدى سرعة ١٥٠ ميلا عند انقضاضها من ارتفاعات ١٠٫٠٠٠ أو ١٥٫٠٠٠ قدم الأمر الذى كان يجعلها فريسة سهلة للمقاتلات البريطانية السريعة ذات القدرة على المناورة العالية مثل « السبيتفير » التى كانت تستطيع أن تطير بسرعة قصوى تصل الى ٣٦٢ ميلا على ارتفاعات تزيد عن ٢٠ ألف قدم وتستطيع أن تنقض من هذه الارتفاعات بسرعة قصوى تصل الى ٤٥٠ ميلا فى الساعة ! ونظرا لفداحة الخسائر النسبية التى تحملتها اسراب الشتوكا خلال المراحل الأولى من الهجوم على بريطانيا فقد أمر « جورنج » بسحب الثلاثمائة طائرة المتبقية منها من المعركة يوم ١٩ أغسطس ١٩٤٠ ! هذا وكانت قيادة « اللفتواف » قد فضلت قبل الحرب التركيز على أنتاج هذه القاذفة ومثيلاتها عن انتاج القاذفات الثقيلة من طراز « فوك وولف ٢٠٠ » مثلا بسبب أفضليتها من حيث قلة المواد الخام اللازمة لانتاجها بكميات كافية فضلا عن اهميتها فى تكتيكات المعاونة الارضية كما سبق أن أوضحنا .

٢ ــ ان المقاتلات الالمانية اللازمة لحماية القاذفات المغيرة نهارا على بريطانيا ولمهاجمة المقاتلات البريطانية المعترضة كانت غير كافية من حيث العدد لاداء ذلك الدور المزدوج المطلوب منها اذ ان عددها وفقا للجدول رقم [١] يوم ٨ اغسطس ، أى عشية بدء الهجوم الاساسى ، كان حوالى ٦٧٠ مقاتلة « مسرشميت ١٠٩ » فردية المحرك ، ونحو ٢٠٠ مقاتلة ذات محركين « مسرشميت ١١٠ » وكان وفقا للأرقام التى اوردها «ويلموت» فى الجدول رقم [٤] حوالى ٩٣٣ طائرة فردية المحرك صالحة للعمليات فى ١٠ أغسطس و ٧٣٤ مقاتلة فردية المحرك

---

[٣٠] يوميات حرب اللفتواف ــ المرجع السابق ــ صفحة ١٤٩ .

[٣١] Galland, Adolf. Edited by Peter young «Decisive Battles of the Second World War», London, Baker, 1969, P. 55.

[٣٢] شستر ويلموت ــ المرجع السابق ــ صفحة ٥٩

صالحة للخدمة يوم ١٣ اغسطس وفقا لتقدير « بيكر (٣٢) . واذا ما عرفنا أن المقاتلات ذات المحركين ثبت من واقع الاشتباكات الاولى لها مع الهاريكين والسبيتفير أنها غير فعالة نظرا لضعف مناورتها الشديد، وأنها أصبحت فى حاجة الى حماية المقاتلات السريعة والخفيفة المناورة فردية المحرك من طراز « مسرشميت ١٠٩ » تبين لنا مدى خطورة الوضع بالنسبة للمقاتلات فردية المحرك وثقل العبء الملقى على عاتقها فى مواجهة عدد مقارب لها من المقاتلات البريطانية اذ كان هناك نحو ٦٤٠ أو ٧٠٠ مقاتلة سريعة لدى قيادة المقاتلات عند بدء المعركة ولم ينقص هذا العدد كثيرا باستثناء الفترة الحرجة فى النصف الاخير من اغسطس التى سبق ان أشرنا اليها بخلاف الحال بالنسبة للمقاتلات الالمانية فردية المحرك كما يوضح الجدول رقم [٤] اذ استمر معدل هبوط العدد الصالح للخدمة منها بشكل مستمر من ٩٣٣ فى ١٠ اغسطس الى ٧٦٢ فى ٧ سبتمبر ، الى ٧٤١ فى ٢٨ سبتمبر وهكذا ! ويرجع هذا الضعف فى عدد المقاتلات الالمانية فردية المحرك ، وهو الضعف الذى قلل من فاعلية كفاءتها النوعية من حيث تفوقها على المقاتلات السبيتفير خاصة من حيث قدرتها السريعة على الصعود وبعد مرمى مدافعها نسبيا وأفضلية المحرك من الناحية الميكانيكية عند المطاردة وسرعة انقضاضها العمودى وقدرتها الافضل على القتال فى الارتفاعات العالية التى تزيد عن ٣٠ ألف قدم فى الجو ، يرجع هذا الضعف الى سياسة التصنيع الحربى الالمانى وقتئذ التى كانت تعطى أولية للقاذفات كما يوضح الجدول رقم [٥] ، ولذلك لم ينتج من المقاتلات سوى ٢٤٢٤ فى ١٩٤٠ بينما أنتجت الصناعة البريطانية فى نفس العام ٤٢٨٣ مقاتلة !

هذا فضلا عن ضعف مدى المقاتلات الالمانية فردية المحرك التى لم يكن نشاطها القتالى يستطيع أن يتعدى دائرة منطقة « لندن » تقريبا بحكم أن دائرة نشاط هذه المقاتلات من حيث الصعود والذهاب والمناورة القتالية والعودة مرة أخرى الى القواعد القريبة من الساحل الفرنسى كانت لاتزيد عن ١٢٥ ميلا فقط او ٢٠٠ ميل فى حالة اضافة خزانات الوقود الاحتياطية التى تثقل من حركتها (٣٣) ! الامر الذى ترتب عليه بالتالى الحد من عمق الغارات النهارية للقاذفات الالمانية واضطرها فى النهاية بسبب الخسائر المتزايدة الى اللجوء الى الغارات الليلية التى لم تكن معدة لها جيدا من الناحية الفنية أو من حيث تدريب الاطقم العاملة بها ، ولذلك لم تستطع هذه الغارات ان تؤثر بشكل فعال على الانتاج الحربى البريطانى وخاصة بالنسبة لصناعة الطائرات التى استطاعت تحت قيادة وتنظيم اللورد « بيفر بروك » أن تقدم مثلا ٤٤٠ مقاتلة فى يونيو ١٩٤٠ و٤٩٠ فى يوليو ، و٤٦٠ مقاتلة على الاقل فى كل من اغسطس وسبتمبر وأكتوبر (٣٤) ! بينما لم تقدم الصناعة الالمانية فى الفترة من ١٠ يوليو ١٩٤٠ حتى ٣٠ سبتمبر ١٩٤٠ — أى فى عنفوان الهجوم الجوى — سوى ٦٠٠ مقاتلة فردية المحرك فقط فى حين كانت الخسائر خلال نفس الفترة فى هذا النوع من المقاتلات ٦٢٣ طائرة (٣٤) ! أى أن متوسط الانتاج الشهرى البريطانى من المقاتلات خلال الشهور الحاسمة من المعركة كان يزيد عن ضعف مثيله الالمانى ، كما يقول المؤرخ الالمانى « **بيكر** » [٣٥] .

٣ — كانت معظم انتصارات « اللفتواف » السابقة خلال حملات الحرب الخاطفة فى بولندا وهولندا وفرنسا وبلجيكا نتيجة توفر عنصر المفاجأة ، وتدمير معظم القوة الجوية المعادية ؛ وهى لاتزال جاثمة على الارض ، الامر الذى لم يتحقق فى معركة « بريطانيا » نظرا لتوفر أجهزة الرادار التى كانت تعطى انذارا مبكرا وصل فى بعض الحالات الى مسافة ١١٠ ميلا ، ويضاف الى ذلك أن المقاتلات البريطانية كانت تحارب فوق أرضها متمتعة بكامل مزايا نظام الخدمة الارضية من حيث التوجيه على خلاف الوضع بالنسبة للمقاتلات الالمانية التى كانت تقاتل وفقا لمدى الرؤية الشخصية للطيار وفى حدود زمن محدود للغاية للمناورة بحكم قلة الوقود المتاح لها استهلاكه فوق بريطانيا نفسها .

٤ — أدى تغيير «جورنج» والقيادة العليا للسلاح الجوى للاهداف الرئيسية المؤثرة بشكل مستمر قبل أن يؤتى القصف ثماره المطلوبة الى تشتيت الجهد وبعثرته واعطاء الفرصة لقيادة المقاتلات البريطانية فى التقاط انفاسها كما حدث فى حالتى العدول عن مهاجمة محطات الرادار والمطارات ومحطات الخدمة الارضية .

٥ — لم يكن لدى القيادة الالمانية العليا لا العدد الكافى من الغواصات بعيدة المدى او القاذفات بعيدة المدى القادرة على قطع خطوط المواصلات

---

[٣٥] يوميات حرب اللفتواف — المرجع السابق — صفحة ١٨٢ ، ١٨٣ .
[٣٦] ادولف جالاند — فصل معركة بريطانيا — كتاب المعارك الحاسمة للحرب العالمية الثانية — المرجع السابق — اعداد بيتر يونج — صفحة ٧٢ .

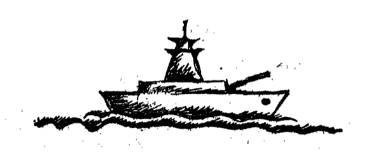
البحرية البريطانية خاصة المتجهة منها الى موانئ غرب بريطانيا وشمال ايرلندا ، الامر الذى جعل فكرة حرب الحصار البحرى والجوى فكرة مستحيلة التنفيذ .

هذا ويقول **بيكر** بصدد تفسير العجز الذى اتضح خلال المعركة فى امداد السلاح الجوى الالمانى بالطائرات الجديدة اللازمة وقطع الغيار ان قرار « **هتلر** » الخاص بمهاجمة « روسيا » الذى كان قد اتخذ مبكرا خلال يوليو ١٩٤٠ ، قبل أن تبدأ معركة « بريطانيا » ، قد أدى الى جعل مسألة الحرب أو الصراع فى الغرب لا تكتسب اولوية فى خطط القيادة الالمانية اعتبارا من لحظة هذا القرار ، وبالرغم من عنف ومرارة عملياتها ضد «بريطانيا» ، الا ان امداد اللفتواف بالمعدات لم يكن اكثر واجباتها الحاحا ،وعندما انتهت المعركة اخيرا فى ربيع ١٩٤١ حولت القوة الرئيسية للفتواف ، مثلها مثل الجيش ، نحو الشرق » [٣٥] !.

هذا ويلاحظ ايضا ان القيادة الالمانية العليا قد استغلت الهجوم الجوى على بريطانيا خير استغلال ، فضلا عن غرضه العام من حيث محاولة اجبار بريطانيا على قبول الصلح ، كغطاء تضليلى لعمليات التحضير لغزو الاتحاد السوفيتى ، ويتضح هذا جليا من ازدياد طلعات أو غارات « اللفتواف » مرة اخرى على بريطانيا فى ربيع عام ١٩٤١ كما يوضح الجدول رقم [٣] المرفق . ويؤكد **بيكر** هذه الحقيقة أيضا فى كتابه السابق الاشارة اليه !

ويروى « ادولف جالاند » فى كتابه عن معركة « بريطانيا » التى ساهم فيها كقائد جناح مقاتلات « مسرشميت ١٠٩ » ، أنه حين استدعى لمقابلة « هتلر » اثر منحه وسام « صليب الفرسان » لبسالته ومهارته الكبيرة خلال المعركة، وكان ذلك فى أواخر سبتمبر ١٩٤٠ ، أن « هتلر » تحدث معه طويلا فى هذه الجلسة على انفراد مبديا اعجابه ببريطانيا وطبقتها الحاكمة التى انشأت امبراطورية عظيمة ، وانه يحترم للغاية الجنس « الانجلوساكسونى » الذى يتألف منه الشعب البريطانى ،وانه يشعر بالمكبير لاضطراره الى خوض هذه الحرب ضده ، تلك الحرب التى يعتبرها « أكبر تراجيديا فى التاريخ » (٣٦) !

وبطبيعة الحال يمكن أن نقول أنه لولا بطولة وكفاءة الطيارين البريطانيين ، ومهارة قائدهم « داودنج » وكفاءة نظام ورجال الدفاع الجوى كله واخلاصهم ، وتفانى عمال مصانع الطائرات فى الانتاج رغم الغارات ، وحزم وعناد قيادة « تشرشل » السياسية ، فضلا عن ثبات روح الشعب البريطانى المعنوية ، خاصة اثناء الغارات النهارية والليلية العنيفة على «لندن» والمدن الاخرى التى تعرضت القصف الوحشى فى صيف وخريف ١٩٤٠ ، رغم ارتفاع الخسائر بين المدنيين ، الى حد انها بلغت فى«لندن» وحدها خلال ثلاثة الاشهر الاولى من القصف الجوى ١٢٫٦٩٦ الف قتيل ، نقول لولا هذا كله لما امكن لبقية العوامل التى سبق ذكرها ان تفعل فعلها فى افشال الهجوم الجوى على النحو الذى حدث فعلا .



جماعات المراهقين

اضواء على نشاطها المضاد للمجتمع



د. عزيز أحمد ريحاش

يسترعى نظرنا بين آن وآخر حادث سطو أو عمل من اعمال الشغب او العنف تقوم به جماعة من الشباب المراهق ، كما نسمع كثيرا عن عصابات الاحداث ونشاطهم المعادى للمجتمع ، وهذه الحوادث قد تستفز مشاعر الجمهور وتثير لديه احساسا بالغضب على القائمين بها وعلى النزوات التى تسيطر على نفوس بعض شبابنا الصغار الذين يخطون الخطوات الاولى نحو الرجولة ، ولكن هذه المشاعر الغاضبة سرعان ما تخبو تحت وطأة ازدحام الحياة بما هو اكثر التصاقا بحياتنا اليومية ، وتكون النتيجة ان تتخذ هذه الاحداث مظهرا تلقائيا وفرديا منعزلة بعضها عن البعض الاخر وتبقى المشكلة كما هى .

ولكن هل هناك مشكلة فعلا بالنسبة لمجتمعنا المصرى ؟ اننا عندما نقرأ فى الصحف والمجلات عن الاحداث التى تجرى فى بعض دول أوروبا والولايات المتحدة الامريكية والتى يكون أبطالها من المراهقين الذين كونوا جماعات شبه منظمة للنشاط المضاد للمجتمع ـ مثل العصابة التى قامت أخيرا بقتل ممثلة وبعض اصدقائها فى هوليود بشكل يتسم بالبشاعة والشذوذ ـ أقول عندما نقرأ عن مثل هذه الامور قد نشعر أننا بعيدون جدا عن المشكلة ، وقد نطمئن انفسنا بأن لنا من التقاليد والقيم الموروثة عن حضارتنا العريقة ما ينأى

بشبابنا عن مثل هذا المسلك ، وانما يحدث عندنا لا يتعدى بضعة أحداث فردية لا تنطوى على خطورة حقيقية ، ولكن مع التسليم والايمان بأن العوامل الحضارية التى ذكرتها تقيم حاجزا قويا ضد ظهور مثل تلك المظاهر التى نسمع عنها فى المجتمعات الغربية فى مجتمعنا النامى ، الا ان الاكتفاء بهذا الرأى والارتكان اليه يتسم بالسطحية الى حد ما ، فلا شك أن هناك تزايدا مضطردا فى النشاط المضاد للمجتمع لدى جماعات المراهقين عندنا ، كما ان هناك اتجاها عاليا نحو تفاقم مشاكل الشباب واتخاذ مسلكهم مظهرا عنيفا ، ولذلك فعلينا دراسة الأوضاع السائدة لشباب اليوم ، ومحاولة فهم مشاكلهم مع المجتمع المتطور بسرعة الذى نعيش فيه حتى يمكننا الاخذ بالاسباب التى تؤدى بنا الى حل الموقف حلا بناء ، والا نكتفى بالسلبية والتفرج على الاحداث وهى تمر أمامنا دون محاولة التدخل .

موقف مجتمع الكبار من المراهقين

كثيرون من الاباء فى يومنا هذا من يقف حائرا امام مسلك أبنائهم المراهقين ، وقد لا نخطىء اذا قلنا ان المراهقين من جانبهم لا يعثرون فى عالم الكبار الذى يحيط بهم على المثل الاعلى الذى يشكلون عليه شخصيتهم .

انه من المعروف أن المراهق فى بعض المجتمعات أصبح فى نظر الكبار رمزا للفوضوية وعدم تحمل المسئولية ، وهذا الموقف يقابله بلا شك موقف لا يقل عدوانية من جانب المراهقين ، والواقع أن هذا التباعد الذى يشوه علاقة الطرفين بعضهما ببعض يؤدى الى نفور شديد من الجانبين ، فالمراهق يرى فى الجيل الذى سبقه كل عيوب المجتمع ويعزو اليه الفشل فى الوصول بالمجتمع والبشرية الى الاهداف السامية التى يسمع عنها ويتوق اليها ، كما يلاحظ أن وجهات نظر الكبار غالبا ما تتسم بالنفاق وأن مسلكهم يشوبه التناقض ما بين الاقوال والافعال ، ويتسم بالانتهازية ، بينما يرى فى نفسه المثالية والنقاء ، وهناك من علماء النفس الاجتماعى من يطلق على هذه الظاهرة اصطلاح « **فجوة الجيل** » فكأن هناك فجوة تعزل الجيل الذى بلغ متوسط العمر عن جيل المراهقين من حيث التفكير والعادات .

والحقيقة أن الكبار يقعون عادة فى خطأ يؤدى الى تزايد هذه الفجوة اتساعا ، فهم يقابلون انتقاد الشباب لهم بالعداء ومحاولة اظهار عيوب ونواقص الشباب كمحاولة لتغطية موقفهم الذى يشعرون من طرف خفى ـ انه ضعيف ، وذلك من حيث عجزهم عن حل مشكلات المجتمع الاساسية وقصورهم عن بلوغ المثل العليا التى بداوا حياتهم كمراهقين

بالتطلع اليها ، والنتيجة الحتمية لكل هذا هى القلق وعدم الاحساس بالرضا والاستقرار الذى يعترى شباب اليوم مما يؤدى فى كثير من الاحيان الى حوادث العنف (اى النشاط المضاد للمجتمع) وقد يتخذ مظهرا سياسيا رجعيا تخريبيا أو مظهر عصابات السرقة وغير ذلك من أشكال الاجرام ، كما أن هذا الوضع النفسى قد يؤدى الى النزعات السلبية والهروبية (اى النشاط اللااجتماعى) مثل تعاطى المخدرات والاباحية الجنسية تحت بعض الشعارات الفلسفية المزيفة ، ومثل ذلك جماعات « الهيبيز » فى أمريكا وبريطانيا .

المراهق والتغير الاجتماعى

وعلاقة الجيل الحاضر بالجيل النامى التى وصفناها تؤدى بنا الى الربط ما بين تلك الظاهرة وتغير المجتمع ، فالواقع انه ما من جيل الا ونظر الى الجيل الذى يعقبه نظرة استنكار وعدم رضا عن مسلكه الذى يرميه بالطيش والرعونة ، ولكن هناك ملحوظة وهى أنه عبر التاريخ نجد ان اكثر تمردات الشباب لازمت أكثر فترات التاريخ ثورية وتطورا ، وهذا يجعلنا نتساءل : هل تنبع نزعة التمرد فى الشباب من داخله ام من طبيعة المجتمع الذى ينشأ فى أحضانه ؟ ان كلا من العاملين يساهم بنصيب ، فالمراهقة بطبيعتها مرحلة نمو سريع يصحبها تغيرات بدنية وعقلية هامة تؤدى الى ضغوط نفسية على المراهق فى محاولة التكيف مع أوضاعه الداخلية الجديدة وملاءمتها مع ظروفه الخارجية ، فما بالك والمجتمع نفسه يتغير من يوم لاخر بسرعة مذهلة ! ان المراهق اليوم يكتشف ان المجتمع الذى نشأ فيه والداه وتربيا فيه حدثت فيه تغيرات خاطفة بحيث أصبح هو يواجه ظروفا مختلفة تماما عن ظروف والديه .

ان قدرة المراهق على التكيف مع التغيرات الاجتماعية يتوقف على الاعداد الذى قام به والداه فى الطفولة حتى يستطيع مواجهة العالم الخارجى فى شبابه ، وكما عبر عن ذلك احد المراهقين « يجب على الاباء أن يعدوا أبناءهم لا ليعيشوا فى عالمهم هم ولكن ليعيشوا فى العالم الذى سيجدون أنفسهم فيه » .

وعلى ذلك فلا شك ان التغيرات الاجتماعية النابعة من التطورات التكنولوجية السريعة التى حدثت خلال الجيلين السابقين كان لها دور هام فى زيادة حدة المشكلة التى تواجه المراهق والتى وصفناها الان ، وأدى كل ذلك بدوره الى تلك المظاهر التى طرأت على سلوك الشباب فى يومنا هذا ، سواء ما كان منها ايجابيا ، أو سلبيا .

مظاهر السلوك المضاد للمجتمع

بين الشباب في الماضي والحاضر

تكثر الامثلة على السلوك المضاد للمجتمع فى شتى المجتمعات عبر التاريخ وغالبا ما نجدها فى المجتمعات الحضرية ، ولكنه حدث تصاعد واضح فى هذا اللون من السلوك خلال القرن التاسع عشر حيث اقترن بنشوء الرأسمالية الصناعية مع ما صاحب ذلك من ظهور المدن الصناعية الكبيرة بأحيائها الشعبية المكتظة بالسكان ، وما صاحب ذلك من هزات اجتماعية عنيفة ، وقد كان حكم المجتمع قاسيا على هذا المسلك ، بينما اتجه نحو الوسائل العلاجية أكثر منها العقابية بعد ذلك فى أوائل القرن العشرين ، ففى لندن عام ١٨١٤ حكم بالاعدام على خمسة صبية تتراوح اعمارهم بين الثامنة والثانية عشرة عاما وذلك لسرقات تافهة . ونستطيع أن نستخلص مدى انتشار جرائم الأحداث فى باريس عام ١٨٧٩ اذا علمنا أن عدد الاحكام التى صدرت خلال ذلك العام على من تتراوح أعمارهم بين سن ١٦ ، ٢٠ سنة يساوى عدد الاحكام التى صدرتضد من تتراوح اعمارهم بين ٢٠ ، ٤٠ سنة ، اما فى الامبراطورية الالمانية فقد صدرت أحكام ضد ٤٦٫٥٠٠ من الاحداث خلال عام ١٨٩٢ وزاد هذا الرقم بمقدار ٥٠ فى المائة خلال ثلاثة الاعوام الثالثة ، هذا فى الوقت الذى وصف فيه احد قادة شرطة مدينة نيويورك (عام ١٨٩٠)الحالة فى مدينته « بأنه يوجد فى كل ركن من أركان الميناء عصابة من الشبان هدفها المشترك تحدى القانون والنظام .. ان العصابة مؤسسة من مؤسسات نيويورك » .

وقد تطورت المشكلة من حيث ازدياد جماعات الأحداث الاجرامية عددا وتنظيما حتى بلغت ذروتها فى العصابات المحكمة التنظيم والقيادة التى طغت على مدينة شيكاجو فى العشرينات من هذا القرن ، والتى مازالت منتشرة فى كبرىالمدن الأمريكية .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة حدث تصاعد جديد فى مدى السلوك الاجرامى للمراهقين ، فى كل من مدن امريكا واوروبا نتيجة عدة عوامل اجتماعية ونفسية ، مننقصفى المواد الغذائية الى تمزق فى الحياة الاسريةبسبب تشتت افرادها وفقد عائلها فى كثير منالاحيان ، وانهيار عام للقيم الاخلاقية والشعور بالضياع واليأس الذى صاحب ذلك فى نفوس المراهقين ، فظهرت جماعات المراهقين التى تستخدم فى النشل أو الدعارة ، الى جانب جماعات اخرى قد لا تكون افعالهم اجرامية من الناحية القانونية ، ولكنها تسير فى اتجاه مضاد للمجتمع ، وتقوم بأعمال غوغائية وتتخذ لنفسها ملابس غريبة ملفتة للنظر وأسماء تميز كل جماعة عن الاخرى . ومن الامثلة على ذلك « **المودز** » و « **الروكرز** » فى انجلترا ، و « **الهالبستارك** » فى المانيا ، و « **الراجار** » فى السويد ، و « **ابناء الشمس** » فى اليابان .

أما فى مجتمعنا المصرى فقد لاتوجد مثل هذه الالوان العنيفة من السلوك الجامح للمراهقين، ولكن هناك اتجاه نحو زيادة العصابات المشكلة ممن هم فى سن المراهقة ، واتجاه نحو الارتقاء فى تنظيمها واتخاذها شكل وتنظيم بعض العصابات الموجودة فى العالم الغربى ، ومما يساعد على ذلك التغير الاجتماعى الذى طرأ على حياتنا مع ارتفاع الكثافة السكانية وزيادة تعقيدات الحياة الحضرية الحديثة المصاحبة للتصنيع والتطور التكنولوجى ، وهو فى مجموعه انعكاس للظروف العالمية التى نشارك فيها مع وجود قسمات خاصة بمجتمعنا النامى الذى يواجه المراهق المصرى بتحديات وتطلعات الى مستويات مادية قد لا تكون فى متناول يده .

جماعات المراهقين

أنماطها وأوجه نشاطها

هناك نمطان متباينان لجماعات المراهقين بوجه عام :

أولهما : ماأشرنا اليهمن جماعات تتخذ لنفسها أسماء غريبة ، ونشاطها غالبا لا يخرج عن نشاط غوغائى ، متحللا من القيم التقليدية ، وهذه الجماعات تتكون من مراهقين متقاربين فى السن ولا يرتبطون بعضهم ببعض الا ارتباطا شكليا ، فقيادتها غير حازمة وتنظيمها غير قوى ولذلك فهى سريعا ما تتفكك أو تتغير من شكل الى آخر ، وهى فى نهاية الامر لا تستند الا الى نزعة البحث عن الملذات وعدم تحمل مسئولية العمل البناء ، والكفر بالقيم التى ينادى بها جيل الكبار ، وتحدى النظام السائد ، ويرى الكثيرون أن هذه الجماعات بشكلها الحالى الذى وصفناه ظاهرة عابرة فى المجتمعات الغربية التى يسودها رخاء ظاهرى مزيف فتدفع جيل المراهقين الى رفض حضارة لم تأت الا بالحروب القذرة والقنابل النووية والذرية وتنادى بالفوضوية ، والنتيجة المنطقية لهذا هو جماعات « **الهيبيز** » المتطرفة التى ترفض العمل والمدنية الحديثة وقد يؤدى ذلك الى أفعال اجرامية أحيانا .

وثانيهما : نمو النمط الاجرامى أصلا والذى ساد بعض المدن الامريكية فى العشرينات من هذا القرن ، وهناتكون الجريمة هى الدافع الاصلى لقيام الجماعة واللون السائد لنشاطها ، وهذه الجماعات تكون دقيقة التنظيم ذات قيادة حازمة وتتصف بالسرية لان نشاطها غير قانونى ، وهى الى جانب ذلك غير متجانسة التكوين (على عكس الجماعات السابقة) ، فالقيادة غالبا فى أيدى من تجاوزوا سن المراهقة من محترفى الاجرام الذين يستغلون نزعة الاعضاء المراهقين للمغامرة والتمرد والعدوان فيدفعونهم الى القيام بالعمليات الاجرامية متسترين وراءهم ومستفيدين بذلك بالحصول على أكبر قسط من الغنائم ، مع استطاعتهم التهرب من عاقبة الجريمة .

وهذا النمط ليس ظاهرة عابرة فى المجتمعات الغربية اليوم مثل النمط الاول ، فهو موجود من قديم الزمن ولكن بدرجة أضعف منه اليوم ، كما أنه موجود فى جميع المجتمعات بدرجات متفاوتة .

الجذور النفسية للمشكلة

واقصد هنا مشكلة النشاط الاجرامى ، أو جنوح المراهقين الذى يتمثل فى نشاط النمط الثانى من جماعات المراهقين التى وصفتها ، باعتبارها المشكلة الدائمة وليست المشكلة العابرة .

وهناك عاملان أساسيان يحلل علماء النفس على ضوئهما جذور المشكلة ، ويقسمون بذلك المشكلة الى نمطين من الجنوح :

أولا : الجنوح الاجتماعى ، أى الذى لعبت فيه العوامل البيئية الدور الحاسم ، وهى تتمثل فى البيئة المتخلفة - اقتصاديا وثقافيا ، فهنا قد تتخذ الجريمة شكلا يكاد يكون مشروعا اذا قامت البيئة الاقتصادية للبيئة أساسا على لون معين من النشاط غير المشروع (مثل الاتجار فى المخدرات مثلا) ، ولكن ليست كل الاحياء المتخلفة اقتصاديا تكون بؤرة لنشاط عصابات المراهقين ، فقد وجد أن الاحياء التى تنشط فيها هذه العصابات هى التى تفتقر الى البناء الاجتماعى المستقر ، أى التى لا تتكون من طبقة اجتماعية متجانسة ومنظمة ، فالاحياء العمالية مثلا وخاصة تلك التى ترتكز فى بنائها على صناعة معينة ، أو مركز صناعى كبير تشكل مجتمعا متجانسا تقوى فيه الروابط النقابية والقيم الاجتماعية ، أما الاحياء التى تتكون من فئات متنافرة وغير مستقرة أو غير مرتبطة بحرفة مشتركة كالتى تقوم حياتها على الاعمال الموسمية ، ففى هذه المناطق السكنية تكثر التكتلات الاجرامية بين المراهقين .

ثانيا : الجنوح العصابى أو المرضى : نجد فى هذا النمط من الجنوح أن المراهق قد اتجه للسلوك الاجرامى تحت وطأة عوامل نفسية مرضية [عصابية] ، وليس لوجود اى عوامل اجتماعية تدفعه نحو ذلك ، ففى غالبية هذه الحالات نجد أن المراهق نشأ فى وسط اجتماعى لا يشوبه أى حرمان مادى ولم يقع تحت ضغوط اجتماعية بيئية قوية ، ولكنه اندفع ذاتيا نحو السلوك الاجرامى ، وقد ينضم الى عصابة من الخارجين على القانون تحت هذا الدافع الذاتى .

وينبع هذا الدافع الذاتى من صراعات نفسية لا شعورية ، وغالبا ما نجد أن علاقاته الوجدانية مع والديه مضطربة ، وهناك الكثير من الامثلة على ذلك ، ومن أبرزها ما يحدث أحيانا من تشجيع خفى من جانب الوالد على أن يسلك المراهق سلوكا مضادا للمجتمع ، وهنا يحاول الوالد لا شعوريا أن يعبر من خلال سلوك ابنه عن رغباته الدفينة فى السلوك العدوانى والتى كبتها فى مراهقته هو .

وهنا نرى أن جنوح الشاب يعبر عن جنوح الاب المكبوت ، ورغم أن هذا الاب قد يتمسك ظاهريا بأهداب الفضيلة ، ويؤنب ابنه على مسلكه ، الا ان الابن يشعر بهذا التناقض الخفى من جانب والده فيؤدى ذلك بالتالى الى تناقض فى تكوين القيم الاجتماعية عند المراهق مما يحيل الفضائل والمثل العليا الى مجرد عبارات جوفاء لا يرتبط بها ارتباطا عميقا .

ولكننا لا نستطيع الفصل بين هذين النمطين من السلوك المضاد للمجتمع فصلا كاملا ، فالواقع أن كلا العاملين يتفاعلان فى كل حالة ، فقد دلت الابحاث التى أجريت فى هذا المجال انه حتى فى البيئات التى يترعرع فيها « الجنوح الاجتماعى » نجد أن المراهق الذى نشأ فى أسرة مترابطة ومستقرة انفعاليا (أى التى أعطته حقه من الحنان والتفهم) قلما يتجه الى عصابات الاجرام بل يتخذ من المجتمع موقفا ايجابيا ، حتى اذا كان المجتمع مليئا بالتناقضات والعنف ، وبمعنى آخر فلابد من وجود بذرة من عدم الاستقرار الانفعالى حتى ينشأ الجنوح الاجتماعى ، مهما كانت التربة الاجتماعية صالحة لهذا النمو .

اتجاهات نحو علاج المشكلة

سبق أن أشرت الى أن المجتمع بعد أن كان يواجه جرائم الاحداث بمنتهى القسوة فى القرن التاسع عشر بدأ يغير نظرته الى المشكلة ويحاول أن يعالج الموقف على أساس علمى ، ولعل

أوجوست أيخورن أولّ من بحث هذا الموضوع علميا وحاول أن يجد علاجا نفسيا لهؤلاء الاحداث . وقد صاحب ذلك حركة انشاء « الاصلاحيات » لايواء وعلاج الجانحين الصغار وظهرت النظرية القائلة بأن « الاصلاح أوفر نفقة على الدولة من العقاب ، كما أن الاصلاح ممكن وفعال » (ماري كاربنتر) .

وقد ظهرت بعد ذلك عدة مدارس لعلاج المراهقين الجانحين علاجا نفسيا اجتماعيا على أساس محاولة الالتقاء والتلاحم مع عصابات المراهقين والانطلاق بالعلاج من البيئة الفعلية للمراهق والتعايش معه لفترة من الزمن حتى يمكن انشاء علاقة قوية بين المعالج والمراهق وكسب ثقته بهذه الوسيلة ، ويبدأ بعد ذلك فيتغيير مفاهيم المراهق وتطوير وسائل مواجهته لمشاكله الشخصية والاجتماعية ، وأشهر هذه المدارس بقيادة « فلافيني » في باريس وقد عملت في هذا الميدان منذ نحو عشرين عاما وأحرزت نجاحا واضحا .

ولا شك أن كل هذه الوسائل العلاجية لن تؤدي الى النجاح المطلوب الا اذا صاحبها علاج جذري للاوضاع الخاطئة في المجتمع والتي تؤدي الى التناقضات التي تكون التربة الصالحة لنشأة هذه العصابات ، واذا نظرنا الى مجتمعنا لوجدنا أن بناء الاشتراكية كما نحاول في يومنا هذا يستلزم مواجهة الكثير من التناقضات بين الطبقات التي مازالت تتصارع في مرحلة الانتقال التي نمر بها ، وهذه الصراعات تنعكس في شبابنا اليوم الذي يعاني الى حد ما من أزمات تعليمية ومهنية ، وما يلازم هذا من تنافس وتطلعات مادية وعدم وضوح في تكوين القيم والمفاهيم الاخلاقية والاجتماعية ولهذا وجب على مراكز البحوث المتخصصة في القضايا الاجتماعية والنفسية أن تعطى المسألة الاهتمام الذي تستحقه .

ان المؤتمر الدولي السادس للطب النفسي للاطفال الذي انعقد أخيرا في أدنبرة وضع نصب عينيه مشكلات المراهقة ، ورغم التباين والاختلاف بين وجهات النظر الممثلة في المؤتمر الا أن العامل المشترك الذي ركز عليه الجميع كان حاجة المراهق الى منحه « الفرصة » ، أي أن نغير من موقفنا السلبي أو المحايد نحوه ، وأن نستغل ونوجه الطاقة الضخمة التي تتدفق من المراهق . وقد أشار عدد من الاعضاء الى أن المراهق الذي ينشأ في مجتمع يوفر له التفهم والاقدام والفرص المناسبة لا يمكن أن يتحول الى الجريمة ، وأظن أن مجتمعنا كفيل بتوفير هذه المستلزمات نحو جيله المتطلع نحو المستقبل .





■ وفد مسلمي ج · ع · م في الاتحاد السوفيتي
■ اسرائيل وأمريكا تبادران الى تخريب المبادرة الامريكية
■ شيلي : هل يسد اليمين طريق اليسار بمرشح وسط ؟
■ حركة « الساتيا جراها » من أجل ٩٠ مليون هكتار ؟

■ الجمهورية العربية المتحدة

عبد الناصر ووفد مجلس السلام العالمي

استقبل الرئيس « **جمال عبد الناصر** » في ٣٠ أغسطس ١٩٧٠ وفدا يمثل رئاسة مجلس السلام العالمي . ويضم الوفد السادة «**كريشناميئون**» وزير الدفاع الهندي السابق وأحد رؤساء الشرف للمجلس و « **روميش شاندرا** » السكرتير العام للمجلس و « **ريموند جويو** » عضو مجلس الشيوخ الفرنسي وعضو رئاسة المجلس العالمي للسلام « **وفاروجيان سلاطيان** » عضو السكرتارية العالمية .

وخلال المقابلة أعرب مجلس السلام العالمي **للرئيس** عن التأييد الكامل من المجلس ومن لجانه القومية في أكثر من مائة دولة من دول العالم للنضال العادل الذي تخوضه الشعوب العربية من أجل اجلاء اسرائيل عن جميع الاراضي العربية التي تحتلها ، ومن أجل الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ،كما نقل الوفد الى **الرئيس** مساندة المجلس للموقف الذي تقفه الجمهورية العربية المتحدة والدول العربية الاخرى من أجل الحل السياسي عن طريق تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في نوفمبر ١٩٦٧ ، واشار الوفد الى أن هذا الموقف جلب لقضية الشعوب العربية العادلة المزيد من المساندة في دول العالم اجمع أكثر من أي وقت مضى .

وفي معرض حديثه مع الوفد أعرب **الرئيس** عن شكره لمجلس السلام العالمي لتأييده لقضية العرب العادلة وأكد الاهمية الكبرى للرأي العام العالمي .

وشرح الرئيس موقف الجمهورية العربية المتحدة بقوله :

«كان موقف الجمهورية العربية المتحدة واضحا منذ البداية فلقد وافقنا على قرار مجلس الامن الصادر في نوفمبر ١٩٦٧ ، بينما رفضت اسرائيل أن توافق عليه .

● **وبعد ذلك وافقنا على تنفيذ قرار مجلس** الامن ، ومرة أخرى رفضت اسرائيل ذلك . ولقد استمر هذا الوضع نحو ثلاث سنوات .

● وأدلت اسرائيل ببيانات تتعلق برغبتها في السلام ، ولكن هذه البيانات كانت في واقع الامر تقال خدمة للتوسع الاقليمي الاسرائيلي ، وكان الخيار بين أمرين اما السلام واما التوسع .

● ثم جاءت بعد ذلك ما تسمى بخطة روجرز

ووافقنا عليها ، ولم تكن شيئا جديدا كما سبق أن قلت ، ووافق الاسرائيليون بعد تردد طويل واجتماعات كثيرة ، ولكن ليس هناك دليل مادي على أن الاسرائيليين يرغبون حقيقة فى اقرار السلام .

● واليوم يسمع العالم بيانات يلقيها ابا ايبان وغيره من القادة الإسرائيليين ، ومضمونها الاساسى هو اصرارهم على أنهم مستعدون لبحث اعادة جزء من الاراضى العربية الواقعة تحت احتلالهم فقط ولكنهم ليسوا على استعداد لان يعيدوا للعرب كل الاراضى التى يحتلونها وهو ما نص عليه قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ .

● وهذا الموقف يعتبر دليلا واضحا على أن الاسرائيليين لا يريدون السلام .

● وبعد ذلك يتحدث الإسرائيليون عن وجود صواريخ مصرية وعن تدعيم هذه الصواريخ ، ولقد كانت هذه الصواريخ موجودة قبل وقف اطلاق النار بوقت طويل ، كما هو واضح من أن هذه الصواريخ ذاتها هى التى كانت تسقط طائرات الفانتوم الاسرائيلية .

● ان الموضوع الاساسى امامنا الان هو موضوع انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية .

● ولقد وافقنا كذلك على ترتيبات السلام كما وردت في قرار مجلس الامن ؛

● ولقد ناضل الرأى العام العالمي ثلاث سنوات لكى يجبر اسرائيل على الموافقة على الحل السلمي ، والان يقول الاسرائيليون أنهم يوافقون ، إلا أن الواقع هو أنه ليس هناك أى دليل على هذه الموافقة ، فبالنسبة للنقطة الاساسية الخاصة بالانسحاب من جميع الاراضى العربية التى يحتلونها ، يواصل الاسرائيليون رفضهم تنفيذ قرار مجلس الامن .

● ولقد وافقنا على التسوية السلمية ، وكنا دائما من أنصار الحل السياسى ولكننا لا نستطيع أن نوافق على التنازل عن أى جزء من الاراضى العربية التى تحتلها اسرائيل لان هذا سيكون استسلاما وليس تسوية سلمية .

ولقد كانت المساعدة التى تقدمها الولايات المتحدة لاسرائيل عنصر تشجيع لها ، فالولايات المتحدة زودت اسرائيل بكل أنواع المعدات الحديثة والطائرات والصواريخ والدبابات والمدافع الذاتية الحركة وكل أنواع الاسلحة ، وهذا يعنى أن الولايات المتحدة تساند اسرائيل مما يشجعها على الاستمرار في احتلال الاراضى العربية ، وتساءل الرئيس :

ومـاذا عن المستقبل ؟ ان سلوك اسرائيل مستقبلا سوف يتوقف الى حد كبير على موقف الولايات المتحدة فاذا واصلت الولايات المتحدة تزويد اسرائيل بكل هذه الاسلحة فان اسرائيل ستواصل رفض الجلاء عن الاراضى العربية المحتلة .

وكرر الرئيس جمال عبد الناصر تأييده وتعاطفه الكاملين مع نضال الشعب الفلسطينى ، ولفت الانتباه الى رغبة الشعب فى غزة وفى الضفة الغربية وفى مدينة القدس فى التخلص من النير الاسرائيلى بأسرع ما يمكن ، وذلك بسبب المعاناة التى يواجهها .

● وبعد أن قدم وفد مجلس السلام العالمي شكره للرئيس على التصريحات التى أدلى بها ، والتى سوف تنقل الى جميع قوى السلام فى العالم ، أبلغ الرئيس ببرنامج مجلس السلام العالمى للقيام بحملة جديدة على نطاق واسع للدعوة الى مساندة الشعوب العربية ولاقرار السلام والعدل فى الشرق الاوسط ، كذلك يتضمن البرنامج عقد مؤتمر عالمي للسلام والعدل فى الشرق الاوسط فى ديسمبر المقبل ، كما يتضمن زيارات للوفود الى الدول المختلفة ، وعقد ندوات وغير ذلك من أوجه النشاط .

● هذا وسوف تجتمع لجنة رئاسة مجلس السلام العالمى فى نيودلهى فى الفترة من ١٦ الى ١٨ أكتوبر الحالى . وقد وافق الرئيس جمال عبد الناصر على أن يبعث برسالة خاصة الى هذا الاجتماع .

■ ■

■ الصراع العربي الاسرائيلي

اسرائيل وأمريكا « تبادران » الى تخريب « المبادرة الامريكية »

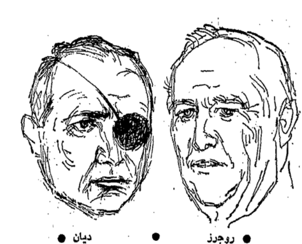
منذ أن اعلنت اسرائيل موافقتها على المبادرة الامريكية وهى تتحين الفرص للخروج من هذا المازق . ومع أوائل الشهر الماضي بدأت اسرائيل تتحرك لتنفيذ مخططها لنسف مهمة يارنج فاتهمت ج ٠ ع ٠ م بأنها حركت مواقع الصواريخ المصرية بالقرب من القناة مما يعد انتهاكا لوقف اطلاق النار وتبث اسرائيل على هذا الاتهام ، انسحابها

من أى اتصالات مع المبعوث الدولى حتى يتم سحب الصواريخ المصرية من منطقة القناة . وسرعان ما نشطت حملة الدعاية الاسرائيلية للتشويش على موقف ج.ع.م. لتبرير انسحاب اسرائيل من مباحثات يارنج . ثم أعلن ديان ان اسرائيل لم تعد تلتزم بقرار وقف اطلاق النار وانها لا تستطيع احتمال وجود الصواريخ المصرية غرب القناة لتهدد خطوط دفاعها فى الداخل . وواصل ديان حملته الاستفزازية فقال « اننى لا أستطيع الافصاح عما ننوى القيام به ، ويمكنكم تفسير أقوالى كما تشاؤون . لكن فى مقدورى أن أؤكد لكم اننا لن نحتمل وجود هذه الصواريخ » . وقد علقت **الاسوشيتدبرس** على تصريحات ديان بقولها ان اسرائيل قد تقوم بعمل عسكرى خاطف بضرب قواعد الصواريخ المصرية فى القناة . كما أشارت **النيويورك تايمز** الى أن اسرائيل تستعد الان لتوجيه ضربة مفاجئة الى قوات ج . ع . م فى منطقة القناة .

وسرعان ما تخلت وشنطن عن حيادها المزعوم واصدرت بيانا قالت فيه أن الادلة المتوفرة لديها تؤكد انه كانت هناك انتهاكات من جانب مصر لاتفاقية وقف النشاط العسكرى فى منطقة وقف اطلاق النار . وأشار **ماكلوسكى** المتحدث باسم الخارجية الامريكية الى أن أمريكا طلبت من مصر سحب الصواريخ المقامة فى منطقة القناة . وعلقت جريدة **النجم الاحمر** على تلك الاتهامات فقالت أنه بينما لا يقوم هناك أى دليل على أن مصر قد قامت بأى نشاط من شأنه خرق وقف اطلاق النار ، فهناك من الادلة ما يشير الى أن اسرائيل قد خرقت وقف اطلاق النار بمحاولتها اعادة تدعيم خط **بارليف** واقامة طرق استراتيجية فى سيناء .

ومنذ أن توقف اطلاق النار لم يتوقف تدفق الاسلحة والمعدات العسكرية الى اسرائيل . وتقدر قيمة الاسلحة والمعدات الامريكية التى تسلمتها اسرائيل خلال تلك الفترة بحوالى ٣٠٠ مليون دولار وكلها معدات الكترونية وصواريخ ومدافع بعيدة المدى الى جانب عدد من طائرات الفانتوم . وادعت الولايات المتحدة بأن شحنة الفانتوم الجديدة التى سلمت لاسرائيل تهدف الى الحيلولة دون اختلال ميزان القوى العسكرية فى جبهة القناة لغير صالح اسرائيل على ضوء تحركات الصواريخ المصرية بينما قد أشارت **البرافدا** الى ان شحنات الاسلحة الامريكية التى تتدفق على اسرائيل منذ وقف اطلاق النار تزيد الموقف تعقيدا وتشجع اسرائيل على مزيد من التطرف والعدوان .

ويقول المراقبون السياسيون ان استمرار تزويد أمريكا بالاسلحة وطائرات الفانتوم ، وتأييدها لاتهامات اسرائيل لمصر بخرق اطلاق النار ، قد



● روجرز ● ديان

وجه ضربة خطيرة الى المبادرة الامريكية ولاتصالات يارنج التى انسحبت منها اسرائيل . وأعلن **محمود رياض** وزير الخارجية المصرية انه نتيجة لتصريحات **وليام روجرز** عن المساعدات العسكرية والمالية الضخمة لاسرائيل تكون الولايات المتحدة قد أنهت بذلك مبادرتها ، وعجزت عن القيام بدور الوسيط المحايد ، وعادت الى سياستها التقليدية فى دعم العدوان . ورغم ذلك فان مصر ستستمر فى التزامها بوقف اطلاق النار وان كانت ستضطر ازاء تصرفات الولايات المتحدة واسرائيل لان تتوجه بمساعيها السلمية الى جهود الدول الاربع الكبرى مرة أخرى .

وازاء تزايد خطر تجدد القتال فى المنطقة نشطت الدول الاربع من جديد للبحث عن وسيلة لاحياء مهمة يارنج . وعقد مندوبو الدول الاربع فى نيويورك اجتماعا لبحث الازمة على ضوء آخر التطورات والفشل الذى منيت به مقترحات روجرز .

وفى ظل هذا الوضع المتدهور طارت **جولدا مايير** الى وشنطن واجتمعت بالرئيس نيكسون لتنسيق السياسة الاسرائيلية الامريكية ازاء التطورات الاخيرة والاحتمالات المرتقبة . وقد وصفت الدوائر الاسرائيلية المسئولة زيارة مايير بأنها اهم وأخطر زيارة قام بها مسئول اسرائيلى منذ انشاء اسرائيل حتى الان لانها ستقرر مصير اسرائيل ومستقبلها . وتشير وكالات الانباء أن البحث تركز خلال الاجتماع بين نيكسون ومايير حول المسائل التالية :

● المساعدات العسكرية والاقتصادية لاسرائيل .
● مسألة الصواريخ المصرية وحدود التصرف ازاءها .
● مسألة « الحدود الامنة » كما تراها اسرائيل مناسبة لها فى مواجهة الدول العربية .
● الموقف فى الاردن فى ضوء الحرب الاهلية واحتمالات التدخل .

وخلال زيارتها لوشنطن هددت مايير فى حديث تليفزيونى بأن اسرائيل ستقوم بهجوم خاطف على قواعد الصواريخ المصرية فى منطقة القناة اذا لم تقدم الولايات المتحدة مزيدا من المساعدات لاسرائيل • وأشارت **الازفستيا** الى أن الصحافة الامريكية بدأت بعد زيارة مايير تعد مناخا معنويا سياسيا لاحتمالات تقويض اتفاقية وقف اطلاق النار واحباط مهمةيارنجلتبريرحصول اسرائيلعلى مزيد من الاسلحة وطائرات الفانتوم •

وعلى ضوء ما تم الاتفاق عليه بين مايير ونيكسون سيحاول الرئيس نيكسون خلال جولته لاوروبا اجراء عدد منالمشاورات مع رؤساء الدول الاوروبية فيحلف الاطلنطى حولحدود وامكانيات التصرف فى أزمة الشرق الاوسط • كما يقوم الرئيس نيكسون بالتفتيش على الاسطول السادس فى البحرالابيض المتوسط • ويعلن المسئولون الامريكيون بأن الغرض من ذلك هو استعراض قوة أمريكا العضلية ولفت الانظار الى قوة الاسطول السادس فى البحر الابيض • ولكن يبدو ، كما تقول الصحف السوفيتية ، أن نيكسون قد نسى أن الامور قد تغيرت ، وان الاسطول السادس لم يعد القوة الوحيدة المطلقة السيطرة فى البحر الابيض المتوسط ، وأن الاتحاد السوفييتى قد خرج الى البحر المتوسط بقواته البحرية ليردع أى محاولة للاعتداء على استقلال وأمن الشعوب •

■ ■

■ **الاردن**

اتفاقية القاهــرة لوقف القتــال بالاردن

تم فىيوم ١٩٧٠/٩/٢٧ توقيع اتفاق بين الحكومة الاردنية والمقاومة الفلسطينية بحضور الملك **حسين** والسيد **ياسر عرفات**رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين وحضور الملوك والرؤساء العرب وممثليهم يتضمن وقف اطلاق النار وانهاء العمليات العسكرية من جانب القوات المسلحة الاردنية وقوات المقاومة الفلسطينية فورا ، وسحب كافة القوات المسلحة الاردنية وجميع القوات الفدائية من عمان ، واعادة الاوضاع العسكرية والمدنية فى مدينة اربد وغيرها من المدن الى ما كانت عليه قبل الحوادث الاخيرة ، واطلاق سراح المعتقلين لدى الجانبين فورا • وتكوين لجنة عليا لمتابعة تطبيق هذه الاتفاقية • وأن تقوم اللجنة العليا للمتابعة باعداد وابرام اتفاقية ملزمة للطرفين تضمن استمرار النشاط والعمل الفدائى، وأن تقوم اللجنة بالاشراف على أعمال الاغاثة العاجلة، وتوزيع المؤن والمساعدات على الضحايا والمصابين والمحتاجين •

وتتألف اللجنة العليا للمتابعة من السيد **الباهى الادغم** رئيس وزراء جمهورية تونس رئيسا ، وعضوية ممثل للسلطة الاردنية، وممثل للمقاومة الفلسطينية •

وتضمنت الاتفاقية أنه فى حالة اخلال أى من الطرفين بأى بندمنبنودالاتفاقية، أو عرقلةتنفيذها ستقوم الدول العربية الموقعة عليها باتخاذ اجراءات موحدة وجماعية ضده ، وكذلك تعهدت الدول العربية بدعم الثورة الفلسطينية والوقوف معها حتى تحقق أهدافها فى التحرر الكامل ودحر العدو الاسرائيلى •

وقد أعلنت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية عن اختيار **ابراهيم بكر** عضو اللجنة ممثلا لها فى اللجنة العليا لتنفيذ الاتفاق – وحتى كتابة هذه السطور لميكن قد أعلن عناسممندوب الحكومة الاردنية فى اللجنة •

■ ■

■ **اديس ابابا**

مؤتمر جديد •• دون انقسام

يعتقد المراقبون السياسيون ان اهم النتائج التى اسفر عنها **مؤتمر القمة الافريقى السابع** الذى عقد فى **اديس ابابا**فىاوائل الشهرالماضى يمكنتحديدهافى:**اولا:** اعادة العلاقات الدبلوماسية بين **نيجيريا** والدول الاربعة (**تنزانيا – زامبيا – ساحل العاج – جابون**) التى كانت قد اعترفت بانفصال « **بيافرا** » • **ثانيا :** اتخاذ موقف مشترك بشأن مشكلة امداد **جنوب أفريقيا** بالاسلحة والاتفاق – فى نفس الوقت – على زيادة دعم حركات التحرر الوطنى المسلحة • **ثالثا :** الاجماع على تأييد سياسة **الجمهورية العربيةالمتحدة** التى تستهدف تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ •

ولما كانت مشكلة الوجود العنصرى ودعم الدول الغربية العسكرى له هى واحدة من أهم المشاكل الافريقية الحالة والمباشرة ، فقد كان مفهوما – فى نظر المراقبين – ان ينتخب المؤتمر بالاجماعكينيث

كاوندا رئيس جمهورية زامبيا رئيسا للمؤتمر، باعتبار موقع زامبيا – الجغرافى والسياسى – بالنسبة لهذه المشكلة .

ويرى المعلقون المهتمون بالشئون الافريقية ، أنه لولا موقف **بعض** الدول « الناطقة بالفرنسية » بسبب حساسية وضعها وعلاقاتها مع **فرنسا** – لتمكن المؤتمر من اخذ قرار اكثر فعالية بالنسبة لمشكلة امداد افريقيا بالاسلحة . اذ ركز القرار على موقف حكومة **بريطانيا** وتغافل دور فرنسا التى تقوم بامداد جنوب افريقيا بالاسلحة منذ عدة أعوام وبشكل ملحوظ ، ولذلك انتهى المؤتمر الى تشكيل لجنة تقوم بزيارة بعض دول أوربا الغربية لمناقشة المشكلة على أن يتابعها الرئيس **كاوندا** ويقترح – على ضوء ذلك – أية مبادرات جديدة .

وبرغم محاولات بعض الدول – **كجابون وملاوى وساحل العاج** – ادخال المؤتمر فى متاهات للمناقشة حول « الاجراءات اللائحية » اثناء مناقشة « أزمة الشرق الاوسط » ، فقد اتخذ المؤتمر – **بالتصفيق** – قرارا اجماعيا – بناء على اقتراح السنغال – يطالب اسرائيل بالانسحاب الكامل من جميع الاراضى العربية المحتلة ، ويساند الاتصالات التى يقوم بها يارنج لتنفيذ قرار مجلس الامن ، ويؤيد سياسة الجمهورية العربية المتحدة بهذا الشأن ، كما أرسل المؤتمر – بناء على اقتراح **الصومال** – برقية تأييد للرئيس **جمال عبد الناصر** ، ومن المعروف ان **ديالللو تيللى** سكرتير عام المنظمة كان قد دعا الدول الافريقية – فى كلمته الافتتاحية – الى اتخاذ اجراء عملى لتسوية ازمة الشرق الاوسط يذهب الى مدى أبعد من « مجرد عبارات التضامن » .

ومن الجدير بالذكر أن ١٥ رئيس دولة قد حضروا المؤتمر ، بينما مثل رؤساء بقية الدول الاعضاء فى **منظمة الوحدة الافريقية** (٤١ عضوا) وزراء الخارجية أو نواب للرؤساء أو مبعوثون عنهم ، وقد حضر المؤتمر يوثانت السكرتير العام **للامم المتحدة** والقى خطابا فى الجلسة الافتتاحية ركز فيه على الخطر المتمثل فى الدعم الاقتصادى والعسكرى الذى تتلقاه النظم العنصرية ، واشار الى تحدى جنوب افريقيا للامم المتحدة فيما يتعلق باستمرار سيطرتها على جمهورية **ناميبيا (جنوب غرب أفريقيا)** رغم انتهاء وصايتها عليها منذ عام ١٩٦٦ ، ومن المعروف ان ممثلى حركات التحرر الوطنى **لانجولا وموزمبيق وزيمبابوى (روديسيا) وجنوب أفريقيا وناميبيا وغينيا بيساو** ، قد حضروا المؤتمر كمراقبين .

ويلاحظ المراقبون الافريقيون ، أن الدول الثورية فى افريقيا تحاول منذ مؤتمر القمة الافريقى فى أكرا فى ١٩٦٦ وبعد الانقلابات التى شهدها عدد من بلدان القارة ، تحاول الاستمرار بقدر الامكان بوجود المنظمة وكيانها دون انقسامات ، ومن ثم فهى تتحرك – بشكل عام – فى اطار « هوامش » الاتفاق التى يمكن أن يتجمع حولها أكبر عدد من دول القارة ، وربما يكون ذلك هو مايفسر رصد المراقبين لحقيقة الوضع « غير الفعال » الذى اصبحت عليه منظمة الوحدة الافريقية ، على انه هو أيضا سبب ذهاب بعض المعلقين الى القول بأن ماتعانيه المنظمة من حيث مدى فعاليتها هو انعكاس موضوعى للمشاكل التى تعانيها الحركة الثورية الافريقية بشكل عام .

■ ■

■ **لوساكا**

المؤتمر الثالث لدول عدم الانحياز

اتجهت انظار المراقبين فى الشهر الماضى صوب مؤتمر القمة الثالث لدول عدم الانحياز الذى عقد فى لوساكا عاصمة زامبيا فى الفترة من ٨ – ١١ سبتمبر ، وحضره رؤساء دول وحكومات حوالى ٦٠ دولة ، ذلك ان المؤتمر يجىء بعد تعثر الجهود والمحاولات لدعوته خلال السنوات الثلاث الاخيرة كما انه يجىء بعد ان طرأ تغير ملحوظ عن الموقف الدولى منذ انعقاد المؤتمر السابق فى القاهرة عام ١٩٦٤ ، تمثل فى تزايد الهجوم الاستعمارى على الدول غير المنحازة ، وتوسيع الحرب فى فيتنام وكمبوديا ، واحتلال الاراضى العربية ، والانتهاك الصارخ لميثاق وقرارات الامم المتحدة .

ومن هنا شغلت القضايا المتعلقة بتحديد دور عدم الانحياز ، والحصول على الاستقلال الاقتصادى كضرورة لتحقيق الاستقلال السياسى ، ونزع السلاح ، وتصفية الاحلاف العسكرية والقوات والقواعد الاجنبية ، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاخرى ، وزيادة التعاون الاقتصادى بين الدول غير المنحازة . نقول ان هذه القضايا شغلت حيزا كبيرا فى كلمات معظم ممثلى البلدان ، خاصة التى تعانى من الضغط والعدوان الامبريالى مثل الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والسودان وليبيا وكوبا والهند وبعض الدول الاخرى ، ويعكس ذلك الموقف فى رأى المراقبين رغبة هذه البلدان فى ايجاد مخرج لسياسة عدم الانحياز من أجل التدخل الايجابى فى المشاكل الدولية لاقرار الحرية والمساواة والسلام القائم على العدل .

كما كشفت المناقشات وعمليات التصويت داخل المؤتمر عن الاتجاهات السياسية المتباينة داخل المؤتمر ، الامر الذى وضح فى الموقف السلبى من رفض تمثيل حكومة كمبوديا الشرعية التى يرأسها الامير « **سيهانوك** » بالرغم من تأييد ٢٢ دولة لاشتراكها فى المؤتمر ، بينما ايدت حكومة الانقلاب اليمينى ٧ دول فقط ، وامتناع ١٢ دولة عن التصويت ، وكانت الجمهورية العربية المتحدة قد أوضحت ، بأنه اذا كانت كمبوديا ستمثل فى المؤتمر فان حكومة سيهانوك هى التى يجب ان تحضر ، وكذلك عدم التمثيل الكامل للحكومة المؤقتة لفيتنام الجنوبية الثورية والاكتفاء بحضورها كمراقب فقط ، ثم الاعتراض على القرار الخاص بتوقيع العقوبات على اسرائيل طبقا للمادة السابعة من ميثاق الامم المتحدة ، فى حالة امتناعها عن تنفيذ قرار مجلس الامن بالانسحاب من الاراضى العربية ، وتعديله الى: « دعوة الامم المتحدة الى اتخاذ التدابير الملائمة ضد اسرائيل اذا استمرت فى تجاهل جهود الامم المتحدة للانسحاب من الاراضى العربية ، وكل تلك المواقف تلقى الضوء فى الحقيقة على طبيعة النتائج السياسية العامة التى توصل اليها المؤتمر » .

وقد اصدر المؤتمر حوالى عشرين قرارا من اهمها : ادانة احتلال اسرائيل للاراضى العربية ، ومطالبتها بالانسحاب الكامل من الاراضى العربية المحتلة ، وحق الشعب الفلسطينى فى استعادة اراضيه المسلوبة ، وادانة الحكومات الاوربية التى تبيع السلاح لحكومة جنوب افريقيا العنصرية الاستعمارية ، وادانة موقف بريطانيا من مشكلة روديسيا ، ومطالبة دول حلف الاطلنطى ودول عدم الانحياز بوقف مساعداتها للبرتغال لعدم تنفيذها قرارات الامم الخاصة بتصفية مستعمراتها فى افريقيا ، كما أوصى المؤتمر بتقديم العون المادى الى حركات التحرير الافريقية ، وتأييد قبول الصين الشعبية عضوا فى الامم المتحدة ، ومطالبة الامم المتحدة باعتبار منطقة المحيط الهندى منطقة سلام ، وعدم اقامة قواعد عسكرية فى هذه المنطقة ؟

وقد اختلفت آراء المراقبين حول تقييم المؤتمر ونتائجه ، ان بينما يرى البعض ان المؤتمر قد حقق أقصى درجات النجاح ، فان البعض الاخر لا يخفى شكوكه من عدم التزام بعض الدول بتنفيذ القرارات ، وهى الدول التى تخضع لسياسة الاستعمار الجديد ، وتقبل وجود القواعد العسكرية الاستعمارية فوق اراضيها ، ويرون ان الفترة القادمة سوف توضح حقيقة موقف هذه البلدان عندما تستأنف الامم المتحدة دورتها الجديدة .

■ **أمريكا اللاتينية**

الاغنياء يزدادون غنى والفقراء .. فقرا

أعلنت وزارة التجارة الامريكية ان صافى ارباح الشركات الامريكية العاملة فى دول امريكا اللاتينية بلغت هذا العام ٢٤٠٠ مليون دولار ، منها ٧٠٠ **مليون دولار من فنزويلا وحدها ، أى بزيادة تصل الى ٥٧ فى المائة عن عام ١٩٦٠** ، الذى أعلن فيه عن البرنامج الامريكى للتحالف من أجل التقدم !!

ولكن أرقام منظمة الوحدة الامريكية تعطى صورة معاكسة تماما لحالة دول أمريكا اللاتينية التى أصيبت بهذا « التحالف » .

لقد انخفضت معدلات التنمية الصناعية فى دول التحالف من ٦ر٥ فى المائة عام ١٩٦٠ الى ١ر١ فى عام ١٩٧٠ .

وانخفض نصيب دول أمريكا اللاتينية فى التجارة الدولية من ١١ فى المائة عام ١٩٥٠ الى ١ر٥ فى المائة عام ١٩٧٠ .

وزادت **الفوائد على الديون من ٢٥ فى المائة من ميزانيات هذه الدول فى عام ١٩٦٠ الى ٣٦ فى المائة فى عام ١٩٧٠ ، وازداد عدد العاملين من ١٨ مليون عامل فى عام ١٩٦٠ الى ٢٣ مليون عامل فى ١٩٧٠ .**

ولم يتم أى تغيير على الاطلاق فى صالح الفلاحين ، بل زادت أحوال الريف سوءا ، وهكذا كان حصاد التحالف من أجل التقدم الامريكى : الاغنياء يزدادون غنى ، والفقراء يزدادون فقرا .

■■

■ **شيلى :**

هل يسد اليمين .. طريق اليسار بمرشح وسط ؟

يتابع المراقبون السياسيون ، والتقدميون بخاصة ، تطورات الموقف فى شيلى بعد فوز « **سلفادور اللندى** » المرشح الماركسى فى انتخابات الرئاسة هناك ، ويرجع ذلك بشكل خاص ، الى ان النتائج التى سيسفر عنها تطور

الاوضاع السياسية فى هذا البلد بعد نجـــاح اللندى ، سوف تلقى ضوءا على امكانية اقامـــة نظام ديمقراطىشعبى معاد للاستعمار استنادا الىالاسـاليب الديمقراطية وعنطريق الانتخابات .

وعلى أية حال ، فان متابعة الصراع السياسى داخل شيلى تكشف عن شيء ، وهو أن اليمين بدأ بالفعل محاولاته لسد الطريق على اللندى لتولى منصب رئاسة الجمهورية ، فقد أعلن **جـورج اليساندرى** المرشـــح اليمينى الذى هزم اللندى [وهواى ـــ اليساندرى ـــ من الحزب القومى اليمينى المحـــافظ] ، اعلن انه ســـيقبل اى تأييـــد برلمانى له داخل الكونجرس الشيلى لمنع مرشح الجبهة الشعبية اللندى من أن يصبح رئيســا للجمهورية ، هذا وقد جاء ترتيب اليساندرى ، الثانى بعد اللندى فى الانتخابات ، فبينما حصل اللندى على ٣ر٣٦ فى المائة من الاصوات ، حصل اليساندرى على ٣٦ فى المائة منها فقط ، بينما حصل « **رادميرو توميك** » (يســـار الحـــزب الديمقراطى المسيحى ، وهو يعتبر نفسه ممثل « اليسار المسيحى ») ويحاول تقديم نفسه علىانه مرشح الوسط بين اليمين واليسار) حصل على ٨ر٢٧ فى المائة من الاصوات .

وطبقا لنصوص دستور شيلى ، يتعين علـى البرلمان أن يجتمع يوم ٢٤ أكتوبر الحالى لاختيار رئيس الجمهورية المقبل من بين المرشحين اللذين تصدرا قائمة نتائج الانتخابات ، ونظرا لان كلا منهما لا يملك الاغلبية داخل الكونجرس ، لذا يرى عديد من المراقبين السياسيين ، أن الديمقراطيين المسيحيين الذين هزم مرشحهم ، سوف يكونون قوة حاسمة فى تحديد نتائج ذلك الانتخاب ، فللحزب الديمقراطى المسيحى وحده ٧٨ عضوا من أعضاء البرلمان وهم ٢٠٠ عضوا .

وقد أعلن « **اليســـاندرى** » أنه اذا اختـــاره الكونجرس فسيســـتقيل على الفور ، ويجـرى انتخابات جديدة ، وبهذا الصدد ، يرى عديد من المراقبين السياسيين، أنمثل هذا التدبير، سيتيح دون شك لاحد ممثلى الوسط ، أن يجمع حوله اصوات اليمين والوسط لسد الطريق على مرشح اليسار .

ونظرا لان الديمقراطيين المسيحيين ، كانوا قد أشاروا فى ٧ سبتمبر الماضى الى أنهم سيساندون اللندى ، فان التساؤلات تثور فى العاصمة التشيلية عما اذا كان الديمقراطيون المسيحيون سيستجيبون لاغراء اقتراح اليساندرى المذكور من أجل دحر اللندى أم لا ؟ . هذا فى الوقت الذى يوجه فيه اليسار الاتهامات الى السفارة الامريكية بأنها تمهد لفرض « **جورج اليساندرى** » فى حكمشيلى برغم ارادة الشعب هناك .

ومن ناحية أخرى ، فان المؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعى التشيلى ، (الذى عقد فى أواخر ١٩٦٩) كان قد حذر من محاولات الرجعية لاقامة حكم شبه فاشى دكتاتورى فى البلاد ، ومن خطورة الاعداد **لانقلاب عسكرى** ، لوقف الحركة الثورية الاصيلة ، وأشار الحزب الى اعتزام بعض الفئات القيادية فى الحزب القومى (اليمينى) العمل من أجل السير قدما « **بالحل العسكرى** » ، وطالب الحزب الشيوعى باقامة « حاجز جبار يواجه خطط المتآمرين » .

وعلى أية حال ، فان تطور الاوضاع فى شيلى فى الفترة القريبة القادمة سوف يكون بمثـــابة اختبار لمدى صحة القول بامكانية وصول القوى الديمقراطية الوطنية الى السلطة عن طـريق الانتخابات خاصة وأن شيلى تتوفر فيها ظروف خاصة ربما لا تتوفر فى أى بلد آخر فى أمريكا اللاتينية من أجل نجاح الطريق السلمى (التقاليد البرلمانية ـ غياب دور الجيش تقليديا ـ هامشية الاقطاع الزراعى) [، والحزب الشيوعى فيها قد أوضح منذ مؤتمره الثانى عشر سنة ١٩٦٢ : « أن **العلاقة الحالية بين القوى الوطنية والعالمية ، قد ضاعفت منامكانيات القيام بالثورة عنغير طريق النضال المسلح** » . كذلك فمن الناحية الواقعية ، عززت الطبقة العاملة فى السنوات الاخيرة دورها باعتبارها القوة المحركة للثورة التشيلية ومركز تجمع الوحدة الشعبية ، وحققت تقدما كبيرا فى تقوية وزيادة وحدة الحركة النقابية وزيادة تنظيم سكان المدن ، كما زادت عضوية الحزب الشيوعى التشيلى الى أكثر من الضعف منذ المؤتمر الثالث عشر ، وعزز هذا الحزب مراكزه فى الحـــركة العمالية ، وثبت ووسع مواقعه فى المناطق الريفية وبين مختلف فئات المجتمع الجامعى وبين النساء والشباب .

وتبقى فى النهاية نقطة أساسية فيما لو لم ينجح اليمين فى سد الطريق على اللندى مرشح الجبهة الشعبية ، وهى أن الحكم على سياسته المقبلة ، سيتحدد فى الاساس بموقفه من تحقيق أهم هدف ثورى فى شيلى اليوم الا وهو « **الكفاح من أجل القضاء على الامبريالية وسلطة الاحتكاريين والملكية الكبيرة الاوليجاركية ، اذ لا يمكن أن تتفتح آفاق التطـــور الاشــــتراكى بدون تحقيق هـــذه الاهداف** » .

■ المجر

اصلاحات اقتصادية جديدة

أسهمت زيارة الرئيس المجرى «بال لوزونشي» للجمهورية العربية المتحدة اسهاما ايجابيا فى تقوية التضامن والتعاون بين المجر والجمهورية العربية المتحدة ، وفى العمل على انجاح الجهود التى ترمى الى ايجاد سلام عادل فى الشرق الاوسط ، كما أسفرت عن تقدير الجمهورية العربية المتحدة للدور الذى تقوم به المجر من أجل قضية الامن الاوربى ، ومن اجل اشاعة جو الثقة والامن المتبادل فى القارة الاوربية ، كما اكدت تضامن الجانبين فى كثير من القضايا الدولية واهمها الحرب الفيتنامية ، ومقاومة الامبريالية وكافة أشكال الاستعمار ٠

وقد اعرب الجانب العربى فى هذه المحادثات عن تقديره للتقدم الذى احرزته جمهورية المجر الشعبية ، فى كافة المجالات ولا سيما تجربتها فى مجال الاصلاح الاقتصادى التى ترتبت عليها انجازات عديدة فى الاقتصاد والصناعة المجرية ـ بعامة ، ولعل من آخر هذه الانجازات ماعرضته المجر فى اغسطس الماضى فى معرض الانجازات الاقتصادية الدولى فى موسكو .

وقد لفتت هذه الانجازات انظار العالم اجمع ، اذ جاءت وليدة تجربة ثورية جديدة فى الاقتصاد المجرى ، بدأت مع مطلع عام ١٩٦٨ واطلقت عليها صحف الغرب اسم الثورة الهادئة ، **وقد تضمنت التجربة سياسة زراعية جديدة واصلاحات جريئة فى النظام الاقتصادى شملت التخطيط والاستثمار والتجارة الخارجية والاسعار وحوافز الربح ٠**

والواقع ان الاقتصاد القومى فى المجر تعرض لكبوة جسيمة عام ١٩٥٦ ، على أثر الثورة المضادة التى استغلت اخطاء القيادة السابقة لحزب العمال المجرى ، فتعطل تنفيذ خطة مشروع السنوات الخمس الثانى ، وقدرت الاضرار التى لحقت بالاقتصاد الوطنى بـ ٢٢ الف مليون فورنيت (العملة المجرية) ٠ غير أنه فى عام ١٩٥٧ امكن بفضل روح التعاون التى ابداها المعسكر الاشتراكى ، وبفضل سياسة القيادة الجديدة لحزب العمال المجرى والجهود المتضافرة التى بذلها العمال المجريون اقامة البلاد من عثرتها ، وبدأ تطبيق التخطيط الاشتراكى من جديد ، فوضعت خطة الثلاث سنوات (١٩٥٨ ـ ١٩٦٠) ٠ وحين اقتربت الخطة من نهايتها فى عام ١٩٦٠ ، زاد الانتاج الصناعى بنسبة ٤٠ فى المائة بينما استهدفت الخطة زيادة قدرها ٢٢ فى المائة ، وزاد الدخل القومى ٢٢ فى المائة ٧ بينما كانت الزيارة مقررة فى الخطة بنسبة ١٣ فى المائة ٠ وكان هذا النجاح بمثابة حجر الاساس لخطة السنوات الخمس الثانية ، كما اثبتت الخطة الثالثة من ١٩٦٦ ـ ١٩٧٠ مدى واقعيتها ٠

وقد اعطت قيادة حزب العمال المجرى اهمية خاصة للتجارب والخبرات فى مجال التخطيط والادارة الاقتصادية وراعت امكانيات البلاد ومتطلباتها ، وادخلت اصلاحات اقتصادية جديدة استهدفت بها **التخلص من الافراط فى التوجيه المركزى والميول البيروقراطية** ، واحلال نظام من التوجيه والتنظيم يتفق مع مقتضيات اقتصاد السلع ، او بعبارة اخرى يتفق مع مقتضيات اقتصاد السوق الذى يتم تنظيمه وفقا لخطة معينة ٠

وقد عمت هذه الاصلاحات الاقتصادية مختلف المشروعات والمؤسسات والتعاونيات بغرض خلق نوع جديد من المشروعات يتمتع باستقلالية فى قراراته ، وبحرية استخدام الارباح فى تمويل اعمال التجديد ، وبمشروعات التوسع واستخدام الوسائل العصرية فى المصانع والادارة ٠

ذلك أن واضعى هذه الاصلاحات قد ادركوا أن أية سياسة اقتصادية تسعى لتحقيق توازن خارجى وداخلى لا يمكن أن تحقق نجاحا الا من خلال مشروعات قادرة على الحركة ، غير مقيدة بقيود المركزية المكثفة ، وحرية الحركة هنا تعنى القدرة على المبادأة واصدار قرارات مستقلة ، وممارسة الاختيار بين الحلول البديلة مع التكيف المستمر وفقا لظروف التنافس المتغيرة دائما ، فلم تعد هناك خطة اجبارية ذات مواصفات معينة تفرض على المشروع من جهة عليا ، بل أصبح كل مشروع يتمتع بمرونة فى تغيير انواع المنتجات وفقا لحاجة السوق ، الى جانب التكاليف والاسعار ، ولا يتنافى ذلك مع ضرورة استمرار تخطيط الاقتصاد القومى بصفة عامة ٠

واصبحت الاستثمارات الجديدة من مسئولية المشروعات نفسها ، تدبرها من ارباحها وميزانيتها الخاصة ، ولم تعد الحكومة مكلفة بتدبير الاستثمارات الا من اجل المشروعات العامة للدولة كالمواصلات والمرافق والخدمات العامة وبمعنى آخر ، أصبح لكل مشروع حرية التصرف فى أرباحه على اساس دفع نصيب معين منها للدولة لتستطيع الحكومة ان تنفق على المشروعات العامة ، ثم يقسم الباقى الى ثلاثة اقسام يخصص القسم الاول منها لاستثماره فى التنمية ، والثانى للتوزيع على العاملين فى المشروع ، والثالث للاحتياطى ٠

غير انه من اهم ملامح الاصلاح الاقتصادى المجرى ذلك التغيير الذى طرأ على **نظام الاسعار** :

فقد كانت الاسعار تحدد بطريقة مركزية عن طريق مجالس خاصة للاسعار تخضع لها كل المشروعات والمؤسسات ولكن المشروعات أصبحت الان حرة فى تحديد اسعار منتجاتهاوفقا لقانون العرض والطلب فى السوق ، فيما عدا اسعار السلع الضرورية للشعب ، كأسعار المواد الخام والماكولات الشعبية الاساسية واسعار الخدمات العامة وكلها تخضع لتحديد مركزي

وهكذا وبمعني آخر **أصبح النظام الاقتصادي الجديد يراعي اقتصاد السوق ، ولا سيما بالنسبة للاسعار والمنافسة بين المشروعات المختلفة** ،وكان من الطبيعي ان يمنح هذا النظام الجديد اهمية كبري للحوافز المادية تشجيعا للعاملين على زيادة الانتــاج .

ومن جانب آخر ، دفعت هذه الاصــلاحات الاقتصادية بالتعاونيات الزراعية دفعة كبيرة الى الامام ، واعادت ثقة الفلاحين في الحكومــة والحزب ، وزاد الانتاج الزراعي زيادة كبيرة ، فقد اعطي الاصلاح الزراعي الجديد حرية القرار فيما تزرعه التعاونيات ، بينما تلتزم مزارع الدولة بسد النقص في احتياجات البلاد بما يتفق والتخطيط القومي العام ، ومن جانب آخر ، لجأت الحكومة الي اغراء الفلاحين علي زراعة انواع معينة من المحاصيل او تربية انواع من الماشية عن طريق فرض اسعار مغرية ومرتفعة عن غيرها مــن المنتجات ، وهكذا وجدت الاصلاحات الاقتصادية الجديدة فى المجر طريقها الي القطاعين الصــناعى والزراعي الامر الذي سيكون له دون شك تأثيره علي تقدم الاقتصاد المجرى عامة .

■ ■

■ **الهنـــد**

حركة « الساتياجراها » الجديدة من أجل ٩٠ مليون هكتار من الارض

لا حديث لشعب الهند منذ عيد الاستقلال (١٥ اغسطس) ، وحتى اليوم الا عن حركة « **الساتياجراهـــا الجديدة** » .. من اجل الارض .

وتســـتهدف حركة « الاستيلاء علـــى الارض » فــرض تنفيذ قـــوانين الاصـــلاح الــزراعي فى حوالى ٩٠ مليون هكتار (٢٠٠ مليون فدان) من الاراضى التي حددت بالفعل ثم ظلت بلا تنفيذ لعشرات السنين ، تحت ضغط كبار المـــلاك والفلاحين الاغنياء الهنود الذين يشكلون علي حد تعبير مجلة **زور دويتشه الالمانيـــة** « **أقوى جبهة** للاثرياء فى أى بلد ديمقراطى فى العالم ، ويمثلون بنفوذهم الضخم وسلطانهم على صغار الفلاحين والعمال الزراعيين والادارات المحلية عــاملا سياسيا حاسما فى الريف ، بحيث لا توجد فى اى مكان بالهند حتى ولا فى الولايات التى يحكمها اليسار ضريبة على الدخول الزراعية ، وتقف سلطة كبار الملاك حائلا دون اصلاح الاوضاع الاقتصادية الخطيرة لجماهير الريف الفقراء ، بل وتنجح فى تجميد القوانين الاصلاحية التــى تصــدرها الحكومة » .

ولقد كانت الاحداث والصراعات السياسية التى زخرت بها الهند منذ تولى السيدة **أنديرا غاندى** الحكم من العوامل التى استحثت الريف الهندي علــى الحــركة ، وأدت هــزيمة التحــالف اليميني (النقابة ، وسواتانترا ، وجان سانج) فى انتخابات رئاسة الجمهورية وتاميم البنــوك ، والانقسام في حزب المــؤتمر ، والتشريعـــات والاجراءات الزراعية لحكومات الجبهة المتحدة في كيرالا ، وغرب البنغال ، الى ازدياد ثقة جماهير الفلاحين بأنفسها فانتفضت للحركة من جديد .

وعندما عقد جناح حزب المؤتمر المؤيد لانديرا غاندى مؤتمره فى بومباى (ديسمبر ١٩٦٩) أكد المتحدثون انه اذا لم يجر تنفيذ الاصلاح الزراعى فلن يستطيع احد ان « يتحكم » فى الوضع فى البلاد .

وعلى الرغم من ان انديرا وجهت خطابا الى رؤساء الحكومات المحليةتطلب منهم التعجيل بتوزيع اراضى الحكومة البور على الفقراء المعدمين ، وان يتخذوا خطوات فعالة لتعديل قوانين الايجار ، الا ان البيروقراطية فى الهند (والتى تتكون من القمة حتي القاع من عناصر رجعية باستثناء حفنة من الرسميين التقدميين المبعثرين هنا وهناك) وقفت من جديد حجر عثرة امام تنفيذ أى اصلاح .

علي هذه الارضية قاد الحزب المــاركسى اللينيني - المؤيد للصين - حركة مسلحة فــي **ناكسالبارى** فى البنغال ، اصبح يطلق علي اعضائه بعــدها اسم « **الناكساليين** » ، وعلى الرغم من القضاء على الحركة المسلحة في مراحلها الاولي فانها فجرت مشكلة الارض الزراعية فى الهند بعنف لم تعد بعده قابلة للحل عن طريق الوعود والطرق الادارية .

وشهد الريف الهندي بعد ذلك حركة فلاحية تلقائية تستلهم مبادىء المهاتما غاندى عن العصيان المدنى « الساتياجراها » يقوم فيها الفــلاحون المعدمون والعمال الزراعيون بوضع ايديهم علي أراضي الحكومة ، ويجرون تقسيمها فيما بينهم ، واقامة القرى والمساكن الجديدة عليها ، وتم بالفعل حتي شهر مايو ١٩٧٠ الاستيلاء على ٠٠٠ر٣٠٤ هكتار من الاراضي الحكومية .

ومنذ يوليو ١٩٧٠ يتصدى الحزب الشيوعى الهندى - جناح راو ودانج وجوبتا - لقيادة وتنظيم هذه الحركة ، ومدها بآلاف المتطوعين المناصرين للإصلاح الزراعى من مختلف قطاعات الشعب الهندى ، وفى المرحلة الثانية من الحركة التى بدأت فى ٩ أغسطس على أساس أن تبلغ ذروتها فى عيد الاستقلال - اشترك حزبا براجا وسامبوكتا الاشتراكيان فى قيادة الحركة التى ساهم فيها - أيضا - عدد واسع من التنظيمات الجماهيرية الهندية ولقيت تأييدا واسعا بين اعضاء حزب المؤتمر نفسه .

والى جانب المعدمين وفقراء الفلاحين يشارك فى الحركة آلاف المتطوعين من عمال المدن ومن الطلاب ، وغالبا ما كانت تتم عملية الاستيلاء على الارض بقيادة اعضاء من البرلمان الهندى ،كما شاركت المرأة الهندية بنشاط فى الحركة ، ففى قرية بيزارات بولاية بيهار ، بدأت حوالى ٣٠٠ إمرأة بقيادة الطالبة الجامعية براتيما كومارى حصاد ١٧٥ بجاس من الاراضى التى تم الاستيلاء عليها ، وإفاد مراسل جريدة الوطن الهندية من « دون ديهرا » ان نساء المقاطعة ساهمن بنشاط فى الحركة ، كما ساهمت مسز فيملا فاروكى سكرتيرة الاتحاد الوطنى لنساء الهند بنشاط واسع فى عديد من المناطق والقرى .

ولم تعد الحركة تقتصر على الاراضى الحكومية بل امتدت لتشمل اراضى كبار الملاك والاراضى التى تمتلكها الاحتكارات الصناعية الكبرى ، حيث قاد جوبتا ثم وانج مجموعات المتطوعين للاستيلاء على مزرعة احتكار بيرلا فى لاشميزخيرى التى يستغلها مصنع بيرلا للورق ، وتبلغ مساحتها ٤٢٠٠ هكتار ، كانت قد انتزعت من الفلاحين مقابل وعد - لم ينفذ قط - بضمان عمل لهم فى مصنع الورق .

وعلى الرغم من أن جميع الاحزاب والتنظيمات التى شاركت فى الحركة قد أعلنت ان « الحركة بطبيعتها حركة سلمية لا تلجأ الى العنف » فان بعض كبار الملاك لجأوا الى اطلاق الرصاص على المتطوعين فى اكثر من منطقة،وقتلوا عددا منهم،كما لجأت السلطات المحلية - وهى المسئولة عن عدم تنفيذ قوانين الاصلاح الزراعى طيلة السنوات الماضية - الى عمليات الاعتقال التحفظى بالجملة للمتطوعين ، وكانت حصيلة الايام الخمسة الاولى هى سبعة عشر ألف معتقل من بينهم عدد كبير من اعضاء البرلمان الهندى ، ورؤساء الاحزاب ، واعضاء المجالس والحكومات المحلية ، ولكن هذا لم يحل دون تنفيذ الحركة واتساعها . وأعلن فى هذه الايام الخمسة نفسها إنه تم الاستيلاء بالفعل على ٤٢٫٥٢٠ هكتارا فى ثلاثين مقاطعة اهمها مقاطعات ، بيهار ، واوتار براديش ، وراجستان ، ومازهيابراديش ، واندهرا براديش ، ومساهان شسترا .. وغيرها .

ولقد ظلت الحركة هى الشغل الشاغل لكل القوى السياسية فى الهند ، فعقدت الهيئة البرلمانية لحزب سواتانترا اليمينى اجتماعا لتقرير تشكيل فرق لاستعادة الاراضى التى تم الاستيلاء عليها ، وبذلت جريدة هندوستان تايمز محاولة مكشوفة لصرف الانظار بعيدا عن المشكلة الزراعية باثارتها ما اسمته بمشكلة الخرائط التى ظهرت فى موسكو ، وتضم مساحات من اراضى الهند الى الصين الشعبية ، كما استغل زعماء الحزب تصريح ب . جوبتا زعيم الحزب الشيوعى الذى اعلن فيه ان الحزب حدد ١٢٥ من كبار الملاك الذين يملكون الإف الافدنة لتتوجه الحركة نحو الاستيلاء على أراضيهم . وانها ليست موجهة الى أراضى الوزراء الذين يعتبرون « بقالين صغار » بالنسبة لامثال بيرلا الذى يملك ١٤٠٠ هكتار فى منطقة اساليا وحدها ، استغلوا هذا التصريح ليشيعوا ان الحكومة متواطئة مع الحزب الشيوعى لتنفيذ الحركة على الرغم مما اعلنته الحكومة من أنها تعتبر الحركة « غير قانونية » كما عمدت الاحزاب اليمينية الى اثارة ضجيج عال حول نشاط « النكساليين » ، وقدموا خلال الدورة الحالية للبرلمان الهندى ثالث استجواب لهم للحكومة حول كفاءة اجراءاتها ضدهم ، وكان رد الحكومة « انها عازمة على محاربة جميع المتطرفين حتى النهاية » .

ومن جانب آخر عقدت الهيئة البرلمانية لحزب المؤتمر الهندى اجتماعا خاصا لمناقشة حركة الاستيلاء على الارض .. وكانت الخطوط العريضة فى الكلمات التى القيت هى انه على الحكومة المركزية ان تستولى هى على الملكيات الكبيرة ، وان تقوم بتوزيعها على الفقراء ، فليس هناك جدوى من اصدار القرارات مادام رؤساء الوزارات فى المقاطعات لا يقومون بتنفيذها . وانه بدلا من ترك المبادرة فى يد الناكساليين واحزاب اليسار الاخرى فان على حزب المؤتمر نفسه أن يبدأ حركة سلمية لتوزيع الارض مستخدما اساليب شرعية

ومما يذكر انه حينما انتقدت انديرا غاندى بعض الاعضاء على تأييدهم العلنى للحركة رد أحدهم بقوله « لو أن رئيسة الوزراء كانت خارج الحكم الان لكانت قد شاركت بنشاط فى هذه الحركة » . والواقع ان الكثيرين من المراقبين يعتقدون أن أنديرا غاندى كانت تتمنى لو كان حزب المؤتمر هو الذى قاد هذه الحركة بوصفه صاحب قوانين الاصلاح الزراعى والوريث التقليدى للمهاتما غاندى . ولكن تركيب الحزب الداخلى والخوف من

انقسامات جديدة شل الحزب ونقل المبادرة الى أحزاب اليسار، وقد بدا هذا جليا فى اجتماع البرلمان الهندى حيث كان عدد من اعضاء حزب المؤتمر على رأسهم **موهان داريا وتشاند راجت يادات وترلوكى سنج وسواهما ناندا** وغيرهم،قد اعلنوا تأييدهم الكامل لحركة النضال من اجل الارض معلنين انها « وليد شرعى لعدم تنفيذ قوانين الاصلاح الزراعى خلال الثلاثة والعشرين عاما الماضية » .

ومع ان وزير الداخلية أعلن ان الحكومة تعتبر الحركة غير قانونية وان كل اشكال الخروج على القانون ستقابل بحسم ، فلقد طالبت الاحـزاب **اليمينية** ان تعلن الحكومة حالة الطوارىء فى البلاد ، وعندما سالت انديرا غاندى المجلس هل يوافق البرلمان على ذلك ، **كان الرد صيحة عارمة: لا ، لا .**

وفى وسط هذه الصراعات المختلفة تندفع حركة جماهير الفلاحين للاستيلاء على الارض لتستهل **معركة ستؤدى الى استقطاب القوى فى الهند** ، رغم ما يبدو من بعض احزاب اليسار وخاصة حزب ساميوكتا الاشتراكى من لجوء الى المزايدات ، واذا كانت موجة النضال الفلاحى تعلو وتنخفض الا انها تواصل السير ، وما هو مؤكد أنها اثارت أكبر تحرك جماهيرى فى الريف الهندى ووضعت مشكلة الارض على ابواب حل حقيقى لها .

■ ■

■ الاتحاد السوفيتى

وفد مسلمى ج . ع . م فى الاتحاد السوفيتى

بناء على الدعوة التى وجهها السـيد **ضياء الدين باباخانوف** المفتى الاكبر للمسلمين فى الاتحاد السوفيتى ، ورئيس المجلس الدينى لمسلمى جمهوريات آسيا الوسطى وكازاخستان ،زار وفد من رجال الدين فى الجمهورية العربية المتحدة وعلى رأسهم الشيخ « **محمد الفحام** » شيخ الازهر الاتحاد السوفيتى فى أوائل الشهر الماضى ، وقد قضى الوفد فى الاتحاد السوفيتى حوالى اسبوعين زار خلالهما جمهوريات آسيا الوسطى وتفقد معالم موسكو وطشقند وسمرقند ودوشانبى ولينينجراد .

وفى طشقند عاصمة اوزبكستان زار الوفـد متحف الشاعر والمفكر الاوزبكسـتانى « **اليشار نافوى** » ويضم هذا المتحف ١٦ الف مـؤلف ومخطوط من الاداب الشرقية ، وينوى الشيخ محمد الفحام تأليف كتاب عن اليشار نافوى ؟ ولذلك فقد قرر أن يزور المتحف مرة اخرى أثناء انعقاد المؤتمر الدولى للمسلمين فى طشقند من٦ـ٨ اكتوبر .

وقد وعد شيخ الازهر بتقديم كل مساعدة ممكنة فى البحث عن مخطوطات نافوى .

وزار الوفد خلال جولته عددا من المساجد والاماكن المقدسة ، كما ادى الصلاة فى عدد من مساجد اوزبكستان . وقد صرح شيخ الازهـر لمراسل تاس قائلا : « لقد سمعت أشياء مختلفة عن حياة المسلمين السوفيت ، ولقد زرنا مساجد عديدة واماكن مقدسة فى طشقند وسمرقند وتحدثنا مع ممثلى رجال الدين ورأينا بأنفسنا ان المسلمين فى اوزبكستان يتمتعون بحرية ممارسة دينهم والتمسك الدقيق بمبادىء الاسلام » .

وأثنى شيخ الازهر على نشاط المجلس الدينى لمسلمى آسيا الوسطى وكازاخستان ورئيسه المفتى ضياء الدين باباخانوف وقال : « نحن راضون عن حالة المساجد فى اوزبكستان وعن الخدمات التى يؤديها رجال الدين الاسـلامى المحليين بانتظام هناك » .

واعلن رئيس الوفد تأييده لتوسيع العلاقات مع المسلمين السـوفيت ، ووصف المؤتمـر الدولى للمسلمين الذى سينعقد فى طشقند فى شهر اكتوبر الحالى بأنه خطوة كبيرة فى توسيع هذه العلاقات وقال ان ج . ع . م سترسل عددا من رجال الدين للاشتراك فى هذا المؤتمر .

وزار الوفد تاجيكستان السوفيتية ،وتعرف على مناهج التعليم فى جامعة دوشانبى ، كما زار قسم المخطوطات الشرقية فى مكتبة الجامعة وصرح شيخ الازهر « اننا نعتبر التعرف على تـاجيكستان وشعبها خطوة هامة فى تدعيم وتوسيع العلاقات الاخوية بين شعوب البلدان العربية وشـعوب الاتحاد السوفيتى » . وقد اعرب الشيخ محمد الفحام عن امتنانه للمساعدة التى يقدمها الشعب السوفيتى للعرب فى نضالهم ضد العـدوان الاسرائيلى .

وقام الوفد خلال جولته بزيارة عدد من المزارع الجماعية بجمهوريات آسيا الوسطى ، وصرح الشيخ محمد الفحام «لقد اقنعتنا زيارتنا للمزارع الجماعية فى آسيا الوسطى بأن المـزارعين **الجماعيين المسلمين يعملون كأخوة وانهم يتعاونون ويساعد أحدهم الاخر وانهم جميعا ينالون أجرا طيبا عن عملهم ، وجميعهم يعيشون حياة سعيدة مزدهرة** » .

وقبيل مغادرة الوفد للاتحاد السوفيتى أقام المفتى ضياء الدين باباخانوف حفل استقبال تكريما **للوفد حضره كبار رجال الدين المسلمين فى الاتحاد**

السوفيتي ؟ كما حضره السيد مراد غالب سفير ج.ع.م. وعدد من الصحفيين .

وردا على سؤال لمراسل نوفوش حول انطباعاته عن زيارة الاتحاد السوفيتي قال شيخ الازهر قائلا :

« لقد تلقيت دعوات عديدة من بلدان مختلفة ولكنني قررت أن أزور الاتحاد السوفيتي أولا ، لقد كان هدف زيارتنا هو دعم العلاقات الودية بين مسلمي ج . ع . م والاتحاد السوفيتي والتعرف على حياة المسلمين السوفيت .

وقد سرنا ان نعلم بانه لا توجد هناك أية عقبات لمنع المسلمين من اداء شعائر الاسلام ، وقبل أن أجيء الى هنا لم اكن اعرف انه توجد مساجد فى جميع المدن الكبرى فى البلاد ، ولكنني دهشت وسررت فى الوقت نفسه عندما عرفت ذلك ورأيته ، ولقد أديت الصلاة مع مسلمي الاتحاد السوفيتي الذين استمعوا الى وعظي بقلوب مفتوحة ، وقالوا انه لا توجد أية عقبات امام قيامهم بشعائر دينهم وانهم لا يتعرضون لاى ضغط ، وانا اقول مخلصا بأنني قد سعدت عندما عرفت ذلك .

لقد عززت زيارتنا المزيد من دعم العلاقات الودية والاخوية بين شعوب بلدينا ، وتوسيع العلاقات بين الاخوة فى العقيدة .

ونود أن نشكر المواطنين السوفيت من جماع قلوبنا لحسن ضيافتهم وحفاوتهم ، ونحن على ثقة من أن هذه الزيارة لن تكون الاخيرة ، وسيسرنا ان نجيء الى بلادكم مرة اخرى فى المستقبل القريب » .

■ ■

■ علوم

نجاح تجربة « لونا ١٦ » ثورة فى عالم الفضـاء

طغت احداث الاردن المفجعة على أبرز الاحداث العالمية الاخرى فى الايام الاخيرة من شهر سبتمبر ، ولم تفسح لها بالتالى فرصة التغطية التى تستحقها فى صحافتنا ووسائل إعلامنا ، وما من شك فى ان اطلاق الاتحاد السوفيتي « لونا ١٦ » الى القمر ، وعودة المركبة الفضائية الآلية الى الارض وهى تحمل عينات من صخور القمر ، انجاز علمى خارق يعتبر بحق « نقلة كيفية » فى استكشاف الفضاء ، ومن أبرز « معالم الطريق » فى كل الجهود التى بذلت الى الآن فى هذا الصدد ، ويفتح للمستقبل آفاقا جديدة ذات آثار خطيرة فى ارتياد الانسان للفضاء البعيد .

ولاعطاء فكرة عن مدى خطورة مايمثله الانجاز السوفيتي الاخير ، يكفى ان نشير الى الحقائق التالية :

● لاول مرة ، نجح الانسان فى تصميم جهاز آلى ، أمكن له أن يقلع بنجاح من فوق سطح كوكب آخر ، هو **القمر** ـ باطلاق صواريخ العودة ـ بعد ان هبط عليه لاول مرة برفق ، انطلاقا من دورانه حول القمر ، وليس بعد رحلة مباشرة من الارض .

وضمان عملية عودة المركبة الآلية من موقع هبوطها فى **بحر الخصوبة** الى رقعة محددة من سطح الارض فى منطقة **كزاخستان السوفيتية** ، بدون أن يوجهها رواد فضاء داخلها ، بل عن طريق التوجيه بالراديو على مسافة ٤٠٠ ألف كيلو متر ـ أمر بالغ التعقيد ، يفترض دقة فى تحديد لحظة اطلاق الصواريخ ، وفى تحديد اتجاه تصويبها تعتبر من أخطر انجازات حسابات الفضاء الى اليوم ، كذلك ينبغى ان يلاحظ ان المركبة الآلية باشرت عملها فوق سطح القمر فى وجهه المظلم ، حيث تنخفض الحرارة الى ١٥٠ درجة تحت الصفر ، وينطوى ذلك على ضرورة استهلاك قدر اضافى من الطاقة لاتمام مهمتها واطلاق صواريخها ، وليس مستبعدا ان بطاريات المركبة الفضائية كانت تعمل بالطاقة الذرية .

● أثبتت التجربة السوفيتية أنه يمكن **بالتحكم الآلى** انجاز عمليات فى الفضاء بدت الى الآن مستحيلة التنفيذ ما لم يشارك فيها آدميون ، كان أبرزها ما أنجزته الولايات المتحدة باطلاق رحلات **أبوللو** الاخيرة التى استهدفت التقاط عينات من صخور القمر واحضارها الى الارض . وقد ثبت أن هذه الرحلات التى تمت بآدميين ما زالت تعرضهم لمخاطر جسيمة ، كما دل على ذلك تجربة **ابوللو ١٣** ، هذا فى وقت اثبت فيه العلماء السوفيت امكان انجاز هذه العمليات بمركبات آلية تؤمن الانسان ضد هذه المخاطر ، وتصل الى نتائج مماثلة ، وقد ثبت الان عدم صدق الدعاوى التى أطلقتها بعض الدوائر فى الغرب حول مهمة « لونا ١٥ » التى أطلقت الى القمر فى وقت اطلاق أبوللو ١١ ، وزعم وقتذاك أن مهمة المركبة السوفيتية كانت لمجرد التشويش على سفينة الفضاء الامريكية التى حملت لاول مرة آدميين ليطأوا بأقدامهم القمر ، فقد اتضح الان أن الجدول الزمنى لكل من لونا ١٥ ، ولونا ١٦ واحد ، وبالتالى كان من المفروض أن تنجز لونا ١٥ منذ عام ما أنجزته لونا ١٦ الان ، ومن الواضح أن عيبا قد أصاب المركبة السوفيتية السابقة الى القمر ، وترتب على ذلك أن حققت أمريكا سبقا فى التقاط صخور من القمر واحضارها الى الارض .

وعلى ذلك يسلم كبار علماء الفضاء العالميين فى الغرب ، بعد نجاح تجربة لونا ١٦ ، **أن الاتحاد**

السوفيتى أثبت الان تفوقه على أمريكا فى مجال ارتياد الفضاء البعيد بمدة تقدر بأربع سنوات على الاقل ، ومن المنتظر أن يزداد تخلف أمريكا النسبى حيال الاتحاد السوفيتى خلال السنوات القادمة فى السبعيناب، فقد انجز الاتحاد السوفيتى نجاحات باهرة فى الوصول الى الزهرة ، وفى عمليات الالتحام فى الفضاء ، تمهيدا للرحلات البعيدة الى الكواكب الاخرى، وأصبح ينشيء مركبات فضائية تصلح كمراكز تدريب لرواد المستقبل ، وكقواعد مراقبة ملكية ، مزودة بأجهزة تلسكوبية مدارية بعيدة المدى ، تصلح كمراكز اتصال كونى لدراسة الظواهر الكونية على نحو أفضل مما هو متاح لدراستها فوق سطح الارض مباشرا .

ولكن الاخطر من هذا كله هو أن نجاح تجربة « لونا ١٦ » يفسح المجال لتجارب مماثلة بالتحكم الالى الى كواكب يستبعد تماما فى المستقبل التطورسفر آدمين اليها، ومنها على سبيل المثال انشاء مركبات فضاء آلير تلتقط عينات من صخور المريخ ومن الاجواء المحيطة بالزهرة ، ومن الاتربة الكونية المبعثرة فى الفضاء ، لاحضارها الى الارض فى وقت تظل فيه المجازفة بسفر الانسان الى هذه المواقع الفضائية النائية مخاطرة لا مفر من تجنبها ، وهو أمر سوف يزيد من تفوق الاتحاد السوفيتى على أمريكا التى ربطت تخطيطها فى استكشاف الفضاء بالرحلات التى تغلب فيها مشاركة الانسان .

■ وأخيرا ، ضرب الاتحاد السوفيتى فى تجربة لونا ١٦ مثلا فى التعاون الدولى السلمى فى مجال استكشاف الفضاء ، وذلك باضافة أجهزة قياس من صنع فرنسا فى المركبة، تستعمل اجهزة الليزر لتحديد المسافة بين القمر والارض ، وهذه المشاركة تكشف عن منهج فى غزو الكون الخارجى ، يتخطى اعتبارات التنافس واختلاف النظم فوق سطح الارض ، تحقيقا لوحدة الجهود العلمية من أجل رفاهية الانسان .

■ ■

■ **فنون**

الفن السوداني والسوري في القاهرة

افتتحت ادارة المعارض بوزارة الثقافة موسمها الفنى فى النصف الاول من سبتمبر ، بمعرضين هامين لفنانين من الدول الشقيقة : الاول من السودان للفنانة **كمالا ابراهيم اسحق** ، والثانى من سوريا وهو معرض جماعى يضم اعمال ١٣ فنانا وفنانة .

● **معرض الفنانة كمالا :**

أما المعرض السودانى فهو الاول من نوعه فى ج.ع.م. لانه لم يسبق لفنان سودانى ان قدم اعماله للجمهور المصرى من قبل ، رغم أن السودان تتمتع بحركة فنية تشكيلية ناهضة ، مصدرها الاول يتألف من خريجى كلية الفنون الجميلة والتطبيقية بمعهد الخرطوم الفنى ، والفنانة العارضة تخرجت فى هذه الكلية سنة ١٩٦٣ وعملت كمعيدة لمدة عام ، قبل سفرها فى بعثة الى كلية الفنون الملكية بلندن لمدة عامين ، ومعظم اللوحات التى قدمتها فى قاعة اخناتون بالقاهرة ، انجزتها فى لندن التى تعرض فيها الان أيضا بعض الاعمال مساهمة منها فى معرض الفن الافريقى المعاصر .

اللوحات الـ٣٢ التى قدمتها كمالا فى منتصف شهر سبتمبر متوسطة المساحة تغلب عليها الالوان الرمادية .فهى ليست ملونة .. بل تعتمد فى ابداعها على التصميم ، وقد درست أساليب التصميم فى لندن حتى العام الماضى كدراسة عليا ، وأسلوب الحفر على الزنك هو الاسلوب الذى فضلته الفنانة فى جميع لوحاتها ماعدا لوحتين بالباستيل ، رغم أنها بدأت حياتها مصورة بخامة الزيت ، كما أن ابتعادها عن التلوين أضفى على ابداعها التصميمى نوعا من الدرامية التى تمزج بين الرومانسية والواقعية فى غرابة لطيفة ، واذا كانت تشكيلاتها التشخيصية تذكرنا بالرسوم الطقوسية لقبائل خط الاستواء الافريقى ، مثل « الايبو واليوروبا » الا أن التشكيل فى انحاء العالم المعاصر يستلهم هذه الرسوم الغامضة السحرية ، لكنها عند كمالا تأخذ طابعا افريقيا أصيلا .

الرمزية ، والتجريدية ، والسيريالية ، والتشخيصية ، كل هذه العناصر تمثل أبعادا هامة فى لوحات كمالا ، بالاضافة الى ملامس الكهوف . وكثيرا ما تتلخص اشخاصها فى أشكال هلامية تذكرنا بالالمانى **باومايستر** فى مراحله الاولى ، كما أن طابع المونوتيب الذى نلاحظه ليس الا نتيجة للمعالجات الحمضية المتكررة على الواح الزنك .

اللوحات عند كمالا .. قائمة بذاتها .. لا تمثل شيئا معينا .. لكنها تمثل حياة درامية خاصة فى عالم غريب ..

● **معرض « الفنانون السوريون يشهدون العدوان » :**

وفى قاعة الفنون الجميلة بالقاهرة ، أقام ١٣ فنانا سوريا معرضهم الجماعى الاول حول المعركة المصيرية ضد الصهيونية، خمس وعشرون لوحة

زيتية مختلفة الاحجام ، انتظمت جدران القاعة الكبرى ، أبدعها فنانون ينتمون الى أجيال متباينة ، بعضهم يناهز الخمسين مثل **فاتح المدرس** الذى درس فى روما ومارس النحت والرسوم الصحفية وكتابة القصة ويدرس الان فى كلية الفنون بدمشق ، وبعضهم لم يبلغ الثلاثين بعد ، مثل الفنانة **أسماء الفيومي** التى تعمل بالديكور فى تليفزيون دمشق ..

بطبيعة الشعار الذى يندرج تحته المعرض ككل ، فاللوحات جميعها تميل للتشخيصية والموضوعية ، تمثل المعركة والفدائيين والارض المحتلة والاطفال المشردين والمقاتلين والشهداء . لكن هذه الموضوعية ليست اكاديمية الطابع ولا معاصرة بالشكل الذى نقرر فيه أنها تواكب الحركة الفنية العالمية كما تظهر فى البيناليات ، فألوان الزيت هى السائدة ، والتظليل باللون بقصد ابراز الاحجام ، وقليل منها مايتخذ اللون رمزا تعبيريا ، ومع ذلك نرى ملامح البوب ـ آرت فى لوحات فاتح المدرس ، التكرار والمونتاج والرمزية ومخاطبة الجماهير ، كذلك استخدام الخامات على هيئة عجينة بارزة

تعليق

اتحاد التشكيليين .. مرة أخرى

مرة اخرى يبحث الفنانون التشكيليون عن اتحادهم العام . الاتحاد الذى بذلت فى سبيل انشائه مجهودات كثيرة قبل النكسة وبعدها،حتى اسفرت الاجتماعات والابحاث عن مشروع قانون بانشائه .. ثم نام المشروع ! .

لاشك ان ظروف النكسة كان لها اثر بعيدفى هذا الرقاد ،الا ان استكمال ميلاد الاتحاد يعتبر استكمالا لمظاهر الصمود التى تجلت فى جميع الميادين الاخرى . ان الواجهة الجديدة التىتتحلى بها الجمهورية العربية الان بين الرأى العام العالمى فى الميادين السياسية والاقتصادية ، يجب ان تستكمل بريقها بالجانب الثقافى .. المظهر الجماهيرى للتقدم الحضارى . والجزء التشكيلى من هذا الجانب هو اللغة الانسانية التى لاتحتاج الى ترجمة وتفسير وحجج. ففى لمحة واحدة يستطيع الرأىالعام ان يدرك الحد الذى بلغته حركتنا الثقافية المعاصرة ، من خلال لوحاتنا وتماثيلنا وفنوننا التطبيقية والشعبية والصغيرة . ونستطيع بذلك ان نكسبالدعم الوجدانى للجماهير العريضة فى العالم فى مسيرتنا نحو أهدافنا .

واذا كان قلة من فنانينا يسافرون الى الخارج باعمالهم ، فهذا نتيجة لجهوداتهم الشخصية .. ولا يكفى . واذا كنا نرسل احيانا ممثلين رسميين لفنوننا الى المحافل الدولية القليلة (نرسلهم بالدور طبعا او بحكمالوظيفة) فهذا لايكفى أيضا . أما على الصعيد الداخلى فلا تكفى منح التفرغ والاقتناء التشجيعى لحل العقبات الاقتصادية خاصة وقد نضجت الى درجة الخوف التى تعرقل نمو الحركة التشكيلية ، من إن يصيبها « العطن » اذا لمتدركها وزارة الثقافة باعادة التنظيم وانشاء الاتحاد العام للفنانين التشكيليين ، ليقوم بواجب التسيير الذاتى .

لكن كيف يمكن لهذا الاتحاد ان يذلل العقبات فى الداخل ويقوم بالواجبات فى الخارج ؟

الاجابة هنا ،نوردها فى مفهوم الاتحاد أولا واغراضه ثانيا . فالاتحاد جهاز او اداة تنشئها وزارة الثقافة كشكل تنظيمى للفنانين ييسر حركتهم ويسمح بازدهار الاجيال الجديدة ووضع الاجيال القديمة فى مكانها اللائق والمفيد. هذا الشكل التنظيمى هو القائم حاليا فى جميع الدول الاشتراكية كتجربةناجحة بعيدة عن مضاربات الوسطاء والدخلاء، اذ انه يؤدى الىالدور الذى تقوم به الجمعيات التعاونية فى الميدان الاقتصادى طبيعى ان الميدان الثقافى يختلف .لكننا نورد هذا التشبيه لتقريب الفكرة . ان اتحاد عام الفنانين التشكيليين هيئة عامة تصدر بقانون خاص لترعى سلامة تحقيق أهداف الحركة الفنية ككل ، والفنانين انفسهم كأفراد . ان الاتحاد بمثابة الواجهة التشكيلية فى المحافل الدولية .

أما مضمون الاتحاد ودوره الفعلى والمهام التاريخية الحتمية التى تنتظر ميلاده ،فلا نجد ماهو اوفق للتعبير عنها من ان نقتبس البنود الخاصة بهذهالمهام فى المشروع نفسه الذى اشرف على بحثه ووضعه ومناقشته مع جميع الهيئات الفنية ، حسن عبد المنعم وكيل وزارة الثقافة :

(مادة ٢ : الغرض من الاتحاد :

يعمل الاتحاد بكافة الوسائل للنهوض بالفنون التشكيلية بمختلف فروعها وتحقيق الاصالة والمعاصرة فى الفن المصرى .ورفع مستوى الاداء والتذوق الفنىالعام ، وتمكين الفنان من الاضطلاع بدوره كفنان فى المجتمع ، ويكرس الاتحاد جهوده لتحقيق ما يلى :

ا ـ المصالح الادبية والمادية للفنانين الممارسين للفنون التشكيلية والعمل على تطبيق قانون حق المؤلف فى مجالها .

ب ـ تمثيل الاتحاد فى تخطيط تعليم الفنون التشكيلية .

ج ـ القيام بالمشروعات التى ترمى الى رفع مستوى الفن والثقافة الفنية .

د ـ المشاركة فى التخطيط العمرانى العام على مستوى الجمهورية لدعم القيم الفنية .

هـ ـ تمثيل الاتحاد فى اجهزة الاعلام والثقافة وابداء المشورة لها بما يحقق انتشار الثقافة الفنية بين المواطنين .

و التعاون مع المؤسسات الانتاجية فى تقديم المستوى الفنى اللائق لما تنتجه من أدوات الحياة باجازة التصميمات والنماذج الخاصة بهذه الادوات .

ز ـ ترشيح الفنانين للاعمال ذات الصلة بالفنون التشكيلية فى مختلف المجالاتوبصفةخاصة المعارضوالمسابقات الدولية والخارجية والعامة والاعمال الفنية فى منشآت الدولة .

ح ـ تكوين جمعية تعاونية لاستيراد المواد والخامات والادوات التى يحتاج اليها الفنانون فى ممارسة انتاجهم الفنى.

ط ـ تسويق الاعمال الفنية داخليا وخارجيا .

ى ـ دعم العلاقات الفنية والثقافية مع الاتحادات والهيئات والمنظماتالثقافية والفنية الداخلية والخارجية .

ك ـ نشر الثقافة الفنية عن طريق الابحاث والتراجم والمؤلفات .

ل ـ انشاء صندوق لمعاشات واعانات الفنانين التشكيليين تنظمه لائحةخاصة).

. . .

من يستطيع انيتحمل هذه المسئوليات غير الاتحاد العام للفنانين التشكيليين ؟؟

مختار العطار

يسقط عليها الضوء فيشترك في التعبير ، أما **غازى خالدى** [٣٥ سنة] فيتجه الى تركيبات درامية دون الاعتماد على الالوان ٠٠ مع احساس بالصخور والبرارى والاشجار وروح التوقع ، ويتجه **الياس زيات** (٣٥ سنة) الى البوب آرت من حيث هو تصميمات منوعة في لوحة واحدة ، مع منح اللون الابيض فرصة رمزية مناسبة ، وتشكيل المنازل بأسلوب النحت أحيانا ، والاتجاه بلوحته الى ما يوازى الملحمة الشعرية الاسطورية ، فالخيول المتتابعة ٠ ٠ والوجوه الانسانية المتطلعة ٠ ٠ والتقسيمات المتزنة ، تضع لوحته « عودة الزيتون » في اطار متحفى ٠

نشأت الزغبى أيضا (٣١ سنة) لفت الانظار بلوحته « **فدائيو القدس** » بمساحاته السوداء الرهيبة ، وتقسيماته الرمزية وأسلوب خداع البصر الذى اتبعه في أشكال الوجوه والعصافير ٠٠ والرمزية عن طريق ترتيب العناصر ٠

أما **نذير نبعة** (٣٢ سنة) باتجاهه التعبيرى المعتمد على الخطوط الرأسية والافقية ، فهو يستغنى بالتشكيل المتزن عن التلوين الرمزى ، لكنه في نهاية الامر يقدم تصويرا بليغا لمضامين العزم والتصميم والتضحية ٠

ان معرض الفنانين السوريين كان معرضا محدد الهدف ، يتجه مباشرة الى التعبير عن القضية ، مع تأجيل للتكنولوجيا المعاصرة والخامات الجديدة ، لانه اتجه الى مخاطبة الجماهير ، ويجب أن نذكر هنا أن « مخاطبة الجماهير » اصبحت شعار الفن المعاصر في الثلث الاخير من القرن العشرين ٠

■ ■ ■

تقرير شامل

الخطة ٠٠ والخطة المضادة
الموسم المسرحى القادم

ربما لم يعرف تاريخ مؤسسة المسرح — او الهيئة العامة للمسرح كما تدعى الان — مثل هذا الضجيج الذى يسبق الموسم المسرحى ، والذى استخدمت فيه بعض الاطراف المتصارعة ، اساليب غيرمشروعة ، سواء من زاوية التقاليد المعمول بها حين تتباين وجهات النظر في احدى القضايا ، او من زاوية المصلحة العامة لمستقبل المسرح في بلادنا ٠ وكانت النتيجة — المحتومة — ان اختلطت الامور اختلاطا يصعب معه فرز الخيوط من بعضها البعض حتى تتضح الحقيقة من الزيف ، وحتى تنجلى المشكلات الحقيقية التى تواجه المسرح المصرى : بدلا من طمسها لحساب العلاقات الشخصية والاهواء العارضة ٠

غير انه لابد من القيام بهذه المهمة الصعبة من واقع الوثائق الرسمية وفقا لترتيبها التاريخى : حتى نستبعد « الغبار » الذى تثيره الزوبعة الصحفية الدائرة حول الموضوع ، وهو الغبار الذى يحجب الكثير من الحقائق ويقلب الكثير من الوقائع ، بحيث أن استبعاده يمس ضرورة ملحة في تبين الخيط الابيض من الخيط الاسود من نور الفجر ٠

تبدأ القصة من نهاية الموسم الماضى ، عندما اكتشف المسئولون عن الحركة المسرحية أن هناك خمس مسرحيات للكتاب المصريين لم تعرف طريقها الى التنفيذ او العرض لاعتراض الرقابة أو التنظيم السياسى عليها ، هذه المسرحيات هى : « المخططين » ليوسف ادريس ، و « سر الكون » لنعمان عاشور ، و « سبع سواقى » و « الاستاذ » لسعد الدين وهبة ، و « الفرش الازرق » لصالح مرسى ٠ ولقد أدى احتجاب هذه الاعمال — أيا كانت الاسباب التى دفعت اليه — الى هزال الموسم المسرحى واضطرابه بين الريبورتوار والارتجال ٠ ولما كان خطر الاحتجاب قائما ولا سبيل الى توقيه ، فقد رأى المسئولون ان يكون البديل المعد بصفة دائمة ومخططة هو تقديم نماذج من المسرح العالمى لا تخضع للصدفة ، وانما لابد من اعتمادها كمادة رئيسية جنبا الى جنب مع النصوص المحلية ذات المستوى ، والقابلة للعرض دون تعطيل ادارى أوسياسى وكان التوجيه الاول في هذا الخصوص من جانب **الدكتور ثروت عكاشة** في اجتماع مجلس ادارة الهيئة العامة للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية ، المنعقد بتاريخ ٦ — ٤ — ١٩٧٠ حيث جاء على لسان وزير الثقافة — كما دونه محضر الجلسة (ص ٢٢) — بالحرف « **فى زيارتى لستكهولم تساءلت عما يقدم من مسرحيات وقت وجودى بها وعلمت أن ثمة مسارح اربعة احدها يقدم مسرحية لكوكتو ، والآخر**

ليوجين أونيل والثالثة لاليوت والرابعة لا أذكر لمن . وتساءلت لم لا نقدم مسرحية من تاليف كاتب سويدى ، وكانت الاجابة انه فى الوقت الحالى لا يتوفر لدينا مسرحية سويدية جيدة نقدمها للجمهور ، ولا بأس حتى تظهر هذه المسرحية من تقديم روائع خالدة من الفن الدرامى استقرت فى العالم كله بصرف النظر عن جنسيتها . ولست أعتقد أن البيئة الثقافية الخلاقة بالسويد يمكن أن نصفها بأنها دون بيئتنا قدرة . ومن ثم أرى احتراما وترشيدا للجمهور لدينا أن نقدم له الروائع العالمية الى جوار الاعمال المحلية ذات المستوى . **وهذا الكلام كما هو موجه الى مجلس الادارة موجه على الاخص الى لجنة الرأى والتوجيه للمسرح».**

وقد حضر هذا الاجتماع وسمع هذا التوجيه من أعضاء المجلس : عبد المنعم الصاوى وسعيد خطاب وسعد وهبة ونبيل الالفى وسعد أردش وصالح عبدون وسهير القلماوى وعبد الحميد السحار وعبد العزيز الاهوانى ولويس عوض وأحمد رشدى صالح وحسن عبد المنعم ومستشار الرأى بمجلس الدولة .

كان هذا توجيها عاما ، لم يشر صراحة الى العقبات التى تحول دون تغطية النصوص المحلية للموسم المسرحى ، وانما اكتفى بالجانب التربوى للمسرح العالمى ، سواء للجمهور أو للمسرحيين ، فالنماذج الرفيعة من آيات المسرح الاجنبى تحمل فى طياتها بعدا انسانيا ما أحوجنا اليه فى تنمية الذوق الرفيع للشعب وتربية حواسه الفنية بما يجعل منها مقياسا حقيقيا فى الرفض والقبول ، ويحميها بالتالى من عبث الفرق الخاصة وتهريجها الرخيص . واقترابا من هذا المعنى وتحقيقا له جاءت الرسالة التى بعث بها **توفيق الحكيم** الى رئيس لجنة الرأى بالمسرح ، وقد تليت على أعضاء هذه اللجنة ، وكان نصها فى محضر جلسة ١٣ ــ ٥ ــ ١٩٧٠ كما يلى :

« عزيزى الدكتور لويس عوض

أنت الآن مشغول بالمسرح .. وخطرت لى الآن فكرة أردت طرحها قبل أن تصرفها عنى مشاغل أخرى : أعتقد أن أهم خطوة فى اصلاح مسرحنا هو وضعه على أساس جاد . وأيسر وأبسط مظاهر هذا الاساس الجاد هو الحجر الاول فى الهيكل الكلاسيك . وفى عصر الاتجاهات العصرية للمسرح فى اوروبا اليوم ، فان هيكل الكلاسيك له مكانه المستقر فى الكوميدى فرانسيز فى فرنسا ، وفى الاولدفيك [لورنس اوليفييه] فى انجلترا .

وفى مصر وزارة الثقافة وضعت أكثر الفنون على أسسها الكلاسيك الجافة : كونسرفتوار الموسيقى ، والاوركسترا السيمفونى ومعهد الباليه وفرق الباليه الخ .. ماعدا المسرح فهو متروك للمصادفات . ألا ترى أن تخصص فرقة تعرض كل عام مسرحية لشكسبير وأخرى **لموليير ثم لكورنى وابسن وتشيكوف الخ ... وتسير فى ذلك على نظام الريبورتوار المتبع فى فرنسا وانجلترا ، بل المتبع عندنا فى بروجرام أوركسترا القاهرة السيمفونى .**

انت خير من يحقق ذلك، والدكتور ثروت عكاشة خير من يرعى ذلك .

وشكرا « الحكيم »

وقد ناقشت اللجنة فكرة اقامة مسرح كلاسيكى متخصص فى الروائع العالمية ، وانتهت الى انه من الافضل توزيع هذه الروائع على المسارح المختلفة ، فالتجريبى منها لمسرح الجيب ، والراسخ للمسرح القومى ، والكوميدى للمسرح الكوميدى ، وهكذا .. جنبا الى جنب مع الاعداد الدقيق لمسرح مستقل للكلاسيكيات فى المستقبل . وقررت اللجنة بحضور : لويس عوض ونبيل الالفى ويوسف ادريس والفريد فرج وكمال يس ومحمد السبع وسميحة ايوب وانيس منصور وسهير القلماوى وعبد العزيز الاهوانى ، قررت ما نصه فى محضر الجلسة « **ان يكون نصيب المسرحيات المترجمة والممصرة ٥٠ فى المائة على الاقل من جملة ما تعرضه الفرق المسرحية للهيئة ، وأن يكون نصف هذا المترجم من الكلاسيكيات ، وان يوزع هذا القدر بحيث تقدم كل فرقة مسرحية مترجمة على الاقل بحسب نوعية الفرقة وصفتها الفنية . أما الخمسون فى المائة الخاصة بالمؤلفين المصريين فتشتمل على الاعمال الجديدة والاعمال المعادة من الريبورتوار . كما ترى اللجنة أن يخصص نصيب من الانتاج لاحياء التراث القومى ، على أن تسعى الهيئة تدريجيا فى خلال خمس سنوات الى تخصيص مسرح للفن الكلاسيكى** » .

وعلى ضوء توجيهات وزير الثقافة وقرارات لجنة المسرح وضعت الخطة السنوية للموسم القادم على النحو التالى :

أ ــ المسرح القومى ، يقدم من المسرحيات المؤلفة « جمعية تحضير الانسان »ليوسف ادريس اخراج سعد اردش ، و «الحيطان لها لسان» لسعد الدين وهبة اخراج حمدى غيث (وهناك اقتراح بنقلها لمسرح الحكيم) و « الحسين ثائرا » لعبد الرحمن الشرقاوى اخراج كرم مطاوع ، ومن الريبورتوار « سر الحاكم بأمر الله » لعلى أحمد باكثير اخراج جلال الشرقاوى ، و « سليمان الحلبى » لالفريد فرج اخراج حسين جمعة (وهناك اقتراح باستبدالها بالناس اللى فوق لنعمان عاشور) . ومن المسرحيات العالمية يقدم « ليالى الغضب » لسالاكرو اخراج جلال الشرقاوى ،

و « فيدر » لراسين اخراج فتوح نشاطى و « وفاة بائع متجول » لارثر ميلر اخراج احمد زكى .

ب — **مسرح الحكيم** ، ويقدم من المسرحيات المؤلفة « شمشون ودليلة » لمعين بسيسو اخراج نبيل الالفى ، و « ليلى والمجنون » لصلاح عبد الصبور اخراج عبد الرحيم الزرقانى ، و « نور الظلام » لرشاد رشدى اخراج كمال يس ، ومن الريبورتوار « وابور الطحين » لنعمان عاشور اخراج محمود السباع . ومن المسرحيات العالمية « هاملت » لشكسبير اخراج نبيل الالفى ، و« الحارس » لهارولد بنتر اخراج حسين جمعة ، ومن الريبورتوار « ثلاثية اوريست » لاسخيلوس اخراج موزوتيدس واحمد عبد الحليم ، و « ثمن الحرية » لروبلس اخراج محمد عبد العزيز .

جـ — **مسرح الجيب** ، ويقدم من المسرحيات المؤلفة « مجلس العدل وزائر الفضاء » لتوفيق الحكيم اخراج كمال حسين و «الست هدى» لاحمد شوقى و « الأميرة تنتظر » لصلاح عبد الصبور اخراج محمد عبد العزيز ، و « العائد » لفوزى فهمى [الاخراج لم يوزع بعد] ، ومن الريبورتوار « الانسان والظل » لمصطفى محمود اخراج حسن عبد السلام . ومن المسرحيات العالمية «انجولا » لبيتر فايس اخراج حمدى غيث و « أسكوريال » و « جورنيكا » لارابال اخراج كرم مطاوع و « الامير الصغير » لسانت اكسوبرى اخراج أحمد زكى .

د — **المسرح الكوميدى** ، يقدم من المسرحيات المترجمة والممصرة والمؤلفة : « أربعة مواقف فى الحديقة » لباربه وجريديه اخراج كمال يس ، و « بونتيلا وماتى » لبريخت اخراج عبد الرحيم الزرقانى ، و « لكل حقيقته » لبرانيدللو (لم يحدد مخرجها)، و « آه يا بلد » لوحيد حامد يخرجها سيد راضى ، و « الصامولة مفكوكة » لمختار الوكيل ومحمد عبد الجواد السباعى ، ويخرجها محمود السباع ، و « هبط الملاك فى بابل » لدورنيمات اخراج سعد أردش (ومقترح نقلها للحكيم ومقترح سمير العصفورى لاخراجها .

هـذه هى الخطـة التفصيلية التى لم يعرف « الجمهور » منها شيئا فى غمرة المهاترات الصحفية التى اكتفت بالقول أن ٥٠ فى المائة للمترجمات عن المسرح العالمى نسبة قاتلة للمؤلفات من المسرح المحلى .. ورغم أن الخطة قد تم وضعها على مراحل بدأت بتوجيه من وزير الثقافة ورسالة من توفيق الحكيم وانتهت بتخطيط القيادة الجماعية للمسرح فى بلادنا (وهى لجنة المسرح ومجلس ادارة الهيئة) الا أن التجريح قد نال رئيس اللجنة وحده بحجة أنه يقود حركة « تغريب » للمسرح المصرى . بينما النظرة الموضوعية الامينة على الخطة تقول بأن معظم كتاب المسرح المصرى يشتركون فى الموسم ، سواء بمسرحيات جديدة أو بمسرحيات معادة . كما تقول هذه النظرة ان الروائع العالمية المختارة تتفق والاهداف المرجوة من قيـام همزة الوصل بين المواطن المصرى والضمير الانسانى العام .

ولكن المشكلة تركزت فيما بعد على مسرحية بعينها لشكسبير هى « انطونيوس وكليوباترة » .. فقد أوهمت الزوبعة المثارة **أولا** أن المسرحية تم الاقتراح بعرضها بعد وضع الخطة من جانب رئيس لجنة المسرح ، وهو مترجم المسرحية ، وأن المسرحية **ثانيا** لا تتلاءم مع اوضاعنا الوطنية الراهنة لانها تصور مصر فى مرحلة سوداء من تاريخها .

أما بالنسبة للنقطة الاولى ، فالحقيقة أنه ليس هناك ارتباط من أى نوع بين فكرة تقديم « أنطونيوس وكليوباترة » والخطة المقترحة للموسم المسرحى ، وبالتالى فانها لم تكن تطبيقا لتخطيط سابق عليها . وانما نبتت هذه الفكرة لاول مرة (١) بين اعضاء فرقة مسرح الحكيم على اثر اكتشاف المسرح الرومانى بالاسكندرية ، (١)حيث استقر الرأى فى الاجتماع العام الذى عقد لاعضاء الفرقة فى ١٩٧٠/٥/٧ على اقتراح « بتقديم عرض لمسرحية أنطونيوس وكليوباترة فى الاثر الرومانى المكتشف بكوم الدكة بالاسكندرية » كما جاء بالحرف فى مذكرة مدير المسرح ، على أن يستند المسرح فى تقديم العرض على « ١ — ترجمة الدكتور لويس عوض [واستبعاد ترجمة محمد عوض ابراهيم لنفس المسرحية . ٢ — اخراج نبيل الالفى . ٣ — استضافة حمدى غيث وسميحة أيوب للقيام بدور البطولة » . وفى جلسة المكتب الفنى لمسرح الحكيم بتاريخ ١٠ / ٥ / ١٩٧٠ برئاسة نبيل الالفى وعضوية الدكتورة فاطمة موسى وأحمد عباس صالح وافق المكتب باجماع الاراء على تقديم عرض مسرحية « أنطونيوس وكليوباترة » بالمسرح الاثرى المكتشف فى كوم الدكة من اخراج نبيل الالفى وترجمة لويس عوض وبطولة حمدى غيث وسميحة أيوب . ووافقت لجنة المسرح على هذا القرار فى اجتماعها بتاريخ ١٩٧٠/٥/١٣ ، وقد حضره بخلاف رئيسها ومقررها من الاعضاء : يوسف ادريس ، الفريد فرج ، كمال يس ، محمد السبع ، سميحه أيوب ، أنيس منصور ، سهير

---

(١) وكان عبد المنعم الصاوى قدكتب الى لجنة المسرحبشان الاثر الرومانىالمكتشف بالاسكندرية ، وامكانية استعادة العرض المسرحى به .

التلماوى ؟ عبد العزيز الاهوانى . ثم اقر مجلس ادارة الهيئة العامة للمسرح هذا القرار ، برئاسة وزير الثقافة فى جلسته المنعقدة بتاريخ ١٣/٧/١٩٧٠ ، وقد حضر الاجتماع ـ عدا الدكتور ثروت عكاشة ـ سعيد خطاب وسعد الدين وهبة ونبيل الالفى وصالح عبدون وعبد العزيز الاهوانى ولويس عوض وحمدى غيث وحسن عبد المنعم ومستشار الرأى بمجلس الدولة . ويقول محضر الجلسة ما نصه بالحرف « أقر المجلس عرض مسرحية انطونيوس وكليوباترة على المسرح الرومانى بالاسكندرية » .

وبدأ التنفيذ بالفعل ، بمعاونة محافظة الاسكندرية ، واشراف نبيل الالفى المستشار الفنى لهيئة المسرح ومخرج المسرحية ، ولكن عاصفة هوجاء ما لبثت ان هبت على « انطونيوس وكليوباترة » ربطت بين خطة « تغريب المسرح » كما دعوها وبين تقديم هذه المسرحية غير الملائمة ـ كما قالوا ـ للعرض فى الوقت الحالى . ثم ربطت العاصفة بين أن يكون رئيس لجنة المسرح هو مترجم المسرحية المذكورة ، أى بين التخطيط لتغريب المسرح واستغلال النفوذ . وذلك بالرغم من الانفصال التام بين فكرة عرض انطونيوس وكليوباترا فى الصيف على المسرح المكتشف بالاسكندرية لملاءمة موضوعها مع الأثر الرومانى ـ وهى فكرة لم يكن لرئيس لجنة المسرح أى فضل فى تقديمها ـ وبين قضية التخطيط للموسم المسرحى التى تمت هى الاخرى بتوجيه الوزير المختص ، وتوصية رائد المسرح المصرى توفيق الحكيم ، واتفاق آراء نخبة من رجالات المسرح والثقافة فى بلادنا ، ولم يكن لرئيس لجنة المسرح ـ بطبيعة الحال ـ الا صوت واحد بين هذه الأصوات .

على أنه اذا أمكن غض البصر عن الاتهامات الجزافية وما تحمله فى ثناياها من تشهير وتجريح تختص به المحاكم لا منابر الصحف ، وما تخفيه كواليسها من مصالح شخصية وعلاقات اجتماعية .. فان الذى يعنى الحركة المسرحية ـ والحركة الفكرية بشكل عام ـ هو الوجه الموضوعى للمشكلتين المثارتين . وليست حكاية تغريب المسرح أو الادب قضية جديدة ، وانما هى تمتد فى تاريخنا الحديث الى أكثر من نصف قرن . واذا كان القدامى الذين حاربوا « التغريب » قد تسلحوا بفكرة العودة الى التراث القومى ، فان المحاربين الجدد لم يضيفوا جديدا سوى أن التراث فى نظرهم لم يعد ابن قتيبة وابن تيمية، وانما اصبح سعد الدين وهبة ورشاد رشدى . ويبدو أن من المكرر ـ المعاد أيضا ـ القول بأن لا تعارض حقيقى بين التراث القومى والتراث الانسانى ، وأننا فى أمس الحاجة الى التراث الانسانى لنعوض ما فاتنا من قصور اجيال واجيال وقرون وقرون . . وان « النهضة » فى تاريخنا الفكرى يختلف مسارها عن اليونانى الرومانى من جانب الاوربيين فى عصر نهضتهم كان مبررا فى مواجهة كنيسة العصور الوسطى بكل ما تعنيه من أوضاع وقيم . أما نهضتنا فكان لابد لها من الاعتماد على ثمرات الفكر الأوربى الذى أفاد بدوره يوما ما من حضارتنا . ولازلنا الى الان بحاجة الى نقل الكثير من الفكر والادب العالمى ، لا فى مجال الفن المسرحى وحده ، وانما فى كافة مجالات الثقافة . هذا النقل ليس **استيرادا** ، وانما هو حق التفاعل بين حضارات الشعوب على مدى التاريخ . هذا النقل **يغنى تراثنا القومى** ولا يهون من شأنه . والعبرة فى تطبيق هذا المبدأ الجوهرى ـ اذا ابتعدنا عن الشوفينية الرعناء وضيق الافق ـ هو الاختيار ، وليس من شك فى أن النماذج المختارة من المسرح العالمى فى خطة الموسم الجديد تمثل اختيارا أمينا لجماهيرنا ومرحلتنا الحضارية الراهنة . وليست النسبة المقترحة (٥٠ فى المائة) بالفكرة الجامدة ، اذ من البديهى ـ عند المسئولين عن الحركة المسرحية ـ ان احدى مسرحيات نعمان عاشور ، او يوسف ادريس أو الفريد فرج لن تعوق ظهورها فى أحد المواسم مسرحية لكاتب أجنبى .. وانما التعويق يجىء من جانب جهات وظروف لم يناقشها بصراحة وشجاعة ، اولئك الذين تصدوا لمنازلة طواحين الهواء تحت شعار « تغريب المسرح » [٢] .

أما المشكلة الثانية الخاصة بـ « أنطونيوس وكليوباترا » فقد مضت فى طريق غريب أختلط فيه الرأى بالتشهير باستعداء السلطة ، لان شكسبير ـ هكذا فجأة ـ أصبح يهدد أمننا القومى . ذلك أنه على اثر مقال لاحد النقاد هاجم فيه عرض المسرحية لاسباب « وطنية » رفعت لجنة الدعوة والفكر مذكرة الى اللجنة التنفيذية العليا تطلب فيها ايقاف عرض المسرحية لنفس الاسباب . وقد أحيط وزير الثقافة علما بما انتهى اليه الرأى من أيقاف فورى للتدريبات التى كانت قد بدأت فعلا بالمسرح الرومانى المكتشف . وقام الوزير بابلاغ الأمر الى الجهة التنفيذية ، وتوقف العمل بالمسرحية . وكتب **الدكتور على الراعى** مقالا فى روز اليوسف بتاريخ ٢٤/٨/١٩٧٠ جاء فى مقدمته « **لوجه المصلحة**

[٢] وكان عبد المنعم الصاوى هو اول من آثار هذه المشكلة داخل مجلس الادارة ، ثم تفرعت المشكلة باعتزاله واستقالة المخرجين الاربعة .

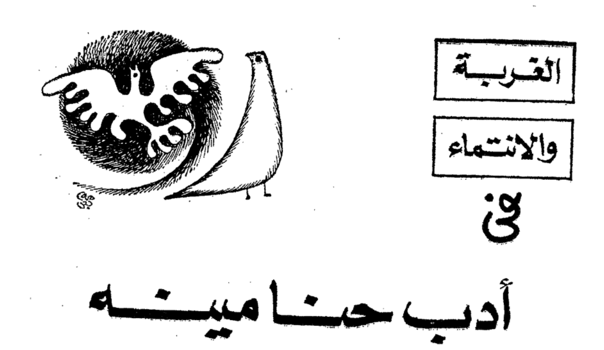
العامة وحدها ، وحفاظا على سمعة بلادنا الفنية ، اضع رأيي امام من اتخذوا قرار الالغاء ، آملا ان يتبينوا — كما أتبين أنا بوضوح — مدى مافيه من اهدار لاشياء كثيرة تهمنا جميعا » . وأوضح الناقد — استاذ الادب الانجليزى المتخصص — أن المحور الدرامى فى المسرحية لا علاقة له بالمعنى السياسى المباشر الذى يقول به البعض ، وانما تجىء مصر وتاريخها فى ذلك الزمن كخلفية لموضوعها الحقيقى والرئيسى وهو « مأساة الرجل العظيم ، القادر على التمام ،الذى يحول بينه وبين المجد ضعفاساسى فيه ، يتمثلفى عشقه المحموم لامرأة عامرة الجسد ذكية الفؤاد ، تبدل العشاق وفق متطلبات سياستها ، وليس مطاوعة لهوى فؤادها» ، وتساءل الدكتور الراعى عما اذا كانت روحنا المعنوية منالهشاشة حقا ، حتىتسىء اليها قصة جرت أحداثها قبل الميلاد « وهل يراد لنا ان نعتقد أن أمورنا سارت على ما يرام طيلة تاريخنا الطويل ؟ وهل انكرنا اننا هزمنا فى يونيو ١٩٦٧ وهل فتتت الهزيمة فى عضدنا ؟ الم تكن حافزا لاستئناف النضال ؟ » وضرب مثلا من تاريخ الشعب البريطانى ، حيث كان المسرح يعرض عليه ابان الحرب العالمية الثانية مسرحية « بيت القلوب المحطمة » لبرنارد شو ، ولم يساور احد من النظارة الشك فى أنها قد تسىء الى الروح المعنوية للشعب فى صراعه الوحشى مع زبانية الفاشية . ويختتم مقاله بقوله « **أخشى أن يقول الناس عنا فى غد اننا صادرنا شكسبير لاسباب واهية . اخاف ان يضحكوا منا مثلما ضحكوا فى الثلاثينات ، حين صادرنا مسرحية برنارد شو « القديسة جون » فى الجامعة بزعم أن بها عبارات تسىء الى المقدسات** » .

كذلك أبدى نبيل الالفى — المخرج الذى قام باعداد المسرح المكتشف للعرض — تساؤله عن الاسباب التى دفعت لجنة الدعوة والفكر الى كتابة مذكرتها على ضوء مقال لاحد النقاد ، ولم تضع فى اعتبارها رأيا آخر لعشرات من رجال الفكر والمسرح الذين اقترحوا ووافقوا وقرروا عرض المسرحية ، ابتداء من فرقة الحكيم ومكتبها الفنى الى لجنة المسرح ومجلس الادارة ووزير الثقافة ؟ بل أن لجنة الدعوة والفكر لم تضع فى اعتبارها — يقول نبيل الالفى — رأى المخرج فى المسرحية اذا كان « الاخراج » وجهة نظر فى العرض المسرحى « **ان شكسبير يقدم فى الاتحاد السوفيتى بنفس الحفاوة التى يقدم بها فى دول المعسكر الرأسمالى ، وان هذه الظاهرة ما كان يمكن أن تأخذ طريقها الى الواقع ، ما لم تكن المعالجة ووجهة نظر المخرج قد دخلت فى الاعتبار** » (مجلة الكواكب — أول سبتمبر ١٩٧٠] .

وقد عاود الدكتور على الراعى تعرضه للفكرة التى أثيرت حول الموضوع ، والقائلة بأن المسرحية ليست ممنوعة وانما هى مؤجلة الى ما بعد ازالة آثار العدوان ، فقال [بروز اليوسف ١٤/٩/١٩٧٠) أنه « **لا يوجد فارق كبير بين أن تقول : لا تعرض مسرحية ما ، أصلا .. وأن تقول : تعرض بعد سنين ، ما دام الاساسهو ان عرضالمسرحية الان يسىء الى معنوية الشعب . وهو ما ينبغى رفضه من الاساس ، لان فى قبوله تسليما بمبدأ لم يقم عليه دليل قط وهو أن العمل الفنى يمكن أن يكون ضارا وجيدا معا** » وعليه يرى الكاتب أن المسرحياتالمناضلة — مثلا — لا ينبغىاننحتفل بها فى الازمات ، وانما ينبغى تقديمها فى كل وقت ، اذا حققت البعد الانسانى فى كل أدب عظيم . وكذلك الاعمال التى تتخذ من حياة الانسان الداخلية خامة لها ، لا ينبغىأن يكون لها مواسم« لان احدا لم يقل قبل الان أن الحب مشكلة مرحلية ، تنبت وقت السلم ، وتصادر ايام الازمات » . ويمضى الدكتور على الراعى فيقول انه لا بأس من أن تكون هناك مسرحيات تتحدث عن النصر ، وأخرى تصور الهزيمة وتحذر منها « **ان الشعب الصاحى لا يطلب الصلح من أعدائه لمجرد عرض مسرحية يقال انها قد تسىء الى روحه المعنوية** » ، وينتهى الناقد الى القول بأننا لو أحتكمنا الى المعيار السطحى المباشر فى رؤية العمل الفنى سياسيا ، لحكمنا على أكبر أعمال شكسبير بمعاداة ظروفنا الوطنية ، فهاملت المتردد ، وعطيل قاتل البيضاء ومكبث الدكتاتور و « الملك لير » التى يهزم فيها الخير هزيمة ساحقة ، جميعها يمكن تأويلها و « الاسقاط » عليها بحيث لا ينبغى — اتساقا مع المنطق السطحى فى تفسير الفن — ان نعرفها ، قراءة ومشاهدة ، ليس الان فقط وانما فى المستقبل ايضا . وما لم يذكره الدكتور الراعى أنه يمكن وفقا لهذا المفهوم الساذج — وسىءالنية فى نفسالوقت — ان ننفى الغالبية العظمى من التراث العالمى عن ديارنا . بل يجب أن نحاكم أولئك الذين اكتشفوا الاثر الرومانى فى الاسكندرية ، فقد كان جديرا بهم أن يهيلوا عليه التراب ثانية ، لانه جزء لا ينفصل عن المرحلة السوداء التى عاشتها مصر حينذاك .

هذا وقد انتهت القصة — أم بدأت ؟ — باستقالة رئيس لجنة الرأى والتوجيه بالمسرح ، الدكتور لويس عوض ، من كافة المسئوليات الرسمية المسندة اليه فى الهيئة العامة للمسرح . فهل تنتهى — أم تبدأ ؟ — مشكلات الخطة وشكسبير .قبلان يجيب أحد على السؤال ، يجب أن يتأمل قليلا الازدهار المفتعل والمدوى للقطاع الخاص الذى أضاف الى كابريهات القاهرة عددا هائلا .. فتلك هى الخطة المضادة .

غالى شكرى



الغربة والانتماء في أدب حنا مينه

غالى شكرى

لاتزال **الروايه العربية فى سوريا** عملا فرديا مبعثرا لاينتظمه تيار أدبى يسود أويصارع ضمنبقية تيارات الحركة الفنية .. فالشعر والقصة القصيرة يستحوذان على اهتمام الاجيال والاتجاهات المختلفة ، بينما تظل الرواية فى **الادب** السورى الحديث عملا أقرب الى الهواية بالنسبة للبعض ، وعملا ثانويا بالنسبة للبعض الاخر ، وعملا جادا بالنسبة للقلة القليلة • ولكن جدية هؤلاء تلازمها ندرة فى الانتاج تبلغ احيانا درجة الانقطاع سنوات طويلة • ولعل **حنا مينه** فى مقدمة أولئك الذين لا ينتمون الى جيل روائى ، ولكنه لا يتخذ من الكتابة الروائية احدى هواياته ، ولا يجعل منها عملا ثانويا •• رغم اقلاله الشديد فى الانتاج وتباعد الزمن بين رواية وأخرى • فروايته الاولى « **المصابيح الزرق** » صدرت عام ١٩٥٤ ، وروايته الثانية « **الشراع والعاصفة** » ظهرت عام ١٩٦٦، وروايتهالثالثة « **الثلج ياتي من النافذة** » عام ١٩٦٩ • ومن المفيد القول ـ تفسيرا لهذه الظاهرة ـ ان العمل الادبى فى حياة حنا مينه جزء لا ينفصل عن هذه الحياة ، فهى تمده بالخامة البكر وهو يمدها بالمعاناة والفكر ، والنتيجة هى هذه الوحدة العميقة والاصيلة بين الكاتب وأدبه • ولكنها ليست وحدة من ذلك النوع الذي يدفعك الى تبين تفاصيل الحياة الشخصية للفنان بين سطون قنه، أوتبينخريطة الواقعالحرفىفوق الصفحات ، كلا ، فان حنا مينه ليس ناقلا فوتوغرافيا ولا كاتب ذكريات ، وانما هو فنان واقعى بأرحب معانى الواقعية وأكثر صورها خصوبة وغنى : أنه يعانى الواقع بكل ذرات دمه ، الواقع بابعاده الخيفة والظاهرة ، الحية والمتطورة ، ثم هو يعانى فى نفس الوقت رؤيته لهذا الواقع بكل ما تشتمل عليه هذه الرؤية من تقليب لكافة وجهات النظر ومحصلات المعرفة وخبرات الثقافة، ثم هو يعانى أخيرا مشقة الحصول على همزة الوصل بين الفكر الذي اطمأن اليه والواقعالذى أقلقه وأرقه، همزة الوصلالواعيةواللاواعية، أوذلكالرباط غيرالمرئى بين العقل والمخيلة الذى يصل بين الفكر والواقع فى صياغة جمالية واحدة نسميها بالابداع الفنى •

المصابيح الزرق

ورواية « **المصابيح الزرق** » من الاعمال الرائدة علىدرب الواقعية، احتفل بها النقاد عند صدورها احتفالا كبيرا ، ولكننا ونحن نعيد النظر فى خطواتنا الاولى بعد مضىستة عشر عاما أو يزيد، يجب أن نقول أن قيمة هذه الرواية فى جوهرها هى قيمة تاريخية ، بالنسبة لصاحبها وللاتجاه الواقعى على السواء . ولعلالصمت الذىرافق خطى حنا مينه طيلة اثنى عشر عاما ، أىحتى صدرتروايته

الثانية : الشراع والعاصفة » تؤكد لنا من ناحية أصالة الفنان وصدقه ، ومن ناحية اخرى تبرز المسافة الفنية الهائلة التى تفصل ما بين الروايتين .

تؤرخ « **المصابيح الزرق** » لموقع الحرب العالمية الثانية على مدينة سوريةهى « اللاذقية » وقد اختص منها الكاتب بحى شعبى متواضع ، يتساند أهله ويتصارعون فى حياة مضنية اكلها المستعمرون والفرنسيون وعملاؤهم ، فباتوا يقاسون مشقة الحصول على ما يمسك الرمق . ويختار الكاتب مجموعة هائلة من النماذج البشرية المطحونة فى اسفل السلم الاجتماعى . ويركز الضوء على فتى يبلغ السادسة عشرة حين بدأت الحرب هو « فارس » . والجزء الاول من الرواية يجسد البؤس الفادح الثمن والذى تئن تحت وطأته الثقيلة هذه الفئات الشعبية التى ينتمى اليها فتانا ، كما يجسد الانتفاضات الجزئية والعابرة التى يحتجون بها على السلطات الباطشة بأى تمرد كان . ومن السطور الاولى يواجه فارس مصيره البشع اذ علم بان سيد المتجر الذى يعمل فيه قد ذهب الى الحرب بصفته عسكريا متقاعدا . ويصور الكاتب تصويرا تفصيليا دقيقا انعكاسات الكارثة على أسرة فارس وجيرانها التعساء وتدهور الحال بهم من يوم الى يوم حتى يجىء ذلك اليوم الاسود حين تنشب معركة دامية بين الاهالى وحسن حلاوة الفران يشترك فيها فارس أشتراكا فعليا يقوده هو والاخرين الى السجن . أما الجزء الثانى من الرواية فيركز الضوء على قصة الحب الوليد فى صدر فارس وقلب بنت الجيران **رنده** ، ويصور عذاب السنوات الاخيرة من الحرب حيث تشتد وطأة الجوع على الجميع ولا يجد فارس مفرا من الاستجابة لاغراء صديقه نجوم بالتطوع فى جيوش الحلفاء والسفر الى ليبيا ليدخر المال اللازم لتحقيق حلمه فى الزواج من رنده . ولكن الحرب تنتهى ولا يعود فارس الى الابد ، وتموت رنده فى نفس الوقت طريحة فراش السل ، والجماهير تضرب وتتظاهر تطلب الجلاء .

هذه هى **الخطوط العامة** للرواية وقد تابعها الفنان بفيض من التفاصيل الهامة والتافهة على السواء ، ولكنه قليلا ما وفق فى الربط بين هذه التفاصيل ربطا ديناميا عميقا يطور الشخصيات ولا يكررها ، يدفع الاحداث ولا يقفز بها ، يحلل المواقف ولا يكتفى بسردها ، ان الجانب الوصفى هو ابرز الجوانب فى البناء الروائى ، وقد أتاح هذا المنهج للكاتب فسحة من الوقت ليسترسل ويثرثر بما يجعل من بعض الفصول قصصا قصيرة قائمة بذاتها وبما يسطح الظواهر المعقدة بطبيعتها ، وينأى بالفنان عن تناول جوهرها المركب . هكذا « **لخص** » الطبقات الكادحة فى مجموعة من الافراد لا تمايز بينها سوى الفروق الشكلية ـ الجسمانية أحيانا ـ تتحرك فى اتجاه واحد بصورة عفوية ، وكذلك « **لخص** » الطبقات العليا فى الرسم الكاريكاتورى لاحد أبنائها أثناء احدى الغارات ، وبالاشارة العابرة الى ما يملكه آخر من اراض واسعة . ان مصدر الضعف فى التكنيك هنا هو أسبقية التصور السياسى عند الكاتب على التصور الفنى ، لان الوحدة الفكرية والاجتماعية لطبقة ما لاتعنى التشابه الآلى بين أفرادها ، والكاتب الحاذق هو الذى يجمع بين خصائص الفرد وسمات الطبقة فى « النموذج » البشرى . ولقد نجح حنا مينه فى صياغة بضع شخصيات قليلة على هذا النحو ، كما هو الحال فى شخصية **جريس** المختار ، **ومحمد الحلبى وابو فارس** مما يؤكد مقدرته على التوفيق بين عناصر الشخصية الفنية ، ولكن الحماس المفرط للرؤية السياسية هو الذى غلب أشعتها على ماعداها من رؤى ، فلم يوازن بين مختلف العناصر ، واختل السياق التعبيرى للرواية ككل . وكان من أثر ذلك أن كنزا ثمينا وقع عليه الكاتب قد أفلت منه رغم أنه يشكل العمود الفقرى للرواية ، هو ذلك « الانكسار » فى الخط البيانى لتطور « البطل » .. فلقد كان هذا الانكسار جديرا بأن يكون محورا للمأساة عظيمة ، لولا الحماس المفرط للرؤية الاجتماعية التى غلبت أشعتها على ماعداها من رؤى فانعدم التوازن بين عناصر العمل الفنى واصيب نتيجة لذلك بالخلل التام . لقد خرج فارس من السجن فاكتشف أن الحال لا تزال كما كانت عليه من قبل أن يدخله ، والحت عليه مشكلاته الخاصة وتراكمت أعباؤها باشتعال الحب والرغبة فى الزواج ، ومن ثم كان قراره ـ أو هزيمته وموته الحقيقى ـ ان التحق متطوعا بجيوش الحلفاء ليأكل خبزه من أيدى جلاديه . وتلك هى النهاية الطبيعية للمأساة . ولكن الكاتب حولها عن مجراها الاصيل الى خاتمة رومانسية تماما ، هى مصرع فارس فى الحرب وموت رندة بالسل . بل هى أقرب الى ان تكون خاتمة ميلودرامية ، لولا السطور الاخيرة التى تتزاحم فيها الجماهير المضربة هاتفة بالجلاء . ان الموت المعنوى الاكيد لشخصية فارس أبلغ دلالة واعمق مغزى من موته العضوى ، فدلالته هى انكساره الاسيف من الداخل ومغزاه هو السقوط الاليم لبطل . ولكن الكاتب آثر أن يحول هذه التراجيديا الواقعية الى مأساة فردية عاطفية : أن يموت وحيد والديه ، وأن تموت وحيدة والديها . وان لا يلتقى العاشقان ابد الدهر . وهى مأساة أخف وطأة من أن تمثل مأساة البشر المسحوقين الذين ابتغى الكاتب منذ البداية أن يصورها ، فلقد انحرف الخيط من بين اصابعه عند الجزء الثانى من الرواية انحرافا حادا عن الاسلوب الواقعى فجاءت من ثم هذه الخاتمة الرومانسية . بينما كانت هناك فى تراثنا الروائى قصة **نجيب محفوظ** المعروفة « **زقاق المدق** » التى

تعالج تقريبا نفس الموضوع من زاوية أخرى للرؤية ، وبخامة بشرية مختلفة ، ورغم ذلك جاءت أكثر واقعية من قصة حنا مينه . . لقد تناول نجيب محفوظ انعكاسات الحرب الثانية على شريحة البرجوازية المصرية الصغيرة ومن نقطة انطلاق فكرية لا تتجاوز أحلام هذه الطبقة كثيرا · ومع ذلك أستطاع كاتب « زقاق المدق » ان يوائم بين عناصر العمل الفنى – ومن بينها قصة الحب – بحيث لم تلغ الرؤية السياسية والاجتماعية بقية الجوانب النفسية الواعية واللاوعية والخبرات الشعورية الخفية والظاهرة ، وبحيث جاءت نهاية **عباس الحلو** على أيدى جلاديه حقا وبسبب حبه يقينا ، ولكن بصورة منسجمة مع « **الوسيلة** » التى قتل بها و « **الغاية** » التى قتل من أجلها · هذه الوسيلة وتلك الغاية التى وحدت مشاعره الشخصية وعواطفه الوطنية فى ضربة واحدة تمزج آلام الفرد واحزان الوطن فى مركب واحد يرفع بطولة عباس الحلو ومصرعه الى مستوى الدلالة العامة ولا تقصرها على المستويات الدنيا من الرموز والايماءات ·

الشراع والعاصفة

سوف نصادف فى « الشراع والعاصفة » بعضا مما صادفناه فى « المصابيح الزرق » من جزئيات الحياة اليومية وما لم نصادفه فيها من حياة البحر والبحارة والموانى والشواطىء ، ولكن هذه كلها فى الرواية الجديدة ليست مقصودة لذاتها رغم الايهام الشديد بالواقع الذى يبدو عليها ·· فالحق ان وجها تقليديا للواقعية يمكن ان نطالع ملامحه فى الرواية اذا توقفنا عند سطحها المباشر ، بينما ليس هذا الوجه اكثر من قناع متقن الصنع يخفى وراءه وجها أخر تنتسب ملامحه العامة الى نوع جديد من الواقعية احب ان ادعوها بالواقعية الرمزية · اننا نواجه منذ اللحظة الاولى عالما روائيا كاملا ، منطقته داخله ، ولكنه يعادل – موضوعيا – عالما كاملا خارجه ·· ليست هناك جزئيات رامزة الى غيرها ، ولكن الكل فى شموله يرمز الى غيره · هكذا تنتفى التفاصيل وتتجمع بصورة مركزة كثيفة يستغنى بها الفنان عن التراكم الذى يزيد من حجم الصورة وان شتت ابعادها . وهكذا ايضا تضمر الشخصية تاريخها فى حاضرها تلقائيا ، بحيث لا تبدو الشخصيات كلحظات منفصلة تكون فيما بينها قصصا قصيرة · ان موضوعية التكوين الفنى للشخصيات توهمنا بان الفنان ليس منحازا لشخصية ما ، لا بالمعنى الفيزيقى « المعملى » عند زولا ، وانما من زاوية الفهم العميق للشخصية الانسانية واكتسابها مبررات قسوتها وضعفها ورؤيتها للامور من خلال المعاناة الذاتية الاصيلة والصادقة لما يمور به « وجودها » نفسه من متناقضات · وبالرغم من ان الفنان لا يركز على الوصف الخارجي للشخصيات ، فان ملامحها الداخلية المميزة من خلال الموقف الفنى لكل منها يفرق بينها تفريقا دقيقا .

العالم الداخلى للشراع والعاصفة يقول أن بحارا عتيدا يدعى « الطروسى » فقد المركب التى طاف بها موانىء المتوسط سنين طويلة تعرف خلالها على الدنيا وارتبط عن طريقها بعالم البحر ارتباطا لاتنفصم عراه ، حتى أصبح « البحر » بالنسبة له احدى محطات الاستراحة التى يركن اليها احيانا ، وسرعان ما يعود – كالسمكة – الى دنيا الماء والانواء ، دنياه التى توحد معها توحدا صوفيا لا تريبه اخطار البحر ومعاركه المريرة فى انه هو « الارض » التى تمتد فيها جذوره الى اعمق الاعماق · ولكن معركة ضارية للك البحر مع الطروسى يخسر فيها « **المنصورة** » التى تغرق فى اللجة المظلمة للابد ، ويرفض « **الريس** » ان يعمل على غير منصورته ويؤسس مقهى قريبا من البحر فوق صخرة جوفها بيديه وتحت خيمة اقامها بذراعيه واقام فيها معه « ابو محمد » العجوز الذى لم يتبق له من الدنيا شىء ، وهو فى ذلك الاحساس العميق بالوحدة يشترك مع الطروسى الذى لم يكن له فى الدنيا شىء · وبالتالى كانت المقهى فى حياة ابى محمد حياة جديدة تشبث بها ، بينما كانت فى حياة الطروسى مجرد لوح من الخشب انقذه من الغرق ، ولكنه لا يثنيه عن العودة الى البحر يوما · كانت مقهاه هى غربته التى عانى خلالها – معاناة الانبياء – ويلات الانتماء الى البحر والاغتراب عنه. ولقد جاء اختيار الكاتب لمدينة اللاذقية فى هذه الرواية اختيارا مقصودا – بعكس الرواية الاولى حيث يمكن ان تدور احداثها فى أية مدينة سورية – ولقد تكامل هذا الاختيار للمدينة الساحلية مع اختيار المقهى على الشاطىء مع اختيار الميناء ، ارضا فنية لاحداث الرواية الجديدة ، كهمزة وصل بين غربة الطروسى الطارئة وانتمائه الاصيل. فلقد كانت اللاذقية آنذاك ميدانا مضطربا بالصراع الوطنى من اجل الاستقلال ، وكان **نديم مظهر** – احد اطراف هذا الصراع – يسيطر على حركة النقل من الميناء واليه ، بينما كان ابو رشيد صاحب المواعين فى الميناء ، وكلاهما يضمر للاخر كراهية وحقدا اختلطت فيه خيوط المصلحة بخيوط السياسة · وكان المقهى يعج ليلا ونهارا بالبحارة والصيادين والمهربين وانصار الكتلة الوطنية والكتلة الشعبية وما بين بين ومن يعلقون الامل بانتصار هتلر ومن يعلقونه بانتصار الروس · دوامة البحر انتقلت الى البر ، بامواجها ورياحها وعواصفها ، وان نسجت خامتها لا من اساطير الملكة الغاضبة والملك الغيور والاميرة الغائبة فى العشق ، وانما من مشكلات

الحرب والإحتلال والاهواء والنزوات والمصالح •
ولم يستطع الطروسى فى غربته على البر ان ينأى عما تصطرع به مقهاه ولاذقيته من انواء الانتماء ولذعة الشعور بالانحياز رغم ان منتماه الحقيقى هو البحر « **ولقد لام نفسه لانه يتدخل ، ثم وجد انه لا يستطيع ان يسكت ، اضافة الى انه فى بعض القضايا يجر الى التدخل جرا ، فليس ضميره ولا لسانه بقادرين على اصطناع اللامبالاة حيال ما يرى ويسمع** » بالرغم من انه وجد نفسه منذ البدء وحيدا ، الا انه يرى العمال يصعدون ويهبطون من الصباح الى المساء ، حاملين الاكياس والصناديق وهم يرتجفون تحتها وظهورهم تتقوس لثقلها ، وعروقهم تنفر لشدتها ولكنهم مع ذلك لا يبرحون صاعدين هابطين ورائحين غادين ، لا يستطيعون التوقف ولا المطالبة بحق من الحقوق • وكم عجب لهذه الدنيا ، وهذا الظلم ، وكم تساءل مغيظا « **كيف الخلاص؟** » وكم حاول ان يلوم نفسه على انشغالها بهموم الآخرين ، ولكنه هو والمدينة والعالم يدورون جميعا فى الدوامة العاتية « **شاءوا ام ابوا ، يدورون مع العالم** » • انه يستمع الى ابى **حميد** واذاعة برلين رغم كل المخاطر التى تهدد المقهى بالغلق اذا اكتشف الفرنسيون ان لصوت المحور آذانا صاغية فى قهوة الطروسى ، وهو يستمع الى **الاستاذ كامل** الذى يكره الانجليز والفرنسيين والالمان جميعا ، ويفضل عليهم الروس • وهو يدهش لحماسهما السياسى الذى يزيد على حماسهما لمهنتيهما ، بينما هو ليس مع احد وليس ضد احد ، ولكنه ابعد ما يكون عن تردد **كمال عبد الجواد** فى ثلاثية نجيب محفوظ ، وانما هو يكتفى بالقول « **انا وطنى بلا فلسفة** » •
ولقد فهم فيما بعد ان ابا حميد يميل للمحور لا عن ايمان بالنازية ، وانما لانه يكره فرنسا وبريطانيا ، وان الاستاذ كامل يميل لروسيا لانها دولة العمال والفلاحين المعادية للاستعمار ، ومن ثم فهم ـ ولو مؤخرا ـ لماذا يحبهما معا ، فهما يحبان « الوطن » من وجهتى نظر متعارضتين • وعندما تنهزم المانيا ومعها آراء أبى حميد يشتد تعاطف الطروسى مع الاستاذ كامل ، ويرتبط شرعا بالمرأة التى احبها ، ويعود إلى البحر مودعا الغربة التى طالت عشر سنوات ، ولكن هذه الغربة تمتحن انتماءه ثلاث مرات رئيسية ، تتخللها آلاف المرات الثانوية • اما المرة الرئيسية الاولى فكانت معركته مع **صالح بن برو** أحد فتوات **أبى رشيد** وقد ارسله للتحرش بالطروسى حين تأكد لديه ان مقهاه بؤرة عداءله ، فيه يتجمع العمال والبحارة وفيه تحاك « **مؤامراتهم** » ضده كصاحب عمل ، والطروسى يحميهم وربما يشجعهم ولا يكف عن التدخل فى شئون الميناء •
ويدخل الطروسى المعركة غير هياب ، لا تخيفه سكين ابن برو ، وان جرحت كتفه ، ولا يرهبه المسدس فبضربة خادقة على الساعد الذى يحتله يسقط بين الصخور وصاحبه فى اليم • لم تكن معركة رجل لرجل فحسب ، بل كانت معركة مبادىء وقيم وافكار ومصالح لم يكن الطروسى ليجيد شرحها او التعبير عنها الا بالذود عما يعتقد انه الحق وانه الصواب وانه الكرامة • ولذلك طبقت سمعته آفاق المدينة ، كما طبقت من قبل آفاق الموانى التى زارها ، وكانت له فيه جولات وجولات اشهرها تلك التى فاز على اثرها بحب ماريا على شاطىء كونستانزا ، وهو الحب الاعظم فى حياته وان انقطع عنه منذ غرقت المنصورة • كانت هزيمة ابن برو فى ساحة القتال هزيمة مضاعفة لابى رشيد فى ساحة الميناء ، لذلك التفت حول الطروسى المدينة بكاملها ، حتى ابى رشيد نفسه بدأ ينظر اليه نظرة جديدة ـ كثعلب مدرب ـ يود لو نجح فى احتوائه ، وازدادت مودة نديم مظهر رغبة منه فى اجتناء ثمار المعركة لحسابه ، ولكن ما العمل والطروسى لا يصارع ـ كسبا او خسارة ـ لحساب احد ؟ على أن أبا رشيد لم يسكت عن الطروسى وان ابتلع جرعات من الصبر ، وكذلك نديم مظهر لم يخنق الامل بين ضلوعه وان شاع فيها اليأس حينا بعد حين • حتى كانت المرة الثانية التى واجه فيها تحديا لمنتماه ، وكان التحدى قادما هذه المرة من قلب حبيبه وملك هواه : البحر « **ومض البرق فى اقصى صفحة البحر ، فرأى خيولا مائية تحمحم وتركض جامحة ، ورغاء ابيض يغور على اشداقها وهى تصهل وتزأر ، وآلافا من الكتل الموجية ذات المناكب الثلجية تتدحرج واحدة اثر اخرى وتنجدل وتندغم وتتوالد من جديد ، وتتجه كلها الى الشاطىء وترتطم وتضىء عليه** » . . وهكذا ايقن الطروسى ان عاصفة كبرى سوف تهب ، كان قلبه قد استشعرها فى الصباح وحين اعلن ما فى صدره للبحارة والصيادين انقضت عليه معارضة احدهم كطعنة فى الظهر ، فها هو ذا لايزال حيا ، ويعارضونه فى اخص شئونه ، ليعلموا اذن انه ، بعد ، بحار يدرك بخبرة العمر اسرار المملكة البحرية غير المرئية التى ذاعت عنها الاساطير فلا يصدقها احد ، الا حين تهوى الاشرعة والقلاع ويجثو الرجال للملكة والملك فلا يصدقان بدورهما ، وتطفو الجثث والمجاديف ومزق الخام شواهد لا تخيب على صحة الاسطورة وعمقها العميق • ولقد خسر الطروسى منصورته يوما ، ومن ذلك اليوم لم تطأ تدماه صفحة البحر . ويبدو انه كان عليه أن يكسب معركة اخرى حتى تتيسر له العودة الى البحر ، فلم تكن السنوات العشر قد انتهت حين هبت العاصفة الاسطورية وغابت مركب الرحمونى عن الانظار والاسماع ، فما كان من الطروسى الا ان اخذ الزورق المخصص للنجدة وتطوع معه بعض البحارة وفى مقدمتهم « احمد » الذى استخف به الجميع فيما مضى لطول تشرده وتسكعه حول البحر دون عمل •
ويمضى بنا الكاتب فى رحلة عذاب هائلة ترتفع شامخة الى نفس المستوى الاسطورى لحواديت البحر التى بات الطروسى من الهول يصدق انها

حدثت يوما وتوارثتها الاجيال حتى وصلت مؤخرا الى راوية البحر خليل العريان . استخلص الطروسى شختورة الرحمونى من بين انياب الفناء باعجوبة اضيفت الى اعاجيب الدنيا واساطير البحر ، وأضيفت الى قائمة امجاد الطروسى ومعجزات الانسان. « **كان دافع اقوى يدفع به الى الاقدام فى ولوج باب الخطر • انه الشوق الى معانقة الشهادة فى ساحة المعركة، والرغبة الآسرة فى توكيد رجولته على نحو اقوى من كل ما سبق. ثم هذه هى امنيته التى كان يضمرها ، وتخدعه نفسه عن حقيقتها . امنية الريس فى ان يعود الى الشاطىء قاطرا وراءه الشختورة التى حسب الجميع انها ضاعت الى الابد** » .. هكذا بعثت منصورته فى شختورة الرحمونى وكأنه المسيح فى موقف الفداء العظيم ، اذ كانت خشبة الصليب هى طريقه — وطريق البشر — الى الخلاص كما تقول الفكرة المسيحية . لقد بعث الطروسى على اثر هذه المعركة الضارية الدامية مع البحر . ولئن حلق الفنان بالخيال المسيحى الى اعلى الذرى ، فلكى يصوغ موقفا ربما يصل الى مرتبة النقيض لقصة الانجيل . أسر الطروسى فى نفسه « **أما انا فلن يستطيعوا اخراجى من هذه اللجة اذا غرقت .. سيذكروننى ويبكون ، أنا أعرف عواطف البحارة ولكن غرق واحد أفضل من غرق الكل** »، ثم قبل اسماعيل وسلم الدفة لرجب، وبقى معه احمد — نقيض يهوذا وبطرس — الى النهاية . وحين عاد الطروسى الى الميناء كان قد تم عماده وولد من جديد ، صلب وبعث واستعد للصعود ، فباسترداده للشختورة — ولو كانت للرحمونى — وجبت عودته الى البحر ، منتماه الحقيقى ، فقد دفع الثمن عشر سنوات طويلة من عذاب الغربة على الميناء • غير ان تدشين رحلة العودة الى الانتماء كانت فى انتظار الطروسى مع الامتحان الثالث الذى اجتازه بنجاح وهو ينقل السلاح للمناضلين ، وقد ذكره احمد على ظهر الفلوكة وهى تستتر بظلمة الليل بمجده القديم حين اشترك فى تهريب الزعماء من جزيرة ارواد • هكذا كان ، وهكذا يعود الى ما كان ، ولم تكن الفترة القائمة بينهما الا نقاهة الغربة العابرة .

ولكن الفنان لا يصوغ هذه الاختبارات الثلاثة فى حياة الطروسى صياغة تجريدية ، ولا يصوغها كذلك صياغة زمنية .. اى انه لا يتابع تطورا فى حياة البطل « **يؤدى** » الى ذروة محددة ، كما انه لا ينحت تمثاله للبطولة بخطوط هندسية صارمة « **البناء** » • والاختبارات الثلاثة فى واقع الامر ليست الا تجريدا نقديا اكثر منها حقيقة فنية ، فالخيوط التى نسج منها الفنان خامته الجمالية تبلغ درجة عالية من التشابك والتعقيد بحيث لا يتاح لنا اكتشاف الخيوط الملونة بمعنى الاختبار فى حياة الطروسى الا اذا قمنا بعزل بقية الخيوط ذات الالوان والمعانى الاخرى، وهو عزل مجازى بطبيعة الحال • فاذا اعدنا الخيوط جميعها الى مكانها من جديد ، اكتشفنا ان الفنان لم ينسجها نسجا طوليا فى خطوط مستقيمة او متعرجة ، انه لا يتبع منهجا زمنيا « **يتابع** » فيه الشخصية او الحدث ، كنجيب محفوظ فى مرحلته الواقعية التقليدية حيث كان يبدأ بجملة اشخاص « **يتطورون** » خلال السياق الروائى والحدث الموازى فى « نموه » لرحلتهم مع الزمن • بينما يعمد حنا مينه الى ما يشبه نقيض هذا المنهج اذ يواكب الشخصية من خلال الحدث • على ان الحدث نفسه فى « الشراع والعاصفة » يغاير معناه فى الواقعية التقليدية ، والافباى معيار يسمى انتظار الطروسى لليوم الموعود بالحدث ، وهو المشهد الرئيسى فى الرواية تدور من حوله الاحداث والشخصيات والمواقف ؟ ان الفنان لا يلتقط للزمن الروائى أية مقدمات تمهيدية تسبق الانتظار المفاجىء والطويل ، ولا يتلو هذا الزمن بأية امتدادات لعودة الطروسى الى البحر، فالرواية تبدأ وتنتهى بمشهد الغربة ، لا ندرى شيئا عما سبقها من انتماء طيلة العمر ، ولا عما سيلحق بها من انتماء بقية العمر • واللقطات التى تسلط ضوءا سريعا كالبرق على ماضى الطروسى ليست اكثر من « **علامات** » تدلنا على محتوى انتمائه من ناحية وتضع ايدينا على بشاعة الغربة التى يعانيها بكل ذرات دمه من ناحية اخرى • والانتماء الذى يصوغ بطولة الطروسى والذى تجرى احداث الرواية كامتحان دائم له ، والذى لا نطالع ملامحه التفصيلية فى الرواية لان زمانها الفنى هو زمان الغربة .. هذا الانتماء يقترب فى القليل من انتماء فارس فى « المصابيح الزرق » وفى القليل ايضا يقترب من انتماء فياض فى الرواية التالية، لانه لا يقتصر على الدلالة السياسية والاجتماعية الموقوتة باللحظة التاريخية ، وانما هو يتضمنها ويتجاوزها الى آفاق ارحب كتلك التى حلق فيها همنجواى وهو يكتب « العجوز والبحر » • وهى الافاق الانسانية الاشمل ، وهى الافاق التى يتألق فى سمائها الجوهر الانسانى الاعمق • وليس معنى ذلك ان الطروسى هو الانسان مجردا ، وانما هو الانسان الواقعى غير المعزول عن انسانيته التى تربط بينه وبين البشر اجمعين • وليس من شك فى ان هذا الوجه الانسانى العام فى الرواية هو الذى يجتاز بها ابواب المحلية الى رحاب الاداب الانسانية الكبرى • ولان الطروسى فى الرواية هو « **الانسان** » فان البحر فى « **الشراع والعاصفة** » هو « **الوجود** »، ومن ثم كان الانتماء البشرى الى الوجود بكل آلامه وتناقضاته وصراعاته الهائلة هو ما يقصد اليه حنا مينه قصدا فنيا وفكريا عميقا • ومهما كان شأن الالهامات الاولى التى اوحت اليه بتمثال الطروسى ، فأنه من العبث اتخاذها ذريعة للربط بين هذا البطل واى قائد أو زعيم معروف او

غير معروف. وبالرغم من كافة سمات «القيادة» و « الزعامة » في حياة الطروسي ، الا ان سمته الجوهرية هي انتماؤه الاصيل الى قلب الوجود النابض حزنا وفرحا ، الما وبهجة ، عذابا ومعاناة وحياة . وكأن الكاتب يود ان يقول بان الانتماء هو قدر الانسان في هذا الوجود ، وليس الاغتراب اكثر من عزلة طارئة على الجوهر الانساني عن الخصائص البشرية الاساسية، وهي العزلة التي تفرضها المظالم السوداء التي تغيم على حياتنا بفضل النظم غير الانسانية . هل الطروسي رجل عادي من عامة الشعب ؟ نعم . وهل هو قائد في خصاله الطبيعية وسلوكه المعتاد ؟ نعم . ولكن الطروسي لم يكن رجلا عاديا او زعيما فحسب ، فهذه هي خيوط القناع المتقن الصنع الذي اخفى وجهه الحقيقي ، وجه « الانسان » . هذا الوجه الذي نستشف أبعاده من اللفتات المنثورة هنا وهناك بحذق بالغ ومهارة فائقة . يعلق مثلا على واقعة صالح بن برو « انا لم اقبل الذل في البحر فهل اقبله في البر ؟ » .. ان البحر هو الاصل والبر هو الطارئ ، وصراع البحر مقبول لانه صراع مع الاصل ،ولكن معارك البر او صراع الغربة فهو مرفوض لانه صراع مع الطارئ . ومع هذا فقد صارع الطروسي على البر صراعا بطوليا خارقا، وبغض النظر عن القناع المتقن الصنع من خيوط صالح بن برو وابي رشيد والمرشد والفرنسيين فقد كان الصراع — من جهة — يستهدف العودة الى البحر ، بينما كان الامر في حياة بقية الشخصيات — من جهة أخرى — يختلف، فمآلهم هو البر ، ومستقرهم الامين هي الارض . ظل الطروسي يسأل نفسه طيلة السنوات العشر سؤالا واحدا « أيستأنف البحار رحلته بعد انقطاع ؟ »، وهو لا يجيد شرح افكاره والتعبير عنها ، لذلك ركز الفنان — حتى لا ينطق بأسمه — على سلوكه وافعاله المحسوسة ووقعها على وجدانات الاخرين وردود افعالهم، او هو يقتطف انضج اساطير البحر فيوجز بها غربة الطروسي وانتماءه « وتذكر الاسطورة فقال : تعبت العاصفة ونامت . ثم خطر له هذا السؤال : من الذي انتصر يا ترى ، الانسان أم البحر ؟ » . لقد تذكر وتساءل على هذا النحو وهو على البر يداعب الطبيعة الهادئة ، فماذا يكون الامر وهو في غمرة الصراع الدامي لانقاذ شختورة الرحموني ؟ « في البحر ولد فاية غرابة ان يموت فيه ؟ ثم هو في قلب الخطر ولم يبق الا الكفاح حتى النصر او الموت »، ذلك ان البحر هو منتماه، هو قدره . ولقد وافق على مشاركة الرحموني في مركب جديد ينزل به البحر ، « ريسا » من جديد ، وبالتالي فقد اعتذر عن قبول ما تقدم به اليه نديم مظهر رغم عدائه لابي رشيد ، وكأن قد انتهى بينه وبين نفسه الى قناعة نهائية بان ما يحدث في الميناء يعنيه في الكثير بصرف النظر عن نديم وابي رشيد وما بين الكتلتين الوطنية والشعبية . قال « الست بحارا ولي مصلحة في تحسين أحوال العاملين في البحر ؟ وغدا اعود الى الميناء ، اليس مقدرا ان اقع تحت حكم ابي رشيدكغيري؟ ولنفرض انه سايرني شخصيا فلقاء اي شيء ؟ وما موقفي من الاضطهاد النازل بالآخرين ؟ وهل اغمض عيني واغفو على ذل » . لم يكن ذلك تطورا في حياة الطروسي وانما كان افصاحا عمليا عن انتمائه ، وكان هذا الانتماء الأجتماعي المحدد الى العمال والبحارة مجرد اشارة مكثفة الى انتمائه الاكبر . ولقد عانت هذه الاشارة من تكثيف الفنان لها بعدئذ من زاويتين : الاولى هي علاقته بأم حسن، هذه المرأة التي احبها رغم قصة حياتها القريبة من قصة نفيسة في « زقاق المدق » باستثناء انها كانت جميلة وقد عشقته من الاعماق وبادلها — رغم ماريا الرومانية — عشقا بعشق . ثم جسدت حبها له فيما القت به بين يديه من نقود وحلى تطلبتها مشاركته للرحموني، بينما كان قلبها يتلوى الما بين ضلوعها وهي تتخيل عودته الى البحر فتتصور انه سيهجرها لا محالة . وكانت ليلته الاخيرة على البر بين احضانها ، ليلة عاصفة كادت تنتهي بالقطيعة ، ولكنها انتهت على النقيض من ذلك بأن فاجأها انه قرر الارتباط الشرعي بها ، فكانت فرحتها تلك الليلة لا تعادلها الا فرحته بالعودة الى البحر ، بل هما فرحة واحدة ومعنى واحد اجاد الفنان صياغته في هذا القالب الشخصي الحميم ، فانتماؤه الى ام حسن — او شرعية هذا الانتماء — تتمهى لحظة انتمائه الاكبر نفسها . وكانت الزاوية الثانية لاشارة الفنان هي تطور علاقة الطروسي بالاستاذ كامل منذ كان يدهش لحماسه للسياسة وزياراته لعمال البحر الى ان راح يدفع عنه غائلة المعارضين لآرائه في الروس والالمان والفرنسيين والانجليز . وهو يصارح الاستاذ كامل قائلا له « كنت أساير ابا حميد حتى جئت انت » . وكامل بدوره يقيم الطروسي تقييما موضوعيا دقيقا فيقول « هذه هي الصخرة التي ينهض على أمثالها البناء . صحيح انه ليس عاملا ولا فلاحا ، ولكنه من الشعب، من ابناء الشعب المخلصين ، من فروع سنديانتنا الضاربة جذورها في الارض ». ويطمئن كامل الى ان حبلا جديدا — قديما — يربط بينه وبين الطروسي، اقوى من حبل اللقاءات الشخصية التي سيفتقدها بابحاره هو « حبل الفكر » . ولقد افترقا ، كل في سبيله، ولكن الطروسي كان يشعر « ان الخيط الذي يشده الى رفيقه اصبح اشد وأمتن » .. وهكذا فقد بلغ انتماءه الى ام حسن والاستاذ كامل ليلة عودته الى البحر، ليلة وداعه للغربة، ذروة التوهج الفكري والاتقاد العاطفي ، فهذه المرأة وذاك الاستاذ ، هما همزة الوصل بين انتمائه العام والاكبر وانتمائه الخاص والمجسد ، بل هما انتماء واحد في حقيقة

الامر « ولم يعد الحاجز الفاصل بين البحر والبر قائما الان .. أن العالمين يتصلان بخلاف ما كان يتوهم » .. لقد تلاشت اخيرا المسافة الواقعة بين أنتماء وانتماء ، تلاشت الغربة لانها عارضة ، وبقى الجوهر سليما نقيا ، جوهر المنتمى الثورى ، المنتمى الى الانسانية كلها ، الى الحياة بكاملها ، والى شعبه وامته بلا ريب كجزء غير منفصل ولا معزول عن المحيط البشرى المضطرب دوما بالانواء والعواصف ، وجبال الموج وصراع الانسان الابدى مع الوجود .

وإذا كان صاحب « الشراع والعاصفة » قد شاء كعادته فى تقسيم ازمنة الرواية حسب اجزائها الثلاثة ، فعمد الى ان يبدأ الجزء الثانى منها بعد مضى عام ونصف وأن يبدأ الجزء الثالث مع الصيف التالى لشتاء الشختورة ، الا أن الزمن الروائى نفسه يرفض هذا التصنيف المتعسف ، لانه يضم الماضى والحاضر والمستقبل فى اطار أبعد من السنوات العشر التى قضاها الطروسى بالمقهى وأبعد من اطار الذكريات وأبعد من نشاط المخيلة .. وعلى ذلك فهو لم يستخدم الفلاش باك ولا الحلم ولا ضمير الغائب أو المتكلم ولا غيرها من أدوات التعبير الزمنى، لان الرواية كلها جرت فى لحظة حضور يتناغم فيها الواقع بالاسطورة وتتكامل خلالها الجزئيات بالكل الشامل وتتصل بواسطتها الشخصية بالاخرى ، والحدث بالحدث والموقف بالموقف حتى ليبدو « الحضور » فى خاتمة المطاف وكأنه لشخصية واحدة وحدث واحد وموقف واحد. ولعل مرد ذلك الى التكوين « الموضوعى » للرواية ــ وليس التكوين المحايد ــ فالشخصيات متمايزة عن بعضها البعض ، لا بفروقها الشكلية وانما بخصائصها الذاتية المستقلة ، مهما توحدت فيما بينها حول فكرة . والكاتب يصوغ شخصية موالية للمحور بنفس القدر من الاهتمام أو يزيد ، الذى أولاه لشخصية موالية للاشتراكية ، بل لعله أبرز تعاطفه مع الشخصيات المضللة بالدعاية النازية لانه تعمق جوهرها الانسانى وموقفها الوطنى . وتتبع شخصية بدأت حياتها على جانب كبير من السلب كأحمد وانتهت امتدادا ايجابيا أكثر شبابا للطروسى . ولم يأل جهدا فى تصوير الطبقات غير الشعبية تصويرا أمينا يخدم السياق الفنى ولا يعلو فوقه . ولقد وفق حنا مينه الى غير حد فى تحريك « المجاميع » البشرية بغير خلط أو اضطراب ، سواء فى جلسات المقاهى أو فى صراعات السياسة أو فى البيع والشراء والصيد والتهريب، أو فى انتظار العائدين وتوديع الذاهبين . ذلك أن الفنان فى تركيبه لعناصر العمل الفنى لم يخضع لمقارنة ذهنية بين المنطق الداخلى لهذا العمل والمنطق الواقعى خارجه، على الرغم من ان الكون الفنى الذى ابدعه لا يخدر حواسنا عن العالم الذى نحياه ، بل ينقلنا مباشرة الى قلب العالم ، أى أنه على العكس ينبه حواسنا ويوقظها بعنف ويزيل أوشاب الخدر العالقة بها وينزع عن عيوننا غشاوة الذهول . لقد أقام حنا مينه دنياه الفنية الحافلة وفق مرئيات الواقع المحسوس والمباشر ، وان شيد البناء من خامة هى فى الاصل جزئيات هذا الواقع المتناثرة، ولم يصنع هو اكثر من أنه أعاد خلقها على نحو مغاير لما كانت عليه فى الواقع لنحصل فى النهاية على جوهره الديناميكى وان تعارض مع مظهره الثابت . ومن هنا كانت هذه اللغة التى أخرجت « الشراع والعاصفة » من نطاق التاريخ وادخلتها نطاق الشعر .

الثلج يأتى من النافذة

لعل رحلة العذاب التى عانى حنا مينه ويلاتها طيلة المسافة الزمنية التى صمت خلالها قد عثرت على معادلها الموضوعى فى رواية « الثلج يأتى من النافذة » . وأقول « **المعادل الموضوعى** » وأشدد على هذا التعبير لانى اقصده بحرفيته ، فالرواية ليست بالقطع سيرة ذاتية ، ولا هى تدخل فى نطاق الاعمال التى استلهم فيها أصحابها ذواتهم وحياتهم كثلاثية نجيب محفوظ وثلاثية سارتر وانما هى أقرب ما تكون ــ من هذه الناحية وحدها ــ الى « غريب » **كامى** ، وان جاءت على النقيض منها روحا وفكرا . هى أقرب الى « **الغريب** » من حيث أن رحلة البطل ، لا البطل نفسه ، هى لب اللباب فى الموقف الروائى . انها ، لذلك ، رواية موقف وليست رواية بطل ، على الرغم من وجود شخصية بارزة تحوطها الاحداث وتلتف من حولها بقية الشخصيات . انها شخصية رئيسية ، ربما كانت لبطل ، ولكن الروائى لا يعنيه سوى الطريق الذى يمضى فيه هذا البطل ، وما تؤدى اليه رحلته ، والموقف أو مجموعة المواقف التى يتخذها على طول الطريق . وبطل امثال هذه الرحلات ، ليس فردا من الافراد ، وليس كذلك نمطا اجتماعيا أو نموذجا أو حالة ، وانما هو الانسان ، وهو ليس انسانا خارج الزمان والمكان ، ليس انسانا مجردا . لذلك فكثير من الجزئيات اللاصقة بحياته لها دلالتها الموحية بالسياق التاريخى الذى يضم الرحلة . وهو السياق الذى يباعد بين طريق ميرسوفى « الغريب » وطريق فياض فى « الثلج يأتى من النافذة » ، فما أبعد التمرد الوجودى عن النضال الثورى .. ولكن تبقى الرحلة فى هيكلها العام ــ لا فى جوهرها ــ واحدة . لم أقصد بذلك أن أعقد مقارنة من أى نوع بين رواية حنا مينه ورواية البير كامى ، وانما قصدت الى القول بأن بصمات الرحلة الشخصية التى عاناها كلاهما تترك آثرها على البناء الروائى الذى لا ينتسب الى قالب السيرة الذاتية بأية حال وان جاءت الرواية معادلا موضوعيا ــ لا صدى ! ــ لتجربة كاتبها مع الوجود .

لقد تكلف حنا مينه عناء مذهلا في نحت تمثال من أندر المعادن لفكرة البطولة في « الشراع والعاصفة » ، ولم تكن مغامرات الطروسي في البحر أكثر من ضربات الازميل البارعة من الفنان في صنع تمثال البطل ، ولكنها لم تكن « رحلات » على الاطلاق .. ذلك أن رحلة البطل عند الفنان قد بدأت بعد ذلك، بعد ان تحول البحار الى مثقف، وتحول الطروسي الى عشرات من المناضلين في غياهب البحر المظلمة ، وتحول البحر الى يابسة تشكلت في عديد من الوديان والجبال والروابي والتلال والسهول . تحول البطل — ولم يتفتت التمثال — الى الوف الابطال الذين تبدأ رحلتهم المأساوية الفذة بشق الطريق المجهولة لا بالسير على الدروب المطروقة والمأهولة . « الخروج على المألوف » نعم ، هي بداية الرحلة العجيبة التي تكاد أن تكون انقلابا على رحلته سويفت المشهورة . وانما هي أقرب الى رحلة سعيد مهران في « اللص والكلاب » ورحلة صابر في « الطريق » لنجيب محفوظ .. وان اختلف عنه حنا مينه بان وضع النقط فوق الحروف دون أن يتحول عن الفن الى الوعظ والارشاد ، بل على النقيض من ذلك استطاع أن يرتفع بالفن الى ذروة الالتحام بالوعي ، فكان « فياض » أعمق استبصارا بواقعه من سعيد وصابر على السواء .

وتبدأ رحلة فياض منذ تيسرت له أسباب الهرب من جحيم الرجعية في بلده الى أصدقائه في بيروت ، وقد وصل الى بيت خليل في حالة من الاعياء لا تسمح له الا بالرقاد ونشدان النوم بكافة الوسائل « عند العصر ، كان العرق ينعقد كثيفا على جبينه .. وكانت وجوه شيطانية لرجال يعرفهم وآخرين لم يرهم قبلا ، تكشر من حواليه .. وقال في نفسه : ياللاسنان الكريهة ! كان الرجال يحاولون القبض عليه وهو يهرب . دخل زقاقا وتلفت : لا أحد . حسنا ، ليسرع الان .. هناك بيت يعرفه ، لكن البيت اختفى . وفي آخر الزقاق رجل يضحك . انه هو .. الرجل الذي يطارده .. رجع أدراجه .. ودخل منعطفا لا يدري متى وجد، وانقلب المنعطف الى شارع وامتد الشارع .. ووجد بيتا ، وفي البيت درج ، وجرب الصعود عليه فلم يستطع .. كان الرجل هناك .. يقهقه على رأس الدرج .. وأراد الرجوع فاختفى الدرج .. اضطر الى القفز ، فلما بلغ الارض لم تكن أرض .. كان ماء عكر ، تحول فجأة الى نهر جامح ، دفعه تياره بعنف في مسيله الهادر ، وقذفه على صخر ، على طرف جبل ، فارتطم واستيقظ » . لا تعكس هذه الصورة كابوسا مرعبا يعانيه الحالم بالجحيم الذي هرب منه ، بقدر ماتعكس لنا مقدمات العذاب الداخلي المقيم بشخصية « فياض » منذ قرر أن الهرب احدى وسائل النضال ، فليجربه . انها اذن ليست صورة طارئة وانما صورة ملازمة ، بل هي جزء لا ينفصل عن الشخصية ، جزء متمم للبطل ، وخطوة في طريق رحلته التي لا نهاية لها ، وأن أختار لها الفنان حدا تتوقف عنده . والصورة رغم جوها الكابوسي المرعب لا تندرج في تيار الشعور ، لانها لا ترمز الى حالة نفسية لفرد ولا تدل على نموذج بشري معقد . وانما هي أقرب الى التداعي الذهني في شكله القريب من متناول الوعي ، فهي ليست أداة فنية تقترب بنا من أبواب التحليل النفسي بقدر ما هي صيغة جمالية أقرب الى الفلاش باك . وسوف يستخدمها الفنان فيما بعد ايا كانت الحال التي يوجد عليها البطل ، في اليقظة والمنام ، بمفرده أو مع الاخرين ، سعيدا أو تعيسا .

ان « الهرب » في حياة فياض لم يكن قرارا اختياريا من الاعماق لا يستوجب المراجعة ، وانما كان قرارا اضطراريا أملته ظروف اللحظة ، واللحظة دائما عابرة ، ويبقى القرار بعد التنفيذ سيفا مسلطا على العنق بين الخطأ والصواب . واستمرار الهرب هو استمرار للقرار رغم غياب اللحظة التي أملته ومرورها ، أم انها لا تزال باقية ؟ والتساؤل يعني أن القرار ليس محصلة الظروف الخارجية وحدها ، وانما هو يتصل أعمق الاتصال بالتكوين الداخلي للشخصية . لهذا كان فياض « يستشعر عذابا داخليا مؤلما ، ويصارع في ذاته ضد ذاته ، معانيا من فقدان السيطرة الناشئة عن تنبه الاعصاب » .. على انه سرعان ما يحس بالندم يأكل قلبه لا لانه قد انزلق الى قرار الهرب أو لانه انساق في تيار اللحظة العابرة دون أن يوجه الدفة وجهة أخرى ، بل هو يحس بالندم « على ما بدر منه من قلق واضطراب » . ونحن اذن بازاء بطل تراجيدي حديث لا يستقر داخله انقسام الشخصية ، ولم يبذر القدر داخله جرثومة الانهيار والسقوط منذ ولد .. وانما تناوبت السطو على جوهره المضيء عتمة الخارج وظلمة الداخل جميعا ، فاستنبتت البذرة الجهنمية نفسها من هول هذا المناخ الاسود المزدوج . وعلى هذا النحو ترك الفنان أمامها الباب مفتوحا لاحد احتمالين : أن تنمو وتزدهر وتقضى على البطل ، أو أن يشتبك معها البطل في معركة دامية عنيفة ، فيقضي عليها وينتصر . وهو بذلك لا يتحول الى بطل ملحمي لانه لم يناضل قوى خارجة عن ذاته فحسب ، ولا يتحول أيضا الى بطل تراجيدي كلاسيكي لانه لم يناضل ذاته وحدها . وانما هو يتطور بطلا تراجيديا معاصرا لاحداث أمتنا وعالمنا ، يناضل داخله وخارجه معا ، وبغير انفصال « شيء ما يحترق بصدره ، يذوب كشمعة موقدة في معبد مغلق ، وظلمة المساء لا تنسكب في الغرفة وحدها ، بل في رئتيه أيضا ، والاطياف البعيدة تقترب كأن دنياه القديمة تحيط به ويعيش فيها » .

بطلنا اذن ، هو الانسان « المطارد » من داخله وخارجه . ولقد وفق الفنان — رغم الاغراءات المتزايدة على طول الرواية — في تجنب اسلوب

القصة البوليسية الذى يشبع الحاجة الى المطاردة الخارجية ، وفى تجنب أسلوب القصة النفسية الذى يلبى حاسة المطاردة الداخليــة . نجا حنا مينه ـ كما نجا نجيب محفوظ من قبل فى « اللص والكلاب » و « الطريق » ـ من الانزلاق الى ساحة الجذب البوليسى والتشويق النفسى ، لانه آثر صيغة أخرى للجمال الذى يجسد هذه المطاردة العنيفة المزدوجة ـ من الداخل والخارج ـ وهى صيغة الخطوط المتوازية التى قد تتقاطع أحيانا فى نقطة ولكنها تعود الى التوازى المحكم مرة أخرى .. فالماضى يتسرب فى تضـاعيف الحـاضر كخطين متوازيين يتطابقان أحيانا كلما اقتربا من بعضهما البعض ، ثم يعودان الى الانفصال مرة أخرى . ولقد استخدم الفنان لتحقيق ذلك أداة الفلاش باك ، فالخيوط المتواصلة تنقطع ـ أو تنعقد ـ عند نقطة ثم تستأنف المسير من جديد ، حتى أن الرواية من هذه الزاوية تكاد تصبح من القصص النهرية المعروفة فى الادب العالمى .. لولا أن النقـاد يستهدفون بتسمية القصة النهرية أجيالا متعاقبة على مدى التاريخ ، بينما نحاول نحن هنا أن نحل فكرة « الموقف » محل فكرة « الاجيال » .. ومع هذا تبقى القصة « نهرية » فى بنائها الفنى المتدفق طوليا مهما اعترضت المسيرة من المنبع الى المصب مجموعة صغيرة من الجداول الفرعية أو الاخاديد الثانوية ، فليست هذه الجداول وتلك الاخاديد الا واحدة من وسائل الفنان فى توسيع مجرى النهر الروائى المنساب .

ولقد اختص « الماضى » فى حياة فياض بداخله ، أما « الحاضر » فقد اختص بخارجه ، وهذان هما الخطان المتوازيان ، اللذان يحددان شاطىء النهر ، أو الشخصية الرئيسية فى الرواية . أما ماضيه ـ أو داخله ـ فيمكن الالمام به وان تناثر بيـن الصفحات بين الوعى واللاوعى ، فالحق أن الكاتب لم يغفل هذا الماضى ـ أو هذا الداخل ـ من السطر الاول الى السـطر الاخـير . كان يلـقى بحصاة صغيرة فى النهر ، قد تكون حادثة تافهة أو جملة عابرة ، فتدور الدوامة وتتسع وتقلب ذرات المياه من أسفل الى أعلى وبالعكس .. حتى تتكون لدينا فى النهاية مجموعة الدوائر التى تصوغ الحياة الداخلية للبطل ، أو ماضيه المتصل حتما بحاضره ، أى داخله المرتبط أعمق الارتباط بخارجه دون أن يكون احدهما سببا لوجود الاخر ، فالعلاقة بينهما ليست علاقة العلة بالمعلول . وانما هى علاقة جدلية أكثر تركيبا من أن تمنح الاولوية لعنصر ما على العنصر الاخر ، واكثر تعقيدا من أن تبسط المسائل تبسيطا ميكانيكيا بالفعل ورد الفعل أو الصوت وصداه . هكذا نستطيع أن نجمع الشتات المبعثر هنا وهناك ، من كلمات الاب والام ، من حوادث الطفولة والصبا ، فى الشارع والمدرسة ومغائر الجبل والكهوف غير المنظورة .. كان الاب بحارا مجنونا بالخمر والنساء ، ولقد وافق الام على أن الطفل لا يشبهه ولكنه لا يختلف عنه فى الجنون « هذا الولد سيجن .. سيجن بشىء ما .. هذا الولد خاسر لا يهتم بغير الكتب » .. كان فياض فى طفولته هزيلا خجولا مثل البنات . ومثلهن أيضا كان يقضى معظم الوقت فـى البيت . وفى المدرسة أحبه الجميع ، كانوا يرون عقله أكبر من عمره ، ولكن جيبه كان يفضح أصله الفقير . أرادت احدى المعلمات أن تدفع عنه أشتراك رحلة ذات مرة فرفض ، قالت عنه « سيكون ناجحا اذا اكمل الدراسة » ولم يكملها . وحمل صليبه مبكرا ، ذهب ليعمل فى هذه السن الصغيرة ولكن الكتب لم تفارقه لحظة واحدة ، وكانت أخطر اللحظات على الاطلاق هى تلك التى تعرف فيها على الوجه الاخر لابن حيهم خليل . كان يوما هائلا فى حياته عندما عرف بالمغارات المظلمة فى جوف الجبل لا تضيئها سوى الشموع التى يمسك بها خليل ورفاقه ليقرأوا أشياء غريبة فى كراريس ممنوعة . قيل عن خليل حينذاك أنه مجنون ، وقيل عنه أنه عبقرى ، وفى جميع الاحوال قيل عنه أنه ضد الحكومة وضد الفرنسيين . وقد أصبح خليل بطلا فى عيون الصغار والكبار منذ أخذوه وجلدوه وسجنوه ، وبعد أن كان الناس يفسرون مايحدث له على ضوء ارتباطه بالسنديكات ـ أى النقابات ـ أصبح هناك اتهام جديد يدعى الاشتراكية ، ويوم نطق خليـل بكلمة « البروليتاريا » عده أصدقاؤه فيلسوفا . ولم يفهم فياض وقتئذ أشياء كثيرة من قراءاته وسلوك الرفاق ، ولكنه حين أخذ يتردد على المغائر مبهورا ، وراح يركز التفكير فى شروح الكراريس الممنوعة وذهب مع البوليس ليلا الى السجن ونهارا الى المحـكمة ، قال لأمه « الحيـــاة ظـــالمة يا أمى » فسألته « ولكن ماذا نفعل ؟ هل نستطيع أن نزيل الظلم ؟ » فأجاب « نعم ، اذا حارب الناس الظلم ازالوه » وسوف يظل هذا الحوار طيلة الرواية بمثابة النغمة الاسيانة التى تتخلل الاحداث فى صور أخرى اكثر تركيبا ، فلنذكره دائما وان نطقت به شخصيات جديدة .

وفى الماضى ـ أو الطفولة والصبا ـ لم يكن فياض مبهورا فحسب بذلك الجانب الغريب فى حياة خليل وأم بشير التى زجت بنفسها فى أضراب عمال الريجى وحملت فوق صدرها شارة حمراء . وانما بهرت فياض فى ذلك الوقت ـ على عكس ماتوقع أبوه ـ هذه الاسرار الفاتنة التى يتبادلها الفتيان والفتيات ، والتى طرد بسببها أحد زملائه فى المدرسة ، وقالت له المعلمة فى وقتها انه لن يفهم الان ماحدث ، فليست هذه الاشياء للصغار . وحين كبر قليلا وبدأ يفهم كالكبار ترك باقة ورد للمعلمة ، فاستدعته فى نهاية الحصة وراحت تقبله وتدلك رأسه ، فشم فى حضنها رائحة مثيرة أرهقته كثيرا فيما بعد . وعندما جرؤت احدى النساء المشبوهات فى الحى على زيارته فى السجن ومده بالطعام ، خرج من الزنزانة يوم الافراج الى بيتها مباشرة ،

ولما أبدى أبوه الرغبة فى زيارتها منعته قائلة « **الابن لا الاب** ». كبر الفتى اذن، صار معلما وكبرت ضجته فى الحى ، نظرت اليه الفتيات برهبة فى بادىء الامر ، وتحولت الرهبة الى اعجاب ، وتحول الاعجاب الى حب « **وأجمل الفتيات ، أكثرهن صدا ، منحته شفتيها ذات ليلة** » .

ولكن السجن والتعليم والمرأة لم تكن كل شيء فى حياة هذا النجم اللامع فى سماء الحى ، وانما كانت هناك احدى الصحف قد نشرت صورته واسمه فوق كلام منشور . ولم تفهم الام، وقال **سالم أن** ابنه يشتغل بالسياسة . وان الصحف لا **تنشر الا صور الذين يشتغلون بالسياسة « هذه نتيجة الكتب » . صدق منامى ، ابنك جن بالسياسة ، كنت اعرف انه سيجن** ، ولكن بنت الجيران قالت شيئا آخر، قالت أن فياض كتب « **قصة** » ولم تفهم **نزهه** ولم يفهم سالم ماذا تعنى ، ولكنهما يفهمان أمرا واحدا هو أن ابنهما يكتب فى الصحف ، وسوف يصبح من مشاهير القوم ، سيكون **شيئا** كما قالت المعلمة، ولابد أنها الان تقرأ ما يكتب ، ولا بد انها تضحك لصدق نبوءتها من أعماق القلب .

ذلك هو العالم الداخلى لفياض ، نثره الكاتب بمهارة فائقة ما بين البداية والنهاية فى مواقف متفرقة ، تبدو للوهلة الأولى وكأنها « **بعثرة** » ، ولكنها فى واقع الامر بعثرة مقصودة، فالتوازى بين الداخل والخارج ليس معادلة رياضية ، وانما هو « **تكوين** » فنى موصول . ان ماقمت به حتى الان هو تحديد الخطوط العامة لهذا التكوين بايجازها وتركيزها أى بجمعها فى بوتقة واحدة بعد أن كانت نثرات تتخلل السياق الروائى كجزء منه لا ينفصل . اقول ذلك حتى لا نتخيل لدقيقة واحدة ان هذا العالم الداخلى مرآة باطنية عاكسة ، وانما هو مدغوم فى العالم الخارجى بصورة لا تسمح بعزلة أحدهما عن الاخر ، الا من قبيل المجاز وبهدف التحليل النقدى . ان لكل موقف داخلى معادل موضوعى خارجه بحيث لا يمكن حصار اللحظة الداخلية بمفردها ولا ترتيبها بعدئذ مع بقية شقيقاتها فى منظومة تسمى « **الداخل** »، وانما ترتبط اللحظة الداخلية باللحظة الخارجية ارتباطا يتسق مع المجرى العام لحياة الشخصية وتقدمها ، كلاهما تشف عن الاخرى **وتوحى** بها ، ولا اقول **تؤدى** اليها . وحين يعمد الناقد الى اقتناص اللحظات الداخلية من مكمنها الزائغ بين اللحظات الخارجية ، فانما هو يقوم فى الحقيقة بعملية تصنيف ذهنى صرف لا علاقة له بتكامل العملية الخالقة للابداع الفنى . ان حنا مينه لا يجرى تحقيقا مع الذاكرة ولا هو يستدرج الماضى الى **المخيلة** ، بمعنى أوضح هو لا يصب عمله الادبى فى قالب « **الذكريات** » ولا يستخدم ضمير المتكلم . وانما هو يبتى خلايا الدم الجارى فى عروق الشخصية فى نفس الوقت الذى ينسج خلاله الشرايين والاوردة والاوعية التى يتدفق فيها الدم عبر الدورة اللازمة بين القلب وبقية انحاء الجسم، ونبضة القلب هى « **الموقف الحى** » المعبر عن تلازم الدم والشريان مادامت هناك حياة . هكذا يصبح الخروج على المألوف فى حياة فياض مقترنا بالخروج على المألوف فى حياة خليل ، وهكذا تصبح باقة الورد الاولى التى أهداها للمعلمة مقترنة بالنافذة التى واجهته فى مخبئه، واطلت منها دينيز . وهكذا يصبح الاب والام فى حالة اقتران دائم بابى خليل وام خليل . وهاهى ذى ام بشير ـ لا ذكراها ـ تلازمه فى الضوء والظل ، لا تزال على عهدها باضراب الريجى والشارة الحمراء .. الى غير ذلك من مزدوجات تتوحد فى كل خطوة لفياض على طريق الآلام .

فاذا عدنا الى « عالمه الداخلى » ايقنا أنه التكوين الاصيل للبرجوازى الصغير وهويحبو من حافة الانبهار بالغرائب ـ او المغائر والكراسات الممنوعة ـ والدهشة لهذا العامل الفقير خليل الذى يدخل السجن ويخرج منه وكأن شيئا لم يكن، بل هو يزداد معرفة بكلمات لايعرفها فياض « **المتعلم** » بل هو يحول هذه الكلمات الى أفعال تسوقه الى العذاب الدائم . والانبهار وحده لا يصنع شيئا ، ربما يقوده الى « **تعلم** » نوع مختلف من الثقافة لم تزوده به المدرسة ، ولكن وضعه الاقتصادى الممزق هو الذى يملى عليه سلوكا يتفق مع ما يقرأ .. مهما بدا هذا السلوك غريبا على والديه عجيبا عند الفتيات مثيرا للسلطات أن تجره الى ساحات التحقيق والتعذيب والحرمان الطويل . هو فى ذلك يلتقى مع خليل ويختلف عنه ، يلتقى معه على الدرب المحفوف بالمخاطر ، يلتقى معه فى الخروج على المألوف، ولكن نقطة اللقاء تختلف عن نقطة البداية ، والبداية تؤدى فى المدى البعيد الى نهاية تنسجم معها . ومهما تعددت نقاط اللقاء بين فياض وخليل ـ لان طريقهم واحد ـ فان نقطة النهاية تختلف بينهما باختلاف نقطة البداية . لم تكن الدهشة ولا الانبهار ولا الثقافة هى بداية خليل على طريق العذاب ، وانما كانت طبيعته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية **كعامل** هى نقطة البداية من النضال النقابى الى النضال الاشتراكى الثورى بينما كانت طبيعة المثقف البرجوازى الصغير هى نقطة البداية فى حياة فياض .. لذلك كان التماسك والاتساق فى حياة خليل ونضاله ، ولذلك أيضا كان القلق والتردد العنيف فى حياة فياض ونضاله . ان همزة الوصل بين المناضل ونضاله هى المعاناة الشخصية فى الدرجة الاولى ، ولقد كانت معاناة خليل تجسيدا لالام طبقة بأكملها فهو لم « **يكتسب** » وضعه الطبقى أو النضالى ، وانما هو « **وعاه** » فحسب . والثقافة بالنسبة اليه عنصر مهم وضرورى ، ولكن انتماءه الاقتصادى والاجتماعى هو العامل الحاسم . أما « **فياض** »

فوضعه الطبقى عرضة لمختلف الاحتمالات ، قد يريد لنفسه، وقد تساعده الظروف لأن يكون برجوازيا « عصاميا ! »، وقد يتحول ـ بفكره ـ الى مستقبل طبقة أخرى لا ينتمى اليها . والثقافة لذلك بالنسبة اليه تقوم بدور جوهرى . هكذا اختار الفنان لبطله كافة المقومات التى تبرز دلالته الروائية، فوصل به الى أقصى سمات المثقف، وهو أن يكون كاتبا .. كما اختار للشخصية الاخرى كافة المقومات التى تبرز دلالته الروائية فوصل به الى « حضيض » الطبقة العاملة .

ولم تكن محض مصادفة ـ أن يتوجه فياض فور وصوله الى بيت خليل ، لأن « المواجهة » الحية الحاضرة بينهما هى صلب البناء الروائى .. لم يكن خليل ضميرا ثاويا فى أعماق فياض يتربص به فى كل خطوة ، وانما كان رمزا للمقابل ـ ولا أقول البديل ـ الاكثر اتساقا وتماسكا فى ثوريته . كان خليل لذلك بطلا بين بقية الابطال ، ولكن فياض كان بطلا تراجيديا لم تولد معه بذرة السقوط ، بل وقد لا يسقط على الاطلاق .. وانما تم استنبات هذه البذرة من داخله وخارجه معا ، فهو يناضل على جبهتين متلازمتين ، يناضل الماضى من خلال الحاضر ، والحاضر من خلال الماضى ، والانتصار هو أرجح الاحتمالات . ولكنه ليس انتصارا ملحميا كما قلت ، فهو لا ينازل القوى الخارجية وحدها ، هو لا ينازل غيره فحسب ، بل هو ينازل نفسه والاخرين فى وقت واحد . لذلك كان بطلا تراجيديا بحق تثخنه جراح الطريق وتدمى أيامه عذابات الليالى السود ، ولكنه بطل تراجيدى معاصر يندغم قلقه بقلق العصر، وينساب تردده فى آهات عالمنا الحزين .

لم يكن قرار الهرب فى حياة فياض الا قرار القلق والتردد لاقرار النضال . ولو أن فياض كان مقتنعا تماما بقرار الهرب لما كتب حنا مينه هذه الرواية ، أو لكتبها على نحو شديد الاختلاف . فالرواية فى صيغتها الحالية هى رواية المواجهة الدائمة بين فياض وخليل ، ولذلك فهى تبدأ من قبل صفحتها الاولى ولا تنتهى بالصفحة الاخيرة . وانما تظل المواجهة بين فياض وخليل رمزا لمواجهة أشمل من النماذج الفردية ، هى المواجهة بين المثقف البرجوازى الصغير والعامل فى طريق النضال من أجل الاشتراكية . وهى المواجهة التى تبدأ من قبل أن يقرر فياض الهرب ، وتبقى من بعد أن يقرر العودة . وهى أخيرا المواجهة التى تظللها غمامة هذا السؤال « الى متى يستمر الظلم ويدوم العذاب »تردده معظم شخصيات الرواية ويعلو صداه عند مختلف زواياها القائمة والحادة والمنفرجة ، جميعا .

هذه المواجهة هى المادة الخام التى يصوغ منها الفنان العالم الخارجى لفياض منذ أن هبط فجأة على بيت خليل يطلب التخفى من عيون الامن اللبنانى الى أن ألحت عليه فكرة « العمل » البعيد عن الشبهات فأخذه خليل من يده الى من ألحقه عاملا فى مطعم على الجبل الى أن كاد سره ينفضح، فعاد أدراجه الى بيت خليل ، وهناك لم يمكث طويلا فقد أعد له أصدقاؤه مكانا آخر للاختباء هو بيت جوزيف ، ولكنه سرعان ما يدرك استحالة الوضع ويعود الى « العمل » كبناء فى عمارة ، وقبل أن ينكشف أمره يأوى الى معمل متواضع لصنع المسامير به آلة واحدة وغرفة للمبيت . غير أن « العيون » تقتفى أثره من مكان الى آخر حتى قاربت الامساك به بين جدران المعمل الغريب ، لولا انه كان قد غادره فى الوقت المناسب . وبعد عام كامل يطل علينا وجه فياض بين المقابر حيث عثرت عليه العيون مصادفة واكتشفت انه « قائد » العمل السرى الذى فاحت رائحته فى الآونة الاخيرة، اذ صدرت مئات المنشورات تندد بالمرجعية وتطالب باسقاطها والعمل لاقامة الاشتراكية . وتظهر صورة « فياض » فى الصحف ، بين عظام الموتى والمطبعة السرية والمنشورات الثورية .. ويهتف خليل من الاعماق « هذا هوابنى الحبيب الذى به سررت » محاكيا الروح القدس على أثر عماد المسيح أى ولادته من جديد . ويدخل فياض السجن ويخرج ليختفى قليلا ثم يعود الى وطنه ليستأنف النضال مرة أخرى على نحو مختلف .

هذا هو الاطار العام للمواجهة ، فلندخل الى رحاب التفاصيل قليلا . كان التعليق الاول لخليل فور رؤيته لفياض توجزه بين الحين والحين هذه العبارة « كان يجب الا تفعل هذا » أو تلك العبارة « كان عليك أن تصمد أكثر ». ويحاول فياض أن يزيح عن صدره عبء البطالة فى المنفى فيكتب ، ولكن الصحيفة التى يرسل لها عن طريق خليل كتاباته تعترض حماسه وتحذف الانفعال فيجن ويرتاب فى قيمة الكتابة ذاتها « ليس للقلم خطر فى مجتمع لا يقرأ الا قليلا ، ولكن للقلم ضجة » بل هذه الحرية التى يفخر بها لبنان موضع شك كبير ، لان الحرية اللبنانية لا تشمل فياض ولا حق اللجوء . « أنت مطارد ، هنا وهناك وفى كل مكان مطارد ، ستكونون ملعونين من جميع الامم لاجلى » محاكيا المسيح وهو يخاطب تلاميذه قبل خروجهم على المألوف وسيرهم على الدرب المجهول . والمسيح الجديد عند فياض هو الثورة ، والصليب الجديد هو النضال الثورى « اسمك فى اللائحة وأنت مطارد .. قل ما شئت ، يبقى الامر واحدا : انت مطارد .. اللوائح لا تتبدل لامثالك ، يضاف اليها ولا يشطب منها ، أسمك لن يشطب ، وحتى لو كنت تنام وتنظر فى السقف لن يشطب ، واللوائح تنام ، ولكنها تستيقظ أحيانا .. تستخرج من الادراج للتهوية، للتلميع .. وحظك ـ العن حظك ـ جاء بك فى وقت تلميع اللوائح، وعلى اسمك أشير بالقلم الاحمر » .. خليل يصارح نفسه رغم كل شىء بأن

فياض تعجل النجاة بالنفس فهرب ، وفياض يقرأ ذلك على ملامح وجهه فيتعذب ، يعلم أن خليل أعجب بكتاباته ، ويعلم أكثر أنه — لابد — وقد تساءل : هل يكتب ما هو مستعد للتضحية في سبيله ، أم أن الكتابة لا تكلفه شيئا الآن ٠ ولم يحبس خليل همسات نفسه بين الضلوع فأعلنها لفياض « **تريد الصراحة ؟ انت فعلت ذلك خوفا من السجن** »، ولكنه لايقفلنهائيا بابالرحمة فيوجهه فكل شيء يتوقف على الصمود ، حتى بعد السجن ، فكم دخله وخرج منه الكثيرون ولكنهم سقطوا بعد ذلك لانهم كانوا يفتقرون الى روح المثابرة « **ينقصهم الصمود أمام المصاعب الصغيرة أحيانا ٠٠ التجربة هي المحك ، فقبل التجربة جميع الناس مناضلون ، وربما ابطال** »٠٠ كم يقاسي فياض من وخزات خليل المؤلمة، وهاهوذا يشعر حتى النخاع أن « **الغربة اقسى من السجن** » ولكن خليل لا يدع الفرصة تفوته ، فاذا كان فياض ضيق الصدر بمخبئه فليعلم أن هذا البيت ، على ضيقه ، أكثر اتساعا من تلك « **البيوت** » التي عاش فيها امثاله سنوات ، ولا يزالون « **تذكر هذا ٠٠ تذكره فقد يفيدك** » ٠

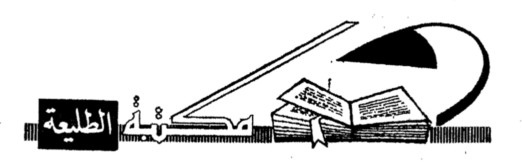
ولم تكن المواجهة بين فياض وخليل مجرد كلمات يتبادلانها في السر والعلن ، وانما كانت سلوكا عمليا فوق أرض الواقع وما تزخر به من أشواك وصلبان ٠ حين وصل فياض الى بيروت كان خليل وزملاؤه يحضرون لاضراب عمال الهاتف ٠ كان خليل لا يزال المناضل النقابي القديم جنبا الى جنب مع نضاله السري ٠ وبخبرته المزدوجة كان يدري بالعيون التي تتلصص عليه بالنظر مهما ارتدى أصحابها الالوان الزرقاء « **مؤسف ٠ عامل وعدو ٠٠ فقراء ضد الفقراء ، وعمال ضد العمال ٠٠ مضللون ؟ نعم، ولكن بعضهم يعمل عن عمد ٠٠ يهوذا لا يزال حيا بيننا** »٠ هذه المواجهة العملية هي التي ألقت بفياض في جحيم « العمل » في مطعم الجبل وفي ورشة البناء وفي معمل المسامير ٠ ولكن المواجهة العملية بين فياض وخليل — كالكلمات المتبادلة بينهما — لا تثمر سوى هذه الالام الهائلة التي تمزق صدر فياض وتتمدد بين احشائه كنار لا تنطفيء ، اذ كان العمل في حياة خليل غاية، بينما كانفي حياة فياض وسيلة ٠ ولقد أثمرت هذه المواجهة صورة واقعية حقيقية لبيروت لا الصورة التي تبرر الثورة وتهون التضحية في سبيلها ٠ مطعم الجبل كان صورة مصغرة لبيروت ، في الطابق العلوي تجارة الرقيق الابيض ، وفي الطابق السفلي الموائد الخضراء ، وهناك سلم بين الطابقين وواجهة أمامية تقدم الاطباق السياحية المشهورة ٠٠ هذا المطعم — كبيروت ، كالمجتمع البورجوازي في اي مكان — سوق تحكمها مجموعة من القوانين ، ومن تسول له نفسه الشذوذ عنها يلقى مصرعه من فوق الورشة — صخرة الانتحار في بيروت — أو برصاصة تقيد دوما ضد مجهول ٠ ولقد عثر فياض في جهنم اللبنانية على ملائكة من الرفاق ، ولكن هيهات ٠ ان حنا مينة في هذه المشاهد التي صادفها فياض في المطعم والورشة وخارجهما في الشوارع والاسواق والفاتورينات قدم صورة فذة لبيروت لم يكتب مثلها من قبل ، وعظمتها أنها لا تقتصر في دلالتها على المجتمع اللبناني وحده ، وانما تتجاوزه بالاشارة الى الحضارة الرأسمالية بأكملها ٠

ثمة نغمة اسبانية ولوعة تتوسط ضلوع الجميع هي الرؤية الفنية المتاخمة لاسوار المواجهة بين فياض وخليل ، هذه الرؤية العاطفة على موقف كل منهما ٠٠ فرحلة العذاب من الطول بحيث تبرر لفياض قرار القلق والتردد ، قرار الهرب ، وتبرر في نفس الوقت لخليل اصراره العنيد وثباته وصلابته ٠ والكاتب لذلك يعقد بينهما الصلح قرب خاتمة الرواية ، بين فياض وخليل، بين داخل فياض وخارجه ، بين ماضيه وحاضره ٠٠ فيغيب عنا وجه فياض عاما كاملا نطالع صورته في النهاية بين المقابر ، وقد عرف طريقه الى العمل السري بالمطبعة والمنشور والاجتماعات ٠ ولا يغيب عنا وجه خليل وقد غاضت منه ومن وجوه أطفاله وزوجته وأبويه ماء الحياة وهددتهم المجاعة على أثر فشل الاضراب وتسريح خليل ٠ وتلك هي الخاتمة التي يصطلح عندها فياض وخليل ، بغياب الاول في غياهب السجن ، وعذاب الآخر على عتبات الموت٠ وبعد ستة شهور يخرج فياض من السجن ويختفي قليلا من الوقت ، ثم يعود الى ارض الوطن ٠ وهكذا تتم الدورة باستئناف الحكم في قرار الهرب ، قرار القلق والتردد ، فيحل مكانه قرار المواجهة الجديدة ، لا بينه وبين خليل ، وانما بينه وبين أعداء الثورة ، أعداء خليل ، وأعداء كل البشر ٠ لقد تمت الدورة واتسق بنيان فياض، تلاءم داخله مع خارجه ، وماضيه مع حاضره ٠ وها هوذا يعود بطلا تراجيديا حقا ، ولكنه البطل المنتصر على قوى التردد والقلق ٠ انه يعود واحدا من أولئك المجانين الذين ساروا في طرق غير مألوفة فأمسوا ضحايا للطرق التي سارت مألوفة « **وصار الناس يسلكونها دون تماثيل للذين فتحوها ٠٠انت يافياض — هكذا قال لنفسه — لاتفتح طريقا، ولكنك تسيرفيطريق وعرة ، انت حجر ككل الحجارة التي رفضها البناءون وصارت رؤوس زوايا** » محققا نبوءة التوراة عن المسيح : فالحجر الذيرفضه البناءون صار رأس الزاوية « **واذ تستشعر الالم — هكذا أستطرد في الحديث مع النفس — تذكر أنك واحد من ملايين، يتالمون مثلك، ومثلكيسيرون فيالطرق الوعرة ليشقوا طرقا جديدة** » ٠

ولقد أراد حنا مينه بهذه الخاتمة أن يثبت فرضا نظريا هو اخفاق « الهرب » كوسيلة نضالية ، وكأن

رحلة فياض الدائرية كانت امتحانا لقراره وتدليلا على بطلان هذا القرار، وخذلانا لصاحبه .. على الرغم من أن الهرب اذا كان تعبيرا اصيلا عن أزمة انتماء المثقف البرجوازي الصغير الى الثورة ، فانه لايحتاج الى هذا الصلح الاخير مع الصـــــلابة والاتساق والتماسك ، فلقد أدى هذا الصلح الى التنفيس والتعويض والتخفيف ، ولم يؤد قط الى الراحة العقلية والقناعة الفكرية . أنها خــاتمة رومانسية الى غير حد ، حتى في صيــاغتها الجمالية حيث عاش فياض أيامه الاخيرة قبل العودة في كوخ منعزل يستمتع بالقرب منه الى ناى حزين ، ويرى في مواجهته نافذة جديدة يطل منها وجه جميل ، وأصبح الثلج يأتيه من النافذة ولا يشعر بالبرد ، فالبرد ليس من الثلج ــ هكذا راح يردد ــ البرد يافياض ليس من الثلج،« **البرد كان من الغربة ، والتجربة تمت في الغربة ، والان وداعا للغربة** » . وتسلل شبح بين الصخور على الجبل الفاصل بين حدود بلدين عبر طريق خاضها منذ عامين ، ولكن من الجهة المقابلة ، وانحنى يقبل التراب ، ويخاطب كل من سيلقاهم بعد غياب ، اعداؤه وأصدقاؤه على السواء ، ويهتف والشعور الغامر بالسعادة يملأ صدره « **أبدا لن أهرب بعد الان ! لن أهرب بعد الان** » . أقول ان هذه الخاتمة الرومانسية شكلا ومحتوى لاتتعارض مع الرؤية الفنية الســـائدة على الرواية فقط ، وانما هى تتناقض أيضا مع السياق « **الواقعي** » الذي اختاره من بين ركام الوعي ــ المختزن ــ بأسباب الانهيار الاقتصـــادي المفاجيء على أثر انتهاء الحـــرب الكورية والثراء الفاحش الذي أصاب القلة المتخمة والفقر المدقع الذي أصاب الغالبية المطحونة والرقص غير المنتظم ــ كالطائر الذبيح ــ على الســلم الاجتماعي ، الذي أصاب القاعدة العريضة من أبناء البرجوازية الصغيرة. هذا السياق الواقعي لم يختص فحسب بالمناخ العام ، وانما باختياره حتى للشخصيات ذات الانتماء المشترك مع فياض وخليل، فمن بينها من لايقدر على مواصلة الرحلة حتى النهاية ، ومن بينها من يبلغ حماسه الحد الاقصى للقول، ثم يهبط فور بلوغه الخطوة الاولى للفعل ، وهم أولئك الذين يتقدمون بشجاعة لاشعال النار ولكنهم يرفضون أن يكونوا وقودها . هذا السياق الواقعي الذي يختلف به حنا مينه عن نجيب محفوظ وقد صور « **البطل الثوري** » مرارا تصويرا تجريديا أقرب الى الرمز منه الى الشـــخصية الحية ، ربما انعكاسا أمينا لتجربة نجيب محفوظ نفسه ــ وهي تجربة فكرية في جوهرها ــ بينما تجربة حنا مينه تجربة واقعية انعكست بروحها المتوهجة على بناء الشخصية وصياغة الاحداث وتكوين المواقف فجاءت كلها تنبض حياة وتشع حرارة فلم ينحت تمثالا أجوف للبطولة يحشوه بالشعارات كما يجنح كتاب الواقعية الساذجة باسم الاشتراكية ولم يجرد فكرة ذهنية من لحمها ودمها كما يفعل نجيب محفوظ .. بل صاغ حنا مينه بطله الثوري من مجموع التناقضات الانسانية المركبة ، وتشابكات الحياة المعقدة حيث يتجاور السلب مع الايجاب في الشخصية الواحـــدة . باعد الفنان بينـــه وبين التبسيط والميكانيكية والمعادلات الرياضية ، فكان هذا الصراع وتلك الديناميكية التي تتقد بهـا صفحات الرواية بين مد وجزر عنيفين باستثناء المرات القليلة التي جنح فيها الكاتب نحو « التزيد » بالتضخيم والمبالغة في التشبيه أو في الحلول المفاجئة التي كان ينفس بها عن ضيق شخصياته. هذا السياق الواقعي قد رصعه الفنان بمختارات ذكية من التراث المسيحي لا علاقة لها بمحـــاولة روائي كبير مثل كازنزاكس في مزجه الماركسية بالمسيحية .. فالتزاوج ــ او التوحيد بمعنى ادق ــ الذي احدثه حنا مينه بين عبارات الانجيل ومواقف الشخصيات لم تكن تزاوجا ولا توحيدا لفكرتين ، وانما كان تبطينا وجدانيا أصيلا للثياب الفنية التي فصلها على الشخصيات بما يتواءم مع لحظاتها النفسية وتكوينها الباطني وســلوكها العملي.. فلم تكن هذه الاستعارات الانجيلية نوعا من « **التضمين** » المعـــروف في الادب العـــربي والاداب العالمية ، ولم يكن « **بوقا** » لآراء الكاتب وتعليقاته ، وانما كانت صياغة جمالية عميقة الاثر وبليغة الدلالة على ماتقوله الشخصية أو الموقف أو الحدث . هذا السياق الواقعي لحما ودما يتعارض بلا ريب مع هذه الخاتمة الرومانسية غير المبررة فنيا ولا عقليا . ولا أدرى لماذا أفلتت الخاتمة في واحدة من أهم أعمال حنا مينه مما يسمى باللمسة الاخيرة التي تمنح العمل الفني أخطر لحظات حضوره ، وتمنح المتلقي حصيلة تذوقه وآخـــر انطباعاته .

غير أن حنا مينه أستطاع أن يهدى الادب العربي الحديث أول عمل فني يسجل أدق خلجات المناضل الثوري من أجل الاشتراكية ، وهو بعد في أتون العذاب ، وفي خضم الصراع ، فوق خشـــبة الصليب . ولذلك تعد « الثلج يأتي من النافذة » عملا رائدا لا يرتفع حقا الى مستوى « الشراع والعاصفة » ولكنه يستكمل نفس الطريق الى رواية واقعية جديدة مفتوحة القلب والذراعين للعالم كله . لقد « **كتب** » حنا مينه قليلا ، ولكنه « **أعطى** » الكثير ، وربما كان اقلاله في الانتاج هو الوجه الاخر لسخائه في العطاء .. لا أدرى .. ولكني لا أشك في أن قمة سامقة ارتفعت عاليا في سماء الادب العربي الحديث بظهور هاتين الروايتين ، وأن حنا مينه سيظل الهاما حيا ومعاصرا لاجيال وأجيال ، فقيمته الباقية سوف تتجاوز أبعاد اللحظة التاريخية الموقوته ، ولن تدفنها أدراج التراث وتصنيفات التاريخ الادبي الكلاسيكية .. وانما هي ستخترق حجب الــزمان والمكان الى آماد تطول وآفاق اكثر رحابة وعمقا .



الثـــورة فى أفريقيـــا
مشـــاكلها وآفاقهـــا

■ المؤلف :

جواو موند

■ عرض :

كمال السيد

■ الناشر :

معهد الدراسات والابحاث الماركسيـــة ـ باريس

لكتاب « جواوموند » عن « الثـورة فى افريقيـا .. مشاكلها وآفاقها » جاذبية خاصة تنبـع من طبيعـة الموضوع الـذى يعالجـه ، ومن الزاوية الجديدة التى يتناوله بها ، فالثورة بجانبيها الوطنى والاجتماعى ، بند دائم ومستمر فى جدول اعمال الشعوب ، والرؤية « البانورامية » التى يقدمها الكاتب للثورة فى افريقيا ، بكل خصائصها المتنوعة وعواملها المتشابكة ، والتنوع الهائل فى اهدافها وفلسفاتها ومناهجها ومراحلها ومهامها ، مسالة تستحق التقدير تماما ، كذلك فان هذا « التناول الموسوعى » لمختلف جوانب القضية ، فى تشابكها وتفاعلها ، يكشف عن جهد علمى ، يصلح مثلا يحتذى فى تناول امثال هذه القضايا الخطيرة ، التى تتعلق بمصير قارة باكملها .

والكتاب كما جاء فى المقدمة التى كتبها جان سوريه كانال ، مدير معهد الدراسات والابحاث الماركسية فى باريس ، يساهم فى تثقيف الذين يهتمون بافريقيا ومشاكلها ، ويطرح زوايا جديدة للتفكير فى وقت كثر فيه التلاعب بكلمة « ثورة » ، واحاط بها الكثير من الغموض والابهام ، وميزة الكتاب تنبع من أنه يطرح فى وضوح المفاهيم الاساسية للعمل الثورى . ويوضح سوريه ان الثورة لا يمكن تعريفها بوسائلها ، ولكن بمضمونها : وهو

التغيير الجذري للهياكل الاقتصادية والاجتماعية ، وللطبيعة الطبقية للسلطة ، فقد اختلف مضمون ثورات الاستقلال المعاصرة وأصبح أكثر ثورية عن مثيلاتها السابقة ، فقد أصبحت مناهضة الاستعمار ، تطرح للبحث مسألة وجود النظام الرأسمالي أصلا . وغدا منطق الثورة المعادية للامبرياليه يؤدى من الاستقلال الوطني الى الطريق غير الرأسمالي ، ذلك لان تدعيم الاستقلال السياسي يقتضى ازاحة الاحتكارات الاجنبية وقواعدها المحلية ، ومثل هذه السياسة يمكن تنفيذها فحسب في ظل سلطة شعبية تتمتع بتأييد الجماهير العريضة ، وسلطة « الديمقراطية الوطنية » ليست بعد سلطة اشتراكية ، فطالما ظل سائدا رأس المال الصغير الذي يولد الرأسمالية كل يوم ، وطالما بقى هناك قطاع خاص ، يأمل في أن يرث مواقع الاجانب ويسعى للاعتماد عليهم ، فان السؤال : من الذي سينتصر ؟ يظل سؤالا مطروحا . فاذا ما استولى الشعب على السلطة ، واستخدمها لصلحته ، فان هذا الطريق غير الرأسمالي يؤدى الى الاشتراكية ، ويؤكد سوريه ، أنه في النصف الثاني من القرن العشرين ، ليس هناك طريق ثالث بين الرأسمالية والاشتراكية ، وان مشكلة أفريقيا تتمثل في أنها تحيا في عالم نضجت فيه ظروف الانتقال الى الاشتراكية ، في حين أن كثيرا من خصائصها وهياكلها ترجع الى ما قبل الرأسمالية ، الامر الذي يحتم القفز عبر عدة مراحل ، وضخامة هذه التحديات تجعل الوحدة بين بلدان القارة أمرا لا غناء عنه .

القسم الاول :

التكامل في ظل النظام الرأسمالي

في هذا القسم من الكتاب يبرز المؤلف السمة الاساسية للامبريالية المعاصرة ، وهي طابعها الجماعي في السيطرة الناجمة عن تكوين رؤوس الاموال على نطاق عالمي ، لا على نطاق محلي ، كما كان الامر من قبل . فقد أصبحت الاحتكارات الدولية هي التي تحدد سياسات الكتلة الامبريالية ، وكذلك بتحديد السياسة الداخلية في كل بلد فيه على حدة ، وبالطبع فان أساليب العمل الامبريالي ، تتطور بدورها وتتخذ شكلا جماعيا كما حدث في العدوان على مصر والكونغو وفيتنام .

« ان الفارق الجوهري بين الامبريالية عند نشأتها ، والامبريالية المعاصرة (المحتضرة) يكمن في أن الاولى كانت تتسم بسيطرة الاحتكارات الرأسمالية على سياسة البلد الذي تنتمي اليه ، في حين أن المرحلة الثانية ، وبعد أن اصبحت الاحتكارات دولية ، تتسم بسيطرة هذه الاحتكارات على سياسة مجموعة من الامم » .

ثم يستعرض المؤلفة مراحل « الاستيلاء الامبريالي » على أفريقيا ، والذي بدأ بعمليات « صيد العبيد » ثم نهب المواد الخام ، واخيرا الاحتلال ، الامر الذي اصاب تطور القارة بالشلل وأعاق نموها ، والسبب في ضعف مقاومة القارة يرجع أساسا الى تشتت شعوبها وتفرقها . « واذا كانت تجارة العبيد قد كلفت القارة حياة عدة ملايين من سكانها ، فان الاستغلال الرأسمالي ، بأساليبه غير الانسانية وظروف العمل المجحفة ، قد كلفها بدوره عدة ملايين أخرى » . وترتب على السيطرة الاستعمارية :

■ ادخال النظام الرأسمالي عنوة ، بمختلف اساليبه وطرائقه ، وقد حاول الامبرياليون الاحتفاظ بالعلاقات قبل الرأسمالية ما دامت في خدمة الاستغلال الامبريالي ، ومنع تكوين طبقات افريقية ، ولكنهم لم ينجحوا في ذلك ، ومن ثم فان الحديث عن « افريقيا بلا طبقات » ، كما يبشر سنجور واحزابه ، أمر لا معنى له ، فقد نمت فيها طبقة عاملة وحركة وطنية خلقت وعيا سياسيا متناميا .

« واذا كانت الفترة التي سادت فيها تجارة العبيد قد أخرت التطور التاريخي لشعوب القارة ، وسدت طريق التنمية على المستوى الرأسي [لكل مجموعة بشرية ، وشعب] ، وعلى المستوى الافقي (تجمع عدة شعوب) فان الرأسمالية أدت الى تحلل الاشكال المتخلفة للتنظيم الاجتماعي ، وسمحت للقارة بتنمية قوى اجتماعية جديدة ، تضطلع بمهمة تعويض التخلف » .

■ تقسيم القارة الى مناطق متناحرة ، وعرقلة كل مشاريع الوحدة .

وينبه الكاتب ، في اسهاب مطول ، الى ضرورة مراعاة الدقة العلمية في تحديد المصطلحات والتعريفات ، فلكي ينجح النضال الوطني والاجتماعي لابد من معرفة متعمقة بجوهر الرأسمالية في المرحلة الراهنة ، ووسائلها في البقاء والاستمرار في عالم اليوم ، ويؤكد أن من أهم الاسلحة التي تستخدمها الرأسمالية لاطالة أجلها ، هو تجهيل الجماهير بالاسباب الاساسية والحقيقية لبؤسها ، ومن ثم تصبح مهمة توضيح وتحديد المصطلحات وبيان الاسباب ، مهمة ثورية ، ولكي يكون النضال فعالا ، لابد من الالمام بالتغييرات التي طرأت على النظام الامبريالي ، في هياكله ووسائله ، فالاستعمار الجديد للامبريالية مثلا ، يتميز بوجود سيطرة غير مباشرة ، تتم بوساطة جهاز يتكون من نوعين من عملاء الامبريالية : الممثلين الرسميين ، وغير الرسميين للاحتكارات والحكومات الامبريالية ، والادارة السياسية القومية التي تضم عناصر تقبل

القيام بدون المدافع المحلى عن السياسة الامبريالية ، والامبريالية عند الكاتب تستخدم كلا من أسلوب الاستعمار ، وأسلوب الاستعمار الجديد .

ويبدى الكاتب عدم ارتياحه لذلك الخضم من المصطلحات مثل : البلاد المتخلفة ، البلاد التى تسلك طريق التنمية ، البلاد الفقيرة ، والبلاد الغنية ، العالم الثالث ، لانه فى رأيه يحرف الانتباه عن القضية الاساسية ، وهى العلاقات الرأسمالية بين البلاد الامبريالية والبلاد التابعة ، ويقول ان تعبير التخلف يستخدمه أولئك الذين يريدون ادانة الوضع الراهن للامور ، أما تعبير « البلاد فى طريق النمو » فيستخدمه أولئك الذين يريدون اخفاءه .. ويستنتج الكاتب :

■ أن الغالبية العظمى من بلدان القارة ، منخفض للغاية مستواها الاقتصادى والاجتماعى والحضارى ، وذلك بسبب الدور الذى لعبه النظام الرأسمالى فى مرحلة الامبريالية .

■ أن رفض النظام الرأسمالى هو الطريق الوحيد للقضاء على التخلف .

■ ان البلاد المتخلفة نوعان :

● بلاد مختنقة : لا ينمو اقتصادها .

● بلاد فى طريقها لتعويض التخلف .

■ أن لفظ العالم الثالث لفظ غير دقيق علميا لانه يضم أنظمة سياسية واقتصادية متباينة للغاية .

■ ان تجربة البلاد الاشتراكية قد اثبتت ان النظام الاشتراكى يعتمد حاليا على قوى انتاجية ، تتماثل ، ان لم تتفوق ، على مثيلاتها فى البلدان الامبريالية ، ومن ثم فان أى بلد ينضم حاليا الى هذا النظام ، يستطيع بسهولة أن يجتاز الهوة التى تفصله عن المستوى العام لتطور هذا النظام ، وان اى بلد ما زال فى اطار النظام الرأسمالى ، يمكنه أن يتخلص منه سريعا .

■ أن هذه العملية تتم فى أفضل ظروف ملائمة ، حيث أن انجازات البلاد الاشتراكية سند هائل للحركة الثورية العالمية .

ويوضح الكاتب ، فى اكثر من موضع من كتابه ، أن عالم اليوم ينقسم الى مجموعتين متمايزتين تماما ، من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، المجموعة الرأسمالية والمجموعة الاشتراكية ، والاولى تضم دولا يتباين مستوى تطورها بدرجة هائلة (أمريكا والهند مثلا) ، أما تباين النمو بين البلاد الاشتراكية ـ وهو ليس على نفس المستوى السابق ـ فيتوقف على : الهيكل السفلى لكل بلد عند بدء ثورتها الاشتراكية ، والفترة التى انقضت على بدء هذه الثورة . ويميز الكاتب بين البلاد الاشتراكية الطليعية والبلاد الاشتراكية التى فى طريقها الى التعويض .

أما الطريق غير الرأسمالى ، فيضم فى رأى الكاتب البلاد التى لم تبدأ بعد مسيرتها الاشتراكية وان رفضت الطريق الرأسمالى ، والتى يتعين عليها المرور بمرحلة وسطى للانتقال الى الاشتراكية ، وهذا العمل يقتضى نضالا هائلا ضد الامبريالية والضغوط الداخلية ، والتخلص من كل الهياكل الرأسمالية الموروثة .

القسم الثانى :

أفريقيا ومشاكلها

فى هذا الجزء يركز الكاتب كثيرا على الخلافات الموجودة بين بلدان القارة ، والتى ترجع فى التحليل الاخير الى درجة التبعية للاستعمار ، والتى تعوق عمليات التوحيد ، والتصفية النهائية للسيطرة الاجنبية وللرأسمالية ، فبعد مؤتمر اديس ابابا التوحيدى ، نشطت محاولات الحكومات الرجعية ـ بايعاز من الامبريالية ـ لتخريب محاولات الوحدة ، ومع ذلك فان فكرة الوحدة تكتسب كل يوم أرضا جديدة ، بسبب زيادة الوعى بحقائق الاوضاع فى البلاد المختنقة اقتصاديا ، وبضخامة السلطات التى تتمتع بها الامبريالية ، وبحقيقة أن الوحدة هى الشرط الاساسى للتطور الشامل والسريع لا لمجموع القارة فحسب ، بل ولكل بلد على حدة .

وتتوقف درجة الاستقلال فى رأى الكاتب (وهى شرط تحقيق الوحدة) على ما اذا كان قد تم اكتسابه بالاعتماد على حزب جماهيرى ، ذى قيادة ثورية ، وينبه المؤلف الى مخاطر عمليات التجزئة الامبريالية ، والتى ادت الى :

ـ ايقاف التطور التاريخى لكثير من الشعوب ، واصابة تطورها الحضارى والاقتصادى بالشلل . وتحويلها الى « ملكية استعمارية » .

ـ انشاء وحدات اقتصادية تخدم فى المحل الاول الاهداف الامبريالية بغض النظر عن مصالح السكان .

ـ استخدام القوى العاملة الافريقية بطريقة تؤخر رفع مستواها التكنيكى ، وتعوق تطورها الاجتماعى والسياسى .

ويوضح جواومونو السمات الاساسية التي تتميز بها القارة المستقلة :

● وجود عدد كبير من البلدان التابعة اقتصاديا وثقافيا وعسكريا وسياسيا ، الامر الذي يعوق التحرر الكامل للقارة ، ويتيح الفرصة لاستمرار الاستغلال الاحتكاري .

● تكوين برجوازية بيروقراطية وتجارية ، تضع نفسها في خدمة الاحتكارات ، تستولى على كثير من الامتيازات ، وتحافظ على التأخر الثقافي والتكنيكي والاقتصادي والسياسي .

● قلة عدد الكادر في معظم التخصصات وفي مختلف المستويات .

● استخدام التمايز العرقي والقبلي لاعاقة تكوين الامم .

● ازدياد دور وفعالية البلاد الثورية على النطاق القاري .

● ازدياد الوعي الجماهيري .

ويوضح الكاتب أهمية القارة حاليا بالنسبة للامبريالية العالمية ، في ظل ازمتها المعاصرة ومنافسة الاشتراكية لها ، واحتدام تناقضاتها ، الامر الذي يفسر سلسلة الانقلابات الاخيرة والتي تبرهن على الرغبة في وقف المد الشعبي المتزايد ، وعلى أن تلك المهمة لا يمكن ان تنهض بها البرجوازية المحلية وحدها ، فلابد من مساعدة الاستعمار لها

ويعدد المؤلف مواقع الثورة المضادة في القارة بأنها الجيوب الاستعمارية ، والسيطرة الاقتصادية ، والنظم العنصرية التي تبرر استغلال سكان القارة بانخفاض مستواهم ، والعنصرية سلاح ايديولوجي لتبرير استغلال الانسان للانسان وهنا يقول الكاتب :

« ان المسألة اليهودية مثل نموذجي لاستخدام العنصرية ، فاليهود المشتتون في العالم ، تباينت خصائصهم حسب المجتمعات التي عاشوا فيها ، ولكن قادتهم المرتبطين بالامبريالية قاوموا اتجاههم للتكامل مع الشعوب ، وكفلت لهم النازية ، واستخدام الدين ، دفعة جديدة للحركة الصهيونية أدت لانشاء اسرائيل ، والتمعن في سياسة هذه الدولة تبين العلاقة الوثيقة بينها وبين رأس المال المالي الدولي ، ولكي تقوم اسرائيل بمهمتها ما كان عليها أن تستخدم سلاح العنصرية ، وان تجعل منه سبب وجودها » .

وحول مشاكل الوحدة ، يؤكد الكاتب خطورة الولاء للغرب لدى كثير من القيادات الحكومية ،

ويورد قصة عن سنجور رئيس جمهورية السنغال - يقول فيها ان هذا كان يبدأ حديثه مع أصدقائه الاوروبيين بقوله : « عندما كنت أفريقيا » ، مما يبين مدى اعتزاز امثال هؤلاء القادة ببلادهم ، وتفهمهم لمشاكلها .

ويوضح الكاتب اهمية الوحدة لاعداد الكوادر المحلية المتفهمة لمشاكل القارة ، باقامة الجامعات المشتركة ، وكذلك اهميتها في استغلال الثروات الطبيعية الموزعة بين دول القارة ، وفي قيام تصنيع يسد احتياجاتها « ومن ثم فان التوجيد يوفر حلا أمثل لمشكلة استغلال ثروات القارة لاشباع حاجات شعوبها (تقسيم العمل على نطاق القارة) ويوفر الظروف السياسية التي تكفل أن يتم تقسيم العمل هذا لمصلحة شعوب القارة ، ولكي تعمر الوحدة لابد من :

● التحديد الواضح لاهدافها .

● مراعاة خصائص كل عضوفيها .

القسم الثالث :

أفريقيا والثورة المعاصرة

يتميز عالم اليوم بتنامي درجة اعتماد دولة على بعضها البعض ، وزيادة دور القوى الثورية في تحديد مسيرة التطور ، بحيث ان أية مجموعة قومية ، يتأثر تطورها بغيرها من المجموعات ، تماما كما لا تتصرف اي طبقة داخل البلد الواحد - بمعزل عن غيرها من الطبقات ، ومع أهمية العوامل الخارجية وتأثيرها الواضح ، الا أن درجة تطور القوى الداخلية هي التي تعطى للتأثيرات الخارجية فاعليتها .

ويقول الكاتب ان الحركة الثورية العالمية منقسمة حول الاتجاه الذي يجب أن يوجه اليه العمل الثوري ، وان القادة الصينيين يرون ضرورة الهجوم المباشر على النظام الامبريالي ، في حين أن الحركة الشيوعية الدولية ترى أن فرص مبادىء التعايش السلمي ، هو السلام الاكثر فعالية في المعركة ضد الرأسمالية ، في وضع تنامت فيه القوى التقدمية وأصبحت هي العامل الحاسم .

ويفند الكاتب مختلف محاولات تخطى الدور القيادي للطبقة العاملة سواء باعطائه للفلاحين أي لما يسمى بالكتلة التاريخية ، كذلك يرفض القول بأن النضال المسلح هو الطريق الوحيد للتغيير . فالثورة تعتمد على الوعي السياسي للجماهير ، النابع من ظروفها السياسية والاقتصادية ، الامر الذي يحدد أساليبها وشعاراتها .

ويبرز المؤلف العوامل الداخلية والخارجية التى تؤثر فى مسيرة الثورة الافريقية ، والعوامل الداخلية هى : تأخر القوى الانتاجية ، والتبعية الاقتصادية ،وضعف الوحدة بين البلدان الافريقية ، وضعف القوى الثورية ، أما العوامل الخارجية فتتسم بالاتى : التأخر فى تكوين جبهة معادية للامبريالية ، رغم تغير ميزان القوى لصالح الحركة الثورية .

والقيام بالثورة ، فى راى الكاتب ، يقتضى تحديد الاهداف واختيار نظام اجتماعى واقتصادى يكفل تعويض التخلف واختيار وسائل اقامة هذا النظام ، ويطرح الكاتب المهام التالية على الحركة الثورية فى افريقيا :

- تطوير الاحزاب الطليعية فى كل بلد .
- توحيد القوى الثورية على نطاق القارة .
- ربط النضال الوطنى بالاجتماعى .
- توجيه النضال الاجتماعى صوب بقاء الاشتراكية .

والحق أن الكتاب لوحة عريضة لمشاكل وآفاق الثورة الافريقية ، تعكس فهما عميقا لابعادها ، وتصلح أساسا لمناقشات خصبة وخلاقة حول أكثر الطرق فاعلية لتحديد أهداف ووسائل التغيير الاجتماعى ، وترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية ، أمر يستحق العناية تماما ، ويعتبر نوعا من التقدير لذلك النضال البطولى الذى تخوضه القارة حاليا فى سبيل تحررها الوطنى والاجتماعى

■■



من أسلحة الأخطبوط الصهيونى فضيحة ويزنسال

فى العدد السادس ١٩٧٠ من « **اخبار طلاب العالم** »مجلة الاتحاد العالمى للنقابات كتب **ت.نيوباور** مقالا كشف فيه النقاب عن النشاط التخريبى للمخابرات الاسرائيلية فى أوربا ، وقد استهل مقاله بالاشارة الى أعمال التجسس الاسرائيلية التى كشف عنها النقاب أخيرا فى أوروبا مثل « **قضية شربورج** » والتى تمكنت فيها المخابرات الاسرائيلية من سرقة زوارق الطوربيد الفرنسية ، وكذلك فضيحة المهندس **فرونكنشت** الذى كان يقوم بنقل صناعة الطيران السويسرية الى اسرائيل . وأخيرا ، تاتى قضية لم يكتب عنها الا القليل ، ونعنى بها قضية **ويزنسال** الذى استمر لمدة طويلة فى النمسا يوجه الحملات الصهيونية ضد حركة التحرر الوطنى العربية ، وكان هذا الجاسوس يمارس نشاطه من « **مركز الوثائق** » اليهودى بفيينا ، عن طريق هذا المركز ، فنظم شبكة من منظمات الجاسوسية تحمل أسماء منظمات طلابية فى باريس ولندن وبعض البلدان الاسكندنافية .

لقد بدأ **سيمون ويزنسال** عمله فى هذا المركز كمواطن نمساوى منذ ١٩٥٣ ، حتى ١٩٤٢ كان ويزنسال على صلة سرية بالهتلريين ، حتى قطعها فجأة فى هذا العام وتمكن من الهرب دون أن يصاب بأذى خلال حملات هتلر الوحشية ضد اليهود وبعد الحرب وفى ١٩٤٥ عقد صلات مع الاستعلامات الامريكية والمخابرات الامريكية وعندما تأسس « مركز الوثائق » اليهودى الاول فى لينز بمساعدة امريكية فى ١٩٤٧ شارك ويزنسال

فى تأسيسه ، وقد قام بتصفيته فى ١٩٥٤ بتوصية من المخابرات الامريكية .

وفى ١٩٦١ أعيد فتح مركز الوثائق فى فيينا وعندما أثيرت قضية **ايخمان** فى اسرائيل تطوع **ويزنسال** بالكشف عن مخبئه ، وقد عاد عليه هذا العمل بربح قليل ، ولكنه أصبح مشهورا وتلقى « مركزه » العون المالى من جهات عديدة .

وحتى عام ١٩٦٩ لم يكن يجرؤ أحد على التشكيك فى مركز وثائق فيينا ، حتى تصدى لكشف النقاب عنه **دكتور برودا** وزير العدل النمسوى ، لقد صمم **دكتور برودا** بعد أن تجمعت الوثائق لديه على الخلاص من **مستر ويزنسال** ، الذى بدأ يشن حملة هجومية ضد **دكتور برودا** على أساس أنه معاد للسامية .

وهكذا بدأت السلطات النمساوية فى ١٩٦٩ تكتشف شبكة تجسس تعمل لحساب اسرائيل والمانيا الغربية من داخل مركز الوثائق ، وبدأ الرأى العام النمساوى يتابع القضية ، وتشكلت فى الخريف الماضى لجنة برلمانية خاصة فى البرلمان النمساوى للتحقيق فى نشاط **مستر ويزنسال وعميله اتلبتجر** ، وأعدت تقريرا مثيرا عن القضية ، وكشفت الوثائق المضبوطة عن أسرار الدولة النمساوية وعن بعض ضباط البوليس ورجال الدولة الذين كانوا يعملون مع **ويزنسال** ، كما كشفت هذه الوثائق عن النشاط التخريبى الذى كان ينظمه هذا المركز ضد البلدان الاشتراكية ، وحتى الان لم يكشف النقاب عما تحتويه هذه الوثائق من أسرار رهيبة لان النمسا تخشى الولايات المتحدة التى تضمن حيادها ، وقد صرح بعض أعضاء الجالية اليهودية فى النمسا بتصريحات كشفوا فيها حقيقة **ويزنسال** كرجل أعمال ثرى جمع ثروته من الهدايا التى كان يحصل عليها من السذج ضحايا الارهاب النازى ومن الاموال التى قدمت اليه من المخابرات الامريكية والاسرائيلية والالمانية الغربية .

وقد أشار كاتب المقال الى أن ويزنسال يصفى الان مكتب الوثائق اليهودى بفيينا ليبدأ عمله فى بلد آخر وتحت اسم آخر ، ومن المنتظر أن ينقل مركز نشاطه الى الدانيمرك أو السويد ، ولكن يبدو أنه يواجه صعوبات فى ذلك ، اذ أنه بعد أن فضح أمره فان اقامته لمركز فى أى من البلدين قد يسىء الى العلاقات بين الدانمركيين والسويديين والبلدان التى يتآمر ضدها **ويزنسال** ، ولكن **لسيمون ويزنسال** أصدقاء فى دوائر التجسس بألمانيا الغربية وهو سيلقى ترحيبا منهم ليمارس نشاطه هناك .

ويختم الكاتب مقاله مشيرا الى أن **مستر ويزنسال** سيستمر فى نشاطه كأداة من أدوات الامبرياليين والصهيونيين ، يمارس التخريب مستخدما كافة الوسائل التى تبيحها حرب الجاسوسية .

النشاط التخريبى للولايات المتحدة فى داخل نقابات أمريكا اللاتينية

نشرت مجلة « **الحركة النقابية العالمية** » فى عدد سبتمبر ١٩٧٠ مقالا بقلم **جـ . تيخونوف** عن النشاط التخريبى للولايات المتحدة فى داخل نقابات أمريكا اللاتينية .

ويكشف المقال عن دور « **المعهد الامريكى لتنمية الحركة النقابية الحرة** » الذى تأسس فى واشنطن فى عام ١٩٦٠ بقرار من قادة « **اتحاد العمل الامريكى ـ مؤتمر المنظمات الصناعية** » . وقد تولى المعهد اعداد ٨٠ الف نقابى ، يضاف اليهم من ١٠٠ الى ١٥٠ شخصا يتلقون منهجا خاصا لمدة ثلاثة أشهر فى الولايات المتحدة ، ثم الذين وضعت فيهم واشنطن ويدرسون فى جامعة لويال بولاية نيوأوليانز ، وتحظى هذه الفترة بكل انواع التدليل : فبالاضافة الى المنحة الشهرية وبدل السفر يصرف لهم ١٠ دولارات يوميا وعند انتهائهم من الدراسة يحصلون على مبلغ يوازى ماهية تسعة شهور .

ويتولى الانفاق جزئيا على المعهد القيادة الرجعية « لاتحاد العمال الامريكى ـ مؤتمر المنظمات الصناعية » وعلى رأسه **جورج مينى** . وكما يقول الصحفى الامريكى **ستانلى مايسلر** ـ أن تمويل المعهد يتم جزئيا عن طريق « اتحاد العمل عن طريق حكومة الولايات المتحدة التى تمده بالوسائل المالية بهدف تحقيق برنامج « الاتحاد من أجل التقدم » . وتقدم الشركات والاحتكارات الامريكية عونا كبيرا للمعهد ـ وهى لا تغدق أموالها على المعهد بغرض البر ولكن لتحقيق

أهداف مرسومة . وقد حدد هنرى وودبريدج رئيس « تروتمبر كوربوريشن » هدف الشركات بالعبارة التالية : « **بدون النقابات الحرة لا يمكن ان توجد مشروعات حرة** » . اما **توماس مان** مساعد سكرتير الدولة السابق لشئون القارة الامريكية فقد ضرب بالدبلوماسية عرض الحائط حين صرح بسخرية قائلا : « **ان ادارة حكيمة للنقابات الامريكية اللاتينية هي : بضاعة لا تقدر بثمن ، وهى ضرورية فى هذه المنطقة ضرورة الاستثمارات** » .

وهكذا يكشف **مان** عن الهدف من صرف المبالغ الطائلة على تكوين واعداد الكوادر المخربة فى داخل النقابات الامريكية اللاتينية هو اقامة مشروع مجز للرأسماليين الامريكيين .

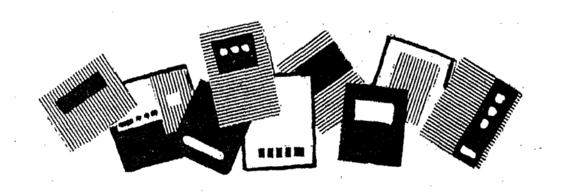
وتستخدم **وكالة المخابرات المركزية** المعهد وفروعه لاغراض التجسس والتخريب ، حيث لا يقتصر نشاطها فقط على العمل داخل النقابات . فعملاء المخابرات الامريكية داخل نقابات غيانا كانت لهم يد فى قلب حكومة جاجان . وفى بيرو كان **وليم شيبرز** يدير التنظيم المعروف باسم « حماية المؤسسات » والذى كان يقوم باعداد الشرطة السريين للمؤسسات ، وكان يشرف على شبكة من العملاء السريين مهمتهم الهدم والتخريب داخل النقابات لعرقلة انشاء اتحادات نقابية . وقد طرد شيبرز أخيرا من بيرو .

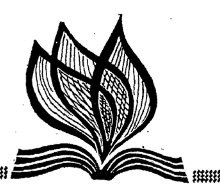
ومن داخل السفارات الامريكية فى بلدان امريكا اللاتينية يمارس المسئولون عن النشاط النقابى عملهم امثال **ليستر سبيلمان** فى شيلى . ومن المعروف أن تعيين أى مسئول عن المسائل النقابية لدى أية سفارة أمريكية لا يتم الا بموافقة **لوفستون** رئيس القسم الدولى التابع « لاتحاد العمل الامريكى — مؤتمر المنظمات الصناعية » وخبير التخريب ذى الصلة الوثيقة بوكالة المخابرات الامريكية .

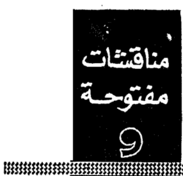
وتستفيد دوائر الاحتكارات والمخابرات الامريكية كذلك استفادة واسعة من منظمة « الاوريت » والتى تمارس نشاطها النقابى على نطاق القارة كلها . وكل مواد الدعاية الموزعة باسم الاوريت وسط النقابات المحلية تصدر من السفارات الامريكية . واخيرا امرت حكومة بوليفيا باغلاق سكرتارية الاوريت فى لاباز وطردت السيد **أوزاريو** ممثل المنظمة من البلاد لقيامه بنشاط انقسامى لحساب الامبريالية ولكونه عميلا للمخابرات المركزية .

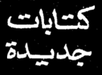
ويختتم جــ . تيخونوف مقاله قائلا انه :

« **رغم الجهود الكبيرة لم تنجح الاحتكارات الامريكية والقيادة الرجعية « لاتحاد العمل الامريكى — مؤتمر المنظمات الصناعية » فى اخضاع نقابات أمريكا اللاتينية لاشرافهم والعودة بهذه الحركة الى الكفاح الاقتصادى ، وحرفها عن المواقف الطبقية ولو انهمقد نجحوا فى بعض البلاد فى الحاق ضرر ملحوظ بهذه الحركة . وتشير الاحداث الاخيرة الى أن النشاط الانقسامى الذى يقوم به عملاء الاحتكارات الامريكية داخل النقابات الامريكية اللاتينية يمنى الان بالفشل اثر الفشل بينما تتدعم الحركة النقابية التقدمية التى تدافع عن المواقف الطبقية وتقوى باستمرار** » .









محمود درويش .. شاعر الأرض والحرية

تاج الدين حسن
سوريا

فاز الشاعر المناضل محمود درويش بجائزة « لوتس » لهذا العام ، التى يقدمها المكتب الدائم لاتحاد كتاب آسيا وافريقيا . وفى هذا المقال يكتب تاج الدين حسن — من سوريا — ليحلل شعر الارض المحتلة وفى مقدمته شعر محمود درويش .

مع أنه يمكن من خلال قراءة الاثر الادبى ، ان نستدل بصفة عامة على الملامح الرئيسية للبيئة التى عاشها او تأثر بها ، فاننا لا نستطيع ان نتعمق ذلك الاثر او ان نحياه جيدا دون ان نضعه قدر الامكان ضمن المؤثرات المختلفة ، السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، التى شكلته على صورته المعطاة .

اننا عندما نيمم وجهنا شطر الجزء المحتل من الوطن ، جرح الامة ، لندرس ما تفتقت عنه قرائح قلة عربية نشأت وترعرعت رغم أنف العدو المغتصب الذى فرض قيودا ثقيلة لمنع الاقلية العربية من تحصيل أى مستوى ثقافى يؤهلها لاى دور مهما قل شأنه ، نجد فئة من المناضلين الذين قذفوا الشعر حمما فى وجه الغزاة ، فهم رفضوا النزوح عن ديارهم ، رفضوا المنفى (خارج فلسطين) وفضلوا المعتقل (فلسطين) على الرغم من الاساليب المبتكرة لتعذيب واضطهاد الاقلية العربية داخل الوطن المحتل .

ان شعرهم يتميز بعاطفة وجدانية واعية تتجاوب مع المشاكل اليومية التى تواجه العرب فى ظل

احتلال صهيوني مستبد يستهدف اقتلاع جذورهم وطمس شخصيتهم القومية ، واجبارهم على ترك اراضيهم .

غير ان هذه المشاكل اليومية لم تحجب عنهم الانتصارات التى حققتها الجماهير العربية فى الوطن العربى الكبير لايمانهم أن هذه الانتصارات هى الطريق نحو تحريرهم ».

اننا سندرس بعض انتاج محمود درويش شاعر الارض ـ الام ـ الذى استطاع ان يجعل للشعر وظيفة وطنية وقومية قبل يونيو ، ولقد وصل صوته الينا من خلف جدران السجن الكبير الذى اقامه العدو الصهيونى لابناء فلسطين المحتلة . سمعناه قويا صافيا ناضجا متفائلا فاستحق بجدارة كاملة أن يكون شاعر النضال العربى مثلما هو شاعر الفداء الفلسطينى الان . اذ امتاز بغزارة الانتاج المتميز بدوره بفهم ايديولوجى يسارى وبحب أبدى للارض .. ان شعره شعر نضال ومقاومة .

لقد اختص محمود درويش ـ دون منازع ـ فى فلاحة الارض الفلسطينية فلاحة شعرية رائعة ومخصبة . ان ما يريده تماما هو ان يتوحد مع الارض فى اتصالها المباشر مع الانسان ، وفى موتها وبعثها المتجددين على هيئة الانسان وصورته !!

وطنى ليس حزمة من حكايا
ليس ذكرى ، وليس حقل اهله
وطنى ليس قصة او نشيدا
ليس ضوءا على سوالف فلة
هذه الارض جلد عظمى .. وقلبى
فوق أعشابها يطير كنحلة ..

ولد الشاعر فى قرية « **البروة** » فى الجليل الشمالى وقد هدمها الصهاينة ، وبدأ فى نشر اشعاره فى اواخر الخمسينات ، وهو احد أعضاء (منظمة الارض) العربية البارزين التى تأسست عام ١٩٥٨ . وقد اعتبر النظام الاساسى لهذه المنظمة « ان الاقلية العربية فى الوطن المحتل جزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطينى الذى هو بدوره جزء لا يتجزأ من الامة العربية المنتشرة من الخليج العربى الى المحيط الاطلسى . ان شباب (منظمة الارض) يهدفون الى ايجاد حل للقضية الفلسطينية يتفق مع ارادة الشعب العربى الفلسطينى ويتلاءم مع مصالحه وأمانيه ويعيد له كيانه السياسى ويضمن حقوقه الشرعية الكاملة باعتباره صاحب الحق الاول فى تقرير مصيره بنفسه ، فى نطاق الامانى السامية لسلامة العربية » .

وفى بداية الستينات سجن الشاعر وأكمل ديوانه (**عاشق من فلسطين**) وهو فى السجن ، وقد صدر عام ١٩٦٦ . كما صدر له ديوان (**أوراق الزيتون**) عام ١٩٦٤ ، وديوان (**عصافير بلا أجنحة**) عام ١٩٦٤ . وآخر ديوان له صدر هذا العام عن دار العودة فى بيروت وهو (**حبيبتى تنهض من نومها**) . اما ديوانه الذى نقدمه الان (**آخر الليل .. نهار**) فقد صدر عام ١٩٦٧ .. فى هذا الديوان يرى الشاعر انه لا حل بغير نضال السواعد القوية المفتولة .. سواعد العمال والفلاحين . ان مجال هموم محمود درويش هى هذه الارض ، التى يعتبرها منبت الورد والحب والحقيقة وكل جمال على الاطلاق :

لابد لى أن أرفض الورد الذى
يأتى من القاموس ، او ديوان شعر .
ينبت الورد على ساعد فلاح وفى قبضة عامل
ينبت الور دعلى جرح مقاتل
وعلى جبهة صخر ..

انه يؤكد الثورة ، يرفض الموت ، لابد من تنقية أشجار الزيتون من الغصون الزائفة وكنس أصوات العصافير البليدة .

« وليكن ..
لابد لى أن أرفض الموت .
وأن أحرق دمع الاغنيات الراعفه
واعرى شجر الزيتون من كل الغصون الزائفة .
فاذا كنت أغنى للفرح
خلف اجفان العيون الخائفة
فلأن العاصفة
وعدتنى بنبيذ .. وبأنخاب جديدة » .

والشاعر يؤكد هذه الرؤية الشعرية في اتخاذه من وقائع الاضطهاد الصهيوني .

ان مجزرةكفرقاسم الرهيبة قد نفذتها عصابات الغدر الاستعمارية في التاسع والعشرين من تشرين الاول ١٩٥٦ ، وقد خصها الشاعر باحدى روائعه التي يقول فيها :

كفر قاسم .
انني عدت من الموت لاحيا ! لاغني

فدعيني استعر صوتي من جرح توهج
واعينيني على الحقد الذي يزرع في قلبي عوسج
انني مندوب جرح لا يساوم
علمتني ضربة الجلاد ان امشي على جرحي
وامشي .. ثم امشي .. واقاوم !

ان ايمان الشاعر بصمود الشعب العربي الفلسطيني » وانتصاره على اعدائه ، قوى لا يتزعزع .



حول دور منظمات الشباب في الوطن العربي

تحت هذا العنوان ، كتب المواطن السوري عادل محمد ـ من اللاذقية ـ يقول :

تخوض أمتنا العربية ، معركة قاسية مع الاستعمار والصهيونية ، كما تخوض معركة اخرى هي معركة البناء والتقدم .

ونحن نعلم أن الشباب هو قلب المجتمع النابض وهو الذي يمثل تطلعات شعبه والذي عليه تقع مهمة بناء الوطن وتعميره ودفعه الى الامام ، وبكلمة واحدة ، انه الدرع المدافع عن وطنه ، والحرية المهاجمة لكل من تسول له نفسه مس أمن هذا الوطن أو الاعتداء عليه .

ونظرة واحدة في التاريخ الحديث ، تجعلنا نعلم ان الشباب لم يشذ عن هذه القاعدة ، ولو اردنا ضرب الامثلة لحضر الى الذهن مئات منها : فهاكم شباب أوربا مثلا ، خلال الحرب العالمية الثانية كان الدرع الواقي لاوطانه بل وطليعة شعبه في الدفاع عن الوطن والامة . وفي تاريخنا نحن العرب نرى ان الشباب لم يتوان في الدفاع عن وطنه سواء في معارك الاستقلال أو خلال الاعتداءات التي كانت تشنها الامبريالية والصهيونية ، كالاعتداء الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ .. وعدوان ٥ يونيو الصهيوني على الدول العربية التقدمية .

الا أن المهم معرفته بالنسبة للشباب على النطاق العالمي ، هو أن هذا الشباب ، خلال وبعد الحرب العالمية الثانية شكل منظماته الخاصة به ، والتي كان في رأس أهدافها ، النضال ضد الحرب ومن أجل السلام . واثناء الحرب لعبت هذه المنظمات دورا كبيرا مهد لاندحار النازية وشارك في القضاء عليها ، ولعل أبرز هذه المنظمات وأكثرها تقدمية ، منظمة اتحاد الشباب الديمقراطي العالمية . وحتى الان لا تزال عالقة في الاذهان صور الشهداء الذين قدمتهم هذه المنظمة في أوربا الشرقية عامة ، وفي الاتحاد السوفيتي وفرنسا خاصة .

ولم يقتصر دور منظمات الشباب على النضال ضد الحرب ومن أجل السلام فقط بل تعداه الى البناء السلمي ، الى تعمير القرى والمدن المهدمة ، وبناء السدود والمصانع وانشاء المحطات

الكهرمائية (أكبر محطة كهرمائية فى الاتحـاد السوفيتى بناها الكومسمول] ، وعلى الصعيد السياسى ، لا شك أن أحداث مهرجان الشباب العالمى فى صوفيا ماثلة فى ذهن كل واحد منا ، ولا تزال الخدمة التى قدمتها هذه المنظمات للقضية الفلسطينية ولقضية الشرق الاوسط ولكل قضايا السلام والتحرر ، لا تزال هذه الخدمة مستمرة حتى الان فى كل مكان من العالم ٠

حيال هذا الواقع الموضوعى ، ما الذى يجب علينا أن نفعله لكى نغطى النقص فى هذا المجال فى بلادنا ٠ الا يجدر بنا ان نترك الفرصة واسعة امام شبابنا كى يقيم تنظيماته الخاصة : تنظيمات تشارك فى الدفاع عن الوطن كما تشارك فى البناء السلمى والسياسى ٠

وأنا لا أقول أنه لم تنشأ مثل هذه المنظمات فى وطننا العربى ، فلقد نشأ الكثير منها قبل اعوام كثيرة مثل اتحادات الشباب الديمقراطية العربية الموزعة بين قطر عربى وأخر ٠ لكن الذى اود أن أقـوله هو أنه لم يتح لهـا بعـد العمل المنظـم والامكانيات ، التى تمكنها من تحقيق اهدافها ٠ ولا اعتقد انها هى التى تتحمل المسئولية وحدها ٠

وأخيرا وبعد عدوان يونيو ، قامت تنظيمات للشباب فى الوطن العربى ، كشـباب الاتحاد الاشتراكى فى مصر ٠٠ واتحاد شبيبة الثورة فى سوريا ، بدور فعال فى شرح القضية الفلسطينية ، ومشكلة الشرق الاوسط أمام الراى العام العالمى ، المتمثـل بصـورة رئيسـية فى المؤتمـرات والمهرجانات ٠٠

وبرغم ذلك ، فاننى اعتقد انه حتى الان لم تتبلور هذه المنظمات بشكل جيد ، لم تأخذ شكلهـا النهائى ، ولم تقم بدورها كاملا حتى فى وقتنا الحاضر ٠

ومن حيث ابداء الراى ، والرغبة فى التوصل الى عمل أفضل ، أعتقد أن الحل الصحيح يكمن فى :

● اعطاء الحرية الكاملة للشباب ، وخاصة فى البلدان العربية التقدمية كى تستطيع منظماته أن تتحرك باتجاه العمل الجدى والواعى والمنظم ٠

● تخليص هذه المنظمات من آثار الكسـل والشعور بأى تناقض مع منظمات اخرى ، والتى من الممكن ان تتواجد فى نفس القطر ٠

● الاتفاق ، أو بالاحرى الوصول الى اتفاق حول برنامج عمل موحد فى قطاع الشباب على نطاق الوطن العربى ككل ٠

● التنسيق المستمر بين هذه المنظمات ، وتنظيم اللقاءات الدورية والمؤتمرات ، لانه من الممكن لهذا الشكل أن يسـاعد كثيرا فى تطوير عمل هـذه المنظمات ٠

والكلمة الاخيرة التى اقولها ، ان الاهتمـام بالعمل المثمر ، وتنفيذ كل مايمكن أن يساعد على تطوير العمل ، يتيح لهذه المنظمات أن تلعب الدور المناط بها ٠٠ والذى نأمل أن تضطلع به كما يجب ٠

■■

الصحافة الاقليمية

وكتب المواطن ابراهيم الحلوانى – بالشركة العامة للبترول – يقول :

تهتم جميع الدول بقضية الصحافة الاقليمية لكونها اداة لتدعيم الجوانب الحضارية والثقافية فى الاقاليم وللتعبير عن مشاكلها ، وتصور الحلول لها ٠ كما انها تلعب دورا هاما فى توضيح الصورة للمشاكل امام القيادات السياسية والتنفيذية ٠

ولقد كانت تجربتنا فى الصحافة الاقليمية ، تتسم بعدم الثبات فى ظروف صدورها ، ويرجع ذلك فى رأيى الى الظروف المادية والاشرافية التى أعاقت حركتها ٠

وأهم مشاكلها ، كانت فى رأيى مسألة الاشراف عليها ٠ فقد كان الصراع يدور حول : من له حق الاشراف ٠٠ الاتحاد الاشتراكى أم أجهزة الحكم المحلى ؟ وكان هذا الصراع يحد من انطـلاقة الصحافة الاقليمية ويجمد نشاطها ٠

وفى مثل هذا المناخ ، اقتصرت رسالتها على تقوية نفوذ البعض ودق الطبول لهم ٠ وبالتالى فقدت الصحافة الاقليمية مبرر وجودها ٠

وعندما تعرضت بعض هذه الصحف ، الى نقد بعض الاجهزة المسئولة فى مجال الحكم المحلى ، عانت مصاعب جمة انتهت بالصمت أى عـدم الصدور ٠

واقترح انشاء مؤسـسـة ، وليطلق عليها اسم « مؤسسة الصحافة الاقليمية » – مثـلا – وبذلك نطمئن على أن قرارات المؤتمر القومى العام بشأن هذه القضية أصبح فى حيز التنفيذ ٠

وثائق

برامج أحزاب العمال والفلاحين فى الثلاثينات

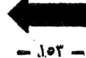
برامج أحزاب العمال والفلاحين فى الثلاثينات

١٩

تواصل « الطليعة » نشر وثائق « أحزاب العمال والفلاحين فى الثلاثينات » .

ويتضمن هذا الجزء النص الكامل للاخطار الذى تقدم به حزب الفلاح الاشتراكى فى ١٩٥٢/١٠/٧، طبقا لقانون تنظيم الاحزاب .

وتكمن الاهمية الاساسية لهذه الوثيقة فى انها تقدم عرضا تاريخيا لنشاط الحزب منذ نشأته ، وعرضا للافكار الاساسية والمبادىء التى نادى بها قادة الحزب .



[الاخطار] عن حزب الفلاح الاشتراكى

« المقدم لوزير الداخليـة فى ١٩٥٢/١٠/٧ » طبقا لقـانون تنظيم الاحزاب

« مرفقا به كشـف بالهيئـة التاسيسية فى عـام ١٩٥٢ » « وكشف بالهيئة التاسيسية فى عام ١٩٣٨ »

تقرير عن تأسيس حزب الفلاح الاشتراكى وتاريخه وجهاده « حالة الفلاح وخطورة مركزه »

لما كان الفلاح يمثل تسعين فى المائة من سكان هذا القطر ، وهو السـواد الاعظـم والاغلبيـة الساحقة فى هذه الامة ، بل هو عتادها وعدتها وعماد الحيـاة ومحور الانتاج فيها ، وقريته هى عنوان لهذا الوطن المقدس ، فانه مع خطورة مركزه وعظم شأنه فى الامة على هذه الصورة ظل آلاف السنين كما مهمـلا ، جـائعا بائسا ، عاريا مريضا ، جاهلا أميا ، يخرج التبر والذهـب للاخرين ، وهو محروم من لقمة العيش وجرعة المياه النقيـة ، وهكذا استغله نفر قليل هـم الاقطـاعيون والرأسمـاليون ، الامر الذى كان أكبر حافز لنا على تأسيس حزب الفلاح .

وقد قمنا بهذه الحركة منـذ عشرين عاما (فى عام ١٩٣٢) نجاهد ونضحى فـى سـبيل الفلاح ، ونضطهد من اجل رفع صوته ، ونكتفى فى النهـاية بمشاطرته آلامه وشقاءه، وكاد اليأس من الاصلاح يسيطر على النفوس بسبب سيطرة قوى الشر والفساد والطغيان ، حتى قيض اللـه للبـلاد حـركة الجيش المباركة ، فبسطت العناية الالهية يدها لملايين الفلاحين الكادحين وغيرهم تمسح عن جبينهم آلام آلاف السنين التى مضـت ، فصـدرت قـوانين الاصـلاح الزراعى فى ليلة واحدة مبشرة بفجر جديد ونور جديد فاطمانت نفوس الفلاحين وهتفت قلـوبهم وقد أتتهم سـاعة النصر « ان ينصركم الله فلا غالب لكم » .

المراحل التـاريخية للحزب

لذلك فانه يهمنا فى هذا الصدد أن نبين المراحل التاريخية التى مـر بهـا « حزب الفـلاح الاشتراكى » فى ايجاز وطرفا من جهاده :

فقد قام بتأسيسه رئيسـه الاستاذ احمد كامل قطب المحامى فى عام ١٩٣٨ ، وتكون الحزب بأسم « **حزب الفلاح** » الاجتماعى والاقتصادى ، ووضع له نظـام معين فى قانونه الخاص (مرفق تحت رقم ١ بالحافظة) ، كما وضع له **بـرنامج اجتمـاعى** واقتصـادى [مرفق أيضا تحت رقم ١ حافظة)

وفى عام ١٩٤٥ وضع لـه بـرنامج اشـتراكى (رقم ٢ حافظة] واصبح اسم الحزب « حزب الفلاح الاشتراكى » .

تأسيس مشروع القرى

ان حـركة « حزب الفـلاح الاشتراكى » لم تكن طفرة ، بل مهد لها بجهاد دام سنينا ، فقد بدأت هذه الحركة منذ عام ١٩٣٢ حيث أسس الاستاذ احمد كامل قطب « مشروع القرى » فى ذلك العام ، فكان اول صوت يـرفع للفلاح والدفاع عنه فى هذه البلاد وأسندت الى الاستاذ قطـب السكرتارية العامة كما اسندت الرياسة الى المغفور له الدكتور على ابـراهيم (باشا) مـدير الجـامعة المصرية بـالنيابة وقتذاك، وانضم له عدد من كبار رجالات مصر العاملين وآلاف من المتطوعين المثقفين ، ثم اصبح المشروع يعرف بـاسم « **جمعية نهضة القرى** » وكانت اغـراضها محو الامية فى الريف ورفـع مستوى الفلاحين ونهضة القرى من النــواحى الاجتمـاعية والاقتصادية، شعارها « ان من هدم ركنا من أركان الجهالة ، شيد ركنا من اركان الوطن » ، وتألفت للجمعية ما يزيد علـى **الالف شعبة** ، واعترفت بها وزارة المعارف العمومية فى عام ١٩٣٥ ومنحتها اعانة قدرها أربعمائة جنيـه مصرى ، ووضعت دور المدارس الالزامية فى القرى تحت تصرفها لاستغلالها ليلا لحـركة محو الامية بين الكبار ، وطاف الاستاذ قطب بوصفه السكرتير العام للجمعيـة بـرفقة بعض الاعضاء حوالى أربعمائة قرية فى مختلف أنحاء البلاد فـى الوجهين البحرى والقبلى **حتى** عام ١٩٣٨ حين أسس « **حزب الفلاح** » بعد أن لمس عمليا مقدار آلام الفلاحين وآمـالهم ومـا يعانونه من بؤس وشقاء ، وقيامه بدراسة أحـوالهم الاجتمـاعية والاقتصادية دراسة عملية .

وكانت الجمعية توالى نشاطها **باصدار حلقات وكتيبات** تبعث بها الى شعبها فى مختلف القـرى المنتمية اليها مصدرة بنـداءات وبيانات من رئيسها المغفور له الدكتور على ابـراهيم (باشا) وسكرتيرها العام الاستاذ احمد كامل قطب ، وتحوى بـرامجها وتعـليماتها وتوجيهـاتها ،

والمحاضرات التى تلقى على الفلاحين بلغة سهلة بسيطة المتطوعين من المثقفين والمتعلمين ، وقد قامت الجمعية **بمحو الامية** لدى ما لا يقل عن مائة الف فلاح فى العام ، حيث كانقد انضم اليهاالكثر من**الف قرية** وكان متوسط من يتعلمون فى القرية **مائة فلاح على الاقل** ، وكانت تجرى لهم **امتحانات تحريرية وشفوية** فى نهاية العطلة الصيفية وتعطى للقرى وللمتطوعين درجات علىأساس هذا النشاط .

ان الحلقات التى كانت تصدرها الجمعية تدل على صفحات كفاح صامت طويل لوجه الله والوطن. (مرفق بالحافظة تحت أرقام ١٠ مكرر و١١ و١٢ بعض نماذج من هذه الحلقات عن سنى ١٩٣٠ و١٩٣٤ و١٩٣٦) .

وهكذا كان « **مشروع نهضة القرى » وجهاد ستة أعوام فيه هو السلم الذى ارتقينا عليه لتأسيس « حزب الفلاح »** ، وكان« **حزب الفلاح** » هو **التطور الطبيعى لحركة الفلاح التى بدأناها« بنهضة القرى » فى عام ١٩٣٢** .

نعم لقد قمنا بهذه الحركة منذ عشرين عاما ، وكنا ننادى ونقول ـ كما هو ثابت فى هذه المطبوعات التى كنا نصدرها فى ذلك الوقت عام ١٩٣٢ ـ « ان هذا الجهاد **هو جهاد عشرين عاما، وليس يوما أوأياما** »، ولم يخطىء القدر فى حساب الزمن بالضبط ، فها هو الفلاح اليوم ينتصر بعد أن كان الجميع يسخرون منا ومن التصدى للدفاع عن الفلاح والجهاد فى سبيله ويعيروننا بالانتساب اليه فكنا نرد عليهم قائلين انه لا نهضة لهذهالامة الا بنهضة الفلاح، ولا وطنية صحيحة الا بالجهاد فى سبيل الفلاح ... كما كان كل منا يردد شعارنا دائما قائلا : « لو لم أكن فلاحا ، لوددت أن أكون فلاحا » «والله معنا» .

وهكذا دارت الايام دورتها حتى حقق الله النصر للفلاح على يد جيش البلاد الباسل« الجيش الفلاح» ... وتلك الايام نداولها بين الناس .

حزب الفلاح ضرورة اجتماعية وسياسية

وبعد إستعراض هذا الجهاد فى سبيل نهضة القرية المصرية أعواما ، وادراك حالة الفلاح وما هو عليه من بؤس وظلم وشقاء ، وبعد أن طاف الاستاذ قطب مئات القرى فى كفاحه وقيامه بدراسة شئونها فى مختلف أنحاء البلاد عن كثب لمس الحاجة الماسة **لتأليف حزب للفلاح** يدافع عن حقوقه الاجتماعية والاقتصادية ويتخصص فى ذلك ، وكانت تجربة عملية طويلة كسبها الاستاذ قطب فى هذا المضمار بالجهاد فى « **مشروع نهضة القرى** » **مكنته وعاونته على تأسيس « حزب الفلاح »** .

والذى يلقى بنظرة فاحصة **يتضح له جليا ، أن فكرة تأسيس « حزب الفلاح » كانت قائمة على ضرورة اجتماعية واقتصادية** تستلزمها مقتضيات الحال فى البلاد وتتمشى مع ظروفها مثل «حزب العمال» فى انجلترا الذى يمثل غالبية السكان باعتبارها بلادا صناعية، وكذلك الحال فى مصر وهى بلاد زراعية ، فالفلاح فيها سوادها الاعظم وأغلبيتها الساحقة ومحور القوة ونقطة الارتكاز ودعامة الانتاج، وهو مصدر جميع الطبقات ، فقريته هى عنوان البلاد ، وهى الام الاصلية والينبوع الرئيسى الذى تنحدر منه جميع الطبقات ، من فلاحين وعمال وجنود وطلاب وموظفين ومتعلمين من مختلف المهن، كالاطباء والمحامين والمهندسين وغيرهم، فما منواحد من هؤلاء جميعا الا ويرجع الى أصل ريفى ويرتبط بالقرية المصرية اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ويمت بأوثق الصلات الى الفلاح .

فاذا كان هناك حزب يكتب له الخلود فى هذه البلاد فهو « حزب الفلاح » **لانه ليس حزبا قائما على الاشخاص ، بل هو فكرة « واقعية عملية »** ، « **وضرورة» تقتضيها ظروف البلاد** من جميع النواحى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، « ورسالة وطنية » لبعث الامة من جديد ببعث فلاحها ، وتجديد الحياة فيها تجديدا تقدميا ، وتغيير معالمها ، وبناء الدولة الحديثة علىأساس من العدالة الاقتصادية والسلم الاجتماعى .

فحزب **الفلاح حزب مبادىء ، وليس حزب أشخاص** ، وهو يتميز بأنه يمثل قوة اجتماعية واقتصادية كبيرة يكون لها اكبر الاثر فى التوجيه السياسى اذا توفرت لديه الامكانيات وأزيلت من طريقه العقبات والالغام التى كانت توضع له دائما فى العهد البائد ، واننا نشعر ونعتقد دون شك أنه قد آن الاوان فى هذا العهد الجديد ، عهد الحرية والحق والنور بأن « حزب الفلاح» سيأخذ مكانته اللائقة به فى هذه البلاد، وما كان يعوقه من قبل عن الوصول الى مكانته الطبيعية سوى الفساد والبطش والطغيان والدجل السياسى والفوضى والتهريج الحزبى وسلطان المال ونفوذ الاقطاعيين وسيطرة أولئك الذين كانوا لا يحبون لهذه الامة أن تحيا أو تتقدم لتأخذ مكانتها اللائقة بها بين الامم ، حتى هب الجيش ووثب وثبته الكبرى ليطهر البلاد تطهيرا من هذه المفاسد، ويفسح المجال والطريق والامل أمام العاملين المخلصين .

تأسيس حزب الفلاح

فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٣٨ استقال الاستاذ احمد كامل قطب من جمعية نهضة القرى ليؤسس « حزب الفلاح » وتبعه اثنان من زملائه هما الاستاذان محمد عبد المنعم عفيفى ومحمد صالح سمك فاستقالا من الجمعية ليحملا معه لواء الجهاد والتضحية فى الحركة الجديدة .

وتأسس حزب الفلاح فى ٢ ديسمبر سنة ١٩٣٨ وانتخب الاستاذ قطب بالاجماع رئيسا للحزب فى ١٤ ديسمبر ١٩٣٨ ، واقيمت حفلة كبرى احتفالا بتأسيس الحزب فى ١٦ من ديسمبر سنة ١٩٣٨ بداره الكائن مقرها وقتئذ بميدان الملكة فريدة وأذاعت جميع الصحف العربية والافرنجية انباء تأسيس « حزب الفلاح » والاحتفال به .

واتخذنا شارة هى « فأس الفلاح » وشعارا هو « العدالة الاجتماعية أساس بناء الدولة الحديثة » ، هتافنا وتحيتنا « الله اكبر والله معنا » مبدؤنا لا نعادى احدا انما نخدم الفلاح وقضية الوطن فهذه غايتنا وأملنا لا نريد جزاء ولا شكورا من أحد، فالثواب عند الله تعالى وهو أفضل الثواب ، وما كنا نبتغى من وراء جهادنا مغنما أو نعيما سوى اداء ضريبة الجهاد للوطن ، فقد وطدنا العزائم وروضنا النفوس على ان تقوم بأشق الاعمال التى عرفها الانسان فى التاريخ ، عدتنا الايمان بالله ، والتضحية فى سبيل الوطن المفدى بالمهج والارواح .

■ **الهيئة التأسيسية :**

كانت الهيئة التأسيسية فى عام ١٩٣٨ مكونة من حضرات :

الاستاذ احمد كامل قطب المحامى ، الاستاذ محمد عبد المنعم عفيفى المحامى (التحق بوظيفة محقق بالسكة الحديد) الاستاذ محمد صالح سمك المدرس ، الاستاذ محمود حسين المحامى ، الاستاذ محمد فهمى غانم المحامى ببنك التسليف [التحق بالسلك القضائى قاض) ، الأستاذ عبد المجيد ابو العز المحامى ، الاستاذ احمد جعفر المحامى ، الاستاذ احمد فؤاد عمرو المحامى [التحق باللجنة المالية بمجلس الشيوخ] الاستاذ سيد عبد الوهاب الحشاشى [توفى] ، الاستاذ مصطفى المنزلاوى المحامى [التحق بالحزب الوطنى) الاستاذ حنفى عبود المحامى (التحق بحزب العمال) ، الاستاذ عبد الفتاح عمران وكيل نيابة (توفى) الاستاذ محمد على امام المحامى (التحق بحزب الكتلة] الاستاذ واصف رزق الله المحامى (التحق بحزب الاحرار) الاستاذ محمد حامد موظف بوزارة الصحة (توفى) الدكتور محمود نور الدين يوسف (توفى) الاستاذ لمعى توفيق مدرس بالمدارس الثانوية .

■ **التفويضات والتوكيلات :**

وقام « حزب الفلاح الاشتراكى » منذ تأسيسه فى عام ١٩٣٨ **على اساس قانونى ودعامة قوية** ، فبعد ان وضع لنفسه نظاما معينا فى قانونه الخاص (مرفق بالحافظة) **وبرامج ثابتة اجتماعية واقتصادية** [مرفقة بالحافظة] **حصل من الفلاحين فى مختلف انحاء البلاد على آلاف من التوكيلات والتفويضات الموقع عليها** بتوقيعاتهم واختامهم وبصماتهم **يوكلون فيها هيئة «حزب الفلاح» ويفوضونها فى الدفاع عن جميع حقوقهم الاجتماعية والاقتصادية وفق قانون الحزب وبرامجه ، ويقرون فيها باشتراكهم والتحاقهم بالحزب** مع تأدية القسم الخاص به (وهذه التوكيلات والتفويضات مودعة بمكتب الحزب ومرفق صورة نموذج لها مطبوع تحت رقم ٥ بالحافظة) .

كما وان **عضوية الحزب كانت** منظمة حيث يقدم العضو الذى يرغب الالتحاق به طلبا بذلك على استمارة مطبوعة (انظر النموذج **المودع تحت رقم ٣ حافظة] ثم يخطر** العضو بعد قبوله بخطاب اعتماد (انظر النموذج المطبوع رقم ٤ حافظة) ويسلم بطاقة شخصية تحمل صورته [النموذج رقم ٦ حافظة] .

■ **سجلات الاعضاء :**

وأعدت فى الحزب سجلات منظمة لقيد الاعضاء فيها ، وقد رصدت هذه السجلات حتى عام ١٩٤٨ الاعضاء المقيدين بها فبلغ عددهم ١٤٠٤ الف وأربعمائة واربعة اعضاء ، خلاف الآلاف المؤلفة من الفلاحين المنتسبين الموكلين هيئة الحزب عنهم **فى** دفتر خاص بهم، كما أعدت دفاتر خاصة منظمة للايرادات والمصروفات وفقا لقانون الحزب ونظامه .

■ **اصدار جريدة للحزب :**

وقد اصدر الحزب منذ تأسيسه فى عام ١٩٣٨ جريدة لتكون لسان حاله يعبر بها عن آرائه ، ويدافع فيها عن حقوق الفلاحين ومصالحهم وكانت هذه الجريدة تصدر باسم « **النضال** » ولم يدم صدورها طويلا حيث عطلتها حكومة الوفد (مقدم بالحافظة احد اعدادها التى كان يصدرها الحزب على **سبيل المثال** مؤرخ فى ١٩٣٩/٦/١٦ ، ومصدر بمقال افتتاحى بعنوان صاحب السعادة احمد كامل قطب باشا لصاحب الشقاء والجهاد احمد كامل قطب المحامى رئيس حزب الفلاح : انظر رقم ٧ حافظة) هذا وقد اعد الحزب عدته لاصدار جريدة جديدة باسم «الفلاحين» فى هذا العهد الجديد عهد النور والحرية .

طرف من جهاد الحزب ورئيسه

■ **صيام رئيس الحزب :**

ولقد سار الحزب فى جهاده فأخذ يطوف فى مختلف القرى بين اوساط الفلاحين منذ تأسيسه فى عام ١٩٣٨ حتى آخر عام ١٩٥١ ــ ولم يقعد عن ذلك الا فى سنى الحرب وعهد الاحكام العرفية ــ وكانت خطة الحزب دائما ان يستمع الى شكايات

الفلاحين فى قراهم ، ويدرس أحوالهم وآلامهم دراسة عملية وينشر دعايته بينهم تطبيقا لبرامجه .

وقد صام رئيس الحزب الاستاذ احمد كامل قطب فى ٢٣ **يونيو عام ١٩٣٩ تسعة أيام** مستمرة دون اى طعام أو شراب ، من أجل مطالب الفلاحين التى كان قد تقدم بها الى الحكومه والبرلمان باسم « مشروع انتعاش الفلاحين » ذى الطلبات الاربعة ولم تحقق ، وانتهت الدورة البرلمانية وقتئذ ولم يصدر قانون واحد لصلحة الفلاحين ، وذلك لتعارض مصلحة الفلاح الفقير مع مصلحة النواب الراسماليين والاقطاعيين ، واخيرا اذا بالحكومة فى ذلك العام تكرم البرلمان بحفلات العشاء الساهرة الحافلة بالوان الطعام واللحوم والديوك الرومى وما اليها والفلاح لايجد اللقمة ولا جرعة المياه ، فأعلن الاستاذ قطب صيامه المستمر احتجاجا واستمساكا بمطالب الفلاحين ، وكان ذلك فى دار الحزب فى التاريخ المشار اليه سابقا وظل دون طعام او شراب بصفة مستمرة حتى كاد يشرف على الهلاك وتعرضت حياته للخطر، **كما ثبت من النشرات الطبية التى كانت تذيعها الصحف يوميا ، وخاصة جريدة الاهرام** ، وكان الغرض من هذا الصيام فضلا عن الاحتجاج على اهمال مطالب الفلاحين الحصول على صك كتابى صريح من أولى الامر بتحقيق هذه المطالب، او يموت رئيس الحزب شهيدا، وفى اليوم الخامس أرسل رئيس الحكومة للاستاذ قطب **تصريحا شفهيا فرض الافطار** حتى وصله فى **اليوم التاسع تصريح كتابى**، كما طلب،وذلك بأن ارسل اليه السيد على ماهر ـ وكان رئيسا للديوان الملكى ـ كتابا رسميا يشكره فيه على عواطفه، ويعده بتحقيق هذه المطالب عاجلا ويطلب اليه العدول عن الصيام ، فاستجاب الى ذلك ونشرت **مجلة المصور صفحة كاملة مصورة** عن هذا الصيام بعنوان « **غاندى مصر** »

وكانت المطالب الاربعة التى حصل الصيام من أجلها هى :

١ ـ صدور قانون **بتخفيض ايجارات** الاطيان ورفع **أجور الفلاحين** (العمال الزراعيين) .

٢ ـ **تخفيض ضرائب الاطيان** لصغار الفلاحين الملاك **باعفائهم** منها ، وجعلها **تصاعدية** لكبار الملاك .

٣ ـ تخفيض **الديون** العقارية وسعر الفائدة .

٤ ـ **توزيع الاراضى** البور على **صغار الفلاحين** المعدمين مع سلفيات زراعية .

(انظر عدد جريدة الحزب رقم حافظة] .

■ **معهد الدراسات الريفية :**

واخذ الحزب يوالى نشاطه ويقوم بدراسة شئون الفلاح فأسس لذلك معهدا باسم« معهد الدراسات الريفية » كانت تلقى فيه المحاضرات والابحاث التى تتصل بحياة الفلاح الاجتماعية والاقتصادية، واقبل الطلاب على الانتساب لهذا المعهد، وكان خير فرصة لتخريج شباب مؤمن بقضية الفلاح ايمانا مبنيا على العلم والمعرفة والتصميم والتخطيط والثقافة للدفاع بقوة عن قضية الحق والعدل والحرية .

■ **مواصلة النشاط رغم العقبات والاضطهاد :**

واستمر الحزب فى موالاة نشاطه وعقد اجتماعاته واصدار القرارات ، وتقديم المذكرات والعرائض والبيانات الى اولى الامر لرفع صوت الفلاح بكافة الوسائل الممكنة ، ولكنه كان يلمس تصرفا غريبا من أولى الامر، فبدلا من الاستجابة لمطالبه العادلة كانت تتصدى له بالاضطهاد والاعتقال والتشريد ، والحيلولة دون الاتصال بالفلاحين بكافة السبل .

■ **دخول الانتخابات العامة :**

وقد خاض حزب الفلاح الاشتراكى المعارك الانتخابية **ثلاث مرات** فى عشر السنوات الاخيرة منذ **عام ١٩٤٢**، **وقد رشح رئيس الحزب نفسه فى هذه المدة ثلاث مرات** ، مرة فى القليوبية ومرتين فى الشرقية ، **وكان برنامجه** فى هذه الانتخابات **هو نفس المبادىء والتشريعات التى حققتها اليوم « حكومة الثورة »** **فى العهد الجديد** والتى كان ينظر اليها فى العهد القديم نظرة الاجرام والاشمئزاز .

ولم يكتب للحزب الفوز فى تلك الانتخابات نظرا للأساليب الرجعية المعروفة التى كان يحارب بها كل مجاهد مصلح ، **وفى الانتخابات قبل الاخيرة** رشح الحزب أحد الفلاحين فى مديرية القليوبية هو « **الشيخ عبد اللطيف يوسف** »، وكاد النجاح يحالفه لولا الاساليب الرجعية ذاتها .

جهاد الحزب فى سبيل القضية الوطنية

■ **فى السودان وامريكا وانجلترا :**

ولم يتخلف « حزب الفلاح الاشتراكى» عن الجهاد فى سبيل القضية الوطنية ، فقد سافر رئيسه الاستاذ احمد كامل قطب الى أمريكا عام ١٩٤٧ عندما كانت القضية الوطنية تنظر أمام **مجلس الامن**، وقام هناك بكل ما يمكنه من الدعاية لرفع صوت شعب مصر الثائر ضد الاستعمار واحتلال الوادى ، وفى طريق عودته الى بلاده طاف بانجلترا وفرنسا وقام بالدعاية للقضية الوطنية **وبثورته المعروفة فى داخل مجلس العموم البريطانى ضد الاستعمار والطغيان .**

[**انظر مجموعة صور الاستاذ قطب فى انجلترا وامريكا ، ورقم ٩ بحافظتنا**] .

كما سافر الاستاذ قطب رئيس الحزب الى **السودان ثلاث مرات** ،الاولى قبل سفره الى أمريكا عام ١٩٤٧ حيث اعتقله الانجليز وحكم عليه وقضى مدة

العقوبة فى سجن كوبر بالخرطوم ، والمرتين الثانية والثالثة فى عام ١٩٤٩حيث أستطاع الدخول الى السودان متخفيا دون تصريح بعد ان قطع الطريق فى أحد عشر يوما ـ فى الوقت الذى كان الانجليز فيه يرفعون هناك علم الارهاب والاضطهاد ويمنعون المصريين من دخول السودان ـ وقبض الانجليز على الاستاذ قطب فى المرة الثانية وسجن فى كوبر وحاقا وحوكم وأبعد من السودان بحراسة مسلحة حتى الشلال ، أما الاخيرة فلم يستطيعوا الاهتداء اليه (أنظر مجموعة صور الاستاذ قطب فى السودان رقم ٨حافظة) .

■ **مؤتمر الفلاحين واعتقال رئيس الحزب :**

وفى العام الماضى دعا « حزب الفلاح الاشتراكى » الى عقد « **مؤتمر الفلاحين** » فى حديقة الازبكية بتاريخ ١٦ **سبتمبر سنة ١٩٥١** ، وأعد العدة ليحضره عشرة آلاف فلاح ، حيث يتوجهون من مكان المؤتمر الى سراى الملك السابق ودار البرلمان ورئاسة الوزراء **لتقديم مطالب الفلاحين فى عرائض تكتب بدمائهم** .

وقام الاستاذ قطب رئيس الحزب وزملاؤه أعضاء الحزب **بطواف كبير واسع المدى** فى مختلف القرى بمديريات القطر عموما يدعون الفلاحين لحضور المؤتمر ، وأقبل الفلاحون على تلبية هذه الدعوة اقبالا منقطع النظير دل على اكتمال الوعى لديهم ونضجه ومدى شعورهم بالمظالم وقسوتها ، فلما وصل رئيس الحزب وزملاؤه فى طوافهم **الى تفاتيش الملك السابق ، وتفاتيش ولى عهده الامير محمد على فى مديرية الشرقية تصدت لهم القوات الكبيرة من المديرية** التى كان ينوف عددها على أربعمائة جندى **لمنعهم والحيلولة بينهم** وبين الاتصال بالفلاحين . **وأخيرا** أصدر وزير الداخلية فى ذلك الوقت الاستاذ **فؤاد سراج الدين أمرا باعتقاله، فاعتقل** دون اية جريمة أو مخالفة للقانون سوى أنه يتصل بالفلاحين ورحل الى **القاهرة وزج به فى السجن خلال الايام المحددة لمؤتمر الفلاحين** ثم أعيد الى نيابة الشرقية حيث الاختصاص وأخيرا افرجت عنه النيابة دون أى ضمان لعدم وجود أية جريمة .

■ **اضطهاد وتشريد للحيلولة دون الاتصال بالفلاحين :**

ومع ذلك عاد الاستاذ قطب بعد الافراج عنه الى مواصلة جهاده **والاتصال بالفلاحين فورا وعاد الى طوافه فى الاسبوع** الثانى مباشرة ، فكان كلما انتقل الى مديرية الشرقية كانت تتصدى له هذه **القوات الكبيرة وتقبض عليه وتبعده حتى آخر حدود مديرية الشرقية** عن طريق بلبيس . وامعن وزير الداخلية المذكور فى أستهتاره بالمكافحين فانكر وجودنا وأعلن انه لايوجد فى مصر حزب باسم « حزب الفلاح الاشتراكى » وأصدر اوامره الى جميع مأمورى المراكز بعدم السماح لرئيس **الحزب بزيارة أية قرية مطلقا ، والقبض عليه فورا ووزعت صورته على رجال البوليس** لهذا الغرض وتنبه بذلك على **جميع العمد** فىمديرية الشرقية، وكانللاستاذ قطب فى هذا الشان عدة مغامرات طريفة . وكما اضطهد رئيس الحزب اضطهد كثير من الاعضاء فى مناطقهم .

وكانت مطالب مؤتمر الفلاحين :

١ ـ تحديد الملكية الزراعية **بحيث لا تقل عن فدان** لكل فلاح للاستهلاك الشخصى للاسرة **ولا تزيد عن خمسين فدانا** .

٢ ـ **تخفيض ايجارات الاطيان** ٤٠ فى المائة وتحديدها .

٣ ـ **عدم اخلاء المستأجر** من الاطيان **مادام مسددا للايجار** .

٤ ـ **رفع اجرة الفلاح** ((**العامل الزراعى**)) الى عشرين قرشا كحد ادنى .

٥ ـ **عدم تحصيل الاموال الاميرية** من صغار الملاك **لغاية خمسة** أفدنة وجعلها **تصاعدية** فيما زاد عن ذلك .

٦ ـ الاحتجاج الصارخ على الاعتداءات والمظالم التى وقعت أخيرا على الفلاحين فى حوادث « كفورنجم » . و « بهوت » وغيرها .

[**انظر نشرة مؤتمر الفلاحين رقم ١٠ حافظة**]

■ **عهد ظلم ينقضى ومطالب عادلة تتحقق :**

وهكذا كان العهد البائد الظالم يحارب المصلحين والاصلاح ، ويقبض ويضطهد من يطالبون بالعدل والرحمة والانصاف حتى اتى عهد الحرية ، فاذا به فى **ليلة واحدة يحقق نفس المطالب التى كنا نضطهد من اجل المناداة بها ، ونزج فى السجون جزاء لنا على التجرؤ على رفع الصوت والمطالبة بها** ، واذا الاية تنعكس فيسحق الظالمون سحقا وتذهب دولتهم ، فسبحان الله مغير الاحوال ، انه على كل شىء قدير .

■ **اعتقال سابق فى عهد صدقى :**

وقد سبق ان اعتقل رئيس الحزب كذلك **فى عام ١٩٤٥** فى عهد وزارة أسماعيل صدقى **بمناسبة وضع برنامجه الاشتراكى ومزاولة نشاطه وعقده اتحادا مع حزب العمال**، وأفرجت عنه النيابة بلا ضمان مقررة ان البلاد أحوج ما تكون الى وجود حزب للفلاح لانه الضرورة الطبيعية التى تقتضيها ظروف البلاد .

■ **كفاح بين عهدين .. وهذا عهدنا :**

كان كفاحا ضد الطغيان فى العهد البائد، امااليوم فهو كفاح مع ابطال الحرية لتدعيم عهد

الحرية ، **وهذه نبذة تاريخية لمراحل حزب الفلاح الاشتراكي وتطوراته** ، كان لابد من الاشارة اليها في هذا الصدد **وهذا طرف من جهاده وجهاد رئيسه** ، ذلك الجهاد المرير الطويل لوجه الله والوطن ...

وهكذا كان كفاحنا فيما مضى ضد أصحاب السلطان ، ضد الظلم والطغيان والجبروت ، أما اليوم فكفاحنا مع أصحاب السلطان متعاونين في سبيل تدعيم الحرية والعدل والحق .

فهذا هو عهدنا وهو حياتنا ، وروحنا وأملنا الذي تحقق، نفديه بالمهج والارواح وندافع عنه ما حيينا عن ايمان وعقيدة ، مستظلين بعناية الله سبحانه جل شأنه وتعالت قدرته سائلين المولى أن يوفقنا لخدمة الوطن المفدى ويهدينا جميعا سواء السبيل لنحيا كراما أو نموت كراما » .

والله أكبر والله معنا

[أعدته « لجنة الاخطار » بالحزب وصدقت عليه « الهيئة التأسيسية» المنعقدة في ٥ أكتوبر ١٩٥٢] .

[٩]

تحريرا في ١٩ ديسمبر ١٩٥٢

حزب الفلاح الاشتراكي يعقد جمعيته العمومية

انتخاب الاستاذ احمد كامل قطب رئيسا بالاجماع

انعقدت الجمعية العمومية لحزب الفلاح الاشتراكي برياسة الاستاذ احمد كامل قطب في تمام الساعة السادسة مساء أمس بمقر الحزب برقم ٣٠ شارع فؤاد الاول لانتخاب الرئيس واعضاء مجلس الادارة وفقا لنظام الحزب ، وقد توافد على مقره حضرات الاعضاء من القاهرة ومختلف الاقاليم ، وعلى أثر افتتاح الاجتماع تلا الاستاذ عبد المنعم عفيفي تقرير مجلس الادارة وقد تضمن ان الحزب حمل لواء الكفاح مدى أربعة عشر عاما مضت في سبيل تحرير الفلاح وانه لم يأل جهدا في سبيل الدفاع عن قضيته ومبادئه ، واشار الى تأسيس الحزب في عام ١٩٣٨ بعد ان بدأ جهاده في مشروع القرى منذ عام ١٩٣٢ ، كما اشار الى حالة الفلاح وخطورة مركزه ، وابان أن حزب الفلاح **ضرورة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، وان الحزب قام على **توكيلات وتفويضات من الفلاحين** ، وان سجلاته رصدت عدد اعضائه العاملين المقيدين حتى عام ١٩٤٨ ـ ١٤٠٤ عضوا خلاف آلاف الفلاحين المنتسبين ، **واشار التقرير الى انتشار رسالة الحزب في أكثر من الف قرية** ، والى صيام رئيسه في عام ١٩٣٨ من اجل مطالب الفلاحين باصدار قانون تخفيض ايجارات الاطيان ورفع اجور الفلاحين وتحديدها وتوزيع الاراضي على صغار الفلاحين والمعدمين مع سلفيات زراعية وتحديد الملكية الخ ، واشار التقرير ايضا الى دخول الحزب المعارك الانتخابية ثلاث مرات في عشر السنوات الاخيرة ، والى جهاد رئيسه في السودان وامريكا وانجلترا واعتقاله مرارا ، واختتم التقرير بالاشارة الى دعوته في العام الماضي الى عقد مؤتمر الفلاحين ، وكان قد اعد العدة لحضور عشرة آلاف فلاح ، وذلك للدعوة لمطالب الفلاحين التي نفذها العهد الجديد بقانون الاصلاح الزراعي ، فمنعت الحكومة القائمة وقتذاك انعقاد هذا المؤتمر واعتقلت رئيس الحزب وشردته واضطهدته ، وذكر التقرير في ختامه **ان الحزب دافع عن قانون تحديد الملكية وتصدى للرد على مذكرة الاقطاعيين كبار الملاك** ، وبحمد الله تحققت مطالب الفلاحين في هذا العهد السعيد ، وان الحزب قد أعد عدته لاصدار جريدة الفلاحين ، وانه اعتزم كذلك افتتاح ناد جديد للفلاحين بمديرية الشرقية ، ويعمل جاهدا للتعاون مع عهد التحرير في سبيل تحقيق اهدافه العليا السامية .

وبعد الانتهاء من تلاوة التقرير اعلن الاستاذ احمد كامل قطب رئيس الحزب **تنازله عن الرياسة لانتخاب الرئيس من جديد** ، فاختير لرياسة الاجتماع أكبر الاعضاء سنا وهو الحاج احمد عواد ، ثم اجريت الانتخابات وتألفت لجنة لفحص الاصوات من حضرات الاساتذة محمود صالح وجلال الدين محمد ومحمد بيومي ومحمد عبد الله ، وقد اسفرت نتيجة الانتخاب **بفوز الاستاذ أحمد كامل قطب بالرياسة بالاجماع ، كما انتخب لعضوية مجلس الادارة حضرات الاساتذة محمد سعيد احمد** (السكرتير العام السابق لمصلحة السكك الحديدية) **ومحمد عبد المنعم عفيفي ، ومحمد صالح سمك ، وعبد المجيد أبو العز المحامي ، ومحمود حسين المحامي ، والدكتور نجيب أسعد ، ولمعي توفيق، وعثمان حمدى المحامي، وعبد الفتاح صبرى المحامي ، وعبد المجيد احمد ، ومحمد كامل فهمي ، والدكتور مصطفى عفيفي ، والشيخ احمد عثمان عبلة ، والشيخ احمد عبد الله صقر .**

ثم القى الاستاذ كامل قطب خطابا شكر فيه الاعضاء على ثقتهم به التي يعتز بها ، معاهدا اياهم على مواصلة بذل الجهود والتضحيات في سبيل تحقيق الرسالة العليا التي يهدف اليها حزب الفلاح من النواحي الوطنية والاجتماعية والاقتصادية

والدفاع عن حقوق الفلاحين ومصالحهم ومطالبهم ، وقال انه يحمد الله تعالى على ان البلاد سعدت بهذا العهد الجديد الذى يتجاوب معه الحزب بأسم ستة عشر مليونا من الفلاحين فى اتجاهاته واهدافه ، فهذا عهدهم بعد أن زال كابوس الطغيان وتقوض عهد الفساد ، واستطرد الاستاذ كامل قطب يقول : اننا فى الوقت الذى مازلنا نكرر التحذير من الاعيب السياسة الاستعمارية ، مطمئنون كل الاطمئنان الى اخلاص رجال العهد الجديد وحرصهم على مصالح البلاد العليا ووادى النيل بأسره جنوبه وشماله فى الداخل والخارج، ونسأل الله التوفيق والسداد لهذه النهضة المباركة فى استكمال اوجه الاصلاح لتحقيق الانتعاش الاقتصادى وتدعيم الانتاج القومى بالروح الاشتراكية المجيدة التى بدت بها ، راجين ان يتوفر المواطنين جميعا الاستقرار المكين والعدالة الاجتماعية على أسس ثابتة سليمة قوية ، مما يقتضى تعبئة الكفايات المخلصة للتعاون — عن ايمان وعقيدة — مع العهد الجديد فى حمل اعبائه الضخمة وتحقيق اهدافه السامية ، والفلاحون يأملون الكثير فى هذا العهد لرفع مستواهم ومحو آثار الظالم والمتاعب عن كواهلهم التى أرهقت دهورا طويلة كانت مفعمة بالبؤس والشقاء والالام ، كما أنهم يأملون فى اعضاء حزب الفلاح العاملين مشاركتهم الكفاح لمداومة نصر قضيتهم العادلة مدفوعين بالغيرة الوطنية والايمان الثابت لتحقيق مجد الوطن ، ولما كان الفلاح يتميز بأنه عنوان هذه البلاد ودعامتها اذ انه يمثل تسعين فى المائة من سكانها مما جعله عاملا رئيسيا تتركز عليه اقتصادياتها واجتماعياتها ، فانه لن يتحقق مجد هذه الامة وتقدمها بصورة ملموسة فعالة ، الا اذا أوجدنا الفلاح الجديد فى قوة وحيوية ومجد وكرامة ، ينعم بالحق الاجتماعى والعدل الاقتصادى ، واننا سنعمل من جانبنا على ان نتعاون مع مختلف الوزارات المختصة التى تتصل بشئون الفلاحين وقانون الاصلاح الزراعى وخلافه والتقدم لها بمختلف المشاريع الاصلاحية المدروسة وفق برنامج الحزب ، كما نرجو ان نوفق فى المعاونة على تاليف نقابات الفلاحين التى أقرها القانون لتحقيق النهضة الشاملة للفلاحين وتأمينهم على حياتهم وارزاقهم بعد ماذاقوا من ظلم وهوان فى عهد الراسمالية الطاغية والارستقراطية المتعجرفة والاستعمار الكافر الذى ظهر بأقبح صور الاستغلال والتوحش ، والله نسأل ان يطهر العالم اجمع من ادران الاستعمار ، وها هو ذا قد انشب اظافره اخيرا فى شمال افريقيا وجنوبها على صورة وحشية ، وبهذه المناسبة فاننا نشارك اخواننا فى شمال افريقيا (تونس والجزائر ومراكش) مشاعرهم وجهادهم معلنين السخط واللعنات على تلك الاعمال البربرية التى قام بها الاستعمار الفرنسى تؤازره عصابة الدول الاستعمارية التى تجردت من الضمير الانسانى مما دل على انعدام العدالة الدولية التى يتشدقون بها مما سيضطرب له ولا شك حبل السلام والامن العالمى ، وليعتمد ابناء العروبة والشرق — بعد الله — على انفسهم واتحادهم وتضافر قواهم ضد قوى الشر والشيطان ، واختتم الاستاذ قطب خطابه بأن قال : اننا الان نجتاز مرحلة تاريخية دقيقة هى مرحلة وضع دستور جديد للبلاد ، ولا شك انها فترة تقتضى التجرد عن كل نزعة حزبية ، واستهداف المصلحة العليا ، والتسامى على الاتجاهات المغرضة، لتجتمع **كلمة الامة فى اتحاد** رائع حول **دستور مجيد** ، يكون خلاصة للمشاعر والاحاسيس الشعبية فيكون بحق دستور التحرير ودستور الشعب محققا لمطالب الامة بجميع طوائفها وهيئاتها وطبقاتها ، وكذلك نرى ان تؤلف على هذا الاساس **الجمعية التاسيسية** التى ستتولى وضع الدستور الجديد لتقرير مصير الحكم فى البلاد ، كما نرى انه قد **آن الاوان للتخلص نهائيا من الملكية واعلان الجمهورية اقتداء بجميع الدول المتمدينه** فى العالم اجمع التى سارت فى طريق هذا التطور الطبيعى الذى يتميز بحرية الشعوب التقدمية التى تقوم على مبادىء الديمقراطية السليمة ، فلم يبق من آثار الملكية فى العالم المحرر الا آثارا باهتة منزوية لا حساب لها ، وادعوكم الى تاليف لجنة من بينكم تقوم بدراسات وابحاث دستورية لما **يجب ان يكون عليه الدستور الجديد** ، متعاونين بذلك مع العهد الجديد فيما يرمى اليه حتى تنعم البلاد بحياة نيابية نقية من شوائب الفوضى والتهريج ، والله المستعان والله معنا .

وعلى أثر انتهاء الاستاذ قطب من خطابه دوى المكان بالتصفيق المتواصل وردد الاعضاء هتافهم الله اكبر والله معنا ، وبعد مناقشة الاعضاء لبعض المطالب تالفت لجنة الدستور .

وانفض الاجتماع وانعقد على اثره اجتماع مجلس الادارة فى هيئته الجديدة لانتخاب هيئة المكتب التنفيذية . وتقرر تأجيل اجراء هذا الانتخاب فى جلسة قادمة ، وقد ابرق الاستاذ كامل قطب رئيس الحزب الى الرئيس اللواء محمد نجيب باسم الجمعية العمومية بمناسبة انعقادها ببرقية تحية وتأييد وتقدير اصلاحات العهد الجديد متمنيا التوفيق فى وضع الدستور وقيادة سفينة التحرير الى بر السلام والامان والاستقرار لتحقيق مجد الوطن لتعود مصر كما كانت للشعوب هامة وللدنيا امامة (والله معنا) .

بيـــان

بالهيئة التأسيسية لحزب الفلاح الاشتراكي في عـــام ١٩٥٢

بعد صدور قانون تنظيم الأحزاب السياسية

	الاسم	المهنة	السن ورقم القيد	العنوان
١	الأستاذ أحمد كامل قطب	مؤسس الحزب - محام	٤٤ / ٢٧٣	٣٠ شارع فؤاد الأول بالقاهرة - ومقيد بجدول انتخاب القاموس مركز أبو كبير شرقية
٢	الأستاذ محمد سعيد أحمد	السكرتير العام السابق لمصلحة السكك الحديد	سنه / ٥٤١	شارع سعيد بآخر شارع طوماناي بحلمية الزيتون بالقاهرة - المطرية "مقيد باسم محمد سعيد بك"
٣	الأستاذ عبد الحميد مصطفى أبو العز	محام	٣٧ / ٣٠٩	المنصورة قسم سادس - بندر المنصورة
٤	الدكتور نجيب أسعد	طبيب	سنه ٥٠ / ١٢	٤١ شارع سليمان باشا . القاهرة
٥	الأستاذ محمود حسنين	محام	٥٠ / ١٣	٦٩ شارع فاروق بالقاهرة باب الشعرية .
٦	الأستاذ عبد الفتاح صبري	محام	٤٠ / ١٥١	٧٩ شارع جزيرة بدران بشبرا مصر - استدلال الداخلية مقيد ١٥١ سنة ١٩٣٥ شياخة ابن الرشيد جزيرة بدران ١١٤
٧	السيد / عبد الحميد أحمد خليفة	تاجر	٥٣ / ٤١٨	٨٣ شارع السبتية ببولاق مصر - استدلال الداخلية بولاق شياخة السبتية
٨	السيد / محمد كامل فهمي	بشركة الاتحاد العقاري "العمارة الإيموبيليا"	٥٢ / ٢٦٣	شارع حسن الأكبر ٣ عطفة رجب شقة ٦ القاهرة قيد بجدول عابدين شياخة غيط العدة
٩	الأستاذ عثمان حمدي	محام	٤١	١٦ شارع عدلي باشا بالقاهرة .
١٠	الأستاذ نجيم محمد علي نجم	محام	٢٨ / ٦ عزبان	الزقازيق - قريته المقيد بها : العباسة - أبو حماد - شرقية -
١١	السيد / محمود محمد صالح سماك	ناظر زراعة	٥٢ / ٩٢	تفتيش الفؤادية - دكرنس - وقريته المقيد بها القاموس مركز أبو كبير شرقية
١٢	السيد / حسنين محمد عنانى	صاحب مصنع وتاجر	٤٦ / ٣٩	٦ شارع عمر بن عبد العزيز بالمنيرة بالقاهرة المقيد شياخة خان الخليلي قسم الجمالية
١٣	السيد / صلاح الدين حسن حجازي	مراقب مصانع الشوربجي	٣٢	٤ حارة عوض ابراهيم بشبرا بالقاهرة
١٤	الأستاذ فهمي محمود	محام	سنه ٤٠ / ٣	١٤ شارع ابن الرشيد بشبرا بالقاهرة - مقيد بجدول نجع حمزة دشنا
١٥	الأستاذ حسن علي حسن	محام	٣٢ / ٧١ ح / ١	٢٧ شارع ابن الرشيد جزيرة بدران بشبرا بالقاهرة روض الفرج "وقريته ميت البيشيا" مركز الباجور منوفية -

شركة القاهرة للادوية

نشرنا فى الطليعة عدد سبتمبر ، الصفحة الاولى من قصة حياة شركة القاهرة للادوية والخطوات الاولى التى خطتها نحو تطور صناعة الدواء ، واليوم نقدم الصفحة التالية وهى صفحة مشرقة مشرفة لانها كتبت بالجهد والعرق .

تطور الزيادة فى قيمة المبيعات والانتاج

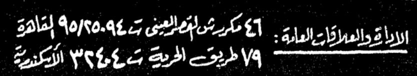
الزيادة التى حققتها الشركة بين عامى ٦١/٦٢ ، ٦٧/٦٨ تبين بوضوح مدى الجهد الذى بذلته من اجل الانتاج وتطوره ومن اجل تثبيت اقدامها فى عالم صناعة الدواء وفى هذه الفترة الوجيزة استطاعت الشركة ان تكون من ناحية المبيعات ثالث شركات المؤسسة بالرغم من انها لا تنتج مضادات حيوية ومرجع ذلك الى التخطيط السليم وحسن استغلال الطاقات الانتاجية مع تطويرها . وايضا تمشيا مع السياسة الاشتراكية فى الانتاج كتوفير السلع والخدمات تحقيقا لحاجات الشعب وايمانا من الشركة بأن كل حديث عن الاشتراكية والتعمير الاقتصادى والاجتماعى هو الفاظ جوفاء مالم تترجم الى عمل دائب ومتواصل والى وسائل عملية فى الصناعة واتاحة احدث التطورات الطبية للجميع .

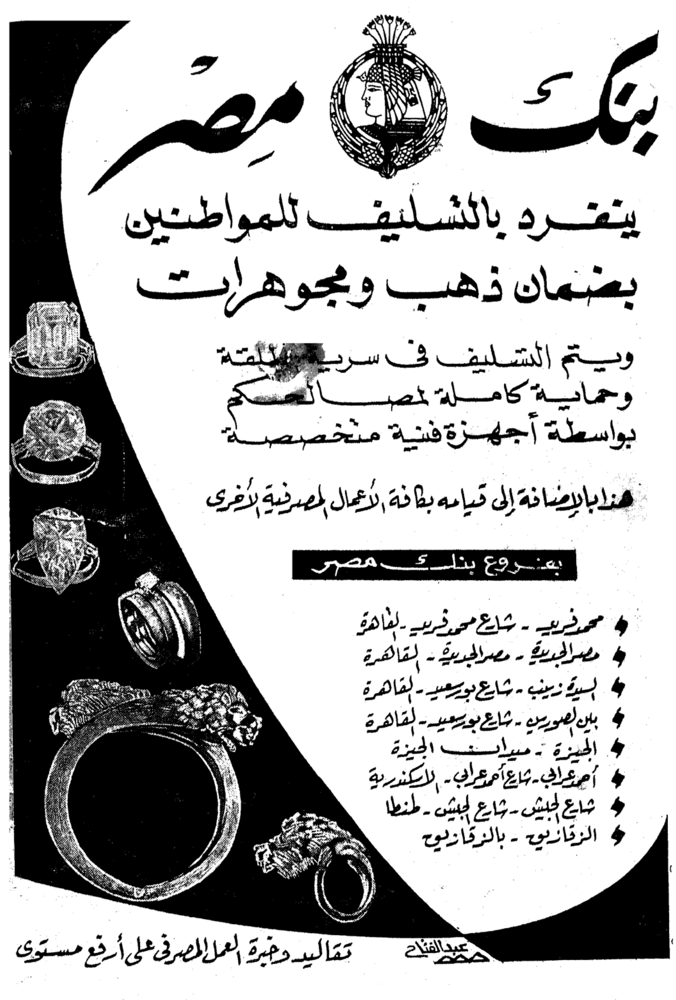


من اجل دور افضل

وتؤمن ادارة الشركة باهمية التدريب كوسيلة لرفع معدلات الاداء للافراد والجماعات ، فاشتركت فى الكثير من الدورات التدريبية لكل المستويات الادارية والفنية ، وتقوم ادارة الابحاث بالشركة بالرقابة على انتاج جميع المستحضرات وذلك فى كافة المراحل مع متابعة الثبات والجودة فى فترات التخزين سواء بالشركة او فى الصيدليات ونتيجة لذلك تمكنت الادارة من حل الكثير من المشكلات التى تواجه الانتاج وشركة القاهرة للادوية تنفرد بانتاج الكبسول الجيلاتينى لمستحضرات هاى سيز ــ افينون فيتامين أ+د .

كما ان الشركة بجانب انتاجها لكافة انواع الاشكال الصيدلية داخل الاقسام الانتاجية بها تعد الشركة الوحيدة التى تنتج مصانعها مجموعة من المستحضرات الطبية لا تنتج فى سواها فى الجمهورية العربية المتحدة وبذلك ساهمت الشركة فى تحقيق الاكتفاء الذاتى التى تهدف اليه المؤسسة المصرية العامة للادوية .





الثمن ١٠ قروش

مطابع الأهرام التجارية

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

١١
نوفمبر ١٩٧٠
السنة السادسة



جمال عبد الناصر.. فكره ونضاله



طـريق المناضـلين الى

الفكر الثورى المعـاصر

مجلة شـهرية
تصدر أول كل شهر

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبدالله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد أحمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتير التحرير :

عبد المنعم القصاص

عنوان المراسلات :

((الطليعة))
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء
القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ــ ٥٩٠١٠ ــ ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج٠ع٠م٠ دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .

■ عـدد خـاص ■

الفهـرس

العدد الحادى عشر ــ السنة السادسة ــ نوفمبر ١٩٧٠



حيث يرقـد البطـل الذى وهب عمله وحياته لامته تنحنى « الطليعة » لتضع ، باجلال ، زهرة ... لتقدم ، بتواضـع ، هذا العدد الخاص . وفاء وعرفانا ، ثم لتواصل فى العدد القادم نشر :

« يوميات الثورة فى ١٨ عاما »



ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر، وفى اعتقادنا ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعـة » صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذىاطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر« قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفعحياتى ثمنا لحقك فىالدفاع عن رأيك » أ.ه



تراث عبد النـــاصر فى رحـــاب التحرر والتقدم

ونحن

نضع بين أيدى قراء « الطليعة » هذا العدد ، فى محـــاولة لتقديم صورة عن فكر **جمال عبد الناصر** ومواقفه تجـــاه المشـــكلات التى شغلت وطنه وأمته ، يثور سؤال هام لا مفر من الاجابة عنه ، اذا أردنا أن نساهم بحـــق فى تكريم البطـــل الراحـــل ، بل اذا أردنا بالاحرى ، أن نجعل من فكر هذا القائد ركيزة ، وقـــوة دافعـــة ، ومحركة نحو آفاق متسعة على الدوام من الحرية والتقدم .

هذا السؤال يمكن أن يطرح كما يلى :

أين نضع فكر عبد الناصر وكيف ندرسه ؟

ثمة فى الواقع طريقتان او منهجان : احدهما الطريقة المدرسية الشكلية ، التى تحول حياة زاخرة بأكملها الى مجموعة من النصوص تحفظ وتسود فى هذه المناسبة او تلك ، فلا يتعدى تأثيرها قاعات الدرس ، ومن الواضح أن مثل هذه الطريقة لاتقف عند حد عزل فكر جمال عبد الناصر عن حياة الشعب والمجتمع فحسب ، بل ربما انتهت ــ وهذا هو الاخطر ــ عند البعض الى نصوص من أقوال عبد الناصر واحاديثه منتزعة هنا وهناك ، لا تخدم ــ فى النهاية ــ فكر عبد الناصر بل ربما تعارضه فى الجوهر .

وثمة منهج آخر ، هو الذى نـراه صحيحا ، وهو الذى يحفظ على فكر عبد الناصر حيويته ويضعه فى مكانه من تاريخ التقدم الانسانى . وهذا المنهج يتطلب فى



بعض لحظاته ان نضع فكر عبد الناصر وننظر الى مواقفه فى اطار القرن العشرين الذى انجب هذا الثورى •

فمن ناحية شهد القرن العشرون حركة انسانية عارمة اتجهت ــ على الصعيد العالمى ــ وفى الاساس ضد المظالم التى انزلها نظام الامبريالية نظام الراسمالية الاحتكارية بالشعوب بالفلاحين والعمال والحرفيين والمثقفين بل وباقسام مما يسمى بالطبقات المتوسطة ، وقد عرفت الجماهير بتجربتها أن هذا النظام هو فى الاساس ، نظام اقتصادى يقوم على الاستغلال ، وفوضى الانتاج ، ونهب شعوب المستعمرات والبلدان التابعة ، وافقار الكادحين ، وتبديد الطاقات المنتجة ، انه باختصار هذا النظام الذى يولد العنصرية والفاشية والحرب ، ولقد رفضت البشرية أن تربط مصيرها بهذا النظام ، وهبت تعارضه بلا هوادة فى ثورة عالمية ،تغذى مجراها الهائل روافد الثورات الاشتراكية وثورات التحرر الوطنى ،ونضالات الطبقة العاملة والشباب والنساء فى البلدان الرأسمالية ، وكفاح الشعوب من أجل الديمقراطية والسلام •

غير ان القرن العشرين انما يشهد أيضا ثورة اخرى هى التى اصطلح على تسميتها بالثورة العلمية والتكنولوجية ، فالاكتشافات العلمية والتكنيكية قد أخذت تحدث تغييرات عميقة فى علاقات الانتاج ، وفى الابنية الاقتصادية ، وفى العلاقات بين الطبقات ، فى جانبيها السياسى والاجتماعى (١)

وتحت تأثير هاتين الثورتين يسير التطور العالمى بسرعة عاصفة لم يشهدها تاريخ البشرية من قبل •

فاذا جئنا ــ كما أشرنا من قبل ــ لنضع التراث الذى خلفه جمال عبد الناصر فى اطار العصر ، فلسوف نرى أن مساهمته فى حركة الثورة العالمية قد جعلت من نضال بلادنا وامتنا قوة ضاربة من قوات هذه الثورة ، وانه فى نضاله ضد الامبريالية العالمية ، وضد قوى التخلف والرجعية فى الداخل قد فتح أمام بلادنا ومهد الطريق الذى يسمح لها ــ فى ظروف محددة ــ بأن تلحق بركب الثورة العلمية ، وهنا بالدقة نتذكر العبارة التى طالما وردت فى خطبه واحاديثه عن ضرورة أن تتقدم بلادنا وتسير « بسرعتين » لابسرعة واحدة، حتى تأخذ مكانها فى صفوف البلدان المتقدمة •

فاذا انتهينا من وضع فكر عبد الناصر فى داخل اطار القرن العشرين ، امكن بعد ذلك ان نخطو خطوة أخرى في دراسته ، وهنا نشرع في البحث عن **الخطوط الثابتة التى حكمت هذا الفكر من ناحية ، ثم ندرسه من ناحية اخرى ، فى تطوره عبر مسيرة النضال الذى قاده على مدى ١٨ عاما ، مركزين فى الاساس على دراسة التربة الوطنية والقومية التى نشأ فيها ، غير مهملين ان « فكره المفتوح على كل التجارب» قد تأثر وأثر ــ بشكل او بآخر ــ فى حركة الثورة العالمية •**

وفيما يتعلق بالخطوط الثابتة التى التزمها **عبد الناصر** والتى حكمت مجموع عمله ومواقفه ، لابد من التأكيد على خطين أساسيين :

الاول : خط النضال العنيد ضد الامبريالية العالمية وضد الاستعمار بشكليه القديم والحديث. هنا ــ على سبيل المثال ــ يمكن ان نتتبع نشأة وتطور هذا النضال عبر جميع الاطوار المتلاحقة التى مرت بها ثورته • « ان الكبرياء الوطنى » هو الذى

كان يحركه ويحثه على أن يستميت لتكون بلادنا « أكثر البلدان المستقلة استقلالا » ، وذلك على حد تعبيره .

ولكن ، لما كانت هذه الوطنية المصرية العميقة قد اتجهت منذ البداية الاتجاه الصحيح ، أى ضد الاعداء الحقيقيين للوطن ، فقد قادته ـ بالضرورة ـ الى أن يوسع شعوره الوطنى ، ليكون مواطنا عربيا ، ومكافحا من أجل الوحدة والقومية العربية . الا أن هذا الموقف الوطنى المستنير ، لا يلبث بدوره ، بفضل ثباته على الارض التى غرس جذوره فيها ، أن يثمر الثمرة الطبيعية ، ثمرة التضامن والانتماء الايجابى الى حركة التحرر الوطنى العالمية فى البلدان التابعة والمستعمرة ، لتحتل مصر بعدذلك مكانها الجدير بها بين القوى الدولية التى يعتمد عليها فى مناهضة الامبريالية ، ومن هنا تأثير عبد الناصر فى البلدان التى تسمى ببلدان « العالم الثالث » .

أما الخط الثانى : فهو ايمانه العميق بأن الوطن الذى يناضل من أجل تحرره هو وطن الجماهير الكادحة والفقيرة ، ومن ثم ، بدأ اهتمامه بقضايا التحول الاجتماعى ، ونحن نعرف أنه فى وقت مبكر ، وقبل أن يتوصل عبد الناصر الى رفع شعار الاشتراكية ـ تحدث فى كتاب « فلسفة الثورة » عن ضرورة القيام بثورتين « الثورة الوطنية » و « الثورة الاجتماعية » . وفى غمار الممارسة الثورية ، وفى وسط المعارك التى خاضها ضد الرأسمالية الكبيرة والاقطاع ، نما فكر عبد الناصر وتطور ، حتى اذا جئنا الى الميثاق كان عبد الناصر يقدم نظريته عن « الاشتراكية العلمية » كسبيل وحيد لتحقيق التقدم ، فى ظروف بلادنا ، وربما لانخطىء اذا قلنا ان توجه عبد الناصر الى تحسين أحوال الفلاحين والعمال هو الذى وضع يده على هذه الحقيقة التى طالما تحدث عنها : وهو أن الاستقلال ليس مجرد نشيد وعلم ، وانما يصان الاستقلال السياسى ويتوطد على أساس من الاستقلال الاقتصادى ، وفى هذا السبيل ناضل ليصفى مراكز السيطرة الاستعمارية القديمة . لكن تمسكه بحق الجماهير فى حياة أفضل وبقضية الاستقلال الاقتصادى ، قد ترتب عليها فى مجرى العمل الثورى نتائج محددة وهامة جدا :

● **نتيجة أولى :** هى رفض بلادنا أن تبتلع طعم الاستعمار الجديد ، ونضالها الذى لم يتوقف ضد هذا الاستعمار ، الامر الذى جنبها حتى الان مصير بعض البلدان التى انتكست ثورتها الوطنية .

● **نتيجة ثانية :** هى أن تحسين ظروف المعيشة للجماهير مرتبط بقضية التنمية وما يتطلبه هذا من الاخذ بأساليب العلم والتخطيط العلمى . ومن هذا الارتباط الذى لا ينفصم ـ فى فكره ـ بين قضية التقدم وبين حتمية الحل الاشتراكى .

وأخيرا ، فانه تحت تأثير هذين الخطين الثابتين : خط الوطنية المستنيرة ، وخط التقدم الاجتماعى ، تحولت بلادنا الى قوة ايجابية تدافع عن السلام العالمى ، وذلك لسبب بسيط وهو أنه فقط فى ظل السلام ، وبالعمل على شل نشاط تجار الحروب ، تنشأ وتتوطد أفضل الظروف المواتية للتقدم الاجتماعى ولاستفادة الدول النامية من ثمرات التقدم العلمى والتكنولوجى .

وأخيرا ، عند دراسة فكر عبد الناصر ، ينبغى ألا نهمل ـ بحال ـ الجانب العملى من هذه الدراسة وهو الجانب الذى يخدم النضال اليومى للجماهير ، لقد قدم عبد الناصر فكرا ثوريا ، وفى العادة فان الافكار الثورية انما تفرزها حركة الجماهير الواسعة التى تكافح من أجل حياة أفضل ، من هنا فان الاحتفاظ بفكر عبد الناصر حيا



على الدوام ، ثم المحافظة عليه من أخطار « الجمود العقائدى » ـ كل هذا يتطلب ان نولى عناية خاصة بنقل تراث عبدالناصر الى الورثة الحقيقيين ، الى الجماهير الشعبية الواسعة ، هنا يدخل عمل **عبد الناصر** فى النسيج الحى لجسم الوطن والمجتمع ، هنا فقط نستطيع أن نقول ان فكرعبد الناصر سيظل تراثا وطنيا وقوميا نفخر به وله مكانه الذى يحتله فى رحاب التطوروالتقدم الانسانى ٠

« الطليعة »

أنــور الســـادات رئيســا للجمهـــوريــة

فى يوم الخميس ١٥ سبتمبر الماضى جرى الاستفتاء على رياسة الجمهورية ، وانتخب الشعب ـ باغلبية ساحقة ـ انور السادات رئيسا للجمهورية العربية المتحدة ، وعقب ظهور نتيجة الاستفتاء عبرت المنظمات الجماهيرية على تاييدها للرئيس الجديد ، وترحيبها به ٠ كما تلقى الرئيس رسائل من قادة البلدان العربية الشـــقيقة ، وقــادة البــلدان الصـــديقة ، وفى الشرق ، كما فى الغرب تحدثت أكثر من صحيفة عن الدلالات الهـامة لنتيجة الاستفتاء ٠ وفى مقدمتها :

ـ ارتفاع جماهير الشعب الى مستوى المسئولية نحو صيانة الوحدة الوطنية وحماية الجبهة الداخلية من أخطار الاعداء المتربصين الخارجيين والداخليين ٠

ـ ترحيب الرأى العام المحلى والقومى والاوساط التقدمية فى العالم بالمنهج البسيط ، والمحدد الذى اتبعه الرئيس السادات عندما القى خطابه فى مجلس الامة عقب ترشيحه رئيسا للجمهورية ٠ ففى هذا الخطاب التزم الرئيس الجديد بأنه ــ كرفيق جهاد لعبد الناصر ـ سيسير على طريق عبد الناصر ٠ وطرح برنامجه ، وهو برنامج ٣٠ مارس الذى وافق عليه الشعب وتبناه بعد حوار مثمر مســتفيض ، ونقــد بنــاء للنواقص والسلبيات التى اظهرتها حرب يونيو ٦٧ ٠

وهكذا ، جاء انتخاب الرئيس السادات مؤشرا هاما على تمسك الجماهير بطريق الوحدة الوطنية ، طريق النضــال ضــد الامبــرياليه والصــهيونية والرجعيــة ؛ ومقياسا لا يخطىء على تنبه الجمــاهير ويقظتها ضد مؤامرات الاعداء ، وضــد مخططاتهم التى توجه فى المحل الاول ، الى اضعاف الجبهة الداخلية ٠ هنا تدلل حركة الجماهير مرة اخرى ـ كما دللت ـ على ذلك فى أكثر من موقف ومن مناسبة : عند تاميم القنال ، وعندما أراد الزعيم الراحل أن يتنحى ، وعندما فقد الشعب عبد الناصر وخرج يودعه الوداع الاخير ، نقول ٠٠ هنا تثبت الجماهير انها تملك فى حركتها القوة الحاسمة التى يمكن أن تعتمد عليها القيادات الوطنية التى تلتزم بخط جمال عبدالناصر ، خط التحرر والتقدم ٠

وان « الطليعة » التى ترحب كل الترحيب بانتخاب الرئيس الســادات ، وتهنئه بثقة الشعب ، لتدرك جسامة المسئوليات الملقاة على عاتق الرئيس الجــديد ، فى فترة من أخطر الفترات التى مرت بالبلاد ٠ ومن هنا تبرز اهمية الدعــوة التى وجهها الرئيس السادات الى الشعب والى التنظيمــات السياسية والمؤسسات الدستورية ليتحدوا وليشاركوه فى تحمل المسئولية ، دفاعا عن الاستقلال ، ومن أجل تحرير الارض المحتلة ، وتأكيدا لخط النضال ضد الامبــريالية والصهيونية والرجعية على طريق الحرية والاشتراكية والوحدة ٠

« الطليعة »



جمال عبد الناصر .. والثورة

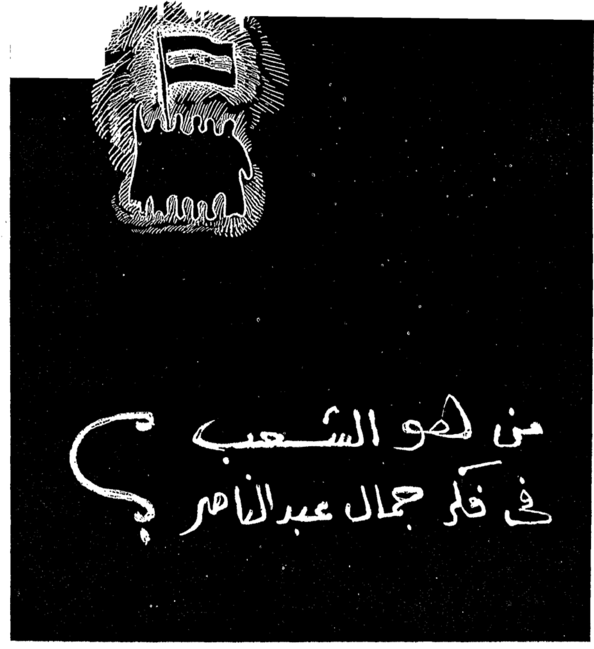
تخصص « الطليعة » الدراسة الرئيسية لهذا العدد لفقيد الشعب المصرى والامة العربية جمال عبدالناصر ، تعالج فيها رؤية القائد للقضايا والمشكلات المحلية والعربية والعالمية .

ولا شك ان تقييم العمل الضخم والانجازات الهائلة التى حققها الشعب بقيادة عبدالناصر، امر أصبح فى متناول التاريخ. ووراء كل هذه المنجزات مواقف فكرية ثورية ، تتطلب قدرا كبيرا من الجهد والتمعن والتعمق من أجل تقييمها .

ولذلك كان منرأى هيئة تحرير « الطليعة » أن الوفاء بمثل هذه الدراسة يتطلب زمنا ليس بالقصير ، ومن ثم رؤى أن يكون التركيز فى هذه الدراسة على بعض الجوانب من فكر ونضال جمال عبدالناصر فى مختلف مجالات الحياة فى مرحلة تاريخية محددة ، تمتد من عام ١٩٦٤ حتى وفاته .

لقد عبرت الجماهير الشعبية العاملة عن ارادتها وعزيمتها علىمتابعة مسيرة عبدالناصر « وتكملة المشوار »الذى بداه القائد . فالأمر الأكثرالحاحا فىيومنا هذا ، هو عرض وابراز وجهة نظر عبد الناصر ومواقفه فى القضايا الاساسية لنضال شعوبنا ، كسلاح نشهره ونستخدمه ونسترشد به فى مواجهة التحالف الامبريالى الصهيونى الرجعى .

وسوف نتابع فى مقالات متفرقة فىالأعداد القادمة ، دراسة التراث الفكرى الذى خلفه عبد الناصر وراءه ، باعتباره رصيد لاينضب لحركة ومستقبل الثورة العربية .



د . ابراهيم سعد الدين

حدثان هامان فى تاريخ مصر الحديثة اوضحا بما لا يدع مجالا للشك التفاف جماهير الشعب المصرى ، وخاصة فلاحيه وعماله والفقراء بوجه عام حول سياسة عبدالناصر وحول مبادئه ، كما أبرزا استعداد الشعب للدفاع عن هذه السياسة باستماتة ، وقد تم كلا الحدثين دون أية ترتيبات سابقة ، واتخذا شكل اندفاع شعبى لم يسبق له مثيل .

ففى التاسع والعاشر من يونيو ١٩٦٧ ، وبعد هزيمة عسكرية حاقت بجيوش مصر ، اندفعت الملايين تملأ الشوارع لمنع القائد من أن يترك مكانه منادية بضرورة استمراره لقيادة شعب مصر الصامد ضد الاستعمار والصهيونية والمدافع عن مكاسبه الاشتراكية والحامى لها .

وبعد اكثر من ثلاث سنوات اندفعت جماهير مصر مرة آخرى الى الشوارع اثر سماعها للنبأ الحزين ولو استطاعت منع الموت وابقاء الزعيم الراحل لحاولت ذلك ، ولكن لم يكن امامها هذه المرة الا ان تواجه الحقيقة المرة وهى أن كل فرد مهما عظم شأنه هو الى انتهاء وفناء ، وان زعيمها سيبقى حيا بينها اذا واصلت النضال على طريقه لاستكمال الطريق الذى بداه . فأعلنت صرختها المدوية بأنها ستكمل المشوار « **بالروح وبالدم** » و « **بالجيش وبالشعب** » .

ولم يكن هذا الحدث او ذاك اندفاعا عاطفيا بل تعبيرا حيا وصادقا عن ارتباط عميق بالقائد البطل الذى فتح الطريق لتحقيق اهداف الجماهير وآمالها ، كما أنه فى نفس الوقت تعبير عن القلق من أن يؤدى ذهاب الزعيم الى انقضاض القوى

المضادة على ما حققته الجماهير من مكاسب ، ومن ثم فقد خرجت الجماهير لتعلن بوضوح عن تمسكها بكل ما حققتــه ، وعن مدى اســتعدادها للبذل والتضحيــة دفاعا عنهــا وعــن ضرورة الســير فى الطريق الذى بدأه قائدها .

ورغم طول قائمة المكاسب الشعبية فلعل أهمها جميعا وأكثرها جوهرية بالنسبة لمستقبل مسيرتنا هو تحطيم سلطة الاقطاع والرأسمالية الكبيرة المتحــالفة معه وفتح الطريق من أجــل تحقيــق سلطة الشعب العامل والدور الرئيسى الذى يجب أن يلعبه الفــلاحون والعمــال فى هذه الســلطة ، ان الشرط الاول للاستمرار هو بقاء هذه السلطة فى يد الشعب العامل والتدعيم المستمر لدور الفلاحين



والعمال تطبيقا لاحكام الميثاق ، وقد ركز عبدالناصر على هذه الحقيقة تركيزا كبيرا باعتبارها أهم ما يتضــمنه الميثاق ، وأوضــح بما لا يدع مجــالا للشك ان بقاء الثورة رهن بتحقيقها ، ولــم يكــن وصوله الى هذه الحقيقة ناتج فكر نظرى معين ولا هو تحيز لفئة اجتماعية معينة فىمواجهة أخرى، بل كان نتيجة تجربة ومعاناة استمرت لــمدة ١٠ سنوات من الثورة حتى نضجت وعبر عنها الميثاق تعبيرا واضحا وصريحا ، وكانت موضع الدفاع المجيد لعبد الناصر خلال المناقشات التى دارت فى مؤتمر القوى الشعبية الذى ناقش الميثاق .

تجربة السنوات العشر الاولــى للثــــــورة

فى الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ استطاع الضباط الاحرار تحرير الجيش من تسلط الرجعية واستخدامه لصالح قوى الثورة وفتح انضمام الجيش للشعب الطريق على مصراعيه من أجل احداث تطورات سياسية واجتماعية هامة .

وقــد اندفعت الجمــاهير مؤيدة للحــدث الثورى العظيم منذ الساعات الاولى وادت الاحداث المتتالية والتطورات المتلاحقة للثورة الى زيادة ثقــة الجماهير فى القيادة الثورية الجديدة التى عزلت الملك وقضت على الملكية واعلنت مبادىء الثورة الستة الشهيرة ، القضاء على الاستعمار وأعوانه ، القضاء على الاقطاع وسيطرة رأس المــال ، والقضاء على الاحتكار ، واقامة عدالة اجتماعية ، واقامة جيش وطنى قوى واقامة حياة ديمقراطية سليمة ، ومارست بالفعل العمل من اجل تحقيق هذه المبادىء باعلانها قانون الاصلاح الزراعى فى سبتمبر ١٩٥٢ ، ثم بالصراع ضد الاستعمار فى منطقة القناة والنضال ضد النفوذ الاستعمارىفى المنطقة ، وعقد صفقة الاسلحة والقضــاء على احتكار السلاح ومقاومة الاحلاف وقيادة المعركة ضد حلف بغداد ، والمشاركة فى مؤتمر باندونج، واعلان سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز .

وهــكذا تبينت الجمــاهير بتجــربتها الذاتية ثورية القيادة الجديدةوصلابتها وتعبيرها عنآمالها الحقيقية فى التحرر السياسى والاجتماعى .

وكانت قمة الاحداث جميعا فى هذه المرحلة الاولى للثورة هو تأميم قناة السويس وما تلى ذلك من معركة العدوان السافر فى ١٩٥٦ فقد التفت الجماهير الشعبية خلف قيادة عبد الناصر فى وحدة صلبةمتماسكة من اجلصدالعدوان ، واصبح منالواضح تماما ان جمال عبد الناصر قد أصبح بطلا وطنيا وقوميا وقائدا جماهيريا يتمتع بحب الجماهير وثقتها اللامتناهية .

وبجلاء بريطانيا عن القناة فىيونيو ١٩٥٦ ثم بالقضاء على العدوان وجلاء القوات المعتدية مرة أخرى فى نوفمبر من نفس السنة وما تبع ذلك من تصفية المراكز الاقتصادية للاستعمار فى مصر عن طريق التمصير والتأميم دخلت مصر مرحلة جديدة من مراحل تطور ثورتها الى مرحلة تحقيق الثورة الاجتماعية ، يقول عبد الناصر فى بيانه للجنة التحضيريةفى ٢٥ نوفمبر ١٩٦١ : «بالنسبة لنا كان من الطبيعى بعد النصر فى المعركة السياسية ان ننتقل الى المرحلة الثانية وهى الثورة الاجتماعية التى تكلمنا عنها من أول يوم والتى بدأنا فيها عملا لا اعتبره كبيرا ولكنه عمل بسيط ، اعلنا من أول يوم ان فيه ثورة سياسية وثورة اجتماعية ، الثورة السياسية واضحة المعالم ، الثورة الاجتماعية لم تكن واضحة المعالم ، ولم يكن قانون الاصلاح الزراعى الا توضيحا لهذه الثورة » .

كانت الثورة الاجتماعية تتضمن بــالضرورة التقــارب بين القوى التى شــاركت فى الثورة السياسية ودعمها ، يقول عبد الناصر فى نفس الخطاب : « وقلنا ايضــا من الاول ان الثورة السياسية تحتاج الى تجمع قوى البلاد ضــد الاحتلال وضد الاستعمار وضد أعوان الاستعمار ، وقلنا ان الثورة الاجتمــاعية تفــرض ان نمنــع



الاستغلال ، وان نعيد توزيع الثروة ، وكان هناك تضارب بين طبيعـة كل من الثورتين ، لان الثـورة السياسية كانت تستدعى ان تجمع القوى حتى نقضى على الاستعمار ، وحتى نقضى على اعوان الاستعمار وحتى نتخلص من الاحتلال ، اما الثورة الاجتماعية فكانت تحتم علينـا ان نصـطدم مع القطاعات المختلفة من الامة من اجل اقامة العدالة الاجتماعية السليمة ومن اجل القضاء علـى الاستغلال بكل معـانيه ، الاستغلال الاقتصـادى والاستغلال الاجتماعى » .

ورغم ان الثورة كانت قد دخلت عددا من المعارك ضد القوى الرجعية التى حاولت فى الفترة الاولى الوقوف ضد الاصلاح الزراعى ، والتى حاولت بعد ذلك ان تخيف النظام الجـديد من الصـدام مع الانجليز ، ثم بدأت حملة التشكيك فى سياسة عدم الانحيـاز والحياد الايجابى والتى حاولت بعد ذلك التخويف من آثار كسر احتكار السلاح قائلة كما أشـار عبد النـاصر « ان جواتيمالا حصلت على السلاح من الشرق وان امريكا لم تتركها » والذين حاولوا بعد تأميم القناة اثارة الشك والريبة فى مدى صحة القرار مشيرين دائما الى قـدرة الاســـتعمار وخطــر تحـــديه ، والذين حاولوا ــ الاستفادة من القضاء على النفـوذ الرأسمالى البريطانى والفرنسى عن طريق وراثة الشركات التى مصرت فى عام ١٩٥٧ والذين نادوا بالحرية لرأس المال الاجنبى والمحلى لطمأنة رأس المال « الكاشش والجبان » نقول انه برغم ان الثورة قد خاضت مثل هذه المعارك ضد الرجعية وسارت فى طريقها من اجل تحرير مصر سياسيا واقتصاديا فان الرغبـة فى تحقيق التعـايش السـلمى بيـن الطبقات ذات المصالح المتناقضة اتاح للرجعية ان تاقلم نفسها وان ترفع شعارات الاشتراكية عاملة فى نفس الوقت على الا تضعها موضع التنفيذ قط .

فقد اعلنت الثورة شعار اقامة المجتمـع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى فى ١٩٥٦ ثم بدأ التركيز على هذا الشعار فى ١٩٥٧ واعلنت الثورة هدف معركة العدالة الاجتماعية وهو تحقيق الكفاية والعدل ، ولكن الرجعية سرعان ما رفعت نفس الشعارات مستغلة طبيعة التنظيم السياسى القائم وهو الاتحاد القومى . يقول عبد الناصر « كانت الاشتراكية كما قلت فى هذه الايام ــ هى طريقنا الى العدل ، او كان الشعار الذى رفعناه هو اقامة مجتمع اشتراكى ديمقراطى تعاونى هو طريقنا الى العدل ، وكان من الواضـح ان هذا العدل الذى ننادى به هو فعلا شريعة الله ، لان شريعة الله هى التى تنادى بالعدل وتنادى بالمساواة وتنادى بتكافؤ الفرص ، وكان من رأينا انه اذا كان مفهوم الحرية السياسية ان يكون للمواطن الحق فى تقرير امر وطنه ، فالحرية الاجتماعية معنـاها ان يكون للمواطن الحق فى نصيب من ثروة وطنه طبقا لجهوده الخاص ، ماذا فعلت الرجعية ؟ الرجعية بعد هذا أقلمت نفسـها ، خصوصا بعـد أن اعلنـا تكوين الاتحـاد القـومى فى دسـتور سنة ١٩٥٦ وبدأت الرجعية تستغل تفسيرنا للاتحاد القومى » .

ويتساءل عبد الناصر عن ما هو تفسير الثورة للاتحاد القومى ، ويجيب بأن الثورة تريد فى داخل اطار من المحبة والوحدة الوطنية « ان تجمع البلد كله بجميع طبقاته ، وتحل المتناقضات بوسائل سلمية » . ويضيف أن الرجعيين وافقوا على هذا الكلام فهو يجد قبولا ، ويجد استحسانا لديهم ــ فقد كانت الثورة تريد تعايشا سلميا بين الطبقات ، ويتساءل عبد الناصر موضحا الموقف الذى ادى اليه هذا التصور قائلا « ولست ادرى اذا كانت الرجعية صدقت هذا الكلام او اعتبرته شعارات غير قابلة للتنفيذ ، وكل ما اعرفه أن الرجعية وجدت هناك فرصة لها لكى تتسرب داخل الاتحاد القومى وتسيطر على الاتحاد القومى » . وواضح كل الوضوح ان الرجعية اقلمت نفســها ، وان الرجعية مشت فى الاتحاد القومى ، ولم نكن نقول ان هذا الشخص رجعى ، بل كنا نقول هذا الرجل طيب « وماشى » . ويضيف جمال ناقدا هذا النوع من الفكر « ليست العملية أبدا ان فلانا رجل طيب فقد يكون ممن يستغل فى عملية ما عشرة آلاف جنيه ، ثم يعمل يوم الجمعة فولا نابتا وقليلا من الخبز بخمسة جنيهات ، ويجمع الناس فيقولون ان فلانا الفلانى هذا رجل طيب ، والعملية عملية استغلال وتغطية لهذا الاستغلال ، أو يذبح ذبيحة كل شهر أو كل شهرين ، ويجمع الناس الذين أخذ اموالهم وعرق جبينهم ويؤكلهم أكلة فيقولون والله انه رجل طيب ذبح لنا ذبيحة .

العملية ليست عملية حسنة ولا صدقة بأية حال من الاحوال ، العملية عملية حقوق ، وعملية واجبات وبكل أسف فكرنا نحن ايضا بهذه الطريقة وخدعنا كما خدع الفلاحون الذين يذبحون لهم الذبائح كل جمعة للغذاء او العشاء ، وقلنا والله فلان هذا رجل طيب وفيه شىء لله » .

ومن مواقعهم فى التنظيم السياسى القائم آنذاك ومن مواقعهم فى اجهزة السلطة ومن مواقعهم فى المنشآت الاقتصادية ، وفى الاتحاد القومى بدأت الرأسمالية فى العمل بكل قوتها من أجل احتواء الثورة ، ويوضح عبد الناصر هذه الصورة فى خطابه الى اللجنة التحضيرية قائلا بعد أن شرح طرق الرجعية فى التسلل وتشجيع الانحراف « ان العمليات التى لمستها فى آخر سنة ١٩٦٠ كانت تدل على أن الرجعية والرأسمالية تدفع كل قوتها لتقضى على كل معنى من المعانى التى تنادى بها » .

« كنت اشعر فى سنة ١٩٦٠ ان الدفع الثورى ربما كان غير قائم ، وان الثورة بدأت تتعثر ، وان

الرأسمالية المستغلة بدأت تنفذ ، وبدأت تتسرب وتتسلل الى الحكم ، وكانت الامثلة أمامى واضحة فى أن الرأسمالية المستغلة والرجعية توشك أن تجند الثورة الوطنية أو تلم الثورة الوطنية لحسابها الخاص » .

« كنا نلاحظ فى نفس الوقت أن الرجعية بدأت تتسلل وتأخذ مراكز على درجة كبيرة من الخطورة أنا قلت فى يوم من الايام ان الرجعية والرأسمالية المستغلة بدأت تحيط بالثورة ، وان الثورة التى قامت فى سنة ١٩٥٢ أوشكت أن تضيع ، وأن الامور لا يمكن أن تسير على هذا النحو .

ففى الاتحاد القومى نجد الرجعية هى التى تتصدر الاتحاد ، وفى التجارة ، الرجعية متصدرة التجارة » .

فى مواجهة هذا التسلل الرجعى وعلى أساس ما كشفته الحقائق من أحجام الرأسماليةعن المشاركة فى معركة التنمية وازاء الحرب التى أعلنتها الرأسمالية المصرية على محاولات توجيهها ، وما لجأت اليه من تهريب للاموال وتوزيع مغالى فيه للارباح اتخذت القيادة الثورية عددا من الخطوات الاقتصادية الهامة التى انتهت بتوجيه ضربة حاسمة الى مراكز الرأسمالية فى الجمهورية العربية المتحدة فى قرارات يوليو ١٩٦١ .

وازدادت التناقضات عمقا داخل الاتحاد القومى فبينما زاد التفاف الجماهير الشعبية حول قيادة عبد الناصر اخذت القوى الرجعية داخل الاتحاد تهاجم القرارات الاشتراكية وتصدرت قيادات الاتحاد القومى فى سوريا مؤامرة الانفصال فى سبتمبر ١٩٦١ وتحركت الرجعية المصرية محاولة الاستفادة من ذلك الحدث ، وظهرت بوضوح طبيعة الصراع الطبقى الذى يجرى فى مجتمعنا وأصبح من الضرورى تطهير التحالف من قوى الثورة المضادة ، وان يعاد تشكيله ليضم الطبقات والفئات صاحبة المصلحة فى مواصلة الثورة لتحقيق التحول الاشتراكى .

وفى خطابه السابق الاشارة اليه أمام اللجنة التحضيرية يثير عبد الناصر هذه القضية بوضوح عندما يطرح سؤاله عن طبيعة الثورة الاجتماعية وعن من هم الشعب .

الثورة الاجتماعية والشعب

يثير عبد الناصر قبل الاجابة عن هذه الاسئلة سؤالا عن ماذا نريد ، أتكون رأسمالية ام اشتراكية ؟ ويجيب بأن الرأسمالية على الطريقة القديمة اصبحت مستحيلة والرأسمالية حتى على الطريقة المقيدة اصبحت مستحيلة ، وان مصر بدأت فعلا فى التحول الاشتراكى ،وهو الطريق الى تحقيق العدالة الاجتماعية ، ثم يطرح سؤاله الهام كيف يمكن أن تباشر الثورة الاجتماعية تأثيرها ؟ ويجيب بوضوح .

« أريد ان اقول الثورة الاجتماعية وأنا مصمم على كل كلمة : الثورة ، لا العدالة الاجتماعية .. وكيف يمكن ان نحقق المرجو منها ؟ فى رأيى اننا لا نحقق هذا بالاوامر سواء فى هذا الاوامر الادارية او التشريعات او اللوائح ، او المذكرات والكلام المعروف .. وسيلة واحدة تمكن الثورة الاجتماعية من ان تباشر مهمتها وتباشر تأثيرها ، وهى الحرية الكاملة للشعب ، الديموقراطية الكاملة للشعب .

ويضيف مؤكدا : « فالشعب هو صاحب المصلحة الاصيلة فى الثورة الاجتماعية لابد أن تكون له الحرية الكاملة والديموقراطية الكاملة حتى تنجح هذه الثورة الاجتماعية ، بدون الحرية وبدون الديموقراطية للشعب نلاقى نفسنا انفصلنا وانعزلنا ، والشعب فى واد ونحن فى واد ».وبعد أن يوضح طبيعة المجتمع الذى ورثناه ووجود الاستغلال فيه بكل معانيه ووجود الصراع الطبقى فيه فى كل مكان وهو مالا يجب ان ينساه احد ، وان اعطاء الحرية للشعب يتطلب تحديد من هو الشعب الذى سيعطى الحرية الكاملة والديموقراطية الكاملة ويحدد ذلك قائلا :

« من هم الذين يريدون هذه الثورة الاجتماعية ؟ الذين يريدون الثورة الاجتماعية هم الشعب طبعا فيه تناقض واضح بين الشعب الذى يريد الثورة الاجتماعية ويريد مجتمعا متحررا من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، وبين الاقلية التى تريد مجتمعا فيه استغلال سياسى ، وفيه استغلال اجتماعى ، فيه تناقض واضح ، طبعا كلمة « الشعب » تختلف باختلاف الظروف واختلاف المفاهيم ، اليوم فى ثورتنا الاجتماعية مثلما حددناه فى ثورتنا السياسية ، الشعب هو كل من وقف ضد الاستعمار من اجل الاستقلال ومن أجل الحرية ، الشعب هو كل واحد وقف من أجل تحقيق المبدأ الاول للثورة .

انتهت المرحلة السياسية وبدأت المرحلة الاجتماعية ، ولو انه قطعا فيه ترابط كبير بين المرحلة السياسية والمرحلة الاجتماعية . المرحلة الحالية مرحلة بناء الاشتراكية الشعب يشمل جميع الطبقات التى تساند البقاء الاشتراكى وتساهم فيه ، اذن هم الذين نعطيهم الحرية كاملة والديموقراطية كاملة » ..

وبعد هذه الاجابة الواضحة يعود الى نفس الموضوع مؤكدا « اليوم لازم نكون واضحين بدون لف ولا دوران ، الشعب هو الذى ينادى بالاشتراكية .. يساند الثورة الاشتراكية ، ويساند البناء الاشتراكى ، يساند الثورة الاجتماعية



والبقاء الاشتراكى » . وفى مقابل هذا التحديد للشعب يحدد من هم اعداء الشعب ، فيذكر ان « اعداء الشعب هم جميع القوى الاجتماعية والجماعات التى تناهض هذه الثورة الاشتراكية والاجتماعية والتى هدفها طبعا القضاء على هذا النظام الاشتراكى » .

ويوضح عبد الناصر ان هناك خلافا واضحا بين الشعب واعداء الشعب ، وان محاولات حل المتناقضات بين الشعب واعداء الشعب فى داخل اطار من الوحدة الوطنية لم تنجح ، وأن الطريق الوحيد هو طريق تجريد أعداء الشعب من أسلحتهم ، فالخلاف بين الشعب واعدائه يدور حول الثورة الاشتراكية ذاتها ، فالرجعية تمثل المعارضة للثورة الاشتراكية ، وهى اذا وجدت الفرصة ستهدم كل شىء اشتراكى لتقييم حكما مبنيا على دكتاتورية رأس المال،وعلى استغلال رأس المال .

وعلى العكس من هذا النوع من الخلاف فهناك تناقضات بين طبقات وفئات الشعب ذاته ولكنها تناقضات لا تؤثر على سير الشعب فى ثورته الاجتماعية وفى ثورته الاشتراكية ، هذه هى التناقضات التى يمكن حلها سلميا فى اطار من تحالف بين طبقات الشعب وفئاته وقواه المختلفة .

وتعبيرا عن هذه الافكار ، ومن خلال التجربة الحية وعلى اساس المنهج العلمى توصل الميثاق الى صياغة واضحة ، تعبر عن تجربة الثورة المصرية ، وعن طبيعة التحالف الجديد بين قوى الشعب العاملة الذى لابد وأن يحل محل التحالف القديم بين الاقطاع والرأسمالية فيعلن الميثاق :

« لقد أثبتت التجربة التى صاحبت بدء العمل الثورى المنظم انه من المحتم أن تأخذ الثورة على عاتقها تصفية الرجعية وتجريدها من جميع اسلحتها ، ومنعها من أى محاولة للعودة الى السيطرة على الحكم وتسخير جهاز الدولة لخدمة مصالحها .

ان الرجعية تتصادم فى مصالحها مع مصالح مجموع الشعب بحكم احتكارها لثروته ، ولهذا فان سلمية الصراع الطبقى لا يمكن أن تتحقق الا بتجريد الرجعية أولا وقبل كل شىء من جميع أسلحتها .

ان ازالة التصادم لا تزيل المتناقضات بين بقية طبقات الشعب وانما تفتح المجال لامكان حلها سلميا .

ان تحالف الرجعية ورأس المال المستغل يجب ان يسقط .

ولابد ان ينفسح المجال بعد ذلك ديموقراطيا للتفاعل الديموقراطى بين قوى الشعب العاملة وهى الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والرأسمالية الوطنية » .

الدور الخاص للفلاحين والعمال

اذا كان الشعب فى تعريف الميثاق يضم كلا من الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية ، واذا كانت هناك تناقضات بين هذه الطبقات والفئات المختلفة حول مسار الثورة الاشتراكية واذا كانت هذه الفئات والطبقات تختلف فى درجة ثوريتها وفى درجة سعيها لتحقيق الانتقال الى المجتمع الاشتراكى ، لذلك كان من الضرورى أن يقدم الميثاق عددا من الضمانات التى تمنع أن يتكرر فى الاتحاد الاشتراكى ما سبق حدوثه فى الاتحاد القومى من سيطرة أكثر الفئات الاجتماعية تخلفا ومن محاولة هذه الفئة تجميد التطور وايقافه ، والتى تضمن ان يحسم الصراع الطبقى سلميا لصالح الاشتراكية والطبقات الشعبية .

وقد تصور الميثاق لذلك اربعة ضمانات اساسية حددها فى التالى :

١ ــ ان التنظيمات الشعبية السياسية التى تقوم بالانتخاب الحر المباشر لابد لها ان تمثل بحق وبعدل القوى المكونة للاغلبية وهى القوى التى طال استغلالها والتى هى صاحبة مصلحة عميقة فى الثورة كما أنها بالطبيعة الوعاء الذى يختزن طاقات ثورية نافعة وعميقة بفعل معاناتها للحرمان .

ان ذلك فضلا عما فيه من حق وعدل باعتباره تمثيلا للاغلبية ، ضمان أكيد لقوة الدفع الثورى ، النابعة من مصادرها الطبيعية الاصيلة .

ومن هنا فان الدستور يجب أن يضمن للفلاحين والعمال نصف مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية بما فى ذلك المجلس النيابى باعتبارهم أغلبية الشعب كما أنهم الاغلبية التى طال حرمانها من حقها الاساسي فى صنع مستقبلها وتوجيهه .

٢ ــ ان سلطة المجالس الشعبية المنتخبة يجب ان تتأكد باستمرار فوق سلطة اجهزة الدولة التنفيذية ، فذلك هو الوضع الطبيعى الذى ينظم سيادة الشعب ثم هو الكفيل بأن يظل الشعب دائما قائدا للعمل الوطنى ، كما أنه الضمان الذى يحمى قوة الاندفاع الثورى من أن تتجمد بفعل تعقيدات الاجهزة الادارية والتنفيذية أو بفعل الاهمال والانحراف .

وتأكيدا لذلك فان الحكم المحلى يجب أن ينقل باستمرار وبالحاح سلطة الدولة تدريجيا الى أيدى السلطات الشعبية باعتبارها أقدر على الاحساس بمشاكل الشعب وأقدر على حسمها .

٣ ــ ان الحاجة ماسة الى خلق جهاز سياسى داخل اطار الاتحاد الاشتراكى العربى يجند العناصر الصالحة للقيادة وينظم جهودها ويطور

الحوافز الثورية للجماهير ويتحسس احتياجاتها ويساعد على ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات .

٤ ـ ان جماعية القيادة أمر لابد من ضمانه فى مرحلة الانطلاق الثورى كعاصم من جموح الفرد ، وتأكيدا للديموقراطية على أعلى المستويات وضمانا للاستقرار الدائم المتجدد .

ان تحقيق هذه الضمانات الاربعة هو الذىيمكن تحالف قوى الشعب من حل التناقض بين القوى المكونة له ديموقراطيا بحيث يستهدف فى هذاالحل دائما تحقيق أهداف المجتمع الاشتراكى أى القضاء على استغلال الانسان للانسان وتذويب الفوارق بين الطبقات .

ان الحسم يجب أن يكون دائما فى يد الطبقات صاحبة المصلحة الاصيلة فى تحقيق الاشتراكية ، ومن هنا كان تركيز الميثاق وتركيز الرئيس الراحل فى المناقشات التى تمت مع أعضاء المؤتمر القومى على نسبة الخمسين فى المائة للفلاحين والعمال .

ورغم أن الميثاق قد أشار اشارات واضحة الى أسباب ضمان هذه النسبة للفلاحين والعمال مبينا أنها الطبقات التى طال استغلالها وأنها صاحبة المصلحة العميقة فى الثورة ، وانها الوعاء الذى يختزن طاقة ثورية ، وانها الضمان لاستمرار الدفع الثورى ، فان ضمان هذه النسبة كانت موضع الهجوم الدائم من القوى الرجعية كما كانت موضع التساؤل منبعض قوى التحالف ذاته ، فلم تحظ نقطة فى الميثاق فى مؤتمر القوى الشعبية بمثل المناقشة التى دارت حول ضرورة تمتع الفلاحين والعمال بهذه النسبة ، ولم يصر جمال عبد الناصر على نقطة كما أصر عليها ، فأمام التساؤل الذى يثيره عدد من اعضاء المؤتمر عن حكمة الـ ٥٠ فى المائة يجيب عبد الناصر « ايه الحكمة ؟ ليه ٥٠ فى المائة احنا نرجع مرة ثانية نقول فى حكم الطبقة مين اللى كانوا تعبانين ومستغلين ؟ مين اللى بيشتغل ويأخذ نتيجة عرقه الثانى ؟ العامل والفلاح » .

اذن العمال والفلاحون باعتبارهم العنصر الانسانى أو القوى البشرية فى الانتاج كانوا بيقاسوا من الاستغلال ، وكانوا محرومين الى أقصى حدود الحرمان ، كانوا محرومين من الامان أو من حرية الخبز ، عايزين نعمل تعادل ، المرة دى بنقول عزلنا الرجعية عزلناها فى اللجنة التحضيرية وبنقول احنا قضينا على الاقطاع أو حطمنا الاقطاع والرأسمالية المستغلة أو حطمناها ووزعنا الارض على الفلاحين وقلنا الشعب بيسيطر على وسائل الانتاج ، والشعب يمتلك فى القطاع العام جزءا كبيرا ، وفى نفس الوقت بنقول عاوزين تذويب الفوارق بين الطبقات لكى نصل الى المجتمع الاشتراكى الديموقراطى التعاونى ، المجتمع المتحرر من الاستغلال بكل معانيه . فيه طبقة انداس عليها مئات السنين ، وفيه طبقة كانت هى صاحبة كل شىء ، مئات وآلاف السنين وهى الرجعية ، هذه الطبقة يجب أن تسقط .

فيه طبقة مغلوبة على أمرها اللى هى كانوا يعتبرونها سلع انتاجية ، وهى العمال والفلاحون لازم تطلع وتأخذ وضعها الطبيعى ، والا لن نستطيع ان نقضى على الاستغلال بكل معانيه والا لتعذر علينا ان نخلق المجتمع اللى احنا عايزينه .

وبعد أن بين الرئيس الراحل كيف كان يخدع الفلاحون والعمال بوساطة ممثلى الرأسمالية والاقطاع عاد مرة أخرى ليتساءل من الذين سيكونون أمناء على مصالح الطبقة بتاعتهم ويجيب « العامل والفلاح هو اللى يمنع ويحمى من تسلل أو تلاعب الرجعية أو التقاتها » ، وانهم « أمناء على مصالح الطبقة بتاعتهم لان العامل مش ممكن يطلع ويتحول لرأسمالى » .

وازاء الالحاح فى التساؤل عن سبب تميز الفلاحين والعمال بمركز خاص فى التنظيم السياسى وعما اذا كان ذلك لا يتعارض مع مبدأ الوحدة الوطنية لاسيما أن حقوقهم مكفولة فى المجتمع الديموقراطى الاشتراكى بحكم الاغلبية الطبيعية لهم يجيب جمال عبد الناصر اجاباته الحاسمة « أنا متأسف لازالت حقوقهم مش مكفولة » ثم يضيف باصرار « أنا باعتبر أهم نقطة فى الميثاق هى النقطة بتاعة الـ ٥٠ فى المائة » .

ويستمر هذا الاصرار واضحا بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ وفى بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ ، فقد كانت الهزيمة العسكرية فى يونيو ١٩٦٧ فرصة اغتنمتها قوى الثورة المضادة لمهاجمة أساسيات المجتمع الاشتراكى محاولة تحميل الاشتراكية والبناء الاشتراكى وزر النكسةالعسكرية واغتنام الفرصة للقضاء على كافة المكاسب التى حققها الشعب ، وكانت الـ ٥٠ فىالمائة الخاصة بالعمال والفلاحين بطبيعة الحال من بين أهم ما ركزت عليه الرجعية المحلية ، رافعة مرة أخرى شعارات الديموقراطية الليبرالية ، ومحاولة فصم التحالف بين الفلاحين والعمال من جانب وبين المثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية من الجانب الاخر ، وفى مواجهة هذا الهجوم يصر جمال عبد الناصر فى بيان ٣٠ مارس على « أن ينص الدستور على حمايةمكتسبات الاشتراكية وتدعيمها ، بما فى ذلك النسبة المقررة فى الميثاق للفلاحين والعمال ، فى كل المجالس الشعبية المنتخبة ، واشتراك العمال فى ادارة المشروعات وارباحها ، وحقوق التعليم المجانى والتأمينات الصحية ، والاجتماعية وتحرير المراة ، وحماية حقوق الامومة والطفولة والاسرة » .



ولا يسر عبد الناصر على ابراز هذا الحق فى بيان ٣٠ مارس وحسب ، بل يمارس المحافظه على ذلك الحق عمليا عند اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب ، فحتى فى أعلى المستويات وهى اللجنة المركزية يصر عبد الناصر أن يتمتع الفلاحون والعمال بنصف مقاعدها وهى أعلى سلطة سياسية فى البلاد ، وكانت قد نبتت فكرة بأنه لا ضرورة للاحتفاظ بهذه النسبة على مستوى اللجنة المركزية ولكن عبد الناصر يرفض الفكرة باصرار ويتم بالفعل تكوين اللجنة المركزية على أساس احتفاظ الفلاحين والعمال بنسبتهم المقررة فى أعلى المستويات التمثيلية والقيادية .

من هم الفلاحون والعمال ؟

واجه منح الفلاحين والعمال ضمان الحصول على ٥٠ فى المائة من مجموع مقاعد المجالس التمثيلية ، ومن مجموع قيادات التنظيمات السياسية ـ معارضة ضارية ، كما سبق وأن أوضحنا ، على أن موقف عبد الناصر الحازم من هذه القضية حسمها حسما نهائيا .

على أن ذلك لم يمنع محاولة الالتفاف حول هذه القاعدة عن طريق تعريف مطاط للعامل والفلاح يسمح للكثيرين من أعضاء الرأسمالية الوطنية والمثقفين وغيرهم من الفئات على هذه النسبة التى حددها القانون للفلاحين والعمال ، وقد بدأ الاتجاه الى ذلك منذ البداية فى مناقشات المؤتمر الوطنى نفسه ، حيث أثير السؤال عن من هم الفلاحون والعمال ؟ وهل سيكون التمثيل للفلاح المالك أو الاجير ؟ وغير ذلك من الاسئلة التى أثيرت فى اثناء المؤتمر .

ورغم أن جمال عبد الناصر رفض أن يعطى اجابة محددة لهذا السؤال تاركا تحديد التعريف للمؤتمر ذاته فقد أوضح فكره حول هذه المسألة مبينا أن المقصود هى « الطبقة التى غلبت على أمرها فى الماضى ، واللى قاست فى الماضى ، واللى عمرها ما قدرت تدخل المجالس النيابية ، واللى هى بتمثل ٩٠ فى المائة أو ٩٥ فى المائة من الشعب » .

ومع ذلك فقد جاء تعريف المؤتمر للعامل والفلاح على درجة من الاتساع التى تسمح للكثيرين من الرأسماليين الوطنيين وكبار الزراع والمواطنين أن يدخلوا ضمن الفلاحين والعمال فقد شمل تعريف الفلاحين أولئك الذين لا تزيد حيازتهم الزراعية على خمسة وعشرين فدانا ، كما شمل تعريف العمال كل من تتوفر فيهم شروط العضوية للنقابات العمالية .

وقد أبرزت التجربة العملية كيف استخدم هذا التعريف بحيث دخل فى اطار الفلاحين والعمال وكممثل لهم عديد من العناصر التى لا يمكن القول بانها من ضمن هذه الفئات التى بأست فى الماضى والتى طال حرمانها وادى ذلك الى الحد من المشاركة الفعلية للعمال والفلاحين فى قيادة العمل السياسى والتشريعى .

وقد أثار الشعب ضرورة تغيير هذا التعريف لغلق بعض الثغرات فيه واستجاب عبد الناصر بالفعل لمطالب الشعب واعلن فى خطابه بجسر الدوار فى الاول من مايو ١٩٦٨ بان ندعيم مشاركه العمال السياسية باعتبارهم قوة من قوى التحالف تتطلب تعريفا جديدا للعامل والفلاح يقول عبد الناصر بعد أن اشار الى الاصوات التى تعالت طالبه بتغيير التعريف القديم « انا مقتنع ان التعريف القديم الذى قام فى سنة ١٩٦٢ تعريف غير كاف ، وهذا التعريف لم يكن نصا فى الميثاق ، وانما كان التعريف اجتهادا من لجنة المائة اللى انعملت علشان اقرار الميثاق . التعريف القديم فات ثغرات كبيرة فعلا ، استطاع بعض الناس انهم يستخدموها ويدخلوا الانتخابات على اساس ان احنا نقبلهم كعمال وكفلاحين ، وانا باقول اذا اردنا لنسبة الخمسين فى المائة المكفولة بالميثاق ، ميثاق العمل الوطنى للعمال والفلاحين أن تؤدى دورها فى تحقيق التوازن بين قوى الشعب العاملة ودفع التطور ، فانه لابد من مقياس جديد يكفل ذلك أكثر » .

وقدم الرئيس اثر ذلك تعريفه الذى قصر الفلاحين على من لا يحوزون أكثر من ١٠ افدنة والذين عملهم الوحيد هو الزراعة وأنهم مقيمون فى الريف ، بينما حدد العمال بأولئك الذين يعملون يدويا او ذهنيا ، ويعيشون من دخل عملهم ولايحق لهم الانضمام الى نقابات مهنية .

لقد حرص عبد الناصر على استمرار تطوير الثورة وتقدمها وأوضح أن ذلك لا يمكن أن يتحقق دون مشاركة العمال والفلاحين الحقيقيين فى السلطة ، وبحيث يكون لهم من القدرة ما يؤهلهم دائما للدفاع عن المكاسب التى احرزوها وعلى دفع الثورة دائما الى أمام .

وقد أبرز الفلاحون والعمال مدى حرصهم على هذه المكاسب عندما قامت جموعهم مندفعة الى الشوارع متشبثة بعبد الناصر فى التاسع والعاشر من يونيو ١٩٦٧ ، وعندما اندفعت ملايينهم مرة أخرى معلنة اصرارها على استكمال مشوار عبد الناصر اثر الوفاة الفاجعة وعندما رصوا حقوقهم خلف خط عبد الناصر ، وخلف المؤسسات الدستورية والسياسية التى تركها ، وكان نشاطهم وسيظل هو الحامى الاساسى للثورة ، والقادر باستمرار على تطويرها وتقدمها .



د. فــؤاد مــرسى
د. محمد عجلان

طرح **عبد الناصر** حتمية التحـــول الاشتراكى بوصـــفه اســـتمرارا للثورة الوطنية فى مرحلة جديدة تكتسب فيهـــا الثورة مضـــمونا اجتماعيا متعاظما . وبذلك أصبح طريق التحول الاشتراكى هو طريقنا الوحيد لاســـتمرار الثورة الوطنية ذاتها .

ولقد طرح **عبدالناصر** طريق التحول الاشتراكى انطلاقا من احتياجات التنمية الاقتصادية الملحة . بحيث ان التحول الاشتراكى قد صار الحل الوحيد لاحتياجات التنمية الاقتصادية . وصارت التنمية الاقتصادية معيارا لا شك فيه لمدى التقدم على طريق التحول الاشتراكى . ومن خلال التنمية الاقتصادية طرح عبد الناصر كل قضايا المجتمع ، وبخاصة القضايا التالية :

١ ـ ضرورة تحقيق معدلات تنمية عالية تسمح بالقضاء على التخلف واللحاق بالعصر وتواجه الزيادة المضطردة فى السكان .



٢ ـ ضرورة بناء وتدعيم قطاع عام قوى يقود التنمية الاقتصادية كلها ويتحمل المسئولية الاولى فى بناء القاعدة الاقتصادية للتحول الاشتراكى ·

٣ ـ ضرورة قيام تخطيط مركزى يحقق الاستخدام الامثل للموارد القومية ويحل محل فوضى التلقائية الاقتصادية .

٤ ـ ضرورة تحقيق ارتفاع ملموس فى مستوى معيشة الجماهير الكادحة من العمال والفلاحين وصغار الموظفين والحرفيين ·

فعندما قامت الثورة فى يوليو ١٩٥٢ كانت مصر مجتمعا شبه اقطاعى شبه مستعمر، ومنذ البداية حدد عبد الناصر ، الابن العظيم للشعب، من بين أهداف الثورة الستة ، أن يقضى على الاقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم وأن يقيم عدالة اجتماعية ·

فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ صدر **الاصلاح الزراعى الاول** · وفى فلسفة الثورة أوضح عبد الناصر المتاعب الناجمة عن ضرورات الثورة الاجتماعية فى مرحلة الثورة الوطنية · ولقد اتجهت الثورة فى البداية لانشاء مشروعات صناعية عامة · وكان ذلك بدء تدخلها فى ميدان الانتاج · وفى عام ١٩٥٥ أنشأت الثورة لجنة التخطيط " وفى عام ١٩٥٦ تأسست وزارة الصناعة التى وضعت أول برنامج للتصنيع على مدى خمس سنوات · وكان هذ البرنامج يفترض أن تقدم الدولة ٦١ فى المائة من التمويل اللازم للاستثمارات. وكان اغلبها فى مشروعات للتصنيع الثقيل الذى يحجم عنه رأس المال الخاص · وفى عام ١٩٥٨ صدر أول قانون للتنظيم الصناعى · وكان الغرض منه تدخل الدولة لتحديد نوع الاستثمارات الجديدة فى الصناعة ·

لكن عمليات التمصير والتأميم التى بدأت عقب الغزو الثلاثى، كانت فى الواقع هى نقطة البدء لقيام قاعدة اقتصادية مستقلة عن الرأسمالية المحلية ومتحررة من نفوذ رأس المال الاجنبى ، ومملوكة في الوقت ذاته للدولة مباشرة · وصارت هذه القاعدة فيما بعد أساسا متينا للتنمية المطلوبة ·

فلقد افسحت الثورة كل مجال الرأسمالية والرأسماليين · لكنهم عجزوا بالتجربة وفى الواقع عن اجراء التنمية الاقتصادية التى كانت تلح عليها ظروف بلد متخلف قد توقف عن النمو طيلة ٤٠ سنة كاملة · ولقد كشف التطبيق فى العام الاول للخطة الخمسية التى وضعت فى عام ١٩٦٠ عن استحالة السير بالخطة مع استمرار خضوع الاغلبية الساحقة من الاقتصاد القومى لسيطرة الرأسمالية الكبيرة المحلية التى اتجهت عندئذ لتجميد الثورة لحسابها الخاص · ولهذا كان على الثورة أن تتصدى لمهمة التنمية بنفسها ·

وبعد أن نجحت الثورة من يوليو ١٩٥٢ فى الاجهاز على بقايا الاقطاع والسيطرة الاستعمارية ، تصدت من خلال تأميمات يوليو ١٩٦١ وما بعدها للتنمية الاقتصادية عن طريق القطاع العام الذى ظهر منذ ١٩٥٦ الى الوجود تعبيرا عن بدء مرحلة استقلالنا الاقتصادى وارساء الدعائم الاولى للتنمية .

وباجراءات يوليو ١٩٦١ بدأ السعى لاحداث تنمية حقيقية للدخل القومى، وتأكد الاتجاه الحاسم نحو التصنيع وبذلت المحاولات الجادة لرفع مستوى معيشة الكادحين بالحرص على سير التنمية الاقتصادية الى جانب التنمية الاجتماعية · وتوالت بعد ذلك الاجراءات تفتح باب التحول الاجتماعى واسعا ·



وهكذا فان الثورة الوطنية المعادية للاقطاع والاستعمار قد مهدت الطريق للتطور الوطنى المستقل نحو التقدم الاجتماعى · وترتبط باسم عبد الناصر الى الابد جميع الانجازات الاجتماعية والاقتصادية الاساسية التى نفذت حتى الان لصالح جماهير الشعب العامل ·

وسنقتصر فيما يلى على أهم انجازين فى عملية التحول الاشتراكى وهما : التنمية الاقتصادية المخططة وقيادة القطاع العام ·

أولا : التنمية الاقتصادية المخططة

خلال ثمانية عشر عاما انقضت منذ انطلاق ثورة ٢٣ يوليو، كان لابد للصورة العامة لكل من التنمية

الاقتصادية والتخطيط أن تتخذ اشكالا تتغير من مرحلة الى أخرى حسب ما تمليه التجربة الواقعية وما تؤثر به كل من العوامل الداخلية والضغوط الخارجية . وانما يمكن أن نتتبع فى شأنها خطا واحدا مستمر الصعود كلما انتقلنا من مرحلة الى أخرى •

لقد رسبت صراعات مرحلة ما قبل الثورة ، او فترة مخاضها ـ وذلك منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ـ عقيدة راسخة لدى جماهير الشعب وأغلبية طبقاته ان الاستقلال السياسى ليس راية اجنبية ترحل ، وجنود احتلال تجلو ، ولكنه شرط أساسى ليمتلك الشعب مقدراته بيده ويحقق استقلاله الاقتصادى • وكان واضحا انه لا يمكن المحافظة على الاستقلال السياسى بدون استقلال اقتصادى حقيقى لا شبهة ولا سيطرة لاجنبى فيه • كما كان عميقا فى فهم الجماهير ان تحرير الفرد سياسيا لا يمكن ان يتحقق الا اذا تم تحرره اقتصاديا من سيطرة الاستغلال والمستغلين • تلك كانت حصيلة اجتماعية لصراع جماهير الشعب مع الاقطاع ورأس المال، ومن خلفهما الاستعمار طوال السنوات التى سبقت يوليو ١٩٥٢ •

وتبنت الثورة مطالب الجماهير فى مبادئها الست الاولى ومن ثم ساندها الشعب • ولذلك ما ان استتب لها زمام السلطة حتى اتخذت اجراءين أساسيين فى هذا الاتجاه : أولهما هو الاصلاح الزراعى متضمنا تحديد الملكية الزراعية واستهداف توزيع الارض على الفلاحين بأمل احداث تغييرات جوهرية على هيكل المجتمع الريفى والعلاقات القائمة فيه • وثانيهما هو انشاء المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومى •

لقد كان المجلس المذكور بمثابة هيئة استشارية او مكتب خبرة فنى يدرس المشروعات ويمحصها ويقدمها جاهزة للتنفيذ لمن شاء من اصحاب رؤوس الاموال ان ينفذها • وقد كان التصور الاغلب فى ذلك الوقت ان الراسمالية منذ ان نمت فى أعقاب الحرب العالمية الاولى لم تتح لها الفرصة بسبب ضغط الاستعمار الخارجى ، وعدم تجاوب الاقطاع المحلى الحاكم معها فى أن تلعب دورها التقليدى فى أحداث تنمية صناعية للمجتمع • وفى ضوء هذا التصور كان طبيعيا ان تنفتح الافاق امام الراسمالية المحلية لتلعب هذا الدور ان ارادت • ولذلك عملت الثورة فى أول الامر فى اتجاه تهيئة الظروف لها بوضع خدمات المجلس القومى للانتاج تحت طلبها من ناحية، وبقصر استثمارات الحكومة على الاعمال ذات الصفة العامة والتى تلعب دورا حاسما فى اسراع التقدم الرأسمالى وهى الطرق والمواصلات والكهرباء والرى والصرف •

وعلى الرغم من هذا التشجيع من جانب الدولة للراسمالية فقد ظلت محافظة على خطها التقليدى وذلك بقصر نشاطها على الصناعات الخفيفة المعتادة ، وعلى أعمال الخدمات ، وكل ما كان يعطى عائدا سريعا يحقق لها الربح الوفير •ولم تقف الرأسمالية المحلية عند هذا الحد بل رفضت المساهمة فى المشروعات التى تتطلب استثمارات ضخمة وتمثل عصب التنمية الفعلية مثل الحديد والصلب والسماد والاسمنت مما أجبر الدولة على أن تتحمل وحدها العبء الاكبر فى هذه الاستثمارات بالاضافة الى ما قدمه المدخرون الصغار من شراء لاسهم هذه الشركات اثر ضمان الدولة للربح فيها •

ولم يقف نكوص الرأسمالية عند هذا الحد بل اتجهت بكل ثقلها الى صناعة البناء باعتباره يمثل أفضل عائد عندئذ ، وانصرفت تماما عن الاستثمار الصناعى الى حد أنه فى حين استثمرت ٦٠ مليونا من الجنيهات فى عام واحد فى البناء ، لم يستثمر أكثر من مليونين فى الصناعة •

وظل الظن الحسن بالرأسمالية المحلية على اعتبار ان تصرفها المضاد للتنمية ربما كان يعود الى ما تعانيه من سيطرة النفوذ الاجنبى متمثلا فى رؤوس الاموال العاملة فى المجال المحلى وفى أشخاص المديرين والمساهمين فى الشركات • ومع ذلك فحين وقع العدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦ وقامت الدولة على أثره بتمصير العديد من الشركات القائمة • عندئذ تهيأت الرأسمالية المحلية للانقضاض على هذا الصيد الجديد ، واندفعت للاستيلاء على شركات الرأسمال المالى من بنوك وشركات تأمين باعتبار أن ارصدتها تمثل قوة دافعة لها ، وقدرة للسيطرة على المقدرات الاقتصادية للبلاد

بدء تدخل الدولة

واذ اثبتت الرأسمالية المحلية خلال الاربع سنوات الاولى من قيام الثورة عدم امكان الاعتماد عليها فى احداث التنمية التى لابد منها حتى يمكن مقابلة المطالب الملحة لجماهير الشعب كان على الدولة ان تتدخل بقدراتها حتى تحاول رفع معدل التنمية الذى ظل حتى ذلك الوقت أقل مما يجب •



ولذلك انشأت الدولة المؤسسة الاقتصـــادية لتكون أداتها فى وضع رؤوس الاموال التى جمعها تأميم المصالح الاجنبية والقـدرات الاقتصـــادية التى حققها تمصير المشروعات فى الاتجاه الذى يعجل من نتائج التنمية المطلوبة .

وفى ضوء الحصار الاقتصادى الذى فرضته الدول الاستعمارية أثر فشل العدوان الثلاثى بدأت توضع ملامح خطة للتنمية فى عام ١٩٥٧ لتنفذ على مدى العامين التاليين . وكان لهذا الضـغط الخارجى بالاضافة الى احتكار السلاح الذى تم تحطيمه فى اوائل عام ١٩٥٥ أثره فى أن يتجه قدر من الاستثمارات من جانب الدولة الى انشـــاء المصانع الحربية ، والى أن تكون الاذهان متجهة الى التصنيع الواسع تحت « شعار من الابرة حتى الصاروخ » وعندما وضعت الدولة برنامج سنوات خمس للتنمية الصناعية فحسـب ادى امكان الحصول على قروض من الخارج الى قرار أن ينفذ ذلك البرنامج فى ثلاث سنوات فقط .

ولم يكن ذلك ما ميز هذه المرحلة فحسب فقد اخذت الدولة على عاتقها كل المشروعات الكبرى ذات الاثر الاساسى فى التنمية وأهمها ولا شك مشروع السد العالى وما يترتب عليه من كهربة البـــلاد ، واستصلاح وزراعة مليونى فدان على مياهه عدا أعمال استصلاح الاراضى الجارية .

وتطور تدخل الدولة فى قيادة عملية التنمية إلى أن وضعت خطة كاملة للتنمية فى كل المجالات من صناعة وزراعة وتجارة ومواصلات ونقل وتعدين وخدمات فى التعليم والصحة وهكذا لتبدأ فى عام ١٩٦٠ لخمس سنوات كاملة . وقد تعلقت الامال بتلك الخطة لتحقق نصف الطريق الى شـعار مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات . ولكن الخطة وضعت والاقتصاد القومى بأكمله تقريبا فى يد الرأسمالية المحلية فيما عدا ١٢ فى المائة من الانتاج الصناعى تسيطر عليه المؤسسة الاقتصادية وحوالى ٥ فى المائة على الاكثر من الانتاج الزراعى تسيطر عليه هيئات الاصلاح الزراعى .

ولما كانت الرأسمالية المحلية قد جربت خلال السنوات القليلة السابقة مصادر الربح السريع فى الصناعات الخفيفة والبناء وما شابهها مـن الانشطة ، وتخريب نواة القطاع العام الموجودة عندئذ فى صورة عقود التوريد ، وتهريب الاموال مستترة وراء مكاتب الاستيراد والتصدير ، فلم يكن امرا مقبولا ولا منطقيا لها أن تترك هذا لتمول خطة قومية شاملة للاستثمار بلغت احتياجاتها حوالى ١٦٠٠ مليون جنيه على خمس سنوات .

ومنذ العام الاول للخطة الجديدة اتضح أنه لا أمل لها أن تتحقق اذا ظل الكيان الاجتماعى بالصورة التى هو عليها ، وتركت أمور التنمية ليصرف مقدراتها اصحاب رؤوس الاموال (١) .

حتمية الحل الاشتراكي

انطلاقا من هذا الواقع ، كان لابد أن تتغـير الصورة كلية ، حتى يمكن دفع عجلة التنمية . ولذلك صدرت قوانين تأميم البنوك فى فبراير ١٩٦١ بهدف أن يتم التحكم فى توجيه ما لديها من أرصدة ، وصدرت قوانين التأميم فى يوليو ١٩٦١ لتضمن الدولة بهذا توجيه جميع مصادر الدخل من أجل أن يمكن توفير الاستثمارات اللازمة للخطة . « وبهذا أصبحت القوة العاملة لهذا القطـاع (القطاع العام) تمثل راسمال لا يقل عن الف مليون جنيه ، بينما الطاقة المتحركة لراسمال هذا القطاع تزيد عن هذا المبلغ عدة مرات ، بقوة اندفاع متزايد قادرة على تحريك عجلات التطور فى الزراعة وفـى الصناعة بوجه خاص » (٢) .

وأدى تجمع هذه الطاقة لدى الدولة الى أن تستطيع خلال الخطة الخمسية الاولى أن توفر كل الاســـتثمارات اللازمة سواء لقطاع الانتـاج أو الخدمات ، وبدأت تظهر الصناعات الجديدة بانتاج واسع . وأحدثت هذه آثارا عديدة على كيان المجتمع كله فقد زاد الدخل القومى بمعدل يقـل قليلا عن ٧ فى المائة سنويا ، كما ازداد دخل الفرد بحوالى ٥ فى المائة سنويا فى نفس الفترة ، وتحققت آلاف عديدة من فرص العمل .

أخطاء نتيجة طبيعة النمو

ان عملية التنمية التى بدأت تتم فى مجتمع أخذ بحتمية الحل الاشتراكى وقد كان الى سنوات قليلة قبلها مجتمعا شبه اقطاعى شبه مستعمر ، والسرعة

---

[١] انظر البيان السياسى للرئيس جمال عبد الناصر عن خطـوات تنظيم العمل الشعبى — ١٩٦١/١١/٤ .
[٢] خطاب الرئيس — ١٩٦١/١٠/١٦ .

التى كان يجب أن تتم بها هذه التنمية وبمعدلات تفوق العديد من الدول المتقدمة صناعيا ، وضعف الخبرة بالتخطيط القومى الشامل ، بحيث لم تكن خطتنا اكثر من تجميع لمقترحات استثمارية ، والعلاقة التى لم تكن محددة بين القطاع الخاص والقطاع العام ، وأثر الدراسات السابقة منذ المجلس الدائم للانتاج على اختيار المشروعات الجديدة ، وعدم مضى الوقت الكافى لنمو علاقات انتاجية جديدة تتفق مع مرحلة التحول الاجتماعى والضغوط الاقتصادية الاجنبية ، كل ذلك ادى الى أن تبدا فى الظهور فى الاعوام الاخيرة من الخطة الخمسية الاولى بعض مظاهر القصور فى التنفيذ ، وفى تحقيق أهداف الخطة ، وفى الموازنة بين الانتاج والخدمات .. وهكذا .

وكانت تلك فرصة للطعن على القطاع العام بوصفه القاعدة الرئيسية للتنمية ، والمناداة بالمشروعات الخاصة وتشجيع راس المال الخاص ، بل وتشجيع دخول رؤوس الاموال الاجنبية ، واتهام أهدافنا بانها كانت طموحة أكثر من اللازم وهكذا .

وللرئيس الراحل يرجع الفضل فى الرد على كل هذه الاتهامات ووضع الامور فى نصابها الصحيح، فقد تصدى للهجوم عامة معلنا انه ليس غريبا أن تكون عندنا أخطاء ، بل الغريب الا يكون الامر كذلك وتلك هى الظروف التى تتم فيها التنمية . فان القطاع العام وان كانت له أخطاؤه الا انه المعين الرئيسى الذى يوفر للدولة النسبة الاكبر من المدخرات ، التى توجه فيما بعد للاستثمار . وان رأس المال الاجنبى لن يمكن أن يدخل بلادنا ليساهم فى تنمية حقيقية بل سيظل يعمل على الربح فحسب ومن أقرب الطرق وبحيث لا يخلق محليا ما يحررنا من أن نكون سوقا للاحتكارات التى يرتبط بها ، وان علينا أن نحدد للرأسمال الخاص اتجاه حركته والمجالات التى يعمل فيها حتى يظل آمنا ويلعب الدور المطلوب منه فى التنمية وهكذا .

لقد أكد الرئيس الراحل أن التنمية واجب مقدس ان أردنا للثورة أن تستمر مسيرتها ، وانه اذا كان من السهل أن نرى وجوب التنمية فى فترات السلم ، فانه أوجب أن نرى ضرورتها فى فترات الحرب باعتبار ان ذلك يوجد القاعدة الاقتصادية الاساسية التى تقف خلف الجيش المحارب فى الميدان ، وباعتبار انه بدون التنمية فاننا نترك لمشاكلنا الداخلية أن تتفاقم بحيث تحقق للاستعمار ما يريده دون أن يريق دماءه من أجله .

ان المتتبع الدقيق لافكار عبد الناصر فى خطبه وبياناته وتصريحاته ومناقشاته يمكن أن يرشدنا الى الخلاصة التى خرج بها قائد الثورة فى هذا المجال والتى يمكن أن نحددها فى النقاط الاتية :

أولا : أن التخطيط القومى الشامل فى كل المجالات هو الاساس فى تحقيق التنمية بمعدلاتها المرجوة ، وبدون عثرات تبدد الجهود وتورث الاختناقات .

ثانيا : أنه لنجاح التخطيط الشامل يجب أن تحشد موارد المجتمع تحت قيادة ذات كفاءة تستطيع بحسن التوجيه ان تصل بالاستثمارات الى تحقيق المطلوب منها . وهذه هى قيادة القطاع العام .

ثالثا : أنه لكى تنجح خطة التنمية فانها لا يجوز أن تتم فى مختلف المستويات العليا فحسب ، بل يجب أن يساهم فيها الشعب مساهمة فعلية سواء فى الاقتراح عند الاعداد أو فى الفهم الواضح من أجل سلامة التنفيذ .

رابعا : ان للرأسمال الوطنى الخاص دوره الذى يجب أن يؤمن فيه ، ولكن الذى تحكم حركته الخطة القومية الشاملة سواء فى مجال الاستثمار ، أو فى مجال علاقات الانتاج .

خامسا : أنه لامجال للاستعانة بالرأسمال الاجنبى الا فى ضوء الخطة القومية الشاملة وفى فروع تعجز مواردنا وحدها عن الوفاء بالتزاماتها .

سادسا : أن الدور الاساسى للاجهزة السياسية هو فى تعبئة جهود الجماهير لتساهم ايجابيا وبكل قدرة خلاقة فى عملية البناء .

ثانيا : القطاع العام القائد

ولد القطاع العام على أيدى جمال عبد الناصر ، وبيده كتب شهادة ميلاده، فبعد محاولات التصنيع المتناثرة التى قامت بها الثورة فى سنواتها الاولى، وبعد تأميم شركة السكر وشركة التقطير المملوكتين فى الاساس لرجل الرأسمالية الكبيرة أحمد عبود وتحويلهما فى عام ١٩٥٦ الى شركة واحدة ، كان تأميم الشركات البريطانية والفرنسية ردا على العدوان الثلاثى هو نقطة البدء فى القطاع العام .



وعليها جميعا قامت المؤسسة الاقتصادية فى يناير ١٩٥٧ برأسمال متواضع لا يتجاوز ٢٨ مليون جنيه .

ولقد أتيحت الفرصة لجمال عبد الناصر فى عام ١٩٦٠ أن يشرح نشأة هذا القطاع العام . فقال : «لقد بدأ وجود القطاع العام على نطاق متسع فى الصناعة فى أعقاب الخطوة الرائعة التى تعتبر من أبرز مكاسب حرب تثبيت الاستقلال سنة ١٩٥٦ أعنى خطوة تمصير الجزء الاكبر والاهم من الممتلكات البريطانية والفرنسية فى مصر . فانه بعد تمصير هذه الممتلكات التى كانت تسيطر على المراكز الحساسة فى اقتصادنا كان اتجاهنا أن تكون هذه الممتلكات امتدادا للقطاع العام فى الاقتصاد القومى وتوسيعا لمجال نشاطه . وكان هناك من يتصور أن واجب الحكومة هو أن تبيع هذه الممتلكات الى الشركات أو الافراد الذين يمارسون نفس نوع نشاطها . وكان ذلك خروجا عن التصور الاشتراكى الذى تحتمه الظروف . ومن هنا كانت ضرورة وجود القطاع العام الذى يملكه الشعب كله » .

كان من الواضح اذن أن معركة جرت لمنع قيام القطاع العام أصلا . ولقد حسمها عبد الناصر بنفسه . وقال فيما بعد فى خطابه يوم ٢٢ يوليو ١٩٦١ : « لما اعلنا تأميم الشركات البريطانية والفرنسية ، مش تأميم ، أعلنا تمصير ، على طول اتلموا على بعض وقدموا يفط وجه القيسونى وجايب كشف متقدم له بيد الرأسماليين . وكل واحد فيهم عايز يخبط شركتين ثلاثة من الشركات المصرة ، سواء اللى أصلها فرنسية أم أصلها انجليزية . وأنا فى هذا اليوم قلت له : ان جميع الشركات بتروح للقطاع العام وان احنا من الشركات اللى اتوضعت تحت الحراسة لن نستطيع بأى حال ان احنا نخلى الرأسماليين يزيدوا من تحكمهم بأنهم يأخذوا أيضا ممتلكات فرنسا وممتلكات انجلترا . كانت الفرصة طبعا لينا فى هذا الوقت أن احنا نقيم القطاع العام ونبدأ قطاع عام فعلا على أساس واسع » .

هكذا امتنعت الرأسمالية الكبيرة عن المشاركة بأموالها فى التنمية الاقتصادية المطلوبة والتى شجعت عليها الثورة منذ بدايتها . ثم لم تكتف بهذا، بل حاولت منع قيام القطاع العام على أنقاض ممتلكات رأس المال الاجنبى ، فلما قام القطاع العام فعلا ، انخرطت فى أعمال لا حصر لها لتخريب هذا القطاع العام الوليد ، ومن ثم كانت اجراءات يوليو ١٩٦١ .

ومن الممكن أن نتوقف قليلا عند مذكرة ايضاحية لاجراء واحد من اجراءاتها . ولنقرأ المذكرة التى تقول : « ان وجود القطاع العام فى الاقتصاد أصبح امرا بالغ الحيوية اذا ما أريد اقامة مجتمع جديد قائم على الكفاية ويحميه العدل . والقطاع العام يستمد ضرورته وقوته من ظروف التطور التاريخى كما يستمد هذه الضرورة والقوة من التطلع الواقعى الى اعتبارات المستقبل . واعتبارات توفير أقصى فرص النجاح لتنفيذ الخطة مع ترك الفرصة الحرة للمجهود الفردى على أساس من عدم الاستغلال تحتم أن توجد بالدرجة الاولى قوة فعالة تمثل مقدمة الاندفاع الى الهدف وهى القطاع العام » .

وبالفعل وجدت هذه القوة الفعالة التى تمثل مقدمة الاندفاع الى الهدف، وتناولت التأميمات عندئذ حسب بعض التقديرات ما لا يقل عن ٥٠٠ مليون جنيه بفعالية تمثل ١٠٠٠ مليون جنيه وبطاقة متحركة تزيد عن هذا بكثير . ولقد سمح هذا لعبد الناصر أن يقول عندئذ فى خطابه بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩٦١ :



« لقد أصبح لدينا الآن قطاع عام فى الاقتصاد قوى يملكه الشعب بمجموعه . وهو فوق أثره الاجتماعى طليعة قادرة على فتح الطريق أمام التنمية الاقتصادية فى جميع المجالات . وأننا لنفخر أن النواة الاولى لهذا القطاع العام كانت جميع المؤسسات الاحتكارية البريطانية والفرنسية والبلجيكية . ثم أضفنا الى هذا القطاع ما قمنا نحن بانشائه طبقا لبرامج التنمية خلال السنين الاخيرة . ثم استكمل هذا القطاع قوته بما تم تأميمه أخيرا بمقتضى مجموعة القوانين الاشتراكية التى صدرت فى شهر يوليو من هذا العام » .

ثم توالت بعد ذلك التأميمات فى عام ١٩٦٣ ثم فى عام ١٩٦٤ ، بعد أن تبين « الطابع الاستغلالى الذى سلكته الرأسمالية من المغالاة غير المعقولة فى الاسعار واتخاذ مواقف سلبية حيال بعض المناقصات بلغت حد التكتل فى بعض الاحيان . وكان لهذه التصرفات المشبوهة أثرها السيىء على تقديرات الخطة لبعض المشروعات من الناحيتين الزمنية والمالية » .

وهكذا كانت التنمية الاقتصادية، وخطة التنمية الاولى، هى دائما محل اختبار الرأسمالية المحلية ونقطة البدء فى خلق وتدعيم القطاع العام . لقد دخلت الثورة عالم التحولات الاجتماعية من باب التنمية الاقتصادية . وستظل التنمية الاقتصادية دائما محكا لجدية جميع ما نتخذ من أجراءات .

على هذا النحو تكون الدولة قد دعمت القطاع العام ، وحمته من كل خطر يتهدد وجوده . وكان ذلك من خلال خطوتين حاسمتين هما :

أولا ـ تصفية مراكز الاستعمار القديم وجميع المراكز الاحتكارية ومراكز التشابك والتداخل مع الاستعمار . ولقد أجرى التأميم مع المصادرة نوعا من التراكم لمصلحة الشعب كما حمل الاستعمار والاحتكار ثم الاقطاع بعض أعباء التنمية .

ثانيا ـ توجيه الضربات القاصمة لمراكز الرأسمالية الكبيرة فى الصناعة والتجارة حتى لقد أصابت هذه الضربات أحيانا أجزاء من الرأسمالية المتوسطة ، لكنها كانت لازمة لتأمين عملية التنمية .

وبعد أن كان القطاع العام فى خطر داهم اصبح هو القوة الرئيسية الموجهة للاقتصاد القومى . بل أصبح قاعدة التحول الى الاشتراكية حيث كان عنصر نضال لتصفية السيطرة الاستعمارية على اقتصادنا ، ولوقف استنزاف الاحتكارات الاجنبية لثرواتنا الوطنية ولبناء اقتصاد متحرر يسعى للتصنيع والتنمية . ومن ثم جرت كل المعارك الحاسمة فى تاريخنا الحديث حول القطاع العام نفسه . فلقد غدا القطاع العام هو التجسيد المادى لانتصار النضال الوطنى حتى ضم اليه الجزء الاكبر من أدوات الانتاج ، مقتحما بذلك عصر الثورة الاجتماعية .

ان القطاع العام ظاهرة وطنية اجتماعية معا ، فهو بذاته مرآة لظاهرة استمرار الثورة وتطورها من ثورة وطنية الى ثورة اجتماعية ، الى ثورة وطنية ذات مضمون اجتماعى متعاظم .

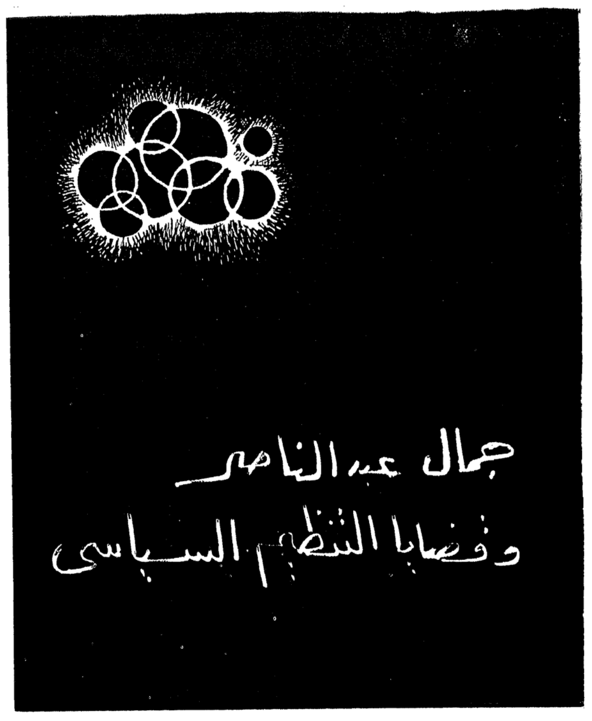
فهو **أولا** : قد اصبح قاعدة لا نزاع فيها للتنمية ، ولقد حمل عبء التنمية خلال الخطة الخمسية الاولى بنجاح، انه يقوم حاليا بنحو ٩٠٪ من حجم الانتاج القومى بدون الزراعة ويزود البلاد بما يزيد عن ٩٠٪ من حجم الادخار المستثمر . ولذلك كان من الطبيعى أن تتركز كل مشاكل التنمية الاقتصادية وكل مشاكل الخطة الخمسية الاولى حول القطاع العام نفسه .

ومن الطبيعى أن يتركز كل نقد لهما على هذا القطاع بوصفه قاعدة لا غنى عنها للتنمية الاقتصادية . وبهذه الصفة فانه يلعب دورا حاسما فى اقامة الاقتصاد الوطنى المتحرر من التبعية للمصالح الاستعمارية والسوق الرأسمالية العالمية .

وهو **ثانيا** : قاعدة اقتصادية حاسمة للتحول الاشتراكى ، يقوم على الملكية العامة لوسائل الانتاج ، ويقر مبدأ مشاركة العاملين فى الادارة وفى ثمار الانتاج ، وهو بالتالى اساس لتحقيق أمل الشعب فى تحولات اجتماعية جذرية . ان هذا القطاع العام يؤكد بدوره الحاسم على الحل الاشتراكى بوصفه الحل الوحيد للقضاء على التخلف والسير فى طريق التقدم الاجتماعى والاقتصادى . وهو بالتالى يلعب دورا رياديا فى محاولة تغيير العلاقات الاجتماعية من علاقات تقوم على الاستغلال الرأسمالى الى علاقات خالية من الاستغلال ومستندة الى الارادة الواعية لمجموع العاملين .

أنه ظاهرة وطنية بزغ من صميم المعركة الوطنية ليصبح قاعدة للمعركة الاجتماعية . ولذلك يجب أن يحميه الوطن كله من كل خطر يمكن أن يلم به . أنه حتى اليوم قاعدة الصمود الاقتصادى فى حربنا ضد العدو الصهيونى الاستعمارى .

ومن قبل أجمل عبد الناصر فى حديثه التاريخى الى مجلس الامة بتاريخ ١٢ نوفمبر ١٩٦٤ معركة القطاع العام قائلا : « لما نعمل قطاع عام بيحصل همس ، فيه ناس ليست لها مصلحة فى خلق القطاع العام ، وأنا باقول أن الشركة اللى أممت يمكن كان فيها ١٠ .. خطأ مخلصناش المية . لكن يمكن فاضل عشرين أو خمسة وعشرين . طبعا بيحصل تركيز على هذه الاخطاء . والناس اللى لا مصلحة لها فى التأميم ولا مصلحة لها فى القطاع ، واللى ليها تطلعات رأسمالية هية اللى بتحاول انها تعمل دوشة حول القطاع العام ، جميع أعداء الاشتراكية مش حيقعدوا يتكلموا على الاشتراكية . لكن بيتكلموا على القطاع العام » .



حلمي ياسين
عادل سيف النصر

فى المرحلة الراهنة — واكثر من اى وقت مضى — سوف تركز قوى الثورة المضادة نيرانها لضرب المسيرة الثورية لمبادىء وتعاليم جمال عبد الناصر — وبشكل خاص — سوف تشهد الساحة التنظيمية التى رسمها زعيم الثورة واحاطها بسياج من افكاره وآماله — سوف تشهد هذه الساحة محاولات خبيثة تهدف الى تفريغ تعاليم عبد الناصر من مضمونها ، حتى تستطيع نزع الروح من أداة قوى الشعب العاملة من الحفاظ على الثورة وصيانة الديمقراطية ، وسوف تسعى قوى الثورة المضادة دائما الى تجريد الجماهير من سلاحها الفعال فىمعركتها الكبرى من أجل التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى .

ويصبح واجب الامانة الثورية على جيل ورفاق وتلاميذ جمال عبد الناصر - ابراز وتتبع وفهم فكر وتعاليم القائد العظيم عن التنظيم

السياسى وعلاقته بالثورة ودوره الاساسى بالنسبة لاستمرارها وتقدمها •

ولما كان الاتحاد الاشتراكى العربى وجهازه السياسى الطليعى يمثلان أبرز معالم الفكر النضالى المتطور للقائد جمال عبد الناصر عن ملاءمة وتطابق اداة الثورة مع أهدافها فى مرحلة معينة وكانا يمثلان الصيغة والشكل التنظيمى اللذين قبلتهما كل القوى الوطنية والثورية ـ كضمان للتفاعل الديمقراطى بين قوى التحالف وبعضها من ناحية وبينها وبين طليعتها الاشتراكية من ناحية أخرى ، فان الاتحاد الاشتراكى العربى وجهازه السياسى الطليعى يتحملان اليوم وأكثر من أى وقت مضى مسئولية تسليح المناضلين والجماهير بالتعاليم الثورية لجمال عبد الناصر والسهر على حمايتها من التحريف والتشويه ، ويتحملان مسئولية تاريخية فى قيادة العمل الوطنى والنضالى على الجبهة السياسية والجبهة الاجتماعية ، وعلى عاتقهم تقع مسئولية تعبئة قوى الشعب العاملة المؤمنة بتعاليم عبد الناصر حقا ـ فى الاتحاد الاشتراكى العربى ، وتجميع المناضلين الاشتراكيين المصريين على المضى قدما فى المسيرة الثورية ملتزمين بتعاليم عبد الناصر والتقدم بالمسيرة نحو استكمال كل ما دعا اليه جمال عبد الناصر ولم يطل به العمر حتى يصل الى تحقيقه •

لقد منح جمال عبد الناصر قضايا التنظيم السياسى ومشكلاته الكثير من وقته وفكره وجهده ـ كان عبد الناصر يرى « أن التنظيم السياسى ـ هو علم التعبئة السياسية للامكانيات الانسانية وهو لا يختلف كثيرا فى مفهومه العام عن علم التعبئة الاقتصادية للموارد والطاقات الطبيعية والبشرية (١) •

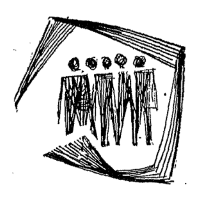
وكان جمال عبد الناصر يرى أن التنظيم « سلاح الجماهير الاساسى واداتها للثورة ـ » وأن مهمة التنظيم الشعبى ـ هى تنظيم الدفع الثورى وتجديد قواه وهى استمرار الحركة فى اطار العقائد القومية نحو مزيد من العدل الاجتماعى (٢) •

وعلى أساس هذه النظرة لدور التنظيم السياسى فان المتتبع لمراحل تشكيل فكر وتصور جمال عبد الناصر العلمى عن التنظيم يمكن أن يستخلص أن هذا الفكر والتصور قد حكمتهما عدة مبادىء أساسية :

أولا : تصور قائم على دراسة وفهم الظروف المحيطة بحركة ونضال الشعب المصرى :

يقول عبد الناصر فى كتاب فلسفة الثورة « لقد أدركت منذ البداية أن نجاحنا يتوقف على ادراكنا الكامل لطبيعة الظروف التى نعيش فيها من تاريخ وطننا » وعن هذه الظروف وما تطرحه من امكانيات يقول عبد الناصر « أنا الان أستطيع أن أقول اننا نعيش فى ثورتين وليس فى ثورة واحدة ـ ثورة سياسية يسترد بها الشعب حقه فى حكم نفسه بنفسه وثورة اجتماعية تتصارع فيها طبقاته ثم يستقر الامر فيها على ما يحقق العدالة لابناء الوطن الواحد » . ـ ثورة تحتم علينا أن نتحد ونتحاب ونتفانى فى الهدف ، وثورة تفرض علينا ـ برغم ارادتنا ـ ان نتفرق وتسودنا البغضاء » .

وكان جمال عبد الناصر يرى أن ظروف الشعب المصرى تفرض عليه أن يعيش الثورتين معا بدون فاصل زمنى يذكر ـ ومن خلال هذا الفهم المبادر لطبيعة وظروف الثورة التى يواجهها الشعب راح جمال عبد الناصر يفتش عن التنظيم القادر على تجميع أصحاب المصلحة فى كل مرحلة ، وسعى لحشدها وربطها تنظيميا بالاهداف السياسية للمرحلة المعنية •



ثانيا : تصور قائم على استخلاص الدروس المستفادة من الحركات الوطنية والثورية فى تاريخ مصر الحديث •

---

(١) من خطابه فى عيد العلم ـ ١٤ ديسمبر ١٩٦٤ •

(٢) المؤتمر العام للاتحاد القومى ـ ١٩٦٠/٧/٩ •



كان جمال عبد الناصر يرى أن الثورة التى يقوم بها غير منقطعة الصلة بما سبقها من ثورات ونضالات وطنية للشعب ــ وأن « كفاح أى شعب جيلا بعد جيل بناء يرتفع حجرا فوق حجر • وأن ثورة ٢٣ يوليو هى تحقيق للأمل الذى راود شعب مصر منذ بدأ فى العصر الحديث يفكر فى أن يكون حكمه بأيدى أبنائه وفى أن تكون له نفسه الكلمة العليا فى مصر » :•

ومن دراسة المحاولات التى لم يتحقق لها النجاح منذ تزعم عمر مكرم حركة تنصيب **محمد على** واليا على مصربأسم شعبها والثورة العرابية والمحاولات المتعددة التى شهدتها الحركة الوطنية منذ الثورة العرابية حتى انفجار ثورة ١٩ ••••. من دراسة هذه الثورات والتجارب التى لم يتحقق لها النصر ــ كان عبد الناصر يستخلص الجوانب التى حرمت الشعب من تحقيق آماله على أيدى هذه الثورات والهبات •

وكان الدرس الاساسى الذى استخلصه يتمثل فى أن فترة النجاح والازدهار فى كل ثورة اعتمدت أساسا على وحدة أبناء الشعب ضد أعدائه • وأن الهزيمة والاندحار كانت تأتى بسبب الانقسام والفرقة بين أصحاب المصلحة الحقيقية فى الثورة ــ الانقسام الذى كانت تكرسه الاحزاب التقليدية ــ لقد رفض جمال عبد الناصر فكرة تعدد الاحزاب •• ورفض فكرة التنظيم الواحد المأخوذ بها فى بعض الدول الاخرى باعتبارها دكتاتور طبقة واحدة ومن هنا فان فكر المناضل جمال عبد الناصر قد اتجه الى فكرة التنظيم الجماهيرى الذى يضم فى اطاره القوى الوطنية المتحالفة من اجل أهداف المرحلة • وطور هذه الفكرة حتى وصل بها الى صيغة الاتحاد الاشتراكى العربى اطارا لتحالف قوى الشعب العاملة : الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية مع التأكيد على الدور القيادى للجهاز السياسى الطليعى داخل الاتحاد الاشتراكى •

ثالثا : تصور قائم على أساس ضرورة تطوير الشكل التنظيمى من خلال الممارسة العملية :

ومنذ أن اهتدى جمال عبد الناصر الى أن جوهر العمل الايجابى هو التنظيم لتفجير ثورة الشعب الوطنية والاجتماعية ، لم ينظر الى التنظيم كأداة جامدة أو كشكل أبدى غير متغير • وانما دأب على اكتشاف أشكال التنظيم السياسى الملائم لكل مرحلة ، وحدد له مهامه ودوره ، وكان اكتشاف الصيغ واختيارها ينبع من خلال المعاناة الشخصية والمعارك المتصلة ضد قوى التخلف وبالاستجابة للاراء والانتقادات التى كانت القيادات والجماهير تعبر عنها ــ وهكذا تقدم عبد الناصر خلال نضاله من جماعات الاغتيال السياسى الى تنظيم الضباط الاحرار الى هيئة التحرير الى الاتحاد القومى فالاتحاد الاشتراكى العربى •

ليس هذا فحسب بل كان عبد الناصر حريصا على تصحيح مسار أى تنظيم خلال المرحلة المعنية ، سواء باستبعاد بعض القيادات التى تجاوزتها المرحلة كما حدث فى تنظيم الضباط الاحرار ، والذى أصبحت قيادته بعد الثورة تسمى «بمجلس قيادة الثورة » ــ او فى ايجاد الاشكال والعلاقات التنظيمية التى تدفع بالعمل أو اعادة التشكيل كله كما حدث فى الاتحاد الاشتراكى العربى الذى اعيد بناؤه بالانتخابات من القاعدة حتى القمة بعد صدور بيان ٣٠ مارس •

وهكذا جسد جمال عبد الناصر من خلال تأسيس واعادة بناء الاتحاد الاشتراكى عدة مفهومات أساسية تحكم حركة التنظيم السياسى :

ان تنظيم تحالف قوى الشعب هو أعلى سلطة فى البلاد •

كان عبد الناصر يعمل من أجل خلق تنظيم جماهيرى واسع يضم قوى الشعب العاملة ويستطيع أن يقود الشعب فعلا بالوسائل السياسية •

« ان الاتحاد الاشتراكى العربى هو تنظيم سياسى يسعى الى أن يحقق ويضمن وضع سلطة الدولة فى يد تحالف قوى الشعب العاملة وفى خدمتها » (٣) •

ولقد كافح عبد الناصر من أجل تحويل الاتحاد الاشتراكى من تنظيم يستند الى السلطة الى تنظيم يسند السلطة ويقودها ••

« كنا نعتمد فى الاثنى عشر سنة الماضية فى العمل الاشتراكى والعمل الوطنى على الجهد الادارى ــ وكان اعتمادنا على العمل الشعبى محدودا ــ وقد وصلنا فى المرحلة التى نمر بها الان ــ الى مرحلة التحدى بين القوى الاشتراكية والقوة المضادة للاشتراكية ــ نريد أن نضع سياسة تنظيمية جديدة يكون أهم شىء فيها هو العمل ــ ولا نريد أن نعمل بطريقة الوزارات والادارات (٤) •

---

[٣] مؤتمر الانتاج ــ ١٩٦٦/٣/١٨

[٤] مفهوم العمل السياسى ــ من اقوال الرئيس جمال عبدالناصر [المعهدالعالى للدراسات الاشتراكية]

ومنذ ان طرح جمال عبد الناصر صيغة الاتحاد الاشتراكى العربى حرص على أن يؤكد على « **ان الاتحاد الاشتراكى العربى هو تجسيد حى لسلطة الشعب تعلو جميع السلطات وتوجهها فى كافة المجالات وعلى جميع المستويات** » [٥] .

وكلما ازداد العمل السياسى رسوخا ازداد الامل اقترابا امام ناظرى جمال عبد الناصر وازداد اصراره على أن تحالف قوى الشعب العاملة يجب ان تكون سلطاته كاملة . وفى خطابه امام اول اجتماع للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى فى ٢٣ يوليو ١٩٦٨ اعلن جمال عبد الناصر «**منذ البداية فانى أود أن أعلن أمامكم موقفى ليس هناك سلطة فى الدولة كلها ولا ينبغى ان تكون هناك سلطة فى الدولة كلها أعلى من سلطة هذا المؤتمر باعتباره التجسيد الحى لسلطة تحالف قوى الشعب العاملة** » .

٢ ـ ان تحالف قوى الشعب تنظيم اختيارى يقوم على أساس الديموقراطية .

اكد جمال عبد الناصر على أن الانضمام للاتحاد الاشتراكى العربى اختيارى ، وانه يقوم على أساس الانتخاب من القاعدة حتى القمة ، مع ضمان نسبة ٥٠ فى المائة للفلاحين والعمال فى مستوياته القيادية ، وتعمل مستوياته على أساس القيادة الجماعية وممارسة النقد والنقد الذاتى ـ وان قيادة التنظيم لابد وان تكون وثيقة الصلة بالجماهير .

وكان عبد الناصر يرى أن قيادة التنظيم لا يمكن ان تنمو الا على مبدأ الاتصال بالجماهير بمعنى انها من الضرورى ان تأخذ من الناس آراءها وأفكارها وتقوم بتنظيمها وتنسيقها ثم اعادتها ثانية . وان الارتباط بالجماهير لا يمكن أن يكون قاصرا على السرادقات والخطب من خلال الميكروفونات وانما من خلال معايشة الجماهير والالتحام بها وحل مشكلاتها ـ وكان عبد الناصر يرى ان أى شخص غير مرتبط بالجماهير غير مفيد»، هذا الشخص لا تشغل نفسك به ولا تضيع وقتك معه مهما كان علمه عاليا ـ علمه يمكن ان يفيدنا فى مجال علمى ولكن فى مجال الاتصال بالناس نحتاج الى الشخص المؤمن بالناس ، المؤمن بالجماهير القادر على الالتحام بالناس (٦) .

دور التنظيم الطليعى داخل الاتحاد الاشتراكى

كان جمال عبد الناصر يرجع الكثير من سلبيات العمل السياسى داخل الاتحاد الاشتراكى العربى الى غياب التنظيم الطليعى الذى يضم العناصر الاشتراكية داخل الاتحاد الاشتراكى ـ وقد نص الميثاق على « ان الحاجة ماسة الى خلق جهاز سياسى جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكى العربى يجند العناصر الصالحة للقيادة وينظم جهودها ويبلور الحوافز الثورية للجماهير ويتحسس احتياجاتها ويساعدها على ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات » .

وكان جمال عبد الناصر يعلق اهمية خاصة على وجود هذا التنظيم الطليعى . وفى كل حديث له عن تنشيط الاتحاد الاشتراكى كان يؤكد على أهمية دور التنظيم الطليعى .

« الهدف الاساسى هو أن ينشط الاتحاد الاشتراكى كاتحاد جماهيرى يجمع كل الجماهير ـ وفى نفس الوقت يخلق تنظيما سياسيا مبنيا على تجميع الاشتراكيين الحقيقيين . اننا نطبق الاشتراكية بدون اشتراكيين ، وانا لا استطيع ان اقول اننا نطبق الاشتراكية باشتراكيين ـ والحقيقة اننا نطبق الاشتراكية ونريد ان نوجد الاشتراكيين بعد ذلك .

ويشرح عبد الناصر تفكيره فى التنظيم الطليعى داخل الاتحاد الاشتراكى بقوله « فى تصورى ان الجهاز السياسى لابد وان يكون عبارة عن حزب اشتراكى . وهذا هو الذى نقصد ان يكون لدينا فى كل مصنع لجنة تمثل الجهاز السياسى ولجنة تمثل الاتحاد الاشتراكى . وبذلك يكون لدينا تنظيمان ـ تنظيم عام يجمع كل الناس وتنظيم خاص يجمع الصفوة من الاشتراكيين الذين يمكن ان يكونوا الدعاة الحقيقيين للاشتراكية ـ والذين يعتبرون بمثابة العمود الفقرى للاشتراكية (٧) .

---

[٥] خطاب عبد الناصر فى جلسة المؤتمر الوطنى ـ ٢٦ مايو ١٩٦٢ .
[٦] من حديث جمال عبد الناصر مع امناء المكاتب التنفيذية ـ يناير ١٩٦٦
[٧] مفهوم العمل السياسى من اقوال جمال عبد الناصر [مطبوعات المعهد العالى للدراسات الاشتراكية] .



« الاتحاد الاشتراكى هو كل الجماهير والجهاز السياسى هو الحزب السياسى الاشتراكى المبنى على تجميع القوى الاشتراكية ـ وهو ما نركز عليه كهدف ، والا فانه سيكون لدينا جنود بدون قيادات او قيادات بدون جنود » .

● **تطور أشكال التنظيم السياسى عبر المراحل النضالية لعبد الناصر :**

لقد ادرك جمال عبد الناصر فى وقت مبكر من نضـاله ، وبعـد أن تجـاوز مرحلة الحمـاس الانفعـالى ، ادرك ان تحقيق اهداف الشـعب وآماله تتطلب عملا اعمق من مجرد مظاهرة صاخبة وشعارات تطرح او رصاصات تطـلق لتخليص الشعب من هذا الفرد او ذاك ـ ثم سرعان ما يتلاشى ضجيجها ويتبدد وسط فترات المد والجزر الثورى لحركة الجماهير التلقائية ، وبين تخبط الاحزاب التقليدية جميعا وتخليها عن الثـورة الوطنية وأهدافها .

الضباط الأحرار ـ التنظيم السـياسى المفجـر للثورة

ومن خلال التجربة التى عاشها جيل عبد الناصر فى سنوات تفسخ وانحلال النظام الملكى الاقطاعى واليأس من الاحزاب القائمة واحـدا بعـد آخر ـ اكتشف عبـد النـاصر هدفه المباشر ، ولم يكن جمـال عبـد النـاصر يقف بفـكره واحساسه ، امام المشكلات التى كان يعـانيها كضابط فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ـ وانما كان فكره مع الشعب فى أرض مصر « كنا نحارب فى فلسطين ـ ولكن احلامنا كلها كانت فى مصر ـ ولم التقِ فى فلسطين بالاصدقاء الذين شاركونى فى العمل من اجل مصر ـ وانما بالافكار التى انارت امامى السبيل » .

لقد حدد عبد الناصر الى اين يجب ان توجه الضربة ـ لابد من تخليص الشعب من الحكم الملكى الذى يمكن الاستعمار من السيطرة على البلاد .

ومن أجل تحقيق هذه الامال ـ حدد عبد الناصر وسيلته ـ تشكيل « الضباط الاحرار من قوة يقرب ما بين افرادها اطار واحد ـ يبعد عنهم الى حد ما صراع الافراد والطبقات وان تكون هذه القوة من صميم الشعب ، وأن يكون فى استطاعة افرادها ان يثق بعضهم ببعض ، وأن يكون فى يدهم من عناصر القوة المادية ما يكفل لهم عملا سريعا حاسما » .

وقد حرص عبد الناصر فى قيادته لمجموعة الضباط الاحرار التى كانت تعمل سرا فى صفوف القوات المسلحةان تكون المجموعة على صلة بحركة الجماهير الشعبية العارمة التى كانت تموج بها البلاد فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ـ وان يوصل اليها التنظيم بياناته ومنشوراته التـى احتوت على اهدافه وآماله وشرحا لبعض نضالاته ضد الملك وقيادة الجيش من أذنابه .

كان جمال عبد الناصر يرى « ان الامة كلها متحفزة متأهبة وأنها لا تنتظر الا طليعة تقتحم امامها السور » ، وكان يرى فى الضباط الاحرار هذه الطليعة المرتقبة التى سوف تفجر ثورة الشعب ، ولم يكن يرى فيها مجرد مجموعة عسكرية تهدف الى انقلاب عسـكرى او تعمل فقط من اجـل مشكلات خاصة بالقوات المسلحة .

وفى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قاد جمال عبد الناصر المجموعة بنجاح ، ومن خلفها اقسام واسعة من القوات المسلحة للاستيلاء على السلطة . ولم يكن هذا التحرك محاولة لاستخدام الجيش لتشديد قبضة الرجعية على الحـكم او لقمـع الحـركة الجماهيرية وتصفيتها واقامة دكتاتورية عسكرية ، وان كانت فى حقيقة الامر ـ استيلاء قيادة تنظيم سياسى على السلطة له شعارات سياسية محددة مرتبطة بالاهداف العامة للجماهير ، وقدكان تدخل الجيش يوم ٢٣ يوليو بمثابة فتح الباب امام العمل الثورى ، ولقد كان تصورى الشخصى كواحد من الذين اشتركوا فى احداث ٢٣ يوليو ـ ان الشعب يتحفز الى ثورة وان العقبة الوحيدة هى ان القلة الحاكمة سواء فى ذلك الاستعمار أو القصر أو الاحزاب أو الرجعية ترهب جموع الشـعب لسيطرتها على الجيش وسلطتها فى اصدار الامر اليه بقمع كل ثورة يختلـج بهـا الكيـان الشعبى (٨) .

هيئـة التحـريـر تنظـيم سياسى لتحقيق الاسـتقلال

وبمجرد انتصار الثورة واسـتقرارها راحت تبحث عن أصحاب المصلحة فى الثورة وتسعى للارتباط بهم وتنظيمهم وحشد طاقاتهم ـ وكان على الثورة ان تواجه ثلاث مشاكل اساسية تؤثر تأثيرا سلبيا فى جهودها التنظيمية :

[٨] خطاب جمال عبد الناصر امام مؤتمر الاتحاد القومى ـ ١٩٦٠/٧/٦ .

١ ـ لقد وجدت الثورة المنتصرة أن الوعى بضرورة التغيير فى مصر قد سبق الوعى التنظيمى بمراحل طويلة ، وأن الاحزاب السياسية التى كانت قائمة قبل الثورة قد فشلت فى ايجاد الشكل التنظيمى العلمى للحزب ، وفشلت فى ايجاد تقاليد حزبية راسخة يمكن فى اطارها ممارسة العمل السياسى ومشاركة الاعضاء الحزبيين فى رسم وتوجيه سياسة الحزب ، وكانت الاحزاب تعتمد على النفوذ المباشر لزعمائها على الجماهير ، وفيما عدا الجماعات القابضة على زعامات الاحزاب لم تكن هناك تنظيمات حزبية بالمعنى المفهوم ، اما صلة الجماهير بأى حزب فى ذلك الوقت فلم تكن تتعدى التجمهر فى السرادقات والمواكب وقراءة جريدة الحزب والادلاء بالاصوات لصالح الحزب فى الانتخابات .

ليس هذا فحسب ، بل ان هذه الاحزاب كلها قد تكاتفت من قبل لتخريب واجهاض المحاولة التى حققتها العناصر الثورية فى صفوف العمال والطلبة والمثقفين ـ لايجاد شكل تنظيمى جديد (اللجنة الوطنية للطلبة والعمال) كاطار لحركة الجماهير العارمة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .

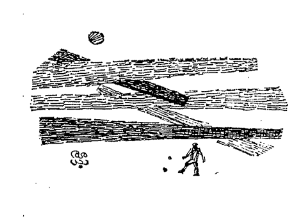
وبعد انتصار الثورة حاولت قيادات الاحزاب التقليدية مواصلة لعبتها ووضع الثورة تحت وصايتها ، الا ان قيادة ثورة ٢٣ يوليو لم تستسلم ، وهكذا ، وبعد حل الاحزاب .

فى ١٦ يناير ١٩٥٣ ، قامت هيئة التحرير كاطار لوحدة كافة الفئات الوطنية من أجل تحقيق الاستقلال ومحاولة « أن تجمع كل الناس من أجل تصفية الاحزاب الاخرى التى كانت موجودة » .

وقد نص ميثاق هيئة التحرير على ان هدفها « اجلاء الغاصب عن وادى النيل بلا قيد او شرط ، وأن يكفل للسودان تقرير مصيره دون مؤثر خارجى واقامة مجتمع قوى أساسه الايمان بالله والوطن والثقة بالنفس والتعبئة فى تنفيذ برامج التعمير والانشاء ، وجعل مصر دولة قوية تتحمل مسئولية العدل والحرية وتسعى لخير الانسان وتعاون الشعوب العربية » .

٢ ـ ان الاصل هو أن تكون التنظيمات السياسية او الاحزاب للنضال من أجل الوصول للسلطة .. ومن هنا فان عضو الحزب يختبر فى مواجهة السلطة ـ ولكن الثورة واجهت مسئولية تنظيم الجماهير بعد الاستيلاء على السلطة فعلا ـ ومن هنا فقد اندفع الجميع بما فى ذلك رجال الاحزاب القديمة والانتهازيون تحت شعار « كلنا هيئة التحرير » الى تغيير جلودهم ورفع عقيدتهم بتأييد الثورة وتمجيدها ـ وفى نفس الوقت لم تكن هناك قيادات قادرة على قيادة العمل .

٣ ـ وقد رأت قيادة الثورة ان توجد نوعا من التنظيم يهدف الى تأمين مسار الثورة واحكام القبض على جهاز الحكم ـ لقد اصبحت المجموعة القيادية للضباط الاحرار مجلسا لقيادة الثورة تتمثل فيه أعلى السلطات . وكان هناك ضباط يتولون مراكز سياسية فى هيئة التحرير والجهاز التنفيذى مع احتفاظهم بمراكزهم فى الجيش ورتبهم العسكرية . الا أنه منذ عام ١٩٥٤ تم الفصل الواضح والمحدد بين عمل الكادر العسكرى وبين الكادر السياسى فى هيئة التحرير ، والجهاز التنفيذى والادارات المختلفة ، ولم يعد ممكنا الجمع بين العمل فى الجيش والعمل فى المنظمات السياسية أو الاجهزة التنفيذية .



وحرص جمال عبد الناصر على ان يتحقق هذا الفصل على كافة المستويات . غير أن هذا التطور لم يعن مطلقا تحول الجيش الى جيش محترف لا علاقة له بالثورة واهدافها ـ بل لقد أكد الميثاق « الجيش بالنسبة للشعب الطليعة الثورية المقاتلة والمدافع عن الثورة ومنجزاتها ـ وأن الجنود والضباط جزء من قوى الشعب العاملة التى يمثلها الاتحاد الاشتراكى العربى » .

وعاشت هيئة التحرير حتى عدوان ١٩٥٦ ـ ويرى جمال عبد الناصر أن هيئة التحرير « كانت اقترابا غير منظم من مجموعة من الامانى العامة ليس لها منهاج تفصيلى تلتقى عنده جهود جماعية على أساس فكرى واضح لتصدر عنه ارادة شعبية عميقة ومؤثرة » . وأنها حققت بعض النجاح فى مواجهتها للاحزاب .



الاتحاد القومى من أجل دعـم الاستقلال والتنمية

وبعد اندحار العدوان الثلاثى كانت المهمة التى تواجه الثورة هى مهمة بناء اقتصاد قومى مستقل وقوى يعتمد أساسا على الصناعة ويسير وفق خطة للتنمية الشاملة ـ بدأت الثورة اولى خطواتها بتمصير المؤسسات الفرنسية والبريطانية والتقدم نحو التنمية الاقتصادية المخططة وطرح الرئيس عبد الناصر أفكاره الاولى عن أهداف الاشتراكية الديمقراطية التعاونية .

وطرح عبد الناصر فكرة الاتحاد القومى ليكون اطارا لتنظيم الجماهير فى مرحلة تدعيم الاستقلال وبناء الاقتصاد ـ وليكون ـ فى رأيه ـ اطارا حول صراع الطبقات ، وليجنب البلاد ويلات الخلافات الا أن عدم وجود دليل للعمل الثورى ، وتصور امكانية المصالحة مع الرجعية على أسس وطنية ـ وان الطبقة الرأسمالية التى كانت الثورة تسعى لسلبها امتيازاتها يمكن أن تقبل الوحدة الوطنية مع قوى الشعب صاحبة المصلحة فى الثورة ، جعل القوى الرأسمالية داخل الاتحاد القومى ان ترث المؤسسات والشركات البريطانية والفرنسية التى مصرت ، ووقفت ضد أية محاولة للحد من امتيازاتها ، ويعلن جمال عبد الناصر « كان خطؤنا أننا فتحنا الطريق الى الاتحاد القومى أمام قوى تسللت الى الاتحاد القومى وتمكنت من شل فاعليته الثورية وحولته الى واجهة تنظيمية لا تحركها قوى الجماهير ومطالبها الحقيقية » .

وبلغت التناقضات ذروتها فى أعقاب بدء التحولات الاجتماعية بعد صدور قوانين يوليو ١٩٦١ . كان بعض الذين يتصدرون قيادة الحركة الرجعية الانفصالية فى سوريا ـ كانوا هم انفسهم من المتصدرين فى منظمات الاتحاد القومى .

هنا أدرك جمال عبد الناصر بحاسته السياسية والتنظيمية ، أن أهم ما يواجهنا اليوم هو اعادة التنظيم الشعبى ليكون الاتحاد القومى أداة ثورية للجماهير الوطنية وحدها صاحبة الحق والمصلحة فى التغيير الثورى . لابد وأن يكون الاتحاد القومى للعمال والفلاحين والمثقفين ولاصحاب المهن والملاك الذين لا تقوم ملكيتهم على الاستغلال وللضباط والجنود الذين كانوا طليعة يوم التغيير الكبير يوم ٢٣ يوليو ـ لاصحاب الثورة الحقيقية ـ لحماتها وللمدافعين عنها الذين تتحقق بالاشتراكية آمالهم (٩) .

وفى ٤ نوفمبر ١٩٦١ اعلن عبد الناصر فى بيان سياسى وجهه للشعب ـ انه لابد من اعتبارات رئيسية ثلاثة يتحتم مراعاتها فى تنظيم القوى الشعبية :

١ ـ أن يتم التنظيم على أساس من الدراسة الدقيقة التى تكفل تعبئة حقيقية وأصيلة وبحيث يكون التمثيل الشعبى اوسع ما يكون وأعمق ما يكون فى نفس الوقت .

٢ ـ يجب أن يرتبط العمل الوطنى الثورى بميثاق محدد واضح ـ وذلك يعنى ضرورة أن توضع حصيلة التجارب الثورية التى عاشها شعبنا وأن توضع مع هذه الحصيلة آماله البعيدة وأن يضم هذا كله فى اطار شامل يضع منهاجا واضحا للعمل الثورى .

٣ ـ أن الشعب نفسه هو الذى يتحتم عليه أن يقود التطور ـ وأن حصيلة التجارب الثورية لوطننا قد خلقت الان ظروفا يمكن فيها للديمقراطية الحقيقية المتحررة من السيطرة الخارجية ومن الاستغلال الداخلى أن تحقق وجودها العقلى والعملى .

ويمكن القول بأنه منذ ذلك الوقت ـ وحتى وفاته ـ أعطى جمال عبد الناصر قضية التنظيم السياسى اهتماما بارزا وجهدا ملحوظا . وكان دائما يدفع بالتنظيم للامام فى محاولات متتالية لرفع كفاءته ، وتطوير أسلوب عمله وتخليصه من السلبيات التى تؤخر التلاحم التنظيمى ـ والارتباط بالجماهير ـ وكان عبد الناصر حريصا على أن يكون قريبا جدا من القيادات السياسية والشبابية يوجهها ويرشدها ويناقش معها المشكلات ـ بحثا عن الحلول المناسبة .

وفى هذه الانعطافة التنظيمية البالغة الاهمية ـ قدم عبد الناصر الميثاق كبرنامج ودليل للعمل الثورى ـ ليجسد الظروف الجديدة التى نشأت بعد صدور قرارات يوليو مؤكدا على المبادىء الاساسية التالية .

١ ـ ان الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية .

---

[٩] خطاب عبدالناصر ـ ١٦ اكتوبر ١٩٦١ .

٢ ــ إن الديمقراطية هي سلطة مجموع الشعب وسيادته وان الصراع الحتمى والطبيعى بيـن الطبقات لا يمكن تجاهله أو انكاره ــ وانما ينبغى أن يكون حله سلميا فى اطار الوحدة الوطنية وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات .

٣ ــ ان الوحدة الوطنية التى يصنعها تحالف هذه القوى الممثلة للشعب هى التى تستطيع ان تقيم الاتحاد الاشتراكى العربى ليكون السلطة الممثلة للشعب .

٤ ــ يجب أن يتضمن الدستور ان يكون للفلاحين والعمال نصف مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها بما فيها المجلس النيابى ــ وان سلطة المجالس الشعبية المنتخبة يجب أن تتأكد باستمرار فوق سلطة أجهزة الدولة التنفيذية .

وكان تشكيل الاتحاد الاشتراكى العربى فى مرحلته الاولى مختلفا عن تشكيل كل من هيئة التحرير والاتحاد القومى . لقد أصبحت عضوية الاتحاد الاشتراكى العربى على الراغبين فيهـا اختياريا وليست عامة بالنسبة لجميع المقيدين فى جداول الانتخاب كما كان الحال بالنسبة لهيئة التحرير والاتحاد القومى ، ومع ذلك فان حجم العضوية وقت تأسيس الاتحاد الاشتراكى قد وصل الى ما يزيد عن ستة ملايين عضو .

وقام البناء التنظيمى للاتحاد الاشتراكى على أساس جغرافى ــ قاعدته لجان للوحدات ومجالات النشاط من عشرين عضوا ولجنة لكل قسم ثم لجنة لكل محافظة وقد تم تشكيل لجان الوحدات ولجان الاقسام بالانتخاب أما لجان المحافظات فتكونت بالاختيار وليس بالانتخاب ولم تشكل لجنة مركزية وانما كانت القيادة للجنة التنفيذية العليا .

وقد عانى الاتحاد الاشتراكى بعد تأسيسه من عدة عوامل :

١ ــ نجاح عدد كبير من اعضاء اللجـان فى الانتخابات للوحدات والاقسام نجاحا عشـوائيا بسبب اشتراط ان يختار الناخب عشرين عضوا لم يكن ــ فى الغالب ــ يعرف أكثر من نصفهم .

٢ ــ استيلاء عدد كبير جدا من غير العمال والفلاحين على مقاعد العمال والفلاحين بسبب التعريف الذى وضعته لجنة المائة للفلاح والعامل ــ والذى حددت الفلاح بأنه كل من لا تزيد حيازته ملكا او ايجارا على ٢٥ فدانا ــ وتعريف العامل بأنه كل من له حق الانضمام للنقابة العمالية .

٣ ــ احتلال غالبية المسئولين عن العمل الادارى او التنفيذى عددا غير قليل من مقاعد اللجان ــ مما جعل العمل يطبع بالاسلوب الادارى وفى بعض المواقع أدى الى شل اللجان وتحويلها الى فروع للادارة .

٤ ــ عدم وضوح الاسس التنظيمية والسياسية التى تنظم العلاقة بين اللجان والمستويات القيادية للاتحاد ــ وبينها وبين اللجان النقابية وأعضاء مجلس الادارة المنتخبين .

٥ ــ عدم وجود الجهاز السياسى الذى نص عليه الميثاق بحيث تستطيع العناصر الاشتراكية الملتزمة تولى قيادة الاتحاد الاشتراكى .

وبعد عام ونصف من بدء تشكيل لجان الاتحاد الاشتراكى أعلن عبد الناصر أمام الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى التى تشكلت لاول مرة من قيادات متفرغة لقيادة العمل اليومى « أن هناك انعزالا بين القيادة وبين الناس ، وأن تنظيـم الاتحاد الاشتراكى حتى الان هو تنظيم علـى الورق ، ويجب ألا نلقى العيب على الناس بينما نحن الذين تركناهم وتركنا لجان الاتحـاد الاشتراكى لمدة سنة ونصف ولم نحدد للجـان العشرين العمل الموكول اليها .

وفى محاولة لدفع الحياة داخل اللجان دعا القائد والزعيم الى ايجاد مقرات للجان واجهزة فعالة للاتصال مع الامانة ، واعـداد البحـوث اللازمـة فى مختلف القضـايا ، وقبل هـذا وذاك دعا الى الارتباط بالجماهير وتفهم مشكلاتها والعمل على حلها ــ وانشاء معهد عال للدراسات الاشتراكية لتحقيق الوحدة الفكرية بين القيادات .

وركز جمال عبد الناصر فى هذه الفترة على أهمية ايجاد الكادر السياسى القيادى الذى يجب أن يكون مؤمنا بالاشتراكية جماهيريا وحركيا وأن يكون قادرا على التنظيم ، والح على ان يتم اختيار هذه العناصر على أساس العمل الجمـاهيرى والاكتشاف أثناء ممارسة العمل نفسه وليس على اساس الاختيارات الشخصية ــ وكان جمال عبد الناصر يرى أن وجود هذه الكوادر هو الضمان لعقد مؤتمر الاتحاد الاشتراكى .

وللتغلب على الصعوبات الناشئة من تكوين اللجان على النحو الذى أتت به الانتخابات طرحت أولا فكرة الجماعات القيادية ، وهى تحويل اللجنة المنتخبة الى جماعة قيادية تضم العناصر التى نشطت بعد انتخابها وكذلك العناصر النشطة



والبارزه فى العمل السياسى أو النقابى أو فى خدمة الانتاج ولم تكن عضوا منتخبا .

الا أن توسع بعض الوحدات فى تشكيل اللجان القيادية من أعداد كبيرة تطرح مرة ثانية اهمية وجود قيادات صغيرة العدد متماسكة ، مختارة من واقع المرحلة التى مرت منذ الانتخابات . فتشكلت المكاتب التنفيذية للمحافظات والاقسام والوحدات من عدد محدود من القيادات ،وقد اتاح هذا الشكل الغرض لبروز عدد من القيادات الجديدة ـ وكشف عدد آخر من العناصر التى تعتمد على المظهرية والاعمال المكتبية والعاجزة عن قيادة الجماهير فعلا .

بيـــان ٣٠ مارس

وجاءت نكسة يونيو ٦٧ ـ لتطرح الجماهير اسئلة عديدة كان الحوار حول بعضها قد بدا قبل النكسة ـ يقول عبد الناصر : « من قبل النكسة بدت عيوب وبدت مظاهــر لابد من تداركهـــا ، والمناقشات من أجل التصحيح بدأت على أوسع نطاق وفى ٣٠ مارس قدم جمال عبد الناصر خطة للعمل السياسى فى المرحلة التالية سميت بتاريخ اعلانها [بيان ٣٠ مارس] .

ويصف جمال عبد الناصر بيان ٣٠ مارس بأنه « هو فى النهاية خلاصة حوار بدا من قبل النكسة واشتركت فيه مع كل قوى الشعب العاملة ـ اشتركت فيه قبل النكسة واشتركت فيه بعد النكسة وكان واجبى أن أقوم بتلخيصه وبتخليصه من اى شائبة ـ وان اقوم بعملية ملائمة بينى وبين الظروف بحكم ما أتحمله من المسئولية وده كان دورى الوحيد فى البيان » .

وبيان ٣٠ مارس يتضمن فى الواقع قسمين : اولهما اهداف عامة للنضال الشـــعبى ، والثانى وسائل تنفيذية لضمان التحقيق وحمايته .

لقد أكد بيان ٣٠مارس على أنه لا ينبغى أن يعلو اى صوت على صوت المعركة ورسم الطريق الى بناء الجيش القوى وحشد كل الطاقات العربية الرسمية والشعبية لصالح المعركة .

كما أكد بيان ٣٠ مارس على ضرورة تأكيد سلطة قوى الشعب العاملة بالديمقراطية وتجسيدها فى الاتحاد الاشتراكى الذى يعاد بناؤه بالانتخابات وحدها من القاعدة الى القمة وان يعقد مؤتمر عام للاتحاد الاشتراكى يمثل أعلى سلطة فيه تنبثق عنه لجنة مركزية ينتخبها المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى وتنتخب اللجنة المركزية رئاستها اى لجنتها التنفيذية العليا .

ودعا عبد الناصر جميع القيادات من اعضاء اللجنة التنفيذية العليا والامانة العامة والامانات العامة أن يتقدموا للإنتخابات مع كل المواطنين .

لقد صوت الشعب بالاجماع على تأييد بيان ٣٠ مارس وتم تنفيذ الخطوات المتتالية فى تشكيل مستويات الاتحاد الاشتراكى حتى تم انعقاد المؤتمر القومى العام فى ٢٣ يوليو ١٩٦٨ .

ولقد اولى المؤتمـــر القومى قضـــايا التنظيم السياسى اهتماما ملحوظا فى دوراته المتتالية واتخذ عددا من التوصيات الهامة لدعم وتنشيط العمل السياسى وتوسيع قاعدته القيادية وربطه بالتنظيمات المساعدة النقابية والشبابية والمهنية .

الاتحاد الاشتراكى والتنظيمات الشعبية

ان اصالة عبدالناصر كقائد ثورى كانت تنبع من ارتباطه ورجوعه فى الاوقات الحـــاسمة الى الجماهير الشعبية ، ومن أجل تمكين الجماهير من حشد امكانياتها ودعم قدرتها على التحرك السياسى الفعال كان عبد الناصر يرى ضرورة :

« أن تتواجد لخدمتها الاجهزة والتشكيـــلات والتنظيمات الســـياســـية والاجتماعية والنقابية الثورية حيث تمارس من خلالها ديمقراطيتها فى التوجيه والتعبير والمراقبة مستندة فى ذلك الى التنظيم السياسى الام ـ الاتحاد الاشتراكى ، وأكد الميثاق على اهمية دور تلك التنظيمات بقوله :

« ان التنظيمات الشعبية وخصوصا التنظيمات التعاونية والنقابية تستطيع أن تقوم بدور مؤثر وفعال فى التمكين للديمقراطية السياسية .

ان هذه التنظيمات لابد وان تكون قوى متقدمة فى ميادين العمل الوطنى الديمقراطى ـ وان نمو الحركة التعاونية والنقابية معين لا ينضب للقيادات الواعية التى تلمس بأصابعها مباشرة أعصاب الجماهير وتشعر بقوة نبضها » .

ان توضيح وتثبيت المفهومات الاساسية التى حددها القائد فى هذا المجال ، خاصة فيما يتعلق بعلاقة التنظيم السياسى بالتنظيمات والتشكيلات الشعبية الاخرى أمر حيوى وضرورى كى تستطيع هذه التنظيمات ان تمارس مسئوليتها كمؤسسات جماهيرية لقوى الشعب العاملة .

أولا : الاتحـاد الاشـتراكي ودوره بين النقـابات

لقد حرص عبد الناصر على أن يوضح ويحدد طبيعة العلاقةالنضالية بين التنظيم السياسي الام ـ الاتحاد الاشتراكي العربي ـ وبين المنظمـات والهيئات النقابية ، على أساس أن هذا يساعد على اطلاق الحركة الجماهيرية الخلاقة من عقـالها وضمان تفاعلها مع التنظيم السياسي . وفي حديثه في مؤتمر الانتاج في مارس ١٩٦٧ ـ تعرض للعلاقة بين الاتحاد الاشتراكي وبين النقابات على ضوء تجربة خمسة عشر عاما بقوله : « أن هناك تناقضا بينهما » ـ وهو تناقض قائملوجود المنافسة بينهما ـ والذي أتصوره أن يكون هناك عدد كبير من اعضاء الاتحاد الاشتراكي اعضاء في اللجنة النقابية ، الاتحاد الاشتراكي هو المنظمة الاساسية واعضاء اللجنة النقابية أصلهم أعضاء في الاتحاد الاشتراكي » .

وكان عبد الناصر يرى أن هذه التناقضات يمكن أن تحل اذاكانت هناك قيادات تقوم بالتوعية ، وأن يوجـد تنظيم في النقـــابات مرتبط بالتنظيـم السياسي ـ وعلى أساس « ان التنظيم السياسي هو الاهم وليسـت النقابة هي الموضـوع الاول في الاهمية » . كما أكد عبد الناصر على «أنالمطلوب تكتيل العناصر الاشتراكية وجمعها في التنظيمات المختلفة ، بذلك نكون قد أوجدنا حزبا داخل العمال وهو الحزب الاشتراكي الذي نستطيع عن طريقه أن نوجه وأن نقود داخل جميع هذه التنظيمـات والمؤسسات » « وبهذا يكون التنظيم السياسي له تاثير فعلي على النقابات ويكون هناك تفاعل بين النقابات وبين التنظيم السياسي وليس تناقضا أو مناقشة » .

دور الاتحاد الاشتراكي واللجان النقـابية في وحـدات الانتـاج

وحدد جمال عبد الناصر اطارا لعمل كل من لجنة الاتحاد الاشتراكي واللجنة النقابية . فعمل التنظيمات الشعبية سياسي بطبيعته يتمثل فـي التوعية وادارة المناقشات وكسب الجمـاهير المترددة ، والتفاعل التام مع العمل السياسي العام كله ـ وعلى اللجان متابعة العمل في وحداتها والاطمئنان الى سيره الكفء فيالخطوط المقدرة له ـ وذلك دون أن تتدخل على الاطلاق في عملية الانتاج ذاتها أو في تفاصيلها ـ فان كان لديها ما تلاحظه عليها ـ كان أمامها أن تتصل في شأنه برئاستها في التنظيم السياسي » « واذا حاولت التنظيمات السياسية أن تتدخل في عمليات الانتاج او تفاصيلها تدخلا مباشرا فانها بذلك لا تكون قد خرجت على مهمتها فحسب وانما تكون قد أساءت الى هدف الانتاج وسيلة تحقيق الاشتراكية ، فضلا عن أنها باحتمالات ازدواج السلطة سوف تميع المسئولية وتحول دون حساب حقيقي للمسئولية عن أي تقصير او انحراف ، ودعا جمال عبد الناصر لحل التناقضات في المصـانع بالتفاهم والحوار والمناقشة « وبأن كل واحد يعرف أين التـزامه الاجتماعي » .

وفي تصور المناضل جمال عبد الناصر لدور ومهام اللجان النقابية يقول ان مهمتها الاساسية داخل وحدات الانتاج هي ان تسهر على تطبيق التشريعات العمالية وأن تشارك في رفع مستوى كفاءة أعضائها ودخلهم ، وبالتالي عن طريق تنمية المهارات الفنية ، ثم أن تقوم برعاية النشـاط الاجتماعي والثقافي فضلا عن مساهمتها بـأية اقتراحات قد يكون من شأنها زيادة الانتاج » .

الاتحاد الاشـتراكي والتنظيمات التعـاونية والنقـابية للفلاحـين

منذ فجر عبد الناصر ثورة يوليو ـ وحتى آخر أيام حياته ـ كان يبدي اهتماما خاصا وملحوظا بقضايا التحول الاجتماعي في الريف وعلى رأسها قضايا الجمعيات التعاونية ونقابات العمـال الزراعيين خاصة عمال التراحيل ـ باعتبارها أشكال يمكن أن تسهم بدورها بجانب التنظيم السياسيفي احداثالتغييرات الاجتماعيةالضرورية لتحقيق مهام مرحلة التحول الاشتراكي .

فلاول مرة في تاريخ الحركة العمالية المصرية ـ نص في قانون الاصلاح الزراعي الاول في ٩ سبتمبر ١٩٥٢ على جواز تأليف نقابات للعمال الزراعيين وأكد ميثاق العمل الوطني على أهمية دور نقابات عمال الزراعة

« نقابات العمال الزراعيين سوف تكون قادرة على تجنيد جهود الملايين الذين ضيعتهم البطالة وأهدرت السنين طاقتهم »



« ان هذه القوى هى الخلايا التى تستطيع أن تنسج خيوط الحياة فى الريف من جديد وتصنع منها قماشا حضاريا يقرب القرية الى مستوى المدينة » .

ثم جاء القانون رقم ٦٢ لسنة ١٩٦٤ فأبدى اهتماما خاصا بتكوين نقابات لعمال الزراعة الامر الذى أدى بعد ذلك الى تشكيل عدد من اللجان النقابية فى القرى .

ولقد كان لاهتمام جمال عبد الناصر بعملية تنظيم العمال الزراعيين الاثر الكبير فى الكشف بسرعة عن العيوب التى شابت تكوين هذه اللجان كما ادرك القائد الواعى اسباب تخلف نقابات العمال الزراعيين والجمعيات التعاونية للفلاحين كمنظمات شعبية يمكن ان تكون فى تفاعلها مع التنظيم السياسى قوة جبارة ورئيسية فى تعبئة وحشد وقيادة قوى الفلاحين الثورية بالريف،من أجل قضية البناء الاشتراكى .

لقد طرح شعار تطهير اللجان النقابية للعمال الزراعيين من المتسللين ، وبذلت عدة محاولات لتكوين وتطوير الجمعيات التعاونية الزراعية لتوضع بالفعل فى خدمة مصالح صغار فقراء الفلاحين .

ورغم كل هذه المحاولات المستمرة فقد كان القائد يدرك كما اعلن أمام مجلس الامة فى نوفمبر ١٩٦٤ : لا يمكن ان يتم الانتقال من الراسمالية المستغلة والاقطاع الى الاشتراكية الا عن طريق العمل السياسى للشعب العامل ونضال الطبقة العاملة والفلاحين لاستخلاص السلطة من الرجعية ثم الاستفادة من السلطة لتغيير العلاقات الاجتماعية الرجعية تغييرا كاملا . وحذر المناضل عبد الناصر من خطرين :

١ ــ البيروقراطية التى تمثل قوى اجتماعية خطيرة ستحاول بكل الوسائل أن تكون لها مكاسب وستعمل على أنتحصل بكل الوسائل على أكبر قدر من السلطة .

٢ ــ جهاز الدولةالذى كثيرا ما اضطرت القيادة الثورية الى الاعتماد عليه لتغيير العلاقات الاقتصادية والاجتماعية لم يتغير وبقى فى معظم الاحوال كما كان عليه وهذا يؤدى الى مركزية فى الادارة ويؤدى فى بعض الاحيان الى الانفصال عن المجتمع ودعا عبد الناصر الى تطوير الديمقراطية الاشتراكية بالاعتماد الاساسى على العمل السياسى .

ثانيا : الاتحـاد الاشـــتراكى

ومنظمة الشباب الاشتراكى

كانت قضية استمرار الثورة وتقدمها تعنى فى فكر عبد الناصر دائما وفى الاساس « قضية تمهيد الطريق لجيل جديد يقود الثورة . وفى هذا الصدد يقول فىخطابه امامجلس الامة فى يناير ١٩٦٥ :

« المهمة الاساسية التى يجب ان نضعها نصب اعيننا فى المرحلةالقادمة هى ان نمهد الطريقلجيل جديد يقود الثورة فى جميع مجالاتها السياسية والاقتصادية والفكرية ، ان الامل الحقيقى هو فى استمرار النضال ، وبتاكد الاستمرار حين يكون هناك فى كل وقت جيل جديد على أتم استعداد للقيادة ، ولحل الامانة ومواصلة التقدم بها » .

ويقول عبدالناصر « عندنا شباب واع وقد يكون فكره غير واضح وضوحا كاملا ولكنه بالتنظيم والايضاح نستطيع فعلا ان احنا نخلق قوة كبيرة جدا . وكان يؤكد على ان « علينا بالصبر أن نستكشفه دون من عليه ولا وصاية وعلينا بالفهم أن نقدم له تجاربنا دون أن نقمع فيه تجربته الذاتية .

ومع بداية عملية بناء الاتحاد الاشتراكى حدد القائد : المهمة الثانية بانها « عملية الشباب ــ والشباب هو العمود الاساسى فى الاتحاد » .

وفى عام ١٩٦٦ صدر قرار اللجنة التنفيذية العليا بتشكيل منظمة الشباب ، وبدات تمارس نشاطها فى اطار التنظيم القائد الاتحاد الاشتراكى العربى

وبتكوين منظمة الشباب توحدت لاول مرة فى بلادنا حركة الشباب المصرى ــ فى تنظيم سياسى للشباب ــ ذلك التنظيم الذى اخذ يتلمس طريقه ويشق خطاه ، يتقدم فى بعض المواقع ويتعثر فى اخرى ، ولكنه اجتاز فى النهاية الصعاب ، وفى أعقاب نكسة يونيو ٦٧ اعيد النظر فى بعض أساليب العمل والحركة ، وكانت اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى العربى ديمقراطيا بالانتخاب اشارة الى ضرورة اعادة بناء تنظيم الشباب كى يتمكن من اعادة استئناف دوره التاريخى .

ولقد تحددت العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى العربى ومنظمة الشباب على أساس ان المنظمة هى الجناح الشبابى للتنظيم القائد وهى تنظيم له مستوياته القيادية المتدرجة وقيادته فى خلال فترة الانتقال تتمثل فى لجنة الشباب المتفرعة من لجنة التنظيم باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى

العربى ـ وهى تقوم بوضع أسس الخطة العامة للنشاط الشبابى ومتابعتها ويتم التنسيق فى العمل بين المنظمة والتنظيم القائد بما يحقق الاتصال الرأسى بين كافة المستويات القيادية داخل المنظمة ـ وفى نفس الوقت يتم اتصال افقى بين مستويات المنظمة والمستويات المقابلة فى الاتحاد الاشتراكى العربى ـ وذلك بما يؤكد ويعمق دور الاتحاد الاشتراكى كتنظيم سياسى قائد ودور المنظمة كجناح شبابى لهذا التنظيم القائد .

ولا شك انه عقب انتهاء الفترة الانتقالية والمحدد لها عام ونصف ـ سوف تتهيأ خلالها وبعدها الظروف الموضوعية والذاتية لاكتشاف وتربية للقيادات الاكثر شعبية وثورية والتزاما بالاهداف الثورية لتعاليم عبد الناصر .

ثالثا : الاتحاد الاشتراكى ولجان المواطنين من أجل المعركة

واخيرا وفى مواجهة العدوان الاستعمارى الصهيونى على أرض الوطن قدم عبد الناصر تشكيلا شعبيا جديدا ـ تنبع فكرته من ايمانه بالطاقات الكامنة فى جماهير الشعب وتطبيقا لشعاره : «كل شيء من اجل المعركة» معركة تحرير الارض ، وحدد طبيعة العلاقة بين التنظيم السياسى ولجان المواطنين بقوله فى افتتاح الدورة الثانية لمجلس الامة ١٩٦٩/١١/٦ ، « اللجان ليست بديلا للاتحاد الاشتراكى العربى ولكنها فى نفس الوقت ليست امتدادا شكليا له وسوف يكون على اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى أن تجد الاسلوب الصحيح الذى يحقق لهذه اللجان دورها باتصال مع الاتحاد الاشتراكى وباتساع وانفتاح أكبر ويعمل على أرض الواقع ووسط الناس فى خدمة المعركة ، ان لجان الاتحاد الاشتراكى لها عملها السياسى فى معالجة المشاكل اليومية للجماهير ، اما لجان المواطنين من أجل المعركة فمهامها محددة وهو كل ما له علاقة بالمعركة » .

« ان لجان المواطنين من أجل المعركة تستطيع أن تستقطب وتستوعب طاقات هائلة وراء الخطوط ، وبغير قيد أو شرط وبغير مواقع او حواجز والهدف لا يختلف عليه اثنان وهو هدف المعركة .. ان هذه اللجان بالعمل فى أرض الواقع وبفكر جديد ومنطق حر تستطيع ان تغنى العمل السياسى وتثريه » .

لقد أفنى عبد الناصر الكثير من فكره وجهده من أجل بناء التنظيم السياسى ـ وحشد الجماهير الشعبية فى منظماتها الجماهيرية ـ ولقد جاءت الوفاة المفاجئة للزعيم اختبارا حقيقيا للقوة التى نظمها جمال عبد الناصر وأطلقها فى طريق التحرر والاشتراكية ،ولقد أثبتت الايام الاولى التى أعقبت الكارثة المفاجئة ـ اثبتت القدرة النضالية لقوى اللجنة التنفيذية العليا واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ومجلس الامة وكافة مستويات وأجهزة الاتحاد الاشتراكى العربى ، وهذه الاجهزة كلها مطالبة اليوم أكثر من أى وقت مضى أن تتسلح باليقظة والحس المرهف للمحافظة على مكتسبات الثورة ودفعها الى الامام فى طريق التحرر والديمقراطية والاشتراكية .





د. وليم سليمان قلاده

أجمع الكل على ان مصر ولدت فى منتصف القرن العشرين ، ابنا جديدا بكل تاريخها ، هو ثمرة حضارتها وكفاحها عبر السنين ، والمعبر عن حقيقتها وارادتها .

وفى مرتين ظهر ان هذا الانسان العبقرى يضم فى داخله شعبا بأسره ، كان هذا الشعب يظهر حين يختفى ممثلوه ، فى ليلة ٩ يونيو ، وفى ليلة ٢٨ سبتمبر .

وكان عبد الناصر على وعى بهذه الحقيقة فعلا ، ولابد ان الدارسين فى مختلف العلوم الانسانية والادباء وكل الفنانين سيجهدون للتعبير عن هذه العلاقة الفريدة بين شعب وقائده ، وعن وعى الشعب بهذه العلاقة ، ووعى القائد بها ، ثم تلك العلاقات المتبادلة بين الاثنين ...

أما اليوم ، فالكتابة انما هى محاولة للتسجيل ، وتحديد أفكار رئيسية ، ونحن نخطو نحو مرحلة جديدة فى التاريخ المصرى ، أو بتعبير آخر ، نحن

نحاول من خلال عمل عبد الناصر وفكره ان نضع المبادىء الرئيسية لوصيته الى شعبه .

١ ـ نقول ان عبد الناصر كان على وعى تام بدوره وسط شعبه ، ولم يكن يخفى ذلك قط :

« أيها المواطنون : لقد قضيت الايام الاخيرة كلها أفكر ، وكنت بمشاعرى مع شعبنا العظيم فى كل مكان ، فى القرى وفى المصانع ، فى الجامعات وفى المعامل ، فى المواقع الامامية ، فى خط النار المواجه للعدو مع جنودنا ، وفى البيوت الصغيرة المضيئة بالأمل فى مستقبل افضل ــ كنت مع هؤلاء جميعا ــ مع الفلاحين والعمال ، والمثقفين ، والضباط والجنود ، أحاول أن أتحسس مشاعرهم ، وأن أتفاعل بفكرى مع فكرهم .

« كانت اصابعى على نبض هذه الامة صانعة الحضارة ، صانعة التاريخ ، صانعة المستقبل ، وكانت أذناى على دقات قلبها الذى نبض دائما بالحق والخير والسلام .



« كنت أريد أن يكون اختيارى صدى لاختيارها ، وكنت اريد ان يكون موقفى تعبيرا عن ضميرها .
« واقول لكم الان ايها المواطنون : لقد اخترت باسم الله ، باسم الامة ، باسم آمالها ، باسم مثلها الاعلى ، باسم كل المعانى التى قدستها ، باسم كل المعارك التى حاربتها ، باسم هذا كله ، كان قرارى وكان اختيارى ان طريق الثورة هو طريقنا ، ان الاندفاع بكل طاقة الى العمل الثورى هو المفتاح الوحيد لكل مطالب نضالها الشعبى ، وهو الوفاء الامين بكل احتياجات جماهيرنا المؤمنة المصممة على الحرية بكل صورها الاجتماعية والسياسية .

« ايها المواطنون : فى هذه الساعة الحاسمة ، الفاصلة ، أريدكم جميعا أن تقفوا معى ـ هذه اللحظات ــ لنطل على الحقيقة الكاملة لكل ما يواجهنا ونواجهه ، ففى هذه اللحظة لاينبغى انيكون بيننا وبين الحقيقة حجاب ، وينبغى ألا يكون هنا حد لمصارحتنا انفسنا ، وانما لابد ان تكون امانتنا مطلقة أمام الله وأمام التاريخ وأمام الضمير وأمام المستقبل ، فان المسئولية التى تقع على جيلنا ليست بالمسئولية السهلة أو الهينة ، وبمقدار شعورنا بهذه المسئولية يتحتم أن تكون أمانتنا المطلقة فى مواجهة الحقيقة ، ان مسئوليتنا هى اعادة بناء الوطن وتحريره ، واعادة بناء المواطن وتحريره » (١) .

٢ ـ وفى حرصه على أن يظل ممثلا لارادة شعبه ونبضه ودقات قلبه ، وان يكون الشعب هو صاحب الكلمة فى ثورته ، وفى النظام الذى اقامته ، كان احد الاهداف العزيزة عند عبد الناصر هى ان يكون التعبير عن كلمة الشعب صادرا لا عن فرد مهما تكن قدرته على ادراك ارادة الشعب ، ولكن من خلال مؤسسات لها صفة الدوام والاستمرار ، لا يرتبط وجودها ، واستمرار عملها ـ بفرد بذاته . ثمة موضوع كان اثيرا لديه : ان « تخلق مؤسسات موجودة لها صفة الدوام ، وصفة الاستمرار تضمن لنا استمرار العمل الوطنى وتحدد المسئوليات بدون اعتماد على فرد .... اننى اقول ان هذه الثورة اصبحت راسخة بعد عشر سنين لانها ليست ثورة فرد ، هذه ثورة شعب .. ومن اجل ذلك اقول ان هذه المرحلة الجديدة لابد ان تبنى على مؤسسات لها صفة الدوام ولها صفة الاستمرار للعمل الوطنى ... تشتغل على اساس مجالس مش على اساس افراد ... » [٢] .

٣ ـ ويرتبط بهذا الهدف ، ويكمله ضرورة أن تسجل ارادة الشعب فى نصوص محددة تنظم العلاقات بين جميع السلطات ، ولهذا كان حرصه على أن يكون للبلاد دستور ، وفى كلمته التى ألقاها فى الاحتفال باعلان دستور ١٩٥٦ . يؤكد هذا الحرص مستمدا اياه من حركة الشعب المصرى فى كل مراحل كفاحه ليستخلص وثيقة دستورية بعد اخرى تلزم الحاكم وتحدد الحقوق والواجبات :

---

[١] كلمته فى ١٩٦١/١٠/١٦ .
[٢] تعليق فى الجلسة الثالثة للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية فى ١٩٦٢/٥/٢٦ .



وظل يواصل العمل مستمدا من الواقع ومن مصلحة الجماهير مضمونا يطوربه النظام الدستورى ، ومع كل مرحلة جديدة كان يسجلها فى وثيقة دستورية ، وهكذا صدر دستور الوحدة، ثم الدستور المؤقت عام ١٩٦٤ ، ولقد كانت المهمة الاساسية التى وكلت الى مجلس الامة هى وضع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة.وطبقا لبيان ٣٠ مارس يجب ان يكون مشروع الدستور الدائم معدا بحيث يمكن طرحه للاستفتاء الشعبى العام فور انتهاء عملية ازالة آثار العدوان .

٤ ــ ولعل أول تطبيق عملى لهذا الهدف الرئيسى ببناء مؤسسات دائمة ، كان بمناسبة الخروج من التنظيم الثورى الذى خطط للثورة واطاح بالنظام القديم ، وتولى السلطة خلال السنوات الاولى من النظام الثورى ــ الى المؤسسة الديمقراطية التى يختار الشعب أفرادها .

فى الاحتفال باعلان دستور ١٩٥٦ قال عبد الناصر :

« ان الدستور الذى نعلنه اليوم يجمع الوطن جميعا ، كلنا سنكون مجلس الثورة الاكبر ، كلنا سنكون مجلس الثورة الاعلى ، كل هذا الشعب ، كل ابناء هذا الشعب سيكونون مجلس الثورة»[٣]

وينتقل من فكرة « الشعب » الى « المؤسسة » التى تمثله . انه يخاطب أعضاء مجلس الامة عام ١٩٥٧ فيقول : « انا ارى امامى مجلس الثورة الذى انبثق عن ارادة الشعب » [٤] .

وحرص عبد الناصر على أن يضمن دستور ١٩٥٦ نصا ينظم هذا الانتقال من التنظيم الثورى الى المؤسسة الديمقراطية ، وقدم عبد الناصر عملية الانتقال على النحو الاتى :

« ان المادة ١٩٤ من الدستور تقول : يجرى استفتاء لرياسة الجمهورية يوم السبت ٢٣ يونيو ، وتبدأ هذه الرياسة فى مباشرة مهام منصبها من تاريخ اعلان نتيجة الاستفتاء .

« مجلس الثورة الذى كان متوليا سلطة السيادة منذ قيام الثورة حتى العمل بهذا الدستور ، يتخلى عن هذه السلطة الى الشعب ، بطريقة تحفظ للشعب حقوقه .. ما عدا أحد أفراد هذا المجلس يستفتى عليه كرئيس جمهورية ... » .

وهكذا ، ومنذ السنوات الاولى للثورة حرص عبد الناصر على ان يكون للبلاد دستور ، يعين فى اطاره رئيس الجمهورية ، وينتخب طبقا لنصوصه مجلس تشريعى .

ولابد ان تفرد دراسة خاصة لتطور الحركة الدستورية فى بلادنا منذ ١٩٥٢ ، تتابع مراحل الجدل بين « القيادة » التى تعبر عن مصالح الجماهير التى طال اهمالها ، وبين « المؤسسات » القائمة ، وهو جدل يقدم نموذجا رائدا لاستمرار الثورة ــ شعبيتها وتقدميتها ــ ولتقنينها مرحلة بعد أخرى .

« ان جمال عبد الناصر ــ فى كلمة السيد/انور السادات أمام مجلس الامة بعد ترشيحه لرياسة الجمهورية ــ كان بطلا تاريخيا ، والبطل لا يصنع، ولكنه يولد من ضمير أمته ، ولهذا فان قدرته لا يمكن ان تقاس بما تواضع عليه الناس ... » .

٥ ــ ولكم رفع عبد الناصر صوته « محذرا من الاعتماد على الفرد ، ان الشعب يجب دائما ان يبقى سيد كل فرد وقائده ، ان الشعب ابقى واخلد من كل قائد ، مهما كان اسهامه فى نضال أمته ... » .

هكذا تحدث الرئيس الراحل امام مجلس الامة فى مارس ١٩٦٤ ، وروى فى هذه المناسبة مشاعره أيام عدوان ١٩٥٦ ، ثم كيف واجه الاحتمالات التى كانت تقلقه وقتئذ فى اطار نصوص ودستورية محددة ، ومؤسسات دائمة .

ان هذا الكلام لم تظهر قيمته الحقيقية الا بعد رحيل صاحبه .

قال عبد الناصر فى مجلس الامة :

« واقول لكم الان ــ ربما لاول مرة ــ اننى لم اكن انام الليل ايام العدوان ، وأؤكد لكم ان العدوان لم يكن مصدر أرقى ، ولكن الارق كان من احساسى

---

[٣] كلمته فى ١٩٥٦/٦/١٣ .

[٤] كلمته فى ١٩٥٧/٧/٢٠

بالامانة التى وضعتها فى يدى ثقة الشعب العظيم بى ، ولئن كانت مرحلة التحول العظيم قد حتمت تركيز مثل ما كان فى يدى من السلطات لمواجهة القرارات الحاسمة ، فاننى اقول لكم اننى اليوم اشعر بسعادة غامرة وانا ارى هذا المجلس الموقر بجانبى يحمل نصيبه التاريخى من المسئولية ، ويواجه التبعات المتزايدة والمتسعة لمرحلة الانطلاق العظيم » .

ويواصل عبد الناصر الافصاح عن مشاعره فى اصالة القائد الذى يقدر مسئوليته ، ويدرك جيدا ان الشعب يجب أن تستمر حركته من خلال « نظام » موضوع مقدما ، وفى اطار « مؤسسات » تمارس عملها بانتظام واضطراد . قال :

« حرصت على أن يكون هناك نص صريح يواجه احتمالات أى طارىء يقع على رئيس الجمهورية ، ولقد كان غياب مثل هذا النص الصريح يشغل بالى طوال التجربة الماضية ، ان حياة أى انسان وديعة لخالقه ، يستردها حين تشاء ارادته ، ومن ناحية اخرى فلقد كنت أدرك اننى اتعرض لمفاجآت لاحصر لها طوال مرحلة التحول العظيم ، ولم تكن بى خشية على نفسى ، فاننى اقدر مسئولية ما فعلت منذ اليوم الذى بدأ فيه العمل لتنظيم الثورة ، لكن الخشية كانت على وطنى ، ولقد كان لابد من نظام يرسم الطريق الذى يتبع لكى تبقى الامور ذاتها فى يد الشعب يقرر فيها رأيه ، ويعمل ارادته ، وانى لاشعر بالراحة والرضى ان مثل هذه الفجوة الخطيرة التى كنت أشعر بها وراء ظهرى قد وجدت حلا لها » .

كان يتحدث عن نص المادة ١١٠ من دستور ١٩٦٤ التى تنص على انه « فى حالة استقالة الرئيس ، او عجزه الدائم عن العمل ، او وفاته ، يتولى الرئاسة مؤقتا النائب الاول لرئيس الجمهورية ، ثم يقرر مجلس الامة ، بأغلبية ثلثى اعضائه خلو منصب الرئيس ، ويتم اختيار رئيس الجمهورية خلال مدة لا تتجاوز ستين يوما من تاريخ خلو منصب الرياسة » .

٦ ــ واذا كنا قد تابعنا جهد الزعيم من اجل ارساء النظم الدستورية ، والمؤسسات التى تعمل فى اطارها ــ فان جهدا مضاعفا كان يبذله من اجل أن تتخلق المؤسسات السياسية داخل التنظيم الشعبى ، وجاءت المبادرة هنا فى بيان ٣٠ مارس فقد كانت النقطة الثالثة من برنامج العمل المقترح هى « أن نعيد بناء الاتحاد الاشتراكى عن طريق الانتخاب من القاعدة الى القمة ، أى من اللجان التأسيسية فى القرية والحى والمصنع والوحدة الى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى ، والى اللجنة المركزية والى اللجنة التنفيذية العليا » .

وتم تنفيذ ذلك فعلا ، وبدأت هذه المؤسسات تمارس عملها أثناء حياة عبد الناصر وبدفعات منه ومشاركة فيها .

ومن خلال هذه المؤسسات السياسية والدستورية ، أمكن لمصر أن تجتاز الازمة الفاجئة التى تعرضت لها يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

٧ ــ وليس من شك فى أن فراغا ضخما قد حدث على جميع المستويات برحيل عبد الناصر ، فكيف تمت مواجهة الموقف ؟

أولا ــ كان من الواضح ان هناك موقفا شعبيا مؤكدا ، تمثل فى ذلك الوداع الاسطورى الذى اشتركت فيه كل الجماهير ، كان هذا بمثابة استفتاء جديد على سياسة عبد الناصر ، يؤكد الموقف الذى اتخذته هذه الجماهير يومى ٩ و ١٠ يونيو .

ولكن هذا الموقف الشعبى أمكن له أن يصل الى نتائج محددة عن طريق النظام الموضوع مقدما ، ومن خلال المؤسسات السياسية والدستورية .

فاجتمعت اللجنة التنفيذية العليا ، ثم اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، فمجلس الامة ، وطبقت نصوص الدستور الخاصة باعلان خلو المنصب ، واختيار رئيس الجمهورية ، ولم يكن نشاط هذه المؤسسات مجرد تطبيق شكلى للنصوص ، بل ان النتيجة التى انتهى اليها هذا التطبيق استمدتها هذه المؤسسات من مشاركتها لجموع الشعب ، وتنفيذا للارادة التى افصحت عنها الجماهير ، نعنى بذلك استمرار خط عبد الناصر ، واختيار من واصل الطريق معه حتى آخر لحظة .

والواقع ان البيانات التى صدرت فى هذا المجال ــ من اللجنة التنفيذية العليا ، ومن اللجنة المركزية ، ومن السيد أنور السادات بعد ترشيحه (ونحن نكتب قبل استكمال اجراءات الاستفتاء] ــ تعتبر وثائق بالغة الخطورة فى تاريخنا السياسى والدستورى ، وتقدم النموذج الذى ينبغى تعميمه فى جميع مجالات العمل الوطنى ، فقد حددت هذه الوثائق المبادىء الاتية :

١ ــ استمرار الثورة التى قادها عبد الناصر

٢ ــ تنمية الاشتراكية التى أقام القائد صرحها

٣ ــ ضرورة أن يتخذ الشعب قراره فى موضوع رئيس الجمهورية بأسرع ما يمكن ، وبالطريق الدستورى .

٤ ــ « إن جمال عبد الناصر وقد انتقل الى جوار ربه ، قد ترك ، بالاضافة الى مبادئه ، مؤسسات سياسية ودستورية وضع نظامها كجزء رئيسى فى ثورته ، واختارها الشعب ــ ممثلة فى الاتحاد الاشتراكى وعلى قمته المؤتمر القومى واللجنة المركزية ، مؤسسة السلطة السياسية ، وفى مجلس الامة ، مؤسسة السلطة الدستورية البرلمانية .

ان هذه المؤسسات بوضعها القائم ، وطبقا لنظامنا السياسى والدستورى ، هى وحدها التى تمارس السلطة التى أوكلها لها الشعب تطبيقا لمبادىء عبد الناصر ، وان غياب عبد الناصر بقدراته الخارقة ومواهبه الواسعة يعنى بالضرورة أن تضاعف هذه المؤسسات السياسية والدستورية من تحمل المسئولية ومن فاعليتها ومشاركتها مع الرئيس المقبل للجمهورية وبجانبه ليكون جماع عملهم جميعا ومعا وانجازهم المتكامل مسيرة ضخمة على طريق عبد الناصر ونحو تحقيق آماله » .

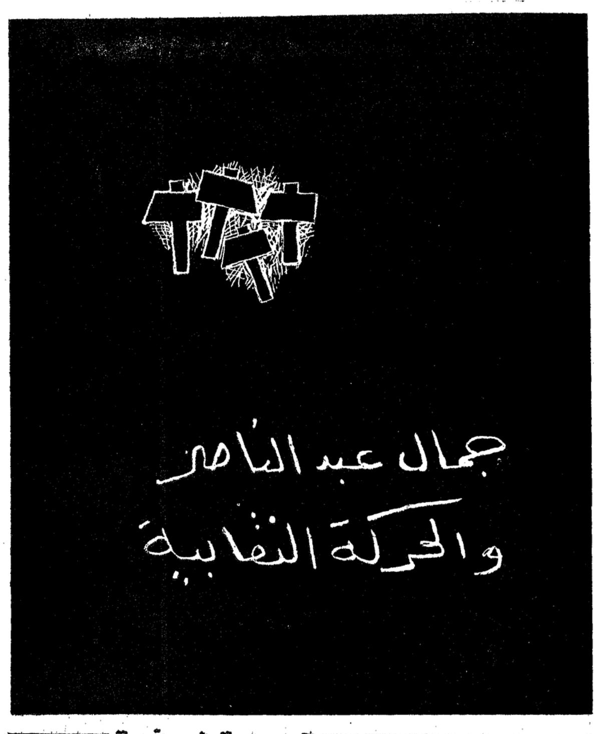
٨ ــ نقول ان ما حدث بعد الرحيل المفاجىء لعبد الناصر يعبر عن نضج حقيقى للشعب المصرى ، تقف وراءه كل مراحل تاريخه ، وممارسته الثورية ، ولقاؤه الفريد المتجدد مع قائده الموهوب طوال ثمانية عشر عاما منذ ١٩٥٢ ، وان نجاح عمل المؤسسات السياسية والدستورية مرهون باحكام صلتها مع هذا الشعب الواعى اليقظ ، واذا كنا ندعو الى تأكيد سلطات هذه المؤسسات بل واستكمال ما لم يتم انشاؤه منها بعد ، مثل المجالس الشعبية التى نص عليها الميثاق والمجالس المتخصصة التى نص عليها الدستور ، فان الضمان الحقيقى لنجاح هذا كله هو أن يكون تعبيرا عن ارادة الشعب ، ومن أجل تحقيق مصالحه .

لقد كان عبد الناصر يرفع صوته مرة بعد أخرى محذرا من الانفصال عن الشعب بالتحول الى البيروقراطية : « الميول للبيروقراطية .. تمثل قوى اجتماعية خطيرة .. والسلاح الرئيسى اللى نستطيع بيه أن نقضى على البيروقراطية ، وعلى الانحراف هو تطوير الديمقراطية الاشتراكية والتوسع فى الديمقراطية الاشتراكية .. » (٥).

بهذا يواصل الشعب مسيرته ، وتتحقق الاهداف الاثيرة التى كان القائد يدعو اليها ، ويحاول أن يرسى مبادئها فى الحياة المصرية ، وهى تمثل فى حقيقة الامر وصيته الى الشعب الذى أحبه وقضى فى خدمته .



(٥) افتتاح الامة ــ ١٢ نوفمبر ١٩٦٤



أمينة شفيق
عبد المنعم الغزالي

احتلت المؤسسات الجماهيرية الديمقراطية موقعا هاما واصيلا فى فكر جمال عبد الناصر ، ذلك انه كان ينظر دائما الى الجماهير العريضة فى صفوفها المنظمة والموحدة كمصدر لكل فكر تقدمى ، وبالتالى لكل **حركة تقدمية** .

فالجماهير بالنسبة له هى **المعلم** ، رغم ان هذه الجماهير المنظمة والموحدة والثورية لقبته هى الاخرى **بالمعلم** . ومن هنا توحدت حركتها بحركته وتوحد فكرها بفكره .

ولعل اهم ما يميز نظرة عبد الناصر الى الجماهير المنظمة فى المنظمات الشعبية والنقابية هو مبدأ « **التواصل** » بين القيادة وجماهيرها .. وبمعنى آخر علاقة الاخذ والعطاء من جانب الجماهير لقيادتها ، ومن الناحية الاخرى من جانب القيادة لجماهيرها .



ونظرته هــذه تنطبق على أى قيــادة فى اى تنظيم .. ولذلك فهى دائما صالحة للتطبيــق وللتعبئة سواء فى مجال المجالس الشعبية التى وضع اسس قيامها أو فى الحركة النقابية التى تطورت فى ظل ثورته تطورا تنظيميا تقدميا .

ففى حديث **جمال عبد الناصر** الذى وجهــه للمؤتمر الاول لأعضاء المكاتب التنفيذية للمحافظات فى شهر يناير من عام ١٩٦٦ ، وحينما كانت هذه المكاتب مكونة حديثا بالاختيار قال عبد الناصر : « لا يمكن للقيادة ان تنمو الا على مبدأ الاتصال بالجماهير ، بمعنى انه من الضرورى ان تاخذ من الناس وتعطى للناس، اى لابد ان ادرس حركات الجماهير دراسة واقعية ، ووجهات نظر الجماهير دراسة واقعية ، ثم اعمل عملية تنظيم وتنسيق ، وبالذات لآراء الجماهير ، فالجماهــير لها آراء مختلفة ، ولكن هذه الآراء دائما مبعثرة وغــير منظمة » . ثم يضيف : « اذا تجاهلنا الجماهير وتجاهلنا ربط القيادات بالجماهير بيكون عملنا مفيهش فايدة » .



ومن هنا يبرز دور القائد الجماهيرى داخل تلك المنظمات الديمقراطية فى انه **يبلور ويستخلص** حركة الجماهير حتى يستطيع ان يصــبح قائدا **لحركة جماهيرية ولتيار** جماهيرى بدل ان يصبح قائدا لجماعات كبرت أو صغرت .

فالعلاقة اذن هى علاقة **تواصــل واتصــال** مستمرين ودائمين ، وهى سمة اساسية لابد ان تربط القائد بالجماهير فى كافة المنظمات .

واذا كانت هذه هى نظرة عبد الناصر لطبيعة القائد فما هو رأيه فى المنظمات نفسها ..

نظر عبد الناصر الى المنظمات الجمــاهيرية المختلفة .. المجالس الشعبية .. الحركة النقابية ، على انها احدى اسلحة الجماهير ليس فقط لتنظيم صفوفها داخل اطارها وانما **لتمارس** من خلالها القيادة السياسية للسلطة ثم **لتحمى** من خلال العمل فيها حقوقها المختلفة وكذلك لتدفع من خلالها بحركة التطور الاجتماعى الى الامام .

وعبد الناصر حينما يحــدد دور التنظيــمات الشعبية السياسية فانه يربط تحديده بطبيعــة التكوين الاجتماعى لهذه المنظمات ، وهو التكوين الذى تغير عام ١٩٦٢ ، بعد صدور ميثاق العمل الوطنى ، وبعد ان احتل الفلاحون والعمال نصف مقاعد كافة هذه التنظيمات السياسية والبرلمانية .

فيقول القائد الراحل .. فى الباب الخامس للميثاق عن الديمقراطية السليمة :

« ان التنظيمات الشعبية السياسية التى تقوم بالانتخاب الحر المباشر لابد لها ان تمثل بحــق وبعدل القوى المكونة للاغلبية ، وهى القوى التى طال استغلالها والتى هى صاحبة مصلحة عميقة فى الثورة ، كما انها بالطبيعة الوعاء الذى يختزن **طاقات ثورية دافعة وعميقة** بفعل معــاناتها للحرمان .

ان ذلك ، فضلاعما فيه من حق وعدل ،باعتباره تمثيلا للاغلبية ، **ضمان اكيد لقوة الــدفع الثورى نابعة من مصادرها الطبيعية الاصيلة** » .

« ومن هنا فان الدستور الجديد يجب ان يضمن للفلاحين وللعمال نصف مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها ، بما فيهـا المجلس النيابى ، باعتبارهم اغلبية الشعب، كما انها الاغلبية التى طال حرمانها من حقها الاساسى **فى صنع مستقبلها وتوجيهه** » .

ولان هذه التنظيمات تمثل ، اول ما تمثل ، الفلاحين والعمال، الغالبية من الجماهير، فان عبد الناصر قد طالب باعطائها قيادة العمل الوطنى .. فمثلا كان رأيه ان تقود المجالس الشعبية **جهاز الدولة ، ثم تحميه من الانحراف ، وتصبح له قوة دافعة للتطور** .

اما بالنسبة للحركة النقابية العمالية وكذلك المهنية فقد حدد لها جمال عبدالناصر **اركانا ثلاثة** لعملها الوطنى والاجتماعى :

اول هذه الاركان يكمن فى **ثوريتها** :

ففى الباب السادس من ميثاق العمل الوطنى الذى قدم فيه جمال عبد الناصر طريقه فى مجالى الانتاج والمجتمع قال : « ان ذلك التغيير الثورى فى الحقوق العمالية لابد ان يقابله تغيير ثورى فى الواجبات العمالية .

ان مسئولية العمل يجب ان تكون كاملة عن ادوات الانتاج التى وضعها المجتمع كله تحت ارادته .

وفى الباب الثامن من ميثاق العمل الوطنى وفى حديثه عن التطبيق الاشتراكى ومشاكله ، قال :

« كذلك فان وسيلة الديمقراطية ان تتحقق سلطة المجالس الشعبية على جميع مراكز الانتاج وفوق كل أجهزة الادارة المركزية أو المحلية .

انذلك يضمن للشعب باستمرار انيكون سلطة تحديد اهداف الانتاج ، وان يكون فى الوقت ذاته سلطة الرقابة على تنفيذها » .

لقد اصبحت مسئولية العمل ، بأدوات الانتاج التى يتولى الحفاظ عليها وتشغيلها بكفاية وإمان، وبالاشتراك فى الادارة والارباح ، مسئولية كاملة فى عملية الانتاج .

ان ذلك الوضع الجديد لا يلغى دور التنظيمات العمالية وانما هو يزيد من أهمية دورها ، انه يمد هذ الدور **ويوسعه** من مجر كونها طرفا مقابلا لطرف الادارة فى عملية الانتاج ، الى الحد الذى يجعل منها **قاعدة طليعية** فى عملية التطوير » .

اذا فهذه التنظيمات النقابية مؤسسات تقود عملية التطويروالتقدم فى مجال الانتاج ، طالما انها أصبحت مسئولة من خلال مشاركة اعضائها فى الادارة - عن ادارة وتشغيل الادوات التى اصبحت مملوكة ملكية عامة .

وثانى الاركان يكمن فى جماهيريتها :

فقد أوضح القائد الراحل فى عديد من المناسبات ان الحركة النقابية لابد ان تقوم أولا وأخيرا على **حماية حقوق أعضائها** .

ففى رأيه دائما ان حل مشاكل الجماهير هو الوسيلة المثلى اذا ما اردنا تنظيمهم .

ففى ميثاق العمل الوطنى وفى الباب السابع الذى تحدث فيه عن الانتاج والمجتمع قال :

« ان النقابات العمالية تستطيع ممارسة مسئولياتها القيادية عن طريق الاسهام الجدى فى رفع الكفاية الفكرية والفنية ومن ثم رفع الكفاية الانتاجية للعمال . كذلك هى تستطيع ممارسة مسئولياتها عن طريق صيانة حقوق العمال ومصالحهم ، رفع مستواهم المادى والثقافى ، ويدخل فى ذلك اهتمامها بمشروعات الاسكان التعاونى ، والاستهلاك التعاونى ، وتنظيم الاستفادة المجدية صحيا ، ونفسيا وفكريا ، من أوقات الفراغ والاجازات بمايساهم فى تحقيق الرفاهية للجموع العاملة » .

ولذلك فان المضمون **الجماهيرى** الذى قدمه جمال عبد الناصر للتنظيم النقابى العمالىلايتحدد بمجرد تنظيم **صفوف المشتركين** فى التقييم لخلق اطار تنظيمى واسع فحسب .. وانما يكمن المضمون اولا واخيرا فى **الحقوق التى للاعضاء على تنظيماتهم** والتى تربط هؤلاء الاعضاء بتلك التنظيمات ، وبالتالى ، تكتسب الاخيرة **جماهيرية وشعبية** .



والمثال الاكثر وضوحا على ذلك عندما تحدث عبد الناصر فى نفس الباب من الميثاق عن دور نقابات عمال الزراعة فى القرية فقال : « كذلك نقابات العمال الزراعيين سوف تكون قادرة على تجنيد جهود الملايين الذين ضيعتهم البطالة المقنعة واهدرت بالسلبية طاقاتهم » .

فنقابات عمال الزراعة لا ينحصر دورها فى تجميع اعضائها فى كشوف، أو حماية حقوقهم أمام استغلال الملاك الزراعيين وانما يتعدى كل ذلك الى حيث **نؤثر العمل المنظم لهؤلاء الاعضاء** .

ومن خلال حل مشاكل اعضائها .. تكتسب التنظيمات **جماهيريتها** ..

اما الركن الثالث فيكمن فى **ديمقراطيتها** .

وفكر عبد الناصريوضح دائما ان الديمقراطية بعد عام ١٩٦١ ، هى ديمقراطية **قوى التحالف** ، وليست ديمقراطية اعداء قوى التحالف .

ولذلك فهى « **الديمقراطية السليمة** » **التى حلت** محل « ديمقراطية الرجعية » التى فرضها تحالف الاقطاع والرأسمالية ، كما اننا لا نستطيع ان نفصل« الديمقراطيةالسياسية » عن« الديمقراطية الاجتماعية » .

والديمقراطية ليست فى حد ذاتها **هدفا فحسب** وانما هى وسيلة فىنفس الوقت ... وسيلة من أجل تجديد القيادات والوصول الى **النبض القوى** للجماهير .



ومن ذلك قوله فى الميثاق فى الباب الخامس عن « الديمقراطية السليمة » :

رابعا — ان التنظيمات الشعبية ، وخصوصا التنظيمات التعاونية والنقابية ، تستطيع ان تقوم بدور مؤثر وفعال فى التمكين للديمقراطية السليمة .

ان هذه التنظيمات لابد ان تكون قوى متقدمة فى ميادين العمل الوطنى الديمقراطى ، وان نمو الحركة التعاونية والنقابية معين لاينضب للقيادات الواعية التى تلمس باصابعها مباشرة أعصاب الجماهير وتشعر بقوة نبضها .

لقد سقط الضغط الذى كان يخنق حرية هذه المنظمات ويشل حركتها » .

ثم يطالب فى بيان ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨ والذى تدمه بعد حركة فبراير ١٩٦٧ كبرنامج عمل :

« اطلاق القوى الخلاقة للحركة النقابية سواء فى نقابات العمال أو نقابات المهنيين » .

ثم نأتى لنخلص ما ورد من فكر عبد الناصر الخاص **بالمنظمات الجماهيرية الديمقراطية وبقياداتها** .

■ من أجل ان تتحقق السلطة الثورية لتحالف قوى الشعب العاملة فى كافة المنظمات الديمقراطية سواء كانت السياسية او الشعبية او النيابية لابد **أن يحصل الفلاحون والعمال على نصف مقاعدها** .

● أهم عوامل نجاح اى قيادة لاى تنظيم هو **اتصالها المباشر الدائم بالجماهير** .

● وضع عبد الناصر اركان ثلاثة تدعم بها **التنظيمات الديمقراطية** :

● **الثورية** .. اى وجودها كطليعة للتغيير الى الامام

● الجماهيرية .. اى التحامها التام بجماهيرها واحتضان مشاكلهم اليومية

● الديمقراطية .. من اجل تجديد دمائها ومن أجل أن تصل الى النبض الحقيقى للجماهير .

ان الاستمرار على طريق ناصر — فى هذا المجال — يعنى ضرورة الحفاظ على النقابات العمالية كمؤسسات ديمقراطية لها دورها الطليعى فى البناء ، دورها الطليعى فى تنظيم الجماهير وقيادتها ، دورها الطليعى فى المحافظة على الحقوق والمكتسبات وتطويرها . بل أن هذا الوضع أصبحت ملحة ضرورات ملء الفراغ بوفاة الرئيس — لمتابعة مسير الثورة .

واستمرار هذه المؤسسات كما أرادها عبد الناصر يعنى :

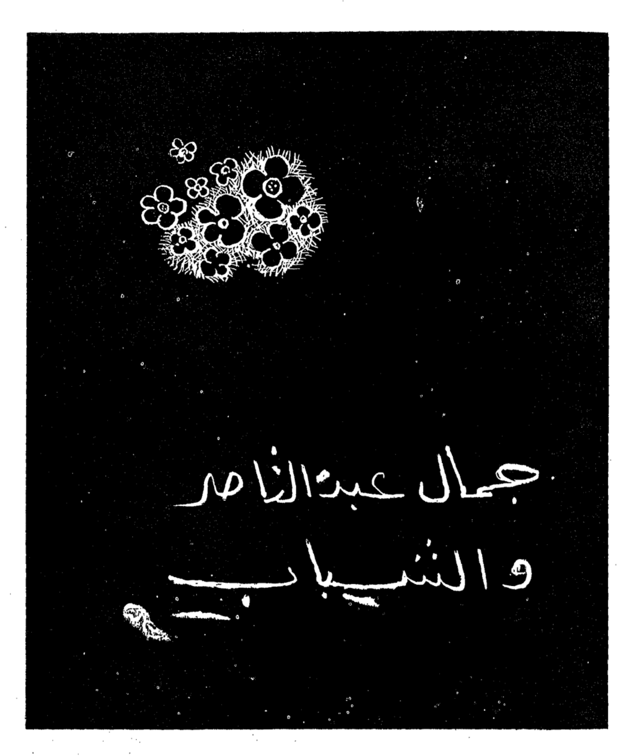
أولا : أن تتحول هذه المؤسسات الى مؤسسات جماهيرية تنظم أعرض الجماهير العاملة . ان نقابات العمال حتى الان تنظم فقط أقل من ٢٠ فى المائة من القوى القابلة للتنظيم ، ان ضعف التنظيم الجماهيرى للمؤسسات يؤدى وأدى فى التطبيق الى تكوين قيادات مكتبية وبيروقراطية لا تعايش الجماهير حياتها اليومية ومشاكلها ، كما أدى الى ضعف المشاركة الجماهيرية بشكل واع ومنظم فى عملية بناء المجتمع الجديد .

ثانيا : ان نقابات العمال — كمؤسسات ديمقراطية — مطلوب منها اليوم واكثر من اى يوم مضى — وحتى تتمكن من **الاستمرار** على طريق ناصر ، والقيام بكل واجباتها على النطاق الوطنى والعالمى فى معارك البناء ومعارك التحرير أن **تكون قياداتها واعية بالحركة الثورية للمجتمع وملتزمة بهذه الحركة** . وان يعطى لجماهيرها الحرية كل الحرية فى الحكم على هذه القيادات ومحاسبتها وفق المبادىء الديمقراطية التى رسمها ميثاق العمل الوطنى وبيان ٣٠ مارس .

ثالثا : ان الحركة العمالية اصبحت مسئولة من خلال تحركها المنظم عن عملية الانتاج — والمحافظة على المؤسسات التى قامت فى مراكز الانتاج لممارسة هذا الدور — ونعنى بها لجان الانتاج ، والتى قامت أخيرا لتحقق لمنظمات العاملين حقها فى المشاركة فى التخطيط والرقابة والمتابعة ، وفى عملية زيادة الانتاج وتطويره .

اننا فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ تطور ثورتنا ، يجب أن نمكن للطبقة العاملة كصاحبة مصلحة اساسية فى التحول الاشتراكى من الاستمرار فى ممارسة دورها من خلال المؤسسات الديمقراطية الخاصة بها . والتى من خلالها ستتفجر كل قدراتها وامكانياتها وطاقاتها الثورية لانجاز كافة المهام الثورية التى تواجهنا ونحن نستمر « لاكمال المشوار » الطويل الصعب من أجل تحرير الوطن من كل دنس للاستعمار والصهيونية — ومن أجل هزيمة كل القوى الرجعية — ومن أجل العمل لاقامة الاشتراكية .

ان قوة الدفع الثورى — للجماهير — ستظل هى حركة الجماهير والحفاظ على مؤسساتها الديمقراطية ، وتطوير هذه المؤسسات ودعمها بالارتفاع بمستوى أدائها الفكرى والسياسى والاجتماعى والاقتصادى .



جمال عبد الناصر والشباب

عبد اللطيف حسنى

كان اسهل المواقف المطروحة أمام حركة الشباب المصرى عقب اللحظات الاولى لسماع نبأ فقد المناضل العظيم الرئيس جمال عبد الناصر ، هو موقف الحزن السلبى العقيم الذى يحدد نصيبها من المسئولية فى الاكتفاء بالصراخ والنحيب وسكب الدموع ، وبقدر ما كانت سهولة هذا الموقف كان الخطر الكامن فيه خطرا فادحا ومميتا ، لان حركة الشباب المصرى لو ترددت الى موقف من هذا النوع لكان معنى ذلك انها ستسلم قيادها ، ـ بوعى او بدون وعى ـ الى معسكر القوى المعادية الذى قفزت بقاياه الرجعية فى الداخل حاملة معها نغمة الردة الى الخلف ، وتحركت قواه الامبريالية والصهيونية فى الخارج مركزة على نغمة الفراغ

السياسى فى محاولة مستميتة لصنع المناخ تمهيدا للانقضاض على نضالنا الشعبى وتمزيق صموده خطوة بخطوة .

غير أن حركة الشباب المصرى اختارت موقفا بديلا من الاستسلام السلبى للحزن ، لقد اختارت منطق الاستمرار الثورى كمنطلق وحيد لسلوكها السياسى .

وهذا الاختيار لم يكن وليد الصدفة ولكنه كان محصلة تراث ثورى من النضال فى الحركة الوطنية ذات الافاق الاشتراكية ، ومحصلة تراث أصيل تعلمته ووعته نتيجة التصاقها العميق بفكر ونضال جمال عبد الناصر الذى مثل ، وسيظل يمثل ، الرمز الخالد لنضالنا الشعبى العنيد .

وبالمثل فان اتجاه حركة الشباب المصرى الى هذا المسلك السياسى الناضج ، فكرا وعملا جاء بشيرا بأن المسيرة الثورية لشعبنا ، تحت قيادة جمال عبد الناصر قد بدأت تعطى ثمرتها الحقيقية ، متمثلة فى ذلك الجيل الجديد الذى يتهيأ بوعيه وصلابته للمشاركة فى مسئولية النضال الشعبى والانتقال به الى آفاق أرحب وآمال أكثر طموحا .

والحقيقة أن اهتمام جمال عبد الناصر بحركة الشباب المصرى والتفاعل الخلاق بينهما قد بدأ فى فترة مبكرة من عمر ثورة الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ . وربما يكون من قبيل الصدف التاريخية أن أول خطاب سياسى ألقاه قائد الثورة بعد نجاحها هو ذلك الخطاب الذى ألقاه عبد الناصر بين شباب جامعة القاهرة يوم ١٥ نوفمبر عام ١٩٥٢ (١) أثناء الاحتفال بذكرى شهداء الجامعة فى معارك الشعب ضد الاحتلال ، وضد السلطة العميلة ، وضد النظام الاجتماعى الاستغلالى المتخلف الذى كان يضمن وجودهما معا على قلب شعبنا ، وقد توالت بعد ذلك عبر الثمانية عشر عاما الماضية من عمر الثورة فى لقاءات القائد مع الشباب ، وراح التفاعل بينهما ، يزداد عمقا على امتداد مراحل نضالنا مرحلة بعد مرحلة .

السلطة والشباب

ومن الحقائق الهامة التى ينبغى ان نتذكرها — فى معرض الحديث عن العلاقة بين القائد والشباب — تلك الحقيقة القائلة بأن طبيعة العلاقة بين السلطة السياسية وبين الاغلبية من الشباب ابناء القوى العاملة تتحدد فى كل مجتمع وفقا لنوعية النظام الاجتماعى السائد ، فبينما تقوم العلاقة بين السلطة السياسية وبين الشباب فى ظل النظم الاجتماعية الاستغلالية على أساس القهر المادى والادبى بمختلف الطرق والوسائل ، نجد أن الامر يختلف اختلافا جذريا فى المجتمعات الساعية نحو التحرر والاشتراكية حيث تقوم هذه العلاقة على أساس الاهتمام بالشباب ، وتعبئة طاقاته ماديا ومعنويا ، وتوجيهها لخدمة أهداف التقدم فى المجتمع بأسره.

وفى مجتمع ما قبل الثورة كانت العلاقة بين السلطة الرجعية وبين الشباب الوطنى والتقدمى فى بلدنا نموذجا بشعا لعلاقة القهر والتسلط وبنفس الدرجة كان نضال شبابنا ضد هذه السلطة نموذجا رائعا للنضال الشبابى فى العالم كله ، وبعد أن نجحت الطلائع الثورية تحت قيادة عبد الناصر فى الاستيلاء على قمة السلطة عام ١٩٥٢ وفى تحويلها الى خدمة أهداف التقدم المادى والاجتماعى للقوى الشعبية بدأت تتغير طبيعة العلاقة بين السلطة فى وضعها الجديد وبين الشباب ، ومن قلب المعارك العنيفة التى قدر على الشعب أن يخوضها مع قيادته الثورية ضد كل القوى التى حاولت أن تزحم طريقه الى الاستقلال وتحقيق التقدم المادى والاجتماعى ، راح قائد الثورة الرئيس جمال عبد الناصر يرسى أسس هذه العلاقة الجديدة ، وليس من شك فى أن كل انتصار احرزته القوى الشعبية فى تلك المعارك كان يمثل فى حد ذاته اضافة ايجابية الى مكاسب الشباب المصرى ، ويمثل فى نفس الوقت مسئولية جديدة يتعين عليهم الوفاء بها ،واذا كان متعذرا ان نجمع فى مقال قصير من هذا النوع كل التفاصيل المتعلقة بتلك القضية فان علينا أن نركز اهتمامنا أولا فى محاولة للاجابة عن هذا السؤال الهام .

كيف كان القائد عبد الناصر ينظر الى قضية الشباب ؟

لقد قامت العلاقة بين القائد والشباب منذ بداية الثورة على أساس نظرة علمية تقدر الدور الذى لعبته حركة الشباب المصرى فى نضال شعبنا من أجل الاستقلال الكامل ، ويقول القائد مؤكدا على

(١) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر — القسم الاول — الهيئة العامة للاستعلامات — القاهرة .

هذه الحقيقة « لقد كان الشباب دائما للاستعمار بالمرصاد ، فكافح على مر الزمن وعلى مر السنين ، ولم يتنازل ابدا عن حقه فى الحياة ، فقد توارثنا هذا الجهاد جيلا بعد جيل .. لقد كافح الشباب ، واستشهد الشباب وهو فى هذا كان يتكاتف مع ابناء الوطن جميعا » (٢) .

وانطلاقا من هذه النظرة العلمية كان القائد عبد الناصر يؤكد دائما ايمانه العميق بالشباب المصرى وبدوره الخلاق فى بناء المستقبل ، فلم يكن ينظر الى الشباب كقوة قاصرة ينبغى ان توضع تحت الوصاية او كقوة خطرة ينبغى قمع حركتها او تمييع نضالها تحت أى ظرف من الظروف . وكان يرى فى ذلك ـ اذا حدث ـ خطرا من أكبر الاخطار على النضال الشعبى كله .

وربما كانت كلماته فى أعقاب مظاهرات فبراير عام ١٩٦٨ هى أكثر الكلمات تعبيرا عن هـذا الايمان « حتى عدم رضا الشباب ـ فى رايى ـ باعتبره عدم رضا شرعى ، وأمامنا أن نختار بالنسبة لشبابنا أى بالنسبة لمستقبلنا .. هل نترك الشباب يعبر عن قلقه المشروع ويشارك مشاركة ايجابية ، ويتحول الى قوة خـلاقة ، أم نصـد الشباب ، وندفعه الى اليأس ، ليصل الى السلبية المطلقة ، أو تسـتبد به انحـرافات الحضـارة الحديثة ؟ » (٣) .

بل ان القائد عبد الناصر كان يرى الى جوار ذلك أن التقدم يفرض نفسه دائما من خلال الاجيال الجديدة التى يؤهلها النضال الشـعبى لتولى مسئولية القيادة فى جميع المجالات حيث تكون هذه الاجيال أكثر وعيا بطبيعة عصرها وأكثر صلابة فى مواجهة تحدياته ، ويؤكد القائد على هذه الحقيقة قائلا « ان الاجيال السابقة كانت تواجهها دائما مشكلة أو مشكلات محددة . ولكن هذا الجيل الجديد بفعل الثورة التى حطمت الحواجز والمواقع من حوله يمد بصره الان على آفاق مترامية تمتد الرؤية الصافية عليها الى بعيد .. وليس يداخل يقينى أى شك فى أن هذا الشعب باصالته قادر دائما على ان يصوغ الاجيال القادمة من ابنائه وفقا لمقتضيات مطالبه على مراحل الامل مرحلة بعد مرحلة ، ومن هنا فان ايمانى لايتزعزع بأن كل جيل جديد فى شعبنا اقدر من الجيل الذى سبقه على الوفاء بمسئولية عصره ، وانى لارفض رفضـا مطلقا ذلك القول الذى يتردد فى بعض الاحيان اعزازا للماضى واسترجاعا لذكرياته ، يقول ان الاجيال التى مضت لن تعود ، وان ما فات لن يعود ، وان الاجيال السابقة خير من الاجيال اللاحقة .. لقد كان جيلنا هو جيل تحدى اليأس والتغلب عليه ، والجيل الجديد هو جيل تحدى الامل والوصول اليه ، هذا الفارق الكبير بطبيعة الظروف يضع خلافا بين الجيلين ، وأقول من غير تردد ان الاختلاف لمصلحة التطور .. انه اختلاف الى الاحسن » (٤) .

ولم يكن التقدم من وجهة نظر القائد العظيم عملية تلقائية ولكنه كان عملية ارادية بالاساس ولذلك نجده يحدد بوضوح مسئولية الطـلائع الثورية الواقفة على قمة السلطة ازاء الجيـل الجديد موضحا من خلال ذلك أسس العـلاقة الطبيعية التى ينبغى ان تقوم بين الاجيال المتعاقبة على طريق التقدم فيقول « لسنا نستطيع القول بأن جيلنا قد أدى واجبه ، الا اذا كنا نستطيع قبل كل المنجزات وبعدها أن نطمئن الى استمرار التقدم والا فان كل ما حققناه مهدد بأن يتحول مهما كانت روعته الى فورة لمعت ثم انطفأت ، الى بداية تقدمت ثم توقفت ، ان الامل الحقيقى هو فى استمرار النضال ويتأكد الاستمرار حين يكون هناك فى كل وقت جيل جديد على أتم استعداد للقيادة ولحمل الامانة ومواصلة التقدم بها ... أكثر وعيا من جيل سبق ، أكثر صلابة من جيل سبق ، أكثر طموحا من جيل سبق » (٥) .

ويستطرد القائد فى شرح أبعاد هذه المسئولية قائلا « .. وينبغى أن ندرك أن التمهيد لهذا الجيل واجبنا ، واننا نستطيع بالتعالى والجمـود ان نصده ، ونعقده وبالتالى نعرقل تقدمه وتقـدم امتنا .. ان علينا بالصبر ان نستكشفه دون من عليه ولا وصاية وعلينا بالفهم ان نقدم له تجاربنا دون ان نهضم حقه فى تجربته الذاتية ، وعلينا فى رضى ان نفسح له الطريق دون أنانية تتصور غرورا انها قادرة على شد وثاق المستقبل بأغلال الحاضر ، وعلينا ان نتيح له بفكره الحر أن يستكشف عصره

---

(٢) خطاب الرئيس فى شباب جامعة الاسكندرية ـ ١٩٥٦/٨/١ .
(٣) خطاب الرئيس فى مؤتمر المثقفين بجامعة القاهرة ـ ١٩٦٨/٤/٢٨ .
(٤) خطاب الرئيس فى عيد العلم الثامن ـ ١٩٦٢/١٢/١٥ .
(٥) خطاب الرئيس امام مجلس الامة ـ ١٩٦٥/١/٢٠ .



دون أن نفرض عليه قسرا أن ينظر الى عالمه بعيون الماضى » .

ويادراك زعيم محنك ومعلم مقتدر يعرف تماما ما يمكن أن يمثله تشبث الاجيال القديمة ـ ايا كانت ـ ببريق السلطة يعلن الرئيس الخالد « ان تقدم هذا الجيل الى مكانه الطبيعى والشرعى سوف يكون تحقيقا لاكبر آمالى ، لقد كان شرفا لى أن أحمل العلم لكن أؤكد امامكم بأن الشرف الاكبر يوم أسلم العلم الى طلائع جيلنا الجديد » .

حركة الشباب المصرى وقضـــية التنظـيم

واذا كانت هذه هى ـ فى ايجاز بالغ ـ رؤية عبد الناصر لقضية الشباب ، وموقفه منها ، فان هناك مسألة أخرى على جانب كبير من الاهمية تفرض نفسها علينا الان واعنى بها مسألة التنظيم .. فمن البديهى ان الشباب لا يستطيع ان يؤدى دوره فى خدمة المجتمع بالكفاءة المناسبة الا من خلال تنظيم سياسى تربوى يجمع طاقاته ويستثير الحـوافز الكامنة فى أعماقه ، وقبل قيام ثورة الثـالث والعشرين من يوليو بوقت طويل كانت حركة الشباب المصرى قد عبرت عن عدم ثقتها فـى الاحزاب القائمة حينئذ ، وذلك حينما اعلنت بعيدا عن الاحزاب كلها تشكيل اللجنة الوطنية للطلبة ثم اللجنة الوطنية للعمال والطلبة وعقدت لهما لواء القيادة فى انتفاضة فبرايرعام ١٩٤٦ وجاءت الثورة لتسدل الستار نهائيا على التمزق الشديد الذى كانت تعانى منه حركة الشباب المصرى معلنة الغاء الاحزاب فى عام ١٩٥٣ .

ولكن ، تحت ضغط المسئوليات الضـخمة ، والمعارك الملحة التى كان مقدرا على القيادة الثورية أن تخوضها من أجل تحقيق الاستقلال وتمهيد المجتمع للبدء فى عملية التحول الاشتراكى ، كان البديل التنظيمى الذى تمكنت هذه القيادة من تقديمه لحركة الشباب المصرى خلال تلك الفترة هو نفس التنظيمات الشعبية الواسعة النطاق التى شكلت حينذاك من اجل أهداف محددة وفى مواجهة ظروف محددة ذات طبيعة مرحلية ، فكانت هيئة التحرير من اجل تحقيق الاستقلال ، وكان الاتحاد القومى آخر فرصة أمام الرأسمالية المحلية لاثبات قدرتها على الوفاء بمتطلبات عملية التنميـة الاقتصـادية والاجتماعية ، أو التسليم النهائى بعجزها عن القيام بهذه المهمة . وقد فتح باب العضوية فى هذين التنظيمين امام الشباب على مصراعيه ، واذا كان امرا ذا مغزى ان نعترف بأن الشباب قد سجل نفسه بأعداد كبيرة فى عضوية هذه التنظيمات فانه من الانصاف ان نضيف الى ذلك أن كلا من هيئة التحرير والاتحاد القومى لم يكن ممكنا أن يقوم بدور الاداة التنظيمية الفعالة لحركة الشباب المصرى .. وكان لابد ان تنتهى اولا تلك الفترة الانتقالية بكل اثقالها وأن تتضح تماما ملامح المجتمع الجديد بآفاقه الاشتراكية لكى تقفز قضية التنظيم السياسى للشباب الى بـؤرة الاهتمام .

منظمة الشباب الاشتراكي

وبالفعل فبعد اعلان قيام الاتحاد الاشتراكى العربى بفترة قصيرة بدأ فى أواخر عام ١٩٦٤ الاعداد لبناء منظمة الشباب الاشتراكى ، وحينما تشكلت الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى فـى أكتوبر ١٩٦٥ انشات فيها امانة فرعية للشباب جعلت من تكوين التنظيم السياسى الشبابى محورا رئيسيا لعملها ، وفى نوفمبر من نفس العام التقى القائد عبد الناصر بأعضاء المنظمة فى معهـد الشباب الاشتراكى بحلوان وقال لهم مؤكدا على اهمية التنظيم السياسى للشباب « اننى اعتقد ان عندنا شباب واع وقد يكون فكره غير واضح وضوحا كاملا ولكن بالتنظيم وبالايضاح نستطيع فعلا ان نخلق قوة كبيرة جدا تحمى المجتمع الذى نبنيه وتحمى الاشتراكية وتحمى الافكار التـى جمعها الميثاق » .

وفى ٢١ يوليو عام١٩٦٦ اعلن عن قيام **منظمة الشباب الاشتراكي** لتدخل الحركة الشبابية فى مصر بقيامها مرحلةتاريخية جديدة تحقق فيها لاول مرة ما ظلت تفتقده على امتداد كفاحها الطويل ، فقد ترتب على قيام منظمة الشباب الاشتراكى عدد من النتائج الهامة يمكن الاشـارة الى ابرزها فى النقاط الاربع التالية :

اولا : وجود تنظيم سياسى للجيل الجديد الذى آمن بالثورة ، وتأكد فى كل المواقف ولاؤه لقيمها والذى يمكن ان يكون دائما قوة صامدة تدافع عن الثورة وتستمر بها لصالح التحول الاشتراكى .

ثانيا : تحقيق وحدة قوى الحركة الشبابية من الفلاحين والعمال والمثقفين والطلاب لاول مرة فى تاريخنا الحديث فكرا وتنظيما .

ثالثا : تقديم مفهوم علمى للعمل السياسى باعتباره عملا منتجا وجهدا مبذولا من اجل زيادة الانتاج وتحسين الخدمات بحيث يصبح العمل السياسى ارتباطا يوميا بخطة التنمية ، والتزاما سياسيا بآمال الجماهير .

رابعا : تأكيد اسلوب علمى فى التربية السياسية ينطلق من نظرة اساسها أن التكوين الفكرى مدخله الممارسة العملية والسلوك اليومى .

ولقد أكدت منظمة الشباب الاشتراكى وجودها خلال الفترة الماضية ـ رغم كل التحفظات ـ كواحدة من اهم مكاسب الحركة الشبابية المصرية، فضلا عن كونها الضمان الاساسى لاستمرار هذه الحركة فى خط كفاحها الصاعد على طريق التحرر والاشتراكية .

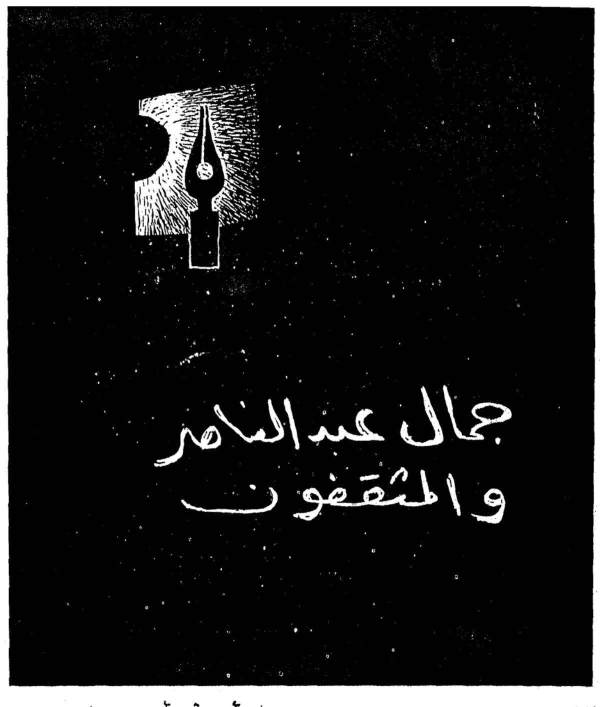
ولا شك ان فقد القائد والمعلم الرئيس جمال عبد الناصر يلقى على عاتق المنظمة مسئوليات كبيرة ويضاعف أهمية دورها فى تربية الاجيال الجديدة من شبابنا .

حقا .. لقد اجمع الشعب كله على أن الثورة لابد أن تستمر ، وأن المؤسسات السياسية والدستورية التى تركها عبد الناصر ممثلة فى مجلس الامة وفى الاتحاد الاشتراكى العربى وعلى قمته المؤتمر القومى ، واللجنة المركزية هى وحدها التى تمارس السلطة التى أوكلها لها الشعب تطبيقا لمبادىء عبد الناصر ، « وان غياب عبد الناصر بقدراته الخارقة ومواهبه الواسعة يعنى بالضرورة أن تضاعف هذه المؤسسات السياسية والدستورية من تحملها للمسئولية ومن فاعليتها » (٦) .

وبديهى ان ذلك كله لن يكتسب مضمونه الحقيقى الا من خلال الاهتمام الجاد بقضية التربية السياسية والاشتراكية للشباب استكمالا لما بدأه الزعيم الراحل فى حياته حيث لابد ان تأخذ منظمة الشباب الاشتراكى أرحب الفرص لممارسة دورها تحت قيادة طلائع الاتحاد الاشتراكى العربى .

وهناك نقطة أخيرة .. لقد صمدت حركة الشباب المصرى فى لحظات الازمة وأكدت وعيها العميق بدورها الى جوار القوى الشعبية صاحبة المصلحة الحقيقية فى استمرار الثورة ، وبقيت مسئولية القيادة السياسية فى أن تهيىء المناخ المناسب كى يستمر هذا الصمود وينطلق الى تحقيق اهدافه .





مصطفى طيبه

في مايو ١٩٦٨ قال القائد الراحل « أن الثقافة في صميمها هي التفتيش عن الحقيقة .. والالتزام في صميمه هو السعي الدائب ، والدائم لايجاد تناسق بين الحقيقة والواقع ، وملاءمة حركة المجتمع مع اتجاهات التطور الانساني » .

واستطرد جمال عبد الناصر ، المفكر في نفس الحديث يقول « الالتزام الاجتماعي ليس ولاء لفرد ، ولا ينبغي أن يكون .. وانما الالتزام ولاء للشعب » .

وعند نهاية هذا الحديث التاريخي . قال جمال عبد الناصر للمثقفين « المثقفون في هذه المرحلة مطالبون بأن يقودوا حوارا مع جماهير الشعب . وأن يعطوها المزيد من الوضوح والخصوبة والعمق . وليس من حق أحد أن يعترض المناقشة الحرة التي يجرى بها حوار قوى الشعب العاملة نحو أهدافه الحقيقية » .

بهذا الفكر الواضح المحدد ، وبهذه الواجبات للمثقفين ، يجسد عبد الناصر المفكر الثوري وظيفة الثقافة ، ودور المثقفين .

ولقد اخترت هذه الفقرات من حديث القائد جمال عبد الناصر ، كبدايةلهذا المقال ،لايمانى بأن هذا الحديث التاريخي لابد أن يكون مدخلا لكل من يريد الكتابة عن عبد الناصر والمثقفين • لانه يجسد أشمل ما قدمته الثورة العربية من تعريفات محددة لوظيفة الثقافة ، ومسئولية المثقفين •

ففى اعتقادى أن هذا الحديث ، الى جانب ما جاء فى الميثاق الوطنى ، وبرنامج ٣٠ مارس ، عن الثقافة والمثقفين ، يعتبر وثيقة أساسية معبرة عن فكر عبد الناصر بوضوح كامل •

ثم يأتى بعد ذلك هذا السؤال :

ما هو دور وأثر الثورة المصرية بقيادة جمال عبد الناصر فى مجال الثقافة والمثقفين ؟

انه سؤال صعب • لان علاقة الثورة المصرية بالمثقفين اجتازت مراحل عديدة • لكل منها سماته المعبرة عن ظروف هذه المرحلة أو تلك •

ومن جهة أخرى فان كل استعراض أو تقييم لدور عبد الناصر بالنسبة للمثقفين ، يحتاج الى الوقوف عند الاشكال المتنوعة لاثر هذا الدور فى مجال الثقافة الوطنية والاشتراكية **كما ، وكيفا ،** وأثره فى حياة المثقفين **فكريا ، وسياسيا ، واجتماعيا •**

وكل هذا يقتضى مقدمة ضرورية • تحاول تلخيص مسيرة طويلة فى اكثر مجالات الحياة ثراء وتعقيدا ، وأشدها احتواء لكل ما يحمله المجتمع من صراعات : مسيرة الثورة المصرية **بقيادة جمال عبد الناصر فى مجال الثقافة والمثقفين •**

البداية الصعبة

عندماانطلقت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، كانت الحياة الثقافية فى مصر تموج بتيارات فكرية ، وثقافية ، متناقضة •

فمن ناحية • كان المخطط الاستعمارى يرمى الى ضرب قيمنا الوطنية ، والقومية بسلاح خطير •• قوامه عزل التراث العريق لحضارتنا عن طريق فصم روابطها مع الحضارة الحديثة . فاعاقة البعث القومى الثورى كانت الهدف الرئيسى • وسائل الوصول اليه متنوعة • تبدأ من محاولة عزل الازهر عن التعليم الحديث ، وتجميد التراث الدينى عند اطار العصور الوسطى ، وتنتهى عند اقامة التعليم المدنى معزولا عن متطلبات التطور العلمى والثقافى العالمى •

وهكذا ورثت الثورة المصرية هذه التركة المثقلة بالمشاكل : ثقافة دينية تقف عند افكار وتراث القرون الوسطى ، تستهدف خنق التراث الاسلامى الثورى بأسلوب العزل عن مسيرة العصر •

ومن جهة ثانية ، نظاما استعماريا يستهدف خلق جيل من الموظفين ، بلا اصالة ثقافية أو عمق ، واقتصاره على الطبقات الاجتماعية القادرة على نفقاته العالية ، مع ترك القاعدة الجماهيرية فى ظلام الامية •



ومن جهة ثالثة ، انتشار المؤسسات الفكرية الاستعمارية ، تشيع البلبلة والاضطراب فى حياتنا الثقافية ، وتبرز فوق سطح المجتمع وكأنها المنبع الوحيد لمن يريد تجاوز التخلف والاتجاه نحو ثقافة عصرية !

يضاف الى كل هذا حقيقة قيل عنها الكثير • وهى اختلاف وتنوع الفكريات السائدة فى المجتمع ، **واختلاف المنابع والاسس والاهداف التى تصدر عن هذا التباين •**

ثم كانت مشكلة المشاكل ، وهى التفاف هذه التناقضات كلها حول كلمة **الديمقراطية** ، بلا تحديد واضح لمحتوى هذهالديمقراطية ، والاكتفاء بشكلها العام بلا بحث عما يحققه هذا الشكل من أهداف اجتماعية • فالقهر الاستعمارى ، الاقطاعى ، خلق نقيضه الطبيعى ، السعى الى ديمقراطية غامضة قادرة — وهذا مستحيل — على التوفيق بين جميع الطبقات فى مصر •

من هنا بدأت الثورة تواجه قضية الثقافة والمثقفين ! •



من هذه البداية البالغة التعقيد خرجت المسيرة •

فكيف عالجت الثورة هذه « التركة » الثقيلة بأسلوب يرمى الى بعث التراث القومى ، ويربطه بمتطلبات العصر ، والحرص على ربط الثورة السياسية بثورة ثقافية فى نفس الوقت ؟

وضوح الهدف

اذا كان الهدف الرئيسى للثقافة ، هو اعادة تشكيل فكر ووجدان الجماهير بالقيم الجديدة للمجتمع ، فان بلوغ هذا الهدف احتاج من قائد الثورة النضال فى جبهات متعددة ومعقدة •

فالثقافة التى كان يريدها ، قوامها صنع قيم المستقبل ، متجاوزة التراث الرجعى ، والاستعمارى ، ومنتصرة على آثاره الضارة ، مع احتفاظها بكل ما هو أصيل فى تراثنا القومى •

ومثل هذه العملية تحتاج الكثير • فالثقافة الوطنية والاشتراكية . لا يمكن خلقها فى اطار الهدم للقديم • فى القمة فئة ممتازة أتاحت لها ظروفها الاجتماعية فرص العلم والثقافة ، تتربع فى عزلة عن قاعدة الهرم العريضة السابحة فى ظلام الجهل والامية •

الثقافة الجديدة تبدأ من اعادة تشكيل هذا البناء القديم ، عن طريق مد جذورها فى أعرض قطاعات الجماهير •

من هنا كان التداخل الاول بين الثقافة ونظم التعليم • وبوعى القائد الذى نبع من أعماق الشعب ، بدأ جمال عبد الناصر اهتمامه بكسر احتكار التعليم لفئة محدودة من الناس ، عن طريق فتح أبوابه المتسعة للجميع ، جاعلا من شعار تكافؤ الفرص وتطبيقه المعيار الاساسى للملايين •

والثقافة الجديدة لا يمكن بناؤها بمعزل عن تيارات الفكر العالمى ، ولا عن مواكبة التقدم العلمى • وهذا هو التداخل الثانى بين الثقافة والثورة العلمية والتكنولوجية •

هناك بطبيعة الحال قسمات مميزة لمجالات الفكر والثقافة عن مجالات العلم والتكنولوجيا ، ولكن الروابط ، بين الاثنين يستحيل تجاهلها •

ومن هذا الادراك الواعى بحقائق العصر ، مؤمنا بأهمية المزج بين أصالة التاريخ ، وبين التجديد وصناعة المستقبل ، رفع جمال عبد الناصر شعاراته الهادفة الى تحرير المجتمع من كل مظاهر التخلف الحضارى ، مؤكدا أهمية الانفتاح الواعى على كل منابع الفكر الثورى العالمى •

والثقافة الجديدة لا يمكن اقامتها بمعزل عن جيوش المثقفين ، فى شتى الميادين بعد تحريرهم من السيطرة الفكرية للفئات القديمة . وفى هذا الميدان برزت عبقرية **عبد الناصر** ، بفكره المتسع الافاق . فلقد أدرك الغرض الرئيسى للقوى المضادة من عزل المثقفين عن الثورة ، فانطلق يعمل من أجل افساد هذه الخطة ، والعمل على عزل الفئات الرجعية عن قطاعات المثقفين لايمانه بأن مصلحتهم الاساسية تتفق مع مصالح الثورة •

الحقيقة الكبرى

كان جمال عبد الناصر يؤمن بحقيقةكبرى **:ان مشاكل الانسان تحل عن طريق الربط الوثيق ، بين العقل النظرى ،والسياسى ، وبين الاستخدام الذكى لما يستخرجه هذا العقل من استنتاجات ، مع اختبارها فى بوتقة التطبيق العملى اليومى •**

وما أصعب واعقد التنسيق والملاءمة بين هذه الاعتبارات •

من هنا كان على القائد أن يصمد فى وجه تيارات ثقافية عارمة . منها ما يرتدى ثياب الدين ليحاول احتواء الثورة عن طريق الاستفادة مع تناقضاتها مع الاتجاهات القديمة ، والليبرالية . ومنها ما يحاول هذا الاحتواء عن طريق ربطها بتيارات الفكر الغربى الاستعمارى !

ثم هناك التنظيمات المهنية ذات التراث الطويل فى الحركة الوطنية ، برصيدها الجماهيرى المتناسب مع هذا التراث ، تقف من الثورة فى البداية موقف التحفظ ، والذى بلغ حد العداء فى بعض الظروف •

ان الاتجاهات الرئيسية بين المثقفين بشتى اتجاهاتهم الفكرية ، تخلفت عن ادراك مغزى ثورة ٢٣ يوليو عند انطلاقها .

فالشكل الخاص والمتميز لثورة ٢٣ يوليو الغير متوقع ، اوقع المثقفين فى حيرة وارتباك •

وما كانت شعارات المثقفين وقتئذ ، أو غالبيتهم العظمى سوى التعبير عن الارتباك وفقدان الاتجاه . ففى غمار الصراع الكبير ضد القوى القديمة المعادية للثورة ، **وقف المثقفون مع الاتجاهات الاصلاحية ، الراغبة فى الابتعاد عن جوهر النظام القديم ، بمؤسساته المختلفة ، مع احداث تغييرات شكلية لا تمس محتواه ، فالحماس لعزل الملك أو الاصلاح الزراعى ، وتطهير الاحزاب ، كان الحد الأقصى الذى وقف عنده قطاع كبير من المثقفين •**

ولقد ادرك جمال عبد الناصر بعمق ، الاسباب الموضوعية لهذا الموقف • وقرر التمسك بقضية التغيير الثورى الحاسم لجوهر النظام القديم ، مع الايمان الكامل بأن المستقبل كفيل باحداث التفاعل الضرورى بين الثورة والمثقفين •

ذوبان الجليد

والواقع ان علاج هذا التناقض انبثق من خلال العمل الثورى ذاته • فبعد تحقيق الانتصار الحاسم على قوى التجميد والاعاقة ، بدأت الاجراءات الثورية تترجم بداية حقيقية لثورة ٢٣ يوليو •

وعن طريق هذه الاجراءات سحبت الارض من تحت أقدام العناصر المعادية بوعى داخل المثقفين ، فى النقابات المهنية وغيرها ، ووقفت الكتلة الكبرى من المثقفين الى جانب الثورة •

وباندفاع القائد فى هذا الاتجاه ، تشكلت الاسس الموضوعية لعلاج التناقضات بين المثقفين والثورة ، وانفتح الباب أمام حل ما أطلق عليه اسم أزمة المثقفين •

وخلال هذه المسيرة الظافرة ، كانت الصراعات الفكرية القديمة بين المثقفين المعبرة بشكل او آخر عن تناقض مصالح اجتماعية ، تتخذ اسلوبا جديدا •

فمن ناحية برز اتجاه يمينى يعارض التحول الاشتراكى ، مرتديا مختلف الأزياء الماكرة ، اهمها تجريد الاشتراكية من مضمونها الحقيقى ، باعطائها تعريفات تستهدف تمييع وجهها الانسانى الجماهيرى •

ولكن صدور الميثاق ، ثم بيان ٣٠ مارس ، فضلا عن عشرات الوثائق التاريخية لخطابات الرئيس الحاسمة فى تعريفه للاشتراكية ، هذه المعالم كلها سدت الطريق أمام زحف هذا التيار وخلق المناخ الصحى لمناقشة مفاهيمه ودفعها من خلال الأطر السياسية ، والدستورية ، والثقافية ، والاعلامية التى خلقتها الثورة •

وكان تحقيق التداخل والتفاعل بين الثورة والمثقفين ، أو كتلتهم الساحقة ، يمثل انجازا ضخما لجمال عبد الناصر •

الغاية •• والوسيلة

من الضرورى هنا ان نحدد حقيقة هامة ، وهو ان ما نقصده بالحديث عن المثقفين ، هو هذه الفئات الواسعة المشتغلة بالعمل العقلى عموما • بمعنى هذا القطاع المتميز الذى يشمل المهنيين ، والادباء والفنانين . أى اننا لا نقصد هنا المثقف بالمعنى الفكرى العام • **اى الذى يجعل من هموم بلده وشعبه ــ محور انشغاله العام متجاوزا حدود مهنته الخاصة ، ومتحررا من آفاق وظيفته المحدودة •**



اى ان المقصود هو التعريف السياسى العام للمثقفين باعتبارهم **جزء من تحالف قوى الشعب • وليست هذه الدائرة المحدودة القادرة على استيعاب الثقافة بمفهومها الشامل ، وتركيز نشاطها فى اتجاه يسهم فى انماء واثراء حركة الفكر او الثقافة فى مجتمعها •**

وانطلاقا من هذا المفهوم ، نستطيع ان نعى الاسهام العظيم لجمال عبد الناصر فى ميدان بعث الثقافة الوطنية ، وتطويرها كفاية أساسية ، مستخدما الاساليب القادرة على تحقيق هذه الغاية •

فتحرير التعليم من الامتيازات الطبقية وافساح المجال امام ابناء العمال والفلاحين للوصول الى مختلف درجات التعليم ، الى جانب تطوير وتوسيع المؤسسات التعليمية بشتى مستوياتها ، كل هذا قد فتح ــ ولا يزال يفتح الطريق ــ امام تطور الثقافة فى البلاد .

واذا اضيف الى ذلك ، خلق مراكز جديدة للثقافة العامة ، والثقافة الجماهيرية والثقافة العمالية ، فضلا عن توسيع دائرة النشر والاعلام ، كما وكيفا تتضح أكثر معالم الصورة لحياتنا الثقافية الجديدة •

وقد لا يتسع المجال هنا لحصر جميع الوان الاسهام الثورى فى هذا الميدان .. لان بداية الانطلاق كانت بالغة الصعوبة • ففى ميادين الفكر ، والفن ، والادب ، والتعليم ، وفى ميادين التطور العلمى ، الى جانب مشاكل المهنيين ،



وتوسيع قاعدتهم الاجتماعية .. فى كل هـذه الميادين تبرز علامات مضيئة لقيادة ثورية وعت متطلبات عصرها ، ومضت بارادة حاسمة فـى اتجاه يسعى **لاحداث انعطاف جذرى ، لتحقيق التجانس بين التغيرات الثورية فى قوى الإنتاج ، والعلاقات الاجتماعية ، وبين المكونات الفكريـة والثقافية المتسقة مع هذه التغيرات .**

ان احدى السمات البارزة لقيادة جمال عبد الناصر هو وضوح الهدف ، واختيار الوسائل المناسبة للوصول اليه ، رغم جميع الصـعاب والتحديات .

علامات بارزة

واذا كان الحصر الشامل لدور الثورة المصرية فى ميدان الثقافة يصعب عرضه فى مقال سريع ، فان الاثر العظيم لقيادة عبد الناصر فى ميدان تحرير المثقفين ، وفتح اوسع الافاق امام حياة مستقرة لهم ، علامة بارزة لا تقل عن اثره فى تحرير الفلاحين والعمال ، من عبودية الاستغلال والاستبداد .

ولنأخذ ــ على سبيل المثال ــ النقابات المهنية باعتبارها التنظيمات العريضة لهذا القطاع من قوى التحالف الشعبى ..

عندما انطلقت الثـورة ، كانت نقـابة المحامين ــ وهى اكبر هذه التنظيمـات ــ تضم حوالى ١٢ ألف محام ، نصفهم على الاقل كان **يعيش فى حالة بطالة جزئية ، او كلية . وفى القمة كانت تتربع فئة قليلة من كبار المحامين ، معظمهم ارتبطت مصالحه مع الشركات الرأسمالية بـل والإستعمارية ، وأصبحوا المدافع عن مصالحها على حساب المصالح القومية والجماهيرية .**

هذه الفئة كانت تعيش حياة كبار الرأسماليين وبالتالى ارتبطت بهم فكريا واجتماعيا وسياسيا .

وتحت هذه الفئة الطفيلية ، المسيطرة على هذا المجال ، كانت القطاعات الواسعة من المحامين ، تعيش فى ظروف بالغة الصعوبة .

وعندما بدأت الثورة خطواتها الحاسمة ضد الشركات الاجنبية أولا ، ثم اجراءات التحول الاشتراكى العظيمة ، انفتح الباب واسعا أمام هذه القطاعات الواسعة من المحامين ..

فشركات القطـاع العـام خلقت اقسـامها القانونية .. الامر الذى لم تكن تعرفه المؤسسات الرأسمالية والاستعمارية القديمة : ومع اتساع قاعدة التأميم ، انتهى عصر البطالة الصريحة أو المقنعة فى هذا المجال . فالاقسام القانونيـة استوعبت الاف المحامين .. والتزام الدولـة بتشغيل الخريجين ، أنهى الى الأبد ، عصر البطالة والهوان .

من هنا تبدو خرافة تعارض مصالح المهنيين مع التحول الاشتراكى . فباستثناء هذه الفئات القليلة المرتبطة بالشركات القديمة ، فتح هذا التحـول الطريق أمام الاغلبية الساحقة لحياة اجتماعية مستقرة .

ثم كانت الخطوة الحاسمة فى هذا المجال ، عندما تقرر اشراك المحامين فى القطاع العام فى تقرير مصير نقابتهم .. وهى خطوة دعمت النقابة وحررتها الى حد بعيد من نفوذ الفئات المتخلفة فكريا ، وسياسيا .

وهكذا أصبحت نقابة المحامين ، تجمعا يقوم بدوره الثورى ، وأصبح نشاطها يعبر بعمق عن التراث الوطنى العريق لهذه النقابة فى المراحل الماضية .

ونفس الخطوات امتدت الى النقابات المهنية الاخرى ، وبنفس الاسلوب الثورى .

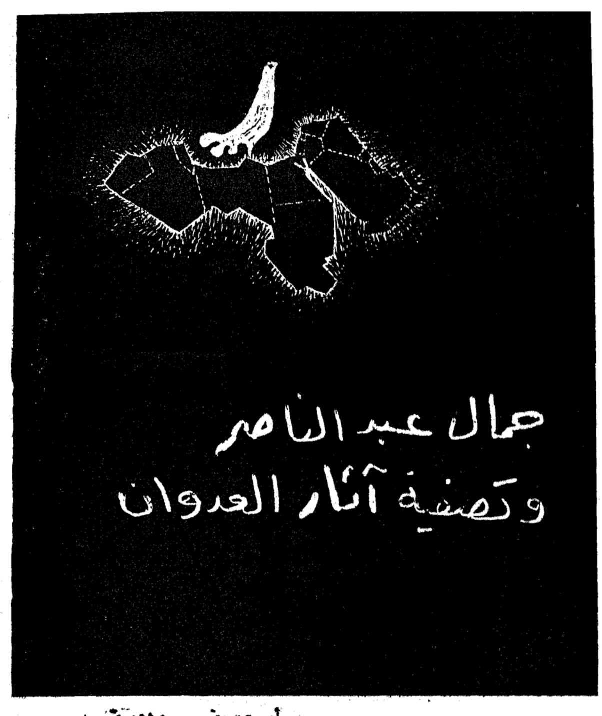
بدلا من نقابة للصحفيين يسيطر عليها أصحاب الصحف ، خلقت نقابة للصحفيين بالفعل . وتحرر العمل الصحفى من عبودية رأس المال المتحكم فى أرزاقهم وفى نقابتهم .

فهل نحتاج الى أمثلة جديدة ، تبين بوضوح عمق الاثر الكبير لقائد فذ ، على حياة هـذه القطاعات الواسعة من المثقفين ؟

ان دور عبد الناصر فى ميدان الفن ، وأثره فى حياة الفنانين فضلا عن ضخامة الاثر فى حياة جميع المشتغلين بالثقافة والادب والفن ، لا تحتاج الى تدليل .

وتبقى مسألة اخيرة . لقـد ترك **جمال عبد الناصر** تراثا خالدا فى هذا الميدان ، والمطلوب اليوم هو اسهام جميع المثقفين فى الحفاظ على هذا التراث واثرائه . وهذا ما طلبه عبد الناصر من المثقفين .

واكرر قوله « ان الثقافة فى صميمها هـى التفتيش عن الحقيقة ، والالتزام فى صميمه هو السعى الدائب ، والدائم ، لايجاد تناسق بيـن الحقيقة والواقـع ، وملاءمة حركة المجتمع مـع **اتجاهات التطور الانسانى** » .



جمال عبد الناصر وتصفية آثار العدوان

أبو سيف يوسف

غاية

هذا المقال ان يقدم صورة لفكر ومنهج جمال عبدالناصر فى معالجته لقضية القضايا التى لاتزال مطروحة بكل قوتها ، ونعنى بها قضية ازالة اثار العدوان الاسرائيلى الامبريالى الذى وقع على الامة العربية منذ ثلاث سنوات ونصف تقريبا · اما مادة هذه الصورة فمصدرها مجموعة من خطب الرئيس الراحل واحاديثه التى القاها على امتداد هذه الفترة ، وبالدقة ، من ٢٣ يوليو ١٩٦٧ حتى ٢٣ يوليو ١٩٧٠ (١)

ففى ٥ يونيو ـ كما نعلم ـ شنت اسرائيل ، قاعدة الامبريالية العالمية هجوما على ثلاث دول عربية هى الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والاردن · ونتج عن هذا العدوان احتلال اجزاء من اراضى هذه الدول : سيناء وغزة ، والمرتفعات السورية ، والقدس والضفة الغربية · وقد احدث

(١) خطب جمال عبد الناصر فى اعياد الثورة ، وفى المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى ، وبيان ٣٠ مارس ، واحاديثه الى العمال والفلاحين والمثقفين عام ١٩٦٨ ·



الانتصار السريع الذى احرزته القوات الاسرائيلية المعتدية هزة عنيفة وبعيدة المدى فى مصر وفى كل البلاد العربية حتى لقد وصفت نتائج هذا الانتصار بأنها نكسة قومية خطيرة اصابت قوى الثورة العربية فى مجموعها ٠

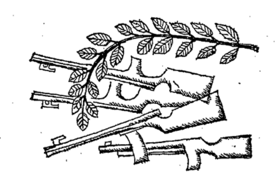
وقد اهتم **جمال عبد الناصر** ــ بعد ان رفض الشعب تنحيه ــ بأن يطرح السؤال التالى ،ويجيب عليه فى اكثر من مناسبة :

ما هى اهداف العدوان الصهيونى الامبريالى ؟

واجاب على ذلك فى ٢٣ يوليو ١٩٦٧ :

« **القصد الحقيقى لعملية العدوان المرتبة التى تعرضنا لها اخيرا ٠٠ القضاء على الثورة الاشتراكية** » ٠

وفى عيد اول مايو ١٩٧٠ اشار الى أن مذكرات قادة اسرائيل وتصريحاتهم لم تخف ان الاسرائيليين كانوا يستعجلون المعركة«قبل ان نكون قدأقمناما نريد من أجل تقوية بنائنا الداخلى ، بنائنا الصناعى ٠٠ الخ » ٠ وفى ٢٣ يوليو ١٩٧٠ اكد عبد الناصر على هذا المعنى ، واسترجع مع اعضاء المؤتمر القومى الاعتداءات الاستعمارية السابقة



فأشار الى أن اصرارنا على بناءالسد العالى دفع قوى الامبريالية عام ٥٦ الى تدبير العدوان الثلاثى علينا ٠

وبالطبع،ثمةاهداف اخرى لعدوان يونيو : منها رغبة الصهيونية فى تحقيق التوسع الاقليمى ، ومواصلته على حساب شعب فلسطين والامة العربية ٠ لكن يظل ــ فى رأى عبد الناصر ــ الهدف الحقيقى ضرب الثورة العربية عن طريق اجهاض التحولات الاجتماعية التى بدأت فى ج٠ع٠م٠، واسقاط نظام الحكم الثورى فيها ٠

وكانت لهذه النكسة ردود فعل لم تقتصر على النطاق الوطنى والقومى العربى بل تعدته الى النطاق العالمى ٠ **ففى داخل البلاد** أثارت الهزيمة شعورا غامرا بالمرارة ، لكن الجماهير رفضت الهزيمة ٠ ودخلت القيادة الثورية التى كان يمثلها عبد الناصر فى معركة ضارية ضد العناصر الانهزامية فى السلطة وتمكنت من ابعادها ٠ لكن استمرار الاحتلال الاسرائيلى بدأ يهدد امن الاهالى فى منطقة القنال ويعرض المؤسسات الاقتصادية الهامة فيها لاخطار الحرب ٠

وعلى النطاق العربى انتعشت قوى اليمين الرجعى ، وراحت تشن هجمات مسعورة على نظم الحكم التقدمية ، وعلى حكم جمال عبد الناصر بالذات ٠ وفى الاوساط الوطنية سادت بلبلة غير قليلة ، وتضاربت آراء كثير من القوى التقدمية حول أسباب الهزيمة ووسائل تخطيها ، ومقدرة النظم التقدمية على تجاوزها ٠

وعلى الصعيد العالمى أثارت الهزيمة القلق البالغ فى صفوف البلدان الاشتراكية ، وأنزعاجا لا يقل خطرا فى صفوف حركة التحرر الوطنى المعادية للامبريالية ، وبين كل القوى الديموقراطية والمحبة للسلام ٠ وعلى العكس رحبت الاوساط الامبريالية ــ الامريكية والبريطانية فى المحل الاول ــ بما حققته اسرائيل ، وتعاونت فيما بينها فى حلف حقيقى من أجل الاجهاز على الثورة العربية ٠

وفى ظل هذا الوضع البالغ التعقيد تعين على جمال عبد الناصر كقائد ثورى أن يشق طريقه ، لا فى اتجاه التسليم بالواقع المرير ، بل فى اتجاه تخطى النكسة وتجاوز آثارها ٠ وبعبارة اخرى كان عليه ان يشرع على الفور فى دراسة الوضع الناشىء عن العدوان من كافة زواياه ، وأن يضع يده بالتالى على الحلقة الرئيسية التى تمكنه وتمكن قوى الثورة العربية ــ اذا أمسك بها ــ من أن يقدم الحلول لطائفة من المشكلات الرئيسية المترتبة على العدوان والمرتبطة بتصفية آثاره تصفية تامة ٠ وبالفعل كانت الحلقة الرئيسية التى أمسك بها جمال عبد الناصر هى ضرورة تحقيق الوحدة الوطنية فى الداخل والوحدة القومية على المستوى العربى ٠ وقد رأى أن هذه الوحدة تتحقق اذا أجبنا اجابة صحيحة على سؤالين :

١ ــ من هم اصحاب المستقبل على ارضنا؟

٢ ــ من هو العدو ومن هو الصديق؟

يقول عبد الناصر « وعندما نصل جميعا ٠٠ الى ادراك ثابت يحدد من هم أصحاب المصلحة فى المستقبل على أرضنا ، ويحدد من هو العدو ومن **هو الصديق ، ويحدد اسلوبنا لمواجهة الازمة التى**

تمسك برقابنا .. عندما نصل جميعا الى هذا الادراك الثابت ، فاننا نكون قد حققنا شيئا لا يمكن تقديره ، ولايمكن تعويضه ، نكون قد حققنا الوحدة بيننا على المستوى القومى ، وعلى المستوى الوطنى . . وحدة القوة وقوة الوحدة [٢] .

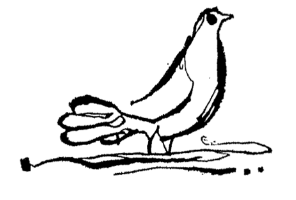
أصحاب المصلحة فى المستقبل

هكذا ، ومنذ الايام الاولى التى تلت عدوان يونيو لم يكف جمال عبد الناصر – فى مجموع خطبه الرئيسية – عن ابراز دور الجماهير الشعبية والاشادة بمواقفها فى رفض الهزيمة ، والاصرار على المضى فى الكفاح لتحرير الارض المحتلة ، والاستعداد لتحمل كافة التكاليف والتضحيات ، وفى هذا الصدد اشار جمال عبد الناصر اكثر من مرة الى أن « الموقف البطولى لجماهير شعبنا فى ٩ و١٠ يونيو هو الذى صنع عددا من التحولات الهامة ، أبرزها ، تمكين القيادة من بناء القوات المسلحة ، وتحقيق الصمود الاقتصادى ، وتصفية مراكز القوى ، وتمكين القيادة السياسية من التحرك على جبهة عريضة سياسية عربية ودولية (راجع بيان ٣٠ مارس) . ويضيف البيان « ان قوى الشعب العاملة هى وحدها التى تستطيع توفير ضروريات النصر ، وحشد كل الطاقات اللازمة لتحقيقه » . وفى موقف آخر يحدد جمال عبد الناصر أكثر ، المقصود بقوى الشعب العاملة ، فيشير الى هؤلاء الذين يمضون ليلهم ونهارهم لا ينتظرون امتيازا » . وسوف نرى فيما بعد أنه سوف يبرز دور الفلاحين والعمال فى تحقيق صمود الجبهة الداخلية .

من الصديق ومن العدو ؟

ومنذ الايام الاولى التى تلت العدوان اهتم جمال عبد الناصر ، أيضا ، بان يحدد معسكر الاصدقاء ومعسكر الاعداء ، واصراره على هذا التحديد فى جميع خطبه يوضح أن هذه القضية جزء لا يتجزأ من الحلقة الرئيسية التى تتحكم فى كافة المشكلات المتعلقة بخوض معركة التحرير فى اتجاه تحقيق النصر ؛ سواء على المستوى السياسى ، او على المستوى العسكرى ، أو على المستويين معا .

« **فمن هم أصدقاؤنا ؟** » يقول عبد الناصر : ان المعركة .. تقدم الجواب ؟ اصدقاؤنا هم الذين يرون الحق فى موقفنا ويقفون معنا . لكن عبد الناصر لا يكتفى بتقديم اجابات عامة ،وهو يوضح أن معسكر الاصدقاء يضم أسرة البلدان الاشتراكية ، والدول غير المنحازة ، الى جانب هذا المعسكر تقف أيضا تلك الدول الغربية التى تقف على الحياد ، وتبدى تفهما وعطفا على القضية العربية ، وقوى ضخمة محبة للسلام ومدافعة عنه ، ومن بين هذه القوى يحتل الاتحاد السوفيتى مكانا خاصا ، لا لانه أحد أعظم قوتين فى العالم فحسب ، بل لان منطلقاته فى مساندته لبلادنا هى منطلقات مؤسسة على موقفه العقائدى من ناحية (النضال ضد الامبريالية العالمية) ، ومؤسسة على مصالحه



الوطنية من ناحية اخرى (اهتمامه بابعاد قواعد العدوان الامبريالية عن الشرق الاوسط الذى يجاور حدوده) . فاذا أضفنا الى ذلك حصيلة التجارب العملية التى توفرت فى تعاملنا معه – فى الماضى – فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية ، أمكن القول بأن الصداقة مع الاتحاد السوفيتى ليست عملية مرحلية ، كما اشار الى ذلك عبد الناصر ، ومن ثم فان هذا الصديق يقف معنا على المدى الاستراتيجى . ومن هنا حرص الرئيس الراحل على شرح هذه النقطة باسهاب فى الغالبية العظمى من خطبه وأحاديثه التى القاها بعد ٥ يونيو .

« **ومن هم اعداؤنا** » ؟ يجيب جمال عبد الناصر : « هم الذين تتفق مواقعهم – لاتفاق مصالحهم – مع عدونا (اسرائيل) الذى نحاربه ويحاربنا » . أعداؤنا هم الذين « يقفون مع العدو دوليا ضد كل مبادىء مجتمع الدول ، والذين

---

[٢] خطاب فى مجلس الامة – دور الانعقاد الثانى ١٩٦٩/١١/٦ .



يعطونه السلاح ليقاتلنا ، بل ليقتلنا .... وبطريقة أوضح ... الولايات المتحدة الامريكية تقف منا موقف العدو » .

وفي جميع خطبه وأحاديثه كان عبد الناصر يسهب ويفصل القول تفصيلا في موقف العدو الامريكي . والرئيس الراحل يقدم في هذا الصدد قائمة طويلة تدين الامبرياليين الامريكان وتفضحهم ، فهم لم يسحبوا عرض السد العالي فحسب ، ولم يرفضوا اعطاء القمح فحسب ، بل طالبوا في عهد **جونسون** وقبل سنتين من العدوان بتحديد عدد الجيش المصري ، وبأن يكون لهم حق التفتيش على مواقع الصواريخ والمنشآت الذرية في مصر . ثم كشف عدوان ٥ يونيو عن تواطؤ كامل وتنسيق مع العدو الاسرائيلي . وكأمثلة ... كانت أمريكا هي التي أمدت اسرائيل قبيل عدوان يونيو بأجهزة التشويش لتمكنها من أن تضرب ضربتها ضد الطيران المصري ، وهي التي رفضت أن تطالب اسرائيل بالانسحاب ، وشلت فاعلية الهيئات الدولية (الامم المتحدة ومجلس الامن) لكي لا يرغم اسرائيل على الانسحاب . وهي التي رفضت أن تضغط على اسرائيل لتنفيذ قرار ٢٢ نوفمبر ٦٧ ، وهي التي استمرت تسلح اسرائيل بأحدث الاسلحة، طائرات الفانتوم ، ثم قدمت الاجهزة الالكترونية لاسرائيل (حتى بعد أن قدمت ما سمي بمبادرة السلام الامريكية) . فالموقف الامريكي ـ موقف الاستعمار الجديد ـ من معاداة الثورة العربية ، موقف ثابت ومستمر ، وهو موقف استراتيجي مرتبط بالمصالح الامبريالية ، ومرتبط بالعلاقة العضوية التي تربط بين أهداف اسرائيل وأهداف أمريكا في المنطقة العربية ومنطقة الشرق الاوسط عموما .

طبيعة المعركة التي نخوضها

واذا كان الهدف من العدوان الاسرائيلي الامبريالي هو اجهاض التحولات الاجتماعية ، أي أنه موجه الى الدول التقدمية ، والى الجماهير الشعبية في هذه الدول . واذا كانت أطراف الصراع فيه هي الشعوب العربية في مجموعها والنظم العربية المتحررة والتقدمية ، والاصدقاء الثابتون لحركة التحرر الوطني العربية ، وفي مقدمتهم الاتحاد السوفييتي ... اذا كان الامر كذلك ، فان المعركة التي تخوضها الشعوب العربية هي :

ـ **معركة شاملة** ، ليست على جبهة القتال فحسب ، بل يخوضها الشعب العربي في كافة الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية وعلى جميع الجبهات الدولية .

ـ **معركة قاسية وطويلة** « بل هي أقسى ما واجهنا في تاريخ عملنا الثوري » لان العدو هنا هو اسرائيل ، والصهيونية العالمية بامكانياتها والولايات المتحدة الامريكية . وهذا يتطلب تضحيات متزايدة ، وتكاليف ضخمة ، واستعدادا يضمن اجبار الاعداء بكل الوسائل المتاحة على الانسحاب من الارض المحتلة .

ـ **معركة فاصلة** ، قال عنها جمال عبد الناصر في وقت من الاوقات أنها تعني أن « نكون أو لا نكون » ، مشيرا بذلك الى أن نتيجتها ستقرر الى حد كبير مستقبل النظم العربية التقدمية والمتحررة (٣) ..

امام مثل هذه المعركة بابعادها وطبيعتها المميزة كان جمال عبد الناصر يحذر من الوقوع في نوعين من الاخطاء : **الاول** خطأ ترديد الشعارات التي يمليها التسرع والمغامرة ونفاذ الصبر ، وهو الخطأ الذي يدفع الى دخول المعركة بدون استعداد وبدافع المبالغة في القوة الذاتية . **اما النوع الثاني** : فهو التضحية بمبادىء أساسية تحكم معركتنا مع العدو . وفي سبيل الحد من اخطار المغامرة ونفاذ الصبر لم ينفك القائد الراحل عن اتباع اسلوب الشرح المستمر بطبيعة المعركة والاخطار التي تحملها والتضحيات التي تتطلبها » .

وفي سبيل الحد من اخطار التخلي عن المبادىء اوضح عبد الناصر في وقت مبكر أننا نسترشد بها في نضالنا ضد الاعداء على أساس :

ـ **لا مفاوضة ولا صلح مع اسرائيل** .

ـ **لاتنازل عن شبر من الاراضي العربية المحتلة** .

ـ **لا مساومة على حقوق شعب فلسطين الشرعية** .

---

[٣] الخطاب في ١٩٦٧/٧/٢٣ .

وانطلاقا من هذه المبادىء ، وفى الوقت نفسه ـ استنادا الى « ان المواقف السياسية لا يمكن ان تبنى على الاوهام او الخداع » . على حد تعبير عبد الناصر ، فان الهدف المباشر والمحدد من العمل على تصفية آثار العدوان انما يتمثل فى :

ـ تحقيق الجلاء على جميع الاراضى العربية التى احتلت بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ .
ـ الدفاع عن حقوق شعب فلسطين .

وسائل تحقيق الهدف

ووفقا لما تقدم ، فان المعركة التى نخوضها ضد الاعداء هى معركة تحرير بكل ماتعنيه الكلمة ، من الدفاع عن الوطن ، عن أرض الاباء والاجداد ، ومن الدفاع عن مكاسب الجماهير فى هذا الوطن . فنحن ـ كما اوضح عبد الناصر مرارا ـ لانحارب من اجل الحرب ، ولسنا غزاة ، ومن ثم تتحدد طبيعة الوسيلة التى نسلكها وامامنا نوعين من الوسائل :

ـ وسائل العمل السياسى .
ـ وسائل العمل العسكرى .

وفى احاديث عبد الناصر وفى مواقفه العملية كان يدعو الى الا نقع فى خطأ الاختيار الساذج والمجرد عن الملابسات ،والظروف الموضوعية ، هذا الخطأ الذى يتمثل فى طرح السؤال على الوجه التالى :

حل سياسى أم حل عسكرى ؟

كان عبد الناصر يقول ليس هناك حل سياسى مطلق ، او حل عسكرى مطلق ،نحن نعمل بالسياسة والحرب معا . ولكن تتحدد الوسائل وفقا للظروف السياسية المتغيرة والمتحركة ، ووفقا لعلاقات القوى بيننا وبين العدو ، ووفقا لعلاقات القوى على الصعيد الدولى . ولقد اوضح فى ٦٧ انه كان قبل قرار مجلس الامن (فبراير ٦٧) ووافق على ان نتعاون مع مبعوث الامم المتحدة لا لاننا لسنا من دعاة الحرب فحسب ، بل لان قواتنا المسلحة ايضا لم تكن قد بدأت بعد فى استكمال النقص فى السلاح والتدريب . ومن ثم فان قبول المسعى السياسى فى ذلك الوقت قد مكن القوات المسلحة من أن تعوض سلاحها وتبدأ فى التدريب على سلاحها الجديد وفى فترة قصيرة جدا ، وبفضل جهد خارق ، اخذت تستعيد زمام المبادرة والقدرة على ردع العدو . حتى انه عندما تحدث عبد الناصر فى الدورة الثانية للمؤتمر القومى (٢٣ /٣/ ٦٩) اشار الى ان بلادنا تدخل مرحلة تتميز ـ فى الجانب العسكرى ـ بالتصاعد المستمر للعمليات العسكرية ، وبالكفاءة التى يبديها الضباط والجنود ، من مختلف الاسلحة فى مختلف العمليات التى يكلفون بها . وهكذا عندما فشلت مهمة يارنج الاولى بسبب موقف امريكا واسرائيل كان العمل السياسى يعطى مكان الصدارة للعمل العسكرى . وكانت القوات المسلحة المصرية تتم تدريبها عبر قتال شرس وصفته اسرائيل بانه حرب متقطعة لا تكاد تتوقف . وعندما عاد الرئيس الراحل فى يونيو ١٩٧٠ ليعلن قبوله لما سمى بمبادرة السلام الامريكية ، فقد كان المنطلق ليس ضعفنا العسكرى كما كان الحال فى ٦٧ ، بل على العكس كانت القوات المسلحة قد أصبحت فى وضع لايسمح لاسرائيل بتكرار عمليات ٦٧ لتفرض شروط المنتصر . هنا كان قبول اسلوب العمل السياسى (اعادة مهمة يارنج) يستهدف كما وضح عبد الناصر :

١ ـ تعبئة الرأى العام العالمى فى صف القضية العربية ، وتعزيز ثقة الاصدقاء ، وكسب مزيد من الاصدقاء المحتملين .

٢ ـ عزل اسرائيل كدولة معتدية امام الرأى العام العالمى ، وتعميق الخلاف داخل اسرائيل ذاتها .

٣ ـ الضغط على الولايات المتحدة لوقف ارسال مزيد من السلاح لاسرائيل ، او كشفها فى حالة استمرارها فى التسليح .

واذا كان موقف مصر قدنجح فى تحقيق الهدفين الاول والثانى ، ولم ينجح فى تحقيق الهدف الثالث فان الذى نلاحظه هنا ، هو ان الرئيس الراحل قد دعا الى اليقظة ضد مؤامرات العدو وأكد مرارا وتكرارا انه :

١ ـ لا يثق فى نوايا امريكا ، ومن ثم فانه يشك فى نجاح مبادرة السلام الامريكية .

٢ ـ انه لما كان ما اخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة ،فان العمل على استكمال اسباب القوة لتحرير الارض ، هو الذى سيمكننا من تحقيق هذا الهدف سواء من خلال العمل العسكرى ، او من خلال اقتناع اسرائيل بان القوة التى تملكها ج.ع.م. لن تسمح لها بفرض شروطها . وهكذا ومنذ اللحظات الاولى التى اعقبت هزيمة يونيو اتجه عبد الناصر الى قيادة البلاد فى اتجاه تنفيذ مهام محددة تضمن وتوفر شروط تحقيق النصر .



المحاور الثلاثة الرئيسية

لقد طالما أكد عبد الناصر أن الصراع شامل ومتعدد الجبهات ، ومن هنا تتعدد المهام وتتسع ، وربما تقتضي دواعي الوضوح ان نقول أن حركة جمال عبد الناصر وفكره ارتبطا بثلاث محاور رئيسية :

المحور الاول : العمل الوطني والمهام المطلوبة .

المحور الثاني : العمل العربي والمهام المطروحة .

المحور الثالث : العمل الدولي وآفاقه .

أولا ــ في العمل الوطني : اهم منطلقات هذا العمل كما ظهرت في احاديث وخطب عبد الناصر هي :

ــ ان الشعب المصري يتحمل العبء الاساسي في معركة التحرير بحكم تاريخ مصر وموقعها وخبرات الشعب المكتسبة من المعارك القريبة ، والمكاسب والمنجزات التي يتعين عليه أن يدافع عنها .

ــ الدور المتزايد الذي يجب ان تلعبه الجماهير الشعبية على مسرح السياسة الداخلية . وهذا الدور لم تفرضه فحسب المبادرة التاريخية للجماهير عندما رفضت الهزيمة وحمت النظام في يونيو ٦٧ ، بل لان جماهير الشعب اذ تتحمل في سبيل معركة التحرير أشق التضحيات بصبر ووعي ، هي التي تحقق متطلبات الصمود عن طريق عمل العمال والفلاحين في المصانع والحقول .

من هذين المنطلقين اتجه العمل الوطني الى تحقيق المهام التالية :

● اعطاء الاولوية للمعركة ببناء القوات المسلحة وتدريبها وتلبية احتياجاتها بكل ما يتطلبه هذا من حشد ، وللقوى الاقتصادية اللازمة . وقد التزمت القيادة بهذه المهام ، كما التزم الجنود والضباط بها ، وتحققت في ثلاث سنوات نتائج ضخمة من حيث حجم القوات المقاتلة ، وارتفاع كفاءتها القتالية ، ونوعية المقاتلين ، ومستوى القادة العسكريين .

وفي هذا الصدد كان الرئيس الراحل يلح على منطلق اساسي في بناء القوات المسلحة وهو تحقيق التلاحم بين الشعب وبين الجيش . فالشعب مدعو الى الالتفاف حول قواته المسلحة والثقة بها وتقدير بطولاتها ، والجيش مدعو الى استيعاب حقيقة اساسية وهي ان الشعب بوحدته وثباته وتضحياته قد وفر متطلبات التقدم لقواته المسلحة .

● مهمة اخرى ، هي مواصلة البناء الاجتماعي ، وفي هذا وضح عبد الناصر بحسم « ان النضال شامل ، لان الثورة شاملة ، والمعركة العسكرية على جبهة القتال ، ليست بعيدة عن مشاكل التطور . ان حربنا ضد الاستعمار هي جزء من حربنا ضد التخلف » . وقد تضمن بيان ٣٠ مارس كما نعلم نقاطا محددة عن بناء الدولة الحديثة والتنمية الشاملة ، واقامة الصناعة الثقيلة .

والواقع ان ايمان عبد الناصر بقضية التقدم الاجتماعي هي من العمق بحيث أنه كان يلح عليها بعد عام ٦٧ في كل خطبه الرئيسية . بل انه افتتح خطابه في العيد الثامن عشر لثورة يوليو ١٩٧٠ بتلاوة البرقية التي أرسلها اليه وزير السد العالي وفيها أعلن وفاء العمال بتعهداتهم بالانتهاء من العمل في محطة كهرباء السد قبل الموعد المحدد .

● مهمة ثالثة على المستوى الوطني هي مهمة تنشيط العمل السياسي « بحيث لا يقتصر على مناسبات أو ملابسات بعينها وانما يمتد ليغطي كل موقع في كل لحظة » . والمنطلق هنا كما حدده بيان ٣٠ مارس هو :

تعبئة الجماهير بالوسيلة الديمقراطية من أجل المعركة ومن اجل بناء المجتمع الاشتراكي ، «ولكي تؤكد قوى الشعب العاملة ... قيادتها في تحقيق سيطرتها بالديمقراطية على العمل الوطني» . ومن أجل هذا اجريت انتخابات جديدة لاعادة تكوين الاتحاد الاشتراكي . وقد حدد عبد الناصر مهمة الاتحاد الاشتراكي في ظل المعركة بقوله :

« أمام الاتحاد الاشتراكي فرصة لا تعوض لتدعيم واستكمال بنائه ، وسط مواقع الجماهير ، ومن خلال المعركة ... » [٤] .

ثانيا ــ العمل العربي والمهام المطروحة :

اذ انتقلنا الى الصعيد العربي فثمة منطلقات ثلاثة لعبد الناصر في تحديد المهام هي :

---

[٤] من خطابه في الدورة الثالثة للمؤتمر القومي ــ ١٩٦٩/٧/٢٣ .

١ ـ « ان الشعب المصرى رفض السلامة عن طريق الانعزال » [٥] ، وفى الوقت ذاته فان الشعب المصرى لم يقف وحده فى المعركة بل وقفت معه شعوب الامة العربية •

٢ ـ لن نتخلى عن شعب فلسطين •

٣ ـ ان انتصار الثورات الوطنية التقدمية فى السودان وليبيا قد أحدث تغيرات كمية وكيفية على الارض العربية • وجاءت هذه التغييرات ، لا لتدعم الصمود العسكرى والاقتصادى فحسب ، بل لتدفع قضية الوحدة العربية دفعة كبرى الى الامام •

وفى هذا قدم عبدالناصر تصورات استراتيجية واخرى تاكتيكية عن العمل العربى • لقد اشار فى عام ١٩٦٧ الى أن « المعركة تقتضى أمة عربية واحدة » • وفى عام ٦٩ أشار فى المؤتمر القومى الى أن المعركة لم تعد فى حاجة الى مجرد الدعم المادى ، وانما تحتاج الى تفكير مشترك ، وتخطيط مشترك لان الخطر يهدد شعوبها كلها ، لا يستثنى من ذلك أحدا •

غير ان عبد الناصر كان يدرك أن تحقيق هذه المهام انما يتطلب مرحلة تاريخية بأكملها • ومن هنا فقد اهتم ايضا على المستوى التكتيكى بالبحث عن نقاط تمثل الحد الادنى • وفى رأيه :

ـ ان العمل السياسى بين الدول العربية يمكن ان يتقدم مهما كان البطء الذى يتقدم به •

وانه يمكن ان يقدم عمل عربى موحد بين الدول العربية رغم اختلاف النظم السياسية والاجتماعية •

ـ وان تقدم كل دولة جهودها الذى تساهم به فى المعركة وفقا لتصوراتها ودون توريط •

ـ ان تقدم الى المقاومة الفلسطينية كل المساعدات المادية والسياسية والعسكرية بدون شروط ، وعلى أساس أن المقاومة الفلسطينية هى ظاهرة صحية هامة فى النضال العربى ، وأنها جاءت لتبقى •

ثالثا ـ العمل والمهام على المستوى الدولى : ان هذه المهام تتجه الى احداث تحولات واسعة وعميقة داخل الرأى العام العالمى ، وداخل جميع الدول بغض النظر عن انظمتها السياسية والاجتماعية •

والواقع أن منطلق عبد الناصر فى العمل لكسب الرأى العام العالمى يبدأ من قضية جوهرية ومبدئية هى :

مسئوليات بلادنا ووعيها التام بضرورة المحافظة على السلم العالمى • وفى هذا الصدد أوضح عبد الناصر بكيفية قاطعة ـ اننا لا نسعى ، ولا نريد بحال من الاحوال ، أن تتطور أزمة الشرق الاوسط الى مواجهة بين امريكا وبين الاتحاد السوفيتى . كما اوضح انه يدخل دائما فى الاعتبار مواقف ومصالح الاصدقاء ، وانه من خلال العمل السياسى والدبلوماسى والشعبى على المستوى الدولى يسعى الى كسب اصدقاء جدد ومحتملين • وهذا يفسر لماذا دعا وشجع عبد الناصر مؤسسات الدولة والتنظيم السياسى والمنظمات الجماهيرية لكى تقوم بجهد واسع ، ومتصل ، ومدروس من أجل ان تكون لقاءاتها مع اوساط الرأى العام العالمى مثمرة وبناءة •

لا بديل عن النصر فى المعركة : وهكذا ، كان عبد الناصر يرى أن التنفيذ الجاد للمهام المشار اليها ، فى المجالات الوطنية والقومية والدولية هى التى تخلق الظروف المادية لتحقيق النصر المؤكد على العدو الصهيونى الامبريالى • وهذه الحقيقة أكدها جمال عبد الناصر فى كافة خطبه وأحاديثه عندما كان يشرح باستمرار ظاهرتين أساسيتين تعكسان تغير توازن القوى بيننا وبين العدو :

الظاهرة الاولى : أن قوة العدو ليست قوة غير عادية :

ـ فقد فشلت استراتيجية اسرائيل فى فرض شروط الاستسلام من مواقع القوة وبأسلوب القوة

ـ وبعد ثلاث سنوات تجد اسرائيل نفسها فى عزلة متزايدة من قبل الرأى العام العالمى •

ـ وبعد ثلاث سنوات من الحرب التى قررت أنها ستدوم أياما قليلة بدأت اسرائيل تواجه مصاعب داخلية ليس اقلها نمو قوى معارضة داخل اسرائيل ضد سياسة العنصرية وضد المؤسسة العسكرية الحاكمة •

أما الظاهرة الثانية : فهى أن المعركة تتحول بالتدريج لصالح الامة العربية ذلك :

---

[٥] الخطاب فى الدورة الثالثة للمؤتمر القومى العام ـ ٦٩/٧/٢٦ •



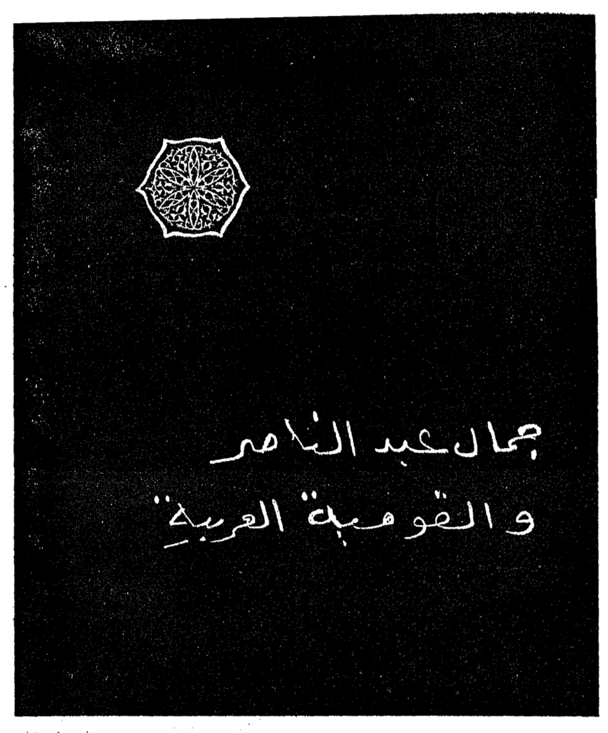
ـ ان قوانا الذاتية تنمو على المستوى الوطنى والقومى وفى المجالات السياسية والاقتصـادية والعسكرية .

ـ تزايد الدعم السوفيتى ومساندة البلدان الاشتراكية لنا فى جميع المجالات .

ـ تزايد عدد الاصدقاء الذين تكسبهم على المستوى الدولى ، وازدياد تعاطف الرأى العام العالمى مع قضية تحررنا وحق شعب فلسطين فى وطنه وفى تقرير مصيره .

وعلى ضوء هذه العوامل نستطيع ان نقول مع عبد الناصر « أنه لا بديل للامة غير النصر ، وهى تقدر عليه » . لكن ينبغى فى الوقت نفسه أن نعرف كم كان عبد الناصر يحذر من التفاؤل الساذج والحسابات المتسرعة ذلك ان النصر على العدو يتحقق ـ كما قال ـ ومن خلال جبهة داخلية صلبة :

« عندما نعطى من حجم العمل ، ومن حجم الدم ، ما هو لازم لتصبح كفة الحق والخير والسلام » .



جمال عبد الناصر والقومية العربية

د. اسماعيل صبرى عبد الله

كانت روابط مصر ببقية الاقطار العربية فى راس الموضوعات التى شغلت الاصدقاء والاعداء معا غداة وفاة **جمال عبد الناصر** . فقد اكد قادة الاتحادالسوفييتى مثلا فى كل رسائلهم الى القادة المصريين املهم فى مزيد من الدعم لعلاقات التضامن والوحدة بين الجمهورية العربية المتحدة وشقيقاتها فى النضال المشترك ضد الاستعمار والعدوان • ولكن صحافة الغرب اخذت تضرب على وتر آخر ، فتكتب معلنة فقدان مصر لدورها العربى (١) او تصفية حركة القومية العربية (٢) ، أو تنصح المصريين بالانصراف الى شئونهم

[١] انظر : « نهاية دور مصر القيادى » فى مجلة « لونوفيل امسبرفاتور » الفرنسية .
[٢] انظر : « المرش الخالى » فى مجلة « الايكونوميست » البريطانية .



الداخلية وعدم الاهتمام بالجرى وراء حدودهم (٣) . ذلك أن تفرق العرب وتنازعهم واستمرار التجزئة كانت دائما من العناصر الثابتة فى سياسة الغرب الاستعمارى ازاء الوطن العربى . وكان من عوامل حقد الغرب الرئيسية على القائد المناضل جمال عبد الناصر أنه فجر الطاقات الكامنة لحركة التحرر العربى ، وعجل بمسيرة التاريخ فى اتجاه هو ضرورة تاريخية ، اتجاه الحرية والاشتراكية والوحدة . ومن ثم فلابد ونحن نستعرض اليوم تراث عبد الناصر ونستوحيه معالم طريق المستقبل ، أن ندرك فى وضوح كامل ، الحقائق الموضوعية للقضية العربية والدور الشخصى للرجل الذى التفت حوله افئدة الاغلبية الساحقة من أبناء الامة العربية وارتضته فى ضوء فكره ونضاله وبذكاء الجماهير الواعية قائدا لا ينازع .

مصر تسترد وجهها العربى

لقد عمل الاستعمار الغربى فى دأب على تفتيت الوطن العربى ، لا بالتجزئة القهرية وفقا لمساومات القوى الاستعمارية فيما بينها فحسب ، ولكن بنشر دعاوى التجزئة من كل لون ، ومحاولة ترسيخها فى أذهان العرب . وواقع التجزئة وليد التدخل الاستعمارى . فحتى بعد انهيار دولة الخلافة وتمزق الوحدة السياسية للامبراطورية العربية الاسلامية ظلت بلاد العرب مفتوحة لكل العرب ، فلم تكن هناك عقبات ادارية أو قانونية تحول دون انتقال أى عربى من هذه الامارة الى تلك المملكة أو السلطنة . والتقسيم الوحيد الذى كان سائدا من الناحية القانونية ، كان هو تقسيم العالم الى دار الاسلام ودار الحرب . ولكن سرعان ما لعبت اللغة دورها الحاسم فى اقامة تمييز فعلى آخر بين بلاد الاسلام غير العربية (ايران وأفغانستان والهند فى ظل امبراطورية المغول] وبين البلاد العربية بما احتوتهم من مسيحيين ، وعلى العكس كانت تيارات التجارة والثقافة والحج تعمل فى اتجاه التبادل المستمر بين الاقطار العربية . فمن يقدم من المغرب لحج بيت الله لابد له من وقفة بقاهرة الازهر ، منارة علوم الدين واللغة ، وهو يحس أن حجه يكتمل بزيارة بيت المقدس . والقادم من العراق الى الحجاز ، كثيرا ما يعود مع الحجيج من أهل مصر . أما العلاقة بين فلسطين وسوريا وليبيا والسودان ، فكانت فى تواصل لم ينقطع ، وكثيرا ما خضعت معظم تلك الاراضى لحكم واحد . وهكذا نرى **صلاح الدين** قادما من الموصل يتخذ من القاهرة نقطة ارتكازه فى طرد الصليبيين ، ويستوزر الفلسطينى **عبد الرحيم البيسانى** ، ونجد ابن نباتة المصرى يعيش ويكتب فى أرض الشام ، **وابن خلدون** التونسى يستقر ويؤلف فى القاهرة ويقابل **تيمورلنك** قرب دمشق . بل ان الالقاب التى تشير الى منبت الاسرة لم تكن تظهر الا بالذات عن الاستقرار فى قطر عربى غير مسقط الرأس . ومازلنا حتى اليوم نجد « **الشامى** » عضوا بمجلس الرئاسة اليمنى ، « **والعراقى** » وزيرا بالمغرب ، و « **التونسى** » اماما للزجل الحديث فى مصر ، و « **المصرى** » رئيسا لبلدية نابلس ... ويمكن أن



نعدد الامثلة ، ولم يتغير هذا الوضع فى ظل الامبراطوريات العثمانية ، بل ان انحسار سلطان آل عثمان عن أملاكهم الاوروبية جعل من تلك الامبراطورية فى منتصف القرن الماضى دولة عربية يتحكم فى أمورها خليط من الاجانب يعيشون فى بلاط استامبول ، حيث يتكلمون اللغة التركية . لقد كان العرب جميعا قبل الاحتلال الغربى « رعية عثمانية » حيثما حلوا من بلاد العرب ، ولم تبدأ التفرقة ، الا مع الاحتلال .

وقد كان الغرب عنيفا فى محاولة مسخ الحقيقة العربية ، ففرنسا حين احتلت الجزائر ١٨٣٠

[٣] انظر : مقالات « نيويورك تايمس » الامريكية فى الايام التى تلت وفاة الرئيس الراحل .

مستقلة عهد الاستعمار الاوروبى ، أعلنت أن القطر الشقيق جزء من فرنسا ، وقسمته الى أربع محافظات فرنسية ، وحظرت استخدام اللغة العربية . وحتى فى تونس ومراكش ، حيث كان وضعها القانونى وضع « الحماية » فقط ، استغلت فرنسا واقع أنه ليس ببلاد المغرب مسيحيون عرب لتمحوا تماما فكرة العروبة ، وتقنع بوصف سكان البلاد بأنهم مسلمون . ثم حاولت ان تسعى بالفرقة بينهم ببعث الفوارق التى اندثرت منذ قرون بين البربر والعرب . أما فى مصر ، فان الاحتلال الانجليزى عمل فورا على عزل البلاد عن المشرق والمغرب معا ، وحاول فرض الانجليزية لغة للتعليم ليمحى الرابطة اللغوية . كما استغل الخلط بين الوحدة العربية وبين الارتباط « بالدولة العلية » ليدفع بحزب من صنائعه ، هو حزب الامة ، ليرفع شعار « **مصر للمصريين** » . وتعاظم الحديث عن تاريخ مصر الفرعونى ، وظهرت الدعوة الى استخدام اللغة العامية ، وتبنت البورجوازية المصرية شعار وحدة وادى النيل كبديل لشعار الوحدة العربية ، وتوهمت أنها تجد فى السودان « مجالا حيويا » لنموها تحت رعاية الاسد البريطانى . وانبهر عدد من المثقفين بالحضارة الاوروبية ، فاندفعوا يحاولون ربط مصر بها . واذا كان الخديو **اسماعيل** قد قال انه يريد أن يجعل من مصر « قطعة من أوروبا » ، فان اولئك المثقفين اخترعوا شيئا اسمه « حضارة البحر الابيض المتوسط » ادعوا أن مصر تنتمى اليها .. ! أما فى المشرق العربى فان الاستعمار لم يدخل الا متأخرا ، غداة الحرب العالمية الاولى . ولذلك فان فكرة القومية العربية ، والسعى لدولة عربية موحدة ، قد ظهرت بين المثقفين وبين الضباط العرب فى الجيش العثمانى . ولكن الاستعمار قد التف حولها من خلال نفوذه لدى الشريف حسين الهاشمى ، ففرضه قائدا لتلك الحركة ، ورشحه ملكا للدولة العربية المؤملة بشرط الا تكون مصر جزءا منها .

وهكذا حين تفجرت الثورة العربية فى مواجهة الاحتلال الاوروبى ، اتخذت شكل ثورات متفرقة : ثورة ١٩١٩ فى مصر . ١٩٢٠ فى العراق . ١٩٢٠ ــ ١٩٢١ فى فلسطين ؛ ١٩٢١ فى العراق ... واخفقت المحاولات الضئيلة التى بذلت للتنسيق بينها ؛ تحطمت بالذات لعدم اهتمام القيادة المصرية الممثلة فى سعد زغلول بالتضامن الثورى العربى لعدم ادراكها لحقيقة وحدة المصير العربى . وظلت القيادات الثورية البورجوازية هنا وهناك تتجه نحو عواصم الغرب تتلمس مخرجا فى الصراع الحزبى بها ، أو فى التنافس الاستعمارى بينها . وغنى عن الذكر ان هذا التفرق كان احد العوامل الرئيسية التى مكنت المستعمرين من ضرب كل ثورة على حدة . أما فترة ما بين الحربين ، فكانت فترة اقرار التجزئة وترسيخ أوضاعها وخلق المصالح الصغيرة المرتبطة .

ومع ذلك فان الاستعمار لم ينجح فى تصفية الشعور العربى لدى الجماهير الشعبية ، وظل رجل الشارع فى مصر يعرف نفسه بانه « **ابن العرب** » فى مواجهة « **الخواجة** » . وحاولت المجاهد سنة ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ مساعدة الثورة الفلسطينية فى الوقت الذى كان حكام مصر فيه يسمحون للمنظمات الصهيونية بأن تنشط فى بلادنا ، وتكون تنظيمات « **المكابى** » شبه العسكرية ، وتجمع من الاموال ما يكفى لانشاء كيبونز فى فلسطين .. ! ولذلك حاول الاستعمار البريطانى ــ فى ذكاء ــ مصادرة فكرة الوحدة العربية . وفى سنة ١٩٤٢ اعلن انطونى ايدن وزير خارجية بريطانيا آنذاك، أن حكومة صاحب الجلالة لا تعارض فى التعاون بين الدول العربية . وساعد على ذلك الموقف ، أن بريطانيا كانت تعتزم طرد فرنسا من سوريا ولبنان ، وأن تجربة « **مركز تموين الشرق الاوسط** » الذى أنشأته أثناء الحرب أوضحت كل المزايا التى يمكن للاستعمار أن يجنيها من استغلال منظم على نطاق المنطقة كلها . وهكذا وجدت الجامعة العربية على يد حكام اقطاعيين وببركة الاستعمار البريطانى . وقد أسهم هذا الوضع ــ مضافا الى تأثير فكر البورجوازية ــ فى حمل بعض القوى التقدمية فى مصر بالذات الى الشك فى كل محاولات الوحدة العربية والانتهاء موضوعيا الى دعم موقف عزلة مصر عن الوطن العربى الكبير. وقد دعم هذا الاتجاه لدى القوى التقدمية أن الاستعمار نجح فى العراق وسوريا فى دفع بعض القوى الوطنية لطرح فكرة القومية كنقيض للاشتراكية بحيث اصبح خط تقسيم القوى الوطنية هو التمييز بين « القوميين » و « الشيوعيين » ، وفاقم الامور أن بعض القوى القومية كانت تقبل الوحدة ولو فى ظل نظم رجعية خاضعة تماما للاستعمار وتبنت مشروعات مشبوهة مثل : سوريا الكبرى ، والهلال الخصيب .

وعلى ارض فلسطين ، وحيث امتزجت دماء العرب التى أريقت على رمال شهدت تاريخيا المعارك التى حددت مصير العرب من اليرموك الى حطين الى عين جالوت ، افلح فتى بنى مر فى أن يتجاوز ضباب دعاوى التجزئة رغم تزويقها ، وينفذ الى الجوهر الناصع للحقيقة الثورية الكبرى . ان

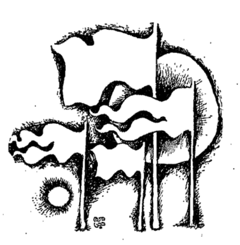


العرب أمة واحدة ، وان قوتهم وتقدمهم ومنعتهم ترتهن فى التحليل الاخير بوحدتهم . وحين فجر بعد ذلك بسنوات خمس ثورة ٢٣ يولية ، كان مصمما من اللحظة الاولى على أن تكون مصر الثورة ، بكل ما تملك من أسباب القدرة ، وبكل ما أضفته عليها الثورة من طاقات الحركة ، القوة الدافعة لحركة تحرير عربى شاملة . نعم ، لقد استردت مصر تحت قيادة عبد الناصر وجهها العربى الاصيل ، وكان ذلك كسبا عظيما لشعب مصر العربى ، لانه اكتشف ذاته ، وحدد مصيره . ومهما يكن حجم ما بذل شعبنا فى خدمة القضايا العربية ، ومهما يكن من مواقف سلبية تظهر بين الآونة والاخرى فى هذا القطر أو ذلك ، فان الدافع الاكبر هو التفاف الشعوب العربية حول مصر ، وحرصهم على مساندتها . وحين تجد الشعوب الحكم الذى يعبر عنها بصدق كما فى السودان وليبيا ، نجد الاخوة الكاملة والتضامن بلا حدود ، وحتى الحكومات الاخرى كثيرا ما يضطرها ضغط الجماهير الى اتخاذ مواقف ايجابية من مصر . وكان استرداد مصر لوجهها العربى كسبا لقضية القومية العربية ، فمصر بموقعها الجغرافى ، ووزنها البشرى ، وامكانياتها الاقتصادية ، ووضعها الدولى ، تمثل طاقة كبرى فى النضال العربى .

الحقيقة العلمية للقومية العربية

ولكن اسهام عبد الناصر لم يقتصر على ذلك ، بل برز أيضا فى بلورة وتحديد مفهوم القومية العربية على أسس علمية ، ففى الوقت الذى أهمل فيه المفكرون المصريون قضية القومية ، انصرف لها عدد لا يستهان به من مفكرى الشرق العربى . ولكن الكتابات التى ظهرت هنا ، شابها فى كثير من الاحيان الغموض والتجريد ، أو الاغراق فى التبعيات ، أو حتى بعض نزعات التعصب التى تمثلت فى شعار « **أمة واحدة ذات رسالة خالدة** » الذى رفعه حزب البعث تحت قيادة **ميشيل عفلق** . ومن ناحية أخرى ، كانت تلك الكتابات لا تلقى بالا للمحتوى الاجتماعى لفكرة الوحدة العربية ، فالبعث لم يضف الى اسمه صفة الاشتراكية الا عندما اندمج الحزب الاشتراكى الذى كان **أكرم الحورانى** قد أسسه ، ومع ذلك فقد ظلت تلك الصفة مجرد كلمة لا يحاول الحزب تحديد مدلول واضح لها ، وحين اضطر الحزب بعد ذلك للحديث عن الاشتراكية ، خرج بمفهوم « **الاشتراكية العربية** » وهو مفهوم غير محدد المعالم ، لا تحكمه فى الظاهر الا الرغبة فى التحايز بأى ثمن ، ويغطى فى الواقع على اتجاهات الرأسمالية الوطنية ذات النفوذ الواسع فى الحزب آنذاك . بل أخطر من ذلك ان الاهتمام البالغ بالوحدة بغض النظر عن محتواها ، حمل انصار ميشيل عفلق على التغاضى عن بعض مشروعات الوحدة المشبوهة التى تبناها الاستعمار وعملاؤه .

والواقع أن العرب يشكلون قومية واحدة بالمعنى العلمى ، ذلك أنه يجمع بينهم وحدة اللغة وما تعنيه من وحدة الثقافة ، ووحدة النضال التاريخى ، والرغبة البارزة لدى الجماهير فى العيش معا ، واتصال الارض العربية دون ماحاجز الا اسرائيل فى موضع محدود ، غرسها فيه الاستعمار لتكون كذلك . ونحن بهذا المعنى كغيرنا من الامم لنا اسهام تاريخى فى تقدم حضارة البشر ، ولنا سنوات خمول طويلة ، خضعنا فيها للحكم الاجنبى والسيطرة الاقطاعية وتركتنا فى حالة تخلف نريد أن نتخلص منها . كما أن لنا من الموارد الطبيعية والبشرية والموقع الجغرافى والتاريخ الحضارى ، ما يجعل آمالنا فى تصفية التخلف تستند الى أساس متين . وليس لنا فيما وراء ذلك أى ادعاء بالتفوق على غيرنا من البشر أو التميز العنصرى ، بل ان حضارتنا الزاهية فى الماضى ، ازدهرت بالدقة لقدرة العرب القادمين أصلا من الجزيرة على الامتزاج بالشعوب المستعربة ، وتمثل ماسبقهم من الحضارات والانفتاح نحو العالم الخارجى .



وتبقى بعد ذلك مشكلة تحقيق الوحدة القومية ، أو اكتشاف الطريق الصحيح الى الوحدة . والنظرة التاريخية الهادئة تعين فى هذا المجال الى حد كبير . ان الشعور القومى كثيرا ما أهدر فى القديم ، ففى الامبراطوريات التاريخية ، أو فى عهد

الاقطاع ، لم يكن الحكام يقيمون وزنا كبيرا للشعور القومي للجماعات التي يحكمونها ، وكانت الحدود بين الامبراطوريات أو الدول أو الاقطاعيات تتحدد وفقا لقوة السلاح وحده دون اعتبار آخر ، ذلك لان الدولة كانت مندمجة في شخص الحاكم . ومن ثم لم يظهر مبدأ القوميات ويتأكد الا بعد الثورة الصناعية وفي ظل صعود الطبقة الرأسمالية الى السلطة • فالبورجوازية كانت تريد سوقا كبيرة نسبيا لتصريف منتجاتها ، ومن ثم عمدت على تصفية الحواجز الاقطاعية بالقضاء على الاقطاع • وهي من ناحية أخرى كان لابد أن تكتشف أساسا آخر تقيم عليه دولتها غير حق الملوك الالهي وقوة السيف • وكان الاساس الوحيد القائم بالفعل والملائم هو مبدأ القوميات . أي ان تشكل كل قومية دولة مستقلة • وهكذا تمت الوحدة القومية لمعظم الدول المستقلة خلال القرن التاسع عشر تحت قيادة البورجوازية ، وفي ظل النظام الرأسمالي بعلاقاته الاستغلالية • ولذلك كانت الوحدة القومية تعني دائما سيطرة قسم معين من البورجوازية او بعبارة اخرى بورجوازية اقليم معين • مثال ذلك بورجوازية باريس والمناطق الشمالية في فرنسا ، وبورجوازية توسكانيا ولومبارديا في ايطاليا ، وبورجوازية ويستفاليا والراين في المانيا .. الخ

وقد حاولت بالفعل البورجوازية السورية - أو بعض أجنحتها على الاقل - تحقيق وحدة عربية بالاستناد الى الاسرة الهاشمية ، ومع استبعاد البورجوازية المصرية . ولكن ذلك لم يكن من الممكنات ، لان قضية التوحيد القومي عندنا تعقدت بفعل عاملين : الاول سلبي ، وهو النفوذ الاستعماري الذي يؤجج التناقض بين البورجوازيات العربية ويضخم من شأن الخصائص الاقليمية تطبيقا لمبدأ فرق تسد • والثاني ايجابي ، وهو تطلع الجماهير العربية الى التحرر الوطني والاجتماعي معا ، الى التخلص من قبضة الاستعمار ومن سيطرة الاقطاع واستغلال الرأسمالية الكبيرة •

وهنا يظهر دور عبد الناصر ، لقد بدأ من واقع تجربة كارثة فلسطين . فكثيرا ما ردد : يقولون ان الجيش الاسرائيلي في سنة ١٩٤٨ هزم سبعة جيوش عربية ، والحقيقة أنه هزمها لانه كانت سبعة جيوش ، ولو كانت جيشا واحدا لما استطاع • ومن هنا كان حرصه لسنوات طويلة على « **وحدة الصف** » بين الدول العربية • ومن هنا كانت مواجهته لحلف بغداد بميثاق « الضمان الجماعي » الذي عقدته الجامعة العربية ، ثم بمواثيق دفاع ثنائية ، ولكن تقدم الثورة في مصر بعد المعركة ضد عدوان ١٩٥٦ جعل عددا من الدول العربية تتراجع عن مواقف التعاون معها ، بل بدأت بعض الحكومات في التآمر ضدها • وكانت تجربة الوحدة المصرية السورية غنية بالدروس ، انها أوضحت في نفس الوقت امكانية الوحدة وحول ما يقف في وجهها من عقبات وتنوع عوامل الهدم التي تعمل ضدها • ومن ثم كان شعار « **وحدة الهدف** » • ان الوحدة لا يمكن أن تتم في ظل الاستعمار لان الاستعمار عدو الوحدة ، ولان الوحدة القومية هي جوهريا حركة تحرر وطني من السيطرة الاستعمارية ومن عملاء الاستعمار الاقطاعيين • ولذلك فان الطريق يبدأ بشعار « **الحرية** » . ان تحرر الاقطار العربية هو الشرط الاول لامكان الوحدة بينها ، والوحدة لا يمكن أن تفتح السبيل - بعد ضرب الاستعمار والاقطاع - أمام سيطرة هذه البورجوازية العربية أو تلك على دولة الوحدة ، ذلك أن الجماهير ترفض أن يفرض عليها استغلال تحت شعار الوحدة • ان الطريق يستمر ليمر « بالاشتراكية » • فاختيار الحل الاشتراكي طريقا للتقدم هو الشرط الثاني للوحدة . ولنترك الكلمة للقائد الراحل نفسه :

« ان الثورة العربية الشاملة ما تزال هي القوة الاصيلة القادرة على تحقيق الامال العربية كلها .. لكنني أود أن أقول بوضوح ان الثورة العربية الشاملة لا يمكن أن تكون مجموعة من المغامرات أو الانقلابات ، وانما هي الحركة التاريخية لجماهير الامة العربية لتقفز عبر التخلف الى التقدم السياسي والاجتماعي والثقافي ، مستندة الى القيم الحضارية للامة العربية محققة بالنضال أهدافها •

ان الثورة هي الطريق الصحيح لوحدة الهدف العربي .. وهي الحالة الوحيدة التي تتمكن فيها شعوب الامة العربية من أن تفرض ارادتها على ارضها •

وفي وقت من الاوقات ، فان العمل المصري نبذ تماما فكرة وحدة الصف وادرك عقمها ، فان وحدة الصف معناها الحرص على الاجماع ، وذلك معناه الرضا بالامر الواقع وقبول تحكم أضعف الاطراف في كل الاطراف •

وفي الواقع فان النضال العربي نفسه هو الذي أسقط مرحلة وحدة الصف في ظرف ما تلا



السويس من أحداث ، وذلك حين استبان تماما الطابع الثورى سياسيا واجتماعيا للثورة المصرية ، وجرت أعنف عملية استقطاب بين الشعوب العربية » [من خطاب فى افتتاح مجلس الامة] .

فالقومية العربية اذن هى فى المقام الاول حركة تحرر وطنى ضد الاستعمار وعملائه الاقطاعيين ، وهى ثانيا حركة تقدم اقتصادى واجتماعى تستهدف بناء الاشتراكية ، وهى ثالثا حركة تقدم سياسى تقوم الديموقراطية • ومن ثم فهى حركة ثورية أصيلة ، نواتها الجماهير العربية الغفيرة ، وطريقها الوحيد هو النضال الثورى •

منهج الوحدة

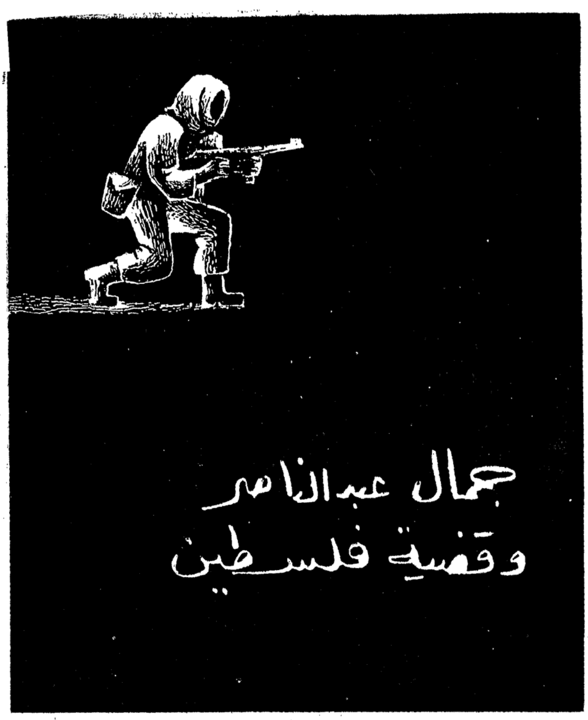
بهذا الفهم العلمى للقومية العربية تصبح الوحدة هدفا استراتيجيا للامة العربية تحققه من خلال النضال ضد الاستعمار والاقطاع والاستغلال الرأسمالى والتخلف الاقتصادى •

وبين شعار الوحدة بأى ثمن وفى أى شكل ، وشعار العزلة واعتبار الوحدة وهما لا ينبغى الجرى وراءه ، قدم عبدالناصر فى الحال وحدة النضال من أجل التحرر الوطنى والاجتماعى ، وللمستقبل الوحدة السياسية بأشكالها الدستورية بين أقطار متحررة اختارت الحل الاشتراكى ، واقتنعت جماهيرها بضرورة الوحدة وأقرت شكلها الذى يوفر الضمانات للافراد والجماعات والافكار •

وبين هجر كل أشكال التعاون العربى جريا وراء سيطرة حزب واحد على المستوى القومى باسم « الثورية » وبين الاكتفاء بنشاط الجامعة العربية وما يماثله من أشكال التعاون ، قدم عبد الناصر شعار وحدة القوى الثورية على المستوى القومى ، وتضامن الدول العربية التقدمية مع المحافظة على أشكال التعاون الدنيا التى تقبلها كل الدول العربية أو معظمها •

وبعد ، لقد أجابت الجماهير فى كل البلاد العربية على دعاوى الاستعمار وتخرصاته غداة وفاة قائدها الكبير ، وعبرت الحكومات التقدمية عن مشاعر تلك الجماهير ، فمن القاهرة ارتفع صوت اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكى واللجنة المركزية ومجلس الامة ثم صوت رئيس الجمهورية الجديد ، تؤكد دور مصر العربى وحرص شعبها على التزامه العربى ، واستمرار السير فى طريق الثورة العربية الذى فتحه عبد الناصر • وفى الخرطوم ، وفى طرابلس ارتفعت أصوات الثورة والثوار ، تؤكد التضامن مع شعب مصر والالتفاف حوله ، وتدعو القاهرة لان تستمر فى تحمل أعباء القيادة فى معركة مصير •





عبد الهادي ناصف

مجمل القول فى نظرة عبد الناصر الى قضية فلسطين هو ان هذه النظرة قد تميزت على النظرة السطحية الضيقة لكثيرين من القادة والحكام العرب ، بأنها نظرة كلية شاملة ، تضع القضية ـ الى جانب كونها فى الاساس قضية شعب وأرض فلسطين ـ ضمن اطارها الحقيقى كجزء لا يتجزأ من صراع اشمل وأكبر بين حركة التحرر العربى ذات المضمون التقدمى وبين الحلف الاستعمارى الصهيونى ، صراع قومى هو فى نفس الوقت جزء من صراع أكثر شمولا بين قوى التحرر والتقدم فى العالم وبين الاستعمار والامبريالية العالمية ، وأن مأساة فلسطين لم تكن عاملا طارئا على الواقع العربى ، وانما كانت نبت هذا الواقع ونتاجه ، نبت التمزق العربى ونتاج التخلف العربى ، وكلاهما حصاد قرون من السيطرة الاستعمارية .

وكانت مأساة فلسطين تمثل فى نظر عبد الناصر



ذروة التحدى الاستعمارى لارادة الامة العربية ، وهو تحد لا يجب ولا يمكن ـ كما يقول القائد العظيم ـ « ان يقابل الا بارادة الحياة ذاتها ، وبكل ما تملكه هذه الارادة من طاقات » ، تحد لا يمكن ان يقابل الا بالعمل العلمى ، الجاد والمخلص ، بعيدا عن كل المزايدات ، والمتاجرة بالشعارات .

وانطلاقا من هذه النظرة كان من الطبيعى أن تكون قضية فلسطين من أكثر قضايا النضال العربى استئثارا بفكر وكفاح القائد والزعيم الذى ظل لاكثر من ثمانية عشر عاما رافعا لالوية النضال العربى بمثل ما لم يرفعها زعيم أو قائد من قبله ، ممسكا بها بقوة وعزم لم تعهدهما فى أى ممن سبقوه من القادة والزعماء ، وباصرار لم يفقد شيئا من عنفوانه منذ بداية الطريق حتى لحظة استشهاد البطل .

وفى السطور التالية ، لمحات ، مجرد لمحات ، تشير الى موضع فلسطين المتميز كمحور من المحاور الاساسية لملحمة النضال الرائعة التى استغرقت كل حياة البطل منذ كان شابا يافعا يخرج فى المظاهرات ، الى أن قضى وهو على قمة الريادة لجيل بأكمله من الثوار ، وأستاذا لاجيال جاءت وستأتى من بعده لتواصل المسيرة الباسلة ، مترسمة خطاه على الطريق مستهدية بتعاليمه ومبادئه .

اللقـــــــاءات الاولى

بين الثائر .. والمأساة

كان اللقاء الاول لجمال عبد الناصر مع مأساة فلسطين فى السنين الوسطى من الثلاثينيات . وكان اذ ذاك طالبا بالمدرسة الثانوية ، تضطرم فى نفسه جذوات التكوين الاولى لثائر عظيم ، ولم يكن يملك فى مثل سنه وظروفه من اداةللتعبير عما يجيش فى نفسه سوى الخروج بالمظاهرات التى كانت تهدر سخطا واحتجاجا ورفضا . ولقد كانت هناك دائما قضيتان تشدان الطالب جمال عبد الناصر الى كل مظاهرة تقوم بشأنهما :

قضية استقلال مصر وتخليصها من براثن الاستعمار ، وقضية انقاذ فلسطين التى كان نفس الاستعمار يعمل آنذاك على تسليمها جزءا جزءا الى العصابات الصهيونية .

ولئن كان اللقاء الاول لجمال عبد الناصر مع مأساة فلسطين هو لقاء الحماس المشتعل ، فلقد كان اللقاء الثانى مع الادراك العلمى المستنير لجذور المأساة وابعادها ومدلولاتها ، وذلك عندما أقبل باهتمام خاص وهو طالب بالكلية الحربية ثم بكلية أركان الحرب على دراسة تاريخ حملات فلسطين وتاريخ وظروف المنطقة العربية كلها والتى جعلت منها خلال القرن الاخير فريسة سهلة تتخطفها أنياب المستعمرين .

ثم كان اللقاء الثالث فى سنة ١٩٤٧ ، والفصل الاخير من المأساة التى صنعها الاستعمار بشعب فلسطين وأرضها علىامتداد ثلاثين عاما يقترب من نهايته ، ويتقدم الصاغ جمال عبد الناصر ـ الذى كان قد بدأ قبل ذلك بخمسة أعوام فى تنظيم حركة الضباط الاحرار ـ يتقدم ليعرض على مفتى فلسطينان يترك الجيشويذهب الى فلسطينلينظم دفاع أهلها عن بلادهم ، ويشترط المفتى استئذان الحكومة المصرية ، ويعرض المفتى الامر على الحكومة فلا توافق ، ويتكون فى أوائل عام ١٩٤٨ ما سمى بجيش الانقاذ الذى ضم متطوعين من معظم البلاد العربية ، ويوفد جمال عبد الناصر اثنين من الضباط الطيارين الاحرار الى سوريا ليعرضا على قيادة ذلك الجيش خطة جريئة جند لها كل الضباط الطيارين الاحرار وكانت الخطة تقضى بأن يستقل هؤلاء الطيارون طائراتهم ويتجهون بها لمساعدة جيش الانقاذ فى المعركة المرتقبة ، وفى اللحظة التى ترسل فيها قيادة ذلك الجيش اشارة معينة ، ولكن الاشارة لم تأت ، وبالتالى لم تتم الخطة .

أما اللقاء الرابع فقد تم على أرض فلسطين نفسها عندما اشترك ضمن قوات الجيش المصرى فى حرب سنة ١٩٤٨ ، تلك الحرب التى كانت تجربته فيها ، والانطباعات والدروس التى خرج بها من تلك التجربة بمثابة نقطة تحول بالنسبة له ولحركة الضباط الاحرار ، كانت شحنة قوية حفزتهم الى الاسراع فى الاعداد ليوم الخلاص المرتقب ، كما تركت آثارا واضحة على فكره واتجاهه بكل أبعادهما الوطنية والاجتماعية والقومية ، وليس هناك أفضل للدلالة على عمق الآثار التى تركتها دروس هذه التجربة المريرة من كلمات البطل الراحل نفسه كما وردت فى كتاب فلسفة الثورة :

يقول البطل مترجما عن الخواطر التى كانت تجول بفكره ، عندما كان ضمن قوات الفالوجة المحاصرة :

«ها نحن هنا فى هذه الجحور محاصرون ، لقد غرر بنا ، دفعنا الى معركة لم نعد لها ، لقد لعبت

باقدارنا مطامع ومؤامرات وشهوات ، وتركنا هنا تحت النيران بغير سلاح .

وحين كنت اصل الى هذا الحد من تفكيرى كنت أجد خواطرى تقفز فجاة عبر ميادين القتال ، وعبر الحدود ، الى مصر واقول لنفسى :

هذا هو وطننا هناك ، انه « فالوجة » اخرى على نطاق كبير ...

ان الذى يحدث لنا هنا صورة من الذى يحدث هناك .. صورة مصغرة ..

وطننا هو الاخر حاصرته المشاكل والاعداء ، وغرر به .. ودفع الى معركة لم يعد لها . ولعبت باقداره مطامع ومؤامرات وشهوات ، وترك هناك تحت النيران بغير سلاح » .



وفى موضع آخر من نفس الكتاب يختتم البطل حديثا مستفيضا عن لقاءاته الاولى بمأساة فلسطين ، وتجربته معها بهذه الكلمات المضيئة التى تعبر بمنتهى العمق ، وتصور بمنتهى الجلال ادراكه المبكر لجذور المأساة وأبعادها ومدلولاتها ، واتصالها عضويا ومصيريا بكل ما هو واقع وبكل ما سيقع مستقبلا على ارض الوطن العربى كله :

« ولست أريد ان أدخل فى تفاصيل حرب فلسطين ـ الآن ـ فذلك بحث تتشعب فيه الاحاديث ، وانما يعنينى من حرب فلسطين درس عجيب :

لقد دخلتها شعوب العرب جميعا بدرجة واحدة من الحماسة ، واذن فهذه الشعوب جميعا تتشارك فى شعورها وفى تقديرها لحدود سلامتها .

ثم خرجت منها هذه الشعوب بنفس المرارة والخيبة ، واذن فهى جميعا ، كل منها فى بلاده ، قد تعرضت لنفس العوامل وحكمتها نفس القوى التى ساقتها الى الهزيمة ونكست رأسها بالذل والعار .

ولقد خلوت الى نفسى مرات كثيرة فى خنادق عراق المنشية وفى جحورها .

وكنت يومها أركان حرب الكتيبة السادسة التى كانت تقف فى ذلك القطاع وتدافع عنه احيانا وتهاجم فى أكثر الاحيان .

وكنت أخرج الى الاطلال المحطمة من حولى بفعل نيران العدو ثم أسبح بعيدا مع الخيال .
واحيانا كانت الرحلة مع الخيال تمضى بى بعيدا الى آفاق النجوم ، فأطل من هذا الارتفاع الشاهق على المنطقة بأكملها .

وكانت الصورة تبدو فى ذلك الوقت واضحة امام بصيرتى ، هذا هو المكان الذى نقبع محاصرين فيه ، هذه مواقع كتيبتنا وهذه مواقع الكتائب الاخرى المشتركة معنا على الخط ، وهذه قوات العدو تحيط بنا .

وهذه قوات أخرى لنا .. هى أيضا محاصرة لا تستطيع الحركة الواسعة ، وان بقى لها مجال للمناورة محدود .

ان الظروف السياسية المحيطة بالعاصمة التى نتلقى منها الاوامر تحيطها بحصار وتلحق بها عجزا اكثر من الذى تصنعه بنا نحن القابعين فى منطقة الفالوجة .

ثم هذه قوات اخواننا فى السلاح وفى الوطن الكبير وفى المصلحة المشتركة ، وفى الدافع الذى جعلنا نهرول الى فلسطين .

هذه هى جيوش اخواننا .. جيشا جيشا .. كلها ايضا محاصرة بالظروف المحيطة بها وبحكامها .. لقد كانت جميعها تبدو كقطع شطرنج لا قوة لها ولا ارادة الا بقدر ما تحركها أيدى اللاعبين .

وكانت شعوبنا جميعها تبدو فى مؤخرة الخطوط فسيحة مؤامرة محبوكة اخفت عنها عمدا ما يجرى ، وضللتها حتى عن وجودها نفسه .

واحيانا كنت اهبط من ارتفاع النجوم الى سطح الارض ، فأحس أننى أدافع عن بيتى وعن أولادى ،



ولا تعنينى احلامى الموهمة ، والعواصـم والدول والشعوب والتاريخ .

وكان ذلك عنـدما التقى فى تجـوالى بين الاطلال المحيطة ببعض اطفال اللاجئين الذيـن سقطوا فى براثن الحصار بعد ان خربت بيوتهم وضاع كل ما يملكون ، وأذكر بينهم طفلة صغيرة كانت فى مثل عمر ابنتى ، وكنت أراها وقد خرجت الى الخطر والرصاص الطائش ، مندفعة أمام سياط الجوع والبرد تبحث عن لقمة عيش أو خرقة قماش .

وكنت دائما أقول لنفسى :

ـ قد يحدث هذا لابنتى .

وكنت مؤمنا أن الذى يحدث لفلسطين كان يمكن أن يحدث ـ وما زال احتمال حدوثه قائما ـ لاى بلد فى هذه المنطقة ما دام مستسلما للعوامل والعناصر والقوى التى تحكمه الآن .

ولما انتهى الحصار وانتهت المعارك فى فلسطين وعدت الى الوطن ، كانت المنطقة كلها فى تصورى قد أصبحت كلا واحدا ، وأيدت الحوادث التى جدت بعد ذلك هذا الاعتقاد فى نفسى .

كنت أتابع تطورات الموقف فيها فأجد أصداء يتجاوب بعضها مع بعض .

كان الحادث يقع فى القاهرة فيقع مثيل له فى دمشق غدا ، وفى بيروت وعمان ، وفى بغداد ، وغيرها .

وكان ذلك كله طبيعيا مع الصورة التى رسمتها التجارب فى نفسى .

منطقة واحدة ، ونفس الظروف ، نفس العوامل .. بل نفس القوى المتألبة عليها جميعا .

وكان واضحا أن الاستعمار هو أبرز هـذه القوى » .

فلسطين وجمال عبد الناصر
على طريق القومية العربية

هكذا رأينا كيف كان عبد الناصر ينظر منذ البداية الى مأساة فلسطين وشعبها وكانها مأساة الارض العربية كلها والشعب العربى بأسره ، كانت مأساة فلسطين تمثل فى نظره ذروة مرحلة طويلة من العدوان والتآمر الاستعمارى على الوطـن العربى والامة العربية ، وبداية لمرحلة جديدة ذات ابعاد وصيغ جديدة من التآمر والعـدوان الاستعمارى المستمر على الوطن العربى والامة العربية .

ولم تكن أقدام الثورة التى فجرها فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ترسخ على أرض مصر حتى بدأ قائد الثورة يطلق نداءاتها القوميـة ، وكان محـور النداءات هو العمل العربى الموحد فى مواجهة الاستعمار ، وكانت نقطة المنطلق فيها هو قضية فلسطين والتهديد الاسرائيلى المستمر للارض العربية كلها :

فى خطاب القاه فى نادى فلسطين فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٥٣ يخاطب المجتمعين من ممثلى شعوب البلاد العربية كلها قائلا :

« ان اسرائيل يسندها الاستعمار الذى لا يريد لهذه المنطقة اية حرية .

نحن يمكننا ان نقضى على الغرب اذا اتجهنا للعمل وحده ، وتركنا الخطب واتجهنا الى مقاومة الاستعمار لانه سبب كل هذه النكبات ، وهو وحده الذى دبر نكبة فلسطين ويدبر النكبات للبلاد العربية كلها » .

وفى خطاب عيد الدستور فى يناير سنة ١٩٥٦ :
« كنا نعتبر أن خطر اسرائيل فى حقيقة أمره هو ضعف العرب ، ولولا هذا الضعف ما قـامت اسرائيل ، ولولا هذا الضعف ما استطاعت أن تغتصب من الوطن العربى بقعة من أقدس بقاعه وأطهر أراضيه » .

« اسرائيل ليست الحدود المسروقة وراء خطوط الهدنة ، وانما اسرائيل فى حقيقة أمرها رأس حربة للاستعمار » .

وعلى امتداد ثمانية عشر عاما ، وفى صبر عجيب ، وجلد واصرار وتفان لا يتوافر الا لطراز عبد الناصر من رواد الانسانية وأبطال التاريخ ، ظل يحاول ويحاول متحملا لما لا يحتمل فى سبيل استنفار كل القوى العربية الى وقفة موحدة فى النضال ضد الاستعمار وضد ربيبته وصنيعته وحليفته اسرائيل ، نضال محوره الاساسى تحرير أرض فلسطين المغتصبة واستعادة حقوق شعب فلسطين المهدورة ، وازاء التناقضات التى يطفح

بها الواقع العربى لم يدع عبد الناصر أى صيغة ممكنة لعمل عربى مشترك فى مواجهة العدو المشترك الا طرحها وحاول أن يخلق منها شيئا ، ابتداء من اتفاقيات الدفاع الثنائية والثلاثية بين البلاد العربية المحيطة باسرائيل وانتهاء بمؤتمرات القمة العربية ، تعددت الصيغ وتنوعت الاشكال ، ولكن جوهر القضية ظل لدى عبد الناصر واحدا لا يتغير مع التقلبات العربية ولا يتأثر بعدوى الامراض العربية المزمنة ولا ييأس صاحبه ولا يتزحزح عن ايمانه وثقته بأن حركة التاريخ مع ارادة الشعوب ، وفى اتجاه انتصارها الحتمى ضد الجلادين والمغامرين :

« ان ارادة التغيير العربى ، ارادة الثورة العربية ، أقوى من الاستعمار الذى خلق اسرائيل ، وأقوى من اسرائيل ولابد ان يعود الحق العربى للشعب الفلسطينى ، لانه أقوى من ارادة الاستعمار ، وأقوى من اسرائيل » .

خطاب عيد الثورة فى ٢٢ يوليو سنة ١٩٦٤

وفى ٢٣/٤/٦٥ ، وبرغم ما تعرض له العمل العربى مرة أخرى من عثرات نرى عبد الناصر أشد ما يكون اصرارا وثقة ووضوح رؤية بالنسبة للقضية فى كل ابعادها :

« ان قضية فلسطين بالدرجة الاولى هى عدوان استعمارى لم يسبق له فى التاريخ مثيل ، بل انا لنثق ان يقظة الضمير الانسانى لن تجعل له مثيلا فى المستقبل ايضا . هو عدوان بغير سابقة فى التاريخ .. وهو فى نفس الوقت عدوان لا يمكن أن يتكرر ، ان الاستعمار انتزع جزءا من أرض الامة العربية بغير حق واعطاه لقومية غريبة ودخيلة على الارض العربية ، ليكون قاعدة للتهديد المتصل ، وليكون حاجزا ضد الوحدة التى هى كلمة الطبيعة ذاتها فى المصير العربى ، وليكون معوقا للتقدم فى جميع مجالاته بسبب ما يستنزفه الدفاع من جهود ، ان خطرا من هذا النوع ، لا يجب أن يواجه ، ولا يمكن أن يواجه الا بارادة الحياة ذاتها ، وبكل ما تملكه هذه الارادة من طاقات » .

ولم تكن نكسة يونيو سنة ١٩٦٧ والتى أسفرت عن احتلال العدو الاسرائيلى لجزء من الارض المصرية ووصوله عبر سيناء الى قناة السويس لتغير من نظرة عبد الناصر الى طبيعة الصراع ، أو ان تستغرقه مشكلة مصر الخاصة فتصرفه عن حقيقة المشكلة فى اطارها الكلى الذى لا يتجزأ ، او تزحزحه عن ايمانه الراسخ بقومية المعركة وارتباطها ليس بمصير شعب واحد وانما بمصير كل شعوب الامة العربية ، فهو يعلن فى افتتاح المجلس الوطنى الفلسطينى يوم ١ يناير سنة ١٩٦٩ :

« ان الامة العربية كلها يجب أن تعلم ، وتلك عبرة ايجابية من دروس معركة يونيو أن القضية ليست قضية شعب فلسطين وحده ، وانما القضية تمتد بعد ذلك الى أوسع وأبعد ، ذلك أن العدو الصهيونى يسعى فعلا الى تحقيق هدفه التوسعى بين النيل والفرات » .

وفى خطاب افتتاح مؤتمر اتحاد العمال العرب يؤكد :

« ان الارضية الاصلية وراء الصراع العربى الاسرائيلى هى فى الواقع وعلى وجه الدقة ارضية التناقض بين الامة العربية الراغبة فى التحرر السياسى والاجتماعى وبين الاستعمار الراغب فى السيطرة وفى مواصلة الاستغلال ... وبين آمال الامة العربية وحقوقها المشروعة وبين أطماع الاستعمار ومخططاته ومؤامراته » .

ولم تنجح كل محاولات أمريكا وضغوطها المتكررة فى اقناع عبد الناصر بتجزئة القضية ، اى بحل مشكلة الارض المصرية والتخلى عن باقى الشعوب التى احتلت ارضها وفى المقام الاول منها شعب فلسطين وأرض فلسطين ، ولكن عبد الناصر اعلنها منذ البدية وظل متمسكا بها الى آخر لحظة من حياته : « القدس قبل سيناء ، الضفة الغربية قبل سيناء ، غزة قبل سيناء ، الجولان قبل سيناء » .

« لا حل سلمى الا بالجلاء عن كل الارض المحتلة واعادة حقوق شعب فلسطين » .

التطوير والتحرير .. صنوان لايستغنى أحدهما عن الآخر

كانت مأساة فلسطين ، وكل مأساة عاشتها أو لا تزال تعيشها الامة العربية وليدة عاملين يكمل أحدهما الآخر ويصنعان من تزاوجهما كل مأساة ، هذان العاملان هما : العدوان الخارجى والضعف العربى . هذه حقيقة ادركها عبد الناصر منذ اللحظات الاولى لالتقائه بالمأساة وأدرك معها أن العرب لن يستطيعوا أن يحرروا شبرا واحدا من أرض فلسطين بملء الارض صراخا أو بملء ما بين



السماء والارض خطبا واناشيد وأهازيج ، ما بقى واقعهم على ما هو عليه من ضعف ، كان له دائما وجهان يكمل احدهما الاخر ليصنعا معا عملية الضعف العربى ، هذان الوجهان هما : التمزق ، والتخلف ، ولئن كان مقياس التخلف داخل مجتمع ما هو عجز هذا المجتمع عن اشباع حاجات أفراده ، فان المقياس الخارجى له هو عجز هذا المجتمع عن حماية نفسه من اعدائه او مناجزتهم على استرداد حق مغتصب ٠

ومن هنا كان عبد الناصر ينظر دائما الى مشكلة التخلف العربى باعتبارها مشكلة المشاكل والبؤرة التىتتوالد فيها ميكروباتالامراض التىتوهنجسم الامة العربية وتمتص قواها ، ومن هنا أيضا كان طريق تحرير فلسطين لديه هو طريق القوة الذاتية العربية وبدون هذه القوة تصبح كل الطرق الى تحرير فلسطين طرقا مسدودة ، وبدون هذه القوة أيضا لن يستطيع أى شعب عربى أن يعيش آمنا ما ظل خطر العدوان الاسرائيلى والاستعمارى قائما يتربص بأى محاولة لبناء التقدم العربى ٠



ولقد أجمل عبد الناصر مجموعة الحقائق الاساسية الماثلة فى الواقع العربى والتى يتعين على حركة الثورة العربية أن تواجهها فى العبارة الاتية :

« ان قطعة من الارض العربية فى فلسطين قد أعطيت من غير سند من الطبيعة أو التاريخ لحركة عنصرية عدوانية أرادها المستعمر لتكون سوطا فى يده يلهب به ظهر النضال العربى اذا استطاع يوما أن يتخلص من المهانة وأن يخرج من الازمة الطاحنة ، كما أرادهاالمستعمر فاصلا يعوق امتداد الارض العربية ويحجز المشرق عن المغرب ، ثم أرادها عملية امتصاص مستمرة للجهد الذاتى للامة العربية تشغلها عن حركة البناء الايجابى » ٠

« الميثاق »

وكان الرد الحاسم لعبد الناصر على جملة التحديات الماثلة فى هذا الواقع هو صيغة الثورة الشاملة بأبعادها الثلاثة الوطنية والاجتماعية والقومية باعتبارها الصيغة الوحيدة الملائمة للنضال العربى المعاصر :

« ان الثورة العربية مطالبة اليوم بأن تشق طريقا جديدا أمام أهداف النضال العربى ٠

ان عهودا طويلة من العذاب والامل بلورت فى نهاية المطاف أهداف النضال العربى ظاهرة واضحة ، صادقة فى تعبيرها عن الضمير الوطنى للامة ، وهى : الحرية ، والاشتراكية ، والوحدة » ٠

« الميثاق »

ولقد خاض جمال عبد الناصر منذ الايام الاولى لثورة ٢٣ يوليو معركة باسلة ضد التخلف الذى ورثته الثورة فى المجتمع المصرى ، واتجهت الثورة بكل قواها الى عملية البناء والتطوير التى قادت مسيرة الثورة الى حتمية الحل الاشتراكى ، وفى نفس الوقت فانها كانت مقتنعة بأنه لابد وأن يتوافر لعملية البناء الامن والحماية اللازمين ضد الاعداء المتربصين بأى محاولة عربية جادة للخروج من هوة التخلف التى تردت فيها الامة العربية خلال قرون من السيطرة الاجنبية ، ولقد رفض الغرب بطبيعة الحال أن يبيع لنا من السلاح الحد الادنى اللازم لحماية أنفسنا من عدوان اسرائيل ، فكانت تلك الخطوة العملاقة التى خطاها عبد الناصر بكسره لاحتكار السلاح والتى كانت فى حد ذاتها نقطة تحول نحو تغيير جذرى لعلاقات القوى فى المنطقة كلها ، كما كانت كسرا لاسوار الحصار الذى ضربه الاستعمار وساعدته عليه الرجعيات الحاكمة فى البلاد العربية ، وحالبه بين شعوب المنطقة وبين الاتصال بالحليف الطبيعى لحركة التحرر والتقدم وهو معسكر الدول الاشتراكية ٠

عبد الناصر والبعد العالمى لقضـــــية فلســـــطين

لقد رأى عبد الناصر منذ وقت مبكر أن وقوف قوى التحرر العربى بمعزل عن تيار التحرر العالمى

لن يؤدى فى النهاية الا لنتيجة واحدة ، هى حرمانها من مساعدة قوى التحرر والتقدم فى العالم الذى تستأثر فيه اسرائيل والحركة الصهيونية بكل ما يملكه معسكر الاستعمار والامبريالية العالمية من أسباب التأييد والعون المادى والمعنوى ، كما تحول هذه العزلة دون كسب تأييد الشعوب المتحررة الى جانب قضية شعب فلسطين ، وتحجب عن هذه الشعوب طبيعة اسرائيل الاستعمارية العدوانية ، وحقيقة وجودها كجيب من أخطرجيوب المقاومة الاستعمارية ضد نضال الشعوب .

ولقد كان من رأى معظم الحكام العرب منذ أوائل الخمسينات ، ولا زال هذا رأى بعضهم فى أوائل السبعينات — أن المصالحة مع الاستعمار يمكن أن تؤدى الى حل عادل لمشكلة فلسطين ، ونسى هؤلاء الحكام عن جهل أو تناسوا عن عمد أن كل النظم العربية الحاكمة فى سنة ١٩٤٨ وما قبلها كانت أكثر من متصالحة مع دول الاستعمار الكبرى ، كانت اما عميلة لها ، أو مستسلمة لسلطانها ، أو متصادقة معها على أقل تقدير ، وبالرغم من ذلك اغتصب الاستعمار أرض فلسطين من شعبها وأسلمها لقمة سائغة لحركة الصهيونية العالمية وعصاباتها لتخلق منها قاعدة لعدوانه ، ورأس جسر مأمن له ، وضمانا لاستمرار وجوده المسيطر فى المنطقة ، حماية لمصالحه الاقتصادية والاستراتيجية فيها ، ضد موجة التحرر العربى التى كان على يقين من أنها آتية لا ريب فيها .

وانطلاقا من ادراك عبد الناصر المبكر لهذه الحقائق كانت وقفته الحازمة ، الحاسمة فى وجه كل مشاريع الاحلاف التى حاول الغرب بالاغراء مرة وبالتهديد مرات فرضها على المنطقة والتى كان يعنى قيامها بالضرورة ، وفى الدرجة الاولى ، التصفية النهائية لقضية فلسطين . ومن هنا أيضا كان انفتاح ثورة ٢٣ يوليو على العالم ، وكان اسهام عبد الناصر الرائع فى ارساء أسس الحياد الايجابى وعدم الانحياز وتجميع شعوب العالم الثالث حولها مناهضة للاستعمار وتطلعا الى حاضر آمن ومستقبل يسود فيه الرخاء والسلام القائم على العدل .

ثم كان كسر عبد الناصر لاحتكار السلاح ، وعلاقات التعاون الوثيقة التى حققها مع دول المعسكر الاشتراكى ، وفى مقدمتها الاتحاد السوفييتى ، هو الذى أتاح لمصر ولغيرها من الدول العربية المتحررة أن تخطو بخطوات واثقة على طريق التنمية ، وأن تبنى درع أمنها وتجهز قواتها بأحدث الاسلحة والمعدات ، ودون ان تتنازل عن ذرة واحدة من سيادتها واستقلالها .

وأخيرا فان قيادة جمال عبد الناصر للعمل الثورى الخلاق الذى تم على أرض مصر وما حققه من انجازات وما أحدثه من أصداء على النطاقين العربى والعالمى ، كان هو الذى أكسب مصر والوطن العربى ذلك الثقل الدولى الذى لم يكن له قبل عبد الناصر ، والذى كان من بعض نتائجه أنه لاول مرة فى التاريخ الحديث لم يعد مصير المنطقة معلقا بارادة قوة أجنبية تتصرف فيه حسب ما تشاء ، كما منيت بالفشل سياسة الامر الواقع التى حاول الاستعمار أن يفرض بها على الامة العربية وعلى العالم أجمع التسليم نهائيا والى الابد بآثار الجريمة التى ارتكبها على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨ وضد شعبها ، وحطمت قضية هذا الشعب البطل وحقه فى أرضه المغتصب جدر الصمت والنسيان وفرضت من جديد نفسها على سمع العالم وبصره وعلى حسابات كل القوى المتصارعة فيه .

عبد الناصر وشعب فلسطين

الذين حاولوا الغاء وجوده

ان شمولية الصراع العربى ضد اسرائيل والاستعمار فى نظر جمال عبد الناصر ، وقومية هذا الصراع ، بل وعالميته ، لم تحجب عن فكر عبد الناصر لحظة واحدة ، ولم تنسه أبدا أن محور الاستقطاب الاكبر فى هذا الصراع يدور حول أكثر نقطة تفجرا والتهابا وهى قضية الشعب الذى طرد ، وأرضه التى اغتصبت ، قضية شعب فلسطين العربى وأرض فلسطين العربية ، فلقد



أعلن دائما أنه ليس من حق أى دولة عربية ، بل ليس من حق الدول العربية مجتمعة أن تتصرف فى قضية فلسطين بعيدا عن صاحب الحق الاول والكلمة الاخيرة فيها وهو شعب فلسطين ، أو ضد ارادته ، كما آمن دائما وعمل على أن يكون للشعب العربى الفلسطينى دورا أساسيا فى معركة استرداد أرضه وحقه .

كانت ولا تزال هناك محاولات لعزل هذا الشعب البطل عن قضيته التى هى قضية وجوده ومستقبله ، والتصرف فيها نيابة عنه ، ولقد كان هذا كما عبر عنه عبد الناصر من أكبر السلبيات التى نكب بها النضال العربى ضد اسرائيل وحلفائها ، كما كان بروز المقاومة الفلسطينية من أكبر العوامل ايجابية فى هذا الصراع .

وفى الوقت الذى كانت بعض الدول العربية تعمل بمنتهى العنف والقسوة على كبت أى محاولة لبعث حركة المقاومة فى الشعب الفلسطينى ، كان عبد الناصر يعمل عكس ذلك تماما ، ففى سنة ١٩٥٤ وبتوجيه ورعاية منه ، تمت فى قطاع غزة أول محاولة لتحويل هذا الشعب البطل من شعب لاجئين الى شعب من المقاتلين .

وفى سنة ١٩٦٤ ، وبمبادرته ، وجهده المستميت فى مؤتمر القمة برز الكيان الفلسطينى الشرعى لاول مرة بعد ١٩٤٨ الى حيز الوجود وأنشىء جيش التحرير الفلسطينى .

وبعد نكسة ١٩٦٧ ، وحتى آخر يوم من حياته ، لم تجد طليعة الثورة الفلسطينية ممثلة فى حركة المقاومة المتنامية ، ظهيرا أو نصيرا أقوى ولا أخلص من جمال عبد الناصر ، الذى قدم لها من العون المادى والمعنوى ودون أى شروط ما لم يقدمه غيره ، ثم كانت كلماته عن المقاومة والتى أعلنها على العالم أجمع أقوى وأبلغ رد على حملات التشكيك والتهوين التى استهدفت المقاومة الفلسطينية :

فى خطاب افتتاحه لدورة المجلس الوطنى الفلسطينى فى أول فبراير سنة ١٩٦٩ قال عبد الناصر :

« ان أبرز النتائج الايجابية لما بعد معارك يونيو ١٩٦٧ هو ظهور الكيان الفلسطينى بطريقة مجسدة لاول مرة منذ سنة ١٩٤٨ . ولقد كانت تلك من نقاط الضعف فى النضال العربى الشامل الذى كانت فلسطين بطبيعة الحال أهم ميادينه ، ولسوف يسجل التاريخ لشعب فلسطين الذى جاهد طويلا وقاتل بغير هوادة فى معارك غير متكافئة ، انه فى الوقت الذى ظن فيه العدو أنه نجح فى تصفية وجوده باحتلال كل أرضه ، فان هذا الشعب بحيوية اصيلة ، وبارادة نضال لا تقهر ، انتفض واقفا يملأ ساحة النضال كلها ببطولة باهرة ... » .

« ان تعاظم دور المقاومة الفلسطينية كان وسوف يكون نقطة تحول هائلة فى النضال العربى » .

وفى خطاب افتتاحه لمجلس الامة فى ١٩٦٩/١/٢٠ يتحدث عن المقاومة وعن الحق المطلق للارادة الفلسطينية ، ودون أى وصاية عليها بهذه الكلمات القاطعة ، الواضحة ، الحاسمة :

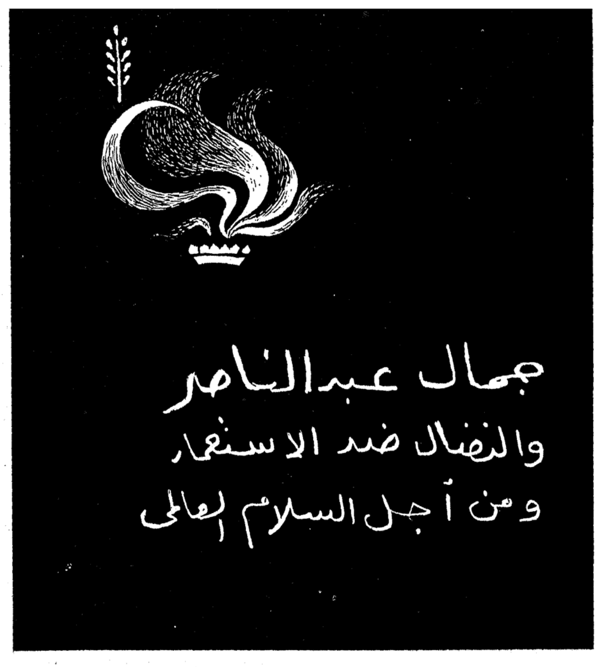
« ان نمو منظمات المقاومة الفلسطينية وتعاظم دورها وتصاعد عملياتها تبعا لذلك من أبرز ظواهر مرحلة ما بعد يونيو سنة ١٩٦٧ » .

« ان الارادة الفلسطينية يجب أن تترك بغير اعتراض ويجب أن تكون لها الفرصة كاملة لتحقيق آمالها ، ولا ينبغى أن تكون هناك أية وصاية على تصرفاتها » .

ولقد كانت خاتمة أعمال عبد الناصر المجيدة هو بذله لاخر نفس من أنفاس حياته فى سبيل حماية المقاومة الفلسطينية والشعب الفلسطينى من مذبحة الافناء المدبرة التى تعرض لها فى الاردن .

لقد كانت قضية شعب فلسطين ووطنه دائما ملء قلب عبد الناصر وفكره ، وكان استرداد الحق الفلسطينى السليب دائما هدفا ماثلا أمام عينيه فى كل معارك كفاحه ، لا يحيد عنه ولا يريم ، ولا يتراجع عن اصراره على بلوغه .

أما وقد غاب البطل والقائد والزعيم فقد ترك وراءه شعبا ، بل أمة بأسرها ، لن تنبذ ، بأى حال من الاحوال، من قلبها أو فكرها قضية كان لها كل هذا المكان فى قلب الزعيم المعلم وفكره ، وستورد موارد الحتف كل من يتخلى عن هدف واحد من أهداف كفاح البطل الشهيد .



خالد محيى الدين

عندما قاد **عبد الناصر** ثورة ٢٣ يوليو ليصل بها الى تولى زمام السلطة فى مصر ، كان يدرك هو وجميع من حوله من الضباط الاحرار ان القضية الاساسية التى تواجههم والتى تفرض نفسها قبل اية قضية أخرى هى قضية الاستقلال الوطنى .. ثم بناء مجتمع جديد .

ولعلها أكثر القضايا التى استحوذت على تفكير **عبد الناصر** الشاب هو والشباب الذين التفوا حوله ، ولهذا فانه من المفيد أن نحاول هنا ان نتتبع ببعض الامعان المسار الفكرى والمنهج العلمى الذى اختطه عبد الناصر فى طريق تحقيق الاستقلال الوطنى والنضال ضد الاستعمار والحرب ومن أجل السلام العالمى .

ذلك أن مثل هذه الدراسة المتأنية ليست مجرد تتبع لخطى ثورية فى طريق النضال المثابر والمستمر ضد الاستعمار ، لكنها تشكل فى ذاتها منهجا علميا وأسلوبا ثوريا يستحق التأمل وأن تستخلص منه الدروس . وهو أيضا تحديد علمى لفهم طبيعة الاستعمار وطبيعة المعركة ضده فى بلد كمصر .

ومنذ البداية ادرك **عبد الناصر** أن انتزاع الاستقلال من أيدى المستعمر ليس ممكنا قبل انتزاع



السلطة الداخلية من أيدى الطبقات والقيادات التى تعاونت أو تهادنت أو تهاونت مع المستعمر .

ومن هنا فقد كان الهدف الاول والاساسى للثورة هو عزل كافة القيادات والطبقات الغير مخلصة عزلا تاما عن السلطة السياسية ، وتخليص هذه السلطة لتصبح بالفعل فى أيدى القوى القادرة على مواجهة الاستعمار وعلى تحديه وعلى انتزاع الاستقلال من بين براثنه .

وحول هذه القضية يقول الميثاق « ان الشعب المصرى فى نضاله ضد الاستعمار استطاع ان يشل فاعليات طبقات من المجتمع القديم ، كانت قادرة على خداعه بالتظاهر باشتراكها معه فى ضرب الاستعمار ، بينما هي فى الواقع متصلة فى مصالحها به . « ان حرب التحرير التى كان يمكن بالمفهوم التقليدى أن تحتاج الى وحدة جميع الطبقات فى الوطن حققت انتصارها فى الواقع حين حمت نفسها من أية ضربة خائنة فى الظهر .

« ان الشعب المصرى خاض معركة التحرير ضد الاستعمار ، ولم تخدعه المظاهر ، وحرص طول المعركة على أن يعزل عن صفوفه كل الذين ترتبط مع الاستعمار مصالحهم فى مواصلة الاستغلال » .

وهكذا كانت الخطوة الاولى لضرب الاستعمار هي ضرب مراكزه فى الداخل ، ومراكزه فى الداخل هى قوى كبار الملاك ، وكبار الرأسماليين المتعاونين معه والمرتبطين به سياسيا واقتصاديا .

ومن هنا تتخذ المعركة من أجل الاستقلال طابعا طبقيا واضحا يستهدف الغاء سيطرة رأس المال على الحكم كسبيل وحيد لاقامة حكم وطني حق .

وهكذا ومنذ اليوم الاول ارتبطت فى ذهن القائد المعركة ضد الاستعمار بالمعركة ضد عملائه ، وكان طبيعيا أن يؤدى ذلك الى فهم متقدم لطبيعة السلطة التى تواجه الاستعمار وطبيعة السلطة المطلوب اقامتها بعد الاستقلال .

وهكذا ومنذ اليوم الاول أيضا تتحدد الآفاق الرحبة لمعركة ما بعد الاستقلال ، وفي هذا الصدد يتحدث **عبد الناصر** فيقول « كلنا كافحنا بوسيلة أو بأخرى من أجل الاستقلال ، وكلنا وصلنا اليه بشكل أو بآخر ، لكننا فى نفس لحظة الانتصار كشفنا ان النهاية التى وصلنا اليها ليست الا بداية للتحدى الحقيقى لمطالب الحرية والحياة . ان شعوبنا لا تقنع بالاستقلال علما ونشيدا وصوتا فى عداد الاصوات فى الامم المتحدة ، فحسب، ولكنها تريد الى جانب ذلك أن يكون الاستقلال مضمونا اجتماعيا يصون كرامة البشر ، كما يصون الاستقلال كرامة أرضهم » . (١)



المعركة ، اذن، ذات شقين متلازمين : **الحرية السياسية والحرية الاجتماعية** ، فالاستقلال الذى كافحنا للحصول عليه لابد له ، وبالضرورة ، أن يكفل للجماهيرالتى تحملت عبء معارك الكفاح الوطنى ضد المحتلين على مسار عشرات السنين أن يكفل لها حياة انسانية كريمة ، ولم يكن ذلك مجرد شعار حالم ، وانما خطوات عملية فتح السبيل أمامها ، ان القوى الاستغلالية الاساسية قد أقصيت بالفعل عن مراكز السلطة السياسية ومن ثم فقد جردت من أحد أسلحتها الاساسية التى تحمى بها نفوذها واستغلالها .

وإذا كان سحب السلطة من كبار الملاك وكبار الرأسماليين ضرورة لتحقيق الاستقلال الوطنى فان

« ١ » من خطاب الرئيس عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القمة الافريقى — ١٧ يوليو سنة ١٩٦٤ .

مواصلة المعركة ضدهم وتصفية مراكزهم الاقتصادية والاجتماعية - هو بدوره - ضرورة حتمية لكى يكون لهذا الاستقلال - كما قال عبد الناصر - مضمون اجتماعى يصون كرامة البشر .

وهكذا يؤكد عبد الناصر على صفحات الميثاق « ان الحل الاشتراكى لمشكلة التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى مصر - وصولا ثوريا الى التقدم - لم يكن افتراضا قائما على الانتقاء الاختيارى وانما كان الحل الاشتراكى حتمية تاريخية فرضها الواقع وفرضتها الامال العريضة للجماهير ، كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم فى النصف الثانى من القرن العشرين .

ذلك ان الاستقلال الحقيقى ليس مجرد « **علم ونشيد وصوت فى الامم المتحدة** » ، وانما هو بناء لاقتصاد متخلص فعلا من أية تبعية للاستعمار وبناء وطن قوى وجيش قوى وسياسة وطنية مستقلة تماما ومتخلصة تماما من أى نفوذ استعمارى .

لقد رفض **عبد الناصر** منذ البداية ان يكون الاستقلال الذى يحققه لمصر استقلالا شكليا تغلفه وتقضى عليه عوامل التبعية الاقتصادية والسياسية . فالاستقلال الحقيقى يعنى بناء اقتصاد مستقل ، ومن هنا خاض عبد الناصر معارك التصنيع والبناء كسبيل لتعزيز الاستقلال .

لكن بناء المشاريع الضخمة والصناعات الثقيلة والاستثمارات الضخمة ليس ممكنا فى بلد كمصر بغير تجميع لكل الامكانيات فى معركة البناء على أساس أنها معركة قومية وليست هدفا ذاتيا لشخص او طبقة ومن هنا كان طبيعيا أن ترتفع فى مصر رايات التأميم والتخطيط العلمى ومشاريع ضخمة كالسد العالى .. ومصانع الحديد والصلب .. الخ .

والمعركة ضد الاستعمار ليست معركة يوم وليلة ، وهى لا تنتهى بمجرد ان يسحب قواته من ارض مصر ، فقد ادرك **عبد الناصر** ان الموقع الاستراتيجى لمصر وأن المكانة التى تحتلها والتى تمثلها بالنسبة للامة العربية ولكل دول الشرقين الاوسط والادنى ولكثير من الدول الافريقية كل ذلك سوف يدفع الاستعمار بنوعيه القديم والجديد معا الى محاولة فرض سيطرة على مصر حفاظا على موقعها الاستراتيجى فى قبضته وخوفا مما يمكن ان تمثله مصر كمنارة للتحرر والتقدم الاجتماعى فى رقعة شاسعة تمتد عليها ظلال مطامعه .

وهكذا فالمعركة مع الاستعمار أبدية ما بقى للاستعمار وجود ، وأبدية المعركة لا نفرضها نحن ، بل تفرضها مطامع المستعمرين ومخاوفهم . ومن هنا فعلينا أن نواصل المعركة ضد الاستعمار فى كل مكان ، وان نمد يد الصداقة والعون لكل مقاتل ضد الاستعمار فى أى مكان من الارض ، وهكذا بدأت مصر تهاجم الاستعمار حينما وجد ، وتؤرقه حيثما استطاعت كسبيل لدعم حركة التحرر الوطنى العالمية ، ولاضعاف الاستعمار ككل والقضاء عليه ، ومن ثم كسبيل لحماية استقلالها الوطنى وحماية ما تبنيه على ارضها من منجزات .

وهكذا فان الضغوط والمؤامرات الاستعمارية ضد مصر قد ردت الى نحر المستعمرين دعما لحركات التحرر الوطنى ، ولكل الثورات التحررية فى كل انحاء الوطن العربى ، وفى افريقيا ، وكثير من انحاء العالم .

لكن عبد الناصر لم يكتف بمساندة حركات التحرر الوطنى والمنظمات الشعبية والجماهيرية المطالبة بالاستقلال بل مد يده أيضا على الصعيد الرسمى مجمعا كل القوى المناهضة للاستعمار والرافضة للتبعية للمستعمرين فكانت مجموعة دول عدم الانحياز ومنظمة الوحدة الافريقية وذلك لتعزيز نضال هذه الدول ضد الاستعمار ، ومنح كثير من الدول التى تعجز عن اتخاذ مواقف منفردة فى مواجهة الاستعمار الفرصة لتنضم - بشكل أو بآخر - وفى الحدود التى تريدها الى موكب العداء للاستعمار ورفض التبعية .

كذلك أدرك عبد الناصر اهمية الامم المتحدة وبذل كثيرا من جهده ونفوذه ليتخذ منها منبرا للعداء ضد الاستعمار . وبالاضافة الى ذلك فقد أدرك عبد الناصر أهمية تجميع جهود الدول النامية للنضال من اجل وضع قواعد وأسس عادلة للتعامل التجارى والاقتصادى كسبيل للحد من استنزاف الاحتكارات العالمية والاستعمار العالمى لثروات



هذه الدولة .. وتحقيقا لذلك فقد لعبت مصر دورا هاما وفعالا فى المؤتمر الدولى الاول للتجارة والتنمية بجنيف والمؤتمر الثانى الذى عقد فى **نيودلهى** .

وهكذا ، وعندما تتجمع حقائق الصورة جنبا الى جنب يتضح لنا كيف كان عبد الناصر مناضلا حقا ضد الاستعمار العالمى يبذل كل جهده وطاقاته وامكانياته لمحاصرة الاستعمار ومقاومته والقضاء عليه فى كل مكان وبكل الوسائل وعلى الصعيد المحلى والعالمى والرسمى والشعبى معا .

ولهذا فقد كان عبد الناصر على حق تماما عندما قال : « ان النضال الشعبى المصرى ، والنضال الشعبى للامة العربية كليهما يجرى فى اطار الثورة العالمية كلها لحركة التحرير الوطنى ، هذه الثورة الرائعة التى تتعرض اليوم لغارات استعمارية رجعية ضارية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية » . [٢] .

النضال من أجل السلام

والنضال الشامل والمستمر ضد الاستعمار يعنى بالضرورة النضال ضد الحرب .. وهكذا ومن نفس المنطلقات الوطنية كان عبد الناصر أحد أبطال النضال من أجل السلام العالمى .

وبوحى من حبه العميق وايمانه بشعبه وتصميمه على ضرورة بناء حياة سعيدة لهذا الشعب انطلق عبد الناصر يناضل ضد الحرب وضد مشعليها من الامبرياليين .. معلنا دوما « أن شعبنا يعرف قيمة الحياة ، لانه يحاول بناءها على أرضه ، أن صدق دعوته للسلام تنبع من حاجته الماسة اليه .. ان السلام هو الضمان الاكيد لقدرته على الاستمرار فى معركته المقدسة من أجل التطوير » (الميثاق)

ويؤكد عبد الناصر أيضا « أن التعاون الدولى من أجل الرخاء المشترك لشعوب العالم هو امتداد طبيعى للحرب ضد الاستعمار والاستغلال » [الميثاق] .

بهذا الفهم ، النضال ضد الاستعمار وضد الاستغلال خاض عبد الناصر كفاحه من اجل السلام ، ذلك أنه لا يمكن للسلام الحقيقى أن يستقر أو يستقيم فى ظل الاستغلال الاستعمارى لموارد الشعوب وثرواتها . وحول هذه القضية يتحدث الميثاق قائلا « ان شعبنا يؤمن أن الرخاء لا يتجزأ ، وان التعاون الدولى من أجل الرخاء أقوى ضمانات السلام العالمى ، ان السلام لايمكن ان يستقر فى عالم تتفاوت مستويات الشعوب فيه تفاوتا مخيفا .. ان السلام لا يمكن ان يستقر على حافة الهوة السحيقة التى تفصل بين الامم المتقدمة والامم التى فرض عليها التخلف .

ان الصدام المحقق بين التخلف والتقدم هو الخطر الثانى الذى يهدد السلام العالمى بعد الخطر الاول الذى يكمن فى نشوب حرب ذرية مفاجئة » . وعلى هذا الاساس الواضح يخوض عبد الناصر المعركة ضد الحرب معلنا أنها فى نفس الوقت معركة ضد الاستعمار وضد الاستغلال .

لكن **عبد الناصر** لم يكتف بذلك فهو يشارك بشكل ايجابى فى كل الجهود الرامية الى الحد من خطر استخدام وانتشار الاسلحة النووية .. مطالبا دوما « **بتوجيه الذرة للسلام ، حتى تستطيع أن تخدم قضية التطور وتضىء جوانب التخلف المظلم** » . **ومناديا بتوجيه المبالغ الطائلة التى توجه الى صنع الاسلحة النووية لتخدم الحياة بدلا من ان تترصد لها وتتربص بها** » [الميثاق] .

ولم تكتف مصر بالشعارات ، وانما أسهمت اسهاما ايجابيا فى كافة المحاولات التى بذلت للحد من تطوير وتجربة وانتشار الاسلحة النووية .

وفى مجالات أخرى عديدة تمس قضية السلام مثل قضية التفرقة العنصرية اتخذ **عبد الناصر** موقفا صريحا وواعيا وطليعيا فى النضال ضد اى شكل من اشكال التفرقة العنصرية ، او التمييز على أساس الجنس او اللون .

« ٢ » من خطاب الرئيس عبد الناصر فى حفل تكريم كوسيجين ـ ١٠ مايو سنة ١٩٦٦ م .

ومرة أخرى فاننا عندما نتأمل كلمات عبد الناصر فى هذا الصدد فاننا نلمح فيها ادراكا عميقا وعلميا لابعاد المشكلة ، فان الموقف ضد التفرقة العنصرية لم يكن انسياقا عاطفيا وانما كان « اصرار شعبنا على مقاومة التمييز العنصرى ، هو ادراك سليم للمغزى الحقيقى لسياسة التمييز العنصرى ، ان الاستعمار فى واقع أمره هو سيطرة تتعرض لها الشعوب من الاجنبى ، بقصد تمكينه من استغلال ثرواتها وجهدها وليس التمييز العنصرى الا لونا من الوان استغلال ثروات الشعوب وجهدها ، فان التمييز بين الناس على أساس اللون ، هو تمهيد للتفرقة بين قيمة أجورهم » (الميثاق) .

« والسلام » الذى يقبله عبد الناصر والذى يناضل من أجله هو وحده السلام القائم على العدل ، والعدل لا يمكن فرضه بغير نضال وبغير قوة والا صار السلام استسلاما وتفريطا .. ومن هنا يؤكد عبد الناصر « أن منطق هذا العصر ، ولعله منطق كل العصور ، أن الحق بغير القوة ضائع ، وأن أمل السلام بغير امكانية الدفاع عنه استسلام ، وأن المبادىء بغير مقدرة على حمايتها أحلام خيالية مكانها السماء وليس لها على الارض مكان .. » (بيان ٣٠ مارس) .

ومرة أخرى يؤكد عبد الناصر « ان السلام لا يمكن فرضه . وانما السلام يحقق نفسه بنفسه اذا ما كان العدل اساسه » [٣] .

والحقيقة انه ما من قضية من قضايا السلام وما من فرصة اتيحت للدفاع عنه الا وكان عبد الناصر مارسا مبرزا فى النضال من أجله .

ولنتأمل قضايا مثل التعايش السلمى ، نزع السلاح ، دعم المشروعية الدولية والقانون الدولى واحترام المؤسسات الدولية وعلى رأسها الامم المتحدة ، العمل على تخفيف حدة التوتر الدولى .. الخ . كل هذه القضايا وغيرها كان لعبد الناصر فيها رأى تقدمى واضح ونضال واع من أجل تحقيقها . ذلك أن الميزة الاساسية فى نضال عبد الناصر أنه كان دوما يستند الى فهم علمى شامل لابعاد القضية التى يتصدى للدفاع عنها ، ومن ثم فانه ما من ميدان من ميادين خدمة هذه القضية الا ويتعين الاسهام فيه والعمل من أجله .

ولقد خاض عبد الناصر معركة الدفاع عن السلام على كافة مستوياتها معززا جهود الدول والحكومات والمنظمات الدولية فى هذا الصدد موثقا علاقاته بكل جهد ايجابى يبذل وبأية بارقة أمل تبدو فى الافق ، باذلا الجهد فى أن يكسب الى صف القضية التى يؤمن بها أوسع القوى مهما اختلفت وجهات نظرها وتباينت .

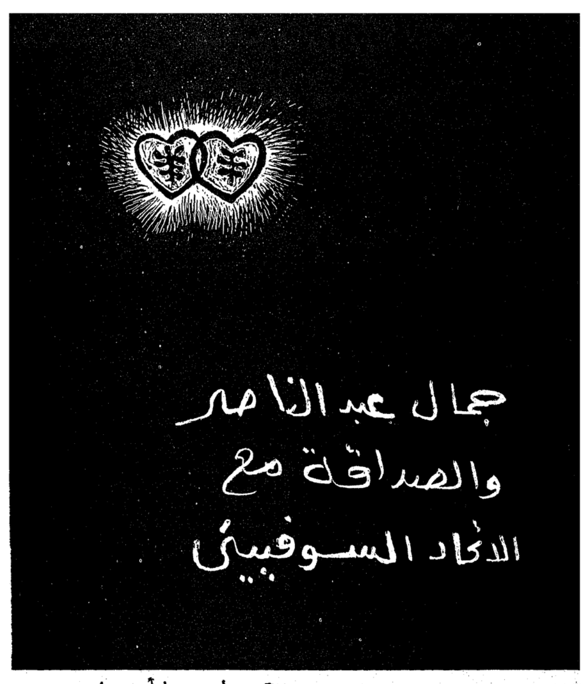
وعلى النطاق الشعبى والمنظمات الجماهيرية بذل عبدالناصر ايضا جهدا صادقا فى النضال من أجل السلام ، ولقد أقام علاقات شخصية وثيقة وقدم تأييده المعنوى والمادى ومساندته الدائمة لكل المنظمات العالمية التى تناضل من أجل هذه الفكرة أو التى يمكن لها أن تناضل من أجلها .

فلقد منح عبد الناصر تأييده ومساندته للمجلس العالمى للسلام ولمنظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا ولمختلف الاتحادات والمنظمات العالمية التى تستطيع أن تقدم جهدا ايجابيا فى معركة النضال من اجل السلام وضد الاستعمار والعدوان والحرب .

ان الكلمات السابقة لم تكن محاولة للاحاطة بفكر عبد الناصر فهذه محاولة طموحة تقصر عنها مقالة قصيرة كهذه ، لكننا نستهدف فى الاساس القاء الضوء على الاسلوب الذى فهم به عبدالناصر قضية النضال ضد الاستعمار والحرب ومن أجل تحقيق السلام العالمى ، والاسلوب المنهجى الذى اتبعه .

انها محاولة لان نستخلص من بين ثنايا الاحداث والكتابات الاسس العامة لاستراتيجية نضال عبد الناصر ، فى قضيتين من أهم قضايا العصر .

« ٣ » من خطاب افتتاح الدورة الثانية للمؤتمر القومى ـ ٢٧ مارس سنة١٩٦٩.



محمد سيد أحمد

« ان علاقتنا مع الاتحاد السوفيتى فى الواقع تعتبر تجربة فريدة جدا ، فانهم لم يحاولوا التأثير علينا على الاطلاق ، ولم يحاولوا أن يقولوا لنا ماذا يتعين علينا أن نفعل ــ لقد جاء الينا خمسة آلاف فنى من الاتحاد السوفيتى لبناء السد العالى ، ولم يحاولوا بأى وسيلة كانت أن يؤثروا على أى شخص ، أو أن يقوموا بأى نشاط دعائى أو ايديولوجى على الاطلاق ــ لقد طلبنا منهم سلاحا ، وطلبنا منهم قروضا ، وطلبنا منهم انشاء صناعات ، وطلبنا منهم قمحا ، وطلبنا منهم تأجيل أقساط الديون ، ثم طلبنا منهم أن يتنازلوا لنا عن ٥٠ فى المائة من الديون . لقد كانوا حقا خير معينين ، ولم يطلبوا منا أى شىء فى مقابل معاونتهم لنا » .

بهذه الكلمات وصف جمال عبد الناصر علاقة مصر الثورة بالاتحاد السوفيتى ، فى حديث أدلى به فى ١٨ فبراير الماضى لجريدة « **لوموند** » الفرنسية ، ردا على السؤال : « ألا تعتقدون ياسيادة الرئيس أن المعونة الضخمة التى تتلقونها من الاتحاد السوفيتى فى كافة المجالات تهدد على المدى الطويل بالاضرار باستقلال مصر ؟ » .

وفى الحقيقة ، فان علاقة مصر الثورة بالاتحاد السوفيتى ، او بتعبير آخر، التقاء الثورة المصرية الوطنية ذات الافاق الاشتراكية ، بالثورة السوفيتية الاشتراكية ، تجربة بالفعل فريدة،لها اكثر من خاصية تميزها فى ظل قيادة عبد الناصر وبفضله عما درجت عليه العلاقات المألوفة بين الثورات ، وبين الدول الثورية فى المجتمعات المعاصرة

ومن هنا فانه لاعطاء تشخيص دقيق لطبيعة هذه العلاقة ، لا يكفى ردها فقط ـ ودون تفصيل ولا مزيد من التوضيح ـ الى العلاقات التى لابد وأن تنشأ بالبداهة وبحكم منطق التاريخ ومجراه بين حركات التحرير والقوى الثورية التى تناضل ضد سيطرة الامبريالية العصرية وتستهدف اقامة مجتمع للانسان خال من كافة أشكال الاستغلال ٠

فمن المحقق أن العلاقة مع الاتحاد السوفيتى ، والصداقة معه ، لم تنطلق فى الاساس من أرضية ايديولوجية ، او من تبنى نفس المنطلق المذهبى .

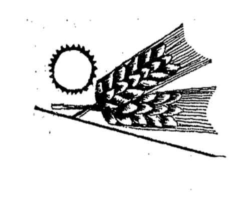
فقد قال جمال عبد الناصر فى خطاب افتتاح مجلس الامة فى ١٢ نوفمبر ١٩٦٤ :

« الاتحاد السوفيتى دولة شيوعية ، واحنا دولة غير شيوعية ده له أثر ؟ ليس له أثر ٠ وانما بنفذ مبادىء التعامل بين الدول ذات المذاهب الاجتماعية والسياسية المختلفة ـ لم تطلب منا روسيا احنا نبقى شيوعيين ، واحنا ما طلبناش من روسيا أنهم يغيروا الشيوعية ويبقوا زينا ، ويمشوا بالسياسة اللى احنا ماشيين بيها . ابدا ، ابدا .. لم يتدخلوا فى أمورنا ، واحنا لم نتدخل فى أمورهم ٠٠ »

ان المنطلق المذهبى للثورة المصرية وجد تعبيره فى **الميثاق** واذا كان الميثاق قد أكد أن « الاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم » فقد أكد فى الوقت ذاته أن التجربة المصرية لم تستند فى منطلقها الى « تجارب أخرى للتقدم» ذلك مع تأكيد الميثاق تمسك الثورة المصرية بفكر مفتوح لكل التجارب الانسانية يأخذ منها ويعطيها لا يصدها عنه بالتعصب ولا يصد نفسه عنها بالعقد » ٠

غير أن هذا الاختلاف فى المنطلق المذهبى لم يكن سببا فى الحيلولة دون اقامة « صداقة خاصة » مع الاتحاد السوفيتى بلغت فى أبعادها حدا لم يقتصر فقط على الطابع المرحلى، بل تعداه الى ماهو أبعد وأعمق مدى ٠ دون أن تكون هذه الصداقة الخاصة سببا فى المساس بأساسيات سياسة جمال عبد الناصر ، والتزامها بمبدأ « عدم الانحياز » ٠

وربما وجدت هذه الفكرة أبرز تعبير عنها فى الكلمة التى القاها الرئيس **أنور السادات** فى مجلس الامة بعد ابلاغ المجلس قرار ترشيحه لمنصب رئاسة الجمهورية خلفا لجمال عبد الناصر وعلى طريقه قال : « اننا مطالبون بالتمسك بسياسة عدم الانحياز وهى كما علمنا جمال عبد الناصر ، ليست موقفا سلبيا ، ولكنها انحياز لاستقلالنا ولحريتنا وللسلام وللتقدم ٠٠ وان



صداقتنا الخاصة مع الاتحاد السوفيتى وشعوبه العظيمة ووراءه مجموعة الشعوب الاشتراكية الكبيرة **لتتسق اتساقا كاملا مع سياسة عدم الانحياز** ، وهى تطبيق عملى وواقعى لشعار من ابرز شعارات قائدنا العظيم ، وهو القائل : نصادق من يصادقنا ونعادى من يعادينا » .

اذن ، المنطلق للقاء ، وللصداقة ، وللعلاقات الوطيدة ، ذات الاسس التى تتعدى الاعتبارات المرحلية ، لم يكن المنطلق المذهبى ، بل التجربة العملية،عبر مرحلة اختبار امتدت زمنيا ١٥ عاما،



وتعرضت لاكثر من امتحان حقيقى فى وجه التحديات ، امتحانات فرضتها المتطلبات الموضوعية فى مواجهة القوى المعادية شرطا لمواصلة المسيرة الثورية ، واجتياز العوائق والعقبات .

قال جمال عبد الناصر فى افتتاحه لمجلس الامة فى نوفمبر ١٩٦٤ :

« بالنسبة للاتحاد السوفيتى ، قبل عام ١٩٥٥ ، ماكانش فيه علاقات .. كانت العلاقات تقريبا واهية .. بعد ١٩٥٥ ، بدأت هذه العلاقات ، مبنية على الاحترام المتبادل . وأخذنا الاسلحة سنة ١٩٥٥ وكسرنا احتكار السلاح ، وقوى التعاون بيننا وبين الاتحاد السوفيتى فى الوقت اللى ما كانش عندنا قمح ، ومنع عنا القمح سنة ١٩٥٦ ، وبعد أن حاول الاستعمار بالوسائل والتجويع أن يحقق الهدف اللى كان مطلوب تحقيقه سنة ١٩٦٥ بالسلاح ، وساعدنا الاتحاد السوفيتى .. »

وكانت هذه العلاقة القائمة على الصداقة ، وعلى الالتقاء فى مواجهة أعداء مشتركين ، تفترض التسليم بأن المواقف ليست من كل قضية بالضرورة متطابقة ، غير أن التباين فى المنطلق المذهبى ، وفى الارضية الفكرية تستدعى منهجا فى مواجهة القضايا ذات المصلحة المشتركة فيها ، يغلب دعم هذه الصداقة ، ويذلل كل عقبة فى وجهها .

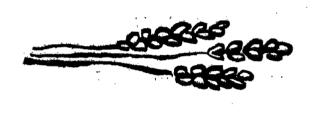
قال جمال عبد الناصر فى هذا الصدد ، وهو يقدم **اليكسى كوسيجين** الى مجلس الامة فى زيارة له لمصر فى ١٧ مايو ١٩٦٦ :

« لست أدعى أن أفكارنا ومواقفنا كانت متطابقة دائما فى كل الظروف ، ولكن أدعى بأننا فى كل الظروف التقينا دائما فى اطار احترام كل طرف للآخر ، وتقديره لخبرته ، وتفتحه لتفهم وجهات نظره . ومن ذلك كله ، فاننا استطعنا أن نقيم أمثل الفوائد بتعاون مستمر وقادر على خدمة الاهداف العظيمة للتحرر والسلام .. »

واستطرد جمال عبد الناصر ، قائلا :

« أن الصداقة ليست مجرد الفاظ يتبادلها الاصدقاء حين يجتمعون دائما .. الصداقة أن يعمل كل صديق الى حيث يعرف فكر صديقه ، حتى أن لم يجر بينهما حديث .. يشعر كل صديق أين هو من صديقه ، وأين صديقه منه ، يعرف سلفا الى أى حد يستطيع صديقه أن يمضى معه ، وما هو الحد الذى لا يستطيع بعده أن يتقدم .. تلك صداقة المبادىء ، لا غموض فيها ، ولا مفاجآت غير متوقعة .. صداقة تقوم على الثقة ، وتصبح بذاتها أساسا للثقة » .

وفى الحقيقة ، ذلك المفهوم الناضج للصداقة ، المعبر عن أن دعم أوجه الوحدة انما ينبع من التسليم سلفا بأوجه الاختلاف الضرورية والمترتب على أن الاسباب الداعية للوحدة ، هى أقوى من الاسباب المؤدية الى وجود أوجه اختلاف انما جاء نتيجة تجارب واختبارات فى تطوير هذه الصداقة ، واجتياز عقبات فى الطريق استطاعت الثورة المصرية من خلالها أن تدرك الموقف المبدئى المنزه من الغرض الذى تلتزم به السياسة السوفيتية فى دعم كل منطلق للثورة ، أيا كانت أسباب اختلافها معه ، وهى السياسة الكفيلة بزيادة رصيد أواصر



الصداقة ، وبتخطى كافة العقبات وتذليلها، طالما كانت الاطراف التى تخاطبها أصيلة فى منطلقها الثورى .

وهذه الاصالة الثورية تمثلت فى استخلاص جمال عبد الناصر المعانى التى انطوت عليها أكبر أزمة واجهت العلاقات المصرية السوفيتية فى ١٩٥٩ قال فى خطاب له فى أسوان فى ١٨ فبراير ١٩٦٥ :

« الحقيقة أنا أحمل للاتحاد السوفيتى كل تقدير على اساس اننا حينما اختلفنا فى سنة ١٩٥٩ ، وصل الخلاف بيننا الى حد الازمة، الازمة العنيفة، ولكننا يذكر خلافنا سنة ١٩٥٩ ، لم نسمع كلمة تهديد او تلميح ـ ان هذا الخلاف لم يؤثر على اتفاقية السد العالى ، أو يؤثر على اتفاقية التصنيع ، لم تنشر فى صحيفة ولا جريدة ولا فى مجلة ، ولم يصدر تصريح من مسئول ، ولم يشرأى شخص فى الاتحاد السوفيتى الى اى شيء يفهمهمنه ان احنا متفقين معاكم هذه الاتفاقات ، السد العالى ، ازاى تختلفوا معانا « ازاى تتخانقوا معانا ؟ ! ٠٠ هذا عمل يحمل لهم كل تقدير ٠ طبعا ده يختلف اختلاف كلى عن الكلام اللى بنسمعه النهاردة ، الكلام اللى بنسمعه مثلا من المانيا ، المانيا اللى بيقولوا انهم حيقطعوا المساعدات ، حتوقف المساعدات ، أو بيعتقدوا أن هذا الكلام يؤثر فينا » (المقصود طبعا هو المانيا الغربية) .

وقد وجدت هذه المعانى تعبيرها المتكامل فى خطاب جمال عبد الناصر تكريما لنيكيتا خروشوف فى ٩ مايو ١٩٦٤ ٠ وقد قال له :

« **ان الصداقة التى تربط بين شعوبنا لم تكن صداقة المصادفة ، ولا صداقة الطريق السهل** ٠ ان القوى الاستعمارية ارادت دائما ان تضع الحواجز على طريقنا والعراقيل ـ وعندما ملكت شعوبنا ارادتها، فانها شقت طريقها الى اللقاء مع شعوبكم، متخطية كل هذه الحواجز والعراقيل ـ ثم أكدت التجارب ، واحدة بعد واحدة ، ان هناك مجالات واسعة رائعة تنتظر هذه الصداقة . خدمة لشعوبنا ، وخدمة للانسانية » ٠

واستطرد جمال عبد الناصر قائلا فى ٣١ أغسطس ١٩٦٥ ، وهذه كلها كلمات القاها قبل محنة ١٩٦٧ :

« أن الصداقة العربية السوفيتية هدف بلغناه ضد عراقيل صعبة وضعت فى طريقنا .. وعبر تجارب مريرة خضناها من خلال اختبارات وتحديات متعددة ٠٠

« ان هذا كله هو ما يكسب الصداقة العربية السوفيتية اصالتها ، ويجعل منها فى حد ذاتها ، وبصرف النظر عن اية مصالح مشتركة هدفا يستحق الحرص عليه والتمسك به ، وذلك يتحقق بالفهم المشترك ، وتعميقه دائما بتبادل وجهات النظر ، وبالحوار والمناقشة البناءة » ٠

وفى ٢٤ مايو ١٩٦٤ :

«**ان الصداقة العربية السوفيتية تجاوزت بكثير كل الاعتبارات المؤقتة** ٠٠ أى ان صداقتنا بهم الان لا يمكن أن يكون مصدرها السلاح الذى نشتريه ، أو انهم مصدر العون السياسى ضد الاستعمار ، والعون الاقتصادى ضد حضارة ارض التخلف الذى فرض علينا » .

« ان الصداقة تجاوزت هذه الاعتبارات . . **ان الصداقة العربية السوفيتية هى فى حد ذاتها الان هدف يسعى اليه ٠ وغاية تبذل من أجلها الجهود** .. هذا الان ، بصرف النظر عن السلاح ، وعن العون السياسى والاقتصادى ٠ ٠نحن وياهم بعد ذلك كله وقبله شركاء فى بناء عالم السلام المقبل ٠٠ حيث لا استغلال ولا تخلف » ٠

وهذه الصداقة التى لم يكن منبعثها المنطلق الايديولوجى والمذهبى ، قد بلغت هذا الحد البعيد من التوافق والتكامل ـ حتى قبل ظروف نكسة ١٩٦٧ ـ لانها كانت ترتكز الى ظروف موضوعية ، والى منهج من الطرفين فى تقدير هذه الظروف الموضوعية ، وتغليبها على كل الاعتبارات العارضة والمؤقتة ، الناجمة عن التباين فى الموقف الفكرى ، تحقيقا لافضل مواجهة مشتركة للقوى المناهضة لمسيرة الثورة والمعوقة لها ، قوى **الاستعمار** ، وأيضا موقع **التخلف** بالنسبة لمصر ، المطلوب اجتيازه لملاحقة تحديات العصر ، والنضال بفعالية ضد الضغوط الاستعمارية ٠

قال جمال عبد الناصر فى ١٧ ابريل ١٩٦٥ :

« ان الشعب المصرى اكتشف على الفور ان الحرية لا تتجزأ ، وأن تحرير وطن واحد لا يجعل من هذا الوطن الا جزيرة صغيرة معزولة تحيط بها عواصف التهديد الاستعمارى من كل ناحية » ٠



واضاف جمال عبد الناصر فى مايو ١٩٦٦ :

«ان النضال الشعبى المصرى ، والنضال الشعبى للامة العربية، كلها يجرى فى اطار الثورة العالمية لحركة التحرر الوطنى ، هذه الثورة الرائعة التى تتعرض اليوم لغارات استعمارية رجعية ضارية فى أسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية » .

أن هذه العلاقة الوطيدة الصامدة بين مصر الثورة وبين الاتحاد السوفيتى ـ فى مقدمة الدول الاشتراكية والقوى التحررية والتقدمية فى العالم ـ وهى العلاقة التى بدأت « برفض الشعب المصرى بادىء الامر ان يقبل فتح أرضه لتكون **قاعدة لحصار الاتحاد السوفيتى** وتهديده .. ووقف صامدا ضد مخططات **الاحلاف** التى تريد فرض سيطرتها عليه » (خطاب عبد الناصر تكريما لكوسيجين فى ١٠ مايو ١٩٦٦) ، وتطورت حتى اصبحت بين البلدين « علاقة مبنية دائما على الصداقة والاحترام المتبادل .. وفى كل الازمات التى قابلتنا ، كان موقف الاتحاد السوفيتى يدعو الى الاعجاب » [خطاب عبدالناصر لكوسيجين فى ١٣ مايو ١٩٦٦) ، هذه العلاقة اكتسبت هذه الصفات **بسبب الموقف المبدئى الاصيل الذى التزم به الاتحاد السوفيتى دائما بتقديم عونه ومساعداته المنزهة من أى غرض ، وبدون المساس اطلاقا بأى أمر يتعلق بالشئون الداخلية لمصر ، وكذلك بفضل اصالة الموقف الثورى للقيادة الثورية فى مصر ، اصالة مواقف جمال عبد الناصر فى تغليب مصلحة الثورة دائما على كل اعتبار آخر ، والسير بها الى أقصى ما تسمح به الظروف الموضوعية فى كل مرحلة من مراحلها .**

ان هذه الصيغة للعلاقة بين مصر الثورة وقوى الاشتراكية فى العالم ، وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ، وكانت على الدوام الصيغة المثلى لتوطيد العلاقات بصرف النظر عن الاعتبارات الايديولوجية، وهى الصيغة التى وطدت التلاحم بين الثورة الاشتراكية فى العالم وحركة التحرر العربية ، وصحوة الامة العربية، وانطلاقتها فى طريق التحرر من سيطرة الاستعمار ، هذه الصيغة هى التي اشعرت القوى الاستعمارية في المنطقة بما تنطوى عليها من اخطار محدقة تتهددها ، وهى التى دفعتها لمحاولة تحصين مواقعها ، واسترداد ما هو متاح لها استرداده عن طريق تحريك اداتها اسرائيل ، وتسخير اطماع الحركة الصهيونية العالمية كى تحاول النيل من تصاعد حركة الثورة العربية ، والدور الطليعى لمصر الثورة ، وللرئيس الراحل جمال عبد الناصر شخصيا فى هذا الصدد . وما من شك فى أن عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ شديد الارتباط بهذه المخططات الاستعمارية . **غير أنه على نقيض ما كانت تتطلع اليه القوى الاستعمارية والصهيونية ، كان لصمود عبد الناصر والحيلولة دون أن تتحول الهزيمة العسكرية الى كارثة قومية بالاستسلام لمخططات العدو ، أفضى العدوان الى مزيد من الترابط والتلاحم بين النضال التحررى العربى ، وبين قوى الاشتراكية العالمية ، وأصبح المنطلق العربى من اجل ازالة آثار العدوان ركيزة جديدة لتوطيد العلاقات العربية السوفيتية ، بل اذا اصبحت هناك فرصة الان لازالة آثار العدوان ، ولتحرير الارض واسترداد الحق واحراز النصر ، فان هذه الفرصة لصيقة الارتباط بقوة الصداقة المصرية السوفيتية ، وبالدور العظيم الذى نهض به الاتحاد السوفيتى فى مساندة الشعوب العربية ضد المد الاستعمارى المستتر وراء العدوان الاسرائيلى .**

قال عبد الناصر فى خطابه الى المؤتمر القومى فى ٢٣ يوليو الماضى :

«حينما نتذكر الاصدقاء الذين وقفوا معنا فى محنتنا فى الايام الحالكة الظلام فى سنة ١٩٦٧ ، نقول أن أول هؤلاء الاصدقاء ، وأحقهم بشكرنا الدائم وعرفاننا غير المحدود هو الاتحاد السوفيتى ، الذى وعدنا فى يوم ١١ يونيو سنة ١٩٦٧ فى رسالة استلمتها من قادة الاتحاد السوفيتى بريجنيف وبودجورنى وكوسيجين، أننا يجب الا نيأس ، وان الاتحاد السوفيتى سيساعد بكل الوسائل بأن يمدنا مجانا بأسلحة بدل الاسلحة التى فقدناها فى معارك سيناء . وكان هذا هو أول حجر فى بناء قواتنا المسلحة ـ ومنذ الايام الاولى ، بدأت هذه الاسلحة ترد الينا من الاتحاد السوفيتى ـ وكان الجميع يقولون فى الغرب وفى الولايات المتحدة الامريكية ، وفى اسرائيل ، اننا

انتهينا ، وأن لا فائدة ترجى من قواتنا المسلحة أو منا بعد الهزيمة التى حدثت فى يونيو ٠٠ »

« ان الشعب قد صمد فى هذه الايام ، الشعب المصرى وشعوب الأمة العربيـــة كلهـــا رفضت الهزيمة . ولكن ايضا كنا نحتاج الى الاسلحة التى ندعم بها قواتنا المسلحة • ولهذا حينما نقول أننا نشكر الاتحاد السوفيتى ، ونعبر له عن عرفاننا ، نقول هذا لان الاتحاد السوفيتى بعد أيام قليلة رغم هذه الكلمات ، ورغم هذه الامانى التى كان يريدها الاعداء ، أرسل الينا الطائرات والدبابات والمدافع والاسلحة ، وأعطانا الامل الكبير فى أننا سوف نصمد ، وسوف ننتصر باذن الله » •

ان تشخيص هذا الموقف السوفيتى بأنه موقف يستهدف النيل من استقلالنا ومن سيادتنا ما هو الا منطق العدو ، منطق الاستعمار العالمى الذى أثبتت الايام ، والتجارب المتعددة فساده ، وكشفت عن حقيقة النوايا المغرضة التى تقف خلفه ، والتى تحاول من خـــلاله ، دك اسفين فى العـــلاقات المصرية السوفيتية ، واحداث الشروخ فى صرحها الشامخ ، دعامة استقلالنا الوطنى ، وضـــمانة سيادتنا القومية ، وأساس من أسس انطلاقتنا الثورية ، وليس بغريب أن قادة اسرائيل أنفسهم لم يترددوا فى تلقف الحجة فى توافق تام مع قوى الاستعمار العالمى التى نغمتها على مختلــف الاوتار •

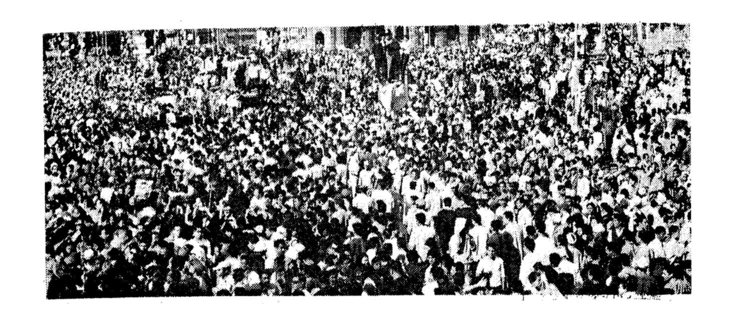
قال جمـــال عبـــد الناصر فى خطابه فى أول مايو :

« من عجب — أيها الاخـــوة — أن يقول وزير خارجية اسرائيل أن المساعدة السوفيتية لمصر هى وجود استعمارى ، وهو قلق على مصر (!!) ٠٠ وزير خارجية اسرائيل قلق على مصر (!!) هل هذا صحيح ؟ هل مساعدتنا فى تحرير أرضنا هو الوجود الاستعمارى ، أم ان الوجود الاستعمارى هو قوات الاحتلال الاسرائيلية على أرضنا . هل مساعدتنا فى مواجهة الارهاب الموجه الى الشعوب العربية هو الوجود الاستعمارى ، أم أن الارهاب والقتل وتغيير طبيعة الاراضى العربية هو الوجود الاستعمارى ؟!

« اننا — أيها الاخوة — نقول انه لولا المساعدات السوفيتية لنا بعد ما حدث فى يونيو ١٩٦٧ ، لكان الاستعمار تحكم فينا ، لكانت كل أهدافنا تحت أقدام الغزاة ، لكان القتل هو شريعة الذين يريدون التحكم فى مصائر الأمة العربية وفى أقدارنا .»

« ان المساعدات السوفيتية قد تضاف الى طاقة النضال من أجل التحرير ، ومن أجل الحرية — وأن الاستعمار وخطر الاستعمار ، والاستغلال والتهديد الموجـــه اليـــه ، هـــو الخطر على الاســـتقلال والخطر على الحرية — وهذا هو ما تمارســـه اسرائيل ضـــدنا بمســـاعدة الولايات المتحـــدة الامريكية • »





تقارير الشهر

■ الجمهورية العربية المتحدة

بالجيش والشعب حانكمل المشوار

شهدت مصر مساء الثامن والعشرين من سبتمبر الماضى ، وحتى يوم أول اكتوبر — اكبر استفتاء جرى فى حياتها ، بل وفى حياة أى شعب آخر ، وهذا الاستفتاء لم تقتصر المشاركة فيه على أولئك المسجلين فى قوائم الناخبين وانما كان استفتاء اشترك فيه الشعب كله ، بأطفاله وفتياته ، بشبابه وشاباته ، برجاله ونسائه ، أبناء الشعب الذين عرفوا **جمال عبد الناصر** وثورته بالمكتسبات التى أحرزوها وأولئك الذين كان جمال عبد الناصر يمثل لهم الامل فى أن تصل الثورة اليهم .

لقد خرج كل هؤلاء لحظة اعلان النبأ المفجع ، خرجوا من منازلهم مفزوعين صارخين باكين من هول الفاجعة ، وكل لحظة تمر يزداد تدفق الناس الى الشوارع المؤدية الى بيت عبد الناصر ، وقبل مضى ساعات قليلة ، بدأ الصراخ والعويل يتحول الى شعارات كلها عزم وتصميم ، كلها احساس بالمسئولية التاريخية ، وتدفقت على الجماهير بيانات سياسية تحدد الطريق ، ولا طريق الا مواصلة الثورة والمحافظة على مبادىء وتعاليم عبد الناصر وعلى كل ما حصل عليه الشعب من مكتسبات .

لقد أصدرت منظمة الشباب واتحاد نقابات العمال ونقابة عمال الزراعة ونقابة المحامين والاطباء واتحادات الطلاب ، أصدرت كلها بيانات



تحدد موقفها وتؤكد تصميمها على مواصلة المسيرة الثورية التى قادها جمال عبد الناصر ثمانية عشر عاما .

وانتشرت بين الجماهير وعلى أوسع نطاق وفى وقت قصير شعارات **مات عبد الناصر تحيا الثورة — طريق عبد الناصر طريق الاشتراكية — طريق عبد الناصر طريق الحرية .** وقبل غروب شمس اليوم الثانى كانت المسيرات التى تضم مئات الالوف من الرجال والنساء والاطفال تنشد بأصوات حزينة نشيد الوداع لعبد الناصر « حبيب الملايين » ثم ترتفع صيحاتها هادرة بالشعار الكاسح « بالجيش بالشعب حانكمل المشوار » .

وكان أكثر الظواهر اثارة للانتباه :

١ — الدور الذى لعبته المرأة المصرية الشعبية من غير العاملات ، فبالرغم من أن هذا القسم من الشعب لم يصل اليه التنظيم السياسى حتى الان ، الا أنه كان أكثر الاصوات تعبيرا وأكثر الجماهير استجابة لاجراءات النظام وخضوعا للتوجيه ، وأكثرها استجابة للشعارات ، وصاغت النساء الشعبيات البكائيات المصرية القديمة الى بكائيات موجهة لابنائهن وبناتهن ورجالهن تذكرهم بما فقدوه بموت عبد الناصر .

٢ — الدور البارز والتحرك الواعى للعمال والفلاحين والبسطاء من الناس للتعبير عن حزنهم والمشاركة الجماعية بقروشهم فى اقامة سرادقات خاصة للتعزية ، وفى السهر على حماية المصانع وفى المحافظة على النظام والامن فى فترة من أدق ما عاشته بلادنا .



هذه هي الطريقة التي صوت بها الشعب في أكبر وأعظم مشهد عاشه في تاريخه الحديث ، ان الشعب الذي خرج يومي ٩ و ١٠ يونيو يرفض تنحي عبد الناصر ويتمسك بزعامته وبسياسته ، هو نفسه الذي خرج مرة ثانية يوم ٢٨ سبتمبر ، وبأعداد مضاعفة مرات ومرات ليعلن أمام الاصدقاء والاعداء حبه لزعيمه وتمسكه بسياسته واصراره على مواصلة السير بالثورة .

ولم يكن الشعب المصرى والشعوب العربية وحدها في مواجهة المحنة ، بل جاء الى القاهرة القادة الثوريون العرب ، **جعفر نميرى ومعمر القذافي ونور الدين الاتاسي وهوارى بومدين** ، وجاء وفد سوفيتي على أعلى مستوى برئاسة **اليكسى كوسيجين** رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي ، كما جاء الى القاهرة **وفود** من كل البلاد الصديقة والاحزاب والتنظيمات التقدمية والثورية .

ولقد قام الاصدقاء الاوفياء لجمال عبد الناصر وسياسته الثورية وللشعب المصرى وللشعوب العربية ، بدور بارز في تحويل الانفجار الهائل للاحزان الى طاقة عمل لاستئناف مسيرة عبد الناصر ، والى وحدة حول القيادة التي تركها عبد الناصر .

لقد فضح **النميرى** في كلمة وجهها للشعب المصرى « ما يروج له الاستعماريون والانهزاميون والرجعيون هذه الايام بما معناه أن موت ابن مصر العظيم قد خلف فراغا من المستحيل ملؤه وأنه من الصعب التنبؤ بما سيحدث في الشرق الاوسط » ، ودعا الثائر السوداني الكبير أبناء الشعب لان « تتحلوا بأعلى درجات اليقظة الثورية وأن تقووا من وحدتكم وتلاحمكم وأن تتماسكوا خلف

قيادتكم التى تركها وراءه جمال ، أولئك الذين تعاهدوا وعاهدونا وعاهدوا الله على السير فى خطى جمال من أجل دحر العدوان وتحرير الارض العربية السليبة ودعم الثورة الفلسطينية والارتباط بقوى الثورة العربية جمعاء ، وأن يكونوا دائما فى المقدمة كما كان جمال وحيث كان جمال لا يتركون مكانه شاغرا ، ولا كلمته خرساء ، فى طريق الاشتراكية العلمية التى تقوم على أكتاف الكادحين من عمال وفلاحين » .

واكد **القذافى** فى كلمته للشعب المصرى « انها ساعة للعمل وليست ساعة للحزن ، وأن الرايات التى رفعها عبد الناصر سوف لا تنتكس ، وسوف تستمر مصرطليعة الامة العربية المكافحة ، وستبقى القاهرة دوما العاصمة العربية الكبرى والقلعة الشماء ، كما اكد « ان الجمهورية العربية الليبية معكم بكل ما لديها معنويا وماديا ، وانكم لستم وحدكم فى المعركة ، اننا معكم اكثر قربا اليكم اكثر مما كان وسوف تكون ارض الجمهورية العربية الليبية امتدادا لارضكم » .

كما أعلن **كوسيجين** رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى ورئيس الوفد السوفيتى الى القاهرة ، أن الوفد السوفيتى مفوض من قبل الحزب الشيوعى السوفيتى والحكومة السوفيتية ، بان يؤكد لقادة بلادكم وشعبها ثبات سياسة الاتحاد السوفيتى التى تهدف الى تطوير العلاقات مع ج . ع . م . فى كافة المجالات وكذلك الدفاع عن مصالح الشعوب العربية فى كفاحها العادل ضد الاستعمار ومن أجل تعزيز استقلالها وقدرتها الاقتصادية والدفاعية .

كما أعلن « اننا على ثقة بأن هذه الخسارة مهما كانت فادحة فسوف لا تبعد صفوفكم ولن تخلف شيئا من الفراغ الذى يعلق أعداؤكم آمالهم عليه » .

كما جاء البيان الختامى عن المباحثات التى أجراها الوفد السوفيتى مع قادة الجمهورية العربية المتحدة مؤكدا لكل ما حققه التعاون العربى السوفيتى ، وكل ما أنجزته العلاقات السوفيتية العربية تحت قيادة الزعيم الراحل .

ان التعبير المذهل الذى قدمه شعبنا تحية تكريما لقائد ثورته وتأييدا لسياسته ، وكذلك لدعم المعنوى والمساندة النضالية الاخوية للثوار العرب وللاصدقاء الاوفياء فى الاتحاد السوفيتى وبلدان المعسكر الاشتراكى والدول الصديقة ، وتاكيدهم على المساندة الكاملة لشعبنا ، هذا التعبير وذلك الدعم قد ساعدا الى أقصى حد المؤسسات السياسية التى تركها جمال عبد الناصر ، وجسد فيها سلطة قوى الشعب العاملة ، ومكنها من أن تعمل بسرعة وتماسك وأن تتصدى للموقف بما يضمن ويؤكد استمرار المسيرة الثورية .

لقد أجمع الشعب المصرى بما لا يدع مجالا للشك على تمسكه وتأييده لسياسة زعيمه الراحل واصراره على مواصلة « المشوار » مهما كانت الصعاب .

وكانت نقطة البداية التى انطلق منها العمل لترتيب الاوضاع بعد وفاة جمال عبد الناصر ، هى أنه لم يترك فراغا وانما ترك مبادىء راسخة وانجازات واضحة وآمالا محددة متفقا عليها ، وترك مؤسسات سياسية ودستورية حققها للشعب بعد سنوات عديدة من النضال ، وتتمثل فى الاتحاد الاشتراكى العربى وعلى قمته المؤتمر القومى العام ، أعلى سلطة فى البلاد ، واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ولجنتها التنفيذية ، كمؤسسات سياسية ، ومجلس الامة ، الجناح التشريعى للاتحاد الاشتراكى ، كمؤسسة تشريعية .

وعلى عاتق هذه المؤسسات السياسية والتشريعية تقع مسئولية قيادة البلاد ، مسئولية تحديد أين تركنا عبد الناصر ، والى أين سنسير وكيف سنسير .

لقد كان هناك اجماع على الا تكون هناك ردة الى الوراء وانما ستمرار لمسيرة الثورة وحث الخطى لتقدمها ، وأنه لا مكان فى القيادة لمن تخلفوا عن الركب أو تجاوزتهم أهداف الثورة ، وان القيادة الشرعية الوحيدة التى لها حق التكلم باسم الثورة والشعب هى المؤسسات السياسية والدستورية التى جسد فيها عبد الناصر ارادة قوى الشعب العاملة .

لقد بدأ التحرك السياسى الواسع باجتماع **اللجنة التنفيذية العليا** وتحليلها للموقف السياسى العام فى البلاد بعد وفاة زعيم الثورة . وأكدت اللجنة أن هذه اللحظات بالذات هى بداية أخطر مرحلة رأتها مصر فى تاريخها كله .

وسردت اللجنة عددا من العوامل التى كانت تشكل خطرا على وطننا وعلى الوطن العربى كله فى حياة عبد الناصر . وأوضحت أن هذه العوامل لابد وأن تشكل ، بالضرورة خطورة أضخم وأقوى بعد وفاة الزعيم القائد .

وبعد أن أوضحت اللجنة دون كل عامل من هذه العوامل وأثره فى الموقف ، وهى العدوان الاسرائيلى والامبريالية العالمية وبعض بقايا الفئات التى مست مصالحها من الاستغلاليين والرجعيين ، ربطت بين كل هذه العوامل بسعيها لتمزيق الجبهة الداخلية ، وأكدت اللجنة على ضرورة استمرار الثورة كما رسمها عبد الناصر والقضاء على كل العوامل التى يمكن أن تعوق هذا الاستمرار ، وقررت اختصار التوقيت بالنسبة لبعض الاجراءات الخاصة بترتيب الاوضاع .

لقد طرحت اللجنة التنفيذية العليا على اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى تحليلها للموقف وعلى ضوء المناقشة حوله حددت اللجنة المركزية فى بيان أصدرته للشعب تسع نقاط أساسية تحكم الوضع بعد وفاة زعيم الثورة .

١ ـ ضرورة استمرار الثورة والمحافظة عليها .

٢ ـ استمرار الاشتراكية لانها الطريق الى حياة أفضل للانسان ومستقبل أحسن للوطن .

٣ ـ المؤسسات السياسية والدستورية التى انتخبها الشعب بارادته هى وحدها الممثلة لارادة الشعب والتى من خلالها يباشر الشعب صلاحياته .

٤ ـ التلاحم بين الشعب وقواته المسلحة .

٥ ـ المعركة لها الاولوية على كل ما عداها .

٦ ـ شعبنا جزء من الامة العربية ودعم الثورة الفلسطينية واجب أساسى على ثورتنا .

٧ ـ تأكيد صداقتنا مع الشعوب الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى .

٨ ـ تدعيم الصداقة مع الشعوب الراغبة فى السلام .

٩ ـ وقوفنا مع الشعوب المقهورة التى تناضل من اجل الحرية والعدل فى اى أرض .

وقد رشحت اللجنة المركزية السيد ـ **أنور السادات** رئيسا للجمهورية ووافق مجلس الأمة بالاجماع على هذا الترشيح ، وسجل المجلس فى وثيقة سياسية محددة العناصر المكونة لضمان مسيرة الثورة وأهدافها على ضوء تحليل اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى وعلى أساس انها حيثيات ترشيح المجلس للسيد أنور السادات .

وحرص انور السادات فى حديثه لمجلس الامة عقب اعلان ترشيحه ، على أن يحدد معالم طريق عبد الناصر التى يلتزم بالسير على نهجها وقد لخصها فى ست نقاط أساسية :

١ ـ مواصلة النضال من أجل تحرير كل الارض العربية المحتلة فى عدوان ٦٧ ـ القدس العربية وغزة والضفة الغربية للاردن والمرتفعات السورية وسيناء ـ والحرص على حقوق الشعب الفلسطينى .

٢ ـ وحدة الامة العربية .

٣ ـ تحديد أعدائنا بانهم اسرائيل والصهيونية العالمية والاستعمار العالمى .

٤ ـ التمسك بسياسة عدم الانحياز كما طبقها عبد الناصر .

٥ ـ نحن جزء من حركة التحرر الوطنى باتجاهها التقدمى الاشتراكى .

٦ ـ المحافظة على المكاسب الاشتراكية .

وأودع أنور السادات مكتب المجلس بيان وبرنامج ٣٠ مارس آخر برنامج متكامل قدمه جمال عبد الناصر لامته وصدقت عليه جماهير الشعب فى الاستفتاء مؤكدا على أنه برنامجه الذى يلتزم به .

وقد تم اجراء الاستفتاء على رياسة الجمهورية يوم ١٥ أكتوبر ٧٠ واشترك فى الاستفتاء ٦٫٦٥٣٫١٥٧ مواطنا يمثلون ٨٥ فى المائة من مجموع المقيدين فى جداول الانتخاب ، صوت منهم « بنعم على انتخاب **السادات** ٦٫٤٣٢٫٥٨٧ اى بنسبة ٩٠٫٠٤ فى المائة من المشتركين فى الاستفتاء وعارض فى الانتخاب ٧١١٫٢٥٢ صوتا

وعلى أساس ما أعلنه الرئيس انور السادات عن عزمه على اعادة توزيع المسئولية ، فقد تولى الدكتور **محمود فوزى** رئاسة الوزارة دون تعديل فى المراكز الوزارية ؛ واختير السيد **عبد المحسن ابو النور** امينا عاما للاتحاد الاشتراكى بعد

تحويل اللجنة الرئيسية للاتحاد الاشتراكي والتي تضم مقرري لجان اللجنة المركزية الى امانة عامة.

وهكذا وجه الشعب المصري وقادته ضربة عنيفة لاحلام المستعمرين وأذنابهم الاسرائيليين الذين لم يستطيعوا اخفاء احقادهم ولم يتوانوا لحظة واحدة فى بث سمومهم ومباشرة محاولاتهم لخديعة الشعوب العربية .

■ ■

وهكذا تحدث العالم عن الرئيس الراحل

لم تكن وفاة « عبد الناصر » خسارة اهتز لها وجدان مصر والعالم العربي فحسب، وانما كانت وفاته خسارة للنضال من اجل الحرية والسلام فى العالم أجمع . وكشف رد فعل وفاته عن المكانة الدولية التى كان يتمتع بها فى اوساط الراى العام العالمى .

فحينما وصل خبر الوفاة الى الجمعية العامة للامم المتحدة وقف جميع الاعضاء المشتركين فى الدورة الخامسة والعشرين دقيقة حدادا على وفاة الرئيس الراحل . وقال « ادوارد هامبرو » رئيس الدورة الحالية فى تابين الرئيس . « ان جمال عبد الناصر قد اكتسب من خلال زعامته للجمهورية العربية المتحدة مكانة عظيمة فى التاريخ كواحد من أعظم ابناء مصر وذلك من خلال الاعمال المجيدة التى قام بها . » وتلاه « جاكوب مالك » مندوب الاتحادالسوفيتى فقال : « انوفاه عبدالناصرلاتعد خسارة كبرى للجمهورية العربية المتحدة فحسب وانما لكل الدول الصديقة لها كذلك ولكل المناضلين من اجل الحرية والديموقراطية والعدالة » . كما القى مندوب « بلغاريا » كلمة بالنيابة عن كل دول المعسكر الاشتراكى اعرب فيها عن مواساته وعزائه لشعب ج . ع . م

وقال « تشارلز يوست » المندوب الامريكى فى خطابه انه يود أن يؤبن فى شخص عبد الناصر زعيما نابها جسد لشعبه احساسا جديدا بالامل واعتزازا بمصيره ومستقبل بلاده، كما اشار الى ان الجاذبية الشخصية للرئيس عبد الناصر قد انتشرت داخل العالم العربى وتجاوزته . وقال مندوب « كوبا » ان الرئيس ناصر يحتل مكانة الشرف فى نضال حركة التحرير الافريقية ونضال العالم الثالث ».

وفى « باريس » اعلن « رينيه ماهو » المدير العام لمنظمه اليونسكو فى جلسة عقدت خصيصا لتأبين الرئيس عبد الناصر « لقد ترك موت عبد الناصر فراغا كبيرا . ان الزعماء الحقيقيين للشعوب نادرون حقا ، وقد كان الرئيس من هذا الطراز » .

وكان المؤتمر السادس لمنظمة الزراعة والاغذية منعقدا بالجزائر حينما وصله نبأ وفاة عبد الناصر فوقف اعضاء المؤتمر دقيقة حدادا على الرئيس الراحل ثم القى رئيس المؤتمر كلمة اشاد فيها بالرئيس الراحل وبأعماله كوطنى عربى وكزعيم من أبرز زعماء العالم الثالث ثم قرر المؤتمر تاجيل جلسته الصباحية الى ما بعد الظهر بسبب النبأ المفجع .

وأرسل رؤساء عديد من الهيئات والمنظمات الدولية برقيات تعبر عن مشاعرهم تجاه وفاة الرئيس الراحل وكان من بين من بعثوا برقيات التعزية « روبرت ماكنمارا » رئيس البنك الدولى للانشاء والتعمير ، والمستر « شفايتزر » رئيس صندوق النقد الدولى ، والمستر « اندرسون » وزير المالية الامريكى السابق . كما ارسل « روميش شاندرا » سكرتير مجلس السلام العالمى برقية عزاء باسم المجلس .

وأعلن السيد « دياللوتيللى » سكرتير منظمة الوحدة الافريقية « ان فقد الرئيس جمال عبد الناصر لم يكن كارثة لمصر وحدها وانما للامة العربية وللشعوب الافريقية والانسانية جمعاء » . واضاف « ان عبد الناصر لم يكن أحد واضعى ميثاق منظمة الوحدة الافريقية فحسب ، وانما ظل دائما أحد دعائم المنظمة ومن اكثر الناس ايمانا بنشاطها وتمسكا بتنفيذ مبادئها» .

وفى « الاتحاد السوفيتى » كان لوفاة الرئيس عبد الناصر رد فعل بالغ العمق فى الاوساط الرسمية والشعبية . وقد نكست الاعلام فى موسكو ولينينجراد وجميع عواصم الجمهوريات يوم تشييع جنازة عبد الناصر . كما توجهت اعداد ضخمة من المواطنين السوفيت على المستوى الرسمى

والشعبي الى سفارة الجمهورية العربية المتحدة لتقديم العزاء في وفاة صديق الاتحاد السوفيتي العظيم وقائد حركة التحرر العربية • وكتبت البرافدا تقول « ان الموت المفاجيء للرئيس جمال عبد الناصر خسارة كبيرة لشعب الجمهورية العربية المتحدة ولحركة التحرير القومية العربية كلها • »

كما كتبت مجلة « **اوجنيوك** » **تقول** : « ان عبد الناصر سيظل حيا في قلوبنا جميعا الى الابد ، سيبقى حيا في نضال وانتصارات الشعب المصرى والامة العربية التى آمن ايمانا لا يتزعزع باستقلالها وبعثها » •

وجاء فى برقية التعزية التى بعث بها قادة الحكومة السوفيتية والحزب الشيوعى السوفيتى : « ان اسم جمال عبد الناصر يرتبط بالتحولات الاجتماعية والاقتصادية الاساسية التى نفذت فى ج • ع • م لصالح جماهير الشعب العريضة • ان اسمه لا يمكن فصله عن نضال الشعب المصرى الشجاع ضد العدوان الامبريالى الثلاثي عام ١٩٥٦ ونضال البلدان العربية من أجل تصفية آثار العدوان الاسرائيلي عام ١٩٦٧ • »

وقالت منظمة الشباب السوفيتى : « لقد رحل عنا القائد المعروف لحركة التحرر الوطنى العربية والسياسى البارز والصديق العظيم للاتحاد السوفيتى » •

وفى برلين القى والتر اولبرشت، رئيس مجلس الدولة بجمهورية المانيا الديموقراطية ، خطابا فى اجتماع تأبين عقده مجلس الدولة ومجلس الوزراء وجمعية الصداقة الالمانية العربية ، تناول فيه التاريخ النضالى للرئيس عبد الناصر ودوره البارز فى قيادة حركة التحرر الوطنى العربية والعالمية ، جاء فيها : « ان الامة العربية جميعها قد تدرت وأعجبت بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر كمناضل مخلص لحركة التحرير ضد الاستعمار • ان جهوده المستمرة من أجل التحرر الوطن ، والتقدم الاجتماعى ، وضد الاستعمار والامبريالية والظلم ، قد فتحت له جميع قلوب الوطنيين العرب الذين نشاركهم اليوم أحزانهم على زعيم الثورة المصرية ، ومناضل من أجل التحرر والتقدم الاجتماعى •

ان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، سيسجل اسمه فى التاريخ كأكبر مشعل لشعلة الوحدة بين جميع الشعوب العربية » •

وفى فرنسا اعلن « **موريس شومان** » وزير الخارجية الفرنسية أن فرنسا تلقت بحزن عميق نبأ وفاة الرئيس عبد الناصر وقال : « ان الرئيس عبد الناصر قد كرس نشاطه كله لقضية السلام » •

واصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى بيانا عبرت فيه عن حزنها العميق لوفاة الرئيس عبد الناصر وجاء فى البيان « ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى تنحنى اجلالا لذكرى جمال عبد الناصر المناضل من أجل التحرر الوطنى » •

وفى بريطانيا وصف « **جورج براون** » وزير الخارجية البريطانى السابق نبأ وفاة عبد الناصر بأنه أسوأ نبأ سمعه فى حياته • وقال : « انه كان واحدا من أعظم الرجال فى العالم ، وانه كان شجاعا بعيد النظر ، كما كان يبذل كل ما فى وسعه للتوصل الى حل لازمة الشرق الاوسط » • كما وصف « **انتونى ناتنج** » المفكر السياسى البريطانى الرئيس الراحل بانه كان صريحا وواضحا فى جميع مواقفه وبانه كان دائما من دعاة السلام • كما قالت وزارة الخارجية البريطانية ان وفاة جمال عبد الناصر تعد خسارة كبيرة لواحد من اكثر زعماء العالم هيبة ومكانة • واضافت انه ابدى شجاعة شخصية وسياسية فائقة ، كما انه قام بدور كبير فى التوصل الى تسوية سلمية للصراع الدموى فى الاردن •

واعلنت وزارة الخارجية « **الايطالية** » أن وفاة الرئيس جمال عبد الناصر لا تشكل خسارة فادحة لـ ج • ع • م وللعالم العربى فحسب بل انها فوق كل شيء خسارة فادحة لقضية السلام التى كرس جهوده وقدراته من أجلها •

كما اعلنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الايطالى اسفها العميق لوفاة الرئيس عبد الناصر وجاء فى بيانها :

« لقد فقدت حركة التحرر العالمى قائدا بارزا من قادتها فى منطقة حساسة من العالم » •

وفى « **الهند** » اعلن « **باتاك** » نائب رئيس الجمهورية الهندية ان نبأ وفاة الرئيس عبد الناصر المفاجئة جاء صدمة عنيفة للعالم أجمع • وصرح « **سواروب** » رئيس الوفد الهندى الذى حضر للمشاركة فى تشييع جنازة الرئيس الراحل لوكالة انباء الشرق الاوسط بأنه لم يشاهد مثل هذا

التعبير عن الشعور بالحب الذى يربط بين القائد والشعب كالذى شاهده اثناء تشييع جنازة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر •

وفى باكستان القى « **على بوتو** » رئيس حزب الشعب فى باكستان خطابا شعبيا فى العاصمة وصف فيه عبد الناصر بانه القائد العظيم للعالم الاسلامى وان وفاته خسارة كبيرة •

واعلن « **الاتحاد الوطنى الافريقى لزيمبابوى** ! ان عبد الناصر كان الرمز الحى للروح الوطنية الافريقية والحب العظيم للحرية •

وجاء فى بيان « **الاتحاد الوطنى لاستقلال انجولا** » : « لقد كان الرئيس عبد الناصر الرمز الحى للوطنية الافريقية مجسدا بكل بادرة وكلمة منه للروح الثورية ولشعلة الحرية والعدالة والاخوة »

ووصف « **فيدل كاسترو** » وفاة الرئيس عبد الناصر بانها ضربة للحركات الثورية فى العالم العربى •

واشار « **دوك تانج** » رئيس جمهورية فيتنام الديمقراطية فى برقية التعزية التى بعث بها باسم شعب فيتنام الى أن الرئيس عبد الناصر كان سندا قويا للشعوب الفيتنامية فى نضالها ضد العدوان الامريكى من أجل تحقيق التحرر الوطنى •

كما قال « **الامير سيهانوك** » اننا لا ننسى ابدا ان الرئيس عبد الناصر قدم لنا تاييده الكامل باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة لنصرة قضية كفاحنا الحالى الذى نخوضه من اجل تحرير وطننا من الاستعمار الامريكى الجديد • وسوف يظل الرئيس عبد الناصر بالنسبة لنا وبالنسبة لجميع شعوب العالم الثالث بطل الحرية العظيم ورمز المقاومة الصلبة ضد تهديدات وعدوان القوى الاستعمارية والامبريالية » .

■ ■

■ **الصراع العربى الاسرائيلى**

هل يستأنف يارنج مهمته ؟



فى الخطاب الذى القاه أمام الجمعية العامة للامم المتحدة لخص **محمود رياض** وزير الخارجية وجهة نظر الجمهورية العربية المتحدة فيما يختص بتطورات أزمة الشرق الاوسط فيما يلى :

● ان عدم قيام الامم المتحدة باتخاذ اى اجراء ضد اسرائيل شجعها على تحدى قرار مجلس الامن وعدم الاكتراث به •

● وان الولايات المتحدة تتحمل مسئولية كبرى فى ذلك بمساندتها لاسرائيل •

● وان الولايات المتحدة لم تكن جادة فيما أسمته بمبادرتها لاحلال السلام فى الشرق الاوسط •

● موقف الولايات المتحدة انما يعنى فى حقيقته انها لا تسعى الى السلام العادل وانما تسعى الى ان تفرض على الشعوب العربية الاستسلام •

● والشعب المصرى يرفض كما رفض دائما أن يتنازل عن أى شبر من الاراضى العربية المحتلة •

● السلام لن يتحقق الا بالانسحاب الكامل من الاراضى المحتلة والاعتراف بحقوق شعب فلسطين

● وانه ينبغى على الامم المتحدة ان تجد وسائل محددة لتطبيق قرار مجلس الامن » •

وكانت الولايات المتحدة فى اوائل الشهر الماضى قد أعلنت انسحابها من اجتماعات المندوبين المناوبين الاربعة ، بحجة استمرار خرق مصر لقرار وقف اطلاق النار ، وعلل المراقبون السياسيون هذا الانسحاب بأنه اتجاه من امريكا للتشدد فى موقفها من أزمة الشرق الاوسط اعتقادا منها بأن مزيدا من الضغط على البلدان العربية قد يدفعها الى قبول المفهومات الامريكية للتسوية ، خاصة بعد وفاة الرئيس « **جمال عبد الناصر** » هذا بالاضافة الى أن الرئيس **نيكسون** كان يرمى من هذا الموقف المتشدد الى الحصول على مساندة اليهود فى الانتخابات الامريكية فى نوفمبر القادم • ولم يلق انسحاب الولايات المتحدة أى ترحيب الا من اسرائيل بينما اعتبرته الدول الاخرى عملا غير متعقل لا يساعد على حل مشكلة الشرق الاوسط ، وانما يدفع بها نحو مزيد من التدهور ، وأعلنت القاهرة ان هذا الموقف من أمريكا ليس الا تأكيدا جديدا من جانبها عن نيتها لمواصلة خطتها ازاء الشرق الاوسط ، تلك الخطة التى تعوق الوصول الى تسوية سلمية وفقا لقرار مجلس الامن •

وقد ارتبط انسحاب الولايات المتحدة من لجنة المناوبين الاربعة بحملة مسعورة ومنظمة من جانب

أمريكا واسرائيل حول ما يسمى بخرق مصر لوقف اطلاق النار، والصواريخ المصرية فى قناة السويس . وقد صرح **محمود رياض** وزير الخارجية ردا على تلك الحملة « بأن مصر لن تسحب صاروخا واحدا من الضفة الغربية لقناة السويس ، وأنها لن تقبل مناقشة مثل هذا الموضوع • كما صرح السيد أنور السادات رئيس الجمهورية « بأن الضغوط الامريكية لن ترهبنا بل ستزيدنا صلابة وعنادا ، ولن نفرط فى شبر من أرض عربية » •

ويعتقد كثير من المراقبين أن الحملة الامريكية الجديدة ضد مصر انما تهدف فى الحقيقة الى تبرير تزويد امريكا لاسرائيل بكميات أكبر من الاسلحة ، وصرف انظار الرأى العام العالمى عن القضية الرئيسية الخاصة بتطبيق قرار مجلس الامن ، وسرعان ما اعلن المسئولون فى وشنطن عن تزود اسرائيل بمعدات عسكرية جديدة وأجهزة الكترونية مضادة للصواريخ تحت دعوى اعادة اسرائيل الى مركز التفوق العسكرى بعد أن كان قد اختل نتيجة لبناء قواعد الصواريخ المصرية على طول القناة ، وقد أكدت المصادر البريطانية كذلك ان اسرائيل تقوم ببناء خط تحصينات ضخم على طول القناة •



● يارنج

داخل منطقة تجميد النشاط العسكرى • واعلنت « **جولدا مائير** » استكمالا لحملة الضغط والتهديد بأن اسرائيل لن تتخلى عن الاراضى العربية التى استولت عليها خلال حرب ١٩٦٧ •

وفى نفس الوقت بدأت الولايات المتحدة تشن حملة ضد الاتحاد السوفيتى تتهمه بالمشاركة فى مسئولية اقامة قواعد الصواريخ على طول القناة وادارتها ، وكذب الاتحاد السوفيتى رسميا الاتهام الامريكى وأكد انه لا يوجد أى خبراء سوفيت يديرون مواقع الصواريخ فى منطقة قناة السويس ، كما تدعى امريكا • كما نشرت « **البرافدا** » مشروع الاتحاد السوفيتى لتسوية أزمة الشرق الاوسط ويرتكز هذا المشروع على :

● الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة حتى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ •

● الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب العربى فى فلسطين •

● انهاء حالة الحرب على أساس أن تضمن هيئة الامم المتحدة سيادة واستقلال كل دول المنطقة •

وازاء الاقتراح الذى تقدمت به أمريكا وبريطانيا لمد فترة وقف اطلاق النار ٩٠ يوما اخرى ، صرح «**محمود رياض**» بأنه سيكون بوسع الجمهورية العربية المتحدة الموافقة على مد فترة وقف اطلاق النار **اذا ما تأكد انه ستكون هناك جهود جادة تفيد المساعى التى تبذل لتنفيذ قرار مجلس الامن** ، اى اذا ما وافقت اسرائيل على العودة الى الاتصال بيارنج • وصرح السيد « **محمد حسنين هيكل** » باننا لسنا على استعداد لان نقبل وقفا غير محدود لاطلاق النار حتى لا يتحول الامر الى وقف كامل ومستمر • غير أن اسرائيل اعلنت انها لن تقبل العودة الى الاتصالات مع السفير يارنج الا اذا سحبت مصر صواريخها من منطقة تجميد النشاط العسكرى فى قناة السويس ، وأكد محمود رياض مرة اخرى بأن مصر لن تسحب صاروخا واحدا من منطقة القناة •

وقد وصل السفير « **يارنج** » مرة أخرى الى نيويورك مع اجتماع الجمعية العامة وصرح بأنه سيظل هناك حتى يتضح اذا ما كان من الممكن ان يستانف مهمته من جديد ، وصرح السيد محمود رياض لدى وصوله الى نيويورك بأن القاهرة مستعدة فى أى وقت لاستئناف اتصالاتها مع السفير يارنج ،وجرت اتصالات واسعة النطاق بين كافة الوفود المهتمة بأزمة الشرق الاوسط من اجل تذليل الصعاب التى تعترض استئناف يارنج لمهمته ، واجتمع سفراء الدول الاربع الكبرى وناقشوا الوضع واتفقوا على ضرورة زيادة الجهود من أجل استئناف يارنج لمهمته، كما أكدوا تأييدهم لقرار مجلس الامن باعتباره الاساس الوحيد لحل أزمة الشرق الاوسط •







● ياسر عرفات ● الملك حسين ● الباهي الادغم

مصير « اتفاق القاهرة »

قطعت لجنة المتابعة العربية العليا فى الاردن شوطا كبيرا فى تنفيذ اتفاق القاهرة بينقوات الثورة الفلسطينية والسلطة الاردنيــــة ، بالتمكين لتوقيع ما سمى « **بالاتفاقية الشاملة** » لتنظيــم العلاقة بين المنظمات الفلسطينية والسلطة الاردنية فى ١٠/١٣ المــاضى ، وقد وقع الاتفاقية الملك **حسين** وياسر **عرفات** عن منظمة التحـرير الفلسطينية **والباهي الادغم** رئيس لجنة المتابعة وبحضور بقية أعضاء اللجنة والسفراء العرب فى عمان ومندوبو الصحف والاداعات العـربية والعالمية .

ومن بين ما اشتملت عليه الاتفاقية : الاعتراف بوحدة الاردن بضفتيه الشرقيـة والغـربية ، واعتبارها قاعدة اساسية للثورة والنضــال الفلسطينى من اجل تحرير فلسطين ، وتعبئـة الطاقات الشعبية والعسكرية فى الاردن بهدف تحرير فلسطين ، وحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره ، وعدم تعرض اى جهة فى الاردن ضد مصلحة الثورة الفلسطينية ، واعتبار عمان المقر الرئيسى للجنة المركزية الفلسطينية ، وحق اللجنة فى انشاء مكاتب فرعية لها فى مدن وقرى الاردن ، واشراف اللجنة المركزية على كافة قوات الثورة الفلسطينية ، وان تضمن الحكومة الاردنية حرية العمل الفدائى وتأمين سلامته فى التعبئة الشعبية بما لا يمس سيادة البلاد مع مراعاة الاستثناءات اللازمة للعمل الفدائى ، وكفالة حرية الحـركة والتنقل للفدائيين ومعداتهم .

كما نصت الاتفاقية كذلك على الالتـزامات المتبادلة بين الجانبين ، وتقضى بأن تعامل القوات الفلسطينية نفس معاملة الجيش الاردنى ، وحظر حمل الفدائيين للسلاح فى المدن الا فى احوال استثنائية ، ومنع التظاهرات العسكرية واطلاق الرصاص والمناورات بالذخيرة فى المدن ، وانه لن يسمح فى المستقبل باعتقال اى شخص بسبب الحوادث الاخيرة ـ كما اتفق على أن يظل قسما مع الاتفاق سريا ، وهو **الخاص بمواقع العمل الفدائى** فى الاردن .

وقد سبق توقيع الاتفاقية اطلاق سراح معظم المعتقلين والمحتجزين لدى الجانبين اثناء الاحداث الاخيرة ، وانسحاب معظم قوات الجيش الاردنى والفدائيين الى مواقعهم الاصلية .

هذا ومازال التوتر والحذر يسيطران علـى الوضع فى الاردن .. خاصة وان هناك حوالى ١٥٠٠ من الفدائيين ورجال الميليشيا معتقلين فى معسكرات الجيش الاردنى ، ومعظمهم ينتمون الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية الديمقراطية ومنظمة الصاعقة وبعض الاعضاء من منظمة فتح . وهناك الاثر المترتب عن استمرار الحكم العسكرى والابقاء على نظام حظر التجول الجزئى فى عمان وبعض المدن الاخرى ، وتكرار الاعمال الاستفزازية من جانب العناصر المعادية

للثورة الفلسطينية فى الجيش الاردنى ، وان كانت مصادر اللجنة العليا للمتابعة تؤكد فى نفس الوقت ان الامور تسير فى طريق التحسن .

ويسود اوساط المراقبين والرأى العام العربى شعور بالاستياء وعدم الارتياح ، بسبب استمرار تدفق الاسلحة والذخائر الامريكية من القواعد العسكرية فى تركيا على الحكومة الاردنية فى هذه الظروف ، وهو مالم يحاول المسئولون انكاره .

وقد أعلن **احمد طوقان** رئيس وزراء الاردن فى مؤتمر صحفى فى ١٢ ــ ١٠ أن حكومته تتلقى هذه الاسلحة والذخائر الامريكية للتعويض عن الاسلحة والذخائر التى فقدتها خلال المعارك مع الفدائيين فى شهر سبتمبر الماضى .

وتجمع مصادر اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية على ان الاحداث الاخيرة ، قد عمقت وحدة الفصائل العسكرية فى الثورة مما سيترتب عنه نتائج هامة على مستقبل العلاقات والروابط الفكرية والسياسية لحركة الثورة الفلسطينية . وانه من المنتظر ان تكون الخطوة التالية هى تصفية المنظمات الصغيرة التى تعج بها الساحة الفلسطينية ودمجها فى المنظمات الكبيرة الاخرى .

■ ■

■ **الهند الصينية**

مقترحات نيكسون .. خدعة التكتيك المزدوج

أعلنت حكومة جمهورية فيتنام الديمقراطية ، وحكومة الاتحاد الوطنى الملكية الكمبودية ، وجبهة لاوس الوطنية ، والحكومة الثورية المؤقتة فى فيتنام الجنوبية فى ١٤ اكتوبر الماضى ، رفضها الحازم وتنديدها الشديد بمقترحات السلام « **الخادعة** » التى قدمتها حكومة نيكسون فى ٧ اكتوبر الماضى .

وتقوم هذه المقترحات المسماة « بالمبادرة الجديدة الهامة من أجل السلام » على النقاط الخمس التالية وهى :

١ ــ تحقيق مايسمى بوقف اطلاق النار مع بقاء كافة الاطراف فى مواقعها » فى كل الهند الصينية .!

٢ ــ عقد مؤتمر دولى لمعالجة الصدام فى بلدان الهند الصينية الثلاث .

٣ ــ وضع جدول زمنى يتفق عليه بالاجماع لانسحاب القوات الشامل .

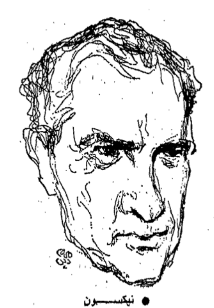
٤ ــ السعى من أجل حل سياسى يستجيب لارادة جميع الفيتناميين الجنوبيين .

٥ ــ اطلاق سراح كافة اسرى الحرب الذين يسجنهم الجانبان فورا ودون شروط .

وقد اوضحت وكالة انباء فيتنام الديموقراطية فى ٨ اكتوبر الماضى ، **أن مقترحات نيكسون لا تتضمن اى شىء « جديد » ولا أى شىء « هام »** وان نيكسون عندما اشار فى هذه المقترحات الى « انسحاب كافة القوات » قد عزف الحانه القديمة المليئة بالافتراءات على فيتنام الشمالية والتى تتهمها بغزو جنوب فيتنام ولاوس وكمبوديا ، ومن ناحية اخرى فان اقتراحه بوقف اطلاق النار مع بقاء كافة الاطراف فى مواقعها « انما يهدف الى اضفاء صبغة شرعية على عدوان الولايات المتحدة فى جنوب فيتنام ، وحرمان شعب فيتنام الجنوبية من حقه الشرعى فى الدفاع عن نفسه . كذلك فان مطالبة الامريكيين بعقد مؤتمر دولى لحل المشكلة فى ظروف وجود قوات امريكية كبيرة فى فيتنام الجنوبية ، انما يستهدف الاحتفاظ بمركز قوة فى المفاوضات ، واسباغ شرعية على العدوان ايضا . اما الهدف الحقيقى من « **الحل السياسى** » الذى يسعى اليه نيكسون فهو الحفاظ على حكم طغمة **ثيو ــ كى ــ خييم** الرجعية ، وحكم **لون نول ــ سيريك ماتاك** العميل فى كمبوديا .

وترى وكالة انباء « **قياى فونج** » الثورية فى جنوب فيتنام ، ان جوهر هذه «المبادرة » هو انكار المسألة الحاسمة المبدئية حول التسوية السديدة للمشكلة الفيتنامية ، ألا وهى **قيام الولايات المتحدة بسحب قواتها وقوات توابعها من جنوب فيتنام دون قيد او شرط** . كما ترى ان هذه المبادرة تستهدف اطالة أمد احتلال الولايات المتحدة لجنوب فيتنام، والتمادى فى سياسة « **فتنمة** » الحرب ومواصلة التوسع فى الهند الصينية كلها . أما وكالة « **انباء الصين الجديدة** » فترى ان نيكسون يحاول بمقترحاته محاولة عابثة لتشديد لعبة التكتيك المزدوج المعادى للثورة ، وانه بعد ان قام بأستهتار بتوجيه **التهديدات الحربية فى منطقة الشرق الاوسط** ، أخذ يروج خدعة «**المفاوضات السلمية** » بشأن الهند الصينية .

ويرى معظم المراقبين التقدميين ان هناك عديدا من الاسباب دفعت نيكسون الى التقدم بهذه « المبادرة الجديدة » فى مقدمتها التبأييد



● نيكسون

والدعم الواسعان على النطاق العالمى اللذان لاقاهما اقتراح الحكومة الثورية المؤقتة فى فيتنام الجنوبية .

ويقوم هذا الاقتراح على مطالبة الولايات المتحدة بسحب جميع قواتها هى وحلفائها من فيتنام الجنوبية قبل ٣٠ يونيو ١٩٧١ على اساس ان تأمن الحكومة الثورية قواتها - فى حالة استجابة الولايات المتحدة الى هذا الطلب بالامتناع عن مهاجمة القوات الامريكية وحلفائها . ويقوم كذلك على تشكيل حكومة ائتلافية جديدة فى **سايجون** بدون عصابة ثيو - كى - خييم، ومن عناصر تنتمى الى الحكومة الثورية المؤقتة ، واشخاص من حكومة سايجون يؤيدون المبادىء الاربعة (السلام والاستقلال والحياد والديموقراطية) ، واشخاص من القوى السياسية والدينية سواء من داخل البلاد أو من المهجر ممن يؤيدون هذه المبادىء الاربعة .

ويرى هؤلاء المراقبون ايضا ان من أهم اسباب هذه المقترحات كذلك، العمل على تضليل الشعب الامريكى لمساعدة مرشحى الحزب الجمهورى الامريكى فى انتخابات الكونجرس الامريكى التى ستجرى فى ٤ نوفمبر الحالى . ومن اسبابها ايضا ازدهار الحركة المعادية للحرب فى الولايات المتحدة فى الفترة الاخيرة .

وقد عارض كل من الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية مقترحات نيكسون ووصفاها بأنها خدعة دعائية تاتى قبيل انتخابات الكونجرس .

واستكمالا للصورة العامة للموقف فى الهند الصينية ، بعد اعلان حكومة لون نول - سيريك ماتاك للجمهورية فى كمبوديا فى ٩ اكتوبر الماضى ، ابرز التطورات الاخيرة فى هذا البلد ، وقد أصدر الامير « سيهانوك » ، والمكتب السياسى للجنة المركزية للجبهة الوطنية الكمبودية المتحدة وحكومة الاتحاد الوطنى الملكيا الكمبودية ، بيانا مشتركا فضحوا فيه عدم شرعيا جمهورية طغمة لون نول وسيريك ماتاك ، وطابعها الخداعى وطبيعتها المعادية للشعب وللديموقراطية وللامة وناشدوا حكومات مختلف الدول رفض الاعتراف بجمهورية لون نول واقعيا او قانونيا . واوضح البيان المشترك « ان كافة الصحف الجادة فى العالم اوضحت ان نظام حكم لون نول يضم فقط حفنة ضئيلة من الاوليجاركيين الرجعيين الذين تغذيهم الامبريالية الامريكية ». أما بيان حكومة جمهورية الصين الشعبية فقد اشار اشارة لها مغزاها بهذا الصدد عندما قال انه « ما اذا كانت الدولة تقدمية أم رجعية ، لا يتوقف على تسميتها بمملكة ام بجمهورية ، وانما تتوقف على ما اذا كانت السياسة التى تنتهجها تمثل مصلحة الشعب أم لا ، وتناهض الامبريالية أم لا . وان هناك بعض الممالك التى تنتهج سياسة السلم والحياد وتناهض العدوان الامبريالى وتصون استقلالها الوطنى ، وهى بذلك تحظى بدعم الشعب وتأييده ، وتلعب دورا تقدميا فى التاريخ، كذلك فانه بالرغم من أن الولايات المتحدة الامبريالية جمهورية الا أنها تنتهج السياسات العدوانية والحربية ، فأصبحت قلعة رئيسية للقوى الرجعية العالمية واشرس عدو لشعوب العالم أجمع » .

■ ■

■ **بوليفيا :**

هل هى نهاية لخط الانحناء لليمين ؟

فى السادس من اكتوبر تمرد بعض ضباط حامية لاباز فى بوليفيا بقيادة الجنرال اليمينى «**روجيليو ميراندا**» معلنين عزل الجنرال « **الفريدو اوفاندو** » رئيس الجمهورية وتشكيل حكومة عسكرية جديدة من ثلاثة جنرالات برئاسة ميراندا

ولكن انقلاب ميراندا لم يكتب له الاستمرار اكثر من اثنتى عشرة ساعة حيث عاجله الجنرال «**جوان جوزيه توريز** » بتكوين حكومة ثورية مضادة لقيت التأييد من اتحادات العمال والفلاحين والطلبة .

لقد تحركت جماهير الفلاحين بأسلحتها تجاه لاباز ، واحتل العمال والفلاحون المصانع مطالبين بتوزيع السلاح عليهم لمقاومة الفاشية وانصار الاستعمار • وانهار المجلس العسكرى اليمينى ، ودخل توريز العاصمة لاباز دون مقاومة ، ليعلن من هناك ، فى الثامن من أكتوبر ، الذى وافق الذكرى الثالثة لمصرع « **ارنستو جيفارا** » فى ادغال بوليفيا ، قيام الحكم الثورى من العسكريين الثوريين والعمال والفلاحين فى بوليفيا •

وتؤكد الاحداث ان انقلاب حامية لاباز كان النهاية الحتمية لسياسة الانحناء لليمين التى اتبعها ادفاندو أثناء رياسته ، منذ قام بانقلابه فى العام الماضى ضد الحكومة الرجعية السابقة ملوحا بشعارات يسارية ، لم يقدم على وضعها فى التطبيق ، ولقد ظلت القوى اليمنية المعززة بقوى الامبريالية الامريكية تدفع بحكومة اوفاندو الى اليمين بشكل مستمر ، واستطاعت منذ شهور أن ترغم اثنين من الوزراء اليساريين على الاستقالة من الحكومة ، وان تجبر اوفاندو على ابعاد جوان توريز عن قيادة الجيش بحجة تعاونه مع اليساريين ، وعدم توجيهه القوات المسلحة الى الشمال الشرقى من بوليفيا حيث عاد انصار جيفارا الى ممارسة الكفاح المسلح على نطاق واسع ، كما استطاعت القوى اليمينية أن تدفعه الى اصدار قرار بتعويض اصحاب شركة البترول البوليفية المؤممة بمبلغ ٧٨ مليون دولار •• الخ ، وبعد أن تحقق لها عزل أوفاندو عن القوى الشعبية اتخذت قرارها الطبيعى بالتخلص منه نهائيا ، بانقلاب حامية لاباز •

وعلى الرغم من أن جزءا كبيرا من القوات المسلحة أعلن تأييده لاوفاندو فى مواجهة الانقلاب اليمينى فان اوفاندو آثر الاستسلام والاستقالة ، ولم ينقذ الوضع سوى تصدى توريز والحركة الشعبية لانقلاب اليمين •

ان بوليفيا مثلها مثل كل بلدان امريكا اللاتينية تعانى من التخريب السياسى والايديولوجى والاقتصادى البشع ، هذا التخريب الذى تمارسه مؤسسات الاستعمار الجديد ، وتتعرض لنهب الاحتكارات الامريكية وخاصة الاحتكار الامريكى لمناجم القصدير الذى تعتبر بوليفيا اكبر منتج له ، ومن الحكومات الديكاتورية المتتالية لكافة أشكال المغامرين العسكريين •

ولقد أعلنت اتحادات العمال والفلاحين والطلبة والاحزاب السياسية اليسارية فى بوليفيا تأييدها لتوريز على أساس **برنامج سياسى** يدعو الى : طرد جميع الهيئات الاستعمارية ، وتأميم المصانع والبنوك والشركات الامريكية ، وقيام سلطة شعبية ثورية • وقد أعلن توريز عن برنامج للتخلص من التبعية ، والسير فى طريق التقدم الوطنى ، والنضال من أجل استقلال بوليفيا الاقتصادى ، والتأميم « المضطرد » للاستثمارات الاجنبية التى لا تتفق مع مصالح البلاد ، والعمل على رفع مستوى المعيشة لجماهير الشعب البوليفى ، واقامة نظام ديمقراطى يتفق ومصالح كل القوى الوطنية الديموقراطية فى البلاد ، ومازال المراقبون فى انتظار الخطوات التالية لحكومة توريز لوضع البرنامج فى التطبيق •

ويعتقد المراقبون انه اذا كان سقوط اوفاندو هو النهاية الطبيعية لخط الانحناء لليمين ، فان الحركة الوطنية الديمقراطية فى بوليفيا ، قد أثبتت أنها هى الاقوى وأن قوة توريز ستتعزز بقدر تصفيته لقوى اليمين البوليفى المدعم بالامبريالية الامريكية ومؤسساتها واحتكاراتها ، وبقدر ثباته الى جانب القوى الشعبية ، وهجرته لمنهج **الطريق الوسط** الذى أثبت كونه معبرا للانتكاس وليس للثورة خاصة فى بلدان أمريكا اللاتينية التى تتهددها قبضة امريكية امبريالية لا ترحم ولا تتردد •

■ ■

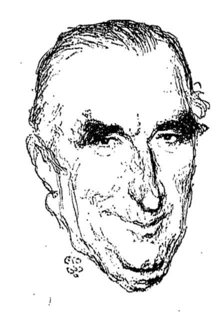
■ فرنسا — الاتحاد السوفيتى

زيادة التعاون الفرنسى — السوفيتى

قام الرئيس الفرنسى «**جورج بومبيدو**» يصحبه **موريس شومان** وزير الخارجية الفرنسية ، بزيارة رسمية للاتحاد السوفيتى فى الفترة من ٦ الى ١٣ أكتوبر الماضى ، صدر عنها فى ختام الزيارة بيان مشترك يعد تطويرا للبيان الذى وقعه الجنرال « ديجول » فى موسكو منذ ٤ سنوات ، وصدر عنها كذلك بروتوكول للمشاورات السياسية بين البلدين •

وقد تناولت مباحثات الرئيس الفرنسى مع الزعماء السوفيت ، القضايا المتعلقة بالموقف الدولى سواء فى أوربا ، أو فى الشرق الاوسط ، أو جنوب شرق آسيا ، كما تناولت تطوير العلاقات الاقتصادية بين البلدين ، وتطوير المشاورات السياسية بينهما •

وقد نالت دراسة الموقف فى اوربا الاهتمام الاكبر فى الجانب الخاص بالسياسة الدولية فى البيان المشترك ، حيث اعرب الطرفان عن



● جورج بومبيدو

ارتياحهما لعقد معاهدة عدم الاعتداء بين المانيا الغربية والاتحاد السوفيتى . وبهذا الصدد اشاد « **بودجورنى** » فى خطابه بالكرملين فى ٧ اكتوبر الماضى « **بالموقف الطيب** » **الذى اتخذته فرنسا حيال المعاهدة الالمانية السوفيتية** ، فى حين اشار بومبيدو اشارة لها مغزاها فى ٧ اكتوبر حين قال بهذا الصدد « ان فرنسا ليست قلعة من المنافسة الاقتصادية الاقتصادية الالمانية فى السوق السوفيتية ذلك ان هذه المنافسة لا تشمل سوى ٢ فى المائة من الصادرات الفرنسية .

واعرب الجانبان كذلك عن اعتقادهما بأن عقد مؤتمر للامن الاوروبى يحضر له تحضير جيد ، سيكون لصالح تخفيف التوتر . واعلنا تأييدهما لمشروع عقد هذا المؤتمر والتحضير له سواء عن طريق الاتصالات الثنائية او المتعددة الاطراف . وقد اعلن « **بومبيدو** » لمضيفيه فى الكرملين فى ٧ اكتوبر الماضى ان « الاعداد لهذا المؤتمر ، يمكن ان يدخل الان مرحلة عملية » . ويرى عديد من المراقبين أن هذا الرأى من جانب بومبيدو ، يوضح ان فرنسا قد تلقت بعض الضمانات ، ويعنى فى نظرهم انه توجد امكانيات ــ ليست اكيدة بعد ــ للاتفاق حول برلين ، ذلك ان المعروف هو أن فرنسا جعلت التقدم فى المحادثات الخاصة ببرلين ، والتى لم تنته بعد ، مقدمة لعقد هذا المؤتمر للامن الاوروبى ، وطالب الجانبان بوجوب « ان يستهدف هذا المؤتمر دعم الامن الاوربى عن طريق وضع نظام للتعهدات يستبعد أى لجوء للتهديد باستخدام القوة او استخدامها فى العلاقات المتبادلة بين الدول الاوربية » .

وفيما يتعلق بالشرق الاوسط ، اعرب الطرفان عن املهما فى أن تبدأ فى أقرب وقت مناقشات تجرى تحت اشراف الدكتور « **جونار يارنج** » وتؤدى الى ابرام اتفاق من أجل اقرار سلام عادل دائم على أساس قرار مجلس الامن . الا انه مما يوضح موقف الطرفين بدقة بالنسبة لهذه القضية ، ما صرح به الرئيس بومبيدو فى ١١ اكتوبر الماضى حين قال فى موسكو « انه لا يوجد تطابق فى وجهات النظر بين البلدين بهذا الصدد ، ولكن الاراء متقاربة ان جدا من بعضها البعض » . وقال « ان هناك رغبة مشتركة تحدونا الى اقامة سلام حقيقى على أسس راسخة هى الجلاء عن الاراضى المحتلة ، والاعتراف بحق جميع الدول بما فيها اسرائيل فى البقاء » . كذلك اوضح الجانبان ان وجهات نظرهما متقاربة للغاية بشأن مشكلة الهندالصينية .

هذا وقد اسفرت زيارة بومبيدو من ناحية اخرى ، عن توقيع بروتوكول فرنسي ــ سوفيتى ، قال « **اناتول بوتابوف** » المراسل الخاص لراديو موسكو « انه ينص على مرحلة جديدة فى المشاورات السياسية بين الاتحاد السوفيتى وفرنسا » ، ستجرى فيها المشاورات على مستوى أعلى مما جرت عليه من قبل . ونص البروتوكول بصفة خاصة على تحسين الموقف فى اوربا ، وتهدئة الحالة فى جميع مناطق العالم التى يكون فيها الامن الدولى مهدداً » .

ويقضى البروتوكول بوجه خاص بضرورة القيام باتصالات فورية بين موسكو وباريس بالتليفون المباشر فى حالة وقوع اى موقف يهدد السلام أو يؤدى الى توتر دولى . ونص كذلك على « أن المشاورات السياسية بين الدولتين سوف تتخذ طابعا دوريا » . و « اتفق من حيث المبدأ على أن يلتقى مندوبا فرنسا والاتحاد السوفيتى مرتين فى العام » . ومما هو جدير بالذكر ان البيان المشترك الذى وقعه الجنرال ديجول فى ١٩٦٦ ، لم يكن ينص على اجراء مشاورات من هذا القبيل ، كما لم يكن ينص على ان تكون المشاورات بين الدولتين منتظمة او دورية .

وفيما يتعلق بالتعاون الاقتصادى قرر الجانبان العمل على عقد اتفاقية طويلة المدى ، وأعربا عن املهما فى ان تكلل المحادثات الخاصة بالمشروعات الصناعية الجديدة بالنجاح ، وبخاصة فيما يتعلق باشتراك الصناعات السوفيتية فى انشاء مجمع

للتعدين فى « فوس » بالقرب من مارسيليا ، ومساهمة الفرنسيين فى تجديد انتاج عربات النقل فى الاتحاد السوفيتى . واتفق الجانبان على المساهمة فى انجاز مشروعات صناعية ضخمة اخرى ، سيتطلب انشاؤها فى بعض الحالات تعاون عدد من الدول الاوروبية » وبهذا الصدد اوضح بومبيدو فى ٧ اكتوبر الماضى ، ان المصانع الجديدة التى ينوى الاتحاد السوفيتى انشاءها « تمثل مستوى اكبر من الامكانيات المالية والفنية لفرنسا وحدها او لالمانيا وحدها ولذلك فقد قررنا فى المانيا وفرنسا أن نقوم بمشروعات مشتركة » . كذلك اوضح بودجورنى فى ٩ ـ ١٠ الماضى فى نوفوسيبيرسك « ان المصادر الطبيعية فى سيبيريا ، تتيح تعاوننا فرنسيا سوفيتيا فى مجالات العلم والتكنيك ، وانه يوجد افق واسع للتعاون بين البلدين فى هذه المجالات ، يمكن ان يبدأ من صناعة السيارات الى التليفزيون وبطاقة طبيعية اعلى فى مستواها .

هذا وقد اعتبر المراقبون السياسيون زيارة بومبيدو يوم ٨ اكتوبر الماضى لمركز الفضاء فى « بايكونور » رمزا لقوة الصداقة الفرنسية السوفيتية ، ذلك ان بومبيدو يعد الجنرال ديجول ، يعد الشخصية الغربية الوحيدة التى نفذت الى هذه الاماكن التى تحيطها السرية البالغة . وقد صرح بومبيدو فى ١١ اكتوبر الماضى « انه شاهد هناك اطلاق قمر صناعى ، كما شاهد تجربة اخرى يمكن القول ان طبيعتها عسكرية » . كذلك فان ما اشار اليه مراسل صحيفة « اليونيتا » الايطاليا فى موسكو ، بشأن التعاون العلمى الفرنسى ـ السوفيتى له دلالة بهذا الصدد ، اذ اوضح المراسل فى ٦ اكتوبر الماضى « ان المشروع الفرنسى السوفيتى لصنع سفينة فضاء قمرية ، انما يدل على اتساع نطاق العلاقات الفرنسية ـ السوفيتية فى كافة المجالات ويظهر الى اى مدى طاشت تلك النداءات التى وصلت الى باريس من عواصم غربية مختلفة لدعوة فرنسا ، وخاصة بعد عقد معاهدة عدم الاعتداء بين الاتحاد السوفيتى والمانيا الغربية الى العودة لحظيرة الاطلنطى والتخلى من الان عن سياستها التقليدية القائمة على التعاون الوثيق مع الاتحاد السوفيتى » .



● بودجورنى

وعلى أية حال فقد اتفق فى ختام هذه الزيارة على ان تتم زيارة الزعماء السوفيت لفرنسا فى عام ١٩٧١ كذلك يرى اغلب المراقبين ان توسيع التعاون الصناعى والاقتصادى بين البلدين ورغبة الحكومتين الفرنسية والسوفيتية فى تقوية علاقاتهما المشتركة تعتبران اهم النتائج التى اسفرت عنها المباحثات الفرنسية السوفيتية تلك المباحثات التى قال عنها « بودجورنى » فى ١٢ اكتوبر الماضى انها ارتقت بالعلاقات بين البلدين الى مستوى اعلى من ذى قبل » .

■ ■

■ أمريكا

جولة نيكسون فى أوروبا جهد محدود النتائج

قبل أن يبدا نيكسون جولته فى اوروبا نصحته **شيكاغو تريبون** أن ينتهز هذه الفرصة ليقنع حلفاءه فى حلف الاطلنطى كى يقدموا كل تأييد ممكن لسياسة امريكا فى الشرق الاوسط حتى لو اقتضى الامر التدخل بوساطة قوات الحلف فى الازمة ، اذا استدعى الامر . وكتبت الجريدة تقول بصراحة أن معاهدة حلف شمال الاطلنطى لا تتناقض مع مثل هذا التدخل ، وان كل العقبات يمكن تذليلها اذا ما اقتنع أعضاء الحلف بالفائدة المشتركة لهذا العمل ، ومن المعروف جيدا أن بلدان البحر الابيض المتوسط عبرت فى دورة مجلس حلف شمال الاطلنطى التى انعقدت فى الربيع الماضى فى روما عن قلقها فيما يختص بالتطورات الخطيرة فى الشرق الاوسط نتيجة لمساندة الولايات المتحدة

لعدوان اسرائيل ضد البلدان العربية . فقد طالبت تلك البلدان سواء داخل الاجتماع أو خارجه بان تعمل الولايات المتحدة من اجل تخفيف النزعة العدوانية لتل أبيب التى تسعى لزيادة التوتر فى المنطقة ، وهكذا بدأت اوروبا تتحرك فى اتجاه مقاومة سياسة الولايات المتحدة ازاء ازمة الشرق الاوسط مما حدا «**بالنيويورك تايمز**» لان تقول بأن هذه التطورات ستؤدى الى نمو القوى المركزية فى حلف الاطلنطى وسيتزايد بذلك استقلال أوروبا عن واشنطن عما هو عليه الان .

وبالاضافة الى محاولة كسب بلدان حلف الاطلنطى الى صف السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط ، حاولت الولايات المتحدة كما تقول « **النيويورك تايمز** » أن تتخذ من جولة نيكسون فرصة لاستعراض قواها العسكرية فى البحر الابيض بهدف التأثير الى أبعد حد ممكن على النزاع العربى الاسرائيلى وحماية مصالحها البترولية فى الشرق الاوسط .

ولقد بدأ نيكسون جولته بايطاليا عندما نزل فى مطار روما ثم نقلته طائرة هليوكوبتر الى المدينة . وكان يحيط بالرئيس نيكسون طوال تنقله فى ايطاليا حراسة لم يسبق لها مثيل ، خوفا من المظاهرات المعادية ، حتى قال البعض انه لم ير خلال تلك الزيارة لروما ونابولى الا رجال الشرطة والحرس ، وكان الشىء الملفت للنظر هو أن يصرح رئيس الوزارة الايطالية اثناء زيارة نيكسون قائلا : « انه من الضرورى أن يؤكد أثناء زيارة نيكسون أن حلف شمال الاطلنطى لا يتجه على الاطلاق ضد الدول العربية » وعندما انهى نيكسون زيارته الرسمية لايطاليا نقلته طائرة هليوكبتر أخرى الى ظهر حاملة الطائرات « **ساراتوجا** » التى تجوب البحر الابيض مع سفن الاسطول السادس .

وفى الليلة التى قضاها نيكسون على ظهر حاملة الطائرات يعد فيها خطابه الذى سيلقيه فى اليوم التالى فى مظاهرة استعراض قوة الاسطول السادس بلغه خبر وفاة الرئيس **عبد الناصر** . وقضت وفاة الرئيس عبد الناصر على محاولة استعراض القوة التى كانت تعد لها أمريكا فى اليوم التالى ، فلقد غطت اخبار وفاة الرئيس عبد الناصر على كل ما عداها من أخبار العالم ، وأصبحت فكرة استعراض القوة فى هذه الظروف التى انتقل فيها اهتمام العالم أجمع الى خبر وفاة الرئيس المصرى عديمة القيمة .

وبعد أن انتهى نيكسون من زيارته التفتيشية للاسطول السادس طار الى نابولى حيث عقد سلسلة من الاجتماعات مع قادة حلف الاطلنطى وسفراء الولايات المتحدة فى دول البحر الابيض **المتوسط** . ثم سافر بعدذلك الى يوغوسلافيا واجتمع بالرئيس **تيتو** وكانت أزمة الشرق الاوسط من أهم ما بحثاه فى اجتماعهما ، وأشارت وكالات الانباء الى الخلاف العميق بين وجهات نظر يوغوسلافيا والولايات المتحدة بهذا الصدد .

واتجه نيكسون بعد مغادرته ليوغوسلافيا الى أسبانيا ثم الى بريطانيا حيث أجتمع مع « **هيوم** » وزير الخارجية البريطانية الذى كان قد عاد لتوه من القاهرة بعد أن أشترك فى تشييع جنازة الرئيس عبد الناصر ، وعلى أثر مباحثاته مع هيوم تم الاتفاق بينهما على أن تتقدم كل من امريكا وبريطانيا الى أطراف النزاع فى الشرق الاوسط باقتراح مد فترة وقف اطلاق النار ٩٠ يوما أخرى ، وبعد ذلك طار نيكسون الى ايرلندا ليبحث عن قبر اسلافه ولكنه لم يجد هناك سوى المظاهرات المعادية لامريكا .

وعلى أثر عودة نيكسون الى واشنطن قال بعض المعلقين السياسيين انه ما من رحلة من رحلات رؤساء الولايات المتحدة الى الخارج عادت بمثل هذه النتائج الضئيلة كالتى عادت بها جولة نيكسون الاخيرة فى أوروبا حتى فى المجال الداخلى .. فمن المعروف أن أحد أهداف نيكسون من جولته ، كسب أصوات الناخبين الامريكيين اليهود والذين ينتمون الى أصول ايطالية وأيرلندية فى جولة الانتخابات التى تجرى يوم ٣ نوفمبر القادم ، ومن هنا زيارته لايرلندا وايطاليا واستعراض القوة لمصلحة اسرائيل ، إلا انه لم يوفق كثيرا فى محاولته هذه .

■ ■

■ **كندا**

كوريبيك .. مشكلة مائة عام

اعلنت الحكومة المركزية الكندية تطبيق قانون طوارىء الحرب الخاص الذى يقضى بوقف جميع الحريات المدنية فى كندا ، وذلك لمواجهة الازمة الخطيرة التى نتجت عن خطف «جبهة تحرر كويبيك » للدبلوماسى البريطانى « **جيمس كروس** » ووزير العمل فى حكومة كويبيك الاقليمية **بيير لابورت** .

وتفيد الانباء أن مدينة مونتريال عاصمة اقليم كويبيك قد تحولت الى معسكر مسلح توقعا

للاضطرابات التى قد يثيرها رجال الجبهة بعد أن توقفت المفاوضات بين الحكومة والجبهة التى رفضت العرض الحكومى بالافراج عن خمسة من المسجونين السياسيين من أنصار الجبهة (من بين ٢٣ مسجونا) مقابل الافراج عن الدبلوماسي والوزير ، مع تجاهل مطلب الجبهة الاخر وهو دفع فدية مقدارها ٥٠٠ ألف دولار ذهبا ·

وجبهة تحرير كويبيك هي واحدة من تنظيمين سريين أساسيين (**جبهة تحرير كويبيك ، وجيش تحرير كويبيك**) يدعوان الى استعمال العنف لتحقيق انفصال اقليم كويبيك عن كندا واستقلاله استقلالا مطلقا ، الى جانب حركتين علنيتين أخريين (**التجمع من أجل الاستقلال القومى ، والتجمع الامريكى**) تدعوان أيضا لانفصال كويبيك ولكن بالطرق الدستورية ، هذا بخلاف الحزبين الكبيرين الاخرين (**حزب الاحرار ، وحزب المحافظين**) اللذان يدعوان الى تطوير كويبيك كجزء من الدولة الكندية فى اطار اتحاد كونفدرالى يقوم على أساس « **دولة مزدوجة اللغة والثقافة** » ·

واذا كانت الاحداث الاخيرة فى كويبيك قد أثارت ثانى أزمة سياسية كبيرة فى خلال السنوات الثلاث المنصرمة بعد الازمة التى أثارتها تصريحات الجنرال « **ديجول** » فى يوليو ١٩٦٧ عندما رفع شعار « عاشت كويبيك حرة » ، فانها فى الواقع انما تفجر بشكل عنيف ذلك التناقض القوى الذى تعيشه كندا ، والذى نشأ وتفاقم نتيجة لعدة عوامل من اهمها :

– مخلفات سياسة الاستيطان فى القارة الامريكية منذ القرن السابع عشر ، فبعد سلسلة من الصراعات الانجليزية الفرنسية استولت بريطانيا فى عام ١٧٥٩ على مدينة كويبيك التى اسسها الفرنسيون وعلى مدينة مونتريال عام ١٧٦٠ · وعلى الرغم من اعتراف فرنسا بسيادة بريطانيا على كل كندا فى اتفاقية باريس عام ١٧٦٣ ، فلقد رفض الكنديون « الفرنسيون » التخلى عن ذاتيتهم الثقافية والدينية والقومية ، وقاوموا كل محاولة بريطانية لادماجهم بالقوة ·

– آثار النمو غير المستوى للرأسمالية الكندية ، فبينما تركزت عناصر التقدم التكنولوجى والفنى بين الفئات الانجلوسكسونية خضع الكنديون « الفرنسيون » لوضع يشبه وضع الشعوب المتخلفة اقتصاديا ، مما ترتب عليه سيطرة العناصر الانجلوسكسونية على مقاليد الحكومة الفيدرالية فى أوتاوا واستخدامهم سلطاتهم لتعزيز سيطرتهم على اقتصاديات مقاطعة كويبيك ذاتها حتى وجد الكنديون « الفرنسيون » أنفسهم وهم يمثلون ٨٠ فى المائة من سكان المقاطعة لايمتلكون اكثر من ١٠ فى المائة من مواردها الاقتصادية ·

– تغلغل رأس المال الامريكى فى كندا عامة وفى مناطق الاقليات المتحدثة بالفرنسية على وجه الخصوص ، واتخاذه من هؤلاء موردا للايدى العاملة الرخيصة ، مما زاد المكلة تفاقما بتعريض الكنديين « الفرنسيين » لاستغلال مركب واضطهاد مزدوج ·

– آثار سيطرة الحكومات الرجعية الفاسدة على الاقليم وخاصة حكومة **دوبليسيس** التى دامت قرابة ربع قرن (حتى عام ١٩٥٩) والتى تصرفت فى موارد الاقليم الطبيعية بشكل بشع ·· واضطهدت القوى التقدمية ، وغزت كل انواع السياسات والايديولوجيات الرجعية ·

– فشل سياسة « الثورة الهادئة » لحزب الاحرار التى بدأت منذ ١٩٦٠ ، وكانت تهدف الى اندماج الكنديين « الفرنسيين » فى أوساط الصناعة والمال والتجارة والسيطرة على الموارد الاقتصادية فى مقاطعة كويبيك ، ومشاركة الناطقين باللغة الفرنسية فى ادارة شئون كندا على قدم المساواة مع الناطقين بالانجليزية على أساس « كندا دولة مزدوجة اللغة والثقافة » ·وهو الاتجاه الذى اصطدم بكل الواقع الاقتصادى والسياسى والدستورى فى كويبيك وفى كندا بشكل عام ·

ان مشكلة كندا القومية تعيش وتتقيح منذ أكثر من مائتى عام ، ومهما كان الحل الذى ستنتهى اليه الازمة الحالية فستظل مشكلة كويبيك ومشكلة الكنديين «الفرنسيين» عامة مصدر توتر دائم فى الحياة السياسية فى كندا · وذلك حتى يمكن التوصل الى حلول عادلة مقبولة من كافة الاطراف ·

■ ■

■ علوم

لونا ١٦ تفتح افاقا جديدة

مازال العالم يتحدث عن رحلة لونا ١٦ ويرقب باهتمام نتائج النصر العلمى والتكنولوجى الذى احرزه الاتحاد السوفيتى اخيرا ، واثبت مقدرة العلماء السوفيت الفائقة فى التحكم الالى لسفن الفضاء ·

فما أن بدأت لونا ١٦ تقلع من فوق سطح القمر ، فى رحلة العودة التاريخية الى الارض حاملة

عينات من صخور القمر حتى اتجهت أنظار العالم الى هذا السبق الفنى الذى انجزته التكنولوجيا السوفيتية لاول مرة فى تاريخ استكشاف الفضاء ·
وبينما كانت طائرات الهليوكوبتر تنقل صخور القمر ــ فور هبوط لونا ١٦ ــ الى أكاديمية العلوم السوفيتية ، كانت الصحف العالمية تتحدث عن تفتح الافاق أمام استكشاف الفضاء ، وتعقد المقارنات بين النتائج التى أحرزتها ابوللو ١١ وأبوللو ١٢ وبين تلك التى أحرزتها لونا ١٦ ·

لقد بدا واضحا للجميع انه على الرغم من ان عينة القمر السوفيتية جاءت متأخرة عاما كاملا عن العينة الامريكية ، فان السوفيت على حد قول **برنارد لوفيل** كبير علماء الفضاء البريطانى ــ يتقدمون ٤ سنوات عن الامريكيين فى مجال الفضاء البعيد · فقد نجحوا فى الوصول الى الزهرة برحلات فينوس · وهى خطوة لم يستطع الامريكيون تحقيقها · ونجحوا فى تجميع عناصر محطات فضائية بان اجروا عمليات التحام بين مركبات فضائية ــ وهى عملية لم يستطع الامريكيون تنفيذها · وأخيرا فان نجاح لونا ١٦ حقق سبقا تكولوجيا حاسما ،فاستطاعت سفينة اوتوماتيكية أن تقوم بكل ماقام به رواد ابوللو ١١و ١٢ دون اية مجازفة للجنس البشرى وبذلك فتحت الطريق أمام رحلات استكشاف الفضاء الخارجى الاقل تكلفة والاكثر أمنا ·

وقد دارت التعليقات على اثر نجاح لونا ١٦ فى مهمتها حول مميزات سفن الفضاء الالية التى لا تحمل آدميين · فهى تتسم بصغر حجمها ، بينما يستحيل بناء سفن فضاء تحمل آدميين وتزن ١٠٠ أو ٢٠٠ كجم · ومن ثم فان سفن الفضاء الالية أقل تكلفة ويمكنها أن تحمل أجهزة علمية أكثر · ومن ناحية أخرى تعمل سفينة الفضاء الالية فى ظروف لايستطيع ان يواجهها او يتحملها الانسان،فمثلا يستطيع قمر صناعى ان يمكث فى حزام الاشعاع مدة طويلة بينما هى بالنسبة للانسان خطر داهم · وتستطيع الاقمار الصناعية أن تعمل لشهور وحتى لسنوات بينما لاتتجاوز قدرةالانسان فى البقاء فى مرحلة انعدام الوزن عن ١٨ يوما ·

واذا كانت سفن الفضاء الالية فى المرحلة الحالية من استكشاف الفضاء تقوم بمعظم ما يستطيع الانسان انيفعله ، فان الرحلات التىسوف يقوم بها آدميون فى المستقبل أمر حتمى · ذلك لان الانسان ينجز التجربة العلمية بكفاية أكبر · فهو يدرك نتائج التجربة بمرونة اكبر ، ويستطيع عند الضرورة أن يغير من برنامجها · وهذا مالا تستطيع ان تفعله الاجهزة الالية ، فتتجاوز عن تسجيل ماهو محدد فى برنامجها ، فمثلا اطلقت سفينة آلية فى الفضاء لتسجيل المجالات المغناطيسية ، وصادفت ظاهرة ضوئية ، فانها فى هذه الحالة لن تأتى باية نتيجة عن هذه الظاهرة ، بينما يستطيع الانسان فى هذا الوضع الشاذ أن يفهم هذه الظاهرة وأن يغير من مجرى الاحداث ·

واذا كانت لونا ١٦ تفسح المجال لتجارب مماثلة بالتحكم الالى الى الكواكب التى يستبعد سفن الادميين لها ، فانها فى نفس الوقت تفتح الطريق فى الايام القليلةالمقبلة أمام دراسات شاملة للفضاء الكونى · فقد بات واضحا ان القمر يستطيع أن يكون لدى السوفيت قاعدة لاقامة محطات أوتوماتيكية تقوم بدراسات ضخمة متعددة عن الفضاء الكونى خاصة وان القمر يخلو من غلاف جوى ، وبالتالى تتوفر عليه ظروف اكثر ملاءمة لرصد الارض والكون · وهكذا يمكن لكل هذه المعلومات المكثفة الشاملة التى تتجمع من العامل القمرية ان تصل الى الارض بوساطة محطة اوتوماتيكية تعمل كساع بريد ما بين الارض والقمر ·

وبينما تواصل الصحف العالمية تعليقاتها على نجاح مهمة لونا ١٦ يواصل العلماء السوفيت دراسة المادة القمرية ، فقد وجد أن تراب القمر لا يماثل تراب الارض ، اذ هو تراب رمادى مصبوغ بلون بنى وحين يسقط عليه شعاع من الضوء يبدو فى لون مخضر أو يقترب قليلا من الاحمرار · وقدر عمر هذا التراب بنحو ٤٠٠٠ ــ ٤٥٠٠ سنة وفى انتظار النتائج الاولى من تحليل تراب القمر الذى اخذ من بحر الخصوبة ، تم قياس النشاط الاشعاعى واجريت التجارب الاولى التى تشمل الوزن ، تحديد الطاقة الميكانيكية للعينات وتصويرها فوتوغرافيا · وقد أثارت النتائج الاولى فى دراسة المادة القمرية الغازا عديدة فان العينات المأخوذة من أبوللو ١١ على سبيل المثال أثبتت احتوائها على نسبة عالية من عنصر التيتانيوم ، مما حدا بالبعض أن يتصوروا أن هذا هو تركيب تراب القمر · ولكن اطلاق أبوللو ١٢ والعينة التى اتت بها لونا ١٦ قد دحض هذه الاراء · ولكن شىء واحد أصبح اليوم مؤكدا وهو أن الرأى السابق الذى يقول بأن القمر جسم متجانس جيولوجيا مع الارض هو رأى غير سليم ·

ان العلم اليوم يقترب من تحديد تركيب المادة القمرية وذلك بارسال محطات آلية مثل لونا ١٦ الى أماكن متعددة من سطح القمر وتقوم باحضار عينات مختلفة من الصخور القمرية وعلى أعماق متفاوتة ·

علم وظائف الاعضاء الموسيقى

قد يبدو من الغريب ، ان المعلومات التى لدى العلماء عن تأثير الموسيقى العضوى النفسى على الانسان ، مازالت محدودة ، على الرغم من ان الموسيقى أخذت فى الظهور مع فجر الحضارة الانسانية ، وأنها تصاحب الانسان فى البيت والعمل منذ ذلك الوقت .

وقد بدأ العلماء السوفيت ، منذ وقت قريب فى دراسة هذا الموضوع ، ووضعوا بالفعل أساس « **علم وظائف الاعضاء الموسيقى** » وأخذوا فى تطبيق هذا العلم فى النواحى العلاجية ، وفى زيادة طاقة الانسان على العمل .

فمن المعروف ، ان النشاط الحيوى للانسان ، يتوقف بالضرورة على حالة الجهاز الدورى الدموى ، وعلى حالة القلب بصفة خاصة ، وقد ثبت ان هناك علاقة وثيقة بين نوع الموسيقى ، وبين ضربات القلب فى الانسان ، فمثلا تزداد ضربات القلب بحوالى ٥ ضربات فى الدقيقة الواحدة ، عند الاستماع للموسيقى ذات الايقاع السريع ٪ بمقارنتها بضربات القلب قبل الاستماع لهذه الموسيقى ، وفى نفس الوقت فان الموسيقى الهادئة لا تؤثر على ضربات القلب ، كما اثبتت هذه التجارب أيضا ، ان الاستماع للموسيقى ذات الايقاع السريع ، يؤدى الى زيادة النبض ، وارتفاع ضغط الدم وارتفاع الحرارة ، وزيادة النشاط العضلى ، كما تؤدى الموسيقى الهادئة الى عكس ذلك ، كما اتضح ان طاقة الانسان على العمل ترتفع الى أعلى درجاتها بالاستماع للموسيقى المرحة ، وتتحسن الحالة النفسية للانسان والذاكرة بنسبة « ٥٠ فى المائة » .

ولا يتوقف أثر الموسيقى العضوى على الشخص السليم فقط ، بل يؤثر أيضا على المرضى ، فقد أدى العلاج بالموسيقى الى تحسن حالة المرضى المصابين بالأمراض العصبية المصحوبة بالارق ، وقد امكن القضاء على الارق بالموسيقى بنسبة ٧٥ الى ٨٠٪ فى المائة .

وتنتقى المقطوعات الموسيقية ، تبعا لسن المريض ، وتذوقه الموسيقى ، وثقافته الموسيقية وطبيعة المرض ٪ وحالة المريض ، ويتم حاليا بنجاح علاج مرضى ارتفاع وانخفاض ضغط الدم ، واضطرابات الجهاز العصبى ، وبخاصة المرضى بمصاب المرخ الاكتئابى .

ومما لاشك فيه أن هناك جوانب مازالت غامضة فيما يتعلق بهذا الصدد ، الا أن هناك دلائل متزايدة على انه سوف يكون للموسيقى دور كبير فى المستقبل فى مجالات العلاج ، والرياضة والصناعة والانتاج .

■

■ أدب

كل شيء هادىء فى الميدان الغربى

فى الخامس والعشرين من سبتمبر الماضى ، مات **اريك ماريا ريمارك** ، الكاتب الالمانى المولد ، الذى عاش فى الولايات المتحدة الامريكية منذ استولى النازيون على السلطة فى وطنه المانيا عام ١٩٣٣ ، ورغم ان جيل الشباب لايعرف الكثير عن ريمارك او اعماله الروائية العظيمة ، مثلما يعرف **هيمنجواى أو شتاينبيك أو كامى أو شولوخوف** ، فان ريمارك الذى حاز شهرته العالمية مبكرا فى عام ١٩٢٩ بروايته الكبيرة « **كل شيء هادىء فى الميدان الغربى** » ، يعد واحدا من بناة الادب الروائى الحديث فى القرن العشرين ، وواحدا من بناة الرؤية المأساوية والملحمية الى مصير الانسانية الغربية بالذات ، وتكوينها النفسى ودعامتها الروحية وضميرها ، الان حياته خاصة وقد عاش اكثر من نصفها الاخير فى الولايات المتحدة — تعد نموذجا لوقوع الفنان اسير رؤيته الخاصة ويصبح بشخصه ضحية من ضحايا المصدر الذى ينتقى منه أفكاره .

لقد مات ريمارك عن ثلاثة وسبعين عاما (ولد عام ١٨٩٧ فى بلدة أوسنابروك فى ستفاليا بألمانيا ، وشهد خلال حياته عشرات الحروب المحلية والكبيرة والعالمية ، وشهد عشرات اتفاقيات السلم وهى تمزق والوف الاجساد تمزقها وتسحقها القنابل والاليات العمياء ، ولكنه لم يشترك الا فى

حرب واحدة هي الحرب العالمية الاولى كجندى في الجيش الالماني (١٩١٥-١٩١٨) وخرج من الجيش والحرب يحمل ندوب اربعة جروح ، ويحمل رئتين معلولتين بتأثير الغازات السامة ، ليكتب روايته الاولى التي وضعته على الفور في مقدمة ادباء العالم الغربي « **كل شيء هادىء في الميدان الغربي** » .

وكانت كتابات ريماك في روايته تلك أول تعبير عن رؤية الضياع وانهيار القيم الروحية الغربية التي نفذت فيما بعد الى أعمال مواطنه الالماني « توماس مان » ، ونفذت الى أعمال الايرلندي «جيمس جويس » والامريكي « **أرنست هيمنجواي** » والفرنسي « **أندريه مالرو** » من زوايا نظر مختلفة ولكنها تؤكد شيئا واحدا : لقد فقد الغرب القدرة على التجدد الانساني لانه استهلك ضميره في ساحات الحروب التي كانت قمة الصراعات الهمجية في سبيل استعباد شعوب الارض كلها ،كانوا كما قال ريمارك : « يحاربون لا من أجل حريتهم ، وانما ليستعبدوا الاخرين ، ففقدوا حريتهم نفسها ، حتى المنتصرين من بينهم » .

وقد كتب أريك ماريا ريماك - في أثناء اقامته في الولايات المتحدة تسع روايات أخرى ربما كان اشهرها هي روايات « **الطريق الى الخلف** » عام ١٩٣١ « الرفاق الثلاثة » عام ١٩٣٧ و «**فلوسكام**» عام ١٩٤١ ، و « **قوس النصر** » عام ١٩٤٦ ، وهذه الرواية الاخيرة فاقت في توزيعها روايته الاولى ، ولكنها لم تحرز شهرتها الادبية ولامكانتها في تاريخ الادب الملتزم بالدفاع عن قضية انسانية .

لقد ظل الموضوع المفضل لدى ريمارك في كل أعماله هو موضوع ادانة الحرب وتصوير فظائعها وقدرتها على سحق انسانية المشاركين فيها والبعيدين عنها على حد سواء ، ورغم طغيان شهرة روايته الاولى على أعماله الاخرى كلها ، فقدر تميزت هذه الاعمال بقدرة عظيمة على استحضار عناصر الحياة المدنية الغربية للطبقات المختلفة وعلى كشف ما في هذه الحياة من عذاب داخلي وتزييف منظم متعمد ، وربما كانت حياة ريماك نفسها صورة صادقة لانسانه الغربي في أعماله ، ومصدرا في نفس الوقت لمعرفته الشاسعة العميقة بحياة حضارته .

بعد حياة الجندية مارس ريمارك مهنا متنوعة، فكان سائقا لسيارات السباق ، وسائقا لاختبار اطارات الكاوتشوك الجديدة في شركة لصناعة المطاط ، ومحررا للاعلانات ، وكاتب مقالات في الصحف السويسرية ثم مساعدا لرئيس تحرير صحيفة رياضية ، ثم أصبح وهو روائي شهير صديقا للمثلات الشهيرات في هوليود ومرتادا مغروفا للنوادي الليلة وعاشقا للاطعمة الجيدة والخمور الفاخرة . ولكنه ظل في كل هذه الاطوار يحمل الرئتين اللتين افسدتهما الغازات السامة في خنادق الجبهة الغربية في الحرب العالمية الاولى : كان جسده وكانت حياته مثل انسانه وحضارته ونموذجا لابطاله : يغامرون ويعملون بنشاط وربما يبتسمون ، ولكنهم يحملون على وجوههم قناعا لا يعبر عن حقيقتهم ويحملون داخلهم بذرة فساد اكتسبوها من المغامرة نفسها ومن النشاط الذي كان ريمارك نفسه يسميه «أشبه بغناء الخنافس في الصيف » ليس غناء ، ولكن الناس يظنون انه يعبر عن البهجة !

■ ■

آخر الروائيين الفرنسيين الكاثوليك

في مطلع شهر سبتمبر الماضي توفي الاديب الفرنسي **فرانسوا مورياك** عن ٨٥ عاما ، بعد ان كان يعد - مع **ت.س.اليوت ، وجراهام جرين** الانجليزيين - آخر ممثلي الضمير الكاثوليكي في الادب .

لم يكن مورياك غريبا على القارىء العربي : ففي ١٩٤٧ اصدرت له دار الكاتب المصري - التي كان يشرف عليها الدكتور **طه حسين** ، روايتين : « **والدة** » [**جنتريكس**] [ترجمة محمد عبدالحميد عنبر وعبد المجيد عابدين] و « **عقدة الافاعي** » [ترجمة نزيه الحكيم] .وفي هذا العام اصدرت له الهيئة العامة للتاليف والنشر ، في سلسلة ، روايات عالمية » « **صحراء الحب** » ، [ترجمة ظلعت

أباظة) .. وبين هذين التاريخين عرفنا به بعض أساتذة الادب الفرنسي والنقاد في كتبهم وفي المجلات الادبية .

وصف مورياك نفسه ككاتب في هذه الكلمات : « انى ميتافيزيقى يعكف على ما هو عينى ، فأنا أحاول أن أجعل عالم الشر الكاثوليكى محسوسا ملموسا ذا رائحة ، يعطينا علماء اللاهوت فكرة مجردة عن الخاطىء ، اما انا فأسبغ عليه لحما ودما » .

ولد مورياك لاسرة متوسطة فى بوردو عام ١٨٨٥ ، وتلقى تعليمه الاولى فى مدرسة يديرها اليسوعيون ، والتحق باحدى مدارس الليسيه وبجامعة بوردو ثم جامعة باريس التى لم يمكث بها غير فترة قصيرة ، وفى ١٩٠٩ نشر مجموعة من الاشعار فكانت أول بنية كبيرة من الاعمال محورها الصراع بين عواطف الانسان ومبادئه والتزاماته الدينية .

وخلال اثنى عشر عاما ، تبدأ بعام ١٩٢٠ ، كتب الروايات العشر التى أرست مكانته كأكبر روائيى فرنسا الكاثوليك ، وأهمها : « **قبلة للابرص** » [١٩٢٢] « **جنتريكس** » [١٩٢٣] ، « **تيريز ديسكيرو** » [١٩٢٧] ، « **عقدة الافاعى** » [١٩٣٢] . فى ١٩٣٤ انتخب عضوا بالاكاديمية الفرنسية ، وبعد ذلك بفترة قصيرة شرع ينشر « **اليوميات** » وهى مجلدات من التأملات الشخصية والتعليقات المثيرة للجدل على المشهد الفرنسى المعاصر ، ترجم أيضا لحياة راسين (١٩٢٨) والمسيح (١٩٣٦) وكتب أربع مسرحيات وعدة مجموعات قصصية ونقدا أدبيا ومقالات ، وفى ١٩٥٢ نال جائزة نوبل للاداب .

فى سنواته الاخيرة كان يكتب لصحيفة « لكسبريس » الاسبوعية مواصلا اسلوب يومياته الصريح ، وكان يقسم وقته بين باريس وضيعته المسماة مالاجار فى اقليم جين ، قرب بوردو ، مسرح الكثير من رواياته .

فى أغسطس ١٩٤٩ كتب مورياك فى مجلة « **لاتابل روند** » (المائدة المستديرة) محددا موقفه من الشكل الروائى : « **على كل روائى ان يبتكر** تكنيكه الخاص ، فتلك حقيقة المسالة ، ان كل رواية جديرة بهذا الاسم أشبه بكوكب آخر ، كبير أو صغير ، له قوانينه الخاصة ، كما أن له نباتاته وحيواناته التى ينفرد بها ، وعلى ذلك فان تكنيك فوكنر هو يقينا خير اداة لرسم عالم فوكنر ، وكابوس كافكا قد ولد اساطيره الخاصة التى تجعله قابلا للتوصيل ، ان بنيامين كونستان وستندال ويوجين فرومنتان وجاك ريفيير وراديجيه قد استخدموا جميعا ادوات تكنيكية مختلفة واستباحوا حريات مختلفة ووضعوا نصب أعينهم مهاما مختلفة ، ولكن العمل الفنى ذاته — سواء كان اسمه « ادولف » أو « لوسيان لوبين » أو دومينيك » أو « بحثا عن الزمن المفقود » — هو الحل لمشكلة التكنيك » .

ما الذى يبقى منه للتاريخ ؟ ان جيفرى بريرتون فى كتابه « **موجز تاريخ الادب الفرنسى** » (سلسلة بليكان) يلخص انجازه فى مشاكل الضمير التى يثيرها عمله ، فرواياته تقدم شخصيات انطوائية غريبة فى صراع مع اهوائها ورذائلها ولكن دون تدخل صريح من القدرة الالهية ، لقد خلق مجموعة من الخطاة على مستوى كلاسيكى يذكرنا براسين ، ثمة ايضا لمسة من بول بورجيه ، ولكن نظرته الى الشخصية الانسانية لاذعة المذاق تشغلها قضايا اللعنة والفضل الالهى ، ويتضح هذا بصفة خاصة فى شخصية تيريز ديسكيرو التعسة التى تظهر فى ثلاث من رواياته : « **تيريز ديسكيرو** » [١٩٢٧] « **ذلك الذى فقد** » [١٩٣٠] ، « **آخر الليل** » (١٩٣٥) . ان درجة حرارة الصراعات العائلية المغلقة التى يصورها تزداد من جراء تصويره للجو فى اقليم لاند ، الريف المحيط ببوردو ، وهذا أيضا هو مسرح انجح مسرحية له : « **اسمودية** » (١٩٣٨) .

وفى الجزء الاول من كتاب « **الرواية الحديثة** » لبول وست (مكتبة جامعة متشنسون لندن ، ١٩٦٧) يلخص وست انجاز مورياك فى كونه قد نجح فى كتابة روايات دينية ذات طابع لا زمنى ، كان يجمع بين حذق سيكولوجى مرض وقدرة على تنمية خيوط معقدة — دون عجلة وبالتفصيل — وبراعة فى رسم الاجواء ، ان مناظرة الطبيعة لها من القيمة ما لبطاح توماس هاردى ، ومنهجه المفضل — الاعتراف المرتد الى الخلف — يقوم على الايحاء والقصد فى التعبير والنظام ، انه يصور البورجوازية بمطامحها التافهة ، واستحواذ

الطابع التجارى عليها، وحرصها على أصول اللياقة، واحتفالها ـ قرب شجرة عيد الميلاد، فى منتصف الليل ـ بطفل ولد فى مزود للبقر، انه يعرف شخصياته جيدا ويسير على سنن الاخلاقيين الفرنسيين (باسكال، راسين، بيجى) لا على السنن الواقعى (بلزاك، فلوبير، زولا)، يمسك بالاساسيات ويحيلها الى ميدان الروح، إكثر مما يعيد تقديم سطح الحياة اليومية، انه شديد الثقة الى حد يجعله يستغنى عن التصوير الحرفى للحياة كما نعرفها ويدع معتقداته تنبثق، دون تعمل أو الحاح.

كان مورياك بارعا، بصفة خاصة، فى تصوير الرعب الميتافيزيقى الذى يحف بكل من الخطيئة والجنس، ولا ينى يتحدث عن « قذارة الجسد ». ورواياته الاخيرة ـ « **الفرنسية** » [١٩٤١] و « **جاليجاى** » (١٩٥٢) ـ تدعم نظرته الى العالم وتجمع بين أسلوب مدام دى لافاييت وثبات باسكال، لا عجب أن تحول هذا الاستاذ فى الحوار المقتصد الى المسرح.

وفى كتابه « **الطفولة المفقودة ومقالات اخرى** » (سلسلة بنجوين) كتب عنه زميله الروائى جراهام جرين يقول: « **ان اهم صفة لمورياك، فى نظر القارىء، هى انتمؤه لصحبه الروائيين التقليديين العظماء، فهو كاتب لم يتوقف العالم المرئى عن الوجود فى نظره، تمتاز شخصياته بصلابة وأهمية البشر الذين أوتوا أرواحا يخلصونها، أو يخصرونها انه كاتب يعلن ذلك الحق التقليدى والاساسى للروائى، حق التعليق والتعبير عن آرائه، كم سئمنا الرواية « الخالصة » على نحو قطعى، ذلك التقليد الذى أرساه فلوبير وبلغ ذروته المعنتة الجليلة فى انجلترا فى أعمال هنرى جيمس** »، فشخصيات مورياك ـ فى نظر جرين ـ توجد باكتمال فيزيقى غير عادى يذكرنا بديكنز ولكن افعالها أقل اهمية من القوة المسيطرة التى توجهها ـ سواء كانت الله او الشيطان ـ حتى ليرقى مورياك الى ذرا خارقة للمألوف فى بعض مشاهده. غير أن هذا لا ينفى فى خاتمة المطاف أن مورياك كان من كبار المحافظين، لا فى الادب الفرنسى وحده، وانما فى الادب العالمى عامة، فيما بين الحربين، كانت عقيدته الكاثوليكية نمطا فكريا يتخلل كتاباته كلها، وان اتسمت هذه الكتابات بالمهارة فى نشر آرائه السياسية وتصوراته المثالية للانسان نثرا غاية فى الذكاء، وهو لم يكن مثل بلزاك قادرا على الفصل بين مبادئه المحافظة واعماله الفنية بحيث اكتسبت هذه الاعمال قيمة مستقلة عن آراء بلزاك الشخصية، وانما تعمد مورياك أن يكون فنه متسقا مع ميوله السياسية، بل ان يكون تجسيدا حيا لهذه الميول، وسلاحا من اسلحتها، ورغم هذه تبقى للفن تلك القدرة السحرية على الانفلات من براثن صاحبه، وتبقى رغما عنه بعض القيم الانسانية العامة التى ابدعتها الجوانب الخفية، ربما عن الفنان نفسه، الجوانب الانسانية الاعمق غورا من المشاعر الطبقية والميول السياسية الموقوتة بلحظة محددة من الزمان وبيئة معينة من المكان، وهى الجوانب التى لا سبيل الى التخلص منها عند كل فنان عظيم.

■ ■

■ **سينما**

« ماذا يقول الفيلم العربى » فى مهرجان دولى

عقد فى الفترة من ١٩ أغسطس الى ١ سبتمبر الماضى مهرجان فينيسيا السينمائى الدولى الحادى والثلاثون الذى يعد أقيم مهرجانات السينما الدولية، وقد عرض فى المهرجان سبعة عشر فيلما تمثل ثلاث عشرة دولة. كما أقامت ادارة المهرجان عرضين جانبيين، **أولهما** خاص بأفلام « هارى **لانجدون** » الممثل الكوميدى الامريكى (**قدم عددا كبيرا من الاعمال التى اشترك فيها لانجدون فيما** بين ١٠٢٤ و ١٩٤٥] **وثانيهما** خاص بمدرسة الافلام التسجيلية البريطانية، وضم هذا العرض اعمال « جون جزيرسون » و « بازيل رايت » و« بول روثا » وهم من رواد هذا الفن فى انجلترا الى جانب اعمال « **كاريل** رايز » و« لندسى **أندرسون** » و« **تونى ريتشارد سون** » الذين كونوا فى نهاية الخمسينات الاتجاه الذى عرف فى بريطانيا باسم السينما الحرة.

كما نظمت ادارة المهرجان المعرض الدولى للكتب والمجلات السينمائية الذى خصص هذا العام للعلاقات بين السينما والشباب •

وقد أقامت هيئة اليونسكو فى اطار مهرجان فينيسيا مائدة مستديرة لسينما الدول العربية أدار المناقشات التى تمت فيها « رومانو كاليزى » الخبير باليونسكو ومدير معهد بحوث الاتصال الجماهيرى بجامعة روما ، واشترك فى الندوة مندوبون عن الجمهورية العربية المتحدة والجزائر ولبنان والعراق والمغرب وتونس ، وعرضت الجمهورية العربية المتحدة تسعة أفلام روائية هى « العزيمة »

و « النائب العام » و « دعاء الكروان » و « باب الحديد » و « بداية ونهاية » و « الزوجة ١٣ » و « أم العروسة » و « المخربون » و « شىء من الخوف » ، الى جانب سبعة أفلام تسجيلية مصرية ، كما تم عرض بعض افلام من لبنان والمغرب •

وقد اتفق المشتركون على أن المشكلة الاساسية التى تواجه السينما العربية اليوم هى مشكلة توزيع الافلام وتوسيع رقعة السوق وان أحد حلول هذه المشكلة يكمن فى توقيع اتفاقيات للانتاج المشترك بين الدول العربية ، كما اتفق الحاضرون على ضرورة أن تتخلص السينما العربية من نحو خمسين سنة من السينما الرديئة التى عرضها جمهور الافلام العربية حتى الان ، والانطلاق نحو آفاق جديدة •• وفى هذا المجال أشيد باتجاهات السينما الجزائرية الشابة •

وقد سار المهرجان هذا العام على نفس أسس السنة الماضية من ناحية الغاء الجوائز واعتبار اختيار الفيلم للاشتراك فى المهرجان — فى حد ذاته — شهادة بجودته الفنية ، كما استمر الغاء سوق الفيلم حيث يقدم المنتجون أعمالهم بغرض البيع فى محاولة لابعاد الصبغة التجارية عن المهرجان واضفاء الطابع الثقافى عليه •

وبالرغم من ذلك فقد اتفق النقاد الذين شهدوا المهرجان على هبوط مستواه العام •• فباستثناء أربعة أو خمسة أعمال جيدة لم يكن هناك ما يبرر اختيار وعرض بقية الافلام •

ومن أهم ما قدم فى مهرجان فينيسيا الحادى والثلاثين « الاسد ذو الرؤوس السبعة » لجلاوبير روشا أهم مخرجى السينما البرازيلية وهو أول فيلم يصور خارج بلاده •• وتدور أحداث هذا الفيلم فى دولة ما من الدول الافريقية ، حيث يقود احد السود ثورة عارمة ضد الاستعمار المجسد فى شخصيات أحد رجال المخابرات الامريكية ومرتزق المانى وقس فرنسى ومقاتل برتغالى •

أما « الرجال معارضون » لفرانشيسكو روسى الايطالى فيعتبر ادانة للجوانب الوحشية وغير الانسانية فى الحرب من خلال صراع يدور أثناء الحرب العالمية الاولى بين قائد عسكرى مصر على اداء واجبه مهما كان الثمن أو النتيجة وبين اثنين من ضباطه اللذين يحاولان عبثا الوقوف ضده ومنع ازهاق روح الالوف من الجنود •

والافلام الاخرى التى أثارت اهتمام النقاد هى « نهاية عميقة » ليرزى سكوليموفكى [الولايات المتحدة — ألمانيا الاتحادية] و « فاندا » لبربارا لودن (الولايات المتحدة) و « الخطيئة الكبرى » لميجيل فاريا (البرازيل) و « خطة العنكبوت » لبرناردو بوتولوتشى [ايطاليا] •

وقد عرض خارج المسابقة فيلمان أخرج أحدهما روسلليني (سقراط — عن حياة الفيلسوف اليونانى العظيم) وثانيهما « فلليني » (المهرجون — عن حياة هذه الفئة من الناس فى السيرك) لحساب التليفزيون الايطالى ، كما لاقى فيلم « المومياء » « لشادى عبد السلام » الذى قدم خارج المسابقة استحسان جميع النقاد •

وفى نهاية المهرجان تم اختيار المخرج « اورسون ويلز » استاذا للسينما لعام ١٩٧٠ تقديرا لمجموعة أعماله ، كما حصل فيلم « فلليني » على جائزة النقاد التى يمنحها الاتحاد الوطنى لنقاد السينما الايطاليين ، كما منح نقاد مدريد وبرشلونة جائزة باسم « لويس بونويل » الى « خطة العنكبوت » لبرتولوتشى •

رسالة من
بودابست

مجلس الاتحاد النسائى الدولى يؤيد قضايا النضال العربى

انجى افلاطون

اجتمع مجلس الاتحاد النسائى الدولى الديموقراطى فى مدينة بودابست من ٥ الى ٩ اكتوبر ١٩٧٠ بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لانشاء الاتحاد .

وقد حضر الاجتماع ١٨٥ مندوبة يمثلن ٧٤ منظمة نسائية عن ٧٣ دولة كى يضعوا كشف الحساب لهذه السنين الطويلة ، وكان من أوائل المؤتمرات العالمية التى انعقدت مباشرة بعد الحرب ، المؤتمر النسائى العالمى الذى أسس « الاتحاد النسائى الدولى الديمقراطى » فى شهر نوفمبر ١٩٤٥ فى باريس ، وكان لى الشرف ان امثل المراة المصرية فيه مع بعض الزميلات ، كما كنا البلد العربى الوحيد الذى حضر هذا المؤتمر التاسيسى الهام . (وقد صدر عن مؤتمر ١٩٤٥ كتيب بقلمى باسم « ٨٠ مليون امرأة معنا » قدمه الدكتور طه حسين) .

ولما كنت هذه المرة فى برلين الشرقية حيث كان يقام لى معرض خاص للوحاتى ، حينما حصلت الفجيعة الاليمة بوفاة رئيسنا الراحل جمال عبد الناصر ، اتصلت بى على الفور « سكرتارية الاتحاد النسائى الدولى الديموقراطى » فى مقرها الدائم برلين، لتبلغنى تعازيها القلبية وتطالبنى بالحاح أن احضر اجتماع المجلس اذ لم يتمكن الوفد المصرى عن الاتحاد الاشتراكى العربى من الحضور . وكان تمثيل الجمهورية العربية المتحدة فى الاجتماع مهما جدا خاصة فى هذه الظروف . وقد استطاعت السيدة **سيزا نبراوى وكيلة شرف** الاتحاد النسائى الدولى الديموقراطى أن تحضر ايضا هذا الاجتماع .

ومنذ اول لحظة لوصولنا الى مقر الاجتماع ، أقبلت علينا الوفود لتبلغنا حزنها وأسفها العميق لوفاة رئيسنا الراحل وتعزينا بصدق واخلاص ، كما طلبت الرئيسة فى الجلسة الافتتاحية الوقوف دقيقة حدادا على وفاة الرئيس جمال عبد الناصر الذى ظل يناضل طوال حياته من أجل الاستقلال والحرية والسلام العالمى ، كما عبرت غالبية المندوبات فى خطبهن وخاصة مندوبات أفريقيا وأمريكا اللاتينية عن مدى الخسارة الفادحة التى أصابت الشعوب بوفاة هذا البطل والقائد لحركة التحرر الوطنى والتقدم والاشتراكية . وفى نفس الوقت ، اعربت المندوبات عن ثقتهن فى ان الشعب المصرى سيواصل طريق عبد الناصر التحررى الاشتراكى ، وسيدافع عن جميع المكاسب التى حققها للشعب المصرى وللشعوب العربية .

وهكذا وجدت نفسى مرة اخرى بعد ٢٥ عاما بين هذا العدد الكبير من الصديقات والمناضلات من جميع انحاء العالم اللاتى كرسن حياتهن من أجل قضية تحرير المرأة ومساواتها مع الرجل ، ومن أجل قضايا التحرر والديموقراطية والسلام .

وقد ظهرت فى الاجتماع علامة جديدة وهامة لم

تكن قد برزت بعد فى مؤتمر باريس ، وهى ظهور المرأة العربية والافريقية بشكل واضح وفعال فى هذا المجتمع العالمى ، اذ استطاع الاتحاد ضم وجذب المنظمات النسائية الجديدة فى البلاد العربية وخاصة الافريقية ، حتى لقد حضر اجتماع المجلس ممثلات عن عشرين دولة افريقية منها دول نالت استقلالها حديثا وغالبيتها لا زالت تناضل ببسالة للتخلص من سيطرة الاستعمار وعملائه المحليين ومن الاضطهاد العنصرى البشع .

ومنذ هذا الوقت وفى خلال ٢٥ عاما ، قطع الاتحاد النسائى الدولى الديموقراطى شوطا طويلا وحقق مكاسب ونتائج ضخمة فى الحقل النسائى والعام . وقد احترم الوفد والقسم الذى أدته المندوبات فى عام ١٩٤٥ « بمساندة وتأييد جميع قضايا التحرر الوطنى والسيادة الوطنية وقضية الديموقراطية والسلام فى جميع أنحاء العالم » .

ومنذ هذا التاريخ والاتحاد النسائى الدولى الديموقراطى يقف بصلابة واصرار الى جانبنا ضد كل عدوان خارجى او اعتداء على سيادتنا ، ومنذ اللحظة الاولى للعدوان الاسرائيلى على مصر والبلاد العربية فى يونيو ١٩٦٧ ، استنكر الاتحاد بشدة هذا العدوان وهذه السياسة التوسعية لاسرائيل ، كما اعطى للشعوب العربية كل التأييد والمساندة المعنوية والمادية الممكنة .

وكانت أهم القرارات التى اتخذت فى اجتماع المجلس حسب جدول الاعمال والمناقشة ... هى بترتيب البنود :

١ ـ من أجل الدفاع عن حقوق المرأة كأم وعاملة ومواطنة ومن أجل تنفيذ هذه الحقوق .

تأكيد أهمية العمل المتواصل لنيل حقوق المرأة الاقتصادية والسياسية والقانونية والاجتماعية والثقافية فى جميع بلدان العالم . وقد ابرز عدد كبير من المندوبات من البلاد الرأسمالية ان التفرقة فى المعاملة وفى الحقوق بين المرأة والرجل لا زالت موجودة ، وانها فى بعض الاحيان تزداد وتأخذ اشكالا خطيرة تهدد مكانة المرأة فى المجتمع ودورها الفعلى فى حياة الامة ، وابرزت مندوبة امريكا التى تمثل « جماعة العمل من أجل السلام » خطورة الاستمرار فى سياسة التفرقة بين الجنسين التى تجعل اغلبية النساء العاملات فى الولايات المتحدة ينحصرون فى الاشغال الثانوية ذات الاجر المنخفض ويحرمن من مزاولة مهنتهن الاصلية ـ كما أبرزت مندوبات البلاد النامية التى نالت استقلالها حديثا فى آسيا وافريقيا انه بالرغم من اعطاء المرأة حقوقها الدستورية فلازال امامها ان تعمل جديا من أجل التطبيق والتنفيذ الفعلى لهذه القوانين .

٢ ـ من اجل الدفاع عن الاستقلال الوطنى والحريات الديمقراطية .

وتضمنت هذه النقطة الهامة قرارين مستقلين خاصين بتأييد كفاح شعوب الهند الصينية والشعوب العربية .

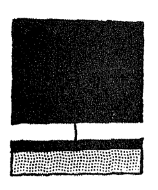
لقد أصدر الاتحاد نداء الى نساء العالم « **بالتضامن مع شعوب ونساء وأطفال الشرق الاوسط ضحايا العدوان الاسرائيلى** » . وصدر باجماع الاصوات فى الجمعية العمومية للمجلس ، وقد شرح النداء السياسة التوسعية التى تتبعها اسرائيل بمساندة الاستعمار الامريكى ، كما كشف بوضوح أعمال البطش والتنكيل التى تقوم بها السلطات الاسرائيلية فى المناطق المحتلة . كما أيد النداء المساعى السلمية التى يقوم بها العرب وقرار وقف اطلاق النار الذى قد زاد من أمل الحل السلمى ، ولكن أبرز فى نفس الوقت دور اسرائيل التخريبى الذى يستخدم كل الطرق لافشال هذه المساعى السلمية . وأكد مطالبة نساء العالم بانسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية المحتلة فورا ، والاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطينى ،وتسوية أزمة الشرق الاوسط عن طريق التنفيذ الكامل لقرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، وانتهى النداء بمناشدة نساء العالم أجمع للقيام بحملات واسعة للدعاية :

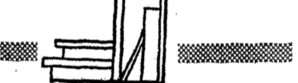
« ـ لشرح وكشف الوجه الحقيقى للعدوان الاسرائيلى على الشعوب العربية .

« ـ لشرح تضحيات وبطولات هذه الشعوب التى تواجه العدوان » .

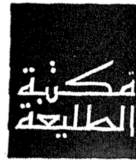
واختتم النداء بمطالبة نساء العالم ارسال مساعدات مادية فورية لضحايا الحرب الاهلية فى الاردن .

وفى نهاية الايام الخمسة لجلسات المجلس أقيم احتفال كبير فى برلمان المجر بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لانشاء الاتحاد النسائى الدولى الديمقراطى ، وفى هذا الاحتفال وزعت ميداليات تذكارية تكريما للسيدة الراحلة اوجنى كوتون مؤسسة الاتحاد وقد وزعت على شخصيات نسائية بارزة خدمت الاتحاد وقضايا المرأة والسلام فى العالم . وقد منحت هذه الميدالية للسيدة سيزانبراوى ـ وهذه اول مرة تعطى الميدالية لسيدة عربية ـ تقديرا لخدماتها ونضالها المتواصل من اجل قضايا المرأة والتحرر والسلام .









الخبرة السوفيتية فى الادارة الصناعية

■ بقلم :

بوريس زابلين

ماجستير فى العلوم الاقتصادية

مطبوعات دارنوفوستى للنشر — موسكو

١٩٧٠ — ١٢٠ صفحة من الحجم الصغير —

باللغة الانجليزية

ان العديد من الدارسين العرب للعلوم الادارية لا يجدون عادة الا المراجع الغربية ، واساسا الامريكية منها، وكثيرا ما تثار التساؤلات حول الفرق بين الاساليب الادارية للراسمالية الحديثة وبين المناهج الاشتراكية ، فى هذا المجال ، دون أن تكون هناك اجابات شافية · ويرجع هذا الى أن الدول الاشتراكية لم تبدا تهتم بهذه العلوم الا فى الفترة الاخيرة ، بالاضافة الى أن جزءا صغيرا فقط من الدراسات الخاصة بها فى هذه البلاد قد ترجم الى اللغة الفرنسية او الانجليزية التى يعرفها هؤلاء الدارسون العرب .

ورغم ان الكتيب الذى نحن بصدده ليس دراسة مستفيضة للاساليب الادارية السوفيتية ، ولا يهدف فى جوهره الى المقارنة بين الراسمالية الحديثة والاشتراكية فى مجالات الادارة ، غير أنه مفيد للقارىء العربى المهتم بهذه الامور ، لما يحويه من مؤشرات ومبادىء عامة · وسوف نكتفى هنا بابراز الافكار الاساسية فى هذا الشأن ، تاركين جانبا

البديهيات التى لابد من توافرها فى كل عملية ادارية .

المبادىء الاساسية لادارة الانتاج

للادارة الصناعية السوفيتية المعاصرة ثلاثة سس رئيسية :

١ ــ المركزية الديموقراطية : وهى التى تضمن التوجيه المركزى للاقتصاد ، مع ايجاد اوسع مجال امام المبادرات الفردية والجماعية ، لا من الاجهزة الادارية للوحدات الانتاجية فحسب ، بل والجماهير الواسعة التى تسهم بصورة خلاقة فى تنفيذ المخططات الاقتصادية للدولة .

فالمركزية الديموقراطية تمكن من تخطيط التنمية لجميع الفروع الاقتصادية من جهة ، ومن جهة أخرى فهى موجهة ايضا وبصورة واضحة ضد الفوضى فى الانتاج وضد البيروقراطية . ولابد من أن تسير على قدمين : قدم هى الحكم الشعبى والتعاون الاخوى الصادق بين الافراد والجماعات ، والقدم الاخرى هى الملكية العامة لوسائل الانتاج . وشرط اساسى لوجود المركزية الديموقراطية أن تكون هناك وحدة متينة بين الوجهين السياسى والاقتصادى الفنى لادارة الانتاج . وهذا معناه أن الادارة العليا للوحدات الاقتصادية يجب ان تنتقى على اساس مستوى عال من الوعى السياسى الى جانب الخبرة والكفاءة المتخصصة المطلوبة .

ان المركزية الديموقراطية هى التى تفتح امام افراد الشعب الكادح فرصة الوصول الى المراكز الادارية العليا ، بفضل النشاط السياسى الذى يمارسه الحزب والذى يرفع هؤلاء الى صفوف الكوادر . كما أن نظم التعليم بالمراسلة وغيرها تمكنهم من اكتساب القدرات العلمية والادارية اللازمة .

٢ ــ تركيز الادارة فى واحدة
One-man management
وهو المبدأ الذى يلغى أى ازدواج او تناقض فى التوجيه الادارى . على أن هذه القاعدة ليست مطلقة فى حقيقة أمرها . فاغلب الوحدات الاقتصادية تخضع لنوعين من التنظيمات الادارية : التنظيم المنبثق من الوزارة المخصصة فى المجال ، والتنظيم المحلى الذى يجمع الوحدات القائمة فى الاقليم أو المنطقة الصناعية الواحدة . هذا الى أن القواعد الجماهيرية تشترك بصورة فعالة فى رسم المخططات الاقتصادية ومراقبة النشاطات الادارية وتتمتع بحرية واسعة فى نقد أوجه التصور التى تلاحظها .

٣ ــ الحوافز المعنوية والمادية . واذا كان نظام الحوافز المادية منتشرا ايضا فى البلاد الرأسمالية ، غير أن النشاط السياسى المرتفع الذى يمارسه الحزب فى الاتحاد السوفيتى يثير باستمرار حماس الشعب لاحراز المزيد من المنجزات الاقتصادية ، مما مكن هذا البلد من تحقيق التقدم الاقتصادية المذهل الذى نرى آثاره فى جميع المجالات .

مراحل التطور الادارى

يعتقد الكثيرون أن التنظيم الادارى السوفيتى لم يتغير وظل جامدا منذ ثورة اكتوبر ١٩١٧ . غير أن الحقيقة أن هذا التنظيم مر بمراحل مختلفة تناسبت مع مراحل تثبيت اقدام النظام السياسى وتطوره .

ففى الفترة الاولى للنظام السوفيتى ، اقيمت لجان عمالية منتخبة بهدف مراقبة اصحاب المنشآت . ومهدت اعمال هذه اللجان الطريق امام عمليات التأميم واعادة التنظيم الصناعى على أسس اشتراكية .

ثم قامت السلطات السياسية المركزية بعد ذلك بتعيين المدير العام والمدير الفنى للوحدات ، وظلت لجان العمال المنتخبة قائمة . غير أن صوتها أصبح استشاريا فيما يتعلق بالنواحى الفنية . اما فى مجال احوال العمالة وظروف العمل والاجور الخ ، فكان لها أن تأخذ القرارات التنفيذية بشأنها .

وفى الفترة التى تلت الحرب العالمية الثانية ، اخضعت الوحدات الصناعية للتنظيمين الوزارى المركزى والاقليمى ، مما مكن الدولة من التعبئة الواسعة للموارد المادية وللكوادر الفنية التى كانت قليلة العدد فى ذلك الوقت . وانتشرت اساليب الاستشارة الواسعة بواسطة الاجتماعات الدورية التى يشترك فيها الوزراء ويحضرها لا المديرون فقط بل وايضا الفلاحون والعمال المبادرون والمبتكرون . وقد حققت هذه الاساليب الجديدة طفرة كبيرة فى اعادة البناء الاقتصادى .

ومع اتساع النمو الاقتصادى السوفيتى ، اقيمت اللجان الاقتصادية المركزية والاقليمية التى تشرف على مجموعات من الوحدات الانتاجية ، والتى سارت قدما فى انشاء المجمعات الصناعية الضخمة .

التنظيم الحالى للادارة الصناعية

في الفترة الاخيرة اخذت الادارة الصناعية السوفيتية بالكثير من الاشكال العامة المعمول بها في الدول الرأسمالية مثل قياس كفاءة المشروعات بواسطة الربحية • وهدف التنظيم الحالى تقوية مبدأ التنظيم النوعي للوحدات الاقتصادية ورفع مستوى الرقابة المخططة العلميـة ، والدفـع بالاساليب الاقتصادية في الادارة الى الامام • غير أن هذه الاشكال محاطة بمناخ كامل اقتصادى واجتماعي وسياسي له خواصه الاشتراكية المميزة وهى التى توفر للتخطيط الاقتصادى وللتنمية الانتاجية شروط التقدم السريع •

ونذكر مثلا أن اكاديمية العلوم السوفيتية وسائر الهيئات العلمية المختلفة تساهم بصورة هامة في رسم مشروعات التخطيط البعيدة المدى وفي معاونة الوزارات المركزية والاقليمية على تحقيق التنمية الصناعية • وهناك تنظيم اقليمى للموارد يسهل على الوحدات الانتاجية الحصول على مستلزماتها من التوريدات • وكذلك اصبح تقليدا اساسيا أن تعقد الندوات والمؤتمرات للانتاج يـدعى الى حضورها رؤساء الاقسام في المنشآت الصناعية والعمال المبتكرون الى جانب المـديرين • وان الاساليب المختلفة للمنافسة الاشتراكية اخـذت اشكالا جديدة ، منها نظام التعهدات القـاعدية الفردية والجماعية في تحقيق الخطط والزيادة عليها •

ومن الملفت للنظر في هذا الشأن أن المشروعات الصـناعيـة تعمـل على اسـتعمال عـوادم انتاجها (الخردة) في تصنيع منتجات فرعية • وان ادارات المصانع تتمتع بالاستقلال في المراجعة الدورية لسلم المرتبات والاجور وتوزيع المكافآت السنوية والتشجيعية • وتتخذ القرارات في هذه الموضوعات في اجتماعات خاصة تشترك فيها التنظيمات النقابية ، كما ان ادارة المشروع هى التى تحدد هيكلها التنظيمى وكوادرها الادارية •

وهناك وظيفة هامة ابتدعتها الدول الاشتراكية وهى « الادارة الاقتصادية » • فالمدير الاقتصادى يلعب دورا رئيسيا في وضع التخطيط للانتاج وفي تنفيذ الاساليب الاقتصادية التى تضمن الربحية الكافية • وعليه تطوير الهيكل التنظيمى والادارى واستعمال محاسبة التكاليف ورفع كفاءة الوحدة وتنظيم العمل وفئات الاجور ، والاشراف علـى اقسـام البحوث والادارة الماليـة ، والتخطيط والتنظيم •

عن الأدب .. والأدب الشـعبى الفلسـطينى

■ تاليف شاعر الارض المحتلة :

توفيق زياد

■ عرض وتحليل :

صبرى حافظ

■ الناشر :

دار العودة ببيروت

هذا كتاب جديد بحق .. جديد في كل شيء ... فعندما تصـبح الكلمة طلقة مدفع ، رصاصة توجه الى صدر العدو ، ميثاقا يتجمع حوله المحاربون قبل الانطلاق الى ساحة المواجهة ، نفحة ايمان تشد الازر وتأسو الجراح ، تكتسب الكلمات طعما جديدا ونكهة مميزة • هذا الطعم الفريد هو الذى يمنح هذا الكتاب جدته .. جدته الناجمة عن هذا الدور النضالى للكلمة ، والمرتوية من صدوره عن ظروف شديدة المغايرة لتلك الظروف التى تصدر عنها الكتب والدراسات في عالمنا العربى • فبرغم أنه مكتوب باللغة العربية • وعن قضايا

وأعمال أدبية عربية • الا أنه مكتوب في ظل مناخ مغاير ـ بل ومناقض ـ للمناخات التي تكتب فيها الدراسات العربية • مكتوب في المكان الوحيد من عالمنا العربي الذي تعتبر فيه اللغة العربية هي المنفى والوطن بالنسبة للمواطنين العرب الذين آثروا ان يمنحوا عذابهم المعنى فتشبثوا بالارض، وظلوا في الوطن برغم عسف الصهيونية واضطهادها • وفي ظل ظروف يتحتم فيها على الكلمة المخلصة ان تكون رصاصة ، وعلى الكاتب الجاد أن يكون محاربا • خارج من قلب الجرح العربي الكبير في فلسطين المحتلة •

ومن هنا حمل هذا الكتاب سمات الكتاب المحارب وتكوينه • فهو مكتوب بحساسية وتوهج • تتميز كلماته بالحدة والمباشرة ومعرفة القصد ، لا يعرف ترف التبويب الاكاديمي المحكم • فكاهله مثقل بعشرات المسئوليات والمهام التي يريد أن يضطلع بها جميعا في وقت واحد . حتى يصيب بالحجر الواحد أكثر من عصفورين • وحتى يعالج في المقالة الواحدة اكثر من قضيتين . والكتاب مجموعة من المقالات التي ظهرت أولا في الصحف العربية الثورية التي تصدر في فلسطين المحتلة ـ (الجديد) و (الاتحاد) و (الغد) ـ يومية كانت او شهرية . قبل ان يجمعها محمد دكروب، وتصدرها دار العودة ببيروت في كتاب مع مطلع هذا الشهر • وقد جمع هذا الكتاب بين دفتيه ـ كسمة الكتب المحاربة ـ العديد من الالوان التعبيرية المختلفة •• فهو يضم الى جانب الدراسة النقدية التي تتميز بالرهافة والمقدرة ، عددا من المحاولات الشعرية التي يعيد فيها توفيق زياد صياغة القصائد والمواويل الشعبية باللغة الفصحى • وعددا من المراجعات النقدية لدواوين شعراء الارض المحتلة ، الى جانب المقالة السياسية والتقرير الواقعي التسجيلي الذي يقترب لسخونته وفظاعته من العمل الفني القادر على التأثير والنفاذ لوجدان المتلقي وعقله معا .

وينقسم الكتاب الى ثلاثة اقسام .. القسم الاول [من أجل إنقاذ الادب الشعبي الفلسطيني] يكاد يكون دراسة متكاملة لهذا الموضوع الجوهري الهام تقدم الاساس الفكري والنظري لهذه الدعوة ثم تتبعها بعدد من النماذج التطبيقية التي تنتقل بهذه الدعوة الهامة من المجال النظري الخالص الى المجال التطبيقي ، حيث تمتزج الدعوة الى انقاذ هذه الكنوز الشعبية بالمبادرة الى تحويل الدعوة النظرية الى واقع تطبيقي • بالرغبة في احياء التواريخ القديمة ، والذكريات النضالية القديمة . فتوفيق زياد يدرك الدور الكبير للادب الشعبي ـ الابداع الفني للشعب كمجموع ـ في بلورة الحس القومي وفي تأكيد سمات الشخصية الفلسطينية ازاء المحاولات الدائمة والمنظمة للاجهاز عليها واذابتها في الكيان العنصري الجديد الذي أقامه الاستعمار الاستيطاني فوق أرض فلسطين . ومن ثم فهو يدعو الى الاهتمام بالادب الشعبي عن طريقين •• أولهما هو الطريق التقليدي القائم على جمع هذا التراث وتبويبه ودراسته •• أما الثاني ، فهو نقل الاثار الشعبية الى اللغة الفصحى • وهي دعوة ترمي الى توسيع دائرة متلقي المأثورات الشعبية وترتوي من احساس بأهمية العمل الفلكلوري وتقدير له ، ولكنها تخفي في ثناياها اعتقادا بأن اللغة العامية دون الفصحى مكانة ومنزلة ، وازورارا واهنا عن هذه اللغة التي يرى أنها مجرد نسخة ممسوخة من اللغة الفصحى ، كما تتضمن ـ خلال تفاصيل مناقشتها في هذا القسم ـ خلطا واضحا بين الشعر العامي ، وهو أحد ضروب الابداع الفردي ، وبين الادب الشعبي • غير أن لهذه الدعوة برغم ذلك جانبا فعالا وايجابيا اذا ما جردناها من بعض العثرات والاخطاء التفصيلية ، حتى تصبح في جوهرها دعوة الى تبني الرؤية الشعبية واعتناق وجهة نظرها •

أما القسم الثاني من الكتاب (دراسات حول الشعر العربي الثوري الفلسطيني) فأنه يضم محاولة نقدية هامة للتعرف على السمات الخاصة والملامح المميزة للشعر العربي الثوري الذي يكتب داخل فلسطين المحتلة •• ومن البداية يؤكد لنا توفيق زياد أن هذه الحركة الشعرية التي تطورت في سنوات قلائل من حجم اللاشيء الى حجم الغابة لم تولد من الفراغ، ولكنها امتداد للشعر الفلسطيني الثوري الذي كتب قبل ١٩٤٨ فوق الارض الفلسطينية أو بعده في المنفى •• امتداد لشعر أبي

سلمى وابراهيم طوقان ومطلق عبد الخالق وعبد الرحيم محمود .. امتداد لشعرهم لان معركة شعراء الارض المحتلة هى امتداد لمعاركهم .. امتداد يحمل خصائصه النوعية المغايرة والمميزة له عن هذا الشعر ،وعن الشعر الثورى الذى كتب فى شتى بلدان الوطن العربى . أول هذه الخصائص يكتسبها من معركته من أجل البقاء فى أرض الاباء والاجداد . وثانيها من توقه لتجسيد حق اللاجئين فى العودة . وثالثها من معركته الضارية ضد محاولات الصهيونية الدائمة لاذابة الشخصية الفلسطينية فى هذا الكيان العنصرى المشوه الذى أقيم فوق أرضها . ورابعها من احساسه العميق بوحدة قضية الحرية فى العالم . وبتواصله مع المناضلين من اجلها ، وبادراكه أن بلورة احساسه بالمواطنة القومية هى المقدمة الحقيقية للمواطنة الارحب .. المواطنة فى العالم . وخامسها ادراكه العميق للطابع الطبقى لمعركته وللبعد الاجتماعى لها .. ذلك البعد الذى يعمق البعدين القومى والانسانى ويثريهما .

بعد هذا التعرف على السمات والملامح الخاصة لشعر الارض المحتلة يجوب بنا توفيق زياد عددا من دواوين الارض المحتلة المخطوطة والمطبوعة فى رحلة نتعرف فيها على انطباعات شاعر فلسطينى عن حركة الشعر فى الارض المحتلة . انطباعات شاعر حساس أثقلتها مجموعة من المنطلقات المنهجية الخاطئة التى تذكرنا بعثرات الواقعية الاشتراكية فى نقدنا العربى فى الخمسينات .. بفهمها الميكانيكى للادب والانسان . وبتقسيماتها الكاريكاتيرية الباترة . وبعدم قدرتها على تمييز الفوارق النوعية بين المعرفة الحدسية المتجسدة فى صور ، والتى يقدمها الفن ، وبين المعرفة المنطقية المجردة التى يقدمها الفكر الفلسفى . اقول ان منهجه يذكرنا بهذه الكتابات لان فيه الكثير من عثراتها ، وخاصة تلك العثرات الناجمة عن اغفال الطابع الخاص للتجربة الفنية .. والتى تقعد بالناقد عن ادراك حقيقة هذه التجربة وتوقعه فى اطلاق التعميمات المبتسرة حولها . وهذا بالفعل ما دفع توفيق زياد ـ وهو شاعر حساس ـ الى أن يقول عن واحدة من أزق مسرحيات أوجست سترندبرج وأكثرها عمقا وشاعرية ، وهى مسرحية (الاب) ، أن مضمون هذه المسرحية مضمون لا انسانى ، وهو تشويه فظ للحقيقة ؟ ويدل على نظرة ذاتية ضيقة للمجتمع والعلاقة الزوجية ، وهو الذى قاده الى ذلك التفسير المضحك لهذه المسرحية الانسانية الناضجة . بل ووقع به فى شىء أسوأ من هذا كله وهو الدعوة الى مصادرتها ، وتقريع فرقة (المسرح الشعبى) لانها مثلتها .. غير أن الكاتب يتجاوز هذه العثرات فى أماكن كثيرة من كتابه بشيئين .. ببصيرة نقدية حساسة قادرة برغم التحديدات الفكرية المتعسفة على لمس الاوتار الدفينة فى بعض الاعمال التى يتناولها . وبحب غامر للحركة الادبية الشابة فى فلسطين المحتلة .. مما خلق فى كتابه من الناحية المنهجية مزجا بين منهجين .. هذا الفهم البدائى لفكر الواقعية الاشتراكية الادبى . الى جانب المنهج الانطباعى المدعم بحساسية فنية تتميز بالرهافة والصفاء .

يبقى بعد هذا القسم الثالث والاخير من الكتاب (عن المذبحة .. والعدوان) .. ويضم تقريرا واقعيا مرعبا عن مذبحة كفر قاسم . ودراسة مدهشة عن عدوان ١٩٦٧ تجمع بين عمق التحليل السياسى ورهافة العمل الفنى .. وقد كتب تقرير كفر قاسم فى ذكرى مرور عشر سنوات على هذه المذبحة البشعة .. وهو تقرير يقف على الحافة الفاصلة بين التسجيل الوثائقى أو التحقيق الصحفى وبين العمل الفنى الناضج .. اذ تتيقظ من خلاله كل تفاصيل هذه المذبحة الدامية ، وينتصب ضحاياها الذين عملت السلطة العنصرية على أن يظلوا بالنسبة للرأى العام العالمى والعربى معا .. ضحايا بلا وجوه وبلا ملامح انسانية مميزة . وقد فطن الكاتب الى هذه النقطة الحساسة فاهتم فى تقريره بان يمنح هؤلاء الضحايا الوجه والملامح حتى يستطيعوا ممارسة التأثير على الوجدان الانسانى وعلى العقل الانسانى فى آن .. أما فى (زرعية على شجرة) .. دراسته عن عدوان ١٩٦٧ فانه يقدم صورة واقعية أخرى لواقع الفكر الصهيونى عقب عدوان يونيو ولحيرته وتخبطه فى تبرير هذا العدوان وفى اضفاء طابع الشرعية الفكرية عليه .. وهى صورة يمتزج فيها التجسيد الفنى القادر على تصيد الظواهر الدالة ، بالبصيرة السياسية القادرة على تحليل جذور هذه الظواهر وعلى ردها الى أصولها وعلى تمزيق الاقنعة التى تستر زيفها وبشاعتها .

من خلال هذه الاقسام الثلاثة استطاع هـذا الكتاب المحارب ان يقدم لنا صورة ناضجة للكثير من قضايا الادب فى الارض المحتلة ، وللعديد من همومها ورؤاهـا ... صيـرورة نستطيع برغم الملاحظات التى سجلناها والتى ترتوى من تقديرنا الكبير لهذه المحاولة النقدية الرائدة ، أن نقول أنها تقدم لنا بداية جادة وجديدة لحركة نقدية ناضجة لها طابعها الخاص ومذاقها الاصيل .

■ ■ ■

من الصحافة العالمية

هل يقدم جارودى نموذجا جديدا للاشتراكية ؟

بقلم : بنايوت جنديف
انفورميشن بولتين
مجلة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى البلغارى

بدأ الكاتب مقاله بأن اشار الى أن جارودى يقوم بنشاط معاد للماركسيـة والحركة الشيـوعية العالمية منذ ست سنوات ، وأن هذا النشاط انتهى الى طرده من الحزب الشيوعى الفرنسى فى مؤتمره الاخير . وبعد فصل جارودى من الحزب أصدر كتابه « **الحقيقة كاملة** » الذى هاجم فيه « **النموذج السوفيتى للاشتراكية** » وقدم للبشرية بديلا جديدا يسير فى طريق « **الاشتراكية الديموقراطية** » .

ولقد بدأ جارودى هجومه علـى « النموذج السوفيتى للاشتراكية » منذ عام ١٩٦٦ حينما نشر كتابه « **ماركسية القرن العشرين** » . وخلال احداث تشيكوسلوفاكيا انحاز كلية الى جانب اليمينيين الذين كانوا يسيرون بالبلاد نحو كارثة قومية ، ونشر عددا من المقالات والتصريحات التى تفوح منها رائحة المراجعة . وانتهى به الامر الى اصدار كتـابه « **نقطـة التحـول العظيمـة فـى الاشتراكية** » [١٩٦٩] ، ثم كتابه الاخير « **الحقيقة كاملة** » (١٩٧٠)

وفى كتابه « ماركسية القرن العشرين » قدم جارودى الاسس الفلسفية لما سماه « النموذج الجديد للاشتراكية » . وخرج علينا بما سماه الاتجاه الفلسفى « المعتدل » للانسانية المجردة .

وقد جرته تلك الانسانية المجردة إلى « المعاناة » من أجل الانسان بشكل عام ، ومن اجل الحرية بشكل خاص ، ومن أجـل « الديمقراطيـة النقيـة غير المحدودة» التى تنتهكها «اشتراكية شرق اوروبا» . وفى كتابه « الحقيقة كاملة » يدافع جارودى عن أن المرحلة الحاضرة تشهد أزمة فى حركة الطبقة العاملة ، ولكن هذه الازمة كما يقول جارودى «لا تنشأ فى رأيى من التنوع ، الذى قد يبدو على العكس علامةمن علامات الصحة ، ولكنها تنشأ كما يبدو لى من رفض الاعتراف بتعدد نماذج الاشتراكية » ويدعى جارودى أن هناك محاولة لاعاقة تقدم الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا حيث يزعم « ان الطبقة العاملة تدافع عن حقها المشروع فى بناء نموذج جديد للاشتراكية يتفق وحاجات الابنية الاقتصادية والاجتماعية الجديدة ومـع التقاليد القومية ومع الاتجـاهات الاقتصـادية الرئيسية فى العالم المعاصرة » .

وكان لابد من وضع هذه الفروض النظرية لنماذج الاشتراكية حتى يعطيها بعض الجاذبية .. فما الموقف الذى يتخذه جارودى خـلال هـذه العملية ؟ الموقف المقارن . فان جارودى يقارن بين اشتراكية الاتحاد السوفيتى كما صـورها وبين « نموذجه الجـديد للاشـتراكية » الذى يزعم بان قسماته تتشكل فى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ . ثم يحدثنا عـن « نموذج فـرنسى للاشتراكية » مشوها بيانات الحزب الشيـوعى الفرنسى مضـفيا على السـمات الخاصـة للحركة الثورية من اجل الاشـتراكية فى فـرنسا بعض عناصر الديموقراطيةالبرجوا زية .

ولا يختلف « النموذج الفرنسى للاشتراكية » الذى يقدمه جارودى عن النماذج التى قدمها المراجعون والاصلاحيون قبل ذلك بعشرين عاما . انه يتصور ذلك النموذج الفرنسى للاشتراكية دون دكتاتورية البروليتاريا ، ودون قيادة الطبقة العاملة وحزبها الشيوعى . انه يتصوره مرتكزا على الحرية الكاملة للفرد ، والمجردة عن اى مضمون طبقى وبذلك يعتقد أنه يتفوق على كل نماذج الاشتراكية فى شرق اوروبا .

ان حديث جارودى حول تعدد نماذج الاشتراكية لاصلة له بالعلم. فالشىء الذى تصاغ على اساسه النماذج هو « الاشتراكية بشكل عام » تلك الاشتراكية التى تخضع لقوانين شاملة صحيحة بالنسبة لكل البلدان وليس لبلد واحد . والسمات الخاصة لعملية التحول الاشتراكى والبناء الاشتراكى فى البلدان المختلفة لاتتناقض مع القوانين العامة للاشتراكية . وعلى العكس فان القوانين العامة للاشتراكية شىء محتوم فى كل مكان . وعلى ذلك ليس هناك سوى نموذج واحد للاشتراكية يستند على اساس قوانين أساسية واحدة هى الماركسية اللينينية ، والاختلاف بين بلد وآخر لا يمس « نموذج الاشتراكية » وانما يمس طريقة تحقيقها ويعتمد ذلك على اختلاف الظروف الموضوعية ودور العامل الذاتى. ان تحليل مفهومات جارودى يوضح ان نموذجه الجديد يرتكز على أسس غريبة على الماركسية اللينينية ، وانه يخلط بين مشكلتين تتعلقان ببناء الاشتراكية . ان فكرة النموذج تستخدم لوصف طرق مختلفة للانتقال الى الاشتراكية ، بينما الاشتراكية كظاهرة تشمل فى قوانينها الاساسية كل البلدان . والقسمات الخاصة لبناء الاشتراكية لا تؤدى الى تغيير جوهرها ، اى الى تغيير « **النموذج** » . واذا ما كان من الممكن تغيير جوهر الاشتراكية ، اى تغيير « النموذج الاشتراكى » كما امكن الحديث عن ظاهرة عالمية الاشتراكية . ومن السذاجة ان نحاول الصاق النواقص والاخطاء التى وقعت فى بعض البلدان الاشتراكية فى مرحلة معينة من تطورها بالنموذج الاشتراكى نفسه . ويجب ان يكون واضحا ان تلك الاخطاء لا تنبع من جوهر« نموذج الاشتراكية » ولكن مصدرها يرجع الى التطبيق غير السليم لقواعد القيادة الحزبية وقيادة الدولة .

وفى الوقت الذى يصب جارودى نقده على « النموذج السوفيتى» يحاول فى كتابه « نقطة التحول العظيمة فى الاشتراكية » ان يوضح الحاجة الى «نموذج جديد » للاشتراكية . والاحتياج الى هذا «النموذج الجديد » ينبع فى نظره من التغيرات التى حدثت فى العلاقات الطبقية فى المجتمع الغربى الحديث نتيجة للثورة العلمية والتكنولوجية والمستوى العالى لتطور القوى المنتجة . ويؤدى ذلك على ما يزعم الى تطور سريع للمثقفين وللكادر الفنى ، وهؤلاء لا يمكن وضعهم فى عداد الطبقات الوسطى ولا فى عداد الطبقة العاملة ؛ وهكذا يخلص جارودى الى ان هناك ظاهرة جديدة فى الغرب اليوم « اذ ان جزءا كبيرا من المثقفين يشكل مع الطبقة العاملة كتلة تاريخية جديدة محورها العمال المهرة ، وفى هذه الكتلة يشارك المثقفون كمجموعة اجتماعية مستقلة تعمل من أجل التقدم الاجتماعى » .

وعن طريق نظرة جارودى الى المثقفين باعتبارهم عمالا اجراء يستنتج وجود تماثل كامل فى الوضع الاجتماعى بينهم وبين الطبقة العاملة، ولكنه ينسب الى العلماء والباحثين دورا رائدا فى التقدم الاجتماعى . ويخرج من ذلك الى أن « النموذج الجديد » للاشتراكية يرتكز على « كتلة تاريخية جديدة» يلعب فيها المثقفون فى الواقع دورا قياديا .

ولاشك ان الثورة العلمية والتكنولوجية فى ظل رأسمالية الدولة الاحتكارية قد قضت على خط التفرقة القديم بين المثقفين العلميين والفنيين وبين الطبقة العاملة . فلقد تحول المثقفون العلميون والتكنيكيون الى صفوف العمل المأجور ، وبدأ عدد «العمال ذوى الياقات البيضاء » يتزايد مع تزايد التقدم العلمى والفنى ، وهكذا اصبح المثقفون الذين يعملون فى الانتاج المادى ويشاركون مباشرة فى خلق فائض القيمة يقفون فى نفس العلاقة مع وسائل الانتاج وتنظيم العمل كما تقف الطبقة العاملة . لقد اصبح المثقفون جزءا من الطبقة العاملة وقد يكون لهم بعض مميزاتهم كأحد فصائلها ولكن هذا لا يغير من الدور الاجتماعى للبروليتاريا الصناعية ، انها من حيث العدد ومستوى التنظيم والوعى الطبقى تعتبر القوة الاجتماعية الاساسية فى حركة الطبقة العاملة ولا يمكن للمثقفين كما يدعى جارودى ان يشكلوا قوة اجتماعية مستقلة ، انهم اما ان يصبحوا جزءا من الطبقة العاملة او جزءا من البرجوازية ، ودورهم الايديولوجى لابد أن يكون خدمة مصالح احد الطبقتين . وهذا لا يقلل من أهميتهم فالطبقة العاملة مهتمة بجذب المثقفين الى صفوف حركتها وهم يحتاجون الى الارتباط بالطبقة العاملة اذا ما ارادوا مساعدة التقدم الاجتماعى .

ان التحالف القائم على « **الكتلة التاريخية الجديدة** » الذى يقترحها جارودى تحالف محدود للغاية . ان فكرة جارودى تتعارض مع نظرية لينين التى صاغها عن التحالف من أجل بناء الاشتراكية بين الطبقة العاملة وفقراء الفلاحين . ولكن جارودى لا يشير من قريب او من بعيد الى نظرية لينين حول التحالف من اجل بناء الاشتراكية . ان عزل الطبقة العاملة عن الفلاحين وتجاهلهم نهائيا هو انكار للينينية ولا يعنى سوى سد الطريق امام التحول الاشتراكى . ان النضال من اجل الاشتراكية فى عالمنا يتطلب التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين وكل الكادحين تحت قيادة الطبقة العاملة وهذا ما لا يفهمه جارودى .

ويقترح جارودى ان يرتكز « نموذجه الجديد للاشتراكية » على حزب من نوع جديد ، حزب لا يقوم على المركزية الديموقراطية ، انما يقوم على « الديموقراطية السوبرناطيقية » اى على « ديموقراطية الاستفتاءات » . ويرى جارودى ان الحزب ليس من الضرورى أن يكون له فلسفة رسمية، وانما يسمح بتعايش وتصارع كل الفلسفات وبالتآخى بينها ، ويقترح « توليفة من كل الفلسفات » . ان مثل هذا الحزب المجرد من الانضباط والنظام ومن اى مضمون طبقى او نظرة طبقية لا يمكن ان يقود نضالا من اجل الاشتراكية وانما يتحول الى اداة لمعاداة الشيوعية .

وفى سعيه لتحديد ملامح « النموذج الفرنسى » للاشتراكية يتعرض جارودى لمشكلة الديموقراطية . ويرى جارودى انه بفضل الآلات الحاسبة والعقول الالكترونية من الممكن تطبيق شكل من « الديموقراطية الراقية » التى تمثل «اجتماعا دائما موسعا لكل الامة » وعدم الوصول الى موقف الا بعد استفتاء كل الامة عليه ، ويسمى جارودى ذلك « ديموقراطية مباشرة من نوع لم يسبق له مثيل » ، ويتناسى جارودى ان **الديموقراطية لا يمكن ان تكون الديموقراطية** طبقية . لكن جارودى يخترع لنا « ديموقراطية الكترونية » فى مرحلة الانتقال بين الرأسمالية والاشتراكية . ان تجاهل المحتوى الطبقى للديموقراطية خاصة فى مرحلة تحتد فيها التناقضات الطبقية لا يعنى فى النهاية الا احياء الرأسمالية وخدمتها . ولا يحتاج الامر الى عقول الكترونية لمعرفة هذه الحقيقة. فما قيمة حصر آراء الطبقات فى مرحلة تقاوم فيها كل طبقة بكافة الوسائل من اجل ان تحتفظ بسلطتها ؟ وتقاوم البرجوازية بكل الوسائل لمنع انتصار الاشتراكية ، ومن اجل تخريبها وتحطيمها بعد النصر .

لقد اوضحت تجربة البناء الاشتراكى ان صراع الطبقات حقيقة اجتماعية لا يمكن تجاهلها حتى فى مرحلة البناء الاشتراكى . ولا تحتاج الطبقة العاملة فى تلك المرحلة الى ديمقراطية الكترونية ، ولكنها فى حاجة الى دولة دكتاتورية البروليتاريا ، اذ ان مثل تلك الدولة هى التى يمكنها ان تحمى وتطور الاشتراكية فى صالح مجموع الشعب ، ويمكنها ان تقضى على اى محاولة للارتداد من جانب اعداء الشعب .

ورغم كل الحقائق التى توضح تزايد حدة الهجوم الايديولوجى للامبريالية ضد الاشتراكية واثر هذا الهجوم داخل البلدان الاشتراكية يتعجب جارودى من ذلك ويقول « يتعجب المرء من هؤلاء الماركسيين الذين بدلا من ان يحاولوا فهم التناقضات الرئيسية التى تظهر فى كل بلد يلقون اللوم على الهجوم الايديولوجى المضاد والنشاط التخريبى لعناصر من الخارج » . ويذهب الى ابعد من ذلك فيوصى باعطاء الايديولوجية البرجوازية حرية فى البلاد الاشتراكية، وترك الجماهير تختار بحرية بين الايديولوجيتين ، ويعتبر جارودى وجود ايديولوجية رسمية قيد على المجتمع والديمقراطية . وليس صحيحا ان الماركسيين يرجعون النواقص الى الهجوم الايديولوجى للامبريالية فحسب . فرغم ان الهجوم الايديولوجى للامبريالية هو من أهم الميادين التى تهتم بها الامبريالية اليوم ، فان الماركسيين لا ينكرون دور التناقضات الموجودة فى البلدان الاشتراكية او يتجاهلونها فى تفسير التطورات الاجتماعية ، ولكننا نحتاج الى تفسير طبقى لهذه التناقضات . ان بعض هذه التناقضات ينتج من الاشتراكية والبعض الاخر ينتج من الهجوم الامبريالى والثورة المضادة ، ويتركز هجوم الامبريالية الايديولوجى حول فشل الاشتراكية وضرورة ان يحل محلها نوع من « المجتمع الصناعى القائم على المؤسسات الحرة » .

ويروق لجارودى أن يتحدث عن التسامح فى المناقشات النظرية وهو ابعد ما يكون عن التسامح حينما يتحدث عن النظام السياسى لدكتاتورية البروليتاريا . انه ينكر الدور القيادى للحزب الشيوعى والحاجة الى دكتاتورية البروليتاريا لبناء الاشتراكية ، وانكار دكتاتورية البروليتاريا ، معناه انكار الاشتراكية .

ذلك هو التطور المنطقى لكل انهزامى فى حركة العمال . انه يبدأ بالحديث المحايد عن الحرية والديموقراطية والتسامح والتعاون بين كل القوى التى تدافع عن الاشتراكية وعن تفسير جديد لظاهرة الاشتراكية ثم ينتقل الى الهجوم المكشوف على الشيوعية وعلى المعسكر الاشتراكى .

هل « تتبرجز » الطبقة العاملة ؟

بقلم س . ابشتاين — مجلة « الازمنة الجديدة » السوفيتية — العدد ٢٨ الصادر فى ١٥ يوليو ١٩٧٠ . ص ١٨ — ٢١ .

منذ بدء ظهور الماركسية ، والمفكرون البورجوازيون يبذلون جهدا مضنيا لتفنيدها ، وهم يحاولون اليوم مواجهة الانتصارات الساحقة التى حققتها الاشتراكية العلمية فى العالم بالدعاية للنظرية القائلة بأن الطبقة العاملة « **تتبرجز** » وأن العامل العادى « يندمج » فى البورجوازية .

غير ان الحقائق الاجتماعية والسياسية تنفى هذه الادعاءات تماما . وفى السنوات الاخيرة نشر عدد من علماء الاجتماع فى البلدان الراسمالية دراسات ميدانية عن سلوك العمال فى بعض المراكز الصناعية فى انجلترا وفرنساوأمريكا ومدى دلالته على عمق الشعور بالتناقض الطبقى . ففى مدينة **لاتون** البريطانية حيث الاجور مرتفعة وتنتشر اجهزة التليفزيون فى المنازل العمالية ويملك العمال اجهزة التسجيل والغسالات والسيارات والمنازل، وجد اساتذة الجامعة ان العمال مازالوا يفكرون فى انفسهم باعتبارهم بروليتاريين تفصلهم هوة عن الطبقة الراسمالية . انهم لا يجدون أية متعة فى أعمالهم ولا يشعرون باى ولاء لشركاتهم ، كما أن علاقاتهم الاجتماعية ما زالت تدور فى المحيط العمالى فقط . وينتشر بينهم السخط على وضعهم فى المجتمع . فهم لا يرون مخرجا على كونهم يبيعون قوة عملهم للرأسماليين مقابل الاجر ويعلمون تماما انهم سيظلون على هذا الوضع طوال حياتهم .

وفى فرنسا وأوروبا الغربية تمكن العمال من الحصول على أجور أحسن وساعات أقصر للعمل بفضل نضالهم المر . كما أن التقدم الفنى فى الانتاج وضع تحت تصرفهم العديد من السلع التى كانت تعتبر كمالية من قبل . غير أن الباحثين الاجتماعيين يسجلون التوتر الدائم الذى يعيش فيه العمال بسبب عدم استقرارأحوالهم المالية والبطالة التى يواجهونها بين آن وآخر . هذا بالاضافة الى أن احتياجاتهم المادية والثقافية تتزايد فى حين أن امكانياتهم قاصرة دائما عن تحقيق رغباتهم . وفى المراكز الصناعية بفرنسا الشمالية ، تحسنت أحوال العمال بعد الحرب العالمية الثانية ، فاشترى الكثيرون منهم المنازل والاثاثات والاجهزة المنزلية الحديثة بالتقسيط . غير انهم أصبحوا اليوم يضطرون الى الاقتصاد فى غذائهم وتراهم يستخدمون غسالاتهم لتخزين الملابس القذرة فيها ولم يعودوا يشغلون أجهزة التليفزيون الموجودة لديهم . وعندما سئلوا : من هم الناس الذين [illegible] المستغلون؟ » أجابوا : « الرأسماليين » . وقد شملت الحركات الاضرابية التى وقعت بفرنسا فى صيف ١٩٦٨ ما يقرب من عشرة ملايين من العمال ، فكانت أكبر هدم لنظرية « برجزة » الطبقة العاملة .

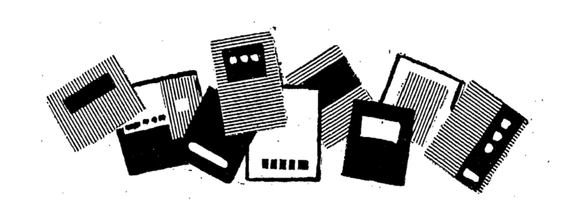
وقد يظن المرء أن الولايات المتحدة هى البلد المثالى « لبرجزة » الطبقة العاملة وذلك لارتفاع الاجور فيها ، ولعظم نفوذ الفكرية البورجوازية على العمال . غير أن هناك عوامل اخرى تؤثر فى الاتجاه المضاد وتزيد من حدة التناقض الطبقى وتنشر الادراك بوجوده . فمنذ عشر سنوات لاحظ الكاتب الامريكى الشهير **هوى سوادوس** أن « الموقف العام للعامل ازاء عمله هو خليط من الكراهية والخجل والقنوط » . وفى يوليو ١٩٦٧ نشرت جريدة « **وول ستريت** » الامريكية مقالا عن مصانع السيارات سجل الصحفى رابوبور فيه أن هناك ٢٥٠,٠٠٠ عامل غير سعداء بظروف العمل . فانازدياد كثافة العمل وسرعته، قد ادى الى انتشار اصابات العمل التى بلغت مليونان حالة فى السنة . وكتبتجريدة **تايم** الامريكية تقول أن ربع العمال الامريكيين مصابون باضطرابات فى شخصيتهم ، وأن الامراض النفسية بين العمال هى السبب الثانى للغياب عن العمل بعد الزكام . واعترفت النشرة التى يصدرها اتحاد النقابات فى اكتوبر ١٩٦٩ بأنه « قد نسفت تماما الاسطورة القائلة بان العامل سعيد وأنه ينتمى الى الطبقة المتوسطة » . وقد كانت حركات الاضراب فى أمريكا وتحول النقابات ضد الحرب فى فيتنام شواهد قاطعة على ازدياد الوعى لدى العمال الامريكيين بأن مصلحتهم لا تنطبق مع مصالح الاحتكارات التى تسيطر على المجتمع فى الولايات المتحدة .

ولقد لاحظ **لينين** القدرة الفائقة للبورجوازية الانجليزية والامريكية على خداع العمال ونشر الفساد فى صفوفهم وشراء ضمائرهم . وتلجأ الاحتكارات الحديثة الى أساليب متقدمة جدا فى هذا الشأن . غير انه قد لوحظ أن العمال لا يترددون على النوادى والساحات الرياضية وأماكن الترفيه التى تقيمها الشركات ، لا فى أوقات العمل ، ولا فى أوقات الفراغ مما يسجل فشل السياسة « **الابوية** » التى حاولت الرأسمالية الحديثة اتباعها . فاذا صح أن شراء الغسالة والسيارة بالتقسيط هو فى متناول قطاع من العمال فى أوروبا الغربية وأمريكا ، الا أن نسبة الاستغلال — بين فائض القيمة والاجر — ترتفع بصورة مستمرة . ولقد كانت قريبة من ١٠٠ فى المائة فى ١٨٥٠ فزادت الى ٢٠٠ فى المائة فى ١٩١٣ وقفزت الى أكثر من ٧٠٠ فى المائة فى

١٩٦٤ طبقا لتقدير الاقتصادى كوتشينسكى . وهذا يعنى أن الهوة التى تفصل بين الطبقتين العاملة وبين البورجوازية تزداد اتساعا ، وهو ما أسماه ماركس « بالافقار النسبى » للبروليتاريا . ومن ثم فالعنصر الحاسم الذى يحدد وعى العامل لطبقيته ليس اتساع استهلاكه للسلع ، بل وضعه الاجتماعى . وهو لا يشعر فقط بأنه مستغل بل بأن حقوقه وكرامته كانسان مهدرة بسبب ولاية مبدأ الربح .

ان الطبقة العاملة تزداد عددا فى البلدان الرأسمالية الرئيسية . فبعد ان كانت ١٠ ملايين فى منتصف القرن الماضى ، و٣٠ مليونا فى اوائل هذا القرن ، أصبحت ٢٠٠ مليون اليوم . وتتسع قواعدها الاجتماعية مع مرور الايام ، لقد اضحت تضم المزارعين والحرفيين على وشك الافلاس ، والفئات العريضة من الموظفين الاداريين والفنيين . ويشهد العالم كفاحا متزايدا لهذه الطبقة ، لا من أجل مصالحها الاقتصادية المباشرة فحسب ، بل ضد النظام الرأسمالى ككل ، وضد السياسة الاستعمارية المعادية للشعب وللبشرية وباعتبارها تهديدا للسلام والامن العالمى . وفى الفترة ١٩٤٦ ـ ١٩٦٠ بلغ مجموع المشتركين فى الاضرابات فى البلدان الرأسمالية الرئيسية ١٥٠ مليون فرد . فزاد هذا العدد الى ٣٠٠ مليون فى الفترة القصيرة ١٩٦٠ ـ ١٩٦٨ . أما فى سنة ١٩٦٩ وحدها ، فقد وصل عددهم ٤٥ مليونا .

وقد سجل مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية هذه الحقيقة حين قال فى وثيقته « ان الفترة الحالية تتميز بازدياد حدة الصراع الذى تشنه الطبقة العاملة والجماهير الواسعة للشعب الكادح لا من أجل تحسين ظروفهم الاقتصادية فحسب بل وفى سبيل المطالب السياسية أيضا . واذ يدافع الشعب الكادح عن مصالحه الحيوية ، يكافح ـ فى الوقت نفسه ـ من أجل الحقوق الاجتماعية والحريات الديموقراطية . وتوجه هذه المطالب بصورة مطردة ضد النظام الذى يمارس فيه الرأسمال الاحتكارى سيطرته وضد سلطته السياسية » .







عبد الناصر لم يبدأ من فراغ لكى يتركنا فى فراغ

عادل فاضل زكى

بعد الفجيعة الكبرى التى منيتبها امتنا بوفاة البطل والزعيم والقائد المناضل جمال عبدالناصر تحركت على الفور وبسرعة منقطعة النظير بعض الاجهزة المشبوهة والعميلة سواء فى الداخل او الخارج لكى تلتقط الخيط وتلقى بثقلها فى خضم الشعور الحزين ، ولتنسج من بين دموع الجماهير الباكية على قائدها ومعلمها نقماتها المغرضة وسمومها لعلها تنجح فى تحقيق اغراضها واهدافها . لقد قال الزعيم البطل مرة فى احدى خطبه ان هناك حزبا سريا منظما يقف على اهبة الاستعداد دائما ان تتاح فرصة للانقضاض على ثورة الجماهير والاطاحة بها .

هذه التحركات لم تكن بغائبة ابدا عن ذهن البطل الراحل وطالما حذر منها ونبه اليها .. ولم تكن بغائبة ابدا عن بصيرة شعبنا ومناضلينا ، هى نفسها هذه الاجهزة العميلة والرجعية التى اذاعت فى ابواق دعاياتها عن الفراغ الهائل الذى تركه البطل الراحل والمستقبل المظلم الذى ينتظر جماهير الثورة العربية ، وبدأت فى نشر شعاراتها بين شعارات الجماهير الصادقةوالحازمة الواضحة ، هذه الجماهير التى اثبتت أن حدسها الثورى وبصيرتها لا تتخلى عنها فى أحلك الظروف وأكثرها ظلمة .

ان البطل والمعلم العظيم الذىبدأ ثورته فجر ٢٣ يوليو بستة أهداف واضحة المعالم والرؤية .

١ ـ القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين .

٢ ـ القضاء على الاقطاع .

٣ ـ القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .

٤ ـ اقامة عدالة اجتماعية

٥ ـ اقامة جيش وطنى قوى

٦ ـ اقامة حياة ديمقراطية سليمة .

هذه المبادىء كانت تجسيدا لآمال شعبنا وطموحه ، كانت أملا مختمرا فى أعماق جماهيرنا على طول سنوات النضال والكفاح ، حتى فجر عبد الناصر ثورته لتعبر تعبيرا صادقا عن اهداف النضال وابعاده . فى كتاب فلسفة الثورة قال الرئيس البطل « **انا من المؤمنين بأنه لا شىء يمكن ان يعيش فى فراغ** » .

وفى قول آخر فى نفس الكتاب « ان كفاح أى **شعب جيلا بعد جيل ، بناء يرتفع حجرا فوق حجر ، وكما أن كل حجر فى البناء يتخذ من الحجر الذى تحته قاعدة يرتكز عليها كذلك الاحداث فى قصص كفاح الشعوب .. كل حدث منها نتيجة لحدث سبقه ، وهو فى نفس الوقت مقدمة لحديث مازال فى ضمير الغيب »** .

البطل كان يدرك بصدق جوانب وأبعاد هذه الثورة ، وبهذه المبادىء الستة بدأ الطريق وانطلق مجسدا لاحلام الجماهير ومحققا لآمالها ، وتفاعل مع أمانيها وحدث هذا التلاحم الهائل بين عبد الناصر القائد وشعبه الثائر يستلهم منه ويعطيه .

ومضى **عبد الناصر** فى طريقه ووراءه شعبه ليحقق الاسطورة الخالدة فى ثورات الشعوب ، كل يوم فى عمرها يعطيها ذخيرة للنضال ويجنى أسسا ، ولم يمر على الثورة فى سنواتها الثمانية عشرة يوم بلا عمل وكل عمل يقود الى العمل الذى يليه ..

من المبادىء الستة انطلقت آفاق الثورة خطوة بعد خطوة ومرحلة بعد مرحلة حتى ارساء قواعد الاشتراكية وتدعيمها ، وحتى اصبحت الاشتراكية كائنا حيا ملموسا يربط مصير جماهير الثورة العربية كلها مغيرا لكل العلاقات الاجتماعية ومزيلا لكل آثار التخلف ومنطلقا نحو التقدم .

و**عبد الناصر** فى جميع مراحل نضاله الذى يستلهمه من شعبه ويعيده اليه مصوغا فى مبادىء ثابتة واضحة اعطى لكل شىء ولكل جانب من جوانب العمل النضالى مفهوما ولكل قضية من قضاياه هدفا ولم يترك جانبا من جوانب النضال لم يطرقه محليا كان او دوليا .

وبوعيه الثورى لن يجعل الاحداث الهائلة التى كان يصطدم بها لتحول بينه وبين ارساء قواعد كافة المراحل التى كان يمر بها العمل النضالى .

لقد حدد قيما للعمال وواجبا للمثقفين وأهدافا للجنود واطارا للرأسمالية الوطنية .

أوضح ما هى الثورة ومن هم أصحاب المصلحة فيها ؟ ، وما هى الثورة المضادة وكافة اشكالها ؟ .

أرسى قواعد مؤسسات سياسية وشعبية ودستورية .

عبد الناصر البطل ترك ذخيرة فكر هائلة فى الميثاق وبيان ٣٠ مارس ، وفى خطبه واحاديثه ولقاءاته مع الجماهير على جميع المستويات ، ولم يترك ايا منا بلا دور فى مسيرة الثورة .

لقد حدد لهذه الثورة اصدقاءها واعداءها ، وترك الرواية واضحة امام مناضلينا ، والمسئوليات محددة لكل فرد من أفراد الوطن ، وبقى لنا ان نحمل الامانة وان نتحمل المسئولية كاملة ، هذه المسئولية التى تصدى لها عبد الناصر لمدة ثمانية عشر عاما بكل شجاعة ، وانكار للذات ، واعطاها آخر قطرة من دمه .. هذه المسئولية لو تحمل كل منا جزءا من نصيبه لمضى الزحف مقدسا كما كان يقوده عبد الناصر ولتحقق كل امانى عبد الناصر .

نتحمل هذه المسئولية بكل شجاعة وتماسك ووحدة وطنية حتى نفوت على اضلال الرجعية وفلولها وأعوان الثورة المضادة أن يندسوا بين صفوفنا ليزايدوا باسم عبد الناصر ، ولنحفظ اسم عبد الناصر رمز نضالنا بعيدا عن كل مزايدة ، فعبد الناصر كان أشرف من كل مزايدة وسيبقى اسمه كما كان دائما أشرف وأطهر من كل مزايدة ..



بيان منظمة الشباب الاشتراكى الى منظمات الشباب التقدمية فى مختلف أنحاء العالم

يا شباب العالم

فقدت حركة التحرر الوطنى العربية ذات الافاق الاشتراكية بفقد الرئيس المعلم جمال عبد الناصر مفكرا وزعيما مقتدرا ، ومقاتلا من اصلب جنودها على امتداد التاريخ .

وازاء هذا الحدث الحزين عبرت جميع الشعوب المعادية للامبريالية والاحتكارات الرأسمالية ، وعبرت شعوب الحركة العالمية للتحرر الوطنى ذى الافاق الاشتراكية ، وعبرت جبهة المدافعين عن السلام العادل فى عالمنا الراهن عن احساسهم جميعا بفداحة الخسارة التى نجمت عن فقد الزعيم العربى العظيم .

ورغم الالم العميق الذى تحسه جماهيرنا الكادحة وشبابنا الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة فان هناك حقيقة خالدة لن تنضب ابدا وهى

أن الرئيس جمال عبد الناصر لم يكن فردا وانما كان وسيظل تعبيرا حيا عن قوى التحرر العربى ونضالها المستميت ضد الامبريالية العالمية والتخلف والتجزئة .

لقد تعلم الشباب الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة من قائده الرئيس جمال عبد الناصر ان الامل الحقيقى لشعوبنا هو فى استمرار النضال ، ومن هذه النقطة بالذات ينبع شعور الاصرار الذى يسود شعبنا وشبابنا على مواصلة المسيرة التى قادها الرئيس عبد الناصر على امتداد ثمانية عشر عاما منذ قيام ثورة الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ .

ولقد كان عهد شبابنا الاشتراكى مع نفسه ومع جماهير شعبه الكادحة ، ومع امته العربية ومع كل القوى المعادية للامبريالية والمحبة للسلام فى العالم عهدا واضحا ومحددا منذ اول لحظة :

— ان يستمر نضالنا ضد الامبريالية العالمية والحركة الصهيونية من اجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلى على البلاد العربية واسترداد الحقوق المغتصبة لشعب فلسطين مهما كانت التضحيات .

— أن تستمر ثورتنا على طريق الاشتراكية تحمى وتطور دائما ما أنجزته فى عهد البطل الراحل من مكاسب لجماهير الشعب العامل .

— أن يستمر شعبنا مؤيدا فعالا لحركات الشعوب من اجل التحرر الوطنى والبناء الاشتراكى فى جميع انحاء العالم .

— أن يستمر دور بلادنا الرائد بين مجموعة دول عدم الانحياز التى تشكل فى جوهر حركتها مجموعة معادية للاستعمار بكل صوره واشكاله .

— أن يستمر شعبنا مدافعا عن السلام العالمى القائم على العدل وعن حق الشعوب فى تقرير مصيرها واختيار اسلوب حياتها .

يا شباب العالم .

أن منظمة الشباب الاشتراكى كانت وستبقى عنصرا اساسيا فى حركة الشباب التقدمى العالمى ، سائرة على مبادىء وقيم الرئيس العظيم جمال عبد الناصر .

فلترفعوا اصواتكم يا شباب العالم بمزيد من التأييد لنضالنا العادل ولتقولوا للعالم كله : ان شعب جمال عبد الناصر باق على طريقه ثابت على مبادئه ، مستمر فى نضاله حتى النصر .

■

الى اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكى العربى القاهرة

جاءنا من المناضل على يعته سكرتير حزب التحرر والاشتراكية المغربى : صورة البرقية التى ارسلها باسم الحزب الى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى .

ايها الاخوان الاعزاء :

الم بنا حزن مبرح اثر وفاة الرئيس جمال عبد الناصر المفاجئة

اننا نبكى مع الشعب المصرى الشقيق ، ومع كافة الشعوب العربية الاخرى ، هذا المجاهد الكبير ، الذى كافح بشجاعة ونجاح من اجل تحرير وطنه تحريرا كاملا ، والذى ناضل باخلاص فى سبيل حرية وكرامة كل الشعوب العربية ، والذى دافع بايمان عن قضية العدالة والسلم فى العالم .

وان موته لرزء عظيم ، لا بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة وحدها ، بل بالنسبة لسائر البلدان العربية وللانسانية التقدمية جمعاء ، خاصة وان هذا الحدث المفجع جاء فى ظروف حرجة ، يضاعف فيها الاعداء الامبرياليون والصهيونيون بارتباط مع غلاة الرجعيين العرب ، مؤامراتهم واعتداءاتهم على المقاومة الفلسطينية الباسلة ، وعلى الانظمة التقدمية العربية ، وعلى كل القوى التحررية العربية .

لكن المناضلين العرب المعادين للامبريالية سيعرفون ، شرقا وغربا ، كيف يوحدون الصف على اختلاف ميولهم ويضاعفون اليقظة ، ويوطدون التحالف مع الاصدقاء الحقيقيين ، ويتابعون الكفاح الى النصر ، الذى من اجله ضحى الرئيس جمال عبد الناصر بحياته .

اننا ننحنى باحترام وامتنان امام روح المجاهد المعادى للامبريالية ، والمناضل التقدمى والزعيم العربى الرئيس جمال عبد الناصر .

ونرجوكم ايها الاشقاء ان تتقبلوا فى هذه المناسبة الاليمة اعمق تعازينا واصدق عبارات ودنا وعطفنا .

على يعته

من اللجنة النقابية المهنية لعمـــال النقـل البرى

وجاءنا مجموعة من البيانات اصدرتها عديد من الهيئات الجماهيرية ، ننشر منها ثلاثة نماذج ، اللجنة النقابية المهنية لعمال النقل البرى ومنظمة الشباب الاشتراكى واتحاد مبعوثى ج.ع.م. بالاتحاد السوفيتى .

وزعت اللجنة النقابية المهنية لعمال النقل البرى بيانا يوم الجمعة ٩ من سبتمبر (يوم المسيرة العمالية) · وقد وقع هذا البيان محمد أحمد العقيلى رئيس اللجنة النقابية المهنية لعمال النقل البرى بمحافظة القاهرة · وجاء فى البيان :

لقد أعلنت اللجنة التنفيذية العليا واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى أن استمرار ثورة ٢٣ يوليو التى فجرها عبد الناصر ، ودوامها والحفاظ على مكاسبها أمانة فى عنق كل واحد من أبناء هذا الشعب العظيم ···· وقال البيان :

تحاول الرجعية والانتهازية والدوائر الاستعمارية والصهيونية أن تروج لفكرة أن الزعيم البطل قد ترك فراغا لا يمكن ملؤه ، وهى نظرية خبيثة وماكرة ، ان عبد الناصر قد ترك لنا أفكاره : ميثاق العمل الوطنى ، وبيان ٣٠ مارس ، وترك العمال والفلاحين وكل الشعب المصرى ، ترك لنا منجزات عظيمة : جيش وطنى رابض على القنال ، ترك لنا السد العالى ·· مكاسب ثورية للعمال والفلاحين ، ومؤسسات ديموقراطية ·

واضاف البيان :

يجب أن نقف اليوم كما علمنا القائد – وأكثر من أى يوم – ضد كل دعوة لبث الضعف واليأس فى صفوفنا ، وضد كل من يريد أن ينقض على الصرح العظيم الذى بناه عبد الناصر · وان المبادىء التى أعلنها بيان اللجنة التنفيذية العليا وبيان اللجنة المركزية وقرار مجلس الامة ··· هى مبادىء نلتزم بها على طريق ناصر حتى نتمكن جميعا شعبا وجيشا من اكمال ما كان يهدف الزعيم الى تحقيقه ·

بيان من اتحاد مبعوثى ج · ع · م بالاتحاد السوفيتى

ينعى مبعوثو ج · ع · م بالاتحاد السوفيتى بقلوب أدماها الالم ، الى أمتنا العربية من الخليج الى المحيط الزعيم العظيم والقائد البارز والمناضل الصلب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

لقد كانت وفاته فاجعة هزت وجدان كل فرد منا وخطبا فادحا منى به الشعب العربى فى فترة من أدق فترات حياته ونضاله ، وجرحا بالغا أصاب قلوبنا ·

لقد ارتبطت باسم البطل المناضل جمال عبد الناصر صفحات مجيدة من تاريخنا ، سجلت بالدم والعرق على مدى الثمانية عشر عاما الماضية ، وتحت لواء زعامته حقق الشعب العربى فى مصر ، وحركة التحرر العربى عامة انتصارات مجيدة غيرت وجه الارض العربية ، ورفعت جبين الانسان العربى عاليا بين الشعوب ·

لقد قاد جمال عبد الناصر شعبنا خلال مرحلة دقيقة حرجة ، تألبت علينا فيها قوى الاستعمار والعدوان ·· من تأميم قناة السويس ، الى رد العدوان الثلاثى الغاشم ، الى ضرب مواقع الاقطاع والرأسمالية وارساء قواعد الاشتراكية والمواجهة والصمود فى وجه العدوان الصهيونى الامبريالى الغاشم ·

وعلى الصعيد العالمى وقف جمال عبد الناصر نصيرا لنضال الشعوب وحريتها ، وداعيا من دعاة السلام العالمى وقائدا لحركة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ·

وحول جمال عبد الناصر التفت جماهير شعبنا العاملة عمالا وفلاحين ومثقفين وجنودا ، اذ رأت فى قيادته الثورية رمزا وتجسيدا لطموحها الى حياة كريمة بعيدة عن الاستغلال ، وغد مشرق حر .

لقد وهب جمال عبد الناصر حياته خالصة لشعبه ووطنه ولم يبخل بالجهد والوقت وحتى بالروح فى سبيل أن تتحرر الارض العربية كلها من قلاع الاستعمار والرجعية والاستغلال ، وكانت وقفته النضالية حتى آخر خفقة لقلبه الكبير مثلا ضربه الزعيم القائد والمعلم لتسير عليه الاجيال الصاعدة وتحتذيه فى معركتها المصيرية ·

ونحن بهذا الموقف الجليل الاليم لنعلن لشعبنا .. اخوتنا واخواتنا ، آبائنا وامهاتنا .. للشعب العربى كله ·· للعالم أجمع : أننا نعاهدهم عهد الرجال أن نسير على الطريق الذى رسمه جمال لنكمل رسالته التقدمية العظيمة حتى نحرر أرضنا الغالية من العدو الصهيونى الغاصب ، ونبنى مجتمعا اشتراكيا خاليا من كل استغلال ·

ان أجل تكريم نقدمه لذكرى زعيمنا الراحل هو أن نرص صفوفنا ونكتل قوانا ونبذل جهودنا لتحقيق الاهداف التى وضعها امامنا .. اهداف الوحدة والحرية والاشتراكية ·

لقد رحل عنا عبد الناصر.. ولكن أفكاره ومبادئه ستظل خالدة ابد الدهر ، وستبقى ذكراه فى قلوبنا وضاءة مشرقة ٠

اتحاد مبعوثى ج ٠ ع ٠ م ٠
بالاتحاد السوفيتى
٢٩ سبتمبر ١٩٧٠

■

حول قضية الارض الجديدة

وجاءنا من السيد الحريزى ورمضان الديباوى وعبد العظيم ماضى وشحاته احمد الحمص وعبد العظيم زكريا الشهاوى ونزيه محمد القصاص من قرية شباس الشهداء التعليق التالى تضمن رأيهم حول قضية الارض الجديدة

ان الظروف التى تمربها الثورة المصرية فى ظل المعركة القائمة بيننا وبين الاستعمار الامريكى وعميلته اسرائيل توضح ان طبيعة المعركة هى ان الامبريالية الامريكية هدفها من العدوان ضرب النظام الاشتراكى فى مصر لتغليب قوى اليمين للاستيلاء على السلطة السياسية ، ومن هنا يظل الشعار المرفوع فى هذه المرحلة توظيف كل الامكانيات للمعركة وما بعد المعركة والانطلاق لانهاء مرحلة التحول الاشتراكى ٠

لذلك فان قطاع الزراعة فى هذه المرحلة يتحمل مسئوليات جسام :

- تزويد الشعب بالمنتجات الغذائية ٠
- تزويد الصناعة بالمواد الخام ٠
- التصدير للمحصولات الزراعية للحصول على العملة الصعبة اللازمة لمتطلبات المرحلة ٠
- فضلا عن ذلك فهو مسئول مسئولية اساسية عن تطوير الاقتصاد القومى كله ٠

شكل الملكية فى مصر

ان نظرة سريعة الى شكل الملكية فى مصر يوضح ان ارض مصر البالغة ستة ملايين فدان مقسمة الى ثلاثة ونصف مليون حيازة ، منها ثلاثة ملايين حيازة أقل من خمسة افدنة ــ كما أن النصف مليون حيازة الباقية ، ليست ملكيات كبيرة فهى كذلك مفتتة فى شكل قطع صغيرة يحكمها فى ذلك العلاقات شبه الاقطاعية أو ما يسمى « نظام المشاركة او الايجار » المنتشر فى ريفنا المصرى ٠

ولسنا هنا بصدد توضيح عيوب الزراعة التقليدية المفتتة القائمة على الطرق المتخلفة والبدائية ، الا اننا نذكر منها :

- ٢٠ فى المائة من مساحة الارض الزراعية مفقودة فى شكل مصارف وطرق ومراو وحدود خاصة ٠
- استحالة استخدام الماكينة الزراعية والخبرة الفنية ٠
- الزيادة فى التكاليف الزراعية ٠
- تفتيت الارض الى مساحات صغيرة يؤدى الى اختلاف مواعيد الزراعة من فلاح لاخر ٠
- ان تفتيت الارض يقف حائلا امام استخدام الرى والصرف الآلى ، كما ان عملية الرى تقوم على جهد الفلاح وماشيته ٠
- عدم امكانية تنمية الثروة الحيوانية والصناعية ٠

فالمعروف أن النظم الراسمالية قد حلت مشكلة تفتيت الارض بواسطة المزارع الرأسمالية الكبيرة والنظم الاشتراكية قد حلت مشكلة التفتيت بواسطة المزارع التعاونية ٠

وتظهر الحاجة للانتاج الاشتراكى الواسع من الحقيقة الواقعية وهى أن الاشتراكية لا يمكن أن تبنى على أساسين متعارضين ٠

اولهما : الصناعة الاشتراكية واسعة النطاق ٠
ثانيهما : الزراعة المفتتة والمتخلفة التى تقوم بها الفلاح ٠

الارض الجديدة المستصلحة

تحقيقا لزيادة الانتاج الزراعى فالى جانب الزيادة الرئيسية بزيادة غلة الفدان اتجهت الدولة الى الزيادة الافقية بزيادة رقعة الارض المنزرعة نفسها ومنذ سنوات والعمل مستمر فى استصلاح اراض جديدة لمواجهة احتياجات الزيادة المضطردة

فى عدد السكان وما يرتبط بالقطاع الزراعى من تبعية القطاعات المختلفة صناعية أو حيوانية •

ففى الوقت الذى يبارك فيه الشعب المصرى انشاء المزرعة الالية وبدلا من تعميمها فى ارضنا المستصلحة يأتى الخبر الخاص بتوزيع الارض الجديدة وتفتيتها والتى روجت له الدوائر الرجعية من فترة سابقة •

وحجتهم فى التوزيع قد بنيت متخفية وراء اساسين :

اولا : تمليـك فقراء الفلاحـين المعدمين ارضـا جديدة •

وللحقيقة :

١ ــ ان توزيع هذه الارض على الفلاحين لن يرفع من مستوى المنتج والانتاج بل سيضع المنتج والانتاج فى ظل الزراعة التقليدية •

٢ ــ ثم أن هذه الارض قد استصلحت من جهد الشعب المصرى كله ويجب أن تبقى له ــ لقد قال عبد الناصر فى مارس سنة ١٩٦٧ « أن ما اصلحه الشعب يجب أن يرجع للشعب فى مجموعه الكلى لاتوزيع للارض المستصلحة » .

ونحن نقف وراء عبدالناصرفى ذلك ــ أن هذه الارض ملك لجهود وتضحيات الشعب كله ومن الضرورى والمفيد أن تظل كذلك •

ان توزيع هذه الارض لن يحل مشكلة المعدمين من عمال الزراعة وفقراء الفلاحين •

٣ ــ أن هذه الارض الجديدة البالغة ٩٥٠ الف فدان قادرة على خلق نواة قطاع عام فى الزراعة يتملكه الشعب العامل ، ويقوم باستثماره مستفيدا بمزايا الانتاج الكبير المبنى على الاسلوب العلمى فى التخطيط ومستهدفا زيادة حقيقية فى الانتاج • وامتصاصا لليد العاملة العاطلة من جمـاهير الفلاحين ، ثم انها السبيل الوحيد لتنشيط الصناعات الزراعية ونمو الثروة الحيوانية ومنتجات الالبان والدواجن وتحسين تربة الارض الزراعية بشكل جماعى •

لقد قدم الرئيس جمال عبد الناصر فى المؤتمر القومى الثالث تصوره الخاص قائلا « **لتحويلها الى شركاتعامة تقوم باستغلالها وفق أحدث الاساليب الفنية** » •

٤ ــ ان الارض الجديدة بجعلها مزرعة حكومية كبيرة ستكون تجربة استرشادية حية فى الواقع المصرى لتقود وتعلم وتطور الزراعة التقليدية فى مصر بانشاء المزارع التعاونية لتشـمل الارض الجديدة كلها حلا لمشكلة التخلف الزراعـى الصناعى والحيوانى •

ثانيا : وحجتهم الثانية ان الشعب المصرى بحكم التاريخ يحب الملكية والتملك .

وللحقيقة :

فالباحث فى التاريخ المصرى يجد فيه ظاهرة واضحة هى :

١ ــ أن الارض منذ الفراعنة كانت ملكا للحكام من بنى فرعون ، حتى استيلاء العرب عليها ، وتوزيعها على كبار قواد الجيش ، وكان لهم حق الانتفاع بها وليس حق الملكية والتاريث .

٢ــ وفى عهد المماليك حيث كانوا يحكمون بنظام اقطاعى تتولى فيه الادارات الاقطاعية السيطرة على كلمساحات الارض المزروعة واستمرت ادارة الارض بهذه الطريقة المحكمة حتى عهد الاحتلال العثمانى الذى بدأ عام ١٥١٧ والذى لم يحدث تغييرا يذكر فى النظام الاقطاعى لاسـتثمار الارض •

٣ ــ ومع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر وظهور محمد على الذى استطاع بالقضاء على سيطرة المماليك أن يحول ارض مصر كلها الى ملكية الدولة الا أنه يعجز عن ادارتها فيبدأ من جديد فى توزيعها ابعاديات وجفالك وفى نهاية عهده يضطر أن ينشىء نظام العهدة الذى مكن الطبقة الجديدة الناشئة فى ذلك الوقت من مد يد العون اليه •

ولم يكن من حق واضع اليد علـى الارض التصرف فيها بالبيع أو الرهن ولا تؤول ملكيتها الى ورثته حتى عهد عباس وسعيد حتى أصبحت الملكية الفردية للارض مباحة من خـلال عـدة قوانين

ولوائح صدرت فى عهد عباس سنة ١٨٤٦ — ثم تعديله فى عهد سعيد سنة ١٨٥٦ » حيث صدرت اللائحة السعيدية والتى أقرت الملكية الفردية •

من هذا العرض التاريخى لشكل وتطور الملكية فى مصر نقول أن المصريين بما فيهم طبقة الملاك الكبيرة لم تكن تملك ارضا حتى عهد سعيد •

ماذا نقول بعد • • • ؟

١ — ان هذه الارض الجديدة هى احد الملامح الهامة التىكسبها الشعبمن خلال جهد تاس بذله منذ بداية الثورة حتى الان •

٢ — ان ارض مصر البالغة ستة ملايين فدان موزعة على ثلاثة ونصف مليون حيازة جميعها مفتتة ، وتوزيع هذه الارض الجديدة سيؤدى الى مزيد من التفتيت ، ومزيد من تخلف الانتاج ووسائله ، ومن تخلف المنتجين انفسهم •

٣ — ان هذه الارض هى ثمرة جهد عام تاس بذلته جماهير الكادحين ، ويجب ان ترجع لكل الشعب فى شكل مزرعة حكومية •

■

كتاب لمنظمة الشباب الاشتراكى

((عبد الناصر والثورة))

هذا الكتاب هومختارات من اقوال جمال عبد الناصر ، كان الشباب الاشتراكى الناصرى قد استعد لاصداره واهدائه الى الزعيم الراحل قبل انتقاله المفاجىء • • والكتاب (٣٤٨ صفحة) يمثل جهدا شاقا ، وعملا واعيا وجادا على طريق المنهج العلمى فى نشر اعمال جمال عبد الناصر • وهو المنهج الذى يجب ان يطبق منذ الان — وبدقة — حتى يكون فكر جمال عبد الناصر فى ايدى الباحثين والمواطنين عموما •

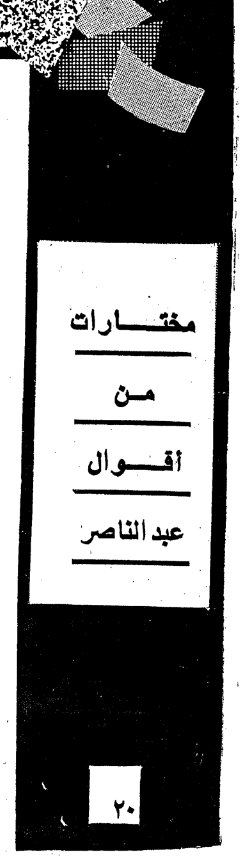
ويشتمل الكتابعلى اربعة ابواب تحت كل منها عدد من الفصول • والابوابالرئيسية هى : ١ — الحرية والديمقراطية ٢ — الاشتراكية ٣ — الوحدة العربية ٤ — مصر ومسئوليات النضال العالمى • وجميع هذهالابواب والفصول تشتمل على مقتطفات من يوليو ١٩٥٢ حتى سبتمبر ١٩٧٠ •
وفى الكتاب مقدمة كتبها هاشم العشيرى أمين منظمة الشباب بالقاهرة • أما خاتمته فقد كتبت تحت عنوان : مبادىء واهداف الثورة المستمرة •

« ان « الطليعة » وقد تلقت الكتاب وهىماثلة للطبع ، تحيىبحرارة هذا العمل القيم ، وتهنىء به جميع الذين سهروا علىاعداده ونشره • وتعد بأن تقدمه فى عدد قادم •

جاءنا من السيدة هانم جندى جورجى الموظفة بالبنك الاهلى المصرى انه قد حدث لبسفيما يتعلق بما جاء فى شهادتها الواقعية المنشورة فى العدد السابق والخاص بعلاقتها بالرؤساء •







السير على طريق عبد الناصر يتطلب الالمام بمعالم هذا الطريق . ولقد ترك لنا القائد رصيدا ضخما من الافكار والمواقف المحددة فى مختلف القضايا والمشكلات السياسية والاجتماعية . ولا شك انه من أهم مقومات النجاح لمواصلة طريق الثورة ، أن تظل كلمات قائدها حية متجددة نسترشد بها فى نضالنا ونشرعها فى مواجهة أى محاولة لطمس معالمها أو تفريغها من محتواها الثورى من جانب القوى المضادة .

وقد رأت « الطليعة » أن تخصص وثائق هذا العدد لمقتطفات من كلمات جمال عبد الناصر فيما يتعلق بأهم القضايا الوطنية والعربية والدولية وكزاد ومرجع للمناضلين الثوريين ، يكسبهم وضوح الرؤية فيما يختص بالهدف والوسيلة على طريق الكفاح من أجل انجاز مهام الثورة .

عن الاستقلال

● .. « ان شعوبنا لا تقتنع بالاستقلال علما ونشيدا وصوتا من عداد الاصوات فى الامم المتحدة فحسب ، ولكنها تريد الى جانب ذلك أن يكون الاستقلال مضمونا اجتماعيا ، يصون كرامة البشر ، كما يصون الاستقلال كرامة ارضهم . »

« من خطابه فى مؤتمر القمة الافريقى »
١٧ - ٧ - ١٩٦٤

● « اصـــعب مرحلة دائما هى منتصف الطريق ـ يه : لان العدو يتكالب . احنا مسددين النهاردة غصب عنهم كلهم . مش حايسيبونا مستقلين . حايحاولوا ضغط اقتصادى ، ضغط سياسى ، حرب نفسية ، معاكسة من هنا ، ومعاكسة من هنا ، ويقولوا داه هـى منتصف الطريق خنهم بياسوا يمكن يحبوا يستريحوا . احنا مش عايزين نستريح ابدا . حانمشى اذا كنا عـاوزين نبنى . بنقول لهم ان احنا ما احناش حا نستريح حانفضل نبنى واحنا عارفين ان احنا لينا امانى وآمال وحانبنيهـا وعارفين أنه عشــان نبنيها حانجاهد ونكافحونقاتلونعمل ونعرق . »

فى مؤتمر الاتحــاد الاشتراكي باسيوط
٨ ـ ٣ ـ ١٩٦٥

● « علينا ان نتســلح دائمــا بالوحدة الوطنيه حتى نستطيع أن نتصــدى لــلاستعمار ونتصدى لاعوان الاســتعمار وأن نتصــدى للــرجعية واستطعنا فى السنين اللــى فاتت ان احنـا نتصـدى للاستعمار ونتصدى لاعـوان الاســـتعمار ، ونتصـــدى للرجعية . وكانت الوحـدة الوطنية هى التى مكنتنا من أن نكسب كل هذه المعارك .

اذن الوحدة الوطنية هى سلاح أساسى وسلاح رئيسى . الوحدة الوطنية وحدة قوى الشعب العاملة التـى حلت محل تحالف الاقطاع مع رأس المال التى تحكم الان ٥٠ فى المائة منها عمال وفلاحين . »

« من خطابه فى المؤتمر الشعبى بشبين الكوم .
١٠ ـ ٣ ـ ١٩٦٥

● « لقــد اثبتت الظــروف ان الاستعمار فى أشكاله القديمة والجديدة لا يمكن ان يزاح عن أرض شعب من الشعوب الا اذا أدرك أن بقاءه لم يعد ممكنا وأن المقاومة ضده لن تلين وأنها على استعداد لحمل السلاح دفاعا عن الاستقلال السياسىوالحرية الاجتماعية» الاجتماعية . »

من كلمة عبد الناصر ردا على كلمة بريجنيف
فى موسكو اثناء زيارته
٢٧ ـ ٨ ـ ١٩٦٥

● « من وجهة نظر اســتقلالنا الوطنى فى حد داته ، بى من وجهة نظر وجودنا أصـلا واسـاسا ، فـان امدادنا بالسلاح من الاتحاد السوفيتى ضمانة أكيدة وباب وحيـد مفتوح وهذا هو الذى يجعلنا باسـتمرا نشعر بعـرفان لا يقدر لموقف الاتحاد السوفيتى تجـاهنا وتجـاه قضـايانا المصيرية وتجـاه نضـالنا المشروع من اجلها .. ونحن حصلنا على الاسلحة من الاتحاد السوفيتى من سنة ١٩٥٥ حتى الان لم يضـع الاتحاد السوفيتى قيدا على سياستنا ولم يفرض شرطـا واحدا ولم يتقدم بطلب يمكن أن يمس من قريب أو بعيد كبرياءنا الوطنى .. الصلـة فى الاساس هى الايمان بحركة تحرير الشـعوب والعـداء للاســتعمار ومقــاومة نفوذ الاســـتعمار ومخططـات الاستعمار » .

افتتاح الدورة الثانية للمــؤتمر القومى العام
٢٧ ـ ٣ ـ ١٩٦٩

● « تذكرون أيهــا الاخــوة أن حرب السويس سنة ١٩٥٦ قامت فى الاصل والاســاس بسبب تصميم هذا الشــعب على بناء السد العــالى ، وتشاء الاقدار أن يتم بناء هذا السد العالى بعد أربعة عشر عاما من حربالسويس ، بينما هذا الشعب يخوض غمـار حرب أخرى .

ان التصميم على بناء السد سنة ١٩٥٦ اطلــق شرارة حرب ، وها نحن اليوم فى وسط نار حرب أخرى نشهد البناء وقد اكتمل بعد كفاح عنيف ضار حاولت فيه كل القوى ان تثنى هذا الشعب عن عزمه فما زادته الا اصرارا وحاولت أن تصد تقدمه فكانت النتيجــــة الوحيــدة لذلك أن تفجرت طاقات أخرى كامنة فى أعماق هذا الشــعب ، خرجت بـالتصميم تبنــى ، وخرجت بالتصميم تقاتل » .

امام المؤتمر القومى العام الرابع
٢٣ ـ ٧ ـ ١٩٧٠

● « نحن نريد الســـــلام ولكن السلام بعيد ، ونحن لا نريد الحرب ولكن الحرب من حولنا وسوف نخوض المخاطر مهما كانت دفـاعا عـن الحـق والعدل . حق وعدل لا سبيل لتحقيقهما غـير طرد قــوى العدوان من كل شبر مــن الارض العربية المحتلة سنة ١٩٦٧ . من القدس . مـن الجـولان . مـن الضفــة الغربية . من غزة . مـن سيناء . وحق وعدل لا سبيل لتحقيقهما غيـر استعادة الشعب الفلسطينى لحقـوقه



الشريدة بخروجه من خيام اللاجئين ليدخل مدنه وقراه ومزارعه وبيوته ، ويعود مرة أخرى الى قلب الحياة بعد أن ارغمته الظروف ان يبقى من عشرين سنة على هامش الحياة .. »

من خطابه فى ختام دورة المؤتمر القومى ٢٦ ـ ٧ ـ ١٩٧٠

● « اننا نعمل فى السياسة ويجب الا تغيب عنا الحقيقة الاساسية ، ويجب أن نعمل على تطبيقها ، هذه الحقيقة هى أن ما أخذ بالقوة ، لا يمكن أن يسترد بغير لغة القوة .. اننا نستطيع أن نتحرك فى ميدان السياسة كما نشاء . وكما نرى وفى الاوضاع المتغيرة والمتحركة باستمرار . ولكن الكلمة الاخيرة فى أى صراع وفى هذا الصراع بالذات ، ومع العدو الذى نواجهه وبالتحديد اسرائيل ، سوف يبقى دائما للقوة ، العدو لا يعرف غير لغة القوة . »

من خطابه امام المؤتمر القومى ٢٧ ـ ٧ ـ ١٩٧٠

● « نستطيع ان نقول اننا حقيقة أثبتنا عمليا اننا نريد السلام ولكن أمتنا فى الوقت أثبتت عمليا أنها ترفض الاستسلام . ورفض الاستسلام مسئولية كبيرة . اذا أردنا السلام . وفى نفس الوقت رفضنا الاستسلام فى مواجهة عدو كالعدو الاسرائيلى بتاريخه الطويل وبمخططاته المعروفة وبصفاته المعروفة مع تأييد الولايات المتحدة الامريكية له ، لاسرائيل فى كل أعمالها العدوانية وفى كل نواياها العدوانية اذا رفضنا الاستسلام مهما كنا نريد السلام . فرفض الاستسلام يفرض علينا أن نقاوم ، ويفرض علينا أن نصمد ، ويفرض علينا أن نناضل ، ويفرض علينا ان نقاتل لان رفض الاستسلام ليس كلاما يقال ثم نترك العدو بعده يمرح فى أمان على اراضينا . رفض الاستسلام معناه أننا نستعد للتضحيات واننا نستعد للقتال وأننا نستعد للبذل والعطاء من اجل كرامتنا وحريتنا ومن أجل كرامة الامة العربية وحرية الامة العربية . »

فى عيد العمال بشبرا الخيمة اول مايو ١٩٧٠

عن حركة التحرر الوطنى

● « طبعا واحنا بنبنى بلدنا لا يمكن أن احنا ننسى أهدافها الاخرى أهدافنا بالنسبة للقومية العربية ، اهدافنا بالنسبة للوحدة العربية ، اهدافنا بالنسبة لتحرير جميع البلاد العربية وجميع أرض العرب من الاستعمار . ما ننساش أهدافنا فى أن نعمل من أجل السلام . واحنا بنبنى بلدنا واحنا بنتكلم عن الاشتراكية واحنا بنتكلم عن الديمقراطية ، واحنا بنتكلم على بناء بلدنا ، واحنا بنتكلم عن التصنيع ، واحنا بنتكلم على توسيع الرقعة الزراعية ، ما ننساش أبدا اهدافنا الاخرى . لان احنا زى الدول ماساندتنا فى الماضى ، احنا علينا أيضا نحن نساند قضايا الحرية فى كل مكان ، وقضايا السلام فى كل مكان ، وده الدور اللى احنا بنقوم بيه ، ولا نتردد بأى حال من الاحوال أن احنا نساند أى بلد يطالب بالحرية ويطالب بالاستقلال . ومابنسكتش علشان نجامل البلد الفلانى ، ومنسكتش علشان نجامل بلد آخر ، ولكن بنقول حقنا بنقول الكلام اللى احنا بنؤمن بيه ، الكلام ان احنا نؤمن بحق كل بلد فى تقرير مصيره ، وحق كل بلد فى الحرية » .

من الخطاب فى الاسماعيلية ٢٤ ـ ١٢ ـ ١٩٦٤

● « ... ان العمل من اجل الحرية العالمية وضد الاستعمار العالمى لم يعد خطابات حماسية او مظاهرات حاشدة وانما المعركة من اجل الحرية وضد الاستعمار فى النطاق الدولى هى اولا معركة علمية ، سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية أخطر ما فيها علينا أن الطرف الاخر المواجه لنا مازال يملك حتى الان من اسباب العلم أكثر مما نملك » .

من خطابه فى عيد العلم ١٤ ـ ١٢ ـ ١٩٦٤

● « علاقتنا بحركة التحرير الوطنى فى العالم فى سنة ١٩٥٦ . حصل ايه أما احنا جابهنا العدوان ، كنا منتظرين من كل أنحاء العالم ان القوة المعنوية العالمية تؤيدنا حتى الاستعمار ».

كنا بنقدر أى تأييد فى سنة ١٩٥٦ . وفعلا استطاعت القوى المعنوية العالمية أن ترهب الاستعمار واستطاعت القوى المعنوية العالمية والقوى المحبة للسلام فى العالم انها ترهب الاستعمار وساعدت على انهاء العدوان وساعدت على دحر العدوان .

هل بعد هذا نتنكر للقوى الوطنية الصاعدة فى العالم ، او نعاملهم بالمثل زى ما اتعاملنا احنا فى سنة ١٩٥٦ زى ما كنا فى سنة ١٩٥٦ منتظرين من العالم ومن دول العالم انها تؤيدنا ؟ النهارده جميع الدول التى تحارب من أجل الاستقلال ، جميع الحركات الوطنية ، حركة التحرير الوطنى فى كل انحاء العالم تنتظر من العالم . ومن القوى المعنوية فى العالم ، ومننا - احنا بالذات - أن احنا نساعدها ونعاونها » .

« طبعا علاقتنا بهذه القوى علاقة واضحة نحن نؤيد جميع قوى التحرر الوطنى فى العالم ، طبعا اخواننا الجزائريين اما كانوا بيحاربوا أيضا كانت هناك قوى فى العالم تؤيدهم ، وبهذا استطاعت الجزائر أيضا انها تحصل على استقلالها .

« نحن نؤمن بحتمية انتصار الحرية ، ونؤمن بوحدة انتصار الحرية ، ونؤمن ان الحرية غير قابلة للتجزئة ، بمعنى اننا لا نستطيع أن نؤيد الحرية فى مكان ولا نؤيدها فى مكان آخر . واجبى أن أؤيد الحرية فى كل مكان ، وواجبنا كشعب قاسى من الاستعمار وقاسى من العدوان ان نستنكر العدوان فى أى مكان » .

من خطابه فى بور سعيد
٢٤ - ١٢ - ١٩٦٤

● « ان الشعب المصرى اكتشف على الفور - بالثورة الشاملة - ان الحرية لا تتجزأ وأن تحرير وطن واحد لا يجعل من هذا الوطن الا جزيرة صغيرة معزولة تحيط بها عواصف التهديد الاستعمارى من كل ناحية » .

فى خطاب القاه امام ملك ماليزيا بالقاهرة فى ١٧ - ٤ - ١٩٦٥

● « . . . ان الاستعمار مازال يريد بالطريق المباشر او بالطريق غير المباشر ان يحتفظ باليد العليا فى القارة الافريقية ، وهو يحاول استغلال المتناقضات الطبيعية فى القارة ، ومشاكلها بعد الاستقلال لكى يسلب شعوب القارة المضمون الحقيقى لكل الانتصارات التى أحرزتها ضد الاستعمار فى شكله التقليدى القديم ، ويحاول نهب الثروات بالتفرقة العنصرية والارهاب المسلح ، بالمؤامرات المتوالية أن يفرض عليها نفس الاستغلال القديم لكن بأساليب متطورة وحديثة » .

من الخطاب فى مقر المجلس التنفيذى اليوجوسلافى
٣ - ٩ - ١٩٦٥

● « . . . ان النضال الشعبى المصرى ، والنضال الشعبى للامة العربية كلها يجرى فى اطار الثورة العالمية كلها لحركة التحرير الوطنى ، هذه الثورة الرائعة التى تتعرض اليوم لغارات استعمارية رجعية ضارية فى آسيا وفى افريقيا وأمريكا اللاتينية » .

من كلمة فى حفل استقبال كوسيجين
١٠ - ٥ - ١٩٦٦

● « ان المبادىء التى وقفنا تحت رايتها فى مؤتمرات باندونج وبلجراد والقاهرة ما زالت قادرة على ان تكون مرشدا لنا فى هذه الظروف التى تحوطها الاخطار المتعددة سواء كان مصدرها الاستعمار التقليدى أو الاستعمار الجديد أو التفرقة العنصرية سواء نبعت من ممارسة سياسة القوة العسكرية أو الضغوط الاقتصادية والسياسية والنفسية .

من كلمة القاها عند وصوله الى الهند
٢٠ - ١٠ - ١٩٦٦

● « من الضرورى أن يتصل كفاحنا لتصفية الجيوب الاستعمارية ونحن نعرف بعضها فى منطقتنا من العالم ، الشرق الاوسط وافريقيا ، فان هذه الجيوب يمكن أن تكون مراكز انطلاق للانقاض علينا بواسطة تحالف الاستعمار والرجعية بقصد اعادة السيطرة على شعوبنا المناضلة ؟ ومنع تقدمها الاقتصادى والاجتماعى .

ان سياسة عدم الانحياز هى فى حقيقتها انحياز لمبادىء الحرية وانحياز لآمال السلام وانحياز لاحتمالات التقدم الباهرة .

« من خطابه فى حفل العشاء الذى اقامه الرئيس رادا كريشنان للرئيسين عبد الناصر وتيتو
٢٠ - ١٠ - ١٩٦٦

● « بالنسبة للعالم كله نحن نسعى الى ايجاد علاقات طيبة مع العالم كله ، ونحن نهتم بحركة التحرير الوطنى فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ونحن نهتم بعدم الانحياز وسعينا لتأكيد وتحديد مفاهيمه ، وعدم الانحياز هو الموقف المستقل



ازاء أى قضية متحرر من أى التزام مسبق الا التزام المبادىء وحدها ، طبعا كلنا نشعر النهارده ان الموقف بيتدهور واخطر شيء النهاردة فى تدهور الموقفهو ما يحدث فى فيتنام ـ طبعا العدوان الأمريكى على فيتنام يؤثر تأثيرا كبيرا على امكانية حل المشكلة بالطريق السلمى . نحن نعمل من أجل السلام ولكننا لا نستطيع غير ان ندين سياسية القوة ، وان ندد بالعدوان ـ الشعوب لا تستطيع ان تقرر مصيرها تحت القنابل ولا أن تبنى حياتها وسط الدمار » .

من الخطاب فى ٢٢ ـ ٧ ـ ١٩٦٦

● « بنقرا كل يوم عن شعب فيتنام ، وازاى شعب فيتنام المسلح بالاسلحة الصغيرة والمقاومة للدبابات والطائرات ، ما عندهمش دبابات ولا طائرات بيعملوا ايه فى الامريكان . بيسببوا لهم خسائر كبيرة . احنا مش اقل من شعب فيتنام واحنا شعب مناضل دائما » .

خطاب العيد الخامس عشر للثورة
٢٣ ـ ٧ ـ ١٩٦٧

● « عايزين مقاومة شعبية ، ناس تبقى معاها اسلحة . وناس تبقى معاها سكاكين وناس يبقى معاها نبابيت وناس يبيقى معاها عصيان وناس يبيقى معاها اسلحة أخرى ، دى المقاومة الشعبية على أد قدرتنا وعلى أد استطاعتنا . وعلى هذا نستطيع فعلا ان احنا ناخذ عدد كبير للمقاومة الشعبية .

خطاب العيد الخامس عشر للثورة
٢٣ ـ ٧ ـ ١٩٦٧

● « ولقد زاد من حدة التناقض بين الامة العربية والاستعمار ظهور الحركة التقدمية العربية بقيادة الفلاحين والعمال العرب الامر الذى دفع الاستعمار الى مغامرات عنيفة ومخيفة عبرت عن نفسها سنة ١٩٥٦ بالعدوان المشهور ضد مصر والذى عرف فيما بعد بحرب السويس ، ثم عبرت عن نفسها مرة ثانية سنة ١٩٦٧ التى عرفت فيما بعد بحرب الايام الستة التى هى فى الحقيقة مقدمة حرب لم تنته حتى الان » .

فى افتتاح مؤتمر العمال العرب
٢٩ ـ ١ ـ ١٩٦٩

● « ان الحكومة الجديدة فى بريطانيا تريد ان تبقى قواعد عسكرية انجليزية فى منطقة الخليج العربى . وبهذا نشعر جميعا فى كل انحاء الامة العربية ان بريطانيا تقف ضد تحرير الامة العربية من الاحتلال الذى استمر سنوات طويلة فى بلاد متعددة آخرها هى امارات الخليج .

اننا ايها الاخوة . نرفض رفضا قاطعا لكل محاولات حكومة المحافظين الانجليزية فى العودة الى سياسة الوجود فى الخليج ، العربى تحت ستار سياسة شرق السويس .. واننا نقول ان الامة العربية كلها ستناضل من اجل اخراج القوات الانجليزية المحتلة من كل الاراضى العربية » .

٢٣ يوليو ١٩٧٠
امام المؤتمر القومى العام الرابع

● « ان الامة العربية لن تستسلم ولن تخضع ، ولن تستطيع اسرائيل ان تخضع الامة العربية .. ولن تستطيع الولايات المتحدة الامريكية ان تخضع الامة العربية لان هذا فوق طاقة اسرائيل ، وفوق طاقة الولايات المتحدة الامريكية » .

فى عيد اول مايو ١٩٧٠

عن الوحدة العربية ووحدة القوى الثورية

« قالوا : ان عبد الناصر عايز يعمل حركات فى كل بلد عربى تكون مرتبطة بيه الى آخر هذا الكلام . وطبعا موجهت لان الاستعمار والرجعية لا تقبل هذه الافكار . وأنا قلت انى أنا لم أستطع بأى حال ان اعمل الحركة العربية الواحدة .. اذا أنا حاولت أعمل الحركة العربية الواحدة .. معنى هذا ان هذه الحركة ستولد ميتة ، لازم تكون الحركة العربية الواحدة نتيجة العمل النضالى ، والكفاح فى كل بلد عربى .. بعد كده بنلتقى ، بنلتقى على المبادىء والاهداف . واحنا قلنا ان الوحدة فى الميثاق ، قلنا ان الوحدة السياسية ، أو وحدة العمل السياسى بتقرب الخطوات من اجل الوحدة ولكن ليست مسئوليتنا ، مش مسئوليتى ابدا ان أروح الى

كل بلد ، أو أحاول فى كل بلد ، ان انظم الحركة العربية الواحدة أبدا · سنخوية الثوريين لناضلين المكافحين انهم هم يمثلوا الحركة العربية اللى تجمع كل العناصر القومية الثورية النظيفة » ·

من خطابه فى عيد الوحدة
فى ٢١ - ٢ - ١٩٦٤

● « ان الشعوب كانت تريد وحدتها ، لا وحدة الاستعماريين والرجعيين .. ولقد كان هذا هو الدور الذى اداه التقدم السياسى والاجتماعى الثورى فى مصر · انه وسط التزييف والتضليل رفع شعار وحدة الهدف شرطا اساسيا لقيام الوحدة · لان الوحدة على هذا النحو تصبح وحدة قوى الشعب العاملة ، ان المجتمعات الوطنية الذى بنتها الجماهير العربية ، حتى داخل اوطانها الصغيرة ، لم يكن فيها مكان للاقطاع ورأس المال المستغل ، هؤلاء لا يمكن الا ان يكونوا ركائز الاستعمار واحتكاراته ، وهم بذلك اعداء الجماهير ، وبالتالى فان المجتمع القومى الذى يتطلع اليه العمل الوحدوى ويستهدفه هو الاخر لا يتسع لهذه القوى المعادية للجماهير ·

- ان مجتمع الوحدة العربية لا يبنى الا بالحرية والاشتراكية ، وهو تتويج لانتصارهما معا ، على الارض العربية ·

« ان قوى الشعب العاملة فى الوطن العربى كله وضده من الطلائع التى تقف وسطها وبينها ، تقود الان معركة مقدسة من أجل اهدافها الثورية فى الحرية والاشتراكية والوحدة · وهى فى هذه الحرب تعرف انها تواجه أكثر الاعداء شراسة وضراوة تعرف انها تقف ضد الاستعمار القديم (الجديد) ، وتعرف انها تقف ضد الاحتكارات ، وضد الامتيازات المنهوبة على حساب عمل الجماهير . وتعرف أنها تقف ضد الاقطاع ورأس المال المستغل ، وتعرف أنها تقف ضد السلطة السياسية لهذه القوى ، وتعرف أن هؤلاء جميعا ، لن يقفوا عند حد ، ولن يتورعوا عن استعمال أى سلاح ضد الجماهير وارادتها الثورية » ·

● « . . . ان الثورة العربية ، بقوى الشعب العاملة ، تزداد كل يوم قوة واندفاعا ، وتقترب باستمرار والحاح من يوم انتصارها الكامل النهائى ، وتشعر الثورة العربية أنها لا تمارس دورها وحدها ، انها تشعر أنها تقف من التحالف العظيم لقوى الثورة المعادية للاستعمار والتخلف ، هذه الثورة التى تقف منها حركة التحرير الوطنية الهائلة التى تجتاح آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية جنبا الى جنب مع قوى المسكر الاشتراكى التى استطاعت ان تحقق انجازات سياسية واقتصادية وعملية جبارة ·

من خطابه فى ٢٠ مايو ١٩٦٤

● « ... ردا على سؤال :
» .. ينبغى الفصل فصلا كاملا بين عدة امور .. ينبغى الفصل بين الوحدة العربية كتيار تاريخى قديم ، وبين اى فرد يتحمل فى لحظة من اللحظات مسئولية العمل من اجلها · ان دعوة الوحدة العربية بدأت من قبل جمال عبد الناصر وستبقى بعد جمال عبد الناصر .. »

● « ... ان الوحدة هى حركة شعوب أمة واحدة تسعى الى تحقيق ذاتها .. وان كان من الطبيعى مثلا انه لا يمكن قيام وحدة بين بلد تسوده الحرية الاجتماعية وبين بلد مازالت تحكمه الرجعية الاقطاعية · ان ذلك بالطبع سوف يولد تناقضا يهدد فكرة الوحدة .. »

من حديث اجراه مع الاوبزرفر البريطانية ،
٥ - ٧ - ١٩٦٤

● « ... لكن يجب ان نعلم ان الوحدة هى عمل كبير جدا ، يجب ان يواجه تحديات كبيرة جدا ، لانه لا يمكن الاستعمار ان يقبل بالوحدة ، ولا يمكن للصهيونية ان تتبنى الوحدة ، ولا يمكن للرجعية ولا الاقطاع ولا الانتهازية ان تقبل بالوحدة .. لان الوحدة اصبح محتواها محتوى قومى ، وفى نفس الوقت محتوى اجتماعى » ·

من خطابه فى مجلس الامة
١٢ - ١١ - ١٩٦٤

● « . . . وطننا موش مصر بس · حريتنا موش مصر بس · فى كل جزء من انحاء الوطن العربى كنا بنقول كلام ونعنيه · ماكناش بنقول كلام وننام ابدا · بنقول كلام ونعمل من أجل تحقيقه · ماكناش بنقول حرية ووحدة واشتراكية واحنا لا نقصد هذه الشعارات . كنا نقول حرية ووحدة واشتراكية .. كنا بنقول كده واحنا نقصد



الشعارات . أما لقينا شعب اليمن ثار من أجل الحرية واما لقينا الاستعمار والرجعية تصدوا نيه ، تصدوا لحريته ، تصدوا لحقه في الثورة وبحقه في الحياة ، كان لزاما علينا وكان واجبا ايضا أن نمد يدنا لمساعدة شعب اليمن . على هذا الاساس الجيش الوطنى بقى فعلا جيش وطنى ، الجيش الوطنى بقى ايضا جيش عربى ، لانه مش بس وطنى هنا في حدوده في مصر .. لا جيش آمن بالوحدةالعربية » .

من خطابه في مؤتمر الاتحاد الاشتراكي باسيوط
٨ ـ ٣ ـ ١٩٦٥

● « . . . القوى المعادية للتقدم في العالم العربى كلها تعادى الوحدة خصوصا بعد أن منحها النضال العربى والجماهيرى مضمونا اجتماعيا . الوحدة تلتقى مع العدالة الاجتماعية ، الوحدة تلتقى مع الاشتراكية . ولهذا فان القوى المعادية للتقدم ، الرجعية في العالم العربى ، تعادى الوحدة ، لان الوحدة معناها انهيار الرجعية ، وانهيار الاقطاع والرجعية في كل مكان من أنحاء العالم العربى . تعادى الوحدة ، لان معنى الوحدة ونجاح الوحدة ان تنهار الرجعية ، وان تنطلق قوى التقدم العربى .. »

ولهذا حينما اعطت الجماهير الوحدة المضمون الاجتماعى والمضمون الاشتراكى رأينا كل القوى الرجعية ، كل القوى الاقطاعية تتآمر ضد الوحدة بل تتصدى للوحدة .

من خطابه في عيد الوحدة
٢١ ـ ٢ ـ ١٩٦٥

● « . . . في الحقيقة ان العمل من أجل الوحدة العربية عمل صعب وشاق وسيأخذ وقتا طويلا ، لان العوامل الموجودة اليوم ضد الوحدة العربية عوامل مازالت قوية لان مفهوم الوحدة العربية الاشتراكي يؤثر على عناصر كثيرة جدا قد تكون معادية للاشتراكية ، وقد تكون خائفة من الاشتراكية . ولهذا فهناك عقبات في سبيل الوحدة العربية تظهر يوما بعد يوم . واجب كل فرد عربى أن يزيل هذه العقبات ويجب ألا نيأس بل بالعكس كل هذه العقبات تجعلنا نصمم ونزداد تصميما » .

من خطابه امام الطلبة العرب في موسكو
٢٩ ـ ٨ ـ ١٩٦٥

● « . . . عروبة مصر ليست مسألة سياسية ولا مسألة تكتيكية وانما عروبة مصر قدر ووجود وحياة . لابد ان احنا نعرفه ونحطه في نفسنا .

والخطر اللى بيهدد الامة العربية خطر واحد ، خطر الاستعمار وخطر الصهيونية .

من خطابه في الاحتفال بعيد الثورة الثالث عشر
٢٢ ـ ١٠ ـ ١٩٦٥

● « . . . حينما اتكلم عن العمل العربى انتهز هذه الفرصة واعبر عن سرورنا لحل مشكلة الاكراد في العراق . واحنا كنا دائما ننادى بالحل السلمى بين ابناء الوطن الواحد وقد استطاعت حكومة العراق أن تصل الى اتفاق لحل سلمى » .

● « . . . وايضا اما اتكلم عن العمل العربى أشير الى العدوان الاسرائيلى الاخير يوم الخميس اللى فات قبل اللى فات على سوريا .

واقول ان السوريين استطاعت طائراتهم أن تواجه العدوان ولكن اسرائيل هى اداة للعدوان ، واداة للاستعمار .. واحنا مستعدين في سبيل مواجهة اسرائيل ان احنا ننسق اكثر عملنا مع الحكومة السورية حتى نستطيع أن نواجه العدوان في جبهة واحدة العدوان على سوريا هو عدوان على الوطن العربى كله .

● « . . . في السنة الاخيرة وبالذات بعد مؤتمر الدار البيضاء بدأت تظهر في الجو العربى حاجات جديدة .

ظهر ان احنا كنا عايزين ان نقيم وحدة عمل عربى من أجل فلسطين وعلى هذا هادنا الرجعية العربية على اساس ان الرجعية العربية ستشترك في هذه الوحدة وقلنا ان كل واحد مسئول عن بلده ، وان يكون هناك تعايش بين الانظمة العربية المختلفة .

هل نفذت الرجعية العربية هذا الكلام او لم تنفذه ؟ احنا نفذنا هذا الكلام » .

● « . . . لكن في السنة الاخيرة ظهر ان الرجعية العربية تحاول استغلال مؤتمرات القمة اللى تنص على وحدة العمل من أجل فلسطين وتقيم وحدة من القوى الرجعية ضد القوى الثورية وضد الجمهورية العربية المتحدة .

من خطابه في ٢٢ ـ ٧ ـ ١٩٦٦

● « . . . الوحدة ماكانش اعداؤها ابدا بس الاستعمار واسرائيل . ولكن القوى

الرجعية في العالم العربي تحالفت مع الاستعمار ضد القومية العربية وضد الوحدة . القوى المعادية للتقدم كلها تعادي الوحدة ليه ؟ لان الوحدة اعطت دائما مضمونا اجتماعيا ؛ القضاء على الاستغلال ؛ القضاء على تحالف الاقطاع مع راس المال ، اقامة كفاية وعدل ، اقامة مجتمع تذوب فيه الفوارق بين الطبقات .

ولهذا في سنة ١٩٦١ تآمرت كل هذه القوى ضد الوحدة التي قامت سنة ١٩٥٨ بين مصر وسوريا .. تآمر الاستعمار مع الصهيونية مع الرجعية من اجل فسخ هذه الوحدة ، وحصلت النكسة في سبتمبر سنة ١٩٦١ » .

من خطابه في ٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٦٦

● « . . . عبد الناصر في هذا ليس الا ظاهرة بتاخد وقتها وبتنتهي . اكن الحقيقة اللي بيبقى في هذا هو المبادىء اللي بنؤمن بها في كل بلد وفي كل مكان . العملية ماهياش ابدا عملية شخصية ولا عملية متعلقة بي انا ، مهما كان كل واحد له عمله وله دوره ، واحنا كبشر باستمرار دورنا في الحياة قصير جدا ، يعني دور اي انسان في الحياة بيبقى قصير جدا بالنسبة للحياة نفسها وبالنسبة لحياة الناس وحياة الشعوب وحياة الامم . فده الموضوع اللي بيحاولوا يهاجمونا بيه ؛ فاحنا لازم نثبت الحقيقة . ان وحدة القوى القومية والقوى التقدمية والقوى الثورية ، او القوى الوطنية .. ان هذا العمل ، العمل ده ماهواش عمل فلان او علان ولكن ده عمل الامة العربية في كل بلد عربي » .

من حديث في اللقاء الخاص مع ممثلي مؤتمر المحامين العرب بقصر القبة
٨ ـ ٢ ـ ١٩٦٧

● « . . . نحن نعتقد ان امكانية العمل العربي الموحد الذي اثبت فاعلية في الخرطوم يجب ان تستمر ويجب ان تؤدي دورها الى نهاية الازمة .. يجب ان نعطيها فرصة كاملة حتى بعد نهاية الازمة . اذا نجحنا في ذلك فنحن نعتقد ان نظاما عربيا جديدا ممكن ان يولد يعطي العالم دفعة كبيرة في عصر المجتمعات الاقتصادية الكبيرة في هذا العصر وما تقتضيه ظروفه من مطالب التكنولوجيا والمواد المشعة والاسواق المفتوحة .. ان الدول العربية لا تستطيع ان تحقق اهداف غيرها بالسرعة الواجبة . كل منها على انفراد وفي عزلة عن الباقين » .

من خطابه في ٢٣ ـ ١١ ـ ١٩٦٧

● « . . . انقلبت الرجعية العربية على وحدة العمل العربي ، ذلك لان عداءها لاهداف النضال العربي النهائية اقوى دائما من اضطرارها احيانا الى مسايرة اي شكل من أشكال العمل من اجل هذه الاهداف » .

من خطابه في ٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٦٧

● « بعد فشل وحدة العمل لم يتوقف التيار .. برغم الاسى .. وبرغم الالم .. وبرغم الفجيعة .. فيه حكام في الامة العربية .. متعاونين مع الاستعمار ، باعوا آمال الامة العربية ، وتواطأوا مع اعداء امتهم العربية خوفا من مطالب أبناء امتهم الحقة والمشروعة .. ماتوقفش التيار ، ولكن طرحت صيغة جديدة لا تستطيع القوى الرجعية المتعاونة مع الاستعمار والمتواطئة ان تضربها من الداخل ، وانما يصبح عليها اذا ارادت ان تضربها من الخارج وان تكشف نفسها على ذات الخط مع الاستعمار واسرائيل .. هذه الصيغة الجديدة هي وحدة القوى الثورية . مرحلة لسه في بدايتها ، تداهمها مصاعب كبيرة ولكنها الصيغة الوحيدة السليمة التي تحتمها مقتضيات المواجهة مع الاستعمار ومع اسرائيل .. نحن الان في بداية هذه المرحلة . معنى ذلك اننا وضعنا جميع اهداف المعركة العربية السياسية والاجتماعية والوحدوية في خط واحد .. ومعنى ذلك في نفس الوقت اننا وضعنا جميع اعداء هذه المعركة في الخط المقابل » .

من خطابه في ٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٦٧

● « معركة وحدة القوى الثورية معركة ايضا متشعبة متعددة الجبهات . . جبهة تعمل فيها القوى الثورية في داخل اوطانها الصغيرة لكي تثبت وجودها وتأثيرها .. وجبهة تلتقي عليها القوى الثورية معا ، وتنسق عملها معا .. وتحدد اهدافها .. ووسائلها معا ، ثم جبهة الصراع مع العدو الاساسي للامة العربية واهدافها » .

من خطابه في ٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٦٧

● « لابد ان نعثر على صيغة التعاون الملائمة التي تمكن كل الاطراف من تحقيق ذاتها وتحقيق آمالها القومية



المسدود ... عمل صعب طبعا بالنسبة لأسباب الماضي .. بالنسبة لظروف الوطن العربي .. بالنسبة للحرب المعلنة على القوى الثورية . ولكن التفاهم خطوة أولى ضد أى محاولات معادية .. التفاهم القائم على الوضوح الآن اهم من اى اعتبار آخر وهو المقدمة التى سنصل منها الى اكتشاف صيغة تحقيق وحدة القوى الثورية » .

من خطابه فى ٢٢ - ٢ - ١٩٦٧

● « بعد الانفصال بسنتين ، فرضت ضرورات النضال العربى شكلا من اشكال الوحدة ، ووقفت انا فى ديسمبر سنة ١٩٦٣ وطالبت بوحدة العمل العربى من أجل فلسطين .. وحدة العمل العربى من أجل فلسطين ودعيت الى مؤتمرات القمة » .

من خطابه فى ٢٢ - ٢ - ١٩٦٧

● « بمهاجمة الوحدة المصرية السورية اللى تمت فى سنة ١٩٥٨ كانت الوحدة التى تمت بين العراق والاردن فى هذا الوقت تزييف لمعنى الوحدة لانها وحدة كان يباركها الاستعمار وحدة مش من اجل الشعوب العربية ولكن من اجل نفوذ الاستعمار وسيطرة الاستعمار فى الامة العربية ومن اجل التصدى لقوى النضال الثورية فى الوطن العربى » .

من خطابه فى ٢٢ - ٢ - ١٩٦٧

● « بعد سنة من الانفصال كانت هناك ردود فعل تثبت أن الانفصال أثر على مظهر الوحدة ، ولكنه لم يؤثر على الوحدة الموجودة فى قلب وضمير الشعوب العربية فى كل بلد عربى » .

من خطابه فى ٢٢ - ٢ - ١٩٦٧

● « الاستعمار يريد دائما أمة عربية ممزقة ، يسهل عليه مواجهة شعوبها . كما أن الرجعية وراء الحدود المصنوعة قد استطاعت أن تبنى لنفسها امتيازات طبقية شرهة . من هنا نقول أن أمل الوحدة حين يتحقق يصبح تتويجا لكل الآمال العربية الاخرى .. وهو فى نفس الوقت ضمان لها . وهو الأطار السليم لتطور الامة العربية ، ونموها المتكامل ، وفرصتها الحقيقية لبلوغ مستوى التقدم المنشود فى عصر تتسابق الامم فيه الى التقدم بسرعة مذهلة بعد ، ان استطاعت ثورة العلوم ان تطوع لخدمة التطور الانسانى أدوات ووسائل لم تكن تخطر من قبل على البال ..

من خطابه فى ٢٢ - ٢ - ١٩٦٧

● « فى اول كلامى قلت أن الحرية السياسية والحرية الاجتماعية ضرورية للوحدة .. ليس معنى هذا انه يتعين علينا الانتظار حتى يتحقق ذلك كله تماما فى كل أرض عربية لكى تبدأ الحديث أو العمل من أجل الوحدة .. اهداف النضال متداخلة .. اهداف النضال تعطى لبعضها وتأخذ من بعضها وتعزز احداها الاخرى وتتعزز بها » .

من خطابه فى ٢٢ - ٢ - ١٩٦٧

● « ان امل الوحدة بين شعوب الامة العربية ، لا يمكن أن يتحقق الا اذا سبقه وتأكدت قبله آمال اخرى ، تفتح له الطريق .. وتمكن له . وتحقق انسب الظروف ملاءمة له : ان مطلب الحرية السياسية لابد له ان يسبق ويتأكد فى كل وطن عربى قبل ان يصبح امل الوحدة العربية امرا مطروحا . ان مطلب الحرية السياسية معناه لاى شعب ، ان يستطيع ان يعلن رأيه ويبدى مشيئته .

وكذلك فان طلب الحرية الاجتماعية لابد له أن يسبق ويتأكد فى كل وطن عربى قبل أن يصبح امل الوحدة العربية امرا قابلا للتحقيق ، ان مطلب الحرية الاجتماعية معناه لاى شعب أن يستطيع ان يقرر لنفسه وأن يسود على مصيره ..

.. ان انتصار الحرية السياسية والحرية الاجتماعية فى اوطان الشعوب العربية معناه هزيمة الاستعمار وسيطرة الاستعمار ، وهزيمة الرجعية المتحالفة مع الاستعمار ، وهما معا اكبر العوائق امام امل الوحدة » .

من خطابه فى
٢٢ - ٢ - ١٩٦٧

● « .. اننا نساعد جبهة التحرير الوطنى (فى اليمن الجنوبية) ونؤيدهم وهم وطنيون وليسوا فرعا من تنظيمنا - انما هم مستقلون ولهم تنظيمهم المستقل ولا استطيع قطعا أن اقول لهم افعلوا ذلك اولا تفعلوه » .

من حديث مع روبرت ستيفن
المندوب الدبلوماسى لجريدة
الاوبزرفر البريطانية
اهرام ٦ - ٢ - ١٩٦٧

● « وحدة القوى الثورية ممكن انها تيجى فى عدة اشكال ومش ضرورى ابدا

نصمم على الوحدة بصفتها المطلقة . التى هو الوحدة ، التى هى الدمج والتوحيد الكامل . لان انا فى رايى ان هذا الموضوع عسير فسوى الوصول اليه .

قد يكون من الاسهل ان نبتدى بنوع من الجبهات او عمليات بهذا الشكل ربى يتوصل فى المستقبل الى نوع من التفاهم لواجهة القوى المضادة الموجودة فى العالم العربى » .

من حديث فى اللقاء الخاص مع ممثلى مؤتمر المحامين العرب بقصر القبة
٨ - ٢ - ١٩٦٧

● « اولا : ان القوى الوطنية الثورية مطالبة قبل اى شىء آخر بان تبنى قواعدها الاساسية فى اوطانها ومع جماهيرها ، وهذا هو العامل الذى يحدد مكانها فى مجال وحدة القوى القومية الثورية ، كما انه يحدد فاعليتها وبالتالى فان العمل الوطنى الثورى فى كل وطن عربى — هو مقياس الطاقة على خدمة العمل القومى ..

« .. وحين اتحدث عن القواعد الاساسية فلست أعنى بذلك قواعد السلطة فى اكثر ما ترى بجماهير العربية على ناحية ، والسلطة فى أوطانها على الناحية الاخرى . ان الجماهير هى القوة الحقيقية ، والسلطة بغير جماهير مجرد تسلط معاد لجوهر الحقيقة » .

« ثانيا : ان ذلك بغير شك سوف يقدم خدمة كبرى لتحقيق لقاء القوى الثورية ، ذلك أن القوى الثورية فى هذه الحالة سوف تتقدم الى ميدان اللقاء القومى على العمل الثورى وهى اكثر وضوحا من تأثير تفاعل فكرها بجماهير شعبها ، ثم هى اكثر ثقة بالنفس من تأثير اطمئنانها الى قواعد قوتها ، والثقة بالنفس مقدمة طبيعية الى الثقة بالكفاح المشترك ورفاق الكفاح المشترك ، وعلى أساس هذه الثقة فان القوى الثورية العربية تستطيع ان تدير الحوار البانى لوحدتها الفكرية بما يمكنها من تحديد هدفها ومراحله ، وتحركها عبر المراحل المتعددة الى الهدف الواحد النهائى .

« ثالثا : ان وحدة القوى الثورية سوف تقدر فى هذه الحالة على تحمل مسئولية المواجهة الخطيرة المفروضة الان على الامة العربية والتى لا تحتمل بالنسبة لها - وفى النتيجة الاخيرة — غير النصر الكامل » .

من خطابه فى الجلسة الافتتاحية لمؤتمر المحامين العرب التاسع
٢٨ - ٢ - ١٩٦٧

● « س : فى كتابكم فلسفة الثورة كتبت فى عام ١٩٥٤ تقول يجب ان يكون هدفنا بناء العالم العربى فى اسرة موحدة . هل لا يزال ذلك هدفكم ، أو انكم مستعدون للموافقة على ان وجود بعض التباين أمر مرغوب فيه بين شعوب تختلف نشأتها ونظمها السياسية ومصالحها الاقتصادية ؟ .

ج : اجل فالاختلاف امر طبيعى ، وعلى سبيل المثال فاننا لم نستطع أن نطبق القوانين المصرية فى اليمن . ومن العسير أن تكون هناك وحدة كاملة فى الاسرة الواحدة ويوم كنت اتحدث عن الوحدة العربية فيما بين سنوات ٥٣-١٩٥٨ فانى لم اكن اتحدث عن الوحدة الدستورية . لكن العالم العربى كان متحدا فى يوم من الايام . والوحدة لا تزال هدفنا ، والاشياء التى توجد بيننا اكثر من التى تفرق بيننا . ومن الطبيعى ان الامر يحتاج الى وقت .. فقد يتفق شعبان على الاندماج فى شعب واحد ثم ينضم اليهما ثالث وهكذا » .

من تصريحه لرئيس تحرير مجلة لوك الامريكية فى
٤ - ٣ - ١٩٦٨

● « ان التجسيد العملى لمطلب وحدة القوة وقوة الوحدة يتطلب على المستوى القومى ضمانات اكيدة ، ان حيوية الامة العربية رجالها ونسائها شبابها واطفالها تضغط تلقائيا وتحدث بقوة التطور ذاته معجزات هائلة ويكفى ان نتمثل معنى قيام ونجاح الثورة فى ليبيا .. وان نتذكر مشاعرنا عندما صدر البيان الاول بقيام الجمهورية العربية الليبية ، **ليس هناك دليل على حيوية الامة العربية ، مثل هذا الدليل وليس هناك قياس لمدى ضغط هذه الحيوية على التطور مثل هذا القياس .. »**

ويكفى ايها الاخوة أيضا ان نتمثل معنى قيام الثورة فى السودان وتقدم عناصر شابة مقاتلة الى تسلم زمام السلطة والتقدم برجولة نحو مسئوليات المرحلة .. ان حيوية الامة العربية تضع فى أعماق الكيان العربى مالا يمكن رؤيته قبل ان يظهر بنفسه تحت الاضواء الباهرة . ولكن احترامنا لحيوية الامة العربية يدعونا



في نفس الوقت الا تترك ظاهرة الكيان العربي يتحرك بغير تخطيط ، وتجيء حركته اقرب الى الانفعال منها الى الفعل ، وأقرب الى عنف المشاعر منهـا الى ارادة التغيير » ٠

من خطابه امام مجلس الامة
٦ ـ ١١ ـ ١٩٦٩

● « أيها الاخوة لقد تعرض شعب لبنان للعدوان الاسرائيلي وأراد العدو أن يوقع بين شعب لبنان والمقاومة ، ولكن الشعب اللبناني وقادة الشعب اللبناني استطاعوا ان يفوتوا الفرصة ٠ وأن يوقعوا اتفاقا بين المقاومة الفلسطينية ، وبين السلطة في لبنان ٠٠ وبهذا استطاع الشعب اللبناني وقياداته الشعبية الوطنية ان يتنبهوا الى انه ليس هناك ضمان للبنان غير نضال أمته العربية التي هي جزء لا يتجزأ منها ولا ينفصل مصيره عن مصيرها ٠ وقد استطاعوا احبـاط كل المحاولات التي دبرت للوقيعة ٠ وكانت اليقظة ، وكان التنبه وكان الادراك الواعي لمرامي العدو وأصدقاء العدو الحصن الكبير ، وحاول العدو أن يستخدم الطائفية ، ولكن الشعب اللبناني استطاع ان يدرك بوعيه ان اسرائيل حينما تعتدى بالطائرات أو حينما تعتدى بالدبابات لا تفرق بين المسلم والمسيحي ، ولكنها ترى امامها اللبناني فقط » ٠

من خطابه امام المؤتمر القومي العام الرابع
٢٣ ـ ٧ ـ ١٩٧٠

● « ان الشعب المصري تحت أعلام هذه الثورة رفض السلامة عن طريق الانعزال ، ورفض الانانية . برفض كل مغرياتها الوقتية ، لقد جعل قضية أمته قضيته ، وعاش النضال من أجلها بحياته ، وكان في ذلك يصدر عن وعى بمسار التاريخ ، لم يساوره فيه شك أو تردد ، وأثبت أبناء هذا الشعب دائما أنهم الامناء بالكلمة والامناء بالفعل ٠٠ لم تكن الحرية والاشتراكية والوحدة بالنسبة له كلمات ، وانمـا كانت الحرية والاشتراكية والوحدة بالنسبة له أعمالا ، بل كانت كلهـا بالنسبة له قتالا ٠ »

من خطابه في ختام دورة المؤتمر القومي
٢٦ ـ ٧ ـ ١٩٧٠

عن قضـــــايا التحـول الاجتمـاعي والاشـــتراكية

● « ٠٠٠ حينمـا أعلنـا الاشتراكية ، كانت الاشتراكية تعني بكلمة بسيطة ، حرية الانسان ، تحويل الانسان المستغل اقتصاديا واجتماعيا الى انسان حر ، لا يخضع للاستغلال الاقتصادي ، ولا يخضع للاستغلال الاجتماعي ٠٠ »

« ٠ ٠ الاشتراكية يعني أيه ؟ ٠ الاشتراكية كلمة واحدة بس معناها تحرير الانسان من الاستغلال الاقتصادي والاستغلال الاجتماعي ٠ الديمقراطية معناها تأكيد سيادة الشعب ووضع السلطة كلها في يد الشعب وتكريسها لتحقيق أهداف الشعب ٠

« الديمقراطية هي الحرية السياسية ، والاشتراكية هي الحرية الاجتماعية » ٠

« ٠٠ لا يمكن الفصل بين الديمقراطية والاشتراكية بأى حال من الاحوال ٠ وبدونهم أو بدون واحدة منهم لا يمكن للحرية أن تتحقق ٠٠ »

« لا يمكن بأى حال من الاحوال أن نكون هناك ديمقراطية أو حرية سياسية مع سيطرة الاقطاع وسيطرة رأس المال ، أو مع سيطرة طبقية ولكن الرجعية زى ما كانت بتقول عندنا ، كانت بتقول أنها تنفصل على الشعب وتمنحه الحرية السياسية ، وتمنحه دستور ، وتمنحه برلمان ٠ ولكن الثورة والاقتصاد والارض ٠٠ بتفضل في يد فئة محدودة ، وعدد محدود من الناس ، والمال هو سلاح الرجعية ، هو دبابة الرجعية ، هو الطيارة ٠ بواسطة المال يستطيعوا أنهم يتحكموا ويستغلوا ، وكل هذا يكون على حساب الناس ، وعلى حساب مصلحة الجماهير ، وعلى حساب أمل الجماهير في حياة أفضل ٠ »

من خطابه في ٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٦٤

● « لقد كان القضاء على الاستغلال مقدمة طبيعية لعدالة التوزيع ولقد وجهت الى الاستغلال ضربات متلاحقة بدأت بالاصلاح الزراعي ، الى تأميم قناة السويس ، الى التمصير ، الى تأميم البنوك وشركات التأمين وتجارة القطن ، الى قرارات يوليو المجيدة ، وقرارات أغسطس سنة ١٩٦٣ ، الى قرارات مارس ١٩٦٤ التي أنهت مشكلة التعويضات عن

التأميم ، وكان بعملية تصفية الامتيازات القديمة لم يكن منها مفر ، ولم يكن توجيه الضريبات الى الاستغلال موقفا سلبيا ولكن تمويل رأس المال الضخم اداة الاستغلال الرئيسية الى الانتاج العام والخدمة العامة كان من أبرز نقط الارتكاز للعمل الوطنى الايجابى » .

من خطابه فى مجلس الامة
٢٥ - ٣ - ١٩٦٤

● « .. أول حاجة ، احنا ما بقيناش دولة اشتراكية ، ولا يمكن ان احنا نقول ان احنا النهاردة دولة اشتراكية . واحنا فى مرحلة انتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية مش معناها أبدا ان احنا نؤمم شوية مصانع وبس .. لا .. الاشتراكية أن نقيم مجتمع الكفاية والعدل زى ما أممنا واتممنا العدل . بنصنع وبنعمل وبنخلق لكل واحد الحياة السعيدة اللى يجد فيها مطالبه واحتياجاته . القيم اللى كانت موجودة لا زالت موجودة ماتغيرتش . القيم لم تستقر بعد . وده طبيعى .. العلاقات القديمة اللى موجودة لا زالت رواسب العلاقات القديمة الاقطاعية والرأسمالية موجودة » .

« .. أنا باعتقد أن الاشتراكية ونجاحها مرهون بتطوير وتدعيم الديمقراطية . ولكن الديمراطية الاخرى حصلت على مكان فى الاشتراكية . الديمقراطية لقوى الشعب العاملة . وما بقولش ابدا الديمقراطية الرجعية ولا الديمقراطية للاقطاعيين، أو الرأسماليين .

... الديمراطية لقوى الشعب العاملة . زى الكلام اللى قلناه فى الميثاق . . قوى الشعب العاملة ، وهى القوى الاجتماعية والسياسية فى مصر تحالف قوى الشعب العاملة والعمال والفلاحين والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية الاخرى حصلت على مكان فى المجتمع بفضل عملها . وتطورت تطورا عظيما اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا. وليس هذا بالقضاء فقط على الطبقة المستغلة باعتبار القوى سياسية واجتماعية واقتصادية ، ولكن بالتبديل فى وضع الطبقة العاملة .. وضع العمال . وضع الفلاحين . وضع الفئات الاجتماعية الاخرى من الشعب .

« الطبقة العاملة كانت مستغلة وكانت قليلة العدد قبل الثورة . نمت بصورة متزايدة نتيجة التغيرات السياسية والاقتصادية . والاجتماعية التى حدثت فى البلاد .. وهذه الطبقة العاملة تمثل فى النظام الاشتراكى المركز القيادى والدليل على هذا ان نصف الاعضاء فى جميع المجالس المختلفة من العمال والفلاحين . نصف مجلس الامة من العمال والفلاحين

« ... اذابة الفوارق بين الطبقات .. تكافؤ الفرص .. الكفاية والعدل .. اذن الانتقال من مجتمع الاستغلال مجتمع سيطرة الاقطاع ورأس المال الى المجتمع الاشتراكى .. مجتمع الكفاية والعدل ، مجتمع ديمقراطية الشعب العامل ، مجتمع تكافؤ الفرص .. هذا الانتقال لا يمكن أن ينجح ولا يتحقق ولا يتم الا عن طريق نمو القوى الاشتراكية وصلابة القوى المنتجة فى المجتمع ، وتعزيز الوعى السياسى وتنظيم قوى الشعب العاملة ونضال الشعب العامل .

« وفى نفس الوقت يجب أن نناضل ضد الاستعمار ، ونناضل ضد الاستعمار الجديد ، ونناصر حركات التحرير فى العالم . وفى نفس الوقت يجب أن نسير بالتطور الاجتماعى بوسائل ثورية .. اللى بدى أقوله من هذا ان احنا علشان نحقق الاشتراكية فى بلدنا ونحقق الانطلاق الاشتراكى فى بلدنا عملية سهلة أبدا .. العملية يمكن ان نتصور ان الامر لسه حاتحتاج الى سنين وعمليات تطوير مستمرة تؤثر عليها الطاقات الاقتصادية والثقافية . طبعا احنا عندنا مشكلة .. وطبعا السلطة بتنتقل الى تحالف قوى الشعب العاملة ..

... القوى الاشتراكية تفتح أوسع الافاق للفكر الاشتراكى والبناء الاشتراكى ويجب أن تساهم فى تحطيم بقايا الافكار الرجعية القديمة ».

... الاشتراكية . هى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج .. الاشتراكية تعنى وضع وسائل الانتاج فى خدمة الشعب العامل كله ،



وفى ـــ الفرد • والانتقال من الراسمالية المستغلة والاقطاع الى الاشتراكية لا يمكن أن يتم الا عن طريق العمل السياسى للشعب العامل ، ونضال العمال والفلاحين لاستخلاص السلطة من يد الرجعية، ثم الاستفادة من السلطة لتغيير العلاقات الاجتماعية تغييرا كاملا •• »

« العلاقات الاجتماعية التى تنشا وتتطور على اساس سيطرة الشعب على وسائل الانتاج • • الديموقراطية الاشتراكية معناها مشاركة الجماهير فى القضايا السياسية والديمقراطية الاشتراكية تعتمد أساسا على اللامركزية والادارة الذاتية كل ما حنعمل مركزية كل ما حندخل فى البيروقراطية • وكل ما نعمل لامركزية وادارة ذاتية كل ما نتحول الى الديمقراطية •• الديمقراطية الاشتراكية هى تاكيد سيادة الشعب العامل ووضع السلطة كلها فى يده •• »

من خطابه فى مجلس الامة ١٣ ـ ١٠ ـ ١٩٦٤

« • • • واذا قد أخذنا الطريق الاشتراكى للبناء ، فان مجتمع الاشتراكية ليس جمعية خيرية تنبع معاييرها من نزعة الاحسان لدى كل المتبرعين بجهدهم أو بمالهم فيها • وانما الاشتراكية فكر وسلوك علمى ، ينبع من الحق السياسى ، والاقتصادى والاجتماعى ، لكل انسان حر يعيش ويعمل فوق التربة الوطنية » •

من خطابه فى عيد العلم ١٤ ـ ١٢ ـ ١٩٦٤

● « الاشتراكية زى ما قلنا كفاية وعدل •

كفاية : ان احنا نبنى مصانع ونصلح أرض ونقيم انتاج •

عدل : ان احنا نذيب الفوارق ونقضى على الاستغلال بكل أنواعه وبكل مظاهره » •

من خطابه فى بور سعيد ٢٣ ـ ١٢ ـ ١٩٦٤

● « ••• كان لابد من الحل الاشتراكى حتى نصفى حكم الطبقة ، حتى نصفى حكم الاقطاع ، حتى نصفى حكم رأس المال، حتى نصفى حكم الاستغلال، حتى نصفى حكم ربوع بلدنا وبين أرجاء وطننا ديمقراطية الشعب ، الديمقراطية السليمة • كان لابد من الاشتراكية • وكان لابد من العدالة الاجتماعية • لابد من الديمقراطية الاجتماعية ، حتى نستطيع أن نحقق الديمقراطية السياسية » •

« ••• هل قضينا على الاقطاع : وقضينا على الاقطاعيين ؟ هل قضينا على الرأسمالية ، وقضينا على الرأسماليين ؟ هل قضينا على الاستعمار ، وعلى أعوان الاستعمار قضاء كاملا ؟ قضينا على الاقطاع فعلا ، قضينا على الراسمالية فعلا، سيطر الشعب على وسائل الانتاج فعلا ، ولكن اللى كانوا بيتحكموا فينا فى الماضى ، الطبقة اللى كانت بتتحكم فى الماضى مازالت موجودة ، يمكن جردناها من أسلحتها وجردناها من اموالها ، ولكن هذه الطبقة لازالت موجودة • ولسه عايزين عشرات السنين لغاية ما تنقرض هذه الطبقة •

« يبقى الشعب لابد أن يتسلح ، بايه ؟ يتسلح الشعب بالوعى ، علشان ما ينضحكش عليه • علشان يبنى الديمقراطية السليمة ، علشان يقيم العدالة الاجتماعية ، ويقيم الاشتراكية فى كل أنحاء البلد •

« ومن اجل أن نقيم الاشتراكية ، ومن اجل ان نقيم العدالة الاجتماعية ، لابد لنا أن نعمل عملا مستمرا ، ونعمل عملا متواصلا ، لن يرضى الاستعمار ولن يرضى أعداؤنا بأى حال من الاحوال • ولن ترضى الصهيونية ان احنا نقوى ••• » •

« الديمقراطية الاشتراكية اللى بنادى بيها هى ديمقراطية الشعب العامل الذى يجب أن يتسلح بالوعى • الشعب العامل المتسلح بالوعى حتى لا يستطيع أعداء الشعب انهم يضللوه ، أو يضحكوا عليه ، أو يبثوا بينه الكلام الذى لا يتجه بأى حال الى البناء •• »

من خطابه فى الاسماعيلية ٢٤ ـ ١٢ ـ ١٩٦٤

● « •••يتعين علينا فى المرحلة القادمة ، أن نمكن لقيم المجتمع الاشتراكى من أن تستقر فى الارض •

••• من واجبنا جميعا أن نقف فى حسم لا يعرف التردد وحزم يرفض أنصاف الحلول •

•• ان الممارسة الديمقراطية ، هى الوسيلة لاستكشاف كل طريق •• وبالتالى فان سلامة الممارسة الديمقراطية هى نفسها سلامة الثورة » •

من بيانه فى مجلس الامة ٢١ ـ ١ ـ ١٩٦٥

● « فى الداخل نحن نخوض تجربة ضخمة كبيرة · عايزين طبعا نسير فى مجتمع بدون أن تتحكم فينا البيروقراطية وبدون أى انحراف عايزين نبنى ومش عايزين نطلع طبقة جديدة · عايزين نبنى بلدنا بدون أن يكون هناك أى انحراف وأن نقوم هذا الانحراف · عايزين نبنى على أسس اشتراكية صحيحة كما جاء فى الميثاق · عايزين نبنى وعايزين فعلا نكون اذيبنا مش عايزين نطلع طبقة جديدة الفوارق بين الطبقات » ·

من خطابه فى المؤتمر الشعبى بشبين الكوم
١٠ ـ ٣ ـ ١٩٦٥

● « لقد اكتشف الشعب المصرى على الفور ـ وبالثورة الشاملة ـ أن مجرد رفع علم الاستقلال الوطنى لا يمكن أن يكون خاتمة النضال ، بل هو على العكس من ذلك بداية النضال الحقيقى من أجل اعادة البناء الاجتماعى » ·

من خطابه امام ملك ماليزيا بالقاهرة فى ١٧ ـ ٤ ـ ١٩٦٥

● « المتناقضات اللى بتقابلنا فى التحول من مجتمع رجعى رأسمالى الى مجتمع اشتراكى تحتاج منا ان نقابلها بقوى اشتراكية · هذه القوى الاشتراكية تتمثل فى الشعب العامل · ولا يمكن للشعب العامل أن يتصدى الا اذا تسلح بوعى اشتراكى وفهم أن له مطالب ··

···

الرجعية لا تتمنى بأى حال لمرحلة التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية أن تنجح · والاستعمار أيضا · وسلاحنا حتى ننجح هو الوعى ·· الوعى الثورى الكامل لقوى الشعب العاملة » ·

من خطابه الى الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى
١٦ ـ ٥ ـ ١٩٦٥

● « التحول الاشتراكى يتوقف على الاساس الاقتصادى للمجتمع · وباساس اقتصادى قوى نستطيع أن نحقق التحول الاشتراكى وعشان يكون عندنا اساس اقتصادى قوى لازم يكون عندنا قاعدة صناعية قوية وده اللى احنا بنعمله ولازم يكون عندنا وعى شعبى وقوى اشتراكية مترابطة ، قوى اشتراكية تتمثل فى الشعب العامل » ·

من خطابه فى الاحتفال بعيد الثورة الثالث عشر
٢٢ ـ ٧ ـ ١٩٦٥

● « ··· ان ثورة ٢٣ يوليو سنة ٥٢ لم تكن انقلابا عسكريا وانما كانت ثورة شعبية وان كانت العناصر الثورية من الجيش قد شاركت فيها ·

ان شعبنا قد ناضل مئات السنين ضد الغزاة الاجانب ·· ثم تداخلت مطالب الحرية السياسية مع مطالب الحرية الاجتماعية منذ وقت بعيد ·· ذلك ان الاستعمار الاجنبى كان يعتمد على طبقة من الرجعية المحلية فربطت مصالحها بمصالحه · وبعد الحرب العالمية الثانية فان النضال الشعبى بدأ يأخذ مضمونا اجتماعيا شاملا ·

ولم يعد الغضب فى مصر ضد الاحتلال البريطانى وحده ولكن ايضا ضد تركيز الثروة فى طبقة مستغلة متحكمة تعاونت مع الاستعمار وتبادلت معه المنافع المسلوبة من عمل الشعب المصرى ·

« ولكى اشرح لكم هذا الوضع بالارقام نكتفى بما يلى :

فى اليوم السابق ليوم الثورة مباشرة كان فى مصر قوة احتلال بريطانية مكونة من ٨٠ الف جندى يتمركزون فى قاعدة قناة السويس · وكانت قناة السويس ملك شركة احتكارية اجنبية فرنسية فى الغالب · وكانت كل البنوك وشركات التأمين والتجارة الخارجية وشركات الاراضى الكبيرة كلها أجنبية · وكان نصف فى المائة من السكان يحصلون وحدهم على ٥ فى المائة من الدخل القومى ·

وكان الحكم فى الفترة ما بين ثورة سنة ١٩١٩ التى خانتها الرجعية وتخلت عن اهدافها الشعبية وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ التى عرف الشعب كيف يحميها ·· فى يد ١٦ أسرة بأصولها وفروعها تقدم كل رؤساء الوزارات والوزراء وكل من يتولى منصبا بارزا أو مؤثرا فى الدولة ·

ان السنوات السبع ما بين نهاية الحرب العالمية الثانية الى قيام الثورة كانت حافلة بالمقاومة الباسلة من جانب جماهير الشعب المصرى تداخلت فيها الاهداف وتلاحمت ·

« كانت المطالبة الشعبية بضرورة اجلاء جيوش الاحتلال عن ارضنا ولو بقوة



السلاح ، وكانت المطالبة الشعبية أيضا بضرورة الخروج من منطقة النفوذ الاستعمارى الذى كبلنا بالسلاسل داخله .

« وفى نفس الوقت كانت المطالبة الشعبية بالارض وبالثروة الوطنية المغتصبة وبتاريخ العمل المصرى الذى كان يهدر بغير فائدة تعود على جموع الشعب المصرى .

« وفى نفس الوقت كانت المطالبة الشعبية بديمقراطية حقيقية تستطيع الجماهير بوساطتها أن تحكم نفسها وأن تختار طريقها وأن تعمل لامنها الاجتماعى وان توفر الضمان لمستقبل الاجيال القادمة » .

من خطابه فى حفل الصداقة العربية السوفيتية ٣١ ـ ٨ ـ ١٩٦٥

« انـنا نواجه مع غيرنا من الدول المنتجة للمواد الخام والمصدرة لها ضغوط الدول الصناعية المتقدمة التى تسعى الى هدف مزدوج تحتفظ فيه بمستويات المعيشة العالية لشعوبها هذا الهدف المزدوج هو تخفيض سعر المواد الخام وفى نفس الوقت رفع سعر السلع المصنعة » .

٢ ـ « يتصل بذلك مباشرة اننا نعانى فى الفترة الاخيرة بالرغم منا نصيبا من أزمة الرأسمالية العالمية ، هذه الازمة المتمثلة فى التناقضات التى تواجهها القوى المالية التى سيطرت فى العالم منذ انتهاء الحرب الكبرى الاخيرة . ولقد انعكست من هذه الازمة بعض المظاهر كالخلل فى ميزان المدفوعات الامريكى والنقص الظاهر فى وسائل الدفع والارتفاع الخيالى فى اسعار الفائدة . واذا ما ذكرنا أن نصف تعاملنا مع العالم الخارجى هو مع العالم الرأسمالى لأدركنا اننا شئنا أو لم نشأ نتحمل نصيبا فى هذه الازمة ومن سوء الحظ أن الاقوياء فى عالمنا لايصدرون بضائعهم فقط ولكنهم يصدرون أيضا متناقضاتهم الداخلية ويفرضون على غيرهم أن يدفعوا الثمن أو على الاقل جزءا منه . وفى الحقيقة فان ظاهرة الاستعمار الجديد تعنى بالدرجة الاولى أن الرأسمالية العالمية وهى تسعى للسيطرة على موارد الشعوب الاخرى واخضاعها للاستغلال ونهب مواردها الطبيعية وعملها الانسانى بارخص الاسعار انما هى بصورة أو بأخرى تقوم بتصدير متناقضاتها خارج حدودها » .

من خطابه فى مجلس الامة ٢ ـ ١١ ـ ١٩٦٦

● « معيار الاخلاص الثورى والالتزام الاشتراكى فى هذه المرحلة هو القدرة على خدمة الانتاج وبالتالى التمكين من تحقيق الاهداف التى نريد بلوغها بالنسبة للاستهلاك المحلى المتزايد أو بالنسبة للتطوير ـ أيضا الحاجة الى تحكم دقيق فى مواردنا المحدودة .. عندنا موارد محدودة .. »

● « المهم ان احنا نستمر فى عملنا ـ عايزين كفاءة للادارة ، وسلطة للادارة ، عايزين قيادات فى مواقع الانتاج مخلصة ، عايزين عمال كل واحد يلتزم ويعرف واجبه ـ عايزين قيادات سياسية وعمل فى الاتحاد الاشتراكى من أجل الانتاج ـ اذا ما انتجناش ما فيش فايدة فى الفلسفة اللى بيقولوها دى كلها ، لا نقابات العمال ولا الاتحاد الاشتراكى ولا أى حد . أول بند من بنود الفلسفة هو الانتاج . واذا انتجنا بعد كده بنتفلسف زى ما أحنا عايزين نتفلسف » .

من خطابه فى بور سعيد ٢٣ ـ ١٢ ـ ١٩٦٦

● « اممنا المصالح الاجنبية كلها .. البنوك الاجنبية وشركات التأمين وطبعا قنال السويس أولا وبعد كده المصانع الاجنبية وشركات التجارة ، واممنا التجارة الخارجية كلها ووضعنا وسائل الانتاج تحت سيطرة الشعب ، وأصبح اقتصادنا اللى كان فى أيدى الاجانب وطنى ١٠٠ فى المائة .. وصلنا فى التحول الاشتراكى الى حد يثير اهتمام الكثيرين فى العالم الذى تتطلع شعوبه الى العدالة الاجتماعية .. البلد ده اللى كان نصف فى المائة من سكانه ياخدوا نصف دخله القومى اسقط مجتمع النصف فى المائة تحالف الاقطاع ورأس المال واسقط السيطرة المستغلة واقام مجتمع قوى الشعب العامل . مجتمع سيطرة كل الشعب على كل مصادر الانتاج وحق الشعب العامل فى الخدمات .. خدمات التعليم ، وخدمات العلاج ، والتأمينات الاجتماعية » .

من خطابه فى ٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٦٧

● « قطعا لازم حتكون هناك مشاكل .. مشاكل مالية ومشاكل ادارية .. واحنا ما بنقفش .. مشاكلنا المالية لا تقيد حركتنا ولا توقف تقدمنا ، واحنا باستمرار ندبر هذه المشاكل ونحلها . ومشاكلنا الادارية مانخليهاش ابدا تصيبنا بالشلل نعيد

التنظيم ونغير القيادات ونقضى على الانحرافات ونمشى نفتح طريق باستمرار » .

من خطابه فى ٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٦٧

● « مشاكل القطاع العام . . أنا باقول ان القطاع العام ادى دوره أحسن مما أداه القطاع الخاص ، وأن أى شركة مؤممة واحنا سايبين النقد مفتوح .. وباشوف فى الجرايد والمجلات نقد ، وباقول .. لو كان رأس مال خاص ، ما هو ما كانش حد يهتم ينتقد ، لكن ننتقد رأس المال العام ، لكن اذا كان فيه حاجة بننقدها النهاردة ما تطلعش واحد على مية من اللى كان بيحصل فى القطاع الخاص قبل التأميم . النهاردة يمكن بنحسم الامور وبنحسم المشاكل ، ونهتم بيها ، ومن حقنا اننا نهتم بيها لان كل واحد فينا عايز الكمال ، ومش عاين يجد أى مشكلة أو أى انحراف فى القطاع العام .. لكن نتحرك ونفتح الطريق ونعيد تنظيم القطاع العام .. نعيد تنظيم الادارات باستمرار ، اذا كان فيه انحرافات لازم نقوم هذه الانحرافات » .

من خطابه فى ٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٦٧

● « ايه كان القصد الحقيقى لعملية العدوان المركبة التى تعرضنا لها اخيرا ؟ لو سألنا نفسنا هذا السؤال الردكان ..يكون القصد الحقيقى كان القضاء على الثورة الاشتراكية الموجودة فى مصر واذن فلكى نستطيع مواجهة العدوان فانه من الضرورى تدعيم الثورة الاجتماعية فى مصر » .

من خطابه فى ٢٣ ـ ٧ ـ ١٩٦٧

● « يجب وضع خطوط جريئة مستنيرة لعملية الاصلاح المالى والاقتصادى حتى يمكن تحرير كل طاقات الانتاج من أية عوائق تواجهها ، وحتى يمكن أيضا رفع وصاية الروتين التقليدى الذى يريد احكام قبضته على القضاء العام وهو القوة الطليعية فى طاقاتنا الانتاجية » .

من خطابه فى مجلس الامة
٢٠ ـ ١ ـ ١٩٦٩

● « العمل على رفع مستوى المشتغلين بالزراعة مع شعورهم الكامل بالاستقرار والطمأنينة وفى هذا المجال فاننى اشعر انه ما زالت هناك مشكلات تستحق اهتمامكم . واهتمام المشتغلين بالعمل الزراعى ، وان تلك المشكلات تستوجب وضع الحلول المناسبة لها والتى تؤدى لتمهيد الطريق نحو انتاج أوفر ، والى ازالة بعض المتاعب التى تواجه الفلاحين ، وهم الدعامة الكبيرة لتحالف قوى الشعب العاملة » .

من خطابه أمام مجلس الامة
٢٠ ـ ١ ـ ١٩٦٩

عن الشعب والديمقراطية والسلطة

الشعب :

● « لقد كان شعورى دائما ضد الاعتماد على الفرد وضد توهم احتياج النضال الشعبى الى شخصى بالذات مهما كرمته أمته وكنت اصدر فى ذلك عن يقين لا يتزعزع بأن الشعب وحده هو الباقى الخالد .. وانه قادر فى كل مراحل نضاله ان يخرج من صفوفه من يخدم أمانيه ويحقق احلامه .

... ان المهمة الاساسية التى يجب ان نضعها نصب اعيننا فى المرحلة القادمة ، هى ان نمهد الطريق لجيل جديد يقود الثورة فى جميع مجالاتها السياسية والاقتصادية والفكرية ..

من بيانه أمام مجلس الامة
٢٠ ـ ١ ـ ١٩٦٥

● « وانه مهما كانت ثقتنا فى اى فرد فان الشعب وحده هو الباقى والخالد » .
٨ ـ ٣ ـ ١٩٦٥

● « ان الحكم فى البلاد النامية ، قوته الوحيدة هى الجماهير . هذه الجماهير هى طاقته الذرية : يوجه قوتها للخلق ويوجه قوتها للردع ، تصلح للبناء وللدفاع على حد سواء . وبالتالى فان قوة اى حكم فى هذه البلاد النامية لا يستطيع أن يتحرك خطوة الا مدفوعا ومسنودا بقوى جماهيره » .

من خطابه فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى باسيوط
٨ ـ ٣ ـ ١٩٦٥

● « ان هذا الشعب سيصنع



المستحيين · انا لوحدى ما أقدرش أعمل حاجة ابدا · فى السنين اللى فاتت كان الشعب هو الدافع الاول وهو السلاح الاول . . فى السنين اللى فاتت كان الشعب هو القنبلة الذرية اللى بنعتمد عليها فى بلدنا ضد اعدائنا وضد المؤامرات اللى تعرضنا لها » .

من خطابه فى المؤتمر الشعبى بشبين الكوم
١٠ ـ ٣ ـ ١٩٦٥

● « وانى لاشعر بعرفان غير محدود لجماهير شعبنا العظيمة المناضلة تمنحنى فى كل يوم رضاها مايفوق طاقتى على الوفاء ، ولست أملك غير عملى وحياتى ، واحس مخلصا ان عطاء الامة اعلى من عمل وحياة اى فرد مهما صدق وتفانى » .

من بيان بمناسبة اعادة انتخاب جمال عبدالناصر رئيسا للجمهورية
١٦ ـ ٣ ـ ١٩٦٥

● « وتفرض أيها الاخوة ان شيئا حدث لجمال عبدالناصر أو لاى فرد من قيادة هذه الثورة · هل هذا سيمكن الاعداء من هذا الوطن ؟ او سيمكن لهم الامان ؟ ابدا ، لن يمكن لهم الامان .

« ان المسألة فى الحقيقة ان مصدر القوة العظيمة للثورة هنا ان الشعب قد تحرر وسوف يقدم الرجال واحدا بعد واحد ويصنع المعجزات معجزة بعد معجزة فى ثبات وفى عزم وفى دوام » .

من خطابه فى ٢٦ يوليو ١٩٦٥

● « اننى لم اعتبر لدقيقة واحدة ان خروج جماهير شعبنا برغم الظلام وبرغم غارات العدو مساء يوم ٩ يونيو تكريما لشخصى وانما اعتبرت ان ذلك الموقف كان تصميما على النضال ، ولقد قلت مرات عديدة · ان هذا الشعب قد اعطانى اكثر مما حلمت به فى اى يوم من الايام · ولقد رفعت صوتى أكثر من مرة محذرا من الاعتماد على الفرد لان كل فرد له دوره يؤديه ويمضى ويبقى الشعب وحده من الازل والى الابد » .

من خطابه فى ٢٣ ـ ٧ ـ ١٩٦٧

● « ان الجماهير نفسها هى الثورة وليست الثورة فردا او مجموعة من الافراد ، ان هذا المؤتمر حين يجتمع فى هذا اليوم باعتباره اعلى سلطة سياسية فى الدولة فان اجتماعه فى حد ذاته اشارة لا ينبغى ان يخطىء فى فهمها احد مؤداها ان خطوة حاسمة قد تحققت لنقل السلطة الى تحالف قوى الشعب العاملة وبوسيلة الديموقراطية وعلى أساسها » .

من خطابه فى ٢٣ ـ ٧ ـ ١٩٦٨

● « ان اكبر عوامل وضمانات النجاح فى النضال الذى نتحمل جميعا مسئوليته هو تنبه جماهير شعبنا وقياداتها ومعرفتها العميقة بأكبر قدر من الحقيقة هذا التنبه الضرورى الذى تضعه الحقيقة وحدها هو الكفيل بان تظل الجماهير وقياداتها على الطريق السليم تعرف موقعها منه فى كل لحظة من اللحظات ولا يغيب عنها هدفها النهائى فى اى وقت من الاوقات » .

من خطابه فى ٢٤ ـ ٣ ـ ١٩٧٠

الديموقراطية

● « ان الديمقراطية عملية واحدة ذات وجهين : سياسى واجتماعى وبغير الوجهين معا تصبح عملة زائفة ، لا سعر لها ولا قوة وليس من شك ان هذا المجلس الموقر نفسه ، الذى جرى انتخابه يعتبر بعد تفجير الثورة الاجتماعية ، وعلى اساس الميثاق وبتمثيل تطبيقى لقوى الشعب العاملة يعطى الاغلبية الساحقة للفلاحين والعمال ، هو صورة مشجعة لما توصل اليه العمل من اجل اقامة حياة ديمقراطية سليمة ، على انى اضيف الى ذلك ان الديمقراطية لا تتحقق فى كمالها الا بقيام التنظيم السياسى شامخا وفعالا ، والا بقيام المجالس الشعبية المنتخبة بارادة الجماهير الحرة كل قرار ونؤكد بالفعل ، لا بمجرد القول أن صوت الشعب هو صوت الله · ومهما يكن فان هذا المجلس الموقر الذى يجتمع اليوم تعبيرا عن الديمقراطية السليمة يملك الجهد الكبير لخدمة الارادة الحقة الحرة للجماهير » .

من خطابه فى مجلس الامة
٢٥ ـ ٣ ـ ١٩٦٤

● « بعد ثورة يوليو وبعد القضاء على الاستعمار وبعد القضاء على الاحتلال وبعد القضاء على العدوان ، صممنا على ان نقيم الحياة الديمقراطية السليمة فى بلدنا ، بحيث تكون هذه الديمقراطية معبرة عننا ومعبره عن امالنا · ومعبرة ،

عن مطالب شعبنا ، ليست ديمقراطية رائعةلفئة قليلة من الناس ، وليست ديمقراطية للرأسماليين ، ولكن للرأسماليين ، ولكن ديمقراطية للشعب . وكان يجب علينا حتى نحقق هذا الهدف الذى نادت به الثورة من اوليوم من ايامها ان نقيم ربوع بلدنا ، بين ارجاء وطننا العدالة الاجتماعية التى عبرنا عنها فى الميثاق بالاشتراكية » .

من خطابه فى الاسماعيلية
٢٤ – ١٢ – ١٩٦٤

● « لا قيمة للديمقراطية السياسية بدون الديمقراطية الاجتماعية . الديمقراطية السياسية تهريج وكلام فارغ طالما ان رأس المال والاقطاع المتحكم . الديمقراطية السياسية هى عملية تنفيس .. وكنا نؤمن ان لابد من قيام الديمقراطية الاجتماعية حتى تتحقق فعلا الديمقراطية السياسية » .

من خطابه فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى باسيوط
٨ – ٣ – ١٩٦٥

● « الديمقراطية الاشتراكية ليست عملة تنفيس . وانما الديمقراطية الاشتراكية هى ارادة تغيير » .

من خطابه فى الاحتفال بعيد العمال
١ – ٥ – ١٩٦٥

● « . . . ليس عندى موضوع اساسى للكلام ، الا « اسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى » .. ان كل الناس تنتقد الاتحاد الاشتراكى .. فمن هو المسئول عن بناء الاتحاد الاشتراكى ؟ .. هل انا المطلوب منى بمفردى ان ابنى الاتحاد الاشتراكى ؟ ..

لا .. انا لن استطيع وحدى ان ابنى شيئا .. لا فى البلد ولا فى الحكم .. ولا فى الاتحاد الاشتراكى .

وبالتالى فانتم وحدكم لا تستطيعون أن تعملوا شيئا .. اذا لابد من الاعتماد على الجماهير ، وعلى القيادات الاخرى المختلفة ، لكى نتمكن من بناء الاتحاد الاشتراكى .

من حديثه فى المؤتمر الاول لاعضاء المكاتب التنفيذية للمحافظات
١٢ – ١ – ١٩٦٦

● « . . . ان تقنين الثورة حصانة أكيدة للتطور الدستورى السليم ، وليظل القانون دائما أكبر من مراكز القوة وأعلى من ارادات الافراد » .

فى الجلسة الافتتاحية لمؤتمر ملحامين العرب التاسع
٢٨ – ٢ – ١٩٦٧

● « .. أنا كنت منع جماهير الشعب فى الكثير مما كانتتحدث فيه. الشعبكان يطالب ببداية جادة وحازمة تتفق مع جدية الظروف التى تواجهها وحزمها . وأنا مع الشعب فى هذا .

ان الشعب كان يطالب بوضع حد الامتيازات التى حصل عليها البعض بغير وجه حق .. وانا مع الشعب فى هذا .

ان الشعب كله كان يطالب بالتكافؤ فى التضحيات .. وانا معه فى ذلك ..

ان الشعب يطالب بالنقاء الثورى والطهارة الثورية .. وانا اطالب مع الشعب بذلك . »

من خطابه فى ٢٣ – ٧ – ١٩٦٧

● « .. ان جيلنا قدم قيادات لفترة التحول الكبير ولابد لأجيال أخرى ان تتقدم وأن تقود وأهم من ذلك ان يوجد النظام الديمقراطى الذى يكفل تجدد القيادات المعبرة دائما عن مطالب قوى الشعب العاملة وآمالها والقادرة على الاحساس بمشاكلها فى كل مرحلة من مراحل التطور وحلها » .

من خطابه فى ٢٣ – ٧ – ١٩٦٧

● « . . التنظيم السياسى ايضا يجب انيكون فى الميدان مع الجماهير وان يقود ، ويقود بالحقيقة وحدها مش بالمظاهر ولا بتكبير الامور ، ان يقود من موقع الشعب لا متسلط . . ولا متعال » .

من خطابه فى ٢٣ – ٧ – ١٩٦٧

● « .. من الضرورى اكثر من أى وقت آخر توسيع نطاق القيادة فاننى آمل أن يتم تشكيل اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى خلال ايام وآمل ان تضم اللجنة خيرة العناصر القيادية فى هذا الوضع وأمل ان تقوم اللجنة بدورها القيادى على أكمل وجه وذلك يتمثل اكثر ما يتمثل فى اطلاق حيوية ونشاط قوى الشعب العاملة وابراز قيادته ليكون ذلك مدخلا الى ديمقراطية اوسع واعمق لقوى الشعب العاملة » .

من خطابهفى العيد الخامس عشر للثورة
٢٣ – ٧ – ١٩٦٧

● « . . ان الديمقراطية



الكاملة لا يمكن أن تكون بحالٌ من الاحوال كالديموقراطية المزيفة التى كانت موجودة فى ايام الملكية وايام تحالف رأس المال مع الاقطاع .. وقلنا ماهى الديموقراطية الكاملة . قلنا ان الديموقراطية الكاملة هى اذابة الفوارق بين الطبقات ، والا تنفرد طبقة بالحكم لانها تكون دكتاتورية الطبقة . وقلنا فى الميثاق ان الشعب المصرى رفض حكم أى طبقة ولكن الشعب المصرى عاوز الديموقراطية الكاملة باذابة الفوارق بين الطبقات دى تكون ديموقراطية الشعب العامل . ممكن تكون هناك ديموقراطية زائفة زى اللى كانت موجودة قبل الثورة ، أو تطلع مظاهرات ، وتطلع صحف ، وصحف ترد عليها ويبقى الانجليز موجودين وتدخل البلد تحت النفوذ الاجنبى . ولكن ثورتنا هى الثورة الاشتراكية اللى بتنادى بالديموقراطية الاشتراكية التى تنحصر فى اذابة الفوارق بين الطبقات وتنادى أيضا بالحرية » .

من خطابه فى المؤتمر العمالى بحلوان
٤ ـ ٤ ـ ١٩٦٨

● « ... احنا عندنا تحالف قوى الشعب العاملة فى الاتحاد الاشتراكى اللى هو معناه الديموقراطية الكاملة للشعب العامل ، واللى هو معناه ان مفيش دكتاتورية طبقة من الطبقات ، واللى هو معناه ان احنا بنحل مشاكلنا وتناقضاتنا الطبقية بالوسائل السلمية مش بالوسائل الدموية واللى هو بيوصلنا الى اذابة الفوارق بين الطبقات بطريقة سلمية » .

من خطابه فى المؤتمر العمالى بحلوان
٤ ـ ٤ ـ ١٩٦٨

● « ... ان صيغة الاتحاد الاشتراكى هى اكثر الصيغ الملائمة لحشد القوى الشعبية بوسيلة الديموقراطية وعلى أساسها وهى تجسيد حى وصحى لمعنى أن تكون الثورة للشعب وبالشعب ثم انها الضمان بعد ذلك لتجنب دموية الصراع الطبقى ولكفالة فتح اسرع الطرق واكثرها أمانا الى التقدم .

● « ... والاتحاد الاشتراكى كما تذكرون وفقا للميثاق هو واجهة عريضة تضم تحالف قوى الشعب العاملة كلها ثم تنظيم سياسى يقوم وسطها من الطلائع القادرة على قيادة التفاعل السياسى نحو هدف تذويب الفوارق بين الطبقات .

● « ... ولم تكن المشاكل التى عاناها الاتحاد الاشتراكى ترجع الى قصور أو عيوب فى صيغته العامة ، وانما كانت أسباب القصور والعيوب ترجع الى التطبيق ، واول هذه الاسباب هو أن عملية اقامة الاتحاد الاشتراكى لم تبن على الانتخاب الحر من القاعدة الى القمة » .

من بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨

« ان الاتحاد الاشتراكى ـ باختصار ـ هو التنظيم السياسى لقوى الشعب العاملة . تعمل بواسطته لضمان أن تبقى السلطة السياسية فى يدها باستمرار لا تخرج منها الى يد غيرها » .

من خطابه فى مجلس الامة
٢٥ ـ ٣ ـ ١٩٦٤

● « .. الثورة قاومت وجددت الطبقات صاحبة المصلحة فيها ووصلنا مع التجربة والخطأ الى تحالف قوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة الحقيقية فى الثورة والى الاتحاد الاشتراكى وربط نظرية الحرية السياسية والتجربة اللى كانت نقلت معظم وسائل الانتاج الى ملكية الشعب ووضعت معظم الانتاج تحت سيطرة الشعب ، التجربة اللى كانت جعلت الطبقات العاملة فى موضع القيادة سواء فى التنظيم الشعبى أو فى وسائل الانتاج .. » .

من خطابه فى ١٢ ـ ١١ ـ ١٩٦٤

● « .. احنا قلنا الحرية كل الحرية للشعب ولاحرية لاعداء الشعب . أعداء الشعب الرجعيين اللى تآمروا علينا . الناس اللى تآمروا على الثورة . من أول الثورة حريتهم هيه اللى مقيدة . ودول ناس ما يجوش بضعة آلاف ، باقى الشعب لا يمكن لاى انسان انه يعتقل أى واحد .

موجود مجلس الامة بالانتخاب الحر المباشر . موجودة السلطة التشريعية . موجودة سلطة الرقابة فى مجلس الامة . ستوجد المجالس الشعبية فى كل محافظة . وبعدين ح نعمل مجالس شعبية أيضا فى كل مدينة . وحنعمل مجالس شعبية أيضا فى كل قرية بحيث أن الشعب كله يشارك من القرية الى الجمهورية فى كل الاعمال » .

من خطابه فى المؤتمر الشعبى بشبين الكوم
١٠ - ٣ - ١٩٦٥

● « والمستقبل داخليا أمامنا تحويل كل السلطة الى المؤسسات الشعبية ، توسيع قاعدة تقدم اقتصادى للصناعات الثقيلة تشجيع الملكات خلاقة فى الانسان وحوافز هى الملكات . الاشتراكية ليست تجميدا لابداع الانسان وليست ادخاله فى قالب ولكن زى ما قلنا برضه فى الاول اطلاق حريته ، سيطرة الشعب ولكن ليست سيطرة البيروقراطية مهما قيل عن تمثيل الجهاز التنفيذى للشعب » .

من خطابه فى الاحتفال بعيد الثورة الثالث عشر
٢٢ - ٧ - ١٩٦٥

● « ... فى الفترة الاخيرة الاتحاد الاشتراكى فعلا اثبت وجوده فى كل مكان ، اثبت وجوده بأن التنظيمات القيادية والجماعات القيادية الموجودة والمكاتب التنفيذية اتحركت فى مجالاتها كشفت الانحراف وكشفت الاستغلال وكشفت الانحراف .

وده شىء يبشر بالامل الكبير

عايزين طبعا التوسع فى قواعد الاتحاد الاشتراكى ولا نقبل أن يفضل بيننا منحرف وأى لجنة فيها واحد ينحرف لازم تتكلم اللجنة دى وتعمل على اخراجه ما حدش يجامل الثانى ويجب فعلا ان احنا نـدى الاجيال الجديدة والشباب مسئولياتها » .

أ - من خطاب الرئيس فى مؤتمر المبعوثين يوم ٦ أغسطس ١٩٦٦

● « الصحافة حرة فى حدود الميثاق .. لكن لا يمكن اقبل صحيفة تقول عايزين مجتمع رأسمالى . هذا عمل مضاد للثورة . وهذه صحيفة الثورة المضادة » .

من خطابه فى عيد الثورة
٢٢ - ٧ - ١٩٦٦

ب - من اجابات الرئيس على أسئلة المبعوثين يوم ٧ أغسطس ١٩٦٦

● « النهارده الاتحاد الاشتراكى ماشى على أنه يخلق قيادات ثورية .. الحقيقة فى القيادات الثورية كلمة ننطقها سهل جدا ولكن وجودها عسير .. وجود القيادات الثورية عسير وعلشان توجد القيادات الثورية لازم نوجدها من نضالها داخل نطاق الجماهير » .

● « لازم نكون واقعيين ونعرف ظروف مجتمعنا ، ثم بهذا نستطيع أن نحرك الجماهير عندنا ثلاث أنواع من الجماهير النوع الايجابى والنوع السلبى والنوع اللى بين كده وكده .

ولا يمكن أن احنا نطلب من الجماهير من ٦ مليون عضو فى الاتحاد الاشتراكى انهم يكونوا بسرعة ، وبدفعة صغيرة يكونوا ثوريين مرة واحدة بين يوم وليلة كل اللى أنا طالبه أن يكون عندنا مجموعة أولا من الثوريين التى تطبق هذا ، وهذه المجموعة استطاعت فعلا مع التصرف العام فى كل الدولة أن تبلور هذه المفاهيم لكل واحد وبالممارسة يكون فيه سلوك اشتراكى ثم بعد ذلك نوجه جهودنا الى العناصر الوسط ثم العناصر السلبية » .

من اجابات الرئيس على اسئلة المبعوثين
٧ - ٨ - ١٩٦٦

● « فى المرحلة القادمة أيضا لازم نشوف عملية تقييم الثورة .. الدستور الدائم ، مجلس الامة النهارده بيعمل فى الدستور الدائم . سلطات الدولة وعلاقاتها ببعضها وعلاقات الافراد ببعضها أى علينا خلال الفترة القادمة أن نتم بناء مؤسسات الدولة الرسمية والشعبية وأن تتحدد الحدود والعلاقات . والدولة ليست ارادات فرد أو أفراد وانما هى مؤسسات رسمية وشعبية تعبر كل منها عن مصلحة عامة وعن هدف عام . واما نقول ان احنا علينا فى المرحلة القادمة أن نقنن الثورة ليس معنى هذا ان احنا بنجمد الثورة » .

● « الثورة مستمرة ودولة الثورة لابد أن تقوم على أسلم الاسس واصلب القواعد .



أسلم الأسس وأصلب القواعد هو الدستور والقوانين وتنظيم مؤسسات الدولة والعلاقة بين هذه المؤسسات » .

● « يجب أيضا أن نعمل على توسيع الحكم المحلى . ويجب أن نقيم الديمقراطية الفعلية .. وهذا يعنى المجالس الشعبية اللى تكلمنا عليها فى الميثاق » .

من خطابه فى ٢٢ ـ ٧ ـ ١٩٦٦

● « الثورة أخذت الحكم لصالح قوى الشعب العامل التى تتركز أساسا فى العامل والفلاح . وبنقول .. أيضا الجنود والمثقفين الثوريين . اما المثقفين غير الثوريين لا يمكن اعتبارهم ضمن الشعب العامل . وفى الشعب العامل الرأسمالية الوطنية .

من خطابه فى ٦ ـ ٨ ـ ١٩٦٦

● « كيف يستطيع القانون أن يعبر عن روح التطور ذاتها ، فان الشرعية ليست هى مجرد الامر الواقع والا كان معنى ذلك أن الشرعية قد أصبحت مادة جامدة لا نبض فيها على أحسن الاحوال أو استبداد من طبقة أو سلطة تتصور خطأ أنه بوسعها أن توقف الزمن نفسه .

من خطابه فى الجلسة الافتتاحية لمؤتمر المحامين العرب التاسع
٢٨ ـ ٢ ـ ١٩٦٧

عن الثـــورة المضـــــادة

● « كما دعونا للاشتراكية ، كما دعونا لتطبيق الاشتراكية بالكفاية والعدل ، دعونا الى تذويب الفوارق بين الطبقات ، بالتنمية الاقتصادية ، والتحول الاشتراكى ، ووجهنا بهجوم علينا ، من مين ؟ من المستفيدين من الاوضاع الاستغلالية القديمة فى العالم العربى ، لانهم شعروا أن هذه الدعوة الاشتراكية ، الدعوة للعدالة الاجتماعية ، هذه الدعوة تمثل خطرا على امتيازاتهم اللى حصلوا عليها على مر السنين .. فخرجوا للتصدى لهذه الدعوة .. » .

من خطابه فى عيد الوحدة
٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٦٤

● « .. انه ينبغى لنا مهما كان الثمن الا نسمح بظهور طبقة جديدة ، تظن ان الامتيازات ارث لها بعد الطبقة القديمة . وعلينا أن نقاوم مثل هذه الانحرافات ونقذفه ونثور عليه اذا اقتضى الامر ونجرده من أى سلاح يكون قد حصل عليه . فان هذا السلاح سوف تواتيه الفرصة الى طعن تحالف قوى الشعب العاملة .. قيادة العمل الوطنى الشرعية وطليعته فى الحق والواجب » .

من خطابه فى مجلس الامة
٢٥ ـ ٣ ـ ١٩٦٤

● « احنا فى نفس الوقت بنظم أنفسنا بواسطة الاتحاد الاشتراكى العربى
الاتحاد الاشتراكى العربى هو التنظيم السياسى اللى بيجمع كل المواطنين من أجل العمل على تحقيق اهداف الثورة وتحقيق اهداف الميثاق ولكن أنا بدى اقول حاجة .. ان التنظيم السياسى اللى هو الاتحاد الاشتراكى العربى مش كله عبارة عن مؤيدين للثورة ، هناك بعض افراد أو بعض ناس يمكن يعتبروا من القوى المعادية للثورة ودخلوا برضه فى الاتحاد الاشتراكى . مش واجبى أنا كشف هؤلاء الناس ، واجب الشعب ، كل الشعب بعماله وفلاحيه ومثقفيه انه يكتشف هؤلاء الناس ، احنا قلنا فى الماضى حينما اعلنا الميثاق ، قلنا ان احنا بنريد أن نعطى الحرية لكل الشعب ، ولا حرية لاعداء الشعب . اذ ادينا حرية لاعداء الشعب ، للمنحرفين .. انهم بنفذوا من خلال الاعمال الجليلة والاعمال الكبيرة اللى احنا بنعملها ، ولهذا يجب أن تكون الحرية للشعب ، ويجب الا يتهاون هذا الشعب فى حقوقه ولا يعطى أى فرصة للمنحرفين بأنهم يخرجوه عن طريقه اللى رسمه الميثاق .

بهذا نبنى الديمقراطية السليمة ، بهذا نبنى الاشتراكية ، بالاشتراكية والديمقراطية السليمة نستطيع ان نضمن اننا نسير فى الطريق السليم وفى الطريق الصحيح ة .

« . الديمقراطية السليمة والمزيد من الديمقراطية السليمة هو سبيلنا حتى نجعل هذه الديمقراطية راسخة ، النهاردة ميهمناش وزى ما بقول اذا كان فيه انحرافات لابد الشعب حيكشف هذه الانحرافات واذا كان فيه منحرفين لابد الشعب حيكشف هؤلاء المنحرفين ، وزى ما قلنا لا يمكن ان احنا نعطى الحرية

لاعداء الشعب • الشعب نفسه لن يمكن اعداءه بى حال من الاحوال من ان تكون لهم الحرية بيقضوا على مكاسبه اللى حصل عليها • الشعب نفسه بيباشر هذه الحرية وبيباشر هذه الديمقراطية لتسير فى طريقها السليم وتسيسر فى طريقها الصحيح » •

من خطابه فى الاسماعيلية
٢٤ - ١٢ - ١٩٦٤

« طبعا الرجعيين اى بقايا الراسماليين والاقطاعيين حيكون انتقادهم باستمرار للقطاع العام انتقاد بغرض الهدم وبغرض ان يؤمن الشعب ان تجارب العمل من خلال القطاع العام لا يمكن ان تنجح وان السبيل الوحيد هو القطاع الخاص •

احنا بنقول ان احنا بنترك القطاع العام للنقد البناء للنقد النزيه للنقد الشريف » •

من خطابه فى الاحتفال بعيد العمال
اول مايو ١٩٦٥

● « • • • احنا لن نقبل أى ضغط بأى حال من الاحوال وعى تقة من أن شعب يستطيع ان يحمى ثورته •• قد تحصل مؤامرات زى مثلا الكلام اللى حصل من الاخوان المسلمين خيرا اللى انكشف هذا لشهر • احنا رفعنا الاحكام لعرفية من سنة • من اكثرمن سنة • من مارس سنة ١٩٦١ • وصفينا المعتقلات • الاخوان المسلمين احنا عملنالهم قانون •شان نرجعهم شغلهم •• طلعوا كلهم من لمعتقل • كل واحد فيهم رجع شغله •• كل واحد فيهم اخد ماهيته • نيجى الشهر ده مسك مؤامرة من الاخوان لمسلمين فى مصر ونلاقيهم عاملين تنظيم سرى وعندهم سلاح ، وجايبين مفرقعات رجايا فلوس من سعيد رمضان من الخارج دليل على أن الاستعمار والرجعية بتساعد الاخوان المسلمين علشان بتشتغلوا فى الداخل • طيب هل ده نقدر نقابله باللين •• لا يمكن ابدا ان احنا نقابله باللين •• هل نعفى تانى زى ما عفينا قبل كده ؟ عفينا مرة ولن نستطيع أبدا ان نعفى بعد كده •• كل واحد مسئول عن عمله » •

من كلمة الرئيس للطلبة العرب فى موسكو
٢٩ - ٨ - ١٩٦٥

● « الديموقراطية السياسية تحققت بارساء الدستور وباقامة البرلمان ، بانهاء الاحكام العرفية ، بأننا بعد ١٢ سنة من الثورة عدنا الى ظروفنا الطبيعية • ومش معنى هذا ان ما عندناش أبدا معادين • عندنا • عندنا معادين للثورة • عندنا الرجعية •• الناس اللى اضيروا عدد منهم معادين للثورة • ولكننا نثق فى وعى الشعب نثق فى طبيعة هذا الشعب • نثق فى أن هذا الشعب الواعى يعلم المكاسب التى حصل عليها • ولا يمكن بأى حال من الاحوال لاعدائنا سواء كانوا أعداءنا الداخليين الرجعية القديمة او الاستعمار أعداءنا الخارجيين أو الرجعية فى المناطق المحيطة بنا اعداءنا الخارجيين ، أن يؤثروا علينا أبدا » •

من خطابه فى الاحتفال بعيد الثورة الثالث عشر
٢٢ / ٧ / ١٩٦٥

● « ••• أن الحملة ضد الاشتراكية فى البلاد العربية موجهة من تحالف الاقطاع والرأس المال وأيضا من الاستعمار ، لان الاستعمار فى بلدنا لم يستطع ان يتمكن لا بالتحالف مع الاقطاع ورأس المال واتخذوا من الدين ذريعة يقولوا أن الاشتراكية ضد لدين •كيف تكون الاشتراكية ضد الدين ؟ • • اذا كانت الاشتراكية هى المساواة بين الناس •• الدين ينادى بالمساواة ، اذا كانت الاشتراكية هى تكافؤ الفرص •• الدين نادى بتكافؤ الفرص •• واذا كانت الاشتراكية هى رفع مستوى المعيشة •• الدين نادى برفع مستوى المعيشة •

● « •• ومن الطبيعى ان الرجعية تدافع عن نفسها •• تدافع عما سلبته من الشعب • »

● « • • • ان الرجعية والرأسمالية حينما تريد ان تحذر المحرومين وتحذر الناس المستقلين تنادى بالاصلاح الاجتماعى وهى بهذا تعطى بعض الفئات مما تملك للناس حتى تلهيهم •• »

من حديثه الى الصحفيين العراقيين
٢٠ - ٢ - ١٩٦٦

● « ••• بعد ان اشار عبد الناصر الى مؤامرات سعيد رمضان وهو من قادة الاخوان الهاربين الى الخارج ، والى تعاون الاخوان مع قوى الرجعية العربية قال :

« طبعا الاحتكارات العالمية التى تخاف من التأميم ، واللى خايفة من السيطرة على وسائل الانتاج تساعده ••• الاستعمار يساعده •• الاقطاعيين والرأسماليين والاحتكاريين ساعدوه •

اذن المصالح مترابطة وبتتعاطف قوى مسنودة بالمال علشان تحمى الاوضاع المفتنة ••• الاوضاع الاقطاعية ••• الاوضاع الاحتكارية والاحتكارات الاجنبية •

من خطابه فى المحلة الكبرى فى عيد أول مايو ١٩٦٦



● « .. كارانجيا : اذا فأنتم لا تخافون اى هجوم مضاد استعماري أو رجعي .

ـ عبد الناصر : « مادامت الثورة مستمرة فى ايجابية واصرار ـ فليس هناك سبب للخوف من أى شيء . ولكن علينا بالطبع ان نحترس من أى انحراف فى العقيدة أو فى التطبيق ، ولاضرب مثلا .. لقد لاحظنا اخيرا بروزا رأسماليا فى قطاعات معينة ، وقد سبب لنا ذلك بعض القلق .

ـ كارانجيا : كنت أظن أن القطاع الرأسمالى قد تمت تصفيته فى الجمهورية العربية ..

ـ عبد الناصر : «لابد ان تظهر جيوب وهذه الجيوب الرأسمالية ليست فى الواقع ضخمة ولكنها كبيرة بالنسبة لاقتصادنا الاشتراكى ، وتمثل اتجاها خطرا لانها تؤدى الى الفساد والى شرور أخرى كثيرة . ولهذا لابد ان نبقى دائما على يقظة . »

من حديثه الى الصحفى الهندى . كارانجيا
٨ ـ ٥ ـ ١٩٦٦

● « . . ان الرجعية لا يمكن بأى حال من الاحوال ان تسير مع القوى التقدمية .. ولو كانت المسيرة نحو فلسطين ، لان الرجعية تنظر الى القوى الثورية العربية وتنظر الى القوى التقدمية العربية على أنها خطر عليها اكبر من خطر اسرائيل ، ولان الرجعية المتعاونة مع الاستعمار .. الرجعية المتحالفة مع الاستعمار . . الرجعية الداخلة فى مناطق نفوذ الاستعمار لا تحسب خطر اسرائيل لان الاستعمار باستمرار يحميها وينسق بينها وبين اسرائيل . والرجعية العربية تحسب خطر التقدم العربى لانها رجعية مستغلة تسلب أموال الشعب العربى ، وانها رجعية مستبدة تعتمد فى حكمها على النضال الطبقى ، ولانها رجعية متعصبة ، رجعية مسيطرة . »

من خطابه فى دمنهور
١٥ ـ ٦ ـ ١٩٦٦

● « وفى أى ثورة لازم يكون فيه أمر واضح فيه اعداء للثورة وفيه مؤيدين وحلفاء للثورة وكل ثورة حتى تريد أن تنجح لابد أن تصنف مين همه اعدائها ومين همه حلفائها ، اعدائها لن يكونوا بأى حال من الاحوال عونا لها فى سبيل تحقيق اهدافها خصوصا اذا كانت هذه الثورة ثورة اشتراكية ثورة تقضى على الاستغلال بكل انواعه » .

● « طبعا لابد لنا ان نحدد من هم اعداء الثورة ومانسيبهمش بنفضل وراهم لغاية مانقطع دابرهم مهما كان ، اذا اردنا للثورة ان تنجح لابد أن احنا نعرف ان فيه ثورة واعداء للثورة ، ماتقدرش تقول ان فيه ثورة ومالهاش اعداء . اذا حاولنا ان نوهم انفسنا ان الثورة مالهاش اعداء نبقى ناس بنوهم انفسنا » .

● « والاعداء طبعا فى بعض الحالات يلبسوا الاقنعة ويتصلوا بأصحاب الشأن ، ويتصلوا بالاجهزة البيروقراطية وتجد طبعا عندهم الفرصة انهم ، الجهاز الحكومى يمشوه معاهم . وعلى هذا الاساس ايضا لازم البيروقراطية فى الجهاز الحكومى نتابعها على أساس انها تمثل عنصر من عناصر اعداء الثورة » .

من خطابه فى جامعة الاسكندرية
٢٨ ـ ٧ ـ ١٩٦٦

● « كانت هناك بعض العناصر استغلت الوضع السياسى للقوات المسلحة . كانت هناك بعض العناصر تريد ان تتخذ من الوضع السياسى للقوات المسلحة مركز من مراكز القوة ، هناك بعض العناصر كانت تقيم من نفسها طبقة عازلة فوق القوات المسلحة . هناك ظروف سمحت لها بذلك ، ولابد أن نضع هذه الظروف فى اطارها التاريخى الدقيق ، لا ننسى أن القوات المسلحة كانت اداة تحقيق الثورة الشعبية وذلك دور ليس بالدور السهل وله نتائج من ابسط هذه النتائج احتمال ظهور مثل هذه الطبقة طبعا » .

من خطابه فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧

● « فى هذه المرحلة مرحلة التحول الاشتراكى هناك دائما مشاكل كثيرة . وفى هذه المرحلة مرحلة التحول الاشتراكى لم تعامل الطبقة القديمة التى كانت حاكمانا

بعنفة احنا النهاردة في مرحلة نضال ثورى أقسى من أى وقت مضى ـ اعداننا يعتبروا ان النكسة اللى احنا فيها ارض خصبة حاولوا يستغلوا انفعالات الطلبة ماقدروش يحولوها الى النتيجة اللى هم عاوزينها وبالنسبة للشعارات اللى اترفعت ماقدروش يضللوا . كلنا نفهم شعارات الثورة بالنسبة للديمقراطية وبالنسبة للحرية والفرق بين الديمقراطية الاشتراكية والديمقراطية الرجعية » .

● « انا بدى اقول حاجة اذا كنافى أى بلد من البلاد فى ثورة لابد أن تكون هناك ثورة مضادة .. احنا هنا فى مصر فيه ثورة بقى لها ١٥ سنة وقلنا ان فيه ثورة سلمية ، وبتحل التناقضات الموجودة فى المجتمع بالطريقة السلمية .. وانا قلت لكم مرات كثيرة ان علينا أن نكون على بينة من الثورة المضادة ، زى ما فيه ناس لها مصلحة حقيقية فى الثورة ، وزى ما فيه ناس لها مصلحة حقيقية فى النصر ، وفيه ناس لها مصلحة حقيقية فى الثورة المضادة لان الثورة المضادة تمثل أيه ؟ انها تمثل تحالف الاقطاع ورأس المال يمثل تحالف الاستعمار والرجعية » .

من خطابه فى المؤتمر العمالى بحلوان
٤ ـ ٣ ـ ١٩٦٨

● « وينبغى أن نحلل هنا ما تفعله الثورة المضادة .. ان قوى الثورة المضادة شأنها فى ذلك شأن قوى الثورة تحاول أن تتوجه الى الجماهير ، فى حين ان قوى الثورة تتوجه الى الجماهير مباشرة باحساسها بالانتماء الاصيل لها فان قوى الثورة المضادة تحاول ان تلف من حول الجماهير لكى تخدعها ولو حتى تضعف ذات هذه الجماهير الاصيلة . وسبيل الثورة المضادة الى ذلك سبيل واحد هو الوقوف امام المشاكل وتجسيم هذه المشاكل واستعمال ضيق الجماهير بها لكى يكون رقيبا احتياطيا لقواتها .. واذا لم تستطع قوى الثورة الاصيلة ان تسبق هى الى تحديد المشاكل والى حلها فانها لا تتخلى بذلك عن واجبها فحسب ، وانما هى ايضا تتخلى عن جماهيرها وتتركها لتأثيرات قوى الثورة المضادة » .

من خطابه فى مجلس الامة
٢٠ ـ ١ ـ ١٩٦٩

الموقف من البلدان الاشتراكية

● « ولقد قامت بين شعبنا انبل العلاقات ، كانت بدايتها زمالة فى طريق الكفاح من اجل حرية الانسان وكرامته على ارضه ، بالقضاء على الاستعمار والاستغلال ، ويزداد هذا الارتباط وثوقا بالعمل من اجل سلامة البشرية وامنها ، وتضاعف الارتباط بالعمل من اجل رفاهية الانسان والتعاون على حل مشاكل الحياة » .

● « ان الصداقة التى تربط بين شعوبنا لم تكن صداقة المصادفة ، ولا صداقة الطريق السهل ان القوى الاستعمارية ارادت دائما ان تخضع الحواجز على طريقنا والعراقيل . وحينما ملكت شعوبنا ارادتها فانها سعت الى اللقاء مع شعوبكم ، متخطية كل هذه الحواجز والعراقيل . ثم أكدت التجارب ، واحدة بعد واحدة ، ان هناك مجالات واسعة رائعة تنتظر هذه الصداقة خدمة لشعوبنا وخدمة للانسانية وهى :

اولا .. الوقوف الى جانب شعب مصر من تصميمه على كسر احتكار السلاح ..

ثانيا .. الوقوف الى جانب شعب مصر فى تصديه للغزاة المستعمرين الذين ارادوا اقتحام اجوائه وشواطئه وينتزع منه قناته التى بناها بدمه واراد استردادها بحقه

ثالثا : الوقوف الى جانب شعب مصر فى مقاومته للحصار الاقتصادى ، وللحرب النفسية التى بلغت مداها فى المنطقة بتشديد ضغط حلف بغداد على سوريا عام ١٩٥٧ .

رابعا : الوقوف الى جانب شعب مصر فى جهده البطولى ببناء وطنه اقتصاديا ، ومعاونته فى اقامة صناعته ، ثم معاونته فى بناء السد



العالمى العظيم الذى أصبح رمزا للبناء، ورمزا للصداقة.

من خطابه فى حفل تكريم خروشوف
٩ ـ ٥ ـ ١٩٦٤

● « ان الصداقة العربية السوفيتية تجاوزت بكثير كل الاعتبارات المؤقتة .. اى ان صداقتنا بهم الان لا يمكن ان يكون مصدرها السلاح الذى نشتريه ، أو أنهم مصدر العون السياسى ضد الاستعمار ، والعون الاقتصادى ضد حصاره أوضد التخلف الذى فرض علينا .. »

« ان الصداقة تجاوزت هذه الاعتبارات .. ان الصداقة العربية السوفيتية حتى فى حد ذاتها الان هدف يسعى اليه .. وغاية تبذل من أجلها الجهود .. هذا الان .. بصرف النظر عن السلاح ، وعن العون السياسى والاقتصادى .. نحن واياهم بعد ذلك كله وقبله شركاء فى بناء عالم السلام المقبل .. حيث لا استغلال ولا تخلف . »

من خطابه فى ٢٤ ـ ٥ ـ ١٩٦٤

● « .. بالنسبة للاتحاد السوفيتى أيضا ، قبل عام ١٩٥٥ ماكانش فيه علاقات بيننا وبين الاتحاد السوفيتى . كانت العلاقات تقريبا واهية . بعد سنة ١٩٥٥ بدأت هذه العلاقات مبنية على الاحترام المتبادل ، وأخذنا الاسلحة سنة ٥٥ وكسرنا احتكار السلاح ، وقوى التعاون بيننا وبين الاتحاد السوفيتى . وفى سنة ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ عاوننا الاتحاد السوفيتى فى الوقت اللى ما كانش عندنا قمح ، ومنع عنا القمح سنة ٥٦ ، وبعد أن حاول الاستعمار ، بالوسائل وبالتجويع أن يحقق الهدف اللى كان مطلوب تحقيقه سنة ١٩٥٦ بالسلاح . وساعدنا الاتحاد السوفيتى . واحنا كنا باستمرار بنشيد بهذه المساعدة ، ولكن طبعا الاتحاد السوفيتى دولة شيوعية واحنا دولة غير شيوعية . ده له أثر ؟ ليس له أثر . وانما دا بينفذ مبادىء التعامل بين الدول ذات المذاهب الاجتماعية والسياسية المختلفة . لم تطلب منا روسيا احنا نبقى شيوعيين واحنا ما طلبناش من روسيا انهم يغيروا الشيوعية ويبقوا زينا ويمشوا بالسياسة اللى احنا ماشيين بيها . أبدا ، أبدا ، ولم يتدخلوا فى أمورنا واحنا لم نتدخل فى أمورهم . وفى سنة ٥٨ ، وفى سنة ٥٩ حصل اختلاف مع الاتحاد السوفيتى فى وقت عبد الكريم قاسم فى العراق . وبتعرفوا هذا الخلاف ، وهاجمونا وهاجمناهم وبعدين اصطلحنا سنة ١٩٦٠ ورجعت العلاقات طبيعية ثم قويت الى مدى كبير . »

من خطابه امام مجلس الامة
٢٢ ـ ١١ ـ ١٩٦٤

● « .... والحقيقة أنا أحمل الاتحاد السوفيتى كل تقدير على أساس اننا حينما اختلفنا فى سنة ١٩٥٩ ، وصل الخلاف بيننا الى حد الازمة ، الازمة العنيفة ، وكلنا نذكر خلافنا سنة ١٩٥٩ . لم نسمع كلمة تهديد أو تلميح : ان هذا الخلاف لم يؤثر على اتفاقية السد العالى ، أو يؤثر على اتفاقية التصنيع . لم تنشر فى صحيفة ولا جريدة ولا فى مجلة . ولم يصدر تصريح من مسئول ، ولم يشر اى شخص من الاتحاد السوفيتى الى أى شىء يفهم منه ان احنا متفقين معاكم هذه الاتفاقيات ، السد العالى ، ازاى تختلفوا معانا ؟ ازاى تتخانقوا معانا ؟! .. هذا عمل يحمل لهم كل تقدير . طبعا ده يختلف اختلاف كلى عن الكلام اللى بنسمعه النهاردة . الكلام اللى بنسمعه النهاردة مثلا من ألمانيا ، ألمانيا اللى بيقولوا انهم حيقطعوا المساعدات ؛ حيوقف المساعدات ، وبيعة دوا ان هذا الكلام يؤثر فينا .. »

من خطابه فى أسوان
١٨ ـ ٢ ـ ١٩٦٥

● « ... ان الصداقة العربية السوفيتية هدف بلغناه ضد عراقيل صعبة وضعت فى طريقنا .. وعبر تجارب مريرة خضناها من خلال اعتبارات متعددة .

ان هذا كله هو ما يكسب الصداقة العربية السوفيتية أصالتها ويجعل منها فى حد ذاتها ويصرف النظر عن اية مصالح مشتركة هدفا يستحق الحرص عليه والتمسك به . وذلك يتحقق بالفهم المشترك وتعميقه دائما بتبادل وجهات النظر وبالحوار والمناقشة البناءة .

من خطابه فى حفل الصداقة العربية السوفيتية
٣١ ـ ٨ ـ ١٩٦٥

● « ان العلاقات بين شعبى الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى علاقات طيبة .. تتميز بالتفاهم

المتبادل الكامل .. وهذه العلاقات الودية لها جذورها العميقة التى ظلت تتدعم عاما بعد عام والتعاون بيننا يجرى على مستوى واسع وفى مجالات متعددة ..

« .. يراى السد العالى نقطة رئيسية فى تعاون الدولتين ، ان "سد العالى لا يعنى قهر الجبال والصخور فحسب ، وانما السد العالى أيضا بداية مرحلة جديدة كاملة من تاريخ مصر ..

« .. كان مشروع السد العالى فى بدايته هو السبب فى العدوان علينا — ووقف الاتحاد السوفيتى الى جانبنا فى معركتنا فى معركتنا مع المعتدين » .

من حديثه الى الازفستيا
٧ - ٢ - ١٩٦٦

● « .. وفى الحقيقة أيها الصديق ، فان الصداقة العربية السوفيتية مرت بطريق طويل وفسيح بل ان تبلغ ما بلغته الان . وحين نلتفت الى الماضى فاننا نرى اعلاما بارزة على الطريق تشكل نقط الارتكاز التى عبرت عليها علاقاتنا الوثيقة واستندت لها .

« ورفض الشعب المصرى العتيد بادىء الامر أن يقبل بفتح ارضه لتكون قاعدة لحصار الاتحاد السوفيتى وتهديده .. وقف هذا الشعب صامدا ضد مخططات الأحلاف التى تريد فرض سيطرتها عليه والخاصة فى صراعاتها الطامعة تأييد الشعب السوفيتى وحكمته لنا فى كسر احتكار السلاح .. المساندة الادبية والعملية لنضاله فى ذروته الرائعة بمعركة السويس .. التعاون الاقتصادى فى التصنيع وفى بناء السد العالى .. الجهود المشتركة فى العمل من اجل السلام وفى مساندة حركة التحرير الوطنى . هذه كلها وغيرها اعلام بارزة وصلت بالصداقة العربية السوفيتية الى موضع الثقة الكامله الذى يجعل منها نموذجا ممتازا من علاقات دولية جديدة تقوم على الفهم المشترك والاحترام المتبادل » .

من خطابه فى حفل تكريم كوسيجين
١٠ - ٥ - ١٩٦٦

● « .. باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة ارحب بك فى الاسكندرية .. ان شعب الجمهورية العربية المتحدة ليحافظ ويعتز بالصداقة العربية السوفيتية . ففى وقت التحكم الاستعمارى فى مصر ، منع الاستعمار كل علاقة بيننا وبين الاتحاد السوفيتى . فلما قامت الثورة الوطنية وتخلصت من الاستعمار ، ومددنا يدنا الى الاتحاد السوفيتى وجدنا اليد الصديقة المخلصة للاتحاد السوفيتى .

« وانا اقول : ان العلاقة بين بلدينا كانت دائما علاقة مبنية على الصداقة والاحترام المتبادل .

« وفى كل الازمات التى قابلتنا كان موقف الاتحاد السوفيتى يدعو الى الاعجاب ، الامر الذى لن ينساه ابدا شعب الجمهورية العربية المتحدة . واننا سنعمل دائما على تدعيم وتقوية هذه الصداقة بين الشعبين » .

من خطابه بالاسكندرية
فى حفل تكريم كوسيجين
١٣ - ٥ - ١٩٦٦

● « .. ولست ادعى ان افكارنا ومواقفنا كانت متطابقة دائما فى كل الظروف، ولكن ادعى باننا فى كل الظروف التقينا دائما فى اطار احترام كل طرف للاخر وتقديره لخبرته وتفتحه لتفهم وجهات نظره ومن ذلك كله فاننا استطعنا ان نقيم أمثل القواعد بتعاون مستمر وقادر على خدمة الاهداف العظيمة للتحرر والسلام .

« أيها الاخوة : ان أولى الصداقات هى تلك القائمة على المعرفة العميقة .

« ان الصداقة ليست مجرد الفاظ يتبادلها الاصدقاء حين يجتمعون دائما .. الصداقة : أن يعمل كل صديق الى حيث يعرف فكر صديقه حتى وان لم يجرى بينهما حديث .. يشعر كل صديق اين هو من صديقه واين صديقه منه ، يعرّف سلفا الى اى حد يستطيع صديقه أن يمضى معه وما هو الحد الذى لا يستطيع بعده ان يتقدم .. تلك صداقة المبادىء لا غموض فيها ولا مفاجآت غير متوقعة .. صداقة تقوم على الثقة وتصبح بذاتها ذلك أساسا للثقة » .

من خطابه فى مجلس الامة
بمناسبة تقديمه كوسيجين
١٧ - ٥ - ١٩٦٦

● « إننى أحب ان اقول لكم اليوم أن الاتحاد السوفيتى دولة صديقة لنا يقف معنا موقف الصديق .. وفى علاقاتنا مع الاتحاد السوفيتى وانا اتعامل معهم منذ عام ١٩٥٥ لم يطالبنا الاتحاد بأى طلب ، لم اتلق منهم طلبا واحدا ، لم يتدخلوا فى أمورنا



ولم يتدخلوا فى مذهبنا ، لم يحاولوا بأى حال من الاحوال التدخل فى أمورنا الداخلية »

من خطابه فى مجلس الامة
٢٩ ـ ٥ ـ ١٩٦٧

● « احنا قدرنا نحصل على اسلحة حصلنا على اسلحة بدل اللى خسرناها من الاتحاد السوفيتى .. والاتحاد السوفيتى عمل كل ما يمكن عشان يستجيب الى طلبنا فى التسليح المطلوب لقواتنا .. الاصدقاء فى الاتحاد السوفيتى وقفوا معانا فى جانبنا وقت الشدة ولولا هذا ما كناش قدرنا نعوض الاسلحة اللى فقدناها مكناش نقدر نقعد النهاردة فى هذه القاعدة ونشعر بالاطمئنان . اذن صداقة الأصدقاء ادت دورها » .

من خطابه فى احد معسكرات المدرعات
٢٠ ـ ٤ ـ ١٩٦٨

● «أن الاتحاد السوفيتى وفى جميع تعهداته فيما اتفقنا عليه سواء فى المجالات العسكرية أو السياسية او الاقتصادية ، وأنه بدون مساندته لنا فان موقفنا كان يمكن ان يصبح بالغ الصعوبة ، وانه لا يمكن لوطنى عربى أن ينظر الى الامور نظرة عادلة الا ويشعر بعميق التقدير للاتحاد السوفيتى . ولكل ما قدمه لنا خصوصا فى المجال العسكرى ، الذى نعلم جميعا انه سيكون المجال الذى يتحتم علينا أن نحقق اهدافنا فيه اذا تعذر علينا ذلك فى غيره من المجالات ، ذلك ان هدف نضالنا الان .. سياسيا وعسكريا .. هو ازالة آثار العدوان ، وفى هذا الهدف الذى نلتقى عليه جميعا فان الاتحاد السوفيتى لم يقصر على الاطلاق .

والحقيقة فان الاتحاد السوفيتى هو الدولة الكبرى الوحيدة التى تقدر على مساعدتنا فى تحقيق هدفنا ، والدولة الكبرى الوحيدة التى رضيت بمساعدتنا فى ذلك ، وبغير ذلك فلقد كان فى مقدور العدو واصدقائه ان يفرضوا علينا ما يشاءون من الشروط .

من خطابه أمام الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى
٢٤ ـ ٣ ـ ١٩٧٠

● « استطيع ان أقول ان هذا الشعب المصرى شديد الوفاء لكل ما تلقاه من المساعدات السوفيتية كانت ايها الاخوة كلها مساعدات بلا قيد ولا شرط ، مساعدات من اجل المبادىء والحرية . اننا لا نستطيع ان نتصور ولا يستطيع أى مؤمن باهداف الحرية ان يتصور كيف يكون موقفنا لو لم تكن مساعدات الاتحاد السوفيتى لنا ازاء كل ما اعطته الولايات المتحدة لاسرائيل من أدوات الحرب والقتل والتدمير . الولايات المتحدة اعطت اسرائيل قبل ٥ يونيو .. يوم ٥ يونيو فوجئنا ـ رغم تعهدات الولايات المتحدة ـ بالعدوان وسكتت الولايات المتحدة واستطاعت اسرائيل ان تدمر كل قواتنا المسلحة وخرجت تقريبا بالجزء الاكبر من قواتها المسلحة سليم .

« وبدأنا نبنى القوات المسلحة وكان عندنا قوة قليلة جدا فى يوم ٩ يونيو ، استطيع الان أن أقول تسلمت فى يوم ١٢ رسالة من بريجينيف وكوسيجين وبودجورنى ، انهم يتعهدوا بتأييد الشعب العربى ويتعهدوا باعادة تسليح القوات المسلحة كما كانت بلا مقابل .. انهم يطلبوا مننا ان احنا نصمد فى مواجهة هذه المحنة حتى نستطيع ان نبنى القوات المسلحة بدون ده وبدون السلاح الروسى اللى جالنا بعد هزيمة ٥ يونيو كان موشى ديان يمكن قاعد هنا فى القاهرة او كانت جولدا مائير تيجى تقعد فى القاهرة . انا عارف ان الشعب المصرى كان حيحارب ولو بالنبابيت وانا قلت كده فى يوليو سنة ١٩٦٧ »

● « اننا لا نقول ان شعبنا وحده هو الذى يقدر بالوفاء موقف الاتحاد السوفيتى ولكننا نثق ان الامة العربية كلها تقدر هذا الموقف . نثق ان كل الشعوب المكافحة من اجل الحرية تقدر هذا الموقف .. تقدر حجمه وتقدر قدرته وتقدر نزاهته وتقدر أمانته . تقدره فى مجاله السياسى والعسكرى والاقتصادى وتقدره الى جانب ذلك صحبته لها .. قيمتها فى طريق محفوف بالاخطار .. تقدره كجهد من أجل السلام . ذلك ان الاتحاد السوفيتى لا يساعدنا لكى نعتدى او لكى نتوسع .. وانما يساعدنا لكى نحرر أراضينا ولكى نصون استقلالنا » .

من خطابه فى شبرا الخيمة فى عيد أول مايو ١٩٧٠

● « حينما نتكلم عن الاصدقاء يجب ان نذكر ايضا الدول الاشتراكية التى وقفت الى جانبنا بعد سنة ١٩٦٧ ، هذه الدول وقفت فى جانبنا سياسيا واقتصاديا وقفت فى جانبنا فى المحافل الدولية ،

وقفت فى جانبنا فى كل موقف من مواقفها الدولية ، واعلنت جميعها قطع علاقاتها مع اسرائيل ، على اساس ان اسرائيل معتدية ولا تريد الانسحاب من الاراضى المحتلة . وكنا دائما نشعر بالشكر للدول الاشتراكية على هذه المواقف النبيلة التى وقفتها تجاه النضال العادل للامة العربية فى سبيل استرداد اراضيها وفى سبيل القضاء على العدوان الذى وقع فى سنة ١٩٦٧ .

من خطابه فى المؤتمر القومى الرابع
٢٣ - ٧ - ١٩٧٠

الموقف من الدول الامبريالية

● واحنا والانجليز فى البلاد العربية . أنا أعلنها مرة ثانية ان رسالتنا الاولى أن احنا نطرد الانجليز من كل جزء من البلاد العربية ، نطرد الانجليز ونصفى القواعد الانجليزية ، لان الانجليز عملوا معانا ما لا يعمل ، عملوا معانا كل شىء من اجل تفتيت قوانا ومن أجل اقامة حدود مصطنعة . ومن أجل اقامة دولة اسرائيل ، بدل دولة فلسطين ، ولان الانجليز بيقولوا النهاردة أنهم سيدافعون عن اسرائيل ولان الانجليز النهاردة بياخدوا فلوسنا ويدوا بها مساعدات لاسرائيل . الانجليز بياخدوا ٥٠٠ مليون جنيه من العالم العربى ويدوا مساعدات لاسرائيل علشان اسرائيل تشترى بها سلاح ، وتشترى بها صواريخ من امريكا ، علشان تستخدمها ضد العالم العربى ، فلوس العالم العربى هى اللى بتسلح بها اسرائيل .. النهاردة الانجليز بياخذوا ٥٠٠ مليون جنيه ، الامريكان بياخدوا ٩٠٠مليون جنيه من بترول العالم العربى . اسرائيل بتشترى الصواريخ من أمريكا . وتاخد مساعدات من امريكا ، اسرائيل بتاخد مساعدات من بريطانيا ، اسرائيل بتشترى اسلحة من بريطانيا . اذن فلوسنا احنا هى اللى بتسلح اسرائيل .... لهذا سنكافح كفاحا لا ينتهى من تخلص الامة العربية كلها من الاستعمار البريطانى ، من الاحتلال البريطانى ، من النفوذ البريطانى ، من القواعد العسكرية البريطانية ... »

من خطابه فى اول مايو ١٩٦٤

● « ان أسلوب المساومات لا يحقق الاهداف . ولن يتحقق هدف أبدا بأسلوب المساومات . ليست الحرية بيعا وشراء . واذا كنا حنعامل المانيا الغربية بأسلوب المساومات ونساومها علشان تدينا ماركات أو دولارات . هل نستطيع أن نحافظ على قوميتنا فى العالم .

أنا على ثقة أن المانيا الغربية تستطيع أن تقول لنا الدولة اللى تسكت فى هذه الازمة واللى تخرج على الاجماع العربى نديها ١٠ مليون دولار أو ٢٠ مليون دولار أو ٣٠ مليون دولار . ولكن حناخد العشرة مليون دولار نظير ايه؟ نظير شرفنا نظير مبادئنا نظير هيبتنا نظير كرامتنا .

اننا لن نساوم فى قضايا العرب . لن نساوم فى قضية فلسطين . اننا لن نساوم أبدا لان المساومات لم ترض عنه الامة العربية ولن ترضى عنه أبدا » .

مؤتمر الاتحاد الاشتراكى بالمنصورة
١٢ - ٣ - ١٩٦٥

● « ما هى علاقة الاستعمار باسرائيل؟ العدو الاصلى - العدو الاصلى والذى كان عدوانه المستمر كل يوم هو السبب الداعى الى صيغة وحدة العمل منأجل فلسطين ، ومؤتمرات القمة . صلة الاستعمار باسرائيل لا تحتاج الى اجتهاد أو استنتاج ، امريكا وانجلترا أقاموا اسرائيل وحموا اسرائيل ... وجود اسرائيل من امريكا وبريطانيا والدول الغربية الخاضعة للنفوذ الامريكى .. لكى تكون اسرائيل قاعدة للاستعمار الامريكى ، فىقلب الوطن العربى وحاجز يمنع تحقيق الوحدة فى العالم العربى » .

● .. أنا قلت لكم قبل كده ازاى الامريكان هددونا من أكثر من سنتين ، وطلبوا مننا ان احنا نمتنع عن أى نشاط وندى الامريكان حق التفتيش عندنا فى مصر علشان يتأكدوا ان معندناش أى نشاط ذرى .



وبعدين طلبوا مننا أن احنا نوقف انتاج الصواريخ وندى الامريكان حق التفتيش ، وبعدين نوقف أى زيادة فى الجيش المصرى .. واحنا رفضنا هذا الكلام . وابتدوا يقولوا لنا من يومها ما احنا دلوقت بنديكم قمح وبنوفر لكم عملة .. بدأوا يعنى يهددوا بمنع القمح . »

من خطابه فى ٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٦٧

● « فى سنة١٩٥٢ راح على صبرى الى واشنطن واتفاوض على أساس أنهم يدونا سلاح ، ووافقوا يدونا سلاح ، ولكن اشترطوا انهم يدونا بعثة أمريكية علشان تدربنا على استخدام السلاح ، واحنا كنا يا دوبك عايزين نخلص من الانجليز ، عندنا عقد من البعثات الانجليزية ، قلنا لا يمكن نقبل بعثة أمريكية » .

من خطابه فى ٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٦٧

● « امريكا انحازت كلية الى جانب اسرائيل ، وقررت ان تسلح اسرائيل بالطيارات والدبابات والصواريخ وكل المعدات . ان الاستعمار هو الذى اقام اسرائيل والاستعمار هو الذى حمى اسرائيل ، وايضا يقوى اسرائيل بحيث أنه يعمل بهدف خلق توازن بين اسرائيل والدول العربية » .

من خطابه فى ٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٦٧

● « احنا فى سنة ١٩٥٥ طلبنا أن احنا نشترى من امريكا شوية دبابات وشوية طيارات والدفع فورى .. كاش . لا بتقسيط ولا بحاجة .. وفى سنة ١٩٥٥ كان الجو باستمرار متأزم على الحدود ، ولكن رفضوا .

احنا قبل ما نطلب الاسلحة من الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٥٥ طلبنا من الامريكان واترجيناهم وعملنا كل الوسائل انهم يبيعوا لنا طيارات ودبابات ، ولكن رفضوا رفضا باتا انهم يبيعوا لنا طيارة ولا دبابة » .

من خطابه فى ٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٦٧

● « منذ اليوم الاول للثورة كانت هناك محاولات فرض أحلاف عسكرية غربية .. قبل الثورة كان هناك حلف الدفاع عن الشرق الاوسط ، ثم جاء حلف بغداد ، وكان هدفه كما اتضح هو اخضاع كل البلاد العربية فى الشرق الاوسط للسيطرة الغربية .. وبعد فشل حلف بغداد استمرت نفس السياسة بواسطة المملكة المتحدة والولايات المتحدة الامريكية .

.. وكان هناك إعلان عن حلف اسلامي يدعو الى بقية الدول الاسلامية لتنضم اليه ، واعلنا وجهة نظرنا ضد الحلف » ؟

من حديث مع روبرت ستيفن
المندوب الدبلوماسى
لجريدة الاوبزرفر البريطانية
الاهرام ٦ ـ ٢ ـ ١٩٦٧

● « اشير الى الاوضاع الظالمة فى التجارة الدولية التى تخلق ـ بالتقدم التكنولوجى ـ تناقضا خطيرا يهدد مجتمع الامم بانقسام وصراع خطير حاد بين الاغنياء والفقراء ، خصوصا اذا كان البعض يتصورون أن فى استطاعتهم بناء رخائهم على حساب الاخرين .. واقامة الرفاهية فى أوطانهم بثمن تحويل اوطانهم الى مجرد مخازن للمواد الخام اللازمة أدخرت منذ بدء الخليقة لجرد تشغيل مصانعهم الحديثة » .

فى اجتماع القمة الافريقى
٥ ـ ٤ ـ ١٩٦٧

● « النهاردة لازم كل عربى يعرف مين هو العدو ومين هو الصديق اذا ماكناش حنعرف أعداءنا وحانعرف اصدقاءنا ونعامل اعداءنا على انهم اعداء ونعامل اصدقائنا على أنهم اصدقاء تستطيع اسرائيل ان تستفيد دائما من هذا التصرف » .

من حديث مع وفد مؤتمر العمال العرب
٢٦ ـ ٥ ـ ١٩٦٧

● « اذا امريكا تدخلت ده موضوع آخر ، علينا ان ندافع عن نفسنا . ولن تستطيع اى دولة مهما كبرت ان تهزم اى شعب من الشعوب يصمم على أن يدافع عن نفسه وعن حقه فى الحياة وعن سيادة بلده » .

من تصريحاته فى المؤتمر المفتوح للصحافة العالمية
٢٨ ـ ٥ ـ ١٩٦٧

● « لا نريد ولا نقدر أن نحارب امريكا ولكن ذلك لا يمكن ان ينزع منا تصميمنا على الحرية ، ولا يمكن ان ينزع ارادة الثورة فينا ، ولا يمكن ان ينزع أملنا فى مستقبل نبنيه وفق مشيئتنا ، ومصالح شعبنا ، مهما كانت الظروف ومهما كانت الضغوط ومهما بلغت امريكا فى طغيانها ضد حركة التحرر الوطنى والثورة الوطنية » .

من خطابه فى العيد الخامس عشر للثورة
٢٣ ـ ٧ ـ ١٩٦٧

● « ... من ٣ سنوات جه ليه وكيل وزارة الخارجية الامريكية ومعاه رسالة من الرئيس جونسون وطلب منى عدة طلبات كانت هذه الطلبات ان احنا نوقف الابحاث الذرية ، ونوقف التوسع فى القوات المسلحة ونوقف الابحاث العسكرية وندى أمريكا حق التفتيش فى بلدنا حتى تتأكد من ان هذه الطلبات منفذة ، وايضا نوقف العمل خارج حدودنا ، المقصود بهذا العمل من أجل القومية العربية ومن اجل الحرية العربية ولما رفضت هذا الكلام ، كان الرد ان امريكا قررت انها تسلح اسرائيل .. الكلام ده حصل من ٣ سنوات ثم قيل لى ايضا بواسطة وزير الخارجية عن الرئيس الامريكى اننا اذا شهرنا بأمريكا فان امريكا ستعطى اسرائيل مزيدا من السلاح » .

من حديث عبد الناصر الى اعضاء وفود مؤتمر الصحفيين العرب فى القاهرة
٢٦ ـ ٢ ـ ١٩٦٨

● « س : ما هى فى تقديرك العناصر الاساسية التى يجب أن تتوفر فى سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الاوسط .

ج : لابد للولايات المتحدة باعتبارها دولة كبرى ان تكون عادلة : بمعنى الا تنحاز لجانب من الجوانب لقد فقدنا سلاحنا الجوى فى شهر يونيو ومن حقنا ان نعيد بناءه ونعيد ميزان القوى ـ وكان لدى الاسرائيليين ولا يزال لديهم التفوق الجوى ومع ذلك فانكم فى امريكا مستعدون لاعطائهم طائرات من طراز سكاى هوك وربما من طراز فانتوم اكثر مما كان لديهم من قبل . ولابد لكى يكون لكم تاثيركم هنا الا تنحازوا الى جانب او آخر . »

من تصريحه لرئيس تحرير لوك الامريكية
٤ ـ ٣ ـ ١٩٦٨

● « ... ان السلاح فى العالم وعندما يكون توريده عن طريق دول وليس عن طريق عمليات التهريب ليس تجارة وانما هو امر يرتبط ارتباطا وثيقا بسياسات الدول الموردة للسلاح ، فلا يعقل أن تعطى دولة لدولة أخرى سلاحا يتعارض مع سياستها ومعنى ذلك بكل صراحة ان دول الاستعمار لم تعط سلاحا لدول





تجاهر بالعداء ضد الاستعمار وتقف تحديا له، وحتى لوكان لدى هذه الدول المال السائل والنقد الصعب لتشترى به السلاح فانها لن تحصل عليه الا بموقف الخضوع للاستعمار أو أمثل من الاستعمار في الوصول بها الى موقف الخضوع ونحن جربنا ذلك مع بريطانيا سنة ١٩٥٣ ومع الولايات المتحدة الامريكية سنة ١٩٥٤ ، واريد أن أقول بوضوح أنه لو افترضنا ان لدينا النقد الصعب ، النقد الاجنبي لشراء السلاح ، لو كان هذا ممكن تدبيره ، واقول أيضا أنه من الممكن تدبيره لو كان عندنا هذا النقد وذهبنا الى واشنطن أو الى لندن في طلب شرائه فاننا لن نحصل على شيء منه والشواهد امام عيوننا قاطعة » .

في افتتاح الدورة الثانية للمؤتمر القومي العام

٢٧ - ٣ - ١٩٦٩

● « .. اصدقاؤنا هم الذين يرون الحق في موقفنا ويساعدون الحق حين يساعدون موقفنا ، واعداؤنا هم الذين تتفق مواقفهم لاتفاق مصالحهم مع عدونا الذى نحاربه ويحاربنا .. ولا يمكن ان تستوى الحسنة ولا السيئة .. ولا يمكن ان يتساوى الصديق مع العدو . ان الذين يقفون معنا دوليا ويساعدون حقنا بما يقدمون الينا من السلاح ويمنحوننا تأييدهم .. هؤلاء هم اصدقاؤنا والذين يقفون مع العدو دوليا ضد كل مبادئ مجتمع الدول والذين يعطونه السلاح ليقاتلنا بل ليقتلنا اذا استطاع هؤلاء هم اعداؤنا بطريقة أجلى وأوضح . »

من خطابه في مجلس الامة

٦ - ١١ - ١٩٦٩

● « .. أن الولايات المتحدة الامريكية وسياستها ، تتحمل المسئولية الكبرى فيما يجرى الان على ارض الشرق الاوسط ، وما سوف يجرى فيه مستقبلا .. ان الولايات المتحدة الامريكية هى التى تغطى للعنف الارهابى أدواته التى يمارس بها دوره المجرم وهى التى تسنده سياسيا ودعائيا ، وبينما تتظاهر حكومة الولايات المتحدة الامريكية كذبا

وتضليلا انها تسعى من أجل السلام ٠»

امام مؤتمر البرلمانيين الدولى
٢ ـ ٢ ـ ١٩٧٠

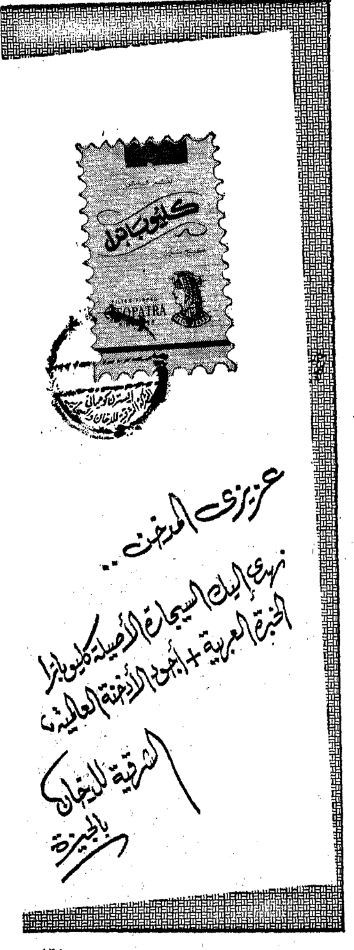
● « ٠٠ يسعى الامريكيون الى قلب النظام المصرى منذ سنة ١٩٦٥ وهدفهم الاستراتيجى هو العمل على اسقاط جميع الحكومات التقدمية العربية ، وخصوصا منذ الثورات التى تفجرت فى العام الماضى فى السودان ، وليبيا ويستخدمون اسرائيل كأداة لتنفيذ سياستهم ٠ اما عن الانجليز فقد جعلوا من انفسهم ذيلا لامريكا ٠ »

من حديثه مع مراسل لوموند الفرنسية
١٨ ـ ٢ ـ ١٩٧٠

● ٠ «كان واضحا منذ البداية ان أمريكا لا يمكن ان تعطينا حلا سلميا لان الحل السلمى معناه الانسحاب الكامل لاسرائيل من الارض المحتلة سواء فى مصر او فى الاردن أو سوريا ثم حل موضوع اللاجئين وحقوق شعب فلسطين ، وكان هذا يعنى حصولنا على انتصار سياسى يؤثر على المنطقة كلها ٠

● « ٠٠ كذلك كان من الواضح ان هناك نوعا من الارتباط بين امريكا واسرائيل فى هذا الخصوص ، اذ بين وزير خارجية اسرائيل بعد ذلك فى أحد احاديثه لاحدى الصحف الامريكية انه عندما كان فى امريكا قبل العدوان وعده الامريكيون بأنه اذا استطاع ان يحتل الاراضى العربية فامريكا تضمن له ان يصدر فقط قرارا بايقاف القتال والا يصدر قرار بالانسحاب ٠ »

من خطابه امام الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى
٢٤ ـ ٣ ـ ١٩٧٠





مطابع الأهرام التجارية

الثمن ١٠ قروش



طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

١٢

ديسمبر ١٩٧٠
السنة السادسة

حوار بين الرئيس نميرى والطليعة

- وحدة قوى الثورة العربية : مهمة لا تحتمل التأخير
- مشاكل العلاج فى البلدان النامية

الاشتراكية .. والعلوم الإنسانية




...يق المناضلين الى
...كر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبدالله
د. ... العطيفى
...دى سعيد
... الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد أحمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتير التحرير :

عبد المنعم القصاص

عنوان المراسلات :

« الطليعة »
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء
القاهرة تليفون : ٤٦٢٦٤ — ٥٩٠١٠
— ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

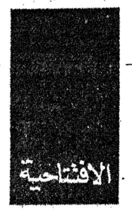
لسنة بالبريد العادى ج.ع.م. دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الفهرس

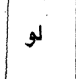
العدد الثانى عشر — السنة السادسة — ديسمبر ١٩٧٠

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعـــة)) صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذىاطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر((قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفعحياتى ثمنا لحقك فىالدفاع عن رايك)) ؟.



وحـــدة القـــوى الثـــورية
مهمـــة عـــاجلة لاتحتمـــل التـــأخير



حاولنا أن نبحث عن شــــعار ، أو عبارة موجــزة تكون مؤشرا على مهام المرحلة التى بدأت بعدوفاة جمال عبد النــاصر وبعــد احــداث الاردن ، وتكــون فىــ الوقت نفســه ــ مؤشرا على حجم وحقيقة الاخطار التى تتربص بحركة الثورة العــربية ، لامكن أن يكــون هــذا الشـــعار :((**أقصى درجات اليقظــة وأقصى درجات الحذر**)) .

ذلك أن الهدوء المؤقت على جبهــات القتال ، لا يعنى بحال أن عوامل الانفجار قد استبعدت نهائيا ، أو أن أمريكا واسرائيل قدنبذتا وسائل العدوان واساليب البلطجية. وذلك على الرغم مما يعلنه ساسة الولايات المتحدة من أن شعارهم الحالى لحل أزمة الشرق الاوسط هو « **الدبلوماسية الهــادئة والعاقلة** » . وعلى الرغم من أن زعـــيم المؤسسة العسكرية الاسرائيلية **موشى ديان** قد هبط عليه « الوحى » بعد اعتكاف دام اسبوعا ، واعلن عن اقتناعة بمهمة **يارنج** .

ان الهدوء الظاهرى على السطح ينبغى الا يخدعنا ولو للحظة واحدة عن الحقيقة التى تفرض نفسها فى الوطن العــربى ، حقيقة أن **اشتباكا شديد الضراوة يجرى على الارض العربية بين قوى الثورة العربية** وبين اعدائها الامبرياليين والصهيونيين وهــذا الاشتباك لا يكف عن التفاقم والتصعيد على جميع الجبهات العسكرية والسياســـية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

واخطر ما فى هذا الاشتباك المتزايد العنف أن الامبرياليين واعوانهم الصهيونيين يرون بوضوح أن حرب يونيو لم تخفق فى تحقيق اهدافهم الرئيسيــة ، فحســب ، ولكنها ــ على العكس من توقعاتهم ــ اطلقت قوى الجماهير العربية العريضة ، وعمقت وعيها الثورى باسباب الهزيمة ، ودفعتها الى معاودة الهجوم على قواعد الاستعمار

العسكرية والاقتصادية فى كثير من البلدان العربية المتحررة • اكثر من هذا ، لقد فتح الامبرياليون اعينهم على هذا الواقع الجديد وهى أن الجماهير العربية ، اذ تنخرط فى نضال وطنى عارم ، تؤكد من خلال مواقفها ومطالبها انحيازها المتزايد نحو اليسار: نحو التقدم ونحو الاشتراكية ، وان البلدان العربية المتحررة تعزز تضامنها وتعاونها فى جميع المجالات مع الاتحاد السوفيتى وسائر البلدان الاشتراكية وقوى التحرر الوطنى فى العالم كله • وهذا الزحف الذى لم يكف عن التوقف بعد يونيو يواجه قوى الامبريالية العالمية بهذه الحقيقة الصلبة وهى أن المنطقة العربية ، هذه المنطقة الهامة من مناطق العالم باهميتها الاستراتيجية ، وثرواتها البترولية ، بالبقية المتبقية فيها من القواعد والمصالح الامبريالية ــ هذه المنطقة تنسلخ ،أو فى طريقها الى الانسلاخ التام عن نفوذهم •

ولما كان الامبرياليون وخدمهم الصهيونيون لا يسلمون بالاتجاه الحتمى لحركة التاريخ ، فانهم يواجهون حركة التحرر العربى بسعار حقيقى ، وبموقف عدائى متهوس لا يستطيعون اخفاءه • ان نيكسون على سبيل المثال ، وفى هذه الايام يفتح خزائنه على مصاريعها لكى تغترف منها اسرائيل « المساعدات » التى تطلبها ، ثم يفتح ترسانته العسكرية ليمد اسرائيل باحدث الاسلحة • يحدث هذا بينما يتحدثون فيه عن الدبلوماسية الهادئة العاقلة ،و « يقتنع »فيه ديان بمهمة يارنج • لكن هذه المواقف لم تعد تخدع احدا • فلا يخفى أن الاستراتيجية الامريكية فى ضرب حركة التحرر العربى واحتوائها العالم العربى لم تتغير ولن تتغير اكثر من هذا . ان هناك اتجاها واضحا لتوحيد الاستراتيجية الامريكية مع الاستراتيجية البريطانية فى هذه المنطقة • وسياسة حكومة المحافظين من شرق السويس هى أحد الادلة البارزة •

وبينما يتوقف القتال على جبهة القتال ،تعلن حكومة السودان عن المعركة المسلحة التى خاضتها ــ أخيرا ــ القوات السودانية المسلحة ضد قوات مرتزقة ، يقودهم المان غربيون ، ومعروف ان اسرائيل تمد المتمردين هناك بالسلاح وتتولى تدريبهم فى بعض البلدان المجاورة للسودان •

اما جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ،فانها لا تتعرض لمجرد اخطار محتملة فحسب ، بل أنها ــ واجهت فى الفترة الماضية القريبة ، ولا تزال تواجه ــ تهديدا جديا ومستمرا باجتياح اراضيها وبالتسلل الى داخلها من قبل القوى الامبريالية والرجعية . وهذه التحركات الرجعية الامبريالية انما تهدف الى اسقاط النظام القائم فى جمهورية اليمن الجنوبية ، والى محاصرة وضرب ثورة الخليج المحتدمة •

فاذا حاولنا بعد ذلك ان نلخص المؤامرة الامبريالية الصهيونية على حركة التحرر الوطنى ، خصوصا بعد احداث سبتمبر فى الاردن وبعد غياب عبد الناصر ، إمكن أن نقول : ان امبرياليى الولايات المتحدة والتوسعيون فى اسرائيل يقومون بهجمة ضارية تتحدد معالمها الرئيسية فيما يلى :

ــ العمل على شق الصف الوطنى ، وبذر بذور الانقسام بين اليسار العربى ، وفى داخل القوى التقدمية والديموقراطية بشكل عام •

ــ تعميق الانقسام فى صفوف الانظمة العربية المتحررة •

ــ تصفية المقاومة الفلسطينية •

ــ تخريب علاقات التعاون بين الانظمة العربية المتحررة وبين الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية

وهذه الهجمة الامبريالية الصهيونية يجب الا نقلل من خطورتها وضراوتها ، لان صانعيها ومهندسيها انما يضاربون في نجاح مخططهم على نقاط الضعف والسلبيات والثغرات القائمة في الوطن العربي - وللاسف - بين فصائل العمل الوطني على اختلافها ٠

ومع أن الواقع الذي لا يمكن انكاره هو أن ركائز قوى التقدم واليسار العربي تتسع وتتوطد باستمرار ، ومع أن للثوريين والاشتراكيين العرب على اختلاف مدارسهم الفكرية نفوذ متزايد الاتساع في صفوف حركة الجماهير ، الا أن الواقع أيضا يبين ان هذه القوى الثورية تضعفها الانقسامات والخلافات ، وتحول بينها وبين أن توحد جهودها ، وأن تجد - في كل وطن عربي - الصيغة المناسبة التي تصلح اطارا يوحد صفوفها وينظمها ٠

والنتيجة الحتمية لهذا الوضع هي أن قوى التقدم والاشتراكية في الوطن العربي - رغم انها تملك احتياطيا هائلا ورصيدا داخل صفوف الجماهير الشعبية ، في العمال والفلاحين والمثقفين والشباب ، فانها لاتملك ، بالقدر المطلوب ، وفي هذه الظروف ، القدرة على المبادرة ، وعلى الحركة في مستوى العمل السياسي ، من منطلق ومن مواقع هجومية ٠

ومن المعروف أن الموقف الدفاعي أو الهجومي للقوى أو التنظيمات أو الاحزاب الثورية يحدده من ناحية الظروف الذاتية لهذه القوى والتنظيمات ، وتحدده من ناحية أخرى الظروف الموضوعية المحيطة بها ٠ وهذا صحيح ٠ ولكن من أجل هذا بالذات ، فان القضية التي يتحتم ان تحظى على اهتمام القوى الثورية العربية تتلخص في أن الظروف الموضوعية المحيطة بحركة الثورة العربية - في مجموعها - تسمح لقوى الثورة العربية أن تواجه أعداءها لا من مواقع الدفاع ، بل أساسا من مواقع الهجوم ، وان تضاعف بالتالي انتصاراتها ٠ الا أن الظرف الذاتي [ضعف الوحدة داخل قوى الثورة] ، لايسمح الا بانتصارات محددة ، والا بحركة بطيئة ، ويجبرها على أن تقاتل في معظم الاحيان من مواقع دفاعية ٠

وحتى تتضح هذه الفكرة ، علينا أن نلقي نظرة على الظروف الموضوعية المحيطة بحركة التحرر العربي من الداخل ومن الخارج ٠

من الداخل ، ورغم الاحتلال الاسرائيلي ، اقتلعت حركة التحرر أكثر من موقع امبريالي عسكري واقتصادي وثقافي ، وذلك في غضون السنوات الثلاث الماضية ٠ ومن الداخل فشلت محاولات اجهاض النظم العربية المتحررة والتقدمية ٠ ومن الداخل فشلت محاولات الامبرياليين والرجعيين في تصفية الكفاح الفلسطيني المسلح ٠ ومن الداخل ايضا ، تمتلك حركة التحرر العربي أعظم منابع قوتها وضمان استمرارها ممثلة - كما أشرنا - في النهوض الجماهيري الواسع ، وفي النضوج والنشاط السياسي الذي طبع حركة الجماهير العربية التلقائية ، ومكنها في أكثر من موقف من احباط أكثر من مؤامرة امبريالية ورجعية ٠

ومن الخارج تحيط الان اكثر الظروف ملاءمة بحركة الثورة العربية : على الصعيد الدولي تنمو وتتعاظم قوى البلدان الاشتراكية ، وتتفاقم أكثر التناقضات بين البلدان الامبريالية ٠ وتكسب حركة التحرر العربي الى جانبها اتساعا واسعة من الراي العام في كل بلدان العالم ٠ وتشير التطورات التي وقعت في افريقيا : (الصومال - الكونغو برازافيل - زامبيا) وفي أمريكا اللاتينية [شيلي وبيرو وبوليفيا] الى ان فترة الجزر والانكماش التي أصابت حركة التحرر العالمية في الستينات قد أخلت السبيل أمام نهوض مجدد للحركة المعادية للامبريالية والاستعمار الجديد ٠ وباختصار ، فانه على الرغم من أن

الامبريالية لاتزال تحتفظ بمواقعقوية ، الاان ميزان القوى على الصعيد العالمى ليس فى مصلحتها ، وليست هى التى تتحكم فىمسار التطور العالمى ولن تكون ·

واذا كانت هذه الوقائع تعنى شيئا فهىتعنى ان فى مقدور قوى الثورة العربية ، لا أن تصد الهجمة الحالية للامبرياليةالامريكية وشريكتها الصهيونيه بل تستطيع اكثر من ذلك أن تتقدم من مواقع الدفاع الىمواقع الهجوم ، وهذه هى المهمة التى تطرحها عليها المتطلبات الموضوعية لتطويرحركة الثورة العربية بجانبها الوطنى والاجتماعى ·

الا أن هذا مشروط فى الاساس ، وقبل كلشىء ، بنوع ومستوى الوحدة فى العمل والنضال بين كافة الفصائل الوطنيةوالتقدمية فى البلدان العربية ·

وقد يكون من المفيد هنا ، أن نرصد بعضالبوادر المضيئة والمشجعة فى هذا المجال ، على طريق وحدة القوى الوطنية والتقدميةفى الوطن العربى :

● هناك **أولا** اعلان القاهرة الخاصبالعمل على اقامة اتحاد بين ج ·ع ·م والسودان وليبيا · ان هذا الاعلان ، رغمانهلم يقم وحدة او اتحادا، الا انه جاء كرد أو عمل ذى طابع هجومى على الامبرياليينوالصهيونيين الذين تصوروا أن غياب القائد **جمال عبد الناصر** قد أعطى اشارة البدءبتمزيق وحدة الدول المتحررة وعزل الجمهورية العربية المتحدة عن قوى الثورةالعربية الاخرى ·

وليس من شك فى أن هذا الاعلان ينطوىعلى مضمون تقدمى معاد للامبريالية والصهيونية والاستعمار الجديد · ويكتسبأهميته فى انه ادخل فى الاعتبار — عند معالجة قضية التقارب بين الدول الثلاث —عددا من العوامل الايجابية : التجربة السابقة للوحدة المصرية السورية ، ودراسةكل خطوة من خطوات الوحدة من منطلق علمى وواقعى يتجنب المجازفة والمغامرة ،ويهتدى برغبات الشعوب المعنية ، ويؤكد على الحفاظ على مكتسباتها · ومن هنا جاءاعلان القاهرة كهجمة على الاعداء ، وشكل نقطة جذب لكل قوى التقدم فى الوطنالعربى ، وايدته واشادت بمغزاه البلاد الصديقة ·

● وهناك **ثانيا** دروس التجربة الداميةوالمريرة التى لقتها فصائل المقاومة الفلسطينية من معارك سبتمبر · وكاناثمن هذه الدروس التى وعاها ثوار فلسطين اهمية الوحدة بين منظمات المقاومة ·واكدت المؤتمرات التى عقدها **ياسر عرفات** فى القاهرة أن قادة الكفاح المسلحالفلسطينى يرفضون أن يستدرجوا الى مهاترات وانشقاقات · وعلى العكس اكدياسر عرفات أن احدى النتائج الايجابية لاحداث سبتمبر هى وحدة البنادق فىالساحة : وحدة القيادة العسكرية وحدة التدريب والتسليح ، وحدة البلاغات ،ووحدة العمل فى المخيمات · ولا تزال الجهود تبذل على المستوى السياسى من اجلانشاء وخلق الجبهة الوطنية المتحدة للثورة الفلسطينية التى ترفع مستوى الوحدةداخل الصف الفلسطينى ·

● وهناك **ثالثا** اللقاء الذى تم فىالقاهرة خلال الشهر الماضى بين الاتحاد الاشتراكى العربى وبين تنظيم الجبهةالقومية فى جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية · ولقد مثل الاتحاد الاشتراكى **عبدالمحسن ابوالنور** الامين العام ، ومثل الجبهة القومية أمينها العام **عبد الفتاحاسماعيل** · ويكتسب هذا اللقاء اهميته الخاصة من واقع انه أيا كانت الخلافاتومهما تعددت وجهات النظر بين القوى الوطنية والتقدمية فى الوطن العربى فان هذالا يعنى القطيعة أو التفرق ولا يعنى تغليب التناقضات الثانوية على التناقض الرئيسىالذى يحكم العلاقة بين الشعوب العربية من ناحية وبين الامبرياليين والصهونيين منناحية أخرى ·

هذه الوقائع — كما قلنا — تمثل بدايات ايجابية ومشرقة فى النضال من اجل الالتقاء والوحدة بين الدول متحررة بعضها والبعض ، وبين تنظيمات تقدمية بعضها والبعض . وهى اذا دلت على شىء فانما تدل **اولا على أن وحدة القوى الوطنية والتقدمية هى ضرورة تاريخية . وهى اليوم أكثر الحاحا ، بل هى اليوم وفى الظروف التى تجتازها حركة التحرر العربى تمثل الحلقة الرئيسية فى الموقف كله .** هذه الحلقة التى يضمن الامساك بها حل طائفة من المشكلات والصعوبات التى تعوق أو تحد من انطلاق الثورة العربية وتعرضها لطائفة من المخاطر الحقيقية .

وهذه الوقائع ذاتها تدل ثانيا على أن التوصل الى صياغات أو أطر للوحدة بين قوى الثورة العربية على اختلاف مدارسها الفكرية قد يكون مهمة صعبة ولكنه ليس أمرا مستحيلا . وعلى العكس فان معارك الثلاث سنوات الاخيرة قد اوجدت فى كثير من البلدان العربية اسسا لوحدة عمل مشتركة ومثمرة . ليس هذا فحسب ، بل ان الثلاث السنوات الماضية قد حتمت على كل الفصائل الوطنية والثورية فى الوطن العربى أن تراجع — بعين النقد مواقفها وشعاراتها . كما أن معارك السنوات الثلاث الاخيرة قد وضعت موضع الامتحان كثيرا من الشعارات التى طرحتها مختلف القوى الوطنية ، والتقدمية سواء بالنسبة لبعض القضايا القومية الرئيسية [فلسطين — الوحدة العربية] أو بالنسبة لبعض القضايا الداخلية [ضرورة استمرار الثورة الاجتماعية — ضرورة مشاركة الجماهير فى السلطة) . بحيث يمكن القول بأنه انطلاقا من قضية تصفية آثار العدوان تستطيع قوى عربية ثورية واسعة أن تتوحد أو توحد عملها حول قضايا اساسية وأن تجد الصيغة التى تمكنها من دعم وحدة العمل فيما بينها .

وكما قلنا — من قبل — فان الطريق الى وحدة القوى الثورية فى الوطن العربى قد لا يكون مهمة سهلة ، وهو بالقطع طريق شاق وملىء بصعوبات جدية . لكن لن يعوز الناس الثوريين أن يتفقوا على منهج يضمن وحدة العمل بينهم ، ويمكنهم من اكتشاف الصيغة او الشكل المناسب للوحدة فيما بينهم .

ونعتقد انه من المفيد فى هذا الصدد ان نذكر ببعض المبادىء والصياغات التى انتهى اليها فكر **عبد الناصر** حول وحدة القوى الثورية . هنا نشير بالتحديد الى لقائه مع ممثلى مؤتمر المحامين العرب فى ٨ مارس ١٩٦٧ . فى هذا اللقاء طرح المنهج التالى فيما يتعلق بالاشكال التى يمكن أن تتخذها وحدة القوى الثورية :

١ — **وحدة القوى الثورية** يمكن أن تتحقق فى عدة اشكال ، وليس من الضرورى أن نصمم على الوحدة بصفتها المطلقة [**الدمج**] او التوحيد الكامل ، لان من العسير جدا الوصول الى هذا .

٢ — **قد يكون من الاسهل** أن نبدأ بنوع من الجبهات او بعمليات من هذا القبيل ، وهذا يصل بنا الى نوع من التفاهم لمواجهة القوى المضادة فى العالم العربى .

٣ — **معنى هذا — كما اوضح عبدالناصر —** ان شكل أو صيغة الجبهة هى التى يمكن ان تكون مدخلا لكل الافكار التى تجول فى رءوسنا . وعلى هذا الاساس يمكن أن تتم لقاءات ويمكن أن يتحقق الانسجام فى العمل ، ويمكن أن يتم تخطيط .

٤ — **فى الوقت نفسه** حذر جمال عبدالناصر من هذه الانواع من الوحدة التى تعنى الفرض ، وتجاهل الظروف المحلية ، والتى تعنى فى الحقيقة الانشقاق بين القوى

الثورية والتقدمية . وحدد أن المطلوب ليس هو تقسيم الصفوف لاقامة الوحدة « **ولكن من خلال اطراف مختلفة عايزين نولد وحدة** » .

فاذا طبقنا هذا على ما هو مطلوب اليوم من جميع القوى الثورية قلنا :

١ ـ **ان صيغة الجبهة** بين القوى الوطنية والثورية على مستوى الوطن العربى هى الصيغة المناسبة لوحدة العمل بين هذه القوى لانها تستبعد الغرض وتقلل احتمالات الانشقاق . وان قيام هذه الجبهات يستوجب بل ويساعد عليه ـ تعدد اللقاءات بين القوى والتنظيمات الثورية .

٢ ـ **على الرغم من اتساع قاعدة القوى** التى تنحاز الى الاشتراكية فى العالم العربى، الا انه من المعروف ان هذه القوى تتعدد نظرياتها وتنظيماتها وأصولها الفكرية . لكن هذا التعدد والاختلاف فيما بينها يجب الا يعوق التقارب والالتقاء والعمل الواحد فيما بينها فى اطار جبهة أو جبهات تجمعها . وهنا يجب ان ننطلق من قاعدة انه ابتداء من التنوع والتعدد والاختلاف يجب أن تبنى وحدة القوى الثورية وتتدعم .

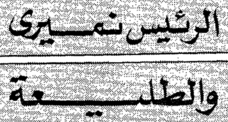
فاذا انتينا الى هذا الحد ، فاننا نرى ـ فيما يتعلق بالجمهورية العربية المتحدة ـ انه تقع فى هذه الايام بالذات على عاتق الاتحاد الاشتراكى العربى مسئوليات كاملة فى مجال العمل على توحيد كل قوى التقدم فى البلدان العربية وعلى الاتحاد الاشتراكى (نظرا لوضع ج . ع . م وامكانياتها ودورها ومساندة قوى التقدم لها) . تقع المسئولية الرئيسية ليتحرك التنظيم السياسى من أجل أن تتم وتتعدد لقاءاته مع كافة التنظيمات والاحزاب التى تمثل قوى الثورة العربية هذه القوى المعادية للامبريالية والصهيونية والاستعمار الجديد ، والمناضلة من اجل الديموقراطية والتقدم الاجتماعى والوحدة .

فاذا انتهينا الى هذا الحد ، فاننا نرى عن انظار الاتحاد الاشتراكى ، وانها مهمة عاجلة لا تحتمل التأخير ، فاننا ندعو فى الوقت نفسه كل قوى الوطنية والتقدم فى الوطن العربى وكل الشخصيات المستنيرة الى أن تقوم من جانبها بالخطوات والمبادرات التى بات يفرضها وضع دقيق تجتازه حركة التحرر العربى ، وضع يقوم فيه الامبرياليون الامريكان والصهيونيون بعمليات اجرامية ، تدخل فى باب الانقضاض والتطويق ، لمحاصرة المد الثورى والعمل على تجميده .

وليمسك الثوريون العرب ـ بدون تأخير ـ بحلقة النجاة ، بوحدة العمل والنضال ، فهى الحلقة الرئيسية التى تحكم والتى سوف تحكم مسار المعركة الراهنة والضارية ضد كل قوى الامبريالية والصهيونية والتخلف فى الوطن العربى .

« الطليعة »







« أحمل اليمين السودانى مسئولية اجهاض الاستقلال »

« هدفنا : الاشتراكية العلمية »

منذ انتصار ثورة ٢٥ مايو ، والسودان « الثورة » يمارس دورا طليعيا فى حركة التحرر الوطنى العربية، يؤكد ذلك الاجراءات والمواقف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى أقدمت عليها واتخذتها حكومة الثورة .

وقد حرصت « الطليعة » — دائما — أن تقدم لقرائها ، حوارا مع قادة الحركات الثورية التقدمية فى الوطن العربى . من هنا كان حوارها مع قادة منظمات المقاومة الفلسطينية .

واستمرارا لهذا الحرص — وبنفس المفهوم — تقدم الطليعة اليوم ، حوارا مع قائد ثورة ٢٥ مايو : اللواء أركان حرب جعفر محمد نميرى ، رئيس مجلس الثورة

ورئيس مجلس الوزراء في السودان ،تناقش معه : فكرة الثورة السودانية ومواقفها وآفاق تطورها .

وتهدف «الطليعة» ــ آخر الامر ــ من كل حوار تجريه ان تدير حوارا مفتوحا أمام كل القوى الثورية العربية ، داخل كل بلد عربي، وعلى نطاق الوطن العربي كله ، تعرض من خلاله فكر هذه القوى الثورية ، ولتفتح ــ بالتالي ــ امكانيات عملية ، لان تدير كل هذه القوى فيما بينها حوارا جادا ومسئولا من اجل وحدتها الملحة ــ داخل كل بلد عربي وعلى نطاق الوطن العربي كله ــ والتي تمليها المصالح الوطنية والقومية العليا للشعوب العربية وحركة التحرر العربية .

وفي هذا المجال ، فان «الطليعة» تعتقد بضرورة ان تؤكد ــ من جديد ــ ايمانها الثابت بان وحدة القوى الثورية ، داخل كل بلد عربي وعلى النطاق القومي كله، هي الدعامة الاولى ، بل الشرط الاول ، لضمان استمرار حركة التحرر الوطني ــ محليا وعربيا ــ وضمان انتصارها آخر الامر .

أجرى الحوار
عبد المنعم الغزالي

● **الطليعة :**

اسمحوا لي يا سيادة الرئيس المناضل أن أدير معكم حوارا باسم مجلة « الطليعة » حول الثورة السودانية مشاكلها وطريقها ، قواتها الاجتماعية والسياسية ، أهدافها البعيدة والقريبة ، استراتيجيتها وتاكتيكها ، وضعها من الثورة العربية والافريقية ، علاقتها بحركة الثورة العالمية ، وبلدان المعسكر الاشتراكي ، وبحركة الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية الكبيرة ، وبحركة التحرر الوطني .

وفي بداية الحوار اسمحوا لي يا سيادة الرئيس أن احييكم كمناضل ثوري باسم اسرة تحرير الطليعة ــ وأن أحيي بصفة خاصة شجاعتكم النادرة التي استهانت بمخاطر الايام السوداء التي عاشتها الاردن والثورة الفلسطينية ، وكذلك احيي مبادرتكم الطليعية والثورية بعد أن فقدت أمتنا وحركة التحرر العالمية شهيدنا القائد المناضل جمال عبد الناصر ــ هذه المبادرة التي تعتبر بحق تعبيرا صادقا عن اصرار شعب السودان على السير قدما مع الشعب المصري لاكمال المشوار ، وكذا مع كل الشعوب العربية .

■■ **الرئيس نميري :**

لقد عودتنا مجلة « الطليعة » التقدمية الثورية أن تكون منارا للفكر الاشتراكي ومنبرا للنظريات التقدمية التي تهدف الى حرية وديمقراطية الشعوب ، فلا عجب أن تهتم « الطليعة » بالثورة السودانية التي كان لتقييمها الاول الذي ظهر على صفحاتها اثر كبير على المنطقة العربية والافريقية وعلى الاستراتيجية العالمية ، فقد وصل هذا التقييم الى كثير من الحقائق والنتائج الايجابية بالنسبة للثورة السودانية .

واني لاشكر « الطليعة » في شخصك وفي شخص أسرة تحريرها فقد عودتنا الوصول بالفكر الثوري الى كثير من الحقائق الموضوعية والاعمال والدراسات الفنية بتجارب الشعوب ونضالها .

● **الطليعة :**



في الخامس والعشرين من مايو ١٩٦٩ قامت الطلائع الثورية في القوات المسلحة السودانية بعملية ثورية أطاحت فيها بسلطات الائتلاف الرجعي للاحزاب السودانية التقليدية هذا الائتلاف الذى تمكن من اجهاض ثورة الحادي والعشرين من أكتوبر ١٩٦٤ فهل لنا أن نطمع، في التعرف على الظروف الوضوعية والذاتية التي مكنت الفصيلة الثورية من الاستيلاء على السلطة مستهدفة اعادة بناء السودان ديمقراطيا وثوريا وتقدميا .

■ **الرئيس نميري :**

انه للاجابة على هذا السؤال يجب أن نرجع الى تاريخ الحركة الوطنية في السودان منذ الاربعينيات ، الحركة الوطنية والثورية في أوساط التنظيمات الديمقراطية كنقابات العمال وكانت مستترة خلف المطالب النقابية ، وفي أوساط المثقفين وكانت مستترة خلف أعمال الجمعيات الادبية والاجتماعية والمهنية وبعض المواقف المطلبيه ، وبين التجار كانت تظهر في مواقفهم من التبرع للمؤسسات التعليمية ومؤسسات الخدمات المختلفة كالمستشفيات الخ

اما بين الطلاب فكانت واضحة لان الطلبة بطبيعة وضعهم لم يكن لديهم مطامع أو ما يخافون عليه ، لقد كان طابع كل هذه الحركات الوطنية انها تستهدف الحرية والديمقراطية للسودان ، وكانت تقف مع الحركات الثورية في المنطقة وخاصة في أفريقيا وبصفة خاصة مع مصر .

ولقد كانت هنالك قوة ثورية صامتة تعمل في صمت وسرية وتعمل باخلاص وولاء لنفس المبادىء التي كانت تعمل لها الطبقات الثورية والوطنية المختلفة التي ذكرتها - كانت هذه القوة الثورية هي الثورة التي كانت في نفوس الضباط والجنود في القوات المسلحة .

وقد كانت التحركات الثورية لهذه الطبقات المختلفة في حلف غير ظاهر وغير مكتوب وغير منسق ولكن هنالك بعض الاحداث التي أظهرت أن هذا الحلف قوى ومتحد ، ومن هذه الاحداث : معارضة المجلس الاستشاري لشمال السودان ومعارضة الجمعية التشريعية والوقوف بجانب الانتفاضات الوطنية والثورية في مصر . وأظهر ذلك امكانية تجمع كل هذه القوى الثورية والوطنية لمواجهة العدو الاستعماري ، وعملائه المحليين .

وكان أول عمل ثوري ظاهر من القوات المسلحة هو موقفهم البطولي بمعارضتهم المستعمر عندما أعلن أن القوات المسلحة لا يمكن أن تسودن الا بعد عشرة أو خمسة عشر عاما ، وقد استطاعت القوات المسلحة أن تسودن نفسها في ظرف ستة أشهر وبذلك كانت أول مرفق يسودن في السودان ، وكان ذلك نتيجة برنامج قدمه الضباط الوطنين الاحرار بمساعدة الاخوة الضباط الاحرار في مصر .

كانت هذه الفصائل الثورية للشعب السوداني تحلم منذ زمن بنظام تقدمي كي تتمكن من تحقيق آمال الشعب وازالة آلامه ولمدة طويلة لم تتمكن هذه القوى رغم تضحياتها أن تصل الى حلمها .

وجاءت اللحظة المناسبة - وهي لحظة ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ ونجحت الفصائل الثورية في التطويح بالحكم العسكري الرجعي واستعدت للاستيلاء على السلطة . ولكن لم يكن هناك تنسيق وتعاون بين هذه الفصائل مما جعل بعض الفصائل تنادي بابعاد القوات المسلحة من العمل الشعبي والسياسي متناسية أنها تجمع بين طياتها القوة الواعية والمسلحة الجيدة التنظيم والمستعدة لحماية ثورة الشعب ضد أي عمل رجعي عنيف مسلح ضدها .

لقد كانت هذه القوة الواعية - مع كل القوى الاخرى - منذ الساعات والايام الأولى للحكم العسكري الرجعي الاستعماري الذي قام في ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ - كانت معهم كتيبة صدام ضد حكم الجنرالات ، فكانت هبة ٤ مارس ١٩٥٩ - وهبة ٢٢ مايو ١٩٥٩ - وهبة نوفمبر ١٩٥٩ ، وقد قدمت هذه القوة في مقاومتها للحكم العسكري الرجعي عشرات من الضباط والصف ضباط كمناضلين حكم عليهم بالسجن والاشغال الشاقة المؤبدة وبالطرد والتشريد والاضطهاد .. بل ان هذه القوة الثورية قدمت خمس شهداء من خيرة ضباطها اغتالتهم الدكتاتورية العسكرية في الظلام . ومن هنا فان التخوف الذي وجد لدى البعض من الذين شاركوا في أكتوبر من مشاركة القوات المسلحة ممثلة في الضباط الاحرار في السلطة التي جاءت بعد أكتوبر لم يكن تقديرا سليما منهم للموقف ، كما انه من ناحية أخرى كان تعبيرا عن رغبة القوى التقليدية والرجعية نفسها في ابعاد هذه القوة

الثورية التى كان فى امكانها أن تكون درع الثورة الواقى لها من كل مؤامرات القوى المضادة للثورة التى اجهضت أكتوبر · بل لقد أكدت الايام الاولى لاكتوبر أن موقف الفصائل الثورية فى القوات المسلحة من حصار القصر وفى يوم المتاريس وفى يوم الاحد المشئوم يوم المؤامرة العنصرية التى دبرها وزير الداخلية الجنوبى «كليمنت أمبورو» ، أن هذا الموقف حسم قضية محاولة ابقاء الحكم العسكرى الرجعى ـ لقد كنت ومعى رفاقى فى السلاح فاروق حمد الله وخالد حسن عباس وهاشم العطا والرشيد نور الدين وغيرهم من الضباط الثائرين نحكم الخرطوم مع الشارع المتحرك والذى كان يفتقد فى كثير من مواقعه القيادة ، وحيث كانت القيادة السياسية المكونة من السياسيين تمثل تهادنا بين قوى الثورة الحقيقية والقوى المضادة للثورة (اخوان ـ أمة وغيرهم) ، وكان هم القيادات الحزبية التقليدية الجرى وراء المناصب فى السلطة والعمل لتصفية تحركات الشارع وتصفية حركة الضباط الاحرار فى القوات المسلحة ·

ومن هنا ومن هذه الاحداث تعلمنا درسا هاما ألا وهو الا مجال لانفصال قوى الثورة فى القوات المسلحة عن قوى الثورة بين جماهير الشعب ـ وتعلمناانهلاسلطةثورية ـ وخاصة فى البلدان النامية دون قوة مسلحة منظمة واعية مدركة لواجباتها ومهامها الوطنية والديمقراطية · وعليه بدأنا نعمل من داخل القوات المسلحة ونتعاون مع القوى الثورية فى خارج القوات المسلحة فى سرية كاملة وتكتم شديد لحساسية موقف الجنود والضباط الاحرار ومراعين لكل قواعد الانضباط العسكرى · وقد استطعنا أن نعكس كثيرا من الافكار الحديثة داخلالقوات المسلحة،وكشفنا مساوىء الحكم الرجعى التقليدى مما ساعد القوى الثورية الاخرى على أن تصبح فى مركز القوة وهى تناهض الحكم الرجعى علانية بالمظاهرات والاضرابات والمعارضة ، مماجعل الحكم فى موقف الضعيف لعدم ثقته فى قدرته على استخدام القوات المسلحة لصالح القوى المضادة للثورة وتخوفه ، وتردده من اتخاذ مواقف حاسمة ضد القوى الثورية خشية ان يخرج الامر من يدها ·

ومنذ انقضاض القوى المضادة للثورة على ثورة أكتوبر فى أوائل ١٩٦٥ اخذت الحركة الجماهيرية فى النمو مرة أخرى ببطء ولكن بثبات ، وقد ساعد كثيرا على تصعيد حركة الجماهير سوء نوعية قادة الاحزاب التقليدية وفسادهم وحراب دممهم ·

وجاء شـــهر ابريل ١٩٦٩ وكان تقييمى للوضع السياسى كالاتى : هنالك احزاب سياسية لا برامج سياسية لها وغير قادرة على حل أى مشكلة من مشاكل الشعب والمجتمع ـ أى أنه كان هناك فراغ سياسى كبير وكانت المعارضة تحاول أن تملا هذا الفراغ بالشعارات التقدمية والافكار الوطنية وكانت هذه القوى تـواجه التآمر والتخريب من الاحزاب التقليدية والافراد والقادة الخونة ·

وباختصار فان الرجعية الحاكمة كانت فى قمة أزمتها السياسية ـ كل الاحزاب السياسية منقسمة على نفسها بما فيها الاخوان المسلمين ، مختلفة على اقتسام الاسلاب ، غارقة فى فساد نوابها ، ملطخة بشرور سماسرة الاحـزاب والسفارات الاستعمارية وزعماء الطـائفية ، كلهم كانوا يتسابقون فى النهب والسـلب والسرقة وبيع البلاد للاجنبى واسـتغلال الجماهير الكادحة الفقيرة · لقد ازداد فقدان الثقة فيهم حتى من قبل جماهيرهم الكادحة والتى كانت تنتمى سابقا لاحزابهم ·

انه فى ابريل سنة ١٩٦٩ كانت الرجعية السودانية فى قمة أزمتها السياسية ـ عجز وشلل وانهيار وافلاس ـ وكانت الجمـاهير تتطلع الى عمل ثورى ، وحل عاجل ينقذهم مما هم فيه وما هم مساقون اليه .. وبدأت المطالبة بتدخل القوات المسلحة تظهر علنا ولكن كانت هنالك أصوات مبحوحة تقول أن القوى الوطنية فى القوات المسلحة عاجزةعن العمل الثورى لانها كانت قد ضربتضربة قوية فى اكتوبر وان الامل فيها ضعيف .. وظهرت أيضا فى الحياة السياسية شعارات أكتوبر الا أحزاب ولاطائفية بعدالان . وظهرتنداءات وشعارات تطالب بحكومة يتسلمها الاداريون لا السياسيون للخروج من الازمة . أما عن الموقف الاقتصادى فيكفى أن نعلم ان المواهى (المرتبات) كانت تصرف بعد يوم ٢١ فى بعض المرافق ، وأما عن سوء موقف الامن فيكفى أن نعلم ان القبائل اصبحت تتقاتل وتهاجم بعضها ولا تجد من يتحرك ليوقف الفتنة الى أن يهزم القوى الضعيف . وكما ارتفعت شـعارات أكثر خطورة من السابقة وخاصة داخلالقوات المسلحة بالعودة الىاستخدام أسلوبالانقلاب العسكرى لفرض ديكتاتورية رجعية جديدة ·

اذن كانت البلاد تعيش أزمة سياسية حادة ،

القيادات التقليدية معزولة ، الشعب يتطلع الى الخلاص ، السلطة لم يعد فى امكانها أن تفرض نظامها الرجعى بالقوة •

وكان علينا أن نتحرك •• وتحركنا ولم نتحرك وحدنا دون الاعتماد على قوى شعبنا الزاخرة بالوعى والوطنية واليقظة الثورية ، ولم نختر لحظة الصفر المعينة ليلة ٢٥ مايو للقيام بالثورة اعتباطا انما اخترناها بعد دراسة واختبار تام لكل الظروف واتصال بكل من هو ثورى ، وبعد أن تأكدنا كذلك من وجود كل القيادات الرجعية داخل البلاد حتى يتم لنا حصارها • وكان تقديرنا سليما ـ لانه استمد خطة عمله من ارادة الشعب السودانى التى هى فوق كل ارادة • ولذلك انتصرنا ليلة الخامس والعشرين من مايو ـ ولم يكن ماقمنا به فى ٢٥ مايو تكتيكا انقلابيا بديلا عن الحركة الجماهيرية وقد أكدت مسيرة الربع مليون من العاملين فى الثانى من يونيو التلاحم العضوى بيننا وبين جماهير الشعب ، التى منحت الثورة من التأييد والدعم والبذل ما ثبت اقدامها ومكنها من السير بلا تردد ، أوتخوف ، باعتبار ان ما قمنا به ليس الا امتدادا لنضالها وتضحياتها •

● **الطليعة :**

فى بيانات مايو الاولى وفى مجموعة الخطابات التى ألقيتموها بعد مايو ـ خطاب الثانى من يونيو بالخرطوم ، خطاب بورسودان ، خطاب واد مدنى ـ طرحتم شعارات وبرامج للعمل وأوضحتم أن ثمة علاقة عضوية بين ٢٥ مايو وبين البرامج والافكار والشعارات التى طرحتها القوى الوطنية والثورية والاشتراكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية • ويعنى ذلك أن ثورة الخامس والعشرين من مايو ما هى الا استمرار واستكمال للثورة السودانية بكل آفاقها الوطنية والديمقراطية والاجتماعية •

■■ **الرئيس نميرى :**

لقد أعلنت ثورة الخامس والعشرين من مايو منذ اللحظة الاولى لقيامها ومع ساعة الصفر أنها قامت باسم الشعب السودانى لتنهى عهدا بائدا ، لتنهى سلطة ظلت تسير بالسودان الى الوراء لان الاحزاب التقليدية عجزت عن ادراك مفهوم الاستقلال وكان الاستقلال فى نظرها علما ونشيدا وشعارات ومؤتمرات لا وسيلة لتغيير حياة الامة وتخليص ابنائها الكادحين من الاستغلال الواقع عليهم من قبل القوى الاستعمارية وعملائهم الدائرين فى فلكهم والمؤتمرين بأوامرهم ... لقد كانت جماهير شعبنا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تناضل من أجل استقلال حقيقى للسودان ، استقلال يعنى التخلص من كافة المصالح الاجنبية والقوى الرجعية ، وبناء استقلال يستهدف تحقيق الحياة الديمقراطية للجماهير الشعبية ، واحداث التغيير الاجتماعى بانجاز ثورة وطنية ديمقراطية تضع السودان المتعدد التكوينات الاجتماعية والقبلية والقومية على آفاق مشارف الاشتراكية ••

ان ثورة الخامس والعشرين من مايو بكل تأكيد قد تفجرت من تطلعات الشعب السودانى ، تطلعات الجنود والعمال والمزارعين والمثقفين والتجار الوطنيين والرعاة • وتفجرت من دماء الشهداء ومن حركات العمال والمزارعين والطلاب ومن هبات الضباط الاحرار الثورية •• تفجرت معبرة عن تلاحم وثيق بين قوى الشعب •• ومن هنا فان ثورة الخامس والعشرين من مايو وثيقة الصلة بكل البرامج الوطنية الديمقراطية وبكل الافكار والشعارات التى رفعتها القوى الحديثة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ـ انها ثورة تستهدف فعلا بناء السودان الجديد ، يعيد به الوطن وحدته السياسية ، وينمى موارده الاقتصادية والاجتماعية عبر طريق التطور غير الرأسمالى ويؤكد اسهامه الفعال فى حركات التحرر الثورية فى العالم المعاصر على المستوى السياسى والاجتماعى •

فثورتنا التى تفجرت على أيدى القوات المسلحة هى استمرار واستكمال للثورة السودانية بكل آفاقها الوطنية والديمقراطية والاجتماعية من أجل تحرير المجتمع السودانى من التبعية والتخلف وتطويره ديمقراطيا وفاء لنضال الشعب ودفاعا عن الوطن وبناء للاجيال القادمة وحقها فى الوجود الانسانى ، ووصولا الى المجتمع الاشتراكى الذى لايعرف استغلال الانسان لاخيه الانسان • ووضع السلطة بمستوياتها المختلفة فى يد الشعب عن طريق الديمقراطية الجديدة ، وتحقيق الوحدة الوطنية

ودعم كيان الأمة السودانية حول قضايا الثورة وتحقيق نهضة ثقافية تنبعث من تراث شعبنا وتقاليده ومن الفكر الاشتراكى ومقوماتنا القومية واحترام مقدساتنا الدينية • وتقوية القوات المسلحة وبناء الجيش الوطنى الشعبى دفاعا عن الثورة والوطن وحماية للمكاسب الاشتراكية والعمل على تحرير الريف من كل أشكال التخلف والسيطرة الرجعية وانجاز الاصلاح الزراعى والعمل من أجل تصفية الاستعمار والتلاحم مع حركة الثورات العربية والافريقية ومع حركة السلم العالمية ومع البلدان الاشتراكية الصديقة ومقاومة الصهيونية العالمية والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطينى الشقيق ومساندة كاملة لحركة المقاومة الفلسطينية • ودعم المرتكز العربى الثورى الثلاثى بين السودان ومصر وليبيا والحركة الايجابية فى نطاقه حماية للثورات العربية والافريقية وتعميقا للخبرات الثورية وتنمية للتعاون الخلاق بينها •

هذه باختصار اهداف ثورة مايو استمرارا واستكمالا وتطويرا لكل الاهداف التى ناضل من أجلها شعبنا عبر كل الاجيال السابقة •

● **الطليعة :**

واجهت ثورة الخامس والعشرين من مايو فى مارس من هذا العام التحرك المضاد للثورة من قبل التحالف الرجعى والاستعمارى – وتمكنت السلطة الثورية بالقوات المسلحة وبالدعم الكامل من جماهير الشعب وممثليه فى منظماتها الديمقراطية من سحق هذا التحرك • وفجرت الثورة السودانية بذلك مرحلة ثورية جديدة ، فهل من تغيير بعد مؤامرة « **آبا** » على خريطة الثورة اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا •

؟

■■ **الرئيس نميرى :**

ان ما حدث فى مارس الماضى فى السودان انما كان مواجهة حاسمة لتحرك الرجعية المسلح المعتمد على الدوائر الاستعمارية للانقضاض على الثورة • وحقا لقد شهدت ثورة السودان أياما عصيبة • ونحن لم نفاجأ بها – بل كنا نتوقعها ، لاننا كنا من الناحية السياسية نرى ان الرجعية لن تسكت عن التآمر على الثورة ، وانها متعاونة فى ذلك مع الدوائر الاستعمارية فى واشنطن ولندن وألمانيا الغربية بل ومتعاونة مع اسرائيل نفسها التى تمارس نشاطا تآمريا متزايدا فى الجنوب ، ولئن أوضحت حوادث مارس قدرة الرجعية السودانية على الحركة فانها قد أوضحت كذلك قدرة الثورة وقدرة القوات المسلحة تسندها جماهير الشعب وطاقاتها الخلاقة على حماية الثورة وقهر القوى المضادة للثورة • وأود ان أقول أن الاستعمار العالمى كان قد تلقى ضربة عندما انتصرت ثورتنا فى ٢٥ مايو ١٩٦٩ وتلقى كذلك ضربة أخرى عندما هزمنا القوى المضادة فى **أبا** •

وأود كذلك أن أوضح أننا عندما سحقنا المؤامرة الرجعية فى **أبا** – كنا نعلم تماما أن جماهير الانصار المضللة بالطائفية – هم آباؤنا واخوتنا – وما قامت الثورة الا من أجلهم باعتبارهم ناس بسطاء كادحين خاضعين بغير وعى لاستغلال الطائفية الرجعية وتضليلها ولقد كنا نستهدف المؤامرة ورؤوسها ، ونستهدف كذلك تخليص هؤلاء البسطاء وتحريرهم •

وانطلاقا من هذا فقد تأكد لنا صحة تقديرنا الثورى بأن الطائفية وقيادات الاحزاب والجماعات الرجعية ووكلاء الاستعمار انما يستخدمون وسيستخدمون كافة الوسائل لاجهاض الثورة اما بالمحاولات اللئيمة الماكرة لاحتواء الثورة أو بالانقضاض عليها بالعنف ، انه لم يكن أمامنا من أجل القيم الثورية التى ثرنا من أجلها الا أن نرد بعنف على العنف – رغم اننا نكره العنف ولاننا كثوار نهدف لبناء مجتمع سعيد متحرر يعيش فى سلام دون تهادن أو تسامح مع الرجعيين والمستغلين •

والحقيقة الهامة – هو أن سحق الرجعية فى أبا قد فجر فعلا مرحلة ثورية جديدة – مرحلة انطلقت منها ثورة الخامس والعشرين من مايو الى عمل ثورى لتصفية المصالح الاستعمارية الامريكية والانجليزية والالمانية الغربية فى البلاد ولاعادة ممتلكات الشعب – فأممت البنوك وانهت سيطرة الشركات الاجنبية على التجارة الخارجية .. الخ ، كما تم الاستيلاء على ممتلكات قادة التآمر ، وعلى مشروعاتهم الزراعية والتى كانوا يستغلون فيها الكادحين أبشع استغلال •

اننا بعد أبا قد دخلنا فعلا مرحلة جديدة بتوجيهنا ضربة قاصمة لليمين ـ هذا اليمين الذى قلت عنه بعدأبا ـ انالیمین فیالسودان لا يقبل القسمة ، واننى أحمل كل اليمين السودانى المعتمد على الطائفية تاريخيا مسئولية العمل المضاد للثورة ومسئولية اجهاض الاستقلال منذ ١٩٥٦ وتسليم البلاد للرجعية والاستعمار الحديث · دخلنا هذه المرحلة الثورية الجديدة معتمدين أكثر على **الجماهير الشعبية ، ومتلاصمين أكثر مع الثورة** العربية ومع حركة التحرر العالمية فى افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، ومع البلدان الاشتراكية الصديقة ·

ان أحداث أبا كانت انتصارا للثورة على الطائفية والرجعية وسادتها من المستعمرين وانتصارا كذلك للتلاحم العضوى بين القوات المسلحة وجماهير الشعب الكادح ·

● **الطليعة :**

?

منذ قيام ثورة الخامس والعشرين من مايووهى منطلقة فى اتخاذ خطوات حاسمة واجراءات ثورية لتحرير اقتصاد البلاد من النفوذ الاجنبى وسيطرة قوى الاستعمار القديم والحديث وجيوبه منقوىالتخلف ـ فهلجاءت عمليات التأميم والمصادرة فى مايو الماضى كعقوبة أوقعتها الثورة بالقوى المضادةوأنجزتها عفوا أم انها تطبيق لبرنامج الثورة وأهدافها ·

■ **الرئيس نميرى :**

الحقيقة أن تغيير حياةالشعب وقلبالمجتمع لا يمكن أن تتم الا بثورة جديدة حقيقية تكنس الماضى وترفض أسلوبه فى التطور والنمو · وأحب أن أوضح أن الارقام الاحصائية لمجموع النشاط الاقتصادى فى بلادنا خلال ثلاثة عشر عاما من حكم الاحزاب الرجعية والتقليدية منذ الاستقلال كشفت النقاب عن أبشع جريمة ارتكبتها الفئات الحاكمة فى حق شعبنا بتخليها عن مهمة تحرير بلادنا اقتصاديا وبانشغالها عن تطوير الانتاج الحديث بمكاسب فورية مؤقتة وبتقبلها للنفوذ الاجنبى والتعايش مع مصالحه الاقتصادية والسياسية ، وقد ثبت بالتجربة العملية لشعبنا المناضل أن طريق التطور الرأسمالى والارتباط بالرأسمالية الغربية الاستعمارية والاعتماد عليها انما أغرق البلاد فى أزمات اقتصادية حادة وقادها الى تدهور مالىخطير ، فقدافسحوا الطريقأمامموسسات النفوذ الاجنبى ـ المصارف والشركات والبيوتات التجارية ـ فأمعنت فى البلاد نهبا وسلبا ـ فمنذ الاستقلال بلغت الاموال التى صدرت الى خارج البلاد نحو ۳۰۰ مليون جنيه غير المكاسب العينية والنقدية المستغلة محليا · وألقوا بعبء تكاليف جهاز الدولة على كاهل الشعب ـ زيادة الضرائب المباشرة وغير المباشرة ـ وأغرقت البلاد فى التزامات وقروض أجنبية لم تنفق على مشاريع انتاجية وغير مجزية ·

لقد انتهى طريق التنمية الرأسمالية بأشكاله القديمة والحديثة ببلادنا الى الهاوية ولم يتمكن فشلا منه فى أزالة معوقات التطور الاقتصادى والاجتماعى ـ انه طريق مسدود ينتهى ببلادنا الى النفوذ الاجنبى وتجويع الجماهير الشعبية ·

ان الثورة ـ بالتأميم والمصادرة ـ انما استهدفت استكمال الاستقلال الاقتصادى وتصفية النفوذ الاستعمارى القديم والحديث وازالة آثار التخلف ومعوقات النمو وارساء القواعد المادية والاجتماعية والروحية للانتقال بالبلاد الى الاشتراكية .

لقد ذكرت فى البيان الاول لثورة الخامس والعشرين من مايو أن الاحزاب عجزت عن ادراك المفهوم الحقيقى للاستقلال : وقلت أن الجماهير رفضت تلك الحكومات وبدأت تتطلع الى تغيير جذرى فى نظام الحكم ·

وقد كنت ورفاقى نؤكد دائما أن الثورة قامت من أجل استرداد حقوق الشعب الضائعة ومن أجل بناء مجتمع الكفاية والعدل ـ فأين كانت حقوق الشعب الضائعة ؟ انهذه الحقوقكانت منهوبة بواسطة البنوك والشركات الاجنبية ، واذا كنا نريد بناء المجتمع الاشتراكى فكيف نحقق ذلك ، فىحينانا لانستطيع أننتحكم فى تسيير وقيادة اقتصادنا الوطنى وتوجيهه التوجيه السليم . اننا لا يمكن أن نتحدث عن استرداد حقوق الشعب والاشتراكية والبنوك والشركات الاجنبية وعملائهم يتحكمون فينا ، أن التأميم والمصادرة ليست أهدافا فى حد

ذاتها ، انما هى وسيلة لاسترداد حقوق الشعب ان التأميم والمصادرة تستهدف خلق الظروف الضرورية للتنمية والتطور الاقتصادى وتحقيق الهدف من التحرر الاقتصادىولانجاز مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية لارساء القاعدة المادية التى تجعلنا قادرين فعلا على التصدى لمرحلة البناء الاشتراكى ، فالاشتراكية لا تبنى بضربة واحدة ، ولا بمجرد الهتاف لها .

وان ما يردده البعض من اننا أممنا وصادرنا لنوقع عقوبة بالقوى المضادة للثورة ، انما هو محاولة لتجريد الثورة السودانيه من فكرها وأهدافها التى قامت من أجلها . وأحب أن أؤكد أن ما حدث فى ٢٥ مايو ليس مجرد عملية عسكرية انما كان خطوة أولى علىطريق طويل صعب بدأنا اجتيازه ، وعملية التاميم والمصادرة جاءت ضمن انجازات ثورية تستهدف ثورة الخامس والعشرين من مايو انجازها .. ان التاميم والمصادرة وكل انجازاتنا الثوريه حتى اليوم لم تات مصادفه أو عفوا انما هى عمليات فى سلسلة متكاملة الحلقات تستهدف ضرب الاستعمار المترنح وفتح الطريق الجديد لشعبنا . طريق التحرر والاشتراكيه والتقدم والرخاء .

● **الطليعة :**

أجزتم اخيرا الخطة الخمسية الاولى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية بعد أن كانت قد طرحت على الشعب من خلال منظماته النقابيةوالديمقراطيه لمناقشتها وابداء الرأىفيها ــ فما هى الاهداف التى ترمون اليها من الخطةالخمسية الاولى والمرتكزات التى ترتكزون عليها لانجازها ؟

?

■ **الرئيس نميرى :**

لقد أجزنا الخطة الخمسية الاولى أخيرا وبعد أن طرحت لنقاش من قبل جماهير شعبنا ومنظماته النقابية وفى مواقع الانتاج . وهذه الخطة الخمسية الاولى تضع اللبنات الاولى فى طريق بناء الاشتراكية ــ وهى لا تنقل البلاد نهائيا الى الاشتراكية ــ وهى تجسيد عملى لارادة الشعب ، وترجمة لرغبة القوى الثورية الممسكة بزمام السلطة والمصممة على بناء مجتمع الكفاية والعدل .

أن مرحلة الانتقال للسير فى طريق البناء الاشتراكى لا تقتصر مهامها على احداث تغييرات جدية فى البناءفحسب ــ وانما تسير جنبا الى جنب مع ذلك التغيير عمليات متعددة الاشكال لخلق علاقات انتاجية فى اطار القطاعات الرئيسية تحل محل علاقات الانتاج القديمة ــ ومرحلة الانتقال تلك مليئة بالصعاب والمشاكل وفى حاجة الى مزيد من التضحيات والتفانى . ومن هنا يأتى فى المقام الاول ضرورة أن يتفهم العاملون بوعى المهام الجسام التى تقع على عاتقهم وطبيعة المرحلة والمكاسب التى تعود عليهم ، وعلى الاجيال المقبلة ، اذا ما تحققتالاهداف فى أقصر أمد زمنى وبأقل خسائر ممكنة .

ان السير على النهج الاشتراكى تطلب منا اتخاذ التخطيط العلمى طريقا به نواجه كل صعاب المرحلة القادمة ــ مرحلة وضع الاساس .. وهذا التخطيط يتطلب توفر شرطان رئيسيان :

ا ــ وجود سلطة ثورية .

ب ــ تمركز وسائل الانتاج الرئيسية فى يد الدولة ــ الامر الذى يتطلب تخطيط عوامل الانتاج الثلاثة وهى :

أدوات الانتاج ــ المواد الخام والمنتجات الزراعية ــ القوى البشرية

وان الخطة الخمسية الاولى لبلادنا انما تستهدف تحقيق المتطلبات الخاصة بتنمية اقتصاد البلاد والاسراع بمعدلات التنمية فى جميع القطاعات الانتاجية . وتغيير علاقات الانتاج كما ذكرت والارتفاع بمعدلات الانفاق الاستهلاكى فى حياة السكان مع مراعاة ان ذلك لا يمكن أن يتحقق دون ارتفاع اعلى لمعدلات الانفاق الاستثمارى التى يحتمها النمو السريع للانتاج .

● **الطليعة :**

لقد اعلنتم انكم تقيمون سلطة ثورية قوامها التحالف الشعبى • ولا شك أن مشاكل معقدة تواجهكم فى بناء مثل هذه السلطة فى السودان، حيث التكوينات الاقتصادية والاجتماعية المتباينة والمؤسسات القبلية والطائفية والاقتصاد الطبيعى المغلق ، وصغر حجم قوى التقدم المستهدفة تغيير المجتمع وتحويله وسيادة أشكال موروثة من النظام الاستعمارى — كالادارة الاهلية — فما هى المنطلقات التى تنطلق منها ثورة الخامس والعشرين من مايو لبناء السلطة الثورية الجديدة لصالح تحالف قوى الشعب العامل •

؟

■ **الرئيس نميرى :**

ان ثورتنا بحكم أنها ثورة وطنية ديمقراطية — تستهدف بناء السودان واقامة الاشتراكية فيه — فانها قد انتزعت السلطة من أيدى التحالف الرجعى ، ونقلتها وما زالت تعمل على نقلها الى أيدى قوى التحالف الشعبى ، الى الطبقات التى تقف وراء هذه الثورة — العمال والمزارعون والمثقفون والقوات المسلحة — وهناك أسباب خاصة بالثورة السودانية — وتتميز بها تجربتنا — هو أن كل طبقة أو فئة من هذه القوى تعانى فى الواقع ضعفا سياسيا أو اقتصاديا يفرض علينا فى هذه المرحلة تحقيق المساواة فى الحقوق السياسية بالنسبة لكل منها كما وان كلا منها لعب دورا فى الثورة يجعلنا نرى عدم انفراد اى منها بالسلطة أو انها تفرض أيديولوجيتها الخاصة — يجب أن تكون هناك مساواة بين هذه الفئات الحريصة على الثورة فى مختلف مستويات السلطة الثورية — وذلك تاكيدا لاهمية التحالف بينها وضرورته فى هذه المرحلة لحماية وتامين الثورة ضد مؤامرات الرجعية وضد كل المحاولات التى تستهدف اجهاض الثورة ومنعها من أن تعبر مرحلة الانتقال التى تمر بها • ان وجود هذا التحالف الشعبى فى السلطة انما هو فى الحقيقة الضمان للسير فى طريق التنمية غير الرأسمالية — طريق الثورة الوطنية الديمقراطية — حتى يمكننا أن نطل على مشارف الاشتراكية •

وهذه السلطة الثورية — سلطة التحالف الشعبى — ليست هدفا لذاتها — انما تستهدف السيطرة على وسائل الانتاج واستغلال الثروات الكامنة فى البلاد وتوسيع قاعدة قطاع عام يكون قادرا على قيادة التقدم الاقتصادى وتوجيه القطاع الخاص ليشارك فى خطة التنمية وابعاده عن طريق التنمية الرأسمالى وخلق قطاع مشترك ودعم قاعدة القطاع التعاونى •

انها تستهدف القضاء على الاستغلال وتحقيق التقدم الاقتصادى •• وهى تستهدف كفالة الحريات الاساسية بمنطق الثورة والتحرر وكذلك تمكين المجتمعات المحلية من تطوير ثقافتها وتراثها فى نطاق الامة السودانية ودون اعتبار جغرافى أو عنصرى — ولقد كانت معالجة قضية جنوب السودان هى تجسيد لهذه المبادىء بخلق ودعم التنظيمات الاشتراكية والديمقراطية والحكم الاقليمى بالجنوب •

ان ثورة الخامس والعشرين من مايو تستهدف وضع السلطة فى أيدى الطبقات الحديثة ، وهى القوى التى صنعت الثورة بنضالها قبل الاستقلال وبعده وبكفاحها ضد حكم ١٧ نوفمبر الرجعى والتى قامت بثورة اكتوبر ١٩٦٤ وقاومت سلطة التحالف الرجعى بعد ١٩٦٥ والتى انتصرت فى مايو ١٩٦٩، عندما استولت الطلائع الثورية فى القوات المسلحة على السلطة • ومن ثم فهدفنا هو أن نضع هذه القوى فى السلطة لتتصدى لعملية التغيير الاجتماعى ، ولاخراج جماهير القطاعات التقليدية من مجتمع البداوة والاقتصاد الطبيعى والحياة الطائفية الى مجتمع الحضارة والتقدم والمعرفة • اننا بذلك نهدف الى اشراك جماهير العاملين فى السلطة الثورية بواسطة منظماتها واتحاداتها والتى اضطلعت فى السودان بدور مباشر وهام فى الثورتين الوطنية والاجتماعية • ونحن فى ذلك خطونا خطوات عديدة مثل اشراك العاملين فى عملية تغيير القوانين العمالية القديمة واشراكهم فى اللجان المشتركة مع مجلس الثورة والوزراء واشراكهم فى مجالس ادارة الشركات المؤممة والمصادرة ، واشراك العمال الزراعيين والمزارعين فى مجالس ادارة مشروع الجزيرة وغيره ••

ونقل السلطة الى أيدى التحالف الشعبى وبنائها بناء ثوريا انما يتطلب منا العمل على احداث تغييرات جذرية فى بقية جهاز الدولة السودانى ، وكذلك العمل لتصفية الادارة الاهلية باعتبارها عقبة رئيسية فى وجه تطور غالبية سكان البلاد وحائلا بينهم وبين المشاركة

فى الثورة الديمقراطية والاجتماعية ولذلك قررنا الغاء الادارة الاهلية وسلطاتها الادارية والقضائية ٠

وفى هذا المجال فان ثورة الخامس والعشرين من مايو تبرمج وتعمل فعلا لتوسيع قاعدة الحكم المحلى وسلطاته السياسية وقدراته الاقتصادية ـ باعتبار ان ذلك عمل أساسى لارساء قواعد الديمقراطية المباشرة ولحل مشاكل مجتمع تبلغ مساحته مليون ميل مربع ويحتوى على تكوينات اجتماعية وقبلية متنوعة ويفتقر الى الطرق والمواصلات ، ولقد بدأنا فعلا بحل المجالس المحلية القديمة وأخذنا فى اعادة بنائها بوسيلة الديمقراطية ولاشراك العاملين والكادحين والمزارعين فيها ٠

لا شك أننا مواجهون بصعاب عديدة فى عملية خلق السلطة الثورية الجديدة حيث أننا نعمل فى مجتمع له ظروفه الخاصة ، ولست مبالغا ان قلت أنها ظروف لم تدرس فى كتب ولم يعالجها المنظرون ، ولكننا فى مواجهة هذه الصعاب نستفيد من كل التراث الفكرى والثورى العالمى ، ونحن متأكدون أننا سنضيف الى هذا الفكر أشياء جديدة وسنغنيه بتجربتنا متأثرين به ومؤثرين فيه ٠

● **الطليعة :**

?

ان حجر الزاوية فى قضية بناء السلطة ،وفى قضية التنمية وانجاز الخطة الخمسية الاولى هو قضية الديمقراطية ٠ ولكن هنا يثارالسؤال : الديمقراطية لمن ؟ فى البلدان الرأسمالية الديمقراطية لطبقة واحدة ، وكل المؤسسات فى خدمتها ـ المؤسسات البرلمانية ، المؤسسات الحكومية ـ الجيش والبوليس ـ المؤسسة الفكرية ٠٠ وفى ظل النظام القديم فى السودان كانت هذه المؤسسات فى خدمة التخلف الرجعى ٠
هذا من ناحية ٠ ومن ناحية اخرى ، يبرزدور التنظيمات الديمقراطية للعاملين والمزارعين والنساء والشباب والمثقفين فى بناء الديمقراطية الجديدة ٠ ولا شك أن تجربة السودان ستكون تجربة متميزة بسمات خاصة فى نفس الوقت التى ستفيد فيه من التجارب الثورية العالمية الاخرى ؟

■■ **الرئيس نميرى :**

اننا باستهدافنا وضع السلطة فى ايدى قوى الشعب العاملة ـ انما نرفض نمط وطريق الديمقراطية الغربية ـ هذه الديمقراطية الزائفة المزخرفة الجوفاء ونرفض واجهاتها الدستورية التى لا تحمى غير مصالحها ومصالح الطبقات والفئات المستغلة المعادية للشعب ٠

ان الشعب السودانى بواقع تجربته منذ الاستقلال يعرف كيف أن الديمقراطية الغربية قد سلبته كل حق وكل قدرة على التأثير على السلطة أو المشاركة فيها ٠

لقد رفضت ثورتنا هذه الديمقراطية الزائفة والتى اصبحت الوسيلة التى سيطرت بها القوى الرجعية والاستعمارية على البلاد ، والغت الثورة كل مؤسساتها المتسلطة على شئون الشعب من القرية حتى السلطة المركزية ٠

والحقيقة أن المهم هو أن نحدد الوسيلة التى بها تستطيع قوى التحالف الشعبى أن تمارس حريتها كاملة وتحدد مصيرها بنفسها ، ويكون ذلك :

أولا : بالعمل على قيام تنظيم سياسى تتحد فى اطاره كل قوى الثورة ولا يكون فيه مكان لاعداء الثورة ، وتمارس تلك القوى مشاركتها عن طريق دورها فى القيادة والتوجيه السياسى والاجتماعى والاقتصادى من القاعدة فى القرية الى القمة فى السلطة السياسية ٠

ثانيا : اشاعة الديمقراطية فى جهاز الدولة وتحويله لصالح الجماهير بابعاد العناصر الرجعية والمعادية لحركة التغيير الاجتماعى ، والغاء كل القوانين والتشريعات القديمة ووضع القوانين والتشريعات الجديدة التى تجعل جهاز الدولة فى خدمة الشعب والتى تحمى الشعب من تسلطه ٠

ثالثا : وضع ادوات الحكم المحلى فى أيدى الجماهير الشعبية بلا تحفظ وعلى أساس استبعاد الفكر الديمقراطى الليبرالى الذى يفتح الباب لتسلل القوى الرجعية لهذه المؤسسات ـ ان مؤسسات الحكم المحلى يجب الا تكون مظلة تظل كل القوى دون تمييز ـ انها مظلة للشعب الكادح ، وبالشعب الكادح ٠

رابعا : تمثيل العاملين فى مجالس ادارات الوحدات الانتاجية المختلفة فى القطاعين العام والخاص والاعتراف بمنظماتهم الديمقراطية

ونقاباته كقوى لازمة فى العملية الثورية التى تتم الان فى السودان .

اننا نسعى ونبذل كل جهدنا لبناء ديمقراطية عريضة باشتراك كل الجماهير العاملة فى ادارة جهاز الدولة حتى توضع السلطة بين ايدى قوى الشعب العاملة ـ اننا نريد كذلك أن نحقق مبدأ مشاركة الجماهير فى الحكم قدر مشاركتها فى الانتاج .

والثورة السودانية فى سعيها لبناء الديمقراطية الجديدة، انما تستهدف بذلك ارساء الاساس لبناء الاشتراكية ، لان الديمقراطية الحقيقية ترتبط بتخليص الانسان من كل الوان الاستغلال والسيطرة . . وبذلك فنحن ننشد هدفا استراتيجيا هو الاشتراكية ، واحب ان أوضح اننا نستهدف الاشتراكية العلمية مطبقة على واقعنا السودانى ومرتكزة على تاريخنا وتراثنا الحضارى وعلى عقائدنا وتقاليدنا التى تهدف الى تحرر الانسان السودانى من قيود الحاجة وتحقق له حريته كانسان . والاشتراكية ستكون هى المرشد الذى به ستهتدى ثورتنا فى نقل الجماهير السودانية من حياة البؤس والفقر والبداوة الى حياة جديدة لا استغلال فيها ولا تخلف ، وستهتدى فى ذلك بتجارب كل الشعوب التى سبقتنا على هذا الدرب .

وان الثورة السودانية ترى انه فى الظروف الدولية المعاصرة ـ سبعينيات القرن العشرين ـ يمكنها أن تستشرق آفاق الاشتراكية قافزة مرحلة تاريخية كاملة هى مرحلة التطور الرأسمالى وأن تستعيض عنها بمرحلة انتقالية ـ مرحلة كقاعدة مادية لبناء الاشتراكية ، فثورتنا مؤمنة أنه لا يمكن انجاز البناء الاشتراكى بمجرد اطلاق شعار الاشتراكية من فوق مواقع التخلف والتبعية والاستعمار .

وثورتنا عندما تؤكد انه يمكنها تخطى مرحلة الرأسمالية انما تؤكد ذلك بناء على التجربة التى تحققت بعد انتصار الثورة السوفيتية بدخول شعوب آسيا الوسطى الى مجال وحيز الثورة الاجتماعية عابرة طريق التطور غير الرأسمالى ومتخطية مرحلة الرأسمالية ، وكما أن كل التجارب الاشتراكية فى البلاد النامية التى اتخذت الاشتراكية طريقا لها تؤكد ذلك .

وأن المجتمع الاشتراكى الذى نسعى الى اقامته فى السودان هو مجتمع يقوم على اساس الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج ، وعلى اساس الديمقراطية العريضة التى تشد كل الجماهير العاملة للاشتراك فى البناء الثورى للسودان وللمشاركة فى السلطة الثورية تمهيدا لنقل السلطة الى أيدى قوى الشعب العامل ـ بوصفها صاحبة المصلحة فى تصفية النظام المتخلف الاقطاعى وشبه الاقطاعى والقبلى والرأسمالى تصفية كاملة .

ان تحقيق وبناء ديمقراطية حقيقية ، ديمقراطية للشعب الكادح ستظل قاصرة حتى نتمكن فعلا من انجاز المهام الاشتراكية لثورتنا .

● **الطليعة :**

ان السلطة الثورية فى السودان بعد ٢٥مايو اعلنت أنها جزء من الثورة العالمية المعادية للاستعمار والامبريالية ، وانها تنهج سياسة خارجية جديدة متعارضة جذريا مع سياسة الاحزاب التقليدية الرجعية .. كما وأن السودان بحكم وضعه الخاص ـ كامتداد للوطن العربى فى القارة الافريقية وكقطر افريقى بعمقيه الجغرافى والاستراتيجى ـ يواجه مشكلة الوحدة العربية والافريقية فى مواجهة التحديات الاستعمارية فى نفس الوقت الذى يتصدى فيه لتحديات بناء هذه المجتمعات بناء شعبيا ووطنيا ديمقراطيا فى اتجاه انجاز الثورة الاجتماعية .

?

■■ **الرئيس نميرى :**

منذ حصول السودان على استقلاله ـ كانت السياسة الخارجية لحكومات الطبقات الرجعية المبادة تعكس مصالح هذه الطبقات وارتباطاتها بالاستعمار القديم والحديث فكبلت البلاد بقيود اقتصادية وسياسية وفكرية وشدتها الى عربة المعسكر الاستعمارى ، واصبح السودان لا يحكم من الخرطوم وانما يحكم من واشنطن ولندن وبون وحتى من تل ابيب .

وطمست شخصية السودان فى المجال الدولى وقعد عن دوره فى العالم العربى والافريقى ، وابتعد عن كل مراكز التحرر والاشعاع الثورى فى العالم العربى وخاصة عن الجمهورية العربية المتحدة وعن المعسكر الاشتراكى .

وظل السودان هكذا ضيعة منهوبة من الاجنبى وسياسته الخارجية محتواها رجعى واستعمارى ، حتى جاءت ثورة الخامس

والعشرين من مايو ـ فكان أن تحولت السياسة الخارجية للثورة السودانية منذ بيانها الاول ـ واصبح محتواها وطنيا وتقدميا يعبر عن مصالح الطبقات الشعبية ويلتقى مع كافة مصالح شعوب العالم .

وحددت سلطتنا الثورية الخطوط العريضة لسياستنا الخارجية فى :

١ ـ قيام السودان بمسئولياته التاريخية فى الثورتين العربية والافريقية بوصفه جزءا منهما .

٢ ـ ارساءقواعد سلم دائم اساسه التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المتباينة ، والاحترام المتبادل لمبدأ السيادة الوطنية .

٣ ـ مناهضة الامبريالية والاستعمار القديم والحديث والتضامن مع حركات التحرر العالمية .

٤ ـ دعم أواصر الصداقة والتعاون والتضامن مع البلدان الاشتراكية والتقدمية .

وأود أن أوضح هنا أننا فى انتهاجنا هذه المبادىء فىالسياسة الخارجية كنا نستلهم ذلك من دراسة علمية للوضع الدولى ، حيث ضعفت الامبريالية وتهرأت وتفكك نظامها الاستعمارى فى نفس الوقت الذى تدعم وتقوى فيه المعسكر الاشتراكى واصبح يلعب دورا حاسما فى النضال ضد الامبريالية ومن أجل السلم العالمى ، وكذلك نشوء مجموعة كبيرة من الدول المتحررة التى القت عن كاهلها نير الحكم الاستعمارى وانطلقت لتصوغ حياتها الجديدة وتأخذ مكانها البارز الفعال فى المجال الدولى ، وقد تم ذلك فى نفس الوقت الذى تصاعدت فيه حركة النضال الجماهيرى للطبقة العاملة والكادحين فى البلدان الراسمالية نفسها ، ونمت حركة واسعة ونشطة وفعالة على نطاق الكرة الارضية للدفاع عن السلم ، وفى نفس الوقت نمت وتطورت حركة الشعوب التى لازالت باقية فى قبضة الحكم الاستعمارى .

ان تعاوننا مع النظام الاشتراكى ، ليس تعاونا عفويا ، أو تلقائيا انما جاء نتيجة تجربة الثورات فى العالم الثالث معهذا النظام ، هذه التجربةالتى اكدت لنا أن بلدان هذا النظام تقدم مثالا جديدا للعلاقات مع البلدان المتخلفة وحديثة الاستقلال اساسه احترام استقلال هذهالبلدان وسيادتها الوطنية وتحقيق المنفعة المتبادلة ، كما انه يساعد هذه البلدان على التخلص من سيطرة الاحتكارات العالمية ، احتكارات النهب والسلب للشعوبوثرواتها ويساعدها على بناء صناعة وطنية وتطوير اقتصادها تطويرا سليما لصالح الشعوب ، كما انه يساعد هذه البلدان على بناء جيوشها الوطنية القادرة والمتمكنة من الدفاع عن أوطانها وعن كل مقدساتها .

وفى نفس الوقت نحن نعادى النظام الامبريالى بقيادة الولايات المتحدة الامريكية بأساليبه القديمة وبأساليبه الحديثة التى بها يسعىالى استعادةنفوذهوسيطرته علىالبلدان المتحررة سواء بالاتفاقيات العسكرية أو الاقتصادية المشروطة أو بممارسة الضغط عليها والتدخل فى شئونها الداخلية بالتآمر مع الرجعيات المحلية .

ومن هنا ثورة مايو تنطلق فى سياستها الخارجية من كونها جزءا من الثورة العالمية المناضلة ضد الاستعمار ومن أجل الاشتراكية .

وهنا احب أن أقول أن موقف السودان الثورة فى المحيط العربى،ومن الثورةالعربية، من كون السودان جزء من الامة العربية الساعية لبناء بلادها العربية حرة ديمقراطية والتى تواجه أبشع عدوان امبريالىـ العدوان الصهيونى العنصرى الاستعمارى .

وان سعى الامة العربية من أجل تحقيقها أهدافها السامية ـ هذا السعى الذى بلغ قمته بقيادة **الرئيس القائد المناضل جمال عبد الناصر** قائد النضال العربى الثورى بكل آفاقه وابعاده الوطنية والديمقراطية والاجتماعية ، هذا السعى انما السبيل الى تحقيقه هو أن تتحد الشعوبالعربية فىنضالهاـ ووحدة الشعوب العربية ليست أمرا عارضا ولا مسألة عاطفية انما حتمية تاريخية لها كل مقوماتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وتفرضها ضرورة مواجهتها للاستعمار القديموالاستعمار الحديث بزعامة الولايات المتحدة وربيبته اسرائيل ، وضرورة مواجهتنا لضغوط الاستعمار الاقتصادية والعسكرية والسياسية وتآمره على نظمنا التقدمية .

ومناقشتنا لقضية الوحدة بمنطق الشعوب والثورة يجعلنا نرفض الوحدة بمفهومها التقليدىالذى يرىالابقاء على كل شىء كما هو

دون تغيير – ان ارادة الجماهير العربية فى الوحدة انما تمثل رغبتها المستهدفة تصفية كل أساليب الخلاف والانقسام والتخلف الاقتصادى والنفوذ الاستعمارى . أن الوحدة العربية لا تعنى المصالحة بين قوى التقدم وقوى التخلف بين التقدمية والرجعية – ان النضال من أجل الوحدة العربية يعنى استمرار حركة الثورة العربية من أجل الثورة الاجتماعية التى لا يمكن انجازها دون استكمال التحرر الوطنى والديمقراطى .

وان الوحدة العربية هى فى نفس الوقت ضرورة نضالية فى العمل ضد الكيان الصهيونى العنصرى ، ضد الاستعمار ، الاستعمار الاستيطانى التوسعى بأرض فلسطين والوطن العربى والذى هو أداة للعدوان على الثورة العربية كما انتقلت الى مرحلة جديدة فى تطورها نحو آفاق استكمال الثورة الاجتماعية واستشراف الاشتراكية .

ونضالنا من أجل الوحدة العربية ولتحقيق الوحدة الشاملة كما قلت لا يمكن تحقيقه تحت مظلة المصالحة بين التقدمية والرجعية ، ولا مع أى نفوذ للاستعمار الحديث والاوضاع التقليدية الموروثة – انما يكون تحقيقه تحت مظلة الاشتراكية حيث تزول كل اسباب الفرقة والتعصب وتنمحى الفوارق الاقتصادية والاجتماعية بين مختلف اجزاء الوطن العربى الكبير .

وهنا أحب أن أؤكد بوضوح ان ذلك لايوقف نضالنا من اجل الوحدة ، فهو نضال مستمر ، فلابد من التشديد على النضال المشترك فى مختلف مراحل التطور الوطنى والاجتماعى ، والتعبير عن العمل الموحد بكل الاشكال الممكنة لمواجهة التآمر الاستعمارى والعدوان الصهيونى يتطلب العمل الموحد ، والحفاظ عليه لسد الثغرات فى وجه مخططات العدو . **كما احب ان ابرز حقيقة هامة فى هذا المجال ، وهى ان الوحدة لا تفرض فرضا ، وانما يتم انجازها وتحقيقها بارادة الجماهير الواعية الثورية ، وبمشاركة هذه الجماهير المنظمة فى النضال من أجل الوحدة .**

وفى هذا المجال أحب أن أؤكد ان اللقاء الثورى بين الثورات الثلاث – الثورة المصرية والسودانية والليبية – انما هو لقاء ثورى على طريق النضال من أجل الوحدة الشاملة هو لقاء يخلق مرتكزا للوحدة ولا يخلق محورا ، وهو بشكل جبهة صدام امامية لحماية المكتسبات الثورية ولدعم الكفاح فى مواجهة الاستعمار والصهيونية ..

وكما أحب أن أقول ان نضالنا من أجل الوحدة العربية ، يفرض على الثورة السودانية بصفة خاصة أن تنظر الى الشقيقة الجمهورية العربية المتحدة نظرة خاصة ومميزة لما يجمع بين الشعبين وبين الثورتين من كفاح طويل مرير مشترك ، ولما يتمتع به نظامها الثورى بدور طليعى وقيادى فى الثورة العربية – ان السودان الشعب سيظل يرى فى مصر الشقيق التوأم والملهم الثورى ، ارتبطنا به عندما ثرنا فى ١٩٢٤ وتظاهرنا فى الثلاثينات وبدأنا ثورتنا فى الاربعينات وعندما خفقت راية استقلالنا بعد **ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وعندما ثرنا فى اكتوبر .. وعندما ارتفعت راية ثورة مايو وتقدم يدعمها معنا باسم الشعب المصرى القائد العظيم جمال عبد الناصر .**

والسودان كجزء من الوطن العربى انتماء جغرافيا وتاريخيا وثقافيا وحضاريا وروحيا ، هو فى نفس الوقت وطن افريقى بالثورة الافريقية ارتباطا عضويا – ونحن الشعب الذى بنضاله ستتحطم كل مخططات الاستعمار التى ظلت تقسم القارة الافريقية الى ما يسمونه شمال الصحراء وجنوبها ، وان وضعنا الخاص فى افريقيا يضع على عاتقنا مسئولية دعم التلاحم بين الثورتين العربية والافريقية من اجل أن تصبح القارة السوداء مملوكة لاهلها حرة بشعوبها .

ان الثورة السودانية تركز كل جهد وتبذل كل طاقة فى النضال الافريقى ، النضال ضد التفرقة العنصرية والنازية الجديدة فى جنوب افريقيا وفى انجولا وموزمبيق وروديسيا ضد التسلل الاستعمارى والصهيونى وضد كافة اشكال الاستعمار الحديث بقيادة الولايات المتحدة الامريكية .

ونحن نعمل فى افريقيا لمساندة كل الانظمة التقدمية ولتحقيق كافة أشكال التعاون والتضامن والتكامل الاقتصادى بين البلدان الافريقية استهدافا للوحدة الافريقية المنتصرة للثورة الافريقية .

ومن هنا فاننا – سودان الثورة – نسعى بكل جهد للعلاقات الحسنة مع جيراننا مقتنعين أن هناك مصلحة مشتركة بيننا وبينهم تتحقق بالتضامن والتعاون والاحترام المتبادل للسيادة الوطنية ، وان دول الاستعمار هى التى تحاول أن تسىء الى علاقة الجيرة هذه ، ولكننا مصرون على مزيد من العلاقات الحسنة مع جيراننا وقد حققنا فى ذلك الكثير .

● الطليعة :

وإذ تطرح قضية الوحدة العربية والافريقيةنفسها ـ فإن السودانيواجه مشكلة خاصة هى مشكلة جنوبالسودان .. وهى مشكلة تحركها الان القوى الاستعماريه والصهيونية فى اتجاه الضغط على ثورة الخامس والعشرين من مايوولتعطيل نمو وتقدم الثورة وكان الاجراء الثورى الذى اتخذته ثورة الخامس والعشرينمن مايو يمنح الحكم الذاتى للجنوب ـ تأكيدا لاصرار السلطة الثورية على ايجاد حل علمىلمشكلة القومية داخل السودان ففى مجال التطبيق لهذا الاجراء ـ ما هى العقباتوالصعوبات والانجازات ؟

■ ■ الرئيس نميرى :

لقد ظلت مشكلة الجنوب تمثل لغما وضعه الاستعماريون وخططوا لتفجيره دائما فى الوقت الذى يريدونه لتقسيم السودان ولمواجهة نضاله التحررىولخلق صعوبات دائمة فى وجه أى تقدم يناضل الشعب السودانى من اجل تحقيقه من اجل بناء سودان موحد تقدمى . وثورة الخامس والعشرين من مايو منذ قيامها وهى تدرك الابعاد الحقيقية لمشكلة الجنوب ، ومنذ الايام الاولى كان لها رأى قاطع لايجاد تسوية نهائية لهذه المشكلة التى أزمنت وتحملت اعباؤها جماهير شعبنا فى جنوب البلاد وشمالها . لقد كنا ندرك تماما الجذور التاريخية لقضية الجنوب والتركة المثقلة التى خلفها لنا الاستعمار البريطانى الذى عمل دائما بقصد العمل على تعميق خطوط التطور غير المتكافىء بين الشمال والجنوب ، الامر الذى نتج عنه ان وجد اخواننا الجنوبيون انفسهم عند استقلال السودان فى وضع أقل من اخوانهم فى الشمال . ولقد فشلت كل القوى السياسية التقليدية التى جاءت الى الحكم بعد الاستقلال ان تقدم حلا لمشكلة الجنوب بل ولقد التقت سياستها مع المخطط الاستعمارى لفصل الجنوب عن الشمال ولتحويل مشكلة الجنوب الى مشكلة تستنزف كافة طاقات الشعب والحركة الوطنية وقد التقى مع سياسة القادة التقليديين الشماليين ــ القادة الرجعيون من الجنوبيين ، والذين ساعدوا بسياستهم الانفصالية على تدهور الاحوال فى ذلك الجزء العزيز من وطننا الكبير .

ونحن ثوار مايو كنا نرى ان اعداء الشمال هم فى الوقت نفسه اعداء الجنوب ، وان العدو المشترك الذى نواجهه شمالا وجنوبا عدو واحد يجب أن نوحد قوانا فى النضال ضده ولسد الطريق على مخططاته اللئيمة . ان هذا العدو هو الاستعماروالرجعية ـ هو نفس العدو الذى يحارب الشعوب العربية والافريقية ويسعى لاستغلالها وفرض سيطرته عليها ، هو العدو الذى يقف ضد كل نضال من اجل التطور والتقدم والتحرر والاشتراكية ..

وادراكا من ثورة مايو للفوارق بين الشمال والجنوب وايمانا منا بان وحدة البلاد يجب ان يتم بناؤها على اساس من تفهم هذه الحقيقة والاعتراف بالصفات الخاصة بالجنوب ادراكا من قيادة ثورة ٢٥ مايو لكل هذا قررنا العمل على خلق حكم ذاتى اقليمى للجنوب فى نطاق السودان الموحد .

وعندما اتخذنا هذه الخطوة، لم نكن غافلين عن الصعاب التى يمكن أن تواجهنا لانجاحها ـ ورأينا ان نجاحها يرتبط بضرورة نمو حركة شعبية وديمقراطية فى الجنوب تتحد مع الحركة الشعبية فى الشمال على اساس المساواة والاخوة وان تعد العدة لتعمل من أجل وقفالنشاط الاستعمارى ووضع حد له كشرط أساسى من أجل التوصل لهذا التطبيق العلمى لمبدأ الحكم الذاتى الاقليمى فى سبيل السودان الموحد .

ولقد بدأت الدوائر الاستعمارية والرجعية تعمل بكل قوة وبنشاط متزايد لتحريك قوى التمرد فى الجنوب ، محاولة بذلك دعم القوى المضادة للثورة .. وممارسة ضغط على ثورة الخامس والعشرين من مايو .. وتعددت الدوائر الاستعمارية النشطة فى الجنوب ـ الولايات المتحدة الامريكية ـ المانيا الغربية ـ اسرائيل وبدأت محاولة خلق بيافرا جديدة .. وكان علينا أن نواجه كل هذه المؤامرات التخريبية ، وأن نواجه العنف الاستعمارى الرجعى بعنف ثورى .

ومواجهتنا للعنف الرجعى الاستعمارى فى الجنوب لم يجعلنا نمتنع عن الاستمرار فى اعادة الحياة والاستقرار لارساء قواعد النمو والتطور للاقليم الجنوبى فى اطار سودان اشتراكى موحد . وبدأنا فى تنفيذ خطة التنمية الاقليمية لرفع مستوى الانتاج ولتوفير العوامل الضرورية لتحويل الجنوب الى عنصر ايجابى فى نمو الاقتصاد القومى بالاستفادة من كل لبرامج التنمية الزراعية والصناعية والاجتماعية . وهكذا يسير العمل العسكرى والسياسى والاقتصادى فى الجنوب فى خط واحد لخلق الظروف المواتية لتحرير الجنوب من التخلف، ولمواجهةكل العمل المضاد للثورة،

● **الطليعة :**

أخيرا يا سيادة الرئيس فاننا وقد ألمت بناكارثة كبرى عندما فقدنا القائد المناضل الكبير جمال عبد الناصر .. فاننا نحس ونحن نلتقى بكم أنكم تمثلون أمل شعوبنا مع كل القيادات الثورية التى تركها عبد الناصر فى الاستمرار بحركة ثورتنا الى اقصى حدودها التى كان يأمل عبد الناصر بنضال الشعوب أن يصل اليها مواجها كل العقبات والتحديات .. فشكرا لكم يا سيادة الرئيس المناضل ـ فقد اتحت لنا فرصة طيبة للتعرف على كثير من وجهات نظركم وبرامج ثورتكم الشعبية الوطنية الديمقراطية المستشرفة آفاق الاشتراكية .

■ ■ **الرئيس نميرى :**

شكرا لك ولمجلة الطليعة التى عودتنا دائما أن تكون معبرة عن الفكر التقدمى والتى تعرفها الثورة السودانية صديقة ، والتى كانت دائما قبل الثورة قريبة منا ومن فكرنا .

ولكنى أحب ان أختم حوارى هذا على صفحات « **الطليعة** » بكلمات أعبر بها عن احساسى وعواطفى نحو مصر ـ مصر الثورة ، مصر العظيمة بشعبها ووقائها ، مصر الثورة ، مصر العمال والمزارعين والمثقفين ، مصر **عبد الناصر** القائد والمعلم وابن الشعب العظيم ..

حقا ان الكارثة التى حلت بنا عظيمة ولكن احب أن أقول ان ظلمة الحزن يجب ألا تمنعنا من رؤية الطريق ـ الطريق الثورى الذى أراده عبد الناصر .. الطريق الذى صممنا على الاستمرار فيه حتى النصر على الاستعمار والصهيونية وعلى كل ألوان الاستغلال .. ان عبد الناصر لم يترك فراغا فقد ترك الشعب العظيم صانع المعجزات وترك الثورة العربية كلها تخفق راياتها بشعاراته ومبادئه .. وترك الثورة الليبية .. وترك الثورة السودانية صديقا وفيا مخلصا لمبادئه وأخا يعتز باخوة الشعب المصرى رفيق الشعب السودانى فى السلاح وصانع الكفاح المشترك معه ـ الكفاح من أجل الحرية والاشتراكية والوحدة .



عبد الناصر والثورة في الجزيرة العربية



محمد الشحات

لعل أكثر المناطق العربية التى حظيت باهتمام البطل والرائد عبدالناصر، منطقة شبه الجزيرة العربية ، فقد كان مؤمنا بحق شعبها شأن اى شعب عربى آخر فى التحرر والانطلاق لمواكبة التقدم الذى يشهده العالم ، والاسهام فى حركة النضال العربى والتفاعل معها خاصة وانها كانت تعانى من عزلة رهيبة تحول بين شعبها وبين الالمام بتطورات الاوضاع فى المنطقة العربية .

وكما قال أحد خبراء السياسة البريطانية فى الشرق الاوسط بأن عبد الناصر حالما اطمأن على الثورة فى الجزائر بانتصارها سنة ١٩٦٢ آثر أن يعطى للمد الثورى فى أقصى الشرق العربى كل طاقات الجمهورية العربية المتحدة للقضاء على الاوضاع الاستعمارية هناك ، تماما كما فعل فى أقصى المغرب العربى بدعمه ومساندته غير المحدودة لثورة الجزائر .

ثـــــورة ٢٣ يوليـــــو

ودلالتها بالنسبة للجزيرة

والحقيقة ان مسيرة الحركة الوطنية على أرض الجزيرة العربية ، يمكن ان نقسمها الى مرحلتين هما :

[أ] المرحلة منذ سنة ١٩٤٨ — ١٩٥٢

[ب] مرحلة ما بعدثورة ٢٣يوليو سنة ١٩٥٢، وحتى الان

والسبب فى هذا التقسيم أن كل ما شهدته المنطقة مما يمكن ان نسميه ثورات مجازا قبل هاتين المرحلتين لم يكن يعدو اكثر من تمردات او انتفاضات قبلية سرعان ما تنتهى بزوال مسبباتها او أمام تجريد حملة عسكرية رادعة • ولكن مع تطور أحداث الحرب العالمية الثانية شهدت منطقة الجزيرة العربية وخاصة اليمن الجنوبيـــة حيث ميناء عدن وحيث المجتمع أكثر انفتاحا من غيره شهدت مرحلة هامة حيث كانت الساحة تشهد بداية صراع خفى بين قوى الاستعمار والقوى المؤيدة له وتسير فى ركابه ، وبين قوى الشعب المناضلة المثلة فى العمال وبعض المثقفين الذين نهلوا من ثقافة الحركات السلفية وتأثروا بطابعها الاصلاحى فقط •

كذلك يجب أن نشير هنا الى حقيقة هامة وهى أن مناطق الجزيرة التى كانت تحكم بوساطة الاستعمار شهدت احتكاكا مباشرا بين الشعب ، وبين السلطة الاستعمارية مما ولد عنصرا وطنيا مناهضا للاستعمار واحتكاراته وللقوى المرتبطة به مصلحيا •

وكانت نهاية الحرب العالمية الثانية،وما اعقبها من تطورات من حيث ارتفاع راية الحـرية والديمقراطية والقومية ، وهى الشعارات التى خاض الحلفاء تحت لوائها حربهم ضد المانيا النازية ودول المحـــور .. كان لارتفاع هـــذه الشعارات أثره فى تفجير كوامن الشعب العربى فى الجزيرة مما أفرز قيـــام تجمعات وطنية كانت تفتقد الاصالة السياسية لعدم وجود اطار عقائدى يحدد مسارها واهدافها •

وقد أدرك الاستعمار وعملاؤه من القـوى الحاكمة سواء فى اليمن او اليمن الجنوبية او فى غيرهما من مناطق الجزيرة ، أن المنطقة مقدمة على مواجهة حاسمة لابد وان تتهدد مصالح التجمع الاستعمارى الرجعى • ولذا حاول كل طرف أن يستخدم الاسلوب الذى قد يكفيه مئونة هـــذه المواجهة • فبينما شهدت عدن والامارات محاولات استعمارية لاضفاء صفة الشرعية على الاحتلال وخلق مؤسسات دستورية شكلية كان الامام فى اليمن يعتقد أن الاسراف فى التنكيل سبيله الى كبت الحركة الوطنية فى مهدها ، وكذلك حذا حذوه بعض الحكام الاخرين .•

ولكن كل هذه المخططات سرعان ما صفعت بقسوة بقيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فى مصر مما كان له صداه العميق والخطير على كل احداث المنطقة ، فقد انتعشت كل القوى الوطنية وعادت اليها الحياة بعد ركود فرض عليها قسرا بسبب وحشية الضربات التى وجهت اليها •

النتائج الاولية لثورة ٢٣ يوليو

لم يكد يمضى عام واحد على ثورة ٢٣ يوليو حتى هبت ثورة فى **حضر موت** قام بها الفلاحون الذين طال غبنهم وحرمانهم فرفعوا شعار الارض لمن يفلحها لاول مرة فى تاريخ الجزيرة متأثرين فى ذلك بقوانين الاصلاح الزراعى فى مصر الثورة ، وبعد عام آخر وفى عام سنة ١٩٥٤ انتفض شعب البحرين فى ثورة استمرت حتى سنة ١٩٥٦، ، وفى عام ١٩٥٥ قامت ثورة فى اليمن بقيـــادة المقدم **احمد يحيى الثلايا** •• كما شهدت مناطق اخرى من الجزيرة اضـــطرابات وثورات ذات طابع عمالى ، ولكنها قمعت بقسوة وبوحشـــية شديدتين •

وهكذا بدا واضحا لكل القوى ولكل المراقبين المتابعين لاحداث الجزيرة ان صدى ثورة ٢٣يوليو لا يعصف بالوجود الاستعمارى فى الجزائر فقط،بل انه بدأ يعصف بقوة وبشدة فى الجناح الشرقى للوطن العربى حيث تتركز المصالح الغـربية البترولية • ولعل من أهم التحليلات التى صدرت آنذاك تحليل لاحدى الصحف المتخصصة فى مجال البترول ، والتى تحدثت عن ظاهرة الثورة فى الوطن العربى وخاصة فى الاجنحة أقصى المغرب وأقصى المشرق حيث أهم الاحتكارات البترولية .« قالت الصحيفة ان **عبد الناصر** ليس يتحدى الغرب ويسقط مشاريع احلافه ، بل أنه يعمل على تحريك كل الاجنحة العربية على الثورة حتى يقضى وفى اقصر مدة ممكنة على كل الوجود الاستعمارى .»

ومما يدل على أهمية منطقة الجزيرة بالنسبة لقيادة عبد الناصر تلك البرامج الاذاعية الخاصة التى كانت توجه اليها يوميا صباحا ومساءتحدث شعوبها عن حقيقة أرضهم وما فيها من ثروات وكيف تنهب هذه الثروات لترتد سهاما وسلاحا الى الصدور العربية خدمة للـــوجود الامبـــريالى الصهيونى على الارض العربية .•

وعندما تكشفت ابعاد المؤامرة البريطانية مع الاحتكارات البترولية ضد امامة عمان بالخليج العربي في منتصف الخمسينات حددت القاهرة وعلى الفور وبوضوح وعلى لسان البطل عبد الناصر موقفها الصريح من هذه المعركة غير المتكافئة على أرض الخليج العربي وأكدت أنه مهما كانت حسابات المستعمر وقواه فان النصر لابد وان يكون لصالح الجماهير المسحوقة هناك ، وأعلنت القاهرة تبنيها للقضية العمانية على الصعيدين العربي والدولي وقدمت للثورة قبل انحراف قيادتها كل الامكانيات المتاحة .. وفي نفس الوقت كانت القاهرة توثق علاقاتها بكل قوى التحرر على أرض الجزيرة وفي أي مكان منها .

ومع وضوح ابعاد التآمر الانجلو فرنسي — الاسرائيلي ضد مصر سنة ١٩٥٦ ، بدأت جماهير الجزيرة تجدد مواقفها النضالية بوضوح هي الاخرى فكانت ضرباتها الموفقة للمصالح البترولية هناك ، ليس هذا فحسب ، بل قامت عدة محاولات فردية لمواطنين عاديين لتخريب المصالح البريطانية وحتى الحربية منها ، وأبرز هذه المحاولات المحاولة التي قام بها احد عمال ميناء عدن لنسف احدى القطع البحرية الحربية البريطانية والحاقه بها خسائر كبيرة ، ولكن وحتى لا تجعل منه بريطانيا بطلا آثرت السلطات الاستعمارية في عدن اتهامه بالجنون حتى لا يكون قدوة لغيره ...

مرحلة ما بعد سنة ١٩٥٦

ولكن هذه المواقف الفردية أو الجماعية للقوى الوطنية في الجزيرة تجاه القاهرة ، خلقت بينهما تعاونا وتعاطفا أوثق وأقوى بعد خروج مصر ظافرة من معركة العدوان الثلاثي وساعد على ذلك بروز مؤسسات عمالية ووطنية قوية ، ثم جاءت معركة التحدي الامبريالي ممثلة في مشروع ايزنهاور وانتصار مصر فيها وارتفاع راية الوحدة العربية لاول مرة في التاريخ العربي الحديث بين مصر وسوريا سنة ١٩٥٨ لتزيد من صلابة قوى النضال في الجزيرة العربية ، لان هذه القوى وهي تخوض معركتها ضد الاستعمار وأعوانه كانت تستشعر القوة لادراكها أن وراءها قوة عربية ثورية رائدة قادرة على التحرك والردع وتقديم كل المعونات بالاضافة الى ما تقدمه لهذه القوى النضالية من توجيه وارشاد وعمل دائب على توحيد صفوفها حتى تكون دائما في مركز القوة وهي تخوض معركتها ، ولقد عبر عن هذا المعنى أكثر من مندوب سام بريطاني في عدن . وأحدد منهم ثلاثة هم **سيرتوم هيكينبوثام وهارولد انجرامس وتشارلس جونستون** الذين أكدوا في كتبهم التي ألفوها عن عدن أو اليمن أن المنطقة مقدمة على معركة ضارية يزيدها التهابا ارتفاع راية المد القومي التي ترفعها القاهرة لترتيب اوضاع المنطقة بما يتلاءم والخط الثوري التحرري الذي ترفعه قيادة عبد الناصر ، كما أكدوا في مؤلفاتهم على نقطة هامة وهي أن بريطانيا في حساباتها وسياستها في هذه المنطقة تضع نصب عينيها موقف عبد الناصر وكيف يمكن مواجهته !!

ولعل أهم ايجابيات هذه المرحلة أن القوى الثورية الاصيلة التي تلاحمت مع قيادة عبد الناصر أدركت ادراكا وثيقا ان اسلوب النضال السياسي من مظاهرات أو اضرابات لم يعد اسلوبا كافيا لمتطلبات هذه المرحلة النضالية ، وان الاسلوب الملائم لها هو اسلوب النضال المسلح الذي أصبح قادرا على قهر الاستعمار وتقليم أظفاره واجباره على الرحيل من قواعده العدوانية التي طالما استغلت لضرب مصر الثورة كما حدث في معركة ١٩٥٦ .

وقد عبرت حركة القوميين العرب في مؤتمر قومي لها عن حتمية التلاحم مع قيادة عبد الناصر لان هذا التلاحم يعزز الانتماء الى معسكر الثورة العربية ، ويكسب القوة النضالية الملتحمة بهذه القيادة طاقات للعمل الثوري الفعلي لم تكن لتستطيع اكتسابها لو أن هناك انفصالا بينها وبين قيادة عبدالناصر .

وفي ضوء هذا التلاحم شهدت المنطقة أكثر من ارهاصة ثورية في أكثر من منطقة من مناطق الجزيرة ، وأيا كانت بساطة هذه الارهاصات فقد كانت تغبيرا مهما ومطلوبا لاظهار وحدة أداة الثورة في الجزيرة ووعيها الكامل للخط الثوري الناصري في ضرورة استمرار الثورة بأبعادها السياسية والاجتماعية والعمل دائما بكل يقظة ووعي لافشال كل تحركات ومؤامرات قوى الثورة المضادة .

وحتى عندما جاءت نكسة الانفصال في سبتمبر سنة ١٩٦١ ، وبرغم الظلال الكئيبة التي عكستها على الساحة العربية كلها فان قوى الثورة في الجزيرة لم تهن ولم تستسلم بل دخلت في معارك ضارية مع المستعمر وقواه وادواته في المنطقة ، بحيث استحالت منطقة كعدن الى شبه ثكنة عسكرية في حالة طوارىء بسبب اصرار الشعب فيها على مواجهة المؤامرة الاستعمارية لضم عدن الى الاتحاد المزيف في ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٦٢ .. فخرجت الالاف من الجماهير وهي عزلاء لتواجه الجيش البريطاني الملتف حول المجلس التشريعي ، واشتبكت معه في معركة ضارية ودامية سقط فيها العشرات من القتلى ، واعتقلت المئات بل الآلاف من الجماهير العمالية خاصة (*)

وبعد يومين اثنين من هذه المعركة قامت ثورة اليمن من ارض الجزيرة التى طالما كان يرى فيها عبد الناصر احدى الدعائم الهامة للنضال العربى .. قامت ثورة اليمن لتبدد كل الظلال الكئيبة التى فرضتها القوى اللانتهازية والعميلة التى كانت تعيش واسرائيل فى نشوة دافقة بعد نكسة الانفصال التى حلت بالتقدم العربى الثورى ، فلقد كانت هذه القوى المعادية بعد الانفصال تظن كما اعلن عبد الناصر انها ملكت فى أيديها زمام توجيه اقدار المنطقة العربية ، وانه بات بوسعها محاصرة الثورة العربية الشاملة التى فجرتها ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وفرض سيطرتها من جديد ولعشرات السنين على الارض العربية .. لقد جاءت هذه الثورة اليمنية ، كما اعلن عبد الناصر فى الجنود العائدين من اليمن فى ٢٠ مايو سنة ١٩٦٣ ، مؤكدة حيوية الامة العربية وقدرتها على مقابلة مختلف التحديات لان هذه الثورة كانت نقطة تحول هامة تمكنت بعدها القوى الثورية من انتزاع زمام توجيه الحوادث من هؤلاء الذين ظنوا انهم ملكوا الزمام الى سنوات طويلة أو بمعنى آخر ان ثورة اليمن كانت نقطة حاسمة تحولت بعدها معركة القوى الثورية الدفاعيـــة الى معركة هجومية .

ولكن هذا الضوء الثورى الذى انطلق من أكثر مناطق الجزيرة تخلفا ورجعية كان بحـاجة أمام قوى العدوان التى تحركت من خلف الحدود .. كان بحاجة الى دعم مصر الثورة وبرغم خطورة اتخاذ قرار بهذا الدعم فى ضوء الظروف الدولية فان قيادة عبد الناصر بحسها الثورى والواعى والمدرك لكل الحسابات ، والتزاما منها بواجباتها تجاه الحركة الثورية فى الجزيرة ككل اتخذت قرارها الحاسم بدعم الثورة فى اليمن لكى تكون قلعة ومنارة للامل ليس على أرض الجزيرة فحسب بل لكل الارض العربية . وقد عبـر الرئيس عبد الناصر عن ذلك فى خطابه فى ٢٠ مايو سنة ١٩٦٣ حين ربط بين ثورة اليمن والعودة الى فلسطين واكد ان القاهرة تنطلق فى دعمها للثورة اليمنية من عدة منطلقات هى :

١ ــ الانتقال بقوى الثورة العربية من مرحلة الدفاع الى مرحلة الهجوم .

٢ ــ سلامة الثورة العربية كل لا يتجزأ .

٣ ــ ان صدى هذه الثورة اليمنية لن يكون حبيس اليمن فقط ، بل ان صداها اكبر من ذلك ، وأعلن أن التحول الحاسم فى العراق وسوريا فى بداية سنة ١٩٦٣ كان صدى لهذه الثورة اليمنية .

٤ ــ نصرة الانسان العربى فى اليمن على التخلف والاستعمار والانتقال به الى الحضـارة لتخطى عشرة قرون من التخلف .

٥ ــ نقل اليمن المعـزول الى يمن يعيش مع الامة العربية ويتفاعل معها ويعمل معها .

كما أكد عبد الناصر أن الجيش المصرى لم يحمل سلاحه دفاعا عن ثورة اليمن الا ليحمى الحق ــ حق الشعب اليمنى فى تقرير مصيره بالثورة ــ لانه يتطلب سلاحا يعززه ، كما اكد أن هذا الجيش لم يذهب الى اليمن ليكون جيش احتلال ، بل ليكون نصيرا للحياة لا عدوا لها .

وانطلاقا من كل هذه المبادىء الانسانية بجانب الهدف الاستراتيجى للثورة قامت القوات المصرية بدورها المرسوم لها وكرست الوجود الثـورى للثورة اليمنية بحمايتها من الاعداء المتربصين بها وخاصة الاستعمار البريطانى الرابض فى عدن متحفزا للانقضاض فى أى وقت تسنح فيه الفرصة لضرب الثورة .

وعندما استقرت ثورة اليمن وبدأت تمارس دورها لصالح الشعب اليمنى وباسـمه ادرك عبد الناصر بنظرة القائد الرائد ان ثورة اليمن التى بددت ظلام النكسة وقهرته ، عليها التزامات هى دين عليها فى الحقيقة بعد أن نصرها الله تجاه قوى الثورة فى الجزيرة كلها .. بل انه أعطى قسما للجماهير اليمنية فى لقائها معه فى ٢٣ ابريل سنة ١٩٦٤ بالعمل على طرد بريطانيا من كل جزء من الوطن العربى .. وانطلاقا من حسه القومى الثورى المرتبط دائما بفلسطين وبالعودة اليها تحدث عبد الناصر فى نفس اللقاء عن دور بريطانيا وأمريكا فى مأساة فلسطين وتمكين اسرائيل من الارض العربية فى فلسطين ، وحدد للجماهير اليمنية ان هذا الدور البريطانى الامريكى يستهدف شيئا واحدا هو القضاء على القومية العربية .

ويؤكد لهذه الجماهير بأنه لن يسكت حتى يعيد فلسطين مرة أخرى الى الوطن العربى . وكان يرى أن الطريق الى ذلك تحرير كل الاقطار العربية وخاصة فى الجزيرة ابتداء من عدن الى عمان وكل الخليج .

ان ايمان عبدالناصر بقوى الثورة العربية فى الجزيرة كان ايمانا بغير حدود ، فقد كان يعى مسارها وحركتها بكل دقائقها .. وعندما انفجرت ثورة ردفان فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٦٣ كانت تعليمات عبد الناصر الى القيادة المصرية فى صنعاء باجابة كل طلبات الثوار .

فقد كان يدرك مع كل قوى الثورة في الجنوب أن ثورة اليمن وتواجد الجيش المصرى على أرض الثورة هناك يوفر مناخا صالحا لهذه الثورة للعمل والاتساع والشمول لقهر بريطانيا فى أكبر قواعدها فى عدن .. وعندما قام الرئيس عبد النـاصر بزيارته الشهيرة لليمن فى الفترة من ٢٣ الى ٢٦ أبريل سنة ١٩٦٤ اكد على حتمية انتصار ثورة الجنوب اليمنى وأن على بريطانيا أن ترحل وأن تصفى قواعدها وان تعطى شعب الجنوب حق تقرير مصيره والا كان عليها ان تتحمل مسئولية التبعات التى ستترتب على رفضها الاستجابة لمنطق الثورة (*)

وثمة حقيقة يجب أن نوردها هنا ليس لاى هدف سوى اظهار مدى قدرة عبد الناصر على التحليل والتوقع ، فعندما تقابل عبد الناصر مع وفد من زعماء قبائل الجنوب وبعض قادته أثناء زيارته لليمن وحديثهم معه عن الثورة واحتمالاتها وآمالهم الكبيرة فى دعم ومساندة الثورة فى الجنوب قال لهم عبد الناصر : ان كل هذه أمور مفروغ منها ، وان الجمهورية العربية المتحدة قد عاهدت الله أن تطرد بريطانيا من كل المناطق التى تحتلها فى الوطن العربى ولكن الشيء الذى أطلبه منكم هو وحدة الصف الوطنى .. ويومها لم تكن هناك بوادر كبيرة تدل حتى على احتمال تفكك الصف الوطنى فى معركة التحرير .

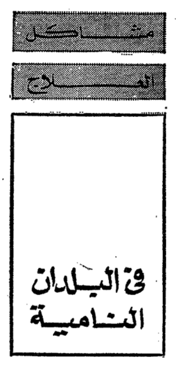
ولكن مجريات الامور بعد ذلك ومنذ نهاية سنة ١٩٦٥ بالذات أكدت صحة توقعات عبد الناصر ، فقد شهدت الحركة الوطنية تمزقات وصراعات عديدة برزت على سطح الاحداث أكثر من مرة حتى لقد بلغت حد الصدام المسلح بين زملاء النضال ، وهو أمر كان يحز كثيرا فى نفس البطل الراحل ، وكانت توجيهاته الى المسئولين المصريين المعنيين بقضية الجنوب هى بذل كل ما يمكن من جهود لاحلال الوحدة بدل الصراع والتمزق بين زملاء النضال ... وحتى بعد نكسة حزيران سنة ١٩٦٧ كان من أهم شواغل عبد الناصر بجانب التبعات الخطيرة التى كان يتحملها من أجل اعادة بناء القوات المسلحة والحشد من أجل المعركة ، كان من أهم هذه الشواغل محاولاته المتعددة لاعادة وحدة الصف الوطنى لادارة الثورة فى الجنوب ... ولكن هذه المحاولات لم يكتب لها التوفيق ، وقد تحدث عبد الناصر عن ذلك فى خطابه الى الامة فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٦٧ فقال (كنا نتمنى أن يكون هناك اتفاق بين الوطنيين فى الجنوب العربى بين كل العناصر الوطنية حتى يمكن أن يتغلبوا على المرحلة الجاية والصعوبات .. بخروج الانجليز انتهى الجهاد الاصغر وبدأ الجهاد الاكبر .. العملية لم تكن سهلة . ولكن حاولنا بكل الوسائل ولم نوفق) .

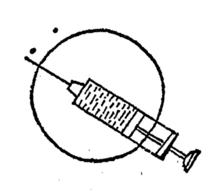
وعلى الرغم من هذه التمزقات فان عبد الناصر كان موقنا من حتمية انتصار شعب اليمن الجنوبية فأكد فى خطابه فى يوليو سنة ١٩٦٧ استمرار مساعدة شعب الجنوب حتى يحقق النصر .. وبالفعل انتصر شعب اليمن الجنوبية فى معركته النضالية بفضل دعم قيادة عبد الناصر ومساندتها له ، وقد عبر عن هذه الحقيقة **سالم ربيع على** رئيس مجلس الرئاسة فى اليمن الجنوبية فى خطابه التأبينى للبطل الراحل عندما أكد « أن ثورتى ٢٦ سبتمبر ، ١٤ أكتوبر فى شمال اليمن وجنوبه تدينان بالفضل للرئيس جمال عبد الناصر » .

ولقد كان هذا النصر الذى أحرزه شعب اليمن الجنوبية بخروج بريطانيا فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٧ بعد ما راودتها آمال البقاء فى عدن مستغلة الظلام الذى خيم على الوطن العربى كله فى أعقاب النكسة ... لقد كان هذا النصر دليلا على حيوية الامة العربية وقدرتها على التغلب على كل المحن والصعاب والارتفاع الى مستوى المسئولية ، كما كان هذا النصر تجسيدا لاصرار امتنا على تحرير أرضها وازالة كل آثار العدوان .

واذا كان عبد الناصر قد غادر المسرح العربى فان الجماهير العربية فى الجزيرة والتى طالما تعلقت به وبقيادته تتحمل الان المسئولية كلها للاستمرار فى مسيرتها الثورية الظافرة ، ولتكن هذه الجماهير المناضلة واثقة أن القاهرة معها على طريق عبد الناصر حتى احراز النصر وتحرير الارض ، ويوم تتحـرر الجـزيرة وتعود كلها وخيراتها وثرواتها لشعبها لتشارك أمتها فـى مسيرتها صوب كل الامانى والامال التى تحدث عنها عبد الناصر وحددها وناضل من أجلها .. يوم يتحقق ذلك فاننـا نكون جميعا قد وفينـا لعبـد النـاصر الرائد والبطل والمناضل بالقسم الذى عاهدنا وعاهدناه عليه .







الدكتور ب . ع

العلاج فى المجتمعات النامية ، واحدةمن اهم قضايا التنمية . وفى هـذهالدراسة القيمة ، يقدم واحد من العلماء العرب المتخصصين ، وجهة نظره فىالقضية . وقد طلب من الطليعة ان يوقعمقاله بالحـروف الاولى من اسـمه : الدكتور ب.ع.
وتعتقد الطليعة ان وجهة نظر هـذاالعالم العربى القيمة ، جديرة بان تفتحوارا بين كل المهتمين بهـذه القضـية الحيوية ، وسوف تنشر الطليعة كلوجهةنظر تصلها فى هذا الشأن .

سوف يظل الانسان العامل والسـليم وسيلة وهدفا فى عملية الانتاج ، حتى يتحرر اقتصاديا واجتماعيا من عبودية العمل من أجل البقاء.

ومهما اشتدالجدل حول تصور الانسان المتحرر فى « الاوتوبيا » الارضية ، تبقى سلامة هـذا الانسان الجسميةوالعقلية الشرط الاول لكل تطوير وتحرير للانسان ، ويستحيل على شعب مريض جسميا ، متواكل كسول نفسيا ، أن يتحول بطفرة عشوائية ، ويبقىقادرا على الصمود أمام تحديات العصر التكنىالحالى ، وعليه فان **المنطلق الحقيقى والرئيسى لتطوير أى شعب ايجاد حلول جذرية هادفة لتنشئة أجيال صحيحة، مختلفة نوعيا عن الاباء والامهات .**

تعرف منظمة الصحة العالمية الصحة بالجملة التالية : **حالةمنالسلامة التامة الجسمية والعقلية والاجتماعية** ، فكيف نهىءالاكثرية القادرة جسميا والمصممة نفسيا على العمل والصمود ؟!

لا تتبدل صحة الشعوب بمزيد من العـلاج والجراحة ، وكذلك لا ينقلب سلوك الشـعوب بالخطابة والحماس ، تكوين وتجميع رأس المال البشرى ، اجراءات تربوية صحية وقائية متكاملة ومتناسقة وتستهدفالكثرة الساحقة من الشعب .

ومهما بلغ الانفاق المالى والتضحيات من أجل ايجاد الاجيال الجديدة الصحيحة فان هذا الانفاق والجهد رابح ، والصحة لا تقوم بمال ، ومع ذلك لا تاتى الصحة الا بالصـدفة بدون مال ، والجزء الطبى فى موضوع الصحة ، بمفهومها الحقيقى الواسع ، قطاع محـدود ، ويستأثر الطب الوقائى من هذا القطاع المحدود بالجزء الاوسع منه ، وليس الطب الا تدابير لمنع حدوث الخراب ، بالاسعاف الصحيح والكشف الباكر عن الامراض وعلاجها ، قبل حدوث التخريب والعجز النهائى ، ويبقى قطاع واسع من الطب العلاجى انفاق استهلاكى لا حدود له ، وقـد يكون تبذيرا بالنسبة للاقتصاد الفقير .

حساب الاقتصاد البشرى

لقد دخلت الرياضيات ومعادلاتها مجال العلوم الانسانية ، وتؤكد دراسة إكلاف الحياة الاسنانية على ما يلى : يكلف تكوين الشاب حتى سن الخامسة عشرة ما يعادل دخل الكهـل « رب العائلة » من متوسط عمله مدة خمسة أعوام ، وعليه فان وفاة الطفل قبل الخامسة عشرة « أى قبل سن العمل والانتاج فى الحد الادنى » خسارة اقتصادية اجتماعية ، والكهل الذى انجب أولادا ومات عدد منهمفى سنالطفولة ، قد تكون حصيلة انتاجه فى حياته خاسرة ٠

اذا توفى الشخص فى سن الأربعين فانه يحقق للمجتمع كسبا يتناسب مع مستوى مـؤهلاته وانتاجه ، اذا كان صحيح الجسـم والنفس ، ويتضاعف هذا الربح اذا حدثت الوفاة فى سن الخامسة والستين مع استمرار قدرته على العمل والانتاج ، ويطرح من حساب الخسارة والربح الاطفال الذين ماتوا فى حياته ، أو هم مصابون بعلل وعاهات وهو ينفق عليهم مستهلكين لا منتجين ٠

ان تخطى مرحلة التخلف والانتقـال الى مجتمعات الوفـرة والاستهلاك ، هى القضيـة الحياتية الاولى لجميع الشعوب التى تخلفت عن ركب الحضارة التكنية ، والمنطلق الوحيد لبلوغ ذلك تكوين الانسان والمجتمع الجديد الصحيح والمنتج ٠

ان الانفاق السخى على الطب الوقائى فى الدول المتخلفة هو تنمية حقيقية لرأس المال البشرى وهى استثمارات رابحة جدا ، ذلك أن تراكم رأس المال **فى مشاريع الانتاج لابد وأن يسبقه تراكم وتجميع للطاقات البشرية المنتجة التى تخلق رأس المال بعملها وانتاجها الزائد ٠**

وعليه فان الانفاق العام من ميزانية الدولة أو صناديق الضمان لابد وأن توجه لتنظيم عيادات حقيقية لشهادة الزواج بغية الكشف عن الامراض الوراثية لمنع انتشارها ، والعناية بالتلقيح وجعله اجباريا وللجميع ، والعناية بالطفولة والامومة ، وطب المدارس الوقائى ، وتنظيم كفاح الامراض المستوطنة ٠ ويواكب ذلك أيضا تربية نفسية مهنية وتهيئة لظروف مناسـبة للعمل ، بحيث تصبح الاكثرية الساحقة من الشعب كتلة انتاجية متكاملة قبل أن تكون استهلاكية عاجزة ٠

والمواطن الذى يطالب بحقه بالامن والعمل والتامين على الحوادث والامراض والعجـز والشيخوخة ٠٠ الخ ، لابد وأن يخضع قبل ذلك لاجراءات تمنع او تخفف من امكانيات حدوث كل ذلك ٠

طبيعى وغريزى أن يعمل الفرد على سلامته الشخصية ويبالغ فى جراحات التجميل والتصليح والتبديل وحتى فى سنالشيخوخة ، وكذلك طبيعى او هو واجب المسئولين ان يعملوا لصالح المجتمع بكامله لتامين سلامةصحية وللجميع ، ولو تعارض ذلك مع الدوافع الفردية الغريزية ، وادى لوضع حدود صارمةتضع مصلحة الجماعة قبل الافراد ٠

ويستحيل أن يكتب النجاح لبرامج التطوير والتنمية فى البلاد المتخلفة طالما استمرت الزيادة العشوائيةالكبيرة من المواليد ، لقد اختلت موازين الاصطفاء الطبيعى التى سادت زيادة السكان قرونا تاريخية ، وذلك بعد أن عرفت أدوية فعالة تسمح ببقاء عدد متزايد من العاجزين والمرضى المزمنين أحياء حتى سن متقدمة ٠

والطب الوقائى فى جميع هذه البلاد محاضرات ومواعظ وتمنيات ، ذلك أن هذا الطب هو بناء المستقبل ، والانسان المتخلف لا يرى لابعد من أنفه ويومه ، وكذلك تبقى المدارس عاجزة عن استيعاب الزيادة العددية الكبيرة ، وتعجز وسائل التاهيل والتدريب على قلتها ، عن استبدال العـددية بالنوعيةالضرورية ، **وحصيلة كل ذلك فيض بشرى عاجز غير مدرب وعاطل عن العمل مستهلك وغير منتج ٠**

وهكذافانا نشهد **كيف أن العلاج الفعال قد خلق بنتائجه البعيدة مشكلة اقتصادية اجتماعية بالغة التعقيد ، وكان من حصيلتها أن نتائج التطوير عكسية ومقلوبة ٠**

ومامن شك فى أن الزيادة العددية وحدها أعباء على الاقتصاد القومى وسبب للتخلف أساسى أيضا ، ذلك أن الالة فى العصر الحاضر تغنى عن مئات السواعد ، اذا حركتها الايدى المدربة على قلة عددها ٠

والخلاصة ان **الثراء الحقيقى لاى شعب هو حصيلة قدرة الافراد والجماعات فيه على العمل**

والانتاج الكمى والكيفى؟ والفقر الحقيقى فى زيادة عدد العاجزين عقليا ، أو جسميا أو غير المؤهلين •

ويستهدف الطب الوقائى تنمية حقيقية للثروة البشرية ، بينما تزداد الحاجة للطب العلاجى مع تقدم السن ،فالطب الوقائى ادخار والطب العلاجى يغلب أن يكون استهلاكا وقد يكون تبذيرا •

ومن المؤسف تخلف الاقتصاديين والسياسيين عن ادراك أولوية صيانة رأس المال البشرى بالحفاظ على الصحة فىحدودها الدنيا ، والتعبير الحقيقى عن مستوى نمو وتطور الشعوب تمثله الجهودالمبذولة لصيانةالصحة الجسمية والنفسية للاطفال والشباب بشكل خاص •

تطـــور الخـــدمات الطبيـــة

عامل رئيسى فى زيادة السكان

قام Sauvy « فرنسا » بدراسة مقارنة لمتوسط العمر ، والفارق الكبير بين أرقامه بحسب الخدمات الصحية المقدمة ، فكانت النتيجة كما يلى : لا يزيد متوسط عمرالانسان فىمنطقة يوجد فيها طبيب لكل مائة ألف شخص « بعض البلاد فى آسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية » عن ٣١ سنة فقط ، بينما يبلغ المتوسط ٥٦ سنة اذا توفر طبيب لكل خمسة آلاف شخص ، واذا بلغت النسبة طبيب لكل ٦٦٦ من السكان ارتفع متوسط العمر حتى ٧٢ر٣ سنوات • « وكلمة طبيبفى هذا الاحصاء لا تعنى سماعة وكتابة وصفة ، بل تشمل مستشفيات وجراحاتومخابر وأبحاث ، وقبل ذلك ايضا وقاية صحية وتشمل المسكن والماء والغذاء » •

وليس الاهم أنيزداد متوسط العمر اذا كان ذلك نتيجة لزيادة عدد العاجزين والمرضى الذين أبقتهم أدويتنا وجراحاتنا أحياء ، وكذلك على نفس المستوى ليس كافيا أن يكون الناس أصحاء اذا لم يكونوا مؤهلين للعمل التكنى ومدربين ويجدون مجالات كافية لاستيعاب طاقاتهم الانتاجية •

زيادة متوسط العمر بدون أدنى شك هى من بين أبرز النتائج لارتفاع مستوى المعيش والوعى الصحى والعناية الطبية •

وعليه فيجب أن تنتهى الفكرة الخرافية أمام صراحة الارقامالاحصائية ، وهى خرافة أن العيش فى الريف ، حيث الهواء الطلق والراحة النفسية ، تسمح للانسان أن يعيش فى صحة جيدة عمرا مديدا ، فليس بالهواء وحده يعيش الانسان !؟

ومتوسط عمر البشر فى البلاد المتطورة الصناعية وفى المدن بشكل خاص ، أعلى بكثير من متوسط العمر فى البلاد الزراعية المتخلفة ، وفى الريف دون المدن كذلك ، وما يقال أو يشاهد من وجود معمرين فى الجبال ليس الا ظواهر استثنائية ينجو فيها أفراد منالموت الباكر ، مقابل المئات والالوف الذين يموتون أطفالا وشبابا ، أى أن عملية الاصطفاء الطبيعى وبقاء الاقوى هى السائدة فى هذه المناطق •

ولم يكن للمنجزات الصحية والطبية فى نصف القرن الاخير من نتيجة الا تبديل الاصطفاء الطبيعى ، باصطفاءيعتمد على القدرة على الانفاق على المستوى الفردى أو العام •

الخدمات الطبية مسئولية اجتماعية

عقد فى باريزعام ١٩٦٦ مؤتمر للاخلاق الطبية واحتدم جدل بين الفرنسيين يقولون بأن الطب خدمة للفرد ، وبين البولونيين يؤكدون بل هو مسئولية اجتماعية ، واتفق الطرفان رغم اختلاف المنطلقات ، **على أن من المبادىء المسلم بها فى العالم أنه لا يجوز أن يموت أنسان لانه عاجزماديا عن الحصول على العناية الطبية الضرورية ، ويبقى هذا الكلام تجريدا ، واقرب للتمنيات الطوباوية •**

يعتقد الناس جميعا وببساطة أن لكل مواطن أن يستفيد من أحدث منجزات الطب وتطبيقاتها ، يقول « جان برناد » **ان هذا الكلام فى التطبيق أوهام •**

كذلك يجزم « هامبورغر » فى المؤتمر الدولى للاخلاق الطبية بأن اليوم قريب حيث لابد وأن نقرر ترك بعض المرضى يموتون بمرضهم ، ونحن نتركهم حاليا لمصيرهم متجاهلين وجودهم •

ان تطبيق بعض الكشوف التكنية الجديدة باهظ التكاليفبحيث لا يمكن تعميم استعمالها وتطبيقها على جميع المحتاجين لها ، بعد أن تعددت الاختصاصات ، وتجاوزتبشكل حاد أكلاف الطب والعلاج ، الامكانيات المالية للافراد والجماعات •

والمقصود بالجماعة أنظمة الضمان الاجتماعى assurance sociale أو تاميم الخـــدمة الطبية ، أو أى شكل من التعاون أو الضمان الفردى •

وما من شك فى أن مختلف هذه الانظمة ، تضمن بدرجة أو بأخرى ، توزيعا أقرب للعدل فى الخدمة الطبية ، من فوضى شراء هذه الخدمات تحت ستار حرية التعامل بين المريض والطبيب • ذلك أن **النتيجة الحتمية لما يطلق عليه اسم حرية العمل والتعامل ، أن القادرين ماديا هم المستفيدون دون غيرهم من الخدمة الحياتية الاساسية ، ويقل عدد هؤلاء القادرين كلما ارتفعت تكاليف الخدمة • تماما كما يقل استهلاك أية سلعة مع ارتفاع ثمنها •**

وانى أنطلق فى هذا البحث من مبدأ أساسى انسانى ، قبل أن يكون اقتصاديا سياسيا ، وهو أن **لكل مواطن الحق فى أن يتمتع بعناية صحية وطبية مماثلة لما يتمتع به الاخرون من المواطنين •** وهو مبدأ مناقض تماما لفلسفة وتطبيق قاعدة « البقاء للاصلح » ، وهى مشتقة من «الداروينية الجديدة» وتقضى بنتائجها الى ما يلى : الانسان النابه والناجح ، أو المتمتع بثراء أهله ، صاحب حق فى أن يكون حظه من الحياة أفضل من الخامل والفقير !!

والسؤال المطروح وكيف كان حظ البعض الثراء والنباهة وحظ الاخرين الخمول والفقر ؟ !

لقد تم ذلك نتيجة ظلم اجتماعى تاريخى ، بحيث يبقى كل انسان من الاكثرية وراء لقمة العيش جاهلا أو يائسا وخاملا ، بينما تهيأ جميع الفرص للاقلية ليتعلموا وينطلقوا من مراكز القوة لزيادة ثرائهم وزيادة سلطانهم !!

وكانت نتيجة تطبيق مبدأ : « نصيب كل انسان تقرره ظروفه وامكانياته » أن اختص الفقراء والعاجزون بالمزيد من البؤس والعجز والفقر ، بينما يتمتع القادرون بأفضل منجزات الصحة ، والطب مهما بلغت تكاليفها •

تهيئة الافراد العلميين وهجـرة الادمغة

تؤكد تقديرات خبراء منظمة الصحة العالمية ، أن ما تم الكشف عنه وتطبيقه فى العلوم الطبية خلال الاعوام الثلاثين الاخيرة ، يزيد كثيرا فى نوعيته ونتائجه عن جميع ما تراكم للانسان من معارف طبية منذ عرف التاريخ البشرى •

ونتيجة للطفرة الكبيرة فى المنجزات التكنية الطبية تضاعفت عدة مرات الحاجة للافراد والمنشآت والادوات ، وتحول الاعجاب بالطب الى ايمان بالعلم وشمل ذلك شعوب الارض جميعا •

وكذلك أصبح الاختصاص ضروريا ، وتعاون الاخصائيين لمعالجة الجسم الانسانى الواحد واجبا •

ولم يعد يكفى للعناية بالمريض طبيب ، بل فريق من الاطباء والفنيين على مستويات مختلفة ، وتهيئة هؤلاء الاخصائيين باهظ التكاليف • ويؤكد **« كيلى وست » من أوكلاهوما ، ان على الولايات المتحدة أن تنشىء اثنتى عشرة كلية للطب جديدة ، لتحصل على بديل من الافراد الاطباء الوافدين اليها سنويا •** « تقدر نسبتهم بـ ٢٥ فى المائة من العاملين فى المستشفيات » •

ومعنى ذلك أن أكثر بلاد العالم تطورا علميا وتكنيا وانتاجيا عاجزة عن تأمين حاجتها المتعاظمة من الافراد العاملين فى الطب وفى غيره من العلوم •

كذلك تؤكد الارقام البريطانية عام ١٩٦٩ أن نسبة العاملين فى الطب فى انجلترا من غير البريطانيين ، هنود ، باكستانيون وغيرهم ، تبلغ ٤٠ فى المائة من مجموع العاملين فى الخدمات الطبية ، وفى نيويورك عدد من الاطباء والمهندسين الايرانيين أكثر مما فى طهران منهم •

لقد اختارت الدول الرأسمالية الطريق الاسهل والاكثر ربحا عندما فتحت أبوابها للنازحين التكنيين فى جميع العلوم من البلاد الاخرى ، **فقد وفرت الولايات المتحدة باستفادتها من خدمات مائة الف من الاطباء والمهندسين وغيرهم من الاجانب منذ عام ١٩٤٩ أكثر من أربعة مليارات دولار •**

يقدر الاستاذ تيمتوس « كلية الاقتصاد فى لندن » أن ما ينفق على تحضير فرد حامل لشهادة البكالوريوس « وهى الشهادة الجامعية الاولى » **هو عشرون ألف دولار وسطيا •**

وأمام حاجة البلاد المتخلفة لبعض الاخصائيين فانها تستوردهم لقاء اجور عالية جدا ، وهم غير قادرين على فهم مشاكل البلاد وايجاد حلول صحيحة لها •

فهجرة الادمغةخسارةبشرية واقتصادية كبيرة ومزدوجة للمتخلفين وربح جاهز للمتطورين ·

وقد عقد فى لوزان عام ١٩٦٧ مؤتمر غير حكومى لمعالجة هذه الظاهرة « هجرة الادمغة » ، وخرج بتوصيات هى فى حقيقتها تمنيات طوباوية اليكم خلاصتها : ١ ـ رفع أجور الفنيين فى بلادهم · ٢ـ توسيع الفرص أمام المختصين للعمل فى اختصاصاتهم · ٣ ـ زيادةقدرة المجتمع على تطبيق الاساليب الحديثة ·· الخ ·

سوف يترتب على رفع أجور الفنيين والاختصاصيين ، حتى تقارب أو تعادل أجورهم فى البلاد المتطورة ، احداث خلل رهيب فى المجتمعات المتخلفة ، والسؤال ولنفترض جدلا بامكانية ذلك ، فكيف يمكن توفير مجالات لعملهم فى اختصاصاتهم الرفيعة ؟! والامكانيات المادية غير متوفرة للمنشآت والاجهزة وتجديدها المستمر ؟!

لن أتوسع فى دراسة ظاهرة الاندفاع غير المخطط وراء الاختصاص ، ونتائجها فى هجرة زبدة المجتمعات المتخلفة او بطالتها ، ولكنى أريد أن اؤكد علىضرورةضبط كل ذلك، بحيث لا يكون الرواج والربح وحده نوازع توجه الشباب لانتقاء اختصاص لا مجال للعمل فيه بعد عودتهم الى بلادهم ، وكذلك تحسين ظروف الدراسة والتخصص فى الجامعات الوطنية ، بحيث لا يوفد للدراسة والتخصص الا من أجل اكتساب خبرات تهيأ سلفا امكانيات العمل فيها محليا ·

ولا يمكن ايقاف الاستنزاف الخطير للادمغة البشرية الا باجراءات صارمة ودقيقة تعتمد أولا على تطوير جامعاتنا الوطنية ، بحيث تتجاوب وتتكامل مع حاجة مجتمعاتنا للعناصر البشرية الضرورية لتأمين التنمية والخدمات بحسب أولويات مدروسة ، وكذلك ضبط الايفادات الخارجية بحدود هذه الحاجات الحقيقية ، وتوسيع امكانيات الجامعات لاستيعاب الحاجة للايفادات الداخلية ، مثال ذلك نحن بحاجةلتنظيم شامل ودقيق للطب الوقائى ، واهتمام كليتنا حاليا مقتصر على الطب العلاجى ، وكذلك فان الحاجة ماسة لتخريب اعداد كبيرة من الفنيين والموظفين الصحيين وغيرهم ، وليست لدينا معاهد أو دراسات لتأمين حاجاتنا منهم ·

وما يقال عن الاختصاص فى الطب يقال مثله وأكثر منه بالنسبة للاختصاص فى الهندسة والفيزياءوالكيمياء والجيولوجيا ·· الخ ،فيما لو ترك لكل انسان أن يساير التيار العالمى فى الفروع الجديدة والتى لا مجال لتطبيقها فى بلادنا ، وعدد غير قليل من شبابنا درسواويدرسون اختصاصات لا مجال اطلاقا ولا فى المستقبل المنظور للافادة منها محليا ·

التكاليف الكبيرة للمنشآت والتجهيزات وتجديدها

يكلف انشاءسرير جديد فى مستشفى « فرنسا » ما يعادل ٦٠ ألف ليرة سورية « بناء وتجهيزات يضاف اليها الانفاق السنوى ·

وقد تضاعفت منذ ثلاث سنوات كلفة اليوم الواحد من الاستشفاء فى سرير « فرنسا » اذ تبلغ حاليا ما يعادل ١٢٠ ليرة سورية لليوم الواحد فى المستشفيات العامة وتصل الى ٢٠٠ ليرة بالنسبة لاسرة الجراحة العامة و ٤٠٠ ليرة فى الجراحة الاختصاصية ·

ويشكو الاخصائيون ويلحون بطلب المزيد من الابنية والاجهزة المتطورة وتجديدها · لقد شيدت مستشفيات فى سوريا منذ عشرات السنين ، ولا تزال ابنيتها قائمة دون تجهيز لعجز الميزانية وللنقص الكبير فى الافراد المؤهلين ·

وينسى الاخصائيون الذين تدربوا فى جامعات ومستشفيات المتطورين أنهم يعملون فى أوطانهم ، وفى ظروف مختلفة جذريا فى الامكانيات المادية والفكرية عن الوسط الذى تعودوا العمل فيه ، خاصة واننا نستورد كل شىء ، بينما يصنع الاخرون أفرادهم واجهزتهم ويبدلونها لمصلحة اقتصادهم الصناعى ·

يقول البعض ان الالة الحديثة توفر الايدى والادمغة العاملة ، وان أجهزة اوتوماتية للتحليل والتصوير والادارة ·· الخ ، هى أفضل وأسرع فى عملهاونتائجها من عدد كبير من الفنيين · هذا الكلام صحيح فى بلاد منظمة متطورة صناعية ، وتشبه تماما محاولة تطبيق ذلك فى بلاد متخلفة زراعية ، تمثل المقولة المعروفة « وضع المحراث أمام الثور » ·

يستعمل الامريكيون عام ١٩٧٠ خمسين الف ناظم Ordinateur وسوف يبلغ عددها المقدر لعام ١٩٨٠ مائة الف منها وهي طبعا صناعة وصيانة وتجديدا امريكية • ومن المتفق عليه ودون جدل ، ان الناظم ليس آلة لتنظيم العمل بل العكس هو الصحيح ، فان تنظيم العمل يسمح باستعمال الناظم بكفاءة وجدوى ، ويجعل بالامكان صيانة هذه الالات وغيرها أو تجديدها والاستفادة منها عملية ، اقتصادية وناجحة ، بينما يكون استعمال الناظم في جهاز صناعي أو اداري بدائي التنظيم مصدر ارباك وتشويش اضافيين •

وعليه فليس بالامكان الاستعاضة عن المؤهلين من الفنيين باستخدام آلات أوتوماتية في مجتمع لا تزال الامية أو ما يقرب منها فيه سائدة ، او على الاقل لا يزال الايمان العلمي والسلوك فيه أقرب للفوضى والمزاج الفردي •

ولن يكون الاندفاع في شراء المزيد من الالات والادوات حلا للنقص الكبير جدا في المؤهلين ، ودليل ذلك استقبال الولايات المتحدة وبريطانيا للمزيد من المؤهلين ومن جميع الجنسيات •

والخلاصة هناك استحالة بشرية ومادية معا تحول دون تأمين خدمات طبية ولجميع المواطنين ، وفي مستوى هذه الخدمات في بلاد متطورة •

وليس يكفي أن يكون البلد متطورا وغنيا لتكون الخدمات الطبية متوفرة للجميع ، فان تنظيم توزيع الخدمات عامل حاسم في ذلك . **فقد بلغ انفاق الولايات المتحدة على الخدمات الطبية عام ١٩٦٩ « انفاق خاص وعام » بلغ ٦٣ مليار دولار ، ومع ذلك فان ترتيب الولايات المتحدة بين دول العالم في وفيات الأطفال الرابعة عشرة ، ووفيات الامهات اثناء الولادة في المرتبة الثانية عشرة ، وتاتي في المرتبة الثامنة عشرة في فترة امتداد العمر بالنسبة للذكور** » مجلة فورشن كانون الثاني ١٩٧٠ » •

وفي دراسة موارد الخطة الاقتصادية الاجتماعية السادسة في فرنسا عجز الباحثون عن ايجاد حلول لارتفاع الانفاق على الضمان الاجتماعي ، لقد نظم الضمان عام ١٨٨٣ في المانيا ، وعام ١٩١٣ في انجلترا ، و ١٩٢٨ في فرنسا ، والضمان الصحي متروك لمشيئة وقدرة الافراد في الولايات المتحدة ، واقر اخيرا ضمان اجتماعي للشيوخ والمحتاجين •

وأمام الزيادة الكبيرة في الطلب ، وزيادة أكبر في المستحدثات الطبية في التشخيص والمداواة ، وبفضل تطور المناهج الصحية والطبية ، ازداد متوسط عمر الانسان ، ولكنها زيادة باهظة التكاليف . مثال ذلك : اكتشف مؤخرا دواء لمعالجة داء باركنسون يخفف من آعراضه ، تكلف المداواة للمريض الواحد سنويا ما يعادل تقريبا مائة وخمسين الف ليرة سورية « ٢٠ مليون فرنك فرنسي قديم » • والسؤال من يجرا ويقرر منع الابحاث أو منع استعمال العلاج ؟!! أو انتظار سنوات حتى تنخفض اسعاره ، واذا حدث ذلك فمن يمنع مشاعر الغيظ والحقد في نفوس المرضى وأهلهم ؟! •

وعليه فان انشاء صندوق للضمان الاجتماعي دون سياسة محدودة ، وتنظيم دقيق ، سيعرض الخدمات الطبية لمشاكل ارتفاع الاسعار ، وزيادة التفاوت والظلم في التوزيع ، فقد ارتفعت بشكل حاد أسعار الخدمات الطبية بعد تطبيق نظام الضمان للشيوخ والمحتاجين في الولايات المتحدة ، بحيث ان ما دفعته الحكومة الفيدرالية لصندوق الضمان المذكور بلغ عام ١٩٦٩ ثلاثة عشر مليار دولار ، ارتفعت بعدها وبسببها أسعار الخدمة الطبية بنسبة وسطية بلغت ٤٠ في المائة ، وهو ارتفاع شمل طبعا جميع طبقات الشعب الامريكي •

لقد عارضت أكثرية أطباء الولايات المتحدة ، وخاصة اتحاد الاطباء الامريكيين A. M. A. مشاريع الضمان الاجتماعي ، ويلاحظ حاليا انقلاب كامل في رأيها بمشاريع الضمان ، فقد ازداد دخل الاطباء وازدهرت أعمالهم بعد أن حقنت سوق الخدمات الطبية بثلاثة عشر مليار دولار •

ويزداد الطلب للخدمة الطبية ، وفي جميع انحاء العالم كلما اتسعت امكانياتها التكنية وازدادت الثقة بمنجزاتها ، وعليه فقد تضاعفت مرات عديدة مراجعات الاطباء والمشافي والجراحات والادوية خلال الاعوام الثلاثين الاخيرة •

ويزداد الانفاق على الخدمات الطبية بنسبة ازدياد عدد الشيوخ ، وعدد الذين يسمح لهم الطب العلاجي بالبقاء أحياء وهم عاجزون عن العمل ومقعدون •

لقد تضاعف خلال السنوات العشر الاخيرة الانفاق على العناية الطبية في كل من بريطانيا والاتحاد السوفيتي ، حيث الخدمة الطبية مؤممة ، وبلغت أرقام الانفاق على الضمان في فرنسا

والولايات المتحدة ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل عشرة أعوام ، وكانت الزيادة خمسة أضعاف في بلجيكا ، وتكاد تراوح موازنات وزارة الصحة في البلاد المتخلفة في مكانها نسبيا ، اذا لاحظنا زيادة السكان •

وليس بالامكان مضاعفة هذه الميزانيات طالما أن الدخل القومي لم يتضاعف ولا مرة واحدة ، والخلل قائم في أن الطب العلاجي العام يستأثر بأوفى جزء من ميزانية وزارة الصحة ، ولا حدود للانفاق عليه ، رغم أن **الطب الوقائي هو الطب الانساني والاقتصادي الصحيح وله الاولوية في الانفاق العام** •

كيف تواجه الدول المتطورة مشكلة توزيع الخدمات الطبية ؟

الضمان الطبي في الولايات المتحدة اختياري ، وتقول مجلة فورشن « في الولايات المتحدة » ان **الطب الامريكي مبعث فخار الامريكيين على حافة الفوضى ، فان ثمانية ملايين أمريكي فقط ، من أصل مائتي مليون عدد سكانها ، يتمتعون وحدهم بحماية طبية صحيحة ، والاخرون متروكون لحظهم وتقلبات أوضاعهم المالية** ، فان ارتفاع تكاليف الخدمة يخفض بشكل اجمالي من مستوى الخدمة العامة ، ويجعل الخدمات الرفيعة تحت تصرف عدد يقل ، كلما ارتفعت وتعقدت التكنية الطبية .

والزيادة في تكاليف الطب متسارعة ، ويقدر الخبراء هذه الزيادة بـ ٦٠ في المائة خلال الاعوام الخمسة القادمة •

والمعضلة التي تواجه دول العالم جميعا التوفيق بين مبدأ انساني يقضي بتوفير الخدمة الطبية في مستوى لائق ولجميع المحتاجين لها ، وبين الارتفاع المتسارع في تكاليف هذه الخدمات ، وزيادة الطلب غير المحدود عليها ، والامكانيات على الانفاق ذات حدود مهما ارتفعت •

والانفاق العام والخاص على هذه الخدمات لابد وأن يتماشى ويساير قدرة الاقتصاد الفردي والقومي على تحمل أعباء مرهقة ، أو هي فوق طاقة تحمل هذا الاقتصاد في معظم الحالات .

لقد ارتفع الانفاق على الطب أربع أمثال ما كان عليه قبل عشرة أعوام • **واذا أردنا أن نعالج جميع الناس ، وفي أي بلد بأحدث الوسائل لكان من الضروري تهيئة جميع شبابه وكهوله ليكونوا أطباء وممرضات .. الخ** • أي يعملون جميعا في الطب فقط ، وكذلك لو اردنا تعليم الجميع والى مستوى جامعي لوجب ان يكون جميع المواطنين معلمين !!

ان للدخل القومي ومصادر الثروة وفي كل بلاد العالم حدودا ومعدلات للنمو لا يمكن أن تتجاوز في أحسن التقديرات ما بين ٣٢ ـ ٣٦ في المائة خلال السنوات الخمس القادمة ، ولا تتجاوز نسبة نمو الدخل القومي في البلاد المتخلفة عن ٢٠ ـ ٢٥ في المائة فقط ، وذلك في أحسن الظروف أيضا • وقد تكون معدلات النمو في الدخل القومي مستهلكة سلفا بزيادة السكان ، ومعنى ذلك تدني متوسط الدخل للفرد ، اذا افترضنا عبثا ، وفي أفضل الظروف توزيعا عادلا لهذه الزيادة في الدخل .

لقد بلغت أرقام ميزانية الضمان الاجتماعي في فرنسا عام ١٩٦٩ خمسين مليار فرنك ، ويمثل هذا الرقم ثلث ميزانية الجمهورية الفرنسية ، وبلغت الزيادة النسبية في هذا الرقم عن العام السابق ٢٠ في المائة ، بينما لم يتجاوز متوسط زيادة الدخل ٤ في المائة فقط •

والانفاق على الصحة والخدمة الطبية لايقتصر على التطبيب والعلاج والجراحة ، بل ربما كانت الخدمات الصحية بالاسكان والتعليم والمياه والوقاية من الامراض .. الخ أكثر أثرا في تحسين صحة الشعب من الطب والعلاج .

ورغم القناعة العلمية بصحة ذلك ، وبأن الطب الوقائي اجراءات اقتصادية وانسانية رابحة بينما الطب العلاجي استهلاكي ، ولابد من تنظيم توزيعه وتحديد مستوياته ، بحسب امكانيات الاقتصاد القومي ، **رغم كل ذلك يندفع الافراد والمسئولون وراء الطب العلاجي في الانفاق على المزيد من الاجهزة والادوية ، وعلى حساب الطب الوقائي ، ذلك أن الطب العلاجي يرضي غريزة البقاء عند الفرد ، ولا يثير الطب الوقائي حماس الناس ، ولا يشعرون بنتائجه المباشرة** •

وتقوم احتكارات الدواء العالمية ووسائل الاعلام المختلفة ، وامكانياتها في الانفاق والبحث والاد غير منظورة ، بدور كبير في هذا التوجيه الصحيح •

يقول تقرير لمنظمة الصحة العالمية : تقـ الدعاية الصيدلانية بدور كبير فتعرض على الاء محضرات متنوعة عديدة الاسماء ، بحيث :

الاطباء والمرضى معهم ، على المزيد من الدواء وآخر مبتكراته أو صرعاته احيانا ، وتفعل المزايدة بين الاطباء فى طلب الجديد دورا كبيرا فى المزاحمة بين الممارسين ، بحيث غدا الاطباء أسرى لمرضاهم المأخوذين دائما بالدعاية الدوائيــة ، وكثيرا ما نشاهد وصفات طبية فيها أنواع من الادوية تتجاوز فى قيمتها مرات عديدة دخل الفرد فى اسبوع أو شهور أحيانا .

وقد ادخلت كليات الطب فى العالم المتطور دراسة مقررات فى الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس ، ليدرك الاطباء نتائج كلامهم وترجمته الواقعية فى الانفاق الفردى والعام .

زيادة عددية فى الشيوخ والعاجزين

يزداد عدد العاجزين والمتعدين زيادة هندسية بسبب ازدياد عدد الشيوخ وامتداد فسحة الاجل ، بفضل تحسن المستوى الصحى العام والادوية التى تمنع الموت ، وتتراوح نسبة الشيوخ الذين تجاوزوا سن العمل والانتاج « ٦٠ سنة » ما بين ١٥ ــ ٢١ فى المائة من سكان البلاد المتطورة ، ولا تزيد نسبتهم فى البلاد المتخلفة عن ٥ ــ ٧ فى المائة فقط .

وكلما تقدم العمر ازدادت الامراض وخاصة الاستحالية منها ، وهى أمراض مزمنة لا يمكن للطب الا التخفيف من عوارضها ، ونادرا جدا ما يتم فيها شفاء كامل .

تبين من احصاء سويدى أن استهلاك الخدمات الطبية يتضاعف خمسة أمثاله عند الذين تجاوزوا الخامسة والستين بالنسبة للاشخاص فى سن الثلاثين ، يحتاج الشيوخ لجراحات وعلاجات لا تستهدف الا زيادة أيام أو أشهر فى أعمارهم ، وفى الحد الاقصى سنوات معدودات .

ولست أريد أن اقرر فى هذا المجال مبدأ خطيرا تعتمده الشعوب البدائية ، ويقضى بأن تدفع القبائل الافريقية بالشيوخ العجزة ليلاقوا مصيرهم فى الغابة القريبة ، وكذلك لا يجوز أن تعتمد العناية بالمريض على أساس المردود الاقتصادى ، بحيث لا يعتنى الا بالمنتجين ، فليس الانسان آلة انتاج للسلع ، والحياة الانسانية ذات قيمة مجردة .

ورغم كل ذلك علينا أن نتذكر بأن كل انفاق باهظ أو مديد ، يقابله تحديد لامكانيات الانفاق فى مجالات قد تكون أكثر ضرورة وأكثر انسانية أيضا ، لانها تخفف من الام أو تمنع أمراضا عن عدد أكبر من الناس .

فان البلاد المتخلفة الفقيرة بالمال وبالتقنين ، بحاجة اولوية لتنظيم الوقاية من الامراض المستوطنة والعناية بالطفولة والامومة اكثر من حاجتها لجراحة قلب مفتوح او ورم دماغى .

والتوسع فى الانفاق الفردي أو العام على العلاج والتأهيل ، مع زيادة عدد الشيوخ والعاجزين ، وخاصة فى بلاد لا تكون فيها العناية الطبية الوقائية كافية « شلل الاطفال ، الرثية ، وأمراض القلب ، السل ، الطفيليات . . الخ » . ان هذا التوسع فى الانفاق غير صحيح ومصدر خلل خطير النتائج .

وزيادة تكاليف الخدمة الطبية تكشف بشكل فاضح عدم تكافؤ امكانيات الناس لتداركها ، ففى فرنسا تبلغ وفيات الاطفال فى الاحياء العمالية الفقيرة ، وخاصة بين المعدمين ، سبعة اضعافها بالنسبة للاحياء الميسورة فى المدن الكبيرة .

وتزيد نسبة انفاق الطبقات العليا على الخدمة الطبية بنسبة ٣٠ فى المائة عن العمال و١٠٠ فى المائة عن المزارعين و١٢٠ فى المائة عن العمال الزراعيين .

وكذلك أجرى احصاء فى فرنسا عام ١٩٥٤ وتبين منه أن ١٨ طفلا يموتون من أصل ألف ولادة خلال العام الاول من عمرهم ، اذا كان يعمل رب العائلة فى احدى المهن الحرة ، بينما يموت ٦١ طفلا اذا كان صاحب البيت عاملا غير فنى .

وليس للدخل العائلى دور حاسم فى وفيات الاطفال ، ذلك أن وفيات ابناء المعلمين لم تزد فى الاحصاء المشار اليه عن ٢٦ وفاة لكل ألف ولادة ، بينما بلغت ٣٥ لابناء التجار ، ودخلهم دون شك أعلى من دخل المعلمين .

تؤكد الاحصائيات فى فرنسا « عام ١٩٦٩ » وجود مليون طفل غير طبيعى أو مصاب بعجز ، يضاف اليهم ٤٠٠ الف من الكهول المصابين بعاهة أو بأمراض مزمنة ، تجعلهم غير قادرين على الانتاج « مصابون بالشلل أوامراض القلب . الخ » .

وكان يحتمل الأهل مصيبتهم بالعاجزين والمشوهين بشكل أو بآخر ، كانوا يحتملون مصيبتهم يائسين ، أما اليوم فجميع المرضى المزمنين والمشوهين يأملون بتحسن أو شفاء أحيانا ، ومهما بلغت تكاليف ذلك ، طالما ان صناديق الضمان هي التي تدفع .

لقد تم انقلاب حقيقي في النظرة العامة للطب بعد منجزاته التكنية العلاجية ، وساعد على ذلك وسائل الاعلام العالمية ، واستعاد الطبيب مركز الساحر صانع المعجزات العلمية في الحدود الوطنية والعالمية كذلك .

الخلل في توزيع الخدمات الطبية

يؤكد تقرير الرئيس كيندي للكونجرس الامريكي على ما يلي : « ان أربعين مليون أمريكي لا يجدون كفايتهم من الطعام والدواء ، ويعيشون حياة لا انسانية » . وعليه وحتى البلاد الغنية المتطورة لابد وأن يتم انتقاء الذين يحق لهم العيش ويترك الآخرون الى مصيرهم المحتوم .

ويقدم Debré « فرنسا » المثال التالي : منذ عام ١٩٦٠ عرفت الكلية الصناعية « وهي وسيلة علاجية تمكن المصاب بالاوريميا أن يعيش سنوات عديدة وفي صحة عامة حسنة ، ويقوم مرتين في الاسبوع بزيارة لمركز هذه الكلية لتصفية دمه » .

لو أردنا تطبيق هذه الطريقة على جميع المصابين بقصور الكلية كانت تكاليف ذلك كما يلي :

تبدأ تكاليف انشاء مركز للكلية الصناعية مليون ونصف فرنك ، ويبلغ عدد المحتاجين للكلية الصناعية في فرنسا مائة الف مريض يضاف اليهم كل عام عشرة آلاف مريض تقريبا ، ويمكن للمركز أن يتابع معالجة ١٥ — ٢٠ مريضا فقط ، ويعمل في المركز ١٧ — ١٩ اخصائيا فنيا من مستويات مختلفة ، اذا وزعت كلفة هذه المراكز الاجمالية على المرضى المستفيدين منها لبلغت سنويا ٥٠ الف فرنك لكل مريض ، ويكون المجموع الكلي في حالة التخطيط لتطبيق هذه الطريقة العلاجية ، ولجميع المصابين بقصور الكلية في فرنسا ، ٣٥ مليار فرنك ، وهو رقم يمثل ٧٠ في المائة من موارد الضمان الاجتماعي بكاملة في ميزانيته السنوية !!

فمن حيث التطبيق تقوم المراكز الحالية للكلية الصناعية بعلاج عدد محدود من الافراد ؟ ويقدر عدد الذين يموتون لعدم كفاية الاجهزة والافراد بخمسة آلاف شخص سنويا .

وما يقال عن الكلية الصناعية يقال مثله وأكثر منه بالنسبة لامراض القلب والسرطان والتطعيم في الجلد والعظم والاعضاء «الكلية ، القلب .. الخ» . اذ تقدر تكلفة نقل القلب مثلا بمائتي الف ليرة سورية للعملية الجراحية الواحدة ، ويقوم بها خمسة وعشرون طبيبا وفنيا اختصاصيا .

ان جميع الانتصارات الطبية العلمية الرائعة تدرس بشكل تجريدي ، ويتحمس لها الجميع وكأنها وجدت لخدمة كل مريض . فلا يسأل انسان عن تكاليفها ، وامكانيات تطبيقها على جميع المحتاجين لها ، ويكتفي الاخصائيون بالقول أن الكلفة باهظة وأرقامها فلكية .

فكيف نقرر وننتقي ونرجح بين مريض وآخر ، ونسمح لاحدهما بالعيش ونترك الآخر لمصيره المحتوم ؟ ! يتم ذلك في الوقت الحاضر بقرار من الطبيب ترجيحا لامكانية النجاح ، أو نتيجة لقدرة الاهل على الانفاق ، أو نتيجة استيعاب أسرة المستشفيات وغرف العمليات والمخابر والافراد ويتحكم بكل هذا الجهاز قدرة الدولة أو الافراد على الانفاق ، وهي قدرة ذات حدود ، لا يمكن حتى في أغنى بلاد العالم أن تتقدم لجميع المحتاجين أفضل وأحدث المنجزات الطبية .

فأسرة المستشفيات على قلتها في البلاد الفقيرة لابد وأن تستثمر بأفضل مردود ، فاذا تركت أبوابها مفتوحة ، امتلأت بالمزيد من الشيوخ والمصابين بأمراض غير قابلة للشفاء ، وامتلاء الاسرة يحول ويمنع العلاج عن مصابين بأمراض قابلة للشفاء التام .

ويتم استثمار أسرة المشافي بمردود أفضل كلما كان تنظيم حركة قبول ومعالجة وخروج المرضى دقيقا وسريعا ، وتسمح التكنية الطبية حاليا « تخدير ، قيام باكر ، الصادات .. الخ» بحركة أسرع في الدخول والخروج ، والتهاون في كل ذلك يجعل من أسرة المشافي على قلتها دورا للعجزة والمزمنين .

يثور الانسان المريض وأهله ، ويقولون بالا تسعيرة للحياة والصحة ، ولكن المجتمع مضطر لحساب التكاليف خاصة أمام ارتفاع أرقامها ، وحدود الكشوف غير المنظورة لجراحاتها وعلاجاتها .

وتعالج المجلات الطبية موضوع تكاليف العناية الطبية بمنطق وسياسة متناقضة بشكل عام ، ولكنها منسجمة مع سياسة البلد الاقتصادية الاجتماعية . تقول مجلة Tonus « من الاتحاد السوفيتي » : حتى عام ١٩٥٧ كان يترك المصابون بالشلل النصفى السفلى ليموتوا ، فان تدريب وتأهيل المشلولين كبير التكاليف ، ولا يمكن للشخص المؤهل أن يعود منتجا .

تمتد الفترة الضرورية للتأهيل بعد الاصابة بالعجز Rehabilitation سنة فى الحد الوسطى ، وتتجاوز عشرات السنين أحيانا ، وربما طيلة الحياة بالنسبة لبعض الاصابات بالحوادث ، أو بعد تفاقم المرض وتخريبه للاحشاء « السل ، القلب ، الشلل ، الكسور ، الحروق ... الخ » . وبشكل خاص بالنسبة للاطفال المصابين بعاهات وتزداد فى جميع بلاد العالم حوادث الطرق فتغرق المستشفيات بحالات تستلزم علاجا وتأهيلا لفترة مديدة ، خاصة اذا كان الاسعاف الاولى غيردقيق وسريع ، فالاصابة بالسل أو بمرض القلب أو الكسر الذى اهملت مداواته الوقائية والعلاجية الباكرة ، ترتفع بنسبة كبيرة تكاليف تاهيل هؤلاء المرضى للقيام بأعمال جديدة تناسب قدرتهم الجديدة والمحدودة .

وقد أثار الدكتور «Mc. Math رئيس أطباء مستشفى قرب لندن » فضيحة عندما أشار فى تعليماته لاطباء المستشفى ، بأنه من العبث الاصرار على انعاش والعناية بالمرضى الذين تجاوزوا سن الخامسة والستين ، من المصابين بأمراض غير قابلة للشفاء ، فى حالة توقف القلب ، وأن ابقاءهم أحياء بشكل مصطنع ، ودون أمل فى المستقبل ، يحرم مرضى آخرين مصابين بأمراض قابلة للشفاء من امكانية ايوائهم واسعافهم فى هذا السرير الذى يشغله الميت الحى .

وتبقى المشكلة الطبية الاقتصادية فى نزاع وتناقض متزايد مع مفاهيم أخلاقية وانسانية ، ويستحيل الحسم النهائى فى الحدود الفاصلة ما بينها .

شيخوخة شعوب وشباب اخرى

من النتائج البارزة للطفرة الصحية الطبية زيادة كبيرة فى متوسط العمر بحيث بلغت فى عدد من البلاد المتطورة وخلال العشرين عاما الماضية كسبا لعشرين سنة اضافية ، ويقدر موشكين « الولايات المتحدة » ان ثلاثة عشر مليونا من الامريكيين العاملين « ٢٠ فى المائة من اليد العاملة حاليا » هم على قيد الحياة فى الوقت الحاضر نتيجة لنقص الوفيات خلال الاربعين عاما المنصرمة .

ونتيجة للزيادة البسيطة او المعدومة احيانا فى عدد الولادات فى البلاد المتطورة ، فان نسبة الشيوخ فى هذه المجتمعات تتجه نحو الزيادة بحيث تبلغ نسبة من تجاوزوا سن الخامسة والستين ما بين ١٥ـ٢٠ فى المائة من السكان .

وتلاحظ ظاهرة أكثر تعقيدا فى البلاد المتخلفة ، فقد ازداد أيضا متوسط العمر نتيجة سلامة المواليد على كثرتهم فى هذه المجتمعات ، بحيث تقدر نسبة من هم دون الخامسة والعشرين ما بين ٤٢ـ٥٦ فى المائة من السكان « مصر ، البرازيل » . وقد تم ذلك بفضل تقبل تعاليم الصحة وتطبيقاتها ، وبفضل استهلاك متزايد للخدمة الطبية وخاصة الادوية ، وانتشار استعمال المبيدات والقضاء على الاوبئة .

والشعوب المتخلفة الشابة تواجه مشاكل لا تقل عن مشاكل المجتمعات المتطورة بزيادة شيوخها ، فليس يكفى أن يكون الانسان شابا ليكون أقدر على العمل والكفاح ، ذلك أن الانسان المعاصر لابد وأن يكون صحيح الجسم متعلما ، وفى مستوى كاف للتكامل مع الآلة وادارتها ، وتوفير الصحة للمزيد من الاطفال والشبان ، مع التعليم وامكانيات العمل المنتج ، معضلة أكبر من أن تحلها الارادة الطبية فى القيادات السياسية والاقتصادية للدول المختلفة .

فالمشكلة الصحية الاجتماعية قطاع محدود وصغير نسبيا من المعضلة الكبرى التى تواجه بلاد العالم الثالث ، وهى تخطى مرحلة التخلف التكنى والفكرى ، ولا مجال فى موضوعى هذا البحث فى كيفية تحقيق ذلك الا فى حدود تهيئة العنصر البشرى السليم والقادر على العمل والانتاج .

وتبقى الدول المتطورة اقدر ماديا وبشريا على ايجاد حلول لمعضلة شيوخها مع توفير التربية للاجيال الجديدة ، أكثر من قدرة الشعوب المتخلفة على تأمين الصحة والتعليم للانفجار السكانى فيها .

ومسئولية الدولة فى تنظيم وتوفير الطب الوقائى أساسية ، ولها الاولوية الكاملة فى مشاريع الانفاق .

ان أطفالا مقعدين أو مشوهين متخلفين مصيبة للاسرة وللمجتمع انسانية واقتصادية ٠

(يقدر الاخصائيون فى فرنسا حدوث عاهات بشكل شلول أو تخلف أو آفات دائمة فى الاحشاء ، بسبب انقطاع الاوكسجين عن المولود أو امتلاء قصباته بالمفرزات ، لفترة دقائق اثناء الولادة ، وبسبب ذلك حدوث نزوف دماغية ، تقدر هذه الحوادث سنويا بـ ٢٤٠٠ حالة هى اخطر فى نتائجها الاجتماعية من وفاة الطفل أثناء ولادته) ٠

وحق كل انسان بالعناية الطبية لا يعنى اطلاقا أن ينفق الفرد بحرية مطلقة من القيود ، والمصاب بالقلق العصبى لا يمكن أن تترك له حرية مراجعة عشرات الاطباء يوميا ، خاصة اذا كان مصدر الانفاق صندوق ضمان مشترك ٠

وثروة أى شعب بمجموع انتاج أفراده ، فاذا رغب كل مواطن بمزيد من أيام الراحة وبساعات أقل من العمل ، وبانفاق متزايد على المواد الاستهلاكية ، ومنها الطب العلاجى فى كثير من أشكاله ، فان فى ذلك حرمانا للاخرين حتى من الضرورات الحياتية للطب الوقائى والعلاجى ٠

الخدمة الطبية قطاع من نظام متكامل فهى شعبية حيث الطب مؤمم ، وديموقراطية فى ظل النظام الليبرالى ، وارستقراطية فى جميع البلاد المتخلفة ٠

ان ازدهار البحث العلمى والكشوف التكنية فى البلاد المتطورة وفى ظل النظام الرأسمالى ، وفى العلوم الطبية بشكل خاص ، نتيجة منطقية للتكاليف الكبيرة فى هذه البحوث ، ويقوم بالانفاق عليها شركات واحتكارات عالمية ، تستثمر اموالها فى البحث ليرتد اليها كشوفا مجزية بأرباحها ، وهو كذلك تجاوبا مع وجود المشترين لهذه الخدمات من أصحاب الدخول الخيالية ٠

والطب فى العالم الاشتراكى كذلك صورة عن النظام القائم ، ويقضى بأن تقدم خدمة فى مستوى واحد لجميع المواطنين ، ونتيجة لذلك لابد من تحديد لمستوى هذا الانفاق ٠

لا يستفيد من المنجزات التكنية الرائعة فى الولايات المتحدة الا عدد قليل من القادرين على دفع تكاليف جراحة القلب والدماغ والاوعية ، وكلما ارتفع مستوى العمل الجراحى والمخبرى بتعقيداته العلمية ، كلما كانت تكاليفه أكبر ، وكان فى خدمة عدد أقل من الناس ٠

تتراوح أجرة السرير الواحد فى مستشفى علمى من الدرجة الاولى فى الولايات المتحدة ولقضاء ليلة واحدة ما بين ١٢٠ — ١٨٠ دولار « عدا أجور العمليات والفحوص المخبرية وأجرة الطبيب » ، ولا يمكن لاية بوليصة تأمين أن تغطى نفقات مرض مديد أو خطير وفى مستوى معالجة ممتازة ٠

تخليص حياة انسان بمداخلة جراحية ماهرة «جراحة دماغ،جراحة قلبواوعية..الخ» يثير اعجاب جميع الناس ، ويعتبر البعض هذه المنجزات رمزا للتفوق الفردى والوطنى أيضا ، ويرى فى ذلك الجراحون ما يرضى غرورهم ، ومع ذلك ، أو قبل ذلك ، فان من المصلحة الوطنية والانسانية تخليص عشرات بل ومئات الالوف من الناس من الامراض المستوطنة ، وتأمين الاسعاف وتنظيم خدمة طبية ديموقراطية صحيحة لكل محتاج لخدمة ، وعاجز عن دفع تكاليفها ٠

وكل انفاق على شراء اجهزة وتهيئة افراد وتشييد ابنية من اجل التفاخر والمباهاة ، أن هى الا عمليات تبديد لاموال عامة لخدمة أفراد ، وحجب خدمات ضرورية حياتية عن الكثرة الساحقة ٠

بتكاليف جراحة واحدة لقلب مفتوح يمكن تجهيز مستوصف فيه مخبر واشعة ، ويعالج فى اليوم الواحد مئات من المرضى المصابين بالزحار والتيفية والسل ، ومردود هذا العمل اجدى وطنيا لانه يخلص مئات من الناس من أمراضهم ويعيدهم لعملهم ، بينما اصلاح الابهر المتضيق عند الطاعن فى السن لن يعطى الا عدة سنوات لفرد تجاوز أو هو قريب من الستين ٠

ويقال أكثر من ذلك اقتصاديا عن الطب الوقائى ، **فقد تم تعميم التلقيح ضد شلل الاطفال فى تشيكوسلوفاكيا بما يعادل كلفة معالجة الوف الاطفال المصابين بالمرض سنويا ، وكانت نتيجة ذلك سلامة صحة الالوف ، وانهم شبوا أصحاء غير مصابين بعاهات وشلل ٠**

وينطبق ذلك على عدد كبير من الامراض المزمنة فان تنظيم الوقاية من الحمى الرثوية أجدى انسانيا وصحيا واقتصاديا من ايجاد أسرة لاشخاص مصابين بعلل لا تشفى بشكل نهائى فى القلب والكلى ٠

النتائج

أعود مرة ثانية للصورة العامة للمشكلة الصحية والخدمات الطبية ، وكيف يمكن للدولة المتخلفة أن تجد حلولا لتناقضاتها :

تواجه الحكومات ، وخاصة فى البلاد المتخلفة ، أحد الخيارين : ترك الخدمات الطبية سلعة يشتريها القادرون ، ونتيجة ذلك حرمان الكثرة الساحقة ، من الخدمات الاساسية الحياتية ، أو تنظيم شامل متطور يماشى قدرة الاقتصاد القومى على الانفاق .

وعلينا ان نتفق على الاسس التالية :

أولا : المسئولية الوطنية الكبرى للدولة المتخلفة فى المجال الصحى، تركيز الاهتمام والتفرغ للطب الوقائى فى مفهومه العلمى الصحيح وعلى أوسع نطاق ممكن ، تنظيم علمى دقيق لعيادات الزواج، العناية بالطفولة والامومة ، الصحة المدرسية ، تنظيم الاسعاف ، كفاح الامراض المستوطنة ، وبحسب أولوياتها من حيث تاثيرها على الانتاج القومى .

ولا يعادل فى أهمية التركيز على الصحة الوقائية الا التربية والتعليم للقضاء على الامية كهدف رئيسى من أجل تهيئة جيل جديد صحيح الجسم قادر على العمل فى المستوى التكنى المطلوب .

ثانيا : تطوير برامج التربية الطبية وتخريج الاعداد اللازمة للقيام باعباء الطب الوقائى أولا والخدمة فى القطاع العام من الطب العلاجى ، وقد تكون حاجة المتخلفين للمستويات المتوسطة من العاملين فى الحقل الصحى أكثر من حاجتها للاختصاصات الرفيعة وتكون سياسة تخريج المؤهلين متكاملة مع الحاجات لهم بحيث يؤلفون العنصر الرئيسى لنجاح أية خطة موضوعة .

ثالثا : يستحيل على الصندوق العام «ميزانية، مشاريع الضمان ، التعاونيات ، » أن تستجيب للطلب المتزايد وغير المحدود للخدمات العلاجية ، **وعليه فلابد من تحديد مستوى للخدمة العلاجية فى المشاريع التى تتلقى تمويلها أو مساعداتها من الصندوق العام .**

وتتخلص الدولة من مسئولية الانفاق والادارة المباشرة للمستشفيات والمستوصفات لتتركها للادارات المحلية او التعاونيات ، وتمارس الدولة رقابة على نشاطها بحيث تبقى منسجمة مع أهداف الخطة الصحية .

رابعا : تحريك الطاقات المعطلة، واقامة تعاون وتكامل بين السلطات الصحية المتنافسة والمتكررة « كليات الطب ، وزارة الصحة ، صحة مدرسية ، صحة عسكرية ، جمعيات خيرية ، شئون اجتماعية .. الخ » وكثيرا ما تقدم هذه الجهات المتعددة خدمات شكلية او تتنافس فيما بينها بالبذخ والتبذير

خامسا : يستحيل فى البلد المتخلف نجاح تأميم الطب أو تأمين شامل لاكثرية المواطنين للاسباب **التالية :**

(أ) الانفاق الطبى العلاجى : لا حدود له مع التطور التكنى المتسارع ، ومهما كان مصدر الانفاق فانه من الدخل القومى وهو منخفض أو أن نموه بطىء عاجز عن مسايرة الزيادة اللولبية فى تكاليفه .

(ب) الفردية الانانية التاريخية : وهى سمة تربوية سلوكية تميز الانسان المتخلف الذى علمته التجربة التاريخية ان الذات والعائلة والعشيرة والطائفة هى دوائر متباعدة محورها نفسه ، والمبرر النفسى الاساسى لوجودها وتمسكه بها ، ضمانات الامن والطمأنينة التى توفرها ، وهى تتسع أوتضيق ليبقى مدارها حول المصلحة الذاتية والمباشرة والفورية .

التعامل مع الاخرين اغتراب وضياع ومخاطر ، والتخطيط للمستقبل وخاصة البعيد ، والتضحية بالمصلحة الذاتية على المستوى الوطنى والانسانى عبث وتجريد فلسفى او خداع بعيد عن الواقع ، والدولة اداة نهب وارهاب تحد من حرية الانسان فى الاستئثار والمغالاة فيما يراه حقا له اذا سنحت الفرصة .

ولن ينقلب الافراد أو الشعوب بين ليلة وضحاها فى سلوكهم التربوى الى موقف مناقض لكل المفاهيم التى عاشتها تاريخيا وعلى المستوى الفردى .

ويستحيل على هذا الفرد أمام الصحة والمرض ، وهى خيار حياتى ، يستحيل عليه ان يتنازل عن فرديته ، وعما يعتقد بأنها حقوق له ، فى الصندوق العام ولو بالاحتيال .

يقول مدير في صندوق الضمان الفرنسي : كانت تقنع جدتي بأن تضع في جيبها حبات من الكستنا الساخنة لتخفيف آلام رثيتها المزمنة، أما اليوم فان صندوق الضمان او موارد احفادها المحدودة مستنزفة وبشكل دائمي لتخفيف آلام رثية جدتي !!
هذا في فرنسا حيث الوعي المدني الاجتماعي أعلى بكثير في مستواه مما هو عليه في مجتمعاتنا .

ويستحيل على المواطن في بلادنا أن يرضى أمام المرض عن مستوى الخدمة التي تقدم له ولن يتأخر لحظة عن استنزاف هذا الصندوق العام ولو بالاحتيال ، **فميزانيـة الدولة أن الصندوق المشترك « اذا انشيء » ضمان ضد كل شيء ودون حدود ، والدولة مسئولة دائما عن كل ما يصيبنا من شرور أما الخير فنحن الذين نفعله !!**

وسوف ينظر المواطنون لاية مساهمة في صندوق الضمان ، على انها ضريبة جديدة قسرية لا مبرر لها ، طالما انه صحيح ، وهو مستعد لاسترداد أقصى ما يتمكن اذا احتاج حقيقة أو دون مبرر للخدمات المتوفرة ، كذلك نشأ ، وكذلك علمته التجربة ، وبناء على ذلك يتصرف .

واستعادة ثقة الفرد بالجماعة وبالاخرين ولو في محيط المهنة والعمل والمصير المشترك ، لا يمكن أن يتم الا بعد الممارسة والتجربة الطويلة وعلى مدى اجيال .

(ج) امكانيات محدودة : ويشمل ذلك :

١ ـ عدم ثبات دخل الافراد : معظم العاملين في البلاد المتخلفة عمال زراعيون ، او على هامشها « ٦٠ ـ ٨٠ في المائة من السكان » او عمال موسميون أو أنهم عاطلون عن العمل ، ولا تؤلف الطبقة العاملة في الصناعة او الموظفون الا قطاعا محدودا من المواطنين .

ولا يسمح الدخل الضئيل وغير الثابت أو المعدوم غالبا باية مساهمة في تمويل صناديق الضمان مهما كانت خاصة وأنها تدفع للحماية من طواريء قبل حدوثها وهي غير منظورة .

٢ ـ نقص فاضح في المنشئات والادوات والافراد وفي جميع المستويات في سوريا مثلا طبيب واحد لاربعة آلاف مواطن ، ممرضة لكل عشرة آلاف منهم ، سرير لكل الفي مواطن .. الخ » .

فاذا استحال أن نضمن خدمات طبية في الحد الادنى وللجميع ، فان أي مشروع ضمان لفئة من المواطنين « موظفين ، عمال صناعيين .. الخ » من أصحاب الدخل الثابت هو تركيز للخلل والتفاوت القائم حاليا ، ذلك أن هذه المشاريع التي تستهدف خدمة فئات محدودة سوف تتأثر بشريحة واسعة من هذا الجهاز الهزيل المتوفر حاليا ، ومعنى ذلك حرمان أكبر للذين لا يمكن تنظيمهم في صندوق ضمان .

وصناديق الضمان في العالم أجمع عاجزة عن تمويل اعبائها المتزايدة دون دعم مالي متزايد من الصندوق الحكومي ، أي أنها خدمات لفئات محددة يدفع تكاليفها دافعو الضرائب بشكل عام .

٣ ـ صناعة دوائية تحويلية او معدومة ، ويستحيل ان تبلغ مستوى الكفاية الا كقطاع من تطوير عام ومتناسق للصناعات في مستوياتها الرفيعة « كيمياء ، الكترونيات .. الخ » .

واستمرار الاعتماد بشكل تام تقريبا على الاستيراد، وبقاء السوق مفتوحة للمنتجات الاجنبية استنزاف لموارد القطع النادر، وتبذير في بعض الاحيان لا حدود له ، ولا تقبل صناديق الضمان في بلاد العالم أجمع استهلاك منتجات غير وطنية الا في حدود ضيقة .

وبعد استعراض خاطف للمستحيلات والصعوبات الكبيرة تبقى الحدود العامة للسياسة الطبية العلاجية في البلاد المتخلفة متواضعة ولكنها هادفة ولخدمة المواطنين جميعا .

وفي حدود الامكانيات والتدرج بها والخصها بما يلي :

بعد تعبئة كاملة للطاقات البشرية والمادية المحدودة المتوفرة توضع خطة صحية ذات اهداف محدودة ، تطبق على مراحل تبدأ بانشاء جهاز احصائي علمي صحي اجتماعي ، **تحدد الحاجات** والاولويات اعتمادا على نتائجه ، **وتشجيع بالتوعية** تعاونيات للطب العلاجي **للفئات ذات الدخل** الثابت ، او تعاونيات في **المناطق الزراعية والنائية** بدعم مالي ورقابة حكومية .

وختاما اتمنى أن يثير هذا الكلام جدلا ونقاشا ديمقراطيا ، توطئة لتكوين ارادة **جماهيرية تقبل** التضحيات ، أو تفرضها في وجه **الانانيات الفردية** التاريخية لبديل افضل في **جميع الاحوال من** العشوائية القائمة ، ويبقى الانسان **هدفا ووسيلة** للتطور والتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

حول تطوير التعليم في مصر



ممدوح عبد الرحمن

لقد كان الاهتمام الكبير الذى أبداه السيد رئيس الوزراء بقضية التعليم وضرورة أحداث تغيير كبير فيه حتى تتمكن مصر من السير فى طريق التقدم بخطى تتفق مع السرعة التى تسير بها الدول الاخرى المتقدمة والتى يسير بها التقدم العلمى فى هذا العصر ، كان هذا الاهتمام يعبر عن احساس بالاهمية العظمى للتعليم كعامل أساسى من عوامل التقدم العلمى والاجتماعى ، كما يعبر ايضا عن احساس بمدى التخلف الذى يعانى منه التعليم فى مصر .

فقد دلت تجارب الشعوب على أنه لا يمكن صنع التقدم الاجتماعى دون الاعتماد على شبكة متطورة من المؤسسات التعليمية تستخدم أحدث ما توصل اليه الانسان من الاكتشافات سواء فى العلوم الاجتماعية أو العلوم الطبيعية ، فلا يمكن تصور أن دولة ما قادرة على بناء الاشتراكية اذا كانت الامية تتفشى بين شعبها ، ومن هنا كان الاهتمام العظيم الذى توليه الدول الاشتراكية بقضية التعليم من كافة جوانبها .

ولقد كان هذا الاهتمام تجاوبا مع الرغبة الدائمة التى يبديها الاباء والمثقفون من أجل التغيير الثورى فى مجال التعليم ، تلك الرغبة التى تبرز فى بداية كل عام دراسى مع ظهور المشكلات التى تعودنا على مواجهتها فى كل عام بمجموعة من القرارات والاجراءات المؤقتة التى تخفف من حدة تلك المشكلات تخفيفا مؤقتا لتعود مرة أخرى فى بداية العام الدراسى التالى بنفس الحدة وربما أكثر حدة ، وذلك يؤكد أن هذه الاجراءات لم تمس جوهر المشاكل وانما عالجت الاعراض التى تظهر أو حاولت علاجها ولم تنجح فى ذلك ، كما يؤكد الحاجة الى تغيير ثورى جذرى ينفذ الى أساس وجوهر كل جوانب العملية التعليمية والنظام التعليمى فى مصر .

ولقد كان الاحساس بتخلف نظامنا التعليمى ملازما لنشأة هذا النظام الحديث فى عهد محمد على حيث أدرك بعض المفكرين جوانب النقص وتصدوا لحلها بالمقترحات الايجابية البناءة مثل تلك المحاولة التى تقدم بها **رفاعة الطهطاوى** فى عهد محمد على لانشاء مكاتب الملة (مكاتب الشعب) التى وضع لها خططا دراسية وبرامج على درجة كبيرة من التقدم ولكن هذه المحاولة لم يكتب لها أن توضع موضع التطبيق ، وتاريخ التعليم فى مصر مليء بالمقترحات والتقارير واللوائح والدراسات ، على أنه لابد أن نلاحظ أن بعض المقترحات التى قدمت كانت تتسم بالرجعية وبدلا من أن تقدم حلولا تعطى الشعب فرصا أكبر للحصول على حقه فى التعليم ، فانها كانت تنظر

الى المشكلات التعليمية من وجهة نظر معادية للتقدم وذلك مثل أغلب التقارير التى تمت فى أواخر عهد اسماعيل وفى عهد الاحتلال وحتى بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ .

ماذا نقصد بالتطوير : فى كل مرة تعلو الصيحات مطالبة بالتغيير الثورى فى مجال التعليم ، يتقدم البعض بمجموعة من الاقتراحات وتقوم الاجهزة ببعض الاجراءات التى لا تقدم كثيرا زاعمة أن هذا هو التغيير المطلوب ، والذى سوف يحل المشكلات جميعها ويحقق التقدم ، بل ان بعض هذه الاجراءات يتم فى عكس الاتجاه المطلوب وعلى حساب بعض المكاسب الهامة ، وبذلك يفرغ شعار التغيير من مضمونه وتبقى المشكلات كما هى .

وأول ما سوف يتبادر الى ذهن أجهزة وزارة التربية والتعليم هو احداث بعض التغيير فى المناهج الدراسية بالطريقة التى تتم كل عام تقريبا وهى طريقة اضافة باب جديد الى الكتاب المدرسى وحذف باب آخر أو ادخال بعض المواد الدراسية الجديدة الى خطط الدراسة أو نقل فكرة مطبقة فى بلاد أخرى دون تمعن أو تفكير أو اعداد للمدرسين والاجهزة التى ستقوم بتطبيق هذه الفكرة ، زاعمين أن ذلك هو الحل السحرى لكافة المشاكل التى يواجهها التعليم فى البلاد .

ان التغيير المطلوب يجب أن يشمل كل جوانب قضية التعليم ويتعمق فيها ، لان مشكلة التخلف التى يعانى منها التعليم لا تكمن فقط فى تخلف المناهج ولكنها تكمن أيضا فى أسس سياسة التعليم ونظامه ، وان كل محاولة لاحداث التغيير دون عمل دراسات كافية ومستفيضة ، ودون اتاحة الفرصة لجميع المهتمين لكى يدلوا بآرائهم ويقدموا أفكارهم وتجاربهم ، ودون عقد الندوات لتبادل الاراء ، أية محاولة من هذا القبيل سوف تكون وسيلة لاخفاء مواطن النقص والخطأ فى النظام التعليمى ، ونعنى من جهة أخرى بقاء التخلف على ما هو عليه .

وعلى الرغم من الاهمية العظمى لدراسة التجارب التعليمية فى البلاد الاخرى وأساليب التربية والمناهج الدراسية وأسباب التقدم المختلفة فى مجال التعليم هناك ، فانه لا يمكن احداث تغيير حقيقى دون عمل دراسة نقدية لنظام التعليم الحالى ومشكلاته بقيم التجارب التى تمت حتى يمكن أن نستعين بما نراه ملائما من تجارب البلاد الاخرى ، وبدون ذلك فان الاستعانة بتلك التجارب لن تكون الا عملية ترقيع وليست عملية تطوير ، وقد تؤدى الى مضاعفات ضارة ، أو على الاقل سنعود بعد سنوات من التجارب الطويلة الى ما نحن عليه الان .

قضايا لابد من دراستها : واذا كانت المناهج الدراسية ليست هى القضية الوحيدة التى تحتاج الى تقويم علمى سليم ، فان هناك قضايا أساسية فى التعليم لا يمكن احراز أى تقدم فى مجال التعليم دون عرضها للمناقشة بقصد الكشف عن مواطن الخطأ أو التخلف التى تؤثر على كل الجوانب الاخرى ، والتى يعتبر بعضها من الاهمية بحيث لا يمكن احداث تقدم فى مجال التعليم دون أن تكون تلك القضية مقامة على أسس سليمة ، ونرى أن هناك بعض القضايا على سبيل المثال لابد من دراستها وعرضها للمناقشة سنذكر بعضها :

أولا ــ تقويم تاريخ التعليم فى مصر : ان نظام التعليم الحالى هو امتداد ونتاج لنظام تعليمى أدخل الى البلاد منذ قرن ونصف ، وهو يعانى من بعض مشكلات لازمته منذ نشأته ، ولا يمكن عمل تقويم لنظام التعليم الحالى دون تقويم علمى سليم لتاريخ هذا النظام منذ نشأته ، وهذا التقويم ضرورى فى هذه الايام لاسباب عديدة منها :

١ ــ تصحيح بعض المفهومات التى شوهتها بعض الكتب التى تناولت تاريخ التعليم ، مما يرسب الان فى أذهان العاملين فى مجال التعليم وطلبة كليات المعلمين ومعاهد التربية ، فكما تعرض تاريخنا السياسى الى عمليات تشويه واخفاء للحقائق فان تاريخنا التعليمى قد تعرض لنفس العوامل ونذكر أمثلة على ذلك :

(أ) دافعت بعض الكتب عن نظام التعليم وسياسته فى فترة الاحتلال البريطانى فى مصر والتمست له الاعذار فيما تصورت أنه بعض القصور ، ففى مقدمة كتاب تاريخ التعليم فى مصر للدكتور عزت عبد الكريم يقول الاستاذ شفيق غربال « فالحق ان سياسة وزارة المعارف فى عهد الاشراف الانجليزى قد استمدت مقوماتها من بعض هذه التجارب التى أجريت فى الفترة القصيرة بين ١٨٨٠ و ١٨٨٥ ، فقد بذلت الادارة التعليمية عنايتها لرفع معاهد الدراسة القائمة بالتفتيش المنظم ووضع الانظمة الثابتة وجدية الامتحانات وتخير المشرفين ، كما بذلت عنايتها لرفع مستوى المعلم وهو العنصر الاساسى لنجاح أى نظام تعليمى ، على أن الادارة التعليمية فى عهد الاشراف الانجليزى قد شغلتها هذه العناية المتصلة بالحالة القائمة عن مسايرة النمو وافساح المجال لنشر التعليم » .

(ب) كتاب الاستاذ اسماعيل القبانى «دراسات فى سياسة التعليم » قد روج لمجموعة من الافكار فى حاجة الى دراسة نظرا لتأثر عديد من المفكرين التربويين بها وتبنيهم لها حتى الان .

فهو يدعو الى التمهل فى تقرير الالزام فى تعليم المرحله الاولى فيقول « فالمنطق يقضى بالتمهل فى تقرير الالزام والاقتصار على فتح المدارس الكافية لمن يرغب اباؤهم رغبة حقيقيـة فى تعليمهم » و « خير لنا أن نعلم ألفا من الاطفال تعليما منتجا من أن نحشد الفين فى المدارس دون أن يفيدوا من ذلك فائدة جدية » • وحاول أن يصـور أن الاستعمار كان يهتم بالتعليم الثانوى والعـالى فيقول « أى أن سياسة الاحتـلال كانت تختص التعليم الثانوى والعالى بعنايتها وبالشطر الاكبر من الميزانية وتهمل تعليم الشعب » بينما تقارير اللورد كرومر جميعها تطالب وتؤكد على ضرورة تقييد التعليم الثانوى والعالى ولكن الواقع يؤكد أن الاستعمار قد قاوم المحاولات المستمرة لنشر التعليم بقدر ما أمكنه فى جميع مراحله ، كما أن القبانى قد هاجم تقرير مجانية التعليم الابتدائى والثانوى واعتبر أن هذا الاجراء قد أضر بمستوى التعليم •

وهناك كثير من المفهومات السائدة بين رجال التربية فى مصر لابد من اعادة تقويمها وتصحيحها لكى تتضح الاراء والمفهومات السليمة •

٢ ـ عدم تكرار التجارب واستيعاب الدروس منها ، ومن الامثلة على ذلك أنه قد تمت عدة محاولات لعمل نوع من الدراسات التكميلية بعد اتمام الدراسة بالمدارس الاولية ولكنها فشلت ولم يقبل عليها التلاميذ لانها لا تجد أمامها طريقا مفتوحا للاتصال بمراحل التعليم الاعلى ، ولكن الوزارة تعود بعد كل مرة تفشل فيها هذه المدارس وتغلق أبوابها لعدم الاقبال عليها ، تعود لتفتح نفس المدارس أو تفتحها تحت أسماء جديدة ، ومن الامثلة على ذلك أن وزارة المعارف قد قامت عام ١٩١٦ بانشاء المدارس الاولية الراقية وسارعت مجالس المديريات الى انشاء عديد من هذه المدارس بلغ عددها عام ١٩١٩ ست عشرة مدرسة ، ولكن تلك المدارس لم تعمر طويلا ولم يبق للتعليم الاولى الراقى بالمديريات أى أثر ، وجاء بتقرير وزارة المعارف عن التعليم بين عامى ١٩١٧ ، ١٩٢٢ عن سبب فشل هذه المدارس أن هذا التعليم « لم يك خاصا يرمى الى غرض محدود كما هى الحال فى أنواع التعليم الاخرى ولذلك لم يدرك اهـالى المديريات قيمته ولم يعيروه من التشجيع ما هو خليق به » • ورغم ذلك فقد أصرت الوزارة على المضى بهذه المدارس والتحـوير والتغيير فيها ، ولكنها اندثرت لنفس الاسباب السابق ذكرها .

وجاءت بعد الثورة تجربة أخرى مماثلة لم تضع مصير المدارس الاولية الراقية فى اعتبارها وقدمت للشعب مدارس مشابهة، هى المدارس الاعدادية الصناعية واعتبرها وزير التربية والتعليم حينذاك مدرسة المستقبل وأعطاها من التأييد والتشجيع كل ما يكفل لها النجاح ، ولكن ما أن مضت سنوات قليلة حتى اختفت تلك التى كانت تعتبر مدرسة المستقبل وأصبحت تجربة غيرناجحة اضيفت الى تجارب الماضى ، وجاء بتقرير اللجـنة الوزارية للقوى العاملة عن هذه المدارس « أما التعليـم الاعدادى الفنى والعملى الحالى فقد لاحظت اللجنة أن وزارة التربية والتعليم اتجهت الى تصفيته لعدم الاقبال عليه ولعدم قدرة الاطفال فى سن الثانية عشرة على التدريب المهنى أو العملى بطريقة مجدية واللجنة تؤيد هذا الاتجاه » • ولم تكن اللجنة صريحة أو عميقة النظرة فلم تذكر السبب الحقيقى لعدم الاقبال على هذه المدارس وهو نفس سبب عدم الاقبال على المدارس الاولية الراقية •

٣ ـ تقييم التجارب التى تمت فى مجال التعليم بعد الثورة : فمن المعروف أنه فى بداية عهد الثورة حاولت بعض القوى المتخلفة الانقضاض على بعض المكاسب التى حققها الشعب فى مجال التعليم مستغلة الاوضاع الاقتصادية والازمة المالية وعدم وضوح الاتجاه الثورى فى هذا المجال ، وقد حققت هذه القوى بعض النجاح ، ولذلك فان المصروفات المدرسية التى كانت قد ألغيت قبل الثورة عادت بعد الثورة تحت اسم الرسوم المدرسية التى زادت حتى كادت تصل الى ما كان يدفعه الطالب قبل تقرير المجانية عام ١٩٥٠ ، كما أن التغذية المدرسية التى كانت من أعظم المكاسب التى حققها الشعب والتى اجمع كل التربويين على أهميتها وحيويتها للتلاميذ وخاصة تلاميذ المرحلة الابتدائية ، هذه التغذية بدأت تقل من حيث الوجبة واعداد الوجبات الى أن ألغيت تماما بحجة توفير الاموال للتوسع فى التعليم ، ودافعت الوزارة عن هذا الاتجاه فى تقرير عن التغذية المدرسية للدكتور نسيم رأفت فقالت ان للتغذية أهدافا تربوية ولكنها بالصورة التى كانت عليها لا تحقق أى هدف من هذه الاهداف التربوية ، وتهدف التغذية أيضا الى رفع المستوى الصحى للتلاميذ ، ولكنها بحالتها التى كانت عليها بالمدارس لم تحقق هذا الهدف •• لذلك نقترح استمرار وقف التغذية فى المـرحلة الاولى (الابتدائية) اذا ظلت على ماكانت عليه »•

وهناك تجارب كثيرة غير ناجحة تمت فى عهد الثورة وما قبلها فى حاجة الى تقويم ، فنحن لم نسمع من وزارة التربية والتعليم ادانة لالغاء التغذية المدرسية ، ولا ادانة لاتجاهات زيـادة الرسوم المدرسية ، ولا ادانة لانشاء مراحل تعليمية مغلقة مثل التعليم الاعدادى الفنى ، ولكى يتم أى تقدم لابد من تحديد موقف من هذه الاتجاهات التى لازالت تمثل جانبا هاما من تفكير الاتجاه السائد فى وزارة التربية .

ثانيا : سياسة التعليم فى مصر بعد الثورة : ان كل مجتمع يرسم سياسة تعليمية تتفق مع النظام الاجتماعى وتهدف الى تحقيق أهداف هـذا المجتمع ، ولذلك فان سياسة التعليم فى أى دولة

يمكن أن تدل على طبيعة النظام الاجتماعي ، وتهتم أية ثورة أول ما تهتم باحداث تحول أو ثورة في سياسة التعليم .

وفي ختام هذه النظرة السريعة يمكن القول بانه اذا كانت سياسة التعليم في عهد الثورة قد ظلت متأثرة الى درجة ما ببعض الاتجاهات المتخلفة التي كانت سائدة قبل الثورة ؟ فان هذا بالطبع لايقلل من الانجازات الحاسمة التي تحققت من حيث التوسع في نشر التعليم في كافة المراحل ، والتوسع في تقديم الخدمات التعليمية وتطوير المناهج والعناية بالتربية البدنية والاجتماعية وغير ذلك من جوانب سياسة التعليم .

وسياسة التعليم في عهد الثورة قد عبر عنها السيد اسماعيل القباني وزير التربية والتعليم خير تعبير ، ولازالت وزارة التربية تسير على تلك السياسة التي وضع أسسها اسماعيل القباني في أول عهد الثورة والتي كان يسعى اليها قبل الثورة وحاول تطبيقها في الفترات التي كان يباشر فيها نفوذه على وزارة المعارف حينئذ .

ويمكن تلخيص هذه السياسة في النقاط الاتية :

١ ــ **التعليم الابتدائي** : تهدف سياسة التعليم الى الاهتمام بالتعليم الابتدائي ونشره في جميع أنحاء البلاد وتوفيره ، وهذه المرحلة تقابل التعليم الأولى وجزءا من مرحلة التعليم الابتدائي التي كانت موجودة قبل الثورة ، وقد عبر عن ذلك السيد كمال الدين حسين في تحديد سياسة التعليم في خطابه أمام مجلس الامة عام ٥٧ بقوله « تعميم التعليم الابتدائي في أسرع وقت ممكن ، مع دعم نوعه وتنقيته مما علق به من شوائب الماضي » .

٢ ــ **التعليم الفني** : كانت سياسة التعليم تهدف الى الاهتمام بهذا النوع من التعليم ، وعبر عن ذلك وزير التربية في الخطاب السابق الاشارة اليه بقوله « وقد لوحظ في مشروع السنوات الخمس المؤقت زيادة سنوية تدريجية في التعليم الابتدائي وفي التعليم الفني في مرحلتيه : الاعدادية والثانوية ، لانه لا سبيل الى التخلي عن هذا الاتجاه بأي حال من الاحوال . ويحدد أحد أركان سياسته بأنه « الزيادة والتوسع في التعليم الفني ولو كان ذلك على حساب التعليم العام ، وخاصة في المرحلة الاعدادية الفنية التي تعد بحق مرحلة المستقبل بعد المرحلة الابتدائية » .

٣ ــ **التعليم الثانوي والعالي** : كانت سياسة التعليم تهدف الى تقييد التوسع في هذه الانواع بقدر الامكان ان لم تستطع وقفه وقد عبر عن ذلك اسماعيل القباني وهو يشرح سياسته التعليمية بقوله « أول الاسس التي يجب أن تقوم عليها هذه السياسة هو الاتجاه الى تقييد التوسع في التعليم الثانوي والعالي واعطاء الاولوية في ميزانية الوزارة للتعليم الاولى »

ويقول بعض المسئولين عن التعليم في ذلك الوقت « ويقتضي ذلك أن نقف في تعليم مـا بعـد المرحلة الابتدائية ــ من ناحية الكم ــ عند حد الموجود حاليا على وجه التقريب » ، ويضيف قائلا : « يجب أن نتذكر أبدا أن كل تفكير في زيادة ما بعد المرحلة الابتدائية الان ، لابد أن يكون له أثره في وقف نمو التعليم الابتدائي ، وتعويق الوصول الى الغرض الاساسي الاصيل بالسرعة الواجبة ، لان كل اعتماد يرصد لزيادة عدد مدارس ما بعد المرحلة الابتدائية ، لابد أن يقابله نقص حقيقي واعتباري في الاعتمادات الواجب تخصيصها لتنفيذ البرنامج الاول » .

٤ ــ **تعليم الخاصة** : كانت سياسة التعليم تهدف في أحد جوانبها الى توفير مدارس خاصة ذات مصروفات لتعليم أبناء الطبقات الاجتماعية القادرة ماديا والتي ترغب في تربية أبنائها بعيدا عن الاوساط الشعبية ، فيقول القباني تحت عنوان « السياسة العامة لنشر التعليم في مصر » :

« ولابد أن يلاحظ أن تجاهل الدولة لهذه الاعتبارات من شأنه أن يدفع بالكثيرين من الاباء الى الحاق أبنائهم بالمدارس الاجنبية ، التي يرون أن الوسط فيها ملائم لحالتهم الاجتماعية كما حدث في هذا العام ، ومعنى ذلك أن المدارس الابتدائية الخاصة ستبقى ، ولكنها ستكون أجنبية بدلا من أن تكون مصرية » . وكان ذلك بصدد مطالبته أن تخصص الحكومة عددا من المدارس الحكومية لابناء الاسر الراقية ليتلقوا التعليم فيها مقابل دفع المصروفات المدرسية .

ويتابع هؤلاء المسئولين في ذلك الوقت نفس الاتجاه فيقول « وقد حرصت الوزارة على اعانة الافراد والمؤسسات على انشاء المدارس النموذجية والخاصة لمواجهة بعض الاباء في تعليم أولادهم في جو خاص كانوا يؤثرون من أجله المدارس الاجنبية على مدارس البلاد » . و « على انه قد يسر للافراد والهيئات انشاء المدارس الخاصة ، ليلتحق بها من يشاء من التلاميذ الذين لا تتسع لهم مدارس الحكومة » .

واذا رجعنا الى سياسة وزارة المعارف كما حددها اللورد كرومر أثناء فترة الاحتلال نجد أنها تعتمد على الأسس الاتية :

١ ــ التعليم الاولى (وهو يقابل الى درجة ما التعليم الابتدائي الحالي) : يحدد كرومر سياسته التعليمية في تقريره عن عام ١٩٠٠ ، ان أول

لغرض ترمى الحكومة اليه هو ترقية درجة المعارف العمومية بين الاهالى بواسطة الكتاتيب » ثم يؤكد ذلك قائلا « ان اجتهاد الذين يهمهم أمر التعليم فى هذا القطر يجب أن يكون مصروفا بنوع خاص الى اصلاح التعليم الصناعى وتوسيع نطاقه والى تعليم البنات وترقية التعليم الابتدائى بواسطة الكتاتيب » .

٢ ــ **التعليم الفنى** : يقول اللورد كرومر « أؤمل أنه ينشأ فى كل مدينة مهمة وبندر كبير من بنادر القطر مدرسة للصناعة » ويقول « ان المجال فسيح أمام الاهالى لفتح مدارس ابتدائية عامة واصلاح الكتاتيب وترقية المدارس الصناعية » . وعلى العموم فان جميع التقارير كانت تشير الى الاهتمام بالتعليم الصناعى فى جميع مراحله ، وان كان الموقف العملى مختلف عن ذلك .

٣ ــ **التعليم الثانوى والعالى** : « ان المساعى مبذولة لحصر التلاميذ الذين يدخلون بالمدارس الابتدائية وذلك برفع أجرة التعليم فيه » « ان عدد طالبى الامتحان للشهادة الثانوية فى السنوات الاخيرة آخذ فى النقصان » . من هذه الفقرات والفقرات السابقة للورد كرومر ومن اجراءات رفع المصروفات بالمدارس الابتدائية والثانوية والعالية يتضح أن سياسة الاستعمار هى تحديد أو تجميد التعليم فوق التعليم الاولى أو تعليم الكتاتيب .

٤ ــ **تعليم الخاصة** : سعى الاستعمار الى تشجيع المدارس التى تنشأ لتعليم الخاصة فى مصر فيقول عن مدرسة فكتوريا بالاسكندرية : « الغرض المقصود منها أن تكون مدرسة عالية تحت الرعاية البريطانية لتعليم أولاد الخاصة على اختلاف مللهم ونحلهم ... » وطالب بتشجيعها وجمع الاموال لها .

من ذلك كله يتضح أن الثورة التى قامت معارضة لكل أنواع السيطرة الاستعمارية ، لابد وأن تشرع فى هدم الاسس النظرية والفلسفية لسياسة التعليم كما وضعت فى عهود الاحتلال والحكم الملكى ، وباختصار فان الثورة مطالبة بوضع سياسة تعليمية ثورية تتفق مع الاوضاع الاجتماعية الحالية لتحقق الاهداف التى تسعى اليها .

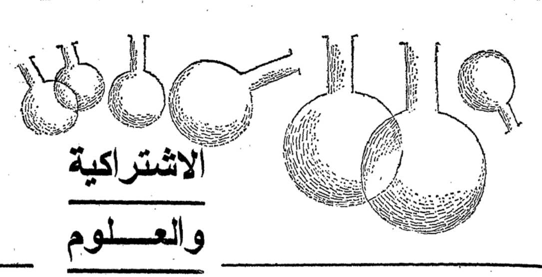
ثالثا : تنظيم التعليم فى مصر : ان تنظيم التعليم فى أى بلد انما يرتبط ارتباطا وثيقا بسياسة التعليم ، لانه الشكل الذى يحقق أقصى كفاءة فى تحقيق تلك السياسة ، وكما قلنا ان سياسة التعليم فى حاجة الى تغيير فانه لابد من احداث تغيير أيضا فى تنظيم التعليم ، فاذا كان هذا التنظيم كثير الشبه بما كان قائما منذ حوالى قرن من الزمان ، ويقوم على أساس خلق مراحل تعليمية مغلقة ومدارس أخرى طريقها مفتوح ، ويقوم على أساس الازدواج ، فان نظامنا التعليمى وان كان قد ألغى الازدواج فى المرحلة الابتدائية فانما حافظ عليه فيما فوق ذلك من المراحل ، ونحن فى حاجة الى تنظيم ديمقراطى للتعليم يتيح لكل تلميذ أن يصل الى أقصى مراحل ، ودرجات التعليم دون أن تكون هناك حواجز ، لا تمييز بين نوع من التعليم ونوع آخر .

رابعا : التعليم الخاص : اذا كانت سياسة التعليم قد نادت بتكافؤ الفرص فان وجود التعليم الخاص كقطاع يعيش جنبا الى جنب مع القطاع الحكومى انما يهدم ركنا أساسيا من هذا المبدأ .. فان وجود تعليم خاص معناه أن بعض التلاميذ القادرين على دفع المصروفات يمكنهم أن يتلقوا تعليمهم ، بينما العاجزون عن الدفع لا يستطيعون ، كما أنه مما يتعارض مع اتجاه الدولة فى تذويب الفوارق بين الطبقات ، فقد أصرت الطبقات الحاكمة أن يكون لابنائها مدارس خاصة بهم لا يدخلها أبناء الشعب ، وكان ذلك انعكاسا للاوضاع الاجتماعية وتأكيدا لها ، أما الان فان وجود مثل هذه المدارس ، انما هو وجود غير طبيعى لانه لا يتفق مع الاتجاهات السياسية القائمة ، ولذلك فان قضية التعليم الخاص فى حاجة الى تحديد موقف واضح منها ، لان هذا الموقف سيكون له دلالة اجتماعية هامة .

خامسا : التعليم الفنى : ان التعليم الفنى يعانى من عديد من المشكلات التى لازمته منذ نشأته ، حيث كانت سياسة الاستعمار التعليمية تهدف الى أن تكون مدارس التعليم الفنى خاصة بأولاد الفقراء ، وتكون نوعا من الورش الصناعية لا جزءا من النظام التعليمى ، نوعا من المدارس لا تؤدى الى أى نوع أرقى من التعليم ، ولذلك فقد كان هذا التعليم يعانى من النظرة الاجتماعية المتواضعة له منذ نشأته ، فقد أكد ذلك اللورد كرومر بقوله « بقى سبيل هذا التعليم كثير العقبات لان المصريين كانوا يحتقرون أهل الصناعة » . ثم عبر عن نفس المشكلة نجيب الهلالى فى تقريره عن اصلاح التعليم عندما أكد أنه « لا تزال النظرة الى هذا النوع من التعليم متواضعة متضائلة سواء فى ذلك نظرة الجمهور أو النظرة الرسمية » .

والواقع يؤكد أن سياسة التعليم الحالية لم تقدم حلا لهذه المشكلة بالرغم من اللجان الكثيرة والمجالس العليا التى شكلت لدراستها ، لان التلاميذ لا يزالون حتى الان لا يلجأون الى هذا النوع من التعليم الا عندما توصد فى وجوههم جميع أبواب أنواع التعليم الاخرى .

ان هذه النقاط فى حاجة الى دراسة عميقة بنظرة ديمقراطية حتى يمكن أن نضع أساسا سليما لاى تغيير ، وحتى لاتصبح عملية التغيير عملية شكلية ، وحتى لا يفرغ هذا الشعار من مضمونه الثورى .

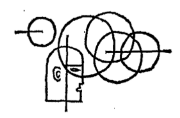


الاشتراكية والعلوم الانسانية

يدعو الميثاق الى « فكر مفتوح » لكل التجارب الانسانية ، يأخذ منها ويعطيها .. لا يبعدها عنه بالتعصب ، ولا يصد نفسه عنها بالعقد ..
ويدعو الميثاق كذلك الى « الالتزام » بالاشتراكية العلمية من حيث هي الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم ، ومن حيث أن أى منهاج آخر لا يستطيع بالقطع أن يخلق التقدم المنشود .
وليس ثمة تناقض بين الدعوتين :
الفكر المفتوح والالتزام .
لان الفكر المفتوح من غير التزام يفضي بالضرورة الى الفوضوية ، أو على الاقل الى الليبرالية الملازمة للرأسمالية الاستغلالية .
والالتزام من غير فكر مفتوح يفضي بالضرورة الى التعصب والتزمت والتحجر .
اذن كل منهما — على حدة — مرفوض !
ويدعم هذا الرفض طبيعة العصر .
فسمة النصف الثانى من القرن العشرين هى سمة الانفتاح دون الانغلاق . فلم يعد القهر ، وهو ملازم للانغلاق ، وسيلة الاقناع . كما أنه لم يعد ثمة سد بين حركات التحرر الوطني والحركة الاشتراكية العالمية .
من أجل دعوة الميثاق .
ومن أجل دعوة النصف الثانى من القرن العشرين .
من اجل ذلك كله ..
تكرس « الطليعة » هذا العدد لجملة دراسات عن « العلوم الانسانية والمعسكر الاشتراكى » أو ان شئت فقل ان « الطليعة » تكرس هذا العدد كمدخل لدراسات مقبلة .
ونقول كمدخل لاعتبارين :
الاعتبار الأول أن معظم مؤلفات المعسكر الاشتراكى ، فى ميدان العلوم الانسانية ، ليست مترجمة الى اللغة الانجليزية ، أو الفرنسية . وما هو مترجم لا يتجاوز ما يعرف باسم « الملخصات » ، وليست هذه هى الفكر الاشتراكى فى جوهره وفى عمقه .
والاعتبار الثانى أن أصحاب الدراسات ، فى هذا العدد ، انما يكتبون عن خبرة حية وهم يؤكدون ان هذه الخبرة — على اهميتها — لا تغنى عن الالتفات الى الاصول .
وهنا ثمة سؤال لابد أن يثور :
وما العلاقة بين العلوم الانسانية وتأسيس الاشتراكية ؟
ولعل الدافع الى هذا السؤال ما هو شائع عن العلم من اتصاف بالموضوعية والحيادية ، وما هو شائع عن الاشتراكية بأنها ايديولوجيا يتبناها نوع معين من الطبقات الاجتماعية .
والجواب عن هذا السؤال هو محور هذه الدراسات .

الأيديولوجيا

.. والعلوم الانسانية



أمير اسكندر

— ١ —

أصبح من المألوف فى الكتابات الجارية ، ان نقرأ عبارات تصف عصرنا — اكتسبت لكثرة ترديدها طابعا تقليديا — بأنه عصر العلم ، او عصر التكنولوجيا . والعلم المشار اليه فى هذه العبارات ، هو بطبيعة الحال ، العلم الطبيعى الذى يرتبط فى اذهان الغالبية الساحقة من القراء ، بالتطور الصناعى ، وبالثورة التكنولوجية . ذلك أن مفهوم العلم ، كماقدمه معظم الكتاب والباحثين والمفكرين فى بلادنا ، حتى داخل الاوساط الاكاديمية الخالصة ، أوشك ان يقتصر على مجموعة الابحاث الطبيعية والكيميائية والبيولوجية ، وهى الابحاث التى ترتبط — بطريقة أو بأخرى — بالتطور الالى ، وما ينتج عنه من نتائج تطبيقية واضحة ومباشرة ، وتنهض على بعض الاسس المنهجية المحددة ، مثل التجربة والقياس والحتمية . أما الموقف من مجموعة العلوم الانسانية ، فهو لا يكاد يخرج فى مجموعه من اتجاهين — اذا استثنينا اتجاه المدرسة **التكاملية المصرية** فى علم النفس — هما :

أما محاولة اخفاء معظم سمات العلوم الطبيعية من الناحية المنهجية ، على هذه العلوم الانسانية ، وحصرها داخل الاطار التجريبى الضيق ، واما اعتبارها نوعا من العلوم الفلسفية التى تعتمد أولا وقبل كل شىء على التحليلات العقلية المنظمة ، غير القابلة — لطبيعة موضوعها — للخضوع للنزعة التجريبية الصارمة ، التى تخضع لها العلوم الطبيعية . وغير خاف أن الاصول الفكرية لكلا الموقفين واحدة . وهى ربط العلم كمفهوم بالنزعة الالية ، وربط التجريب العلمى بنمط معين من التجربة . والنتيجة المنطقية لذلك ، هى احاطة التصور الخاص بالعلوم الانسانية ، فى وجداننا الثقافى العام ، بجو من الغموض والشك ، او على أقل تقدير ، بنوع من النظرة « الدونية » التى تعتبر هذه العلوم الانسانية أقل دقة من الناحية المنهجية ، وأقل قيمة من الناحية الموضوعية ، وأقل أهمية من الناحية العملية ، بالقياس الى مجموعة العلوم الطبيعية .

وليس أدل على ذلك ، من أن الميزانيات

المخصصة للابحاث فى ميدان العلوم الانسانية ، لا تكاد تقارن ، بتلك الميزانيات المخصصة للابحاث فى ميدان العلوم الطبيعية ، حتى داخل الجامعة نفسها ، والتى تبلغ نسبتها ١ ، ٣ر٣٦ فى جامعة القاهرة (١) . غير أن الغريب فى الامر ، أن هذا الفارق الفادح بين النسبتين ، لايكاد يقارن هو أيضا بالفارق بين ميزانية الابحاث الطبيعية وميزانية الابحاث الانسانية ، فى بلاد متقدمة كأمريكا وانجلترا على سبيل المثال .ففى ميزانية عام ١٩٦٦ نفسه بلغت ميزانية الابحاث فى العلوم الطبيعية والهندسية فى الولايات المتحدة الامريكية حوالى خمسة عشر بليون دولار ، اذا اضيفت اليها المساعدات الاخرى الثانوية وغير المباشرة بلغت حوالى عشرين بليون دولار ، فى الوقت الذى تضاءلت فيه ميزانية الابحاث فى العلوم الانسانية الى حد التقتير البالغ . ونفس الوضع ينطبق على الفارق الهائل بين الميزانيتين فى انجلترا ، الذى تصل نسبته الى ١ : ١٠٠ ، وهى .نسبة مخيفة ، ومهددة لمستقبل البحث فى ميدان العلوم الانسانية (٢) .

وما من شك فى أن هذا الوضع المتعلق بميزانيات الابحاث الانسانية — أو الاجتماعية — يعكس طبيعة النظرة التقويمية لهذه العلوم فى هذه المجتمعات المتقدمة ذات النظام الرأسمالى . وهى مجتمعات تنطوى — بطبيعة نظامها — على موقف محدد ازاء كل أنواع البحث العلمى ، يعتمد على مبلغ الناتج المباشر ، فى التطبيق العملى السريع ، لهذه الابحاث ، فضلا عن اعتبار آخر لا يقل أهمية هو نظرتها التقويمية الى الانسان نفسه ، داخل اطار نظامها الاجتماعى — وربما الى مفهوم العلم ايضا — من حيث ان القيمة الاكبر تعطى للبحث الذى يدر ربحا سريعا مباشرا ، وللالة التى تمثل وسيلة الحصول على هذا الربح ، بصرف النظر عن الانسان الذى لا يرتفع الى مستوى الالة فى سلم القيم ، الذى تؤمن به هذه المجتمعات « ذات البعد الواحد » على حد تعبير **هربت ماركيوز** .

غير أن المفروض أن يكون هذا الوضع مختلفا تماما ، فى مجتمعات أخرى تتبنى نظما اشتراكية او لا رأسمالية ، وتعتبر الانسان ، او الفردية الانسانية ، قيمة أعلى ، من قيمة الالة . فعملية الصناعة نفسها « ليست سوى سلوك بشرى عبر آلة معينة ، ونحو هدف معين هو انتاج سلعة ما ، وأن السلعة التى تصل الى أيدينا ليست بالتالى من انتاج الالة وحدها ، ولكنها من انتاج سلوك بشرى عبر هذه الالة » . ونسيان هذه الحقيقة « هو الذى ادى بنا فى نهاية الامر الى اغفال الشىء الاخر من التكنولوجيا الحديثة ، وهو التكنولوجيا البشرية » (٣) .

فاذا كان الامر كذلك ، فلابد من احداث نوع من الموازنة بين النظرة الى العلوم الطبيعية والنظرة الى العلوم الانسانية ، على أساس أن هذه العلوم الانسانية لا تقل فى قيمتها وأهميتها عن العلوم الطبيعية ، لا من ناحية البحث العلمى الخالص فحسب ، بل وحتى من ناحية الاستثمار الاقتصادى نفسه ، واكسابه طابعا انسانيا ايضا .

ولعل من المفيد أن نحدد من البداية ، المقصود بالعلوم الانسانية . ذلك لان مفهومها لا يحظى باتفاق عام بين كل الباحثين فى ميدانها . فمفكر كبير مثل **جورج لوكاش** لا يخفى تشككه فى هذه «التقسيمات» التى تتعلق بالعلوم الانسانية . انه يقول : « اننى اعتقد أن كثيرا من هذه التقسيمات ، أكاديمية خاصة . أعنى أنها تقسيمات يقوم بها اساتذة الجامعات داخل المدرجات الجامعية . والحقيقة أن الانسان كائن اجتماعى متكامل . وماركس لم يكن يفصل بين الاجتماع والاقتصاد مثلا . ان الاجتماع عملية اقتصادية وتاريخية .. هل تستطيع القول ماذا كان كتاب رأس المال ، كتابا فى الاجتماع أم الاقتصاد أم التاريخ ؟ بين كل عشرين حالة ، هناك تسع عشرة حالة لا تستطيع أن تقول فيها بشكل محدد قولا فصلا . خذ تقسيم العمل مثلا ، هل هو ظاهرة اقتصادية أم اجتماعية أم تاريخية ؟ انه كل ذلك جميعا . اننى اريد القول انه ينبغى النظر الى الحياة الاجتماعية كوحدة . لقد تطورت الكفاءات التكنيكية للانسان فى القرن العشرين تطورا كبيرا ، وتحققت اشياء ما كان يحلم بها الانسان منذ عدة قرون ، ولكن الانسان ككائن اجتماعى لم يتطور بنفس الدرجة .. والانسان الامريكى الذى يعيش فى أعلى مستوى تكنولوجى لم تتطور شخصيته بنفس القدر ، وعلى نفس المستوى ، على الرغم من كل التقسيمات التى لا تنظر الى الكيان الانسانى كوحدة واحدة متكاملة » [٤] .

---

[١] انظر : نحن والعلوم الانسانية — الدكتور مصطفى سويف — القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٧٢—٧٦ ، وهذه النسبة طبقا لميزانية ٦٥/١٩٦٦ .

[٢] هذه الاحصائيات منقولة من مقال الدكتور احمد أبو زيد المنشور فى مجلة « عالم الفكر » المجلد الاول — العدد الاول ١٩٧٠ ص ١٩٨ وهى لاتتعلق — بالطبع — بميزانية الابحاث فى الجامعات وحدها . ولكن بميزانيتها فى المجتمع كله ، بكافة مؤسساته .

٣ — نحن والعلوم الانسانية — المرجع السابق ص ٢٢

[٤] حوار مع اليسار الاوربى المعاصر — كتاب الهلال — يونيو ١٩٧٠ ص ٢٣٥ — ٣٦

وليس لوكاش نسيجا وحده في هذا الموقف من العلوم الانسانية ، وان كان يمثل الاتجاه المتطرف الذي يوشك ان ينكرها تماما ، او على الاقل ينكر استقلاليتها • فهناك عدد من المفكرين الكبار ايضا الذين اسهموا في هذه العلوم الانسانية اسهاما يصل الى حد تأسيس بعض فروعها ، ينكرون فروعا اخرى منها ، ولا يدخلونها داخل اطارها. فأوجست كونت مثلا الذي يعتبره بعض المؤرخين مؤسسا لعلم الاجتماع ، ينكر اعتبار علم النفس واحدا من هذه العلوم الانسانية • ويجرى اميل دوركايم مجراه في التقليل من شأن هذا العلم الى حد يقترب من اسقاطه من الاعتبار . بينما يرفض مالينوفسكى اعتبار التاريخ علما بين العلـوم الانسانية ، وان كان يعترف بعلم النفس بين تلك العلوم، غير انه مهما كانت وجهة نظرلوكاش او كونت اودوركايم او مالينوفسكى او غيرهم من المفكرين والعلماء حول المقصود من عبارة العلوم الانسانية ، فالامر الذى يوشك أن يكون موضع اتفاق الكثرة من المشتغلين المعاصرين بهـذه العلوم ، هو انها مجموعة الابحاث التي تدرس مظاهر النشاط الانسانى الذى يتعلق بالفرد أو الجماعة أو المجتمع • ومن ثم فهى تضم بشكل عام علم الاجتماع ، وعلم النفس ، وعلم الاقتصاد ، والانتروبولوجيا ، والادارة العامة ، وبعضفروع من التاريخ والجغرافيا والقانون • وهذه الابحاث تختلف عما يعرف باسم « الانسانيات » التى تتعلق بدراسة الادب والفن والفلسفة ، وما يجـرى مجراها (٥) •

والسؤال الذى يطرح نفسه على الفور ، عند أى محاولة لتحديد موضع العلوم الانسانية في الميدان الواسع للمعرفة الانسانية ، هو : الى أى مدى تعتبر « العلوم الانسانية » ، « علوما » بـالمعنى المتفق عليه منهجيا لكلمة « العلم » ؟ وبطـريقة أخرى : ما مبلغ اقتراب هذه العلوم الانسانيةاو ابتعادها عن الحدود المتفق عليها للمنهج المطبق في العلوم الطبيعية ؟ •• وليس ثمة شك في أن محاولة الاجابة على هذين السؤالين ، تقتضى طرح مشكلة الذاتية والموضوعية في العلوم الانسانية •

— ٢ —

كان كارل ماركس يقول ان تاريخ الانسانية ، هو تاريخ صراع الطبقات . وربما امكن القول تياسا على ذلك ، أن تاريخ المعرفة الانسانية ، هو تاريخ الصراع من أجل السيطرة على ظواهر الطبيعة والمجتمع والانسان • ومن ثم يكون من المجافاة لمنطق التاريخ ، ولبداهة العقل ، تصور أن الابحاث التى تتعلق بالظواهر الاجتماعية والانسانية ، لم تظهر الا في العصور الحديثة ، بظهور ما يعرف اليوم باسم « العلوم الانسانية » ، فمنذ بزوغ الفكر الانسانى — في تاريخهالمعروف — كانت هناك محاولات لفهم ما يدور في المجتمعات البشرية من ظواهر وأحداث • ويكاد يجمع معظم مـؤرخى التفكير الاجتماعى على أن أقدم صورة لهـذه المحاولات ، قد ظهرت في مصر القديمة والصين. وهى بالطبع لم تتخذ شكل النظريات المتكاملة أو الجهود النظرية المنسقة ، ولكنها كانت — في هذه اللحظة الباكرة للتطور الانسانى — جهدا مساوقا للجهود التى كانت تبذل لفهم اسرار الكون والغاز الطبيعة المحيطة بهم حينذاك •

وقد لا يكون من الملائم ، في هذا المجال ، تتبع تطور التفكير الاجتماعى تتبعا تاريخيا منذ نشأته حتى الان ، وبلوغه تلك الدرجة من المعرفة المنظمة التى بلغها في اطار العلوم الانسانية المعاصرة، ومع ذلك ، فمن المفيد الاشارة العامة لاهم المراحل الرئيسية التى قطعها هذا التفكير ، حتى وصل الى هذه المرحلة التىيحاول فيها — اوتحاول اتجاهات أساسية فيه — التشبه بالعلوم الطبيعية فـى مناهجها وأدواتها •

ولقد كان الفكر اليونانى القديم ، هـو أول محاولة منظمة لوضع النظريات الاجتمـاعية المتكاملة — ذات الطبيعة الفلسفية بطبيعة الحال — في فهم المجتمع الانسانى ، ودراسة أو تأمل طبيعة التطور الذى يمر به • ويقف افلاطون في مقدمة اصحاب هذه النظريات بكتابه «القانون» • ويرى بعض المؤرخين أن أفلاطون قد سبق التطوريين في القرن التاسع عشر ، بحديثه عن طبيعة التطور الاجتماعى، وعن المراحل الزمنية التى يقطعها حتى يبلغ غايته • كما يرون أن فضل افلاطون يعود الى أنه — على عكس المفكرين الاجتماعيين الذين سبقوه — حاول أن يدرس المجتمع « كوحدة » أو بالتعبيرات الحديثة « ككل » مترابط الاجـزاء • ولقد تبعه مفكر عظيم آخر هو « أرسطو » الذى أسهم ببحوثهفى العلاقات السياسية والاجتماعية ، خصوصا في كتابه « السياسة » • ويرى أولئك المؤرخون أن ارسطو — على عكس أفلاطون — حاول دراسة هذه العلاقات على أساس من المنهـج الاستقرائى ، بينما كان أفلاطون يستند في دراسته لها على اساس المنهج القياسى ، او الاستنباطى، وان دراساته تلك هى التى قادته الى تأكيـد

Sociology. History of Subject and Methods, Jan Szczepanski, Polish Sociological Bulletin, No 1 1966.

الطبيعة الاجتماعية للانسان ، وضرورة وجود العلاقات الاجتماعية لنمو الشخصية الانسانية .

ولعل « ابن خلدون » ، كان أول مفكر يتعرض لفكرة التقدم ووحدة العمليات الاطرادية الاجتماعية . ولا شك أن فضله يعود الى تأكيده للفصل بين ما دعاه بالتاريخ القصصى الحافل بالوهم والخرافة ، والتاريخ العلمى الذى ينهض على أساس من استقصاء الحقائق ، ورفض الامور التى تتعارض مع طبائع الاشياء والتسلسل المنطقى للاحداث ، كما أنه من المفكرين الاوائل الذين الحوا على فكرة « القانون الثابت » ، الذى ترتبت عليه دعوته الى اقامة علم لدراسة المجتمع اسماه « علم العمران » ، ويرى « بارنس » ، فى كتابه « مدخل لتاريخ علم الاجتماع » [ص١٤] ، ان ابن خلدون قد توصل الى فكرة المراحل التى تمر بها المدينة ، وكشف عن مفهوم للتغير المستمر تمر به الحضارة ، وعن وحدة العوامل النفسية والبيئية فى احداث عملية التغير والتطور التاريخى ، ومن ثم فان «بارنس» يدعوه «مؤسس فلسفة التاريخ» لانه سبق « فيكو » الذى كان يعتبر مؤسس هذه الفلسفة باكثر من ثلاثة قرون من الزمان .

ولقد مرت محاولات دراسة الظواهر الاجتماعية بعد ذلك عبر العصور المظلمة ، ولم تبرز من خلالها محاولة « القديس اوغسطين » فى « مدينة الله » ، وهى محاولة سيطرت عليها بالطبع النزعة الصوفية المسيحية ، والفلسفة السكولائية ، فى تفسير التاريخ على أنه واحد من المظاهر التى ينعكس فيها فعل العناية الالهية ، وتدخلها فى الامور الانسانية . وترجع أهمية المحاولة التى قام بها أوغسطين الى أنها طبعت بميسمها محاولات الفلاسفة والمفكرين المدرسيين جميعا ، وظهرت اثارها فيما ظهر فى كتاباتهم من حديث عن « التدبير الالهى » والقضاء والقدر » — و « الغائية » المحكومة بالارادة الالهية .

ولقد ظهرت بعد ذلك ، محاولات مدرسة « العقد الاجتماعى » مع بداية العصر الحديث . وكان من أبرز ممثليها كما هو معروف ، روسو وهوبز وجون لوك ، على اختلاف نظراتهم الاجتماعية ومناهجهم أو مناحيهم الفكرية . وتتابع المفكرون والفلاسفة فى الادلاء بتفسيراتهم الفلسفية والنظرية للظواهر الاجتماعية ، وللمجتمع الانسانى ، وللسلوك البشرى . وشهدت مسيرتهم عمالقة من أمثال كانت ، وهيجل . غير أن هذه النظريات كانت فى مجموعها جزءا من مذاهبهم ، ولبنة فى أبنيتهم الفلسفية والمذهبية .

ولا شك أن التحول الكبير الذى ظهر فى ميدان العلوم الانسانية — وخصوصا فى ميدان علم الاجتماع — كان على يدى اوجست كونت بفلسفته الوضعية .. وهو اول من استخدم كلمة علم الاجتماع Sociology فى عام ١٨٣٩ . ولقد بدأت ارهاصات هذا العلم الجديد ، فى تفكير كونت ، فيما قبل ذلك بحوالى سبعة عشر عاما ، حينما ادرك بتأثير من سان سيمون ضرورة أنشاء هذا العلم الجديد الذى كان يدعوه حينذاك بالفيزياء الاجتماعية ، قياسا على الفيزياء النباتية والحيوانية ، والفلكية والارضية ، والكيميائية . وكان يعنى به دراسة الظواهر الاجتماعية بطريقة « موضوعية » ينظر بها الى هذه الظواهر الاجتماعية ، كما ينظر الى الظواهر الفلكية والطبيعية والكيميائية والفسيولوجية ، بهدف الكشف عن القوانين الثابتة غير المتغيرة التى تخضع لها ، ويكون هذا الاكتشاف هو الموضوع الاساسى للبحث والاستقصاء الذى يقوم به العلماء فى ميدان هذا العلم .

ويرى بروفيسير «جان زشبانسكى» ، ان تاريخ السوسيولوجيا يمكن أن ينقسم الى مرحلتين كبيرتين : الاولى : هى مرحلة « الاتساق Systems السوسيولوجية الكبرى ، التى استغرقت منذ بداية القرن التاسع عشر حتى ثلاثينات القرن الحالى . والثانية : هى مرحلة السوسيولوجيا الجديدة New Sociology التى تتسم بالتخصص والانضباط المنهجى، وسيادة التجريب على التنظر المجرد . وهذه السوسيولوجيا الجديدة « تتألف من مجموع التأكيدات والفروض والقوانين التى تشكل هيكل المعرفة اليقينية فى هذا النظام العلمى » (٦) . بينما ترى باحثة أخرى هى «ماريا هيرزوفنتش » أن السوسيولوجيا الجديدة يمكن أن تنقسم الى ثلاثة اتجاهات رئيسية ، الاولى : هو الاتجاه التاريخى ، والثانى : هو الاتجاه التحليلى ، والثالث : هو الاتجاه التجريبى . وعلى الرغم من ان الباحثة تصدر عن منطلق ماركسى ، فانها ترى أن السوسيولوجيا الجديدة ينبغى أن تستهدف اقامة نوع من بين المركب يجمع بين الاتجاهات الثلاثة ، ويشكل العمود الفقرى للسوسيولوجيا المعاصرة . وهى تتساءل فى دراستها عن الدور الذى يمكن أن تقوم به الماركسية (التى تشكل عصب الاتجاه الاول) فى اقامة هذا المركب الجديد . ومع ذلك فهى لا تعطى الاجابة المحددة عن هذا التساؤل ، وتكتفى بالقول

---

[٦] المرجع السابق .

بأنها انما تطرح اتجاها عاما فى البحث ، وللبحث ، ولا تود ان تصل منه الان الى نتائج نهائية محددة (٧) .

ومهما يكن الامر ، فى هذه التقسيمات والتصنيفات المتعددة ، فان الوضع الراهن يشير الى ان ثمة اتجاهين اساسيين يمثلان قطبى التفكير لا فى السوسيولوجيا وحدها . وانما فى العلوم الانسانية بشكل عام . الاتجاه الاول : هوالاتجاه التجريبى الخالص، الذى يمثل المرحلة التطورية الاخيرة ، فى سلسلة سبقتها اولا الوضعية التقليدية — التى مثلهااوجست كونت — فى علم الاجتماع ، والسلوكية فى علم النفس ، والمذهب التاريخى فى التاريخ والمدرسة الاثنوجرافية فى الانثروبولوجيا . ثم — ثانيا — المدرسة الوظيفية التى ظهرت ارهاصاتها الاولى على يدى « دوركايم » فى علم الاجتماع ، والتى طورها ونماها انثروبولوجيون من امثال **مالينوفسكى ، ورادكليف براون** .

اما الاتجاه الثانى : فهو الاتجاه الماركسى . وهو اتجاه يسود فى معظم الدول الاشتراكية الاوروبية ، وتمثله جزر مستقلة داخل تيارات العلوم الانسانية فى اوروبا الغربية وامريكا .

ما هى سمات المدرسة التجريبية الخالصة فى العلوم الانسانية ؟ ، وما هى سمات المدرسة الماركسية : « فيمايتفقان،وفيمايتباعدان»؟

ان توضيح هذه الفروق سوف تمثل الاجابة على السؤال الذى طرح من قبل هو كيان العلوم الانسانية « كعلوم » ، وحول مشكلة الذاتية والموضوعية التى تتعلق بمنهجها . وهذه الاجابة سوف تقترب بنا كثيرا من المشكلة الاساسية التى تجتهد هذه السطور فى معالجتها ، وهى مشكلة العلاقة بين الايديولوجيا والعلوم الانسانية ، او الايديولوجيا فى العلوم الانسانية .

— ٣ —

السمة الرئيسية للمدرسة التجريبية — او الوضعية الجديدة كما يسميها الاستاذ **جيرزى فياتر** — تتلخص فى محاولتها التشبه بالعلوم الطبيعية واستعارة مفاهيمها وادواتها المنهجية. وفى محاولة التشبه هذه تجتهد فى أن تلتزم بالقواعد الاتية : أولا : الموضوعية أو الحياد . ثانيا : البعد عن التقييم . ثالثا : استخدام المناهج الكمية والرياضية .

أ — ما المقصود بهذه الموضوعية او هذا الحياد ؟

المقصود بها انيعتبر العالم الظواهرالانسانية التى يدرسها كما لو كانت « اشياء » ، وكانها صورة اخرى للظواهر الطبيعية والكيميائية والبيولوجية التى يدرسها العلماء الطبيعيون والبيولوجيون . لا ينبغى ان يطلب العالم من الذى يدرس الظواهر الاجتماعية والانسانية سوى الحق وحده . وأن يتجنب تماما أى وقوع فى الميول والمصالح والاهواء الشخصية ، مهما كانت طبيعة هذه الميول والمصالح والاهواء : سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية . الملاحظة والوصف والتحليل وتقديم النتائج ، بصرف النظر عن الاستخدامات التى سوف توظف فيها هذه النتائج خيرا او شرا . ان التمييز بين الخير والشر لا يدخل فى اطار العلم كما يقول اصحاب هذا الاتجاه . ان العالم يريد لنتائجه أن تكون بعيدا عن الموازين الاخلاقية للخير والشر ، كما هو الحال فى نتائج العلوم الطبيعية . وهو يشارك العالم الطبيعى الارتفاع فوق استغلال نتائجه للاهداف الخيرة او الشريرة ، فحتى لو استغلت هذه النتائج لاهداف لا يرتضيها كانسان أو كفرد فى المجتمع ، فهو لا يملك مع ذلك — كعالم — الا ان يسهل تحقيقها . انه يؤمن بان القاعدة التى ينبغى عليه الالتزام بها هى الصراع ضد الاتجاهات « اللا علمية » التى تتدخل بمقاييسها « المعيارية » فى عمله . ان قاعدته هى التحرر من اى التزام خلقى أو سياسى او اجتماعى يمكن ان يؤثر على بحثه او على نتائجه . ان دعاة التجريبية والوضعية الجديدة يعتبرون قبول « نمط » البحث العلمى فى العلوم الطبيعية ، الذى يعنى « عدم الالتزام » بأى شىء سوى البحث ، والبحث فحسب ، نقطة تحول هامة فى تاريخ العلوم الانسانية . ان العالم ، فى نظرهم ، لم يعد عضوا مساهما فى أى صراع من صراعات عصره ، انه مراقب فحسب ، وشاهد يصف ولا يصدر حكما . ان عليه أن يقدم الاسلحة العقلية ، ولكنه ينسحب من الميدان فى اللحظة التى يبدا فيها استخدامها . أن ابحاثه هى مسئوليته القصوى والوحيدة .

ولقد كان « **جورج لندبرج** » ، وهو احد اعمدة الوضعية الجديدة فى علم الاجتماع — يقول لا

Sociological Confrontations. Marxism and Contemporary [V]
Sociology, Matia Hiarzowicz Po. Socialogical Bulletin 1-65 - P.129.

ينبغى على العلم أن يتورط فى أصدار أية « أحكام تقييمية » • ذلك أن القضايا ذات الطابع العلمى والقضايا ذات الطابع الاخلاقى ، لا يمكن ردها احداها للاخرى • ومن ثم ينبغى على علم الاجتماع ان يبتعد اقصى ما يكون عن احكام القيمة . وكان « ماكس فيبر » وهو أحد العلماء الكبار الذين أثروا فى التفكير الاجتماعى هو أيضا ، يدعو الى التخلص من اية احكام تقييميه فى العلوم الانسانية . وكان يرى فى ذلك ، لا مجرد التزام بقواعد المنهج العلمى فحسب ، وانما وسيلة للتخلص من سيطرة الحكومات والسلطات فى أى مجتمع ، واداة للاستقلال والبعد عن اى نوع من التدخل الخارجى ايضا ، ولا شك ان فكرة البعد عن اصدار الاحكام التقييمية هى الوجه الاخر لفكرة الحياد .

ولكن هل يمكن لفكرة الحياد أن تقوم أصلا فى العلوم الانسانية ؟

ان العلم بواقعة انتحار هتلر ، فى بدروم دار المستشارية ، بعد هزيمته فى الحرب الثانية على سبيل المثال ، يتسم « بالحياد الاخلاقى » ، بالقدر الذى نعتبر به العلم بهذه الواقعة مجرد فقرة فى نشرة للاخبار • ولكن أى محاولة لمزيد من وصف هذه الواقعة لابد ان ينطوى على نتائج معيارية ، لانه سوف يفرض على المرء استخدام الفاظ وكلمات لها دلالات تقييمية محددة . والعلم بالنسبة المئوية لعدد حوادث الطلاق بالنسبة لعدد الزيجات ، او بالنسبة المئوية لعدد العاملات بين المواطنات فى أى مجتمع ، قد يكون « علما محايدا » كذلك اذا عالجنا هذه الارقام كوقائع رياضية او احصائية معزولة تماما فحسب ، ولم نحاول أن نستخلص منها أية نتائج أجتماعية لها صفة الشمول والتعميم . وبتعبير آخر ، يمكن القول أن المعرفة الاجتماعية تكون محايدة ، وبعيدة عن أية احكام تقييمية ، بالقدر الذى تكون به نتائجها ضئيلة ، وعلاقاتها بالحياة الاجتماعية ككل ضعيفة ومتهافتة .

ان المعرفة الاجتماعية هى دائما ملتزمة ، لان العالم ليس بوسعه ان يضع جانبا مجموعة القيم التى قبلها كشخص ، وكعضو فى مجتمع ، وكمواطن فى امة ، وكجزء من طبقة ، او حركة او حزب او تنظيم سياسى او اجتماعى • **ان العلم الاجتماعى حوار دائم بين العالم والموضوع الذى يدرسه • وفى هذا الحوار يكون العالم دائما هو القطب الذى يعبر ويصوغ الاتجاهات والمواقف فى الموضوع الذى يدرسه** • وخطورة أسطورة الحياد هذه ، ليست فى احتمال انسحاب العالم من التصدى لحل الصراعات الاجتماعية المعاصرة ، فطالما أن العالم يقوم بوظيفته كباحث او استاذ فى جامعة ، فهو لا يستطيع الفكاك من المعارك الجارية ، ولكن خطورتها تكمن فى انها تضعف جانب الالتزام بالوقوف الى جانب العدالة والحرية والتقدم ، وانها قد تؤدى به الى الوقوع فى حبائل الاتجاهات الرجعية والمحافظة (٨) •

واذا كان « لندبرج » يقول انه يحاول أن يفهم المجتمع • ويحاول أن يطبق العلم ومناهجه فى هذه المحاولة ، وأنه لا يبغى من دراسته أن يقدمها للرجل العادى ، وأن عالم الاجتماع اذا استطاع ان يفهم ـ عن طريق العلم ـ حركة المجتمع والافراد ، فهو سوف يتمكن ان يسهم بدور فعال فى انقاذ الانسان واصلاح المجتمع ، فان بعض نقاده وعلى رأسهم « دون مارتن ديل » قد استخلصوا من نظرياته الوضعية والتجريبية المتطرفة ، ، انه « قد ترك الانسان بلاامل » وانه قد حول قيمه وغايته ، حبه وكراهيته الى نوع من التوترات التى تتطلب التخفيف ، والى نوع من الاختلال الذى يمضى نحو التوازن • فالانسان لا يمكن ان يماثل جزئيا أو ذرة ، ولا سبيل الى تمثيل سلوكه بحركة الجزئيات او الذرات ، والا فاننا نجرد الحياة الاجتماعية من حيويتها وقيمتها (٩) •

اما عن دعوى البعد عن التقييم بهدف البعد عن السلطات والاستقلال عن الحكومات ، فهى دعوى ساذجة • فالواقع ان الغالبية الساحقة من العلماء ، هم موظفون فى الحكومات والجامعات وهيئات البحث • وسواء كان هذا العالم فى الشرق أو فى الغرب فهو خاضع اراد ذلك ام لم يرد ـ للمناخ العام الذى يسود فكرية النظام الذى يتبعه • واذا لم تكن هناك اية حكومة ، تتصف بالحياد داخل مجتمعها ، فمعنى ذلك أن هذا المناخ العام لا يمكن أن يكون محايدا • وليس أكثر من الشواهد الواقعية التى تشير الى أن السلطات فى أى مجتمع تتدخل ـ بطريقة أو بأخرى ـ وتوجه ، بل واحيانا تطلب نتائج معينة ! •• وأكثر من هذا ، ربما كانت بعض مراكز الابحاث المستقلة كهيئات او المنضوية تحت لواء جامعة من الجامعات ، خاضعة خضوعا مباشرا او غير مباشر ، لبعض

---

[٨] Committed Sociology Jerzy J. Wiatr, P. 421

[٩] The Nature and Types of Socialogical Theories, Don Martindele, 1968, P. 121 -- 122.

أجهزة المخابرات فى مجتمعاتها • وليست الوقائع التى كشفت فى السنوات الاخيرة حول نشاط وكالة **المخابرات المركزية الامريكية** بعيدة عن الاذهان ، ولا يمكن القول أن مراكز الابحاث التابعة لها ، أو بعض الجامعات الكبرى مثل جامعة كولومبيا ، تستهدف غاية موضوعية منزهة عن الغرض • ولقد ذكر « **الدكتور احمد أبو زيد** » فى كتابه « البناء الاجتماعى ، مدخل لدراسة المجتمع » (١٠) كيف اهتم عدد من العلماء الانتروبولوجيا فى امريكا ، لاسباب تتعلق بالحرب والدعاية ، بدراسة شعوب الأعداء والحلفاء على السواء • ولا يمكن القول اذن ، ان هذه الدراسات كانت لوجه العلم وحده ، أو بهدف الوصول الى نتائج موضوعية بعيدة عن الاحكام التقييمية كما يزعم أصحاب هذا الاتجاه. **فالوقائع التاريخية تقول أن الحكومات وأجهزة المخابرات قد زادت من استعانتها بالعلماء ابان الحرب العالمية الثانية ، لتحقيق اهداف معينة تتوافق مع مصالحها** »، بل ان بعض هؤلاء العلماء قد تولوا شئون الحكم والادارة فى المناطق التى تم فتحها ، وقاموا بعدد من الدراسات فى اثناء ذلك . كما يذكر الدكتور احمد ابو زيد فى مقاله السابق « ازمة العلوم الانسانية » (١١) نقلا عن الباحثين « **جيرث ولاندو** » أن **مجلة علم الإجتماع الامريكية** » رغم كل الازمات والشدائد التى مرت بالعالم قبل الحرب العالمية الثانية ، ورغم اقتراب العالم من تلك الحرب بسرعة هائلة ومخيفة لم تنشر مقالا واحدا عن **الحزب النازى** الا فى عام ١٩٤٠ ، أى بعد أن كانت الحرب قد نشبت بالفعل، وانه خلال الفترة الطويلة بين عامى ١٩٣٣ ـ ١٩٤٧ لم يظهر فى تلك المجلة ذاتها ـ رغم عصريتها واهميتها بالنسبة لعلم الاجتماع سوى مقالين اثنين عن (الاشتراكية القومية) وأن فهرس المجلة التحليلى خلال خمسين سنة كاملة لم يرد فيه ذكر كارل ماركس والماركسية سوى ثلاث مرات فقط بينما لا توجد فيه أية اشارة على الاطلاق الى لينين واللينينية • ولا يزال كثير من علماء الاجتماع فى أمريكا بوجه خاص يغضون الطرف عن الازمات الطاحنة التى يمر بها العالم الان ، والتى تتمثل بالنسبة لامريكا نفسها فى التفرقة العنصرية ، وحرب فيتنام والظلم الاجتماعى وانتشار الجريمة ، وما الى ذلك •• ويدرسون موضوعات غريبة وبعيدة عن المألوف ليجذبوا الانظار اليهم، بينما يغفلون دراسة بعض الظواهر الهامة كالثورة الثقافية فى الصين التى تؤثر فى حياة ما لا يقل عن ستمائة مليون نسمة ، والتى يعتبرها كثير من المفكرين أكبر حركة جماهيرية فى تاريخ الجنس البشرى. ويرى الدكتور احمد ابو زيد ان المسئول الاول عن ذلك هو « الرغبة الجامحة فى محاكاة العلوم الطبيعية فى نظرتها الى موضوعات تخصصها، وطريقتها فى معالجة هذه الموضوعات واتباع نفس المناهج ، والطرق وما تطلبه هذا كله من التخصص الضيق الدقيق » • [ص ٢١٠] .

ومع ذلك فلعل المرء لا يملك الا ان يتساءل : أهى محاولة تقليد العلوم الطبيعية فى مناهجها واساليبها فحسب هى التى قادت مثل هذه المجلة العلمية الهامة لاغفال هذه الموضوعات الحيوية حتى داخل مجتمعها نفسه، ام ان ثمة عناصر اخرى، بعيدة عن محاولة هذا التقليد ، ولعلها بعيدة عن كل ما يتصل بالمنهج العلمى ، هى التى قادت المجلة لاغفال هذه الموضوعات؟ الايتعلق الامر هنا بقضية « التوجيه » الخارجى ، والتدخل من قبل الهيئات والسلطات فى اختيار موضوعات البحث ؟ أليس تناول مثل هذه الموضوعات ــ الزنوج والتفرقة العنصرية ، حرب فيتنام ، الظلم الاجتماعى ، انتشار الجريمة ، مما يقلق السلطات ويزعج أصحاب الامر فى تسيير دفة المجتمع الامريكى ؟

جـ ــ واذا كانت الدعوة الى اعتبار العلوم الانسانية « علوما » تناظر العلوم الطبيعية ، دعوة قديمة ترجع الى القرن التاسع عشر ، كما بدى فى اطلاق أوجست كومت على علم الاجتماع فى البداية اسم « الفيزياء الاجتماعية » فالدعوة كذلك الى استخدام المناهج الكمية والاحصائية ، ليست دعوة حديثة كذلك ، وهى تعود فيما يرى بعض الباحثين ــ فى الانتروبولوجيا ــ الى تيلور .

ومع ذلك ، فالظاهرة الجديدة ، هى اعتقاد كثير من الباحثين فى العلوم الانسانية ان ما لا يمكن قياسه ، او ما لا يمكن اخضاعه للقياس ، ليس من قبيل المعرفة العلمية المضبوطة • ويجدر القول فى هذا الصدد ان هذه المشكلة المنهجية ، قد تعرضت لها العلوم البيولوجية كذلك فى مرحلة من مراحل تطورها . فلقد ذكر « هـ.دنجل » « أن سيرآرثر ادنجتون اخبرنى فى احدى المناقشات بيننا انه يستخدم مفهوم العلم ، والعلم المضبوط Exact Science باعتبارهما مترادفين.. والنقطة التى تستحق المناقشة هى فيما اعتقد يمكن صياغتها على الوجه التالى : انه فى نظر ادنجتون تكون الهوة التى تفصل بين العلوم البيولوجية والعلوم الطبيعية أعمق من تلك التى تفصل بين البيولوجيا وبين اللاهوت مثلا • وبالتالى فكلمة أو مفهوم العلم اذا طبق على الوجه الصحيح ينبغى

---

[١٠] انظر ص ٢٣١ ــ ٢٣٢
[١١] عالم الفكر ــ المرجع السابق .

الا يطلق الا على الدراسات الطبيعية العامة » [١٢] ولقد كان سير آرثرادنجتون نفسه يقول : « ان الهوة التى تفصل بين ما هو علمى ، وما هو خارج العلم من خبراتنا تتمثل فيما أعتقد لا فى كونها هوة بين ما هو عينى أو محسوس concrete وبين ما يمكن قياسه وبين مالا التجربة abstract ولكن بين ما يمكن قياسه وبين ما لا يمكن قياسه » .

واذا كان هذا هو الحال بالنسبة للعلوم البيولوجية ، فلا شك أن الوضع سوف يكون أكثر حدة بالنسبة للعلوم الانسانية . ولقد اعترض بعض الباحثين على مفهوم ادنجتون عن العلم ، والعلم المضبوط ، واعتبروه نابعا - فى تحليله الاخير - من مفهومات برجسونية قامت على أساس تصور ميكانيكى للقانون العلمى ، ساد فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . واعتقدوا ان تطور العلوم البيولوجية - بل والاجتماعية أيضا - هو الرد الحاسم على مثل هذه الدعاوى .

وما من ريب فى أن العلوم الانسانية ، قد استطاعت أن تفيد كثيرا ، فى ميادين دراساتها المختلفة من تطبيق أساليب البحث فى العلوم الطبيعية ، وخاصة علوم النفس والاجتماع ، وعلى وجه أخص علم الاقتصاد . فعلماء النفس استطاعوا اجراء تجارب فى معاملهم ومختبراتهم على بعض الظواهر التى كشفت عن نوع من الاطراد والنظام فى حدوثها ، وعلماء الاجتماع استطاعوا استخدام المناهج الرياضية والاحصائية ، واعتبر بعض الباحثين استخدام هذه المناهج هو الاصل فى ظهور « السوسيولوجيا الرياضية » ، وما ترتب عليها من روح الصرامة العلمية ، وان كانوا يقصرون فائدتها على حل بعض المشكلات التى تعترض طريق هذا العلم « ففى الواقع ، ما من علم تجريبى يمكنه أن يصبح فى مثل دقة وصرامة العلم الرياضى ، لمجرد أنه يستخدم المناهج الرياضية . وهذا يصدق بشكل خاص على العلوم الاجتماعية ، حيث يمكن استخدام المناهج الكمية فى حل المشكلات المعرفية ذات الطابع المحدد فحسب . غير أنه يكون من الخطأ ، فى نفس الوقت ، من وجهة النظر المنهجية ، أن نقيم أية حدود قبلية فى وجه استخدام هذه المناهج » (١٣) .

واذا كان من الحق ، عدم جواز المصادرة القبلية ، على مستقبل استخدام هذه المناهج فى العلوم الانسانية ، فان هذا لا يمنع - بالطبع - من القول أن ثمة مصاعب تقف حائلا دون التطبيق الكامل لهذه المناهج فى كل فروع العلوم الانسانية بكل مجالاتها ، فى مقدمتها عدم امكان اجراء تجارب على بعض الظواهر التى لا يطرد حدوثها - كما فى بعض مجالات الانتروبولوجيا والاجتماع - وعدم امكان الوصول الى القوانين العامة الكلية المضبوطة بالنسبة لبعض الظواهر كذلك ، بل ان باحثا مثل « ايفانز بريتشارد » يرى « أنه لم يظهر لالان اى شىء يشبه ولو من بعيد قوانين العلوم الطبيعية ، وكل ما امكن الوصول اليه هو بعض الاحكام الحتمية أو النائية أو العملية » (١٤) .

غير أنه من الخطأ - مرة اخرى - اقامة حدود قبلية فى وجه استخدام هذه المناهج ، على حد تعبير « كيل » فلا شك أن هذه الحدود القبلية سوف تقيم حواجز تعسفية فى وجه طموح العلوم الانسانية للوصول الى مستوى يقترب على الاقل من دقة العلوم الطبيعية ، ويبتعد بها عن مجرد الاوصاف الكيفية . ولعل العلوم الطبيعية نفسها قد شهدت فى بعض مراحل تطورها ، ظواهر قيل يومها انها تند عن القياس العلمى مثل قياس شدة الاستضاءة ، وقوة الاضاءة ، وغيرها . ولكن تطور البحث العلمى نفسه ، قد استطاع أن يخضع مثل هذه الظواهر نفسها لاساليب القياس العلمى .

- ٤ -

فهل يعنى هذا ، ان العلوم الانسانية يمكن أن تصبح فى حيادها ، وموضوعيتها ، وبعدها عن التقييم ، مثل العلوم الطبيعية والكيميائية والبيولوجية ؟ وبطريقة اخرى ، هل يمكن للعلوم الانسانية أن تتخلص تماما من كل أثر من آثار « الايديولوجيا » ؟

ان احد علماء الاجتماع الكبار فى بولندة يجيب على هذا السؤال بالنفى . يقول فياتر [وهو يتحدث خاصة عن ميدان السوسيولوجيا] أن الاوهام التى تكمن فى أعماق النظرة المنهجية للسوسيولوجيا الوضعية الجديدة ، تعود فى أصولها الى افتقار هذه النظرة للنزعة التاريخية Historicism التى هى سمة - فى المقابل - للسوسيولوجيا الماركسية (١٥) . فما هذه النزعة

[١٢] H. Dingle : Science and Human Experience P. 75
[١٣] Social Sciences , Functions of Social Sciences under Socialism, V. Kelle. P. 59. Vol. 2 - 1970. [وهى المجلة التى تصدرها اكاديمية العلوم السوفيتية]
[١٤] ازمة العلوم الانسانية - المرجع السابق ص٢٢١
[١٥] دراسة مستقلة اصدرتها اكاديمية العلوم البولندية Socialogy,Marxism and Reality, J. Wiatr.

التاريخية التى يتحدث عنها ؟ انها ليست مجرد المبدأ القائل بدراسة الظواهر فى تطورها وفى تغيرها وتحولها ، على الرغم من أهمية هذا المبدأ وحيويته بالنسبة للسوسيولوجيا . ولكنهما تتمثل فى العناصر التالية .

ا ـ ان السوسيولوجيا هى شكل من أشكال الوعى الاجتماعى ، ومن ثم فان ابحاثها ينبغى ان ينظر اليها فى نفس السياق الذى تجرى فيه كل النظريات الاجتماعية ، وكل أشكال التعبير عن الوعى الاجتماعى . وهذا السياق ، هو جزء عضوى من التفكير الاجتماعى نفسه . انه يحدد منظورات البحث ، ومعنى المفاهيم المستخدمة ، وطبيعة المشكلات المختارة . والمعالجة التاريخية لتطور السوسيولوجيا تبدأ عندما ينظر الى المفاهيم التاريخية التى نحللها من زاويتين : احداهما النظر الى كل منها كخطوة تجاه المعرفة الكاملة بالواقع الاجتماعى ، يمكن تحليلها موضوعيا ، من حيث العلاقة بين محتوى الافكار ، والواقع الذى تعبر عنه هذه الافكار او تصفه ، هذا من جانب ، ومن الجانب الاخر النظر الى هذه المفاهيم من حيث هى تعبير عن أهداف عملية متعددة ، يساندها العالم الاجتماعى بوعى أو بغير وعى . أما الزاوية الثانية ، فهى اعتبار السوسيولوجيا شكلا من أشكال الفكر الايديولوجى ، شكلا معينا من الوعى يبلور العالم الاجتماعى ، وينظم خبرات الجماهير بشأنه ، بطريقة عقلية ناضجة .

ب ـ وفى ضوء المقدمة السابقة، تبدوا تأكيدات علماء الاجتماع بأن علم الاجتماع ينبغى أن يشغل نفسه بمضمون ، أو بجوهر القضايا السوسيولوجية ، لا بوظائفها ، او باستخداماتها المختلفة ، تأكيدات باطلا . فهذه التأكيدات يمكن أن تجد تبريراتها اذا كان العالم الاجتماعى ـ كما هو الحال فى العلوم الطبيعية ـ يقف كلية خارج موضوع دراساته . بينما الحال ، على عكس ذلك فى العلوم الانسانية ، فالعالم كعضو فى مجتمع ، جزء من الواقع الذى يخضعه للدراسة ، ومعتقداته التى تسبق دراساته ، قد تشكلت تحت تأثير واقع تاريخى معين شارك فيه هو نفسه .

جـ ـ والنتيجة المترتبة على ذلك، هى أن العلاقة بين الايديولوجيا والعلوم الانسانية ـ خصوصا العلوم التى تتعلق بالمجتمع ـ ينبغى أن تكون علاقة جدلية ، لا مثل العلاقة التى تنشأ بين الاشكال المختلفة للتفكير ، وانما مثل العلاقة التى تكون بين الظاهر المختلفة للتفكير نفسه فى الواقع . وعندما نحلل المفاهيم السوسيولوجية من زاوية العلاقة بين الافكار التى تعبر عنها وبين الواقع ، من الممكن عن طريق التجريد العقلى ، ان نتغاضى عن مغزاها الايديولوجى ، وحينئذ تنصب دراستنا على مشكلات العلم كما هى ، أو بما هى كذلك ، ولكن القضية تكمن فى عملية التجريد هذه . فنحن قد ندرس كتاب ماركس رأس المال ، أو كتاب موسكا « الطبقة الحاكمة » ، أو كتاب « ميلز » « صفوة السلطة » فقط كى نمتحن « تجريبيا » الافكار التى تضمنتها هذه الاعمال . ولكن هذه الاعمال ـ شأن كل الاعمال السوسيولوجية الهامة ـ لا تؤدى وظيفة علمية فحسب ، بل وتؤدى وظيفة أيديولوجية أيضا ، انها تنظم بطريقة عقلية خبرات الجماهير ، وبالتالى تصبح استمرارا عقليا لنشاطها . وهكذا يلوح ان العلاقة بين العلم والايديولوجية ليست علاقة خارجية وعرضية ، وانما هى جزء متكامل من العلوم الانسانية » (١٦) .

ان المثل الاعلى للسوسيولوجيا الملتزمة اجتماعيا ، كما يتمثل فى الماركسية ، ليس اذن اكتشافا زائفا ولا اختراعا ملفقا ، كما أنه ليس كذلك اقتراحا باسلوب جديد فى البحث السوسيولوجى . انه ، بالاحرى انعكاس للالتزام الفعلى ، الذى لا مهرب منه ، والذى تنطوى عليه السوسيولوجيا ازاء الحياة الاجتماعية ، التى ليست مجرد دراسات تجرى وانما تغيرات تجرى . ان هذا المثال يضع فى اعتباره الحاجة الى معرفة أكثر وضوحا بالالتزام العملى والايديولوجى لهذا العلم ، ولسائر العلوم من طرازه . ومعنى وجوده ، او وجودها نفسه ، يكمن فى وظيفتها العملية كمعرفة علمية . والسوسيولوجيا الماركسية ـ على حد تعبير فياتر ـ تخدم بوعى التطور الاجتماعى ، وتصوغ رؤية للعالم تنظم على أسس عقلية الفعل الانسانى . وهى من ثم تحمل على عاتقها « تحقيق القيم » التى تتبناها القوى الاجتماعية التقدمية والاشتراكية . وليس غياب الايديولوجية بشكل كامل ، من ميدان العلوم الانسانية ، الا وهما أو تجريدا محضا . فمن الصعب أن نتصور اى سلوك جمعى لا تصحبه ولا تخدمه قيم محددة او افكار معينة ، ولعل مفهوم « نهاية عصر الايديولوجية » الذى دعى اليه ريمون آرون ـ العالم الاجتماعى الفرنسى ـ هو نفسه البرهان على ذلك « فلم يستطع هذا المفهوم أن يتخلى عن حمل أيديولوجية معينة» (١٧) ! .

---

(١٦) انظر حوار مع اليسار الاوربى المعاصر ـ كتاب الهلال . يونيو ١٩٧٠

(١٧) Decline of the Era of Ideology ? V. Wiatr , Polish Socialogical Bulletin 2/67



الباحث الاجتماعي والاختيار الأيديولوجي

السيد يسن

الباحث بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية

يجتاز علم الاجتماع فى مختلف البلاد ازمة تكاد تتسم بصفة الدوام ، وهذه الازمة تتعلق بتحديد تعريف العلم ذاته ، والمهام التى عليه ان ينهض بها ، والموجهات العامة التى عليه ان يسير وفقا لها ، ومناهج البحث وادواته التى ينبغى عليه ان يطبقها ويعتمد عليها .

غير أننا فى الواقع لا يمكن لنا أن نحلل طبيعة هذه الازمة بغير أن نردها الى أصولها ، ونعنى بذلك ردها الى النشأة التاريخية لعلم الاجتماع ، ومن المعروف انه وجهت للعلوم الاجتماعية بوجه عام فى بداية نشأتها ــ حينما تحررت من اسار التفكير الفلسفى فى شئون المجتمع والانسان ـ انتقادات عديدة ، وقد وجهت هذه الانتقادات الى منطق هذه العلوم ذاتها ، أى الى الاسس المنهجية التى تقوم عليها ، وهذه الانتقادات يمكن اجمالها فى خمسة موضوعات رئيسية : نقد التجريد فى العلوم الاجتماعية ، ونقد التعميم فيها ، ونقد البراهين التجريبية التى تصطنعها هذه العلوم ، ونقد تأثر العلوم الاجتماعية بالقيم المختلفة ، وأخيرا نقد الموضوعية فى هذه العلوم .

بيد أن توالى السنين ، ونمو هذه العلوم فى النظرية والتطبيق ، أدى الى تجاوز عديد من هذه الانتقادات ، الا أن مجالا واحدا ظل يدور الجدل بشأنه حتى اليوم ، وهو الذى يتعلق بتأثر العلوم الاجتماعية بالايديولوجية .

ولكى نناقش هذا الموضوع مناقشة متكاملة ، ينبغى ــ من وجهة نظرنا ــ مقارنة موقف الباحث الاجتماعى فى ظل أنظمة سياسية ــ اقتصادية متمايزة ، وقد يكون من المناسب ــ مهما يكن من مساوىء التجريد بهذا الصدد ــ أن نعرض لموقف الباحث الاجتماعى فى البلاد الرأسمالية ، وفى البلاد الاشتراكية ، وفى بلاد العالم الثالث .

ــ ١ ــ

موقف الباحث الاجتماعى فى البلاد الرأسمالية

لا يمكن التأريخ لنشأة علم الاجتماع وتطوره فى البلاد الرأسمالية ، بغير التأريخ لنشأة وتطور الطبقات المسيطرة فى هذه البلاد .

وهذه الحقيقة لا تفجأ غير الوضعى الذى يقدس

العلم ويحسبه منفصلا عن البناء الاجتماعي بكل مكوناته ، أو المثالي الذي قد يظن أنه يمكن التأريخ لنشأة العلوم وتطورها ، باعتبارها نتاجا عقليا محضا منبت الصلة بنشاط الانسان العملي ، وبسعيه لانتاج الثروة في المجال الاقتصادي ، مع كل ما يتضمنه ذلك من صراع طبقي محتدم .

ولا نستطيع في حقيقة الامر أن نعرض هنا بالتفصيل في هذا المقال الوجيز لهذه العلاقة الهامة ، التي من شأن الكشف عنها فهم كثير من الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع الحديث والمعاصر ، اذ هي تحتاج لجهود مجموعة من الباحثين ، يتعقبون أصول هذه العلاقة ، ويرصدون تطورها ، لكي يستكملوا هذا الفصل الناقص والحيوي في نفس الوقت من تاريخ علم الاجتماع .

غير أننا نستطيع أن نصل الى حكم تعميمي عن طبيعة هذه العلاقة بين علم الاجتماع من ناحية ، وبين الطبقات المسيطرة في المجتمعات الرأسمالية ومنظريها وفلاسفتها وعلمائها من ناحية أخرى ، لو وقفنا قليلا عند الاشارات المتعجلة التي نجدها بصعوبة في بطون الكتب عن الاتجاهات السياسية المحافظة لدى عدد من كبار علماء الاجتماع الغربيين مثل أوجست كونت ودوركايم وباريتو .

ان القراءة النقدية للتراث العلمي الذي تركه هؤلاء العلماء لتثبت بما لا يدع مجالا للشك ، أنه لا يمكن فهم نظرياتهم العلمية التي جهدوا في صياغتها ، والترويج لها ، باعتبارها نظريات علمية موضوعية ، بغير تحليل الاتجاه الايديولوجي لكل منهم .

ويصدق هذا على أوجست كونت الذي يشار اليه دائما في الكتب الغربية باعتباره مؤسس علم الاجتماع ومبتدع اسمه ، فقد بدأ كونت مشروعه العلمي بالدخول في حوار مع الفكر الاشتراكي الذي كان مؤثرا في عصره ، غير أنه آثر - بذكاء - أن يظهر رفضه للفلسفة الليبرالية ولعلماء الاقتصاد الليبراليين الذين كانوا ينادون بمجتمع شعاره رفع القيود والحواجز أمام الحوافز الفردية ، واتاحة الفرصة الكاملة للمنافسة الاقتصادية لكي يصل ويثرى من هم اكفأ واكثر نشاطا وذكاء ، ومن ناحية اخرى اعلن كونت عن رفضه للفكر الاشتراكي ، بل لقد وصل به الامر الى ان يفرق بين طائفتين من المفكرين : الشيوعيين والاشتراكيين ، أما الشيوعيون فقد رفض ابتداء مجرد الدخول في حوار معهم نظرا لتطرفهم الشديد ، ورغبتهم العارمة في تقويض أسس المجتمع البورجوازي ، والدعوة لانشاء مجتمع لا طبقي ، ولكنه يمكن أن يناقش من أسماهم « الاشتراكيين » نظرا لاعتدال آرائهم ، التي رفضها بالرغم من ذلك !

واذا كان كونت قد رفض الفكر الليبرالي المتطرف من ناحية ، والفكر الاشتراكي من ناحية أخرى . فقد كان عليه أن يبرز الطريق الذي قرر أن يسلكه ، والحقيقة أن الفكرة الرئيسية في المذهب السوسيولوجي الذي صاغه أوجست كونت وروج له ، هو تأكيده أنه لا يمكن تغيير المجتمع البورجوازي باصطناع وسائل ثورية ، والرأسمالية في نظره هي تتويج للتاريخ التطوري للانسان ، وكان يرى أنه يمكن تحقيق التوافق الاجتماعي عن طريق استخدام وسائل البروباجندا [الدعاية] « للدين » الجديد الذي دعا اليه وهو دين « الانسانية » ، الذي ابتدعه لكي يحل محل الايمان بالله .

على ضوء ذلك نستطيع ان نحدد القيمة الفعلية للنظرية الاجتماعية التي صاغها أوجست كونت ، فبناء على اختياره الايديولوجي ، الذي تمثل في مساندة وتدعيم القوى الرجعية المحافظة في المجتمع ، ووقوفه ضد الثورة الاجتماعية على المجتمع البورجوازي ، جاءت نظرياته كلها لتدعيم هذا الاختيار والدفاع عنه .

ويكشف عن هذا الاختيار الايديولوجي بجلاء اهتمامه الشديد بظاهرة التصنيع التي كانت قد أخذت تبرز في عصره ، باعتبارها من أهم التغيرات الاجتماعية التي لحقت ببنية المجتمع الاوربي ، ومن هنا دعا الى فكرة « المجتمع الصناعي » الذي لا يقوم على الايديولوجية بقدر ما يقوم على ما أطلق عليه « التنظيم » ، هذا التنظيم الذي ينبغي أن يكون رشيدا وفعالا حتى يمكن للمجتمع أن يسير في ركب التقدم ، وهكذا يمكن القول بغير مغالاة أن أوجست كونت يعد - في الفكر الغربي - الاب الشرعي للنظريات المعاصرة التي يروج لها علماء الاجتماع اليمينيون مثل ريمون آرون ودانيل بل ، والتي تزعم أنه تحت وطأة الثورة العلمية والتكنولوجية التي أخذت مجراها في البلاد المتقدمة كالولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي ، سينشأ نمط جديد من المجتمعات تختفي فيه الايديولوجية ، هو المجتمع الصناعي الذي يهدف أساسا الى الانتاج الوفير ، والاشباع المتزايد والشامل لاحتياجات المستهلكين .

ونفس الملاحظات تصدق على اميل دوركايم أحد الاسماء اللامعة في علم الاجتماع ، وتلميذ أوجست كونت ، فقد درس دوركايم الفكر الاشتراكي دراسة عميقة ، بل لقد ألقى سلسلة محاضرات ، طبعت بعد ذلك موضوعها

« الاشتراكية » • غير أنه وقفت منها موقف العداء الصريح، ونظرية دوركايم الاجتماعية التي بسطها في كتبه ومن أهمها « تقسيم العمل الاجتماعي » ، نظرية لا يمكن فهم حدودها بغير تحديد الاتجاه الأيديولوجي لمؤلفها • لقد كان دوركايم ـ كما يقرر الباحث الامريكي كوزر في دراسة قيمة له عن الاتجاه المحافظ عند دوركايم ـ محافظا أصيلا ، وقد أثر هذا الاختيار الايديولوجي على جماع فكره الاجتماعي ، والمحافظة هنا كما يعرفها كوزر هي **الانغماس في محاولة الحفاظ على النظام القائم، او بذل الجهود لتدعيم نظام اجتماعي تحيطه ضروب التهديد ، من أيديولوجية أخرى** •

وليس يعني ذلك أن صاحب الاتجاه المحافظ يرفض كل ضروب التغيير الاجتماعي ، ولكنه يؤكد ويصر على أن التغيير ينبغي أن يكون بطيئا وتدريجيا ، وانه لا ينبغي اطلاقا ان يحيط بالخطر النظام الاجتماعي القائم •

ولقد كان هذا هو الاتجاه الذي صدر عنه دوركايم فعلا في بناء نظرياته الاجتماعية « العلمية » ، التي كثيرا ما زعم أنها « موضوعية » و «محايدة» . أليس هو صاحب العبارة الشهيرة بضرورة دراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها « أشياء » ؟

لقد أراد دوركايم الايهام بأن الباحث الاجتماعي يستطيع ، بل وينبغي عليه ان يعامل الظاهرات الاجتماعية ، كما يعامل الباحث الطبيعي الجوامد ، بعبارة أخرى ، على هذا الباحث الخرافي أن ينحي جانبا كل تحيزاته وقيمه وتفضيلاته ، ويقدم على دراسة الظاهرة « موضوعيا » و « محايدا » وغير متحيز •

غير أن من يتمعن في دراسة نظرية دوركايم الاجتماعية ، ليدرك بكل وضوح ، أنه كان أول من خان مبادئه التي روج لها ، فنظريته كلها تنتمي الى النظريات التي تنادي بأن المجتمع الانساني يقوم على التوازن وليس على الصراع ، ووفقا لهذه النظرية فالاصل ان يكون المجتمع متوازنا ، تقوم مؤسساته بوظائفها بغير خلل ، فاذا ظهر الصراع واحتدم ، فذلك يعد استثناء على القاعدة ، يعود بعدها النظام مرة أخرى الى المجتمع •

وهذا ما يفسر لماذا لا نجد في نظرية دوركايم اية دراسة ذات قيمة لظواهر الصراع الطبقي ، أو لموضوع الطبقات الاجتماعية ، وكيف ذلك ، اذا ما كان يعتبر الصراع ظاهرة هامشية في المجتمع ؟

ونجد أخيرا **باريتو** العالم الاجتماعي الايطالي ، الذي ركز على ضرورة الفصل بين عالم القيم وعالم الوقائع ، وزعم أنه انما يقدم نظرية علمية عن المجتمع ، على عكس نظريات أخرى غير علمية ـ في رأيه ـ كالماركسية التي هي أقرب الى الايديولوجيا منها الى العلم »

غير أن باريتو الذي اشتهر بنظريته عن « نخبة المجتمع » أو « صفوة المجتمع » ، لم يفعل سوى أنه صاغ نظرية اجتماعية محملة بفكره اليميني ، زاخرة باتجاهاته المحافظة •

« فصفوة المجتمع » أي الاقلية التي تحكم ، لم تكن سوى محاولة لتدعيم حكم الطبقة الوسطى في المجتمعات الاوربية ، وهي الطبقة التي ورثت الحكم عن الطبقة الارستقراطية ، ومحاولة باريتو الزعم بأن أي مجتمع ينقسم الى فئتين فقط : فئة الصفوة أو الحكام وهم الاقلية ، وفئة المحكومين وهم الاغلبية ، لم تكن سوى محاولة يائسة لدحض التحليل العلمي الذي قدمته الماركسية ، والتي ركزت فيه على الصراع الاجتماعي بين المستغلين والمستغلين •

على ضوء هذه الاشارات العاجلة نستطيع أن نقرر أن الاختيار الايديولوجي للباحثين في المجتمعات الرأسمالية يهيمن على النظريات العلمية التي يقدمونها لتغيير الواقع الاجتماعي • ولا يمكن القول أن ما صدق على اسهامات كونت ودوركايم وباريتو ، لا يصدق على غيرهم من الباحثين ، بدعوى أن هناك باحثين آخرين في هذه المجتمعات اختاروا الاشتراكية كأيديولوجية ينطلقون منها في تحليلاتهم العلمية ، ذلك أننا نتحدث هنا عن الاتجاهات السائدة والغالبة وليس على الحالات الفردية المخالفة • ويشهد على هذا أننا لو حاولنا أن نفحص موقف علم الاجتماع في بلد رأسمالي عريق كالولايات المتحدة الامريكية ، لوجدنا أن التيار « الرسمي » السائد الذي له الغلبة والنفوذ والسيطرة ، والتحكم في تمويل البحوث ونشرها ، هو ذلك التيار الذي يستمد أصوله الفكرية من المنابع اليمينية والمحافظة لاوجست كونت ودوركايم وباريتو وماكس فيبر •

واذا اخذنا **تالكوت بارسونز** باعتباره أحد الاسماء اللامعة في علم الاجتماع الامريكي ، سنجد أن نظريته الاجتماعية كلها ، محاولة لتدعيم نظريات التوازن الاجتماعية ، التي تستبعد الصراع الاجتماعي باعتباره قوة فاعلة ومؤثرة في المجتمع •

وهذا الاختيار الايديولوجي لبارسونز وغيره من علماء الاجتماع الامريكيين يمكن بمرور الزمن أن يتحول الى « قهر ايديولوجي » ، بعبارة أخرى يصبح هو المذهب الواجب الاتباع الذي ينبغي على كل باحث وافد على علم الاجتماع ان يتبناه ، والا

تخضع لكل ضروب الضغوط والتهديدات الرسمية وغير الرسمية ، والتي قد تصل الى تدمير مستقبل الباحث الاكاديمي نفسه .

ولا ينفي وجود هذه الحقيقة وجود تيـــار يساري ــ ان صح التعبير ــ يعيش على هامش التيار اليميني الاصيل والسائد ، ويمثل هذا التيار علماء من ابرزهم **س.رايت ميلز، وكوزر، وداهر مكرورف**، الذين ينتمون ــ بصورة او باخرى ــ الى ما يطلق عليه مدرسة « الصراع » ، ذلك أن هؤلاء العلماء يركزون في ابحاثهم ودراساتهم علــى ضرورة الانطلاق من دراسة الصراع الاجتماعي ، باعتباره ظاهرة محورية في المجتمع ، بحيث لا يمكن فهم نظمه او مؤسساته بغير تحليلهـا وفهمها .

غير أن الخطورة الكبرى للنظريات الاجتماعية الامريكية التي يغلب عليها الفكر اليميني ، أنها صدرت للعالم الخارجي باعتبارها نظريات علمية موضوعية ! ونظرا لان المراجع الامريكية فــي العلوم الاجتماعية هي الاكثر انتشارا في بلاد العالم المختلفة ــ نتيجة ظروف وعوامل شتى ليس هنا مقام الافاضة فيها ــ فقد ترتب على ذلك ان عديداً من البــاحثين قد تأثــروا بهذه النظريات ، وروجوا لها نقلا وترجمة وتلخيصا ، بغير بصــــيرة نقــدية ، ولا وعي بالاســــاس الايديولوجي الرجعي الذي تصدر عنه . وتبدو هذه الظاهرة اكثر ما تبدو في بلاد العالم الثالث، ومنها الجمهورية العربية المتحدة على ما سنرى بعد .

غير أن علماء الاجتماع الاشتراكيين وقفوا ، ومنذ امد بعيد ، ضد ما اطلقوا عليه « علــم الاجتماع البورجوازي » ، وكانوا علــى وعي بخطورة الاختيار الايديولوجي في صبغ النظريات التي يصوغها أو يطبقها الباحث الاجتماعي .

— ٢ —

موقف الباحث الاجتماعي في البــلاد الاشــتراكية

يمكن القول أن النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، شهد بزوغ الفكر الاشتراكي تحت تأثير كتابات المفكرين الاشـــتراكيين الطـــوباويين [الخياليين] ، ثم اتيح لهــذا الفكر ان ينمــو ويتطور وتتسع آفاقه ، وتزداد علميته وقـدرته على وصف الواقع الاجتماعي وتفسيره تحت تأثير **كارل ماركس** الذى قام بعملية تأليف خلاقة ومبدعة بين انجازات المفكرين الاقتصاديين والاجتماعيين والفلاسفة السابقين عليه .

وكان من المنطقي أن يصبح لهذا الفكر الجديد الجسور الذى اقتحم قلاع الفكر اليميني الرجعي اتباع وأنصار في كل مكان .

ولم تفلت روسيا القيصرية من هذا التأثير ، اذ برز فيها مفكرون عديدون تشبعوا بصورة واعية أو لا واعية ــ بحسب الظروف والاحوال ــ بالفكر المادي والاشتراكي ، وقد دخل هؤلاء المفكرون معارك شتى وفي مختلف المجالات مع أقطاب الفكر اليميني ، ومن أشهر هؤلاء المفكرين الديمقراطيين الروس الفيلسوف **تشيرنيفسكي** الذى كتب بحثا شهيرا في علم الجمال موضوعه « في علاقة الفن الجمالية بالواقع » ، حاول فيها أن يقدم تحليلا اجتماعيا دقيقا للفن ، متبعا في ذلك وجهة نظر مادية واضحة ، ووجد مفكرون آخرون غيــر تشيرنيفسكي اقتحموا معارك شتى مع التيارات اليمينية الفكرية التي كانت تهيمن على المنــاخ الفكرى السائد في روسيا القيصرية .

وكان قيام الثورة الاشتراكية في روسيا عام ١٩١٧ وانتصارها ، ونشأة أول دولة اشتراكية في التاريخ حدثا عالميا فذا ، اتيح له أن يغير من معالم التاريخ الانساني المعاصر .

جاءت الثورة اذن بعد أن ظلت روسيا في انتظارها عشرات السنين ، واندلعت المعركة بين الفكر الاشتراكي العلمي والفكر اليميني ، ولكن على مستوى آخر مختلف تماما ، وفي ظروف تاريخية جديدة ، لقد اصبح الفكر الاشــتراكي العلمي الذى كان منفيا ومضطهدا في ظل الحكم القيصري ايديولوجية الدولة الجديدة الرسمية ، وأصبح على الفكر اليميني أن يحارب آخر معاركه ، التي انتهت بهزيمته ، مما أدى بأنصاره الى القاء السلاح والهروب ــ بصورة أو بأخرى ــ من ميدان المعركة .

ولعل ما يكشف عن هذه الحقائق واقعة طريفة لها دلالاتها العميقة ، فقد نشرت جريدة **البرافدا** في أحد اعدادها الصادرة في شهر نوفمبر عــام ١٩١٨ ، مقالة بقلم **بيتريم سوروكين** أحد اقطاب الحزب الاشتراكي الديموقراطي الروسي وعضو اللجنة التأسيسية واستاذ علم الاجتماع بجامعة بتروجراد قرر فيها اعتزال السياسة ، نظرا لما تبين له أنه بعد عام من نشوب الثورة ، أن رجال السياسة والعاملين بها قد يخطئون وقد يصيبون وقد يتسببون بذلك في احداث ضرر من نوع أو

آخر ، ولكن التربية والتعليم لا يمكن أن ينجم عنها ضرر ، وانما الفائدة منها مؤكدة ، وهو لذلك ينسحب من كافة التنظيمات السياسية ، ويعتزل السياسة ، حتى يتفرغ للتعليم ، وكان يمكن لهذه المقالة ان تمر مرورا عابرا ولا يصبح لها أية أهمية خاصة ، لولا أن لينين أهتم اهتماما خاصا بالرد المفصل على هذه المقالة ،ونشر رده فى البرافدا فى ٢١ نوفمبر عام ١٩١٨ [راجع لينين ، الاعمال المختارة ، [بالانجليزية] : موسكو ، ١٩٦٧ ، جزء ٣، ص ٣١ ــ ٣٨) ماذا قال لينين ردا على سوروكين « يبين من مقالته ان سوروكين استاذ علم الاجتماع ، كان عضوا بارزا فى جناح المنشفيك، وأنه آثر أن ينسحب من الميدان بعد المعركة العنيفة التى دارت بين البلشفيك والمنشفيك ، والتى انتهت بهزيمة المنشفيك ، وقرر لينين أن هذه الاستقالة تبررها هذه الهزيمة، التى هى هزيمة لتيار سياسى رجعى لم يستطع أن يصمد أمام البرنامج والافكار التى قدمها البلشفيك ، وان هذا التصور المثالى للسياسة والعمل السياسى الذى قدمه سوروكين فى مقالته تبريرا لاعتزاله السياسى شهادة واعترافا بالفشل السياسى للمنشفيك •

وطرد سوروكين من الاتحاد السوفيتى عام ١٩٢٢ ، فهاجر الى الولايات المتحدة الامريكية واصبح أستاذا لعلم الاجتماع فى جامعة هارفارد ، ولمع اسم سوروكين وأصبح من أعلام علم الاجتماع الامريكى ، واشتهر باتجاهه اليمينى المحافظ ، الذى انعكس على التحليلات العلمية التى قدمها فى كتبه العديدة ، للواقع الاجتماعى وللحضارة الانسانية بوجه عام •

ونجد أستاذا روسيا آخر هو جورج جيرفيتش بدأ حياته أستاذا للفلسفة ، لم يستطع بحكم انعطافه للفكر المثالى ـ أن يتقبل الفكر الاشتراكى العلمى ، فهاجر الى فرنسا حيث حصل على دكتوراه الدولة فى علم الاجتماع ، وأصبح فى عام ١٩٤٨ أستاذا لعلم الاجتماع فى السوربون وشغل هذا المنصب حتى وفاته عام ١٩٦٦ ، وأصبح أشهر عالم اجتماع فى فرنسا ، واستطاع أن يؤثر فعلا على علم الاجتماع الفرنسى • وظل جيرفيتش ـ مثله مثل سوروكين ـ مخلصا لفكره المثالى الذى لم يستطع أن يدافع عنه فى قلعة الاشتراكية العلمية ، ويشهد على ذلك نظريته السوسيولوجية التى تتسم بالصورية والتجريد ، والتى لا يمكن بالاعتماد عليها الحصول على فهم موضوعى وواقعى للمجتمع الانسانى •

لقد كانت نظرية جيرفيتش محاولة للانفلات من أسار التحليل العميق الذى قدمته الاشتراكية العلمية للمجتمع الانسانى ، غير أن جيرفيتش اقترب فى أخريات أيامه من الفكر الماركسى ، وأخذ ـ بعد طول ممانعة ومقاومة ـ يعترف بقدرته على تحليل الواقع الاجتماعى بصورة أكثر عمقا وثراء من أى نظرية معاصرة ، ويبدو ذلك التحول فى فصل طويل كتبه عن « علم الاجتماع عند كارل ماركس » قرر فيه ، بوضوح أن كارل ماركس يعد من بين المؤسسين الكبار لعلم الاجتماع العلمى ، بما أتيح له من معارف واسعة ، ودقة منهجية بالغة ، وبصيرة تاريخية نفاذة ، واتخذ هذا التحول صورة بارزة بعد أن قرر جيرفيتش زيارة موسكو ، عقب أن اتفق على تأليف كتاب عن « سوسيولوجية الثورة » لحساب مركز علمى سوفيتى •

لم يكن من قبيل الصدفة اذن أن يهاجر هذان العالمان الروسيان الى العالم الغربى حيث تسود الرأسمالية كنظام اقتصادى وكايديولوجية • فهناك يستطيع كل من كان مثالى التفكير ، محافظا فى اتجاهاته الاجتماعية ، اصلاحيا ، فى مبادئه السياسية ، أن يعيش ويصوغ النظريات المثالية عن الواقع الاجتماعى على هواه •

ان تاريخ حياة سوروكين وجيرفيتش ليكشف بوضوح عن أهمية الاختيار الايديولوجى للباحث فى صياغة نظرياته العلمية، وان كانا يقدمان مثلين متطرفين للحالة التى لا يتوافق فيها الباحث الاجتماعى مع الايديولوجية الرسمية السائدة •

غير أنه يمكن القول انه أتيح للاشتراكية العلمية كايديولوجية جديدة للمجتمع السوفيتى أن تبسط سلطانها على المناخ الفكرى والعلمى السائد فى روسيا الثورة ، ليس بقوة القهر ، ولكن بفضل انتصار الثورة الاشتراكية الكبرى نفسها ، التى هى نتاج هذه الايديولوجية الصاعدة وتتويج لفاعلية المنهج الذى تتبناه •

وقد وقف علماء الاجتماع الماركسيون منذ بداية الثورة موقف عداء صريح من « علم الاجتماع البورجوازى » ، ولعل خير ما يصور الموقف الماركسى التقليدى من علم الاجتماع هو كتاب الفيلسوف الماركسى الروسى المعروف بوخارين الذى نشره عام ١٩٢١ ،والموسوم : « نظرية المادية التاريخية : كتاب شعبى فى علم الاجتماع الماركسى » • وقد أكد بوخارين فى هذا الكتاب الطابع الطبقى للعلوم الاجتماعية ، وقرر ان هناك علوما اجتماعية للبورجوازية تساعدها فى السيطرة على باقى الطبقات ، وتحاول الحفاظ على كل الاوضاع القائمة التى تحبذ استغلال الانسان للانسان ، ولكن هناك أيضا علوما اجتماعية للطبقة العاملة تساعدها فى تحرير الانسان ، وفرض المثل والقيم التى تدعو لها الاشتراكية العلمية ، ويخلص

بوخارين من مناقشته الى أن العلم الاجتماعى للطبقة العاملة هو علم الاجتماع البروليتارى الذى هو « أسمى » من العلم الاجتماعى البورجوازى ، ولكن ما هو هذا العلم ؟

يجيب بوخارين بوضوح : ان هذا العلم هو نظرية المادية التاريخية التى هى نفسها يمكن أن تكون علم الاجتماع الماركسى ٠

وهذه النظرة الخاصة لعلم الاجتماع ، التى تتمثل فى معارضـــة علم الاجتماع البورجوازى بحسبانه يخدم أساسا مصالح الطبقات الرأسمالية المستغلة ، واعتبارالمادية التاريخية هى بذاتها علم الاجتماع الماركسى ، هى التى أتيح لها أن تسود الفكر الماركسى الرسمى ردحا طويلا من الزمان ، وقد أدى هذا الموقف الى الاكتفاء ـ فى دراسة الظواهرالاجتماعية المختلفة ـ بالتحليلات النظرية الدوجماطيقية التى تستند الى المقولات الاساسية فى المادية التاريخية ، مما أدى فى نهاية الامر الى عقم التفكير السوسيولوجى الماركسى وتجمده ٠

غير أن هذاالوضع أتيح له أن يتغير حوالى عام ١٩٥٩ حيث تتابعت البحوث الاجتماعية الميدانية فى البلاد الاشتراكية ، وبوجه خاص فى الاتحاد السوفيتى وبولندا والمجر ، وليس معنى هذا أن هذه البحوث الاجتماعية الميدانية التى اخـذت تتراكم منذ ذلك الوقت ، بما تتضمنه من النزول الى الواقع الحى لوصفه وتفسيره ، مطبقة فى ذلك مناهج البحث وأدواته التى تطبق فى البـلاد الرأسمالية تعد فى ذاتها مراجعة جـوهرية للماركسية ، ذلك لان هذه البحوث تتم ـ حتى الان ـ فى حدود الاطار التقليدى للتحليـل الماركسى ٠

ولكن أهم تطور حدث هو ظهور علم اجتماع مستقل بجوار المادية التاريخية ، وهذا الاتجاه يعد مخالفا تماما لوجهةالنظر الرسمية التى ظلت تردد حقبة طويلة من الزمن أن المادية التاريخية هى نفسها علم الاجتماع الماركسى ٠

ومن هنا يحق التساؤل كيف يمكن أن تكون العلاقة بين المادية التاريخية بثقلها الراسخ ، وبين هذا العلم الاجتماعى الجديد ؟ ليس هناك اجابة جاهزة على هذا التساؤل ، فحقيقة الامر أن هناك خلافات بين المفكرين الماركسيين حـول هـــذا الموضوع ، ولعل هذه الخلافات يمكن ردها فى النهاية الى الاختيار الايديولوجى لكل باحث ٠

فهناك فئة من الباحثين رأت أن المادية التاريخية هى نظرية سوسيولوجية عامـــة ، وانها قد ثبتت صحتها وحققت بطريقة قطعية ، ولكن من المهم القيام ببحوث اجتماعية ميدانية ، تعد هى الوجه التطبيقى للنظرية ٠

وهذا الرأى اعتنقه من ينتمون الى الجيل القديم من العلماء السوفيت ، أما الفئة الثانية فقد كان أعضاؤها أكثر جراة ، اذ ذهبت الى امكان أن تؤدى البحوث الميدانية الى ادخال تغييرات على الصيغ العامة للمادية التاريخية بصـورتها الكلاسيكية ، ويرى انصـار هذا الرأى امـكان صياغة « نظريات متوسطة » ، تنطبق قبل اى شىء على الظاهرات والعمليات ، التى لم تظهر من قبل فى المجتمعات التى سبق لماركس وانجلز ولينين أن أخضعوها لتحليلاتهم ٠

واخيرا نجد الفئة الثالثة التى اعتنقت اكثر الاراء تطرفا ، اذ ذهب دعاتها الى أن المادية التاريخية فى صياغتها الكلاسيكية كانت نظرية المجتمع الرأسمالى فى المرحلة السابقة للثورة العلمية والتكنولوجية ، وهى تقدم لعلم الاجتماع المبادىء المعرفيةوالمنهجية البالغة العمومية ، ولكن على علم الاجتماع الماركسى الامبيريقى أن يصوغ نظرية المجتمع المعاصر ٠

وبالرغم من هذه الخلافات التى أشرنا اليها ، فلا يمكن القول انها تتضمن مراجعة لنظرية المادية التاريخية ، بقدر ما تنطوى على رغبة علميـة مشروعة لعدم الجمود عندها ، على أساس أنه لا ينبغى لنظرية ما مهما كان وزنها أن تتجاوزها الوقائع التى ابتدعت النظرية لتفسيرها ٠

ومن هنا يمكننا أن نفترض أنه ليس هناك فى المجتمعات الاشتراكية أعداد غفيرة من الباحثين الاجتماعيين الذين لا يوافقون على الاشتراكية العلمية كأساس للتحليل الاجتماعى، وذلك لسبب بسيط وواضح فى نظرنا ، هو أن هذه النظرية أثبتت بالفعل قدرتها على التفسير العلمى العميق للظواهر الاجتماعية ، حتى أن عديدا من عناصرها قد دخل بالفعل جسم النظرية الســوسيولوجية العامة ، وأصبح أشبه بالبديهيات التى لا تحتاج الى اثبات ، بالرغم من انه لا يشار دائما الى الاصل الماركسى لهذه العناصر ٠

ويكفى بهذاالصدد أن نشير الى أن علم اجتماع المعرفة ،وهو أحد علوم الاجتماع الخاصة ، قد قام كله فى صيغته الغربية على أساس نظـرية الاشتراكية العلمية فى الايديولوجية ، نشـأتها وتطورها وزوالها ، وذلك كما يعترف بكل وضوح عالم الاجتماع الالمانى الاصل**كارل مانهايم** ، وهو أحد أعلام هذا العلم ، وذلك فـى كتـابـه الشهير :«الايديولوجيا واليوتوبيا » ٠

غير أن هناك ـ مع ذلك ـ خطرا ماثلا يتهدد

حرية الباحث الاجتماعى فى المجتمعات الاشتراكية ، وهذا الخطر يتعلق بالقيود التى قد تحيط به اذا ما أراد أن يتعرض لدراسة بعض الظواهر الجديدة التى لا تندرج بسهولة فى اطار الايديولوجية الرسمية السائدة ، ولعل أخطر هذه الظواهر ما تعلق بالطبقات الاجتماعية وتغيرها ، ففى بعض المجتمعات الاشتراكية التى مضى على الثورة فيها خمسون عاما ـ كالاتحاد السوفيتى ـ تقرر الايديولوجيةالرسمية أن الطبقات الاجتماعية قد اختفت ، وأصبح المجتمع السوفيتى يتكون من أشخاص لا من طبقات ، وأن مرحلة ديكتاتورية البروليتاريا قد انتهت بعد أن أدت مهمتها التاريخية •

غير أنه لوحظ بالرغم من ذلك نشأة ضروب جديدة من التدريج الاجتماعى ، وبرزت على سطح المجتمع فئات اجتماعية جديدة كالتكنوقراط أو التكنوقراطيين ـ البيروقراطيين ، ونشأة هذه الفئات ووزنها النسبى فى المجتمع لا تقدم الايديولوجية الرسمية بصدده اجابات جاهزة • هنا وبصدد مثل هذه الموضوعات الحساسة يتصور الا يكون الباحث الاجتماعى فى مثل هذا المجتمع حرا حرية كاملة فى الدراسة والبحث ، والوصف والتفسير •

ولكن لعل مما يخفف من حدة هذا الخطر ، ادراك القيادات السياسية أن تجاهل الواقع لا يجدى ، وأن التقدم بجسارة لوصفه وتحليله وتفسيره هو المدخل الرئيسى لاى تغيير حقيقى فى التطبيق ، اذا ما أريد للاشتراكية العلمية أن تثبت نفسها ، ليس فقط فى مرحلة تحويل المجتمع من مجتمع رأسمالى الى مجتمع اشتراكى ، ولكن فى مرحلة تطبيق الاشتراكية بصورتها المتكاملة والشاملة •

- ٣ -

موقف الباحث الاجتماعى فى البلاد المتخلفة

يجابه الباحث فى البلاد المتخلفة موقفا يتسم بنوعية خاصة ، فهذه البلاد ـ أو غالبيتها على الاقل ـ قد رفضت الرأسمالية باعتبارها ايديولوجية غير صالحة لقيادة عملية التغيير الاجتماعى وتوجيهه ، وهى فى نفس الوقت لم تتبن الاشتراكية العلمية بصورة متكاملة ، ونجد بعض هذه البلاد يأخذ بصورة أو بأخرى من صور الاشتراكية ، التى تعطى لها أوصاف شتى ، فهى تارة اشتراكية آسيوية ، وهى تارة ثانية اشتراكية افريقية ، وهىمرة ثالثة اشتراكية عربية ، ويعانى الباحثالاجتماعى فى هذه البلاد من عدم الوضوح الايديولوجى ، هذا الوضوح الذى يصاحب فى العادة الاختيار الحاسم لخط ايديولوجى متبلور ومحدد •

واذا كانالباحث فى المجتمعات الرأسمالية يجد نفسه ـ بوجه عام كما سبق أن اشرنا ـ مضطرا للتوافق مع الايديولوجية الرسمية السائدة ، مما يدفعه الى أن يكون مثالى الفكر ، محافظ الاتجاه ، واذا كان الباحث فى المجتمعات الاشتراكية يجد نفسه أمام ايديولوجية متكاملة هى الاشتراكية العلمية ، تمده بالمنهج والاتجاه ، فان الباحث الاجتماعى فى البلاد المتخلفة التى لم تحزم أمرها على اختيار ايديولوجى واضح ، يجد نفسه وجها لوجه أمام مسئولية أن يختار بنفسه ، وأن ينتقى الاتجاه الايديولوجى الذى سيسير وفقا له فى بحوثه التى يجريها ، أو فى تأملاته وتحليلاته التى يقدمها لوصف وتفسير الواقع الاجتماعى لمجتمعه •

وقد تكون هذه فرصة نادرة لمثل هذا الباحث ، أن يتاح له أن يختار بدون أن يحيط به قهر ايديولوجى من مصدر أو آخر •

والحقيقة أن الحاجة ماسة فى البلاد المتخلفة للقيام بدراسة نقدية واسعة المدى للتراث السوسيولوجى الحديث والمعاصر ، وينبغى فى هذه الدراسة أن تتعقب النشأة التاريخية لعلم الاجتماع ، وأن تستخدم مناهج علم اجتماع المعرفة للكشف عن البذور الايديولوجية لهذه النشأة ، ولمعرفة أسباب المنعطفات والتحولات فى مسيرة هذا العلم، ولابد أن يسلم ذلك منبعد الى دراسة الاوضاع الراهنة فى علم الاجتماع المعاصر •

ولابد لمثل هذه الدراسة من أن تكفل لها كل شروط الموضوعية ، ويمكن الاستعانة فى ذلك بعدة أساليب لعل من أهمها دراسة وتحليل الانتقادات التى توجه لعلم الاجتماع من « الداخل » ، بمعنى تلك التى تصدر من باحثين فى نفس القطر الذى يدرس فيه وضع العلم وتطبيقه ، فمفهوم علم الاجتماع وتطبيقاته فى الولايات المتحدة الامريكية ، والتى كثيرا ما يوجه له النقد ، يمكن تقدير مدى حقيقة وجدية هذه الانتقادات وحدودها ، ومدى تأثيرها على بناء العلم نفسه ، اذا ما رجع أولا الى الدراسات الامريكية بهذا الصدد ، وخصوصا اذا ما قام بها باحثون معروفون بأصالتهم النظرية وخبراتهم الميدانية

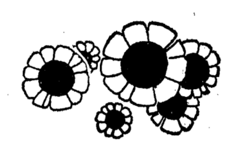
المتعددة ، واختلاف مشاربهم الفكرية ، مثل دراسات سوروكين ورايت ميلز النقدية ؛ ومن ناحية أخرى يمكن دراسة وتحليل الانتقادات التى توجه لهذا العلم من باحثين ينتمون الى مفهوم مغاير لعلم الاجتماع ، كما فى فرنسا مثلا ، التى يؤثر تراثها الفلسفى العريق ، الذى يبسط رواقه على كل جنبات الفكر الفرنسى ، على اتجاهات علم الاجتماع وميادينه •

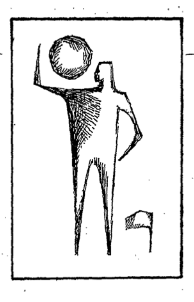
واخيرا ، يمكن تقدير الانتقادات التى توجه من « المعسكر الاخر » ان صح التعبير ، ونعنى به الطرف المضاد من وجهة النظر الايديولوجية ، أى البلاد الاشتراكية •

فى ضوء مثل هذا المنظور الرحب ، الذى لا يخضع لاغراءات التزمت ، ولا يسير مع تيار الانتقادات الجارفة التى تتجاهل الجوانب الايجابية ، ولا تركز الا على الجوانب السلبية ، يمكن للباحث العلمى الاجتماعى فى البلاد المتخلفة أن يقف موقفا نقديا سليما •.

ان مثل هذا المشروع يمكن ان ينفذ ، كل ذلك مع ادراكنا التام ، أن مثل هذا الباحث وهو يقوم بهذه العملية النقدية الشاملة للتراث السوسيولوجى ، لابد له ـ شاء أو لم يشأ ـ أن يصدر عن اطار ايديولوجى معين !

ولكن ليس هناك من سبيل للقضاء على هذه الحلقة المفرغة ، سوى القيام بالنقد التفصيلى للنظريات ، وعدم القناعة بالنقد الاجمالى من ناحية ، والحرص الشديدعلى الالمام بكافة وجهات النظر المعروضة ، ذلك هو الطريق الذى لا طريق غيره ، ان اراد الباحثون الاجتماعيون فى البلاد المتخلفة أن يصدروا عن موقف فكرى اصيل من التراث السوسيولوجى ، وفى يقيننا أن مثل هذه الدراسة النقدية ـ ان تمت بروح تتسم بالنزاهة الفكرية ـ لابد أن تخلص الى ابراز الجوانب الايجابيـة المتعـددة فى الاشتراكية العلميـة ، باعتبارها نظرية سوسيولوجية تتسم بـالكفاءة والفعالية والشمول ، وتتضمن منهجا حيا قديرا على وصف الواقع الاجتماعى والتنبؤ بمساره التاريخى •





قضـــــية الانســــــان

فى الفلســفة الســوفيتية المعــاصرة

د . مــــراد وهبـــة

تعريف

مأثور لماركس عن الانســـان انه « جمـــلة علاقات اجتماعية » ، بيد ان هذا التعريف ينطوى على اشكال يصاغ فى ســـؤال : اين « ذاتية » الانسان فى هذا التعريف ؟

والاشكال قائم هنا فى جوهر الفلسفة الماركسية من حيث أنها تستند الى قوانين موضوعية لتفسير الظواهر الاجتماعية · ومن شأن « الموضوعيــة » استبعاد « الذاتية » ، أو على الاقل طمســـهـا باحالتها الى الموضوعية ، والنتيجة المحتومة : تساؤل عن مصير العلوم الاجتماعية أو الانسانية التى تتخذ من الانسان موضوعا لها ·

وفى الفلسفة السوفيتية المعاصرة ثمة محاولات لمواجهة هذا الاشكال فى ميدان علم الاجتماع وعلم الاخلاق مطروحة فى هذا المقال من خلال مناقشات أدرتها مع المتخصصين فى هذا الميدان حين كنت فى زيارة علمية للاتحاد السوفيتى لمدة عام ـ من أكتوبر ١٩٦٨ الى أكتوبر ١٩٦٩ ·

فى كلية الفلسفة بجامعة لننجراد ، التقيت **بيدف** وهو احد البارزين من علماء الاجتماع ، ثم هو يتقدم مجموعة من الباحثين فى اجراء تجارب علمية على العمال والمهندسين فى بعض مصانع لننجراد بهدف دراسة اتجاهات هؤلاء نحو العمل·

والذى دفع هؤلاء الباحثين الى تحليل هذه الظاهرة هو ملاحظتهم أن ثمة مسافة بين ما يعتقد فيه الانسان ، وما يصدر عنه من افعال ، ومن ثم ينبغى البحث عن العوامل المعوقة لتنفيذ مايعتقد فيه الانسان ، وهذه العوامل ليست موضوعية فحسب وانما هى ذاتية بالضرورة ·

فقد لوحظ أن « روح المبادرة » هى التى تدفع العامل الى التقدم فى عمله ، اذ تجذب معها جملة من الخصائص منها الوعى المهنى ومعنى النظام ، وتسمح له بعد ذلك أن يكون سيد المشروع ، ومعنى ذلك أن روح المبادرة تفوق فى قيمتها قيمة الاجر المادى فى المجتمع الاشتراكى · وهذا على الضد من المجتمع الرأسمالى حيث المال ليس مجرد وسيلة لاشباع الاحتياجات البيولوجية والمادية ، ولكنه كذلك شرط النجاح فى الحياة ، بل شرط التقدم الاجتماعى ·

فماذا يعنى النجاح فى نظر المجتمع الرأسمالى ؟

انه يعنى ارتفاعا فى الاجر ، وبالتالى زيادة فى المال على حد تعبير الباحثين الامريكيين ستراوس[1] وسويلز .

أما فى المجتمع الاشتراكى فان المال يفقد دلالته كرمز على الثراء ، بل ما هو أهم من ذلك أن الثروة ذاتها لن تكون حجر الزاوية فى بناء الشخصية ، على حد تعبير بيدف .

وهنا قلت لبيدف ان هذه التفاتة الى الانسان من حيث هـو « ذات » وليس فقـط مـن حيث هو «موضوع » .

واذا بيدف يستطرد قائلا :

تقصد ان ماركس لم يعالج الانسان على انه ذات وانما على أنه موضوع . أذن قلها صراحة . فهذا هو رأيى كذلك .

وعندئذ سألته :

أليس من شأن هذه الالتفاتة أن تحدث تعديلا فى بعض المبادىء الماركسية ؟

وكان جوابه :

ليس ثمة مانع من احداث هذا التعديل اذا لزم الامر .

والواقع أن ما لمحته من مناقشات مع غيره من الفلاسفة وعلماء الاجتماع هو التركيز على الديالكتيك بين ما هو ذاتى وما هو موضوعى ، ولكن بدرجات متفاوتة .

فالمدرسة الاجتماعية فى كلية الفلسفة بجامعة موسكو بقيادة اندريفا رئيسة قسم الاجتماع فى هذه الكلية تبرز أهمية العوامل الذاتية ولكن بشرط النظر اليها فى ضوء القوانين الموضوعية للمادية التاريخية ، ومن هذه الزاوية فان أندريفا تقرر أن الماركسية لم تهمـل معالجـة الانسـان من حيث هو ذات . وخداع البصر فى تصور هذا الاهمال مردود الى الزعم بأن الماركسية تدعو الى « الحتمية الاقتصادية » . وهى دعوة مرفوضة من قبل ماركس ولينين . فثمة ديالكتيك بيـن الحتمية واللاحتمية ، واللاحتمية تتمثل فـى ظاهرة « الصدفة » .

وهنا سألت اندريفا :

الى أى مدى تتحكم الصدفة ؟

وكان جوابها :

الى الحد الذى نقول فيه انه لولا لينين لما اشتعلت الثورة الروسية . ومع ذلك فما كان فى مقدور لينين أن يشعل الثورة من غير استناد الى القوانين الموضوعة ، ومعنى ذلك فى عبارة اخرى أن التنبؤ ممكن فى مجال العموميات ولكنه غير ممكن فى مجال التفصيلات والجزئيات . وفى هذا المجال الثانى تبرز العوامل الذاتية الخـاصة بالافراد والمجتمعات .

ثم استطردت أندريفا قائلة :

من هذه الزاوية ، زاوية ادراك العوامل الذاتية فانى أتعاطف مع المدرسة الوظيفية فى علـم الاجتماع الامبريقى الامريـكى بزعـامة روبرت مرتون وتالكوت بارسونز . فهذه المدرسة تذهب الى دراسة سلوك الانسان من حيث هو سلوك اجتماعى . ومن شأن هذه الدراسة أن تسهم ، بطريقة عينية ، فى الكشف عن بنية الشخصية .

ثم تقول أندريفا انها تتفق مع بارسونز فى نقده لعملية الاستقطاب التى تجريها المدرسة السلوكية حيث لا ترقى نظرية « السلوك » عندها الى أن تكون نظرية « الفعل » ، لان السلوك ـ فى رأى المدرسة السلوكية ـ يخلو من الوعى والارادة والغائية والقيمة .

بيد أن أندريفا تأخذ على المدرسة الوظيفية أنها تقف عند « شكل » الفعل وليس « مضمون » الفعل ، بسبب أنها تهمل نسق العلاقات الاجتماعية الذى يتكون عبر التـاريخ الانسانى ، ونسيت هذه المدرسة ان سلوك الفرد ليس فى الامكان تفسيره الا بالاستناد الى الكيفية التى يتكون بها الواقع الاجتماعى . وهنا تذكر أندريفا قول ماركس أن الانسان ليس نقطة بداية للبحوث الاجتماعية ، اذ هو « نتاج واقع اجتماعى وعلاقات اجتماعية » ، ولكنه فى ذات الوقت « معطى » تجريبى للبحوث الاجتماعية ، بشرط أن ينظر الى هذا « المعطى العينى » على أنه « تركيب » بمعنى أنه محكوم بقوانين موضوعية هى قوانين التطور الاجتماعى .

والذى يلفت النظر فى هذه الرؤية الماركسية المعاصرة للديالكتيك بين ما هو ذاتى وما هو موضوعى أنها على غير الشائع والمألوف عـن الماركسية . فما هو شائع ومألوف عنها يدور علـى « الحتمية الاقتصـاديـة » أو «القـدرية التاريخية » الامر الذى يمتنع معه البحث فـى

---

[1] J. Strauss & L. Soiles, Personnel, the human problem of managment, N.Y. 1960, P. 28

الانسان من حيث هو ذات ، أي من حيث هو موجود « يتجاوز » ما هو موضوعي •

والسؤال الجوهري عندئذ هو :

ما حدود هذه المجاوزة ؟

وماذا عن هذه المجاوزة في مجتمع طبقي ، وماذا عنها في مجتمع لا طبقي ؟

والجواب عن هذه الاسئلة يتوقف على نوع العوامل التي تتحكم في تطوير الانسان وفي « تفرده » ، فثمة عوامل بيولوجية ونفسية واجتماعية •

وقد دار الجدل حول أهمية هذه العوامل في السنتين الاخيرتين على صفحات مجلة « **مسائل فلسفية** » التي يصدرها معهد الفلسفة التابع لاكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي بين اثنين من الفلاسفة المرموقين : **دوبر فسكي والينكف** •

يذهب **دوبرفسكي** الى ان العوامل الفسيولوجية ، ومن بينها عامل الوراثة ، هي التي تفسر لنا تفرد عبقري مثل **موتسارت** • أما **الينكف** فيقرر على الضد من **دوبرفسكي** في مقال له مشهور ومنشور في مجلة « مسائل فلسفية » ، ١٩٦٨ ، عدد ١١ بعنوان « الظاهرة النفسية والدماغ » ، يقرر ان الدماغ والتركيب الفسيولوجي للانسان ليس سوى الحامل لخصائص الشخصية التي يتسبب في تكوينها عوامل اجتماعية . أما الحامل ذاته فليس في امكان العلم ان يدلل على تأثيره وفاعليته •

وحجة **الينكف** في ذلك أن العلم لم يحفظ لنا العوامل الفسيولوجية التي لعبت دورها في تكوين الحان موتسارت مثلا ، ومن ثم فليس من سبيل الى التحدث عن هذه العوامل . وحجته كذلك انه ليس في امكان العلم ان يتنبأ بمستقبل اي مولود جديد . والنتيجة التي يخلص اليها **الينكف** ان الناس متساوون بيولوجيا ، ولكنهم مختلفون بسبب انتمائهم الى ابنية اجتماعية متباينة •

وحين كنت اتحدث مع **الينكف** حول هذا الموضوع اقترح على ضرورة رؤية تجربة فريدة في نوعها يشرف عليها أحد العلماء المرموقين في الاتحاد السوفيتي وهو **ميشرياكوف** ، ومكانها « معهد الاطفال المشوهين » في زاجورسك احدى ضواحي موسكو • وبالفعل ذهبت الى هذا المعهد بصحبة هذا العالم المتواضع **ميشرياكوف** ورافقتنا سيدة على غرار « **هيلين كيلر** » وأسمها « **اسكاراخودفا** » وهي حاصلة على درجة « الكانديدات » وموضوع رسالتها كيف أرى العالم وكيف اتقبله ؟ » •

وأمضينا سويا يوما كاملا في **هذا المعهد بين** الرؤية والاستماع والمناقشة • **والمعهد به خمسون** من الفتيان والفتيات **يتسمون بفقدان حاسة السمع** والبصر والنطق أو على **الاقل حاستي السمع** والبصر • ومع ذلك **فقد ارتقوا الى درجة لا بأس** بها من المعرفة الانسانية •

وفي رأيي أن **هذه التجربة من شأنها أن** تحسم ـ الى حد بعيد ـ **هذا الجدل الدائر حول** أهمية **العوامل البيولوجية والنفسية والاجتماعية** في « تفرد » الانسان •

ومن بين الافكار الحاسمة التي يتبناها **ميشرياكوف** حين سألته عن الفارق بين الانسان والحيوان أن الانسان هو الكائن الوحيد الذي يولد بدون أشكال معينة من السلوك ، أي أنه ليس ثمة سلوك « قبلي » ان صح استخدام هذا التعبير • أما الشمبانزي ، مثلا ، فانه يولد ومعه أشكال من سلوك موروثة ، أي « قبلية » • وثمة أغنية شعبية يرددها **ميشرياكوف** مؤداها أن الببغاوات تغني في الاقفاص ، ولكنها تنسى ما تغنيه في الغابات • وحتى اذا تمكن الشمبانزي من اكتساب بعض العادات الانسانية فالانسان في مقدوره اكتساب آلاف العادات • بل ان الشمبانزي يتدرب عدة مرات لكي يكتسب عادة معينة في حين ان الانسان تكفيه مرة أو مرتين •

وحين سألته عن السبب في هذا الفارق بين الانسان والشمبانزي كان جوابه **أن هذا الفارق** مردود الى ان الذي يقود **عملية التعلم هو الطفل** ذاته وليس المعلم . ان مهمة المعلم ليست سوى الاجابة عن السؤال **الذي يطرحه الطفل وليست** الاجابة عن السؤال **الذي لم يطرحه بعد** •

وهنا قلت **لميشرياكوف** :

معنى رأيك هذا ان الطفل **ليس كائنا سلبيا** ، وليس صفحة بيضاء **كما يزعم الفيلسوف** الانجليزي **جون لوك** ؟

وكان تعليق **ميشرياكوف** :

نعم ، انه **ليس بالدقة صفحة بيضاء** • **ذلك أن** تعامل الطفل مع **الاشياء التي تموضعت فيها** الخبرة البشرية خلال **آلاف السنين تعني في ذات** الوقت فهم **الحكمة البشرية المتموضعة في هذه** الاشياء •

وتعامل الطفل مع الاشياء يتم على درجات :

الدرجة الاولى تبدأ **بتعلم الطفل كيفية استخدام** أدوات المأكل والمشرب والملبس ، والحركات التي يمارسها المعلم ويبادله اياها الطفل هي مجرد « رموز » لا ترقى الى مستوى الالفاظ •

والدرجة الثانية تبدأ حين تنفصل الرموز عن الموضوعات الحسية وتتحول الى ألفاظ ، وعندئذ تصبح الالفاظ وسيلة لتكوين علاقات انسانية . ومعنى ذلك ، فى رأى **ميشرياكوف** ، أن شرط تعلم اللغة هو تجربة الطفل الخاصة واحتيــاجاته الباطنية . أما تدريب الطفل على تعلم اللغة دون أن يكون ثمة علاقة بين احتياجاته وبين الالفاظ التى يتعلمها فمعنى ذلك تنشئة طفلثرثار يتحدث عن أشياء لا يعرفها .

ولكن ماذا يعنى كــل هذا الذى يقــولــه **ميشرياكوف ؟**

انه يعنى، فى رأيى، ان ثمة « شيئا » قبليا ، داخل الانسان . ذلك ان « ايجابية » الطفل فى التعلم تفيد أن ثمة شيئا قبليا كان فى البداية مكتسبا ثم أصبح مع التطور فطريا . وكنت احاول اثناء الحوار مع **ميشرياكوف** الاشارة الى هذا المعنى تارة على هيئة استفسار وتارة على هيئة سؤال .

وذات مرة قال **ميشرياكوف** مداعبا :

ايها الرفيق : ان اشارتك هذه فيها من الحذة ما يدفعنى الى توليد افكار جديدة .

وأثناء تجوالى فى المعهد ومحادثاتى مع الفتية والفتيات لمحت « تعدد » مواهبهم فطلبت مــن **ميشرياكوف** تفسيرا لظاهرة « التعدد » لعل فيه تعليلا لظاهرة « التفرد » .

وكان جوابه أن الفوارق الفسيولوجية بين هؤلاء الفتية تلعب دورا ملحوظا ، والشاهد على هذه الفوارق تباين الاضطرابات الفسيولوجية التــى تلازم كل واحد من هؤلاء الفتية . ومن هنا يختلف **ميشرياكوف** مع **الينكف** ، ولكنه لا يدخل معه فى صدام مباشر ، اذ أن **الينكف** يعتز بعلاقته مع **ميشرياكوف** ، ثم هو يزور المعهد فى الفينة بعد الفينة لتدريس الفلسفة لهؤلاء الفتية .

بيد أن **ميشرياكوف** يقترب من **الينكف** حين يقرر أن الفوارق الاساسية هى الفوارق الاجتماعية . ولكنه يضيف الى العوامل البيولوجية والاجتماعية عاملا ثالثا هو التكنولوجيا المعاصرة ، اذ بفضلها يتحرر الانسان من العمل الآلى فيندفع الى الخلق والابتكار . الا أن عملية الخلق والابتكار تزداد ثراء فى المجتمع الاشتراكى المتطور .

وقضية الخلق والابتكار مرتبطة بقضيــة الحرية . وقضية الحرية قضية اخلاقية فى المقام .

ولكن قبل طرح اية قضية اخلاقية ثمة سؤال لابد أن يثار عن امكان تأسيس « علم أخــلاق ماركسى » .

والذى دفعنى الى طرح هذا السؤال هو الرأى الشائع بأن كلا من **ماركس وانجلز** قد نـادى بضرورة استبعاد الاخــلاق ، من حيث هى علم معيارى ، من ميدان الفلسفة والعلوم الاجتماعية . والحجة المتداولة فى تبرير هذا الرأى الشائعقول **انجلز** ان الفلسفة ينبغى أن تقتصر على أن تكون نظرية لقوانين الفكر ، وأن تكون منطقا صوريا ومنهجا علميــــا . ولكن من حيث تطــورهما الديالكتيكى [٢] .

وعلى الضد من هذا الرأى الشائع كان الجواب عن سؤالى بالايجاب ولكن مع اختلاف فى وجهات النظر .

فملفيل ، مثلا ، وهو رئيس قسم تاريخ الفلسفة الاجنبية بكلية الفلسفة بجامعة موسكو ، يقرر أن علم الاخلاق كامن فى الماركسية ، وان عدم تأسيسه مردود الى انشغال المفكرين الماركسيين بتدعيم الثورة الشيوعية . ثم يستطرد قائلا بأن الفلاسفة السوفيت يهتمون اليوم بتأسيس هذا العلم . ومن ثم فقد انفصل قسم الاخلاق عن قسم علم الجمال فى جامعة موسكو بعد أن كان يضمهما قسم واحد حتى ديسمبر عــام ١٩٦٨ .

أما **سمسونفا** وهى أستاذة علم الاخلاق بكلية الفلسفة بجامعة موسكو فانها تقرر أن هذا الرأى الشائع مردود الى الربط العضوى بين الاخلاق والقيم ، بمعنى أن الاخلاق هى علم القيم . وليس هذا هو علم الاخلاق فى رأيها . ثم ان هذا الرأى الشائع مردود كذلك الى الدعوة القائلة بأن علم الاخلاق الماركسى موضوعه المثل العليا الشيوعية . فمن شأن هذه الدعوة أن تقصر علم الاخلاق على مجال دون آخر . فى حين ان القضية الرئيسية لهذا العلم هى التأسيس الاخلاقى لجميع مجالات الحياة . وقد وضع الماركسيون الكلاسيكيون أساس هذا العلم وبقى استكمال البناء .

والسؤال الان :

ما القضية الرئيسية فى هذا البناء ؟

---

[٢] Engles : Feuerbach & the outcome of classical german philosophy, P. 59
: Anti - Dührung, P. 39-40

فى رأى **سمسونفا** انها مسألة حرية الارادة والمسدولية الاخلاقية . ذلك أن السلوك الاخلاقى يفيد الوعى الذاتى .

ولكن مسألة الذاتية هنا تثير سؤالا حول علاقتها بالمسألة الاجتماعية .

وهنا تقول **سمسونفا** ان الجواب عن هذا السؤال يستلزم التحليل الاجتماعى للوعى الاخلاقى ، الامر الذى يؤدى الى تسيس علم الاخلاق الاجتماعى . وهذا العلم يدور على دراسة العوامل الاجتماعية لظهور الوعى الاخلاقى الاشتراكى ، وتصنيف انواع الاخلاقيات قبل تحقيق الاشتراكية ، وتطور الحاجات الروحية والمادية للانسان . وهذه كلها دراسات تجريبية لم تكن مطروحة فى الاتحاد السوفيتى ، بل لم تكن مطووحة خارج الاتحاد السوفيتى .

وثمة قضية رئيسية فى هذا العلم ، علم الاخلاق الاجتماعى ، وهى قضية العلاقة بين الفرد والمجتمع ، أو بين المصالح الفردية والمصالح الاجتماعية . الامر الذى يستلزم توضيح المفهوم الماركسى عن الفرد . وقد جاء الاوان لتوضيح هذا المفهوم بعد أن أمضى الفلاسفة السوفييت ردحا من الزمن فى دراسة قضايا ماركسية غير قضية الفرد .

ويضاف الى هذه القضية قضية أخرى لا تقل عنها اهمية هى حتمية السلوك الانسانى . وهنا أشارت **سمسونفا** الى أن ثمة مفاهيم سوقية ، تزعم أنها ماركسية ، لتفسير هذه الحتمية . وليس من وسيلة للقضاء على هذه السوقية غير الاهابة بعلم النفس .

وقضية ثالثة ترتبط بدراسة دوافع السلوك الفردى ، وتأسيس نسق معين للدوافع يعكس طبيعة الاخلاق الاشتراكية . وهنا أشارت سمسونفا الى رأى ساذج يشيع بين عدد من المفكرين ، مؤداه ان الدوافع الاخلاقية هى الدوافع التى تخلو من الانانية . ورأيها انه حين لا تتعارض المصالح الفردية مع المصالح الاجتماعية فليس ثمة ما يبرر كونها غير اخلاقية ، وليس ثمة ما يبرر « التضحية » بهذه المصالح . ومعنى ذلك أنه ليس من صلة بين المصالح الاجتماعية و « التضحية » بالمصالح الفردية . ومع ذلك فان المصالح الاجتماعية ترتبط بالتضحية فى المرحلة الاولى من مراحل تاسيس الاخلاق البروليتارية بسبب غياب الظروف الموضوعية التى تعمل على التناسق بين الفردى والاجتماعى . غير أن تطور النظام الاشتراكى من شأنه ان يخلق امكانيات اكبر لتحقيق التناسق بين الفردى والاجتماعى ، او على الاقل لتخفيف حدة التناقض بينهما . بيد ان هذا التناسق أو هذا التخفيف لن يتحقق بطريقة آلية . ولهذا فان سمسونفا ضد تبسيط المبدأ المادى القائل بأن الوجود الاجتماعى يحدد الوعى الاجتماعى . انها لا ترفض هذا المبدأ بالطبع ، اذ هو مبدأ رئيسى فى الفلسفة الماركسية ، ولكنها ترفض تأويله القائل بأن الوعى الاجتماعى مجرد انعكاس للوجود الاجتماعى ، اذ من شأن هذا الانعكاس الالى أن يفضى الى القول بان الوحدة العضوية بين الفردى والاجتماعى تتحقق « بالتأكيد » فى النظام الاشتراكى . ان التطبيق الاشتراكى يهدف الى الاستجابة لاحتياجات الفرد . ولكن هذه الاستجابة تفترض « فاعلية » الفرد . وبفضل هذه الفاعلية يحس الفرد بعدم القدرة على تحقيق جميع مصالحه الذاتية ، ومن ثم يجد نفسه أمام « الاختيار » بين مصالحه الاكثر اهمية ومصالحه الاقل أهمية ، وهذا الموقف ، موقف الاختيار ، هو فى ذات الوقت ينطوى على صراع وعندئذ تدور فى رأسه أسئلة على النحو الاتى :

ماذا افعل ؟ .

هل انحاز الى المصلحة الفردية أم الى المصلحة الاجتماعية ؟

ومن أجل معالجة هذا الصراع ترى **سمسونفا** أن اهتمامنا الرئيسى فى مجال التربية ينبغى أن يتجه الى تطوير الفرد حتى تصبح مصالحه الفردية مصالح اجتماعية ، وهذا لن يتأتى الا بتطوير « النشاط الخلاق » للفرد .

وهنا أثرت سؤالا :

أين اذن علم الاخلاق ؟

انه اما ان يكون فرعا من فروع علم الاجتماع او علم النفس او التربية او منها جميعا .

وجواب **سمسونفا** لم يكن الا بالسلب . ثم استطردت قائلة :

انك محق فى هذا السؤال حين يكون الامر متعلقا بعلم الاخلاق الاجتماعى ، وهو ميدان **تخصصى** . اما حين يكون الامر على خلاف ذلك فلست محقا فى هذا السؤال . فثمة فلاسفة آخرون يدرسون قضايا متصلة مباشرة بالمقولات الاخلاقية الصرف مثل الخير والشر والعدالة والضمير ومعنى الحياة .

وراحت تعدد لى بعض الاسماء . **بندزلادزى** ، وهو فى جورجيا ، وله كتاب بعنوان « تجربة فى تأسيس علم الاخلاق الماركسى » . **ريجيدس** وهو فى مدينة رستوف ، وله مؤلف عن معنى الحياة . **وشتين** ، وهو فى الماطا ، ويهتم بمسألة القيم الاخلاقية . **وسليفانوف** وله كتاب أسمه الاخلاق «

وموضوعه القيم • وهو يحاول الان التوحيد بين التحليل الاخلاقى والتحليل المنطقى •

وفى كلية الفلسفة بجامعة لننجراد مجموعة من علماء الاخلاق تدرس قضايا اخلاقية محددة مثل **ايفانوف وريباكوفا وكوسكاف وكابليكوف** ولهم كتاب مشترك بعنوان « القيم الاخلاقية للانسان السوفيتى » •

وفى معهد الفلسفة بجامعة موسكو يدرس **شيشكين** • وهو اكاديمى ومن هيئة تحرير مجلة « مسائل فلسفية » ، مسألة القيم ، وهو يرى انها المسألة الرئيسية فى علم الاخلاق •وهو الذى أطلق الفهم المشهور عن الأخلاق كمجموعة من القيم • وتقول **سمسونفا** انها تعترض على هذا الفهم •

وفى هذا المعهد كذلك **دربنتسكى** وهو يدرس كذلك مسألة القيم دون أن يوحد بينها وبين موضوع علم الاخلاق • ولذلك فان هذا المفكر هو اقرب الى **سمسونفا** منه الى **شيشكين** ••

ففى رأى هذا المفكر ، كما أوضحه لى أثناء مناقشات عدة ، أن نظرية القيم ليست هى علم الاخلاق ، ذلك أن القيم أعم من القيم الإخلاقية أما موضوع علم الأخلاق فيدور على الوعى الاخلاقى والفعل الاخلاقى والعلاقات الإخلاقية • ونقطة البداية هى تحليل الوعى الأخلاقى لانه انعكاس للافعال الاخلاقية وللعلاقات الاخلاقية أثناء التطور التاريخى للبشرية • وبمعنى آخر يقول **دربنتسكى** ان الوعى الاخلاقى هو نتيجة التطور التاريخى • وأن ما يحدث من تغيير فى هذا الوعى انما يتناول المضمون دون الشكل • ولدربنتسكى عدة مؤلفات من بينها « مشكلة القيمة والفلسفة الماركسية » و « نقد النظريات الاخلاقية البورجوازية » وقد ألفه بالاشتراك مع زوجته **كوزمينا** •

وفى رأى **سمسونفا** ان هذه الاراء المتباينةفى علم الاخلاق عند فلاسفة السوفييت قد تنبىء عن وجود خلافات ولكن الامر ليس كذلك ، اذان هذه الاراء المتباينة ليست الاتأكيدات على مسائل دون اخرى • وتأكيد سمسونفا ينصب على « الوعى الذاتى للفرد » ، وهو تأكيد على الذاتية فى ذات الوقت ، الامر الذى من شأنه ان يثير سؤالا يتعلق بتعريف ماركس لماهية الانسان من حيث هو « جملة علاقات اجتماعية » :

أين مكانية الذاتية فى هذا التعريف ؟

ولم تتردد سمسونفا فى الجواب عن هذا السؤال ، وجوابها يدور على نقطتين :

النقطة الاولى : ان الوعى الذاتى لا يتحقق بمعزل عن الوعى الاجتماعى ، بمعنى أن الوعى الذاتى ليس وعيا باطنيا لا تحدده عوامل خارجية موضوعية •

النقطة الثانية : ان هذا التعريف لا يمكن عزله عن مفاهيم اخرى لماركس • فثمة نص مؤداه أن البشر يخلقون الظروف بنفس القدر الذى تخلق فيه الظروف البشر • وأية محاولة بعد ذلك للفصل بين الفردى والاجتماعى تفضى الى سوء فهم لتعريف ماركس للانسان •

ومع ذلك فقد طرحت السؤال مرة ثانية ولكن فى صيغة أخرى :

ان المقصود من تعريف ماركس انتماء الفرد بالضرورة الى طبقة اجتماعية الامر الذى قد يوحى بالاستخفاف بالجانب الذاتى • فما رأيك ؟

وكان رأيها من رأيى ، ولكن مع ايضاح • فهى ترى انه فى المجتمع الطبقى يتحدد الجانب الخلاق عند الانسان بالطبقة التى ينتمى اليها • بيد أن ماركس يقرر أن هذه الظاهرة واقعة تاريخية ليس لها صفة الدوام • والنتيجة المحتومة أن الفرد الخلاق يبرز بشكل ملموس فى المجتمع اللاطبقى • وهى نتيجة تنتهى اليها سمسونفا مدعمة بقول ماركس فى « رأس المال » أن التطور الخلاق للوعى الذاتى هو الغاية من التطور الاجتماعى • ومدعمة كذلك بقول الماركسيين الكلاسيكيين فى تحليلهم •• لا « منفستو » •

وعند هذه النقطة كانت لى ملاحظة أردفتها بسؤال :

الملاحظة هى مدى امكان الافادة من الفلسفة الوجودية فى هذا المجتمع اللاطبقى ، حيث ان الوجودية ، وخاصة وجودية سارتر ، تهتم بتحليل هذا الوعى الخلاق الذاتى •

وفى ابتسامة رقيقة تنم عن تردد فى قبول هذه الملاحظة قالت **سمسونفا** أن الوجودية تنطوى على ايجابيات تستحق التسجيل والتقدير فى الاهتمام بالمجال الروحى للفرد ، ولكنها تنطوى على سلبيات من بينها عجزها عن رؤية الوحدة العضوية بين الوعى الذاتى والوعى الاجتماعى •

ولم تنفرد **سمسونفا** بهذا النقد للوجودية على الاطلاق ولوجودية **سارتر** على التخصيص ، فهو رأى فلاسفة السوفييت بلا استثناء ، وكل ما هنالك من فارق بين فيلسوف وآخر هو انما يتراوح بين الرفض الكامل للوجودية أو التعاطف الجزئى معها •

أما السؤال فهو عن مدى احتمال احداث تعديل في تعريف ماركس للانسان عند تأسيس المجتمع اللاطبقي ·

وجواب سمسونفا لم يكن الا بالسلب · ذلك أن الفارق بين المجتمع الطبقي والمجتمع اللاطبقي هو في علاقته بالفرد ·

في المجتمع الطبقي يلعب المجتمع دور المحدد، بل قد يلعب دور المعوق لتطور الذات الفردية . ومع ذلك تبقى الذاتية لان الوعي الذاتي مستقل، الى حد ما، عن الوضع الطبقي، بمعنى أن الفرد يتطبع بأخلاق الطبقة التي ينتمي اليها ، ولكنه مع ذلك يحتفظ بقدر من الذاتية · ولهذا فانه من الممكن العثور على شرفاء وخيرين في الطبقة البورجوازية · ثم استطردت سمسونفا قائلة انها ترفض الرأي القائل بأن كل بورجوازي هو بالضرورة سيء الخلق · وهذا الرفض يتفق مع استبعادها للحتمية الالية بين الوعي الاجتماعي والوجود الاجتماعي ·

أما في المجتمع اللاطبقي فالمجتمع لن يكون عائقا أمام تطوير الذات الفردية بل سيكون مصدرا لتطويرها · وهذا هو قانون الوحدة العضوية بين الاجتماعي والفردي الذي وضعه ماركس، وهو قانون عام لتطور الفرد ، وهو يفيد ان الاجتماعي والفردي يعتمد كل منهما على الاخر . وهذا الاعتماد قد يتخذ شكل تحديد للنشاط الخلاق الذاتي ، وقد يتخذ شكل حافز لتطوير هذا النشاط ، لانه ليس في امكان الفرد حتى في المجتمع اللاطبقي أن يعمل كوحدة قائمة بذاتها · انه يعمل في ظروف موضوعية وطبقا لامكانياته · فمن بداخله امكانيات رفاييل سيكون فنانا عظيما بفضل دفع المجتمع اللاطبقي له · ومعنى ذلك أن تساوي البشر ممتنع فالتباين لازم بحكم تباين الامكانيات الذاتية . ولهذا كان ماركس محقا حين أشار الى امكان نشوء ظاهرة «الفقر الروحي» في المجتمع اللاطبقي، ولكنها لن تكون مردودة الى المجتمع بل الى الفرد · وعندئذ لن تحمل هذه الظاهرة طابعا اجتماعيا بل طابعا انسانيا ·

ليس من الصحيح اذن ان يتصور البعض ان المساواة الاجتماعية متحققة بالضرورة في المجتمع اللاطبقي ، فهذا التصور ليس ماركسيا . ذلك ان لم يكن طوباويا بل عالما يقر التناقض ولا يخفيه. الا ان التناقض في المجتمع اللاطبقي هو تناقض أخلاقي يمثله التناقض بين الفقر الروحي والثراء الروحي حيث يتصور الناس اهدافا ولكن ليس الكل قادرا على تحقيقها بالضرورة . ومعنى ذلك ان الخلق الذاتي ليس وحده كافيا ، فثمة ظروف واقعية تحد من هذه العملية · ومن هنا تتولد التراجيديا ويتولد الحسد ·

وهنا دارت في ذهني فكرة امكان التفرقة بين المجتمع الطبقي والمجتمع اللاطبقي من زاوية أن الاول اجتماعي والثاني انساني ·

وكان تعليق سمسونفا على النحو الاتي :

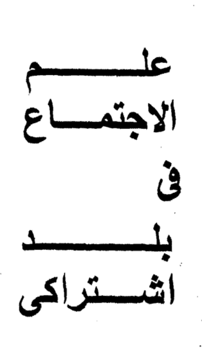
الانساني له معنيان ·

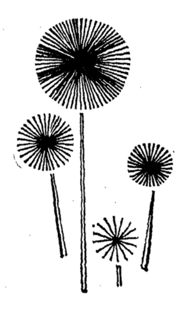
اذا قصد به طابعا أبديا للانسان فهو معنى مرفوض · فالعمل في ذاته يحمل طابعا انسانيا ومع ذلك فهو يتحقق في ظروف اجتماعية ·

واذا قصد به طابعا ملازما للمجتمع اللاطبقي فهو معنى مقبول · وعندئذ يحق لنا القول بأن الاخلاق في هذا المجتمع انسانية بمعنى غياب التناقضات الطبقية ·

وهنا تذكرت عبارة قالتها ريباكوفا رئيسة قسم الاخلاق والجمال في كلية الفلسفة بلننجراد :

الانسانية الحقيقية قائمة في المجتمع اللاطبقي · وهذا هو السبب الذي من أجله لم يعالج ماركس « الاخلاق » على حدة ·





د . سيد عويس

الخبير الاول بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية

— ١ —

في خلال شهر اغسطس ١٩٧٠ زرت مدينة موسكو لاول مرة ، وقد حرصت في أثناء هذه الزيارة على أن احصل على بعض البحوث والدراسات الاجتماعية السوفيتية ،كما حرصت على مقابلة بعض المتخصصين في العلوم الاجتماعية في الاتحاد السوفيتي ، وقد اتيحت لي الفرصة في يوم الثلاثاء الموافق ١١ من اغسطس أن أزور « معهد الدراسات الاجتماعية الواقعية » التابع لاكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي Institute of Concrete sociological Studies

وفي أثناء هذه الزيارة قابلت بعض العاملين في هذا المعهد وكان على رأسهم الاكاديمي ا . م . روميانتسيف A.M. Rumyantsev المشرف على هذا المعهد ونائب رئيس أكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي .

ويرجع حرصي على الحصول على بعض البحوث والدراسات الاجتماعية السوفيتية الى اهتمامي باثراء خبراتي ، على المستوى النظري، في موضوعات اعتبر نفسي واحدا من العاملين في مجالاتها ، اما حرصي على مقابلة بعض المتخصصين في العلوم الاجتماعية في الاتحاد السوفيتي فانه يرجع الى حاجتي الى استجلاء بعض الامور ، منها وأهمها التعرف على أساليب البحث العلمي الاجتماعي في المجتمع السوفيتي ، ومناقشة هذه الاساليب وموضوعاتها في ضوء خبراتي وتجاربي النظرية والعملية التي حصلت عليها في مجتمعنا وفي المجتمع الانجليزي،وفي المجتمع الامريكي ، ولم يكن حرصي على التعرف على أساليب البحث العلمي الاجتماعي في هذا المجتمع هدفا في ذاته ، بل كان وسيلة ، ايضا للتعرف على وجود أو عدم وجود « علم اجتماع ماركسي » ذلك لانني كمواطن عادي أرى أن اثراء معارف المتخصصين وطلاب العلم في مجتمعنا المصري المعاصر ، في ضوء ظروفه الراهنة، أمرا يجب أن يختلف عليه اثنان ، وأن الوصول الى وجود أو عدم وجود « علم اجتماع ماركسي » ييسر لي ، كأحد طلاب هذا العلم ، وضوح الرؤية

وبخاصة وقد بدأ الاهتمام أخيرا بهذا الموضوع فى محيط بعض المتخصصين المصريين ٠

وقد اتيحت لى الفرصة للحصول على بعض المنشورات التى تتضمن بحوثا ودراسات عن موضوعات الشباب والعمال والقوميات فى المجتمع السوفيتى ، وكلها قد نشرت باللغة الروسية التى لا أعرفها ، كما أتيحت لى الفرصة للحصول على نسخ قليلة من مجلة « العلوم الاجتماعية اليوم » Social sciences today لعام ١٩٧٠ التى تصدرها اكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتى ، وعلى نسخ قليلة من مجلة « العلوم الاجتماعية Social sciences » لعام ١٩٧٠ التى تصدرها نفس الاكاديمية ٠ وكانت هذه المجلات منشورة باللغة الانجليزية التى أعرفها ٠

ـ ٢ ـ

وفى ضوء بعض الخبرات النظرية والعملية عن موضوعات علم الاجتماع والبحث العلمى فى ميدان العلوم الانسانية ومجالاتها ، وما قرأته باللغة الانجليزية لكل من ت ٠ ب ٠ بوتومور T.B. Bottomore وماكسيميلين روبل Maximilien Rubel فى كتابهما « كارل ماركس : أعماله فى علم الاجتماع والفلسفة الاجتماعية » ١٩٦٣ ، وما قرأته للاكاديمى ج ٠ أوسيبوف G. Osipov فى مقالة بمجلة « العلوم الاجتماعية اليوم » عدد ٣ وموضوعه « لينين وعلم الاجتماع الماركسى » ، وللدكتور ف ٠ كيل V. Kelle فى مقاله بمجلة « العلوم الاجتماعية عدد ٢ وموضوعه «وظائف العلوم الاجتماعية فى ظل الاشتراكية » وما قرأته من أعمال اخرى حول هذا الموضوع وحول النظرية الماركسية بفروعها السياسية والاقتصادية والفلسفية ، فضلا عن نتائج الحوار المفيد الذى دار بينى وبين الاكاديمى رومیانتسيف ــ أتشرف بأن أعرض أمام القارىء العربى ، فى المقال الحالى ، وجهة النظر السوفيتية فى الموضوعات الآتية :

أ ــ اهداف البحوث الاجتماعية ومجالاتها وأنواعها ٠

ب ــ أدوات جمع الحقائق ٠

ج ــ النظرية والتطبيق ٠

د ــ علم الاجتماع ٠

ـ ٣ ـ

واذا كان موضوع المقال الحالى هو « علم الاجتماع فى الاتحاد السوفيتى » فان ترتيب الحديث عن الموضوعات السابقة ، كما هو ، يبدو منطقيا ، فالموضوعات الثلاثة الاولى تتضمن الحديث عن أساليب البحث العلمى الاجتماعى فى الاتحاد السوفيتى ، وهى بدورها تيسر التعرف على وجود أوعدم وجود نمط معين لعلم الاجتماع فى الاتحاد السوفيتى ، كما تيسر التعرف ــ ان وجد هذا النمط المعين ــ على نوعيته ، أى اذا كان نمطا ماركسيا أو غير ذلك ٠

ولعل اهتمامى بأن أعرض بداءة موضوع البحوث الاجتماعية ومجالاتها وانواعها ، فضلا عن ذلك ، اننى اعمل فى هذا الميدان بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، وأن هذا الموضوع وما يتصل به من موضوعات كانت شغل المركز الشاغل فى خلال عام ١٩٦٩ عندما حاول أن يتلمس طريقه نحو وضع سياسة علمية له أو نحو تطوير السياسة العلمية التى يسير عليها منذ انشائه فى عام ١٩٥٦ ٠

كان موضوع « وضع » سياسة علمية للمركز أو « تطوير » هذه السياسة فى ضوء ظروف ما بعد عام ١٩٦٧ هدفا نحاول نحن العاملين فى المركز أن نحققه ، وقد ناقشنا فى هذا الصدد موضوعات عديدة .. منها وظيفة المركز ، وأهدافه ، والايديولوجية التى يعمل فى ظلها المركز ، ومناهج البحث الاجتماعى ، ومجالات العمل بالمركز ، ولم نكتف بذلك بل دعت ادارة المركز بعض المتخصصين المصريين المنتمين بالمجال الذى يعمل فيه المركز فى شكل « لجنة خبراء » لابداء الرأى فى تقرير يضم خلاصة المناقشات المشار اليها ، وقد نظر هؤلاء المتخصصون فى موضوعات عديدة ٠ أهمها الباحث الاجتماعى والتزامه بالايديولوجية ومناهج البحث ، وموضوعات البحوث ، وأوليات البحوث ، والمواطن الصالح ، ومفهوم العلم ، وعملية التفسير ، ومهمة المركز الاساسية ، والمعوقات ، وبعض الموضوعات الاخرى ٠

فى ظل هذا المناخ الثقافى الذى عشته فى المركز شهورا عديدة ، ومازلت أعيشه حتى الان ، أبدأ حديثى عن أهداف البحوث الاجتماعية ومجالاتها وأنواعها فى الاتحاد السوفيتى ٠

ـ ٤ ـ

لقد لاحظت ان اهتمام السوفيت بالبحوث الاجتماعية قد جاء متأخرا ، فقد انشىء « معهد الدراسات الاجتماعية الواقعية » فى عام ١٩٦٨ ، ومن ثم فانه يمكن القول بأن تقاليد البحث العلمى فى محيط العلوم الاجتماعية وفى مجالاتها فى الاتحاد السوفيتى لم ترس دعائمها حتى الان ، ومع ذلك فانه من الملاحظ أن الباحثين الاجتماعيين السوفييت يعملون فى ضوء فلسفة أوأيديولوجية

واضحة المعالم ، ويهدفون ببحوثهم الى مساعدة الحزب والحكومة على بناء المجتمع السوفيتى الجديد والانسان السوفيتى الجديد ، أما مجالات هذه البحوث فهى عديدة توضحها كثرة وحدات المعهد وأقسامه،ففى المعهد نحو ستةعشر وحدة تهتم بالبحوث فى مجالات مشكلات « العمل والعمال » و « الرأى العام » و «أساليب البحث» و « نظام التحليل الاحصائى » و « الشباب » و«الاتصال الجمعى» Mass — Media و«التعليم» و « التوجيه » و « الفن والثقافة » و « التخطيط » و « وقت الفراغ » و «التاريخ» و « علم النفس الاجتماعى » فضلا عن « المشكلات السياسية » و « مشكلات العلم »و « المشكلات الحضرية » ،مع ملاحظة أن المشكلات « الريف » معهداًمستقلا ، وأن لمشكلات « الجريمة ومعاملة المجرمين » معهداً مستقلا آخر .

والملاحظ أنه اذا كانت مجالات البحوث الاجتماعيةعند السوفييت متعددة ، فان انواع هذه البحوث متعددة أيضا ، ويمكن القول بأن مصادر هذه البحوث متعددة كذلك ، فالبحوث يقترحها علماء الاكاديمية والوزارات والادارات والمصالح الحكومية فضلا عن منظمات الحزب المعنية ، وهى بحوث يكون مجالها البشرى عادة المجاميع من اعضاء المجتمع مثل القوميات والعمال والشباب ، وهى تهدف فى ضوء الاهداف الواضحة ، الى تحقيق التنمية الاجتماعية فى المجتمع السوفيتى ، كما تهدف الى الوصول الى صورة كاملة عن المجتمع والحياة الاجتماعية ككل فى ضوء مستويات نظرية متباينة حسب ما تقتضيه طبيعة موضوع كل بحث أو دراسة ، وقد صنف الاكاديمى اوسيبوف هذه المستويات فى مقاله المذكور آنفا كما يلى :

أ — المستوى الاجتماعى الفلسفى ، وتدخل فى نطاقه البحوث التى تتعلق بالملامح النوعية لقوانين المادية الجدلية فى محيط الحياة الاجتماعية .

ب — مستوى النظرية الاجتماعية العامة ، ويعتمد على « المادية التاريخية » ، وتدخل فى نطاقه البحوث التى تعلق بالقوانين العامة التى تتحكم فى عمليات التنمية الاجتماعية .

جـ — مستوى نظرية البناء الاجتماعى للمجتمع ، وتدخل فى نطاق هذا المستوى البحوث التى تهتم بالقوانين الرئيسية التى تحكم تفاعل النظم الاجتماعية ووظائفها مع تركيباتها المختلفة فى نطاق بناء اجتماعى معين .

د — مستوى نظرية تعدد النظم الاجتماعية وتركيباتها ، وتدخل فى نطاقه البحوث التى تهتم بنوعية أنماط التناسق لوظائف النواحى العديدة للحياة الاجتماعية وظواهرها .

هـ — المستوى الامبيريقى ، وتدخل فى نطاقه البحوث التى تهتم بدراسة الحقائق الاجتماعية وتنسيقها علميا .

مع ملاحظة أن هذه المستويات جميعها ليست نقط متصلة بعضها ببعض ، وتتمم بعضها البعض ، ويعتبر كل واحد منها أساسا لغيره — بل انها تعتبر ذات قيمة مستقلة كذلك .

ومن ثم نجد أن اختيار موضوعات البحوث الاجتماعية السوفيتية يتم على أساس أيديولوجى يهدف الى الصالح العام ، صالح المجتمع السوفيتى ككل ، أى أن هذا الاختيار يأخذ فى اعتباره اذا كان موضوعه « القوميات » ، مثلا ، دراسة هذا الموضوع للتعرف عليه موضوعيا لا بقصد التفريق بين هذه القوميات بل بقصد التقريب بينها ، أى أن الهدف من بحث القوميات هدف اشتراكى له عائد عام يعمل فى سبيل تحقيقه المجتمع السوفيتى ككل ، بعكس ما يحدث فى المجتمع الرأسمالى حيث تختار البحوث ويتم اجراؤها بقصد الفهم الموضوعى لموضوعاتها ومحاولة تغييرها لمصلحة شخصية .. مصلحة « حفنة من أعضاء المجتمع » أو مصلحة حكومة تعمل باسم هذه الحفنة .

— ٥ —

والملاحظ أن البحث الاجتماعى فى الاتحاد السوفيتى قد يكون بحثا نظريا أو يكون بحثا واقعيا ، أو يكون بحثا نظريا وواقعيا معا ، والبحث الواقعى هو فى حقيقة الامر ما يسميه الباحثون الاجتماعيون السوفييت بـ « البحث الامبريقى» Emperical Research والملاحظ أن لمفهوم البحث الامبريقى او الدراسة الامبريقية له ، فى ضوء التراث الاجتماعى العلمى ، معانى عديدة، فهو كما يستخدم فى معظم الاحيان فى علم الاجتماع يعنى ما ليس نظريا أو تحليليا ، وانه الدراسة الواقعية التى **قد تعتمد أو لا تعتمد على نظرية واضحة** ، أى انه يختلف عن الدراسة التى تعنى بوضع لغة للافكار المحددة ، أى اللغة التى تهتم ببحث المفاهيم بقصد تحليل العلاقات الاجتماعية ، وهو يختلف أيضا عن وضع نظرية معينة أو تفسير معين لنواحى الحياة الاجتماعية دون اختبار صحة أو خطأ هذه النظرية أو هذا التفسير ، وقد يعنى هذا المفهوم ببساطة دراسة العالم فى مقابل مجرد تحليل هذا العالم ، أى مجرد عدم تأكيد أى شيء عنه ، وذلك عن طريق

الرياضة البحتة ، أو المنطق الرمزى ، وقد يعنى مفهوم الامبريقى الدراسة التى تنقصها النظرية الواضحة ، أو التى لم تعتمد على نظرية واضحة **تهتدى بها فى اجراءاتها** ، كما قد يستخدم هذا المفهوم بمعنى واسع ليعنى الدراسة الواقعية وليست الدراسة المكتبية أو النظرية التى تعتمد على المكتبة والمراجع .

وفى زحام هذه المعانى للبحث الامبريقى أو للدراسة الامبريقية ، نلاحظ أن الباحثين الاجتماعيين السوفيت ، اذ يقومون ببحوثهم الواقعية يعتمدون دائما على نظرية واضحة يهتدون بها فى كل خطوة من خطواتهم هى « النظرية الماركسية » التى تفسر التاريخ والواقع ، دائماوباستمرار ، تفسيرا ماديا . **ومن ثم فالبحث الواقعى عند الباحثين الاجتماعيين السوفييت هو بحث امبريقى ، بمعنى أنه دراسة واقعية تعتمد على نظرية واضحة** ، وهو أحد المعانى التى ذكرتها لهذا المفهوم آنفا .

ومع ذلك فاننا نلاحظ أن الباحثين الاجتماعيين السوفيت اذ يقرون البحوث والدراسات الواقعية (الامبريقية) ، أى البحوث والدراسات التى يجمعون فيها الحقائق الاجتماعيةويدرسونها ويعالجونها علميا .. نراهم يوجهون النظر الى أمرين :

أ ــ **الامر الاول** : أن تكون الحقائق المجموعة شاملة وألا تكون مجرد حقائق مختارة تعسفيا ، فالظاهرة التاريخية مثلا ، يجب أن تكون دراستها دراسة موضوعية، أى يجب أن تدرس ككل ،فى علاقاتها المتداخلة والمشتركة مع الظواهر الاجتماعية الاخرى ،وألاتعتبر هذه الدراسة ، من غير تحقيق ذلك ، مجرد عملية تلفيق تبرر وضعا معينا لا يهدف الى الصالح العام .

ب ــ **الامر الثانى** : وهو ما يعبر عنه بـ « عبادة الحقائق » ، أى الاهتمام بمجرد جمع الحقائق وتراكمها ، ومهما بذلت فى سبيل ذلك من جهود ، فان الباحثين الاجتماعيين السوفيت يرون أن هذه الجهود لا تثمر كثيرا ، أى أن مجرد جمع الحقائق وتراكمها ليس ذا فائدة كبيرة ، عندهم ، الا اذاحللت هذه الحقائق تحليلا مبنيا على التفكير العميق وفى ضوء نظرية واضحة .

واذا كان الباحثون الاجتماعيون السوفيت يختلفون مع غيرهم وبخاصة مع الكثير أو معظم الباحثين الاجتماعيين فى المجتمعات الغربية فى اختيار موضوعات بحوثهم ، واذا كان هؤلاء الباحثون يجرون البحوث الامبريقية ، بالمعنى السابق ، ويتفقون فى ذلك مع الكثيرين من الباحثين الاجتماعيين فى المجتمعات الغربية وبخاصة اذا كان الاخيرون يجرون بحوثا متعمقة يختبرون فيها صحة أو عدم صحة نظرية ما ، أو يفسرون نتائج هذه البحوث فى ضوء نظرية ما ، أى وبخاصة اذا كانت البحوث أو الدراسات التى تجرى ليست بحوثا أودراسات استطلاعية ، فاننا نلاحظ أن الباحثين الاجتماعيين السوفيت يتفقون مع غيرهم من الباحثين فى استخدام نفس أدوات جمع الحقائق ، فهم يستخدمون « المقابلة » و « صحيفة الاستبيان » و « صحيفة الاستخبار » وغيرها ، بل ويطلقون عليها نفس المفاهيم الغربية ، وهم يستخدمون الاسلوب الاحصائى فى معالجة البيانات التى تجمع ، يجدولونها ويوضحونها فى رسوم بيانية ، ويحاولون أن يجدوا العلاقات بين نتائجها ودلالات الفروق بين نسبها ... الخ . وهم يجرون بحوثهم فى فريق ، وان كان يحدث فى بعض الاحيان أن يوكل الى أحد الباحثين مهمة اجراء بحث بمفرده .

ـ ٦ ـ

واذا سلمنا بأن مجرد « عبادة الحقائق » أى مجرد جمعها وتراكمها لا يفيد مجتمعا كالمجتمع السوفيتى فى الوقت الحاضر ، فهو فى مجتمع كمجتمعنا المصرى المعاصر ، فى ضوء حقائق التاريخ والواقع الحى فيه ، يكون ذا فائدة ، اننا فى حاجة ماسة الى خريطة اجتماعية ثقافية موضوعية عن هذا المجتمع . وان تعداد السكان ، مثلا ، يعنى مجرد جمع الحقائق عن هؤلاء السكان ، وفائدة هذا التعداد فى ضوء الخبرة أكيدة ، واننى أرى أن الاهتمام بجمع الحقائق وتراكمها لايعنى بالضرورة عدم الاهتمام بتحليلها واستخراج نتائجها ومحاولة تفسير هذه النتائج أو استخراج بعض الفروض منها واختبار صحتها أو عدم صحتها ، ولا يعنى الا يكون هذا التحليل مبنيا على التفكير العميق وفى ضوء نظرية واضحة ، واذا كان الباحثون الاجتماعيون فى المجتمع السوفييتى يعتمدون فى التحليل وفى التفسير على نظرية معينة واضحة ، فان الباحثين الاجتماعيين فى المجتمعات الاخرى يعتمدون فى التحليل وفى التفسير على نظريات معينة تبدو واضحة أحيانا كما تبدو غير واضحة أحيانا أخرى ، ان العبرة كل العبرة فى رأيى هى نتاج ما يحدث فى المجتمع عند تطبيق البرامج التى تعتمد على نتائج البحوث ، سواء كانت هذه البرامج تخطيطية أو برامج تهدف الى التغيير فى محيط اعضاء المجتمع ، سواء كانوا فلاحين أو عمالا .. نساء أو رجالا أو شبابا أو أطفالا ، ان هذا النتاج هو هدف الاهداف ، وهو المحك الحقيقى للتمسك بنظرية معينة أو لنبذ أخرى ، فى المجتمع

الاشتراكى يجب أن يكون هذا النتاج لصالح الملايين ، وفى المجتمع الرأسمالى لا يتوقع أن يكون هذا النتاج لصالح الملايين ، بل يكون ، عادة ، لصالح الفئة التى تستغل الملايين .

ـ ٧ ـ

والملاحظ أنه لا يمكن التسليم ، دائما ، بأن الدراسات أو البحوث الاستطلاعية لاتعتمد على نظرية ما ، ذلك لانه اذا لم تكن هذه النظرية واضحة فهى موجودة ضمنا ، والملاحظ أنه لا يعيب الدراسة أن تكون دراسة استطلاعية وصفية أو مجرد دراسة استطلاعية ، أو يعيب البحث أن يكون بحثا استطلاعيا وصفيا ، أو مجرد بحث استطلاعى ، ذلك لان الدراسات أو البحوث الاستطلاعية تعتبر خطوة الى الامام ، أى هى خطوة ينتظر أن تتبعها خطوات ، أى تتبعها دراسات وبحوث أكثر عمقا وشمولا ، وهى خطوة ضرورية يسترشد بنتائجها الباحث الجاد أو يحاول اثباتها أو دحضها بالبحث والتطبيق معا ، ان الكشف عن أسرار مجتمعنا القديم قدم الدهر المستمر استمرار الحياة فى ضوء تاريخه العريق وفى ضوء ظروفه الاجتماعية الثقافية والاقتصادية والسياسية يجب أن يشجع ويقدر ، ولكى نصل الى أعماق هذا المجتمع لابد من بداية ، ولكى نبدا لابد أن نروج للدراسات والبحوث الاستطلاعية حتى تتضح الرؤية أمامنا ، وأمام قادتنا والعاملين فى سبيل تغيير المجتمع المصرى المعاصر على اختلاف مستوياتهم ومواقع عملهم .

ـ ٨ ـ

والملاحظ أن الباحثين الاجتماعيين السوفيت يهتمون ، عادة ، بربط النظرية بالتطبيق ، وهم يحاولون دائما وباستمرار أن يختاروا موضوعات بحوثهم بقصد التطبيق ، ويهدفون فى سبيل ذلك الى الصالح العام .. صالح الشعوب السوفيتية ، ان تكوين هيئات البحوث يتوقف على طبيعة الموضوع المراد بحثه ، فاذا كان بحثا يخص العمال مثلا ، كان من ضمن هيئة البحث عمالا ، واذا كان البحث يخص الشباب كان من ضمن هيئة البحث أساتذة الجامعة والمسئولون عن منظمات الشباب فضلا عن الشباب أنفسهم ، ونتائج البحوث فى المجتمع السوفيتى تترجم اولا بأول الى برامج والى تشريعات ، وتدخل فى عمليات التخطيط ، ويقوم بتنفيذها ورعايتها مسئولون يجدون دائما تعاون أصحاب المصلحة الحقيقية من العمال والشباب وغيرهم من الفئات الذين أجريت البحوث من أجلهم وبهم .

ـ ٩ ـ

وفى ضوء كل ما سبق يمكن أن نستخلص النتائج التالية :

أ ـ أن البحث العلمى الاجتماعى فى الاتحاد السوفييتى ما زال فى المهد .

ب ـ أن أهداف البحوث الاجتماعية فى الاتحاد السوفييتى فى معظمها أهداف تطبيقية تهدف الى تحقيق التنمية الاجتماعية فى المجتمع السوفييتى ، كما تهدف الى الوصول الى صورة كاملة عن المجتمع والحياة الاجتماعية ككل فى ضوء مستويات نظرية حسب ما تقتضيه طبيعة موضوع كل بحث أو دراسة .

جـ ـ أن مجالات البحوث الاجتماعية فى الاتحاد السوفيتى مجالات عديدة .

د ـ أن موضوعات البحوث الاجتماعية فى الاتحاد السوفييتى تتسم بالشمول ، ويدرسها الباحثون الاجتماعيون السوفييت ككل فى علاقاتها المتداخلة والمشتركة مع الظواهر الاجتماعية الاخرى .

هـ ـ أن البحوث الاجتماعية فى الاتحاد السوفيتى نظرية واقعية اى امبريقية ، ويعتمد الباحثون الاجتماعيون السوفيت فى اختيار موضوعاتها وتفسير نتائجها دائما على نظرية واضحة يهتدون بها فى كل خطوة من خطواتهم هى « النظرية الماركسية » التى تفسر التاريخ والواقع ، دائما وباستمرار ، تفسيرا ماديا .

و ـ ان الباحثين الاجتماعيين السوفييت يتفقون مع غيرهم من الباحثين الاجتماعيين فى استخدام نفس أدوات جمع الحقائق الاجتماعية ، وهم يرون أن تكون الحقائق المجموعة شاملة وألا تكون مجرد حقائق مختارة تعسفيا ، وينفرون من مجرد جمع الحقائق وتراكمها الا اذا حللت هذه الحقائق تحليلا مبنيا على التفكير العميق ، وفى ضوء نظرية واضحة

ز ـ أن الباحثين الاجتماعيين السوفييت يهتمون، عادة، بربط النظرية بالتطبيق، يتضح ذلك عند اختيار موضوع البحث وعند تكوين هيئات البحوث، كما يتضح ذلك عند ترجمة نتائج البحوث أولا بأول الى برامج والى تشريعات والاستفادة منها فى التخطيط ، وعند تنفيذ هذه البرامج حيث يجد المسئولون عن التنفيذ تعاون اصحاب المصلحة الحقيقية الذين أجريت من أجلهم وبهم هذه البحوث .

وتعنى النتائج السابقة ، عند كاتب المقال ، أنه على الرغم من حداثة القيام باجراء البحوث العلمية الاجتماعية فى الاتحاد السوفييتى ، فان أهدافها ومجالاتها واختيار موضوعاتها وأدوات جمع حقائقها واستخدام أساليب استخراج نتائجها وتفسير هذه النتائج والاستفادة من هذه النتائج، **تتم جميعها ، فى ضوء أيديولوجية أو فلسفة معينة هى « الفلسفة الماركسية » ، بقصد بناء المجتمع السوفيتى الجديد والانسان السوفيتى الجديد ، أى بقصد تحقيق أهداف اشتراكية لها عائد عام يعمل فى سبيل تحقيقه المجتمع السوفييتى ككل .**

أما البحوث العلمية الاجتماعية فى المجتمعات الغربية فهى أرسخ قدما ، أى أن القيام باجرائها فى هذه المجتمعات أقدم ، ونلاحظ أن أهداف هذه البحوث ومجالاتها واختيار موضوعاتها وأدوات جمع حقائقها واستخدام أساليب استخراج نتائجها وتفسير هذه النتائج ، والاستفادة من هذه النتائج **تتم جميعها ، أيضا ، فى ضوء أيديولوجية أو فلسفة معينة تكون واضحة احيانا وتكون موجودة ضمنا احيانا أخرى ، بقصد الفهم الموضوعى لموضوعات هذه البحوث ، ومحاولة تغييرها لمصلحة شخصية ، مصلحة الفئة التى تستغل الاخرين ، أى بقصد تحقيق أهداف رأسمالية لها عائد خاص يعمل فى سبيل تحقيقه « حفنة من أعضاء المجتمع » أو حكومة تعمل باسم هذه الحفنة .**

وفى هذا الضوء نلاحظ أن أساليب البحث العلمى الاجتماعى فى المجتمع السوفييتى تتفق مع أساليب البحث العلمى الاجتماعى فى المجتمعات الغربية الا فى أمور ثلاثة .. هى :

أ — أهداف البحوث .
ب — اختيار البحوث .
جـ — تفسير نتائج البحوث .

وأنه على الرغم من الاختلاف فى هذه الامور الثلاثة بين الباحثين الاجتماعيين فى المجتمع السوفييتى وفى المجتمعات الغربية ، فان نتائج البحوث العلمية الاجتماعية فى هذه المجتمعات تحقق أهدافها .

— ١٠ —

والملاحظ أن علم الاجتماع ، كما يعلم القارىء العربى ، قد أسسه « **أوجست كونت** » فى الربع الثانى من القرن التاسع عشر ، مع ملاحظة أن كونت لم يكن أول من درس المسائل الاجتماعية أو تلك التى تحوم حول الحياة الاجتماعية البشرية مثل السياسة والاخلاق **والاقتصاد والتشريع** والتاريخ .. الخ . واذا كان أوجست كونت قد نظر الى المجتمع ككل ، فاتخذه موضوعا لعلم مستقل قائم بذاته ، فان « **ابن خلدون** »، كما يعلم القارىء العربى أيضا ، قدفعل ذلك قبل كونت بمدة تزيد على أربعمائة وستين عاما ، ومن ثم فان حق ابن خلدون بلقب « مؤسس علم الاجتماع » أقوى من حق كونت ، ان ابن خلدون قد وضع أسس علم الاجتماع ، وارتفع ببناء ذلك العلم ارتفاعا يستحق الاعجاب ، « الا ان ذلك البنـاء نكب بالاهمال والنسيان ، واندثر تحت رمال الزمان »، وكان أن بعث علم الاجتماع ، مرة أخرى ، فى أوربا فى ضوء ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية جديدة ، وان كان موضوعه ما زال موضوعا مستقلا هو « المجتمع الانسانى » ومنهجه هو « المنهج العلمى » .

واذا كان الموضوع المستقل الذى يستوجب أن يكون علما قد تحددت معالمه وعرفت مفاهيمه ، واعتبر أنه من الامور التى تحدث وتتكون تحت تأثير أسباب وعوامل معينة ، أى من الامور التى تتبع قانون السببية ، وتدخل فى نطاق مبدأ التعيين والحتمية ــ فان المنهج العلمى هو السعى الى التعرف على القوانين التى تحكم الظواهر التى يتضمنها موضوع العلم المستقل ، أى السعى الى الاجابة عن السؤالين كيف ؟ ولماذا ؟ ، أى التعرف على العوامل التى تكون من وراء وجود هذه الظواهر وعلى القوانين التى تحكمها ، مع ملاحظة أن هذا المنهج لا يبحث أبدا ، ولا يهمه أن يبحث أبدا ، عن « الاجتماع الانسانى » موضوعا لعلم مستقل ، ويلاحظ ايضا ، أن وجود أية ظاهرة متوقفة على عوامل متعددة وديناميكية .

أى أن العلم .. أى علم .. هو ، فى الواقع : حصيلة الخبرات الانسانية المنتظمة ، أى الخبرات التى تفسرها القوانين التى يكشفها الانسان عندما يستخدم المنهج العلمى فى دراسة الظواهر انسانية كانت أو مادية ، فالعلم ليس فقط سجلا للاراء ، ولكنه سجل لما تعين هذه الاراء الانسان على ما يقوم به وهو يواجه ظواهر الطبيعة أو ظواهر المجتمع مواجهة موضوعية ، وهو اذ يفعل ذلك يكون دائما مهتديا بالشعار القائل « لا شىء يأتى من لا شىء » .

وقد قال ابن خلدون ، قبل ظهور مفكرى النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى ، بوجوب اتخاذ « الاجتماع الانسانى » موضوعا لعلم مستقل ، وسمى هذا العلم باسم « علم العمران » (أى

التساكن والتنازل في مصر أو حلة ، للانس بالمشين واقتضاء الحاجات] ، وقال ابن خلدون عدة مرات بأن موضوع هذا العلم هو « العمران البشرى والاجتماعى الانسانى » ، مع ملاحظة أن علم العمران عندابنخلدون كان علما شاملا ، لانه يعتبر الحياة السياسيةوالاقتصادية والصناعية والعلمية من مظاهر الحياة الاجتماعية ، وينظر الى الابحاث المتعلقة بها كفروع لعلم الاجتماع .

وقد اعتقد ابن خلدون ، قبل ظهور مفكرى النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى ، بأن الاحوال الاجتماعية تتأتى من عللواسباب، وفهم أن هذه العلل والاسباب تعود فى الدرجة الاولى الى « طبيعة العمران » ، أى الى « طبيعة الاجتماع » .

وقد قال ابن خلدون ، قبل كارل ماركس ، بأن اختلاف الاجيال فى أحوالهم ، انما هو باختلاف نحلتهم من المعاش ، ثم يعلل هذا المبدأ وبعد ذلك يوسعه ويفصله فى فصول عديدة ، وهو بذلك ينم عن نزعة قوية لتعليل الحوادث الاجتماعية بالعوامل الاقتصادية ، ونشر بذور ما يعرف الان باسم « المادية التاريخية » .

ـ ١١ ـ

وفى ضوء النتائج التى استخلصناها فى بند رقم ٩ ، نلاحظ أن موضوع علم الاجتماع فى الاتحاد السوفيتى هو نفس موضوع علم الاجتماع فى المجتمعات الاخرى منذ أوجست كونت بل منذ ابن خلدون قبل كونت بمدة تزيد على أربعمائة وستين عاما ، ان هذا الموضوع هو موضوع مستقل ..هوالمجتمع ككل ، ونلاحظ أيضا أن علم الاجتماع فى الاتحاد السوفيتى يرتبط دائما بفلسفة واضحة هى « الفلسفة الماركسية » وهى مادية ، واذا حاولناأنتبين ارتباط علم الاجتماع فى المجتمعات الغربية ، نجد أنه مرتبط دائما بفلسفة تكون واضحة أحيانا أو غير واضحة أحيانا أخرى ، وان ادعى بعض علماء الاجتماع فى الغرب غير ذلك ، وهى فلسفةفىالاغلب الاعم مثالية .

ويرى بعض علماء الاجتماع السوفيت ، وعلى رأسهم أوسيبوف ، أن مفهوم المجتمع قبل ماركس كان يعنى مجرد « مجموعة من الناس يتغيرون بطريقة أو بأخرى وفقا لمشيئة الحكام » ، ولعل قارىء هذا المقال يرى، كمارأى، أنمعنى مفهوم المجتمع عند ابن خلدون لم يكن كذلك ، وهو بالتأكيدليسالمعنى الذى يتبناه علماء الاجتماع فى المجتمعات الغربيةفى الوقت الحاضر .

صحيح أن ماركس قد أسهم فى اثراء النظرية الاجتماعية فاهتم بالبناء الاقتصادى للمجتمع واستخدم هذا المفهومفىدراساته ، كما اهتم بنمو العمل الانسانى التاريخى على أساس أنه العلاقة الاساسية بين الانسان والطبيعة ، وحاول أن يصنف المجتمعات فى ضوء النظم الاجتماعية الاقتصادية ، وأن ماركس قد أثرى النظرية الاجتماعية ، ما فىذلك من شك ، عن طريق تحليله للبناء الفوقى الايديولوجى فى علاقته بما سماه بـ « الاساس الحقيقى » للمجتمع ، أى أسلوب الانتاج وما يتصل به من علاقات اجتماعية ، وأن ماركس فى ضوء التراث العلمى يعتبر واحدا من مؤسسى « علم الاجتماع المعرفى » ، وكان أول من اهتم بدراسةالثورات دراسة اجتماعية، كما اهتم بمستقبل المجتمع الانسانى حيث نرى ماركس قد استطاع أن ينسج علم الاجتماع والفلسفة الاجتماعيةلينتجمنهما مذهبا يعتبر ليس فقط مادة من المعرفة العلمية بل حافزا ، فى الوقت نفسه : الى العمل السياسى، ومع ذلك فاننا يمكن أننقول بحق ان ابن خلدون ذكر قبل ماركس أن « الاحوال الاجتماعية تتأتى من علل واسباب، وفهم أن هذه العلل والاسباب تعود فى الدرجة الاولى الى « طبيعة العمران » ، أى الى « طبيعة الاجتماع » . وأن ابن خلدون قد أظهر نزعة قوية لتعليل الحوادث الاجتماعية بالعوامل الاقتصادية .

واذا كان علم الاجتماع عند ابن خلدون علما شاملا ، لانه كان يعتبر الحياة السياسية والاقتصادية والصناعية والعلمية من مظاهر الحياة الاجتماعية ، وأنه كان ينظر الى الابحاث المتعلقة بها كفروع لعلم الاجتماع ـ فانه يبدو فى ضوء تعدد مجالات البحوث العلمية الاجتماعية التى يجريها الباحثون الاجتماعيون السوفييت ، وتعدد مستويات اختيار هذه البحوث ، وشمول هذه المستويات ـ أن علم الاجتماع فى المجتمع السوفييتى علم شامل كذلك ، ويدل على ذلك ما يذكره كيل صراحة فى قوله : « أن ندرك الطبيعة ونستخدم قوانينها من أجل ازدهار التقدم التكنولوجى لايعنى الا ناحية واحدة من نواحى تطبيق العلم الذى كسب امتيازا خاصا بظهور انتاج الالة ، أما أن ندرك قوانين الحياة الاجتماعية لكى نستخدمها فى التطبيق فانه يعنى ناحية أخرى من سلطان العلم على التنمية الاجتماعية التى تكتسب أهمية خاصة فى المجتمع الاشتراكى » ، والمعلوم ان مفهوم « التنمية الاجتماعية » يتضمن ، فى رأى المتخصصين فى منظمة الامم المتحدة ، والاتحاد السوفييتى عضو فيها ، عمليات عديدة ، منها ما هو اقتصادى ، ومنها ما هو اجتماعى ، ومنها ما هو نفسى اجتماعى ، ومنها ما هو ثقافى ، ومنها ما هو

سياسي ، ومنها ما هو تربوى ، ومنها ما هو قانونى ، ومنها ما هو ادارى ..الخ .

وعلم الاجتماع في المجتمعات الغربية علم شامل كذلك ، تراه في الولايات المتحدة ، مثلا ، يدرس أو يشترك فى دراسة المجتمع المحلى ، والشخصية ، والنظم الاجتماعية ، والاسرة ، والضبط الاجتماعى ، والتنظيم الاجتماعى ، وعلم الجريمة ، والتاريخ ، والسياسة ، والسكان ، وعلم النفس الاجتماعى ، وعلم الاجتماع المعرفى ، وعلم الانتروبولوجيا ، والريف ، والحضر ، والايكولوجية البشرية ، والتربية .. الخ .

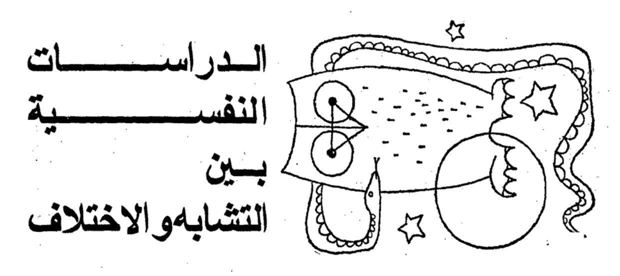
ونلاحظ أن علم الاجتماع فى المجتمع السوفيتى ليس له موضوع مستقل وشامل فحسب ، بل انه يعتمد على الاسلوب العلمى كذلك ، مثله مثل علم الاجتماع فى المجتمعات الاخرى ، وأن الاختلاف بين علم الاجتماع فى المجتمع السوفييتى وبين علم الاجتماع فى المجتمعات الاخرى يرجع الى ربطه بالفلسفة الماركسية . فى حين أن علم الاجتماع فى المجتمعات الاخرى يرتبط بفلسفة أو فلسفات أخرى وان ادعى بعض علماء الاجتماع فى المجتمعات الاخرى غير ذلك ، ويتضح هذا الاختلاف جليا عند اجراء البحوث العلمية الاجتماعية فى هذه المجتمعات ، حيث نجد أهداف هذه البحوث مختلفة ، واختيار موضوعاتها مختلفا ، وتفسير نتائجها مختلفا كذلك .

والملاحظ أن ارتباط علم الاجتماع ، كواحد من العلوم الانسانية ، بايديولوجية معينة أو بفلسفة من الفلسفات السائدة ، أمر ضرورى ، ولا يعيب هذا العلم ذلك ، فالعلم يجب أن يكون ، بالضرورة للمجتمع ، والمجتمعات متباينة ، وايديولوجياتها أو فلسفاتها السائدة متباينة كذلك ، وعلم الاجتماع ، كواحد من العلوم الانسانية ، يهتم بالتعرف موضوعيا على ما هو كائن فى المجتمع لكى يغيره الى ما يجب أن يكون . ويكون التغيير الى ما يجب أن يكون فى المجتمع الاشتراكى ، بالضرورة ، فى سبيل مصلحة الملايين ، وفى المجتمع الرأسمالى يكون التغيير الى ما يجب أن يكون ، بالضرورة ، فى سبيل مصلحة حفنة من أعضاء المجتمع أو حكومة تحكم باسم هذه الحفنة .

ونستلخص من ذلك أن علم الاجتماع هو علم الاجتماع ، ولكن دوره يختلف فى المجتمعات البشرية حسب اختلاف ايديولوجيات هذه المجتمعات ، أو حسب الفلسفات السائدة فى هذه المجتمعات ، وأثر هذا الاختلاف يبدو واضحا ، فى مجتمع أو آخر ، فى أهداف تطبيق القوانين التى يكتشفها هذا العلم ، وفى نمو هذا العلم ، وفى نوعية هذا النمو وفى اتجاهاته .

وفى ضوء المسئولية الجبارة التى يواجهها القادة المثقفون فى مجتمعنا المصرى المعاصر ، ومنهم علماء الاجتماع وطلابه ، فان الرجاء أن يعملوا جاهدين فى سبيل تحقيق وضوح الرؤية فى محيط العلوم كلها وبخاصة العلوم الانسانية منها ، وأن يعملوا على تنقيتها من الشوائب التى تثير البلبلة والحيرة وتنتج العقم فى معظم الاحيان ، وأن يعملوا على ارساء دعائمها فى ضوء مبادىء مجتمعنا الاشتراكية وقيمه ومثله العليا ، حتى يتحقق فعلا وحقا ، بناء مجتمعنا الاشتراكى الجديد .

ولعل ذلك أن يحدث اذا إستطاع هؤلاء القادة أن يخلقوا المناخ الأجتماعي الثقافى الرشيد الذى ييسر العمل الموضوعى فى محيط أعضاء مجتمعنا على اختلاف فئاتهم وجماعاتهم ، **ولعل أول خطوة فى سبيل خلق هذا المناخ أن نبادر بارساء دعائم سياسة اجتماعية ثقافية رشيدة واضحة المعالم** تعمل أجهزة الدولة والاجهزة الشعبية على تباينها **على هديها وهى على بينة من أمرها ، حثيثا ، نحو تحقيق أهداف مجتمعنا فى الحاضر وفى المستقبل لكى يستمر فى صراع التحديات المعاصرة حتى يصرعها وينتصر ، ولكى يتسلط على التحديات العصرية ويصنع مستقبله المشرق .**



الدراسات النفسية بين التشابه والاختلاف

قدري حفني

قطعت المعرفة الانسانية شوطا بعيدا فى شتى دروب العلم محققة من الانجاز ما لا يمكن بحال انكاره كما ولا كيفا . لقد سبح الانسان فى الفضاء ، وفجر الذرة ، واقام جبالا ، وحول أنهارا ، وجفف بحارا ، وأسقط أمطارا . كل ذلك قد انجزته المعرفة الانسانية ، ولكن اذا ما اتصل الامر بالانسان وجدنا تلك المعرفة تتحسس طريقها كما لو ان ظلمة حالكة قد غشيتها وأحاطت بها ، وتشعبت السبل أمامها ، وتدافعت عليها القيود والمحاذير من كل صوب ، وأخذت بخناقها شتى الاعتراضات . ومن هنا فان انجازات العلوم الانسانية بعامة تفتقد الكثير مما يميز بقية انجازات المعرفة الانسانية من اطمئنان لدقة قوانينها وتسليم بصحة نتائجها ، خلاصة القول أن المعرفة الانسانية بالانسان ما زالت تثير قدرا من الخلاف يفوق بكثير ما قد يكون قائما فى بقية مجالات المعرفة من قضايا خلافية. ولسنا نعنى بالقضايا الخلافية تلك القضايا التى يصح أن نطلق عليها اصطلاحا قضايا «تحت البحث» فمثل ذلك النوع من القضايا موجود بل لابد من وجوده فى أى علم حقيقى والا فقد العلم قدرته على التطور وبالتالى فقد مبرر وجوده ، ولكن ما نعنيه بالدقة هو ذلك الخلاف الذى يتصل بنقاط البداية ، أو بالمسلمات الاولية أو بأسس مناهج البحث المفروض اتباعها وما الى ذلك، كان يكون الخلاف مثلا حول موضوع علم النفس أو مجاله أو جوهره أو غايته ، واذا كان وجود مثل تلك القضايا الاساسية الخلافية أدعى الى مزيد من النقاش والتفنيد المتبادل لوجهات النظر ، فان ما حدث بالفعل يكاد يكون العكس تماما ، فالحوار بين علماء الكيمياء وبعضهم او بين علماء الطبيعة وبعضهم مهما اختلفت اوطانهم وتباينت مشاربهم وتعارضت وجهات نظرهم حوار متصل دائم ، اما بالنسبة لعلم النفس والحوار بين علمائه فالامر على النقيض من ذلك تماما ، جدران سميكة من الصمت والتجاهل تفصل بين وجهات النظر المختلفة التى تزداد الشقة بينها وبين بعضها اتساعا ، بل أن تلك الجدران كثيرا ما تمتد لتفصل بين عالمين يحملان نفس وجهة النظر ، ويجريان بحوثهما فى نفس المجال . ولعل اصدق ما يعبر عن ذلك الموقف عبارة وردت فى حديث واحد من أبرز علماء النفس المعاصرين هو هانز ايزنك فى كتابه **ديناميات الحصر والهسيريا** ــ يتناول فيها تباين وجهات النظر بين علماء النفس فيقول ان «كل فريق لا يتحدث بلغة الاخر ، ولا بمفاهيمه ، ولا يستخدم أساليبه ، ونشك كثيرا حتى فى وحدة الهدف الذى يجمعهم ، بالاضافة الى ان كل فريق لا يكاد يقرأ للفريق الآخر » [1] ويكفى ان نشير تأكيدا للمنقول

[1] Eysenck,H.J. The dynamic of anxiety and hysteria, London, 1957.

الى نموذج صارخ من تاريخ علم النفس ؟ ان احدا ـ بصرف النظر عن وجهة نظره ـ لا يمكن أن يجادل فى أن علم النفس مهما كان تعريفنا له قد تأثر تأثرا بالغا بأعمال عملاقين بارزين فى تاريخه هما ايفان بافلوف وسيجموند فرويد ، فاذا ما علمنا أنهما كانا متعاصرين ، بل انهما قد توفيا فى عام واحد حيث امتدت حياة بافلوف من عام ١٨٤٩ الى عام ١٩٣٦ ، كما امتدت حياة فرويد من عام ١٨٥٦ الى عام ١٩٣٦ ، واذا ما علمنا ايضا انهما قد بدآ من مجال متخصص واحد هو مجال علم الفسيولوجيا ، واذا ما علمنا كذلك أن ثقافة أى منهما لم تكن بالثقافة الضيقة ولا المحدودة فضلا عن أن أيا منهما لم يكن ضنينا او مقلا فى كتاباته، فان لنا أن نعجب أشد العجب اذا ما فوجئنا بأن أيا منهما لم يتناول الاخر بنقد ولا بتحليل اللهم الا فى تعليق عابر لا يتجاوز الجملة الواحدة ، ورد على لسان بافلوف ذات يوم ، ثم لا يكاد يوجد بعد ذلك ثمة شىء على الاطلاق .

ولسنا بصدد تقديم تفسير لظاهرة العزلة بين علماء النفس وبعضهم وان لم يكن تفسيرها بالامر العسير ، بل ان ما يعنينا حقا هو ما اتخذته تلك العزلة من صورة صارخة حالت بيننا وبين تطبيقات ومنجزات علم النفس فى الدول الاشتراكية بعامة وفى الاتحاد السوفيتى بوجه خاص .

نحن ومنجزات علم النفس فى المعسكر الاشتراكى

لا يكاد يوجد اليوم من يجادل فى أن أخطر التحديات التى تواجه أمتنا هو التحدى الحضارى ، أو بعبارة أخرى ضرورة الا ندخر وسعا فى سعينا من أجل الاخذ بأسباب التقدم ، ولا يكاد يوجد أيضا من يجادل فى أن أولى الخطوات فى سبيل ذلك السعى لا يمكن أن تكون الا معرفة بما أنجزه غيرنا فى مضمار التقدم الحضارى ، فبدون تلك المعرفة ، ومهما حسنت النوايا وصحت الهمم لن يكون أمامنا الا أن نبدأ الطريق من حيث بدأه غيرنا ونمضى متعرضين لنفس ما تعرضوا له من أخطاء وعثرات ، لتظل الشقة التى تفصل بيننا وبينهم كما هى على أحسن الفروض هذا اذا لم تزدد اتساعا ، وليست معرفة ما أنجزه غيرنا بالمهمة الميسورة ، ولا بالامر اليسير ، فقد انجز غيرنا الكثير ، وقطعوا شوطا بعيدا فى ذلك الانجاز ، ولذلك فبقدر اتساع انفتاحنا على ما أنجزوه يكون احتمال توفيقنا فيما نطمح الى انجازه .

ولو نظرنا الى مسار انفتاحنا على تلك المنجزات ، لوجدنا ظاهرة لا يمكن لعين مدققة أن تخطئها ، وهى أننا كنا ننظر ـ اذا ما نظرنا ـ الى جانب واحد من تلك المنجزات ، أعنى أننا كنا ننظر الى منجزات العالم الغربى أو بتعبير أدق الى منجزات العالم الرأسمالى فحسب ، مسقطين من اعتبارنا ما تم انجازه فى المعسكر الاشتراكى ككل ، متجاهلين اياه ، مغمضين أعيننا عنه نافضين أيدينا منه ، ولم تكن تلك الظاهرة قاصرة على مجال دون غيره أو على علم بعينه دون بقية العلوم ، بل انها كانت تكاد تشمل مجالات العلم جميعا ، واستمر الحال على ذلك طويلا ، الى ان بدأنا بعد ثورة يوليو عام ١٩٥٢ فى الانفتاح على ذلك العالم الرحب ... عالم الانجاز العلمى فى المعسكر الاشتراكى .

ورغم أننا قد قطعنا بالفعل شوطا فى فتح الطريق أمام مسيرة الانفتاح هذه ، الا أنه ما زال ينقصنا الكثير فيما يتصل بالانفتاح على منجزات المعسكر الاشتراكى فى مجال الانسانيات أو ما يسمى اصطلاحا بالعلوم الانسانية ، واذا ما قصرنا حديثنا على علم النفس فاننا نجد ظاهرة تستوقف الانتباه حقا وتستحق التفسير: ـ ابناؤنا الذين يدرسون علم النفس فى المدارس الثانوية لا يكادون يتلقون شيئا على الاطلاق فيما يتصل بتطبيقات أو منجزات ذلك العلم فى المعسكر الاشتراكى اللهم الا سطورا مبعثرة هنا ، او هناك عن بافلوف وتجاربه فى مجال التعلم ، اما ابناؤنا الذين يدرسون علم النفس بل ويتخصصون فيه فى الجامعة فان نصيبهم لن يزيد كثيرا عن تلك السطور المتناثرة القليلة ، واذا ما تخرج أبناؤنا من الجامعات حاملين اجازاتهم الدراسية المتخصصة فى علم النفس ، وسعى المتفوقون من بينهم يلتمسون اطلالة اكاديمية على ما انجزه الاخرون فى فرع تخصصهم لم يجدوا أمامهم سوى الاتجاه غربا ، فبعثاتنا فى علم النفس رغم ندرة عددها لا قبلة لها الا الغرب ولا طواف لها الا حول جامعاته .

ترى من المتسبب فى ذلك التباعد وذلك التجهيل ؟ أهم دارسو علم النفس ، أم انهم مدرسو ذلك العلم ؟ . أم هم القائمون على أمر علم النفس فى المعسكر الاشتراكى ؟ أم انهم القائمون على أمره فى الغرب ؟ أم أنه لامجال للمسئولية هناك؟ حقيقة الامر فيما نرى أن الجذور التاريخية لذلك التباعد لا ترجع الى أسباب تتصل أساسا بعلم النفس وبأهله فحسب ، بل انها اوثق اتصالا بالصراع السياسى الاجتماعى وتياراته ، وان كان ذلك لا ينفى تماما مسئولية كل من تلك الاطراف المشار اليها ـ وبقدر متفاوت ـ عن الموقف الراهن ، ونستطيع على أى حال أن نوجز أهم

الاسباب التى ادت فيما نرى الى ذلك الموقف فى الاسباب التالية :

أولا :

لقد حرص الاستعمار على الحيلولة دون اطلاع أبنائنا وأبناء المناطق الواقعة تحت نفوذه على حقيقة ما يجرى داخل المعسكر الاشتراكى ، ولم يقف ذلك الحظر عند حدود الفكر السياسى لذلك المعسكر ، بل تخطاه فى ذكاء ليشمل منجزات المعسكر الاشتراكى بعامة ، ومنجزات ذلك المعسكر فى العلوم الانسانية بوجه خاص الا من خلال وجهة نظر الفكر الرأسمالى ، ولم يكن ذلك الحرص من جانب الاستعمار أمرا عفويا ، بل كان امتدادا لموقفه السياسى والاقتصادى من الاشتراكية ومعسكرها وأفكارها ، وتدعيما لشعور الشعوب الواقعة تحت تأثير الاستعمار بأن منارات الفكر والتقدم الحضارى لا توجد الا فى الغرب الرأسمالى ، وبالتالى فلا مناص من اعتماد تلك الشعوب فى تطورها على المنجزات العلمية للرأسمالية فحسب .

ثانيا :

لم تدع ظروف الصراع الوطنى والاجتماعى فرصة للمهتمين من أبناء بلادنا بالفكر الاشتراكى لتوجيه قدر من اهتمامهم للبحث عن انجازات المعسكر الاشتراكى فى مجال العلوم الانسانية المتخصصة وتقديمها ، فقد كان جل اهتمامهم منصبا على قضايا الصراع الوطنى والاجتماعى ، واذا ما امتد ذلك الاهتمام الى منجزات المعسكر الاشتراكى ، اتجه أساسا الى منجزاته « الايديولوجية » او « التكنولوجية التطبيقية » اى المخترعات الحديثة ، ولعل ذلك يرجع اساسا الى الاعتقاد بقدرة هذين النوعين بالذات من المنجزات على جذب قطاع اوسع من العامة ومن المثقفين غير المتخصصين الى الفكر الاشتراكى .

ثالثا :

كان لفترة عبادة الفرد التى مر بها المعسكر الاشتراكى تأثير بالغ الضرر على نمو وازدهار العلوم الانسانية وخاصة علم النفس داخل ذلك المعسكر ، ولسوف نتعرض لذلك التأثير بشىء من التفصيل فيما بعد ، ولكن ما يعنينا هنا هو أن تلك الاعاقة قد أدت — فيما أدت اليه — الى انقطاع الحوار بين المتخصصين فى علم النفس داخل المعسكر الاشتراكى والمتخصصين فى ذلك العلم خارج ذلك المعسكر ، مما ساهم فى ضمور نظريات علم النفس وهزال تطبيقاته فى تلك الفترة داخل المعسكر الاشتراكى ، فى حين شهدت نفس تلك الفترة خارج ذلك المعسكر تعددا فى المدارس وتراكما فى البحوث واتساعا فى مجالات التطبيق فى علم النفس مما أوحى وبحق للمهتمين المتخصصين فى علم النفس بأن ضمور وهزال ذلك العلم فى المعسكر الاشتراكى يقابله ثراؤه وغزارته فى المعسكر الرأسمالى بصرف النظر عن الاطار النظرى لهذا او لذاك .

ولقد تفاعلت تلك الاسباب جميعا مع ظروف الصراع الاجتماعى التى كانت تعتمل داخل مجتمعنا ، والتى حددت بصورة أو بأخرى طبيعة الانتماء الفكرى لمثقفينا ومن بينهم جيل الرواد الاوائل لعلم النفس فى بلادنا ، وأدى ذلك كله الى أن علم النفس فى بلادنا لم يجد من كعبة يحج اليها الاجامعات الغرب ، ولامن أنبياء يأخذ عنهم الا علماء الغرب ، ولم يعد هناك سوى علم النفس كما يعرفه الغرب . المبعوثون تتلمذوا عليه ، وبعد عودتهم أساتذة وضعوا المناهج على هديه وقاموا بتدريسه وتخريج جيل من الدارسين الجدد على شاكلتهم وهكذا .

لقد شاعت بيننا أفكار مشوهة متباينة المصادر والدوافع عما يجرى فى المعسكر الاشتراكى فى مجال علم النفس ، فمن قائل بأن بحوث علم النفس فى المعسكر الاشتراكى ليست سوى مقالات دعائية أو على أحسن الفروض مقالات سياسية ، ومن قائل انها مجرد أفكار تحلق فى التنظير ويعوزها التطبيق ، والى جانب هؤلاء قد نجد من يقول بأنه لا ضرورة أصلا لعلوم انسانية فى الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى ، فالماركسية هناك كفيلة بكل شىء ، وقد نجد ايضا من يقول بوجود بحوث علمية تحمل اسم علم النفس فى الاتحاد السوفيتى ولكنها فى الحقيقة لا تتعدى أن تكون بحوثا فى فسيولوجية الجهاز العصبى وغالبا ما تكون بحوثا بافلوفية خالصة لا تربطها بعلم النفس الا أوهى الروابط !! ونستطيع ان نمضى طويلا فى سرد مثل تلك الافكار المشوهة وتقصيها ، وعلى اى حال فاننا لا نستطيع ان نعبر قضية انتشار مثل تلك الافكار دون أن نشير صراحة الى عامل كان له أثر بالغ وان كان سلبيا فى ذلك الانتشار ، ان الاتحاد السوفيتى لم يشرع الا مؤخرا فى نقل انجازاته الحديثة فى علم النفس الى اللغات الاجنبية ، ومازالت عملية النقل هذه تتم فى أضيق نطاق وبتقتير شديد لا يتناسب مطلقا مع اهمية ذلك المجال ، ولا يتناسب ايضا مع ذلك النشاط الفائق الذى يبديه الاتحاد السوفيتى فى نقل المنجزات والافكار السياسية للاشتراكية الى شتى اللغات الاجنبية بما فى ذلك اللغة العربية .

ليس من شك بعد كل ذلك فى أن القاء نظرة على ما يجرى فى الاتحاد السوفيتى فى مجال علم النفس مهمة محفوفة بالمخاطر مليئة بالمنزلقات ، ولعل أخطر تلك المنزلقات والمخاطر — فيما نرى —

هو أن نتوقع أن نجد علم نفس مختلفا تماما عما عرفناه وألفناه ، بحيث اذا خاب توقعنا أخذتنا الدهشة واضطربت في ايدينا الموازين ، بمعنى اننا اذا ما وجدنا ثمة صلة او تشابها بين ما يجرى في الاتحاد السوفيتي في مجال علم النفس وبين بعض ما يجرى في ذلك المجال خارج المعسكر الاشتراكي ، فوجئنا ووقعنا أسرى فكرتين خاطئتين يبدو أن ليس لهما ثالثة : فنحن اما أن نفتح الطريق امام المفاهيم القائلة بالا علاقة مطلقا بين العلم والمجتمع ، وأن العلم لا طبقي بطبيعته ، واما القول بأن ثمة ردة أو انحرافا قد انتاب العلماء السوفيت وجنح بهم الى سبيل الفكر الرأسمالي في تناولهم لقضايا علم النفس .

ترى ما مصدر ذلك التوقع الذي يهددنا بكل ذلك الخلط ؟ ان مصدره فيما نرى تصور مثالي لطبيعة الانسان وطبيعة الاشتراكية ، تصور مثالي مؤداه أن الانسان الاشتراكي لابد وأن يختلف تماما عن الانسان الرأسمالي ، وذلك ليس صحيحا على الاطلاق ، فالانسان الاشتراكي يشبه الانسان الرأسمالي ويختلف عنه في نفس الوقت ، والقول بأنه يختلف عنه كلية لا يقل خطأ — ان لم يزد — عن القول بأنه لا يفترق عنه على الاطلاق ، صحيح أن الاشتراكية **تغير من الانسان** ولكنها **لا تغير الانسان** ، ولذلك فمادام علم النفس علما يدرس الانسان ، فان لنا أن نتوقع أن يتغير شيء ما من علم النفس في المجتمع الاشتراكي ولسنا في مجال الحديث التفصيلي عن حدود وطبيعة ذلك الشيء ، ولكن ليس لنا بحال أن نتوقع أن تنقطع الصلة تماما بين ذلك العلم وبينه في المجتمع الرأسمالي .

علم النفس بين التشابه والاختلاف

ان ما قد نلحظه من تشابه في مجال علم النفس بين المعسكر الاشتراكي والمعسكر الرأسمالي لا ينبغي أن يدهشنا بحال ، فهناك ولاشك — كما سبق أن أشرنا — قدر من التشابه في الخصائص أو المكونات الاساسية بين الانسان الاشتراكي والانسان الرأسمالي ، بل وبينه وبين الانسان البدائي ايضا ، وهناك ايضا حقيقة ان المجتمع الاشتراكي ليس نفيا سلبيا كاملا للمجتمع البرجوازي بل ان الاستمرار الديالكتيكي للمجتمع الانساني يجعل من المحتم أن نجد لمنجزات الرأسمالية في كافة المجالات — ومنها مجال علم النفس — استمرارا بصورة أو بأخرى في المجتمع الاشتراكي .

وفضلا عن كل ذلك يبقى الا ننسى أن ما نطلق عليه تجاوزا تعبير « علم النفس الغربي » أو « علم النفس في المجتمعات الرأسمالية » انما هو في الحقيقة علوم للنفس وليس علما واحدا ، صحيح ان الاتحاد السوفيتي لا يخلو من مدارس لعلم النفس ولكنا لا نجاوز الحقيقة كثيرا اذا ما قلنا بأن ثمة تيارا واحدا ينتظم تلك المدارس جميعا ، أما فيما يتعلق بعلم النفس الغربي فالامر يختلف تماما فليست هناك مجرد مدارس متعددة أو نظريات متعددة لعلم النفس ، بل ان الاهم هو أن تلك النظريات وتلك المدارس تختلف اتجاهاتها وتتباين وجهات نظرها بل وتتعارض تفسيراتها بدرجة دفعت بواحد من أبرز من كتبوا عن الانسان في العالم الغربي وهو أرنست كاسيرر في كتابه مقال عن الانسان الى القول معلقا على تطور البحوث النفسية [٢] « ... نتيجة لهذا التطور فقدت نظريتنا عن الانسان مركزها الفكري ، لقد اكتسبنا في مقابل هذا فوضى فكرية كاملة » . ان ظاهرة تعدد وتباين المدارس في علم النفس الغربي ينبغي ان تجعلنا اكثر تهيؤا بقبول قدر معقول من التشابه بين علم النفس في الاتحاد السوفيتي وبين مدرسة أو أخرى من تلك المدارس المتصارعة في علم النفس الغربي ، فاختلاف وجهات النظر بين تلك المدارس يمكن النظر اليه باعتبار أنه يمثل — الى حد كبير — انعكاسا لصراع اجتماعي تدور رحاه داخل تلك المجتمعات ، وكما أن المواقف من الصراع الاجتماعي تختلف بعدا أو قربا عن الموقف الثوري ، فان وجهات النظر هذه قد تختلف ايضا بعدا أو قربا عن الاساس المادي الجدلي لفهم الانسان ، وهو الاساس الذي يقوم عليه — أو ينبغي أن يقوم عليه — علم النفس في الاتحاد السوفيتي ، ومن ناحية أخرى ، فان تلك الظاهرة — أعني ظاهرة تعدد وتباين المدارس في علم النفس الغربي — ينبغي أن تجعلنا على حذر في اصدار أحكامنا فيما يتصل بأوجه التشابه أو الاختلاف بين علم النفس في الاتحاد السوفيتي وعلم النفس الغربي ، أي أنه ينبغي في حديثنا عن التشابه أو الاختلاف في هذا المجال أن نحدد .. أي من مدارس علم النفس الغربي نعنيها بذلك الحديث .

ورغم تعدد وتباين وتناقض مدارس علم النفس خارج المعسكر الاشتراكي ، الا اننا نستطيع دون جهد كبير أن نميز بين تيارين رئيسيين ينتظمان تلك المدارس جميعا على ما بينها من تناقض ، تيار يضم مدرسة التحليل النفسي بتفرعاتها المختلفة ، وهو التيار الذي يعتمد أساسا في اضافاته ومكتشفاته على حذق ومهارة العالم أو المحلل ، وتيار القياس النفسي بتفرعاته المختلفة أيضا والذي

---

[٢] انظر مقال « علم النفس بين الطبقيـة والموضـوعية » مجلة الفكر المعاصر ، العدد ٦٨ اكتوبر سنة ١٩٧٠
Cassiter, E-An essay on man, New York, 1953.

يعتمد فى اضافاته ومكتشفاته على نتائج القياس الموضوعى للظواهر النفسية التى يسلم ابتداء بقابليتها لذلك القياس شانها شان بقية ظواهر الحياة ، وعلم النفس فى الاتحاد السوفيتى يرفض رفضا مبدئيا تقليديا تيارا كاملا ضخما فى علم النفس الغربى هو تيار التحليل النفسى وما يتفرع عنه من مدارس فى التفسير أو العلاج ، وبغض النظر عن صحة أو خطأ ذلك الموقف فانه ليس أمامنا اذا ما كنا بصدد البحث عن أوجه للتشابه أو الاختلاف أن نحدد بحثنا فى التيار الثانى ، اعنى تيار القياس والتجريب محاولين ان نلتمس فيه بغيتنا ٠

علم النفس فى الاتحـاد السوفيتى

(أ) نظرة الى التاريخ : لا يمكن لمن يتصدى للحديث عن علم النفس فى الاتحاد السوفيتى أن يبدأ مباشرة بالحديث عن الموقف الراهن ، فنظرة ولو سريعة الى التاريخ الخاص الذى مر به ذلك العلم فى الاتحاد السوفيتى سوف تسهم بلاشك فى القاء قدر من الضوء على الكثير من سمات الموقف الراهن والتى قد تستعصى على الفهم لو نظرنا اليها فى وضعها الراهن فحسب دون ان نربطها بالتطور التاريخى لعلم النفس فى تلك البلاد ٠

لقد كان علم النفس فى « الاتحاد السوفيتى » قبل الثورة البلشفية جزءا من علم النفس الغربى يشترك بصورة أو بأخرى فى صراعاته وينتمى بشكل أو بآخر الى مدارسه ولم تختلف الصورة كثيرا بعد قيام الثورة مباشرة ، صحيح أن الثورة لم تهمل علم النفس بل ان قرار لينين الشهير بضرورة توفير اللحم للكلاب التى كان يجرى عليها بافلوف تجاربه لدليل صريح على عدم الاهمال ، ولكن صحيح أيضا أن ذلك الاهتمام ببافلوف وبحوثه لم يكن يعنى بحال من الاحوال اغلاق الباب فى وجه بقية مدارس وتيارات علم النفس ، واستمر الحال كذلك الى أن دخل الاتحاد السوفيتى فى مرحلة عبادة الفرد ٠

واذا كانت ظاهرة عبادة الفرد وآثارها قد دفعت الكثيرين من الكتاب والمفكرين داخل الاتحـاد السوفيتى وخارجه الى الكتابة عنها وتحليلها كل من وجهة نظره ووفقا لاهتماماته ، فقد كان لتلك الظاهرة تأثير بالغ وحاسم على العلوم الانسانية بعامة وعلى علم النفس بوجه خاص رغم أن ذلك التأثير لم يلق حتى الان ما يستحقه من عناية الدرس والتحليل والتفسير ، ويكفينا للدلالة على عمق ذلك التأثير وخطورته أن نشير الى نص قرار شهير اتخذته اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى خلال عام ١٩٣٦ جاء فيه :

تعتبر اللجنة المركزية للحزب أن ما يسمى بعلم البيدولوجيا سـواء من حيث النظـرية أو من حيث التطبيق انما يمثـل مواقف علميـة زائفة ومعادية للماركسية ، وترتكز تلك المواقف اولا وقبل كل شىء على « القانون » الاساسى للبيـدولوجيـا المعاصرة ـ أى « قانون » اعتماد نمو الاطفال على عوامل بيولوجية واجتماعية ، وعلى تأثير الوراثة ، ونوع ما من البيئـة غيـر المتغيـرة ، ان هذا « القانون » البالغ الرجعية انما يتناقض تماما مع الماركسية وتطبيقها فى البناء الاشتراكى ٠٠٠ ان ظهور مثل تلك النظرية لم يكن ممكنا الا لان وجهات نظر ومبادىء البيدولوجيا البـرجوازية المعادية للعلم قد تسربت دون تمحيص داخل علم التربية السوفيتى ، وتهدف تلك المبادىء ووجهات النظر الى الحفاظ على الطبقات الحاكمة ، وتعمل بذلك على اثبات أن هناك مواهبا وحقوقا خاصة تبرر وجود الطبقات المستغلة ، و « الاجنـاس الارقى » بينما هى من ناحية أخرى تأخذ على عاتقها اثبات أن الطبقة العاملة أو « الاجنـاس الدنيا » محتـوم عليهـا الاخفـاق انفعـاليا وبدنيا [٣] ٠

وليست خطورة مثل هذا القرار فى مجرد رفض مدرسة معينة او الاعتـراض على وجهة نظر معينة ، ولكن مكمن الخطورة الحقيقى هو ان ذلك الرفض لم يبد أدنى اهتمام بمناقشة أفكار تلك المدرسة فى حدود تخصصها والرد عليها بحجج علمية موضوعية متخصصـة تثبت فسـادها وخطأها ، بل على العكس تماما فانه بصدور القرار أصبح الترويج لمثل تلك الافكار خطيئة لا تغتفر ٠

لقد خسر علم النفس كثيرا فى ظل عبادة الفرد ، وليس نص القرار الذى أوردناه الا تجسيدا لاتجاه عام أدى الى وأد كل محاولة للنقاش الخلاق بين علماء النفس فى الاتحاد السوفيتى وبعضهم أو حتى بينهم وبين سواهم من العلماء ٠ ترى ماهى اذن الصورة الفعلية التى كان عليها علم النفس فى ظل سيادة عبادة الفرد فى الاتحاد السوفيتى قد يتبادر الى الذهن للوهلة الاولى أن نظرية بافلوف كانت هى النظرية « الرسمية » السائدة آنذاك ، ولقد كان بافلوف عالما عظيما ما فى ذلك شك ، ولكن كم من الاخطاء ترتكب باسم عظمة مثل هؤلاء العلماء !! لقد توصل بافلوف من خلال بحوثه التى

---

[٣] Pedology علم دراسة حياة الاطفال وتطورهم ٠

اجرائها على الخصائص الاساسية للجهاز العصبى ، والتى بنى عليها نظريته عن الانماط الحيوانية الى انلذلك الجهاز خصائص ثلاثةهى: أ ـ قوة العمليات العصبية • ب ـ قابلية تلك العمليات للحركة • جـ ـ التعادل بين عمليات التهيج والكف • واستخلص بافلوف من خلال تلك الخصائص الثلاث ـ تصاحبها واختلافها ـ أنماطا أربعة للجهاز العصبى • ذلك هو ما توصل اليه بافلوف ، ولقد شهدت الفترة التى نحن بصددها محاولات عديدة لتطبيق أفكار بافلوف على الانسان معتمدة أساسا على فكرة الانماط الاربعة للجهاز العصبى بهدف الوصول الى تمييز الانماط الاربعة التى ينقسم اليها البشر ، ومن أبرز الاسماء التى ارتبطت بل وتصدرت تلك المحاولات ايفانوف سومولنسكى الذى قسم البشر بالفعل الى أنماط أربعة وفقا لنظرية بافلوف • ويقرر عالم النفس السوفيتى الشهير تيبلوف صراحة [٤] ، انه رغم جمود سومولنسكى وعدم تطوره مع تطور بافلوف نفسه عام ١٩٣٥ الا أن اسمه وتقسيمه ظلا مرتبطين ارتباطا وثيقا باسم بافلوف ، بل ان فكرة تقسيم البشر الى أربعة أنماط بالذات ، وربط ذلك باسم بافلوف وصلت فى الحاحها الى أن الباحثين حين كانوا يصطدمون بواقع أن أغلب الناس لا يمكن وضعهم بصراحة داخل أحد الانماط ، كانوا سرعان ما يطلقون عليهم اسم « **الانماط المركبة** » اى ان تمسك الباحثين فى تلك الفترة بالافكار « الرسمية » كان يدفع بهم الى التنكر للواقع والالتفاف حول حقائقه واخضاعها لافكارهم بدلا من تغيير أفكارهم هم وتطويرها وفقا لما يمليه ذلك الواقع، ولا شك أن المتتبع لمسار علم النفس السوفييتى يستطيع ان يتبين دون جهد كبير ان مثل تلك المواقفالمتخلفة علميا آخذة فىالانقشاع تدريجيا •

(ب) **نظرة الى المنهج** : يتناول عالم النفس السوفيتى روبنشتين قضية المنهج فى علم النفس فيحدد اولا الموقعالذى يحتله علم النفس بينبقية العلوم ، مقررا « [٥] ان علم النفس واحد من العلوم التى تدور حول **طبيعة** الانسان كنتاج تاريخى مشروط اجتماعيا » ، ويمضى مؤكدا « ان أساليب البحث النفسى شأنها شأن أساليب البحث العلمى عامة تتحدد بشكل واع وبقدر يزيد أو يقل بالتصور النظرى الذى تقوم عليه • فهذا التصور النظرى هو الذىيحدد بنيان البحث » ثم يحدد بدقة تصوره لما ينبغى أن يكون عليه البحث النفسى أسلوبا وبنيانا فيقول « ان العامل الحاسم هنا ينبغى أن يكون التصور المادى الجدلى للحتمية ، والتعبير المباشر عن هذا التصور هو فكرة أن الاسباب الخارجية انما تمارس فاعليتها خلال شروط داخلية » ويكرر تيبلوف نفس المعنى تقريبا مع مزيد من التحديد فيقول : « وفقا لمفهوم الماركسية عنالحتمية فانه ينبغى لكىيؤثر العالم الخارجى على عالم الانسان الداخلى أن يوجد فى تلك الظروف الداخلية ما يمثل العالم الخارجى » ويرى تيبلوف أن الخصائص الولادية للجهاز العصبى هى خير من يقوم بذلك الدور •

نستطيع اذن أن نحدد دون خوض فى التفاصيل طبيعة المنهج الذى يتميز به علم النفس فى الاتحاد السوفيتى بأنه منهج ينظر الى الانسان نظرة مادية جدلية ، ذلك هو الخط العام الذى يلتزم به العاملون فى هذا المجال ، ووجود ذلك الخط لا يعنى بحال أن تعتمد وجهة النظر المعينة على اتفاقها مع قوانين المادية الجدلية فى اثبات صحتها ـ بل على العكس فانه يعنى ان تعتمد المادية الجدلية فى اثبات صحتها ـ وهذا هو ما يحدث بالفعل ـ على اتفاقها مع ما تصل اليه النظريات العلمية الصحيحة من نتائج •

[جـ] **نموذج من البحوث** : ان اختيار نموذج عملى لبحث فى مجال علم النفس تم بالفعل فى الاتحاد السوفيتىليسبالامر السهل ، خاصة اذا ما حرصنا على عدم اغراق القارىء فى التفصيلات والمصطلحاتالفنيةالخاصة والمعقدة، واذاماراعينا فى الوقت نفسه حداثة البحث وصلاحيته كنموذج يحمل الطابع العام للبحوث فى هذا المجال •

وقد آثرنا أن نختار ذلك النموذج من مجال بحوث الادراك فى الاتحاد السوفيتى نظرا لما تمثله قضية الادراك من أهمية عملية ومنهجية فى مجال علم النفسبعامة ، ومجاله فىالاتحاد السوفييتى بوجه خاص، حتى ان العالمينالسوفيتيين ليونتيف وجبنرايتر [٦] يؤكدان «ان مشكلة الادراك واحدة من المشكلات الرئيسية فى علم النفس ، وذلك يعنى أن البحث فى الادراك يلمس الكثير من المشاكل النفسية البالغة الاهمية ، ومن ناحية أخرى فان تناول الادراكومناهجدراسته تعتمد مباشرة على النظريات السيكلوجية العامة ، وتتغير تبعا لتغير

[٤] Teplou, B.M. Typological properlies of the nervous system and their psychological manifestations, Moscow, 1951.
[٥] Rubiustein, S.L. Problems of Psychological theory, Moscow, 1966.
[٦] Leontyev, A.N. and Gippenreiter, Y.B. Concerning the activity af man,s visual System, Moscow, 1966.

تلك النظريات . وذلك هو السبب في أن الباحثين غالبا ما يعاودون البحث من جديد في مشكلة الادراك » .

والبحث الذي اخترناه نشره عام ١٩٦٦ العالمان السوفيتيان زاربوروشتس وزينخنكو [٧] اللذان يعملان في قسم علم النفس بجامعة موسكو وكذلك في هيئة التربية قبل المدرسية وأكاديمية العلوم التربوية ، وعنوان بحثهما « تطور النشاط الادراكي ، وتكون الصورة الحسية لدى الطفل » ، ويقوم البحث أساسا على مناقشة لتجربة عملية قام بها زينخنكو عام ١٩٦٢ في مجال نمو النشاط الادراكي لدى الأطفال في عملية الادراك البصري لاشكال الموضوعات .

يبدأ البحث بعرض تفصيلي للتراث السابق في هذا المجال يستخلص منه الباحثان أن « عملية الادراك انما هي أفعال فريدة تهدف الى فحص موضوع ما ، وخلق نموذج له ، وتكوين صورته الادراكية » ، وان المكون الحركي يلعب دورا بالغ الاهمية في تلك العملية متمثلا مثلا في حركات الأيدي في تناولها للموضوع ، وحركات العيون في تتبعها لخطوطه المحددة ، وينصب بحث زينخنكو المشار اليه على حركات العين واسهامها في عملية الادراك البصري للموضوعات .

وقد استخدم الباحث في دراسته جهازا للتسجيل السينمائي لحركات العين خلال تتبعها لاشكال غير متماثلة تتراوح مساحتها بين ٣٠ و٤٠ سنتيمترا اثناء عرضها على شاشة للعرض السينمائي توجد في منتصفها فجوة وضعت فيها الكاميرا الخاصة بتسجيل حركة العين .

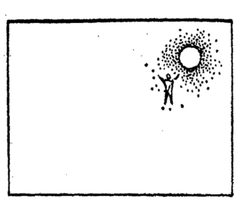
وكانت العينة التي أجرى عليها الباحث تجربته تتكون من ٢٤ طفلا من مرحلة ما قبل المدرسة يكونون ٤ مجموعات عمرية : ٣ سنوات و٤ سنوات و٥ سنوات و٦ سنوات ، تضم كل مجموعة ستة اطفال .

وتتلخص خطة التجربة في أنه كان يطلب من الاطفال أثناء تصويرهم القيام بالافعال الاتية :
١ ـ فحص أحد الاشكال (٢٠ ثانية) .
٢ ـ ملاحظة مؤشر يتحرك على الخط المحيطي للشكل (دوران بطيء يستغرق من ١٥ ـ ١٦ ثانية ، دوران سريع يستغرق من ٥ ـ ٦ ثوان) .
٣ ـ اعادةتمثيل الشكل (٢٠ ثانية على الاكثر) .
ولقد كلف بهذه الاعمال ١٢ طفلا ، ثلاثة من كل مجموعة عمرية ، وكلفت المجموعة الثانية وتتشكل أيضا من ١٢ طفلا بأداء مهمتين : ١ ـ استعادة بعض الاشكال بعد التعرف عليها تعرفا اوليا [زمن الاستعادة لا يزيد عن ١٥ ثانية]
٢ ـ فحص صور واقعية (زمن الفحص لا يتجاوز ٤٠ ثانية) . وقبل أن تبدأ التجربة تم تعويد الاطفال جميعا على صوت الكاميرا والجو الذي سوف تتم فيه التجربة ، وكان الهدف من التجربة دراسة الاسهام الحركي الذي يتمثل في حركات العين في عملية الادراك ومقارنةمدىذلك الاسهام من مجموعة عمرية الى اخرى بهدف الحصول على صورة مكتملة قدر الامكان لتطوره .

وقد لا تعنينا نتائج تلك التجربة كثيرا في هذا المقام ، ولكن ما يعنينا حقا هو التصميم المنهجي المحكم للبحث سواء في الاستهلال بعرض الجهود السابقة ثم ابراز المشكلة وتحديدها ثم احكام اختيار وتصميم أدوات البحث ثم اختيار العينة المناسبة.واخيرا وضعخطةمحكمة للتجربة تضمن التحكم في مختلف العوامل ، المسألة هنا اذن لم تعد قضية يمكن أن تحسم بقرار من أعلى ولا مجرد مشكلة نظرية تحسمها قوانين المادية الجدلية دون ان يعني الباحث سوى الرجوع الى الكتب والمصنفات النظرية ، الامر يتطلب أن يقرأ الباحث جهود من سبقوه في ذلك المجال ثم أن يصمم خطة عملية لفحص فروضه ، ثم يحدد أدواته ، وخطة توصله الى نتائجه ، ثم له بعد ذلك ـ وليس قبله بحال ـ أن يقرر اتفاق نتائجه مع المادية الجدلية وأن ذلك الاتفاق انما يثري قوانين المادية الجدلية ويؤكد من صحتها ويقوي من مكانتها .

---

[٧] Zaporoyheto, A.V. and Zinchenko, V.P. Development of Perceptual activity and formation of a sensory image in the child, Moscow, 1966.



علم النفس في ظل النظام الاشتراكي

(دراسة من واقع جمهورية المجر الشعبية)

لطفي فطيم

لا يزال موضوع علم النفس واساليب البحث فيه موضع شد وجذب بين مختلف التيارات الفكرية المعاصرة ، بل أن وجهة نظر المادية الجدلية التى يمكن القول انها قد استقرت وتحددت ازاء الكثير من الامور ، لاتزال فى حركة اختمار بالنسبة لعلم النفس.

فقد استقر فى الاذهان حينا ان البافلوفية هى الفكر المادى الجدلى فى علم النفس ، ولكن الكتابات الحديثة لعدد من علماء النفس السوفييت مثل تيلوف ، وفيجوتسكى ، وروبنشتاين تبين انها ليست كذلك .

وقبل ذلك نادى بعض المفكرين الماركسيين فى الاتحاد السوفييتى والمانيا وفرنسا بأن التحليل النفسى الفرويدى هو المادية الجدلية فى علم النفس ، ولكن سرعان ما شن المفكرون الماركسيون بعد ذلك الهجوم على التحليل النفسى .

وفى فرنسا اعتبر المفكر الماركسى البارز بييرنافيل فى وقت ما ان السلوكية هى علم النفس المادى ،ولكن سرعان ماخفت صوته بعد ذلك ، بل ان واطسون مؤسس السلوكية هجر مجال علم النفس ، وعمل مديرا لاحد البنوك فى امريكا .

وعندما ظهرت المقاييس النفسية المختلفة واختبارات الذكاء هاجمها الماركسيون باعتبارها ادوات فى خدمة الرأسمالية ، ومعادية للطبقات العاملة والفقيرة ، ولكن وجدنا بعد ذلك الاتحاد السوفيتي وغيره من الدول الاشتراكية يستخدمون اختبارات القدرات وغيرها من المقاييس ،ولابدأن نذكر هنا عالم النفس الفرنسى البارز وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى هنرى فالون الذى كان من أوائل من استخدموا نوعا من المقاييس لقياس تطور ذكاء الاطفال .

ودار النقاش منذ العقد الثالث للقرن العشرين حول فكرة التجريب والضبط العلمى فى علم النفس ، فنجد بوليتزر المفكر الماركسى الفرنسى المعروف يقول فى كتابه « نقد أسس علم النفس » أن السيكولوجيا المعاصرة وقعت فى نفس الخطأ الذى وقع فيه الطب ، فقد أراد علماء النفس لعلمهم أن يدخل « حظيرة » العلوم المضبوطة ، ويحظى بما

تحظى به هذه العلوم من الدقة والاحترام، فاصطنعوا أدوات القياس الفسيولوجي وانتهوا الى نتائج لا تزيد فى كثير أو قليل عن نتائج علم وظائف الاعضاء، وتبين أن الامل الذى راود علماء النفس باكتشاف « الافعال المنعكسة الشرطية » لم يكن الا سرابا : وقدم بوليتزر صياغة لموضوع علم النفس لا تقضى على الظاهرة الانسانية، فاعتبر « ان موضوع السيكولوجيا يقوم على مجموع الظواهر الانسانية من حيث علاقتها بالفرد الانسانى، اى بوصفها مكونات حياة الانسان وحياة الناس » وأطلق على ذلك أسم الدراما •

ومنذ العقد الخامس من القرن العشرين حتى اليوم لم ينقطع سيل الافكار الجديدة فى علم النفس، فظهر علم النفس الوجودى، وعاد النقاش من جديد بين الماركسيين وأصحاب التحليل النفسى، وظهرت نظرية المعلومات والاتصالات، ملقية أضواء جديدة على نظرية علم النفس، وفى الوقت نفسه تقدمت وتطورت كل المدارس والافكار الكلاسيكية، وزاد استخدام الاحصاء والرياضة فى علم النفس، وظهر علم النفس الرياضى، وادت ابحاث الفضاء الى احكام التجارب النفسية وضبطها وفتح مجالات جديدة امامها، كما ادى اكتشاف العقاقير الجديدة فى العلاج العقلى الى تغيير بعض المفاهيم القديمة ••

هل يعنى ذلك أن علم النفس فى البلاد الرأسمالية قد تخلى عن طابعه الطبقى وأساسه المثالى ؟ أو أن علم النفس الماركسى قد تخلى عن أساسه المادى الجدلى واتجاهه من أجل تحقيق انسانية الانسان ؟

بالطبع لا •• وانما تعترض طريق علم النفس المادى مشاكل عديدة ما زال يجاهد فى سبيل حلها، فهو **اولا** : بحكم كونه من علوم الانسان، تدافع الرأسمالية فيه عن مواقعها بضراوة، لذلك فان تخلصه من الطابع الطبقى ووصوله الى مرتبة علم له قواعده العامة المعترف بها من الجميع أمر يحتاج الى تقدم كبير فى العلم نفسه وفى العلوم المرتبطة به عامة، كما أنه يحتاج على المستوى العالمى الى مزيد من الانتصارات الاشتراكية فى كافة المجالات والاقطار •

ثانيا : ان علم النفس بحكم تاريخه ونشأته منذ القدم مرتبط بالروحية والمثالية والغيبيات المختلفة، لذلك فان ايديولوجية هذه الاتجاهات متغلغلة فيه بدرجة كبيرة، بل ان هناك مدارس وافكار فى علم النفس قامت خصيصا لمناهضة المادية الجدلية، وسوف يمر وقت طويل قبل أن تنتصر المادية انتصارا كاملا [أنظر الفكر المعاصر — يوليو ١٩٧٠ — قدرى حقى : نظرة مادية الى نشأة علم النفس] •

ثالثا : ان نشأة علم النفس الحديث المسمى بالتجريبى ارتبطت باتخاذ مناهج العلوم الطبيعية، وكانت اقامة أول معمل لعلم النفس على يد العالم الالمانى فونت عام ١٧٨٩ هى التاريخ الذى اعتبره مؤرخو علم النفس بدء علم النفس العلمى، ومن الواضح أن هذا التاريخ يرتبط بانتصار الثورة الصناعية، اى انتصار البورجوازية ونظرتها العلمية، لذلك أحرز العلم تقدما فيما يتعلق بالتطبيق واندفع فى ذلك الطريق مما يجبرنا على عدم اغفال ما وصل اليه من نتائج كما يدعونا فى الوقت نفسه الى الحذر فى فهم مدلولات تلك النتائج واستخدامها لتبرير الاضطهاد الرأسمالى •

رابعا : انه كان من نتيجة ذلك كله ان اغفل الجوهر الانسانى للانسان فى دراسة علم النفس وأصبح على الماركسيين أن يتلمسوا طريقهم وسط هذا الخضم الهائل ليحددوا موضوع علمهم تحديدا مضبوطا وكذلك أنسب المناهج العلمية لدراسته •

فالمهمة الملقاة على عاتق علماء النفس الماركسيين مهمة شاقة ولكنهم يتمسكون بقاعدتين أساسيتين : **الاولى** هى اصرارهم على الاساس المادى الجدلى لعلمهم وفضح كافة الاتجاهات الغيبية والاسطورية وقبل العلمية وشبه العلمية، ويتمثل ذلك الاساس فى اعتبارهم النشاط الابداعى للعقل مشروطا بالممارسة العملية، اى بالنشاط الثورى للانسان فى جهوده للسيطرة على الطبيعة، وأن الاحساسات هى الرابطة المباشرة بين العقل والعالم الخارجى وأنها انعكاس ذلك العالم فى العقل، وهم يهتدون فى ذلك بجانب من ابحاث بافلوف فيما اسماه بالعمليات العقلية العليا (النشاط العصبى الراقى) أى نشاط أرقى أجزاء المخ، وكذلك ما كشف عنه من طبيعة تكون العلاقات بين المخ وبين المثيرات المختلفة التى تحيط به (الافعال المنعكسة الشرطية والنظام الاشارى الثانى)، **والثانية** هى النظر الى الانسان بوصفه مجموع علاقاته الاجتماعية من ناحية، وأن المكون الأساسى فى طبيعته هو العمل من ناحية أخرى •

بعبارة أخرى يهتدى علم النفس الماركسى بنظرية لينين فى الانعكاس القائلة بأن شعور الانسان ووعيه لا يعكس العالم الموضوعى فحسب وانما يخلقه كذلك، وبنظرية ماركس فى الانسان القائلة بأن الطبيعة الانسانية هى نتاج للعمل والعلاقات الاجتماعية •

ولا يتسع المجال الآن للافاضة وانما يجب أن نشير الى أنه فى فترة عبادة الفرد فى الدول الاشتراكية ، أصيبت العلوم الانسانية وعلم النفس خاصة بنوع من الجمود والتخلف ،نتيجة الرؤية الاحادية الجانب لعلم النفس ومنجزاته باعتباره مجرد تبرير للاضطهاد الرأسمالى ، وانه علم مثالى يجب رفضه من أساسه .

ان النقاش الواسع الذى يدور اليوم فى أوساط الماركسيين حول علم النفس ، يعنى شيئا واحدا هو أن هناك جهدا جادا لوضع ذلك العلم على المسار الصحيح .

والواقع أن علم نفس الطفل واختبارات الذكاء فى البلاد الرأسمالية قد استخدمت فعلا لخدمة الرأسمالية ، فبينت بعض البحوث الامريكيــــة أن أطفال السود مثلا أقل ذكاء من البيض ، وأن ابناء الطبقات الفقيرة أقل ذكاء من أبناء الطبقــات الغنية ، ولانذهب بعيدا فان الولايات المتحدة تشهد اليوم حركة نسائية عارمة من أجل المســاواة بالرجل والتخلص من بقايا استبداد الرجـل بالمرأة ، ويتهم زعماء تلك الحركة علماء النفس أنهم بعلمهم قد ساعدوا على تأكيد ذلك الاضطهاد وتوسيع مداه .

ومعنى ذلك على وجه العموم هو ان تلك البحوث والافكار متحيزة من ناحية وأن المناخ الاجتماعى ــ الاقتصادى يسمح بالحصول على تلك النتائج ، ولا شك أن استخدام نفس الادوات ــ اذا ما كانت موضوعية فعلا ــ بروح علمية موضوعية وفى ظل مناخ اجتماعى اقتصادى مختلف سيؤدى الى الحصول على نتائج مختلفة .

وقد لخص بوليتزر ببراعــــة هــذه القضية فى كتابه « ازمة علم النفس المعاصر » (الترجمة العربية ــ دار الكاتب العربى ص ١٠٦) فيقول .. تتطلب السيكولوجيا اذن معرفة الحدود الخاصة بالظواهر الانسانية بما هى كذلك ، وبما هى مستقلة عن الفرد ، وهذه المعرفة ضرورية لكى يصبح من الممكن تحديد مجال السيكولوجيا وطرح المسائل بشــكل صحيح ، ولكى تمكــن المعرفة التفصيلية باتجاه وحدود الابحاث والاعتبارات السيكولوجية .. ولذا فان السيكولوجيا تفترض توفر حصيلة من المعارف النابعة من المادية الجدلية لتعتمد عليها بشكل دائم ، وتمثل المادية بالفعل القــاعــدة الايديولوجية الحقيقية للسيكولوجيا الوضــعية ، ويجب الا نظن أن النتائج المترتبة على مثل هذا الاتجاه للسيكولوجيا تخص العادات البورجوازية لعلم النفس وعلمائه فقط ، أى القصور وأحادية الجانب الناتجان من كون السيكولوجيا الكلاسيكية نظام نابع من مصالح الطبقة المسيطرة وبزعماء خدامها ، فهذا ليس فى الواقع سوى جانب واحد من المسالة ، فمن المؤكد أن تدرج المشــاكل السيكولوجية فى الاهمية والافاق الحالية للابحاث واتجاهها واسلوب اجرائها محدود بــدرجة أو بأخرى بالمصالح الطبقية ، وهكذا ظلت قضايا السيكولوجيا حتى يومنا هذا مجرد اسقاط للقيم البورجوازية ، مثلما قام علم نفس الطفل على أساس أنه لا يوجد فى العالم سوى أطفـــال البورجوازية ، ويجب أن نلفت النظر الى أن علم نفس الطفل بدأ بملاحظة السيكولوجيين أنفسهم لاطفالهم ، أى ملاحظات يقوم بها بورجوازيون راشدون على أطفال يعيشون فــى مجتمــع بورجوازى .

كما أنه من الواضح أن العمل لم يتحول الى مشكلة سيكولوجية الا عندما أصبح الانتــاج الرأسمالى فى حاجة الى استغلال رشيد للفرد فراحت السيكولوجيا تكمل فى نطاق السيكوتكنيك ــ أساليب القياس والتوجيه النفسى المختلفــة ــ المهمة التى اضطلعت بها دائما وهى : اكتشاف الوسائل التى تمكن الرأسمالية من استعبـــاد الانسان تماما فى الانتاج ، ويجب أن نشير الى أن هذه المهمة قد تغيرت اليوم بعض الشىء فى البلدان الرأسمالية تحت تأثير عاملين : **اولهما** ،قيام اتحادات ونقابات عمالية قوية ادت الى اجراء بعض البحوث تحت اشرافها ، لا من أجل اخضاع الانســان للانتاج ، ولكن من اجل ارشاده الى احسن الوسائل لتحقيقه . **وثانيهما** الاتجاه الجديد الذى يسير فيه الماركسيون المشتغلون بالسيكوتكنيك فى مجال العمل .

علم النفس فى دولة اشتراكية

ولقد كانت زيارتى الاخيرة لجمهورية المجر الشعبية فرصة لكى ألمس عن قرب وضع علم النفس فى دولة اشتراكية ، وكنت انوى كتابة موضوع مطول عن الماركسية وعلم النفس ، ووجدت أن عرض ماعرفته ولمسته من خلال تلك الزيارة اولا هو خير مدخل لهذا الموضوع حيث أنه يقدم بشكل واقعى الابحاث والاتجاهات التى يقوم بها علماء ماركسيون فى علم النفس .

وفى لقائى مع الاستاذ الدكتور لايوش كاردوش استاذ كرسى علم النفس بجامعة بودابست حاولت ان اجمع كل تساؤلاتى واستفيد من لقاء هذا العالم الجليل فى الاحاطة بتطور علم النفس فى المجر .

بدأت بحوث علم النفس فى المجر بداية متواضعة منذ أوائل القرن الحالى ، وكان رواد العلم الجديد فى المجر — كما فى غيرها — هم علماء الفسيولوجيا وأطباء الامراض العقلية والتربويون والفلاسفة .

وكانت البداية هى البحوث الفسيولوجية التجريبية ، فأجريت تجارب هامة على الذاكرة ارتبطت باسم **بول رانشبورج** ، وهى التجارب التى أدت الى اكتشاف الكف المتجانس Homogenous inhibition الذى حمل اسمه ، ومنذ ذلك الوقت جذبت نتائج رانشبورج اهتمام المتخصصين .

كذلك كان للتحليل النفسى نصيب فى هذه البداية فقد اجتذب **جيزا فرنزى** الذى أصبح من تلامذة فرويد الموهوبين .

وفى ذلك الوقت لم يكن لعلم النفس نصيب فى كراسى الجامعة ، أو معاهد البحث، وانما كان يندرج تحت أقسام الفلسفة المختلفة .

الا أن الوضع تغير تغيرا جذريا فى ظل جمهورية المجر التى قامت عام ١٩١٩ ، فأنشأت جامعة بودابست كرسيا لعلم النفس بها ، شغله أحد تلامذة رانشبورج الموهوبين وهو **جيزا ريفيز**، وقد اكتسبت تجاربه فى سيكولوجية السمع شهرة عالمية ، وأخذ ريفيز على عاتقه مهمة اقامة معمل لعلم النفس التجريبى، ولكن لسوء الحظ سقطت الجمهورية ، وهاجر ريفيز الى امستردام أستاذا بجامعتها ومديرا لمعهد علم النفس بها .

وفى ظل حكم الدكتاتور هورتى انكمش البحث السيكولوجى ، ولم تظهر اية بحوث جادة سوى بعض المبادرات الفردية القليلة ، وبناء على هذه المبادرات اقامت مجموعة من علماء النفس قبل الحرب العالمية الثانية معهدا تجريبيا تابعا لاحد أقسام الفلسفة بجامعة بودابست ، وكان أول مدير له اخصائيا شابا موهوبا هو **بول شيللر** الذى سعى جاهدا لاضعاف صلات المعهد بكرسى **الفلسفة والميتافيزيقا** (*)

وبرز فى ثلاثينات القرن اسم **ليبوت زوندى** ، وكان يقوم بأبحاثه فى معامل الباثولوجيا التابعة للمعهد العالى للطب والتربية، واستطاع ان يبدع اسلوبه فى تشخيص الاضطرابات النفسية، وذلك عن طريق الاختبار الذى ابتكره وسمى باسمه ، وهو اختبار تشخيصى للاضطرابات العقلية لاقى شهرة فى العالم كله ، وعند قيام الحرب العالمية الثانية لجأ زوندى الى سويسرا هربا من الاضطهاد حيث استمر هناك فى أبحاثه التى أثارت اهتماما عظيما بين المشتغلين بعلم النفس .

وتأسس فى ظل نظام هورتى معهد علم نفس الطفل، وكان فرصة للاخصائيين النفسيين الشبان من ذوى الميول التقدمية للقيام بأبحاثهم، فنشطوا فى استقصاء سيكولوجية الفن ، الا أنها كانت نشاطات فردية ، واعتمد **لازلو ماترى** على أبحاث الشخصية وأنماطها ، لكى يثير المسألة فى كتابه « **العمل والحياة** »، وانتظمت الابحاث نوعا ما بتأثير علماء النفس والفلاسفة وتأسست جمعية علم النفس حيث كانت تلقى الابحاث وتعقد المؤتمرات مما اثار اهتمام أوساط اوسع بعلم النفس ، وصدرت مجلة خاصة بعلم النفس وهى « **مجلة علم النفس المجرى** » التى ظلت تصدر **بانتظام حتى عام ١٩٤٢ ، وقبيل الحرب العالمية الثانية ظهرت مجلة أخرى هى « دراسات فى علم النفس** » ، وظهر آخر عدد منها قبل تحرير البلاد من الفاشية، وحوت تلك المجلتان بحوثا كثيرة عن تجارب الاحساس والتفكير .

وبعد التحرير نشط البحث فى علم النفس بشكل كبير ، فأعادت جامعة بودابست انشاء كرسى علم النفس وضمت اليها معهد علم النفس، وبعد رحيل بول شيللر الى أمريكا تولى كرسى علم النفس **الاستاذ لايوش كاردوش** وما زال يتولاه حتى اليوم ، واتسع تعليم علم النفس فى الجامعة والمعاهد العليا ، كما اتخذ معهد علم نفس الطفل اتجاها جديدا ، واستفاد الاخصائيون النفسيون والعلوم المتعاونة معهم من التشجيع الذى قدمه القسم الخاص من أكاديمية العلوم المجرية التى أعيد تنظيمها .

وفى عام ١٩٤٧ ، عادت « مجلة علم النفس المجرى» الى الظهور ، كما استعادت جمعية علم النفس نشاطها ، وخلال تلك السنوات تعرف علماء النفس المجريون على نتائج أعمال زملائهم السوفيت ، فتعرفوا على النواحى النظرية والايديولوجية لمختلف الاتجاهات السيكولوجية وعمقوا معرفتهم بأعمال بافلوف ، الا أن كل فائدة ونفع لهذه الاعمال النظرية لن تظهر أو تؤتى ثمارا مالم يدعمها بحث موازٍ فى مادة علم النفس ذاتها ، تلك المادة التى — لسوء الحظ — تخلفت خلال سنوات عبادة الفرد .

فانحلت جمعية علم النفس وتوقفت مجلة علم النفس المجرى عن الصدور ، وفى الجامعة اقتصرت دراسة علم النفس على مسائل محدودة جدا ، وتوقف اعداد المتخصصين وتدهورت

المعامل، الا انه فى ظل هذه الظروف وبفضل جهود متواضعة جدا استمرت الدراسات التجريبية فى معهد علم نفس الطفل الذى أصبح تحت اشراف اكاديمية العلوم المجرية ٠

وفى المعهد التابع للجامعة بداوا منذ ذلك الحين فى وضع الاختبارات السيكولوجية المقارنة عن التعلم انطلاقا من التجارب التى اجريت على الانسان والحيوان، وتتابعت التجارب والخبرات فى مجال علم النفس التربوى والتعليمى فى معهد علم نفس الطفل ، وقامت بحوث هامة فى مجال علم نفس الطفل والجماعات وذلك فى المعهد القومى للتعليم الذى أسس حديثا ووضع تحت رئاسة **فرانز ميرى**، وفيما بعد حل ذلك المعهد تحت دعوى أنه يبرر الاتجاهات التربوية الرجعية ، وهى الاتجاهات التى ترى أن الطفل يجب ان يكون موضع دراسة علمية مستقلة، وانه يجب دراسته دراسة مستقلة عن سيكولوجية البالغ ، واتهم أنصار تلك المدرسة بأنهم يريدون القول بأن أطفال الطبقة العاملة هم بحكم الميلاد أقل ذكاء وأقل موهبة وأقل قابلية للتعليم من غيرهم ، وقد نشرت بعض المطبوعات التى لخصت البحوث التى دارت فى اطار ذلك المعهد ، اما بقية الدراسات والمقالات الاخرى التى رأت النور فتناولت القضايا الايديولوجية لعلم النفس وكانت فى معظمها تتناول الخطوط العامة ٠

بعد الخمسينات

وما أن انتهت الخمسينات حتى نشطت الاختبارات والبحوث السيكولوجية مرة اخرى ، رغم أن الظروف المواتية لنشاطها - كالمعامل والمكتبات المتخصصة وهيئات علم النفس - لم تكن على ما يرام ، وتحسنت اوضاع تلك الظروف تدريجيا وذلك بفضل الجهود المثمرة للجنة علم النفس بأكاديمية العلوم ، وتعزز هذا التطور وتدعم تحت تأثير انشاء المعاهد المتخصصة لعلم النفس فى العالم الخارجى ، واتجهت البحوث لدراسة مشاكل هذا العلم لا فى علم النفس فحسب، وانما فى العلوم المرتبطة به كذلك كالتربية والفسيولوجيا والطب العقلى ، وأثمرت الجهود التى قامت بها هذه الاقسام والمعاهد ، مما أدى الى قفزة كبيرة فى الدراسات النفسية ٠

● ففى مجال **علم النفس العام** تركزت البحوث حول قضايا الادراك الحسى والتعلم والتفكير ، وكان التوافق الحسى - الحركى المنطلق الرئيسى لهذه البحوث التى تركزت فى قسم علم النفس العام فى معهد علم النفس [وهو نفس معهد علم نفس الطفل القديم الذى أعيد تنظيمه ووضع تحت رعاية أكاديمية العلوم]، ويشرف على هذا القسم **الاستاذ زولت تانزوس** ، وتتناول البحوث مسائل التآزن الوظيفى للبصر و النشاط الحسى الحركى Kinesthesie ودوره فى السيطرة على الحركة ، وأثر الاحساس الاتزانى Proprioception على المراكز البصرية ، والتفاعل الوظيفى بين جهاز الرؤية وجهاز السمع ، وتنظيم الحركة الارادية ، واكملت هذه التجارب بالتحليلات النفسية الفسيولوجية كتسجيل التعديلات الكهربائية السطحية على القشرة المخية ، والاستجابات الكهربائية للشبكية والوظائف البصرية الحركية ،وذلك بفضل الادوات والاجهزة الحديثة ، وأصبحت الحركات المرنة والقوية [مثل حركات أصابع عازف البيانو] ، والسيطرة النفسية عليها احدى القضايا الهامة فى البحوث النفسية الفسيولوجية خاصة بعد الوصول الى الاجهزة الفائقة الحساسية ٠

● اما فى **سيكولوجيا التعلم** فقد تتابعت البحوث التى عمقت وأثرت الدراسات النفسية ، وذلك فى قسم علم النفس بجامعة بودابست تحت اشراف الاستاذ **لايوش كاردوش** ، وكان الهدف الاساسى من البحوث هو دراسة واكتشاف الفروق - وبالتالى الارتباطات الوراثية والتكوينية - بين التعلم عند الانسان وعند الحيوان ، فالنظريات السابقة عن التعلم أقامت نفسها بلا تمييز على التجارب التى أجريت على الانسان والحيوان على السواء ، ولقد أصبحت شرعية هذا المنهج مثار شك فى ضوء نتائج هذه البحوث ، فقد ظهرت فروق واضحة فى مجال السيطرة النفسية على الحركات لدى كل من الانسان والحيوان ، كذلك أجريت تجارب هامة على الكائنات الانسانية فيما يتعلق بالظاهرة المسماة بتكافؤ الأداء لدى الحيوان والانسان ، وهى احدى السمات المميزة لشكل الحركة والنشاط فى المعالجة اليدوية ، وتسمح نتائج هذه التجارب باستخلاص نتائج هامة خاصة باشكال التنظيم الاكثر عمومية فى التعلم الانسانى ، واجريت اختبارات سيكولوجية هامة تحت اشراف الاستاذة **ألونا باركوزى** فى قسم علم النفس بجامعة بودابست حول نشاط المعالجة اليدوية لدى الفرد ولدى الطفل، وقد وضحت هذه التجارب - من ناحية أخرى - الفارق الاساسى بين السيطرة على الافعال لدى الانسان والحيوان ، وقدمت ملخصات لهذه التجارب فى معظم المؤتمرات الدولية لعلم النفس ، واهتم بها العالم الغربى اهتماما كبيرا تجلى فى دعوة معهد علم النفس بجامعة بادوا الايطالية للاستاذ كاردوش للاشراف على تجارب مماثلة لديها ٠

● وفى مجال **علم النفس الفسيولوجي** والتداخلات السيكو فسيولوجية برزت البحوث ذات الاهمية الدولية للاستاذين **كالمان ليساك واندريه جراستيان** وزملائهما ، وهى التجارب التى أجريت فى معهد الفسيولوجيا التابع لجامعة بكس ، وتدور ايضا حول مشاكل التعلم ، فقد بحث هذان العالمان المظاهر المبكرة لتشريط ميكانيزم التعلم والمراحل الاولية للدافعية فى احداث السلوك ، وكذلك أثر ميكانيزمات الدوافع تحت اللحائية فى تنظيم الروابط الشرطية . كذلك فان بحوث العالم الفسيولوجي **يانوش زنتماجوتاى** (معهد التشريح بكلية الطب بجامعة بودابست) حول وظائف الجهاز التوازني بالاذن (ادراك التوازن والنشاط البدنى) هى فى الاساس بحوث ذات طبيعة فسيولوجية ، ولكنها تلمس أيضا مشاكل خطيرة خاصة بسيكولوجية الادراك ، وقد قام **جيورجي** آدم [أستاذ كرسى فسيولوجيا الحيوان بجامعة بودابست] بأبحاث تجريبية هامة هو الاخر فى مجال علم النفس الفسيولوجي حول العلاقات والتجاوب العميق بين الفعل والادراك الحسى الداخلى Interoception ، وقد القت بحوث هذا العالم الضوء على مشكلة الاساس النيوروفسيولوجي للشعور واللاشعور .

وقد تخصص الاستاذ **فرانزلينارد** من معهد علم النفس بأكاديمية العلوم فى سيكولوجيا التفكير وحل مشاكلها ، وتدور تجاربه حول استخلاص العلاقات بين مراحل تطور التفكير وبين عمليات التفكير ذاتها ، وتدور أبحاث فى نفس المجال فى قسم علم النفس بالجامعة ، ولكن من زاوية اخرى ، حيث يتم تحليل مختلف العمليات الفكرية (كالمقارنة والتمييز والتعريف) .

● وفى مجال **علم نفس الشخصية** فقد أجريت بحوث هامة فى معهد علم النفس تحت اشراف الاستاذة **ماترون لايوش** من أجل دراسة الارتباط بين سمات الشخصية وبين احتمالات التشريط والانطفاء Conditioning ، وكذلك من اجل تحليل الانماط الاستجابة المخية Encepnalographique لطراز الشخصية فى حالات الراحة وحالات التعليم ، ومن أجل مختلف المناهج السيكوفسيولوجية فى اختبار الشخصية ، ومن اجل استخلاص استجابات مختلف أنواع الشخصية

وقد ابتكر **لازلوجابور هورفات** مدير قسم اختبارات القدرات في سكك حديد المجر اسلوبا جديدا فى اختبار الشخصية أطلق عليه « اختبار للخطوط العامة للتفكير واتخاذ المواقف »

« Investigation du scheme de la pensée et la prise de position. » وهو يستخدم الان بكثرة لقياس بعض السمات الانفعالية للشخصية .

● وفى مجال **علم النفس التكويني** Genetique **وعلم نفس الطفل** تجرى الان بحوث كثيرة ونشطة ، ويبرز اولا اسم وأعمال **لازلو كليمن** الذى يشغل كرسى علوم التربية فى جامعة بكس ، فقد تابع خلال عدة سنوات مجموعة من التجارب المتعلقة بتفكير التلاميذ فى مختلف الاعمار بهدف اكتشاف الابنية والعمليات المنطقية فى تطور فكر الطفل ، ولما كانت هذه الاختبارات تجرى فى اطار من المواد المدرسية ، فقد استخدمت أيضا نقطة انطلاق لبحوث فى سيكولوجية التعليم والتربية التى تهدف الى اقامة نظام من مقتضيات نمو التفكير ، نظام يمكن ادماجه فى منهج المواد الدراسية ، واضعا فى الاعتبار ـ على أساس من تحليل بنائى منطقى ـ مستوى التطور النفسى الامثل للطفل ، واتخذ جينوسلامون بقسم علم النفس بجامعة بودابست نقطة انطلاقه فى أبحاثه المظاهر المتخصصة لنمو التفكير ، وكانت قضاياه الاساسية هى مظاهر التفكير فى افعال الطفل وتطور هذا التفكير ، كما تدرس **بيلاردناى** فى نفس القسم الاسس النفسية للفهم Comprehension وخاصة دوره فى التقاط المفهومات فى المرحلة العليا من المدرسة الابتدائية ، وتتم فى قسم علم النفس أيضا تجارب هامة حول تكوين المشاعر الايجابية والسلبية المرتبطة بالذاكرة من سن المدرسة حتى البلوغ ، وفى معهد علم النفس التابع للاكاديمية تجرى الابحاث حول النظام الاشاري الثانى (الباقلوفى) وتطور المراحل التمهيدية والاشكال الاولية للغة لدى الاطفال فى سن ما قبل المدرسة .

وقد بادر معهد علم النفس الى القيام بتجارب مركبة فى مجال سيكولوجية التعليم ، حيث يحاول تجرى مبادىء جديدة فى التعليم تسمح بتمثيل أسرع وأعمق للمواد الدراسية التى تزداد عددا وتعقدا يوما بعد يوم ، فتحاول هذه التجارب استبعاد الاساليب التى تعتمد على شرح المدرس وتزيد من النشاط الذاتى للتلاميذ .

● أما فى مجال **الطب النفسى** فان البحوث فيه تتبع مختلف الاساليب ، فهناك اختبارات تتقدمية لقياس الاثر العلاجى للجماعة وذلك فى عيادة طب الاطفال التابعة لجامعة بودابست ، والنقطة

الاساسية فى الاثر العلاجى للجماعة هى التنسيق بين جهود الوالدين أو من يتولى العناية بالطفل الذى يعانى من اضطرابات نفسية وبين تنظيم مواقف صراعية معينة، كما يطبق العلاج الجمعى هذا على مجموعات من مرضى الفصام ونذكر هنا تجربة العلاج بالعمل التى قام بها الطبيب النفسى استيفان بنـديك ، وسجلها فى كتـابه « القفص الذهبى » الذى لاقى رواجـا كبيرا ، وتجرى ترجمته الآن الى العربيـة . ويتجـه عدد كبير من الباحثين الى دراسة امكانية اجراء تعديلات معينة فى الشخصية وخاصة فى حالات الحواز Obsession [الافكار المتسلطة] لدى الافراد الـذين يعـانون من أمراض عضـوية [كالاطفال الذين يعـانون منضـغط الـدم أو تصلب الشرايين المبدئى ، أو الربو .. الخ] كما تجرى دراسـات واسعة حول شخصية مرضى السل ، وقد نشرت معظم هذه الابحاث فى المجلات العلمية والسيكولوجية الاوربية والامريكية .

● وفى مجال **سيكولوجيا العمل** (علم النفس الصناعى والمهنى) أجريت تجارب كثيرة حول دور مختلف العوامل الجوية فى انتاجية العمل ، ودارت ابحاث أخرى حول الاثر المؤقت أو الدائم لمختلف المنتجات الكيماوية على الروح المعنوية ، وعلى الشخصية بوجه عام ، وقد قام **ايمرى مولنار** بعدة بحوث فى هذه الناحية مثل أثر العلاقات الانسانية على العمل الجماعى فى المصنع ، كما جرت أبحاث وتجارب هامة فىقسم علوم التربيةبالمعهد العالى للتربية فى جامعة سجد عن التعب ، وتدور الان ابحاث فى مجـال الاعمال الزراعيـة حول أثر اهتزازات الجرارات على الشخصية وأسـاليب الوقاية من الضوضاء ، وتدور أبحاث منذ عدة سنوات فى نطاق معامل علم النفس الصناعى التابعة لوزارة التعدين والصناعة حول مشاكل الشغل وتنظيمه ergonomie

● وفيما يتعلق**بعلم النفس الاجتماعى**،فقد بدات دراسته فى المجر منذ السنوات الاولى للتحرير ، واثارت استبيانات فرانز ميرى فى ديناميـات الجماعة اهتماما دوليا، ولكن لسوء الحظ فانه فى فترة عبادة الفرد أعيقت تلك الابحاث ولكنها عادت الى الحياة من جديد الان ، وتجرى الان فى قسم علم النفس بالمعهد العالى للتربية الطبية بحوث حول عوامل تكوين الجماعات لدى فاقدى البصر من الاطفال ، ولا يفوتنا أن نشير فى النهاية الى بعض الابحاث القيمة فى مجال سيكولوجيا الفن حيث تحاول بعض الدراسات استخدام المنهـج التجريبى فى بحث مسائل الابداع الادبى والتذوق الفنى .

الاطار النظرى للابحاث

ولكن ماهو الاطار النظرى الذى تدور فىنطاقه تلك الابحاث ؟ .

رغم تشعب البحوث واتساع مداها ومجالاتها فانها جميعا متجانسـة ، وتحـكمها قاعـدتان أساسيتان تسيطران على المفهومات الاساسية لعلم النفس الماركسى ، الاولى ، هى وحدة العمل بين النيوروفسيولوجى وعلم النفس . والثانية ، هى حالة الحتم التاريخى والاجتماعى لعالم الظواهر النفسية الانسانى ، أى حتمية ارتباط الظواهر النفسية بالمستوى الاقتصادى الاجتماعى ومرحلة التطـور التاريخى التى بلغها المجتـمع المعين والبشرية بصفة عامة . ومن البديهى اننا لايمكن أن نكتفى بايراد القواعد العامة ، وانما لابد من توضيح كافة التفاصيل، ولكن هذه القواعد تنتصر باضطراد فى كافة مجالات علم النفس ، وبسبب الحتم الاجتماعى والتـاريخى فـان المسـائل الايديولوجية فى علم النفس تبرز وتتضح فى أشكال أكثر صراحة وتبلورا عنها فى مجالات علوم البيولوجيا أو الفيزياء مثلا ، وينبغى على الباحثين أن يتخذوا موقفا حـازما وثابتا من موضـوع دراستهم ، ويتناول الباحثون المجريون مختلف الاتجاهات الغربية (السلوكية ، الجشطـالت ، التحليل النفسى ، .. الخ] تناولا نقديا جادا، وهم لا يعارضونها معارضـة متسرعة ولايقللـون مـن أهميتها فى تطور علم النفس ،وهم فى الوقت نفسه يناقشون تطبيقاتهـا ومضامينها الخاطئـة التى لا تتفق مع تحليل الوقائع والتى ترجع الى أصول ايديولوجية .

وبنفس الطريقة يتناول علماء النفس فى المجر أبحاث بافلوف ، وهى أبحاث هامة مـن حيث أساسـها الايديولوجى ، ويصـدرون أحكامهم الخالية من أى تحيز ومن أى تفسير خاطىء ، وفى هذا المجال ظهرت دراسة شاملة حول تطبيـق النتائج التى حصل عليها بافلوف فى علم النفس ، وقد قام بهذه الدراسة الاستاذ لايوش كاردوش ، وحاول جهده فيها أن يحدد بدقة الى أية درجـة يمكن تطبيق هذه النتائج فى علم النفس ، وكذلك الامكانيات التى تقدمها وحدود تطبيقها .

ويعتقد الباحثون المجريون أنه يمكن أن تقام بسهولة نظرية خاطئة فى علم النفس اذا تدخلت فيها التأثيرات الايديولوجية غير المحكومة ، ان النظرية الانعكاسية (وهى النظرية المادية الجدلية القائلة بأن الشعور أو الـوعى يعـكس العـالم الموضوعى بلويخلقه) ، والتىازدادت أهميتها بعد الاضواء التى القتها عليها نظـرية المعـلومات والسيبرناطيقا تلعب دورا كبيرا وهاما فى تفسير النتائج التى يحصل عليها الباحثون .

اعداد الباحثين النفسيين

وينعقد الامل الان على تخريج أفواج جديدة من الباحثين النفسيين وفقا للنظام الجديد الذى بدأ منذ عدة سنوات فى جامعة بودابست ، ومدة الدراسة بقسم علم النفس التابع لكلية الاداب هى الان خمس سنوات يمر الطالب خلالها بامتحانين عامين أحدهما بعد السنة الثانية ، والاخر بعد السنة الخامسة ، ولا يحصل الطالب على درجته الجامعية الا بعد تقديم رسالة تفحصها الجامعة وتضع تقديرا لها يضاف الى درجاته فى الامتحان •

وبرنامج الدراسة كالاتى : خلال السنتين الاولى والثانية يختار الطالب موضوعا آخر بجانب علم النفس كاللغة المجرية ، أو اية لغة أجنبية ، أو الرياضيات أو البيولوجيا ، أما فروع علم النفس فيدرس منها أساسا علم النفس العام ، والمواد البيولوجية المتعلقة بعلم النفس (كالتشريح والبيولوجيا وعلم الانسجة) ووسائل التجريب فى علم النفس ، والاحصاء ، وفى نهاية السنة الثانية يمر الطالب بامتحان عام فى علم النفس والمادة الاخرى ، ويتلقى الطالب علم النفس فى كل الفصول الدراسية الاربعة خلال العامين ، وتدرس المواد البيولوجية فى أقسام التشريح والفسيولوجيا فى كلية الطب ، أما الرياضيات فتدرس فى كلية العلوم •

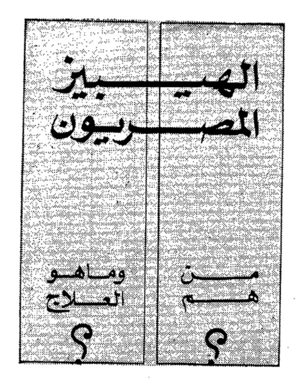
وابتداء من السنة الثالثة يتخصص الطالب فى أحد فروع علم النفس الثلاثة وهى : الاكلينيكى والصناعى والتربوى ، ومن يختر الاكلينيكى أو الصناعى يتوقف عن دراسة المادة الاضافية ، أما التربوى فلابد من دراسة مادة التخصص فى التدريس ، والقاعدة هى أن الاخصائى النفسى التربوى لا يمكنه القيام بمهمته بكفاءة الا اذا كان أيضا يدرس مادة ما ، وقاعدة أخرى هى أن من يتخصص فى فرع ما يتلقى أيضا محاضرات فى الفروع الاخرى ، وفى نهاية السنة الرابعة يتقدم الطالب الى امتحان عام فى كافة المواد التى تلقاها فى تخصصه ، كما يتلقى امتحانا فرعيا فى نهاية السنة الثالثة كذلك •

ويتلقى الطلاب تدريبا عمليا on the Job خارج الجامعة ، ففى أثناء العطلة بين السنتين الثالثة والرابعة لابد للطالب من أن يتلقى تدريبا فى مؤسسة مناسبة لمدة أربعة أسابيع ، وبعد النجاح فى الامتحان العام الثانى (بعد السنة الرابعة) يتلقى الطالب تدريبا عمليا خلال السنة الخامسة التى يعد فيها أيضا رسالته ويصبح مقيدا فى مؤسسة مناسبة (مثل نظام أطباء الامتياز) لمدة ٢٠ ساعة أسبوعيا خلال ثلاثة شهور •

وفى نهاية العام الخامس تفحص الرسالة وينال الطالب درجته الجامعية •

بعد أن أعددت مقالى قرأت الحديث الهام المنشور فى الاهرام ، والذى دار بين **الدكتور محمود فوزى** رئيس الوزراء وبين **الاستاذ محمد حسنين هيكل** ، ولمست اهتمام رئيس الوزراء بتطوير برامج الدراسة وجعلها فى مستوى العصر ، فأضفت ــ اتماما للفائدة ــ هذه الفقرة الاخيرة عن كيفية اعداد الباحثين النفسيين فى جامعة بودابست •





الهيبيز المصريون

من هم ؟ وماهو العلاج ؟

د. رفعت السعيد

تصاعدت فى الاشهر الاخيرة موجات استياء من ظاهرة الهيبيز المصريين ومن سلوكهم المنافى للاخلاق والتقاليد. ومع هذا الاستياء يثور على الفور تساؤل هام .. من هم هؤلاء الهيبيز المصريون وهل هم امتداد للموجة الاوروبية ؟ أم هم نبت آخر لمجتمع مختلف ؟

ولقد تناولت بعض الكتابات هذه الظاهرة ، لكنها تناولتها من جانبها الاخلاقى فحسب ، ومن ثم فقد عجزت ـ من خلال هذا التناول ـ عن تفهم الجذر الحقيقى للمشكلة وعن اقتراح حلول صحيحة لها ، بخلاف مارددته عن ضرورة الحزم واحترام التقاليد .

لكن الامر يتطلب ـ فى اعتقادنا ـ الى تناوله من زاوية مختلفة والى دراسة على اسس سياسية ووفقا لمفهوم طبقى محدد المعالم .

وتستهدف هذه المحاولة القاء الضوء على اتجاهات الهيبيز المصريين والمنابع الفكرية والطبقية لارائهم . رغم اننا نعترف منذ البداية

بانهم يمثلون ظاهرة تافهة ومحدودة فى الاطار العام للمجتمع ، لكن خطورتهم الحقيقية تنبع - فى اعتقادنا - من انهم انعكاس لاوضاع - هى فى ذاتها - ظواهر اجتماعية وسياسية خطيرة تستحق المعالجة السريعة .

الهيبيز الاوربيون ..

تمرد على المجتمع الرأسمالى

والحقيقة انه يتعين علينا لكى نفهم ظاهرة الهيبيز المصريين فهما صحيحا ان نلقى ضوءا سريعا على مواقف ومنطلقات الهيبيز الاوروبيين فى محاولة للفهم والتفريق بين مواقفهم ومواقف زملائهم المصريين .

ففى اوربا الغربية والولايات المتحدة بدأت حركات الهيبيز كمحاولة للاحتجاج والرفض والتخلى عن المجتمع الرأسمالى بكل ما يترتب عليه من استغلال وحروب استعمارية وانتهاك لحرية الانسان .. والهيبيز كفلسفة - او بالدقة كمحاولة للتفلسف - هى انعكاس لافلاس ونفاذ صبر هذه العناصر من ابناء البورجوازية الصغيرة ومن ابناء الطبقة الوسطى (بما تحمله هذه التسمية من معنى خاص فى المجتمع الرأسمالى المتطور) الذين يرفضون المجتمع الرأسمالى القائم ، ويعجزون ، فى نفس الوقت - عن تغييره ، بل ويعجزون عن مواصلة مسيرة المحاولة الجادة لهذا التغيير .

فالصراع الطبقى فى العالم الرأسمالى قد بدأ يتعرض نتيجة لضغوط التوازنات الطبقية المحلية والقارية والعالمية لانحناءات قد يبدو السير فيها رحلة طويلة الامد لا يمكن للبورجوازيين الصغار - بما هو معروف عنهم من نفاذ الصبر - احتمالها ، ومن هنا يأتى موقف الانسلاخ عن المجتمع ككل .. فهو فاسد واستغلالى ولا امل فى اصلاحه ولا سبيل الا انقاذ النفس والخلاص بها بعيدا عن هذه الشرور فى متاهات من اللهو والحب والبطالة ..

وأيا كان حكمنا المتعقل على حركة الهيبيز الاوربية فانها تمثل على أية حال رفضا للمجتمع الرأسمالى القائم على الاستغلال والحرب ، فانها تنطلق من منطلقات ايجابية بالرغم من اتخاذها مسالك سلبية وشاذة وغير مجدية أدت بها من الناحية العملية الى حالة تكاد تصل بها الى الافلاس التام .

ومن هنا فانه من المتصور - نظريا على الاقل - الا تجد فلسفة كهذه مناخا صالحا لانتشارها لافى المجتمعات الاشتراكية ولا فى بعض المجتمعات النامية والمتطورة فى طريق البناء الاشتراكى .

فالشباب فى هذه البلدان قد لا يرضون بشكل او بآخر عن سير الامور فى مجتمعهم ، لكن عدم الرضاء لا يصل الى مرحلة الرفض الكامل ، خاصة وان مجتمعاتهم خالية من الاشكال الاساسية للاستغلال ومن كثير مما يشوه صورة المجتمع الغربى امام شبابه .

ويصل بنا هذا الاستنتاج الى نتيجة محددة ، ان الهيبيز المصريين ليسوا بأية حال امتدادا فكريا او نظريا لهيبيز الغرب الرأسمالى .

من هو الهيبيز المصرى ؟

لنبحث أولا عن موطنه ؟ وتجمع كافة الكتابات على أن مجالات نشاط وظهور الهيبيز هى بلاجات المعمورة والعجمى صيفا ونادى الجزيرة وغيرها من المجالات الارستقراطية شتاء ، ومن هذه المواطن نستطيع بالدقة ان نحدد من هو الهيبيز المصرى .. وماهو موقعه الطبقى ؟

فهو ليس على الاطلاق ابنا لواحد من العمال او الفلاحين او صغار او متوسطى الموظفين او المهنيين . لكننا لو حصرنا هؤلاء الهيبيز بالاسم لوجدنا انهم جميعا ابناء ما يصطلح على تسميته الان بالطبقة الجديدة . وهى فئة نمت خلال السنوات الاخيرة نموا كبيرا سواء من حيث الاتساع او من حيث الثراء .

انها فئة استطاعت ان تفرض وجودها على متطلبات مرحلة الانتقال ، وان تنشر اقتناعا عاما بان وجودها احد الظواهر الموضوعية لهذه المرحلة .

وهى فئة لا تعلن الرفض للمجتمع القائم بل هى تتمسك به الى حد ما ، تريد ان تتستر خلفه ، وهى تعتبر نفسها احدى ثمراته ، وربما اطاحت بها اية موجة تغيير .. ومن هنا فهى مع استمرار النظام القائم لكنها ترفض اى تطوير له ، ذلك ان اى تصحيح للاخطاء فى المجال الاقتصادى يعنى سد السبيل أمام الثغرات التى تستنزف منها ثرواتها . واى تصحيح للاخطاء فى مجال العمل السياسى يعنى استبعادها من مراكز احتلتها تباهيا او ابعادا لشبهة او اجتلابا لجاه وتمكينا لنفوذ ، واى

تصحيح للقيم والاخلاقيات السائدة فى المجتمع يعنى توجيه ضربة لما كسبته هذه الفئة من مكانة على أساس الجاة والثروة والمنصب وهى مكانة متشعبة الاطراف لا تنحصر فحسب فى العلاقات الاجتماعية وانما تمتد ايضا الى مجالات عديدة كالسياسة والكسب المادى ٠٠ الخ ٠

وباختصار فان هذه الفئة ، وهى فئة هامة من كبار الموظفين والتكنوقراطيين والمهنيين والتجار ، تعانى من تناقض غريب ومعقد ، فهى مع هذا المجتمع لانها تعيش على ما تستنزفه منه ثروة وجاها ومكانة ٠٠ لكنها تعيش على ما فيه من ثغرات وجوانب سلبية ، ولهذا فهى تقاوم اية محاولة للتخلص من السلبيات فان القضاء على هذه السلبيات قضاء على الموارد الاصلية لثرواتها ، وهى تعارض غرس القيم الجديدة لان ذلك يعنى ضرب ما تحاول هى ان تفرضه من قيم ، وهى ضد التطوير الاشتراكى والتطلعات الاشتراكية والقيم الاشتراكية لانها جميعا تتنافى مع ما تكتنزه من ثروات ومع ما تستمتع به من رفاهية ٠

وبهذا التناقض المثير يعيش هؤلاء الناس فى قلب المجتمع ، بل وفى بعض الاحيان فى أماكن هامة وحساسة من اجهزته ، أو متصدرين لنشاط اجتماعى أو سياسى أو نقابى ٠٠ وهم بحكم أوضاعهم هذه ملزمون بان يرددوا كل يوم غير ما يؤمنون به من افكار وآراء وقيم اثناء عملهم ثم يعودون الى منازلهم والى جلساتهم الخاصة ليقولوا كلاما آخر مناقض تماما ٠٠

وينشأ الابناء فى هذا المناخ ، ففى المدرسة أو الجامعة يسمعون كلاما عن الاشتراكية والمساواة وفى المنزل مناخ ارستقراطى صرف ، بل هم يشهدون بانفسهم تفسخ الاباء بين ما تفرضه عليه مناصبهم من مواقف واقوال ، وبين ما تمليه عليهم حقيقة اوضاعهم الطبقية وثرواتهم من مواقف واقوال ٠

يشهدون باعينهم وفى كل يوم نفاق الاباء ٠٠ والفارق الهائل بين حديثهم المسموع وهمسهم الخافت ٠٠ يشهدون ذلك كله، ويشعرون — فوق ذلك — بان ظروف المجتمع قد تطوى كل ترفهم فى أية لحظة ، وان عليهم بعد فترة او اخرى ان يعيشوا كما يعيش الاخرين ، فتراكمات ثروات آبائهم — بحكم القوانين الاقتصادية والسياسية فى المجتمع لا يمكنها ان تكون تراكمات استثمارية — وما من ضمان للوصول الى منصب كمنصب الاب فان ذلك يتطلب سنوات طويلة وخبرات خاصة، ويتطلب أيضا ان يتجمد المجتمع فى مكانه بغير تطور وهذا مستحيل ٠٠ ولهذا فليس امامهم بعد أن يتخرجوا من الجامعة الا ان ينتظروا كغيرهم خطاب التعيين ، ثم المرتب ذا السبعة عشر جنيها فى الشهر ٠

ولهذا فانهم يشعرون تجاه المجتمع بالاحتقار والشعار السائد وسطهم — سواء اكان يوضع موضع التطبيق ام لا — هو التخرج ثم الهجرة ، هربا من مجتمع السبعة عشر جنيها فى الشهر ٠٠

انهم يرفضون المجتمع القائم ولكن من منطلق رجعى متخلف ٠

وهكذا فاننا نرى انه اذا كان الهيبيز الغربيون ينطلقون من منطلقات متقدمة محتجين على موقف الاباء ٠٠ فان الهيبيز المصريين ينطلقون من منطلقات رجعية مناهضة للمجتمع الثورى ٠٠ وانهم امتداد وانعكاس طبيعى لحالة التفسخ والتناقض التى يعيشها الاباء ٠

ولعل هذا يفسر التصريحات الغاضبة التى ادلى بها احد المسئولين من انه عجز عن اتخاذ اى موقف تجاه الاعمال اللاأخلاقية والانحلالية التى ارتكبها هؤلاء الشبان لان آباءهم كانوا يؤيدونهم ويشجعونهم ٠

انها ليست ظاهرة تمرد من جانب الشباب ، لكنها فى الاساس — وهذا هو الخطر الحقيقى — تعبير عن تفسخ فئة اجتماعية تحت ثقل متناقضات عميقة لم تعد تستطيع امامها احتمالا ٠٠ ان احدى قدميها لازالت مغروسة بعمق شديد فى ارض الثراء المتزايد والرفاهية غير المحدودة بينما قدمها الاخرى تطفو مع التغييرات الثورية فى المجتمع تظاهرا او تماشيا أو استجلابا لمزيد من فرص الثراء ٠

وهذا وضع غير ممكن الاستمرار ، خاصة مع تصميم المجتمع على مواصلة ثورته ، ومع تصميمه على التخلص من كل مايعوق مسيرته من سلبيات واخطاء ٠ وهنا تشعر هذه الفئة بالخطر وتسارع بالتنكر فى مختلف الثياب رافعة عديدا من الشعارات موجهة عديدا من الاتهامات لدعاة الاصلاح ٠

وباختصار فان الشباب الذين يتحدون المجتمع بالشعور المسدلة والرقصات الخارجة ومابوهات الدانتيل والحفلات الاباحية ليسوا سوى امتداد طبيعى لفئة من المجتمع متحللة ومتناقضة ومتفسخة ٠

ومن الخطأ الفادح تصور ان هذا الموقف مجرد موقف اخلاقى ، بلهو بالتحديد موقف اجتماعى وسياسى وطبقى ٠

لكن ما هو العلاج ؟

قد يبدو من التحليل السابق ان موقف هؤلاء الشبان ، بل وموقف آبائهم هو امتداد منطقى لموقف اجتماعى وطبقى ٠٠ وهذا صحيح تماما ـ لكن ذلك لايعنى بالضرورة انه امتداد حتمى ، فلقد كان من الممكن وببعض الجهد التوصل الى نتيجة مختلفة ٠

فلو ان المجتمع قد تنبه منذ البداية لاستطاع ان يمد يده الى الشبان من ابناء هذه الفئة ليحتضنهم وليحميهم من التناقضات التى يعيشها آباؤهم ٠ وليربيهم بروح ثورية قادرة على حل هذا التناقض حلا ثوريا فى صالح المجتمع وتقدمه ، بل ولربما كان كسب هؤلاء الشبان سبيلا الى كسب الاباء ٠٠

ولو ان المجتمع قد وضع معايير محددة وثورية للاخلاص السياسى لما امكن لمثل هذه العناصر ان تلعب لعبتها المزدوجة ٠

ولو ان المجتمع اتخذ موقفا صارما من تصحيح الاخطاء وتخطى النواقص لسدت عشرات الثغرات التى تحصل منها هذه الفئة على ارباح غير مشروعة ٠٠

ولو ان المجتمع اتخذ موقفا حازما لاستئصال هذه الفئة لما امكن لها ان تستشرى الى هذا الحد ٠٠ والاستئصال الذى اعنيه نوعين ٠٠ استئصال ايجابى بمعنى بذل جهد سياسى واع لاعادة تثقيف هذه الفئة وتوعيتها واكسابها مفاهيم جديدة والزامها جادة العمل السليم والنهج الصحيح فى المجال السياسى والادارى ، وسد الثغرات التى تغزيها بالخطأ والخطيئة ٠٠ ومثل هذا العمل لن يضيع هباء فلا شك فى انه سيكسب الى صف العمل الثورى الصحيح كوادر هامة ذات كفاءة ٠٠

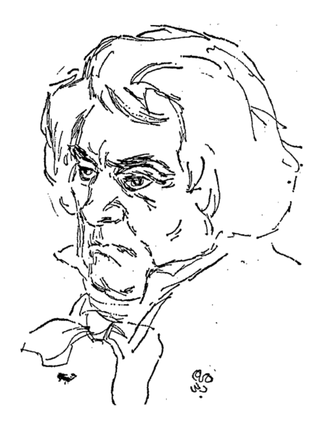
واستئصال سلبى ، بمعنى استبعاد العناصر الاكثر ضررا والاشد شراسة فى العداء للنظام ٠٠

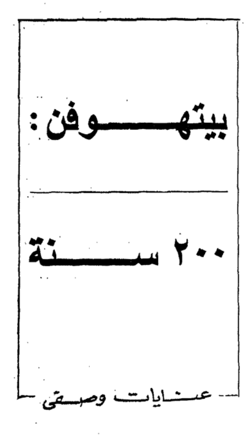
ولا شك فى ان كلا الاسلوبين يخدم الاخر ويعززه ويمكنه من تحقيق اهدافه ٠

لواننافعلناذلكلامكنناانننقذ هذه الفئة من وهدة التناقض المخيف الذى تعيشه ، ولامكننا ان نكفل للبناء الثورى ولاء اعداد هامة من الكوادر ذات الكفاءة ٠

وعلى أية حال فان الوقت لم يفت بعد ، بل ان تعقد المشكلة وبروزها فى صورة انحلال ابناء هذه الفئة يدفعنا الان الى ان نبذل وباقصى سرعة جهدا سياسيا يستهدف فرض قيم المجتمع الجديد، وسد الثغرات التى يتسرب منها الثراء الفاحش وتطويق هذه الفئة تطويقا سياسيا وفكريا ومحاولة اعادة تربيتها بروح ثورية حقة ، واضعين فى الاعتبار قدرتها على التلون وعلى ترديد شعاراتنا مهما كانت ثورية ، طالما انها تبقى مجرد شعارات ولا تتحول الى مجال التطبيق العملى بما يمس امتيازاتها ومكاسبها ٠







في السادس عشر من ديسمبر هذا العام ١٩٧٠ احتفل العالم بمرور مائتى سنة على ميلاد علم من اعلام الموسيقى واحد اركانها الراسخين « لودفيج فان بيتهوفن » الانسان الفنان الموسيقى الذى عرف كيف يحول هزيمته الى انتصـــار ، الرجل الذى قسنـــا عليه القدر فسلبه اعز مايملكه موسيقى ـ وفى فترة نضوجه الفنى ـ وهىحاسة السمع ·ولكن وراء قدرته على تجاوز هذه النكبة كانت تـكمن سر عظمتـــه ، لان اصـــابته بالصـــمم ربمـا جعلتـه ينصت ، ويستمع ، ويبحث فى أعماقه ، ويتـأمل النفس البشرية في معزل عن ضوضاء العالم الخارجى ·

وحياة بيتهوفن الشـخصية جديرة بالبحـث والتامل ، ليس فقط لنبوغه الفنى الذى ترك اسمه لامعا بجانب أعظم من خلدهم التاريخ مثل (دانتى اليجيرى ، مايكل انجلو ، شكسبير ، وجوته) ، ولكن لانه علا أيضا بانسانيته الى ذرى رفيعة حقا · فهو الفنان الذى عرف كيف يصل الى النجـــاح فى فيينـــا بشـــخصيته القومية وبقيمه الانسانية والفنية وليس بخضـوعه للطبقـة الارستقراطية ، كما كان الحال فيمن عاصروه مثل هايدن وموتسارت · وانما عرف كيف يسخر تلك الطبقة لخدمته ، فقد كان له من بين أبنـــاء هـــذه الطبقةتلامذة وأصدقاء أوفياء يتكاتفون لتأكيد حقه فى التأليف والخلق الحر ، وبهذه الصورة ظهر بيتهوفن ولاول مرة فى التاريخ ، ظهر الموسيقى المتحرر من كثير من القيود الاجتماعية والفنية ·· الفنان المستقل الذى يقابل العالم وجها لوجه ·

كان أول موسيقى تخضع مؤلفاته لمبدأ (الفن للفن [١] فسيمفوناته وأعماله لم تكن مؤلفـــات موسيقيةكتبتللترفيه عن المجتمع ، بل كانت [١] تعتبر وثائق فنية قيمةيتجهبها الى الجمهور · ولم يكنجمهورهقاصراعلىالفئة الخاصةمنالنبلاء ،بل كان له مذهب شخصى متميز لما يمكن أن يكون عليه مستمعوه · فكان يخاطب جمهورا لا تحدده طبقات

[١] استخدام هذا التعبير « الفن للفن » ليس له علاقة هنا بالمعنى المبتذل الذى يعزل الفن عن المجتمـع وعن النضال من اجل القيم الانسانية العليا . ولعلنـــا نستخدمه هنا بمعنى تنزيه بيتهوفن لفنه عن أن يكون مجرد سلعة تعرض فى السوق ولشخصه عن أن يكون تابعـــا وخاضعا وخاضعا لضغوط طبقة ، او ناقدا .

ولا تفرقة سياسات ولا تفصله عصور . فهو دائما يتجه بمؤلفاته الى الجماعات يستولى على أفكارهم ، يصارعهم ويكسبهم ويرتفع بهم الى الذروة . يبدلهم ويغير أفكارهم ، فيوحدهم حول الاهداف الانسانية النبيلة .

السادس عشر من ديسمبر من عام ١٧٧٠ ، وفى مدينة صغيرة هادئة - بون الجميلة النائمة على أحد شواطئ الراين ، ولد - فى حجرة متواضعة - طفل جديد لعائلة بيتهوفن وسماه الجد على اسمه « لودفيج »

وكان أبوه موسيقيا يغنى ويقود بعض الفرق الموسيقية ويتابع أخبار الموسيقيين باهتمام . ولكن اهتمامه الاكبر بالنبيذ كان يجعله يعرف عن الخمور أكثر مما يعرفه عن الموسيقى . وقد عرفه أبناؤه كأب قاس وسكير أنانى . وعلى عكس هذا كانت امه ، وقد وصفها معاصروه على النحو التالى : سيدة جميلة رقيقة جدا ، طويلة القامة جادة دائما ، ذكية وفى نشاط دائم ، متواضعة حلوة المعشر تحب الناس . حينما تتكلم تستولى على مستمعيها بحلو حديثها . ويبدو أن هذا كله كان صحيحا لانه على الرغم من حياة رب الاسرة المكرسة للسكر ، وعلى الرغم من اهماله لبيته وزوجته وأولاده ، رغم كل هذا فقد نشأ الاطفال دون أن يشاهدوا أبدا أى مناقشات حامية بين الوالدين ، وأحس الاطفال بما وراء هذا ، فكانوا يحملون أنبل المشاعر والحب والاحترام لامهم .

وكان قلب الصغير لودفيج يتمزق وهو يشعر بعذاب أمه وبتحملها هذا العذاب فى صبر عجيب . وأصبحت الالام تجمعهما فى صمت . وكانت الام تشعر ، هى أيضا ، بما يكنه هذا القلب العظيم من المشاعر والالام التى يكتمهافى صدره . وارتبط بها بحب عميق صحبه طوال حياته . وكانت أمه هى النقطة الوحيدة المضيئة فى محيط العائلة .

كان والده هو أول من علمه الموسيقى . ولكنه كان معلما قاسيا يوقظ الطفل ذو الاربع سنوات فى منتصف الليل عند عودته للاستذكار حتى الصباح ، ثم يرغمه على البقاء للاستذكار على آلة البيانو ساعات وساعات فى أثناء النهار . على أن هذا الاب ، الخشن الطباع ، والمحدود الذكاء كان يطمح الى أن يجعل من ابنه موتسارت ثانيا ، ويالها من رعاية غريبة تلك التى كان يعطيها لطفله ؟ لقد تسلطت على فكر الوالد صورة موتسارت (الطفل الموسيقى الموهوب ، ورأى أن الحل الوحيد لانقاذ الاسرة من الفقر والعذاب انما يكمن فى أن يصبح ابنه طفلا موهوبا تتخاطفه الاوساط الفنية .

ويبهرنا صمت الصغير وتحمله لهذا العذاب دون أن يثور . فكان منذ صغره يغرق فى تفكير عميق حتى لا يزيد من أحزان والدته . .

وقد حمل « لودفيج » على عاتقه مسئوليات اسرته المادية فى سن مبكرة .. تعلم صغيرا القراءة والكتابة ثم التحق بمدرسة ابتدائية عامة تعلم فيها مبادىء اللغة اللاتينية . وفى المرحلة التالية من التعليم أجاد اللغات الفرنسية والايطالية التى أصبح يتحدثها بطلاقة فيما بعد . وكان يجد صعوبة كبيرة فى الرياضيات ، وظلت هذه هى الصعوبة الوحيدة فى دراساته..

وفى سن الثامنة التحق بالاكاديمية الموسيقية لاصدقاء الموسيقى حيث تعلم العزف على الكمان والارغن بجانب دراسته للمواد الموسيقية الاخرى . وفى هذه الاثناء عين الموسيقار « نييف » عازفا للارغن فى بلاط الامير فى بون . وعندما استمع الى عزف الصبى أحس بانه أمام عبقرى ، فقام بتدريسه الموسيقى بشكل منظم ، وحصل له على وظائف بسيطة عمل فيها مساعدا لعازف الارغن بالكنيسة وعازفا للهاربسكورد فى اوركسترا البلاط وايضا كعازف فيولا فى المسرح .

وفى بون توطدت صداقته بأسرة « برونيج » ، فكان يقضى مع أفراد الاسرة أسعد أوقاته ، بين صديق وتلميذ له . اما سيدة البيت فكانت امرأة ذكية رقيقة مثقفة تضفى على البيت جوا من السعادة والهدوء ، وقد وجد فى هذه الاسرة تعويضا عما يلاقيه فى بيته . وكانت ربة البيت توليه من رعايتها وحنانها الكثير ، حتى فيما بعد ، عندما كانا يدرسان معا الاعمال الادبية الكبيرة مثل أعمال « هوميروس » و « شكسبير » . وقد أولع بمؤلفات وأفكار « جوته وشيللر » ، وأصبح يقضى مع هذه المؤلفات معظم أوقاته ، يبحث فيها عن الامان والبعد عن الشر ، والحروب وانحدار المجتمع المعاصر له .

وفى أسرة برونيج تعلم احترام صداقة المرأة . فأصبحت المرأة عنده نموذجا من الحساسية والرقة والثقافة ، كما عرف من قبل فى أمه الاستعداد الدائم للتضحية وتحمل الاعباء فى صمت .

وكان من أهم الشخصيات التى أثرت فى حياته فى تلك الفترة شخصيتان : هما المايسترو الموسيقى « نييف » والكونت فالدشتين الذى اهداه بيانوا كودا علاوة على المساعدات العديدة الاخرى .

بدء الصراع من أجل الاصالة

وقد وجد فيه المعلم نييف - أثناء تلقينه أصول التأليف الموسيقى ما كان يحسه فى نفسه من تطلع الى التحرر من قيود القاعدة . فكان يعتقد ان

الموسيقى الموهوب يجب ألا تخنقه القواعد ، بل يجب أن تكون القاعدة دليله ومساعده . فالقاعدة تنبع من طبيعة الروح والاحساس . وهكذا اهتم « نييف » بأن يوضح هذا الاعتبار للفنان الصغير الذى لم ينس هذا الصديع لاستاذه .

ولعل هذه الطاقة من الاصالة والمقدرة على الابداع الحر هى التى تراءت له فى صورة آلهة الفن التى تأمره فيطيع . هكذا ، وفى سن الرابعة عشر كتب الى أمير كولونيا رسالة (غالبا بضغط من أسرته) ليهديه أولى مؤلفاته :

« سيدى صاحب الخلود . فى سن الرابعة بدأت الموسيقى تفرض نفسها عى وأصبحت أهم شيء لى فى الحياة . وعندما عرفت الهة الفن، التى خرجت روحى بهارمونياتها ، اصبحت كل حياتى ، وهى أيضا احتوتنى باعزاز . والان فى سن الحادية عشرة ، تناديبى ، وتهمس فى أذنى قائلة : فكر واكتب ما تمليه عليك روحك . وكنت أتساءل كيف يكون لى مظهر المؤلف وانا فى الحادية عشرة فقط من عمرى؟ وماذا يقول عنى المؤلفون؟ أحسست بشيء من الخجل ولكن مليكتى أصرت فأطعت وكتبت .

« والان هل أطمع أن أقدم الى عظمتكم أول انتاجى ؟ وهل آمل أن يحظى بنظرة عطف وتشجيع أبوية ؟ ان الفن والعلم يجدان فيك حاميهم . وكل فنان وموهوب يأمل فى أن تشجعه وترعاه ؟؟

وفى سن الخامسة عشرة بدأ يكتب اول سيمفونية ، وهى التى أصبحت فيما بعد اللحن الاساسى للرباعى للبيانو والوتريات . وفى نفس العام كتب ثلاث رباعيات وترية ، وظل يكتب ثلاثيات ورباعيات مختلفة .

كانت فترة نهاية الروكوكو . وبدأت الرومانتيكية تعبث بكل ما هو قديم . ولكن بيتهوفن لم يك ينتمى لا الى الروكوكو ولا الى الرومانتيكية بل كان مستقلا بذاته . وقد رفض جميع التيارات المستحدثة .

وفى ذلك الوقت كانت فيينا مصدر الاشعاع الفنى وبلد هايدن وموتسارت . وكانت تبدو له كضوء المنارة يهفو ويتطلع اليها آملا أن يسمعه موتسارت . ويتحقق الحلم ويسافر الى فينا ويسمعه موتسارت فلا يصدق فى بادىء الامر ان ما يسمعه هو أرتجال وليس بشيء مدروس . ولكن بيتهوفن الح فى طلب لحن من موتسارت ليرتجل عليه ، وافق ، وأعطاه لحنا ، وسمع ارتجاله ، فذهل وهمس الى أحد الجالسين بجواره : « انتبهوا ، فهذا الصبى سيجعل العالم يتكلم عنه » . وبعدها أبدى موتسارت استعداده لقبوله كتلميذ له . ولكننا لا نعرف أخبارا محددة عن هذه العلاقة والدراسة .

وقد أمضى بيتهوفن فى فينا سنوات قليلة الى أن سمع بمرض والدته الخطير . فسافر فورا وهو فى حالة خوف شديد من ان يقضى هذا المرض على اعز انسان له فى الوجود . وعلى فراش الام المحتضرة يستجمع الشاب ايمانه ويتذكر الدور الذى قامت به هذه الام فى حياته .

والواقع أن الفترة التى تلت وفاتها كانت من اقسى فترات حياته ، لقد رأى اثاث المنزل يباع بالتدريج فى المزاد العلنى ، بما فى ذلك الاشياء التى كانت تخص والدته . واضطر الى هجر الدراسة ، وهكذا فارق فينا . ثم أصبح عليه أن يهتم بشئون اخ فى الحادية عشرة ، واخ آخر فى الثالثة عشرة . وفوق هذا وذاك كان عليه أن يحمل عبء الوالد السكير ويرعاه .

وتحت نير هذه الظروف مجتمعة اضطر الى العمل فى اوركسترا للمسرح تعزف الفيولا والفاجوت بجانب عمله كعازف للارغن . لقد زاد ارهاقه ، ولكن معارفه زادت واتسعت فمن خلال العمل فى الاوركسترا تعرف على موسيقى عصره ومن سبقوه . وتعرف أيضا على بعض الشخصيات الهامة .

سمعه ذات مرة الموسيقى الناقد يونكر فكتب عنه مقالا قال فيه : « سمعت عزفا على البيانو من أحد العازفين المهرة ، الانسان الطيب والفنان العظيم بيتهوفن . وكان ذلك فى جلسة ساخنة لان الالة لم تكن فى حالة جيدة ليعزف عليها أمام الجمهور . وكان ما أذهلنى وأعجبنى كثيرا هو أن اسمعه يرتجل الالحان ، وقد دعيت أنا شخصيا لاعطيه لحنا يرتجل عليه بعض المنوعات ، ويمكننى الحكم على عظمة هذا الرجل من ثروة أفكاره التى لا تنضب من التعبير الذاتى ، من طريقة الاداء البالغة الحساسية ، ومن قوة تمكنه وفهم لامكانيات الالة . وحقيقة لا اعرف ماذا ينقصه ليكون فنانا كبيرا !! لقد سمعت مؤلفين وعازفين من خيرة الموسيقيين، ولكن بيتهوفن يحدثنا ويتغلغل الى نفوسنا بموسيقاه » .

كتب الكثير من المؤلفات المختلفة لالة البيانو والالات الاخرى ، ولكن شهرته الفنية كان مرجعها اجادته وابداعه فى العزف على البيانو ، وفى الارتجال الذى كان يصب فيه عصارة افكاره واحلامه ، لم يكن قد اصبح بعد المؤلف الكبير . وهو شخصيا كان يحس بأنه مازال بعيدا عن شخصية الفنان الشاعر . كان له رأى خاص فى التأليف ، ومن أقواله فى هذا الصدد : « ان كل خلق جيد هو شعر . ولكل فنان وسيلة فى ارسال شعره ، فالاديب يعبر عنه فى كلمات ، والموسيقى

فى نغمات ، والمصور فى ألوان ولمسات ، ولكن يجب على الفنان أولا أن يكون هو ذاته شيئا ذو قيمة قبل أن يكتب شيئا هاما عظيما » .

والواقع انه حتى ذلك الوقت لم يكن قد اكتشف الا جزءا يسيرا مما يكمن فى داخله من موهبة ، وكان وقتئذ فى سن العشرين واذا كان آخرون وهم فى مثل سنه قد الفوا اعمالا كثيرة ناضجة [موتسارت] . الا ان التأليف عند بيتهوفن كان يعنى معايشة الالام والافراح والبحث .

فى كعبة الموسيقى

وفى عام ١٧٩٢ رتبت المصادفات السعيدة لقاء بيتهوفن فأعجب بموسيقاه ، وشجعه على مواصلة اللقاء تمكن هايدين من أن يتعرف على عزف بيتهوفن فاعجب بموسيقاه ،وشجعه على مواصلة الدراسة والتأليف ، وعرض عليه أن يقوده فى دراساته فى فيينا .

وها هو يعود مرة ثانية الى فيينا ، فاى شعاع مفاجىء من الامل للشاب الموهوب ! وفى فيينا عاش حتى توفى عام ١٨٢٧ .ويمكن أن نقسم هذه الفترة التى عاشها فى المدينة الكبيرة الى ثلاثة مراحل :

مرحلة اولى : تبدأ من تاريخ وصوله حتى عام ١٨٠٢ ، وتعتبر فترة استعداد لمواجهة الجديد ، وفيها ظهرت عليه بوادر الصمم .

مرحلة ثانية : من خريف ١٨٠٢ الى ١٨١٤ وتتميز بنشاط واسع قوى ، وفيها تظهر وتتحدد معالم شخصيته . هى مرحلة صراعه مع القدر وانتصاره على آلامه وعلى القدر ايضا .

مرحلة ثالثة : من ١٨١٥ ـ ١٨٢٧ وهى فترة من العذاب الحقيقى ، ومن المشكلات العائلية المتفاقمة . ومن التهديد المستمر بالفقر . ثم مرضه الذى ظل يستفحل حتى اسلمه الى القبر .

فى الفترة الثانية قدم بيتهوفن الى العالم مؤلفات قيمة تمتاز بقوة خلق فياضة ، وتميزه عن معاصريه بشخصية فنية متفردة .

أما فى الفترة الثالثة ، فقد تألق بسمو روحى ، وتعمق فى التعبير عن أدق المشاعر الانسانية وانبلها . وفى هذه الفترة تلمع أهم مؤلفاته : وهى السيمفونيات الاخيرة والقداسى ، والسيمفونية التاسعة ، والرباعيات الاخيرة التى تعتبر قمة أعماله .

وفى فيينا عاش عيشة متواضعة ، لكن الكونت فالدشتين كان قد قدمه الى العائلات الارستقراطية فى تلك المدينة . وهى العائلات التى استقبلته استقبالا حارا . وفى مجتمع فيينا الارستقراطى رأى حياة زاخرة ، هى الحياة الانيقة والرشيقة التى عاشها ابناء هذه الطبقة ، لكنه عرف ايضا علماء وفنيين على اعلى المستويات والكفاءات .

وهناك استمر فى دراسة مع هايدن حتى عام ١٧٩٢ . ولكن الموسيقى المعلم لم يكن يولى بيتهوفن الاهتمام الواجب ، الا أن الشاب واصل الجهد ليكتسب تكنيكا خاصا به ، وليجد قالبا قويا خاليا من رواسب الماضى . وهكذا ، بعد سفر هايدن الى لندن تتلمذ على موسيقيين آخرين .

وكان اهم ما يلفت النظر فى هذا الموسيقى ، الشاب بعده عن الابتذال وعزوفه الشديد عن عرض موسيقاه فى سوق الفن الرخيص ، فلم يكن يؤلف قط استجابة لطلب الناشرين . ولم تكن تزعزع ثقته فى نفسه طعنات الناقدين . كان عنيدا ، يعرف ماذا يريد . ومع هذا ، فقد كان متواضعا الى اقصى الحدود امام كل اعجاب انسانى . وفى معرض هذا التواضع ، عرف انه كان يركع على ركبته كلما ذكر امامه اسم الموسيقى العظيم **هاندل** .

بيتهوفن وثورة ١٧٨٩

وعندما بدأت الثورة الفرنسية الكبرى تزحف بافكارها ومثلها لتحطم النظام الاقطاعى ، ولتنادى بشعارات « الحرية والاخاء والمساواة » ينتشى بيتهوفن ويجد فى مبادىء الثورة التى تتحدث عن حرية الفرد صدى لما يعتمل فى نفسه . وبالدقة لما يحمله من كراهية ، حملها قلبه منذ صباه ، للطبقة الارستقراطية . ومن ثم ، وتحت تأثير ثورة ١٧٨٩ أخذ بيتهوفن وضع الرجل المستقل الذى يطالب ويتعلق بحقوق لم تكن مشروعة فى ذلك العصر وفى مجتمع فيينا بالذات وهذا يفسر لنا لماذا وطد بيتهوفن صداقته بالسفير الفرنسى فى فيينا . ومنذ ذلك الحين تضعه الشرطة تحت رقابتها لآرائه السياسية وبسبب النزعة الجمهورية التى أخذت تتملكه ، والتى تمثلت فى ذلك الاعجاب العظيم بابن الثورة نابليون بونابرت . فى ذلك الوقت خيل لبيتهوفن انه يرى فى نابليون تجسيدا للمثل الانسانية واداة فى الوقت نفسه لتحقيقها .

ولكى يسجل اعجابه بنابليون كتب بيتهوفن سيمفونيته الثالثة تحت اسم « بونابرت » ولكن عند ماارتد نابليون عن طريق الثورة أهدى الموسيقى بقلمه على خلاف السيمفونية ، وظل يطمسه ويمحوه بعنف حتى تفرقت اوراقها . وبدل الاسم ، واسماها بعد ذلك « بالبطولة » وقال عندئذ عن نابليون :

انه اذن ليس سوى رجل عادى سيدوس تحت قدميه جميع حقوق الانسان ، وسيصبح عبدا لطموحه » .

ومن هذا نرى أن بيتهوفن رغم الصمم الذى اصابه - لم يكن يتوقف عن الاهتمام بمشكلات عصره وتحديد موقف منها . وهذا يفسر لماذا كانت موضوعات السياسة هي التى تفرض نفسها - فى اغلب الاحيان - على مناقشاته مع اصدقائه ، وذلك عند ما كان يتفاهم معهم بالكتابة . ولم يكن هذا الاهتمام بالسياسة متعارضا ادنى تعارض مع قدراته الفنية ، فكان دائما « يطرق أبوابا جديدة » ، على حد تعبيره ، وكان دائما يقتحم آفاقا جديدة . وعلى الرغم من أن الفترة الاخيرة فى حياته كانت مثقلة باحزان وآلام شديدة ، فقد كانت هذه المرحلة - ايضا - وبالذات أخصب مراحل حياته . وكانت مجتمعات فيينا قد عرفته كاستاذ مقتدر ، يعزف فى الحفلات العامة ، ويرتجل فلا يبارى ، وفى مجال الارتجال كان يبدأ بلمسات على البيانو ، ثم يظل يعبث بالالة حتى يعثر على بداية الخيط . ثم يسترسل فى روعة . ينسي كل الحاضرين . يسبح ويتحدث الى شىء غير مرئى . وتتوالى النغمات وتتدافع تسرع وتتقصف وكانها في حوار أو غناء روحى . هكذا ظل يرتجل ذات مرة زهاء ساعتين متصلتين على لحن سيمفونيته الثانية « البطولة » دون ان يشعر ودون أن يمل أحد من الحاضرين .

ولقد ارتفع بيتهوفن بفن الارتجال حتى قيل انه أصبح من الصعوبة بمكان أن يرتجل عازف آخر بعده .

بيتهوفن وقضية الالهام فى الفن

عرفنا مما سبق نظرة بيتهوفن للمرأة ، ودورها الهام فى حياته . فقد كانت تثير عنده احاسيس نبيلة قوية ، فهي دائما المرأة الجميلة ، الذكيــة المثقفة ، ولم تكن ابدا - فى مذهبه - اداة للمتعة بل كانت المخلوق المحبوب وشريكة الحياة المخلصة .

تفجرت مشاعره بالحب عدة مرات وفى احدى رسائله لصديقه فيجلر ينقل اليه مدى سعادته بالحب : فيقول « هى فتاة عزيزة على أحبهـا وتحبنى ، وكانت هذه الفترة هى أسعد أوقاتى .. وللمرة الاولى أحس بأن الزواج يمكن أن يجعل الانسان سعيدا . ولكنها للاسف ليست من طبقتى الاجتماعية ولهذا يجب أن اقاوم هذا الحب وان اكون شجاعا .. لولا هذا المرض لقبضت على العالم بيدى .. ان شبابى يبدأ الان فقط . الم أكن دائما نشطا ؟ ولكن قوتى تزداد يوما بعد يوم

ويزداد ايضا نمو افكارى ونضجها . فى كل يوم جديد ، احس انى اقرب الى تحقيق ما اريد . لايمكنني تحديد كيف يمكن ان يتم هذا .. آه .. كم اود ان ترانى وانا سعيد .

« اريد ان اقبض على رقبة القدر بيدى فلايجب ان يحطمنى لا .. لا .. ابدا .. انه لشىء جميل ان يعيش الانسان الف مرة » .

تلك الفتاة الساحرة التى احبها كانت الكونتيسا جوليتا جوتشارديني التى تزوجت بعد ذلك من احد البارونات وتركت فيينا لتعيش فى نابولى لمدة عشرين عاما . ولما رجعت الى فيينا بحثت عنه بشوق ولهفة . ولكنه عزف عنها باباء شديد علق عليه شيندلر قائلا « هذا هو هرقل فى مفترق الطرق ! » . فاجابه بيتهوفن : « ولكنى اذا استهلكت قوتى وحيويتى فى مثل هذا فماذا يتبقى للعمل العظيم الذى احس انى جئت من اجله » .

وفي هذه الفترة كتب السوناتا عمل رقم ٢٧ المسماة « فى ضوء القمر » والتي اعتبر النقاد ان الحركة الاولى منها تصف موقفا حزينا أو عذاب قلب . ولكنها فى الواقع كانت تصف نفس هدأت وروحا استعادت قوتها وارتفعت فى سمو فكرى وتغلبت على ثقل الالام ، فنحن نسمع فيها نغمة واحدة تتكرر ثلاث مرات فى تكوين محدد مستقر يعاد طوال القطعة ليؤكد بها صموده واستقراره على ما اتخذه من قرار . وفى نهاية القطعة نسمع هذا اللحن فى الصوت الغليظ يمثل صوت القدر الذى يتلاشى فى اللانهائية .

أما عن الالهام الفنى وما يتعلق به ، فان بيتهوفن يكتب الى صديقه شلوسر خطابا يعتبر وثيقة فنية عظيمة .

« انى اهمل افكارى معى لوقت طويل قبل تدوينها » تحملها ذاكرتى كاملة دون ان افقد منها شيئا ما دامت الفكرة قد نضجت واكتملت فى داخلى ، وعندئذ فانى اغير فيها وابحثها كثيرا الى ان ارضى عنها . وبعد ذلك ، اى بعد استقرار الفكرة ومحاولة الوصول بها الى تحقيق ما فى داخلى ، ابدأ التفكير فى كيفية تفاعل هذه الفكرة . كيف يمكن انماؤها وتحويرها فى كل الاتجاهات الممكنة . وفى اثناء هذه الفترة فان الفكرة الاساسية لا تتبدل بل تظل قائمة ثابتة ولاتؤثر فيها تطوراتها .. عندئذ ارى الصورة كاملة . اسمع جميع نغماتها بكل دقائقها وبكل ابعادها . فهى تمثل أمامى في تكوين كامل .. وحينئـذ لا يبقى غير تدوينها على الورق ، وهو الشىء الذى لا يستلزم الكثير من الوقت عندما لايكون معى عمل اخر .. ففي العادة اجمع بين اكثر من عمل فى وقت واحد .. ولايؤثر احدهما على الاخر ابدا ..

« سوف تسألنى من اين تأتى افكارى .. وعندئذ لن اكون قادرا على تحديد هذا ، فأحيانا تأتى الفكرة مستقلة بذاتها ، وأحياناأخرى مرتبطة باشياء كثيرة . ويخيل لى عندما اسير فى الغابات اننى انتزعها من الطبيعة نفسها بيدى .

« ان افكارى تأتينى فى سكون الليل ، ومع أول شعاع للفجر .. تتملكنى كما يحدث للشاعر الذى يخرجها فى كلمات ، وأنا أترجمها فى نغمات .. وتظل هذه النغمات فىرأسى تدقوتغنى وتعصف الى أن أراها امامى مدونة فى نغمات » .

تأتى بعد ذلك عملية التدوين .. ومن المعروف عن بيتهوفن أنه كان يظل يبحث عن الكمال بدون ملل ، ولهذا نرى عددا مهـولا من المخطوطات التحضيرية لكل عمل .

لم يكن هو الفنان المتسرعفلم يكن يقذف بنفسه فى التأليف بمجرد شعوره بالحاح الموهبة ، بل كان يقظا وواعيا،ولم يكن أىشىءعنده وليد المصادفة، وعلى الرغم من انه هو الفنان ذو الحس الفنى النقى الا أنه كان يفكر كثيرا قبل اختيار المقام الذى يؤلف فيه مقطوعته .

ماقدمه بيتهوفن ؟

كان بيتهوفن يمزج دائما بين العلم والعاطفة فى مؤلفاته . كل شىء عنده يجب أن يكون واضحا ومحـددا . ولهذا يجب أن تعـزف الحانه بذكاء واحساس متوقد نشط وذهن حاضر دون افتعال أى شعور والا اصبحت موسيقاه مبهمة للمجتمـع وللعازف نفسه .

ثروة لا تقـدر

وقد خلف بيتهوفن للبشرية كنزا من المؤلفات تقل فى العدد عن هايدن وموتسارت ولكنها تحتفظبقيمة فنية نادرة ، ويعتبر كل عمل من اعماله قيمة فنية لا مثيل لها .

لقد كانت موسيقاه تعبر عما يعتمل فى داخله من أفكار وفلسفات صاغها الادباء العظام من أمثال شيللر وجوته . افكار وفلسفات اساسها الايمان بالانسانية ، وبحرية الفكر ، بـالمساواة وبالصراع مع الالام ومع القدر وانتظار الفرح .

وهذا الصراع يصل الى قمته فى صـيغة السوناتا ، يمثله التضارب والتناقض بين الفكرتين الاساسيتين : فالفكرة الاولى قوية ايقاعية والثانية لحنية منسابة . ويتصاعد الصراع فى جـزء التفاعل الى القمة . فى حين ان الجزء عند هايدن وموتسارت كان يتسم بالانسيابية والجمال .

وقد أضاف بيتهوفن الى الاوركسترا بعض الآلات النحاسية وآلات النفخ والايقاع وعلاوة على هذا فانه اضاف فى اسلوب التأليف ثروة فى التكوينات الايقاعية واللحنية لشرح الافكار والمشاعر التى كانت تتصارع فى قلبه .

ألف لآله البيانو التى كانت موضة عصره ٣٢ سوناتا هى المثل الصادق لتطور صيغة السوناتا ، فهو لم يرفض كلية الشكل السابق لها ولـكنه طوره وجدده، واستبدل رقصة المنيويت فى الحركة الثالثة بالسكرتزو .

نذكر منها عمل رقم ١٣ المسماة « باتيتيكا » وعمل رقم ٢٧ المسماة « فى ضوء القمر » وعمل رقـم ٨١ وهى السوناتا الوحيـدة التى اعطاها المؤلف اسما وهى « سوناتا الوداع » .

أما الخمس سوناتات الاخيرة ، فتعتبر قمـة ما ألف من سوناتات للبيانو . ففيها التنوعات وفيها استخدم صيغة الفيوج وتصبح السوناتا عند بيتهوفن قصيدة تعبر عن مكنون النفس وهى اشبه بمذكرات روحية ، وعبر بالمجموعة الاخيرة عن الكون بآلامه وافراحه ، هذا علاوة على قطع عديدة للبيانو مثل الروندو والتنوعات .

وألف للغنـاء ١٣٢ اغنيـة لبدراوراتوريو ، وقداس وأوبرا فيديليو وأعمال أخرى كثيرة . لم يكن التأليف الغنائى من اعظم اعماله ولكنه لا يزال شيئا هاما وقيما .

وألف لموسيقى الحجرة ٤٦مقطوعة بيـن سوناتات للكمان والتشيللو اعظمها واهمهـا الرباعيات الاخيرة .

ومن الخمس كونشرتو لالة منفردة والاركسترا نخص بالذكر :

كونشرتو الكمان ، والاوركسترا والكونشرتو الخـامس للبيـانو والاوركســترا المســمى الامبراطور .

وكتب تسع سيمفونيات للاوركسـترا اهمها السيمفونية الثالثة « البطولة » — وقد اشرنا اليها فيما سبق (والخامسة المسماة بالقدر » . ذلـك لانها تبدأ بتكرير ايقاعى يمثل ضربات القدر على ابوابه بالكارثة العظمى وهى الصمم ثم صراعه وكفاحه للتغلب عليه . ثم السادسة وتسمى الريفية ويصفها بعض النقاد بأنها صورة للريف : منظر

بجانب نهر صغير ، ومجموعة من الفلاحين السعداء ، عاصفة قوية تتلوها الحان الفرح والشكر لهدوء العاصفة • ولكنها فى الواقع ليست موسيقى تصويرية اطلاقا بل هى تعبر تعبيرا صادقا عن احاسيس ومشاعر الفنان •

وقد ختم أعماله الاوركسترالية بالعمل الخالد الذى يعتبر قمة اعماله وهى السيمفونية التاسعة الكورالية • فلاول مرة يشترك الكورال فى عمل سيمفونى • وقداختاربيتهوفننشيد الفرح لشيللر لينتم به فى بهاء خارق •

وقد يحسن ان نشير هنا الى أن اعماله تندرج بشكل عام تحت ثلاث مراحل فنية :

– فى المرحلة الاولى كان واقعا تحت تأثير هايدن وموتسارت وهى فترة تكوينه الثقافى والفنى ، أو هكذا يمكن اعتبارها •

– أما المرحلة الثانية فكانت مرحلة النضج ، وكانتذاخرة بمؤلفات رائعة •

– المرحلة الثالثة وهى تتحدد بالسنوات السبع الاخيرة فى حياته ، وفيها وصل الى قمة نبوغه • وفيها لم تكن موسيقاه مجرد نماذج من الالحان بل كانت تنطلق من عقل وفكر مترجمين فى نغمات •

فاذا جئنا الى ختام هذا المقال أمكن أن نعود مرة اخرى الى مناقشة ما قيل عن بيتهوفن من انه كان فنانا رومانتيكيا واعتقادنا أنه اذا صح هذا الحكم ، فان من الصحيح أيضا أن يقال انه كان مستقلا فى تعبيره عن الروح الرومانتيكية • الدليل على ذلك اننا نرى القالب الكلاسيكى فى معظم اعماله • لقد استعمل هذا القالب بكثرة • لكن يظل المضمون عنده خاصا به وحده • فى هذا المضمون لا يتبع بيتهوفن اى نظام • بل كان المضمون نتاج فكره وتأملاته الطويلة ، وثمرة بحثه ودراسته واطلاعه على نتاج الفكر والفلسفة • وفى هذا المضمون كان يضع رأيه الخاص والمستقل • وبكل هذه المعانى ترك بيتهوفن للبشرية ثروة لا تقدر من الافكار والعواطف مترجمة فى الحانه وهارمونياته •





■ ج . ع . م : التصــــدى لمهـــام المرحلـــة المقبلـــة
■ ســوريا : تطــورات حاســـمة بعـد صراع طــويل
■ ألمــانيــا الديمقراطية : ١٥٠ عاما على مولد انجلز
■ رسالة من الاتحاد السوفيتى : أجهزة الاعلام والمجتمع

■ الجمهورية العربية المتحدة

الدورة الخامسة للمؤتمر القـــومى

أكد المؤتمر القومى العام للاتحـــاد الاشتراكى العربى فى ختـــام دورته الخامسة [١٢ ، ١٣ نوفمبر ٧٠] على التمســـك الــكامل « **بطريق عبد الناصر** » ـــ وهو الطريق الذى حدده الشعب للمرحلة النضالية الحالية .

واكد المؤتمر على ان لهذا الطريق أساسين لا فصل بينهما .

اولهما ـــ مبادىء وتعاليم عبد الناصر لتطوير المجتمع ولتحقيق الاشتراكية وتحرره كاملين .

ثانيهما ـــ حتمية الاستمرار فى وضع هذه المبادىء والتعاليم موضع التنفيذ الفعلى فـــى مواجهة الظروف المتغيرة والمتطور وعلى ضـــوء ذلك تضمنت قرارات المؤتمر الخطوط الرئيسية للعمل الوطنى كله فى المرحلة المقبلة .

وأكدت قرارات المؤتمر على النقاط الاساسية التالية :

● ان **الميثاق** وبيان ٣٠ مارس بما وضعاه من اسس سيظلان الاساس الموضوعى لاســـتمرار الثورة ودعمها ونموها .

● ان حركة **كفاح** شعبنا كله على مر التاريخ والتى توجها عبد الناصر بقيادته، كانت تعمل للقضاء على استغلال الانسان للانسان ، وللقضاء على مجتمع الطبقات ولاقامة الاشتراكية . **ولسوف تستمر الاشتراكية باستمرار فى المستقبل ويجب ان توضع كل الجهود السياسية والتنفيذية والشعبية وراء اتمام بناء المجتمع الاشتراكى الذى حققنا منه كثيرا والذى ينبغى أن نحقق منه اكثر .**

● **ضرورة استمرار كفاح** شعبنا فى مواجهة قوى الاستعمار والامبريالية العالمية باعتبار هذا الكفاح الاساس الموضوعى الذى لاغنى عنه لاقامة الاشتراكية وحمايتها ودفعها للامام باستمرار .

● **استمرار المعركة** فى كل الميادين وعلى كل الجهات فى مواجهة اسرائيل وقوى الصهيونية والامبريالية العالمية المساندة لها والتى تستهدف انتزاع ارضنا وهدم اشتراكيتنا .

● **تقدير** دور القوات المسلحة واستمرار دعمها وتأكيد تلاحمها مع باقى قوى الشعب العاملة .

● **اعتبار** مواصلة العمـــل من أجـــل توحيد العمل العربى برغم كل التناقضات المرحلية ـــ ركنا اساسيا من العمل الوطنى والقومى والتمســـك الكامل بحقوق شعب فلسطين وثورته .

● **تأكيد** دورنا فى جبهة التحرر العـــالمى كلهـــا وما يتطلبه ذلك من دعم لمواقعنا وعلاقتنا مع دول العالم الثالث .

● **تدعيم وتوثيق** علاقتنا مع الدول الاشتراكية

وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى العظيم باعتبارها فى طليعة حركة التحرر العالمية المعاصرة .

● **تنمية العمل** على الجبهه الافريقيه من اجل الوحدة الافريقية ومن اجل تطهير افريقيا من كل صور الاستعمار القديم والجديد ، ومن اجل القضاء على سياسة التفرقة العنصرية .

● **تأكيد وتوثيق** العلاقات مع الدول الاسلامية على امتداد العالم على اساس انها دول يجمعنا معها — فضلا عن الدين — تطلعنا كدول نامية الى حياة افضل لشعوبنا .

● **التأكيد على سياسة** عدم الانحياز ودعم العلاقات بالدول الاسيوية الافريقية ودول البحر الابيض المتوسط وفى مقدمتها فرنسا .

وكانت الدورة الخامسة للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى قد دعيت للانعقاد من اجل دعم خط الاستمرار فى المؤسسات الدستورية والسياسية الذى بدأ بعد غياب جمال عبد الناصر ، وخط استكمال هيكلها ، الذى بدأ باختيار **عبد المحسن أبو النور** امينا عاما للاتحاد الاشتراكى وتشكيل أمانة عامة للاتحاد برئاسته .

وكان جدول اعمال الدورة كما اقترحته اللجنة المركزيه يتضمن نقطتين .

● **انتخاب رئيس** الاتحاد الاشتراكى العربى .

● **مناقشة الموقف** السياسى والعسكرى .

وفى مستهل الدورة تم انتخاب السيد **أنور السادات** رئيسا للاتحاد الاشتراكى العربى — بناء على ترشيح من اللجنة المركزية ، وعلى اساس الرغبة العامة التى ابدتها مؤتمرات الاقسام والمحافظات من أن الظروف الدقيقة الراهنة تتطلب توحيد المسئولية السياسية والتنفيذية على اعلى مستوى .

هذا وقد تقدمت اللجنة المركزية الى المؤتمر بتقرير مفصل عن الوضع السياسى والعسكرى ، ليكون اساسا للمناقشات فى النقطة الثانية من جدول اعمال المؤتمر .

وقد اكدت اللجنة المركزية فى تقريرها الى المؤتمر على عدد من الحقائق التى أظهرتها حركة الشعب فى الفترة التى اعقبت وفاة زعيم الثورة .

● **اصرار الشعب** على المحافظة على المبادىء والافكار التى غرسها عبد الناصر وعلى ان يستكمل المسيرة التى بدأها مع قائده .

● **ان التنظيم** السياسى بجماهيره الواعية المؤمنة هو حصن الثورة المكين وحارسها القوى .

● **مساهمة المنظمات** الجماهيرية للعمال والفلاحين والطلاب والشباب والمهنيين فى دفع الموقف للامام ومساندة المؤسسات على اساس الاصرار على استمرار الثورة وحماية مكتسبات الشعب واستمرار الاشتراكية . وأن المؤسسات السياسية والدستورية المتمثلة فى الاتحاد الاشتراكى ومجلس الامة هى وحدها الممثلة لارادة الشعب والتى من خلالها وحدها يباشر الشعب سلطته ..

● **تلاحم القوات** المسلحة مع كافة قوى الشعب العاملة .

وأكدت اللجنة المركزية على أن موقف الجماهير التاريخى عند سماع نبأ استشهاد الرئيس القائد ، سوف يظل كما فى ٩ ، ١٠ يونيو شاهدا على عمق وترابط الوحدة الوطنية وقدرتها على التحدى وان شعار « استمرار الثورة وتكملة الطريق كان الرد الوحيد الممكن موضوعيا تأكيدا لاصالة هذه الثورة فى ضمير الشعب

وفى القسم الثانى من التقرير — اكدت اللجنة المركزية على أن النشاط العسكرى لم يتوقف فى اى موقع بعد صدور القرار بوقف اطلاق النار — من اجل دعم خبرة القوات المسلحة وتقدمها بالعلم بالتدريب المتطور لاستيعاب كل ما يصل الى يديها من سلاح .

واكدت اللجنة المركزية على أن المساعدات العسكرية السوفيتية واشتراك الخبراء والفنيين السوفيت فى تدريب واعداد المقاتلين هما من أهم العوامل التى مكنت الارادة العربية من استمرار الصمود وتضاعف قدراتها القتالية .

واستعرضت اللجنة المركزية فى تقريرها جهود الجمهورية العربية المتحدة على الجبهة السياسية بعد قبول قرار مجلس الامن وتعاونها مع السفير يارنج وموقف اسرائيل المتعنت فى تخريب كل المحاولات للوصول الى تسوية سلمية .

واستعرض التقرير الخطة الاسرائيلية الامريكية لمقاومة كل محاولة لتنفيذ قرار مجلس الامن او اعاقة مهمة السفير يارنج والجهود والعراقيل التى بذلت لمنع اثارة القضية امام الجمعية العمومية ، وانحياز الولايات المتحدة الامريكية بكل ثقلها الدولى وبكل تأثيرها السياسى الى جانب اسرائيل لاعاقة الامم المتحدة عن تحمل مسئولياتها .

واشاد تقرير اللجنة المركزية بالاتحاد السوفيتى — شعوبا وحزبا وقادة وحكومة — وعدد مظاهر التاييد والدعم الكاملين من جانب الاتحاد السوفيتى عسكريا وسياسيا واقتصاديا . وهو الدعم الذى تمليه سياسة تؤمن بالمبادىء .

وبالنسبة للتحرك على المجال العربى استعرض التقرير احداث الاردن ، ودعا الى ضرورة تنفيذ اتفاق القاهرة وأن تتوفر له الظروف الملائمة ، والمناخ المناسب لتنفيذه بروح الامانة والاخلاص .

وابرز التقرير انه فى الوقت الذى تنبأ فيه اعداء الامة العربية بأن فكرة القومية العربية والوحدة



أنور السادات

العربية قد اختفت ولن تعود مرة اخرى الا بعد سنين – ارتفعت كلمة الوحدة عالية شامخة وتضاعفت الجهود على طريق تحقيقها – وهذا هو المغزى الحقيقي للاعلان الاتحادى الذى اعلنته دول ميثاق طرابلس الذى وقع فى القاهرة فى ٨ نوفمبر ١٩٧٠ .

وافتتح الرئيس أنور السادات المناقشة حول الموقف السياسى والعسكرى بخطاب تضمن تقريرا تفصيليا ووافيا عن تطور الاحداث خلال الفترة التى مضت منذ انعقاد الدورة الرابعة للمؤتمر القومى فى ٢٣ يوليو الماضى – وذروة هذه الاحداث كانت رحيل قائد الثورة المفاجىء .

ويرى المراقبون ان خطاب الرئيس السادات قد تضمن كشفا واسعا لدور الولايات المتحدة الامريكية فى مساندة العدوان الاسرائيلى وفى الوقوف ضد الحق العربى .

لقد تتبع الرئيس السادات فى خطابه امام المؤتمر الموقف الامريكى منذ العدوان،وفضح بشكل خاص التحركات الامريكية السافرة والمستترة منذ قبولنا المبادرة الامريكية وتزايد الحملة الاسرائيلية الامريكية بشراسة بعد وفاة عبد الناصر ومحاولة استغلال فترة الحزن واعادة تنظيم الاوضاع ، للتشكيك فى الوضع كله وفى قدرتنا على البقاء ومحاولة فرض الهزيمة والاستسلام علينا . كما فضح الرئيس موقف امريكا فى هيئة الامم ومقاومتها للمشروع الاسيوى الافريقى وانفتاح عزلتها أمام المجتمع العالمى رغم ما استخدمته بكل قواها وكل نفوذها وكل اسلحتها للضغط والرشاوى والاغراء والتهديد .

وأشاد الرئيس فى خطابه بموقف الاتحاد السوفيتى الذى بعث بوفد على مستوى عال ليؤكد تأييده فى المرحلة المقبلة بصورة أشد مما كان فى الماضى . وان الاتحاد السوفيتى صديق شريف وقف معنا ويقف دائما فى اشد ايامنا الم ومرارة بشرف وامانة ما يستغلش ابدا اى وضع واعلن السادات أن الاتحاد السوفيتى كان يمدنا بدعم جديد اثناء المأتم بينما قامت امريكا تعمل لضغوط وحرب نفسية ، ومحاولات لتحطيم كل معنوياتنا ومقاومتنا .

واعلن الرئيس السادات فى خطابه امام المؤتمر اننا لن نقبل مد فترة وقف اطلاق النار مرة اخرى الا اذا كان فى الموقف شيء وصلنا اليه أو وصل يارنج لمرحلة تدعونا لاعادة التفكير . كما أكد سيادته « اننا لم نترك الفرصة تضيع ونحن ننتظر ولم نترك اسرائيل تدعم مواقعها ونحن نتفرج لقد استفدنا فائدة كبيرة من وقف اطلاق النار وسوف يظهر اثر ذلك فى الوقت المناسب .

وفى حديثه عن الاتحاد بين مصر والسودان وليبيا أكد سيادته ان هذا الاتحاد ليس محورا من المحاور وانه ليس تكتلا فى العالم العربى او فى الامة العربية وانه نواة من ثلاث دول تتجانس فيها الانظمة والوعى والاهداف وطريقة السير .

وبعد استماع المؤتمر لخطاب الرئيس **أنور** السادات وبيان عن السياسة الخارجية من السيد **محمد فائق** وبيان عن الوضع على الجبهة من الفريق اول **محمد فوزى** واجاب انور السادات على اسئلة الاعضاء . اصدر المؤتمر قراراته التى شكلت وثيقة سياسية لمواجهة اعباء المرحلة الراهنة .

ويرى المراقبون ان المبادىء الاساسية التى حددتها قرارات المؤتمر تلقى مسئولية خاصة على **التنظيم السياسى – فبقدر قيامه بدوره وبمسئوليته** الكاملة ، **وبمشاركته الكاملة ، فى تحديد خطى** السير ، وفى متابعتها وفى قيادة الشعب كله وحشده **من أجلها قيادته المؤمنة الواعية ، بقدر ما سيكون نجاحه فى تحقيق أهدافنا فى التحرر والاشتراكية والوحدة .**

●

التصدى لمهام المرحلة المقبلة

فى خطابه الافتتاحى للدور الثالث لانعقاد مجلس الامة – أعلن **أنور السادات** ، وهو يحدد تصوره لمهام المرحلة المقبلة – « أن المعركة أولا – والمعركة ثانيا والمعركة ثالثا » مؤكدا بذلك « ان المعركة هى أولى الاولويات فى مهام المرحلة من

أجلها العمل فى الداخل ومن أجلها العمل فى الخارج وعلى أساسها صداقتنا مع الاصدقاء وعلى أساسها أعداؤنا مع الاعداء » .

والى جانب هذا حدد الرئيس السادات مجموعة من المهام الاساسية التى يتعين التصدى لها فى المرحلة المقبلة ـ ودعا للوحدة من حولها والالتزام بها وجعلها دليلا يقود العمل ويوجهه وان تصبح هذه المهام معيارا للمراجعة والتصحيح على النحو التالى :

● **ان علينا** وراء جبهة القتال عملا اقتصاديا واجتماعيا لا يجب أن يتوقف لحظة .

وفي هذه النقطة دعا السادات فى خطابه الى استكمال قاعدة الصناعة الثقيلة كهدف رئيسى متمثلة فى مجمع الحديد والصلب ومجمع البتروكيماويات الجديد والمجمع الفسفورى، ومجمع الالمونيوم والبدء فى مد خط أنابيب البترول بين السويس والاسكندرية .

وأكد السادات على ضرورة استكمال التحول فى الزراعة العلمية والاهتمام بتصنيع الزراعة وحسن استغلال الاراضى المستصلحة وكهربة مصر كلها .

● **فى مجال العمل الادارى** ـ كشف السادات ان ٢٥ فى المائة من طاقتنا ضائع بسبب تضارب الاختصاصات ونقص الكفاية ـ وضرورة مواجهة ذلك خاصة وأن هناك مسئولية تعمير ما تركه الحرب خاصة منطقة قناة السويس .

● **فى مجال البناء السياسى** أكد السادات على ضرورة أن تكون عملية بناء التنظيم ليست مجرد استكمال شكل ـ ولكنها حركة تتيح الفرصة فى اطار تحالف قوى الشعب العاملة للممارسة الديمقراطية

● **فى المجال العربى** ـ أكد على أن الجمهورية العربية المتحدة لن يتزعزع ايمانها فى أن الامة العربية أمة واحدة وأن الوحدة العربية ضرورة مستقبل ومصير قبل أى شئ آخر .

وعلى ذلك فان اتفاق القاهرة من دول ميثاق طرابلس الثلاثة كان من أجل ايجاد النواة والقاعدة الصلبة لمستقبل عربى تصنعه وتشكله الارادة الواعية الحرة والمتحررة .

● **فى المجال العالمى** ـ أكد السادات على أن عداءنا لاسرائيل ليس تعصبا عنصريا ولكنه فى الواقع جبهة من جبهات حربنا ضد الاستعمار نتيجة لموقفنا من الاستقلال والقومية ومع الحرية السياسية والاجتماعية .

وان صداقتنا للاتحاد السوفيتى ليست انحيازا له وانما هى أيضا وبنفس المعيار انحياز للاستقلال والقومية وللحرية السياسية والاجتماعية ـ وصداقتنا مع الاتحاد السوفيتى هى فى نفس الوقت وقفة تضامن تجمع كل القوى المعادية للاستعمار .



د . محمود فوزى

● **وفى مجال التعليم** دعا السادات الى ضرورة أن ننتقل به وبأسرع ما يمكن وابتداء من العام الدراسى المقبل من بقايا القرن التاسع عشر الى آفاق عصر تفجير الثورة وغزو الفضاء .

● **وأعطى السادات** اهتماما خاصا للشباب ، مؤكدا الحاجة الى حوار معه ـ بدلا من الصراع ـ وأن يهدف الحوار الى نقل التجربة والمسئولية الى الاجيال الجديدة .

ويرى المراقبون أن الدورة الثالثة لمجلس الأمة ـ التى افتتحها الرئيس السادات بخطابه ـ تكتسب أهمية خاصة ـ فهى تأتى فى مرحلة يتطلع الشعب فيها الى مؤسساته السياسية والدستورية والتى تتحمل تبعات المسئولية وينتظر منها زيادة وتعميق دورها ومساهمتها .

ومجلس الامة بوصفه الجناح التشريعى للاتحاد الاشتراكى العربى سوف يركز خلال الدورة الجديد ـ كما أعلن الدكتور **لبيب شقير رئيس** المجلس على الموضوعات المتعلقة بالسياسة العامة للدولة، والتى تمثل اهتماما لدى الجماهير، أو تترجم مشاكل الجماهير وتعيش معها .

ولاول مرة فى تاريخ مجلس الامة ـ سوف يبدأ المجلس هذا العام فى مناقشة ميزانيات شركات القطاع العام على نحو يضمن متابعة التطور فى قطاعات الاقتصاد القومى .

هذا وسوف يتزايد وينمو دور مجلس الامة فى

الحياة السياسية للبلاد بوصفه أحد المؤسسات التى تركها عبد الناصر .

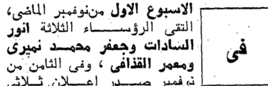
هذا وقد سبق بدء دورة مجلس الامة تشكيل وزارة حديدة **برئاسة الدكتور محمود فوزى** على أساس اعادة التكوين الحكومى بما يضمن رفع القدرة الادارية للجهاز الحكومى وتحقيق أكبر قدر من المتابعة والتقييم .

ومن البيانات التى أذيعت والاتجاهات التى عرفت من بيان الحكومة أمام مجلس الامة يتبين أنه قد أعيد تنظيم الهيكل الوزارى على أساس تقسيم الوزارات الى نوعيات مختلفة . هذا ، وقد تقرر اعادة النظر فى تشغيل اللجان الوزارية وتحديد اختصاصها ومستوياتها واعطاء المزيد من الصلاحيات لرؤسائها .

ولما كان الرئيس السادات قد حرص على تأكيد شخصية مجلس الوزراء ، وتأكيد مسئولية الوزارة ، سواء أمام رئيس الجمهورية أو أمام مجلس الامة ، فان كثيرا من المراقبين يعلقون أهمية خاصة على أسلوب عمل مجلس الامة ومجلس الوزراء وعلاقاتهما ومدى مساهمتهما — كأجهزة تنفيذية ودستورية مسئولة على تحمل تبعات المرحلة الدقيقة التى تواجهها البلاد .

الوطن العربى

اتحـــاد جـديـد . . في مواجهة العدوان



فى الاسبوع الاول من نوفمبر الماضى ، التقى الرؤســـاء الثلاثة **انور السادات وجعفر محمـد نميرى ومعمر القذافى** ، وفى الثامن من نوفمبر صـدر اعـلان ثـلاثى من الجمهورية العربية المتحدة ، وجمهورية السودان الديمقراطية والجمهورية العربية الليبية . وقد وصف هذا الاعلان بأنه « اتفاق للعمل من أجل اقامة اتحاد بين البلدان الثلاثة » . وقد أكد اللقاء بين البلدان الثلاثة رغبة الشعوب العربية فى مواجهة الخطط الاستعمارية الرامية الى اضعاف حركة التحرر الوطنى فى الشرق الاوسط وبث الفرقة فى صفوفها .

وقد أشار الإعلان الثلاثى الى اتفاق البلدان الثلاثة على :

١ — تشكيل قيادة ثلاثية موحدة من الرؤساء الثلاثة تعمـل للاسراع بتدعيم وتطـوير التكامل والترابط بين جمهورية السودان الديمـوقراطية

تعليـــق

حول الاجراءات الاقتصادية الاخيرة

اصدر مجلس الوزراء فى اجتماعـه الذى عقد مساء السـبت ٣١ اكتوبر برئاسة السيد/ انور السادات رئيس الجمهورية عدة قرارات لتخفيض اسـعار بعض السلع الاسـاسية وصرف ارباح العاملين فى القطاع العام قبل عيد الفطر وترقية ١٥٠ الف موظف وعامل بالحكومة بتطبيق قواعد الرسوب عليهم .

وقد صرح الدكتور عزيز صدقى رئيس اللجنة الوزارية للصناعة والاسعار وهو يذيع تلك القرارات عقب الاجتماع ان الاتجاه الى تخفيض اسـعار السـلع الاساسية التى تمس احتياجات الجماهير وتحسين اوضاع العاملين كان قد بدأ تنفيذه من سنتين بتوجيه من القائد الخالد جمال عبد الناصر .

وتتناول القرارات ما يلى :

تخفيضات الاسعار : تخفض اسـعار بعض السلع الضرورية الاساسية : وهذه السلع هى : الشاى الحر — السكر الحر — الكيروسين الحر — الراديو الشعبى — البطاريات الجافة — الثلاجات (ايديال ٦ قـدم) — الاحذية — البلوفرات — البطاطين . وتبلغ قيمة ما تتحمله الدولة من فروق لتخفيض هذه الاسعار ٤ ملايين جنيه فى السنة .

الارباح : تصرف ارباح العاملين فى القطاع العام قبل عيد الفطر وخاصـة وان اغلب الشركات قد انتهت من اعداد ميزانياتها . ويبلغ عدد من يستفيدون بهذا القرار اكثر من ٨٠٠ الف من العاملين بالقطاع العام .

ترقيات الموظفين : يرقى موظفو وعمال الحكومة حتى الدرجة الرابعـة بتطبيق قواعد الرسوب حتى ١٩٧٠/١٢/٣١ على ان يتم التنفيذ اعتبارا من يناير ١٩٧١ . ويبلغ عدد من يستفيدون بهذا القرار حوالى ١٥٠ الف موظف وعامل يشملون : حوالى ١١٠ الف من موظفى وعمال الحكومة واجهزة الحكم المحلى والجزء الاكبر من هذا العدد ويبلغ حوالى ٨٠ الفا من الموظفين والعمال من الفئة السابعة فمـا دونهـا ... والبـاقـون ويبلـغ عـددهم حـوالى ٤٠ الفـا مـن موظفى وعمال الهيئات العامة ومعظمهم ايضا من صغار الموظفين . وسـوف تتحمل ميزانية الدولة لتنفيذ قرار ترقيات الموظفين مليونا ونصف مليون جنيه .

دعم الخدمة الصحية : قرر مجلس الوزراء فتح اعتماد اضافى بمبلغ مليون جنيه لانشاء ٤٠٠ وحدة صحية ريفية جديدة خلال هذا العام : هذا بالاضافة الى الوحـدات الجـارى استكمـالها وتشغيلها .

وواضح ان هذه الاجراءات السـعرية والدخلية تهدف الى التيسير على ذوى الدخل المحدد : فالسلع التى تقـرر تخفيض اسعارها هى من السلع الضرورية الاساسية لجماهير الشعب العـامل ، كذلك فان الجزء الاكبر من اعتمـادات صرف الارباح وترقيات الموظفين سيستفيد به اساسا صـغار الموظفين والعـاملين بالحكومة والقطاع العـام . ولاشك فان صدور هذه القرارات تعكس اهتمـام القيادة السياسية العليا باعتبارها ممثلة لسلطة تحالف قوى الشـعب العـامل باحتياجات الجماهير ومحـاولتها تحميل الدولة بعض الاعباء والتخفيف عن جماهير

والجمهورية العربية الليبية والجمهورية العربية المتحدة •

٢ ـ انشاء لجنة تخطيط عليا •
٣ ـ انشاء مجلس للامن القومي •
٤ ـ انشاء لجنة متابعة
٥ ـ انشاء لجان فرعية تتصل بقطاعات العمل المختلفة •

وقد أوضح الرئيس نميرى فورعودته من القاهرة الى الخرطوم فى حديث أدلى به لجريدة القوات المسلحة الاسباب التى دعت الى اجتماع دول ميثاق طرابلس فى ذكرى الاربعين لرحيل الزعيم **جمال عبد الناصر** ، وقال الرئيس نميرى فى اجابته عن السؤال الذى وجهته اليه الجريدة بخصوص تضارب التفسيرات حول البيان الختامى لاجتماع دول ميثاق طرابلس : « **ان البيان الختامى لدول ميثاق طرابلس لا يشير الى وحدة أو اتحاد فورى وانماهو تأكيد وتعميق للخطوط الرئيسية التى سبق الاتفاق عليها بين الدول الثلاث للتنسيق فيما بينها فى مجالات التكامل الاقتصادى والسياسة الخارجية والاعلام وتبادل الخبرة** • وأنا أؤكد هنا أن مغزى البيان يتمثل فى النقاط الثلاث الاتية : **أولا** : اننا اكدنا فى هذا البيان ضرورة الاتصال بين الدول الثلاثة على مستوى القمة وبصورة تتميز بالسرعة والمرونة وتتجاوز كل الاجراءات الروتينية وتتعداها لمجابهة الظروف المحيطة بالمنطقة العربية والتحرك الاستعمارى الواسع والنشط والذى يكثف فى هذه المرحلة من نشاطه وتآمره ضد الامة العربية والانظمة التقدمية فيها • **ثانيا** : دعم اللجان المنبثقة عن اجتماع طرابلس وتوسيع اختصاصاتها وصلاحيتها بما يكفل لها القيام بمهامها بالسرعة والكفاءة المطلوبة . **ثالثا** : ان هذا التجمع لا يعنى قيام محورفى العالم العربى وانماهو مفتوح أمام كل الدول العربية التى تلتقى أهدافها ومبادؤها مع أهداف ومبادىء دول ميثاق طرابلس والتى تهدف بصفة أساسية وقبل كل شيء الى حشد كل الطاقات والامكانيات لدحر العدوان الاسرائيلى الاستعمارى لتمهد الطريق لاستثمار هذه الموارد لتحقق الكفاية لشعوبها وذلك فى ظل سياسة متحررة معادية للاستغلال بكل صوره » •

وقد أوضح الرئيس نميرى فى حديثه كذلك أن الدول الثلاث قد أقرت مجموعة من المهام الرئيسية التى تواجهها الدول الثلاث فى هذه المرحلة من العمل الموحد فقال : « ١ ـ لابد أن تتكاتف الدول الثلاثة فى سياستها الخارجية بحيث تقف متساندة كجبهة موحدة ضد الاستعمار القديم والحديث

الشعب بالرغم من الظروف التى يمر بها اقتصادنا فى الوقت الحاضر حيث يخصص جزء هام من مواردنا لمواجهة قوى الشر والعدوان •

ان توزيع الارباح هى ثمرة ملكية الشعب لادوات الانتاج يتمتع بها جموع العاملين فى مجتمعنا الاشتراكى ، ولاشك ان ذلك من اهم الحوافز لزيادة الانتاج والارتفاع بالمستويات الانتاجية حيث يتأكد العاملون بان العائد من كل الجهود المبذولة لزيادة الانتاج وتطويره يعود على جموعهم اما بطريق مباشر فى شكل زيادات الاجور وتوزيع الارباح واما بطريق غير مباشر فى شكل اعادة استثمار الفائض تحقيقا للمزيد من العمالة والانتاج او للتوسع فى التعليم والخدمات الصحية.

ولكن نود فى هذا الصدد ان نشير الى نقطة هامة وهى انه فى اقتصادنا الاشتراكى حيث تعد خطة التنمية الشاملة هى العمود الفقرى لاقتصادنا فانه يجدر ان يتغير اسلوب صرف المكافآت للعاملين لاعلى اساس تحقيق الارباح التى تحققها الوحدة الانتاجية ولكن على اساس تحقيقها للاهداف المحددة لها فى خطة الوحدة كجزء من خطة التنمية الشاملة وخاصة ان مفهوم الربح السائد لدينا حتى الان هو مفهوم الربح المحاسبى وليس العائد الاقتصادى .

وبالنسبة لترقيات الموظفين على اساس تطبيق قواعد الرسوب فلاشك انه اجراء من الاجراءات التى يتاح للدولة استخدامها فى الاجل القصير لانصاف الموظفين عامة والصغار منهم خاصة . وبالطبع ليس ذلك ان مشكلة موظفى الحكومة وترقياتهم الذى تحاول دولتنا الاشتراكية تحقيقه ذلك ان مشكلة موظفى الحكومة وترقياتهم وتوزيعهم التوزيع الامثل بين مختلف الاجهزة والادارات مشكلة هيكلية لا يمكن ان تحل حلا جذريا الا فى الاجل الطويل كجزء من خطة العمالة طويلة الاجل وكانعكاس للتغييرات الجذرية فى هيكل الانتاج التى يستهدفها تخطيطنا الشامل للتنمية فى الاجل الطويل .

واخيرا بالنسبة لاسعار السلع التى خفضت فلاشك انها خطوة هامة تحس بها جماهير الشعب جاءت بمثابة محاولة لكبح جماح حركة ارتفاع الاسعار . ونود فى هذا الصدد ان نشير الى نقطتين هامتين : اولا ان محاولات القطاع الخاص لرفع الاسعار بشكل مصطنع يمكن ان يؤدى الى حركة محمومة من ارتفاعات الاسعار لمختلف السلع حيث يجر بعضها البعض الامر الذى ينجم عنه آثار سيئة وخاصة فى ظروف اقتصاد الحرب التى يكمن فى طبيعتها اتجاهات تضخمية والتى لو فلت زمامها لصعب السيطرة عليها ولالحق اشد الضرر بالجبهة الداخلية التى هى السند القوى لجيشنا فى جبهة القتال ، لذلك فان الامر يستدعى سرعة استكمال الاجراءات التنظيمية لاخضاع تجارة الجملة لسيطرة القطاع العام . ثانيا : لقد آن الوقت لتناول مشكلة الاسعار بمفهوم الاقتصاد المخطط والنظر الى السياسة السعرية باعتبارها احد ادوات وضع وتنفيذ استراتيجية التنمية وتحقيق اهداف خطة التنمية من حيث تحقيق التوزيع الامثل للموارد بين مختلف أوجه النشاط الاقتصادى وتحقيق التوازن بين المعروض من السلع والخدمات والدخول النقدية الموجهة لاغراض الاستهلاك النهائى تفاديا للاتجاهات التضخمية . ولاشك ان ذلك يحتم سرعة انشاء الجهاز المركزى للاسعار باعتباره جهازا من اجهزة التخطيط المركزى ويتبع اما لوزارة التخطيط او يلحق برئاسة الوزراء وتكون مهمته الاولى وضع اسس واقتراح السياسات السعرية المخططة بما يتفق واستراتيجية التنمية واهداف الخطة فى الانتاج والاستهلاك والتجارة الخارجية •

د• ألفونس عزيز

والتصدى لمؤامراته ٢ ـ ان الدول الثلاثة بما تملكه من امكانيات مادية وبشرية لابد أن تعمل متكاملة من اجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى كل من اقطارها ٣ ـ ان تجاوز التخلف فى كل قطر من اقطار الدول الثلاثة يتطلب وبصورة أساسية ضرورة التحرر الاقتصادى والتنمية القائمة على العلم والتخطيط وذلك بالاعتماد الكامل على الموارد الذاتية بشرية أو مادية فى كل قطر ٤ ـ ان الحرية السياسية تتطلب فى المقام الاول تحرير المواطنين فى كل قطر من كل صور القهر كما تتطلب قيام مؤسسات سياسية تتجمع فيها قوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة فى التعبير ممثلة فى المنظمات الجماهيرية للفصائل الثورية، محققة بذلك الوحدة الوطنية الحقيقية، وذلك كخطوة ضرورية وأساسية على طريق الالتقاء القومى بين الدول الثلاثة ٥ ـ كذلك لابد لكل قطر من أن يعمل على بناء قوات مسلحة رادعة وقادرة على حماية وحدة ترابه والتصدى للاستعمار وأعوانه • وبتحقيق هذه المهام « يصبح شكل العلاقة بين الاقطار الثلاثة هو مسئولية الجماهير التى تستطيع وحدها أن تحدده وأن تفرضه اذا ما حاز الموافقة الاجتماعية، وبالطبع فان هذه مرحلة يرتبط توقيتها بانجاز المهام السابق الاشارة اليها » •

وفى خطاب الرئيس أنور السادات الذى افتتح به الدورة الثالثة لمجلس الامة فى التاسع عشر من الشهر الماضى تحدث عن الوحدة العربية كضرورة ومستقبل ومصير، وعن مغزى اتفاق القاهرة بين دول ميثاق طرابلس فقال: « وليس بين جميع أهدافنا ـ هدف ـ يتعرض للتيارات المعادية كما يتعرض هدف الوحدة، وتلك شهادة لاصالة هذا الهدف، كما ان ذلك فى نفس الوقت حافز يدفعنا الى حسن الدفاع عنه، وأكثر ما يكون دفاعنا عن هذا الهدف حين نحميه ليس فقط من أعدائه، وانما من الذين يتظاهرون به وهم لا يقصدون وجهه ولكنهم يناورون لخدمة مغامرات غير مدروسة وغير محسوبة •• « على هذه الاسس قام اتفاق القاهرة بين دول ميثاق طرابلس الجمهورية العربية الليبية وجمهورية السودان الديموقراطية والجمهورية العربية المتحدة من أجل ايجاد النواة والقاعدة الصلبة لمستقبل عربى تصنعه وتشكله الارادة الواعية الحرة المتحررة » •

وترى الدوائر السياسية المتحررة ان اجتماع دول ميثاق طرابلس تبرز أهميته من الظروف التى انعقد فيها حيث تمر البلاد العربية بمرحلة دقيقة من مراحل تطورها وهى تواجه مخططات استعمارية وصهيونية لاضعاف العمل العربى المشترك والموحد وخاصة بعد رحيل القائد جمال عبد الناصر • ويرى المراقبون كذلك أن **الدوائر الغربية الاستعمارية، وأجهزة اعلامها تحاول جاهدة أن تركز على نتائج لم يصل اليها الاجتماع بقصد احداث مزيد من الفرقة فى الصف** • فهى تحاول أن تصور أنه خلق محورا جديدا فى العالم العربى، وأنه تجميع لموارد الدول الثلاث ضد اسرائيل فى محاولة لاستدرار عطف جديد على اسرائيل وتبرير مدها بمزيد من السلاح والمعدات •

وقد أكدت صحيفة برافدا السوفيتية فى تعليقها على الاعلان الثلاثى الذى صدر عن الاجتماع، على حقيقة ان كل الاصدقاء المخلصين للعرب، وكل من يساندون قضيتهم العادلة، يكنون تقديرا بالغا لاجتماع القاهرة الذى أسفر عن اقرار الاتحاد، وأكدت فى تعليقها كذلك انه ضربة لمخططات الدوائر العدوانية الاسرائيلية وحماتها، وهى المخططات الرامية الى اضعاف الارادة العربية للنضال ضد الاستعمار •

■ ■

■ الصراع العربى الاسرائيلى

قرار الجمعية العامة •• انتصار للدبلوماسية العربية

فى حديثه امام المؤتمر القومى فى جلساته الاخيرة لخص الرئيس **أنور السادات** تطورات أزمة الشرق الاوسط قائلا « ان المناقشات التى جرت أخيرا فى الامم المتحدة قد دلت على أن المحاولات الدبلوماسية وحدها عاجزة عن التوصل الى نتيجة ما لم تدعمها قوة المقاتلين فى الجبهة •• ان قواتنا مستعدة لدخول المعركة فى أى وقت تحاول فيه اسرائيل ان تعتدى، والاوامر لديها بأن تكون على استعداد، اذا بدأت المعركة خلال فترة وقف اطلاق النار » •

لكن رغم هذا الفهم لابعاد الازمة لا تزال الجمهورية العربية المتحدة تبذل كل الجهود وتستنفذ كل امكانيات النضال الدبلوماسى فى المجال الدولى من أجل التوصل الى تسوية سلمية وفى سبيل عزل أمريكا واسرائيل لخلق انسب الظروف لانتصار الحق العربى •

ومع بداية الشهر الماضى شهدت الجمعية العامة معركة من اضخم المعارك الدبلوماسية أثناء مناقشة أزمة الشرق الاوسط • وخلال هذه المعركة تمكنت الجمهورية العربية المتحدة من أن تحرز انتصارا ضخما على قوى العدوان • ولقيت الولايات المتحدة هزيمة ضخمة بعد أن وافقت الجمعية العامة بأغلبية ساحقة، ورغم الضغوط والمناورات، على مشروع القرار الافرو آسيوى

حول الشرق الاوسط . وعقب صدور القرار صرح « محمود رياض » بان هذا القرار جاء مكسبا للسياسة العربية لانه أدى الى عزل اسرائيل والولايات المتحدة فى المجال الدولى . وعلى الفور قام السيد محمود رياض باتصالات واسعة مع الوفود والبلدان التى يهمها الامر بهدف تحريك

تعليق

حرب جمركية جديدة ؟

اقر مجلس النواب الامريكى فى ١٩ نوفمبر ١٩٧٠ مشروع قانون بفرض حماية جمركية اضافية للمنتجات الامريكية « المهددة بسبب انخفاض اجور العمال الذى يمكن بعض الدول من بيع منتجاتها المنافسة فى السوق الامريكية بأسعار اقل من الاسعار السائدة فى تلك السوق » . والجديد فى القانون أنه لا يكتفى برفع الجمارك . بل ينص على تطبيق نظام « الحصص » . أى يفرض على الحكومة أن تحدد الكمية التى يجوز استيرادها كل عام من بعض المنتجات . وفى رأس السلع التى يراد تطبيق هذا النظام عليها المنسوجات من القطن ومن الالياف الاصطناعية والتخليقية . وبالرغم من ان مشروع القانون لم يتحول بعد الى قانون نظرا لان مجلس الشيوخ لم يصوت عليه بعد . وبالرغم من معارضة حكومة جونسون لهذا المشروع . فان مجرد اقرار مجلس النواب له قد اثار جزعا فى بريطانيا ودول السوق الاوربية المشتركة واليابان ، أى لدى بقية الدول الرأسمالية الكبرى . فقد رأى فيه شركاء امريكا نذيرا بعودتها الى سياسة الحماية الجمركية الكاملة عودة مفاجئة تهدد كل الجهود المبذولة خلال ربع القرن الماضى لتنشيط التجارة الخارجية للدول الرأسمالية كاجراء ضرورى لمواجهة الخطر الماثل دائما فى عالم الرأسمالية خطر كساد اشد رهبة من الكساد الاعظم [١٩٢٩ — ١٩٣٢] .

ولقد كانت الولايات المتحدة تسيرحتى عشية الحرب العالمية الثانية على سياسة حماية شديدة . فبداية التصنيع فيها متأخرة عن اوروبا جعلت الصناعة تعيش فى جو من الحماية . وكانت الرأسمالية الامريكية ترى فى دول امريكا اللاتينية سوقها الخارجية الاساسية . ومن ثم لم تخرج لغزو العالم القديم اقتصاديا . واقتصر نشاطها فيه على بعض المجالات الهامة مثل البترول والسيارات وما اليها . ولكن الوضع تغير بعد الحرب العالمية الثانية . فقد ضاقت السوق العالمية بخروج الدول الاشتراكية منها . ومن ناحية اخرى أنهكت الحرب دول اوربا الغربية واليابان ، فى حين ان الحرب مكنت امريكا من مضاعفة الانتاج ولم يتعرض الاقتصاد الامريكى لاية خسائر . ولذلك سعت واشنطون لتوحيد السوق الرأسمالية العالمية تحت سيطرتها . ورفعت من جديد شعار تحرير التجارة الدولية من القيود الموروثة من فترة الكساد الاعظم . وشجعت كل اشكال « التعاون الاقتصادى » « والسوق المشتركة » وكل ما من شانه ازاحة القيود الجمركية وما اليها او الحد من اثرها . وتصدت لانشاء منظمة التجارة والتعريفات الدولية « الجات » التى تستهدف « تحرير التجارة الدولية » من كل القيود ، وبالذات القيود الكمية وحتى منتصف الخمسينات كانت هذه السياسة كسبا خالصا للولايات المتحدة . التعمير واعادة البناء والتطوير ، وكان الطلب شديدا على المنتجات الامريكية لا يحد منه الا نقص احتياطيات تلك الدول من الدولارات .

وقد حلت واشنطون هذه المشكلة عن طريق القروض الضخمة واشهرها مشروع مارشال فى اوروبا ، ثم عن طريق الاستثمارات الامريكية المباشرة لاسيما فى اليابان والمانيا وتريطانيا .

ولكن الصورة تغيرت بشكل واضح فى الستينات . فقد تدعمت اقتصاديات الدول الرأسمالية الكبرى بدرجات متفاوتة . وزادت قدرتها على التصدير . ولم تقنع بمنافسة المنتجات الامريكية فى العالم الثالث ، بل اخذت تصدر الى الولايات المتحدة نفسها . وبدأ الضغط على واشنطون فى اتجاه تخفيض اجراءات الحماية الامريكية . ومن هنا كانت «مفاوضات كينيدى» الشهيرة التى بدأت على اثر دعوة من الرئيس الامريكى لبذل مجهود مشترك فى سبيل تنمية المبادلات الدولية بالشكل الذى لا يضر بالمصالح الاساسية لاية دولة من الدول الرأسمالية الكبرى ، ويخدم الرأسمالية العالمية فى مجموعها . ولكن مفاوضات كينيدى استمرت سنوات طويلة دون أن تؤدى الى نتيجة ملموسة . وفى الوقت نفسه ظهرت فى الاقتصاد الامريكى دلائل مقلقة للغاية . فقد زاد العجز فى ميزان المدفوعات الامريكى بشكل خطير ، وبدأت بعض الدول الرأسمالية — وعلى رأسها فرنسا — تتخلص من الدولار وتشترى ذهبا من امريكا . وترتب على ذلك نقص احتياطى الذهب الامريكى فى نهاية ١٩٦٨ الى نصف ما كان عليه سنة ١٩٤٨ . واضطرت الولايات المتحدة للاقتراض من صندوق النقد الدولى ومن حلفائها وبصفة خاصة المانيا الغربية لانقاذ الدولار .

وكانت الدعامة الاساسية لامريكا فى هذا الموقف هى الفائض المنتظم فى ميزانها التجارى ولكن استمرار الحال على هذا المنوال خلق ظواهر تضخمية ترتب عليها ارتفاع مستمر فى الاسعار . وقد ادى ارتفاع اسعار المنتجات الامريكية الى ضعف مركزها فى منافسة منتجات الدول الرأسمالية الكبرى الاخرى مما هدد الفائض التقليدى فى الميزان التجارى . ومن هنا نشأت الدعوة الى تشديد اجراءات الحماية .

ومن الطبيعى ان يتبنى تلك الدعوة اصحاب الصناعات المتوسطة — بالمقاييس الامريكية — لانهم اكثر تعرضا من غيرهم لخطر المنافسة الاجنبية . اما الصناعات ذات الطابع الاحتكارى القوى ، فانها تلجا الى انشاء فروع فى الدول الرأسمالية الاخرى ، واستثمار اموالها فى شركات تلك الدول بحيث تلغى عمليا اثر التفاوت فى تكلفة الانتاج وفى الاسعار . ومن هنا كانت معارضة حكومة واشنطون لمشروع القانون الذى اقره مجلس النواب الامريكى . فحكومة نيكسون تمثل اقوى الاحتكارات الامريكية وهى ليست ذات مصلحة فى اعادة تمزيق السوق الرأسمالية العالمية . بل انها تخشى على مصالحها المباشرة من اجراءات انتقامية تتخذها الدول الاخرى . كما انها تخشى على وضع الرأسمالية العالمية كلها والاقتصاد الامريكى بالذات مما يمكن ان تفضى اليه « الحرب الجمركية » من تقلص فى حجم المبادلات الدولية .

ولهذا فان الارجح الا يقر مجلس الشيوخ مشروع القانون الذى اقره مجلس النواب . أى ان الحرب الجمركية لن تبدأ فى الغد القريب . ولكن الادواء التى يشكو منها الاقتصاد الامريكى تتفاقم ، وتحمل فى طياتها احتمال اهتزازات عنيفة فى الاقتصاد الرأسمالى كله . .

د. اسماعيل صبرى عبد الله

مهمة يارنج على وجه السرعة لضمان تقديم تقرير لمجلس الامن خلال شهرين كما نص قرار الجمعية العامة • واعلنت القاهرة قبولها لمد وقف اطلاق النار لفترة ٩٠ يوما أخرى شرط أن تجرى خلال هذه الفترة مفاوضات مثمرة وعلى أنها لن تقبل مد وقف اطلاق النار لفترة ثالثة •

وأعلن السيد **انور السادات** « أننا استفدنا فائدة كبرى من وقف اطلاق النار وسوف يظهر أثر ذلك فى الوقت المناسب . انه فى الوقت الذى نعمل فيه من أجل السلام لاخر فرصة نستعد للضرب لاخر طلقة •

وما أن صدر قرار الجمعية العامة حتى أعلنت اسرائيل رفضها له ، وصرح « **ابا ايبان** » ، وزير خارجيتها بأن الجمعية العامة قد وضعت بالقرار الذى اصدرته عقبة جديدة على طريق البحث عن حل لازمة الشرق الاوسط ، وواصلت حملة الاتهامات المختلقة ضد الجمهورية العربية المتحدة حول قواعد الصواريخ ، وطالبت بازالة تلك القواعد كشرط للرجوع الى الاتصال « **بجونار يارنج** » غير أن الجمهورية العربية المتحدة اعلنت أنها لا تقبل أى مناقشة حول مسألة الصواريخ وانها لن تحرك صاروخا واحدا من مكانه • وعندما وجدت اسرائيل نفسها فى طريق مسدود بدأت تغير من لهجتها فى مناورة جديدة لتجاهل قرار الجمعية العامة الاخير • وبدأت الحملة الاسرائيلية الماكرة بان أعلن **ديان** ان مهمة يارنج هى الامل الوحيد فى تحقيق السلام فى الشرق الاوسط » ثم أعلنت الدوائر المسئولة فى وشنطن انها تتوقع عودة اسرائيل الى اتصالات يارنج • ورغم ذلك فقد كشفت صحيفة « **يديعوت احرونوت** » الاسرائيلية عن نوايا اسرائيل وأمريكا حينما أشارت الى « ان الامريكين لا يهتمون باستئناف اتصالات اسرائيل مع يارنج بصفة عاجلة لان ذلك سيعطى انطباعا بأنه جاء نتيجة لقرار الجمعية العامة وهو القرار الذى تتجاهله أمريكا » • وصرحت « **جولدا مايير** » بأن الظروف لم تعد مناسبة بعد لكى تستأنف إسرائيل محادثات السلام فى الشرق الاوسط ، وأعربت عن أملها فى أن يستمر وقف اطلاق النار فى المنطقة بعد فترة التسعين يوما الحالية كوسيلة لانهاء أزمة الشرق الاوسط • وازاء هذه المناورات وهذا التجاهل لقرار الجمعية العامة قرر « **جونار يارنج** » أن يعود الى مهام منصبه فى موسكو حتى يتضح أن هناك امكانية لاستئناف المفاوضات • وصرح متحدث رسمى باسم الجمهورية العربية المتحدة بأن سفر يارنج لا يعنى سوى أمر واحد وهو انه أصبح متأكدا من عدم جدية اسرائيل فى تنفيذ قرار مجلس الامن وعدم احترامها لقرار الجمعية العامة •

ورغم ما تعهدت به الولايات المتحدة بألا تقدم أسلحة جديدة لاسرائيل خلال فترة وقف اطلاق النار ، قامت بخرق هذه التعهدات وقدمت كميات ضخمة من مختلف أنواع الاسلحة الهجومية الى اسرائيل • وأشارت « **الاوبزرفر** » البريطانية الى أن مصدر قوة اسرائيل اليوم انما يكمن فى استمرار تزويد الولايات المتحدة لها بالاسلحة الهجومية ، واستمرار اسرائيل فى تعزيز مراكزها العسكرية فى الاراضى العربية المحتلة وفى سيناء بصفة خاصة • ولقد تقدمت الحكومة الامريكية خلال الشهر الماضى الى الكونجرس تطلب الموافقة على اعتماد ٥٠٠ مليون دولار للمضى فى تقديم أسلحة جديدة لاسرائيل • وصرحت المصادر الامريكية المسئولة بأنها ترى ان تزويد اسرائيل بهذه الاسلحة من شأنه أن يضع حدا لاختلال التوازن العسكرى فى الشرق الاوسط بعد تدعيم مصر لوسائل دفاعها الجوى مما قد يدفع اسرائيل لاستئناف اتصالاتها مع يارنج • وقد أشار الرئيس « **أنور السادات** » فى خطابه الى ذلك فقال : « ان أمريكا مستمرة فى تزويد اسرائيل بمئات الدبابات والطائرات ومازالت تثير موضوع الصواريخ واتهام مصر بخرق وقف اطلاق النار كجزء من حملة الضغط النفسى ضد الجمهورية العربية المتحدة » •

وفى نفس الوقت يواصل الاتحاد السوفيتى دعمه ومساندته للجمهورية العربية المتحدة للوقوف فى وجه العدوان ومخططاته • وقد أشار السيد « **أنور السادات** » الى انه حتى خلال المأتم كان الاتحاد السوفيتى يمدنا بدعم جديد كى يثبت انه فى أوقات المحن معنا • كما أعلن « **سوسلوف** » سكرتير الحزب الشيوعى السوفيتى فى خطاب بمناسبة ذكرى ثورة أكتوبر قائلا : « ان الاتحاد السوفيتى سيظل يقف بحزم الى جانب الحقوق المشروعة للشعوب العربية ، وقال ، ان المعتدين الاسرائيليين سيضطرون طوعا أو كرها الى سحب قواتهم » •

ويشير كثير من المراقبين الى أن أهم نجاح حققته السياسة العربية خلال الشهر الماضى كان فرض مزيد من العزلة على اسرائيل والولايات المتحدة فى المجال الدولى وكسب مزيد من الدول الى صف الحق العربى • وبالاضافة الى ذلك فانهم يعتبرون أن قرار الدول العربية الثلاث مصر والسودان وليبيا باقامة اتحاد ثلاثى بينها سوف يكون له آثار بعيدة على مستقبل النزاع العربى الاسرائيلى خاصة وقد أعربت الدوائر الاسرائيلية عن قلقها من قيام جبهة عميقة من البلدان العربية الثلاث ضد اسرائيل •

■ سوريا :

تطورات حاسمة بعد صراع طويل

شهدت دمشق فى الشهر الماضي فصلا اساسيا من فصول الخلاف والصراع الطويل بينجناحى حزب البعث الحاكم فى سوريا ، حيث تغلب الجناح العسكرى بزعامة الفريق **حافظ الاسد** وزير الدفاع وقائد سلاح الطيران ، وتم اقصاء جناح المدنيين عن الحزب والحكم وعلى رأسه **صلاح جديد** الامين المساعد للحزب **ويوسف زعين** قائد منظمة الصاعقة الفدائية ، **وابراهيم ماخوس ومحمد عيد عشاوى ومحمد رباح الطويل وعزت جديد** فضلا عن الدكتور **نور الدين الاتاسى** رئيس الدولة والوزارة والامين العامللحزب .

وقد أعلن عن تكوين قيادة قطرية مؤقتة من ١٤ عضوا برئاسة الفريق حافظ الاسد وتضم ٤ من العسكريين ، بدلا من القيادة القديمة التى تم حلها .كما اختارت القيادة القطرية رئيسا للدولة السيد **أحمد الخطيب** عضو مجلس الرئاسة الذى تم تنحيته عقب انقلاب ٢٣ فبراير سنة ١٩٦٦ ، وتولى الفريق حافظ الاسد تشكيل وزارة انتقالية تتكون من ٢٦ وزيرا نصفهم من البعثيين والنصف الاخر من الناصريين والشيوعيين والوحدويين الاشتراكيين والحزب العربى الاشتراكى .

وترجع جذور الخلاف بين الفريقين المتنازعين الى المؤتمر القومى العاشرللحزب فىسبتمبرعام ١٩٦٨ ، وذلك حول طبيعة المعركة مع العدو الاسرائيلى وتحرير الاراضى المحتلة .. وشهدت تلك الفترة تحركات عسكرية بقيادة الفريق الاسد قائد سلاح الطيران ، وسيطرته على المؤسسات الرسمية ، وطالب الاسد وقتئذ القيادة القومية باقصاء حوالى ٢٠ شخصا من أعضاء القيادة القطرية وقيادات المناطق من بينهم **زعين وماخوس وعشاوى والطويل وعزت جديد وأحمد سويدانى وعبد الكريم الجندى** رئيس المخابرات السورية . وقد فر سويدانى الى الخارج وانتحر الجندى فى ظروف ظلت مجهولة حتى اليوم . وقد أمكن فى ذلك الوقت وقف تطور الصراع وتسوية بعض المشاكل بما يرضى الطرفين . وتم اقصاء يوسف زعين عن رئاسة الوزراء وابراهيم ماخوس عن وزارة الخارجية ، وكلف الرئيس نور الدين الاتاسى بتشكيل الوزارة الى جانب رئاسته للدولة وأمانة الحزب ، وتعيين الفريق حافظ الاسد وزيرا للدفاع وأعطى بعض الصلاحيات لاجراء تغييرات فى القيادات العسكرية على الا تتعدى ما فوق رتبة الرائد ، وتم تجميد الموقف بين الجناحين المتنازعين .

ثم جاء المؤتمر القطرى فى عام ١٩٦٩ ، وشهد تجدد الخلاف بين جناحى الحزب ، ولكنالمؤتمر لم يتوصل الى حسم الخلاف بينهما بشكل نهائى . وقدم الدكتور الاتاسى استقالة علنية وقدم نقدا ذاتيا أمام المؤتمر عن بعض الاخطاء أثناء قيادته للحزب والدولة . لكن الحزب رفض الاستقالة وطلب منه الاستمرار فى الحكم ، وانتهت الحال بتسويات أخرى ، وظلت نقاط الخلاف الإساسية كما هى لم تتغير .

وتتلخص نقاط الخلاف فيما يلى :

● **يرى الفريق العسكرى أن المسئول أساسا عن** الهزيمة واحتلال الاراضى السورية هو الجناح المدنى الذى يتزعمه اللواء صلاح جديد الامين المساعد للحزب وانصاره الذين يهيمنون على سياسةالحزب، وأن مرحلة التحرر الوطنىالحالية وتطهير أرض الوطن واسترجاعها **هى مسئولية** جميع **القوى الوطنية والتقدمية** . وتقع على عاتق الجيش أساسا ، وأن وضع الجيش فى مواجهة العدو يتطلب الاستقرار السياسى فى الداخل ، واقامة جبهة وطنية تقدمية تحمى ظهر الجيش ، ومن أجل تحقيق ذلك يجبالانفتاح علىكافة القوى الوطنية واليسارية والفئات القومية المختلفة، بما فى ذلك القوى التى تنتمى الى البعث القومى القديم من الذين تم ابعادهم عن الحزب والسلطة عقب انقلاب ٢٣ فبراير سنة ١٩٦٦ ، ووضع بعضهم فى السجن وفر البعض الاخر الى الخارج .

● **كان الجناح العسكرى يطالب بالاهتمام** بتعزيز القدرة الدفاعية والهجومية للجيش ووضعها فى المحل الاول ، وتعبئة كل الطاقات والامكانيات فى الدولة وراء الجيش ، ولو اقتضى الامر أن يكون ذلك علىحساب التنمية الاقتصادية والتقليل من بناء المصانع ، اذ لا فائدة من بناء مصانع تصبح هدفا فى متناول الطيران الاسرائيلى ، ما دامت تفتقر الى وسائل الدفاع اللازمة . وان حرب التحرير الشعبية لا يمكن أن تلغى دور الجيش الاساسى فى الدفاع عن الوطن .

● **طالب الجناح العسكرى** بالعمل علىتحقيق التنسيق العسكرى الفعال مع الدول العربية المحيطة باسرائيل ، وايجاد صيغة للتعاون مع الاردن والعراق كضرورة لقيام الجبهة الشرقية كذلك ترددت عدة أنباء من الوكالات العالمية عن اتجاه الحكم الجديد فى سوريا للنظر بشكل واقعى تجاه مشكلة الشرق الاوسط على أساس قبول قرار مجلسالامن الذىقبلته الدولالعربية الاخرى فى خط المواجهة .

الاراضي المحتلة لن يتحقق الا عن طريق استراتيجية الحزب التي ترتكز على « نظرية حرب التحرير الشعبية والجيش الشعبي » ، وابتداع ما يسمى بنظرية « تسييح الزيت » التي تقول : بأن احتلال اسرائيل لمزيد من الاراضي العربية ، انما يشبه نقطة الزيت التي تسقط على الارض كلها في نطاق اتساعها ، كل ما قل عمقها ، وأصبحت قابلية الارض لامتصاصها أكثر سهولة وسرعة » ، وأنه لا خوف مطلقا من احتلال اسرائيل لمزيد من الاراضي العربية .

● **كان الجناح المدني يلح في التركيز على التنمية الاقتصادية وبناء المصانع وتطوير المنظمات** الشعبية وخاصة منظمة الصاعقة (التنظيم الفدائي) ، والاهتمام بتدعيم الجيش ، والالتحام الكامل بالمنظمات الفلسطينية .

وظلت الغلبة في الحزب والسلطة لجناح صلاح جديد حتى آخر لحظة ، ويميل بعض المراقبين الى أن سياسة الجناح المدني قد أدت الى نشوء كثير من العقبات والتعارض في المواقف السياسية والعسكرية بين الدول العربية المحيطة باسرائيل . بل أن هناك من يرى أنها أخرت قيام الجبهة الشرقية ، حتى الآن ، وذلك منذ حرب يونيو عام ١٩٦٧ . وأن رفض حزب البعث لقرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ ، ورفض مشروع روجرز ، ورفض أي عمل سياسي على مستوى الامم المتحدة ، يعتبر استطرادا طبيعيا لاستراتيجية الحزب وتصورات الجناح المدني عن « حرب التحرير الشاملة » .

ثم جاءت احداث الاردن الدامية والخسائر الفادحة التي انزلت بالمقاومة الفلسطينية ، والاثر العميق الذي تركه موت الرئيس عبد الناصر في المنطقة . ان كل هذا قد فرض على القوى الثورية في المنطقة مراجعة حساباتها واعادة ترتيب أوضاعها من جديد لمواجهة متطلبات الموقف .

وفي ذلك الوقت قام الفريق حافظ الاسد وزير الدفاع باجراء حركة تنقلات في قيادات الجيش تناولت عشرات الضباط وشملت مجموعة جديدة ، فزادت حدة الخلافة وأصر كل من الطرفين على وجهة نظره وموقفه . ثم ما كان من اعلان الرئيس نور الدين الاتاسي عن استقالته من مناصبه والتفرغ لشئون أمانة الحزب ، وما أشيع عن القبض عن صلاح جديد وزعين وماخوس وغيرهم من اعضاء القيادتين القومية والقطرية وتحديد اقامتهم ، الامر الذي عجل بعقد دورة استثنائية للحزب لاعادة النظر في كافة المشاكل والقضايا المحلية والعربية والخارجية وبحث الخلاف بين جناحي السلطة . ومن المعروف أنه في كل مرة كان يتجدد فيها الصراع بين الفريقين كان الرئيس عبد الناصر يتدخل للحيلولة دون تطور الخلاف ، حرصا على وحدة سوريا في مواجهة العدو الامبريالي الصهيوني .

وقد استمرت اجتماعات المؤتمر الاستثنائي ما يزيد على أسبوعين في سرية تامة لم تسمح بتسرب أية معلومات الى الخارج الا عن طريق البيانات الرسمية القليلة على لسان المسئول الاعلامي في الحزب والمتحدث باسم المؤتمر .

ويبدو من اتجاه الاحداث أن الجناح العسكري لم يتوصل الى تحقيق مطالبه داخل المؤتمر ، وأن المؤتمر قد قرر تقييد سلطات الفريق الاسد بصفته وزيرا للدفاع ومسئولا عن سلاح الطيران ووضعها تحت اشراف الحزب كما ترددت أنباء عن فصل الاسد وطلاس من الحزب . . الامر الذي دفع بالفريق الاسد الى التحرك السريع والاستيلاء على المؤسسات الرسمية والاذاعة والتليفزيون وصحف الحزب والحكومة ، واعتقال عدد كبير من خصومه ، وتمكن عدد آخر من الفرار خارج سوريا ، وتم لحافظ الاسد السيطرة الكاملة على البلاد دون اراقة للدماء وقد أذاعت القيادة القطرية الجديدة بيانا اتهمت فيه القيادة السابقة للحزب بأنها عقليات عقيمة ووقفت وحالت دون التحام الحزب بالجماهير ، والالتحام بالقوى العربية التقدمية من ناحية أخرى . كما تعهدت القيادة الجديدة بالعمل على اقامة جبهة تقدمية تضم الاحزاب والقوى السياسية والوحدوية والتقدمية بقيادة حزب البعث واشاعة جو الديموقراطية الكاملة في العلاقات بين حزب البعث والقوى الوحدوية التقدمية الاخرى ، واطلاق الحريات الديمقراطية للمنظمات الشعبية لتكوين قياداتها الحقيقية المعبرة عن مصالحها وتطلعاتها بعيدا عن التسلط والضغط .

واعلن المؤتمر القطري المؤقت عن « برنامج العمل للمرحلة الانتقالية » . تعهد فيه بحشد كل الطاقات التقدمية بقيادة حزب البعث ، وتشكيل مجلس للشعب في خلال فترة ثلاثة أشهر ويضم ممثلي حزب البعث والمنظمات الشعبية والنقابية وممثلي القوى التقدمية ، وتولي المجلس سلطات تشريعية ، ومسألة وضع الدستور الدائم لسوريا ، وانتخاب رئيس الدولة ، والعمل على تحقيق خطوات وحدوية مع الدول العربية التقدمية وخاصة الجمهورية العربية المتحدة ، والسعي لتاخذ سوريا مكانها في اتحاد دول ميثاق طرابلس (مصر والسودان وليبيا) ، ودعم الثورة الفلسطينية والعمل على توحيد فصائلها ، ودعم كافة الحركات التقدمية في العالم العربي ، وتطوير

العلاقات مع المعسكر الاشتراكي وخاصة مع الاتحاد السوفيتي الصديق » .

وتقوم القيادة القطرية المؤقتة في الوقت الحالي بوضع الصيغة التنفيذية لوضع برنامج العمل موضع التنفيذ ، وقد تم تنفيذ النقطة الخاصة بتشكيل الحكومة الجديدة التي ستتولى تنفيذ هذا البرنامج ، كما أعلن في سوريا أن الفريق حافظ الاسد سيقوم بزيارة الجمهورية العربية المتحدة في النصف الثاني من شهر ديسمبر لبحث موضوع انضمام سوريا الى الاتحاد الثلاثي ، وتنسيق العلاقات بين البلدين . وقد تضمنت الصحف السورية الرسمية التي صدرت عقب الازمة، التأكيد على قضية الديمقراطية بين الحزب والمنظمات الشعبية والسياسية ، كما تضمنت هجوما عنيفا على نظام الحكم القائم في العراق .

وترى الاوساط العربية أنه اذا كانت قضية تحرير الارض لا تزال القضية الاولى والمحورية فأن الامل معقود على الشعب السوري العربي بكل قواه الوطنية والتقدمية لكي يرمى بثقله كاملا من أجل اقامة الجبهة الشرقية، وأن هذا في حد ذاته يتطلب وحدة وطنية على أعلى مستوى ، تجنب الشعب الوقوع في مصيدة الانشقاق والانقسام .

■ ■

■ **فلسطين**

معارك سبتمبر تجربة غنية للمقاومة

ان **ما حدث** في الاردن في سبتمبر كما يقول **ياسر عرفات** : « **لم يكن** صداما بين السلطات الاردنية والمقاومة فالمقاومة لم تقل أنها تريد الحكم ، والسلطات الاردنية تعرف ذلك ، انماحدث في الاردن يشبه ما حدث في الكونغو ، وما حدث في اندنيسيا ، ضرب ثورة التحرير ، وبعد ذلك يسهل تصفية كل شيء » .

ولقد خاض رجال المقاومة هذه المعركة دفاعا عن الثورة الفلسطينية ونجحوا في أن يحولوا دون تنفيذ المخطط المرسوم لتصفية المقاومة الفلسطينية حتى نهايته ، وكان هذا المخطط من الضراوة والوحشية بحيث راح ضحيته حوالي ٢٠ الف بين شهيد وجريح ، بالاضافة الى الاف المساكن التي دمرت والاحياء التي ازيلت ، وقدرت المواد المتفجرة التي قصفت بها عمان خلال معارك سبتمبر بحوالي ١٢٠ الف طن ، أي ما يساوي حجم قنبلة هيروشيما ست مرات ، والى هذا اشار أيضا ياسر عرفات .

ولقد طرحت أحداث سبتمبر عددا من القضايا الهامة التي برزت من خلال التجربة نفسها وكان اهم ما خرجت به قوى الثورة الفلسطينية من هذه التجربة هو تلاحم وانصهار الطاقات العسكرية للثورة ، التي تمكنت كما يقول ياسر عرفات من أن تحقق وحدة البنادق ، بين جميع فصائل الثورة وتنظيماتها . واستنادا الى هذه التجربة الهامة تحاول قوى الثورة ان تنطلق نحو ايجاد صيغة ملائمة لتحقيق مزيد من الوحدة بين جميع قوى الثورة الفلسطينية

وتقوم اللجنة المركزية الان بوضع الاسس الكفيلة بتدعيم وحدة قوى الثورة ، والتي ترتكز على :

● **تحقيق وحدة السلاح** بين جميع فصائل المقاومة باعتبار ذلك هدفا رئيسيا لا يمكن التخلي عنه .

● **وضع مقاييس تنظيمية داخل صفوف الثورة** للعمل على تدعيم وحدة العمل المسلح وبغرض توحيد الكفاح المسلح وتخطي مرحلة التنسيق القائمة .

● **تحقيق المزيد** من التلاحم بين صفوف منظمات المقاومة لتفويت الفرصة على المحاولات التي تقوم بها بعض الدوائر لاثارة الخلافات في صفوف الثورة . ومراعاة أن يكون العمل من داخل اللجنة المركزية التي يلتقي فيها الجميع والتي تشكل الاساس للثورة الفلسطينية وسيكون الميثاق الوطني الفلسطيني منطلقا لجميع قوى الثورة الفلسطينية تحت قيادة اللجنة المركزية:

وبدأت اللجنة المركزية تحقق بالفعل بعض الخطوات في اتجاه توحيد حركة المقاومة ، فتم - في المخيمات - اغلاق المكاتب المتعددة والمنفصلة للمنظمات في عمان ولبنان ولم يعد يوجد سوى مكاتب اللجنة المركزية لقيادة الثورة، وبدأت البلاغات العسكرية تصدر باسم حركة المقاومة لا باسم هذا التنظيم او ذلك ، واختفت نهائيا البيانات العسكرية للمنظمات ولا شك في أن ذلك سيساهم مساهمة فعالة في تحقيق وحدة الثورة الفلسطينية ولا يزال البحث جاريا داخل اللجنة المركزية حول صيغة محددة . ويتجه الرأي الى أن تتخذ تلك الوحدة شكل الجبهة ، على غرار جبهة تحرير فيتنام لتضم كافة المنظمات مع احتفاظ كل تنظيم بكيانه الخاص وخضوع الجميع لقرارات اللجنة المركزية . وفي الوقت نفسه ، فان مثل هذه الوحدة تستلزم أن يكون للجبهة محور أو عمودفقري تمثله أقوى المنظمات.

على ان التطورات التي أعقبت توقيع اتفاق القاهرة كشفت أن الاخطار المحدقة بالثورة

الفلسطينية فى الاردن لم تنته بعد . ولا يزال القلق يسود دوائر المقاومة والرأى العام العربى (نتيجة لتعدد حوادث اطلاق النار) بخصوص الضمانات التى تكفل حماية ظهر الثورة الفلسطينية وعدم تكرار احداث سبتمبر . وقد أشار « ياسر عرفات » الى تلك الاخطار حين قال « ان مجىء

دافعوا عن حياة تيسير قبعة

فى أواخر عام ١٩٦٧ اعتقلت السلطات الاسرائيلية تيسير قبعة رئيس اتحاد الطلاب الفلسطينى، واصدرت حكمها عليه بالسجن لمدة ٣ سنوات تنتهى فى ٢٠-١٢-١٩٧٠ .. ولم تستجب اسرائيل للحملة التى قام بها ٨٧ اتحادا طلابيا عالميا مطالبة بالافراج عنه وان تكن هذه الحملة قد أجبرت اسرائيل على ان تحكم عليه بثلاث سنوات فقط .



ولكن الروح الانتقامية الشريرة لاسرائيل ما زالت تصر على التنكيل بالشاب الذى لم يرتكب اثما أكثر من أنه من بين المناضلين من أجل وطنه المغتصب فلسطين .. ففى الايام القليلة الماضية نقلت السلطات الاسرائيلية تيسير الى سجن [الرملة] ، وهو سجن سيىء السمعة تمهيدا لمد مدة سجنه الى اجل غير محدود ، وذلك حسب قوانين الاحكام العرفية التى اصدرها الانتداب البريطانى فى فلسطين سنة ١٩٤٨ لمطاردة المناضلين ضد الاستعمار والصهيونية آنذاك وبعد ذلك قاموا بنقله الى سجن [بيت ليد] حيث يتعرض لمزيد من اساءة المعاملة والتعذيب .

وتيسير قبعة فى الثانية والثلاثين من عمره تقريبا . وهو من قرية قلقيلية بالضفة الغربية من أسرة كلها فدائيون وشهداء .. وعندما كان فى الثامنة عشرة من عمره انتخب عضوا فى الهيئة التنفيذية لاتحاد الطلاب العالمى حيث تمكن من طرد اسرائيل من هذا الاتحاد ، واقنع الاتحاد بقبول عضوية اتحاد الطلاب الفلسطينى بدلا من اتحاد طلاب اسرائيل .

وقد درس فى القاهرة ودمشق وهناك قاوم الانفصال فى عام ١٩٦١ وتعرض للسجن ثم أصبح بعد ذلك رئيسا لاتحاد الطلاب الفلسطينى ، الامر الذى أصاب السلطات الاسرائيلية بالذعر بسبب نشاطه فاعتقلته عام ١٩٦٧ .

ان حياة تيسير قبعة الان فى خطر ، وان القسوة واعمال التعذيب الوحشية التى تمارس فى السجون والمعتقلات الاسرائيلية بالنسبة للمناضلين العرب يلاقى منها الآن تيسير قبعة الشىء الكثير ، ولقد تدهورت صحته واصابه الهزال الشديد .

ان مجلة الطليعة تناشد جميع الاتحادات الطلابية فى الوطن العربى وجميع الهيئات الشعبية والانسانية ان ترفع صوتها الى جميع الهيئات العالمية المسئولة عن حقوق الانسان لوقف هذه الجريمة مطالبة بالافراج عن تيسير قبعة ، ووقف عمليات التعذيب والاذلال بالنسبة له ، ولكل المناضلين العرب فى السجون الاسرائيلية . « الطليعة »

حكومة « **وصفى التل** » هو أحد معالم استمرار الخطر . اننا نعرف ان تلك الحكومة قد قامت لتنفيذ مغامرة ما . فنحن نعرف أن وصفى التل مسئول عن المذابح التى جرت فى الاردن تخطيطا وتنفيذا ، ومع ذلك فنحن لا نسبق الاحداث انما فقط نتخذ منها جانب الحذر . اننا ملتزمون باتفاق القاهرة وبروتوكول عمان . لكن التزامنا يتوازى مع التزام الطرف الاخر . ان سلوك الجيش الاردنى مازال استفزازيا ، ان حذرنا سيكون فوق الاطمئنان ولكنه سيكون أيضا دون الاستفزاز » واستطرد عرفات :

« **ورغم الحرص** على تنفيذ اتفاق القاهرة من جانبنا ، كثيرا ما نرى بعض العناصر تماطل فى تنفيذه . فحتى الان يوجد ما يزيد عن خمسمائة معتقل فى سجون الاردن من كافة التنظيمات ، ولا تزال السلطات الاردنية تماطل وتسوف فى الافراج عنهم . لكن على أية حال فاننا لا نزال ملتزمين بالشعار الذى رفعناه منذ اللحظة الاولى ، وهو « عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول العربية الااذا شكلت تهديدا للثورة الفلسطينية ». اننا لن نقاتل الا دفاعا عن حقنا فى خوض معركتنا العادلة ضد العدو الصهيونى ومن أجل تحرير أراضينا وقرانا » .

وعلى أثر احداث سبتمبر حاولت بعض الدوائر استغلال ما اصاب المقاومة الفلسطينية من خسائر وما شعرت به من مرارة ازاء السلطات الاردنية كى تبعث من جديد محاولة فصل الضفة الغربية لاقامة دولة فلسطينية هى الدولة التى تسميها الدوائر الامبريالية والصهيونية « بالدولة العازلة » وذهب الى عمان عدد من شخصيات الضفة الغربية ليعرضوا على قيادة المقاومة الموافقة على عقد مؤتمر فى الضفة الغربية يعلن فصلها عن الاردن لتأمين ظهر المقاومة . لكن قيادة المقاومة رفضت هذا الاتجاه وقاومته . ورأى ياسر عرفات ان مثل هذا المؤتمر الذى سيعقد فى الارض المحتلة ، انما سيتم عقده بموافقة سلطات الاحتلال الاسرائيلى وقال « علينا أن نذكر ما هى مصلحة السلطات الاسرائيلية فى عقد هذا المؤتمر والى أى حد يخدم مخططاتهم ولماذا يسمحون بعقده . ان مثل هذه الدولة الفلسطينية ستكون دولة ممسوخة ولن تكون فى مصلحة الثورة الفلسطينية . واذا ما ارتفعت بعض الرؤوس تطالب بمثل هذه الدولة المسخ فسنقطعها ، فقضية الثورة الفلسطينية أكبر من أى ردود فعل آنية ، ومن أى حماس ينسينا مسار معركتنا الرئيسية » .

■ **اليمن الجنوبية الشعبية**

قضايا ملحة وعمل مستمر فى حلها

تم فى نوفمبر الماضى لقاء بين الاتحاد الاشتراكى العربى وبين تنظيم الجبهة القومية فى جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية . وقد رأس وفد ج. ع. م فى المحادثات **عبدالمحسن أبو النور** الامين العام للاتحاد الاشتراكى ، كما رأس **عبد الفتاح اسماعيل** الامين العام لتنظيم الجبهة القومية وفد اليمن الجنوبية ، الذى اجرى ايضا مباحثات مع ضياء الدين داود عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى .

وقد تناولت المباحثات بين وفدى الاتحاد الاشتراكى والجبهة القومية بعض جوانب التعاون السياسى والتثقيفى بين التنظيمين . وعقب عودته الى اليمن الجنوبية صرح عبد الفتاح اسماعيل لصحيفة « الثورى » : « **بأن لقاءاته مع الاشقاء فى ج ع م وعلى رأسهم المسئولون فى الاتحاد الاشتراكى ، كانت ايجابية ومفيدة فى كافة الحقول التى من شأنها خلق التفاعل السياسى بين الانظمة التحريرية ، تنظيمات وانظمة** » .

هذا وكانت زيارة عبد الفتاح اسماعيل ل ج ع م قد جاءت عقب عودته من المانيا الديموقراطية . وكان قد سبقه الى القاهرة رئيس وزراء اليمن الجنوبية **محمد على هيثم** ، الذى القى خطابا هاما فى ذكرى مرور أربعين يوما على وفاة الزعيم الخالد **جمال عبد الناصر** .

وقد اتيح لاسرة تحرير الطليعة أن تلتقى برئيس الوزراء وصحبه . ثم أتيح لهم ان يلتقوا — فى الطليعة — بالاخ عبد الفتاح اسماعيل ومعه الاخوة : **محمد صالح مطيع** عضو اللجنة التنفيذية للجبهة القومية ووزير الداخلية ، **وعادل محفوظ خليفة** عضو القيادة العامة للجبهة القومية ووزير العدل ، **ومحمد صالح عولقى** عضو القيادة العامة للجبهة القومية ووزير العمل ، **ومحمد سعيد العيسى** مستشار سفارة جمهورية جنوب اليمن الشعبية .

وخلال اللقاء مع **الطليعة** عرض عبد الفتاح اسماعيل صورة للوضع العام فى اليمن الجنوبية من الناحيتين السياسية والاقتصادية . وحدد التطورات التى وقعت هناك بعد حركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ . واشار الى انجازات الثورة ، والى الخط الذى تتبناه من أجل توحيد القوى الوطنية الديموقراطية .. كما ركز على ابعاد المخطط

الاستعماري الرجعي الذي يستهدف تصفية النظام القائم في اليمن الجنوبي وضرب الحركة الثورية في الخليج .

وقد أكد عبد الفتاح اسماعيل على عدد من النقاط المتعلقة بحماية الثورة في جنوب اليمن وتأمين مسارها :

● **فهناك** قضية الاسناد الحازم الذي تتوقع جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية من الانظمة العربية التحررية لتدعم صمودها ضد المؤامرات الاستعمارية الرجعية .

● **وهناك** قضية اتخاذ اجراءات حاسمة لانها من الاقتصاد الوطني ، وهي مسألة لم تعد تحتمل اى تأخير ، وتحشد لها - بالفعل - الجهود اللازمة .

● **وهناك** قضية وحدة كل القوى الثورية في اليمن الجنوبي وضرورة أن يقوم تنظيم طليعي يصهر الطاقات الديموقراطية في اطار واحد منطلقا من نظرية الاشتراكية العلمية وعلى اساسها .

ومن خلال الشرح الذي قدمه عبد الفتاح اسماعيل عن علاقات اليمن الجنوبي بالعالم الخارجي وحركته على المستوى الدولي ظهر بوضوح ان النهج الواقعي والثوري في سياسة القطر الشقيق ينتصر ويتعزز فأكثر ، متجها الى حل المشكلات في اطار محدد هو اطار متطلبات المرحلة الراهنة لثورة اليمن الجنوبي .

هذا وقد أشارت صحف اليمن الجنوبي الى أنه قد بات من المتوقع أن تعلن الحكومة في عيد الاستقلال (٣٠ نوفمبر) عن خطوات هامة جديدة تتصل بالناحيتين السياسية والاقتصادية .

■ ■

■ **فرنسا**

باريس تودع .. محررها

في الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الاثنين ٩ نوفمبر توفي الزعيم الفرنسي الكبير **شارل ديجول** في قريته الصغيرة كولومبي .. ٤٠٠ نسمة عن ثمانين عاما الا بضعة أيام [**١٨٩٠ - ١٩٧٠**] .

ورغم ثقل السنوات الثمانين التي كان شارل ديجول يحملها على كتفيه ، ورغم انه مات بعيدا عن أى منصب حكومي أو سياسي ، الا أن وفاته قد استقبلت بشحنة من عواطف الحزن الصادق في مختلف أنحاء العالم ، في الشرق والغرب وفي العالم الثالث على السواء .

ومن فرنسا نقلت وكالات الانباء صورة الحزن الذي خيم على الفرنسيين حينما علموا بنبأ وفاة ديجول . وقال الرئيس الفرنسي **جورج بومبيدو** في البيان الذي اعلن فيه النبأ رسميا .. « أيها الفرنسيون والفرنسيات .. لقد مات الجنرال ديجول ، وغدت فرنسا أرملة .. في عام ١٩٤٠ أنقذ ديجول شرف فرنسا .. وفي عام ١٩٤٤ قادنا الى الحرية والنصر .. وفي عام ١٩٥٨ أنقذ فرنسا من الحرب الاهلية . كما أعطاها مؤسساتها الحاكمة ، واستقلالها ، ومكانتها العالمية .. واننا لنحني الرؤوس أمام أحزان أرملته وأولادها وأحفادها ، ونقدر الواجبات التي يفرضها علينا الاعتراف بالجميل ، وعلينا أن نقدم وعدا لفرنسا بأن نكون جديرين بالدروس التي تعلمناها منه ، وليعش ديجول الى الابد في وجداننا القومي » .. وأمام مجلس النواب الفرنسي وقف **مارك جاك** زعيم الكتلة الديجولية المسماة باتحاد الدفاع عن الجمهورية ليعلن من بين الدموع : « **أيها السادة .. لقد مات الاب** » .. وفي مختلف أنحاء فرنسا كانت مشاعر الوفاء الحزين تطبع نفسها على قلوب الجميع .

وفي الرابعة من مساء الخميس ١٢ نوفمبر استقر جثمان ديجول في مقبرة الاسرة بقريته « **كولومبي لي دوز ابجليز** » بعد جنازة بسيطة ومتواضعة تمت ترتيباتها داخل حدود القرية وفقا لوصيته التي كتبها بهذا الشأن منذ نحو ثمانية عشر عاما . وفي نفس اليوم حضر أكثر من مائة من الملوك ورؤساء الدول والحكومات والشخصيات العالمية البارزة الصلاة التي أقيمت على روحه بكنيسة نوتردام الشهيرة في قلب باريس .

ومن مختلف العواصم العربية نقلت وكالات الانباء ردود الفعل الحزينة التي تلقت بها البلاد العربية نبأ وفاة الزعيم الفرنسي تقديرا لموقفه العادل الى جانب العرب منذ العدوان الاسرائيلي الامبريالي في يونيو عام ١٩٦٧ .. وقالت وكالات الانباء أن البلاد العربية لم تنس موقف ديجول



ديجول

الشجاع فى ادانة الاحتلال الاسرائيلى عمليا باعلان الحظر الجزئى ثم الحظر الشامل على تصدير الاسلحة الى اسرائيل ، وكان ديجول قد أعلن فى أكثر من مناسبة قبل اعتزاله الحياة السياسية فى ابريل عام ١٩٦٩ « **أن فرنسا تدين بدء اسرائيل القتال فى الشرق الاوسط** » و « أن اسرائيل دولة تريد الحرب وتصر على التوسع ولهذا السبب قطعت الجمهورية الخامسة الروابط الوثيقة التى كانت الحكومة الفرنسية السابقة قد أقامتها مع اسرائيل » .

ولاشك أن ديجول كان زعيما من ذلك الطراز الذى يكسب لنفسه الاحترام والتقدير حتى ممن يختلفون معه فى الرأى أو فى العقيدة . **ورغم أن هذه ليست هى الفرصة المناسبة لتقييم دور ديجول والديجولية سواء داخل فرنسا أو على مستوى العالم تقييما دقيقا وشاملا الا انه يمكن القول بدرجة كبيرة من الدقة فى استقراء التاريخ أن ديجول كان بالنسبة لفرنسا والعالم شخصية قومية** . فديجول هو الذى قاد فرنسا الى النصر أثناء الحرب العالمية الثانية رغم هزيمتها أمام النازى فى عام ١٩٤٠ معلنا منذ البداية « **أن فرنسا قد خسرت معركة ولكنها لم تخسر الحرب** » .. ومرة أخرى كان ديجول هو الذى أنقذ فرنسا من الافلاس والحرب الاهلية عندما عاد الى الحكم عام ١٩٥٨ معلنا انتهاج سياسة متفتحة وواقعية على ضوء **المصالح الحقيقية للرأسمالية الفرنسية** .

ومن هذه الارضية الوطنية مد ديجول يده ليلتقى مع العالم من جديد محاولا أن يستعيد لفرنسا مكانتها العالمية ودورها فى العلاقات الدولية .

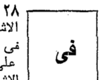
وأدرك ديجول ان الخطر الحقيقى على المصالح الفرنسية يأتى من النفوذ الامريكى الزاحف اقتصاديا وعسكريا وسياسيا على أوروبا ، ولهذا أعاد ترتيب أوضاع بلاده بسرعة لينقذها من براثن السيطرة الامريكية . ومن ثم قدم **تنازلات** أمام كفاح شعوب المستعمرات الفرنسية السابقة من أجل الاستقلال ، **وأعلن تعاطفه** مع أمانى بعض شعوب العالم الثالث ، **واعترف** بالصين الشعبية ، **وسحب** قواته من حلف الاطلنطى **وطرد** مقر قيادة الحلف من باريس الى بروكسل . **وحسم** بشكل نهائى مستقبل فرنسا داخل أوروبا المتحدة المتحررة من النفوذ الامريكى . **وعارض** انضمام بريطانيا الى السوق الاوروبية المشتركة طالما ظلت تبعيتها للولايات المتحدة على ما هى عليه . **ووضع** أساسا للتعاون المتين مع الاتحاد السوفيتى ودول الكتلة الشرقية . وكانت آخر مواقفه المستنيرة هو ادانته للعدوان الاسرائيلى على البلاد العربية واستمرار الوجود الاسرائيلى فى الارض المحتلة .

وقد قال ديجول ذات يوم « ربما تخذلنى الاحداث الجارية ، ولكن التاريخ سينصفنى » . وبالفعل دخل ديجول التاريخ ـ **كما قال الرئيس السوفيتى نيكولاى بودجورنى** ـ بالدور الهام الذى قام به فى دعم السلام فى فرنسا ، وسيظل فى ذاكرة الناس مواطنا فرنسيا عظيما .

■ ■

■ **جمهورية المانيا الديمقراطية :**

١٥٠ عاما على مولد فردريك انجلز



فى ٢٨ نوفمبر ١٩٧٠ احتفلت الدول الاشتراكية وقوى تقدمية كثيرة فى العالم بذكرى مرور ١٥٠ عاما على ميلاد المفكر والقائد الاشتراكى العظيم فردريك انجلز [١٨٢٠ ـ ١٨٩٥] بطل الاشتراكية العلمية وثانى مؤسسيها . ونظمت فى جمهورية المانيا الديموقراطية ندوة حضرها ممثلون عن **الاتحاد الاشتراكى العربى** .

ولا يمكن الحديث عن أنجلز دون الحديث عن الصداقة النادرة المثال التى ربطته بمؤسس الاشتراكية العلمية **كارل ماركس** . لقد توفى ماركس قبل أن يتمكن من أنجاز مؤلفه الخالد « رأس المال » فقام أنجلز بالعبء وحده فجمع المسودات وراجعها ونقحها وأشرف على طبعها وأصدر فى حياته المجلدين الثانى والثالث من رأس المال .

ولقد شق انجاز طريقه الفكرى والعملى الى الشيوعية قبل التقائه بماركس . فقد نشأ فى أسرة متدينة وكان أبوه تاجرا ميسور الحال مستبدا فى بيته . أخرج **أنجلز** من المدرسة قبل أن يكمل دراسته الابتدائية وأخذه ليدربه على أعمال التجارة فى الشركة التى يملكها لمدة عام ، أرسله بعده لمزيد من التمرين الى شركة أخرى فى « **برمن** » . وهناك فى هذا الميناء الهام تفتحت قريحة **أنجلز** فتعلم عدة لغات ، فكان يكتب ويقرأ ١٢ لغة ويقرأ فقط ما يزيد على ٢٠ لغة .

وكانت فترة شبابه فترة ثورية عاصفة فى القارة الاوروبية ، فقد أعقبت ثورة ١٨٣٠ فى فرنسا عدة حركات ثورية ديموقراطية فى مختلف الممالك

الاوروبية نتج عنها تحطيم انظمة الاقطاعية التقليدية • وأصبح **أنجلز** من أتباع **هيجل** ومدرسته من اليساريين ولكن كلا الفكرين لم يشبعا تطلعاته ، حتى التقى بالناقد والمفكر « **لودفيج بورن** » الذي كان في رأيه يكمل هيجل حيث كان اكثر ارتباطا بالواقع الثوري ومطالبة بالتعبير الديموقراطي •

وأدى أنجلز بعد ذلك الخدمة العسكرية في برلين [١٨٤١] ، وهناك كان يحضر المحاضرات بالجامعة في أوقات فراغه كطالب منتسب وتفرغ تماما لدراسة الفلسفة وتعرف على الهيجليين اليساريين الاخويين **بارو** ، **وماكس شتيرنر** وغيرهم ،ولم يسعده الحظ برؤية ماركس الذي كان قد غادر العاصمة آنئذ ولكن سيرته كانت على ألسنة زملائه بوصفه عبقرية فذة • والقى أنجلز بدلوه في الصراع الفلسفي القائم آنذاك فكتب مقالا بإمضاء مستعار (**ف •أزوالد**) في **مجلة « التلغراف » بعنوان شيللنج أم هيجل »** • وأخرج بعده عدة كتيبات بدون امضاء كانت كلها

تعليق

رسائل الي أوروبا • • •

جاءت الانباء من باريس عن الفنان التشكيلي المتفرغ : محمد حسنين على [٤٨ سنة] ، الذى سافر منذ شهور الى اوروبا لاول مرة ، واعتزامه اقامة معرضه الثاني في فينا عاصمة النمسا بعد اقامة المعرض الاول بنجاح في قاعة المركز الثقافي المصرى بباريس •

وحسنين مصور مطبوع حساس ،بحث اصول التصوير الاسلامي والقبطي والمصرى القديم •• والكشوف التشكيلية التي حققها بول سيزان •• أبو الفن الحديث من حصيلة هذه الدراسات ، استطاع أن يمنح لوحاته طابعا شرقيا شعبيا في قالب من التكوينات البنائية • وبلمسة رقيقة من وزارة الثقافة تمتع بمنحة التفرغ منذ عام وبضعة شهور ، كما منحته مرسما مجانيا في قصر المسافرخانة حيث ابدع لوحاته التي يصحبها الان في اوروبا ليحقق الهدفين التقليديين للفنانين عندنا : الكسب المادى •• والشهرة المحلية •• وكان استقبال لوحاته لدى جمهور باريس هو نفس الاستقبال الذى لاقته أعمال البهجورى وجاذبية • وتحية حليم •• بل انه ظفر بمقدمة للكتالوج بقلم الكاتب العالمي والمستشرق الفرنسي الشهير : جاك بيرك ، قال فيها : ان حسنين يبحث عن الاصالة ويجد التاريخ في منحنيات الازقة وانعطافات الاجساد ، وتعابير الوجوه ••

الواقع أن هناك كلمة يجب تسجيلها حول رحلات التشكيليين الى الخارج التي تصاعدت نسبتها في السنوات الاخيرة • ان هذه الرحلات نوع من الهجرة الموسمية كهجرة الطيور • مجرد قضاء بضعة شهور في أوروبا • شاطىء الاحلام •• فرنسا •• ايطاليا •• المانيا النمسا •• السويد •• والبعض يزداد طموحه فيبتعد الى الولايات المتحدة أحيانا كما فعل البهجورى في العام الماضي •
ولكي نضع النقط على الحروف ، نقرر أن وزارة الثقافة لا تشرف فنيا على الاعمال المسافرة ، ولكنها — مشكورة — تسمح بسفر اى تشكيلي •• في حدود القوانين الموضوعة •

ليس بسر أن السبب المباشر في رحيل التشكيليين على هذا النحو هو كما أسلفنا : البحث عن الكسب المادى والشهرة • أما الكسب ، فيتحقق في أوروبا حيث الحياة رخاء •• ومستوى المعيشة مرتفع •• والوعى الفني راق ويفضل الناس أن يختصروا من المتعة المادية في سبيل الاستزادة من المتعة الروحية المتحضرة ،على هيئة اقتناء صورة أو تمثال ما وسعهم ذلك • أما الشهرة فهى لا تتحقق هناك بالطبع حيث جوتيلسون وباولوتزى ومدرسة مازاريللى وغيرهم • وحيث المؤسسات التكنولوجية الرهيبة ذات الامكانيات الهائلة التي تخطط بوعى من اجل اظهار فنان معين لاسباب غير فنية في غالب الاحيان • ان الشهرة تتحقق هنا بعد عودة الفنان من الخارج واستضافته على الهواء في الاذاعة والتليفزيون •

كل هذا من الامور التي تحتاج الى مزيد من التشجيع حتى يسعد الفنانون في مجتمعنا النامى ، لكن •• لا يجدر بواحد منهم أن يدعى أنه حمل في طيات ابداعه الفني رسالة الى أوروبا من مصر الثورة • رسالة من مجتمعنا المستبسل في قفزته الرائعة نحو القرن العشرين على طريق عبد الناصر ولنستثني من هذا الحكم المطلق ، الفنان الكبير جمال السجيني ومعرضه الرائع في باريس في الشتاء الماضي •

ان مثل هذا الادعاء هو من تجميل الامور أكثر مما تحتمل • المسألة ببساطة هي أن الفنانين هنا لا يظفرون بمستوى مادى مرتفع — شأننا جميعا — لاسباب التحول الاشتراكى وبناء مجتمع الملة في الملة • ومن حيث هم كذلك ، فهم لايستطيعون ملاحقة التنافس الساحق الذي يجتاح العالم الراسمالى •• خاصة وان ليس لهم « اتحاد عام » يستطيع باستثماراته ان يمنحهم هذا المستوى المعيشي : وبامكانياته الذاتية أن يؤثث الاستوديوهات الحديثة المعدة بآلات تسمح بابداع التكوينات الفنية المكلفة التي شاهدنا نماذجها في بينالى باريس في العام الماضي وبينالى فينتسيا هذا العام •

اذا كان فنانونا التشكيليون يطمحون في غزو أوروبا بابداعهم ، فلماذا لا يضمنون هذا الفن رسالة الانفجار الثورى في مصر وافريقيا وآسيا ؟ اين سيناء والقدس والجولان وفيتنام في رسائلنا الفنية الى شباب أوروبا ؟ هل يظنون أن المضامين الثورية تتعارض مع الاساليب المستحدثة في الفن ؟ كلنا نذكر كيف قدمت كوبا نموذجا فريدا من البوب آرت في بينالى الشباب في العام الماضي قدمت بطلها الخالد « جيفارا » ••

مع الامل في مزيد من النجاح للتشكيليين العائدين من الخارج والذين ما زالوا هناك نتطلع الى تضمين أعمالهم مزيدا من رسالة مصر الناصرية ونهيب بوزارة الثقافة أن تحقق أمل هؤلاء الفنانين في اقامة اتحادهم العام ••

مختار العطار

هجوما على فلسفة شيللنج الرجعية المثالية . ومع أن مقالات **انجلز** هذه كانت مكتوبة من وجهة نظر مثالية فى الاساس ، الا أنها كانت تحمل بذور الانتقال من المثالية الى المادية . كما ساهم أنجلز بعدة مقالات فى « **مجلة الراين** » التى كان ماركس قد انضم الى هيئة تحريرها . وقابله أنجلز لاول مرة مقابلة سريعة فى مكاتب هذه المجلة بمدينة كولونيا .

وأكمل أنجلز فترة خدمته العسكرية فى ١٨٤٢ وقد أثارت فيه هذه الفترة شغفا بالعلوم العسكرية ظل ملازما له وجعل منه فيما بعد مؤلفا ومفكرا عسكريا ممتازا ، وارسله ابوه الى انجلترا (مانشستر) ليحصل على خبرة جديدة فى « شركة ايرمن وأنجلز للمنسوجات » التى كان شريكا فيها . وتصادفت اقامة **انجلز فى** انجلترا مع عودة الحياة والنشاط لحركة « **الميثاقيين** » فاتصل بها وساهم فى صحيفتها وكذلك فى صحيفة اتباع « **روبرت أوين** » . وتعرف على الكثيرين من قادة الطبقة العاملة الانجليزية، وخلال اقامته فى انجلترا تحول **أنجلز** الى الشيوعية وهجر صفوف المثالية الى المادية وتجلى ذلك فى كتابه الرائع « **أحوال الطبقة العاملة فى انجلترا** » (١٨٤٥) الذى كان صيحة علمية للدفاع عن بؤس الطبقة العاملة وتحليلا لاوضاع الاستغلال الرأسمالى والقهر الطبقى .

وقرب نهاية أغسطس ١٨٤٤ قام أنجلز بأجازة ليزور فيها ألمانيا ومر أثناء رحلته بباريس حيث قابل ماركس خلال الايام العشرة التى قضاها هناك . وكانت هى الايام العشرة الفاصلة فى حياته اذ نشأ فيها ذلك الاتحاد بين المفكرين العظيمين اللذين أمدا حركة الطبقة العاملة بعد ذلك بسلاحها النظرى والعملى .

كان الاثنان قد أصبحا شيوعيين، **ماركس** بتأثير الفكر الاشتراكى الفرنسى ، **وأنجلز** بتأثير حركة الطبقة العاملة الانجليزية . وبدأ نشاطهما باصدار كتاب « **العائلة المقدسة** » الذى اشتركا فى كتابته ، وكان هجوما على الافكار المثالية للهيجلية اليسارية وبدت فيه أصول المادية الجدلية واضحة جلية . وكان ماركس قد نشر قبل ذلك فى مجلة « الحوليات الفرنسية الالمانية » مقاله المطول « **دراسات انتقادية فى الاقتصاد السياسى** » حلل فيه من وجهة النظر الاشتراكية الظواهر الاساسية للنظام الرأسمالى الناشئة عن الملكية الخاصة . ولا شك أن اتجاه ماركس الى الاقتصاد السياسى كان نتيجة للعلاقة التى قامت بينه وبين أنجلز .

ومن ١٨٤٥ حتى ١٨٤٧ عاش أنجلز فى بروكسل وباريس رابطا بين دراساته العلمية ونشاطه العملى الذى تجلى فى العلاقات الوثيقة التى أنشأها مع العمال الالمان فى هاتين المدينتين . وفى تلك الفترة أقام أنجلز وماركس علاقات وثيقة مع المنظمة الالمانية السرية المسماة « **عصبة الشيوعيين** » وعهدت اليهما تلك المنظمة بعرض المبادىء الاساسية للاشتراكية فصاغاها فى أشهر كتاب عن الشيوعية على الاطلاق وهو « **بيان الحزب الشيوعى** » عام ١٨٤٨ . واشترك أنجلز مع ماركس فى تلك الفترة فى كتابه « **الايديولوجية الالمانية** » عام ١٨٤٦ ، وكذلك فى العمل لتدعيم « عصبة الشيوعيين » .

وعندما اندلعت ثورة ١٨٤٨ فى فرنسا وانتشرت منها الى بقية دول أوروبا، وخاصة المانيا قرر أنجلز وماركس العودة الى بلادهما . وهناك فى بروسيا قاما على رأس الجريدة الديموقراطية « جريدة الراين الجديدة » التى كانت تصدر فى كولونيا . وكانا الروح الوثابة والعزم القوى وراء كافة الحركات الديموقراطية التى قامت فى تلك الفترة . ولكن سرعان ما تمكنت الرجعية من الانتصار . وطرد ماركس من المانيا، أما أنجلز فقد شارك فى الانتفاضات المسلحة واشترك فى ثلاث معارك وبعد هزيمة الثوار فى بادن (١٨٤٩) هرب الى لندن عن طريق سويسرا .

وعاش ماركس فى لندن أما انجلز فقد رجع بعد حين الى مانشستر ليعمل فى شركة « ايرمن وأنجلز » القديمة . وعاش هناك من ١٨٥٠ حتى ١٨٧٠ . ولم يمنع ذلك البعد المفكرين من الوحدة الفكرية . وكانت رسائلهما اليومية تقريبا ثروة لا تقدر اذ حوت كافة الموضوعات التى يمكن ان يتطرق اليها خيال .

وكان ماركس اذ ذاك فى أقصى درجات العوز ، كما كان المرتب الضئيل الذى يحصل عليه أنجلز لا يكاد يفى بنفقاته . وساعد أنجلز ماركس فى تلك الفترة بكتابة عدة مقالات نشرها ماركس باسمه فى جريدة نيويورك هيرالد تريبيون الامريكية لان ماركس كان منهمكا فى كتابة رأس المال ـ وعرف فيما بعد أنها بقلم أنجلز ونشرت بعنوان « **الثورة والثورة المضادة فى المانيا** » .

وكتب أنجلز فى تلك الاثناء كتابه الشهير « **الرد على ديورنج** » ١٨٧٨ ، وكان أول كتاب يقدم قضايا الماركسية بطريقة منظمة يفهمها كل القراء • فحلل فيه أهم قضايا الفلسفة وعلم الاجتماع وعلوم الطبيعة ، وصاغ فيه المفهوم الماركسى عن الحرب والفن العسكرى • وكان ذلك الكتاب ردا على يوجين ديورنج وهو فيلسوف المانى مغمور رأى فى مراجعة الماركسية فرصة للشهرة • وفى عام ١٨٨٠ بدأ كتابه « **أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة** » أما كتابه « **جدلية الطبيعة** » فقد عمل فيه لفترة طويلة ابتداء من ١٨٧٥ وبعد وفاته فى ١٨٩٥ وقعت مسودات الكتاب مع غيرة من مخطوطات انجلز فى أيدى قادة الحزب الاشتراكى الديموقراطى الالمانى من الانتهازيين الذين أخفوا هذه المخطوطات • ولم ينشر جدل الطبيعة لاول مرة الا فى الاتحاد السوفيتى عام ١٩٢٥ • كذلك كان كتابه « **حرب الفلاحين فى ألمانيا** » الذى كتبه عام ١٨٥٠ نموذجا لتطبيق المنهج الماركسى فى دراسة التاريخ •

ولقد صدر كتابان لانجلز لاختبار الزمن مما « **أحوال الطبقة العاملة فى انجلترا** » و « **الرد على ديورنج** »فمازالا حتى الان يعتبران من المراجع الاصيلة فى الماركسية •

وقد أسس ماركس وانجلز عام ١٨٦٤ الرابطة الدولية للكادحين التى عرفت باسم « **الدولية الاولى** » • وكانت هذه الحركة ثمرة لنضال القوى الديموقراطية منذ عام ١٨٥٠ حين تمكنت القوى الديموقراطية شيئا فشيئا من اذابة ثلوج الرجعية ، كما أدت الازمة الاقتصادية عام ١٨٥٧ الى احياء حركة الطبقة العاملة واستطاع العمال الالمان والانجليز أن يكونوا هيئات خاصة بهم وتكونت الرابطة واعترفت بماركس زعيما للدولية الاولى • ونشطت حركة الصراع الطبقى فى أوروبا فى ذلك الوقت نشاطا عظيما بلغ ذروته فى قيام « **كوميونة باريس** ١٨٧١ » تلك الحركة الثورية التى استلهم منها ماركس وانجلز مفهوم ديكتاتورية البروليتاريا • وخاض ماركس وانجلز بعد هزيمة الكوميونة نضالا عنيفا فى حركة العمال الدولية ضد اتباع « **باكونين** » من الفوضويين • واستقرت الامور فى أوربا وبدأ الفوضويين • واستقرت الامور فى أوروبا وبدأ عصر تطور سلمى نوعا للرأسمالية استلزم حل الدولية الاولى، فقد أصبحت لا تفى الان بحاجات الحركة، ووجه ماركس وانجلز جهودهما لانشاء وتقوية أحزاب البرولتياريا فى مختلف البلدان مطبقين مبادىء المادية الجدلية على الظروف الخاصة بكل بلد • وتكونت الاحزاب الاشتراكية فى انجلترا والمانيا وغيرهما من دول أوروبا • ونقد ماركس وانجلز برنامج الحزب الاشتراكى الديموقراطى الالمانى المعروف باسم « **برنامج جوتا** » فصاغا فى الكتيب المشهور « **نقد برنامج جوتا** » آراءهما عن الدولة وديكتاتورية البروليتاريا • وفى١٤ مارس ١٨٨٣ توفى ماركس وكان ذلك ضربة شديدة لانجلز الذى قال « لقد نقصت البشرية عقلا واحدا ، ولكنه أعظم عقل فى عصرنا » •

وتفرغ أنجلز بعد وفاة ماركس لاتمام « رأس المال » ومتابعة نشاط حركة الاشتراكية العلمية منتظرا ان يرى اليوم الذى يحمل انتصار البروليتاريا والقضاء على صراع الطبقات والحروب بين الامم وسيادة السلام والسعادة فى أرجاء العالم •

ورقد انجلز على فراش المرض عام ١٨٩٤ ـ مريضا بسرطان المرىء ـ وتوفى عام ١٨٩٥ ، وشيع جنازته ممثلون لكافة الاحزاب الاشتراكية فى العالم •

ولقد عرف العالم العربى مؤلفات أنجلز منذ عام ١٩٤٦ عندما ظهرت ترجمة عربية فى العراق لكتابه « **أصل العائلة** » ، كذلك ظهرت فى سوريا ولبنان ترجمات أخرى لنفس الكتاب ولغيره مثل « **لودفيج فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية** » و « **الاشتراكية العلمية والاشتراكية الخيالية** » كما ظهر فى دمشق ترجمة لكتابه « **الرد على ديورنج** » بعنوان « **ضد ديورنج** » • أما فى القاهرة فقد ظهرت أخيرا ترجمات لكتبه « **رأس مال كارل ماركس** » و « **مقدمة لجدلية الطبيعة** » و « **حرب الفلاحين فى ألمانيا** » وكلها تترجم لاول مرة •

ولا شك أن حركة الاشتراكية العلمية سيزداد ثراؤها بترجمة بقية كتب هذا المفكر الاشتراكى العظيم •

■ فنون تشكيلية :

بداية حافلة في أكثر من معرض

حفل شهر نوفمبر بمعارض متنوعة شملت قاعات : الفنون الجميلة بباب اللوق .. أخناتون .. المركز الثقافى التشيكوسلوفاكى. ثم معهد جوته الذى بدأ يدخل ضمن قاعات العرض الدائمة فى القاهرة ، نظرا لقلة القاعات وكثرة عدد الفنانين ..

الحفر الرومانى المعاصر : فى قاعة الفنون الجميلة بالقاهرة قدمت رومانيا ٢٧ من صفوة فنانيها الشبان من خلال ٤٥ لوحة تستعرض فن الحفر المعاصر هناك . لم تقتصر هذه اللوحات على الحفر بل تناولت أيضا فنون الرسم والتصوير على نطاق المساحات الصغيرة .

استخدم الفنانون خامات الحفر على المعدن والاكواتنت والخشب ، بينما حفلت لوحات الرسم بالحبر الشينى الاسود والملون .. وخامات الجواش والاكواريل . من هنا نرى أن التكنيك والخامات لم تصل الى التنوع الكبير الذى نشاهده فى معارض الحفر والرسم الدولية ، مثل معرض لوبليانا بيوغوسلافيا. حيث شاهدنا الحفر البارز والالياف الصناعية والتحسيس الفوتوغرافى . فالحفر الرومانى فى الغرفة التجارية مازال منحصرا فى اطار التعريفات الاكاديمية ، ولم يشمل بعد ، ميدان الطباعة الفنية ، الا أن المثير فى المعرض .. هو الاسلوب .

فى بعض اللوحات ، خاصة أعمال الفنان **فلوريكا** ، نرى صورا ايضاحية لكتاب « أغانى ضد الموت » يتبع فيها أسلوبا بالغ التقدم يذكرنا بالفرنسى **سولاج** وضرباته العفوية التجريدية . لكن فلوريكا يعمل فى أطار نزعة مطابقة الطبيعة ويبلور لوحاته الى درجة التشخيص التجريدى التعبيرى ، فيرقى بها الى مستوى رفيع للصور الايضاحية لتصبح كل لوحة أغنية بذاتها ، مع أنه لم يستخدم سوى اللون الاسود . ومن الجدير بالذكر أن نسبة كبيرة من لوحات الرسم والحفر تستهدف الصور الايضاحية من دون الفن لذاته ، مما يشير الى اتجاه الحركة الفنية الحديثة فى رومانيا الى الواقعية وليس الى مجرد الاستمتاع الجمالى.

كذلك الرسم الملون صغير الاحجام يستهدف أعمالا ايضاحية للكتب الادبية . مع وجود بعض اللوحات القائمة بذاتها والمعتمدة على ألوان الجواش والاكواريل بأسلوب زخرفى يستعير العناصر الشعبية وروح رسوم الاطفال ، بما فى ذلك التوزيع والتكوين ، لكنها تنحصر فى اطار النزعة الطبيعية حتى فى لوحة « ضفة النهر » للفنان دراجوزين، التى تبدو تجريدية لاول وهلة .

ان معرض الحفر والرسم الرومانى الحديث معرض أسلوب ، فى كل من الهدف والمعالجة الفنية . فهو لا يتضمن اتجاهات تقليدية رغم شدة التباين بين الفنانين وظهور النزعة الفردية بوضوح . أما الموضوعات فهى انسانية بوجه عام موجهة الى الجماهير العريضة وليس الى فئة خاصة حتى أن بعضها ذا اتجاه ملحمى شرقى مثل أعمال الحفر على الخشب للفنان **فاكايانو** .

فنون أطفال تشيكوسلوفاكيا فى القاعة الصغرى بالمركز الثقافى التشيكى بالقاهرة ، قدم أطفال تشيكوسلوفاكيا معرضا للحفر والتصوير يضم قرابة الـ ٤٠ لوحة مختلفة الاحجام والالوان . البعض يصل الى حجم بطاقة البريد والبعض يتسع الى حجم فرخ الورق الكبير .

أقيم هذا المعرض بمناسبة الذكرى الثلاثمائة للمربى الكبير « جون آموس كومينوس » الذى وضع أسس التربية الحديثة ابتداء من مرحلة الحضانة .

الرسوم التشكيلية المعروضة ، من ابداع أطفال المدارس الشعبية للفنون ، التى تنتشر فى تشيكوسلوفاكيا على هيئة مراسم يزورها الاطفال بين سن ١٦، ١٧ عاما، حيث تيسر لهم الدولة كل الامكانيات لتطوير مواهبهم واهتماماتهم فى مختلف فروع الفن . ويتضح فى الاعمال المعروضة كيف استطاعت هذه المدارس التقدمية تحقيق أهدافها نحو العارضين من حيث تأكيد احترام قيمة العمل الانسانى وربطهم بالحركة الفنية العالمية عن طريق المعارض الدولية . كما يتضح أثر الاساتذة المتخصصين والفنانين المحترفين الذين يشرفون على هذه المدارس ويقدمون المساعدات لروادها من الاطفال الموهوبين بكل الوسائل التكنيكية ابتداء من الاسكتش والحفر والتصوير الى الموزاييك والاعمال المعدنية .

معرض فرغلى عبد الحفيظ : فى قاعة اخناتون قدم الفنان فرغلى عبد الحفيظ قرابة الثلاثين لوحة

من أعمال التصوير الحديث فى أحجام صغيرة ، فى مقابل الاحجام الكبيرة التى انتشرت بين الفنانين المصريين منذ سنوات قلائل • هذا هو المعرض الخاص السادس للفنان بالاضافة الى المعارض المشتركة العديدة المحلية والدولية التى ساهم فيها • وهو فنان شاب (٢٩ سنة) حصل على جوائز فى الخارج والداخل على أعماله فى ميادين الحفر والنحت والتصوير •

استخدم الفنان فى هذا المعرض خامات الجواش والاكواريل والرمل والجص والورق والمساحيق المعدنية ومختلف الادوات ، مع ابداع بعض اللوحات بطريقة النحت البارز لاظهار القيم التشكيلية التى يقصر عنها التسطيح، وهو أسلوب انتشر مؤخرافى أوروبا وفى ج ٠ع ٠م •

اتصفت اللوحات بطابع درامى يعتمد على العلاقات المعمارية بين العناصر التجريدية الداخلة فى نطاق مطابقة الطبيعة أو ما يسمىبالتجريد التعبيرى• وما عدا قلة من اللوحات ذات الالوان الفاقعة فالاعمال الباقية تعتمد على تنغيم مشتقات البنى والاخضر مع توزيعات موسيقية • أما الاسلوب فهو معمارى يستهدف أحكام العلاقات التشكيلية بين العناصر المرسومة، بينما تلعب الالوان الدور الثانى •

• الطابع العام للمعرض يوحى بأنه موجه الى فئة المثقفين المصريين مستهدفا عناصر شعبية وبدائية فى تصميمات حديثة •

معرض سعد كامل : فى قاعة الحفلات بمعهد جوته بالقاهرة عرض الفنان سعد كامل ٤٠ لوحة من أعمال الباتيك • والباتيك هو فن تصوير اللوحات عن طريق صباغة النسيج بعد تغطية أجزائه بمادة الشمع على دفعات متوالية حسب الالوان المطلوبة • وهو فن نشأ فى اندونيسيا أساسا وبين شعوب جنوب شرق آسيا ، ثم ظهر حديثا بين قلة من الفنانين المصريين تتصدرهم نازك حمدى التى درسته فى الهند لعدة سنوات •

هذا هو المعرض الثانى للفنان غير المعارض الدولية والمحلية التى أسهم فيها وحصل على مجموعة من الجوائز التقديرية والاقتنائية • أسهم فيها بأعمال الكليم والسجاد والحصير والباتيك والحفر والاقمشة المطبوعة والزجاج الملون لكن المعرض الحالى اقتصر على الباتيك باسلوب زخرفى يميل الى تحوير عناصر الفن الشعبى واستعارتها وتركيبها فى تصميمات جديدة • كما انه طرق موضوعات شعبية تتناول الاساطير والعرائس والاسماك والطيور والحيوانات مع

تعليق

تحية •• الى هارولد لانج

منذ أكثر من اربع سنوات جلس المثقفون المصريون فى الصالة الصغيرة لمسرح الجيب يشاهدون فرقة انجليزية مكونة من ثلاثة أفراد ، أكبرهم يتجاوز الاربعين بقليل ، ولكنه فىحماسه وحيويته و تدفقه لم يكن يبدو عليه اكثر من العشرين عاما • وكانت فكرة الفرقة التى أسسها هذا الشاب المتوهج حرارة ونشاطا ، أن تقدم نماذج خالدة من الادب الانجليزى فى صورة جديدة يتزاوج فيها المسرح والشعر • وكانت الفرقة قد أعدت للمشاهد المصرى ليلتين من أروع لياليه ، أولاهما « ماكبث فى الكاميرا » وهى عرض مزدوج لمقطوعات من مسرحية شكسبير وبعض الاراء النقدية التى قيلت حولها ، بالاضافة الى راى الفرقةالذى يمثله الفنان اللامع هارولد لانج • وكانت الليلة الثانية عرضا لمقطوعات من الشعر الانجليزى تحت عنوان « الانسان يتكلم» تناغم فيها الشعر بالتحليل النقدى تناغما جذابا عميقا •

وكانت الملاحظة الاولى على هاتين التجربتين ، انهما صياغة جديدة للنقد الادبى الذى اتخذ طيلة قرون وقرون صورة المقال الجاف أو الكتاب الجاد الذى يتطلب معاناة القارىء الاكاديمى المتخصص •• كانت الصياغة الجديدة ، وهى التى يمكن تسميتها بمسرحة النقد ، مدخلا شائقا يجذب الجمهور الى قضاء وقت طيب وممتع يسمع فيهالنقد ويشاهده ويتامله من مكانه المريح فى صالة المسرح ، حيث تلعب الاضواء البسيطة والديكورات المركزة وحركة التمثيل البارعة والاصواتالمدربة والمثقفة ،دورا بالغ الاهمية فى تفاعل الجمهور مع الادب المعروض تفاعلا بعيدا عن جفاف الدراسات النقدية المكتوبة •

ولقد فوجىء هارولد لانج ـ كما قال لى ذات يوم ـ بتفاعل جمهور المثقفين المصريين مع « ماكبث فى الكاميرا » و « الانسان يتكلم » لان العرضين فيما يتصور يبتعدان درجة أو درجات عن الوجدان الفنى المصرى •• ان نجاحهما فى انجلترا أمر مفهوم ، لان المثقف البريطانى قرا هذه الاعمال بلغته ويدرك ابعادها جيدا ويشعر بالقضايا التى تثيرها • وكذلك فقد كانت دهشته كبيرة حين احس بالتجاوب الحار العميق بينه وبين جمهور مسرح الجيب فى مصر • وأخذ هارولد لانج يفكر معى : ورغم هذا التجاوب الذى أعتز به الى غير حد ، فانى أفضل أن يقوم بالتجربة بعض فنانيكم المثقفين بالنسبة للادب المصرى • ماذا لو قدمتم بعض نصوصكم المسرحية وأشعاركم بنفس الطريقة ؟ وأننى أضع نفسى وفرقتى فى خدمتكم اذا تطلب الامر ذلك •

وبالفعل دعته وزارة الثقافة لالقاء عدة محاضرات على طلبة المعهد العالى للفنون المسرحية ، وأخذ يحضر الى مصر بين الحين والحين حتى توطدت الاواصر بينه وبين بلادنا للدرجة التى دفعته الى أن يكتب فى وصيته أن يدفن فى ثراها اذا مات •

وعاد هارولد لانج الى مصر مع بداية العام الدراسى الحالى• ليلقىمحاضراتهعلى طلبتهطويلاليلقىمحاضراته، ولكنه لم صباح أحد أيام الاسبوع الماضى انتظره طلبته ليلقى محاضرته ، ولكنه لم يحضر •• ولن يحضر •• فقد مات هارولد لانج فجاة ، وهو فى ذروة نشاطه وتوهجه ومحبته لمصر التى شاء أن يدفن فى ثراها ، فكان له ما أراد •

تحية الى هارولد لانج •• الىذكرى الفنان البريطانى الذى أحب مصر •

غالى شكرى

استخدام الكتابات العربية أحيانا مما يلاقى ترحيبا لدى الوافدين الاجانب • فالطابع الشعبى الذى يميز المعرض موجه لفئات السائحين مستهدفا العناصر الشعبية الفنية المحلية • أما الالوان التى استخدمها فصريحة تقليدية كالاخضر والبنى والاصفر والاحمر مما يصلح لهذا النوع من المنتجات الفنية التى تستخدم كمفارش وستائر وأغطية •

■■

■ رسالة من الاتحاد السوفيتى

أجهزة الاعلام .. والمجتمع

حسين شعلان

نظم اتحاد الصحفيين السوفيت ، بالتعاون مع هيئة اليونيسكو التابعة للامم المتحدة واتحاد الصحفيين الدولى [براغ]، « ندوة بحث » حول « **أجهزة الاعلام والمجتمع** » دعا اليها صحفيين من دول آسيا وافريقيا ، وذلك فى يريفان (عاصمة جمهورية ارمينيا السوفيتية) فى الفترة ما بين ١٣ و ١٨ أكتوبر الماضى ، وقد حضر الندوة — كأعضاء — وفود من كل من : السودان ، سوريا ، ليبيا ، العراق ، الجزائر ، اليمن الجنوبية ، اليمن ، الصومال ، تنزانيا ، نيجيريا ، مالاجاش ، الكونجو (كينشاسا) ، النيجر ، الهند ، ايران ، أفغانستان ، الاتحاد السوفيتى ، وحضرها — كمراقبين — وفود من دول أوربا ، وحضر عن الجمهورية العربية المتحدة حسين شعلان [المحرر بالطليعة] ، وليلى الجبالى [المحررة بالجمهورية] .

وكانت الندوة أشبه « بحلقة دراسية » عرض فيها المشتركون بحوثا حول قضايا أجهزة الاعلام فى بلادهم وتبادلوا الرأى حول مهام أجهزة الاعلام الوطنية والتقدمية بالنسبة لقضايا التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى .

وفى أول جلسات الندوة دعا تشسيرنيشوف السكرتير العام لاتحاد الصحفيين السوفيت ورئيس الندوة ، الحاضرين الى الوقوف دقيقة حدادا على وفاة **الرئيس جمال عبد الناصر** « المناضل البارز فى حركة التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى المعاصرة » وباعتباره « الصديق الكبير لشعوب الاتحاد السوفيتى الذى حظى بتقديرها وحبها العميقين ، والذى تعد وفاته خسارة فادحة لشعبه والشعوب العربية وحركة التحرر العالمية والسلام العالمى » .

ويمكن حصر الموضوعات التى عالجتها البحوث التى قدمت فى : **أولا** : موضوعات تفصيلية تعرض للقضايا المحلية للصحافة — بشكل خاص — فى كل دولة . **ثانيا** : موضوعات عامة تعرض لقضايا الصحافة فى العالم الثالث .

وقد عرض من الاعضاء السوفيت فى الندوة — الاستاذ الدكتور جاسين زاسورسكى (عميد كلية الصحافة بجامعة موسكو) والاستاذ داستوك (عميد كلية الصحافة باكاديمية العلوم السوفيتية) والدكتور ابراجيموف [أستاذ بكلية الصحافة بجامعة موسكو) والدكتور فاشنادز (أستاذ بجامعة موسكو] وياسنيبابيف [رئيس اتحاد الصحفيين بأوزبكستان] — عرضوا من خلال بحوثهم تاريخ الصحافة السوفيتية ومفاهيمها ودورها .

وجوهر مفهوم الصحافة السوفيتية يقوم على أساس أن التقدم التكنيكى الضخم لأجهزة الاذاعة والتليفزيون والسينما .. الخ لا يبرر مفهوم بعض فلاسفة الاعلام الغربيين القائل بأنه مع التقدم « فان عصر الطباعة — عصر جوتنبرج — قد انتهى » . وينطلقون من ذلك الى ان الصحيفة المطبوعة لازالت هى المصدر الاساسى للاخبار السياسية ، ويستدلون على ذلك باستفتاء أجرى فى ١٢ مدينة وقرية أوضح أن ٨٦ فى المائة من المشتركين فى الاستفتاء يحددون « الصحف » باعتبارها مصدرهم الرئيسى للاخبار السياسية برغم أنهم يسمعون الاذاعة ويشاهدون التليفزيون ، وهم ينظرون الى الصحيفة باعتبارها « نقطة البدء لاى عمل سياسى ، والخطوة العملية الاولى والاخيرة لتأسيس تنظيم أو حزب سياسى ، فالصحيفة تلعب دورا أساسيا فى الاعلام وفى العمل الاثارى ، ولكنها تلعب دورا أخطر باعتبارها « أداة تنظيم » . ودور الصحيفة فى مجتمع ما قبل السلطة الاشتراكية ، هو الاثارة — أى تحريض

الجماهير على العمل من أجل التغيير ـ ودحض الافكار البورجوازية والتعريف بالفكر الاشتراكى العلمى ، أما بعد تحقيق السلطة الاشتراكية ، فهى سلاح أساسى لاعادة تثقيف الجماهير وصياغة فكرها السياسى والاجتماعى صياغة جديدة ، وبالاضافة الى ذلك ، فللصحافة دور ايجابى هام فى مجال بناء الاقتصاد الاشتراكى والعلاقات الاجتماعية الجديدة ونقد السلبيات التى تتضح فى التطبيق .

وتدليلا على أهمية الصحافة فى نظر الدولة الاشتراكية ، أوضح الاعضاء السوفيت فى الندوة ، أن الاتحاد السوفيتى يصدر ٧٣٠٧ **صحيفة ومجلة تطبع ٢٦٠ مليون نسخة**، كما تولى الدولة السوفيتية عناية كبيرة بالصحافة المحلية فى كل منطقة من مناطق جمهورياتها ، فتصدر فى جمهورية أوزبكستان وحدها ـ مثلا ـ ٢٥٠ **صحيفة ومجلة توزع ٥ مليون نسخة** ويعمل بها ١٠ آلاف شخص ، وتهتم الدولة اهتماما فائقا بقضية « الكادر الصحفى » المؤهل ـ علميا وفنيا ـ للعمل بالصحافة ، ولا يسمح بالعمل فى الصحافة الا للمؤهلين من خريجى الكليات والمعاهد الصحفية ، كما تهتم الدولة بدور وكالات الانباء ، فبالاضافة الى وكالة « **تاس** » التى تعمل على النطاق العالمى والقومى ، اقامت الدولة وكالة محلية فى كل جمهورية كوكالات : راتوا [أوكرانيا] ، كازتاج [كازاخستان] ، جروزتاج (جورجيا) ... الخ .

ومن الجدير بالذكر أن مندوبى اليمن الجنوبية واليمن تقدما باقتراح الى بقية الوفود العربية ، بتقديم ورقة واحدة باسم المندوبين العرب ، وقد أخذ هذا الاقتراح نقاشا طويلا بين الوفود العربية انتهت فيه الى أنه برغم اختلاف وتنوع قضايا الصحافة فى الدول العربية تبعا لتباين ظروف كل منها ـ سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ـ الا أنه يمكن تحديد خطوط عامة تتصل بشكل خاص بقضية العدوان الاسرائيلى ، واتفقت الوفود العربية بناء على اقتراح قدمه يوسف الياس [العراق] وعبدالقادر مكى [السودان] على تشكيل لجنة من مندوب عن الجمهورية العربية المتحدة وسوريا واليمن الجنوبية ناقشت خطوط الورقة الواحدة وكلفت مندوب الجمهورية العربية المتحدة بكتابتها حيث لقيت موافقة اجماعية من الوفود العربية التى أكدت حق أى مندوب عربى فى تقديم ورقة باسمه غير الورقة العربية ، وفى موضوع آخر غير الصحافة العربية ، وجدير بالذكر أيضا أن مندوبة الجمهورية العربية المتحدة تقدمت باقتراح كلمة شكر لشعوب الاتحاد السوفيتى فى مساندتها للنضال العربى ، وقد لقيت الكلمة التى كتبتها موافقة الوفود العربية .

وقد تحدثت ورقة الوفود العربية عن مشاكل الصحافة العربية ، كجزء من مشاكل الصحافة فى العالم الثالث ، وأضافت أنه فى الظروف الخاصة الراهنة لحركة التحرر العربى ، تحتل قضية تصفية آثار العدوان الاسرائيلى ـ الاستعمارى مكان الصدارة الاولى والغالبة فى اهتمام ونشاط الصحافة العربية فى مواجهة أجهزة الاعلام الاستعمارية الضخمة التى تتكتل مستخدمة كل الامكانيات المادية والفنية للاستعمار العالمى والصهيونية العالمية ، لتضليل الرأى العام العالمى وتشويه النضال العربى ومواقفه ، وفى هذا المجال تناولت ورقة الوفود العربية ـ بتقدير ـ موقف الصحافة السوفيتية من النضال العربى بتأييده ومساندته وشن حملات الهجوم ضد مواقف اسرائيل وسياستها التوسعية وادانتها ، وتعتقد « الورقة العربية » أن الصحافة العربية قد لعبت دورا وقدمت جهدا كبيرا من أجل انتصار النضال التحررى فى دول آسيا وأفريقيا ،وهى اذ تقدر كل التقدير مواقف الصحفيين التقدميين من آسيا وأفريقيا فى التعريف بالنضال العربى فى هذه الظروف ومساندته ، الا انها تلحظ فى نفس الوقت أنجهدا أكبر وقدرات أعظم لابد وأن تبذلها صحافة آسيا وأفريقيا ـ الوطنية والتقدمية ـ فى هذا المجال ، لا من باب مجاملة الصحافة العربية لمواقفها المساندة لنضال شعوب هذه الدول ، ولكن من أجل مصالحها هى نفسها أيضا فان نجاح الاستعمار فى ضرب حركة التحرر العربية سوف يترك آثارا يصعب التنبؤ بكل اخطارها الجسيمة التى لا تخفى على أى صحفى وطنى وتقدمى يدرك وحدة مصالح ومصير حركة التحرر الوطنى العالمية .

ومن أكثر المشاكل تعقيدا والتى تواجهها الصحافة الوطنية فى الدول النامية ـ وكانت قاسما مشتركا فى بحوث المندوبين ـ **قضية تعدد اللغات** واللهجات القومية والمحلية فى الوطن الواحد ، وفى هذا المجال يوضح **آدسانيا آدمولا** [نيجيريا] أن الانجليزية هى اللغة التى جعلها الاستعمار البريطانى اللغة الرسمية للبلاد، وهى ـ بذلك ـ لغة المتعلمين وحدهم ، وتبلغ عدد اللغات المستخدمة فى البلاد (٦١ر٥ مليون نسمة) ١١٠ لغة . لـ ٥٠ مليون منهم (القبائل الكبيرة كالهوسا ، واليوروبا والايبو] لغتهم المكتوبة، أما الاخرون (أكثر من ١٠ مليون) فلهم لغة مسموعة ليس لها أبجدية للكتابة ، ومن هنا يحتل الراديو مكانة الخاص والمميز ، خاصة اذا عرفنا أنه حتى بين القبائل الكبيرة المتقدمة لا يعرف القراءة والكتابة سوى ١ من كل ٣٠ شخصا ، وفى هذا المجال أيضا أوضح **شيتو مادهو (الهند)** أن الصحف التى تصدر باللغة الانجليزية [التى لا

يعرفها سوى طبقات المجتمع الهندى الكبيرة والمتوسطة) تحتل ٢٤٫٨ فى المائة من التوزيع الكلي للصحف والمجلات الهندية .

وقد انتبه المشتركون فى الندوة الى تجربة الصحافة السوفيتية أمام مثل هذه المشكلة ، اذ أوضح المندوبون السوفيت أنه فى عام ١٩١٦ ــ أى قبل ثورة أكتوبر الاشتراكية ــ كانت تصدر الصحف بـ ١٥ لغة وأصبحت تصدر اليوم فى ٥٧ لغة منها ١٩ لغة لم تكن لها أبجدية مكتوبة قبل الثورة ، وفى عام ١٩٢٤ صدر قرار من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى بالاهتمام بايجاد حل لهذه القضية ، وفى نفس الوقت الذى عممت فيه دراسة اللغة الروسية فى كل مدارس وكليات الاتحاد السوفيتى ، عنى العلماء السوفيت بوضع أبجديات للغات غير المكتوبة ، وفى الثلاثينات استبدلت هذه الابجديات بالابجدية الروسية مع احتفاظ كل لغة بكيانها القومى الخاص ، وأوضح المندوبون السوفيت أن الدولة الاشتراكية هى وحدها القادرة على ايجاد حل لمثل هذه المشكلة المعقدة كانعكاس لتقديرها الخاص بالاهتمام بالمشكلة القومية والحفاظ على مقوماتها الخاصة بعيدا عن التعصب القومى .

ومن المشاكل الهامة الاخرى التى عرض لها مادهو المندوب الهندى ، والتى تواجه الصحافة الوطنية فى الهند ، أوضح أن ٨٠ فى المائة من التوزيع الكلى للصحف والمجلات الهندية (٦٫٢ مليون نسخة) يتركز فى المدن الكبرى وحدها ، أما الاهم فهو طبيعة وخطر الملكية الخاصة للصحف والتى تشكل عائقا أساسيا أمام تطور الصحافة الوطنية فى الهند ، فمن بين ٥٨٨ صحيفة ومجلة يملك ٥ ملاك وحدهم ٢٩ فى المائة منها تحتل ٣١٫٢ فى المائة من التوزيع الكلى . ويملك ١٥ مالكا ٥٤ صحيفة ومجلة تمثل ٥٠٫١ فى المائة من التوزيع الكلى، ويسيطر **احتكارا بيرلا وتاتا** على صحف ومجلات توزع ٢٥ فى المائة من التوزيع الكلى ، وهنا يذكر مادهو قول **نهرو** « ان الحقيقة الواضحة ، أن الصحافة الهندية ليست صناعة فى حد ذاتها ، ولكنها صحف تملكها الصناعة الهندية الكبيرة » .

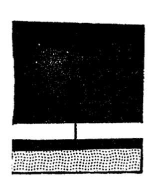
ومن الملاحظ أن المندوبين قد أولوا قضية الصحافة فى العالم الثالث ، اهتماما كبيرا فى مناقشاتهم ، وقد تقدم فى هذا الشأن كل من : **الدكتور ابراجيموف** (الاتحاد السوفيتى) **وعبد القادر مكى** (السودان) **وحسين شعلان** (الجمهورية العربية المتحدة) **وداس جوبيتا** (الهند) بأربعة بحوث عن الصحافة فى العالم الثالث ، ويمكن تلخيص النقاط التى اثارتها هذه البحوث فى : **أولا** ، مشكلة التمويل باعتبار أن صحافة عالم اليوم لم تعد مجرد « المنشور » الذى كان يصدر ــ فى مرحلة النضال الوطنى ــ لتعبئة الجماهير ، وتنظيمها فى صفوف النضال الوطنى، ولكنها قد أصبحت ــ بحكم التطور العلمى والتكنولوجى ــ صناعة ضخمة من حيث آلات الطباعة والزنكوغراف والجمع وصناعة الورق والحبر ... الخ . وقد اثبتت التجربة أنه فى المجتمعات التى حددت لنفسها طريق التطور الاشتراكى لحل مشكلة بعثها القومى ، أن الملكية الخاصة للصحف ــ وبخاصة تلك التى يساهم الاستعمار فى تمويلها لا يمكن الا أن تلعب دورا مناوئا للثورة الوطنية الديمقراطية ومخربا لها ، ومن هنا فان ملكية الدولة التى تحكمها سلطة تقدمية ــ عن طريق تنظيمها أو منظماتها السياسية والاجتماعية ــ هو الحل السليم لمواجهة مشكلة تمويل هذه الصناعة الضخمة ، وان كان للمندوب السودانى وجهة نظر أخرى تضيف القول بأن سيطرة منظمات الدولة التقدمية يجب أن يشمل الصحافة الرجعية وغير التقدمية ولايجب أن يمس الصحافة التقدمية التى تصدر عن مؤسسات سياسية تعبر عن طبقات تقدمية قائمة وتلعب دورها الوطنى التقدمى ، الا فى مرحلة اكتمال تحقيق مهام الثورة الوطنية الديمقراطية لبناء الاشتراكية ، وأن هذه القضية ــ بشكل عام ــ قد تنجح فى مجتمع ما من مجتمعات العالم الثالث ، لكنها لا تعنى بذلك أنها الحل الامثل الوحيد .

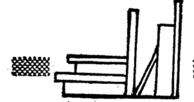
ثانيا : مشكلة الديمقراطية باعتبارها المناخ الوحيد الذى تزدهر فى ظله الصحافة الوطنية والتقدمية لتتطور هى نفسها من جهة ولتساهم بدور ايجابى فعال فى تطوير المجتمع نفسه من جهة أخرى ، والديمقراطية تعنى هنا ، الديمقراطية فى اطار التحالف الوطنى ــ التقدمى الذى لا يغلى تمايز . مصالح الطبقات الاجتماعية الوطنية والتقدمية ، وان كان يسعى الى حلها فى اطار هدف واحد هو : بناء الاشتراكية آخر الامر . ومن هنا ، فانه بقدر ما تتوفر عناصر اتاحة الفرصة للقوى الوطنية الديمقراطية المتحالفة ، للتعبير عن آرائها المختلفة فى اطار برنامج العمل الوطنى الديمقراطى للثورة التقدمية ، بقدر ما تتوفر عناصر النجاح الاكيد لهذه التجارب ، على أن توفير المناخ الديمقراطى ــ هنا ــ يعنى بالبديهة، توفيرها كحق للقوى الوطنية التقدمية فى انحياز تام ضد القوى الرجعية الداخلية والخارجية . **ثالثا** : مشكلة الاعتماد على وكالات الانباء الغربية ــ بشكل يكاد يكون كاملا ــ فى تغطية الاحداث العالمية ، بل وأخذات حركات التحرر الوطنى والعالم الاشتراكى ، ولا يخفى على أحد أن هذه الوكالات وأطماعه الامبريالية التى تقف تماما ضد مصالح ليست الا بعضا من مؤسسات العالم الرأسمالى شعوب العالم الثالث وتعمل على تخريب فكره

الوطنى، وثقافته القومية ومكونات رأيه فى مختلف أحداث العالم ، وليس من حل أمام هذه المشكلة سوى تنسيق جهود وامكانيات الوكالات الخاصة بكل دولة من العالم الثالث مع بقية وكالات الانباء المماثلة لها، فى نفس الوقت الذى يجب ان تؤسس الدول الوطنية والتقدمية فى العالم الثالث وكالة أنباء موحدة تخدم الرأى العام فيها خدمة وطنية ملائمة . **رابعا** : مشكلة الامية باعتبار تاثيرها على مسائل التوزيع من جهة ، وباعتبار انها تقلل من فعالية دور الصحافة الوطنية من جهة أخرى ، وهنا ، فان حل هذه المشكلة تتحملها الدولة بشكل أساسى وان كانت أجهزة الاعلام ـ والراديو والتليفزيون خاصة ـ تستطيع ان تلعب دورا هاما فى مساعدة الدولة على حل هذه « المعضلة » التى لا تؤثر على حيوية العمل السياسى الوطنى وايجابيته فحسب ، بل وتؤثر بشكل هام على بناء الاقتصاد الوطنى المستقل والمتطور ، فضلا عن الدور الذى يجب أن تلعبه الصحافة للربط بين المدينة والريف وتقليل الفارق الضخم ـ الاقتصادى والاجتماعى ـ فيما بينهما . **خامسا** : مشكلة اعداد الكادر الصحفى الوطنى ـ التقدمى ، من زاوية الاهمية الخاصة للتوعية الوطنية ودورها من جهة ، وأن نجاح أى صحافة يعتمد على الصحفيين العاملين بها ـ فكريا وفنيا ـ من جهة ثانية ، والقدرة على مواجهة نشاط وفكر وثقافة القوى الرجعية والاستعمارية من جهة ثالثة ، ومن واجبات هذا الكادر الوطنى ـ فى مجال التوعية أيضا ـ العمل على نشر الوعى الاممى بين الجماهير وتأكيد وحدة مصلحة قوى وشعوب التحرر الوطنى والاشتراكية فى العالم كله ، وفى هذا المجال فان تأسيس كليات ومعاهد الصحافة والاعلام فى دول العالم الثالث وفق أحدث النظم ، يحتل أهمية خاصة فى مجال قضايا الصحافة فى العالم الثالث ،كما أن الدول الاشتراكية مدعوة لان تزيد من المنح الدراسية فى كليات الصحافة فيها للراغبين فى دراسة الصحافة أو العاملين بها فى الدول النامية . **سادسا** : حيث أن القطاع الخاص ، مازال يلعب دورا هاما فى الاقتصاد القومى لهذه الدول النامية ، فان قضية الاعلانات وتأثيرها على الصحف المختلفة ، يجب أن تحظى بالاهتمام ، وهنا يمكن عن طريق ايجاد جهاز خاص لتنسيق تفاصيل هذه القضية ومباشرته لها بنفسه ، أن نجد حلا لمشكلة التأثيرات المختلفة التى يمارسها « اعلان القطاع الخاص » على الصحف . **سابعا** : مشكلة تعدد اللغات واللهجات المحلية ، وقد دارت مناقشة بحوث هؤلاء المندوبين فى نفس الاطار الذى سبق عرضه .

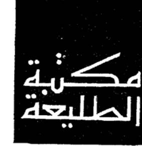
يبقى فى نهاية الامر ـ بالنسبة لهذه البحوث ـ اتفاقها الكامل ـ على أن الحل العام لهذه المشاكل ، يأتى مع انتشار التعليم وتوسيع قاعدته الاجتماعية ومع التقدم الاقتصادى والثقافى لهذه الدول والعمل على خلق لغة مكتوبة للاقليات القومية التى ليس لها سوى لغات مسموعة .

وقد اتفق كل من داس جوبيتا (الهند) وحسين شعلان (الجمهورية العربية المتحدة) على التركيز فى بحثيهما على نقطتين اخريين : **أولا** ، ان الصحافة الوطنية والتقدمية شرط أساسى لتقدم دول العالم الثالث اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ، وتتاكد هذه الحقيقة بشكل خاص ، من واقع لابد وأن نضع أيدينا عليه بوضوح ، وهو أن الغالبية العظمى لدول العالم الثالث ، لم تتمكن حتى الان بعد مرحلة الاستقلال الوطنى من بناء الدولة ـ بمفهومها الحديث ـ أو بناء المؤسسات السياسية الديمقراطية القادرة على مواجهة المسئوليات الضخمة المطروحة على هذه المجتمعات ، والى أن تتمكن هذه المجتمعات من انجاز هاتين المهمتين الهامتين للغاية ، فان الصحافة تلعب هنا دورا يماثل فى أهميته ـ ان لم يفق فى هذه المرحلة ـ دور الدولة والمؤسسات السياسية الديمقراطية والجماهيرية . **ثانيا** : ان معركة شعوب الدول النامية فى مواجهة التحديات الداخلية والخارجية ، لن تكسب بالشعارات ، فليست الملكية العامة لوسائل الانتاج وحدها ، كافية لبناء المجتمع التقدمى ، كما أوضحت التجربة أن الصراع العالمى بين الاشتراكية والرأسمالية لم يتحدد لصالح الاشتراكية الا من خلال منافستها للرأسمالية فى التقدم التكنيكى الهائل الذى تعد مركبة الفضاء الآلية أبرز ملامحه ، ان الملكية العامة لوسائل الانتاج تتيح فقط فرصا أفضل وأكبر لكسب المعركة ، وبتطبيق ذلك فى مجال الصحافة ، تساءل المندوبان ـ فى ورقتيهما ـ هل الصحافة التقدمية فى معركتها مع صحافة الامبريالية العالمية والاستعمار الجديد، معدة لكسب هذه المعركة » وكان رأيهما أن الصحافة التقدمية مازالت تبدو جافة وغير جذابة اذا قورنت بالصحافة الرأسمالية من جهة واذا وضعنا فى الاعتبار أن القارىء قد تربى وهيىء لهذا النوع من الصحافة ، هذا فضلا عن أن الصحافة التقدمية مازالت تعانى من أوجه قصور ، فتغطيتها الاخبارية مازالت غير كافية ، كما أن اعدادها التحريرى يتم بطريقة جافة ، كذلك فهى تخلط ـ فى كثير من الاحيان ـ بين الاهتمامات المحلية والاهتمامات الاممية ، ومن ثم فان العمل على اكتساب مهارة وفنون الصحافة الرأسمالية ـ وهى حقيقة لابد من الاعتراف بها ـ عملية لا غنى عنها ، من أجل ممارسة الصحافة التقدمية لدورها .









حرب الفلاحين فى ألمانيا

■ تاليف :

فردريك انجلز

■ ترجمة :

لطفى فطيم ـ قدرى حفنى

■ عرض وتعليق :

فتحى عبد الفتاح

■ النـاشر :

دار الثقافة الجديدة

[القاهرة ـ ١٩٧٠]

صدرت

الطبعة الاولى من كتاب «فردريك انجلز » عن حرب الفــلاحين فى المانيا فى صيف عام ١٨٥٠ ، أى فى اعقاب ثورة ١٨٤٨ ـ ١٨٤٩ فى المانيا ، والتى خانت فيها البورجوازية الالمانية ثورة الطبقـات المقهـورة من البروليتاريـا والبورجوازية الصغيرة ٠

ولا تكمن أهمية الكتاب فى التعرض لثورة الفلاحين فى ألمانيا سنة ١٥٢٥ وشرح الظروف التاريخية والاقتصادية والطبقية التى لابست هذه الثورة الفلاحية الكبيرة فقط ، بل وايضا فى محاولة تفسير أحداث ثـورة ١٨٤٨ ـ ١٨٤٩ ومواقف الطبقات المختلفة واضعا فى الاعتبار بالطبع الظروف التاريخية المختلفة ، والتى جعلت ثورة ١٥٢٥ تختلف فى أفكارها وأهدافها ومعسكر القوى الثورية فيها وأيضا القوى المضادة عن ثورة سنة ١٨٤٩ ، والتى تمت بعد إنتصار أسلوب الانتاج الرأسمالى فى عدد من البلدان ودخول البروليتاريا كطبقة هامة ومؤثرة فـى الصراع الاجتماعى ٠٠

ويعتبر هذا الكتاب أول محاولة من جانب فردريك انجلز صديق ورفيق كارل ماركس لدراسة مرحلة تاريخية معينة بتطبيق المنهج الجدلى والمادية التاريخية ، والبحث عن الدوافع الاقتصادية والاجتماعية والطبقية فى هذا الصراع الذى شهدته ألمانيا فى أوائل القرن السادس عشر ..

كذلك فان الكتاب يكتسب أهمية خاصة باعتباره من الاعمال الاولى لشريك مؤسس النظرية الماركسية ، والتى ألمح فيها ثم حدد بعد ذلك بأن دور الفلاحين وثوراتهم ترتبط ارتباطا وثيقا بثورة البروليتاريا ، وبذلك وضع قاعدة أساسية للنضال الثورى ، وهو التحالف الوثيق بين الفلاحين والطبقة العاملة ، باعتباره أهم شرط لنجاح الثورة الاشتراكية واسقاط النظم الرأسمالية .

وقد أوضح ماركس فى خطاب له الى انجلز فى ابريل سنة ١٨٥٦ هذه الحقيقة حين طلب منه تدعيم الثورة البروليتارية بنسخة أخرى من حرب الفلاحين .

وثمة ملاحظة سريعة فى هذا الصدد هى أنه بينما نرى ماركس يؤكد سبق انجلز سواء فى تطبيق المادية التاريخية والمنهج الجدلى لتفسير التاريخ أو فى فكرته العبقرية عن تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين فى الثورة الاشتراكية ، نجد انجلز يحرص فى المقدمة التى كتبها للطبعة الثانية للكتاب سنة ١٨٧٠ على أن يؤكد « أن هذه النظرة المادية الوحيدة للتاريخ ترجع الى ماركس لا الىّ ، ويمكن ملاحظتها فى مؤلفاته عن ثورة فرنسا ١٨٤٨ - ١٩٤٩ » ويشير بذلك الى كتاب ماركس « ١٨ برومير ولويس لونابرت » . بل ويمضى انجلز فى تواضع علمى أهل لاحد مؤسس النظرية الماركسية ليقول بأن « المادة التاريخية التى يستند اليها هذا الكتاب ليست مستمدة من بحث قمت به بنفسى ، بل على العكس فان جميع المواد المتعلقة بهبات الفلاحين وتوماس مونزر مستمدة من زلبرمان » وهو مؤلف كتاب « التاريخ الكامل لحرب الفلاحين الكبرى » .. ولكن يبقى دائما لانجلز السبق فى النفاذ الى الظروف الاجتماعية والاقتصادية التى حددت ظروف الصراع ونتائجه فى اطار المادية الجدلية والتاريخية ، وفى المحاولة العلمية لتوضيح قوى الثورة والثورة المضادة وأساليبها سواء فى حرب الفلاحين سنة ١٥٢٥ أو فى الثورة الالمانية سنة ١٩٤٨ على أرضية الظروف التاريخية المختلفة .

العلاقات الطبقية

وقد تضمن كتاب حرب الفلاحين ستة فصول كما تضمن أيضا بعض الابحاث والرسائل المتبادلة بين انجلز وماركس حول تاريخ الملكية الزراعية فى ألمانيا وظروف الفلاحين الالمان والاوربيين فى القرون الوسطى كما يضمن رسالة من انجلز الى كاوتسكى يقدم فيها انجلز نقدا سريعا لكتاب كاوتسكى عن « طلائع الاشتراكية الحديثة » .. وفى نهاية الكتاب بحث رائع مأخوذ من مخطوطات انجلز عن « اضمحلال الاقطاع وقيام الدولة القومية » ، والملاحظ أن كل الرسائل والابحاث الاضافية الاخرى التى الحقت بالكتاب لم تكن موجودة فى الطبعة الاولى التى صدرت سنة ١٨٥٠ اذ يرجع تاريخ اغلبها الى الفترة بين ١٨٧٠ - ١٨٩٥ ، وقد قام انجلز باضافة بعضها ، كما قام الناشرون باضافة البعض الاخر ..

ويتناول انجلز فى الفصل الاول من الكتاب الوضع الاجتماعى والاقتصادى فى ألمانيا فى بداية القرن السادس عشر والاكتشافات الهامة التى كان ابرزها اختراع البارود والطباعة ، والتى ادت بدرجة كبيرة الى تطور المهن الفنية ولازمت التجارة والصناعة حيث احتل نظام الطوائف الصناعية فى المدن مكان الصناعة الاقطاعية المحلية فى الريف ، والامتيازات التى حصلت عليها المدن ، والتى كان عبئها الاكبر يقع على عاتق الفلاحين من رعايا الامراء ، وكذلك الافنان والعبيد . وقد قدم انجلز فى هذا الفصل تحليلا للاوضاع الطبقية وعلاقاتها فى ألمانيا فى تلك الفترة ابتداء من الامراء والنبلاء والارستقراطية الدينية والعامة من رجال الكنيسة ، ثم التجار وأصحاب الحرف فى المدينة ، وكذلك سكان المدن المفلسين ، وكتلة أهل المدن المحرومين من الحقوق المدنية والاجراء وعمال المياومة وأسلاف حثالة البروليتاريا . ثم وفى نهاية كل هذه الطبقات — ما عدا الاخيرة — الكتلة الرئيسية المستغلة من الامة وهم الفلاحون ، هؤلاء الذين كانوا يعولون بقية فئات المجتمع « وأيا كان السيد الذى يستعبد الفلاح اميرا أو بارونا أو اسقفا ، ديرا أو مدينة ، فقد كان الجميع يعاملونه باعتباره شيئا ، حيوانا لحمل الاثقال أو أقل » .

المعسكرات الثلاثة

وفى الفصل الثانى من الكتاب تناول انجلز دون الافكار الثورية السياسية الدينية خلال فترة الاصلاح الدينى ، وهو يختلف مع هؤلاء الذين لا يرون فى المعارك التى دارت فى هذه الفترة وفى الفترات السابقة سوى مشاحنات لاهوتية عنيفة ، رغم أنها فى الواقع كانت تعبيرا عن الصراعات الطبقية فى المجتمعات فى تلك الفترة : « فرغم أن

الصراعات الطبقية كانت عندئذ مغلفة بشعارات دينية . ورغم أن مصالح وحاجات ومطالب مختلف الطبقات كانت مختفية خلف ستار دينى ، فلم يغير هذا شيئا من الامر ويمكن تفسيره بسهولة » .

ولما كانت سيادة اللاهوت على النشاط الثقافى بأكمله نتيجة حتمية للمكانة التى كانت تحتلها الكنيسة ، لذلك كانت كافة الهجمات العامة ضد الاقطاع والكنيسة التقليدية تأخذ طوال العصور الوسطى أشكال الصوفية أو الهرطقة الدينية .. وكان من الطبيعى فى مثل هذه الظروف ان نقود تلك الاشكال الدينية الثورية من التصوف والهرطقة سكان المدن وفئات الكنيسة الدنيا .. وفى أواخر القرن الخامس عشر واوائل السادس عشر اتخذت هذه الهرطقات اشكالا اكثر مباشرة فى التعبير عن مطالب العامة والفلاحين فبالرغم من أنها كانت تشترك مع المطالب الاصلاحية لسكان المدينة باحياء دستور الكنيسة الاول ، الا أنها انطلقت الى أبعد من ذلك فطالبت « بعودة المساواة المسيحية الاولى بين اعضاء الجماعة والاعتراف بهذه المساواة » ... وقد أدى كل هذا لان يشهد القرن السادس عشر ثلاثة معسكرات كبيرة :

اولا : المعسكر الرجعى اوالكاثوليكى: ويشمل كافة العناصر ذات المصلحة فى بقاء السلطة الامبراطورية وملحقاتها من امراء واغنياء البلاد وأمراء الكنيسة وسادة المدن .

ثانيا : المعسكر اللوثرى البورجوازى الاصلاحى : وهو يمثل معارضة لوثر لعقائد وقوانين الكنيسة الكاثوليكية ، وهو معسكر اصلاحى معتدل يجتذب الى صفوفه العناصر المالكة من المعارضة مثل السواد الاعظم من صغار النبلاء ، وسكان المدن .

ثالثا : المعسكر الثورى : وهو يمثل المعارضة الثورية للكنيسة الكاثوليكية ، والوصول بتلك المعارضة الى العصيان ومحاربة النظام الاقطاعى والاستبداد الكنسى ، ويشمل هذا المعسكر الفلاحين والعامة ..

ثم يتعرض انجلز بعد ذلك لافكار كل من لوثر الاصلاحى والمعبر عن المعسكر الثانى « أسلاف البورجوازيين الليبراليين » وافكار مونزر الثورى والمعبر عن المعسكر الثالث « اسلاف البروليتاريا والحركات الفلاحية الثورية » ويوضح انجلز كيف استبعد لوثر العناصر الشعبية فى دعوته الاصلاحية وكيف إنحاز الى سكان المدن والنبلاء ، وتحولت افكاره الى اصلاحات بورجوازية « تحفز التقدم فى ظل القانون » ثم كيف أدى هذا الموقف من الناحية الواقعية لان يقف لوثر فى النهاية ضد ثورة الفلاحين التى اندلعت فى فترة ازدهار مبادئه (١٥١٧ ـ ١٥٢٥) وكيف وضع لوثر يده مع الامراء وسكان المدن النبلاء ورجال الكنيسة والبابا « ضد قطعان الفلاحين المجرمة النهابة » وهو عنوان الكتاب الذى أصدره فى مايو سنة ١٥٢٥ اى عندما كانت حركة الفلاحين فى أوجها.

ثم يقارن انجلز موقف لوثر الاصلاحى الوسطى بموقف مونزر « الثورى الشعبى » فبالرغم من ان مونزر كان فى البداية من أتباع لوثر الا أنه سرعان ما تعداه الى مرحلة أبعد وأعمق والى شعارات وأفكار أكثر تحديدا وثورية ، فالالهام الحقيقى الحى ـ على حد تعبير مونزر ـ مصدره العقل ، وهو الهام وحيد ويوجد لدى كافة الشعوب فى كافة الازمان . ووضع الكتاب المقدس فى مقابل العقل معناه أن تقتل الكلمات الروح . اذ أن الروح المقدسة التى يتكلم الكتاب عنها ليست شيئا يوجد خارجيا ..

يرى مونزر أن « الجنة ليست عالما آخر ، بل يجب البحث عنها فى هذه الحياة . ومهمة المؤمنين اقامة هذه الجنة ـ مملكة الله ـ على الارض ».

وكان مونزر يرى فى مملكة الله « مجتمعنا بلا فوارق طبقية ولا ملكية خاصة وبلا سلطة دولة مستقلة وغريبة عن اعضاء المجتمع » ..

ولم يختلف مونزر عن لوثر فقط بالنسبة للمنهج الاصلاحى الاخير ، بل لقد ربط الثورة الدينية السياسية بقدرات تنظيمية وبدعوة صريحة للثورة « لقد وضعت كلماتى فى أفواهكم حتى يمكنكم ان تخلعوا وتدمروا وتقلبوا وتنثروا ، حتى يمكنكم أن تبنوا وتزرعوا .. » « يجب أن يعانى العالم هزة كبيرة ، سيكون هناك نضال عظيم حتى أن الخطاه سيلقون من على كراسيهم وينهض المغلوبون على امرهم » . وحين هاجمه لوثر واعتبره أداة فى يد الشيطان ، وطالب الامراء بالتدخل وطرد مثيرى الفتنة من الفلاحين الذين آمنوا بمونزر ،بلوبدأوا عصيانهم .. كتب مونزر يقول لصديقللوثر» لا تطرالامراء والا هلكتمعهم، أيها المثقفون فذان الكتب لا تحقدوا فانى لا أستطيع أن أعمل شيئا لتغيير ذلك المصير » . وهكذا لعب مونزر دورا حاسما فى اقامة حزب الشعب وفى صياغة مطالبه وأهدافه بشكل واضح ، الامر الذى أدى فى النهاية الى انفجار الثورة فى أبريل سنة ١٥٢٥ .

المقدمات والنتائج

ومن الفصل الثالث حتى الفصل السادس والاخير فى الكتاب يتعرض انجلز لتفاصيل ثورة

الفلاحين سنة ١٥٢٥ ومقدماتها وتطوراتها ونتائجها مستخلصا في كل مرحلة من تلك المراحل دروس ثورية عظيمة ، سواء بالنسبة لقوى الثورة وشعاراتها واشكالها التنظيمية ، او بالنسبة لتكتيكات الثورة والثورة المضادة والاسباب والظروف التاريخية والاقتصادية والسياسية التى أدت – وكان لابد أن تؤدى – الى هزيمة ثورة الفلاحين فى تلك الفترة المبكرة بعد نضال ثورى مرير ، كان له اثره الذى لا يمحى فى تاريخ المانيا كلها بعد ذلك ... فهو يتناول مقدمات ثورة سنة ١٥٢٥ متمثلة فى الحركات الدينية التلقائية التى كان يقوم بها بعض القساوسة أو الفلاحون الفقراء والمحاولات الفاشلة واليائسة التى كان يقوم بها هؤلاء ومعهم جموع الفلاحين والمضطهدين والمسجونين من أجل « أن يكون كل الناس اخوة وأن يكسبوا خبزهم بعرق جباههم » ويستعرض انجلز هذه الحركات من هانز الزمار الى التنظيمات الثورية « **لليوندشو** » و « كونراد الفقير » .

ثم يستعرض بعد ذلك حرب الفلاحين الكبرى التى انطلقت فى ربيع ١٥٢٥ ، والتى بدأت برفض الفلاحين دفع العشور وغيرها من الضرائب ثم تكوين الكتائب والجيوش المسلحة التى استطاعت أن تحقق للفلاحين وقياداتهم العسكرية والسياسية السيطرة على أجزاء كبيرة فى ألمانيا الامر الذى ادى بسكان المدن الى ممالأة الثورة الفلاحية ضد النبلاء والامراء ، ولما لم يكن طبيعيا أن تحقق ثورة الفلاحين انتصارها النهائى نتيجة للظروف الاقتصادية والتاريخية والاجتماعية التى لم تكن ناضجة بعد لمثل هذه الثورة وشعاراتها التقدمية فقد تمكنت القوى الرجعية – الامراء والنبلاء والكنيسة – من القضاء على الثورة وبمعاونة سكان المدن – من التجار وأصحاب الحرف – الذين انقلبوا على الفلاحين ..

ويحاول انجلز من خلال عرضه لاحداث الثورة وتطوراتها ثم هزيمتها أن يوضح الاخطاء التى وقعت فيها ثورة الفلاحين مثل ضيق الافق المتناهى والاقليمية الضيقة ، وهى أمور لم يكن من الممكن تجنبها بين الفلاحين فى ذلك الوقت ، كذلك عدم وجود شكل تنظيمى محدد وموجه للحركة كلها .. على أن حرب الفلاحين رغم فشلها قد حققت من وجهة نظر انجلز نتائج هامة لعبت دورا كبيرا فى التطورات التى طرأت على المجتمع الالمانى بعد ذلك .. فقد نشرت حرب الفلاحين فكرة اخضاع اراضى الكنيسة للسلطة المدنية لصالح الفلاحين ، كما دمرت اكثر قصور النبلاء وانهارت معظم العائلات الكبيرة ، ولم يستفد من حرب الفلاحين سوى الامراء ، وكان هذا التطور يسير فى إتجاه المركزية .. وفى اتجاه تجميع « الامة » الالمانية .

التركز الرأسمالى ..

السلطة الاقتصادية والسلطة الديجولية

■ تاليف :

هنرى كلود

■ عرض وتعليق :

كمال السيد

■ الناشر :

المنشورات الاجتماعية – باريس

ان « ديجول الذى غدت فرنسا أرملة بفقده » ، – على حد تعبير رئيس الجمهورية الحالى جورج بومبيدو – اثار أثناء حياته ، نقاشا هائلا حول حقيقة دوره ، ونظامه ، أعماله وأهدافه . والامر المؤكد أن « الديجولية » كظاهرة جديدة تعبر عن مرحلة جديدة فى تطور المجتمع الفرنسى ، ستحظى أيضا بعد رحيل ديجول بكثير من الجدل والنقاش ، طالما ظلت تلك المرحلة من نمو فرنسا قائمة ، وحتى فيما بعدها .

ومن أهم الاعمال ، التى تعرضت للديجولية اثناء حياة ديجول كتاب **هنرى كلود** عن « التركز الرأسمالى ، السلطة الاقتصادية والسلطة الديجولية » . وقارئ هذا الكتاب سوف يتبين أن مؤلفه يلح على فكرة ان هناك أسبابا موضوعية

أدت الى ظهور الديجولية ، وكانت سابقة على هذا الوجود وستظل موجودة ، بعد رحيل صاحبها ٠ وان انسحاب ديجول من الحياة السياسية ، حتى قبل وفاته ، لم يغير من الخط العام للسياسة الفرنسية ، فى الداخل والخارج ٠

وفى هذا الكتاب يقدم هنرى كلود ، تحليلا متعمقا للتغييرات فى « الهيكل السفلى » للاقتصاد وفى علاقات الانتاج فى فرنسا ، والتى أحدثت تغييرا مماثلا فى « الهيكل الفوقى » ٠ فقد اصبح ممثلو رأس المال المالى ، وأصحاب المصارف ، بعد أن استحوذوا على كل السلطة الاقتصادية ، هم المهيمنون مباشرة على جهاز الدولة السياسى لا الادارى فحسب ، وذلك بدلا من هيمنة كبار الصناعيين ، كما كان الحال من قبل ٠ وتم ذلك عن طريق التركيز الهائل للسلطات فى يد فرد واحد ، ومحاولة القضاء على نفوذ البرلمان وعزله ، وبالطبع كان يكفى وجود مستشار واحد ، من اتباع رأس المال المالى ، له نفوذه على من يكون فى قمة السلطة ، حتى تتحقق مصالح الاوليجاركية المالية ٠

والفكرة الاساسية فى هذا الكتاب هى أن التركز والتمركز الاحتكارى ، ونشوء رأسمالية الدولة الاحتكارية فى فرنسا ، قد بلغ آمادا لم يبلغها من قبل ، بحيث انتقلت كل السلطة الا قتصادية والسياسية ، الى قسم محدود من الطبقة الرأسمالية ، وهــذا الجزء تمثله الاقلية المالية التى استطاعت ــ بفضل سيطرتها على جهاز الدولة ــ أن تخضع لها باقى المجتمع ، ليس فقط أعداؤها ومناوئيها الطبقيين ، كالبروليتاريا والفلاحين والبورجوازية الصغيرة ، بل أيضا كل الطبقة البورجوازية ، بل والاحتكاريين والمشروعات الكبيرة فى الفروع الاخرى ٠

ويقدم المؤلف تعريفا للتركز ــ باعتباره سببا للديجولية ــ كالاتى :

« انه الحركة التى تتجه فى قلب المجتمع البورجوازى ، بطريقة نسبية وأحيانا مطلقة ، الى أن تجمع بين أيدى عدد محدود ، أكثر فأكثر للعناصر المنتجة للثروة ، وللسلطة الاقتصادية » ٠ أو « الحركة التى تفضى بطريقة نسبية ــ وأحيانا مطلقة ــ الى استحواذ عدد محدود ، أكثر فأكثر ، من الاشخاص الطبيعيين أو المعنويين على الجانب الاساسى من رؤوس الاموال والقوة الاقتصادية » ٠

وهناك ثلاث درجات من التركز :

ــ تركز الانتاج ، والتركز الصناعى ٠
ــ تركز رأس المال ، أو التركز المالى ٠
ــ تركز القوة والسلطة الاقتصادية ٠

ويعتبر تركز الانتاج والتركز المالى ، هو الاساس المادى لتركز السلطة الاقتصادية ، اى سيطرة بعض القوى الاقتصادية على مجموعة الاقتصاد ٠ ويرتبط هذا بتطور السيطرة والرقابة فى كل مظاهرها : السيطرة على رؤوس الاموال ، والاستثمارات ، واليد العاملة والمواد الخام ، والاسواق ٠ ويتضح التركز فى المجال الاقتصادى فى ظهور الاحتكارات والاتحادات الاحتكارية ، وفى المجال الاجتماعى فى ظهور الارستقراطية البورجوازية ، والاقلية المالية ٠

وفى الفصل الاول من الكتاب يتناول المؤلف الاسباب التى عجلت بالتركز ، وما صاحبه من ظواهر سياسية كنشأة الديجولية ٠ ويقول أن هذه الاسباب قسمان :

● أسباب عامة تشترك فيها فرنسا مع البلدان الامبريالية الأخرى مثل :

■ التقدم العلمى والتكنيكى : اذ يقتضى استخدام منجزاتها وجود وحدات انتاجية بالغة الضخامة ٠

■ تفاقم الازمة العامة للنظام الامبريالى بعد الحرب العالمية الثانية ، وذلك لضيق مجــالات وتصريف انتاجه بعد تحرر كثير من البلدان من سطوته ، ومن ثم اشتداد المنافسة بين الدول الامبريالية ٠ ومن جانب آخر نشوء نظام اشتراكى قوى لابد من التعامل معه ٠ الامر الذى أجبر المؤسسات الصناعية على توحيد قواها لسد حاجات التجارة الخارجية التى أصبحت عاملا هاما فى التركز ٠

● أما الاسباب الخاصة بفرنسا والتى عجلت بالتركز فيها فهى :

● التأميم فى ١٩٤٥ ، وتكوين احتكارات كبيرة تابعة للدولة وضعت فى خدمة الاحتكارات الخاصة ، اذ تورد لها احتياجاتها باسعار خاصة ، الامر الذى يزيد من ارباحها وقدرتها على التوسع ٠

● انهيار النظام الاستعمارى الفرنسى ، الامر الذى أدى الى عودة رؤوس الاموال الفرنسية التى كانت مستغلة فى الخارج واستخدامها فى التوسع فى الداخل ٠

● انشاء السوق المشتركة ، الذى قضى على المشاريع الصغيرة والمتوسطة وحفز أندماج واتحاد المؤسسات الاحتكارية ٠ ولقد كان إنشاء السوق المشترك حافزا للتركز على ثلاث

مستويات : فى كل بلد ، وفى مجموع بلدان السوق الست ، وفى العالم الرأسمالى .

ويعدد الكاتب أدوات التركز ، التى قامت فيه بالدور الاساسى وهى :

● بنوك الاعمال : فهذه وان كان دورها لا غنى عنه فى اصدار الاسهم والسندات ، وفى الاقراض ، فانها أيضا تقوم بدور حاسم فى كل العمليات الاخرى التىتعجل بالتركز مثل الاندماج والابتلاع والسيطرة .

● الهيئات المهنية : وكان الهدف من انشائها أصلا الدفاع عن المصالح العامة لارباب الاعمال فى مهنة معينة ، أما اليوم فدورها هوالتعجيل بالتركز عن طريق : تركيز وتخصص اعمال البحث والاقراض ، القضاء على المشروعات الصغيرة .

● الدولةوالهيئات العامةوشبه العامة : وذلك بمساندتها للتجمعات المهنية ، ومشاركة البنوك فى تملك الشركات ، والسياسة المالية والضريبية ، واصدار القوانين ، وأوامر الشراء الحكومية .

والواقع ان أوامر الشراء الحكومية ، هى الاداة الأساسية ، لرأسمالية الدولة الاحتكارية ، وخاصة الاوامر العسكرية . وهنا فات المؤلف أن يتناول هذه الاوامر بشىء من التفصيل والتوسع ، يتناسب مع مالها من قيمة وأهمية ، اذ قد غدت هذه هى المحرك الرئيسى للنظام الاقتصادى فى البلدان الامبريالية . الامر الذى أوضحه مثلا المؤلف السوفيتى **تشيرياكوف** فى كتابه « رأسماليةالدولة الاحتكارية » (منشورات التقدم ــ موسكو) .

وفى الفصل الثانى عن « أساليب وأدوات التركز » يقول المؤلف أن الرأسمالية تستخدم ثلاث أدوات أساسية لتجميع رؤوس الاموال الضخمة بصورة متزايدة فى أيدى عدد محدود ، وهى : التراكم والتمويل الداخلى ، التمركز والاندماج ، الرقابة والسيطرة . فالتراكم والتمويل الداخلى يؤدى الى زيادة التركز ويقضى على المشروعات الصغيرة . وهو يعبر عن زيادة التركز فى مجال الانتاج والمال والسلطة الاقتصادية . وهناك ارتباط بين درجة الاحتكار وأهمية التمويل الذاتى ، الذى يكفل زيادة رأس المال الحقيقى رغم انخفاض القيمة الحقيقية للنقود ، وتحبذ الدولة سياسة التمويل الذاتى .

أما التمركز فيمكن تعريفه بصفة عامة بأنه أسلوب يتمثل فى اندماج رؤوس أموال قد تكونت أو فى طريقها للتكوين ، أو تجميع مصادر التراكم أو التمويل الخارجى ، اندماج رأس المال الاجتماعى ، انشاء المشروعات والفروع التابعة المشتركة .

ويستطيع أحد المشروعات الرأسمالية أن يتحكم فى كمية ضخمة من رؤوس الاموال ووسائل الانتاج بالسيطرة والرقابة على المشروعات الاخرى ، اقتصاديا أو ماليا . وفى هذا الجزء من الكتاب يقدم المؤلف عرضا ممتازا للوسائل التى يستطيع بها الاحتكاريون السيطرة على موارد المجتمع . والواقع أن استدلالات المؤلف فى هذا الصدد ، لا تعتمد على مجرد الاقوال النظرية لرواد الماركسية الاول ، ككتابات **لينين** عن الامبرياليه أعلى مراحل الرأسمالية ، بل أثبت ذلك بالوقائع والارقام .

ويمكن القول بأن القسمين الاول والثانى من الكتاب يتناولان الجانب الاقتصادى ، أو البنيان التحتى للديجولية ، اما الجزء الثالث ، فيتناول التعبير عن هذا فى البنيان الفوقى . وفيه يقول المؤلف أن التركز لا يقاس فحسب بتناقص عدد المشروعات المستقلة ، بل لابد من مراعاة المشروعات الفرعية (السيطرة المالية) وكذلك المشروعات التابعة [السيطرة علىأسواق المتابعة] كذلك فان سلطة أى مجموعة رأسمالية لا تقاس من زاوية كمية فحسب ، بل من زاوية كيفية أيضا من حيث مدى نفوذها على الحياة الاقتصادية . ولقد كان وجود السلطة الاقتصادية متميزا ومرتبطا فى نفس الوقت بالسلطة السياسية . الا أن المجتمع البورجوازى أدى الى انفراد رأس المال المالى بالسيطرة على المجتمع ، بدلا من سيطرة مجموعة الرأسماليين ، كذلك تنافى دور الدولة البورجوازية ، كأداة لخدمة الاوليجاركية المالية .

أما وسائل سيطرة الاوليجاركية على الدولة ، فيقول المؤلف انها تتمثل فى :

● **العمل الايديولوجى وتركز وسائل التعبير** ، وبطريقة عامة ، تتحقق السيطرة على الحياة السياسية فى بلد من البلدان عن طريق ترويج وسيطرة أيديولوجية الطبقة الحاكمة وتتمثل هذه الايديولوجية فى الفترة الحالية فى الترويج لضرورة التركز . وتلعب الصحافة والنشر والراديو والتليفزيون دورا هاما فى تهيئة الرأى العام لقبول أو تحمل دكتاتورية رأس المال الكبير .

● **السيطرة على الجهاز الادارى والسياسى للدولة** عن طريق توظيف كبار موظفى الدولة فى الشركات ، ودفع مديرى الشركات الى المناصب الحكومية . وبمجىء الديجولية تمت لرأس المال المالى السيطرة المباشرة على الجهاز السياسى . فقبلها كان رجال الصناعة يسيطرون عن طريق السياسيين المحترفين على الحياة السياسية ، وعندما جاءت الديجولية ، ممثلة رأس المال المالى ، شغل كبار موظفى البنوك المناصب الحكومية الاساسية . فالوزراء يجيئون مباشرة من صفوف مديرى الاحتكارات الرأسمالية . وعلى سبيل

المثال : فان ميشيل دوبريه ، كان مديرا لشركتين ونسيب وقريب كثير من الرأسماليين ، كذلك فان فاليرى جيسكار ديستانج وزير المالية كان مديرا لعدة شركات ، ونفس الامر ينطبق على كوف دى مورفيل وزير الخارجية ، وغيرهم من الوزراء .

وقد وجدت الاقلية المالية ، انه من المجزى لها الاستغناء عن الديمقراطية البورجوازية التقليدية ، وتركيز كل السلطة السياسية فى يد رجل واحد هو رئيس الجمهورية ، وتقليل دور البرلمان ، والاعتماد فى تنفيذ سياسة الرئيس على رئيس وزراء ووزراء من خارج البرلمان .

ويقول المؤلف ان الذى انتصر فى ١٩٥٨ ، عندما جاء ديجول ، ليس الافكار السياسية لفرد ، بل مفاهيم طبقة ، كان ديجول معبرا عنها ، فى ظل ظروف تاريخية معينة . واننا لا يمكن ان نفهم الديجولية ما لم نر فى التغييرات التى حدثت فى البناء العلوى انعكاسا للتحولات التى تمت فى الاساس الاقتصادى . فالسيطرة المباشرة لاعضاء الاقلية المالية على الدولة تنبع من استيلاء وسيطرة البورجوازية الكبيرة على الاقتصاد . ان التركز السياسى تعبير عن التركيز الاقتصادى . واذا كان تركز السلطة السياسية على حساب التمثيل البرلمانى التقليدى قد وجد تعبيره الاكمل فى النظام الديجولى ، فانه يعبر عن اتجاه عام كان موجودا منذ أوائل القرن ، أى قبل مجىء ديجول .

ان النظــــام الديجــــولى ، وهو تعبير عن السلطة التى طورت ونقلت رأسمالية الاحتكار الى رأسمالية الدولة الاحتكارية .

وفى خاتمة الكتاب يتحدث المؤلف عن التركز والافاق الديمقراطية ، ويؤكد أن الديمقــراطية السياسية لا يمكن أن تتحقق الا مع الديمقراطية الاقتصادية ، فليس هناك تعايش سلمى بيــن الاحتكارات وبين الديمقراطية .

والواقـــع ان الـــكتاب يعتبر عرضــــا عميقا للواقع الفرنسى ، مع المقارنة مع البلدان الامبريالية الاخرى وان لم يكن بالتفصيل المطلوب ، وفيه يبين المؤلف القوانين الاساسية التى تحكم حركة المجتمع الرأسمالى فــى مــرحلة رأســمالية الدولــة الاحتـــكارية ، وفهم هـــذه القـــوانين يتيح فهمـا موضوعيــا لحقيقة اتجاهات دولة كبيرة مثــــل فرنســـا ، يمكن ان تـــكون مواقفها فى السياسة الخارجية ، وبحكم مصالحها الذاتية ، مـــواتية ومساعدة فى فترة او اخرى لنضالنا وحركتنـــا ضد الامبريالية الامريكية والصهيونية ، فان مثل هذا الفهم يمنع أية أوهام أو مزايدات قد لا تكون فى محلها

■■■



الأزمــة التى تــأخـذ بخنـــــاق أمــــريـكا

● عن مجلة الاخبار اللبنانية [٢٥ اكتوبر ١٩٧٠] ومجلة نيوتايمز الســـوفيتية [٧ اكتوبر ١٩٧٠]

يعانى اليوم الاقتصاد الامريكى من أزمــة اقتصادية تتمثل فى الدلائل التى تشير اليها الارقام التالية : انخفاض الانتاج الصناعى بمقدار ٢ر٣ فى المائة بالمقارنة بسنة ١٩٦٩ ، انخفاض الطلب على الماكينات وغيرها من التجهيزات الصناعية بنسبة ١٠ فى المائة ، انخفاض عمليات انشاء المساكن بأكثر من ٢٠ فى المائة ، ارتفاع أسعار السلع بمقدار ٦ر٢ فى المائة ، انخفاض أسعار الاسهم ٣٠ فى المائة ، ازدياد عدد العاطلين بمقدار ٤٦ فى المائة ، انخفاض الاجر الحقيقى بنسبة ٥ فى المائة منذ نهاية عام ١٩٦٨ ، بلغ أجمالى العجز فى ميزان المدفوعات خلال الثلاثة اشهر الاولى من عام ١٩٧٠ ٦ر٢ مليار دولار على أساس السيولة ، ٤ر١١ مليار دولار على أساس الانفاقات الرسمية لنظام الاحتياطيات . ان الارقام السابقة لا تمس كل خطوط الازمة ، انها أقصى أزمة اقتصادية يتعرض لها الاقتصاد الامريكى منذ عام ١٩٣٠ .

ارتفـــاع نفقـــات المعيشـــــة : ان نصـــف الامريكيين يموتون فقراء ، فهناك حوالى ٢٢ مليون فقير ، وذلك لانخفاض الاجر الحقيقى متمثلا فى

ارتفاع تكاليف المعيشة والاسعار ارتفاعا مستمرا ، ان الارقام التي تشير اليها اجهزة الدعاية الامريكية غير مطابقة للواقع ، فالاسرة الامريكية العادية (٤ أفراد) يمكنها أن تعيش على دخل قدره ٧٦٦ دولار شهريا فى حين أن الابحاث التى قامت بها كل من مجلتي « بزنس ويك » و « تايم ماجازين » تشير الى ان الفرد الواحد فى حاجة الى ٦٠٠ دولار شهريا ، وان الحياة فى مدينة مثل نيويورك تتكلف ٩٠٠ دولار شهريا كحد أدنى للفرد ، أن هناك ٢٥ فى المائة من السكان لا يستطيعون الانفاق على الرعاية الطبية لان العملية الجراحية العادية تتكلف من ٨٠٠ — ١٠٠٠ دولار . كما تصل تكاليف اقامة يوم فى مستشفى الى ٦٠ دولارا ، فى حين ان الشخص العادى لا يستطيع أن يدخر جزءا من مرتبه واذا تعطل عن العمل لمدة أكثر من شهر فهذا يعنى القضاء عليه ، هذا لا يعنى أن الولايات المتحدة دولة فقيرة ، بل على العكس فان ثروة البلاد تذهب الى طبقة معينة وهى طبقة الاغنياء ، بل لقد ظهرت طبقة اخرى هى طبقة « صفوة الاغنياء » ، وفى حين ان هناك ٧٠ فى المائة من السكان فقراء نرى أن ١/٢ ٪ يمتلك ٣٣ فى المائة من ثروات البلاد ، فامريكا ليست بلد المساواة أو حتى الفرص المتساوية .

الازمة ومراحل تطورها : لقد مضت عشرات السنين منذ ازمة الكساد العالمى ١٩٢٩ — ١٩٣٢ تمتعت فيها الولايات المتحدة باستقرار نسبى مع معدل معتدل من النمو ، وادى ذلك الى نشوء نظريات اقتصادية مختلفة مبنية على اساس التدابير النقدية والقروض وكان لها اثر كبير ، فقد اعطت حلولا مؤقتة للازمات المحدودة ، ولم تعط الحلول الجذرية للمشكلة مما اوحى بأن الاقتصاد الامريكى لازال فى حالة انتعاش ، ولكن فى الواقع كان الهدف من هذه الحلول هو زيادة ارباح الرأسمالية الاحتكارية على حساب القطاعات الاخرى من اجل علاج انعدام التوازن الاقتصادى .

لقد كانت السياسة التى مارستها حكومة نيكسون مؤخرا الدافع الى تفجر الازمة . وكان هدف نيكسون من اللجوء الى الحرب والتوسع فيها هو بعث النشاط فى الصناعات ، وعلى هذا الاساس توسع فى حرب الهند الصينية . وكان لهذا التوسع اثر عكسى ، فلقد ارتفعت النفقات العسكرية وفى الوقت نفسه عارض الكونجرس فى زيادة الاعتمادات العسكرية ، وبدأت فئات جديدة من الشعب تدخل فى الصراع ضد الحرب ، مما أثر بدوره على امكانية شراء التجهيزات العسكرية . وهكذا لم يعد الطلب على الشركات المنتجة للاسلحة كما كان عليه فى السنين الاولى لبداية حرب الهند الصينية ، والدليل على ذلك أن شركات مثل [البوينج واللوكهيد والجنرال ديناميكس] قد خفضت حجم التشغيل فيها الى نسبة تصل الى ٥٠ فى المائة وذلك رغبة منها فى المحافظة على مستوى ارباحها ، وبلغت البطالة فى المدن الصناعية أكثر من ١٠ فى المائة ، ورغم ان حكومة نيكسون تعى — دون ان تعترف بذلك — بوجود الازمة الاقتصادية ، وبدأت فعلا فى اتخاذ الخطوات لمكافحتها ، الا ان هذه الخطوات مشابهة لنفس الخطوات التي اتخذت ابان الازمة العالمية ١٩٢٩ ، ان سياسة نيكسون تهدف الى حماية التكتلات الرأسمالية الاكثر نفوذا من الخسائر الناجمة عن الازمة . وهذه السياسة تتسبب فى حرمان جديد للطبقة العاملة عن طريق رفع أسعار السلع وزيادة الضرائب على الدخل وخفض ميزانية البرامج الاجتماعية . فكل هذه المليارات تذهب الى الاحتكارات الراسمالية فى شكل اتفاقيات لبرامج تسليح جديدة ، ثم كانت سياسة تسهيل القروض والتوسع فيها املا فى ابقاء الازدهار الاقتصادى المصطنع فى ميدان توظيفات الرأسمالية ، الا ان هذه الاجراءات اتت بنتائج عكسية دون أن تحقق اهدافها ، فلقد استدانت الاتحادات الصناعية والشركات والاشخاص من أجل التوسع وأصبحت الشركات لا تقوى على سداد ديونها وانخفضت لديها السيولة النقدية من ٤٨ فى المائة عام ١٩٥٥ الى ١٨ فى المائة عام ١٩٧٠ ، واصبح الكثير من الشركات غير قادر على سداد الحسابات الجارية ، وافلس نتيجة لذلك العديد منها فى الفترة الاخيرة مثل شركة [بين سنترال ريل رود] وهى احدى الاتحادات الصناعية التى كان راس مالها العامل يبلغ ٧ مليارات دولار ، وأدى هذا بدوره الى زيادة البطالة ، فلقد خفضت الشركات حجم التشغيل فيها رغبة منها فى خفض نفقات الانتاج من أجل الوصول الى حالة توازن يتساوى فيها دخلها مع مدفوعاتها وتقوى على سداد القروض وتبع ذلك انخفاض الطلب على المنتجات الصناعية بسبب رفع أسعارها وخفض دخل الافراد مع زيادة الضرائب ولم تؤد تلك السياسة الا الى تعزيز المراكز المالية الاكثر قوة التى شرعت فى ابتلاع اضعف المزاحمين .

الازمة والعالم: ان دول العالم بدأت تتأثر بأزمة الولايات المتحدة التى تظهر فى انخفاض الطلب على صادراتها وكذلك فى تراكم الدولار فى البنوك المركزية واصبحت الدولارات غير قابلة للتحويل بسبب رفض الولايات المتحدة الرجوع الى قاعدة الذهب فضلا عن انخفاض قسوتها الشرائية باستمرار . وعلى الرغم من مساهمة دول اوروبا الغربية واليابان حتى الان فى دعم الدولار

والسياسة الامريكية وقيامها بتمويل الولايات المتحدة فى حربها ضد الهند الصينية بصور مختلفة فان الازمة مازالت قائمة حتى الان . ان الازمة الراهنة فى الولايات المتحدة ستنعكس فى انفجار جديدللازمة المالية العالمية ، وسوفيتبعها بالضرورةأزمة فىدول اوروبا الغربية الرأسمالية والمرتبطة بالرأسمالية الامريكية ، وهكذا فان الدلائل تشير الى فشل الاقتصاديين الرأسماليين فى حل المشكلة القائمة ، او حتى فى المحافظة على التوازن الاقتصادىالمصطنع فى مجتمعاتهم، وهناك مزاعم بأن الازمة سوفتنتهى عن قريب ، فى حين يتزايد النضال السياسى والاجتماعى داخل هذه المجتمعات ويتخذ صورة الاضرابات العمالية والمظاهرات واصبحت ظاهرة يومية تقريبا وتلجأ الحكومة الى أقصى الوسائل لمنع قيامها .

وعلى أى حال ومهما كان موعد انتهاء الازمة فاننا لا نتوقع ازدهارا بعدها . فطريقة الحل غير سليمة بل من المتوقع أن تأتى بعدها فترة ركود أو نمو اقتصادى بطيء ، ثم ازمات اخرى، فهذه هى الصفة الملازمة للنظام الرأسمالى منذ بداية نشأته وحتى اليوم .

■ ■

الأساس الشرعى للسيادة الشعبية فى جمهورية ألمانيا الديمقراطية

بقلم وارنر ويبولد ــ أستاذ القانون العام ــ جامعة همبولدت ــ برلين

مجلة القانون والتشريع ــ العدد ٢ سنة ١٩٦٩

السيادة الشعبية أم توزيع السلطة :

تمثل السيادة الشعبية مبدأ رئيسيا فى الدستور الاشتراكى لجمهورية المانيا الديموقراطية ، اذ ينص على وضع السلطة كلها فى يد الشعب العامل تحت قيادة الطبقة العاملة ، كما ينص على أن عمليات تطوير الواقع الاجتماعى انما تتم بهمة ، وبشكل منظم ، بوساطة الجماهير نفسها .

فالسيادة ليست مجموعة من الاجراءات تتخذ بين عشية وضحاها كنتيجة لتحطيم علاقات القوى القديمة ، وانما يجب أن ندرك ، كما قال كارل ماركس فى ١٨٧١ وهو يشير الى كومون باريس ان **الطبقة العاملة لا تتوقع المعجزات من الكومون الذى لن يكون دوره هو تحقيق مثل عليا طوباوية معدة سلفا بوساطة القرارات الشعبية ، وانما تدرك الطبقة العاملة أنه من أجل تحقيق تحررها والوصول الى نمط أرقى من الحياة لابد من أن تمر عبر مرحلة طويلة من النضال وخلال سلسلة من العمليات التاريخية التى يتم عن طريقها انجاز التحولات المطلوبة .**

ولقد تم القضاء على جهاز الدولة القديم بعد دحر النازية فى المانيا كجزء من عملية التحول الديموقراطى المعادى للفاشية ، وتعلمت الطبقة العاملة ، من خلال تضحياتها المتعددة ونضالها المتصل ، صحة قول ماركس عن أن **الجهاز السياسى الذى استخدم فى استعبادها من قبل، لا يمكن أن يكون هو نفسه أداة تحريرها** ، ولكن الطبقة العاملة لم تتعلم هذا الدرس الثمين الا كتتويج لعملية شاقة وطويلة من محاولات التوضيح الفكرى .

وقد اتخذ النضال من أجل تفهم طبيعة الدول الجديدة شكل الصدام السافر بين القوى الديموقراطية التى تناضل من أجل سيادة الشعب من ناحية ، وبين البورجوازية الاحتكارية من الجانب الاخر . فعندما تم التخلص من النظام الهتلرى لم تكن البورجوازية الكبيرة، والتى تتمثل مصالحها فى ابقاء الاوضاع السياسية القديمة على ما هى عليه ، لم تكن لتأمل فى كسب أى استجابة من جانب الجماهير ما لم تتقدم ببرنامج عن بناء الدولة يتضمن ولو بعض القشور الديموقراطية ، وكان هذا هو الموقف الدفاعى الذى احتمت به هذه الطبقة فى مواجهة التحدى القادم من ناحية القوى الثورية تحت قيادة الطبقة العاملة والتى كانت ترمى الى وضع سلطة الدولة بشكل كامل ، ودون قيود ، فى أيدى الشعب العامل .

كان المقصود بطبيعة الدولة الجديدة من وجهة نظر الشعب ان تركز السلطة السياسية فى هيئات برلمانية منتخبة بوساطة المواطنين ، وأن تشكل هذه الهيئات على النحو الذى يجعلها قادرة على ان تمارس دورها كقاعدة لمجموع أجهزة الدولة ، وأن تضمن المساهمة الفعالة من جانب الجماهير فى ادارة شئون الدولة ، فالحكومة ، وجميع الاجهزة الادارية فى الدولة تستمد سلطتها الشرعية من الهيئات البرلمانية ، وهى ملتزمة بقراراتها فى جميع الاحوال ، ومسئولة أمامها ، وليست هناك أية قيود على أجهزة الدولة فى ممارسة نشاطها سوى هذه المسئولية أمام الهيئات البرلمانية . ومن

الواضح أن مثل هذا الفهم لطبيعة الدولة لا يمكن أن تتبناه الا تلك القوى السياسية التي تستند الى القدرات الخلاقة للجماهير والتى تمثل هى نفسها جزءا منها • ولهذا السبب حظيت هذه الافكار بتأييد وتعضيد الطبقة العاملة وحلفائها ، ولهذا السبب نفسه قوبلت بالمعارضة الحادة من جانب قوى المجتمع القديم ، فالواقع أن تخويل كل السلطة للهيئات البرلمانية أمر يتعارض كلية مع ممارسة السلطة بوساطة أقلية مستغلة ، ومنذ ١٩٤٥ لم يكن في مقدور البورجوازية الكبيرة ومن يساندونها أن يروجوا لآرائهم المعادية لجميع أشكال الحكم البرلماني ، وانما تحولوا الى فكرة اقامة أجهزة للدولة موازية للبرلمان، ومن خارجه، مقترحين أن يعهد اليها بمهمة الرقابة على نواحي القصور فى عمل الهيئات البرلمانية •

ففي جمهورية ألمانيا الغربية الاتحادية ينص الدستور على حصر سلطات البرلمان فى حدود ضيقة، بينما يعطى المستشار أوسع السلطات السياسية بعيدا عن متناول أية رقابة أو مراجعة حقيقة من جانب البرلمان ، وهنا يكمن التفريغ الكامل للحياة البرلمانية من مضمونها الحقيقى •

أما فى جمهورية المانيا الديموقراطية فلم تكن هناك أية مبررات فى أى وقت من الاوقات لاقامة مثل هذه الاجهزة الموازية ، والتى تشكل من خارج الهيئات البرلمانية ، فقد لفظت المانيا الديموقراطية ، والى الابد ، المبدأ البورجوازى والذى يدعو الى فصل السلطات حيث تعطى السلطة التنفيذية والتشريعية نوعا من القداسة يجعلها بعيدة عن حق الرقابة من جانب البرلمان ، بل ويضع البرلمان نفسه فى ظروف معينة تحت رحمة السلطة التنفيذية والتشريعية ، ولقد انعكس ذلك فى دستور ١٩٤٩ فى المانيا الديمقراطية الذى يكمن مغزاه التاريخى فى تحديده وضع الهيئات البرلمانية كأعلى أجهزة السلطة فى البلاد •

وفى الدستور الجديد ، وضعت كل النصوص والضمانات التى تعبر عن هذا المفهوم الثورى للسيادة الشعبية ، ولكن هذا لم يتحقق الا من خلال النضال ضد المفهوم البورجوازى عن فصل السلطات ، وبعد أن تم تحليل ودراسة تاريخ جمهورية « ويمار » ودستورها ، وقد قام حزب الوحدة الالمانى بالمبادرة فى هذا المجال عندما أقر مشروعا للدستور فى سبتمبر ١٩٤٦ •

وقد قدم له أوتو جرتوول قائلا : ان تراخي البورجوازية الالمانية فى القضاء على سلطة الاقطاع وبناء دولة ألمانية موحدة انما يعني أنها قد تكيفت مع نظام الطغمة الاقطاعية ، لقد التقت البورجوازية مع القوى الرجعية في ظل مبدأ فصل السلطات ، وبذلك قدر لالمانيا ألا ترى أبدا أفكار « روسو » عن السيادة الشعبية الحقيقية وعن الديموقراطية الاصيلة التي ترمي الى القضاء على كل الانظمة المعادية للشعب ، لقد عجزت البورجوازية الالمانية عن التخلى عن التذبذب خلف الحكام الاقطاعيين والعسكريين ، وتلك كانت المأساة القومية للشعب الالمانى التى تردى بها من كارثة الى أخرى ، وعلى هذا النحو لم تأت سنة ١٩١٨ بأية تحولات جديدة اذ بقيت السيادة للمبدأ البورجوازى عن فصل السلطات كما هو منذ ١٨٤٨ ، ولم يكن لدى الامة الالمانية فى ذلك الوقت القدرة على الاطاحة بجهاز الدولة البيروقراطى القديم لطغمة الاقطاعيين ، ولذلك استمرت البيروقراطية والجهاز التشريعى القديم وحكم الجنرالات ايضا يمثله من روح العسكرية البروسية، أما في دستورنا فلا يمكن أن يكون هناك مكان لاية سلطة تنفيذية مستقلة موازية للبرلمان •

لقد أمكننا اقامة الهيئات البرلمانية فى كل مكان عبر عمليات نضالية متواصلة ضد الطبقات الرجعية ، وفى نفس الوقت عبر الانتشار المستمر للافكار الاشتراكية عن الدولة وتطبيقاتها العملية ، وكان من المتعين استئصال بقايا الافكار القديمة التى تؤيد الفكرة البورجوازية عن فصل السلطات من بين صفوف الطبقة العاملة نفسها ، وكذلك من بين صفوف القوى الحليفة ، كذلك كان من المحتم تعميق الاقتناع بأن مبدأ فصل السلطات يتعارض تماما مع الديموقراطية الحقيقية وخاصة بين أولئك العمال الذين ارتبطوا فيما مضى بالاشتراكية الديموقراطية وبين تلك الاقسام من الطبقة الوسطى التى كانت معنا فى النضال لدحر الامبريالية والحكم العسكرى » •

لقد عقد واضعو دستور ويمار ، بسذاجتهم السياسية الطبقية امالهم على جهاز الدولة القديم واعتقدوا أنه سوف ينحنى أمام حركة الجماهير الديموقراطية ، وممثليها المنتخبين فى « الريخستاج » ، وأنه سيقدم ولاءه للوضع الجديد • ولكن هذا لم يحدث أبدا ، فبدلا من أن تضع نفسها فى خدمة الجمهورية الجديدة ، أخذ كل من الحكومة وقطاع الخدمات المدنية – وهما الجهازان الموازيان المحتفظ بهما من النظام القديم – جنبا الى جنب مع الجهاز القضائى ، فى اتخاذ موقعهما على جانبى الجهاز الديموقراطى

لجمهورية ويمار ـ الرايخستاج ـ وفى موازاته بل وكانا يضيقان عليه الخناق شيئا فشيئا .

لقد سارت عملية تدعيم وتوفير كل الضمانات للوضع القيادى للهيئات البرلمانية فى جمهورية المانيا الديموقراطيـة جنبا الى جنب مع الاعادة الكاملة لتنظيم الجهاز الادارى والقضائى .

السـيادة الشـعبية والسـيطرة على الاقتصـاد

أثناء تحديد وضع الهيئات البرلمانية كان هناك اهتمام خاص بناحية أخرى من الموضوع ، وهى المرتبطة بالعلاقة بين هذه الهيئات وبين الاقتصاد القومى . وهنا أيضا درست تجربة جمهـورية ويمار بامعان ، وثبت أن نقطة الضعف الرئيسية فى دستور ويمار هى أن البرلمان لم يشغل المركز القيادى المفترض فيه وفقا للنظم الديموقراطية ، بل افتقد القدرة على التاثير الحاسم على جهاز الدولة والاقتصاد القومى . ولذلك أصبح من المحتم أن ينص الدستور المقبل لالمانيا على حقوق تضمن وتدعم سيادة البرلمان على جهـاز الدولـة والاقتصاد .

وبناء على ذلك كان من الضرورى تـأكيد الديمقراطية وارساء قواعدها على أسس راسخة وذلك بتحويل سلطة السيطرة على وسائل الانتاج خطوة فخطوة الى أيدى الشعب العامل .

وقد اتخذت الخطوات الفورية فى ألمانيا الشرقية بعد ١٩٤٥ من أجل تهيئة الاساس الملائم للتطور الديموقراطى وذلك بامتداد الديمـوقراطية الى المجال الاقتصادى ، ولم تكن هذه الديموقراطية أبدا على النمط البرجوازى ، وانما كانت من ذلك النوع الذى يمارسه الشعب تحت قيادة الطبقة العاملة لاحداث التحولات المطلوبة ـ من وجهة نظر الطبقة العاملة والشعب ـ فى مجال الاقتصاد ، وغنى عن القول ، أنه فى هذا المجال على وجه الخصوص ، نشب صراع رهيب ضد القـوى الرجعية .

ان السيادة الشعبية ، كما تطبق كل يوم فى جمهورية المانيا الديموقراطية ، انما تعنى ممارسة السلطة السياسية بوساطة الشعب العامل تحت قيادة الحزب الماركسى ـ اللينينى ، وهى تتضمن ايضا سيطرة الشعب العامل على الاقتصاد ، وقد نص فى الدستور على أن اقتصاد جمهورية المانيا الديموقراطية ، المرتكز على الملكية الاشـتراكية لوسائل الانتاج ، هو اقتصاد اشتراكى مخطط .

ولكن السيادة الشعبية لا تعنى ببساطة مجرد سيطرة الشعب على الاقتصاد ، انها **تتضـمن السيادة الفعلية والتوجيه الفعلى لعمليات تطوير الحياة الاجتماعية ، وما تنبنى عليه من أسس ، وكذلك قيادة عمليات الانتاج بوسـاطة الجماهير نفسها .**

كذلك لا تتحقق سيادة الشعب العامل وسيطرته على عمليات التحول الاجتماعى بمجرد تحقيق الملكية الاشتراكية ، ان هذه السيادة تتطلـب مستوى رفيعا من الوعى والمعرفة والخبرة من جانب الجماهير ، وبهذا المفهوم تصبح السيادة الشعبية مرتبطة تمام الارتباط بالنشاط الجماهيرى الواعى . كما تصبح الادارة المبنية على الاسس العلمية فى مجال الاقتصاد والحياة الاجتماعية ككل ، وسيادة الشعب ، حقيقتين متـرابطتين تماما ، وفى الواقع فان السيادة الشعبية بمعناها السليم تتضمن التناول العلمى لكل الاوضاع ، كما أن التناول العلمى للاوضاع بمعناه الحقيقى يقضى بالضرورة الى اقرار مبادىء السيادة الشعبية .

ان الشـعب العامل نفسه هو الذى يمارس حق الادارة الذى يعتبر بدوره تعبيرا عن السيادة الشعبية ، وهذه هى الخطوة الاخيرة من أجل التطويح ببناء الدولة القديم بما فيه البرلمانيـة البرجوازية ، وعلى هذا النحو تمهـد الارض للمواطنين انفسهم ، لا من أجل اقامة اجهـزة السلطة الخاصة بهم فحسب ، وانما أيضـا ليساهموا دائما فى ممارسة السلطة ولارسـاء الضمانات للالتحام الوثيق بينهم وبين الهيئات البرلمانية المنتخبة .

بناء الدولة والمركزية الديمقراطية

ينص الدستور فى جمهورية المانيا الديموقراطية على أن سيادة الشعب العامل التى تتحقق على أساس المركزية الديموقراطية هى المبدأ الرئيسى لبناء الدولة ، وتشكل هذه المركزية الديمقراطية الاساس الذى تنبنى عليه جميع الاجهـزة الديموقراطية لممارسة السلطة ، ويتمثل المحتوى الحقيقى لهذه الديموقراطية المركزية فى التخطيط المركزى والادارة المركزية الحازمة ، وتعبئة كل طاقات الجماهير ، ومساهمة الشعب العامل فى ادارة شئون الحكومة والاقتصاد .

ويرتبط تطور المركزية الديموقراطيـة حتما بتقدم الطبقة العاملة فى طريق القيـام بدورها باعتبارها القوى القائدة للمجتمع والدولة ، ولقد نبعت المفاهيم الثورية عن المركزية الديموقراطية من حركة الطبقة العاملة الحديثة ، وكان ماركس

وانجلز هنا اللذان شرحاها بالتفصيل وقدماها كضرورة حتمية للطبقة العاملة فى نضالها ضد البرجوازية .

فالقوة المركزية للبرجوازية والتى تتمثل فى الدولة البورجوازية ، لا يمكن ان تواجه الا بالقوة المركزية للطبقة العاملة وحلفائها،فالطبقة العاملة لا تملك سلاحا سوى التنظيم فى نضالها من أجل السلطة ، وهى لن تتحول الى قوة لا تقهر الا اذا تحققت لها وحدة الفكر المرتكزة على قاعدة صلبة من الوحدة التنظيمية التى تحقق التلاحم بين ملايين العمال فى جيش الطبقة العاملة .

هكذا يتبين أن المركزية الديموقراطية انما أصبحت ضرورة ملحة كنتيجة للاوضاع السياسية السائدة فى المجتمع السابق والتى تتصل جذورها بالاوضاع الاقتصادية للنظام الرأسمالى ، ولكن الاستيلاء على السلطة بوساطة الطبقة العاملة يطرح من جديد جميع القضايا المتعلقة بالصراع الطبقى ، كما أن ابتداء الثورة البروليتارية يجلب معه أيضا تغييرا أساسا فى المجال التطبيقى للمركزية الديموقراطية ، فبعد أن كانت — أى المركزية الديموقراطية — تعبر عن ضرورة اقتصادية للطبقة العاملة فى نضالها ضد البورجوازية ، تصبح الآن المبدأ الذى يحكم تطوير وبناء الدولة والمجتمع فى طريق الاشتراكية .

وفى مجال الانتاج ، وهو المجال الذى تتحدد فيه كل آفاق التقدم بالنسبة للمجتمع ، تحتاج القوى الانتاجية الى تطبيق مبادىء المركزية الديموقراطية فى عملها الادارى ، ويتمثل العامل الرئيسى الذى يضمن التطبيق السليم لهذه المبادىء فى ازدياد مسئولية الدولة الاشتراكية عن تخطيط وادارة عمليات البناء الاشتراكى فى جميع نواحى الحياة الاجتماعية ، وفى انجاز الثورة العلمية والتكنولوجية .

وعند تطبيق مبادىء المركزية الديموقراطية تسترشد الطبقة العاملة بقول لينين : « لا علاقة للمركزية الديموقراطية بالخطط الصارمة والنموذجية التى تفرض من أعلى . أن الوحدة فيما هو أساسى ، فيما هو أكثر اهمية ، فيما لا غنى عنه ، لايمكن أن تهتز ، ولكنها تتأكد ويضمن لها النجاح — لهذه الوحدة — بالتنوع فى التفاصيل وفى الخصائص المحلية فى اساليب تفهم الاشياء وفى المناهج المختلفة لممارسة السيطرة » .

وتتأكد هذه الوحدة القائمة على أساس قيادة الطبقة العاملة فى مجال ادارة الدولة قبل كل شىء باقامة المجلس الشعبى كأعلى سلطة فى الدولة ، ومجلس الدولة ، والحكومة ، والهيئات البرلمانية المحلية ، فالمجلس الشعبى هو السلطة الدستورية والتشريعية الوحيدة والذى يحدد فى النهاية ، وبشكل ملزم للجميع ، أهداف جمهورية المانيا الديموقراطية ، وهو الذى ينتخب رئيس وأعضاء مجلس الدولة ورئيس وأعضاء مجلس الوزراء ، ورئيس مجلس الدفاع القومى ، ورئيس وقضاة المحكمة العليا والنائب العام ، وهو يشكل — اى المجلس الشعبى — من داخله اللجان التى تختص ، مع سائر الاعضاء بمناقشة مشروعات القوانين ودراستها .

وفى الفترات الواقعة بين دورات انعقاد البرلمان يسهر مجلس الدولة على انجاز الاعمال الرئيسية بوصفه جهازا من أجهزة المجلس الشعبى ، كما يدخل فى اختصاصه دراسة مشروعات القوانين المقدمة الى البرلمان ، وتحويلها الى اللجان لمناقشتها ، ودعوة المجلس الشعبى للانعقاد ، وتنظيم عمليات الانتخاب المحلى واصدار المراسيم المنفذة لما أصدره المجلس الشعبى من قرارات ، ويقوم مجلس الدولة أيضا ، وبمساعدة المجلس القومى للدفاع الذى يعين مجلس الدولة أعضاءه ، يقوم بتنظيم الدفاع عن البلاد ، وبتفويض من المجلس الشعبى أيضا راقب دستورية ومشروعية اعمال المحكمة العليا ومكتب النائب العام ، كما يمثل رئيسه جمهورية المانيا الديموقراطية فى المجالات القانونية الدولية .

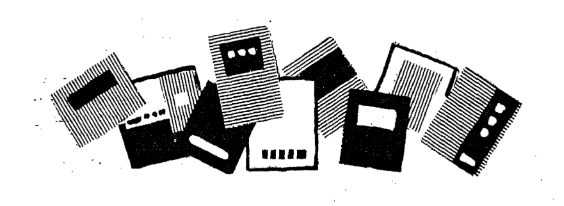
وتمارس الحكومة أعمالها كسلطة جماعية تحت توجيه المجلس الشعبى ، وذلك لانجاز المسئوليات الموكلة اليها فى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية ، وفى المسائل المتعلقة بالدفاع عن الدولة الاشتراكية ، وتخضع كل أوجه نشاط الحكومة لارادة المجلس الشعبى ومجلس الدولة ، كما يلقى على عاتقها تنسيق ومراقبة مختلف نشاطات الوزارات وغيرها من أجهزة الدولة المركزية والمجالس الاقليمية .

أما فى المستويات المحلية ، فى المقاطعات والاحياء والمدن والقرى ، فيتم انشاء الهيئات البرلمانية التي تبت — وفقا للقانون وعلى مسئوليتها — فى جميع المشاكل الخاصة بمجالها ، ويهدف نشاط هذه الهيئات البرلمانية المحلية الى زيادة وحماية الملكية الاشتراكية ، ورفع مستويات معيشة وأحوال الشعب العامل بشكل مستمر ، وتطوير الحياة الاجتماعية والثقافية للشعب ورفع مستوى الوعى العام والقانونى وحماية النظام والقانون وتدعيم المشروعية الاشتراكية ، وحماية مصالح المواطنين .

ويعتبر حق المساهمة فى تحديد معنى وشكل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع الاشتراكى والدولة الاشتراكية، الحق الرئيسى الحاسم لمواطنى جمهورية المانيا الديموقراطية . **ويستمد هذا الحق مضمونه الواقعى من ذلك التطابق الفعلى بين مصالح الشعب العامل ومصالح المجتمع والدولة ، ومن هذا الحق نفسه تنبع كل النبضات الشابة المتجددة على الدوام والتى تعجل بمسيرة التطور كله .**

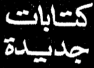
وليس هناك شك فى أن هذا التطابق لايستبعد امكانية قيام التناقضات ، ولكن على عكس الوضع فى ظل الرأسمالية ، فان هذه التناقضات ليست نتيجة للتناقض الاساسى المعروف بين العمل ورأس المال ، انها تناقضات تنشأ خلال المسيرة الصاعدة لمجتمعنا نحو أهدافه ، ويتم حلها بدون قلاقل تهدد بناء المجتمع كله .

وفى مجرى التحول الثورى الحادث الان فى جمهورية المانيا الديموقراطية ظهر موقف جديد من جميع قطاعات الشعب بالنسبة للدولة والمجتمع ، وكانت النتيجة المنطقية لهذا الموقف الجديد هى هذه المساهمة النشطة من جانب الجماهير فى تشكيل جميع نواحى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وحقا ، ان تعبئة جميع الطاقات والكفاءات ، وعلى نطاق الشعب كله ، من اجل حل المشاكل التى تواجه المجتمع ، لهو أحد المتطلبات الرئيسية للسيادة الشعبية الحقيقية .









قضيتنا .. والامم المتحدة

كتب محمود عبد الرحمن - سوريا : المشرفة - رسالة يناقش فيها جدوى مناقشة قضية الشعوب العربية اليوم : تصفية آثار العدوان الاسرائيلى ، أمام الامم المتحدة ، فيقول :

بعد اكثر من ثلاث سنوات من العدوان الصهيونى ، لانرى اية بارقة امل فى تنفيذ بند واحد من بنود قرارات المنظمة الدولية بشأن انسحاب اسرائيل من الاراضى المحتلة ، واذا كنا نأمل كسب الرأى العام العالمى عن طريق عرض القضية فى الجمعية العامة ، فنقول سلفا أن قطاعات كبرى من الرأى العام العالمى معنا : المعسكر الاشتراكى بكل ثقله والاوساط العمالية واليسارية فى العالم كله معنا ، ولكن كل ذلك لا يحل القضية .

.. ان فيتنام - قلعة الصمود - لم يكتب لها الا بعد أن استلم زمام الامور فيها العمال والفلاحون والمثقفون . ويجب أن نخوض معاركنا التى لا تنتهى مع الامبريالية الا بنهاية الامبريالية نفسها . ولابد هنا من التطرق للحركات الثورية العربية الحالية . ان دورها الحالى لا ينكر . ولكن لكى يتعزز موقفها وتلعب دورها القيادى وحتى النصر ، عليها أن تناضل من أجل : ١ - اعطاء القيادة للعمال والفلاحين . ٢ - توحيد المنطلقات النظرية لهذه الحركات الثورية وتبنى الاشتراكية العلمية بجرأة وحدوية . ٣ - توحيد الكادرات الحربية .

الطليعة : اسمح لنا أن نختلف مع تقديراتك التى يحكمها - دون شك - اعتبارات الاخلاص لحركة التحرر الوطنى العربية . فعالم ما بعد الحرب العالمية الثانية - ومنذ ستينات القرن بشكل خاص - قد ابرز فى الواقع الدولى حقيقة أساسية لابد من تأملها . ذلك أنه لم يعد فى مقدور أحد - أى كانت دوافعه وأيا كانت قوته او عدالة قضيته - ان يتجاهل وجود الرأى العام العالمى كثقل خطير لابد من وضعه فى اية حسابات عند اى تصرف .

ونحن لا نعتقد أن الثقل الاساسى فى قطاعات الرأى العام العالمى ـ بجماهيره العريضة جدا ـ مع قضيتنا الى الحد الذى يسمح لنا بان وفق ما نريد فحسب • والا لاختلفت حقيقة الامور عما انتهت اليه • والرأى العام العالمى ـ فى كل الاحوال : سلبا وايجابيا ـ قوة ضغط هائلة لابد من السعى لان نكسبها الى جانب قضيتنا العادلة الا تقف مع عدونا المباشر الان : اسرائيل الى نفس الحدود التى تقفه معه • ولعل النموذج الذى ضربته انت : فيتنام ، دليل أكيد على صدق وسلامة هذه الرؤيا • لقد كسب شعب فيتنام نصف الحرب ضد العدوان الامريكى وعملائه ، بكسب أوسع قطاعات الراى العام العالمى الى جانبه الى الحد الذى تتحرك فيه فئات كبيرة ـ منها بعض عناصر النظام فى الولايات المتحدة نفسها ـ لتساند نضال شعب فيتنام وتحد من حرية حكومته الاستعمارية (الحكومة الامريكية) فى أن تتصرف كما تريد فى فيتنام • صحيح جدا أن الاساس هو قوة نضال شعب فيتنام وتماسكه ويقظته •• الخ ، ولكن ذلك وحده لم يكن كافيا لان تكسب قضية نضال شعب فيتنام العادلة ، كل هذا العطف والتاييد العالميين بكل هذا الاتساع وبهذا الحجم • وعلى اية حال فان جوهر القضية هو : الاتتاخر المعركة عن وقتها المناسب بساعات أو تتقدم عنه بساعات ـ كما حدد الزعيم جمال عبد الناصر ـ وبتعبير آخر : متى تسمح لك تغيرات موازين القوة ـ بمعناها العام ـ بان تحقق اهدافك• أما عن بقية رأيك بشأن الحركات الثورية ، فذلك أمل وضمان حماية واستمرار التحرر العربى • ولكن المشكلة ايضا هي : ما هو أقصى الممكن فى ظل الظروف الراهنة وكيف تحقق هذا الممكن •

■■

رأى من لبنان حول السياسة العربية بعد وفاة القائد عبدالناصر

وصل بريد الطليعة بيان من **اللجنة المركزية للحزب الشيوعى اللبنانى** عن « الوضع العربى الراهن بعد مجازر الاردن ووفاة عبد الناصر » ، جاء فيه :

« أيها الرفاق •• فى هذه الظروف العصيبة التى تجتازها البلدان العربية ، وفى هذا الوقت الذى نشهد فيه هجمة استعمارية جديدة على مكاسب حركة التحرر العربية ، غاب عنا جمال عبد الناصر المناضل والقائد العربى الكبير الذى ارتبطت باسمه ، عبر سنوات عديدة ، معارك كبرى خاضتها الشعوب العربية » •

« ان وفاة عبد الناصر ، بما لها من أبعاد مصرية وعربية ودولية ، هى حدث كبير سيترك تأثيره على مجرى الاحداث فى المنطقة العربية • لا أن يأخذ هذا الحدث بعين الاعتبار • وقد أدركت وأن أى تحليل للوضع العربى فى المرحلة القادمة ، ذلك قبل سواها ، تلك الملايين من الجماهير التى خرجت ليلة أعلان الوفاة وطيلة أسبوع كامل ، الى الشوارع فى الجمهورية العربية المتحدة وفى كل الاقطار العربية ، تعبر عن شعورها العميق بالخسارة الكبرى وعن تقديرها للدور الكبير الذى مارسه عبد الناصر فى حياتها وعن قلقها ازاء ما يمكن أن يحدثه غياب هذا القائد العربى من فراغ وما يترتب على ذلك من نتائج » •

« وفى الواقع فان التقدير الصحيح لدور عبد الناصر فى المرحلة التى مرت من نضال الشعوب العربية ، تؤكده مجموعة من المكاسب التى حققتها حركة التحرر العربية ، وارتبط كثير منها باسمه » ••

ثم يضيف البيان :

« ففى هذه الفترة الحافلة بالاحداث ، تحقق الجلاء عن مصر وأممت قناة السويس وتم كسر احتكار السلاح وقامت أنظمة تقدمية فى عدة بلدان عربية وتحققت أول وحدة عربية وجرت تأميمات واسعة وجرت اصلاحات زراعية فى أكثر من بلد عربى وجهت ضربة قوية الى العلاقات الاقطاعية • وتمت تحولات اقتصادية واجتماعية ، فى مصر وفى بلدان عربية أخرى ، وتوطدت علاقة الصداقة مع المعسكر الاشتراكى وطليعته الاتحاد السوفيتى ، واتسعت على النطاق العربى دائرة المشاركة الجماهيرية فى النضال ضد الاستعمار ومن أجل التقدم الاجتماعى والاشتراكية • وفى كل هذه المنجزات كان لعبد الناصر دور خاص أثبتته الوقائع والاحداث ، وعبرت عنه مشاعر الجماهير فى ٩ ، ١٠ حزيران ، عندما خرجت ترفض استقالته وترفض الهزيمة وتتمسك بمنجزاتها • وعبرت عنه كذلك يوم خروجها بعد وفاته ، لتعلن حزنها على فقده ، ولتؤكد أمانتها لسياسته المعادية للاستعمار ، وحرصها على المكاسب التى تحققت لها ، تحت قيادته • وهذا الدور تدركه على حقيقته ، قوى الرجعية والاستعمار والصهيونية ، التى حاولت منذ الايام الاولى لوفاة عبد الناصر ، ممارسة كل ما لديها من وسائل الضغط ، لتغير ما تستطيع ، من سياسة الجمهورية العربية المتحدة ، المعادية للاستعمار ، ولتقلل ماتستطيع ، من دورها الاساسى على الصعيد العربى ، ولتفرض عليها التنازلات أمام مطامع اسرائيل والانكماش والانكفاء ، ولتعزلها عن أصدقائها الاساسيين : الاتحاد السوفيتى ودول المعسكر الاشتراكى الذين يشكلون الدعامة الرئيسية لكل حركة التحرر العربية » •

« ان هذا الدور الذى تكون لعبد الناصر خلال ثمانية عشر عاما من المعارك التى خاضتها الشعوب العربية ضد أعداء تحررها وتقدمها وشهدت فيها انتصارات كبرى وهزائم خطيرة ، هو الذى جعله يمارس هذا التأثير الكبير ليس فقط على حركة الجماهير العربية ، بل كذلك فى الاحداث الكبرى على الصعيد العربى » •

« ولا شك أن غياب عبد الناصر عن الاحداث ، وهو يملك هذا الرصيد وهذا الوزن وهذا التأثير ، سيترك انعكاساته على الوضع ولا سيما فى ظروف الازمة التى تشهدها كل المنطقة العربية الان » .

« واذا كانت الضغوط التى مارستها أمريكا بانسحابها من المحادثات الرباعية ، وبتهديداتها المكشوفة لمصر ، وبالمساعدات الجديدة التى أغدقتها على اسرائيل ، لم تفلح فى تغيير الاتجاه السياسى للجمهورية العربية المتحدة وفى فرض التنازلات عليها ، وفى التخلى عن صداقتها للاتحاد السوفيتى – وهو ما أكدته البيانات الرسمية التى صدرت حتى الان – فان المعركة لم تنته بعد . وأمام القوى الوطنية والتقدمية فى مصر وفى سائر الاقطار العربية، ان تتمتع بأقصى قدر من اليقظة والحذر ، وأن توحد صفوفها لمجابهة كل الاخطار التى تحملها الاحداث والمعارك القادمة . فالمرحلة المقبلة هى مرحلة انعطافات فى حركة التحرر العربية ، ستحدد اتجاهاتها الاساسية النسبة الحالية للقوى على صعيد المنطقة كلها وعلى صعيد كل بلد عربى؛ وفى اطار هذا الوضع وعلى أساس هذه النسبة للقوى ستجرى التغيرات المرتقبة فى المنطقة » .

« وفى هذا المجال ، يبدو على قدر كبير من الاهمية ، الاهتمام بظاهرة أساسية دلت عليها وفاة الرئيس عبد الناصر ، هى خروج الجماهير على امتداد الوطن العربى كله ، بالملايين الى الشارع ، فقد جرت ولا تزال تجرى محاولات لتشويه معنى هذه الظاهرة . الا أن هذه الجماهير بخروجها أكثر من مرة الى الشارع ، بالارتباط بأحداث كبرى ، ولا سيما فى ٩ و١٠ حزيران وبعد وفاة الرئيس عبد الناصر ، انما كانت تعبر عن قدر كبير من الوعى ، لا يقلل منه الجانب العفوى والعاطفى فى المظاهرات . فان العنصر الاساسى فى هذه المظاهرات هو كونها ضمت أساسا جماهير العمال والفلاحين وسائر الكادحين ، وأنها رفعت باسم هؤلاء شعارات دلت على تمسكهم بالسياسة المعادية للاستعمار ، وحرصهم على المنجزات التقدمية التى حققتها حركة التحرر العربية ، فى مختلف المجالات . وهنا تكمن الدلالة الاساسية لهذا التحرك الجماهيرى الواسع والدور الذى يمكن أن يلعبه فى المستقبل ، فى صيانة المكتسبات وفى النضال لتطويرها » .

« وانطلاقا من هذا التقدير ، واستنادا الى الوضع الراهن الذى تشتد فيه ضغوط الاستعمار والصهيونية والرجعية ، يصبح مهمة أساسية أمام القوى الوطنية والتقدمية ، فى البلدان العربية ، تعميق هذا الوعى عند الجماهير وترسيخ هذه الشعارات فى اذهانها، وتحويلها الى قوة منظمة فاعلة ، فى المعارك الحالية والمقبلة ، على طريق التحرير والتغيير ، تحرير الارض العربية من الاحتلال والاغتصاب وحماية الانظمة التقدمية ، كمكاسب لحركة التحرر العربية ، واستمرار التحولات الاقتصادية والاجتماعية ، وتعميقها وتقديرها ، طريق النضال فى سبيل الاشتراكية والوحدة » .

.. « أيها الرفاق : هذه هى بشكل عام بعض مؤشرات الوضع الداخلى والعربى ، فى ضوء حدثين كبيرين شهدتهما منطقتنا : مجزرة الاردن ووفاة عبد الناصر . ان هذا الوضع يسمح ببعض الاستنتاجات التى تفرض نفسها » .

« ١ – برغم الانتصارات التى حققتها حركة التحرر العربية ، بعد عدوان الخامس من حزيران ، والتى تجلت باستعادة الجيوش العربية قدرتها القتالية ، وبروز حركة المقاومة الفلسطينية ، تعبيرا عن المطامح التحررية للشعب العربى الفلسطينى ، وانتصار ثورة آيار (مايو) فى السودان واسقاط النظام الملكى فى ليبيا ، برغم ذلك فان الظروف الجديدة الناشئة ستضع حركة التحرر العربية أمام مرحلة صعبة ومعقدة يعود بعضها الى الهجمة الاستعمارية الجديدة الشرسة ، ويعود البعض الاخر الى الانقسام الذى تعانى منه هذه الحركة ، والتى يشمل جميع فصائلها » .

« ٢ – سيكون أمام حركة التحرر العربية فى مواجهة الهجمة الاستعمارية التى ترمى الى تحقيق ما عجز عنه عدوان الخامس من حزيران ، مهمة أساسية هى الحفاظ على المكاسب التى تحققت والعمل على تطويرها وتعميقها . وفى هذا المجال فان الدفاع عن الانظمة التقدمية وعن حركة المقاومة التى تستهدف الامبريالية والصهيونية والرجعية تصفيتها ، هو مهمة اساسية مباشرة ، وهذه المهمة تتطلب العمل بكل الوسائل لتجنب المعارك التى يمكن أن تقود الى هزائم جديدة ، فان أية نكسة تصاب بها حركة التحرر الغربية ، ستترك تأثيرا سلبيا على وضع الجماهير وعلى تحركها . فالجماهير العربية الان بحاجة الى تحقيق انتصارات جديدة لا حصد نتائج هزائم جديدة » .

« ٣ – ان مهمة الدفاع عن مكاسب حركة التحرر العربية ، تمر عبر النضال لتحقيق الوحدة الضرورية بين فصائل هذه الحركة ، الوحدة التى تتطلبها المعارك الجارية والمقبلة والتى بدونها لن

يكون بالامكان التصدى بنجاح للهجمة الاستعمارية وللمخطط التى أوكل الى اسرائيل والرجعيــة العربية مهمة تنفيذه • وفى هذا المجال فان الحياة نفسها والاحداث المتتالية تقدم القضايا التى تشكل أساسا لبرنامج عمل موحد للقوى الوطنيــة والتقدمية انطلاقا من أن المعركة هى معركة قومية واجتماعية ، معركة تحرير الارض العربية المحتلة واستعادة الحقوق المغتصبة للشعب العــربى الفلسطينى ، ومعركة الدفاع عــن المكاســب الاقتصادية والاجتماعية التى تحققت وتطويرها وتعميقها » •

« ٤ ــ سيكون على حركة التحرر العربية فى هذه المرحلة مواجهة اتجاهين خطرين بــدأت ملامحهما تبرز منذ الان ، والعمل على محاربتهما بمختلف الوسائل » :

« ــ اتجاه يمينى يحاول الاستفادة من الظروف الناشئة ، لطرح أفكار نبذتها الجماهير وتجاوزتها الاحداث ، منها ما يتعلق بتغليب الطابع القومى المجرد على المعركة الراهنة ، ومنها ما يتعلق بفتح الحوار مع الدول الاستعمارية. لايجاد حلــول للمشاكل المعقدة ، ولاسيما مشكلة الاحتــلال الاسرائيلى ، وكذلك مشكلة فلسطين ، بما فى ذلك دولة فلسطينية على غرار ما أشارت اليه الصحافة فى الايام الاخيرة ، ومنها ما يتعلق بالعودة الى نغمة العداء للشيوعية وللاتحاد السوفيتى ، وهو ما لم تستطع بعض فصائل حركة التحرر العربى ، حتى فى فترة النهوض ، أن تتخلى عنها نهائيا » •

« ــ اتجاه مغامر ، قد تدفع اليه بعض حالات اليأس ونفاد الصبر التى تخلقها صعوبات قد تفرض على حركة التحرر العربية ، بعض التنازلات المؤقتة » •

« ٥ ــ اذا كانت المرحلة السابقة قد تميزت بتوطد العلاقة بين حركة التحرر العربية ، وبين الحركة الثورية العالمية ، وطليعتها الاتحــاد السوفيتى ، فان المرحلة القــادمة ســتكون ، موضوعيا وعمليا ، أكثر حاجة لتعزيز وتعميق وتوطيد هذه العلاقة • وكما لعب الاتحاد السوفيتى دورا أساسيا فى حماية مكتسبات حركة التحرر العربية ، بكل وسائل الدعم السياسية والاقتصادية والعسكرية التى قدمها لها ، فان المرحلة القادمة ستستند أساسا الى هذا الدعم الذى لن يكون بوسع حركة التحرر العربية حماية مكتسباتها بدونه • ان المزيد من تعزيز الصداقة بين الشعوب العربية وشــعوب الاتحــــاد السوفيتى ، وشعوب بلدان المعسكر الاشتراكى ، هو ضمانة أساسية للوقوف بوجه التآمر الاســــــتعمارى والصهيونى والرجعى والدفاع عن مكتســبات الشــعوب العربية » •

الخلود للقــائد الخــالــد
الراحل جمال عبد الناصر

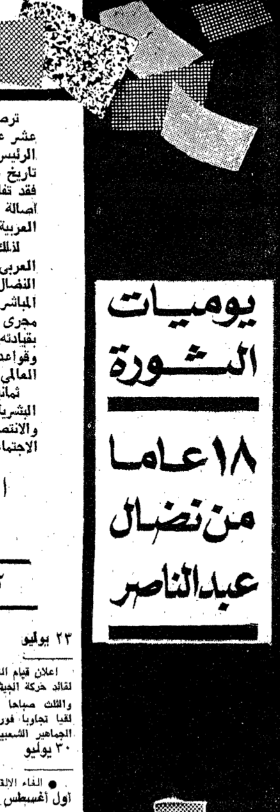
تلقت الطليعة الرسالة التالية :

السيد انور السادات رئيس الجمهورية العربية المتحدة ــ القاهرة •

« تلقينا بأسى عميق نبأ وفاة الرئيس جمال عبدالناصر ، القائد البارز لكفاح الشــعب المصرى وحركة التحرر العربى • ان الشيوعيين العراقيين اذ يعبرون عن حزنهم العميق بهذه الخســارة الفادحة فانهم لعلى ثقة بأن الشعب الشقيق فى الجمهورية العربية المتحدة الذى تمرس فى معارك النضال ضد الامبريالية والصهيونية سيعزز من يقظته وعزيمته ، ويوحد قواه وطاقاته من أجل مواصلة مسيرة الكفاح والتقدم التى اختطهــا الرئيس الراحل وكرس لها كل طاقاته ومواهبه القيادية • ان الشيوعيين العراقيين الذين وقفوا دوما الى جانب النضال التحررى الذى خاضه الشعب المصرى الشقيق ضد العدوان ومؤامرات الامبريالية والصهيونية يعبرون عن ثقتهم بقدرة هذا الشعب وقواه الوطنية على الصمود بوجه العدوان الاسرائيلى وقطع الطريق امام دسائس الامبريالية والقوى الرجعية وتعزيز التحالف مع الدول الاشتراكية الصديقة وطليعتها الاتحــاد السوفيتى ، من أجل تأمين الظفر للنضال التحررى الذى تخوضه الامة العربية • ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى العراقى تتقدم الى رفاق الفقيد واسرته بالتعازى القلبية باسم جميع الشيوعيين العراقيين والثوريين المخلصين الذين يأملون ان يتابع الشعب الشقيق فى الجمهورية العــربية المتحدة مسيرة كفاحه المجيد من أجل تعــزيز مكتسباته ، وتحقيق انتصارات جديدة .

الخلــود للقائد الــكبير الــراحل جمــــال عبــــــد النــــــــاصر » •

« اللجنة المركزية للحزب الشيوعى العراقى »



ترصد « الطليعة » فى هذه اليوميات اهم احداث الثمانية عشر عاما الماضية ، منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ ، حتى وفاة الرئيس جمال عبد الناصر . والواقع أنه لايمكن الفصل بين تاريخ عبد الناصر وبين تاريخ النضال المصرى والعربى ، فقد تفاعلا وامتزجا فى نسيج واحد ، هو ابلغ تعبير عن أصالة القائد وارتباطه العضوى الوثيق بآمال الشعوب العربية فى تلك الحقبة الغنية من حياتها .

لذلك فنحن نقدم فيما يلى سجلا للنشاط الحافل للزعيم العربى ، وهو فى نفس الوقت تاريخ مرحلة حاسمة من النضال العربى . فبالاضافة الى دور عبد الناصر الشخصى المباشر فى تفجير وتطور الثورة العربية ، هناك تاثير على مجرى الاحداث بتفاعله واستجابته مع النضال الشعبى ، بقيادته لكفاح لا يكل ولا يهدأ ضد الامبريالية ومخططاتها وقواعدها وعملائها على النطاق المحلى والعربى وفى مجال العالمى .

ثمانية عشر عاما لا تزيد عن « لحظة » بحسابات تاريخ البشرية بأسره ، ولكنها كانت طفرة هائلة، حافلة بالانجازات والانتصارات . سواء فى حقل النشاط الوطنى أو الثورة الاجتماعية .

السنة الأولى

٢٣ يوليو ١٩٥٢ — ٢٢ يوليو١٩٥٣

١٩٥٢

٢٣ يوليو

اعلان قيام الثورة . اذاعة اول بيان لقائد حركة الجيش فى الساعة السابعة والثلث صباحا ، وتلاه بيانان آخران لقيا تجاوبا فوريا وواسع النطاق من الجماهير الشعبية ...

٣٠ يوليو

● الغاء الالقاب والرتب .

أول أغسطس

● الافراج عن المتهمين والمعتقلين فى حوادث حريق القاهرة (٢٦ يناير ١٩٥٢)

● الغاء القسم المخصوص بوزارة الداخلية وفروعه بالاقاليم وكذلك اقسام البوليس السياسى بالمحافظات

٢ أغسطس

● صدور عفو شامل عن جميع المحكوم عليهم فى جرائم العيب فى الذات الملكية .

٤ أغسطس

● صدور قانون خاص بتطهير الاداة الحكومية ، والكسب غير المشروع .

● انشاء مجلس تاديبى لمحاكمة الموظفين المسئولين عن المخالفات المدنية

٧ سبتمبر

● شكل مجلس قيادة الثورة وزارة جديدة ، بدلا من وزارة على ماهر تولى اللواء محمد نجيب رئاسة الوزارة الجديدة محتفظا فى نفس الوقت بوزارة الحربية والبحرية وسلطات القائد العام للقوات المسلحة .. ومن المعروف أن سبب التغيير يرجع الى اعتراض على ماهر على قانون الاصلاح الزراعى . وقد لعب عبد الناصر دورا حاسما ضد اى اتجاه للمساومة حول القانون باعتباره الركيزة الاساسية للثورة .

٩ سبتمبر

● صدر قانون الاصلاح الزراعى الاول [رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢] ونص على انه :

ـ لا يجوز لاى شخص أن يمتلك من الاراضى الزراعية أكثر من ٢٠٠ فدان • كما لا يجوز أن تزيد جملة ما يمتلكه شخص هو وزوجته وأولاده القصر عن ٣٠٠فدان •

ـ توزع الاراضى المستولى عليها فى كل قرية على المعدمين وصغار الفلاحين بحيث يكون لكل منهم ملكية صغيرة لا تقل عن فدانين ولا تزيد عن ٥ افدنة تبعا لجودة الارض وعدد أفراد الاسرة •

● أصدرت هيئة الوصاية المؤقتة مرسوما بقانون رقم ١٧٩ لسنة ١٩٥٢ بشأن تنظيم الاحزاب السياسية وطالب المرسوم أى حزب جديد أو قديم بتقديم اخطار ببرنامجه وأهدافه ومصادر تمويله الى وزارة الداخلية •

٣ أكتوبر

● صدور مرسوم بانشاء المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومى •

● بدء المباحثات الرسمية بصدد قضية السودان •

١٦ أكتوبر

● صدور عفو شامل عن جميع المسجونين السياسيين الذين اتهموا بارتكاب جرائم سياسية قبل الثورة

٩ نوفمبر

● صدر مرسوم بانشاء وزارة الارشاد القومى

٩ ديسمبر

● اعلان سقوط دستور سنة ١٩٢٣

٢٢ ديسمبر

● صدر مرسوم بانشاء « محاكم الغدر » وذلك لمحاكمة من استخدم نفوذه الرسمى للاثراء غير المشروع فى عهود ما قبل الثورة •

١٢ يناير

● اذيع مرسوم بقانون بوضع دستور جديد للدولة •

● تأليف لجنة لوضع الدستور من ٥٠ شخصا •

١٦ يناير

● حل الاحزاب السياسية ومصادرة جميع أموالها • واعلان فترة انتقال لمدة ٣ سنوات لاقامة حكم ديمقراطى سليم •

١٧ يناير

● شكلت محكمة خاصة من بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة حاكمت عددا من رجال الاحزاب السابقين الذين حاولوا القيام بمؤامرة ضد سلامة الدولة وأمنها وحكمت عليهم بالسجن •

٢٣ يناير

● اعلان تأسيس هيئة التحرير •

٣٠ يناير

● اعلن جمال عبد الناصر :

ـ الجلاء الكامل شرط لتحسين العلاقات مع بريطانيا

ـ سياسة بريطانيا فى الاعوام السبعة الاخيرة أثارت ريبة فى نفوس المصريين •

١٠ فبراير

● اعلن دستور فترة الانتقال ويتكون من :

أولا : مبادىء عامة خاصة بحقوق وواجبات المواطنين (٧ مواد)

ثانيا : السيادة العليا لمجلس القيادةويتولى مجلس الوزراء السلطة التشريعية الى جانب السلطة التنفيذية (٤ مواد) •

١٢ فبراير

● توقيع الاتفاق المصرى البريطانىبشأن السودان ، والذى يضمن للشعب السودانى حق تقرير مصيره •

● وضع حجر الاساس لبناء مصنعين للذخيرة

١٩ فبراير

● أعلن وزير الارشاد القومى بأن مصر تتاجر مع أية دولة مادامت بذلك تحقق مصلحة البلاد •

٢٣ فبراير

● أعلن جمال عبد الناصر فى مؤتمر شعبى بشبين الكوم ضرورة انهاء الاستعمار ورفعشعاره على الاستعمار أن يحمل عصاه على كاهله ويرحل أو يقاتل حتى الموت دفاعا عن بقائه •

٢٥ فبراير

● اعلن جمال عبد الناصر فى حديث صحفى :

ـ لن نحقق حياة كريمة الا بالقضاء على الفروق الشاسعة بين الطبقات •

ـ لقد عزمنا على تطهير منزلنا وتقوية مجتمعنا وبلوغ أهدافنا •

ـ ينبغى على الامم الصديقة الا تستخف برغبة الشعوب العربية فى الوحدة •

٣٠ مارس

صدر قانون تنظيم استثمار رأس المال الاجنبى فى مشروعات التنمية الاقتصادية

١٥ ابريل

بدء تنفيذ مشروع مديرية التحرير

١٧ ابريل

● بدء المباحثات الرسمية بين مصر وبريطانيا بشأن الجلاء •

٦ مايو

● اعلن جمال عبد الناصر وقف المباحثات المصرية البريطانية من جانب مصر •

٢١ مايو

● بريطانيا تسحب سفيرها من مصر

١٧ يونيو

● صدرتمعاهدة الدفاع المشترك بين الدول العربية

١٨ يونيو

● مجلس قيادة الثورة يقرر تعيين جمال عبد الناصر نائبا لرئيس الوزراء

● الغاء النظام الملكى وانهاء حكم أسرة محمد على

● أعلان الجمهورية وأصبح الاسم الرسمى للدولة « جمهورية مصر »

● الغاء القاب الامارة •

٤ يوليو

● بدأ ارسال محطة اذاعة صوت العرب من القاهرة

الســـنة الثـانية

٢٣ يوليو ١٩٥٣ — ٢٢ يوليو ١٩٥٤

١٩٥٣

١٦ أغسطس

● قرر مجلس قيادة الثــورة أن يقوم « البكباشى » جمال عبد النــاصر نائب رئيس مجلس قيادة الثورة باعمال رئيس مجلس قيادة الثورة اثناء غياب الرئيس اللواء محمد نجيب خــارج القطر • وان يقوم كذلك باعمال رئيس الجمهورية •

٨ نوفمبر

● صدر قرار بمصادرة جميع اموال وممتلكات أسرة محمد على

● صدر قرار برد أموال الزعيم أحمد عرابى لورثته •

٢٩ نوفمبر

● صدر قرار يحظر التعامل وتداول المواد الغذائية مع القوات البريطانية فى مصر •

٦ ديسمبر

● مجلس الثورة يقرر معاشات لافراد اسرة محمد على •

٧ ديسمبر

● صدور جريدة الجمهورية اليومية

أول يناير ١٩٥٤

● جمال عبد الناصر يلقى خطابا فى طنطا يقول فيه « ان الاستعمار لن يخرج بالكلام ولكن بالقوة » •

١٠ يناير

● اعلان السياسة الخارجية فــى اجتماع رؤساء الوزراء العرب بالقاهرة على أساس تحرير البلاد العربية من كل نفوذ اجنبى •

● مجلس الدفاع المشترك للــدول العربية يختتم اعماله ببيان يؤكد فيه أن القوات المسلحة للبلاد العربية تعمل على تامين الدول العربية وسلامتها •

٢٧ يناير

● هيئة الاصلاح الزراعى تحصل على ١٦٤٢٢ فدانا وفقا للقانون تمهيــدا لتوزيعها على الفلاحين •

٩ فبراير

● البدء فى تنفيذ مشروع مصنع الحديد والصلب

١١ فبراير

● تم توقيع عقد الاتفاق بين مجلس الانتاج القومى وبين شركة ديماج الالمانية على اقامة مصنع لانتاج الحديد والصلب بتكاليف مبدئية قدرها ١٥ مليون جنيه •

١٧ فبراير

● صدر قرار بأن تكون الاحكام القضائية صادرة باسم الامة •

٢٤ فبراير

● اعلن مجلس قيادة الثورة :

— قبول استقالة محمد نجيب من جميع الوظائف التى يشغلها •

— جمال عبد الناصر يتولى رئاسة مجلس الوزراء •

— مجلس قياد الثورة بقيادة عبد الناصر يتولى كافة السلطات الى أن تحقق الثورة أهم أهدافها وهو اجلاء المستعمر عن ارض الوطن •

— منصب رئيس الجمهورية يظــل شاغرا الى ان تعود الحياة النيابية السليمة الى البلاد •

٢٥ فبراير

● اجراء تعديل وزارى :

— جمال سالم نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للمواصلات

٢ — عبد الجليل العمرى نائبا لرئيس الوزراء •

٣ — على الجريتلى وزيرا للمالية

٤ — احمد حسنى وزيرا للعدل وشئون رئاسة الجمهورية •

٢٦ فبراير

● نقابات العمال تصدر بيانا تؤيد مجلس قيادة الثورة وجمال عبد الناصر بصفته القائد الفعلى للثورة •

٢ مارس

● ايدن يعلن عن رغبة الحكومة البريطانية فى استئناف المباحثات مع مصر •

٨ مارس

● مجلس قيادة الثورة يقرر اعادة الاوضاع الى ما كانت عليه • وتعيين محمد نجيب رئيسا للجمهورية ورئيسا لمجلس قيادة الثورة ورئيسا للوزراء •

٩ مارس

● عبد الناصر يعلن « طوينا الخلاف وتناسينا اسبابه من أجل مصر »

٢١ مارس

● رفضت مصر المشروع النيوزيلندى المعروض على مجلس الامن والخاص بمطالبة مصر بوقف تفتيش السفن التى تعبر قناة السويس واحالة مشكلة خليج العقبة الى لجنة الهدنة لبحثها •

٢٢ مارس

● جمال عبد الناصر يعلن أن الشعب المصرى مستعد لمواجهة الانجليز فــى القناة •

٢٤ مارس

● عبد الناصر يرد على ايدن بأن المفاوضات لن تستأنف الا على أساس التسليم بحقوق مصر كاملة •

٢٥ مارس

● قرر مجلس قيادة الثورة :

١ ـ السماح بقيام الاحزاب •
٢ ـ المجلس لا يؤلف حزبا •
٣ ـ لا حرمان من الحقوق السياسية حتى لا يكون هناك تاثير على حرية الانتخابات •
٤ ـ تنتخب الجمعية التاسيسية انتخابا حرا مباشرا وتكون لها السيادة وسلطة البرلمان كاملة وتكون انتخاباتها حرة •
٥ ـ حل مجلس قيادة الثورة يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٤ باعتبار أن الثورة قد انتهت وتسلم البلاد لممثلي الامة •
٦ ـ تنتخب الجمعية التاسيسية رئيسا للجمهورية بمجرد انعقادها

● المظاهرات الشعبية تطوف العاصمة والمدن في مختلف انحاء البلاد تطلب بقاء مجلس قيادة الثورة والاحتجاج على القرارات التي صدرت

٢٧ مارس

● اعتصم قادة العمال بدار اتحاد نقابات عمال النقل المشترك واضربوا عن الطعام مطالبين بتحقيق :
١ ـ الا يسمح بقيام الاحزاب وعودتها الى تخريب الحياة السياسية
٢ ـ استمرار مجلس قيادة الثورة في مباشرة سلطاته حتى تتحقق اهداف الثورة المجددة •
٣ ـ استمرار مجلس قيادة الثورة في مباشرة سلطاته حتى يتم جلاء المستعمر •
٣ ـ قيام هيئة تمثل جميع النقابات والاتحادات والروابط والجمعيات والمنظمات بجانب مجلس قيادة الثورة تعد بمثابة جمعية وطنية تعرض عليها القرارات التي يصدرها المجلس •
٤ ـ عدم الدخول في معارك انتخابية ووقوف المواطنين جميعا جبهة واحدة حتى يتم جلاء المستعمر •
٥ ـ اقرار مشروعية حق الاضراب •

● اعتصام ضباط الجيش في ثكناتهم الى ان تلغى قرارات مجلس الثورة •

٢٨ مارس

● اصدر ممثلو ضباط الجيش في اجتماعهم العام القرارات التالية :
١ ـ الثقة التامة بمجلس قيادة الثورة •
٢ ـ استمرار مجلس قيادة الثورة في مباشرة سلطاته، حتى تتحقق أهداف الثورة •
٣ ـ وجوب تكتل الجميع لتحقيق هذه الاهداف •
٤ ـ تصدر قرارات مجلس قيادة الثورة باغلبية الاصوات •
٥ ـ ان القرارات التي اصدرها المجلس يوم ٢٥ مارس تتعارض حاليا مع مقامات الثورة من اجله ويجب ان تلغى فورا •

٢٩ مارس

● اعلن مجلس قيادة الثورة استجابته للشعب •

● ارجاء تنفيذ قرارات ٥ ، ٢٥ مارس حتى نهاية فترة الانتقال •

● تاليف مجلس وطني استشاري يمثل الطوائف والهيئات والمناطق المختلفة وتحدد اختصاصاته بقانون •

● العمال يقررون انهاء الاضراب والاعتصام والعودة الى الاعمال اليومية •

٥ ابريل

● قرر مجلس قيادة الثورة :
١ ـ منح سلطات للمسئولين في الجامعات لضمان انتظام الدراسة فيها •
٢ ـ تطهير الصحافة بابعاد العناصر الفاسدة عن محيطها لتتمكن من اداء رسالتها •

٦ ابريل

● تقرر تخصيص مبلغ ١٤٫٥ مليون جنيه لتنفيذ مشروعات اجتماعية وصحية للشعب •

١٣ ابريل

● توزيع ١٣٣٩ فدانا على الفلاحين في الفاروقية (كفر الشيخ)

١٤ ابريل

● قرر مجلس قيادة الثورة حرمان وزراء الوفد والدستوريين والسعديين من الحقوق السياسية وتولي الوظائف العامة لمدة عشر سنوات •

١٥ ابريل

● قرر مجلس قيادة الثورة حل مجلس نقابة الصحفيين وتاليف لجنة مؤقتة تحل محل النقابة حتى يصدر قانونها الجديد كما تقرر اعادة النظر في قانون نقابة الصحفيين •

١٧ ابريل

● قبول تخلي اللواء محمد نجيب عن رياسة مجلس الوزراء •

● تشكيل وزارة جديدة برئاسة البكباشي جمال عبد الناصر حسين وعضوية كل من :
قائد الجناح جمال سالم ـ وزيرا للمواصلات •
د • نور الدين طراف ـ وزيرا للصحة العمومية •
احمد حسني ـ وزيرا للعدل •
الشيخ احمد حسن الباقوري ـ وزيرا للاوقاف •
فتحي رضوان ـ وزير دولة
د • محمود فوزي ـ وزيرا للخارجية
د • عبد الرزاق صدقي ـ وزيرا للزراعة •
قائد الجناح عبد اللطيف البغدادي ـ وزيرا للشئون البلدية والقروية •
صاغ صلاح الدين مصطفى سالم ـ وزيرا للارشاد القومي ووزير دولة لشئون السودان
احمد عبده الشرباصي ـ وزيرا للاشغال العمومية
بكباشي زكريا محيي الدين ـ وزيرا للداخلية
كمال الدين حسين ـ وزيرا للشئون الاجتماعية •
حسين الشافعي ـ وزيرا للحربية
حسن ابراهيم ـ وزير دولة لشئون رياسة الجمهورية •
محمد عوض محمد ـ وزيرا للمعارف العمومية
د • حسن مرعي ـ وزيرا للتجارة والصناعة •
جندي عبد الملك ـ وزيرا للتموين
د • عبد الحميد الشريف ـ وزيرا للمالية والاقتصاد •
ونواب للوزراء هم :
عبد الفتاح حسن ـ نائبا لوزير الدولة لشئون السودان •
عبد المنعم القيسوني ـ نائبا لوزير المالية والاقتصاد •
محمد ابونصير ـ نائبا لوزير التجارة والصناعة •

٢٠ ابريل

● توزيع ٢٧٩٤ فدانا في منطقة البحيرة على الفلاحين •

٢ مايو

● جمال عبد الناصر يقوم بتوزيع ٤٠٩٠ فدانا في المحلة الكبرى •

١١ مايو

● قام فوستردالاس وزير خارجية امريكا بزيارة مصر ، وقد صرح بأنه يؤيد الجلاء عن مصر تدريجيا مع تنظيم الاشراف الفني على قاعدة القناة •

١٤ مايو

● البدء فى انشاء كورنيش النيل وتجميل مدخل القاهرة واعتماد ٢٣٠ الف جنيه لتجديد سكة جديد حلوان .

١٨ مايو

● اقرار بعض المشروعات الانتاجية بمبلغ ٤٥ مليون جنيه وتكوين شركة لانتاج السماد برأسمال قدره ٢٢ مليون جنيه .

١٧ يونيو

● الموافقة على اتفاقية الجنسية العربية الموحدة .

١١ يوليو

● استئناف مفاوضات الجلاء بين الجانب المصرى برئاسة جمال عبد الناصر وبين الجانب البريطانى برئاسة انتونى ناتنج .

■■■

السنة الثالثة

٢٣ يوليو ١٩٥٤ — ٢٢ يوليو ١٩٥٥

١٩٥٤

٢٤ يوليو

● جمال عبد الناصر يعلن :
– الانتخابات ستجرى فى يناير ١٩٥٦ .
– أننا نقاوم آية سيطرة علينا سواء أكانت بريطانية أم غيرهما .
– موقف الحكومة من جماعة الاخوان المسلمين على أساس انها جماعة لها اهداف اجتماعية مادامت مبتعدة عن المسائل السياسية .

٢٧ يوليو

● التوقيع بالاحرف الاولى على اتفاقية الجلاء واصدار بلاغ مشترك بذلك

٢٩ يوليو

● جمال عبد الناصر يعلن ان اتفاقية الجلاء ليس فيها تحالف عسكرى ولا دفاع مشترك ولكنها لا تعدو أن تكون مجرد مرحلة من مراحل البناء

٣٠ يوليو

● تشكيل ٤ لجان لتنظيم انسحاب القوات البريطانية من مصر .

٧ أغسطس

● اعلان انشاء المؤتمر الاسلامى بالقاهرة .

١٩ أغسطس

● توزيع ١٢٠٠ فدان على الفلاحين فى أسيوط وسوهاج وقنا .

٣١ أغسطس

● جمال عبد الناصر يعلن ان الدول العربية لا يمكن أن تشترك مع الدول الغربية الكبرى فى أى مشروع للدفاع عن الشرق الاوسط ، لان شعوب هذه الدول ترى أن المنظمة ليست سوى استعمار مقنع .

٦ سبتمبر

● توزيع ٣٠ الف فدان على الفلاحين فى البحيرة تطبيقا لقانون الاصلاح الزراعى .

٧ سبتمبر

● صدور قرار بتخفيض مصروفات الجامعة بنسبة ٣٠ فى المائة والتوسع فى منح المجانية للممتازين من الطلبة والطالبات

٢٨ سبتمبر

● تم تعيين أول قائد مصرى لقاعدة قناة السويس

١٥ اكتوبر

● اعلان تكوين ٨٦ جمعية تعاونية للاصلاح الزراعى

١٩ كتوبر

● توقيع اتفاقية الجلاء وانهاء الاحتلال البريطانى ، وتنص الاتفاقية على :
– جلاء القوات البريطانية جلاء تاما عن الاراضى المصرية خلال فترة ٢٠ شهرا من تاريخ التوقيع على الاتفاقية
– انقضاء معاهدة ١٩٣٦
– انتقال ملكية جميع المطارات والمنشآت الى الدولة المصرية .
– قناة السويس البحرية جزء لا يتجزأ من مصر .
– يظل الاتفاق نافذ المفعول لمدة ٧ سنوات بعد توقيعه .

٢٠ اكتوبر

● أعلن عبد الناصر فى احتفال توقيع الاتفاقية ، ان الثورة لن تنتهى الا اذا وفرت لكل عاطل عملا ولكل جاهل علما ولكل جائع غذاء . انها ليست ثورة اشخاص ولكنها ثورة مبادىء .

٢٦ اكتوبر

● فى تمام الساعة ٧٫٥٥ مساء الثلاثاء ٢٦ اكتوبر حاول عضو من جماعة الاخوان المسلمين يدعى محمود عبد اللطيف اغتيال جمال عبد الناصر

وهو يخطب في ميدان المنشية بالاسكندرية . وذلك بأن اطلق عليه ثماني رصاصات ولم يصب عبد الناصر ، واصيب بعض المحيطين به .

٢٩ أكتوبر

● عبد الناصر يخطب في ربع مليون عامل بميدان الجمهورية ويقول « انني حينما قلت بعد توقيع الاتفاقية ان الجهاد الاصغر قد انتهى وبدأ الجهاد الاكبر كنت اعنى انكم انتم ياشعب مصر ستدافعون عن حريتكم وعن كرامتكم وعن عزتكم » .

أول نوفمبر

● صدر امر مجلس قيادة الثورة بتشكيل محكمة خاصة باسم محكمة الشعب من :

قائد جناح جمال مصطفى سالم رئيسا

قائمقام انور السادات عضوا

بكباشي حسين الشافعي عضوا .

وتختص بالنظر في الافعال التي تعتبر خيانة للوطن او ضد سلامته في الداخل والخارج . وكذلك الافعال التي تعتبر موجهة ضد نظام الحكم او ضد الاسس التي قامت عليها الثورة ، ولو كانت قد وقعت قبل العمل بهذا الامر . كما تختص هذه المحكمة بالنظر فيما يرى مجلس قيادة الثورة عرضه عليها من القضايا أيا كان نوعها .

٩ نوفمبر

● بدأت محكمة الشعب جلساتها لمحاكمة المتهمين من اعضاء الاخوان المسلمين .

١٤ نوفمبر

● قرر مجلس قيادة الثورة :

- اعفاء اللواء محمد نجيب من جميع المهام التي كان قد كلفه القيام بها .
- ان يظل منصب رئيس الجمهورية شاغرا حتى يجرى انتخاب من يملاه من قبل الشعب في استفتاء عام .

١٧ نوفمبر

● قرر مجلس قيادة الثورة تخويل مجلس الوزراء سلطات رئيس الجمهورية .

٢٨ نوفمبر

● تم اعتماد مبلغ ٢٥ مليون جنيه للمشروعات الانتاجية الجديدة وطرح ٣ قروض للاكتتاب الشعبي العام .

١٥ يناير ١٩٥٥

● اعلن جمال عبد الناصر ان انتهاء فترة الانتقال في عام ١٩٥٦ ليس معناه ان الثورة تضفى أعمالها او انها تتخلى عن اهدافها ومبادئها . فلن تجلو الثورة بجلاء الانجليز ولكنها باقية لاقامة عدالة اجتماعية حقيقية .

٢٢ يناير

● اجتماع رؤساء الدول العربية بالقاهرة لبحث السياسة التي اعلنتها القاهرة بمعارضة الاحلاف العسكرية .

٢٩ يناير

● نوري السعيد رئيس وزراء العراق يصر على عقد حلف عسكري بين العراق وتركيا ، وآخر مع باكستان وايران ، وثالث مع بريطانيا والولايات المتحدة . ومصر تعارض الدخول في جميع هذه الاحلاف لانها تمحو فكرة الجامعة العربية والضمان الجماعي العربي .

٢ فبراير

● جمال عبد الناصر يعلن انمصر ستعمل من اجل العرب ومن أجل قوتهم وقوميتهم وانهاترفض سياسة ربط العرب باى دولة اجنبية .

١٥ فبراير

● اجتماع نهرو بعبد الناصر لاول مرة في القاهرة وصدور بيان مشترك جاء فيه :

وجوب حل المشاكل الدولية عن طريق المفاوضات السلمية .

الاحلاف العسكرية لا تكفل السلام في اى دولة .

وجوب تقييد استعمال الاسلحة ذات التدمير الواسع النطاق .

وجوب استخدام الذرة في الاغراض السلمية .

ضرورة تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية لشعبي الهند ومصر .

تأييد الجهود التي تبذل لتحرير الشعوب .

١٨ فبراير

● انتهاء المرحلة الاولى للجلاء ، ورحيل ٢١ الف جندي بريطاني عن منطقة القناة وبدء تنفيذ المرحلة الثانية للجلاء .

٣ مارس

● عبد الناصر ينذر اسرائيل بأن جيش مصر سيرد على اى عدوان اسرائيلي بشدة وحزم .

٢٢ مارس

● رفع جمال عبد الناصر العلم المصري فوق معسكر « الشلوفة » بمنطقة القناة لاول مرة بعد ٧٣ عاما من كفاح الشعب المصري ضد الاحتلال البريطاني .

٢٤ مارس

● عبد الناصر يعلن ان التحرر الكامل هو اساس الثورة ، وان مصر مصممة على تنظيم الدفاع عن نفسها وعن العرب بجهاز ينبثق من ارادتها وارادة الشعوب العربية .

٢٨ مارس

● اعلن جمال عبد الناصر اننا في تنظيمنا الدفاع ضد اى خطر خارجي يجب الا ننسى الاخطار التي تنجم عن اقامة سيطرة اجنبية بشكل او بآخر قد ينجم عنها التعقيد الكامل بالنسبة للسياسة الخارجية وبالنسبة للسياسة الداخلية، وهوتقييديتنافى تنافيا كاملا مع سياسة التحرر الكامل الذي قامت عليه اهداف الثورة .

٣١ مارس

● اعلن جمال عبد الناصر ان الدفاع عن الشرق الاوسط يجب ان ينبثق من المنطقة وان مصر ترفض الارتباط بحلف للدفاع عن منطقة الشرق الاوسط . وقد تعتبر الشيوعية خطرا ولكن الاستعمار اشد خطرا .

● عبد الناصر يقول اننا نمر الان بفترة حاسمة من تاريخنا ونعتبر ان هذه الفترة اذا لم نوجه التوجيه السليم فلن نستطيع تحقيق هدف الثورة الخاص بالوصول الى مجتمع اشتراكي يرتفع به مستوى المعيشة ويقوى فيه الوطن اقتصاديا وانتاجيا .

● عبد الناصر يقول اننا لم نصل الى نتيجة لشراء اسلحة من الغرب لاننا رفضنا ان تملى علينا شروط .

٢٤ ابريل

● عقد مؤتمر « باندونج » باندونيسيا اشتركت فيه مصر بوفد برأسه جمال عبد الناصر مع ٢٣ دولة آسيوية

والافريقية واعتمد المؤتمر القرارات الاتية :
١ ـ التعاون الاقتصادى والتجارى والاجتماعى بين بلدان الكتلة الاسيوية والافريقية لتحقيق رفاهية الشعوب •
٢ ـ الاعتراف بحق تقرير المصير وتأييد قضية الحرية والاستقلال بالنسبة للشعوب النامية •
٣ ـ استنكار استعمار الشعوب ونبذ سياسة القوة كوسيلة لحل المشاكل الدولية •
٤ ـ المناداة بالسلام والتعاون العالمى فى نطاق الامم المتحدة •
٥ ـ الاعتراف بحق اللاجئين العرب فى العودة الى ديارهم •
٦ ـ وجوب نزع السلاح كضرورة حتمية لصيانة السلام •
● نادى جمال عبد الناصر فى مؤتمر باندونج بسياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز •

٤ مايو

● صدر اول بيان بشأن تمويل مشروع السد العالى وذلك باصدار سندات واذون على الخزانة المصرية •

١١ مايو

● تم وضع مشروع قانون للتامين والادخار ورفع مستوى العمال وتأمين مستقبلهم •

١٩ مايو

● اعلن جمال عبد الناصر ان فترة الانتقال تنتهى فى يناير ١٩٥٦ باقامة حياة نيابية ديمقراطية وأن يكون التمثيل البرلمانى على اساس الطوائف والهيئات بغير احزاب •

٧ يونيو

● صدر قانون بتمصير الشركات المساهمة واخضاع رؤوس اموالها للتنظيم القومى بما يحقق المصلحة العامة •

١٩ يونيو

■ انتهاء المرحلة الثانية من جلاء القوات البريطانية عن منطقة القناة وتسليم مصر ١٥ منشأة • والبدء فى تنفيذ المرحلة الثالثة من مراحل الجلاء •

٣ يوليو

● عبد الناصر يوزع ٥٦٥٨٠ فدانا على ٤٥ الف فلاح بالصعيد • ويؤكد اننا قد تحررنا ولن يعود الاقطاع ولا الاحزاب مرة اخرى •

١١ يوليو

● نهرو يزور مصر ويجتمع بعبد الناصر ويصدر بيان مشترك يدعو الدول الكبرى الى اقرار أسس السلام واستنكار عقد حلف تركيا ـ العراق •

١٣ يوليو

● عبد الناصر يعلن بدء الثورة الاجتماعية للقضاء على الظلم الاجتماعى بعد ان قضت الثورة السياسية على الاستبداد السياسى والاستعمار البريطانى •

١٨ يوليو

● عبد الناصر يضع حجر الاساس لمصانع معونة الشتاء بمديرية التحرير •

١٩ يوليو

● سوكارنو يزور مصر ويجتمع بعبد الناصر •
● القى سوكارنو خطابا اشاد فيه بأهداف ثورة ٢٣ يوليو •

■■■

السنة الرابعة

٢٣ يوليو ١٩٥٥ ـ ٢٢ يوليو ١٩٥٦

١٩٥٥

٢٨ اغسطس

● اعتدت القوات الاسرائيلية فى هجوم مفاجىء على خمسة مواقع مصرية بقطاع غزة ، وردتها القوات المصرية على اعقابها •

٢١ سبتمبر

● صدر قانون الغاء القضاء الشرعى والملى ، واحالة الدعاوى المنظورة امام المحاكم الشرعية والملية الى المحاكم الوطنية ، توحيدا لجهات القضاء لاول مرة فى مصر •

٢٧ سبتمبر

● مصر تقبل عرضا سوفيتيا بتسليحها وتعقد صفقة اسلحة مع تشيكوسلوفاكيا •
● عبد الناصر يشرح كيف عقدت مصر صفقة من الاسلحة مع تشيكوسلوفاكيا ويقول « ان الثورة واجهت معركة احتكار السلاح من الدول الغربية الكبرى » وانها عاملة على تحطيمه • ويعلن مقاومة مصر لاسطورة توازن القوى فى الشرق الاوسط التى يروج لها الاستعمار • •

١٠ نوفمبر

● اعلن عبد الناصر ان مصر عقدت صفقات الاسلحة التشيكية والروسية حينما ادركت حقيقة نوايا اسرائيل العدوانية وحتى لا تتكرر مأساة فلسطين

١١ نوفمبر

● انذر عبد الناصر الدول الغربية بان اسرائيل اذا تلقت اسلحة من الغرب فان الدول العربية وعلى رأسها مصر ستدخل فى سباق حقيقى للتسلح فى الشرق الاوسط وان باستطاعة مصر الحصول على المزيد من السلاح من الكتلة الشرقية •

١٧ ديسمبر

● اعلنت الولايات المتحدة وبريطانيا انهما قد عرضتا مساعدات مالية على مصر لتيسير البدء فى تنفيذ مشروع السد العالى •

٢٨ ديسمبر

● زار « تيتو » مصر لاول مرة واجتمع بعبد الناصر وصدر بيان مشترك يعلن تمسكهما بسياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ودعوتهما الى التعايش السلمى •

١٠ يناير ١٩٥٦

● جمال عبد الناصر يرحب باسم مصر بانضمام السودان الى جامعة الدول

العربية · مصر تطلب عقد دورة استثنائية لمجلس الجامعة العربية لقبول السودان عضوا ·

١٦ يناير

● اعلن جمال عبد الناصر باسم قيادة الثورة « دستور الشعب » · وتنقسم نصوصه الى ستة أبواب :
الباب الاول : الدولة المصرية
الباب الثانى : المقومات الاساسية للمجتمع المصرى ·
الباب الثالث : الحقوق والواجبات العامة ·
الباب الرابع : السلطات ·
الباب الخامس : الاحكام العامة ·
الباب السادس : الاحكام الانتقالية

٢٨ يناير

● اجتمع جمال عبد الناصر بيوجين بلاك مدير البنك الدولى للانشاء والتعمير لاستئناف مباحثات مشروع السد العالى التى بدأت فى واشنطن ·

١٠ فبراير

● عقدت مصر مع الاتحاد السوفيتى اتفاقا لانشاء معمل ذرى ·

٣ مارس

■ صدر قانون الانتخاب وحدد سن الناخب بـ ١٨ سنة ، بعد ان كان ٢١ عاما · ومنح المرأة المصرية لاول مرة حق الانتخاب · وكذلك افراد القوات المسلحة ·

١٢ مارس

● وقع جمال عبد الناصر وزعماء العرب بيانا مشتركا اعلنوا فيه رفض الاحلاف الاجنبية والتمسك بحقوق عرب فلسطين كاملة وتأييد الاردن ومساندته ضد أى عدوان اسرائيلى ومطالبة فرنسا الاعتراف باستقلال الشعب العربى فى شمال افريقيا ·

٢٥ مارس

● رفع العلم المصرى فوق اكبر معسكر لقوات الاحتلال فى الاسماعيلية

١٥ ابريل

● اعلن جمال عبد الناصر أن مصر تخلصت نهائيا من القوات الاجنبية البرية والجوية والبحرية وان آخر هذه القوات الاجنبية قد رحلت عن ارض الوطن · وان هناك — رغما عن ذلك — مؤامرة بريطانية جديدة ضد العرب ·

٢٠ ابريل

● وقع جمال عبد الناصر فى جدة ميثاقا عسكريا مع المملكة السعودية واليمن يهدف الى تنمية الروابط الثقافية والعسكرية والفنية بين الدول الثلاث ·

١٦ مايو

● اعترفت مصر بجمهورية الصين الشعبية · فكانت بذلك اول دولة عربية وافريقية فى هذا المجال ·

١٩ مايو

● اعلن جمال عبد الناصر ان سياسة مصر تقوم على مسالمة من يسالمنا ومعاداة من يعادينا ·

٢٣ مايو

● اعلن دالاس وزير خارجية امريكا ان بلاده آسفة لاعتراف مصر بالصين الشعبية ·

١٠ يونيو

● صدر قرار يقضى بالغاء جميع المواد فى قانون العقوبات التى تحمى رئيس الدولة ليصبح من حق كل مواطن او صحيفة ان تنقده ·

١١ يونيو

● صدر قانون مجلس الامة الذى قسم البلاد الى ٣٥٠ دائرة انتخابية ·

١٧ يونيو

● الاتحاد السوفيتى يعرض قرضا لمصر لتمويل مشروع السد العالى ·

● اعترف البنك الدولى للانشاء والتعمير بسلامة سياسة مصر الاقتصادية وتوسعها فى المشروعات الانتاجية ·

١٨ يونيو

● تم جلاء القوات البريطانية عن مصر (فيما عدا القاعدة) بمنطقة القنال

٢٣ يونيو

● اجرى الاستفتاء على الدستور وانتخاب رئيس الجمهورية · نال جمال عبد الناصر ٩٩٫٨٤ فى المائة من الاصوات وكانت نسبة مؤيدى الدستور ٩٩٫٨ فى المائة من عدد الاصوات ·

٢٩ يونيو

● اعلن الرئيس جمال عبد الناصر تشكيل الوزارة الجديدة وتولى رئاسة الوزراء — كما ينص الدستور — الى جانب رئاسة الجمهورية وعضوية كل من :

عبد اللطيف محمود البغدادى وزيرا للشئون البلدية والقروية ووزير دولة للتخطيط ·

زكريا عبد المجيد محيى الدين وزيرا للداخلية

حسين محمود الشافعى وزيرا للشئون الاجتماعية والعمل ·

د · محمود فوزى وزيرا للخارجية

نور الدين طراف وزيرا للصحة ·

احمد حسنى وزيرا للعدل ·

احمد حسن الباقورى وزيرا للاوقاف
كمال رمزى استينو وزيرا للتموين

د · عزيز صدقى وزيرا للصناعة ·

د · مصطفى خليل كامل وزيرا للمواصلات ·

سيد مرعى وزير دولة للاصلاح الزراعى ·

عبد الفتاح حسن نائبا لوزير الخارجية ·

٤ يوليو

● قرر مجلس النواب السورى اقامة اتحاد فيدرالى مع مصر ورحبت مصر بهذا القرار ·

١٠ يوليو

● صدر قانون بانشاء صندوق للتامين والمعاشات لجميع العاملين بالهيئات ذات الميزانيات المستقلة ·

١٢ يوليو

● الرئيس عبد الناصر يزور يوغوسلافيا رسميا لاول مرة ·

● عقد فى نهاية الزيارة مؤتمر بريونى بين الرؤساء جمال عبد الناصر وتيتو ونهرو وصدر بيان مشترك يؤيد قرارات مؤتمر باندونج ·

٢٠ يوليو

● سحبت الولايات المتحدة وبريطانيا العروض التى سبق ان تقدمتا بها للمساهمة فى تمويل السد العالى ·

السنة الخامسة

٢٣ يوليو ١٩٥٦ — ٢٢ يوليو ١٩٥٧

١٩٥٦

٢٤ يوليو

● اعلن الرئيس عبد الناصر استقلال سياسة مصر الاقتصادية واتجاه البلاد الى التصنيع •

٢٦ يوليو

اعلن الرئيس عبد الناصر فى خطاب بالاسكندرية تاميم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية •

٢٧ يوليو

● رفضت مصر تسلم الاحتجاج الذى قدمته بريطانيا معارضة قرار تاميم شركة قناة السويس •

٢٨ يوليو

● اعلان التعبئة العامة فى مصر « لحماية المكاسب التى حققتها الثورة »

● بريطانيا وفرنسا تهددان باحتلال مصر •

● عبد الناصر ينذر دول الاستعمار بان مصر ستقابل القوة بالقوة والعدوان بالعدوان •

٢٩ يوليو

● اعلنت بريطانيا وفرنسا تجميد الارصدة والاموال المصرية ، وتجميد ممتلكات شركة قناة السويس فى كل من الدولتين •

٣٠ يوليو

● الاتحاد السوفيتى وعدد كبير من دول العالم ، تؤيدمصر فى موقفها وحقها فى التاميم •

● أعلنت وزارة المالية الامريكية انها وضعت تحت الرقابة المؤقتة جميع الاموال التى لحساب الحكومة المصرية من الولايات المتحدة وكذلك اموال شركة القناة المؤممة •

٣١ يوليو

● صدرت الاوامر الى الجيش البريطانى بالاستعداد • كما صدرت الاوامر الى الاسطول البريطانى بأن يكون قريبا من قناة السويس •

أول أغسطس

● كرر الاتحاد السوفيتى تقديم عرضه لتمويل مشروع السد العالى •

● تعهدت بريطانيا وفرنسا بانهما لن يستخدما القوة ضد مصر •

● اعلن ايزنهاور رئيس الولايات المتحدة الامريكية ضرورة معالجة « ازمة القناة بدقة بالغة » •

● اعلن فى لندن ان دول الغرب الثلاث (بريطانيا وفرنسا وامريكا) قبلت فكرة دعوة مصر لعقد مؤتمر دولى لبحث المشكلة ، يحضره الاتحاد السوفيتى •

● انذر الرئيس عبد الناصر دول الغرب واعلن « اننا نعرف كيف ندافع عن وطننا وكيف نرد الغاصبين » •

٢ أغسطس

● اصدرت بريطانيا أوامرها الى رعاياها فى مصر بمغادرة الاراضى المصرية •

٣ أغسطس

● فتح باب التطوع لتكوين « الكتائب الشعبية » فى مصر •

٤ أغسطس

● فرنسا تطلب من رعاياها مغادرة مصر •

٨ أغسطس

● بريطانيا وفرنسا تحرضان المرشدين البحريين الاجانب على الاضراب لكى تتعطل الملاحة فى قناة السويس •

٩ أغسطس

● اصدر الرئيس عبد الناصر قرارا بانشاء « جيش التحرير الوطنى » من الحرس الوطنى وكتائب التحرير والشباب والمتطوعين من سن ١٨ الى ٥٠ سنة •

١٢ أغسطس

● رفضت مصر الدعوة الى حضور مؤتمر لندن لبحث « المشكلة التى نجمت عن تاميم القناة والنظر فى أمر تدويلها » •

١٦ أغسطس

● سافر على صبرى الى لندن « بصفة مراقب » لسير مباحثات مؤتمر لندن •

١٨ أغسطس

● رفضت مصر فكرة « تدويل القناة » التى نادى بها مؤتمر لندن واعلنت « ان التدويل محاولة لفرض السيطرة الاستعمارية العالمية على الشعب العربى » •

٢٥ أغسطس

● تشكلت لجنة خماسية منبثقة من مؤتمر لندن سميت « لجنة منزيس » نسبة الى منزيس رئيس وزراء استراليا للتفاوض مع مصر •

٥ سبتمبر

● حشدت بريطانيا وفرنسا قوات كبيرة فى قبرص •

٦ سبتمبر

● اعلنت مصر رفضها لمقترحات لجنة منزيس الخماسية بشأن تدويل قناة السويس • وكانت قد حضرت الى القاهرة وعقدت اجتماعا مع الرئيس جمال عبد الناصر •

٨ سبتمبر

● سحبت بريطانيا وفرنسا وبعض الدول الغربية مرشديها من قناة السويس بقصد تعطيل الملاحة •

١٥ سبتمبر

● اعلنت مصر فشل مؤامرة سحب المرشدين وانتظام الملاحة فى القناة •

١٧ سبتمبر

● مصر تطلب عقد مجلس الامن للنظر فى التهديدات البريطانية الفرنسية باستخدام القوة •

٢٠ سبتمبر

● عقدت بريطانيا مؤتمرا ثانيا فى لندن • واقترح دالاس وزير خارجية أمريكا تشكيل « جمعية المنتفعين بالقناة » وذلك بان ترسل هذه الجمعية سفن اختبار مزودة بالمرشدين وتطلب المرور فى القناة دون دفع اية رسوم الى هيئة القناة المصرية •

٢٢ سبتمبر

● فشل مشروع جمعية المنتفعين بسبب رفض كثير من الدول فكرته من ناحية ، واصرار مصر على مقاومته من ناحية أخرى •

٢٤ سبتمبر

● اجتمع الرئيس عبد الناصر بالملك سعود وشكرى القوتلى فى الرياض واعلنوا الاجماع على تأييد حق مصر فى سيادتها •

٢٨ سبتمبر

● قررت شركات الملاحة العالمية عدم مقاطعة قناة السويس كطلب بريطانيا وفرنسا •

٦ أكتوبر

● صدر العدد الاول من جريدة المساء اليومية وتولى خالد محيى الدين رئاسة تحريرها •

٧ أكتوبر

■ اعلنت مصر فى مجلس الامن تصميمها على المحافظة على سيادتها الكاملة على القناة •

٢٧ أكتوبر

● تلقت مصر رسالة من « داج همرشلد » السكرتير العام للامم المتحدة يقترح فيها عقد اجتماع يوم ٢٩ اكتوبر فى جنيف •

٢٨ أكتوبر

● اعلنت اسرائيل تعبئة قواتها العسكرية •

● امرت أمريكا رعاياها فى الشرق الاوسط بمغادرة المنطقة •

٢٩ أكتوبر

● هاجم الجيش الاسرائيلى منطقة الكونتيلا جنوبى صحراء سيناء على الحدود المصرية •

● دخلت القوات الاسرائيلية الاراضى المصرية عن طريق « القسيمة » « ورأس النقب » و « الكونتيلا » ••

● اعلنت بريطانيا انها لن تستغل القتال الدائر بين مصر واسرائيل للتدخل •

٣٠ أكتوبر

● وجهت بريطانيا وفرنسا انذارا الى مصر تطلبان فيه « انسحاب القوات المصرية الى مسافة ١٠ اميال من قناة السويس » وان تقبل مصر احتلال اراضيها بواسطة القوات البريطانية والفرنسية • وهددت الدولتان بالتدخل بالقوة بالقدر الذى تريانه ضروريا لضمان تحقيق مطالبهما اذا لم تستجب مصر للانذار •

٣١ أكتوبر

● بدأت القوات البريطانية والفرنسية تهاجم مصر •

● اعلنت مصر رفض الانذار البريطانى الفرنسى • وقطعت علاقاتها مع انجلترا وفرنسا •

● قدم داج همرشلد السكرتير العام للامم المتحدة استقالته احتجاجا على العدوان ضد مصر •

أول نوفمبر

● اعلن الرئيس عبد الناصر ان مصر ستقاتل حتى النصر •

● طلبت مصر من داج همرشلد سحب استقالته من منصبه من أجل السلام •

٢ نوفمبر

● تعطلت الملاحة فى قناة السويس بعد اغراق سفينة اسمنت مصرية فيها •

● تم انسحاب الجيش المصرى من سيناء حتى لايقع فى المصيدة الثلاثية الموضوعة من قبل القوات الاستعمارية وتوحيدا لجبهة القتال والمقاومة •

● خطب جمال عبد الناصر بالازهر واعلن « ان مصر كانت دائما مقبرة للغزاة وان الشعب المصرى سيحارب من بلد الى بلد ومن بيت الى بيت » ورفع الشعار التاريخى الذى تجاوبت معه بعمق جماهير الشعب « سنقاتل سنقاتل •• لن نسلم » •

● قدم انتونى ناتنج وزير الدولة البريطانى استقالته احتجاجا على العدوان •

● نسف العمال العرب انابيب البترول فى سوريا وليبيا والبحرين والسعودية ، لمنع البترول عن الدول الغربية وتضامنا مع شعب مصر فى مواجهة العدوان •

٤ نوفمبر

● بورسعيد تقاوم الغزو البريطانى الفرنسى ببسالة تذهل العالم •

● توزيع السلاح على جميع افراد الشعب •

٥ نوفمبر

● وجهت مصر نداء الى جميع شعوب دول العالم بطلب عونها المادى والادبى ضد العدوان •

● انذر الاتحاد السوفيتى بضرب بريطانيا وفرنسا بالصواريخ اذا لم يتوقف العدوان •

٦ نوفمبر

● مصر تقطع علاقاتها باستراليا

● اصدر مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة قرارا بوقف اطلاق النار •

٧ نوفمبر

● وافقت الامم المتحدة على ارسال قوات طوارىء دولية حتى يتم انسحاب الانجليز والفرنسيين •

● استمرار العدوان رغم قرار وقف اطلاق النار فى بورسعيد •

٩ نوفمبر

● اعلن الرئيس عبد الناصر فى الجامع الازهر « ان الاستعماريين فرضوا علينا القتال ولكنهم لن يفرضوا علينا الاستسلام »

أول ديسمبر

● تم توزيع ١١٨٠٠ فدان على الفلاحين •

٤ ديسمبر

● بدء انسحاب القوات الانجليزية والفرنسية من بور سعيد •

٢٣ ديسمبر

● تم انسحاب القوات البريطانية والفرنسية من بور سعيد •

٢٦ ديسمبر

● بدأت اسرائيل تنسحب من سيناء •

أول يناير ١٩٥٧

● الغت مصر اتفاقية الجلاء المعقودة

تم بريطانيا فى ١٩ اكتوبر ١٩٥٤ • واعتبرتها منتهيةمنذ ٣١اكتوبر ١٩٥٦ •

٣ يناير

● وقعت مصر بالاحرف الاولى على اتفاق مع الامم المتحدة تطهير القناة مما اصابها نتيجة حوادث العدوان •

٥ يناير

● قدم ايزنهاور مشروعا الى الكونجرس الامريكى بين فيه سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الاوسط واعلن فى المشروع ان هناك فراغا فى المنطقة وطلب تخويله السلطات لاستخدام القوة لمنع « سيطرة الشيوعية الدولية على المنطقة »

٧ يناير

● جمدت الولايات المتحدة الاموال المصرية الموجودة بها تضامنا مع بريطانيا وفرنسا •

٩ يناير

● استقال انتونى ايدن رئيس وزراء بريطانيا وقرر اعتزال السياسة •

وجاءت الاستقالة لسبب « فشله فى السياسة الخارجية ونتيجة للاضرار التى لحقت بالاقتصاد البريطانى من جراء العدوان على مصر »

١٣ يناير

● صدر قانون بانشاء « المؤسسة الاقتصادية » • نواة القطاع العام فى مصر •

● صدر قانون بانشاء المجلس الاعلى للتخطيط القومى ويضم هذا المجلس مجلس الانتاج ومجلس الخدمات •

١٤ يناير

● انسحبت القوات الاسرائيلية من العريش وتسلمتها القوات المصرية •

١٥ يناير

● صدر قانون بتمصير المصارف والبنوك الانجليزية والفرنسية فى مصر •

٢٤ يناير

● حذر الرئيس عبد الناصر « الغرب من اثارة اضطرابات جديدة اذا حاول استخدام قوات الامم المتحدة لتدويل غزة والعقبة •

١٢ فبراير

● اعتبرت بريطانيا معاهدة ١٩٥٤ مع مصر منتهية •

٢٠ فبراير

● اعلنت مصر ان اسرائيل ارتكبت ١١١٢ عدوانا على الاراضى المصرية خلال السنوات الثمانى الماضية • وكان آخرها العدوان الثلاثى على مصر الذى اشتركت فيه بريطانيا وفرنسا مع اسرائيل •

٦ مارس

● تم انسحاب القوات الاسرائيلية من غزة وشرم الشيخ •

١١ مارس

● تولت مصر ادارة قطاع غزة وعينت حاكما مصريا عاما للقطاع •

١٨ مارس

● وزعت قوات الطوارىء الدولية على خطوط الهدنة •

١٩ مارس

● اعلنت مصر دول العالم بوجوب دفع رسوم المرور بالقناة مقدما الى مصر •

٩ ابريل

● تم تطهير القناة واستؤنفت الملاحة تحت ادارة الهيئة المصرية •

١٨ مايو

● صدر قرار جمهوري بدعوة الناخبين الى اجراء الانتخابات العامة وفتح باب الترشيح لمجلس الامة .

٢٢ مايو

● بدات مباحثات بين مصر وبريطانيا فى روما بشان التعويضات عن خسائر العدوان والافراج عن ارصدة مصر المجمدة .

٢٨ مايو

● صدر قرار بتشكيل الاتحاد القومى تنظيما سياسيا لقوى الشعب المصرى .

٣١ مايو

● تقرر اعتماد ٢٥٠ مليون جنيه لبرنامج السنوات الخمس للتصنيع . .

١٠ يونيو

● طلبت مصر من الاردن سحب سفيرها . كما سحبت مصر ممثلها من القيادة الاردنية المشتركة .

١٩ يونيو

● تعاقدت مصر على شراء غواصات من الاتحاد السوفيتى .

١٠ يوليو

● تباحث نهرو مع الرئيس عبد الناصر فى القاهرة لتخفيف حدة التوتر الدولي وخفض التسليح وتحريم الاسلحة الذرية .

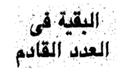
١٩ يوليو

● صدر قانون بتمصير بورصات الاوراق المالية .

● صدر قانون بتحويل البنك الاهلى المصرى الى بنك مركزى .

٢٢ يوليو

● افتتاح اجتماعات مجلس الامة .





الثمن ١٠ قروش

مطابع الأهرام التجارية


Bibliotheca Alexandrina
0535792